بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

[مقدمة المؤلف]

[٢] الحمد لله الذى أَعْلَى مراتبَ العلماء الأعلام ، وزكَّى منهم العقولَ الرَّاجحة والأحلام ، ومَنَحهم مآثرَ تَقْصُر عَنْ جَمْعها[١] المَحابرُ والأقلام ؛ ومَفاخرَ طارت كلَّ مَطَار . وجعل مَعاليَهم زاهرة زاهيه ، وأضواء فُهومهم نامية ساميه ، وأنواءَ[٢] عُلومهم هامِعة هاميه[٣] ؛ بِوَاكِف الأمطار[٤] ، وأَطْلَعهم على دَقائقِ الأسرار . وهَدَاهم وهَدَى بهم إلى ترتيب المَدارك ، وتقريب المسالك ؛ وجَلَّى بمَشارق الأنْوار مِنْ مَعارفهم وآدابهم ، عمَّن تمسك بأذيالهم وأَهْدابهم ، غَياهبَ الجَهْل الحَوَالك[٥] ؛ فأضاءت الأقطار . وعَرَّفهم المَقاصد الحِسَان ، والوسائل المُغْتَبَطَة والإلماع[٦] ، بأصول الرِّواية والسَّماع ؛ والإعلامَ ، بحُدود قواعد الإسلام ؛ وأرشدهم إلى التنبيهات المُستَنْبَطة السامية الأخطار ؛ حتى رَفَلوا من حُلل التحقيق السابغه ، فى مَطارف[٧] وبُرُود ؛ ووَرَدُوا من مَناهل التوفيق السائغه ، كلَّ عَذْبٍ

---

(١) فى ت : « عن فهمها » .

(٢) الأنواء : النجوم ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى ظهورها ، فيقولون مثلا : مطرنا بنوء الثريا .

(٣) هامعة هامية : أى تسيل فى غزارة وانصباب .

(٤) واكف الأمطار : هاطلها .

(٥) غياهب الجهل : ظلماته . والحوالك : الشديدة السواد .

(٦) الإلماع : التنويه والإشارة .

(٧) المطارف : أردية من خز مربع ذى أعلام ؛ الواحد : مطرف كمنبر ومقعد .

بُرُود[١] ؛ وتنسَّموا من حُجَج الحق البالغـه ، الروضَ المِعطار ؛ واجتنَوْا أَزَاهِر[٢] ، أضحت مُنْية الطالب ، و بُغْية الرائد[٣] ؛ واجتَلَوْا[٤] جواهر[٥] ، نُظِمت منها الدُّرر والفَرائِد ؛ فى أجياد[٦] الأسْطار . فإن أمَّهم ناقصٌ عَدِيم ، ألفَى لديهم الغُنْيةَ والإكمال ؛ أو قَصدهم عَلِيل سقيم ، وجَدَ فى يدَيْهم الشِّفاء ، فنال غايةَ الآمال ، وظَفِر بمُنْتَهى الأوْطار[٧] . والصلاة والسـلام على سيّدنا ومولانا محمّد أفضلِ العالَمين بإطلاق ، سِرَاج المُريدين ، وكَنْز العارِفين ، الذى لا يُخْشَى معه إمْلاق ، عُمْدتنا العُظْمى ، ووسيلتنا الـكُبْرى عند الملك الخلّاق ؛ صاحب المُعْجِزات الباهره ، التى اهتدى بها ذَوُو الأفكار ، والآيات الظاهره ، التى حصل بها التمييز[٨] لمَنْ له استذكار ؛ المُوطَّأُ الأكناف[٩] والأخلاق ، المُنْتَقَى من أعظم الذخائر ، وأنفس الأعْلاق[١٠] ، المُخْتار من قَبْل نَشْأة آدمَ والـكونُ

(١) البرود : البارد .
(٢) فى ط : « أزهارا » .
(٣) الرائد : الذى يتقدم القوم يبصر لهم الـكلأ ومساقط الغيث .
(٤) اجتلى : نظر .
(٥) فى ت : « بواهر » .
(٦) فى ت : « بأجياد » .
(٧) الأوطار : جمع وطر «بالتحريك» ، وهو الحاجة .
(٨) فى ت : « التمهيد » .
(٩) الموطأ الأكناف : الـكريم الدمث الأخلاق .
(١٠) الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من كل شىء .

وقد ذكر المؤلف هنا — على سبيل التورية — أسماء طائفة من الـكتب ، للقاضى عياض وغيره ، وهى : « الروض المعطار ، فى أخبار الأقطار » لأبى عبد الله الحميرى ؛ و « منية الطالب ، لأعز المطالب » لم يعلم مؤلفه ؛ و « بغية الرائد ، لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد » ؛ و « الغنية » و « الإكمال لـكتاب المعلم ، فى شرح صحيح مسلم » ، وهذه الثلاثة للقاضى عياض ؛ و « سراج المريدين » لأبى بكر بن العربى . و « كنز العارفين » لم يعلم مؤلفه ؛ و « الذخائر والأعلاق ، فى آداب النفوس ومكارم الأخـلاق » لأبى عبد الله الباهلى الإشبيلى ؛ و « الموطأ » للإمام مالك . و « المنتقى » اسم لعدة كتب .

لم تُفتح له أغْلاق ، صَلَّى اللهُ وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين لنُجومهم فى سماء الحق أُتلاق ؛ صلاةً وتَسْليما دائمَيْن ، ما أُنشِئت فى ثنائه الأحمدىّ ، [٣] وأُنشدت بفِنائه المحمّدىّ ، القصائدُ والأبياتُ والأشطار . و بعد[١] :

فيقولُ أحمـدُ ذو القُصُو رِ المَقَرِىُّ إذا انتسبْ[٢]
جَبَرَ المُهَيمنُ صَـدْعَهُ ووَقاهُ سَيِّئَ ما اكتسب
وحَبَـاهُ مِنْحةَ مُؤْمِنٍ مَحَضَ العبادةَ واحتسب[٣]

وأَسْدى إليه من المَواهب أَسْناها ، ومن العواقب حُسْناها :

إنه لما سَبق القضاء وجَرَت الأقدار ، بارتحالى عن الوطن المَحْبوب والقَرار ، بعد أن شَمِمْت عَرارهُ[٤] النَّجْدِىّ ولا أشجانَ ولا أكدار[٥] ، فى عَشِيَّة لم يكن بعدها من عَرار ؛ ونَزَحْتُ عن بلد ، به الوالدُ وما وَلَد ؛ مَحَلِّ قَطْع التَّمائم[٦] ، وفَتْح الكمائم[٧] ، سقَى الله عِهادَه[٨] صَوْبَ الغمائم :

بَلَدٌ تحُفُّ به الرِّياضُ كأنهُ وَجْهٌ جَميل والرياضُ عِذَارُهُ[٩]

---

(١) فى ت : « أما بعد » .
(٢) القصور : العجز .
(٣) محض العبادة : أخلصها . واحتسب : نوى بعمله وجه الله .
(٤) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ؛ يشير إلى قول الصمة القشيرى :
تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
(٥) فى ط : « بعد أن شممت عرارة النجد من الأشجان والأكدار » ؛ ولا يستقيم بها الكلام .
(٦) التمائم : خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين بزعمهم . يريد بقطع التمائم : وقت أن شب وترعرع .
(٧) الكمائم : أغطية الزهر . يريد وقت تفتح زهرة صباه .
(٨) يريد «بالعهاد» : جمع عهد ، وهو الزمان . وفى كتب اللغة أن العهاد جمع العهد ، وهو المطر بعد المطر . أما العهد للزمان فجمعه عهود .
(٩) العذار : جانب اللحية . وهذا البيت والذى بعده للسان الدين بن الخطيب .

وكأنّما وادِيهِ مِعْصَمُ غادةٍ ومِنَ الجُسور المحكَماتِ سِوارُه

وكانَ ذلك وغُصْن النشاط يانع[١] ، و بُرْد الشباب قَشيب ؛ وشَمْل النفس مجتمع دون مانع ، وكأس[٢] الأنس مُزج بتَسْنيم القُرب وشِيب[٣] ؛ وفَوْد[٤] الرأس غير خاضع ولا خانع ، إذ[٥] لم تَطْرُق ساحتَه ولم تَجُس خلالَه جيوشُ المَشِيب ؛ حللتُ الحَضْرة الفاسيَّة — حاطها الله — حيثُ المجالس غاصَّه ، بالعامة والخاصّه ؛ والمساجد آهلة مَعْموره ، والمشاهد بالزُّوار مَعْموره ؛ وحُلَل المعارف فَضْفاضه ، والعوارف[٦] الجليلة مُفَاضه ؛ حَضرة دِيباجُها رَبيعيّ ، وامتزاجها بالنفوس طَبيعيّ ، ولم لا ، وقد نَظَمَت المفاخرَ ونَسَّقَتْها ، وجَمَعَتِ المآثر ووَسَقَتْها ، جادَتْها غُرُّ السُّحُب[٧] وسَقتها :

بِلادٌ بها الحَصْباء دُرٌّ وتُرْبُها عَبيرٌ وأَنْفاس الرِّياح شَمُولُ[٨]

تسلسلَ منها ماؤُها وهو مُطْلَقٌ وصحّ نَسيمُ الرَّوْض وَهْو عَليل

فأَلقيتُ بها عَصَا التَّسْيَار ، وقاها الله من الآفات والأغْيار ، وأقتفيت فى ذلك سَنَنَ بعضِ سَلَفى الأخيار ؛ إذ كان أشهرَ أسلافنا الشيخُ الإمام — صاحبُ التصانيف الشهيرة ، التى اقتادت المَحاسن بزِمَامِ ؛ القاضى الأشهر ، العلّامة

(١) الأصل فى اليَنع : نضج الثمار .

(٢) فى ط : « وكأن » .

(٣) تسنيم : ماء فى الجنة . وشيب : خلط (بالبناء للمجهول فيهما) . ولعله راعى المضاف إليه فذكر الفعلين .

(٤) الفود : معظم شعر الرأس مما يلى الأذن . ويريد بخضوعه وخنوعه : إمالته من كبر وضعف .

(٥) فى ط : « إذا » وهو تحريف .

(٦) العوارف : جمع عارفة ، وهى المعروف .

(٧) فى ت : « السحاب » .

(٨) العبير : الزعفران ، أو هو أخلاط الطيب . والشمول : الخمر ، أو ما برد منها .

الأظهر ، سيّدى أبو عبد الله محمد [بن محمد(١)] بن أحمد المَقَّرِىّ القُرشىّ ، التِّلِمْسانىّ النشأة والقَبْر ، أفاضَ الله سِجَال(٢) الرحمة على مَثْوى ذلك الحَبْر — انتقلَ إليها أيّام السلطان المرحوم أبى عِنانٍ فارس ، فولاّه قضاءَ جماعتها ، وبَنَى له(٣) المتوكليّةَ أعظمَ المدارس ، حَسْبما ذَكَره غيرُ واحد من أهل الفهارس ، وأشار إليه الوزير ابنُ الخَطِيب فى كتاب « الإحاطة » التى أحْيَت من التاريخ الرَّسْم الدَّارس .

ولم تزل كُتُب الأقارب والإخوان ترد علىّ ، وتَثْنِي عِنَانَ أعتنائها إلىّ ؛ وتَكَرّر وتَعَدَّد ، وتنتاب وتَتَرَدّد ، وتتنوّع وتتجدّد ؛ فأرتاحُ إليها ارتياحَ الغُصْن عند هزّته ، وأحِنّ إليها حَنين كُثَيِّرٍ إلى مَعاهد عَزَّته :

[٤] يا مَنْ يُذكّرُنى حَدِيثَ أحبّتِي طابَ الحديثُ بِذِكْرِهِمْ ويَطيبُ
أَعِدِ الحديثَ عَلىّ مِنْ جَنَبَاتِه إنَّ الحديثَ عن الحَبِيب حَبِيبُ(٤)

وكثيراً ما يحرّك ذلك مِنِّى كامِنَ شوق ، شَبّ عَمْرُه عن الطَّوْق(٥) ؛ وأجد من لَوَاعِج الأُوَار(٦) ، ما وجده الفرزدق عندَ(٧) مُبَاينة النَّوَار(٨) :

---

(١) زيادة عن الإحاطة ونفح الطيب .
(٢) جمع سجل ، وهى الدلو الضخمة المملوءة بالماء .
(٣) فى ت : « وبذله » وهو تحريف .
(٤) جنباته : نواحيه .
(٥) أى جاوز حد الاحتمال ؛ مأخوذ من المثل : « كبر عمرو عن الطوق » . قاله جذيمة لعمرو بن عدى ، ابن أخته رقاش ، حين رأى عليه طوقا من ذهب كان له فى صغره ، وقد طوقته به أمه بعد غيبة غابها عنها ، فى حديث طويل ، ذكره الميدانى فى أمثاله وصاحب القاموس فى مادة « طوق » .
(٦) لواعج الأوار ، أى حرق نار الشوق .
(٧) فى ت : « من » .
(٨) يشير إلى ندم الفرزدق لما طلق امرأته النوار فى قوله :
ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى مطلقة نوار

بَلَدُ الجزائر ما أَمرَّ نَوَاها كَلِفَ الفؤادُ بحُبِّها وهَوَاهَا
يا عاذِلى فى حُبِّها كُنْ عاذِرى يَكْفِيكَ منها ماؤُها وهَواها

والحنين إلى الوطن مَجال لكل حُرّ ومِضْمار !

إِيهِ أحاديثَ نَعمانٍ وساكِنِه إنّ الحديث عن الأَحْباب أَسْمارُ

وليس بمُسْتَنكرٍ حنينُ الناب[1] إلى عَطَنه[2] ، والمرءِ إلى محلّ نَشأته ووطنه . وقد رَوَيْنا فى الصحيح من حَنِين سيّد الوجود عليه الصلاة والسلام وأصحابه إلى مكة ، ما لا يجهله إلا من هو عن العلوم بمَعْزِل . ومن الأبيات السائرة :

كَمْ منزلٍ فى الأرض يألفُه الفتى[3] وحَنِينُه أبدًا لأَوّل مَنْزِلِ

وربّ ذِكْرى أثارت الأشواق وحرّكتها ، وأَنْشبت النفوسَ فى حبائل البُوس وتَرَكتها ؛ وكم من ماجدٍ بكى لفَقْد المَشاهد ، واُهتمّ لبُعد المعالم والمعاهد :

سلامٌ على تلك المعاهد إنها مَرَاتع أَلّافى وعَهْد صِحَابى
ويا سَرْحة الحىّ أُنعِمى فلَطالما سكبتُ على مَثْواكِ ماء شَبابى

فلّله تلك المعاهد ، ما أبهج مُحيّاها ! وحاط[4] بعين كلاءته تلك المشاهدَ ، مَا أطيبَ[5] رَيّاها ، حين باكرَها الوَسْميّ[6] وحيّاها :

---

(١) الناب : الناقة المسنة ؛ وهى مؤنثة . وقد أعاد الضمير عليها مذكرا ، كأنه نظر إلى الأصل ، وهو الناب من العظم ، فهو مذكر فى الأشهر .
(٢) العطن : وطن الإبل ومبركها حول الماء .
(٣) كذا فى ط وديوان أبى تمام . وفى ت : « كم من منازل كان يألفها الفتى » .
(٤) فى ت : « وبعين كلاءته » .
(٥) فى ت : « فما أطيب » .
(٦) الوسمى : مطر الربيع الأول ؛ لأنه يسم الأرض بالنبات . ويليه « الولى » وهو المطر الثانى .

حَيّا بِلِسْانَ الحَيَا فرُبُوعها صَدَفٌ يَجُود بدُرِّهِ المكنونِ[١]
ما شِئْتَ من فَضْلٍ عَمِيم إنْ سَقَى أَرْوَى ومَنٍّ لَيْس بالمَمْنون
أو شِئْتَ من دِينٍ إذا قِدْحُ الهُدَى أَوْرَى وَدُنيا لم تكنْ بالدُّون[٢]
ورَدَ النسيمُ لها بنشْر حَديقةٍ قدْ أزهرت أفنانُهـا بفُنون[٣]
وإذا حَبيبةُ أمّ يحيى أَنجَبَتْ فلها الشُّفُوف على عُيون العُون[٤]

طالما ذكَّرتِ الأُبُلَّةَ وشِعْب بَوّان[٥]، وأَنْستْ صُروفَ الزّمان الخَوّان، وأنبتت أزهار أُنس ذاتَ ألوان، وثِمار نخل من القُرب[٦]، صِنوانٍ وغير صِنْوان[٧]، والشملُ مُجْتَمِع بالجيران[٨] والإخوان؛ والروض مَطْلُول النبات[٩]، مُخْضَرُّ العذَبات[١٠]، مُخْضَلُّ الجَنَبات[١١]، مُفَوَّف الخمائل[١٢]،

---

(١) الحيا: المطر. وهذه الأبيات للسان الدين بن الخطيب.
(٢) أورى: أنار وأضاء.
(٣) نشر الحديقة: ما ينتشر عنها من رائحة طيبة.
(٤) حبيبة أم يحيى: عين ماء بتلمسان ماؤها عذب. (عن هامش الأصل المخطوط). والشفوف: الرقة. والعون: البقر الوحشى. أى أن ماءها أصفى وأرق من عيون العون.
(٥) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة. وشعب بوان: بفارس، وهو والأبلة من متنزهات الدنيا، التى سار ذكرها.
(٦) فى ت: «من العزب».
(٧) الصنوان: المجتمعة، أو التى أصلها واحد.
(٨) فى ت: «بالأقارب».
(٩) مطلول النبات: مندى بماء الطل.
(١٠) العذبات، أى أطراف الأغصان.
(١١) مخضل: مبتل. والجنبات: النواحى؛ أى إنه غير جاف ولا متصوح.
(١٢) مفوف: فيه بياض. والخمائل: جمع خميلة، وهى الأرض ذات النبات؛ يصف نبات هذه الخمائل وقد ظهر عليه النور الأبيض.

مُتَضوِّع الشمائل[١] ؛ مُنْسَاب الماء ، مُنْجَاب السماء[٢] ؛ والغصون مُتأوِّدة الأعطاف[٣] ، دانية الجَنَى والقِطاف ، والنسيم يَعْبَق نَشْرا ، والجوّ يتألّق رونقاً وبشرا ؛ فتقصُر عنه أوصاف ذوِى[٤] الإنصاف :

والزَّهْر حيّانا بثَغْر باسِمٍ والنَّهر قابلَنا بقلبٍ صافِي

ولآلِئُ الأنداء[٥] فى الغدير غَرْقَى ، ودموع النهر لا تَرْقَا[٦] ؛ والزهر يسقط ، وأكفّ الريح تكتب ، والغمام يُنقِّط :

كأن أكفّ الريح تكتبُ أسْطرًا على النَّهْر إلّا أنّ أحْرفَها زُرْقُ

فتَحنِي عليهن الغصونُ قُدودَها لتقرأها جَهْرًا من الوَرقِ الوُرْق[٧]

والورقاء تَهتِف لفَقْد إلْف نازح ، فتَهيجُ شَجْو الجادّ والمازح : [٥]

رُبَّ ورقاء هَتوفٍ بالضُّحى ذاتِ شجْوٍ صَدَحَتْ فى فَنَنِ

ذَكَرَت إلفًا ودَهْرًا صالحا فبكتْ شَجْوًا فهاجَتْ حَزَنِى

فبُكائى ربّما أرَّقَها وبُكاها رُبَّما أرَّقَنِى

فإذا تَبْدَوْنى أُسْعِدُها وإذَا أبْدوْها تُسْعِدُنِى[٨]

ولقدْ تبكِى فَما أفهمُها ولقدْ أبكِى فما تَفهمنى

غيْرَ أنّى بالشَّجَا أعْرفُها وهْىَ أيضًا بالشَّجَا تَعْرِفُنى

(١) التضوع : انتشار الرائحة الطيبة . والشمائل : جمع شمال وهى الريح . أى أن الرياح تنبعث معطرة بأريج هذا الروض .

(٢) كذا فى ط . ومنجاب السماء ، أى سماؤها صافية . وفى ت : « منجاف » .

(٣) متأودة : تهتز وتميل . والأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب .

(٤) فى ت « ذى » .

(٥) كذا فى ت . وفى ط : « الأنواء » . وهى النجوم ، وقد يراد بها المطر .

(٦) لا ترقأ (بالهمز وسهل) : لا تسكن .

(٧) الورق : الحمام ؛ الواحدة : ورقاء .

(٨) أسعدها : أعينها على البكاء .

فأكرِمْ بها من ذات طوْق ، عبَّرت عما فى ضميرها من جَوًى وشَوْق ، فساقت لواعجَ الأفكار أى سَوْق ، وبَينها و بين الصَّبِّ فَرْق ، عند ذوى الذَّوْق :

وترَنَّمَتْ ذاتُ الجَناح بسُحْرةٍ بالوادَيْن فهيَّجَتْ أشواقِى
وَرْقا تَعَلَّمَتِ البُكا والبَثَّ مِنْ يَعْقوبَ والألْحانَ من إسْحاق[1]
أنَّى تُضاهينِى هَوًى وصَبابةً وأَسًى وفَرطَ جَوًى وفَيْضَ مآقى[2]
وأنا الذى أُملِى الهوى من خاطرِى وهى التِى تُمْلِى من الأوراق

فما كان بأسرع من تمزيق ذلك الإهاب ، وحُصول شَمْله فى يد الانتهاب ، و إنشاد لسان حاله عند الذّهاب :

ألاَ إنَّ هَذَا الدهرَ يومٌ وليلة[3] يَكُرَّانِ من سَبْتٍ عليك إلى سَبْتِ
فَقُلْ لجديد العَيْش لا بُد من بِلًى وقل لاجتماع الشَّمل لابد من شتّ[4]

وهكذا الدنيا إخْلاء و إمْرار ، و إقرار و إنكار[5] ، و إعلان و إسرار ؛ تعَفِّى كل رَبْع عامر[6] ، و تبدّد شَمْل كل مأمور وآمر :

كأنْ لم يكن بين الحَجون إلى الصّفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامِرُ[7]

بعدما نَعِمنا بُرْهة من [الزمان ، فى ظلال[8]] الأمان ؛ وقطعنا نُبذة من

---

(١) يعقوب : هو يعقوب النبى والد سيدنا يوسف عليهما السلام . وإسحاق : هو ابن إبراهيم الموصلى ؛ من شيوخ المغنين فى الدولة العباسية .
(٢) تضاهينى : تشاكلنى . والمآقى : مجارى الدموع من العيون .
(٣) فى ت : « ألم تر أن الدهر يوم وليلة » .
(٤) شت : تفرق .
(٥) فى ط : « وإنكار وإقرار » .
(٦) تعفى : تطمس وتغير ، والربع : المنزل والدار .
(٧) الحجون والصفا : جبلان بمكة . وهذا البيت لعمرو بن الحارث بن مضاض .
(٨) زيادة عن ت .

الشّباب ، فى مواطن الأحباب ؛ ما بين دراسة ودِراية ورواية ، وممارسة أمور تُبعد عن طُرق الغَواية ؛ وتَحْبير طُروس ، وملازمة دروس ، ومُثول بين يدى أشياخ مجالستهم نامية الغُروس ؛ وخصوصاً شيخَهم الذى [فضله[١]] لا يفتقر إلى دلاله ، عمّنا مُفْتِيَها سيدى سعيد بن أحمد المقَّرىّ ، شَكَر الله خِلالَه ، فهو شيخ أولئك[٢] الأعلام الذين وَرِثوا العلم عن غيْرِ كَلاله[٣] ، وعَمروا ربوع المجد ، وتَفَيَّئوا ظِلالَه ، وأرشدوا إلى سُبُل الهُدَى ، وأزاحوا عن الضّلاله ، وعَمرَت أرضُهم بكل مجد وجَلاله ، وإن نَبَتْ[٤] بى لا عن جَفوة ومَلاله ؛ فآهًا على ذلك العَصْر ما أبهاه وأجمله ! وأتمّه وأكمله ؛ عصر يكاد يُكلّمنا فيه الجمادُ ، وتُرْوينا الثِّماد[٥] ؛ وتُحيّينا العشيات والبُكَر ، ولا تَنْتابنا التَّعلاّت ولا الفِكر ؛ فان سألنا فعَنْه فى الحقيقة ، وإن صَرّحنا أو كَنّيْنا ، فنعنى حِماه وعَقِيقه :

نُسَائلُ عَن ثُماتٍ بحُزْوَى ... وبانُ الرَّمْل يَعلمُ ما عَنَيْنا[٦]
وقد كُشِفَ الغِطاء فما نُبالى ... أَصَرَّحْنا بذكرىٰ أَمْ كَنَيْنا
ولو أَنّى أُنَادِى يا سُلَيمَى ... لقالُوا ما أردتَ سِوى لُبَيْنى
أَلاَ لِلّه طَيفٌ كان يَسْقِى ... بكاسات الكَرى زُورا ومَيْنا
فأمسينا كأنّا ما افْتَرَقْنا ... وأَصْبَحْنا كأنا ما الْتَقَيْنا [٦]

وكنا نحسَبُ أن الدهر لا يَدُور ، وأن الأعجازَ صُدور ، والأهلةَ بُدُور ؛

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ط : « هؤلاء » .
(٣) عن غير كلالة : أى باستحقاق . وفى ت : « لا عن كلالة » .
(٤) فى ت : « نفت » .
(٥) الثماد (ككتاب) : جمع ثمد ، وهو الماء القليل .
(٦) الثمام : نبت قصير ضعيف لا يطول . وحزوى (بالضم) : جبل من جبال الدهناء . والبان : الكثيب من الرمل .

حتى ضرب الدهرُ ضَرَبانَه[١] ، وبدّد الرَّفيق من ذلك الفريق وأبانَه ؛ فلم تتأوّدْ قُدود الأغصان ، ولم تَتَرَنّح أعطاف البان ؛ وانقطعت الأسباب ، عن مواصلة الجيران والأحباب ؛ الذين :

جَرَى[٢] بعضهم ذاتَ اليمين و بعضُهم شِمـــالاً وقلبى بينهم مُتوزِّعُ
فوالله ما أدرى بلَيْـل وقد مَضَت حُمولُهُمُ أىَّ الفريقين أتْبَـع ؟

وهأنا الآن أحاول إطفاء لهيبٍ بالضلوع وَقَدْ[٣] ، وأعالج أدواء سُقْمٍ جَلَّ وكيف لا وقَدْ :

رُوِّعْت بالبَيْن حتى ما أُراعُ بِهِ وبالمَصائِب فى أهلى وجِيرانِى
لم يتركِ الدهرُ لى عِلْقاً أَضَنُّ به[٤] إلا رَمَاه بفَقْد أو بِهِجْران

وفى هذا التاريخ الغَرِيب ، وردتْ كتبٌ من تلك الناحية حركت شَجْو الغريب ؛ والشوقُ إلى لقائهم ، والتَّوْقُ إلى ما يَرِد من تِلقائهم ، يقتادان القَلْب بزِمام فَينْقاد ، و يُوقِدان نار الوَجْد بين الضلوع أى إيقاد :

هى الدارُ لا أَصْحُو بها عن عَلاقة [لأمر لنـا بين الجَوانح مُضْمَرِ
فجادَ عَلَى أرجائها الغيثُ إنّهـا منازلُ جيران كـرام ومَعْشر][٥]

وكان من جُملة فُصولها ، وفُروع أصولها ؛ طلبُ التَّعريف والإلمام ، ببعض أحوال الشيخ الإمام ، قاضى الأئمة وعَلَم الأعلام ، عُمْدة أرباب المحابر والأقلام ، ومَفْخَر عُلماء الإسلام ، ذى الفَضائل التى استقلّت رسومُها[٦] ، فلم تحتج إلى إعمال

(١) ضرب الدهر ضربانه : أحدث حوادثه .
(٢) فى ت : « حدا » .
(٣) وقد : اتقد واشتعل .
(٤) فى ت : « أظن » ، وهو تحريف .
(٥) ما بين القوسين ساقط فى ت .
(٦) استقلت : علت فبانت وظهرت . والرسوم : جمع رسم ، وهى الآثار التى لاظل لها .

الأعلام[١] ؛ والمحاسن التى بَهَرت أقمارًا وشُموسا ، سيّدى أبى الفَضْل عِياضِ ابن موسى ؛ الشهير الصّيت فى كل قُطْر ، صَبَّ الله على مَثْواه من الرَّحمات شآبيبَ القَطْر :

فهو الإمامُ الذى سارت مآثرُه ... فى الشَّرْق والغَرْب سيرَ الشَّمس والقمرِ
وكم له من تآليفٍ قد اشتهرَت ... بكل قُطْر فسَلْ تُنْبيك عن خَبَر

فقلت : مالى بهذَا الأمرِ يَدَان ، ولو أيَّدنى كلُّ قاص ودان ؛ وماذا عسى أن أصِف من جَلالة يتهلّل بِشْرُها ، وجَزالة يتضوّع نَشْرها ؛ و بلاغة تَبذّ بلاغة سَحْبان ، و براعة تَقاعس عن رُتْبتها[٢] الشِّيبُ والشبان ، وعِلْم أظْهر غوامِض الحَقائق وأبان ، وحِلْم أرْسخ من رَضْوى وأبان[٣] ؛ ومحاسن ، ماؤها غير آسِن ، وحُلَى ، حازت مراتب العُلَى ، ومصنّفات ، مُقَرّطات مُشَنَّفات[٤] ، أعْلاقٍ لا تَعدِلُها الأثْمان ، ولا تُشَدّ على مثلها الأيْمان[٥] .

على أنى لستُ من رجال هذا المَجال ، ولا من فُرْسان مَيْدان الإحسان ؛ إذ الباعُ قصير ، والعَقل بقواعد العلم[٦] غيرُ بَصير ؛ والقلب حليف أشجان وأوصاب ، والفكر أليف غُصَص تجرَّع منها جَنَى حَنْظلٍ أوْ صَاب[٧] ؛

(١) الأعلام : العلامات يهتدى بها فى الطريق ؛ الواحد : علم .
(٢) فى ت : « وثبتها » .
(٣) رضوى : جبل بالمدينة . وأبان : جبلان ، الأبيض والأسود ، بينهما نحو فرسخ ، الأبيض لبنى جريد من فزارة ، والأسود لبنى والبة من بنى الحارث بن ثعلبة . (انظر معجم ما استعجم للبكرى) .
(٤) مقرطات : ذات أقراط . ومشنفات ذات شنوف ، وهى الأقراط توضع فى أعلى الآذان .
(٥) الأيمان : جمع يمين ، وهى اليد اليمنى .
(٦) فى ت : « العلوم » .
(٧) الصاب : شجر مر .

لا أستطيع إنشاء قول ، ولا أفكر[١] إلا فى هَمٍّ أو هول ؛ إلى ما دَهِم من الفتن ،
[٧] التى مَحت مابالدهر[٢] من ازديان ؛ وطَرَق من المحن ، التى يُغنى عن خَبَرِها العِيان ؛ فتنوّعَت منها الأعداد ، إلى أفراد وأزواج ؛ وكَثُر التَّرداد ، من الخطوب ذات الجموع والأفواج ؛ وتفاقَم وازداد ، هول بحُورها المُتلاطمة الأمواج :

حملنا من الأيام ما لا نُطيقه كما حمل العظمُ الكسيرُ العَصائبَا[٣]

وعصر رجونا منه إبداء مِنْحة فأَبْدى ولكن مِحنةً ومصائبَا[٤]

وما حال من قَرَتِ[٥] المَصائب عيونَه دُموعا وجوانحه جَوى ، ورَمته النوائب[٦] عن قِسِيّ النَوى ؛ فخلع على الكواكب كَراه ، وبرّح به الشوق وبَراه . وقطع وِدِج[٧] صبره وفَراه[٨] ، واعتراه من دَهْره ما اعتراه ، وضاعف ما به كَذِبُ حاسد[٩] افتراه ؛ يأكل المَحاسن ، ويَجْهَل بمساويه أن يحاسن ؛ ويُعيد الحق باطلا ، والحالىَ عاطلا ؛ ويَقْلِب المِنحة مِحْنه ، ويرى المصافاة إحنه ؛ يخاتل مخاتلة الذّيب ، ويُكدِّر مناهل الخُلوص والتهذيب ، ويقابل الحق

(١) فى ت : « ولا فكر » .
(٢) فى ت : « إلى فادح من الفتن التى محت هابا الدهر » . وهو تحريف .
(٣) الكسير : المكسور . والعصائب : جمع عصابة ، وهى مايلف حول الجبيرة ونحوها .
(٤) رواية هذا البيت فى ت :

وعصر رجونا أن يجود بمنحة وإدراك آمال فأسدى المصائبا

(٥) كذا فى ط . وقرت : زودت ، من القرى ، وهو الطعام يقدم للضيف . وفى ت : «وقرت» . ووقرت ، أى حملت (بالتضعيف) . والمعروف فى هذا المعنى : أوقر .
(٦) فى ط : « ورمته سهام النوائب » .
(٧) كذا فى ط . والودج (محركة) : عرق فى العنق . وفى ت : « وجد » .
(٨) فراه : قطعه .
(٩) فى ت : « خاسر » .

الواضح بالتَّكذيب ؛ ويشتغل بما لا يَعنيه ، ويُعْرِض عما يقرّبه إلى ربه ويُزْلِفُه ويُدْنيه[١] :

لى حيـــلة فيمن يَنِمُّ وليس للكَذّاب حيلهْ
من كان يَخْلق ما يقو لُ فحيلتى فيـه قَليله

إلى الله المُشتكى من هذا وأضرابه ، مِمَّن لم تَصْفُ مواردُ شرابه :

مضت أعمارُنا ومضت سِنُونا ولم تَظْفر بذى ثِقَةٍ يدانِ
وجَرَّبنا الزَّمان فلم يُفِدْنا سوى التَّخْويفِ من أهل الزمان

ولا غَرْوَ أن كان لأهل الزّمان به اشتباه ، ولله قولُ بعض أهل الذكاء والتيقظ والانتباه :

والناس مثلُ زمانِهِمْ قَدُّوا[٢] الحِذاء على مثالِهْ
ورجال دَهْرك مثل دهـــرك فى تَقَلُّبــه وحاله
ولذا إذا فَســـد الزما ن جرى الفَسادُ على رجاله

أستغفر الله ، هذه نَفْثة مَصْدور ذى أَلَم ، أو هَفْوة مَغْمور ساعدها طُغيان القَلَم :

نَذُمُّ زماناً ما له من جِناية ونشكوه لو تُغنِى عن المرء شَكواهُ
ولا ذَنْب فينا للزمان وإنما جَنَينا فعُوقبنا بما قد جَنيناه
هو القَدَر الجارى عَلى الكَره والرِّضا فَصبْرًا وتَسْليما لما قدّر الله

ونفوسنا أولى باللّوم ، لو سلكنا سبيل خِيار القوم ؛ واقْتَفَيْنا سَنَن التقوى ، وتمسّكنا بحَبْل التوفيق الأقوى :

---

(١) فى ت : « يقربه لربه زلفى ويدنيه » .
(٢) كذا ط ولعلها محرفة عن : « حذو » أو « قد » وكلاهما مصدر بمعنى قطع الشىء على مثال شىء آخر .

وما دارنا إلا مَواتٌ لَوَ أننا نُفَكِّر والأخْرى هى الحَيوانُ
شَرَينا[١] بها عزًّا بهُونٍ جهالةً وشَتّانَ عزٌّ للفتى وهَوان

وحُق لمنْ عَلِم تقلّبات الدهر بأهله وتصرّفاته ، أن يستعمل ما بقى من عُمره فيما يُوصله إلى منازل النعيم المُقيم وغُرُفاته :

للدهر قَوْسٌ لا تزال سِهامُها تُصْمِى الأنامَ أصاغرًا وأكابرَا
طُوبى لمن هَجر القَبيحَ ولم يكن إلّا على فعل الجَميل مثابرا

جعلنا الله ممّن ثابر على فِعل الجميل ، و بلغ من خير الدارَيْن غاية التأميل .

وحين ورد علىّ هذا الخِطابُ الذى تقدّم ، وأَلْفَى ركن الاصطبار كاد يتهدّم أو تهدّم ؛ أضربت عن جوابه حِيناً من الدهر ، وماطلت مُقْتَضِىَ دَيْنـه من [٨] يوم إلى يوم ، ومن شهر إلى شهر ؛ والأرض تَميد اضطراباً واختلالا ، والأحوال تزيد دَنَفاً واعْتلالا ؛ وأنا أحوم على مناهل الجواب حَوْماً ، وأروم الوُرود فى مَشاربها العَذْبة يوماً فيوماً ؛ والأيام لاتسمح بنَهْله ، ولا تَفسَح[٢] إليها فُسْحة ، ولا توسعها مُهْله ؛ ثم وقع العَزْم والتصميم على جواب هذا السائل ، راجيًا من الله سبحانه أن يكون ذلك من أفضل القُرَب وأعظم الوسائل ؛ ودخلت من هذا الباب بعد أن قرعت ، وأخذت فى هـذا الغَرض وشرعت ، وشربت من ماء التَّصْنيف وكَرَعت ، وبذَرت فى أرض التَّأليف وزَرعت ، هـذا[٣] مع أنى ما مَهرت ولا برعت ؛ ولا أتقنت لصناعة التأليف عملا :

لـكنّ قدرةَ مثلى غيرُ خافيةٍ والنّمل يُعْذَر فى القَدْر الذى حَمَلاَ

وكثيراً ما خرجتُ من الشىء إلى ما يناسبه ويدانيـه ؛ وربما أبعدت

(١) شرينا (هنا) : بعنا .
(٢) فى ت : « تفتح » .
(٣) هذه الـكلمة « هذا » : ساقطة فى ت .

النُّجْعة[١] ، ثم وقعت الأوبة والرَّجْعة ؛ على رَغْم أنف قالِي ذلك وشانيه ، وقرّبت بذلك كلّه شاسعاً ، كى تسهل مئونته على مُعانيه ، وهصَرت أفنان ألفاظه ومعانيه ؛ ليَقْرُب اقتطافُه لجانيه ؛ وسميته[٢] « بأزهار الرياض ، فى أخبار عياض ، وما يُناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض » ؛ تسميةً وافقت إن شاء الله مَعْناه ، وناسبت منزله ومَغْناه ؛ لأنه جَمع أزاهرَ ذات ألوان ، من وَرْد وأُقحوان ؛ وبَهار[٣] ، عَرْفُه ذو انتشار[٤] ؛ ومَنثور ، روضه مَرِيع[٥] مَمْطور ، ونِسْرين[٦] ، يَفُوق أرَجه مِسْك دارين[٧] ؛ وآس[٨] ، عاطر الأَنْفاس ؛ وشَقِيق[٩] ، خَلِيق بالمَدْح حَقِيق ؛ ونَيلُوفَر[١٠] ، حازَ من المحاسن النصيبَ الأَوْفر ؛ وأَجريتُ جداول أنهار ، من الحكايات لسَقْى هذه الأزهار ؛ فأينع النُّوار ، وتألقت الأَنْوار ، وتفنَّن الناظر بين أَنْجاد وأغوار ، ولم يَدْرِ وقد انتقل من أطوار إلى أطوار ، وتأمل صَرْحا[١١] بُنى على غير [شفا[١٢]] جُرُفٍ هَار :

أَضِياءُ هَدْى أم ضِياءُ نَهارِ وشَذا المَحامدِ أم شذا الأزهارِ

---

(١) النجعة (بضم النون) : الارتياد والطلب .

(٢) كذا فى ت وهو موافق للمصدر الذى بعده . وفى ط : « ووسمته » .

(٣) الأقحوان : نبت طيب الريح ، له نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن ، وهو البابونج بالفارسية . والبهار : نبت جعد له فقاحة صفراء ، طيب الرائحة .

(٤) فى ت : « ذو اشتهار » .

(٥) مريع : خصيب .

(٦) النسرين (بكسر النون) : ورد أبيض عطرى الرائحة .

(٧) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند . (عن معجم البلدان) .

(٨) الآس : الريحان .

(٩) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود . وفى ط : « والشقيق » .

(١٠) النيلوفر (بفتح النون المشدة وكسرها) : نبات مائى ، له ساق أملس ، فاذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر زهراً أبيض ، وسطه زعفرانى اللون .

(١١) فى ت : « سرحا » بالسين .

(١٢) زيادة عن ت .

وقد أفْصح تَرْجُمان التراجم عن عدِّها[١] وسَرْدها ، ولوَّح لنُكْتة الاختتام بنَيلوفرها والافتتاح بوَرْدها .

وهى هذه الترجمة :

الأولى : روضة الورد ، فى أوّلية هذا العالِم الفرْد .

الثانية : روضة الأُقحوان ؛ فى ذكر حاله فى المَنْشأ والعُنْفوان .

الثالثة : روضة البَهار ، فى ذكر جملة من شيوخه الذين فَضْلُهم أظهر من شمس النّهار .

الرابعة : روضة المنثور ، فى بعض ماله من منظوم ومنثور .

الخامسة : روضة النِّسْرين ، فى تصانيفه العديمة النظير والقَرين .

[٩] **السادسة** : روضة الآس ، فى وفاته وما قابله به الدهر الذى ليس لجُرْحه من آس .

السابعة : روضة الشَّقِيق ، فى جُمَل من [فوائده ، ولُمَع من[٢]] فرائده ، المنظومة نظم الدرّ والعَقيق .

الثامنة : روضة النَّيلوفر ، فى ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التى هى أعطر من المسك الأذفَر .

فدونَك أيها الناظر[٣] روضاتِ أزهار ، وجناتٍ تجرى من تحتها الأنهار ؛ أبوابها ثمانيه ، وقُطوفها دانيه ؛ تعَطَّر منها نسيم الصَّبَا بزهر الآداب ، وسما إلى

(١) فى ط : « عددها » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) فى ت : « أيها الأخ الناظر » .

مَحاسنها من تعلَّق من التاريخ بأهداب[١] ؛ لم أُسْبَق إلى مثلها فيما رأيت ، وإن بَعُدْتُ فيها عن المَهْيع المَطْروق ونأَيت ؛ والإنسان مُغْرَم[٢] ببُنَيَّات أفكاره ، وإن قُوبل ما صَدر منه بإنكاره ؛ وقد أَنْشدَتْ بلسان حالها ، مخاطبة من رضى بانتسابها وانتحالها :

سَرِّحْ جُفونَكَ فى الحَدا ثُق واجنِ أزْهار الرياضِ
مِن وَرْدِ أَحْمَرَ أو شَقا ثُقَ أو بَهارٍ ذى بَياض
واشربْ بكاساتِ الرَّقا ثُقِ من عُيون أو حِياض
وانظُر مناقب ذى الحقا ثُقِ عالِم الدنيا عِياض

واكرع بماء التعريف زُلالا ، وأَدِرْ كأس التَّشريف حَلالا ؛ وأروَ من هذا النهر ، واقطِف ما شئت من أصناف الزَّهْر ؛ وأَخطِر هذه الروضةَ ببالك ، وأدر إليها وجهَ قَبولك وإقبالك ؛ فمؤلِّفها وإن لم يكن بمُصيب ، ولا ممن له فى الإجادة حظٌّ وافر ولا نصيب[٣] ، فَمَنْ أُلِّفت فيه تَحْسن بإحسانه وتنال[٤] المرعى الخَصيب :

سلام مثلُ عَرْف المِسك طِيبًا وحُسْنا مثل أزهار الرياضِ
على لَفْظِ الجَلالة والمَعالى إمام الدِّين والدنيا عِياض[٥]
إذا ما قِيس بالعُلَماء طُرًّا غدا بَحْرًا وأَضْحَوا كالحِياض

(١) فى ت : « قطفا إلى محاسنها من تعلق من التاريخ الأهداب » . وهى ظاهرة التحريف .
(٢) فى ت : « يقرع » وهو تحريف .
(٣) فى ط : « وافر ونصيب » .
(٤) أشير فى هامش ط فوق هذه الكلمة إلى رواية نسخة أخرى ، وهى : « وترعى » .
(٥) رواية الشطر الثانى من هذا البيت فى ت : « ومعنى المجد والعليا عياض » .

وكنت حين شرعت فى هذا المَجموع السامى ، وأطْلعت على بعضه صاحبَنا الفقيه العلامة الأصيل الحاجّ الرَّحال ، أبا الحسن سَيدى علىّ بن أحمد الخَزْرجىّ الشامىّ ، حفظ الله كماله ، و بلّغه آماله ، خاطبنى بقصيدة من نظمه ، أسْماه الله ، ألمّ فيها بذكر هذا الموضوع بما يقتضيه شرفُ خِلاله ، وكرمُ جَلاله ؛ وأشار فيها إلى نَقْض عَزْم الرِّحلة التى نَوَيت إذ ذاك[١] للمكان الشريف ، لا حرَمنا[٢] الله من[٣] مُشاهدته عن قُرب ، فى حفظ وعافية ، بمَنّه ويُمْنه . وهى هذه ، وأنشدنيها من لفظه ، وكتبها بخطه ، وأرسلها إلىّ ، شكر الله صَنِيعه :

أَمُفْتِى الغرب أبدعْتُمْ طِرازًا ... نَثرتم فيه أزهار الرِّياضِ[٤]
ونَظَّمتمْ عُقودًا من لَآلٍ ... لجِيد حُلَى المآثر من عِياض
[١٠] وأورقتم غُصونَ عُلاه لَمّا ... سَقاها فِكْرُكمْ سَقْىَ الحِياض[٥]
ونَمَّقْتم مَطارِف ما رَأَينا ... كطُرَّتها سَوَادًا فى بَياض[٦]
ونادَيتمْ عَقائلَها فذَلّت ... شَوامسُها إليكم بارْتِياض[٧]
وأسَّستم من الآثار طُرًّا ... قواعدَ لا تُساوَمُ[٨] بانْتِقاض
لك التَّبْرِيز فى العَلْياء فاقضِ ... على عُلمائها ما أنت قاضى

(١) فى ت : « ذلك » .
(٢) فى ت : « لا أحرمنا » .
(٣) المسموع أن الفعلين (حرم ، وأحرم) يتعديان بنفسهما إلى مفعولين .
(٤) الطراز : علم الثوب ، أى ما فيه من نقش .
(٥) جاء بالفعل « أورق » هنا متعديا ، وهو لازم .
(٦) الطرة : نقش فى الثوب يخالف لونه ، يمتد على الجانبين .
(٧) العقائل : جمع عقيلة ، وهى النجيبة الكريمة ، والشوامس : جمع شامسة ، وهى الممتنعة .
(٨) كذا فى ط . ولا تساوم بانتقاض ، أى لا يطمع فى نقضها ، من المساومة ، وهى المجاذبة بين البائع والمشترى . وفى ت : «لا تسام» ، إلا أن الوزن لايستقيم بها .

تَبـــدَّيتُم بها بَدْرًا وحُزْتم خِصال سباقكم[١] دُون اعْتِراضِ
نُعِتُّمْ بالكَمال بغَـيْر عَطْف وكُلُّهُمُ بذاك النَّعْت راضى
وما وَفَّوا بحقّكمُ ولـكنْ يُؤَدَّى البعضُ من بعضِ افتراض
بعِلْـكمُ شَفَيْتم أرْضَ غَرْبٍ وكانت ذاتَ أحشاءٍ مِرَاض
ولمّـا أنْ بدَا منكم فِراقٌ تَوَقَّعَتَ أن يَئُول إلى انقراض
وأنّ نُجومها بالبُعـد يُخْشَى عليها من سُقوط وانْقضاض
فأرْسلَ شافِعاً خِلٌّ حَشَـــاه بهذا البُعْد أَمْست فى انفضاض
يُذَكِّركمْ ليـــالىَ نَيِّراتٍ بأُنْسكمُ تُنير دُجَى المُضاض[٢]
يَودّ الطَّرفُ يجعلها اكتحالًا مكانَ سَـوادهِ دون اغْتِماض
بحقّ الله لا تُبـــدِى دُجاها بغَيبةِ بَدْركم بعـــد أُتّماض[٣]
ولا تُهمِل شـفاعةَ مُسْتَهام صَدوق الوُدّ فى آتٍ وماضى
ودُمْ للدِّين والدنيـا إمامًا وبَحْرَ هُدًى علومُك فى افْتِياض
يَعُمّ الأرضَ ما لاحت[٤] بُدورٌ وما فاحت أزاهرُ فى رياض

يَكْرَع منه المملوك عَلًّا ونَهْلا ، ويَضْرع فى الجواب فِعْلاً لا قولا ؛ ويُعيد السلام التامّ ، الزكىّ العامّ ، على المجلس العلىّ ، ورحمة الله تعالى و بركاته .

انتهى ما كتب به صانه الله ، وأضفى عليه حُلَل المجد .

---

(١) فى ط : « سباقهم » .
(٢) المضاض (بالضم) : وجع يصيب العين (كما فى شرح القاموس) ؛ ويريد بدجى المضاض : ما يجده المريض بعينيه من سواد حالك .
(٣) اتماض : بريق ولمعان ؛ وهو افتعال من ومض . وفى ط « اتماض » ، والصواب ما أثبتناه .
(٤) فى ت : « ما دامت » .

وقد ذَكرتُ فى هذا الكتاب حكاياتٍ مختلفة ، وفنوناً مفيدة[١] ، يَزْداد الناظر بها معرفة [حَسْبما[٢]] جَرَت بذلك عادة كثير من الأئمة فى مُصنّفاتهم ، ومجالس دَرْسهم . وقد قال الماوردىّ ، أقضَى القُضاة فى كتاب آداب الدين والدنيا[٣] : القلوب تَرْتاح إلى الفُنون المختلِفة ؛ وذَكر أنّ المأمون كان ينتقل فى قَصْره من موضع إلى موضع ، ويُنشد قولَ أبى العتاهية :

[١١] لايُصْلحُ النفسَ إذ كانت مُدَبِّرَةً إلا التَّنقلُ من حالٍ إلى حالِ[٤]

وقال أبو حنيفة : الحكايات عن العُلماء أحبّ إلىّ من كثير من الفقه ، لأنها آداب القوم . وقال الشيخ سيّدنا أبو القاسم الجُنيد ، رضى الله عنه ، ونفعنا ببركاته : الحكاياتُ جُند من جنود الله ، يُقوّى الله بها أبدانَ المُريدين . وقال الإمام المَوّاق[٥] فى كتابه المسمّى «سند المهتدين[٦]» عن شيخه المَنْتورى ، بسنده إلى أبى العبّاس بن العريف ، قال : كنت فى مجلس أستاذى أبى على الصَّدَفى[٧] أقرأ عليه الحديث ، فقرأ يوماً الحديث ثم أغلق الكتابَ وجعل

(١) فى ت : « حكايات عظيمة ، وفنون بديعة » .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) هو كتاب « أدب الدنيا والدين » كما فى كتب الفهارس .
(٤) النفس المدبرة : المشغولة بالتفكير فى الأمور .
(٥) كذا فى ط . والمواق ، هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبى القاسم خطيب غرناطة . وفى ت : « المولق » وهو تحريف .
(٦) كذا فى ط . وهو « سند المهتدين فى مقامات الدين » . والكتاب محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٨٣٥ تصوف . وفى ت : « سنن المهتدى » وهو تحريف .
(٧) هو القاضى أبو على حسين بن محمد بن حيون بن فيرة الصدفى السرقسطى ، يعرف بابن سكرة وبابن الدراج . لم يكن بشرق الأندلس فى وقته مثله فى تقييد الحديث وضبطه ، والعلو فى روايته . توفى سنة ٥١٤ هـ . (راجع بغية الملتمس للضبى ، ونفح الطيب للمؤلف ، والصلة لابن بشكوال) .

يَحكى حكايات[١] الصالحين ، فوقع فى نَفْسى : كيف يُجِيز الشيخُ أن يَقْطع حديثَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويحكى الحكايات ؟ قال : فما تمّ لى الخاطرُ حتى نَظر إلىّ[٢] الشيخ شَزْراً ، وقال : يا أحمد ، الحكاياتُ جُنْدٌ من جنود الله يثبِّت الله بها قلوبَ العارفين من عباده . قال : فما بقَى فى جَسدى شعرةٌ إلا قطَر منها العرق . فلما رآنى دَهِشت ، قال لى : يا أحمد ، أين مِصْداق ذلك من كتاب الله ؟ قلت : الشيخ أعلم ؛ قال : قوله تعالى : « وكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ » الآية . انتهى .

وهذا آوان الشُّروع ، وعلى الله قَصْد السَّبيل ، وهو حَسْبى ونعم الوكيل .

---

(١) كذا فى ت وسند المهتدين . وفى ط : « حكاية » .

(٢) كذا فى سند المهتدين ، وفى الأصلين : « نظرنى » .

روضة الورد فى أولية هذا الإمام الفرد[١]

نسب عياض

أقول ، وعلى الله أعتمد ، ومن بَحْر كرمه أسْتَمِدّ :
هذه ترجمة نذكر فيها أصلَه ومَحْتِدَه ، وأوّليّته ومولدَه .

عند الوادى آشى

قال الشيخ الإمام الرّحّال أبو عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى[٢] ، الملقّب بشَمْس الدين ، رحمه الله ورَضِى عنه :

هو عِيَاض بن موسى بن عِياض بن عَمْرون بن موسى بن عِياض بن محمد ابن عبد الله بن موسى بن عياض اليَحْصُبِىّ السَّبْتِىّ . هكذا ذكر نسبَه الشيخُ أبو القاسم الملّاحى . وعَمْرون ، ثبت عنده بنون بعد الواو .

عند ابن الأبار

ووقع فى مُعْجم أصحاب الصَّدَفِىّ ، للإمام الشهير القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد الله القُضَاعى ، المعروف بابن الأبّار : « عمرو » ، دون نون .

عند ابن خاتمة

قلت : ونحوه لابن خاتمة[٣] فى الكتاب المسمّى بـ « مَزِيّة المَرِيّة ، على غيرها من البلاد الأندلسية » .

عند ابن الملجوم

وقال الشيخ أبو القاسم بن المَلْجوم :

إجتاز علينا القاضى عِياض عند انصرافه من سبْتة قاصدا إلى الحَضْرة ، زائراً لأبى بداره[٤] عشيةَ يوم الأثنين الثامن لرجب ، سنة ثلاث وأربعين وخمس

(١) فيما سبق عند الكلام على تقسيم الروضات (ص ١٧ من هذا الجزء) : « العالم الفرد » .
(٢) هو محمد بن أحمد بن على الهوارى ، من أهل المرية ، كان كفيف البصر ، وهو من شيوخ لسان الدين بن الخطيب ، وصاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان . وقد رحل إلى المشرق فى طلب الحديث . والوادى آشى : نسبة إلى وادى آش (ويقال فيه : وادى الأشات) . وهى مدينة جليلة من أعمال غرناطة . (عن نفح الطيب) .
(٣) ابن خاتمة : هو أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن خاتمة الأنصارى ، من أهل المرية ، يكنى أبا جعفر . (راجع الإحاطة ونفح الطيب) .
(٤) فى ت : « فى داره » .

مِئَة ، وفى هذه العشية استجَزْته[١] ، وسألتُه عن نسبه ؛ فقال لى : إنما أحفظ : « عِياض بن موسى بن عِياض بن عمرون بن موسى بن عياض . وأحفظ أيضا بعد ذلك : محمد[٢] بن عبد الله[٣] بن موسى بن عياض . ولا أعرف أن محمدا هذا هو أبو عياض أو بينهما أحد » . انتهى كلام ابن الملجوم .

[١٢] وقوله « اجتاز علينا » يعنى بمدينة فاس ، وقوله « قاصدا إلى الحضرة » يعنى مَرّاكُش .

نزوله بدار ابن الغرديس

وأفادنى الشيخُ العارف المُتبَتِّل ، الرَّبّانى البَرَكة ، سيدى حُسَين الزّرويلِيّ أبقى الله بركاته ، وأدام وُجوده والنفعَ به :

أن القاضىَ عياضاً ، رضى الله عنه ، لما دخل الحَضْرة الفاسيّة ، حاطها الله ، نزل بدار ابن الغرديس التَّغلَبى[٤] بِزَنقَة حجامة ، حسْبما أشار إليه ابنُ الأحمر ، ولم تزل هذه الدار إلى الآن بيد أولاد ابن الغرديس .

عند ولده محمد

وقال نجلُ عِياض الشيخُ الإمام أبو عبد الله محمدُ بن عِياض ، قاضى دانِيَة[٥] ، عَلى ما قال ابن خَلّكان ؛ وقاضى غَرناطة ، على ماقال[٦] ابنُ قنفذ وغيرُه . ولعله تَولّى القضاء فيهما معا رحمه الله ، المتوفَّى سنة خمس وسبعين وخمس مئة :

(١) استجزته : طلبت منه أن يجيزنى ، أى يأذن لى بقراءة مؤلفاته ومروياته .
(٢) كذا فى ت ومعجم أصحاب الصدفى لابن الأبار ، وفيما سيأتى فى الأصلين . وفى ط هنا : « أحمد » وهو تحريف .
(٣) لم يذكر ابن الأبار « عبد الله » فى أجداد القاضى عياض .
(٤) هو محمد بن الغرديس قاضى فاس إذ ذاك . (انظر كتاب البستان لابن مريم طبع الجزائر صفحة ٥٤) .
(٥) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية ، على ضفة البحر شرقا . (عن معجم البلدان) .
(٦) فى ط : « ما قاله » .

« كان أبي يقول : لا أدرى : هل محمّد والد عياض ، أو بينهما رجل ؟ فهو جدّه » . انتهى .

وهو مثل ما حَكى ابنُ الملجوم عن عِياض ، كما سبق قريبا .

عند ابن خلكان

ورأيت فى تاريخ الشّمس ابن خَلِّكان ، المسمى بـ « وفيات الأعيان » ، فى تَعْداد آباء القاضى عياض ، خلافَ ما سبق ؛ ولا أدرى : هل ذلك تَحريف من الناسخ أو وَهم من المؤلف ؟ ونصه : « عياض بن موسى بن عياض بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليَحْصُبى » . انتهى .

فأنت تراه قد أسقط « عمرون[1] » فيما بين عياض وموسى ، وأسقط أيضا « عبد الله » فيما بين « محمد » و « موسى » .

عند ابن خاتمة أيضا

وقد وافقه على إسقاط « عبد الله » الشيخُ العلامة ابن خاتمة فى « مَزِيَّة المَرِيَّة » ، فإنه قال فى باب العين ما نصه : « ومن الغُرباء : عِياض بن موسى ابن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصُبى[2] » . انتهى .

شىء عن ابن خلكان وابن خلدون

على أن ابن خَلِّكان وغيرَه من المشارقة ربما يقع لهم الغَلَط فى تاريخ أهل المغرب ، لبعد الديار ، ولغير ذلك ، مما لايخفى على من مارس علم التاريخ ؛ كما أن كثيراً من المغاربة لا يُحرِّرون تاريخ المشارقة ، لما ذكرناه ؛ ولذا قال شيخ الإسلام ابن حَجَر[3] فى تأليفه المسمى بـ « إنباء الغُمْر ، بأنباء العُمْر » حين عرَّف

(١) الذى فى وفيات الأعيان لابن خلكان المطبوع يخالف ما ذكره المؤلف ، إذ فيه : « عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتى » بذكر « عمر » فى مكان « عمرون » .

(٢) ووافقهما أيضا ابن الآبار فى معجمه على إسقاط اسم « عبد الله » من نسب عياض .

(٣) هو شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن على بن محمد بن على ، الشهير بابن حجر العسقلانى ، المولود سنة ٧٧٣ هـ ، والمتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

بشيخه ولىّ الدين بن خلدون الحَضْرَمىّ المَغربىّ قاضى القضاة المالكية ، بالديار المصرية ، وهو صاحب التاريخ الكبير المشهور ، الموسوم بـ « ديوان العِبَر ، وكتاب المبتدأ والخبر ، فى تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبَر[١] » ما نصه :

« وصنف التاريخ الكبيرَ فى سبع مجلدات ضخمة ، ظهرت فيه فضائله ، وأبان فيه عن براعته ، ولم يكن مطلعا على الأخبار على جَلِيّتها ، ولا سيّما أخبار[٢] المشرق ، وهذا[٣] بيّن لمن نظر فى كلامه » . انتهى .

وأين هذا الكلام وقولَ[٤] الشيخ[٥] شمس الدين البغدادى فى الشيخ ولىّ الدين عبد الرحمن بن خَلدون المذكور ، رحم الله الجميع :

قاضى القضاة ابنُ خَلدونٍ أتى عَجَبا تاريخُه مُخبِرٌ عن سائر الدُّوَلِ
قالوا وَلِىٌّ فقلنا من كرامتِه وكَشْفِه جاء يُنْبِينا عن الأُوَل[٦] [١٣]
وليس بِدْعا ولا فى الله مُمْتَنِعا أن يجمع العالَمَ الكُلِّى فى رجل[٧]

وبالجملة فما ذكرنا أولاً فى تَعداد آباء القاضى عياض ، رحمه الله ، هو الذى

(١) اسم الكتاب على النسخة المطبوعة ، وفى كشف الظنون ، وفى نفح الطيب : « كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ... » الخ .
(٢) كذا فى ط وإنباء الغمر . وفى ت : « أخبار أهل المشرق » .
(٣) كذا فى ط وأنباء الغمر المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٧٦ تاريخ . وفى ت : « وهو » .
(٤) فى ت : « من قول » .
(٥) هذه الكلمة : « الشيخ » ساقطة فى ت .
(٦) يشير بقوله : « ولى » إلى لقب ابن خلدون وهو : « ولى الدين » .
(٧) ينظر فى هذا البيت إلى قول أبى نواس :
ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

عليه المعوَّل ، وعليه أعتمد ولدُه ، وابن الملجوم ، وابن بَشْكُوال[١] ، وابن جابر ، وابن الخطيب فى « الإحاطة » ، وغير واحد ؛ وكفى بهؤلاء حُجة . وناهيك بولده وابن المَلْجوم ، الذى أخذ ذلك من لَفْظه ، حَسْبما سبق آنفا ؛ وهو الصواب الذى لا يُعْدل عنه ، والله تعالى أعلم .

الكلام فى ضبط « اليحصبى »

واليَحْصُبىّ ، بضم الصاد وكسرها ، وزاد بعضهم فَتْحها[٢] ، ونحوه لابن خلكان ؛ واقتصر بعضُهم على الكَسْر قائلا : وهو الصواب ، بناء على أنها ، أعنى القَبيلة ، يَحْصِب ، بكسر الصاد ، كتغلِب . ولا أشك أنّ النسب إليه إن كان بكسر الصاد : يَحْصِبىّ ، بالكسر كتَغْلِبى[٣] ؛ وأما ضم الصاد فى النسب ، فهو مبنى على أن « يحصُب » بضم الصاد[٤] فى الحىّ . قال ابن سيده فى مُحكمه : ويَحصُب : قبيلة ، وإنما هى يحصُب ، يعنى بضم الصّاد ، نُقِلت من قولك : حَصَبه بالحصى يحصُبه ؛ قال ابن جابر : وليس بالقوىّ[٥] .

ويَحْصب : من حِمْير ، وهو يَحْصب بن مُدْرِك ، حسْبما هو مذكور فى كتب الأنساب .

محمد بن عياض يخبر عن موطن أجداده

قال القاضى أبو عبد الله محمّد بن القاضى أبى الفضل عِياض :

---

(١) لم يذكر ابن بشكوال فى الصلة غير : « عياض بن موسى بن عياض اليحصبى » .

(٢) زيد فى هامش ط عند هذه الكلمة : « فيكون مثلثا ، ونقل التثليث الجعبرى فى شرح الشاطبية ، وابن مالك فى مثلثاته ، وغيرها » .

(٣) يجوز فى النسب إلى تغلب ونحوه كسر الثالث وفتحه . وزيد فى هامش ط عند هذه الكلمة : « فيه نظر يعلم من شرح الشفاء للشهاب . وفى كتب الصرف فى التسهيل : الفتح ، وهو الجارى على قواعد النسب وإن كان بالكسر ، كأنه كنمر ونحوه » .

(٤) فى ط : « يعنى بضم الصاد » .

(٥) أى أن جعل الفعل من باب نصر ليس بالقوى ، وإنما القوى فيه أنه من باب ضرب .

« استقر أجدادُنا فى القديم بجهة بَسْطة [١] ، من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقَيْروان ، فلا أَدْرى أكان قبل أستقرارهم بالأندلس أم بعده ؟ ولذلك يقول عبد الله بن حَكيم :

وكانت لهم بالقَيْروان مَآثر عليها لِمَحْضِ الحق أوضح بُرْهانِ

قال :

وكان « عمرون » والد جدّ أبى ، رحمة الله على جميعهم ، رجلاً خيّرا صالحا ، من أهل القُرآن ، حَجّ إحدى عَشْرةَ حِجَّة ، وغزا مع أبن أبى عامر [٢] غزوات كثيرة ، وانتقل من مدينة فاسَ إلى مدينة سَبْتة ، بعد دخول بنى عُبَيْد [٣] المَغْرب ، وكان سبب ذلك أنه كان له ولأبيه نباهةٌ بمدينة فاس ، فأخذ ابنُ أبى عامر رُهُناً من أعيان مدينة فاس ، فأخذ فيهم أَخَوىْ « عَمْرون » : عيسى والقاسم ، فخرج عَمْرون إلى مدينة سبْتة ، ليقْرُب من أخبارهما بمدينة قُرْطبة ، فاستحسن سُكنى مدينة سبْتة ، وكان مُوسِراً ، فاشترى [بها [٤]] أرضاً ، وهى المعروفة بالمَنارة ، فبنى فى بعضها مَسْجدا ، وفى بعضها دارا ، حَبَسها على المسجد ، وهو حتى الآنَ منسوب إليه ، وحَبَس باقى الأرض للدّفن ، ولم يزل منقطعاً فى ذلك المسجد إلى أن مات ، رحمه الله ، سنةَ سبع وتسعين وثلاث مئة . ووُلِد له [١٤] قبل وفاته بيسير ابنُه عياض ، ثم وُلد لعياض ابنُه موسى ، ثم ولد لموسى ابنُه

(١) بسطة : من أعمال جيان . (عن تقويم البلدان) .

(٢) هو المنصور محمد بن أبى عامر المعافرى الوزير الحاجب فى دولة المؤيد هشام بن الحكم المستنصر الأموى . كان من أهل الفقه والحنكة والدهاء ، وأبلى فى محاربة الإسبان أعظم البلاء .

(٣) يريد الفاطميين أولاد عبيد الله المهدى .

(٤) زيادة عن ت .

عياض ، أبى ، رحمهم الله أجمعين ؛ وذلك ، فيما رأيتـه بخطه ، فى النصف من شعبان عامَ ستة وسبعين وأربع مئة بسبْتة » . انتهى .

شىء عن سبتة

والسَّبْتى : نِسبةٌ إلى سَبتة ، مدينة بساحل بحر الزُّقاق ، مشهورة ، واختُلف فى سبب تسميتها بذلك ، فقيل لانقطاعها فى البحر ، من قولك : سَبَتُّ النعل : إذا قطعتها[1] ، وقيـل لأن مُخْتَطَّها هو سبْت بن سام بن نوح ، وإلى هذا الأخير يَنظُرُ قولُ لسان الدين الوزير الشهير ، العلّامة أبو عبد الله بن الخَطيب السَّلمانى الغَرْناطىّ ، رحمه الله ، من قصيدة :

حُييتَ يا مُخْتَطَّ سَبْتِ بن نوح ... بكل مُزْن يَغْتدِى أو يرُوحْ
مَغْنَى أبى الفضلِ عياضِ الذى ... أضحتْ بِرَيَّاهُ رياضٌ[2] تفوح

وفيهما يقول الأديب أبو الحَكم مالك بن المُرَحِّل ، من قصيدة طويلة بديعةٍ[3] جدًا ، مطلعها :

سَلام على سَبْتَةِ المغرب ... أُخيةِ مكةَ أو يَثْرِبِ

وفى مَدْحها يقول أيضاً رحمه الله :

اِخْطِر على سَبْتةَ وانظُرْ إلى ... جَمالها تَصْبو إلى حُسْنِهِ
كأنها عُود غِنـاءٍ وَقَدْ ... أُلْقِىَ فى البَحْر على بَطْنِهِ

وقال الحِجَارى فى المُسْهِب :

« أول من سكن برّ العُدوة و بر الأندلس من ولد نوح بعد الطوفان ، سَبْت وأندلس ابنا[4] يافث بن نوح ، فنزل سَبْتُ فى آخر المَعْمور من بر العُدوة ،

(١) فى ط : « قطعته » . والمعروف أن النعل مؤنثة .
(٢) فى ت ونفح الطيب : « رياضا » .
(٣) هذه الـكلمة « بديعة » ساقطة فى ت .
(٤) فى ط : « ابن » وهو تحريف .

وبنى له منزلا فى موضع سَبْتة ، فدُعيت[١] باسمه ، وتناسلت منه قبائل البربر ، واتسعت فى برّ العُدوة إلى أن بلغت إلى فِلَسْطين ، وكان مَلِكهم يسمى جالوت ، وكان مَجوسيّا ، وهزَمه طالوت ، وقتله داودُ ، فانضمّت البربر عن فِلسطين ، وعن الديار المصرية ، واقتصرت من بَرْقة إلى آخر المعمور ؛ وسكن أَخوهُ أندلس [مقابلا له فى[٢]] انتهاء المعمور ، فعرفت باسمه » . انتهى .

وأكثر بلاد العُدْوة فى الإقليم الثالث[٣] ، وفيه حَضْرتها مَرّاكُش ، وما قارب منها الأندلس كسَبتة[٤] وما قرب منها فى الإقليم الرابع .

قال ابن سعيد :

« ولا نُطالب فى هذا البربما صنعناه فى الأندلس[٥] ، فأهل الأندلس إما عرب أو متعربون[٦] ، قد توارثوا قوام اللسان[٧] وحافظوا عليه ، وأهل بر العُدوة إما بَرْبَر أو مُتَبَرْبِرون » . اهـ .

وصف ابن الخطيب لسبتة

وفى وصْفِها يقول لسانُ الدين بن الخطيب فى مَقامة وصف البلدان :

« قلت : فمدينة سَبْتة ؟ قال : تلك عروس المَجْلَى[٨] ، وثَنِيّة الصَّباح الأَجْلى ؛

---

(١) فى ت : « فعرفت » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هذا حسب التقسيم الجغرافى القديم . (انظر تقويم البلدان لأبى الفداء ، ومسالك الأبصار للعمرى ، ونزهة المشتاق للإدريسى) .

(٤) كذا فى ط . وفى ت : « وما قاربها منها الأندلس كسبتة فى الإقليم الرابع » .

(٥) فى ت : « فى هذا الفن عما صنعنا بالأندلس » .

(٦) كذا فى نفح الطيب (ج ١ ص ٦٣ طبع مصر) . وفى الأصلين : « فكان أهل الأندلس إما عرب أو متعربون » .

(٧) كذا فى نفح الطيب وفى ط : « أقوام الأندلس » . وفى ت : « قدام الأندلس » ولا يستقيم بهما الكلام .

(٨) فى ط : « مجلى » .

تبرّجت تبرّجَ العَقِيله ، ونظرتْ وجهَها من البحر فى المرآة الصّقيله ، واختصّ ميزانُ حَسناتها بالأعمال الثقيلة ؛ وإذا قامت بيضُ أسوارها[١] ، وكان جبل بلْيونش[٢] شَمَّامةَ أزهارها[٣] ، والمنارةُ منارةَ أنوارها ؛ فكيف[٤] لا ترغب النفوس فى جِوارها ، وتَهيم الخواطر بين أنجادها وأغْوارها ؛ إلى الميناء الفلكية ، والمراقى الملكية[٥] . والرَّكِيَّة[٦] الزَّكِيَّة ، غير المَنْزورة[٧] ولا البكية[٨] . ذات[٩] الوقود الجَزْل ، المعدّ للأَزْل[١٠] ، والقُصور المقصُورة على الجدّ والهزل ؛ والوجوه الزُّهر السِّحَن ، المَضْنون بها عن المِحَن ؛ دار الناشبه[١١] ، والحامية المُضْرمة للحرب المُناشِبه[١٢] ؛ والأسطول المرهوب ، المحظور الألْهوب[١٣] ، والسّلاح المكتوب المحسوب ، والأثر المعروف المنسوب ؛ كرسى الأمراء والأشراف ، والوسيطه ، لخامس أقاليم البسيطه ، فلا حظَّ لها فى الانحراف ؛ [١٥]

(١) فى ت : « أصوارها » وهو تحريف .
(٢) كذا فى تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل ، والمغرب ، فى بلاد إفريقية والمغرب ، للبكرى ، وفى نفح الطيب للمؤلف فى بعض مواضع ، وفى الاستبصار ، فى عجائب الأمصار ، عند الكلام على سبتة ، وفى الأصلين هنا وفيما سيأتى : « بنيونش » .
(٣) الشمامة : ما يتشمم من الأرواح الطيبة . يريد أن جبل بليونش أعطر رياضها .
(٤) فى الأصلين ونفح الطيب : « كيف » .
(٥) فى ت : « الفلكية » .
(٦) الركية : البئر . ورواية هذه الكلمة فى الأصلين « الذكية » وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . ويعين عليه قرينتا « المنزورة والبكية » بعده .
(٧) المنزورة : القليلة الماء .
(٨) البكية : القليلة الماء . ورواية هذه الكلمة فى الأصلين : « المبكية » وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .
(٩) يريد سبتة .
(١٠) الأزل : الضيق والشدة .
(١١) كذا فى ت . والناشبة : القوم الذين يرمون بالنشاب ، أى النبل .
(١٢) يقال : ناشبه الحرب ، أى نابذه .
(١٣) الألهوب (هنا) : السطو والبطش ، مأخوذ من ألهوب الفرس ، وهو اضطرابه فى عدوه .

بَصْرة علوم اللسان ، وصَنْعاء الحُلل الحسان ، وثمرة امتثال قوله : « إنّ اللهَ يأمُرُ بالْعَدْلِ والإحْسَان » ، الأمينة على الأختزان ، القويمة المكْيال والميزان ، مَحشَر أنواع الحيتان ، ومَحَطّ قوافل العَصِير والحرير والكَتّان ، وكفاها السكنى ببَلْيونش فى فصول الأزمان ، ووجود المساكن النبيهة بأرخص الأثمان ؛ والمَدْفن المرحوم غير المزحوم ، وخزانة كتب العلوم[١] ، والآثار المُنْبِئة عن أصالة الحُلوم ؛ إلا أنها فاغرة الأفواه للجَنوب[٢] ، للغيث المَصْبوب ، عُرْضة للرياح ذات الهُبوب ، عَديمة الحَرْث فقيرة من الحُبوب ، ثغر تَنْبو فيه المضاجع بالجُنوب ، وناهيك بحَسَنة تُعَدّ من الذنوب ؛ فأحوال أهلها رقيقه ، وتكلّفهم ظاهر مهما ظهرت وَلِيمة أو عَقِيقه[٣] ، واقتصادهم لا تلتبس منه طريقه ، وأنساب نَفقاتهم فى تقدير الأرزاق عريقه ؛ فهم يَمَصّون البُلالة مصّ المَحاجم[٤] ، ويجعلون الخبز فى الولائم بعَدد الجماجم ، وفتنتهم ببلدهم فتنة الواجم ، بالبشير المهاجم[٥] ، وراعِى الجَدِيب بالمطر الساجم[٦] ؛ فلا يفضّلون على مدينتهم مدينه ، الشك عندى فى مكة والمدينه » . انتهى .

قلت : ولعله عرّض بقوله : « الشك عندى فى مكة والمدينة » ، بقول مالك بن المُرحّل : « أُخَيَّة مكة أو يَثْرِب » . والله أعلم .

الشريف أبو العباس وحفاوته بابن الخطيب

وكان لسان الدين بن الخطيب كثيراً ما ينزل فى وِجْهاته المَغْربية ، عند الشريف الشهير ، سيدى أبى العباس أحمد بن سيدى محمد ، ابن سيدى أحمد ،

(١) هذه العبارة : « وخزانة كتب العلوم » . ساقطه فى ت .
(٢) فى ت ونفح الطيب : « أفواه الجنوب » .
(٣) العقيقة : الطعام يدعى إليه الناس عند حلق شعر المولود .
(٤) المحاجم : جمع محجم ، أو محجمة ، وهى شبه الكأس يمص به الدم من الجسم .
(٥) فى ت : « الهاجم » .
(٦) المطر الساجم : القليل .

ابن سيدى طاهر[١] ، ابن سيدى رفيع ، ابن سيدى علىّ المدعو بالمكين ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى علىّ ، ابن سيدى أبى الطاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن [سيدى[٢]] مَوْهوب ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى محمد ، ابن سيدى طاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن مولانا على ، المدعو بالهادى ، ابن مولانا محمد ، المدعو بالجواد ، ابن مولانا علىّ الرِّضا ، ابن مولانا موسى ، المدعو بالكاظم ، ابن مولاى جعفر الصادق ، ابن مولاى محمد الباقر بن زين العابدين ، ابن مولاى على ، ابن مولانا الحسين الشهيد[٣] ، ابن مولانا أمير المؤمنين ، مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ونفعنا ببركة هؤلاء السادات ، الذين سرَدْنا أسماءهم تبرّكا بها .

قال صاحب كتاب « الكواكب الوقّادة ، فى ذكر من دُفن فى سَبْتة[٤] من العلماء والصلحاء القادة » :

« كان هذا السيّد الشريف يُوسِع ابنَ الخطيب إكراما ، وكان من عادة الشريف المذكور أن يخرج إلى بساتينه فى المَصيف بقرية بَلْيُونش ، كمُنية العبا ، وجنّة الحافة ، ويجلس فى القبة السامية المُطِلّة على البحر بجنة الحافة ، ويجعل الطريقَ تحته ، فإذا رأى جماعةً سائرين من أىّ صِنف كانوا ، من التجار أو الغرباء أو البلديين ، يوجّه رجالَه إليهم ، ويقدّم لهم الطعام ، ويرتاح إلى ذلك ، ويُسَرّ به ، ويُؤنِس كُلاًّ بما يُناسبه ، من ذِكْر عيون أخبار بلده[٥] ، وخاصيّة قُطره ، وما يَجُرُّ إلى ذلك ويرجع إليه ، من بديع الحكايات ، ولطيف [١٦]

(١) فى ت : « الطاهر » .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) فى ط : « الشهير » .
(٤) فى ت : « بسبتة » . واسم هذا الكتاب فى البستان لابن مريم (ص ٣١٤) : « الكواكب الوقادة ، فيمن كان بسبتة من العلماء والصالحين القادة » .
(٥) فى ت : « بلاده » .

النوادر ؛ ثم يأمر بإدارته على تلك البساتين ، ورؤية ما بها من المصانع[١] ، ثم يبعث وراء آخرين ، ويُنزل كلَّ واحد منزلته ؛ ويغيب[٢] عمن يُخْجله حضورُه ؛ ويُغْضِى عن مُداعبةٍ إن وقعت ، ويتجاهل الهفوةَ إن بدرت . وكان يُخرِج الوزيرَ ابن الخطيب — عند نزوله عنده — إلى هذه القرية البَلْيونشية .

شعر لابن الخطيب فى بليونش

ومن بديع نظم ابن الخطيب فيها :

بليونشٌ أسنَى الأماكن رفعةً ... وأجلّ أَرْض الله طُرًّا شانَا
هى جَنّة الدنيا التى مَنْ حَلَّها[٣] ... نال الرِّضا والرَّوْح والرَّيْحانا
قالوا القُرود بها فقلت فَضِيلة ... حيوانُها قد قاربَ الإنسانا[٤]

شعر لعياض فيها أيضا

وفيها يقول القاضى عياض[٥] :

بَليونش جَنّـــــة ولـكنْ ... طريقُها يَقْطع النِّيـاطَا
كجَنّـة الخُلْد لا يَراها ... إلا الذى[٦] جاوَز الصِّراطا

وصف ابن حيان لها

ونقلتُ من خط ابن حيّان[٧] — بعد كلام فى سَبْتة — ما نصّه :

« ومتنزّهاتها أعظمها بليونش ، تحتوى على مياه عيون ، وأودية ، ومتنزهات ، وأبنية عظيمة ؛ وفيها من جميع الأشجار والثمار » .

---

(١) المصانع : جمع مصنع ، أو مصنعة (بفتح النون وضمها) ، وهى شبه الحوض يجمع فيها ماء المطر ؛ والمصانع (أيضا) : المبانى من القصور ونحوها .
(٢) فى ت : « وينيب » .
(٣) فى ت : « من شأنها » . ولا يستقيم بها الكلام .
(٤) قال فى الاستبصار : « وعلى قرية بليونش المذكورة جبل عظيم فيه القردة » . وسيعرض المؤلف لهذا بعد قليل .
(٥) نسب هذان البيتان فى تقويم البلدان لابن عياض .
(٦) كذا فى تقويم البلدان . وفى الأصلين : « إذا » ، وما أثبتناه أظهر .
(٧) فى الأصلين : « أبى حيان » وهو تحريف .

شعر للمنصفى فيها أيضا

وفيها يقول أبو الحجّاج المَنْصَفِيّ[١] :

بَلْيونش شَكْلُها بَديع أُفْرِغ فى قالَب الجمالِ[٢]
فيها الذى ما رأتْه عَيْنى يومًا ولم يختَطر ببالى[٣]
طريقُها كالصدود لكن تَعْقُبه لذَّةُ الوِصال[٤]

شعر الكميلى فيها

قال ابن رشيد :

وأنشدنى القاضى أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الرحمن الكُمَيْلى[٥] قاضى أَزَمُّور[٦] فيها :

بَليونش كلّها عَذَابُ[٧] فالمَشْى فى سُبْلِها عِقابُ[٨]
يَكْنُفُها شامخٌ مُنيف كأنه فوقها عُقاب

وهذا الشامخ يعرف بجبل موسى . [وإليه أشار المَنْصَفِىُّ فى مخمّسة :

وطَوْدُ موسى[٩]] لها تاج على الراس

وبهذا الجبل متعبّد مبارك ، و بساحله مَغْطِس المَرْجان ، ومن عجائب هذا المتعبّد أن من دخله ممن ليس له أهلاً فإنه يجد فى عنقه[١٠] صَفْعاً إلى أسفل الجبل ؛ وهو مسيرة ثلاثة أميال ، وهو من سَبْته على تسعة أميال ، وبهذا الجبل منشأ

(١) نسبة إلى « منصف » بفتح الميم والصاد ، من قرى بلنسية .
(٢) فى ط : « فى قالب كمال » .
(٣) لم ترد صيغة « اختطر » فى القاموس وشرحه ولا فى اللسان ولا فى الأساس .
(٤) فى ط : « من الصدود لكن » وهو تحريف .
(٥) فى ت : « الأبلى » .
(٦) أزمور (بفتح الهمزة والزاى المعجمة وتشديد الميم ثم واو وراء مهملة) : من مدن بر العدوة على ميلين من البحر . (عن تقويم البلدان) .
(٧) فى ط : « عقاب » .
(٨) فى ط : « عذاب » .
(٩) زيادة عن ت .
(١٠) فى ط : « فى شقه » .

القُرود ، وهو مستشرف على بعض الأندلس . و بسَبْتة مدرسة بناها أبو الحسن الشارى[١] ، ووقف بها كتباً عظيمة .

و بموضع يقال له التوتة يوجد كثير من الياقوت الأحمر[٢] دقيق[٣] . ومن عجائبها أن البُـلَّارج[٤] لاتعشّش فيها[٥] ، وقلّما تخطِر عليها . ويقال إنها[٦] بناها سبت بن سام بن نوح ، وإنه دَعا لها باليُمْن والبركة ، ورَوَوْا فى ذلك حديثاً عن مالك عن نافع عن ابن عمر . قال عياض : وأبرأ أنا من عُهْدَته ، وقد خرّجه فى الغُنية ، ولذلك قال بعض الشعراء :

فكل جبّـــار إذا ما طغَى وكان فى طُغْيـانه يُسْرِفُ
أرســـله الله إلى سَبْتةٍ فكل جَبّار بهـــا يُقْصَف

أنشدها أبو عبد الله محمد بن حمادة [البُرْنُسِىّ[٧]] ، خال أبى لأمه[٨] ، فى كتابه المسمى بـ « المقتبَس ، فى أخبار المغرب والأندلس » .

شعر المنصفى فيها

ومن نظم المَنْصَفى فى بليونش من قصيدة :

انظُر إلى نَضْرَة زهر الرُّبَا كأنه وَشْى على كاعبِ
ومَتِّع الطَّرْف ببَلْيُونشٍ ومائهـا المُنبعثِ السّاكب
تشاركتْ والحسن فى وصفها تَشارُك العين مع الحاجب

(١) فى ت : « الشاوى » .
(٢) فى ت : « كسر من الياقوت السمر » .
(٣) كذا فى ت : وقد وردت هذه الكلمة مطموسة فى ط .
(٤) البلارج : اللقالق . (عن تكملة المعجمات العربية لدوزى) .
(٥) فى ت : « بها » .
(٦) فى ت : « إنه » .
(٧) زيادة عن ت . والبرنسى : نسبة إلى برنس (بوزن قنفذ) : قبيلة من البربر ، سميت بهم مساكنهم .
(٨) فى ت : « قال أبى لأمه » . وهو تحريف .

وقد أَرَتْنا[١] اليومَ من حُسْنها ما لم يكن فى زَمَن الحاجِب

— والحاجب : أحد[٢] ملوك سبتة ؛ [وله عمل ابن مَرَانة[٣] قصيدة فى الكوائن والحوادث[٤]] —

فعَّالَةٌ بالطَّبْع فى أَهْلها ما تَفْعل القَهْوةُ بالشارِب
تُذكِّر الشيخَ زمانَ الصِّبا وتُفْسِد[٥] التوبةَ للتائب

وله :

انظر إلى بَهْجة بَلْيُونشٍ وحُسْنِ ذاك المَنْظر اللّامِعِ
تَحكى الثُّريَّا عندما أُسْرِجَتْ بلَيلَة الخَتْمة فى الجامع[٦]

مثل من كرم الشريف أبى العباس

ولما قفَل السلطان الأَشْهر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأَحْمر من المغرب ، حين رجوعه إلى بلده[٧] مع قاضى حَضْرته غَرْناطة ، أبى الحسن على بن الحسن ، المعروف بالنَّبَاهِىّ شيخِنا ، ووزيره أبى عبد الله بن الخَطيب ، صنع له ضيافة مُلوكية[٨] بالمُنْية ، من قرية بَلْيونش المشار إليها ، حيثُ القصر هنالك ، وعُنصر

(١) فى ت : « رأتنا » .
(٢) فى ت : « آخر » .
(٣) كذا فى معجم البلدان طبعة أوربة عند الكلام على سبتة . وفى ت : « مراتة » بالتاء المثناة الفوقية .
(٤) زيادة عن ت .
(٥) فى ط : « وتكسر » .
(٦) فى ت : « بالجامع » . ولعله يريد بليلة الختمة ما يفعله أهل المغرب من الاحتفاء بختم حفظ القرآن أو تفسيره أو ختم صحيح البخارى فى حفل عام بالمساجد تضاء له الأنوار ، ويحضره الناس خاصتهم وعامتهم . وقد أفاض فى شىء من ذلك ابن أبي دينار فى كتابه « المونس ، فى أخبار إفريقية وتونس » .
(٧) فى ت : « ملكه » .
(٨) كذا هنا وفيما سيأتى . والنسبة إلى الملوك : « ملكى » ، وشاع على أقلام بعض الكتاب كالجاحظ : « ملوكى » .

الماء المختص بها . ومن هناك ركب البحر ليلا ، وذلك فى جُمادى الأُخْرَى[1] من عام ثلاثة وستين وسبع مئة . وفى الحادى والعشرين من الشهر المذكور دخل دار ملكه حمراء غَرناطة ، وأكل من فضل هذه الضيافة مُعظمُ من كان بالقرية ، من قويّ وضعيف ، ورفيع ووَضيع .

ثناء أبى الحسن النباهى على الشريف وشىء عنه

وكان شيخنا القاضى أبو الحسن المذكور يُثْنِي عليه ، ويُعظِّمه تعظيما يَليق بمثله ، ويقول فى أثناء حديثه : فعل أبو العباس الشريف صاحب سبتة كذا ، وصنع كذا . ولم تزل حالته هذه ، رحمة الله عليه ، إلى أن أَسنَّ وأُقْعِد ، فلزم منزله ثلاث سنين ، من غير أن يَنْقُص ذلك من مَنصِبه شيئا ، ولا من انتفاع الناس به ؛ وكان أبيضَ اللون ، حسنَ الهيئة والملبَس ، يخضِب بالحِنَّاء ؛ [١٧] وتُوُفِّىَ فى زَمانته وقد نَيَّف على[2] الثمانين ، عامَ ستة وسبعين وسَبْع مِئة ، وله الآن قَرابة بمدينة فاس بقَيْد الحياة » .

انتهى كلام صاحب الكواكب الوَقّادة باختصار ، وبعضه بالمعنى .

شعر للشريف

ومن نظم هذا الشريف ، ممّا أمر به أن يُنقش بالقبة المذكورة آنفاً فى معنى الاستعاذة :

وَثِقتُ باللهِ رَبِّى وحَسْبِىَ اللهُ حَسْبِى
واللهُ كافٍ وواقٍ ودَافِعٌ كُلَّ خَطْب
ولستُ أخشَى إذا ما وَثِقْت باللهِ رَبِّى
بلَغْتُ فيها مُرادى مُهَنَّأً مع صَحْبِى
والخَمْسُ تَفْقَأُ عَيْناً لكلِّ حاسدِ نَذْب[3]

(١) فى ط : « الآخر » .
(٢) فى ط : « عن » وهو تحريف .
(٣) النذب : الخفيف فى الحاجة الظريف .

حفاوة أبي عنان بالشريف أبي العباس ونزلته في سبتة

وكان السلطان المرحوم أبو عِنان فارس ، ابن السلطان أبي الحسن المَرِينيّ يُجِلّ هذا الشريف ، ويعترف له بالفضل ، ويعطيه العطاء الجَزْل ، وكان يستدعيه كلّ سنة إلى حضرته فاس ، لحضور المولد السعيد ، الذى سَنَّه ببلاد المَغْرِب الشيخ أبو العباس العَزْفيّ ، وتلك السُّنَّة باقية إلى الآن بحسن نيَّته ، واعتنائه بالجَناب العَلِيّ[1] ، نفعه الله بذلك ، ويَخلع عليه الخِلَع المُلُوكيَّة ، ويُعِدُّ له دينارا مَسْكُوكا يُصْنع بمدينة مرَّاكُش ، زِنته مِئَةُ دينار ذهبا ، يدفع له ذلك مع جائزته ، إلى غير ذلك مما كان يُتْحِفه به ، رحمه الله ، ويصحبه فى وِجْهَته تلك من الضعفاء والتجار ما لا يُحصى كثرة ، ويتولّى هو الإنفاقَ على الجميع من ماله ، ويرفع[2] عنهم اللوازمَ المَخْزَنيّة ، فكان التجّار لأجل ذلك يَرْصُدون وقت سَفره وقُفوله . وقدّمه السلطان أبو عِنان المذكور ناظرا على بلده سبتة ، وأمر صاحب قَصَبتها ألا يقطع أمرا إلا بمَشورته ، فكان العمّال يخافونه ويشاورونه ، فإذا رأى من أحدهم خُرُوجاً عن العادة ، أو حَيْفا على الرعية ، كتب إلى السلطان فى شأنه ، فيَعْزله من فَوْره ، ويُعَوِّضه بغيره . وكان يقول للسلطان : لعلّك تَحْسبنى خَديما[3] ، لست كذلك ، وإنما نحن معشرَ أهل البيت شُفعاء فى الدنيا ، وشفعاء فى الآخرة . فكان أهل سبتة فى أيامه فى عيش هنيّ ، ونَعْمة شاملة ، بقى على هذه الحالة [١٨] المَرْضية مدة عشرين سنة . وله بسبتة آثار تحكى الآثار العَزْفية[4] ، كالرياض[5]

(١) فى ت : « العالى » .
(٢) فى ت : « يدفع » .
(٣) يريد : « خادما » . ولم تنقل المعاجم : « الخديم » بمعنى الخادم ، لكن شارح القاموس ذكر هذه العبارة : « والخدمان (بالضم) : جمع خادم ، هكذا تقوله العامة ، وكأنهم تصوروا فيه جمع خديم » .
(٤) فى ت : « العربية » .
(٥) كذا فى الأصلين هنا وفيما سيأتى ، يريد به القصر وما يحيط به من بساتين ، وقد يجرى فى لسان المغاربة حتى اليوم استعمال لفظ الرياض مفردا مذكرا بهذا المعنى .

الأعظم ، الذى أمام باب الميناء الأسفل الذى تأنق فى بُنيانه وأبدع صَنْعته ، وجلب إليه الماء بالدواليب حتى أوصله إلى القبة ذات الأعمدة ؛ وكالرياض الذى بالصَّفَّارين ، حيث كان قعوده مع خواص الناس وعامتهم .

قال صاحب الكواكب الوقّادة :

وصف أحد كتّاب الشريف له

« سمعت أحد كتّابه الخاصّ به ، الملازمَ له ليلا ونهارا ، مع مرور الأيام والسنين ، يقول : ما أمرنى قطّ سيدى ومولاى الشريف بكَتْب شىء مخالف للشرع ، بل فى رفع المظالم ، وإنهاء الشفاعات ، وتوجيه الأمانات ، وما فى معنى ذلك ، مما نَدَبَ إليه الشرعُ ، وحضّ عليه ، ووعد بالثواب على فعله . وطالما سمعت الكاتب المذكور يُقسم على ذلك ، نفعه الله [به] »[1] . انتهى .

دواة أبى عنان وشعر مكتوب عليها

قلت : تذكرت بهذا الفعل الجميل ما كتب [به][1] على دواة أمير المؤمنين أبى عِنَان ، رحمه الله ، وهو :

أَنا دواة فارس أبى عِنانَ المعتمدْ
حَلَّفْتُ مَن يكتبُ بى بالواحد الفَرْد الصَّمَد
أَنْ لا يَمُدّ مَدَّةً فى قَطْع رِزْق لاحَد

وقد رأيت فى هذه الأيام دواةً فى غاية ما يكون من الإتقان والصنعة والتذهيب ، وفيها مكتوب البيتان الأخيران ، وهى عند بعض أصحابنا الكُتّاب بالحَضْرة الفاسِيَّة — حاطها الله — وأظنها هى الدواة التى كانت لأبى عنان ، والله أعلم .

(١) زيادة عن ت .

رجع إلى ذكر الشريف

شيء من كرم الشريف وشعره

وكان الشريف المذكور يصنع أنواع المطاعم الرفيعة ، ويتبسط فى ألوانها ، ويطعمها الغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، ممن يحضُر مجلسه أو يأتى إليه ، وبالجملة فهو قُطْب الجود الذى عليه المدار ، وإمام الأدب الذى لايجاريه الرَّضِىُّ ولامِهْيار ؛ ومن نظمه ، وقد سايَر قاضى الجماعة بحضرة غرناطة ، أبا البركات البَلْفِيقِى[1] الشهير بابن الحاج السُّلَمى ، من ولد العباس بن مِرْداس رضى الله عنه ، زمن الشبيبة فى بعض أسفاره ببرّ الأندلس ، فلما انتهيا إلى قرية بِزِلْيانة[2] وأدركهما النصب ، واشتد عليهما حرّ الهجير ، نزلا وأكلا من باكر التين الذى هنالك ، وشربا من ذلك الماء العَذْب ، واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها ، ثم التفت إلى الشريف وقال :

ماذا تقول ، فَدَتْكَ النفس فى حالى يفنى زمانىَ فى حَلّ وتَرْحالِ[3]

وأُرتِجَ عليه ؛ فقال لأبى العبّاس : أجز ؛ فقال بديها :

[١٩] كذا[4] النُّفوس اللواتى العزُّ يَصْحَبها لا ترتضى بمُقـــام دون آمال

---

(١) البلفيق : نسبة إلى بلفيق (بالفتح ، ويروى بتشديد اللام المكسورة مع كسر الموحدة) : حصن بالمرية . (عن تاج العروس) .

(٢) كذا فى معجم البلدان . وبزليانة (بكسرتين وسكون اللام) : بليدة قريبة من مالقة بالأندلس . وفى ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٤٩ طبعة مصر) : « ترليانة » . وفى ت : « قرليانة » .

(٣) فى ت : « فى حل وترحال » .

(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « إن » .

دَعْهَا تجُوب الفيافى والقِفارَ إلى أن تبلغ السُّؤلَ أو تَفْنَى بتَجْوال[1]

أشراف سبتة

وكان عطاء هذا السيد الشريف المرسوم له من بيت المال ، ثلاثين ديناراً من الذهب العين[2] فى رأس كل شهر ، وهو خاتمة الشرفاء العظام بمدينة سبتة . ولهؤلاء الشرفاء بمدينة سبتة نحو الثلاثين قبراً ، فى روضتهم المنسوبة إليهم ، بالجانب الشرقى من رابطة الفصال . وهؤلاء الشرفاء من ذُرية أبى الطاهر الذى خرج من جزيرة صِقلية ، وكانت لهم بسبته وجاهة[3] وسياده ، وجلالة ومَجاده ؛ لمكان بيتهم الشريف ، ونسبهم العالى المنيف ؛ ما منهم واحد إلا غَذَاه العلمُ بلبانه ، والأدبُ ببيانه . وولِىَ منهم قضاء بلدهم سبتة رجلان ، لم يُطلِع مثلَهما المَلَوان ؛ تُقًى وعِلْماً ، وأناة وحِلْما ؛ أولهما القاضى أبو الشرف[4] رفيع ، والثانى ابنه القاضى أبو الحسن علىّ . وكم نشأ عن هذا الأصل الطاهر من جِهْبِذ نحرير ، وعالم ماهر ؛ وسخىّ جواد ، له إلى الإعطاء[5] ارتياح وإلى الكرم استناد[6] ؛ وناهيك بخاتمتهم أبى العباس المذكور .

دخل الشريف من مضرب الميناء وما كان ينفقه فيه

وكان فائد مَضْرِب[7] الميناء لهذا الشريف أبى العباس الحسينى ، دون أن يَشْرَكه غيره ؛ وكان له بمَضْرب أو يات يوم يضرب فيه ، و يومان لبيت المال ،

(١) رواية هذا البيت فى نفح الطيب :

دعها تسر فى الفيافى والقفار إلى أن تبلغ السؤل أو موتا بتجوال

وزاد بعده :

الموت أهون من عيش لدى زمن يعلى اللئيم ويدنى الأشرف العالى

(٢) فى ت : « ذهبا » .

(٣) فى ط : « وجهة » .

(٤) فى ط : « الشريف » .

(٥) فى ت : « العطا » .

(٦) فى ط : « استناح » وهو تحريف .

(٧) المضرب (كما هو ظاهر من السياق هنا) : سوق يتخذها حاكم الميناء لبيع مايستخرج من السمك ونحوه .

وكانت عادة عامل المَضارب ، الناظر فى فوائدها وما تحتاج إليه من نفقة وآلة ، أن يأمر رجاله وأعوانه ، حين يُقْعِد النَّواتِيَةُ الكيسَ ، بالوقوف إليه ، والدفاع عنه ، بعد أن يُحضر الشهود ، خَفْراً وضبطاً لما يحصُلُ من فائد[1] المضرب المالى فى يوميه[2] ؛ فإذا كان يوم [السَّيِّد[3]] الشريف يأمر رجاله وخدّامه وأعلاجه[4] الإسلاميين ، بإباحة المضرب للساكين ، وتفريق الحوت على من لا يصل إليه ، ممن يحضر متنزِّها ، إما لحفظ مروءة ، وإما لغير ذلك . ولا يزال الناظر من قِبَله ، وهو القائد فارح أحد أعلاجه ، واقفاً على حصانه ، وقد أحاطت به رجاله ، إلى أن يرْضى كلّ من يحضُر ، وما فضل عن ذلك فهو له . وأما السيد الشريف فلا يحضُر ، إذ همّته أرفع من ذلك ، وقدره أعظم ، ومكانته بسبتة مكانته ، بحيث
[٢٠] يأتى إليه فى الموضع الذى أعده لجلوسه برياضه الذى بالصفّارين صبيحة كل يوم صاحب القصَبة ، كائنا من كان ، مسلّما[5] عليه ، ثم ينصرف ، ثم يأتى الوالى على قبض الجباية مسلّما ، ثم ينصرف بعد تقبيل قدمه ، ثم يأتى صاحبُ الشرطة ، وكذا جميع أمراء سبتة ، إلا القاضى ، لمكان خُطَّته ، فيُعامِل كلاًّ بما يستحق من إكرام و إهانة ، و إغلاظ ومجاملة ، فلا يتخلّف أحد عن غرضه ، ولا يَصْدر إلا عن رأيه ونظره . وهذا كلّه مع النصيحة للمسلمين ، وجَلْب المنفعة لهم بالقول والفعل ، و إطعام الطعام الذى لا يقدر عليه الأمير فَمَنْ دونه ، ورَفْع المظالم ، ومنح الجاه ، إلى غير ذلك ، نفعه الله . فكان من حكمة الله عز وجل و بركة أهل البيت ،

(١) فى ط : « فوائد » .
(٢) فى ت : « فى يومه » .
(٣) زيادة عن ت .
(٤) أعلاجه : مواليه من غير العرب ؛ مفرده : علج (بوزن ملح) .
(٥) العبارة من « عليه » إلى « مسلما » : ساقطة فى ت .

وفضل الجود والكرم ومكارم الأخلاق ، وإيصال المنفعة للعباد ، أن يخرج فى اليوم الذى له بالمَضْرِب من الحوت ، أى نوع كان من الجارى ، أضعافُ ما يخرج فى اليومين ، ويحصل له من الفائد أكثر مما يحصل لمتولى النظر فيهما ، فيتصل[1] بيده من فائد يومه خَمْس مِئَةِ الدينار[2] وسَبع المِئَة ، وربما يزيد وينقص ؛ وقد انتهى فى بعض الأحيان إلى ألفى دينار فى اليوم ، حسبما يُسَنِّيه[3] الله عز وجل ؛ هذا بعد العادة التى عوَّدَهَا نفسَه النفيسة ، من الإيثار والبذل ، للسَّرِىّ والنذْل . ولم تكن له همّة ، رحمه الله ، فى احتكار المال وجمعه ، بل يصرف ذلك كلّه فى إطعام الطعام ، الخاصّ والعام ، وفى تشييد البُنْيان ، والإنفاق على الفَعلة والصُّنّاع والخدّام ، وآثاره ومَصانعه بداخل سبتة وخارجها شاهدة بذلك مدى الأيام ؛ وكم فى أثناء هذا التصرف من مُؤاساة فقير ، وإعانة ضعيف ، وإغاثة ملهوف ، برفع[4] لازم أو وظيف[5] ، حسبما هو معلوم معروف منقول .

حفاوة ملوك بنى مرين به

وكان ملوك بنى مَرِينَ يعتنون به أتم اعتناء ، ويبادرون إلى موافقة أغراضه ، وقبول شفاعته ، وما كان يتلقاه حين وروده على حَضْرتهم فاس إلا الملِكُ بنفسه ، إلى غير ذلك من مَناقبه رضى الله عنه ، ونفعنا به ، وبسلفه الطاهر .

سبب تعريف المؤلف بهذا الشريف

قلت : وإنما ذكرت التعريف بهذا الشريف الفيّاض ، تفاؤلا بالابتداء [٢١] به بعد عياض ، لأنى اشترطت أنى أخرج من الشىء إلى ما يناسبه ، فبدأت

(١) فى ت : « ويحصل » .
(٢) فى الأصلين : « الخمسمائة دينار ، والسبعمائة » .
(٣) يسنيه الله : يسهله وييسره .
(٤) برفع : بحمل .
(٥) يريد : « الوظيفة » وهى الراتب الجارى من الأرزاق ونحوها .

فى ذلك بهذا السيد الشريف ، الذى عظمت مَجادته[١] ، وكرمت مناسبه ، وزكت مآثره ، وعلت مناصبه[٢] ؛ والأعمال بالنيات ، والله يُبلغنا فى الدارين غاية الأُمنيات .

استيلاء العدو على سبتة

و بعد أن بلغت سَبته ما ذكرناه من أحوالها ، و بقيت مدة آمنة من شرور الدنيا وأهوالها ؛ وأَطْلعت فى سمائها نجوما ، كانت علومها[٣] للمردة رجوما[٤] ؛ كعياض المؤلَّف فيه هذا الكتاب ، وهؤلاء الشرفاء الذين لا يُمْترى فى فضلهم ولايرتاب ؛ و بنى العَزْفِيّ المشاهير ، الذين بَرَّزوا فى ميدان السَّبْق على الخاصة[٥] والجماهير ؛ وحازوا رياسة الدين والدنيا ، وفازوا بالمكانة السامية والمرتبة العليا ؛ وغيرهم ممن لايحصى كَثْره ، ممن كان لهم تقديم وأَثَره ؛ عدا عليها الدهر بعُدْوانه ، وسقط شَرفها من إيوانه ؛ واستولى عليها العدو الكافر ، فى قضية يطول شرحها ، وعظم على أهل الإيمان قَرْحها ، وأعضلَ أطباءَ الملوك إلى الآن جُرْحها ، ولم يزل بنفوس المؤمنين شَجْوها و بَرْحُها .

أخبرنى الفقيه الطيب العدْل الفَرَضِيّ ، سيدى أبو القاسم بن محمد الوزير الغسانى رحمه الله : أنه لما دخل سبته ، حين وجّهه أمير المؤمنين ، مولانا المنصور ، رحمه الله ، إليها ، فى شأن فِداء الكفّار المأخوذين بالغزوة الشهيرة ، ذهب إلى المدرسة التى كان بناها أحد ملوك بنى مَرِين رحمهم الله ، وأظنه أبا عِنَان[٦] ،

(١) فى ط : « مآثره » .
(٢) فى ت : « وهداه ومناصبه » .
(٣) فى ت : « علومهم » .
(٤) فى ت : « نجوما » .
(٥) فى ت : « الخواص » .
(٦) هذه العبارة : « وأظنه أبا عنان » ساقطة فى ت .

وهى من أجلّ المدارس وأعظمها ، فرأى فى محرابها ناقوساً وصليباً ، قال : فساءنى ذلك ، فرفعت بصرى فإذا كتابة بخطٍّ رائق ، فى تلك النقوش فوق ذلك الناقوس ، فيها قوله تعالى : « شَهِدَ ٱللهُ أَنَّه لاَ إِلٰه إِلاَّ هو وَٱلْمَلاَئِكة وأُولُو ٱلْعِلْمِ قائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيم ، إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْإِسْلاَم » . وكان ذلك الكَتْب قديماً فيها من جملة ما كتب المسلمون بها حين بنائها ، على ما جرت به عادة الملوك من كَتْب الآيات القرآنية فى النقوش بالزَّلِيج[1] والمرمر . قال لى رحمه الله : فتعجبت[2] من ذلك الاتفاق ، وسلاّنى ذلك بعضَ التسلى ، وإلى الله تُرْجع الأمور .

وكان أخذ سبتة ، أعادها الله ، سنة تسع عشرة وثمانِ مِئَة ، بعد ما استولى العــدو الكافر على معظم بلاد الأندلس ، مثل قُرْطبة ، ومُرْسية ، وطُلَيْطِلة ، وبَلَنْسية ، وغيرها ، مما يطول تَعْداده .

رثاء طليطلة

وقد قال بعض الشعراء حين أُخذت طُلَيطِلة ، وكانت من أول ما أُخذ من القواعد العظام ، يخاطب أهلَ الأندلس :

يأَهْل أندلسٍ شُدُّوا رحالَـكُم ... فمـــا المُقام بها إلا من الغَلَطِ
السِّلْك يُنْثَر من أَطْرافه وأَرى ... سِلْك الجَزيرة مَنْثُوراً من الوَسط
من جاوَر الشرَّ لا يأمن بَوائقه ... كيف الحياةُ مع الحيّات فى سَفَط [٢٢]

(١) الزليج : نوع من الخزف الفاخر الأملس ، تبلط به الأرض أو يلصق على الجدران للزينة ، وهو ما يسمى فى لسان العامة « القاشانى » . (عن مجلة المجمع الملكى للغة العربية) . وقد وردت هذه الكلمة فى نفح الطيب (ج ١ ص ٩٤) ، كما وردت فى صبح الأعشى (ج ٥ ص ١٥٦) مشروحة بما لايخرج عن هذا المعنى .

(٢) فى ت : « فعجبت » .

قصيدة الرندى فى رثاء الأندلس

ولله درّ الإمام العالم[١] العلّامة خاتمة أدباء الأندلس ، أبى الطيّب[٢] صالح ابن شريف الرُّندى [رحمه الله][٣] إذ قال يندُب بلاد الأندلس ، ويبعث العزائم ويحرّكها من أهل الإسلام لنصرة الدين ، وإنقاذ البلاد من يد الكافرين ، ولسان الحال ينشده « لقد أسمعت لو ناديت حيا » :

لكل شىء إذا ما تم نُقْصانُ ... قلا يُغَرَّ بِطِيب العيش إنسانُ
هى الأمورُ كما شاهدتَها دُوَلٌ ... من سَرَّه زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تُبْقِى على أحد ... ولا يَدُوم على حالٍ لها[٤] شان
يُمَزِّق الدهرُ حتماً كل سَابِغة ... إذا نبَت مَشْرَفِيّات وخِرصان[٥]
ويَنْتَضِى كلَّ سَيْفٍ للفَناء ولو ... كان ابنَ ذِى يَزَنٍ والغِمْدَ غُمْدان[٦]
أين المُلوك ذوو التِّيجان من يَمَن ... وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شدّاد فى إرم ... وأين ما ساسه فى الفُرْس ساسان
وأين ما حازه قارُون من ذهبٍ ... وأين عادٌ وشدّاد وقَحطان
أتى على الكلِّ أمرٌ لا مَرَدَّ له ... حتى قضَوْا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلْك ومن مَلِك ... كما حكى عن خَيال الطَّيْف وَسْنان
دارَ الزمان على دارا وقاتَلَهُ ... وأمَّ كِسْرى فما آواه إيوان[٧]

(١) فى ت : « الأديب » .
(٢) فى نفح الطيب : « أبى البقاء » .
(٣) زيادة عن ت .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « قوم بها » .
(٥) السابغة : الدرع الكاملة . والمشرفيات : السيوف المنسوبة إلى المشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف . والخرصان (بكسر الخاء) : الرماح ، الواحد : خرص .
(٦) سيف بن ذى يزن : من ملوك اليمن . وغمدان : قصره .
(٧) دارا : أحد ملوك الفرس .

كأنّما الصَّعبُ لم يَسْهُل له سَبَب ... يومًا ولا مَلَك الدنيا سُلَيمانُ

فَجائعُ الدهر أنواعٌ منوَّعة ... وللزمان مَسرّات وأحزان

وللحوادث (١) سُلْوان يُهَوِّنها ... وما لما حَلّ بالإسلام سُلْوان

دَهَى الجزيرةَ أمرٌ لا عَزاء له ... هوَى له أُحدٌ وانهدّ ثَهْلان (٢)

أصابها العَيْن فى الإسلام فارْتُزِئَتْ (٣) ... حتى خلتْ منه أقطار وبُلْدان

فاسأل بَلنسيَة ما شأن مُرْسِيَةٍ ... وأين شاطبة أم أين جَيّان

وأين قُرْطَبة دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شان

وأين حِمْص (٤) وما تَحْويه من نُزَهٍ ... ونهرها العَذْب فيّاض وملآن

قواعدٌ كُنَّ أركان البلاد فما ... عسَى البقاء إذا لم تَبْقَ أركان [٢٣]

تبكى الحنيفيّةُ البيضاء من أسفٍ ... كما بكى لِفراق الإلف هَيْمان

على ديارٍ من الإسلام خاليةٍ ... قد أسْلمت (٥) ولها (٦) بالكفر عمران

حيث المَساجد قد صارت كنائسَ ما ... فيهنّ إلا نواقيس وصُلْبان

حتى المحاريبُ تبكى وهى جامدةٌ ... حتَّى (٧) المَنابر تَرْثى وهى عِيدان

يا غافلاً وله فى الدهر مَوْعِظة ... إن كنتَ فى سِنَةٍ فالدهر يَقْظان

وماشياً مَرِحًا يُلْهِيه مَوطِنه ... أبعْدَ حِمْص تَغُرُّ المرءَ أوطان

---

(١) فى ت : « وللمصائب » .

(٢) أحد وثهلان : جبلان فى بلاد العرب .

(٣) كذا فى ت : ونفح الطيب . وفى ط : « فامتحنت » .

(٤) يريد بحمص : « إشبيلية » لأن الذين سكنوها عند الفتح كانوا من أهل حمص بالشام .

(٥) فى نفح الطيب : « أقفرت » .

(٦) فى ط : « فلها » .

(٧) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « حيث » .

تلك المُصيبة أنستْ ما تقدَّمها ... وما لها مع طُول الدهر نِسْيانُ
يأيها المَلِك البيضاء رايتُه ... أدْرِك بسَيْفك أهل الكفر لا كانوا[1]
يا راكبين عِتَاق الخيل ضامرةً ... كأنها فى مَجال السَّبْق عِقبان
وحاملين سيوف الهند مُرْهفةً ... كأنها فى ظلام النَّقْع نيران
وراتعين وراء البحر فى دَعةٍ ... لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطان
أعندكم نبأٌ من أهل أندلسٍ ... فقد سرى بحديث القوم رُكْبان
كم يستغيث بنو المستضعفين[2] وهم ... أسرَى وقتلى فما يهتزّ إنسان
ما ذا التقاطع[3] فى الإسلام بَيْنكُمُ ... وأنتمُ يا عبادَ الله إخْوان
ألاَ نفوسٌ أبيَّات لها هِمم ... أمَا على الخَيْر أنصارٌ وأعْوان
يا مَن[4] لذلة قوم بعد عزّهم ... أحال حالهم كفر[5] وطُغْيان
بالأمس كانوا مُلوكاً فى منازلهم ... واليوم هم فى بلاد الكُفر عُبْدان
فلو[6] تراهم حَيارى لا دليل لهم ... عليهمُ من ثياب الذلّ ألوان
ولو رأيتَ بُكاهم عند بَيْعهم ... لهالَك الأمرُ واستهوَتْك أحزان
يا رُبَّ أمٍّ وطفلٍ حِيل بينهما ... كما تفرّقُ أرواح وأبْدان

(١) هذا البيت ساقط من نفح الطيب .
(٢) فى ت : « بنا المستضعفون » .
(٣) فى ط : « التنافر » .
(٤) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « من ذا » .
(٥) فى ت : « قهر » .
(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « ولو » .

وطَفلةٍ ما رأتها الشمس إذْ[١] بَرزت كأنما هى يا قوتٌ ومَرْجانُ
يَقُودها العِلْج للمَكْروه مكرهةً والعين باكيةٌ والقلب حَيْران
لمثل هذا يذوب القَلْب من كَمَد إن كان فى القلب إسلام وإيمان

انتهى[٢].

[٢٤] وكان الشيخ [الإمام][٣] العلّامة الفقيه الوزير الكاتب أبو يحيى بن عاصم صاحب الشرح على تحفة أبيه، رحم الله الجميع، عند ما رأى اختلال أمر الجزيرة — أعادها الله — وأخْذ النصارى — دمرهم الله — لمعظمها، ولم يبق إذ ذاك بيد المسلمين إلا غَرناطة، وما يقرب منها، مع وقوع فتن بين ملوك بنى نَصْر حينئذ، ثم أفضى المُلْك إلى بعضهم، بعد تمحيص وأمور يطول بيانها، ألف كتابا سمّاه: «جَنة الرِّضَى، فى التسليم لما قدر الله وقضى»، وهو كتاب عجيب جدا غريب، رأيت بعضه بتِلِمْسان، ونقلت منه ما نصه:

ابن عاصم وبعض ما جاء فى كتابه عن انحلال أمر الأندلس

«مَن استقرأ التواريخ المنصوصة، وأخبار الملوك المقصوصة، علم أن النصارى — دمّرهم الله — لم يدركوا فى المسلمين ثارا، ولم يَرْحَضُوا[٤] عن[٥] أنفسهم عارا، ولم يخرّبوا من الجزيرة منازل وديارا، ولم يستولُوا عليها بلادا جامعة وأمصارا، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف، واجتهادهم فى وقوع الافتراق، بين المسلمين والاختلاف؛ وتَضْريبهم[٦] بالمكر والخديعة بين ملوك

(١) فى ت: «قد». ورواية هذا الشطر فى نفح الطيب:
«وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت»
(٢) أشار المؤلف فى نفح الطيب بعد ذكر هذه القصيدة إلى أنها قد زيد عليها أبيات أخر ليست منها، وأنه نقلها على هذه الصورة عمن يوثق به وليس فيها تلك الزيادة.
(٣) زيادة عن ت.
(٤) كذا فى نفح الطيب، ورحض: غسل. وفى الأصلين: «لم يدحضوا».
(٥) فى ت: «على».
(٦) كذا فى ت: ونفح الطيب. وفى ط: «وتصريفهم».

الجزيره ؛ وتحريشهم بالكيد والخلابة بين حُماتها فى الفتن المُبيره ؛ ومهما كانت الكلمة مؤتلفه ، والأهواء لا مفترقة ولا مختلفه ، والعلماء بمعاناة اتفاق القلوب إلى الله مزدلفه ؛ فالحرب إذ ذاك سِجال ، ولله فى إقامة الجهاد فى سبيله رجال ، وللمانعة[١] فى غرض المدافعة[٢] ميدان رحب ومجال ، ورَوِيَّة وارتجال .

ثم قال : وتطاولت الأيام ما بين مهادَنة ومقاطعه ، ومضاربة ومقارعه ، ومُنازلة ومنازعه ، وموافقة وممانعه ، ومحاربة وموادعه ؛ ولا أمل للطاغية إلا فى التمرُّس بالإسلام والمسلمين ، وإعمال الحيلة على المؤمنين ، وإضمار المكيدة للموحّدين ، واستبطان الخديعة للمجاهدين ؛ وهو يظهر أنه ساع للوطن فى العاقبة الحسنى ، وأنه منطو لأهله على المقصد الأسنَى ؛ وأنه مُهْتَمٌّ بمُراعاة أمورهم ، وناظِر بنظَر المصلحة لخاصّتهم وجُمْهورهم ؛ وهو يُسِرُّ حَسْوًا فى ارتغائه[٣] ، ويُعْمِل الحيلةَ فى التماس هُلْك الوطن وابتغائه . فتبًّا لعقول تقبل مثل[٤] هذا المُحال ، وتُصَدِّق هذا الكذب بوَجْه أو بحال[٥] ؛ وليْت المَغْرور الذى يقبل هذا لو فكّر فى نفسه ، وعَرَض هذا المسموعَ على مُدْركات حِسّه ، وراجع[٦] أوّليات عقله وتجريبات[٧] حَدْسه ، وقاس عدوَّه الذى لا تُرجى مودّته على أبناء جنسه ؛ فأنا [٢٥] أُناشده[٨] الله ، هل بات قطُّ بمصالح النصارى وسلطانهم مُهْتَمًّا ، وأصبح من خَطْبِ طَرَقهم مُغْتمًّا ؛ ونظر لهم نظرَ المفكِّر فى العاقبة الحسنه ، أو قَصَد لهم قَصْد

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وللمبالغة » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الموافقة » . وهو تحريف .
(٣) الحسو : شرب السائل شيئا بعد شىء . والارتغاء : احتساء الرغوة . وهذا مثل يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره ، أو لمن يظهر طلب القليل وهو يسر أخذ الكثير .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « تقبل هذا المحال » .
(٥) فى ط : « حال » .
(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « ورجع » .
(٧) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « تجربات » .
(٨) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « أنشده » .

المدبِّر فى المعيشة[١] المستحسنه ؛ أو خطر على قلبه أن يحفظ فى سبيل القُرْبة[٢] أربابَهم وصُلْبانَهم ، أو عَمر ضميره من تمكين عِزّهم بما ترضاه أحبارُهم ورُهْبانهم ؛ فإن لم يكن ممن يَدين بدِينهم الخبيث ، ولم يُشْرَب قَلْبُه حُبّ التَّثْليث ؛ ويكون صادق اللهجة ، مُنْصِفا عند قِيام الحُجّة ؛ فسيعترف أن ذلك لم يَخْطُر له قَطُّ على خاطر ولا مَرّ له ببال ، وأنّ عكسَ ذلك هو الذى كان به ذا اُغتباط وبفعله ذا اُهْتِبال[٣] ، وإن نُسِب لذلك المعنى[٤] ، فهو عليه أثقل من الجبال ، وأشدّ على قلبه من وقْع النِّبال ؛ هـذا وعَقْدُه[٥] التوحيد ، وصَلَاته التحميد ؛ ومِلّته الغرّاء ، وشريعته البيضاء ؛ ودِينُه الحَنِيف القَويم ، ونَبِيّه الرءوف الرحيم ، وكتابه القرآن الحكيم[٦] ، ومَطْلوبه بالهداية الصراطُ المستقيم ؛ فكيف نعتقد هذه المزيّة الكُبرى ، والمَنْقبة الشُّهْرى ؛ لمن عَقْدُه التَّثليث ، ودينه المَليث[٧] ؛ ومعبوده الصَّليب ، وتَسْميته التَّصْليب ؛ ومِلّته المَنْسوخة ، وقضيّته المفسوخة ؛ وخِتانه التَّغْطيس ، وغافر ذَنْبه القِسِّيس ؛ وربُّه عيسى المسيح ، ونَظَرُه ليس البيِّن[٨] ولا الصحيح ، وأن ذلك الربّ قد ضُرِّج بالدماء ، وسُقِى الخل عِوَضَ الماء ؛ وأنّ اليهود قد[٩] قتلته مَصْلوبا ، وأدركته مطلوبا[١٠] ، وقهرته[١١]

(١) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « العيشة » .
(٢) كذا فى ت ونفح الطيب . والقربة : التقرب . وفى ط « الغربة » .
(٣) الاهتبال : تحين الشىء واغتنامه .
(٤) كذا فى نفح الطيب ، وفى ط : «وإن نسب ذلك لا لمعنى» . وفى ت : « وإن نسب ذلك المعنى » . وما أثبتناه أولى بالسياق .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وعظه » .
(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « العظيم » .
(٧) مليث : مختلط أمره . يقال : رأس مليث إذا اختلط شعره الأبيض بالأسود .
(٨) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « لا أبين » .
(٩) هذه الكلمة : « قد » ساقطة فى ت ونفح الطيب .
(١٠) هذه العبارة « وأدركته مطلوبا » ساقطة فى ت .
(١١) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « وقتلته » .

مغلوبا ؛ وأنه جَزِع من الموت وخاف ، إلى سِوَى[١] ذلك مما يُناسب هذه الأقاويل السِّخاف ؛ فكيف يُرْجَى من هؤلاء الكَفرة من الخير مثقال[٢] الذَّرَّة ، أو يُطْمَع[٣] منهم فى جَلْب المنفعة أو دفع المضرّة ؛ اللهم احفظ علينا العقلَ والدين ، واسلُك بنا سبيلَ المهتدين » . انتهى .

ومنه أيضاً ما نصه :

« كانت خِزانةُ هذه الدار النَّصْرية[٤] ، مشتملة على كل نَفيسة من الياقوت ، ويتيمة من الجوهر ، وفريدة من الزُّمُرُّد ، وثمينة من الفَيْرُوزج ، وعلى كل واقٍ من الدُّروع ، وحامٍ من العُدَّة ، وماضٍ من الأَسْلحة ، وفاخر من الآلة ، ونادر من الأمتعة ، فمن عُقود فَذَّة[٥] ، وسُلوك جَمَّة ، وأقراط تُفضَّل على قُرْطَىْ
[٢٦] مارِيَة[٦] ، نفاسة فائقة ، وحُسْناً رائقاً ، ومن سيوفٍ شواذٍّ فى الإبداع ، غرائب فى الإعجاب ، مَنسوبات[٧] الصفائح فى الطَّبْع ، خالصة[٨] الحَلْى من التِّبْر ؛ ومن دُروع مُقَدَّرة[٩] السَّرْد ، متلاحمة النسج ، واقية للبأس[١٠] فى يوم الحرب ، مشهورة النِّسبة إلى داود نبىّ الله ؛ ومن جَواشِنَ[١١] سابغة اللِّبْسة ، ذهبيّة الحِلْية ،

---

(١) فى ت : « غير » .
(٢) فى نفح الطيب : « مقدار » .
(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « يطلب » . وهو تحريف .
(٤) النصرية : نسبة إلى بنى نصر ، وهم بنو الأحمر أصحاب غرناطة .
(٥) فى هامش نفح الطيب : « عدة » .
(٦) هى مارية بنت ظالم بن وهب الكندية ، زوجة الحارث الأكبر الغسانى ؛ وكان فى قرطيها لؤلؤتان عجيبتان ضربت العرب بنفاستهما المثل .
(٧) معروفة بصانعيها .
(٨) فى ت ونفح الطيب : « خالصات » .
(٩) فى ط : « المقدودة » ، وهو تحريف .
(١٠) فى ط ونفح الطيب : « للناس » .
(١١) الجواشن : الدروع .

هندية الضَّرب ، دِيباجيَّة الثوب ؛ ومن بَيْضات عسجدية الطوق[١] ، جوهرية التنضيد[٢] ، زَبَرجدية[٣] التقسيم ، ياقوتية المركز ؛ ومن مَناطِقَ لُجَيْنيّة الصوغ ، عَريضة[٤] الشكل ، مُزَجَّجة[٥] الصَّفْح ؛ ومن دَرَق لَمْطِيَّة[٦] ، مُصْمتة المسامّ ، ليّنة المَجسّة ، معروفة المَنْعَة ، صافية الأديم ؛ ومن قِسِيّ ناصعة الصِّبْغة ، هلاليـة الخِلقة ، منعطفة الجوانب ، زَارِية بالحواجب ، إلى آلات فاخرة ، من أَتْوَار[٧] نُحاسيّه ، ومناوِرَ[٨] بِلَّوريه ، وطيافير[٩] دِمَشْقيه ، وسُبحات[١٠] زُجاجيه ، وصِحاف صِينيه ، وأكواب عِراقيه ، وأقداح طباشِيريه[١١] ، وسِوى

(١) فى نفح الطيب طبع مصر : « الطرق » .
(٢) فى ط : « التنضيض » وهو تحريف .
(٣) كذا فى ت : ونفح الطيب . وفى ط « يجردية » وهو تحريف .
(٤) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « عرضة » . وهو تحريف .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « فرجية » وفى ط « برعمة » .
(٦) نسبة إلى لمطة مدينة من المغرب الأقصى ينسب إليها الدرق ، لأنهم ينقعون الجلود فى الحليب سنة ، فيعملونها ، فينبو عنها السيف القاطع .
(٧) كذا فى ت . والأتوار : آنية يشرب فيها ، وأحدها تور . وفى نفح الطيب : « أوتار » . وفى ط : « أتواق » ولا معنى لهذه الأخيرة .
(٨) المناور : جمع منارة ، وتجمع على منائر ومنارات . وهى مايوضع عليه السراج . وقد ذكرها دوزى نقلا عن أبى إسحاق الشيرازى فى عبارة نصها : «فى آنية مختلفة الأعلى والأوسط والأسفل كالأباريق والأسطان الضيقة الرءوس والمنارات (المنائر) » .
(٩) الطيافير : كلمة مولدة لم ترد فى معاجم اللغة . وذكرها دوزى فى كتابه تكملة المعاجم العربية : « وهى أطباق مستديرة عميقة ، قاعها مستو ، وحافاتها مرتفعة نحو ثلاث بوصات أو أربع ؛ الواحد : طيفور ، ويقال فيه «تيفور» وتجمع أيضا على طيافر وطوافير» . وقد وردت أيضا ضمن عبارة فى صبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٠٥) هذا نصها : « فيمد لهم السماط ثرائد فى جفان حولها طوافير ، وهى المخافى ، فيها أطعمة ملونة منوعة » . وظاهر من عبارة صبح الأعشى أنها آنية ذوات أغطية .
(١٠) كذا فى الأصلين ونفح الطيب . والسبحات : جمع سبحة ، وهى خرزات تنظم فى خيط للتسبيح ، وهى مولدة . وذكرها هنا بين أسماء آنية الطعام ووصفها بالزجاجية ، يشعر بأنها محرفة عن لفظ آخر .
(١١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين ورواية أخرى فى نفح الطيب : « طباشرية » ، ولعل المراد بالطباشير هنا : مادة خزفية أو نحوها .

ذلك مما لا يُحيط به الوَصْف ، ولا يَستوفيه العَدّ ؛ وكل ذلك أَلْهَبَه[١] شُواظُ[٢] الفِتْنة ، والتقمه تَيَّار الخِلاف والفُرْقه ؛ فَرُزِئت الدار منه بما يتعذَّر إتيان الدهور بمثله ، وتَقْصر ديار الملوك المؤثِّلة النِّعْمة عن بعضه فضلا عن كُلّه » . انتهى .

وسنذكر من كلامه رحمه الله بعد هذا ، زيادة على ما جلبناه الآن ، والله المستعان .

ذكر غرناطة

وكانت غَرْناطة منتهى الآمال ، ووُسْطَى قِلادة الأمصار ، ولم تزل محاسنها مَجْلُوَّة على مَنصّة الدهور والأعصار . وقد استولى[٣] وصفَها لسانُ الدين الوزير أبو عبد الله بن الخطيب فى كتاب الإحاطة ، ويرحم الله القائل :

غَرْناطةٌ ما لهـــا نَظير ما مِصْرُ ما الشّامُ ما العراق ؟
ما هِيَ إلا العروسُ تُجْلَى والأرض من جُملة الصَّداق[٤]

تقريظ لابن عاصم على كتاب الإحاطة

قال الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن [أحمد بن[٥]] الحدَّاد الشهير بالوادى آشى ، نزيل تِلِمْسان :

كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال ، الفائقة الكمال ، من الإحاطه ، فى تاريخ غَرناطه ، المُحْبَسة على المدرسة اليُوسُفيه ، من الحضرة العَلِيّه[٦] ، بخط قاضى الجماعه ، ومنفِّذ الأحكام الشرعيّة المُطاعه ، صَدْر البلغاء ، وعَلَم العلماء ، ووحيد الكبراء ، وأصيل الحُسباء ، الوزير الرئيس المعظّم أبى يحيى بن عاصم ، رحمة الله عليه ، ما نَصُّه : [٢٧]

(١) كذا فى إحدى روايتى نفح الطيب . وفى الأصلين ورواية أخرى بنفح الطيب « التهبه » . ولم يرد هذا الفعل متعديا فى كتب اللغة . ولعله محرف عن « التهمه » .
(٢) الشواظ : لهب النار .
(٣) يريد : « تولى » . ولم يرد فى المعاجم « استولى » متعديا إلا بالحرف .
(٤) رواية الشطر الثانى من البيت فى نفح الطيب : « وتلك من جملة الصداق » .
(٥) زيادة عن الإحاطة .
(٦) فى ط : « العالية » .

« الحمد لله ، الاستدلالُ بالأثر على المؤثِّر مما سَلَّمه الأعلام ، وشهدت به العقول الراجحة والأحلام ؛ وهو الحُجَّة المُعْتمدَة حين تتفاضل الألباب ، وتتقاصر الأفهام ، و به الاستمساك إنْ طَرَقَت الشكوك ، أو عرضت الأوهام . وحسْبُك بما يُسَلَّم فى هذا المقام المتعالى من الأدله ، وما يُعتَمد فى هذا المجال المتضايق من البراهين المستَقِلّه ؛ فحقيق أن يُتلَقَّى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفنّ المشار إليه بالقَبول ، و يُسْتَقبَلَ المُهْتَدِى لاستنباطه لما فيهَ من التَّبادر إلى الأفهام والتسابق للعقول ؛ و إذا ثبت أن المستدلّ بهذه الأدلة سالك على سواءِ سبيل ، ومنتمٍ من صحة النظر إلى أكرم قَبيل ، فلا خفاء أن كتاب « الإحاطة » للشيخ الرئيس ذى الوزارتين[1] أبى عبد الله بن الخطيب رحمهُ الله ، من أثر هذه الدولة النّصْرية — أدامها الله — بكل اعتبار ، ومآثِرِها التى هى عبرة لأولى الألباب ، وذكرى لأولى الأبصار .

أما الأول فلأن الأنبـاء التى أظهرت صحتها[2] ، وأوضحت حجّتها ، وشرّفت مَقصِدَها ، وكرّمت مَصـعَدَها ، إنما هى مَناقب ملوكها الـكِرام ، ومكارم خُلفائهـا الأعلام ، وأخبار[3] من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور حَملة السيوف والأقلام ؛ وأفذاذ حفظة الدين والدنيا ، والشرف والعَلْيا ، والمُلْك والإسلام ؛ أو ما يرجع إلى مفاخر حضرة المُلْك ، ويُنْظَم[4] نظم الجُمان[5] فى ذلك السِّلك ، من حَصانة قَلْعتها ، وأصالة[6] مَنْعَتها ؛

(١) فى ط : « ذى الوزارة » . وهو تحريف .
(٢) فى ت : « ظهرت بهجتها » .
(٣) فى ت : « أو أخبار » .
(٤) فى ت : « ينتظم » .
(٥) فى ت : « الجمال »
(٦) فى ط : « وأصانة » . وهو تحريف .

وقَدِيم اختطاطها ، وكريم جهادها ورباطها ؛ وحُسْن ترتيبها ووَضْعها ، وما اشتمل عليه من مقاصد الأنس أهلُ رَبْعها ؛ وما سوى هذه الأقسام الثلاثة فمن قَبيل القليل ، ومما يرجع إلى شرف الحضرة ، ممن انتابها[١] من أهل الفضل الواضح والمجد الأثيل .

وأما ثانياً فإن راسم آياتها المتلوه[٢] ، ومُبدع محاسنها المجلُوّه ، وناقل صورتها من الفِعل إلى القوه ، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمه ، ونشأة[٣] من نَشَآت جودها الشامل النعمه ، الهامل الديمه ؛ فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف ، على الإنصاف ، فأخلاف[٤] هذه المكارم النَّصْرية أرضعته ، وعنايتها الجميلة أَسْمته ، فوق الكواكب ورفعته ؛ وإليها ينسب إحسانه إن انتسب ، [٢٨] ومن كريم تشريفها اكتسب ، من الفضل الظاهر ما اكتسب . والحضرة هى منشؤه الذى عظم فيه قدره ، بل أُفقه[٥] الذى أشرق فيه بدره ؛ والتشريفات السلطانية هى التى فَتَقَتِ اللَّهى باللُّهى[٦] ، وأحلّت من مراقى العزّ فوق السُّهَا[٧] ؛ وأمكنت الأيدى[٨] من الذّخائر والأعلاق ، وطوقت المِنن كالقلائد فى الأعناق ؛ وقلّدت الرياسةَ والأقلامُ أقلام ، وثنت الوزارةَ والأعلامُ أعلام ؛ فبهرت أنواعُ المحاسن ، وورد معين البلاغة غير المَطْروق ولا الآسن ؛ وبَرَعَتِ التواليف ، فى الفنون المتعدده ، واشتهرت التصانيف ، ومنها هذا التصنيف المشار إليه ، لما له

(١) كذا فى ط . وانتابها : قصدها . وفى ت : « انتهى بها » .
(٢) فى ط : « المتامرة » . وهو تحريف .
(٣) النشأة : السحابة الناشئة
(٤) الأخلاف : جمع خلف ، وهو من ذوات الخف بمنزلة الثدى للإنسان .
(٥) فى ط : « بالفقه » وهو تحريف .
(٦) اللهى (بالفتح) : جمع لهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق ، واللهى (بالضم) : جمع لهية ، وهى العطية .
(٧) السها : كوكب خفى من بنات نعش ، ويضرب به المثل فى العلو والارتفاع .
(٨) فى ط : « الأيادى » .

من الأذمّة المتأكده . وإذا [١] ظهر هذا الاستدلال ، وأوضح البيان ما كتمه الإجمال ، فلنفصح [٢] الآن بما قَصَد ، ولنحقق من أنجُم السعادة ما رَصَد ، وذلك أن لمولاى [٣] أمير المؤمنين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، الغالب بالله ، المؤيد بنصره أبى عبد الله ، محمد بن الخلفاء النَّصْريين — أيده الله ونصره ، وسنَّى له الفتح المبين ويسّره — مآثرَ لم يُسبق إليها ، ومكارمَ لم يَجْرِ أحد ممّن وُسِم بالكرم عليها ، لجلالة قدرها ، وضخامة أمرها ؛ من ذلك هذا القَصْد الذى آثرها كالكتاب المذكور وسواه ، مما هو واحد وفَذٌّ [٤] فى معناه ؛ عَقَد فى جميعها التحبيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العلية [٥] هنالك ، ليشمل به الإمتاع ، ويعم به الانتفاع ؛ والله ينفع بهذا القَصْد الكريم ، ويتولّى المثوبة على هذا العَقْد الجسيم .

وهذه النسخة فى اثنى عشر سِفْرا ، متفقة الخط والعمل ، اكْتُتِب هذا على ظهر الأول منها بتاريخ [٦] رجبٍ الفَرْد ، عام تسعة وعشرين وثمَانِ مِئَة ، عرف الله بركته بمنّه ، آمين [٧] » . انتهى .

نبذة من كتاب الروض لابن عاصم عن ابن يوسف

وقال الوزير أبو يحيى بن عاصم المذكور ، قدّس الله روحه الطيبه ، وسقى [٨] مثواه غيثَ رحمته الصيّبه ، فى كتابه المسمى بـ « الروض الأريض [٩] » ، فى ترجمة شموس العصر ، من ملوك بنى نصر » ، فى اسم الغنى بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل ابن فرج بن نصر الخزرجىّ ، بعد كلام ما نصه :

(١) فى ط : « إذا » بدون واو .
(٢) فى ت : « فالنصح » .
(٣) فى ت : « لمولانا » .
(٤) فى ت : « ... واحد فى فنه وفى معناه » .
(٥) فى ط : « العليا » .
(٦) فى ط : « وبتاريخ » .
(٧) هذه الكلمة « آمين » ساقطة فى ت .
(٨) فى ط : « وسقاه غيث » .
(٩) بقية الإسم فى نفح الطيب : « فى تراجم ذوى السيوف والأقلام والقريض » .

« كان قد جرى عليه التمحيص الذى أزعجه عن وطنه ، إلى الدار البيضاء بالمغرب من إيالة بنى مَرِين ، فأفادته الحُنْكةُ والتجربة هـذه السيرة التى وقف شيوخنا على حقيقتها ، وانتهجوا واضح طريقتها ، و بلغَتْنا منقولة بألسنَة صدقهم ، [٢٩] معبَّراً عنها فى عرف التخاطب بالعادة ، فلم يكن الوزير الكيّس ، والرئيس الجِهْبذ يجريان من الاستقامة على قانون ، ولا يَطَّردان من الصواب على أسلوب ، إلا بالمحافظة على ما رَسم من القواعد ، والمطابقة لما ثَبَّت[١] من العوائد ؛ وكان ذوو النُّبل من هذه الطبقة ، وأولو الحِذْق من أرباب هذه المهن السياسية ، يتعجبون من صحة اختياره لما رسم ، وجودة تمييزه لما قعّد ، ويرون المَفسدة بالخروج[٢] عنها ضربةَ لازب[٣] ، وأن الاستمرار على مَراسمها آكدُ[٤] واجب ؛ فيتحرَّونها بالالتزام كما تُتَحَرَّى السُّنن ، ويتوخَّونها بالإقامة كما تُتَوَخَّى[٥] الفرائض ، وسواء تبادر لهم معناها ففهموه ، أو خفى عليهم وَجْه رَسْمها فجهلوه » .

مثل من حرص ابن الخطيب على العوائد

حدثنى شيخُنا القاضى أبو العبّاس أحمد بن أبى القاسم الحسنى :

أن الرئيس أبا عبد الله بن زَمرك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب يستأذنه فى جملة مسائل ، مما يتوقف[٦] عادة على إذن الوزير ، وكان معظمها فيما يرجع إلى مصلحة الرئيس أبى عبد الله . قال الشريف : فأمضاها كلَّها له[٧] ، ما عدا واحدة منها تضمّنت نقض عادة مستمرة ، فقال له ذو الوزارتين

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « أثبت » .
(٢) فى ط : « فى الخروج » .
(٣) فى ط : « لازم » .
(٤) فى ط : « واكد » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين « تقام » .
(٦) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « توقف » ،
(٧) هذه الكلمة : « له » ساقطة فى ت .

[ابن الخطيب][1] : لا والله يا رئيس أبا عبد الله ، لا آذن لك فى هذا ، لأنّا ما استقمنا فى هذه الدار إلا بحفظ العوائد .

اضطراب أمر الأندلس بالخروج على القواعد

[ثم][2] قال صاحب الروض :

فلما تأذّن الله [تعالى][3] للدولة بالاضطراب ، واستحكم الوهْن بتمكن الأسباب ؛ عُدِل عن هذه القواعد[4] الراسخة ، واستُخِفّ بتلك القوانين[5] الثابتة ؛ فنشأ من المفاسد ما أعوز رَفْعُه ، وتعدّد وِتْره وشَفْعه ، واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه ، وتعذّر فيه الدواء الذى يُرْجى نفعه ؛ وكان قد صَحِبه من الجد ما سنّى آمالَه ، وأنجح — بإذن الله — أقواله وأعماله ؛ فكان يُجرى الأمر على رَسْم من السياسة واضح ، ونظر من الآراء السديدة راجح ؛ ثم يَحفّه[6] من الجد سياج لايفارقه ، إلى تمام الغاية المطلوبة من حصوله ، وتمكن مقتضى الإرادة السلطانيّة من فروعه وأصوله .

انتهى كلام ابن عاصم ، وإنما أتيت به لغرابته .

وصف البكرى للأندلس

وقال أبو عبيد البكرىّ رحمه الله :

« الأندلس شامية فى طيبها وهوائها ، يمانيَة فى اعتدالها واستوائها ، هندية [٣٠] فى عطرها وذكائها ، أهوازية فى عظم جبايتها ، صينية فى جواهر معادنها ، عدنية فى منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة لليونانيين »[7] .

(١) زيادة عن نفح الطيب .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) زيادة عن نفح الطيب .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : تلك « العوائد » .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « القواعد » .
(٦) كذا فى ت . وفى ط : « يحبه » .
(٧) لكلام أبى عبيد البكرى بقية ذكرها المؤلف فى نفح الطيب (ج ١ ص ٦٤ طبعة المطبعة الأزهرية) .

وصف ابن الخطيب للأندلس

وقال ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب :

خص الله بلاد الأندلس من الرَّبيع ، وغَدق السُّقيا ، ولذاذة الأقوات ، وفراهة الحيوان ، ودُرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبَحُّر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وابيضاض ألوان الإنسان[١] ، ونبل الأذهان ، وقبول الصنائع ، وشهامة الطباع ، ونفوذ الإدراك ، وإحكام التمدن والاعتمار ، بما حرمه[٢] الكثير من الأقطار ، مما سواها .

ثم قال : وحديث الفتح ، وما فتح الله على الإسلام من المَنْح ، وأخبار ما أفاء الله من خير ، على موسى بن نُصير ، وكتب من جهاد ، لطارق بن زياد ، تَمْلول قُصّاص وأوراق ، وحديث أُفُول وإشراق ، وإرعاد وإبراق ؛ وعَظْم[٣] أمتشاش[٤] ، وآلة مُعَلّقة فى دُكّان قَشّاش[٥] . انتهى .

أبو يوسف المرينى ودن جانجه ، ومثل من عز الإسلام

ولا خفاء بما كان لملوك المسلمين بالأندلس والعُدوة على النصارى — دمَّرهم الله — من الاستطالة والغلبة ، حتى وقع التخاذل والتدابر ، فانعكس الأمر . وقد حكى غير واحد أن دُن جانجه[٦] بن دُن ألفُنْش ، استنصر على أبيه بالسلطان المجاهد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المَرينى ، ولاذ به ، ورَهن عنده تاجَه[٧] ذخيرةَ النَّصارى ، ولقيه بصخرة عَبّاد ، من أحْواز رُنْده ، فسلّم عليه ،

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الأسنان » .
(٢) فى ت : « أحرمه » .
(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « وأعظام » .
(٤) امتشاش العظم : مصه ممضوغا لاستخراج ما فيه . يريد أن الحديث فى هذا مفروغ منه كالعظم الذى امتش ، فلم يبق فيه شىء .
(٥) القشاش : الذى يبيع القديم البالى من سقط المتاع . (عن دوزى)
(٦) كذا فى ط . وفى الاستقصا للسلاوى (ج ٢ ص ٢٧ طبع مصر) : « شانجة » وفى ت : « تجانجة » . ثم إن السلاوى ذكر أن المستنصر هو هرانده أبو شانجه . على العكس مما ساق المؤلف هنا .
(٧) فى ط : « تاج » .

ويقال إن أمير المسلمين[١] لما فرغ من ذلك، طلب بلسان زَناتةَ[٢] الماء، ليغسل يده به من قُبْلة ألفُنْش، أو مصافحته[٣].

تعقيب لابن الخطيب على قصة أبى يوسف

ابن الخطيب :

« والشىء يذكر بالشىء، فأُثْبِتُ حكاية اتفقت لى بسبب ذلك، أستدعِى بها الدعاء ممن يحسن عنده موقعها، وهى أن اليهودىّ الحكيم ابن زَرْزار، على عهد مَلِك النصارى، حفيد هذا ألفنش المذكور، وصل إلينا بغَرناطة فى بعض حوائجه، ودخل إلىّ بدار سكناى، مجاوراً لقصر السلطان بحمراء غرناطة، وعندى القاضى اليوم بغرناطة وغيره من أهل الدولة، و بيده كتاب من سلطان المغرب محمد بن أبى[٤] عبد الرحمن بن السلطان الكبير المولى أبى الحسن، وكان محمد هذا قد فرّ إلى صاحب قَشْتَالة، واسْتُدْعِىَ مِن قِبَلِهِ إلى المُلْك، فسَهَّل له ذلك، وشرط عليه ما شاء؛ ور بما وصله خطابه بما لم [٣١] يُقنعه فى إطرائه، فقال [لى[٥]]: مولاى السلطان دُنْ بطره يُسلِّم عليك، و يقول لك: أُنظر مخاطبة هذا الشخص، وكان بالأمس كلباً من كلاب بابه، حتى ترى خَسارة الكرامة فيه. فأخذت الكتاب من يده، وقرأته وقلت له: أبلغه عنى أن هذا الكلام ما جَرَّك إليه إلا خُلُوُّ بابك من الشيوخ، الذين يُعَرِّفونك بالكلاب و بالأسود، و بمن تُغْسَل الأيدى منهم إذا قَبَّلوها، فتعلم مَن الكَلْب الذى تُغْسَل اليد منه، ومَنْ لا، وأنَّ جَدَّ هذا الولد هو الذى قَبَّل جَدُّك يده،

(١) فى ط: « المؤمنين ».
(٢) فى ط: « الزناتية ».
(٣) فى ت: « ومصافحته ».
(٤) كذا فى ت والاستقصا. وفى ط: « محمد بن عبد الرحمن » وهو تحريف.
(٥) زيادة عن ت.

واستدعَى الماءَ لغسل يده منه بمحضَر النصارى والمسلمين ؛ ونِسبة الجدّ إلى الجدّ كنسبة الحفيد إلى الحفيد ؛ وكونه لجأ إلى بلادك ليس بعار عليه ، وأنت مُعَرَّض إلى اللَّجَإِ إليه ، فيكافئُك بأَضعاف ما عاملته[1] به . فقام ابن الحسن المستقصى يبكى ، ويُقبِّل يدى ، ويَصِفُنِي بولىّ الله ، وكذلك مَنْ حضرنى . وتوجَّه إلى المغرب رسولا ، فقصَّ على بنى مَرِينَ خبر ما شاهده منى وسمعه ؛ وبالحضرة اليوم ممن تلقى منه ذلك كثير ، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه » . انتهى .

بعض ما كتب فى استنهاض الهمم ضد النصارى

ولما تقلَّص ظل[2] الإسلام بالجزيرة ، أعادها الله للإسلام ، واسترد الكفار ، دمرهم الله ، أكثرَ أمصارها وقراها ، على وجه العَنْوة والصلح والاستسلام ، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحركون حميّات[3] ذوى البصائر والأبصار ، ويستنهضون عَزَماتهم من كل الأمصار .

لابن زمرك

فمن ذلك ما كتب به الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن زَمْرك رحمه الله لما نزل المسلمون بآخر مَرْج غرناطة ، متوجهين لفتح خير :

« اعلموا أنا نَذْكر لكم ما لا يغيب عن أديانكم وأحسابكم ؛ إن هذا الجهاد وليمة دعا الله عباده إليها ، وحَضَّهم عليها ؛ فالآيات فى المصاحف مسطوره ، والأحاديث مشهوره ؛ لبيع النفوس فيها من الرحْمن ، وبذل المهج رغبة فى حصول ثواب الملك الدَّيَّان ، ينزِّل الله فيها الملائكة المسوَّمين . وتفرح الحُور العِين ، وتَسِح الرحمةُ من رب العالمين ، ويباهى الله ملائكته[4] بالمجاهدين ؛ وقد

(١) فى ط : « ما عملته » .
(٢) فى ط : « ذيل » .
(٣) فى ط : « حماة » .
(٤) فى ت : « اللائكة » .

تضافرت على ذلك النصوص ، وكفى شرفاً الفوز بمحبة الله فى قوله (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ؛ فينبغى فيه الاستغفار من سالف الذنوب ، وتطهير السرائر والقلوب ، واجتماع الأيدى [٣٢] والكلمة فى مَرْضات عَلَّام الغيوب » .

لابن الخطيب

وأبلغ منه ما كتب به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب فى الحث على الجهاد ، والترغيب فيه ، وهو :

«أيها الناس ، رحمكم الله ، إخوانكُم المسلمون قد دَهِمَ العدو — قَصَمَهُ الله — ساحتهم ، ورام الكفر — قَبحَه الله — استباحتهم ؛ وزحفت أحزاب الطواغيت عليهم[١] ، ومد الصَّليب ذراعيه إليهم ؛ وأيديكم بعزة الله أقْوَى ، وأنتم المؤمنون أهلُ البر والتقوى ؛ وهو دينكم فانصُرُوه ، وجِواركم القريب فلاتُخْفِرُوه ، وسبيل الرُّشْد قد وضح فلتبصروه . الجهادَ الجهادَ ، فقد تَعَيَّن ؛ الجارَ الجارَ ، فقد قرر الشرع حقه وبَيَّن ؛ اللهَ اللهَ فى الإسلام ، اللهَ اللهَ فى أُمة محمد عليه السلام ؛ اللهَ اللهَ فى المساجد المعمورة بذكر الله ، اللهَ [اللهَ فى[٢]] وطن الجهاد فى سبيل الله ؛ قد استغاث بكم الدين فأَغيثوه ، قد تأكّد عهدُ الله وحاشاكم أن تَنْكُثُوه ؛ أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يَصِلِ اللهُ لكم[٣] جميل العوائد ؛ صِلُوا رحِمَ الكلمه ، وآسُوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المُسْلِمه ؛ كتابُ الله بين أيديكم ، وأَلْسنة الآيات تناديكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله يقول فيه : (يأيها الَّذين آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ) . ومما صح عنه قوله : « من اغْبَرَّتْ قدماه فى سبيل

(١) فى ط : « إليهم » .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) فى ط : « إليكم » .

الله حَرَّمهما الله على النار » . « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودُخان جَهَنَّم »[١] . « ومن جَهَّز غازياً فى سبيل الله فقد غزا » . أَدْرِكوا رَمَق الدين قبل أن يفوت ، بادروا عليل الإسلام قبل أَن يموت ؛ احفظوا وجوهكم مع الله يوم يسألكم عن عباده ، جاهدوا فى الله بالألْسُن والأموال حق جهاده :

ما ذا يكون جوابكم لنبيّكم ... وطريقُ هذا العُذرِ غيرُ مُمَهَّدِ
إنْ قالَ لِمْ فَرَّطْتُمُ فى أُمَّتى ... وتركتموهم للعـــدوّ المُعتَدِى
تالله لو أنّ العقوبةَ لم تُخَفْ ... لـكنَى الحَيا[٢] من وجه ذاكَ السيِّد

[٣٣] اللهم اعطف علينا قلوب العباد ، اللهم بُثَّ لنا الحَمِيّة فى البلاد ، اللهم دافع عن الحريم الضعيف والأولاد ؛ اللهم انصرنا على أعدائك بأحبابك وأوليائك يا خير الناصرين ، اللَّهُمَّ أفْرِغ علينا صَبْراً وثَبِّتْ أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . وصلَّى الله على سيدنا [ومولانا[٣]] محمد ، وعلى آله وصحبه وسَلَّم تسليما » . انتهى .

سقوط غرناطة فى يد العدو والخلاف فى تاريخ ذلك

واستمر الأمر بالجزيرة على هذه الحالة مده ، والمسلمون لا يزدادون إلا ضعفا والعدوُّ تَـكالُبًا وشِدّه ؛ حتى استولى على الجزيرة بأسرها ، وشَرْح ذلك يطول . وكان استيلاؤه على حمراء غَرناطة ، ودخول جيشه [لها[٣]] ثانىَ ربيع النبوىّ ، من عام سبعة وتسعين وثمان مِئَة . هكذا رأيته فى تأليف لبعض المتأخرين ، ضَمَّنه القضية ، وألّفه بسببها ؛ على أنى رأيت بخط الفقيه أبى عبد الله الوادى آشى ما يخالف ذلك ، وهو[٤] أنه أورد رسالة لابن الخطيب يخاطب بها السلطان أبا سالم

(١) تتمة الحديث كما فى سنن النسائى : « فى منخرى مسلم أبدا » .
(٢) الحيا : مقصور من الحياء .
(٣) زيادة عن ت .
(٤) فى ت : « وذلك » .

المَرِينىّ ، نَصُّ محل[١] الحاجة منها :

« ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلّت عُروة تأميلكم ، أو أعرضتم عن ذلك الوطن ، استولت عليه يد عدوه » . انتهى .

فكتب بطُرَّته أبو عبد الله الوادى آشى المذكور[٢] ما نصه :

« كذلك وقع آخرَ الأمر . وكان الاستيلاء على غَرْناطة آخرِ ما بقى من بلاد الأندلس للإسلام ، فى محرّم [عام][٣] سبعة وتسعين وثمان مِئَة ، فرحم الله ابن الخطيب ، العاقل اللبيب ، وغَفَر له برحمته » . انتهى كلام الوادى آشى .

على أنه قد يظهر من كلام بعضهم أن الصلح كان فى محرّم ، ودخول الجيش القَصَبة الحمراء كان فى ربيع ، فلا منافاة ، والله أعلم .

ورأيت بخط الإمام الوانشِريشىّ[٤] سيدى عبد الواحد رحمه الله ما نصه :

« استولى العدوّ على جبل الفتح سنة ست وستين وثمان مئة ، وعلى الحمّة[٥] تاسع المحرم يوم الخميس عام سبعة وثمانين وثمان مئة ؛ وفى عام خمسة وتسعين وثمان مئة استولى العدوّ على جميع [بلاد][٣] الأندلس ماعدا غَرْناطة و بشرتها[٦] ، وكان قبله فى عام اثنين وتسعين استولى على مالَقة فى رمضان منه ، وفى عام سبعة وتسعين استولى على غَرْناطة » . انتهى .

---

(١) هذه الكلمة « محل » ساقطة فى ت :

(٢) هذه الكلمة : « المذكور » ساقطة فى ت .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا فى نفح الطيب طبعة أوربة . والوانشريشى : نسبة إلى وانشريش (بالنون وشينين معجمتين وراء ثم ياء) : جبل بين مليانة وتلمسان من نواحى المغرب . وفى الأصلين وهامش نفح الطيب : « الوانشريسى » .

(٥) الحمة : من أعمال مرسية . (عن تكملة كتاب الصلة) .

(٦) كذا فى نفح الطيب وفيما سيأتى فى الأصلين . وظاهر من سياق نفح الطيب أنها ضواح لغرناطة أو مواضع بها . وفى الأصلين هنا : « وبشاراتها » .

خروج أمير الحمراء ابن أبي الحسن إلى فاس

ولما دخل النصارى إلى الحمراء خرج أميرها أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن
[٣٤] عليّ النَّصْرىّ ، واشترط المسلمون على العدو الكافر شروطاً أظهر قَبولها ، وبسط لهم جَناح العدل ، حتى بلغت بزعمهم نفوسُهم مَأمولها ؛ وكان من جملتها أن من شاء البقاء عنده أقام فى ظل الأمان[1] مُكرَما ، ومَن أراد الخروج إلى برّ العُدْوة أُنزِل بأى بلاد شاء منها ، من غير أن يُعْطِىَ كِراء ولا مَغْرما ؛ وأظهر للمسلمين العِناية والاحترام ، حتى كان النصارى يَحْسُدُونهم فى ذلك ، ويقولون لهم : أنتم عند ملكنا أعز وأكرم مِنا ؛ ووضع عنهم المَغارم ، حيلة منه وكَيدا ، ليغُرَّهم بذلك ، ويُثَبِّطهم عن الجواز . فوقع الطمع لكثير من الناس ، وظنوا أن ذلك البَرْق ليس بخُلَّب ، فاشترى كثير من المقيمين الرِّباع العظيمة ، ممن أراد الذهاب للعُدوة ، بأرخص الأثمان ، وأمر — لعنه الله — بانتقال سلطان غَرْناطة أبى عبد الله إلى قرية أندَرَش[2] ، من قُرى البشرة ، فارتحل أبو عبد الله بعياله وحَشَمه ، وأقام بها ينتظر ما يُؤْمَرُ به ، ثم ظهر للطاغية أن يُجيزه إلى العُدوة ، فأمره بالجَواز ، وأعَدَّ له المَراكِب العظيمة ، وركب معه كثير من المسلمين ، ممن أراد الجواز ، حتى نزلوا بمَليلة[3] من رِيف المغرب ، ثم ارتحل السلطان أبو عبد الله إلى مدينة فاس — حرسها الله — وما زال أعقابه بها إلى الآن من جملة الضعفاء السُّؤّال ، بعد المُلْك الطويل العريض ، فسبحان المعزّ المذلّ ، المانح المانع ، لا إله إلا هو .

---

(١) هذه العبارة : « فى ظل الأمان » ساقطة فى ت .

(٢) كذا فى ط ونفح الطيب وتقويم البلدان . وفى ت : « أندرس » بالسين المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) مليلة (بوزن سفينة) : مدينة قديمة مسورة على بحر الزقاق (انظر المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب) .

وفاته وشىء عنه وعن عقبه

وكان خلع أبيه أبى الحسن يوم الأحد ثالث جمادى الأخرى من عام تسعين وثمان مئة ، خلعه أخوه[١] ، ودخل أبو عبد الله المذكور ، ابن أبى الحسن[٢] ، رَبَضَ البَيَّازين سادسَ عَشَرَ شوّال عام واحد وتسعين ، وافْتَكَّ مُلْك أبيه من يد عمّه ، وتُوُفِّىَ رحمه الله بفاس عام أربعة وعشرين وتسع مئة ، ودفن بإزاء المُصَلَّى ، خارج باب الشريعة ، وخلّف ولدين ، اسم أحدهما يوسف ، والآخر محمّد[٣] ، وعقبه الآنَ بها كما ذكرناه ، والله وارث الأرض ومن عليها ، والله خير الوارثين .

حال المسلمين بعده بالأندلس

وكان من قَدَر اللهِ تعالى أنهم لما وصلوا مدينة فاس أصاب الناسَ بها شدة عظيمة ، من الجوع والغلاء والطاعون ، حتى فرّ كثير منها بسبب ذلك ، ورجع بعضُ أهل الأندلس إلى بلادهم ، فأخبروا بتلك الشدة ، فتقاعس من أراد الجَوَاز ، وعزَموا على الإقامة والدَّجْن[٤] ، ولم يُجِز النَّصارى أحدا بعد ذلك إلا بالكِراء والمَغرم وعُشْر المال ، فلما رأى الطاغية أن الناس قد تركوا الجَواز وعزموا على الاستيطان والمُقام فى الوطن ، أخذ فى نقض الشروط التى اشترط عليه المسلمون أولَ [٣٥] مرة ، ولم يزل ينقضها فصلا فصلا ، إلى أن نَقَض جميعَها ، وزالت حُرْمة المسلمين ، وأدركهم الهَوان والذِّلّة ، واستطال عليهم النصارى ، وفُرِضت عليهم المغارم الثقيلة ، وقُطِع عنهم الأذان فى الصوامع ، وأمرهم بالخروج من غَرناطة إلى الأرباض والقُرى ، فخرجوا أذِلّة صاغرين ، ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصُّر ، وأكرههم عليه ، وذلك سنة أربع وتسع مِئَة ، فدخلوا فيه كَرْها ، وصارت الأندلس كلها

(١) فى ط : « وكان أبوه أبو الحسن خلع سنة تسعين وثمان مئة ، خلعه أخوه يوم الأحد ثالث جمادى الأخرى من العام » .
(٢) هذه العبارة : « ابن أبى الحسن » : ساقطة فى ت .
(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « أحمد » .
(٤) الدجن : الإقامة .

دار كُفر ، ولم يبق من يَجْهر بكلمة التوحيد والأذان ، وجُعلت فى المساجد والمآذن النواقيسُ والصُّلْبان ، بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فإنا لله و إنا إليه راجعون ، لا رادّ لما قضاه الله الملك الدّيّان .

رسالة فى ذكر ماجرى للمسلمين فى الأندلس

وقد رأيت لبعضهم رسالة ببعض شرح ذلك ، ونصها :

« وتعرّفنا من غير ما طريق ، وعلى لسان غير فريق ، أن قُطْر الأندلس — نظر اللهُ إليه ، وعاد بنوره عليه — طَرَقَ أهلَه خَطْب لم يَجْر فى سالف الدّهر ، وذلك أنهم أُكْرهوا بالقتل إن لم يقع منهم النطقُ بما يقتضى فى الظاهر الكفر ، ولم يُقْبَل منهم الأَسْر ؛ وكان الابتداء فى ذلك من أهل غَرْناطة — جدّد الله رَسْمها ، وأعاد إلى بلاد المسلمين[1] اسمها — وخصوصا أهلَ واسطتها ، لقلة الناس ، وكونهم من الرعيّة الدّهماء ، مع عدم العصبيّة ، بسبب اختلاف الأجناس ؛ وعلم النصارى — دمّرهم الله — بأن من بقى بها[2] من المسلمين إنما هم أُسارى فى أيديهم ، وعِيال عليهم ؛ و بعد أن انتزعوا منهم[3] الأسلحة والمعاقل ، وعَتَوْا فيهم بالخروج والجَلاء ، فلم يبق من المسلمين طائِل ؛ ونقض اللعين طاغية النصارى عُهوده ، ونشر بمحض الغدر بُنوده ؛ من غير مَعْذرة لَفَّقَها ، ولا كَذْبة فى مَعْرِض العُذر نمّقها ، إلا أَعْجازا من الكفر ، وصدورا من الغيظ والمكر ، وخالص الغدر ، جَمَعَها وفرّقها ؛ وكان الطاغية إذ ذاك بإشْبِيلِيَة — جبرها الله ، وجعل بها قبره ، ووقَى المسلمين والإسلامَ شَرّه — و بعد أن كان [قبلُ[4]] قد انسلّ إلى غَرْناطة انسلال

(١) فى ت : « الإسلام » .
(٢) فى ت « منها » .
(٣) فى الأصلين : « لهم » .
(٤) زيادة عن ت .

القَطا إلى الماء ، وطلع إليها طلوع الرقيب على خلوات الأحباء ؛ وأمر بإخلاء الأرباض ، وأذن فى السفر فى البحر للأبعاض ، ولم يُحضر من الأجفان[١] إلا القليل، وما كان قصده إلا التفريق والتهويل ؛ على ما عُهِد من غدر النصارى وطغيانهم ، وفعلهم الذميم مع المسلمين وتَوَرَانهم ؛ والإعلان بمحنتهم ؛ والحرص على ارتدادهم [٣٦] وفتنتهم ؛ وأقام بعد انصرافه عنها ، وخروجه منها ، بإشبيليَة مُدَيْدَة ، وعقار به لأشياعه من النصارى بغَرناطة تَدِبّ وتسرِى ، ونفسه الخبيثة بالعاب[٢] تَفْرِى ؛ ثم انتقل عن الواسطة للبيّازين ، حيث الحَمِيّه ، والنُّصْرَة الإيمانيه[٣] ، مع السراجة والنحيه[٤] ، والعقل الرَّصين ، والدين المتين ؛ فجعل صَعْبها ذَلُولَا ، وأعاد للكفر كَرها من كان بحضرتها ، وتمتَّع أحزاب الشيطان — قصمهمُ الله — بنَضْرتها ، نسأل الله تعالى أن يجعل تمتعهم قليلا » .

تنكيل طاغية قشتالة وأرغون بالمسلمين

وزيادة[٥] الخبر :

« أن طاغية قشتالة وأرغون — قصمهُ الله — صدَم غَرناطة صدْمه ، وأكْرَهَ على الكفر مَنْ بَقى بها من الامَّه ؛ بعد أن هِيض جَناحهم[٦] ، وركَدَت رياحهم ؛ وجعل بعدُ جندُه الخاسر على جميع جهات الأندلس يَنْثال ، والطاغية يزدهى فى الكفر ويختال ؛ ودين الإسلام تُنْثَر بالأندلس نجومه ، وتُطْمَس معالمُه ورُسومه ؛ فلو رأيتم ما صنع الكفر بالإسلام بالأندلس وأهليه ، لكان

(١) الأجفان : كلمة أندلسية ، بمعنى السفن . ذكرها دوزى فى معجمه .
(٢) كذا فى ط . وفى ت : « بالعار » .
(٣) فى ط : « الأمانية » .
(٤) كذا فى ط . وفى ت : « مع السداجة والفحية » ولا معنى للروايتين .
(٥) فى ت : « وزبدة » .
(٦) فى ت : « جنابهم » .

كل مسلم ينْدُبه ويبكيه ؛ فقد عَبِث البلاء برُسومه ، وعَفَّى على أقماره ونجومه ؛ ولو حضرتم من جُبِرَ بالقتل على الإسلام ، وتُوُعِّد بالنَّكال والمهالك العِظام ؛ ومن[1] كان يُعذَّب فى الله بأنواع العذاب ، ويُدْخَل به من الشدة فى باب ويُخْرَج من باب ؛ لأنساكم مَصرعُه ، وساءكم مَفْظعه ؛ وسيوف النصارى إذ ذاك على رءوس الشِّرْذِمة القليلة من المسلمين مَسْلوله ، وأفواه الذاهلين محلوله ؛ وهم يقولون : ليس لأحد بالتنصر أَنْ يُمْطَل ، ولا يلبَثُ حيناً ولا يُمْهَل ؛ وهم يكابدون تلك الأهوال[2] ، ويطلبون لطف الله فى كل حال » . انتهى .

بعض من خرج من علماء الأندلس

وكان جماعة من علماء الأندلس خرجوا إلى تِلِمْسان ، منهم القاضى الشهير أبو عبد الله بن الأزرق ، صاحب الشرح العجيب على مختصر خليل ، وكتاب السِّياسة الملخَّص من مقدّمة تاريخ ابن خَلدون ، وفيه زيادات بديعات[3] ، وكتاب روضة الإعلام ، بمنزلة العربية من علوم الإسلام ، وغير ذلك ، وارتحل من تِلِمْسان إلى المشرق ، وسنُلِمّ بذكره . ومنهم بنو داودَ المذكورون فى فَهْرَسةِ الشيخ ابن غازى ، وهؤلاء خرجوا من الأندلس قبل أخذ غَرناطة[4] ؛ ولكن لما رأوا استطالة العدو عليها ، وأنه آخذها لا محالة ، قوّضوا رِحالهم عنها ، فنزلوا بتلِمْسانَ المحروسة ، وأُخِذت الحضرة الغرناطية[5] بعد ارتحالهم بقريب ، رحمهم الله . ومنهم الفقيه الأديب ، حائز قَصَب السَّبْق فى كثرة النَّسْخ والكتابة ، أبو عبد الله محمد بن الحَدّاد الشهير بالوادى آشِى ، وسنذكره إن شاء الله ، رحم [٣٧]

(١) فى الأصلين : « ولمن » .
(٢) فى ط : « الأحوال » .
(٣) فى ت : « زيادة بديعة » .
(٤) فى ت : « أخذها » .
(٥) فى ت : « وأخذت غرناطة » .

الله الجميع[١] . وممن خرَج بفاس من العلماء ، الفقيه أبو العبّاس البقّنّي[٢] ، ثم رجع إلى غَرناطة ، وقضيته معروفة .

كتاب ابن الأحمر لصاحب فاس

ولا بأس أن نُورد كتاب السلطان أبى[٣] عبد الله بن الأحمر المخلوع المذكور ، الذى بعث به لصاحب فاس[٤] فى ذلك العهد ، تمهيداً لعُذْره ، وتوطئة لمقصده ؛ وتَطارُحا على تلك الأبواب وتملُّقا ، وتمسُّكا بذلك الجَناب وتعلُّقا ؛ وهو فى الغاية[٥] من الفصاحة والبلاغة ، من إنشاء الفقيه الأديب ، الشاعر الناظم ، الناثر الكاتب ، المُجيد البارع البليغ ، أبى عبد الله محمد بن عبد الله العربىّ العقيلىّ رحمه الله ، وسماه بالروض العاطر[٦] الأنفاس ، فى التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس ؛ ونصّه بعد الافتتاح[٧] :

« مَولَى الملوكِ ملوكِ العُرْب والعَجَم ... رَعْيًا لِمَا[٨] مِثْلُه يُرْعَى مِنَ الذِّمَمِ
بك استجرْنَا ونِعْمَ الجارُ أنتَ لمن ... جار الزمان عليه جَوْر مُنتقِمِ
حتى غدا مُلكُهُ بالرَّغْم مستلَبا ... وَأَفْظَعُ الخَطْبِ ما يأتى على الرَّغَمِ
حُكْمٌ من اللهِ حَتْمٌ لا مرَدَّ له ... وهلْ مرَدٌّ لحكمٍ منه مُنْحَتِمِ[٩]

(١) فى ت : « جميعهم » .
(٢) فى ط : « الفقانى » .
(٣) فى ط : « أبا » وهو تحريف .
(٤) هو الشيخ الوطاسى سلطان فاس .
(٥) فى ت : « وفى الغاية » .
(٦) كذا فى ت ونفح الطيب ، وفى ط : « العطير » .
(٧) كذا فى ت ونفح الطيب ، وفى ط : « افتتاح » .
(٨) فى نفح الطيب : « لمن » .
(٩) كذا فى الأصلين وإحدى روايتى نفح الطيب ، ولم ترد صيغة « انحتم » فى المعاجم التى بين أيدينا . وفى رواية أخرى لنفح الطيب : « منحسم » .

وَهْيَ الليالى وقاكَ اللهُ صَوْلتَها تَصُولُ حتى عَلَى الآساد فى الأَجَمِ
كنا مُلُوكاً لنا فى أرضنا دُوَلٌ نِمْنَا(١) بها تحت أفْنَانٍ من النِّعَمِ
فأيقظتنا سِهام للردَى صُيُبٌ يُرْمَى بأفْجَعَ حَتْفٍ مَنْ بهنَّ رُمِى
فلا تَنَمْ تحتَ ظِلِّ المُلْكِ نَوْمَتَنَا وأىُّ مَلْكٍ بظل المُلْك لم يَنَمِ
يبكى عليه الذى قد كان يعرفه بأدْمُعٍ مُزِجَتْ أمْوَاهُهَا بِدَمِ
كذلكَ الدهرُ لم يَبْرَحْ كما زَعَمُوا يُشِمُّ بُوَّ الصَّغَارِ(٢) الأنْفَ ذا الشَّمَمِ(٣)
وَصِلْ أَوَامِرَ قد كانَتْ لنا اشتبكتْ فالمُلْك بين ملوك الأرض كالرَّحِمِ
وابسُط لنا الخُلُقَ المرجوَّ باسطُه واعطِف ولا تنحرِف واعذِرْ ولا تَلُمِ
لا تَأْخُذَنَّا(٤) بأقوال الوُشَاةِ ولمْ نُذْنِبْ ولو كثرتْ أقْوَالُ ذى الوَخَمِ
فما أطَقْنا دِفاعا للقضاء وما(٥) أرادَتَ أنفسُنا ما حل من نِقَمِ
ولا رُكوباً بإزعاج لسابحة فى زاخرٍ بأكُفِّ الموجِ مُلْتَطِمِ
والمرء ما لم يُعنه اللهُ أضيعُ من طِفل تَشَكَّى بفقد الأُمِّ فى اليُتُمِ
[٣٨] وكلّ ما(٦) كان غيرُ اللهِ يحرُسُه(٧) فإنَّ محروسَه لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ(٨)

(١) فى ت « نما » ، وهو تحريف .
(٢) البو : جلد الحوار يحشى تبنا ونحوه لتعطف عليه أمه فتدر . والصغار : الذل .
(٣) فى ط « ذو الشمم » .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب طبعة أوربة . وفى ت ونفح الطيب طبعة المطبعة الأزهرية : « لا تأخذونا » .
(٥) فى ت : « ولا » .
(٦) كذا فى ط : ونفح الطيب . وفى ت : « من » .
(٧) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « ما كان غير الله يحرصه فإن محروصه » ، وهو تحريف .
(٨) الوضم : خوان القصاب ، وهو ما يقطع عليه اللحم ويهيئه .

كُنْ كالسموءل إذ سار الهمام له ... فى جَحْفَلٍ كسواد اللَّيْل مُرْتَكِم (١)

فلم يُبِحْ (٢) أَدْرُعَ الكِندىّ وَهْوَ يَرى ... أن ابنه البَرَّ قد أشفَى عَلَى الرَّجَم (٣)

أوكالمُعَلَّى (٤) مع الضِّلِّيل الأَرْوَع إذ ... أجاره من أعاريبٍ ومِنْ عَجَم

وصار يشكره شكرًا يكافئ ما ... أسْدَى إليهِ من الآلاءِ وَالنِّعَم

ولا تعاتبْ على أشياء قد قُدِرَتْ ... وخُطَّ مسطورُها فى اللوح بالقلم

وعَدِّ عما مضى إذ لا ارتجاع لهُ ... وعُدَّ أحرارَنا فى جُملة الخَدَم

إيهٍ حنانَيْك يابن الأكرمين على ... ضيفٍ ألم بفاسٍ غيرِ محتشِم (٥)

فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت ... بِنا (٦) إليها خُطَا الوَخَّادَة الرُّسُم (٧)

رُحماك يا راحما يُنْمَى إلى رُحَمَا ... فى النفس والأهل والأتباع والحَشَم

فكم مواقفِ صِدقٍ فى الجهاد لنا ... والخيلُ عالكةُ الأشداق لِلُّجُم

والسيف يَخْضِبُ بالمحمَرّ من عَلَقٍ ... ما ابيضّ من سَبَل واسودّ من لِمَم (٨)

ولا ترى صَدْرَ عَضْبٍ غيرَ مُنْقَصِفٍ ... ولا ترى مَتْن (٩) لَدْنٍ غيرَ مُنْحَطِم

---

(١) الجحفل : الجيش الجرار . ومرتكم : متراكم .

(٢) فى ط : « فلا » .

(٣) الرجم : جمع رجمة ، وهى الحجارة توضع على القبر ، ويريد القبر نفسه .

(٤) المعلى : هو أحد بنى تيم ، وكان قد أجار امرأ القيس من المنذر بن ماء السماء .

(٥) إيه : أى حسبك .

(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « منا » .

(٧) الوخادة : السريعة السير . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض من شدة الوطء .

(٨) يريد بالسبل : شعر اللحية . واللمم : جمع لمة ، وهى شعر الرأس الذى يلم بالمنكبين .

(٩) فى ت « مثل » .

حتى دُهينا بِدَهْيا لا اقتدارَ بها[١] سِوَى على الصَّوْن للأطفال والحُرَم
فقال من لم يشاهدْها فرُبَّتَمَا يُخال جامحُها يُقتاد بالخُطُمِ
هيهاتَ لَوْ زَبَنَتْه الحرب كان بها أعيا يدا من يد جالت على زَلَم[٢]
تاللهِ ما أضمرت غِشًّا ضمائرنا ولا طَوَتْ صِحَّةً منها على سَقَم
لكِنْ طلبنا من الأمر الذى طلبت وُلَاتُنا[٣] قبلنا فى الأعْصُر الدُّهُمُ
فخاننا عنده الجَدُّ الخَئون ومَن تَقْعُدْ به نكَباتُ الدهر لم يَقُمُ
فاسودّ ما اخضرّ من عيش دَهَتْه عِدًا بالأسمر اللّدْن أو بالأبيض الخَذِم[٤]
وشتَّت البينُ شَملا كان منتظما والبين أقطع للموصول من جَلَمِ[٥]
فرُبَّ مَبْنًى شديد قد أناخ به رَكْب البَلَا فقَرَته أدمع الدِّيَم[٦]
قمنا لديه أُصَيلانًا نسائله أعيا جوابا وما بالربع من أَرَم[٧]
وما ظننا بأن نبقى إلى زمن نرى به غُرَر الأحباب كالحُمَم[٨]
[٣٩] لكن رِضًا بالقضا الجارى وإن طُوِيت منا الضلوعُ على بَرْحٍ من الألَم

(١) فى ت . « بدهى لا اقتدار بنا » .
(٢) كذا فى ت . والزلم (بفتحتين ، أو بضم ففتح) : سهام كانوا يستقسمون بها فى الجاهلية . وفى ط ونفح الطيب طبعة المطبعة الأزهرية : « رحم » . وفى نفح الطيب طبعة أوربة « رخم » . وما أثبتناه أوضح ، فهو يريد أن يد هـذا اللائم أضعف من يد تجيل قداح الميسر .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « ولاته » . وفى ط : « ولاية » .
(٤) الأسمر اللدن : الرمح . والأبيض الخذم : السيف القاطع .
(٥) الجلم : المقراض .
(٦) الديم : جمع ديمة ، وهى السحابة يدوم مطرها أياما .
(٧) أصيلانا : قرب الأصيل . وما بالربع من إرم : أى من أحد .
(٨) الغرر : جمع غرة ، وهى بياض الجبين . والحمم الفحم الأسود ، الواحدة حمة (بالضم).

لَبَّيْكَ يا مَنْ دعانا نحو حَضرته ... دعاء إبراهِمَ الحُجَّاج للحَرَمِ

وأَعْطِ الأُمْنَ[1] الذى رُصَّتْ[2] قواعده ... على أَساسِ وفاءٍ غيرِ منهدِم

خليفةَ الله وافاك العَبيدُ فكن ... فى كل فضل وطَوْل عند ظَنِّهِم

وبين أسلافنا ما قد علمتَ به ... مِنِ اعتقادٍ بحكم الإرث مُقْتَسَم

وأنت منهمْ كأَصل مُطْلِع غُصُناً ... أو كالشِّراك الذى قَدْ قُدَّ مِنْ أَدَم

وقد خَطَوْت خُطاهم فى مآثرهم ... فلم يُذَمُّوا إذنْ فيها ولم تُذَم[3]

وصِيتَ مَوْلَى الورى الشيخ الإمام غدا ... فى الناس أشهرَ من نارٍ على عَلَم

سُلالةِ الأمراء، الجِلَّةِ الكبرَا ... ءِ، العِلْيةِ الظُّهراء، القادة البُهَم[4]

بنو مَرِينَ لُيُوثٌ فى عرينَ أبَوْا ... رؤيا قرينٍ لهم فى البأْس والكرم

النازلين من البيضاء[5] وسْطَ حِمًى ... أَحْمَى من الأَبْلق السامى ومن إرَم

والجائسينَ بدُهْم الخيل كل ذَرًى ... والدَّاعسين بسَمْر الخط كل كَمِى[6]

يريك فارسُهم إن هَزَّ عاملَه[7] ... فى مَأْزِقٍ[8] بلظَى الهيجاء مُضْطَرِم

---

(١) فى نفح الطيب : « واعط الأمان » .

(٢) فى ت : « رست » .

(٣) لم تذم : لم تعب . يقال : ذامه يذيمه : إذا عابه .

(٤) الظهراء : جمع ظهير ، وهو النصير . والبهم : جمع بهمة (بالضم) وهو البطل الشجاع .

(٥) البيضاء : فاس الجديدة .

(٦) الجائسين : الذين يترددون خلال الدور والبيوت فى الغارة . وكل ذرى : كل ناحية . والداعسين : الطاعنين . وسمر الخط : الرماح المنسوبة إلى الخط ، وهو مرفأ بالبحرين . والكمى : البطل المتستر فى سلاحه .

(٧) عامل الرمح : صدره .

(٨) فى الأصلين ونفح الطيب : « مارق » ولعلها محرفة عما أثبتناه .

لَيثا على أجْدلٍ عار مِنَ أجنحةٍ ... يَسْطو بأرقمَ لَدّاغ بغـــير فم (١)

فى اللام يُدْغِم من عَسّالِه أَلِفاً ... ولم نجد ألِفاً أصـــــلا بمدَّغَم (٢)

أهلُ الحفيظة يوم الرَّوع يحفظهم ... من عصمة الله ما يُرْبى على العِصَم (٣)

بَأْسٌ (٤) تطير شَرارٌ منه محرقة ... لكل مَدَّرعٍ بالحزْم مُحْـــتَزِم

هُمُ (٥) بطائفة التثليث قد فتكوا ... كمثل ما يفتك السِّرْحان بالغَنَم (٦)

وإنْ يُلَثِّمْهُمُ يومَ الوغَى رهَجٌ ... أنْسَوْك ما ذكروه عن ذوى اللُّثُم (٧)

تضيء آراؤهم فى كل مُعضلة ... إضاءةَ السُّرْج فى داجٍ من الظُّلَم

هذا ولو من حياء ذاب محتَشِمٌ ... لذاب منهـم حياءً كلُّ محتشم

طابت مدائحهمْ إذْ طابتَ أنفسهُمْ ... فاشْتُقّت النَّسَمات اسْما من النَّسَم

لِلّهِ دَرُّهُمُ والسُّحْب باخـــلة ... بدَرِّهن على الأنْعام والنَّعَم

بحيث الأفْقُ يُرى من لَوْن حُمْرَتِه ... كالشيب يُخْضَبُ بالحِنّاء والكَتَم (٨)

---

(١) الأجدل : الصقر ، شبه به الحصان فى سرعة انقضاضه . والأرقم : الثعبان ، شبه به الرمح .

(٢) اللام : مسهلة عن اللأم ، جمع لأمة ، وهى الدرع . والعسال : الرمح اللدن ، وقد شبهه فى استقامته بالألف . وفى البيت توريه .

(٣) العصم : ما يعتصم به الناس فى الحرب من معاقل وشبهها . يريد أنهم محوطون من عناية الله وحياطته بما لا تقى بمثله المعاقل والحصون .

(٤) فى ت ونفح الطيب : « يامن » .

(٥) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ت : « وهم » .

(٦) السرحان : الذئب .

(٧) كذا فى ت ونفح الطيب . والرهج : الغبار تثيره الحرب . وفى ط : « وهج » . وذوو اللثم : يريد الملثمين ، قبائل من البربر عرفوا بالشجاعة .

(٨) الكتم (كسبب) : نبت يستعمل فى خضاب الشعر . يصفهم فى هذا البيت والذى قبله بالجود فى أزمان القحط والشدة .

هناك تَنْهَلُّ أيديهمْ بصوب حَيًا يُحيي بالَاجداث ما فيها من الرِّمم (١) [٤٠]
وإنَّ بَيْتَىْ زيادٍ طالما ذُكِرا إذا أُلَمَّتْ أحاديث بذِكْرِهِم (٢)
« أحْلام عاد وأجساد مُطَهَّرَةٌ من المَعَقَّـــةِ والآفات والإثَم (٣) »
يَرَوْنَ حَقا عَليهمْ حفظَ جارِهِم فلم يُضَرْ نازِلٌ فيهـم ولم يُضَمِ
فَرُوعُه (٤) بالدواهى لا يُرَاع وَلَا يُغَمُّ منها بمـا يعرو من الغُمَم (٥)
هم البحار سَماحا غير أنّ بهـا ما قد أناف على الأطواد (٦) من هِمَم
وليس يسلم من حَتْف محاربُهُمْ حتى يكون إليهمْ مُلْقِيَ السَّـلَم
كم فيهمُ من أمير أوحَدٍ نَدُسٍ يُقَرْطِسُ الغَرَضَ المقصود بالفَهَم (٧)
ولا كسِبْط أبى حَسُّونَ مَنْ حَسُنَتْ أمداحه حُسْنَ ما فيه من الشِّيَم (٨)
هَذَا كُمُ ابنُ أبى زَكَرِى (٩) الهمامُ فقلْ فى أصله المنتَقى من مجده العَمَم (١٠)

(١) تنهل : تفيض . وصوب الحيا : ماء المطر . والأجداث : القبور .
(٢) زياد : هو النابغة الذبيانى .
(٣) المعقة : العقوق . والإثم : جمع إثمة ، وهى الإثم . وهـذا البيت من مقطوعة للنابغة أبياتها أربعة فى مدح الغساسنة ، وقبله :
هم الملوك وأبنـــاء الملوك لهم فضل على الناس فى اللأواء والنعم
ولعل الناظم يعنى هذين البيتين .
(٤) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « فروعهم » .
(٥) الروع : موضع الفزع من القلب .
(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « الأطراء » .
(٧) الندس (كعضد وكتف وسهم) : الفطن الفهم . ويقرطس الغرض : يصيبه .
(٨) أبو حسون : هو أبو الحسن على بن محمد الشيخ بن أبى زكريا يحيى بن زيان الوطاسى ، يعرف بأبى حسون الباذسى ، بويع بفاس أول مرة سنة اثنتين وثلاثين وتسع مئه . (انظر بقية أخباره فى الاستقصا للسلاوى) .
(٩) زكرى : يريد زكرياء وفيه لغات ، منها زكرىّ (كعربى) بتشديد الياء وتخفيفها ، وبهذه الرواية الأخيرة جاء هنا مع إسكان الكاف ، ليستقيم الوزن .
(١٠) العمم : التام .

خليفـــةُ الله حقا فى خليقته كنائب ناب فى حكمٍ عَنِ الحَكَمِ
مهما تُنرْ قَسماتٌ(١) منـه نيِّرَةٌ تُنِلْ بَنانٌ له ما جَلَّ مِن نِعَمِ(٢)
فَوَجْهـهُ بدُجًى وَكفُّه بجَدًا أبْهَى من الزَّهر أَوْ أَنْدَى من الدِّيَمِ(٣)
وفضله وله الفضل المبينُ جرى كجرى الأمثال فى الأَقطار والأُمم
وجودُه المتـــوالى للبريَّة ما وجوده بينهـا طُرًّا بمنهدم
إذا ابتغتْ نِعَمًا منه العُفاة لهُ لم يسمعوا كِلْمة منه سِوَى نَعَمِ
وإنْ يُعَبِّسْ زمانٌ فى وُجُوهِهِمِ لم يُبصروا غير وجه منه مُبتسم
وجْهٌ تَبين سِماتُ المَكْرُمات به كما تَبين سماتُ الصِّدق فى الكَلِمِ
وراحةٌ لم تزل فى كل آونةٍ فى(٤) نَيْلها راحة الشاكى من العُدُم
لله ما التزمتْهُ من نوافله أيّامَ لا فَرْضَ مفروضٌ بملتزَم
أنْسَى الخلائفَ فى حلم وفى شرف وفى سـخاء وفى علم وفى فَهَم
فجاز معتمِداً منهم ومُعْتضِـدا وامتـاز عن قائم منهم ومعتصم
وناصِرَ الدين فى الإقبال فاقَ وفى مَحَبَّة العلم أزْرَى بابنه الحَـكَمِ
أفعـــال أعدائه معتلة أبدا متى(٥) يَرُم جَزمها بالحذف تَنْجزم

---

(١) رواية هذا البيت فى ط .
مهما تشم نسمات منـه نيرة تنـل بنازله ما جل من نعم
(٢) قسمات الوجه : ما أقبل منه ، أو محاسنه .
(٣) الجدا : العطاء . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم أياما .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « من » .
(٥) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « حتى » .

فويل أهل الفلا من حيّة ذكر (١) [لِلْمُتْلَئِبِّ (٢)] اللُّهام المَجْر مُلْتقِم (٣) [٤١]
رامُوا عداوة من إنْ شاء غادرهم مثل الأحاديث عن عادٍ وعنْ إرَم
فسوف يأكلهم من جيشه لَجِبٌ بكل قَرْم إلى لُحْمَانِهِمْ قَرِم (٤)
وإنّ الاعرابَ إذْ ساروا لغايته لسائرون إلى لَقْم على لَقَم (٥)
وهم كما قاله ماض : أرى قَدَمِى بسعيه نحو حَتْفِى قد أَرَاق دَمِى (٦)
فقل إذنْ للمُناوِى النَّاوِى الآنَ الآذَى ياغِرُّ (٧) غَرَّك ما أبْصَرْت فى الحُلُم
له صوارم لو ناجتـــك ألْسُنها لبشَّرتك بعُمْر منك مُنْصَرِم
وإن رُوحَك عن قرب سيَقْبضه قبضَ المُسَلِّم ما قد حاز من سَلَم (٨)
فهْو الذى ما له نِدٌّ يشابهُهُ من كلّ مُتَّصف بالدَّهْى (٩) مُتسِم
يُدَبّر الأمر تدبيراً يُخَلِّصُهُ مما عَسَى أن يُرَى فيه مِنَ الوَهَم
ويُبْصِر الغيب لحظُ الذهن منه إذا تَعْمَى عَنِ ادراكه ألحاظ كُلِّ عَم

(١) حية ذكر : شهم .
(٢) كذا فى نفح الطيب ، ويريد بالمتلئب : الجيش الممتد . وفى ت : « للملتئب ، وهو تحريف . وسقطت هذه الكلمة من ط .
(٣) اللهام والمجر : هما بمعنى الجيش العظيم .
(٤) اللجب الجيش الكثير ، والقرم : السيد . واللحمان . جمع لحم . وقرم (ككتف) : شديد الشهوة لأكل اللحم .
(٥) كذا فى ت ونفح الطيب . واللقم : الأكل ، ويريد به الافتراس ، واللقم (بالتحريك) وسط الطريق . وفى ط : « ... نم على لغم » .
(٦) يشير إلى قول أبى الفتح البستى :
إلى حتفى سعى قدمى أرى قدمى أراق دمى
(٧) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « يغر » .
(٨) المسلم : المسلف ، الذى يعطى ذهبا أو فضة على سلعة معلومة إلى أجل معلوم . والسلم : البيع المبيع المؤجل قبضه .
(٩) الدهى والدهاء : الفكر وجودة الرأى .

وُينعِمُ[١] النظرَ المُفْضِى بناظره ... لصوبِ وجهٍ صوابٍ واضح اللَّقَمِ[٢]

ذو مَنطق لم تزل تجلو نتائجُهُ ... عن مُبْطِلٍ بخصام المبطِلِ الخَصِمِ[٣]

ومِسْمَعٍ ليس يُصْغى للوُشاة فلم ... يَنْفُق لديه الذى عنهم إليه نُمِى[٤]

فعقله لا توازيه العقول وهَلْ ... يوازنُ الطودَ ما قد طال من أَكَمِ

إليه جميعَ الورى من بدوٍ أوْ حَضَرٍ ... نِدَاءَ مُرْتَبطٍ بالنُّصْح مُرْتَسِمِ

شُدُّوا وجِدُّوا ولا تَعْنُوا ولا تَهِنُوا ... قد لَفَّها الليلُ بالسَّوَّاقةِ الحُطَمِ[٥]

هذا الأَميرُ[٦] المَرِينِيُّ السعيدُ له ... سَعْدٌ يؤيّده فى كلّ مُصْطَدَمِ

قد أقسمَتْ أنه المنصورُ ألسنةٌ ... من نُخبة الأوْلِيا مَبْرورةُ القَسَمِ

فَشيِّعوه ووالُوه تَرَوْا عَجَبا ... وتظفَرُوا معَه بالأَجْر والغنَمِ[٧]

والحمد لله إذْ أبقى خلافَتَه ... كَهْفاً لنا مَنْ يُخَيِّم فيه لَمْ يُرَمِ[٨]

حِرْز حَرِيز وعزّ قائم ونَدًى ... غَمْرٌ دِرَاكٌ بلا مَنٍّ ولا سَأَمِ[٩]

---

(١) كذا فى نفح الطيب . وإنعام النظر : تدقيقه . وفى الأصلين : يمعن . وهو يتعدى بحرف الجر . يقال : أمعن فى الأمر ، أى أبعد فيه .

(٢) اللقم (كسبب) : وسط الطريق .

(٣) الخصم (ككتف): الجدل الشديد الخصومة . يريد أنه يبطل حجج خصمه بقوة بيانه .

(٤) ينفق : يروج . ونمى إليه : وصل إليه .

(٥) لا تعنوا : لا تخضعوا وتذلوا . ولا تهنوا : لا تضعفوا . ولفها : جمعها ، والضمير فى الأصل للإبل ، والسواقة : السواق ، والتاء للمبالغة . والحطم : الشديد السوق ؛ وهذا مثل . يريد أن متولى أمرهم ، وهو الممدوح ، رجل قوى شديد .

(٦) فى نفح الطيب : « الإمام » .

(٧) شيعوه : ناصروه . والغنم (بالتحريك) : المغنم ، كالغنم (بالضم) .

(٨) لم يرم : أى يعز على من يطلبه .

(٩) غمر : كثير . ودراك : متتابع متلاحق .

دامت ودام لها سَعْد يساعدُها ... فى كل مُبتدإ منه[1] ومختتَمِ
فالله — عزّ اسمه — قد زانها بحُلَى ... من غُرّ أمْداحه كالدُّر فى النُّظُم[2]
الواهب الألفَ بعد الألف من ذهبٍ ... كالجَمْر يلمع فى مُستوقَد الضَّرَم[3] [٤٢]
والفاعلُ الفعلَ لم يَهْمُمْ به أحد ... والقائل القولَ فيه حكمةُ الحِكَم
ذا كم هو الشيخ فاعجب إنه هَرِمٌ[4] ... جُودا وحاشاه أن يُعْزَى إلى هَرَم[5]
وحسْبُنا أنّ أيْدينا به اعْتصمتْ ... من حَبْله بوَثيق غير مُنْفَصِم
فما مُحالفُه يومًا بمُضطهَدٍ ... ولا مُؤالفُه يوماً بمهتضَم
ولا موافيه فى جَهْد بمطَّرَحٍ ... ولا مُصافيه فى وُدّ بمُتَّهم
ولا مُحَيَّا مُحَيِّيه بمنكَسِفٍ ... ولا رجاء مُرَجِّيه بمنخرِم[6]
وما[7] تَكَرُّمه سِرًّا[8] بمُنكَشِفٍ ... ولا تنكُّرُه جهراً بمُكْتَتَم
وليس لامِحُ مَرْآه بمكتئِبٍ ... وليس راضع جَدواه بمنفَطِم
ولا مُقَبِّلُ يُمناه الكريمةِ فى ... محلٍّ مُمْتَهَنٍ بل دَسْتِ مُحْتَرَم[9]
وما وسيلتنا العُظْمى إليه سِوَى ... ما ليس يُنْكَر ما فيها من العِظم
وإنما هِيْ وَمَا أدراكَ ما هِيَ مِنْ ... وسيلةٍ ردُّها أدْهَى مِنَ الرَّضَم[10]

(١) فى نفح الطيب طبعة أوربة : « منها » .
(٢) النظم : جمع نظام ، وهو الخيط ينظم فيه الخرز ونحوه .
(٣) فى ط : « الظلم » .
(٤) يريد أن الممدوح مثل هرم بن سنان ، ممدوح زهير بن أبى سلمى ، المزنى .
(٥) فى نفح الطيب طبعة أوربة : « الهرم » .
(٦) بمنخرم : أى بمنقطع .
(٧) فى نفح الطيب (طبعتى أوربة ومصر) : « ولا » .
(٨) فى ط : « يوما » .
(٩) يريد بالدست : المكان الكريم ، مأخوذ من دست البيت ، وهو صدره .
(١٠) كذا فى ط . والرضم : صخور عظام . وفى ت : « الوخم » .

نبيُّنا المصطفَى الهادى بخير هُدًى محمـــد خَيْر خلق الله كلّهم
داعِى الورى مِنْ أُولِى خَيْم وأَهْلِ قُرًى إلى طريق رشاد لاحِبٍ أَمَم[1]
عليه منّا صلاة الله ما ذُكِرَتْ « أَمِنْ تذكر جيرانٍ بذى سَلَم »[2]
وما تَشَفّع فيهـــا بالشّفيع له دَخيلُ حُرْمته العَلْياءِ فى الحُرَم[3]

« رَبَّنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكونَنَّ من الخاسرين » « أنتَ وليُّنا فاغفرْ لنا وارحمْنا وأنت خير الراحمين » . « ربنا عليك توكلنا و إليك أنبنا و إليك المصير » . « ذلك بأن اللهَ مولى الذين آمنُوا وأن الكافرين لا مولى لهم » . « نعم المولَى ونعم النصير » .

أما بعدَ حمد الله الذى لا يُحْمَدُ على السَّراء والضَّرّاء سِوَاه ؛ والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، الذى طلع طلوع الفجر بل البدْر فَلاح ، يَدْعو إلى سبيل كل فلاح ، أُولِى قلوب غافلة ، ونفوس سَوَاه ؛ والرِّضا عن آله وأصحابه ، وعِتْرته الأكرمين وأحزابه ، الذين تلقَّوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه ، وعزروه ونصروه فى حالَىْ قُرْبه ونَوَاه . [٤٣]

فيا مولانا ، الذى أولانا من النعم ما أولانا ؛ لاحَطَّ الله تعالى لكم من العزة رُواقا[4] ، ولا أذوى لدَوْحة[5] دولتكم أغصانا ولا أوراقا ؛ ولا زالت مخضرة العود ، [مبتسمة[6]] عن زهرات البشائر مُتْحِفة بثمرات السُّعود ، ممطورة

(١) أهل خيم : أى ساكنى الخيام . واللاحب : الواضح . والأمم : البين . وقد ورد الشطر الأول من هذا البيت فى ط هكذا :
« داعى الورى من أولى من أهل خيم قرى »
(٢) هذا الشطر مطلع قصيدة البردة المشهورة للبوصيرى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٣) الدخيل : اللاجئ . والحرمة : الذمة .
(٤) الرواق : الخيمة . يدعو له بدوام ارتفاع المنزلة .
(٥) الدوحة : الشجرة الواسعة الظلال . وأذوى : أذبل وأضعف .
(٦) زيادة عن ت ونفح الطيب .

بسحائب البركات المتدارِكات دون بُرُوق [١] ولا رعود :

هذا مقام العائذ بمَقامكم ، المتعلِّق بأسباب ذِمامكم ، المترجّى لعواطف قلوبكم ، وعوارف إنعامكم ، المقبِّل الأرضَ تحت أقدامكم ، المتلَجْلِج [٢] اللِّسان عند محاولة [٣] مفاتحة كلامكم ؛ وماذا الذى يقول مَنْ وجهُه خَجِل ، وفؤادُه وَجِل ، وقضيَّته المقضيّة عن التنصل والاعتذار تَجِلّ ؛ بيد أنى أقول لكم ما أقوله لربّى ، واجترائى عليه أكثر ، واجترامى [٤] إليه أكبر : اللهم لا بَرِىء فأعتذر ، ولا قوى فأنتصر ، لكنّى مُسْتقيل [٥] مُسْتنيل [٦] مستعتب [٧] مستغفر ؛ « وَمَا أُبَرِّئُ نفسى ، إن النفس لأمَّارَةٌ بالسُّوء » . هذا على طريق التنزّل والاتصاف ، بما تقتضيه الحال ممن يتحيز إلى حَيِّز الإنصاف ؛ وأمَّا على جِهة التحقيق ، فأقول ما قالته الأُمّ ابنةُ الصديق [٨] : « واللهِ إنى لأعلمُ أنِّى إنْ أقررت بما يقوله الناس ، واللهُ يعلم أنِّى منه بريئة [٩] ، لأقولنّ [١٠] مالم يكن ، ولَئِن أنكرت ماتقولون لا تصدقوننى ، فأقول ماقاله أبو يوسف [١١] : صَبْرٌ جَميلٌ ، واللهُ المُسْتَعانُ على ماتصفون » .

على أنّى لا أنكر عيوبى ، فأنا مَعْدِن العيوب ، ولا أجْحَد ذُنوبى ، فأنا

---

(١) فى ت ونفح الطيب : « برق » .
(٢) فى ط : « والمتلجلج » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « عند مفاتحة » .
(٤) اجترامى : ذنبى .
(٥) مستقيل : طالب الإقالة من العثرة .
(٦) مستنيل : طالب النوال .
(٧) مستعتب : طالب العتبى ، وهى الرضا .
(٨) يريد أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق .
(٩) كذا فى نفح الطيب وسيرة ابن هشام . وفى الأصلين : « برىء » .
(١٠) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى نفح الطيب وط : « لأقول » . وفى ت : « لاأقول » .
(١١) تريد سيدنا يعقوب عليه السلام .

جَبَل الذنوب ؛ إلى الله أشكو عُجَرِى و بُجَرِى[١] ، وسَقَطاتى وغَلَطاتى . نَعَم ، كلّ شىء ولا ما يقوله المتقوِّل ، المشنِّع المهوِّل ، الناطق بفم الشيطان المُسَوِّل . ومِن أمثالهم : « سُبَّنِى واصْدُق » ، ولا تَفْتَرِ ولا تَخْلُق ؛ فمِثْلى كان يفعل أمثالَها ، و يَحمل[٢] من الأوزار المضاعَفَة أحمالها ، و يُهْلِك نفسه و يُحْبِط أَعْمَالها ؛ عِياذًا بالله من خُسْران الدين ، و إيثار الجاحدين والمعتدين ، قد ضَلِلْتَ إذَن وما أنا من المهتدين . وأيمُ الله لو علمتُ شعرةً فى فَوْدى[٣] تميل إلى تلك الجهة لقَلَعْتُها ، بل لقطَفْتُ[٤] ما تحت عِمامتى من هامتى وقطعتها ؛ غير أن الرِّعاع فى كل وقت وأوان ، للملِك أعداء وعليه أحزاب وأعوان ، كان أحمقَ وأجهلَ من ابن ثَرْوان[٥] ، أو أعْقَلَ وأعلم من أشجِّ بَنِى مروان[٦] ؛ ورُبَّ مُتَّهَم بَرِى ، ومُسربَل بسربال [٤٤] وهو منه عَرِى[٧] ؛ وفى الأحاديث صحيح وسقيم ، ومن التراكيب المنطقية مُنْتِجٌ وعقيم ، ولكن ثَمَّ ميزان عقل ، تُعتبر به أوزان النقل ؛ وعلى الراجح الاعتماد[٨] ، ثم إشاعَة الإحماد ، المتصل المُتَماد ؛ وللمرجوح الاطّراح ، ثم الذم الصُّراح ، بعد النفض[٩] من الراح ؛ وأكثر ما تسمعه الكذبُ ، وطبع جمهور الخلق إلا من

(١) العجر والبجر (هنا) : العيوب والأحزان وما يبدى المرء وما يخفى . والعجر (فى الأصل) : العروق المتعقدة الناتئة . والبجر : ما تعقد منها على البطن خاصة .
(٢) فى ط ونفح الطيب : « ويحتمل » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : من « فؤادى » .
(٤) كذا فى ط . والقطف : القطع . وفى ت : « بل لقاعت » ، وهو تحريف .
(٥) كذا فى أخبار الحمق والمغفلين لابن الجوزى ، والمضاف والمنسوب للثعالبى . وهو هبنقة القيسى يزيد بن ثروان ، المعروف بذى الودعات ، وهو مثل فى الحمق والجهل. وفى ط : « من أبى ثوران » . وفى ت : « من أبى ثروان » . وكلاهما تحريف .
(٦) أشج بنى مروان : هو عمر بن عبد العزيز ، لأنه كانت به شجة .
(٧) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « ومسربل بسربال عار وهو منه عرى » .
(٨) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « وعلى الراجح على الاعتماد » .
(٩) فى ت : « النفاض » .

عصمهُ الله[١] إليه منجذب ؛ ولقد قُذِفْنا من الأباطيل بأحجار ، ورُمينا بما لايُرْمَى[٢] به الكُفّار ، فضلا عن الفُجّار ؛ وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد وعمرو ، ما لكم منه حفظ الجبّار[٣] ؛ وإذا عظم الإنكاء[٤] ، فعلى تُكَأَة التجلُّد الأتكاء ؛ أكْثَرَ المكثرون ، وجَهَد[٥] فى تعثيرنا المتعثِّرون ؛ ورَمَوْنا عن قوس واحده ، ونظمونا فى سلك المَلاحِده ؛ أكُفراً أيضاً كُفرا ! غَفْراً اللّهمّ غَفْرا ؛ أَعِدْ نظراً يا عبدَ قيس ، فليس الأمر على ما خُيِّل[٦] لك لَيْس ؛ وهل زِدْنا على أن طَلَبْنا حَقَّنا ، ممّن رام مَحْقه ومَحْقَنا ؟ فطاردنا فى سبيله عُداة كانوا لنا غائظين ؛ فانفتق علينا فَتْق ، لم يمكنا له رَتْق ، وما كنا للغيب حافظين .

و بعد ، فاسألْ أهل الحل والعقْد ، والتمييز والنقْد ؛ فعند جُهَيْنتهم تلقى الخبر يقينا ، وقد رضينا بحكمهم يُؤْثِمنا فيُوبقُنا ، أو يُبْرِئُنا فيَقينا . إيهِ يا مَنِ اشْرأَبَّ إلى مَلامنا ، وقَدَح حتى فى إسلامنا ؛ رُوَيْداً رويدا ، فقد وجدتَ قوة وأَيْدَا ؛ ويحك ، إنما طال لسانك علينا ، وامتد بالسوء إلينا ؛ لأن الزمان لنا مُصْغِر ، ولك مُكْبِر ، والأمر عليك مُقْبل ، وعَنّا[٧] مُدْبِر ، كما قاله كاتب الحجاج المدبِّر[٨] .

(١) فى ط : « إلا من عظم الله » .
(٢) فى ت : « بما لم يرم » .
(٣) كذا فى ت . ورواية هذه العبارة فى ط : « وجرى ... وعمرو ما يريكم منه حفظ الجار» . وفى نفح الطيب : «وجرى ... وعمرو ماديكم منه حفظ الجار» ، وظاهر أنهما محرفتان عما أثبتناه .
(٤) كذا فى ت ونفح الطيب . والإنكاء : شدة النيل من العدو . وفى ط : « وإذا علم الإنكار » .
(٥) فى ط : « وجهر » .
(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « ما خيلت لك » .
(٧) فى ت : « علينا » وهو تحريف .
(٨) كاتب الحجاج : هو يزيد بن أبي مسلم . يشير إلى رد يزيد على سليمان ابن =

وعلى الجملة ، فهبنا صِرْنا إلى تسليم مقالك جَدَلا ، وذَهبنا فأقررْنا بالخطأ فى كل وِرْدٍ وصَدَر ، فلله دَرُّ القائل :

إن كنتُ أخطأتُ فما أخْطَا القَدَر[1]

وكأنّا[2] بمعتسِف[3] إذا وصل إلى هنا ، وعدم إنصافه يعلّمه الهنا[4] ؛ قد ازْوَرّ متجانفا[5] ، ثم افترّ مُتَهانِفا[6] ، وجعل يتمثل بقولهم :

« إذَا عُيِّرُوا قالوا مَقاديرُ قُدِّرَتْ »

وبقولهم : « المرء يعجز لا مَحالة[7] » ؛ فيعارض الحق بالباطل ، والحالَ بالعاطل ، وينزِع بقول القائل : « رُبَّ[8] مُسْمِع هائِل ، وليس تحته من طائل[9] » . وقد فرغنا أوَّلَ أمسِ[10] من جوابه ، وتركنا الضِّغْن يُلْصِق حرارة

= عبد الملك حين دخل عليه فتنقصه سليمان وسب الحجاج : « إنك رأيتنى والأمر عنى مدبر ، ولو رأيتنى والأمر على مقبل استعظمت من أمرى ما استصغرت » . (انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٠ — ٢١١ طبعة الفتوح سنة ١٣٣٢ هـ) .

(١) هذا عجز بيت لأبى العتاهية ، وصدره :
هى المقادير فلمنى أو فذر

(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وكان » .

(٣) فى ت : « بمتعسف » .

(٤) يريد بالهنا : جمع هنة ، وهى العيب . والذى فى كتب اللغة أنها تجمع على هنات وهنوات .

(٥) ازور متجانفا : مال متباعدا .

(٦) كذا فى ط ونفح الطيب . وافتر متهانفا : أى فتح فاه ضاحكا مستهزئا . وفى ت : « متهانفا » وهو تصحيف .

(٧) فى ط : « لا المحالة » .

(٨) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين « ذى » . وهو تحريف .

(٩) كذا فى ط . وفى ت : « وليس من تحته من طائل » . وفى نفح الطيب : « وليس تحته طائل » .

(١٠) أول أمس : أى بكرته ومبتدأه . والمسموع من العرب عند إرادة اليوم السابق لأمسك « أول من أمس » .

الجَوَى به ؛ وسَنُلِمُّ[1] الآنَ بما يُوسِعُه تسكيتا ، ويَقْطعه تَبْكِيتا . فنقول له : ناشدناك الله تعالى ، هل اتفق لك قَطُّ وعَرَض ، خروج أمر ما على القصد منك فيه والغَرَض ؛ مع اجتهادك أثناءه فى إصدارك وإيرادك ، فى وقوعه على وَفْق اقتراحك ومُرادك ؟ أو جميع ما تزاوله بإدارتك ، لا يقع إلا مطابقاً لإرادتك ؟ [٤٥] أو كل ما تقصده وتنويه ، تُحْرِزه كما تشاء وتحويه ؟ فلا بُدّ أن يُقِرّ اضطرارا ، بأن مطلوبه يشِذّ عنه مِرارا ؛ بل كثيراً ما يُفْلِت صيدُه من أَشراكه ، ويطلبه فيعجِز عن إدراكه ؛ فنقول : ومسألتنا من هذا القبيل : أيها النبيه النَّبيل ؛ ثم نسرُد له من الأحاديث النبوية ماشِينا ، مما يُسايرنا فى غرضنا منه ويماشينا ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « كل شىء بقضاء وقدر حتى العَجْز والكَيْس » . وقوله أيضا : « لو اجتمع أهل السَّماوات وأهل الأرض على أن ينفعوك بشىء ، لم يَقْضِ اللهُ لك ، لم يَقْدِرُوا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يقضِ اللهُ عليك ، لم يقدروا عليه[2] » ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فأَخْلِقْ به أن يَلوذ بأكناف الإحجام ، ويَزُمّ على نَفْثة فيه كأنما أُلْجِم بإلجام ؛ حينئذ نقول له ، والحق قد أبان وجهَه وجَلاه ، وقهره بحجته وعَلاه : ليس لك من الأمر شىء قل إن الأمر كله لله . وفى محاجّة آدم موسَى[3] ما يقطع لسان الخصم ، ويَرْحضُ[4] عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من دَرَن الوَصْم ؛ وكيفما كانت الحال ، وإن أساء الرأىَ والانتحال ، ووقعنا فى أوجال وأوحال ؛ فثُلّ عَرْشنا ، وطويت فُرُشُنا ، ونُكِّس لواؤُنا ، ومُلِك مَثْوانا ، فنحن مِثْلُ من سِوانا ؛ وفى الشر خِيار ،

(١) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « ونسلم » ، وهو تحريف .

(٢) الذى فى الأربعين النووية : « ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك » .

(٣) راجع صحيح البخارى فى تفسير قوله تعالى « فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » .

(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . ويرحض : يغسل . وفى ت : « يدحض » ، وهو تحريف .

ويد اللطائف تكسر من صولة الأغيار[١] ؛ فحتى الآنَ لم نفقد من اللطيف تعالى لُطفاً ، ولا عَدِمنا[٢] أدوات أدعيـة تعطف بلا مُهْلة على جُمْلتنا المقطوعة جُمَلَ النعم الموصولة عَطْفا ؛ وإلا فتلك بغداد دار السلام ، ومتَبَوَّأ الإسلام ، المحفوفُ بفُرسان السيوف والأقلام ؛ مَثابة الخلافة العباسية ، ومقر العلماء والفُضلاء أُولى السير الاوَيْسِيّة[٣] ، والعقول الإياسية[٤] ؛ وقد نُوزلت بالجيوش ونُزِلت ، وزُوولت بالزّحوف[٥] وزُلْزِلَت ؛ وتَحَيَّفَ[٦] جوانبَها الحَيْف ، ودخلها كفار التَّتَار [عَنْوة][٧] بالسيف ، ولا تسل إذ ذاك عن كيف ؛ أيام تجلّت عروس المنيه ، كاشفة عن ساقها مُبْديَه ، وجرت الدماء فى الشوارع والطرق [كالأنهار][٧] والأوديه ، وقِيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضاة بالعمائم فى رقابهم والأرديه ؛ وللنجيع[٨] سيول ، تخوضها الخيول ؛ فتخضبها إلى أرساغها ، وتَهُمُّ ظماؤُها بوِرْدِها ، فتَنْكُل عن تجرُّعها ومَساغِها ؛ فطاح عاصمها ومستعصمها ، وراح ولم يَغد ظالمُها ومتظلّمها ؛ وخَربت مساجدها وديارها ، واصْطُلِم[٩] بالحُسام أشرارها وخيارُها ؛ فلم يبق من جمهور أهلها عين تَطْرِف ، حسْبما عرفت أو حسبما تعرف ؛ فلا تكن مُتَشكّكاً متوقّفا ، فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند [٤٦]

(١) يريد بالأغيار : تقلبات الدهر وأحداثه .
(٢) فى ت : « ولعدمنا » وهو تحريف .
(٣) الأويسية : نسبة إلى أويس بن عامر القرنى ، وهو من سادات التابعين زهدا وعبادة ، وقد قتل بصفين .
(٤) الإياسية : نسبة إلى إياس بن معاوية ، قاضى البصرة فى عهد عمر بن العزيز ، وكان معروفا بشدة زكانته ، وحسن قضائه ، وقوة جنانه ، وفصاحة لسانه .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « بالزحاف » .
(٦) تحيفه : تنقصه .
(٧) زيادة عن ت ونفح الطيب .
(٨) النجيع : الدم الأحمر .
(٩) اصطلم : استؤصل .

المُؤَرِّخين من قِفَا[١] ؛ فأينَ تلك الحجافل ، والآراء المُدارَة فى المحافل ؛ حين أراد الله تعالى بإدالة الكفر ، لم تُجْد ولا قُلامة ظُفْر ؛ إذن فمَنْ سَلِمتْ له نفسه التى هى رأس مالِه ، وعيالُه وأطفالُه ، اللذان هما من أعظم آمالِه ؛ وكلُّ أو جُلُّ أَوْ أَقَلُّ رياشه ، وأسباب معاشه ، الكفيلة بانتهاضه وانتعاشه ؛ ثم وَجَد مع ذلك سبيلا إلى الخَلاص ، فى حال مُياسرة ومساهلة ، دون تصعب واعتياص[٢] ، بعد ما ظن كل الظن أن لا مَحيدَ ولا مناص ؛ فما أحقه حينئذ وأَوْلاه ، أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه ؛ على ما أسداه إليه من رِفده وخيره ، ومعافاته مما ابْتُلِي به كثير من غيره ؛ ويَرْضَى بكل إيراد وإصدار ، تتصرف فيهما الأحكام الإلهية والأقدار ، فالدهر غَدّار ، والدنيا دار مشحونة بالأكدار ؛ والقضاء لا يُرَدُّ ، ولا يُصَدُّ ؛ ولا يغالَب ، ولا يطالب ؛ والدائرات تدور ، ولا بد من نقص وكمال للبدور ؛ والعبد مطيعٌ لا مُطاع ، وليس يُطاع إلا المُسْتَطاع ، وللخالق القدير جلت قدرته فى خليقته علم غيب ، للأذهان عن مداه انقطاع ؛ ومالى والتكلّفَ لما لا أحتاج إليه من هذا القول ، بين يدى ذى الجَلالة والمَجَادة والفضل والطَّوْل ؛ فله من العقل الأرجح ، ومن الخُلُق الأسجح ، ما لا تَلْتاطُ[٣] معه تهمتى بصَفَرِه[٤] ، ولا تَنفُق عنده وشاية الواشى ، لا عُدَّ من نفَره ، ولا فاز قِدْحُه بظَفَرِه ؛ والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب ، وتجرّ براحتها إلى المتاعب ؛ وقديما للأكياس من الناس خَدَعَتْ ، وانحرفت عن وِصالهم أعقل ما كانوا وقطعت ،

---

(١) يشير إلى المثل المضروب : « أشهر من قفا نبك » . وهى مطولة امرئ القيس المشهورة .

(٢) اعتاص الأمر عليه : اشتد والتاث ، فلم يهتد للصواب .

(٣) تلتاط : تلصق .

(٤) الصفر (بالتحريك) : اللب والعقل .

وفعلت بهم ما فعلتْ ، بيَسَار الكواعب التى جَبَّتْ وجَدَعَتْ[١] ، ولئن رَهَصَت وهَصَرْت[٢] ، فقد نبَّهت و بَصَّرَتْ ، ولئن قَرَّعَتْ ومَعَّضَتْ[٣] ، لقد أرشَدَتْ ووعَظَتْ ؛ ويا وَيْلَنا مِنْ تَنَكُّرِها لنا بمرّه ، ورميها لنا فى غَمرة أىِّ غَمره ؛ أيامَ[٤] قَلَبَتْ لنا ظَهْرَ المِجَنّ ، وغَيَّم أفقها المُصْحِى وأدْجَن[٥] ؛ فسَرْعان ما عاينَّا حبالها مُنْبَتَّه ، ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغته ؛ [٤٧] فمَن استعاذ من شىء ، فليستعذ مما صِرْنا[٦] إليه ، من الحَوْر بعد الكَوْر[٧] ، والانحطاط من النَّجْد إلى الغوْر :

فبينا نَسُوس النَّاسَ والأمر أمرُنا إذا نحنُ فيهمْ سُوقَةٌ نتنصَّفُ[٨]

فأُفٍّ لدُنيـــا لا يدوم نعيمها تَقَلَّبُ تاراتٍ بنـا وتَصَرَّفُ

وأبيها لقد أرهقتنا إرهاقا ، وجرَّعتنا من صاب[٩] الأَوْصَاب كأْساً دِهاقا[١٠] ؛ ولم نفزع إلى غير بابكم المنيع الجَناب ، المنفتح حين سُدَّتِ الأبواب ، ولم نلبَس غير لباس نَعْمائكم حين خَلَعْنا ما ألبسنا المُلْك من الأثواب ؛ و إلى أُمّه يلجأ الطفل لَجَأَ اللَّهْفَان ، وعند الشدائد تمتاز السيوف من الأجْفان[١١] ، ووجه الله تعالى

---

(١) الجب والجدع : القطع . يشير بهذه العبارة إلى حادثة عبد يدعى يسارا راود بنت مولاه عن نفسها ، فجبت مذاكيره (انظر كتاب المضاف والمنسوب للثعالبى) .

(٢) الرهص والهصر : العصر والأخذ الشديد .

(٣) معضت : أغضبت .

(٤) فى ط : « وإن قلبت » .

(٥) أدجن : أظلم .

(٦) فى ت : « سرنا » .

(٧) الحور : النقص . والكور : الزيادة .

(٨) نتنصف : نطلب النصفة ، وهى الإنصاف .

(٩) كذا فى ط ونفح الطيب . والصاب : عصارة شجر مر . وفى ت : « كأس » .

(١٠) دهاقاً : مملوءة .

(١١) فى ط : « تمتاز السيوف فى الأجوان من الأجفان » . ويريد بالأجوان : جمع جون ، وهو الظلام .

يبقى ، وكلٌّ من عليها فان ، وإلى هنا ينتهى القائل ثم يقول : حسبى هذا[١] وكفان ؛ ولا ريب من اشتمال العِلْم الكريم ، على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم ؛ من الأخذ باليد عند زَلَّة القَدَم ، وقرع الأسنان وعض البنان من النَّدم ؛ دينا به تَدَيَّنت حتى مع اختلاف الأديان ، وعادة اطَّردت فيهم على تعاقب الأزمان والأحيان .

ولقد عَرَض علينا صاحب قَشْتالة مواضعَ معتبرة ، خيّر فيها وأعطى من أمانه ، المؤكَّد فيه خَطُّه بأيمانه ؛ ما يقنع النفوس ويكفيها . فلم نر ، ونحن من سلالة الأحمر ، مجاورة الصُّفْر ، ولا سَوَّغ لنا الإيمان الإقامة بين ظَهْرَانَىِ الكُفر ؛ ما وجَدْنا على ذلك مَنْدُوحة ولو شاسعه ، وأَمِنّا من المُطَالِب المُشاغِب حُمَةَ شرٍّ لنا لاسعه ؛ وأَدَّكَرْنا أَىّ أُدّكار ، قولَ الله تعالى المنكِرِ لذلك غاية الإنكار : « ألم تكن أرض الله واسعه » ؛ وقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام : « أنا برىء من مُؤمن مع كافر لا تتراءى ناراهما[٢] » ؛ وقول الشاعر الحاثّ على حَثّ المطيه ، المتثاقلة عن السير فى طريق مَنجاتها البَطِيّه : [٤٨]

وَمَا أنا والتلَدُّدَ نحو نجْد وقد غُصَّت تِهامة بالرِّجَالِ[٣]

---

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الله » .

(٢) نص هذا الحديث فى النهاية لابن الأثير ولسان العرب (مادة رأى) : « أنا برىء من كل مسلم مع مشرك ؛ قيل : لم يارسول الله ؟ قال : لاتراءى نارهما » . أى لا يحل للمسلم أن يسكن بلاد المشركين ، فيكون معهم بقدر مايرى كل واحد منهم نار صاحبه .

(٣) التلدد : التلفت . وفى الأصلين ونفح الطيب : « التلذذ » . وهو تصحيف .

ووصلت [أيضاً (١)] إلينا ، من الشرق (٢) كتب كريمة المقاصد لدينا ؛ تستدعى الانحياز إلى تلك الجَنبَات (٣) ، وتتضمن ما لا مَزِيد عليه من الرغبات ؛ فلم نختَرْ إلا دارنا ، التى كانت دار آبائنا من قبلنا ، ولم نرتض الانضواء إلا لمن بحبله وُصِلَ حَبْلُنا ، وبريش نَبله رِيش نبلُنا ؛ إدلالا على محلّ إخاء متوارَث لا عن كلاله ، وامتثالا لوَصَاةِ أجداد لأنظارهم وأقدارهم أصالةٌ وجَلاله ؛ إذ قد رَوَيْنا عمن سلف من أسلافنا ، فى الإيصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا ؛ ألّا يَبْتغوا إذا دَهَمهم داهم بالحضرة المَرينية بَدَلا ، ولا يجدوا عن طريقها فى التوجُّه إلى فريقها مَعْدِلا . فاخترقنا إلى الرياض الأريضة الفِجاج ، وركبنا إلى البحر الفُرات ظهر البحر الأُجَاج ؛ فلا غَرْو أن نرد منه على ما يُقِرّ العين ، ويشفى النفس الشاكية من ألم البَيْن ؛ ومن تَوَصَّل هذا التوصُّل ، وتوسل بمثل ذلك التوسّل ؛ تطارُحا على سُدَّة أمير المؤمنين ، المحارب المحاربين ، والمؤمِّن المستأمنين ؛ فهو الخليق الحقيق ، بأن يُسَوَّغ أصفى مشاربه ، ويُبَلَّغ أوفى مآربه ؛ على توالى الأيام والشهور والسنين ، ويَخْلُص من الثُّبور إلى الحُبور ، ويخرج من الظلمات إلى النور خروج الجنين ؛ ولعلّ شعاع سعادته يفيض علينا ، ونفحة قَبول إقباله تسرى إلينا ؛ فتخامِرَنا أَريحيَّة تحملنا على أن نبادر ، لإنشاد قول الشريف الرضىّ فى الخليفة القادر :

عَطْفًا أميرَ المؤمنين فإنّنا ... فى دَوْحة العلياء لا نتَفرقُ

ما بيننا يوم الفَخار تفاوتٌ ... أبدًا كلانا فى المعالى مُعْرِق

---

(١) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٢) فى ط : « المشرق » .

(٣) فى ط : « الجهات » .

إلا الخلافةَ مَيِّزَتْكَ فإننى أنا عاطل منها وأنت مَطوَّق

[٤٩] لا ، بل الأحرى بنا والأحْجَى ، والأنجح لسعينا والأرجى ؛ أن نعدِل عن هذا المِنهاج ، ويقوم وافدنا بين يدى عُلاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج ، وينشد ما قال فى الشِّيرازى ابن حَجَّاج[1] :

الناس يَفْدونك اضْطِرَارًا منهم وأَفْديك باخْتيارى
وبَعْضُهم فى جوار بعض وأنتَ حتى أَمُوتَ جَارِى
فعِشْ لخُبزِى وعش لمائى وعش لدارى وأهلِ دَارِى

ونستوهب من المَنَّان الوهَّاب تعالَى وجلت أسماؤه ، وتعاظمت نعماؤه ؛ رحمة تجعل فى يد الهداية أَعِنَّتَنَا ، وعِصْمة تكون فى مواقف المخاوف جُنَّتَنَا ؛ وقَبولا يُعَطِّف علينا نَوافر القلوب ، وصُنْعاً يُسَنِّى لنا كل مرغوب ومطلوب ؛ ونسأله ، وطالما بلَّغ السائلَ سُؤْلا ومأمولا ، مَتابا صادقا على موضوع النَّدم محمولا ، ثم عَزاء حسنا وصبرا جميلا ، عن أرض أورثها من شاء من عباده مُعْقِبا لهم ومُدِيلا ، وسادِلا عليهم من سُتور الإملاء[2] الطويلة سُدولا ، « سُنةَ الله التى قد خَلَتْ من قبلُ ولنْ تجِدَ لسنة الله تبديلا » . فليطِر طائرُ الوَسْواس المُرَفرِفُ مَطِيرا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا ، ولم نستطع عن مورده صُدورا ، وكانَ أمرُ الله قَدَرًا مَقْدُورا .

(١) ابن حجاج : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد الكاتب الشاعر . وهذه الأبيات من أبيات خمسة قالها فى أبى الفضل الشيرازى . (انظر يتيمة الدهر للثعالبى ، ووفيات الأعيان لابن خلكان) .

(٢) الإملاء : الإمهال .

ألا ، وإن لله سُبحانه فى مَقامكم العلىّ الذى أيّده وأعانه ، سِرًّا من النصر ، يترجم عنه لسان من النَّصْل ، وترجع فروع البشائر الصادقه ، بالفتوحات المتلاحقه ، من قاعدته المتأصلة إلى أَصْل ؛ فبمثله يجب اللِّياذ والعِياذ ؛ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولأمر مّا آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا اللهَ تعالى واستخرناه ؛ ومنه جلّ جَلالُه نرغب أن يَخير لنا ولجميع المسلمين ، ويُؤْوِينَا[1] من حِمايته ووقايته إلى مَعْقِل مَنيع ، وجناب[2] [رفيع][3] ، آمين ، آمين ، آمين .

[٥٠] نرجو أن يكون ربُّنا ، الذى هو فى جميع الأمور حَسْبُنا ؛ قد خارَ لنا حيثُ أرشدنا وهَدَانا ، وساقنا توفيقه وحَدَانا ؛ إلى الاستجارة بمَلِكٍ حَفِيّ ، كريمٍ وَفِيّ ؛ أعزّ جارا من أَبى دُواد[4] ، وأَحْمَى أنْفا من الحارثِ بن عُباد[5] ، يشْهد بذلك الدانى والقاصِى والحاضرُ والباد ؛ إن أغاث مَلهوفا فما الأسود ابن قَنَان[6] يذكر ، وإن أنعش حُشاشة هالك فما كَعْب بن مَامَةَ على فِعْله وحْدَهُ[7] يُشكر ؛

---

(١) فى ط : « ويوردنا » . وفى نفح الطيب : « ويثوب بنا » .

(٢) هذه الكلمة « وجناب » : ساقطة فى ت .

(٣) زيادة عن نفح الطيب .

(٤) أبو دواد : هو جارية بن الحجاج ، وقيل حنظلة بن الشرقى الإيادى . كان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فاجاره وأحسن إليه ، فضرب المثل بحسن هذا الجوار . وقيل غير ذلك . (انظر تفصيل ذلك فى الشعر والشعراء لابن قتيبة عند الكلام على ترجمة أبى دواد) .

(٥) يشير إلى حمية الحارث بن عباد البكرى فى الحرب بين بكر وتغلب حين بلغه قتل مهلهل بجيرا ابنه وقوله له : بؤ بشسع نعل كليب ، فنادى بالرحيل وقال قصيدته المعروفة :

« قربا مربط النعامة منى لفحت حرب وائل عن حيالى »

(٦) لم نجد شيئا عن الأسود بن قنان هذا فى المظان التى رجعنا إليها .

(٧) يشير إلى ما أثر عن كعب بن مامة الإيادى من أنه آثر بنصيبه من الماء رفيقه النمرى ، فمات عطشا ، وضرب به المثل فى الإيثار . (انظر الشعر والشعراء ص ١٢٠ طبعة أوربة ، والمضاف والمنسوب للثعالبى) .

جَليسه كجليس القَعْقاع بن شَور[١] ، ومُذاكره كذاكر سُفْيان[٢] المنتسب من الرِّباب[٣] إلى ثَوْر ؛ إلى التحلّى بأمَّهات الفضائل ، التى أضدادها أمهاتُ الرذائل ؛ وهى الثلاث : الحِكمة ، والعدل ، والعفة ، التى تشملها الثَّلاث : الأقوال ، والأفعال ، والشمائل ؛ وينشأ منها ما شئت[٤] من عزْم وحزْم ، وعِلم وحِلم ، وتيقظ وتحفظ ، واتقاء وارتقاء ، وصَول وطَول ، وسَماح ونائِل ؛ فبنور حلاه المُشْرِق ، يفتخر المَغْرِب على المَشْرِق ؛ وبمجتِده[٥] السامى خطره فى الأخطار ، وبيته الذى ذكره فى النَّباهة والنجابة قد طار ، يُباهى جميع ملوك الجهات والأقطار ، وكيف لا وهو الرفيع المُنْتَمَى والنِّجار ، الراضع من الطَّهارة صفو أَلبان[٦] ، الناشئ من السَّراوة وسْط أحْجار ؛ فى ضِئْضِىء[٧] المجد ، ونُجبوح الكَرَم ، وسَرَاوةِ أُسرة المملكة التى أكنافها حَرَم ، وذُؤابةِ الشَّرَف التى مُجاذبتها لم تُرَم ؛ مِنْ مَعْشَر أَىِّ مَعْشرٍ ، بَخِلوا إن وَهَبُوا ما دون أعمارهم ، وجَبُنوا إن لم يَحْمُوا سِوى ذِمارهم ، بنو[٨] مَرِين ، وما أدراكَ ما بنو مَرِين :

---

(١) القعقاع بن شور : تابعى يضرب به المثل فى حسن المجاورة ؛ كان إذا جالسه واحد بالقصد إليه جعل له نصيبا من ماله ، وأعانه على عدوه ، وشفع له فى حوائجه . (انظر المضاف والمنسوب ، وشرح القاموس مادة قعقع) .

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، تابعى من كبار رجال الحديث .

(٣) الرباب (بالراء المشددة المكسورة) : الجماعات ، وتطلق على قبائل عوف وثور وأشيب وضبة عمهم ، سموا بذلك لتفرقهم .

(٤) كذا فى ت ونفح الطيب والاستقصا للسلاوى . وفى ط : « ناشئة » .

(٥) فى نفح الطيب : « وبمجده » .

(٦) فى ت : « اللبان » .

(٧) الضئضىء : الأصل .

(٨) فى ط : « فبنو » .

سَمُّ العُـــــداةِ وآفَةُ الجُزْرِ[١]

النَّازلون بكلِّ مُعْـتَرَكٍ والطيّبون مَعَاقِـدَ الأُزْرِ

لَهُمْ مِنَ الْهَفَواتِ انْتِفَاء ، وعندهم من السِّيَرِ النَّبوية اكتفاء ؛ انتسبوا إلى بَرّ بن قَيْس[٢] ، فخرجوا فى البِرّ عن القَيْس[٣] ؛ ما لهُم القديمُ المعروف ، قد نَفِدَ فى سبيل المعروف ، وحديثهم الذى نقلته رجال الزُّحوف[٤] ، مِن طُرُق القنا والسّيوف ، على الحَسَن من المقاصد موقوف[٥] ؛ تَحْمَد من صغيرهم وكبيرهم ، ذابِلَهم ولَدْنَهم ، فلله آباءٌ أنجبوهم ، وأُمَّهَاتٌ وَلَدْنَهُمْ : [٥١]

شُمُّ الْأُنوف مِنَ الطِّرَازِ الْأَوَّلِ[٦]

إليهم فى الشـدائد الاستناد ، وعليهم فى الأَزَمات المُعَوَّل ، ولهم فى الوفاء والصفاء والاحتفاء ، والعناية[٧] والحماية والرعاية ، الخطو الواسع ، والباع الأَطول ، كأنما عناهم بقوله جَرْول[٨] :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَى و إِنْ عَاهَدُوا وفَّوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

(١) هذا عجز بيت ، وصدره : « لايبعدن قومى الذين هم » . وهذا البيت والذى يليه من قصيدة لخرنق بنت هفان ترثى زوجها وابنها علقمة وأخويه . (راجع الأمالى ج٢ ص ١٥٨ طبعة دار الكتب) .

(٢) هو بر بن قيس عيلان ، وإليه ينتسب البربر . (انظر شرح القاموس مادة بر) .

(٣) القيس : القياس والتقدير .

(٤) الزحوف : جمع زحف ، وهم الجماعة يزحفون إلى العدو بمرة .

(٥) فى ط : « موصوف » .

(٦) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت من قصيدة يمدح بها الغساسنة ، وصدره :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم

(٧) هذه الكلمة : « العناية » ساقطة فى ت .

(٨) جرول : اسم الحطيئة الشاعر المخضرم المعروف .

وإنْ كانتِ النَّعماءُ فيهم جَزَوْا بها[١] وإن أَنْعَمُوا لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا
وتَعْذُلُنِي أبناءُ[٢] سَعْد عليهمُ[٣] وما قلتُ إلَّا بالتى علمتْ سَعْدُ

وبقوله الوثيق مبناه ، البليغ معناه :

قَوْم إذا عَقَدوا عَقْداً لجارِهِم شَدُّوا العِناجَ وشدُّوا فوقه الكَرَبا[٤]

يُزيحون عن النزيل كل نازحٍ قاصِم ، وليس له منهم عائب ولا واصم ، فهم[٥] أحق بما قاله فى مِنْقَرٍ قيسُ بن عاصم[٦] :

لا يَفْطُنُون لعيبِ جارِهِم وهُمُ لِحِفْظِ جِوَارِه فُطُنُ[٧]

حَلاّهم هذه الغريزةَ التى ليست باستكراه ولا جَعْل ، أميرُ المؤمنين ، دام نصره ، قَسيمُهُمْ فيها حذوَ[٨] النعْلِ بالنعْل ، ثم هو عليهم وعلى من سِوَاهم بالأوصاف المُلُوكية مُسْتَعْل ؛ ارفَضّ مُزْنُهُمْ منه عن غيث مُلِثّ يمحو أثار اللَّزْبه[٩] ، وانشق غِيلُهُمْ منه عن ليث ضار مُنقبض على بَرَاثنه للوَثْبه[١٠] ، فقُل

(١) رواية هذا الشطر فى مختارات ابن الشجرى : « وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها » .
(٢) فى مختارات ابن الشجرى : « أفناء » . والأفناء : الأخلاط .
(٣) يروى : « وقد لامنى أفناء سعد عليهم » .
(٤) العناج : عروة فى أسفل الغرب من باطن ، تشد بوثاق إلى أعلى الكرب ، وهو الحبل الذى تعلق فيه الدلو من عرقوتيها ، فإذا انقطع الكرب أمسك العناج الدلو أن تقع فى البئر . يريد أنهم إذا عقدوا عقدا لجارهم أحكموه .
(٥) كذا فى ط . وفى ت ونفح الطيب والاستقصا للسلاوى : « فهو » .
(٦) بنو منقر : من تميم ، منهم قيس بن عاصم هذا .
(٧) هذا البيت من أبيات لقيس مطلعها :
إنى امرؤ لا يعترى حسبى دنس يفنده ولا أفن
(٨) كذا فى ت ونفح الطيب : وفى ط : « حذوك » .
(٩) اللزبة : الضيق والشدة .
(١٠) يشير إلى قول النابغة :
وقلت يا قوم إن الليث منقبض على براثنه للوثبة الضارى

لسكّان الفَلا : لا تَغُرَّنَّكُمْ أعدادُكم وأمدادُكم ، فلا يُبالى السِّرْحان المَواشى ، سواء مشى إليها النَّقَرَى أو الجَفَلَى[١] ؛ بل يصدِمُهُمْ صَدْمَةً تَحْطِمُ مِنهم كلّ عِرْنين ، ثم يبتلع بعدُ أشلاءهم المُعَفَّرة ابتلاع التِّنِّين[٢] ؛ فهو هو كما عرفوه ، وعَهِدوه وألفوه ؛ أخو[٣] المنايا ، وابن جلا[٤] وطلاعُ الثَّنايا[٥] ، مجتمعٌ أشُدُّه ، قد احتنكتْ سِنّه[٦] وبان رُشدُه ؛ جادّ مجدّ ؛ محتزم بحزام من الحَزْم ، مُشَمِّر عن ساعد الجِدّ :

لا يَشْرَبُ الماءَ إلا مِنْ قَلِيب دمٍ ولا يَبيت له جارٌ على وَجَل[٧]

[٥٢] أَسَدِيُّ القلْب آدَمِيُّ الرُّواء ، لابس جلدَ النَّمر لذوى العِناد والنِّواء[٨] :

وليس بشاوىّ عليه دَمامة إذا ما سعى يسعى بقوس وأَسْهُمِ[٩]

ولكنَّهُ يسعَى عليه مُفَاضَةٌ[١٠] دِلاص كأعْيان الجرادِ المَنظَّم[١١]

---

(١) مشى إليها النقرى أو الجفلى ، أى دهمها وحده أو مع غيره .
(٢) التنين (بكسر أوله) : الحية العظيمة .
(٣) فى ط : « وأخو » .
(٤) يقال : هو ابن جلا : للسيد الشريف الذى لا يخفى مكانه .
(٥) الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة ؛ وطلاع الثنايا : من يسمو لمعالى الأمور .
(٦) احتنكت سنه : قويت تجاربه .
(٧) القليب : البئر . وهذا البيت من قصيدة لأبى سعيد المخزومى . (انظر الأمالى ج ١ ص ٢٥٩ طبعة دار الكتب المصرية) .
(٨) النواء : المناوأة ، وهى المعاداة .
(٩) شاوى : صاحب شاء ، وهى الغنم . ورواية هذا البيت فى اللسان مادة (شوه) :
ولست بشاوى عليه دمامة إذا ما غدا يغدو بقوس وأسهم
وهو والذى بعده ليزيد بن عبد المدان .
(١٠) رواية هذا الشطر فى اللسان مادة (عين) : « ولكنى أغدو على مفاضة » .
(١١) المفاضة : الدرع . والدلاص : اللينة البراقة الملساء .

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين ، والوَحاء الوحاء[١] لاحقين به خاضعين ؛ قبل أن تساقُوا إليه مُقَرَّنين فى الأصفاد ، و يعيا الفِداء بنفائِس النفوس والأموال على الفاد[٢] ؛ حينئذ يَعَض ذو الجهل والفَدامه[٣] ، على يديه حسرة وندامه ؛ إذا رأى أبطال الجنود ، تحت خَوافق الرايات والبُنود ، قد لَفَحَتْهم نار ليست بذات خُمود ، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم : عادٍ وثمود ؛ زَعَقَات سَبَطانات[٤] تؤز[٥] الكتائب أزّا ، وَهمزاً محققا للخيل بعد المدّ المشبع للأعنة هَمْزا ، وسَلاًّ للهندية سَلاًّ وهزا للخَطّية هَزّا ، حتى يقول النَّسْر للذئب : هل تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزا[٦] . ثِق خليفة الله بذاك ، فى كل من رام أَذَى رعيتك أو أذاك[٧] ، فتلك عادة الله سبحانه وتعالى فى ذوى الشّقاق والنِّفاق ، الذين يَشُقّون عصا المسلمين ، و يقطعون طريق الوفاق[٨] ؛ و يَنْصِبون حَبَائل البَغْى والفساد فى جميع النَّواحِى والآفَاق ؛ فلَنْ يجعلهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلّ من الآمنين ، أنَّى وكَيْف وقد أفسدوا وخانوا ؟ وهو سبحانه لايصلح عمل المفسدين ، ولا يهدى كيد الخائنين .

وها نحن قد وجهنا إلى كعبة مجدكم وُجوه صلواتِ التقديس والتعظيم ، بعد ما زيّنا معاطفها باستعطافكم بدُرّ ثناء أبهى من دُرّ العِقد النظيم ؛ منتظمين

---

(١) كذا فى الأصلين . والوحاء : السرعة . وفى نفح الطيب : « والوجل الوجل » .
(٢) الفاد : الفادى ، وهو من يفديهم بالمال .
(٣) الفدامة : العى عن الحجة مع ثقل ورخاوة وقلة فهم .
(٤) سبطانات : جمع سبطانة ، وهى آلة يرمى بها فى الحرب ، (مولدة) .
(٥) تؤزهم : تحركهم بشدة .
(٦) ركزا : صوتا خفيا .
(٧) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « وأذاك » .
(٨) فى ت ونفح الطيب : « الرفاق » .

فى سِلك أوليائكم [١] ، متشرفين بخدمة عَليائكم ؛ ولا فَقَد عزة ولا عدمها ، مَنْ قصد مَثَابَتَكم العزيزةَ وخَدَمها ؛ وإن المترامىَ على سنائكم ، لجدير بحرمتكم واعتنائكم ؛ وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حِصْنا حصينا ، عاش بقية عمره محروسا من الضيم مصونا ؛ وقد قيل فى بعض الكلام : من قعدت به نِكاية الأيام ، [٥٣] أقامته إغاثة الكرام ؛ ومولانا أيده الله تعالى ولىّ ما يَزُفّه إلينا من مكرُمة بِكْر ، ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلّد فى صحائف [٢] حسنِ الذكر ، ويَرْوِى مُعنعنَ حديثِ حمدِه وشكرِه طِرْسٌ عن قَلَمٍ عن بَنَانٍ عن لسان عن فكر ؛ وغيره من ينام عن ذلك فيُوقَظ ، ويسترسل مع الغفلة حتى يذكَّر ويُوعَظ ؛ وما عُهِد مُنذ وجد إلّا سريعاً إلى داعى الندَى والتكرُّم ، بريئاً من الضَّجَر بالمطالبة والتبرّم ؛ حافظا للجار الذى أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه ، مستفرغا وسعه فى رَعْيه المستمرّ ولحظه ، آخذا من حسن الثناء فى جميع الأوقات والآناء بحظّه :

فهو من دَوْحة السَّنا فرعُ عِزّ ... ليس يحتاج مُجتنيه لهزّ
كفُّه فى الإمحال أغزر وَبْل ... وذَراه فى الخوف أمنع حِرْز [٣]
حلمه يُسْفِر اسمه لك عنه ... فتفهَّم يا مدعى الفهْم لُغْزِى [٤]
لا تسلْه شيئا ولا تستنِلْه ... نَظْرة منه فيك تُغْنِى وتُجْزِى
فنَداه هو الفُرات الذى قد ... عام فيه الأنام عَوْم الإوَزّ
وحِماه هو المَنيعُ الذى تر ... جع عنه الخطوب مَرْجِع عَجْز

(١) فى ط : « ومنتظمين فى سلك أولائكم » .
(٢) فى ت : « الصحائف » .
(٣) ذراه : كنفه .
(٤) لعله يريد أن الحلم يلحظ فى اسمه (الشيخ) ، لأن مع الشيخوخة الرزانة والهدوء .

فَدَعُوا ذهنـه يزاول قَوْلِى فهو أدرى بما تضمن رمزى
دام يُحْيِي بكل صُنْع ومَنٍّ ويعافِي من كل بؤس ورِجْزِ

وكأنا به قد عَمِل على شاكلة جلالِه ، مِن مدّ ظلاله ، وتمهيد خِلاله ، وتلقّى ورودنا بحسن تهلّله واستهلاله ، وتأنيسنا بجميل قَبوله وإقباله ، وإيرادنا على حوْض كَوْثره المُتْرَع بزُلاله . والله [سبحانه] (١) يُسْعد مَقامه العَلِيّ ، ويُسعِدُنا به فى حَلِّه وارتحاله ، ومآله وحاله ؛ ويؤيد جنده المظفَّر ، ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوّه واستنزاله ، وهَزّ الذوابل (٢) لإطفاء ذُباله ؛ وهو سبحانه وتعالى المسئول أن يُرِيه قُرَّة العين فى نفسه وأهله وخُدَّامه وأمواله ، وأنظاره (٣) وأعماله ، وكافة [٥٤] شئونه وأحواله . وأحق ما نصل بالسّلام وأولى ، على المقام الجليل مَقام الخليفة المَوْلَى : أزكى الصلاة والسلام على خاتمة (٤) أنبياء الله وأرْسَالِه (٥) ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله ، صلاةً وسلاما دائمين أبدا ، موصولين بدوام الأبد واتصاله ، ضامِنَيْنِ لِمُجَدِّدِها ومردِّدِها صلاح فاسد أعماله ، وبلوغ غاية آماله ، وذلك بمشيئة الله تعالى وإذنه وفضله وإفضاله .

انتهى الكتاب ؛ وأوردته بطوله لما فيه من ذكرى واعتبار ، بما فعلته الدنيا مع الملوك الأعاظم الكِبار ، ولأن الكلام جر إليه ، والله تعالى الكفيل بخلاص من توكل عليه .

---

(١) زيادة عن نفح الطيب .
(٢) الذوابل : الرماح ، جمع ذابل .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . والأنظار : جمع نظر ، وهو مصدر ، يراد به مايتولى النظر عليه من الأعمال . وفى ت : « أقطاره » .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « خاتم » .
(٥) يريد رسله ، والأرسال : غير مسموع فى هذا المعنى .

أبو عبد الله العربى وشىء من نظمه

وصاحب هـذا الإنشاء وصفه الإمام ابن داود بقوله : « الفقيه الخطيب الفاضل ، خاتمة الأدباء بالأندلس[١] ، أبو عبد الله محمد بن الفقيه الصالح أبى محمد عبد الله العقيلى المعروف بالعربى .

ومن بديع نظمه هذه الأبيات[٢] :

جُزْ بالبساتين والرياض فما أبهج مَرْئيَّها[٣] وأجْـلاهُ[٤]
واعْجَبْ بها لِلنَّبات ولْتَكُ فِي أسفلِهِ ناظرا وأعـلاه
وقدِّسِ اللهَ عنـد ذاك وقُلْ سبحانه لا إلهَ إلا هُو

ورأيت بخط ابن داود المذكور أنه وقع بينه ، أعنى ابن داود ، وبين الفقيه المدرس أبى عبد الله محمد بن أبى الفضل بن إبراهيم البَسطى ، نزاع فى مسألة نحوية ، قال : وطال فيها الكلام[٥] بما تَقَيَّد عنى فى غير هذا ، فقال الفقيه الخطيب الأديب العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربى يُوَرِّى بالقضية ، ويشير إلى قصة نبى الله سليمانَ بن داود عليهما السلام :

نَدَّدَ البَسْطِىّ فى مسألة لابن داودَ وقد أحْكَمَها
وقـديما وقعت مُعْضِلَةٌ وابن داود الذى فَهَّمَها[٦]

[٥٥] انتهى .

قصيدة الدقون فى ندب الجزيرة

ومن نظم الشيخ الفقيه ، الأستاذ المُقْرِئ الخطيب ، الفذّ الأوحد ، سيدى

(١) فى ت : « أدباء الأندلس » .
(٢) فى ت : « ومن بديع نظمه قوله » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « مرآها » .
(٤) فى نفح الطيب : « وأحلاه » .
(٥) فى ت : « القيام » .
(٦) يشير إلى قوله تعالى فى قصة الغنم والحرث : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » .

أبى العباس أحمد الدقون[١] رحمه الله ، قصيدة فى نَدْب[٢] الجزيرة ، تذكر النفوس بشجوها ، فترسل العيون دموعها الغزيرة ، افتتحها بنثر نصه :

الحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله خير آل . أما بعد فيقول خديم[٣] أهل الله تعالى ، عُبيد الله أحمد بن محمد الأندلسى ، الشهير بالدقون ، لطف الله به بمنه وكرمه :

إنه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء ، بأخذ الحمراء ؛ قَرَعْتُ باب النُّدْبه ، لما تقدم من الصحبه ؛ فقلت أبياتا صَدَرَتْ من قلب كئيب ، مُبْكِية كل[٤] لبيب أريب ؛ وسميتها بالموعظة الغراء ، بأخذ الحمراء ، مبيحا لمن رغب فيها ، ولم يرغب عنها ، أو استحسن شيئا منها ، أن يحدِّث بها عنى ؛ وذلك بعد إتقان لفظها وحفظها ، وفهم وعظها ولحظها ؛ وإن كنت لا أحسن أن أقول ، وربما أُعْزَى بها إلى الفُضُول ؛ لكنّى لا أَعْدَم المثيل ، وفى مثل هذا قيل :

ومَنْ ذا الذى ترضى سجاياه كلُّها كَفَى المرءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ معايبُهْ

والله حسبى وعُدَّتى ، وهو مُقيلُ عَثْرتى . وهذا مطلع صباحها ، ومنبع افتتاحها :

أَمِنتَ من عكْس آمال وأحوال وعشْتَ ما بين أعمام وأخوالِ
ولا ابتُليتَ بما فى القلب من نكدٍ فالجسمُ مشتغل من غير أشغال
وكيف لا وبِقاع الدين خالية من أرض أندلس من أجْل أهوال

(١) هو أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجى المشهور بالدقون ، توفى مستهل شعبان سنة إحدى وعشرين وتسع مئة . (انظر كتاب نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج ، لأحمد بابا التنبكتى) .
(٢) فى ت : « ندبة » .
(٣) انظر حاشية رقم ٣ صفحة ٣٩ من هذا الجزء .
(٤) فى ت : « لكل » .

عمّت فغمّتْ قلوب المسلمين فيا ... للمسلمين مِنَ أعـداء وأنكالِ
جاشت بها من جيوش الكفر ما دَرَسَتْ ... بهم معالمُ أخيـار وأقيال[1]
أهل الشجاعة أهل العلم أهل تقًى ... أهل النفاسـة فى قول وأفعال
عنهم وفيهم أحاديث النبىّ بدت ... وهم معاقلُ قول الله للتالى
رُهبان ليلٍ وفُرْسان النهار فمَنْ ... يُلْمِمْ بساحتهم يظفرْ بآمال
لا عيب فيهم سوى أن المضاف لهم ... يسلو عنَ أهل وأوطان وأموال
[٥٦] فهل ترى بعد هـذا النفسَ سائلة ... وكيف تَسأل عن وصف وعن حال
تالله لا زال ما فى القلب من أسف ... ولو أكون حليفَ المنزل الخالى
أو يفتحَ الله فى نصر يَمُنّ به ... فالله باق يقى من كل مُحْتال
قد رام إطفاء نور الله مجتهدا ... وباذلا كل ما قد حاز من مال
سطا بجيش كموج البحر فى عُدَدٍ ... نعم ، وفى عَـدَدٍ من رَهْط أبطال
مُؤيَّدًا باجتماع المصر يتبعه ... شر الخلائق مسرورا بإقبـال
يَسْبى المسامعَ بالأنفاض[2] مُشْبِهةً ... وقْعَ الصّواعق فى هَـدٍّ وزلزال
يَبْنى ليهدم ما الإسلام شـيَّدَه ... والوصف يُعْجِز مَنْ يُدْعَى بقَلْقال[3]
فهو المقاتِلُ فى الأبراج مُنْتَقِلٌ ... إلْفَ النُّحوسِ وتغيير[4] وتَرْحال
فاستوطن المرْجَ لا ينوى الرحيلَ ولا ... يَخْشَى المُغيثَ بسَهْل أو بأجبال
والمسلمون من الأضغان قد مُلِئت ... قُلوبُهُمْ وأبَوْا تَسْـديد أخلال[5]

(١) الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك دون الملك الأعظم .
(٢) كذا فى الأصلين : ولعلها محرفة عن الأنفاط (بالطاء) ، يريد بها الآلات التى ترمى بها الحصون والأسوار كالمدافع . (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزى) .
(٣) يريد بالقلقال (هنا) : الفصيح اللسن ، كما هو شائع على ألسنة المغاربة حتى اليوم .
(٤) فى ط : « النجوس » .
(٥) الأخلال : جمع خلل ، وهى الثغرة فى الصفوف ونحوها .

والحقّ مختلِف والحمقُ مؤتَلِف ... والكل منصرف عن نصر أبطالِ
وهم لديه كطير وهو ينتِفُه ... والطير يرجو البقا مع كَيْد قتّال
إذا تجرَّدَ[١] من ريش يطير به ... أضحى يدافع عن رُوح بأوصال[٢]
سَـــدُّوا مسالك أرزاق ومنفعة ... كدودة القز فى نَسْجٍ لسِرْبال
ثم استغاثوا : ألَا فُرْسانَ عاديةٌ ... قال الصدى : لستَ ذا رمح ونبّال
والصيفَ ضيعتَ ما أمَّلتَ من لَبَنٍ ... ففارِقِ الجَبْجَ من تدخين نحّال[٣]
وارْحَل بنحْلك[٤] نحو الغَرْب فى كرم ... من قبل وضعك فى قَيْد وأغلال
فاستمكنَ[٥] الرُّعبُ فى الأكبادواتفقت ... بعد اختلاف على تأمين أرذال
واحتل غَرناطةَ الغرّاء قد[٦] عَدِمت ... حَبَّ الحصيد ونصرَ الله والآل
كأنها الشمس فى أُفْق العُلى كُسِفتْ ... فهل على طَلَلٍ ترمى بأبطال؟[٧]
وهل تعود ليـالٍ قد سَلَفْنَ بها ... ونحن لا نشتكى تنكيدَ ضُـلّال؟
وهل يعود لهـا الدين الذى أنِسَتْ ... به وقد أَيِستْ من فتح أبدال؟[٨]
فأصبحوا لا تُرَى إلا مساكِنُهم ... كمثل عادٍ وما عادٌ بأشـــكال
قد فُرِّقُوا كَسَبَا فى كل منزلة ... وقد سبا عدّه من أيد أو عال[٩]

(١) كذا فى ط . وفى ت : « تجدد » وهو تحريف .
(٢) الأوصال : مجتمع العظام . يريد الأطراف .
(٣) الجبح : خلية النحل . والنحال : القائم على خلايا النحل .
(٤) فى ت : « بنجلك » .
(٥) فى ت : « واستمكن » .
(٦) فى ط : «مذ» .
(٧) كذا فى ط . وفى ت : « تومى بأطلال » ولا معنى له .
(٨) يشير إلى ما هو معروف فى الغرب من الاستنصار بالأوليـاء ، وهم الأبدال ، عند اشتداد الأزمات والخطوب .
(٩) كذا ورد هذا الشطر فى الأصلين .

فلا المساجدُ بالتوحيـــد عامرةٌ إذ عَمَّروها بنـاقوس وتِمثالِ
ولا المنـــابرُ للوعّاظ بارزة الأمر والنهى أو تذكير آجال
ولا المكاتب بالصبيان آنسة تتلو القُرَان بأسحار وآصـال
آهٍ على الدين والدنيا وما نفعت آهٍ إذا صدرت من قلب بَطَّال[1]
[٥٧] إنّا إلى الله والرُّجْعَى له وبه تعلّق القلب فى تصحيح إعلال
وكان ما كان والألطاف شاملة لا حتْ بنُقْلة نِسوان وأطفال
فلنكرم[2] الآن مَنْ ينزلْ بمنزلنا فالدهرُ ذو دول فاسمع لأمثال
وإذ ولا قدرة تدنى المنى فلهم حقّ الجِوار ولا تُوصف[3] بإهمال
نلقاهم ولنـا بِشْر ومَعـــذِرة ورحمـــة يا حُماةَ العَمّ والخال
ولا نذدْ عن وُرود الحوض واردَه ولا ندعْ قولَ ذى نُصْح وإجمال
إخوانكم رفعوا أيدى الضراعة مع كسر القلوب فلا يُلْقَوْا بإخمال
وقل لوالٍ تلطفْ فى مغـارمهم يَلْطفْ بك الله إذ تدعى لأَحمال
هـذا النَّذير جِهارا جاء يُنْذِرنا والاذن فى صمم عن قيلِ أوْ قال
ونحن فى غفـــلة عمـا يُراد بنا نمشى على مُهْلة من طول إمهال
يأهل فاسَ أما فى الغير موعظة إن السعيد لموعوظ بأمثال
فقل تعـالَوْا إلى نصح وتذكرة فالأَمْر جِدٌّ فلا تصحبْ لِمكسال
كيف الحَيَاة إذِ الحَيَّات قد نَفَحَت على السواحل أو همَّت بإرسـال
ولا سبيل إلى التِّرياق غيرُ تُقًى والحزم فى سَعَةٍ من قبل إعجال
والأَخذ بالجِدّ فى جمع القلوب على بذل النصيحة أو إبراء أَدْخال

(١) فى ط : « آها على الدين ... * إلا إذا صدرت ... الخ » .
(٢) فى ت : « فنكرم » .
(٣) فى ت : « فلا يوصف » .

والزُّهد فى هذه الدنيا وزُخرفها ... والأمر بالعرف مع تحسين مِقوالِ
ولا تَرُمْ فى أمان الروم منزلةً ... خوفا على الدين أو بعدا مِنَ ٱنْذَال
فمن يَبِتْ فى أمان الكلب منتصبا ... لسخط مَوْلَى ولا عـذرٌ بأثقال
وار بأْ بنفسك عن أَرْض تهان بها ... فحيثما كنت لا تخشى مِنِ ٱقْلال
فالموت عنـدىَ خير من حياة فتًى ... قد اكتسى بعـد عز ثوبَ إذلال
والهِجرة الآن قد عادت كما سبقتْ ... فافهم تفـاصيل أَقوالٍ وإجمال
واحتلْ بذهنك ولتسمع نصائحَ مَنْ ... قدطَبَّ مَنْ حَبَّ[1] لم يُوصَفْ بمُحْتال
فى صدر سبع على التسعين زائدة ... شمسُ الجزيزة غابت بعـد إكمال
و بُلِّغَ الكلبُ ما قد شاء من أَرَبٍ ... إذْ لم يجد ذائدا عن ديننا العـالى
ليقضىَ الله أمرا كان قَدَّره ... والأمرُ لله فى قول وأَفعـال
وقد وعظتُ ولو أسمعتُ لانتشرتْ ... سحائب الدمع لم تقلع عنِ انزال
فليشتغل كل مسكين بمهجته ... والله يحفظنا من كل مِهْوال
ثم الصلاة على المختار سـيدنا ... محمد والرضا عن آلٍ أَوْ تَالى [٥٨]

مما كتبه بعض أهل الجزيرة إلى بايزيد

ومما كتبه بعض أهل الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها للسلطان أبى يزيدَ[2] خان العُثمانى ، رحمه الله ، ما نصه بعد سطر الافتتاح :

الحضرة العلية ، وصلَ الله سعادتها ، وأعلى كلمتها ؛ ومهَّد أقطارها ، وأعزّ أنصارها ، وأذل عُداتها ، حضرة مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ، السلطان الملك الناصر ؛ ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قامع أعداء الله

(١) من أمثال العرب فى التنوق فى الحاجة وتحسينها : اصنعه صنعة من طب لمن حب . . . أى صنعة حاذق لمن يحبه .
(٢) فى ط : « بايزيد » .

الكافرين ؛ كهف الإسلام ، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام ؛ محيي العدل ، ومنصف المظلوم ممن ظلم[١] ، ملك العرب والعجم ، والترك والدَّيْلم ؛ ظِل الله فى أرضه ، القائم بسنته وفرضه ؛ ملك البَرَّيْن ، وسُلْطان البحرين ؛ حامى الذِّمار ، وقامع الكَفَّار ؛ مولانا وعُمدتنا ، وكهفُنا وغياثنا[٢] ، مولانا أبو يزيد ، لا زال ملكه موفور الأنصار ، مقروناً بالانتصار ، مُخَلَّد المآثِر والآثار ، مشهور المعالى والفَخار ؛ مستأثِرا من الحسنات بما يضاعف الله به الأجر الجزيل ، فى الدار الآخرة والثناء الجميل ، والنصر فى هذه الدار . ولا بَرِحت عَزَماته العلية مختصة بفضائل الجهاد ، مُجَرِّدةً على أعداء الدين من بأسها ، ما يُرْوِى صدور السُّمر والصِّفاح[٣] ، وألْسِنة السِّلاح ، باذلة نفائس الذخائر فى المواطن التى تألف فيها الأخاير مفارقة الأرواح للأجساد[٤] ، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم يقوم الأشهاد :

سلام كريم دائم متجدّد ... أخص به مولاىَ خيرَ خليفةِ
سلام على مولاى ذى المجد والعُلا ... ومَنْ ألبس الكفارَ ثوبَ المَذَلَّة
سلام على من وسّع الله ملكه ... وأيّده بالنصر فى كل وِجهة
سلام على مولاى من دار ملكه ... قُسَنْطِينةٍ أكرِمْ بها من مدينة
سلام على من زيَّن الله ملكه ... بجند وأتراك مِنَ أهل الرِّعاية
سلامٌ عليكُمْ شَرَّف الله قدركُمْ ... وزادكُمُ ملكا على كل مِلَّة[٥]

(١) فى ط : « من الظالم » .
(٢) فى ط : « غوثنا » .
(٣) الصفاح : جوانب السيوف ، الواحد : صفح .
(٤) هذه العبارة ، من قوله : « باذلة نفائس » إلى قوله : « للأجساد » : ساقطة فى ت .
(٥) رواية هذا الشطر فى ط : « وزادكم ملكا فى كل ملكة » وهو محرف .

سلام على القاضى ومَنْ كان مثلَه ... مِنَ العلماء الأَكْرمِينَ الأجِلّةِ
سلام على أهل الدِّيانة والتّقَى ... ومن كان ذا رأى مِنَ أهل المشورة
ســـلام عليكم من عَبيد تخلَّفُوا ... بأندلس بالغَرْب[1] فى أرض غُرْبة
أحاط بهم بحر من الرُّوم زاخرٌ ... وبحر عميقٌ ذو ظلام ولُجَّة
سلام عليكم من عَبيد أصابهم ... مُصاب عظيم يالَها مِنْ مُصيبة
سلام عليكم من شُيوخ تمزقت ... شُيُوبهم بالنَّتف من بعد عِزّة
سلام عليكم من وجوه تكشَّفت ... على جملة الأعلاج من بعد سَتْرة
سلام عليكم من بناتٍ عواتقٍ ... يسوقهم اللَّبَّـــاط قهراً لخَلْوة[2]
سلام عليكم من عجائزَ أُكْرِهَتْ ... على أكل خِنزير ولحمٍ لِجِيفة
نقبل نحن الكلُّ أَرْض بِسَاطكم ... وندعو لكم بالخير فى كل ساعة
أدام الإله[3] ملككم وحياتَكم ... وعافاكم من كل سُوء ومِحْنة
وأيَّدَكُمْ بالنصر والظَّفْر بالعِدا ... وأسكنكم دار الرضا والكرامة
شكونا لكم مولاىَ ما قد أصابنا ... من الضُّر والبَلْوى وعظم الرّزية
غُـــدِرْنا ونُصِّرنا وبُدِّل ديننا ... ظُلِمنا وعُوملنا بكلّ قَبيحة
وكنا على دين النبى محمدٍ ... نقاتل عُمَّال[4] الصليب بنيـة
ونلقى أموراً فى الجهاد عظيمةً ... بقتلٍ وأَسْرٍ ثم جُوع وقلّة
فجاءت علينا الروم من كلّ جانب ... بسيل عظيم جملةً بعد جُمْلة

(١) فى ط : « فى الغرب » .
(٢) اللباط : من رجال الدين بالكنيسة ، كما فى معجم دوزى . يشير إلى ما فعله نصارى الأسبان من إكراه المسلمين على ترك دينهم .
(٣) فى ط : « إلهى » .
(٤) كذا فى ت . وفى ط : « أعمال » . وفى رواية : « عباد » .

ومالوا علينا كالجراد بجمعهم ... بجد وعزم من خيول وعُدّةِ
فكنا بطول الدهر نَلْقَى جموعهم ... فنقتلُ فيها فرقةً بعـــد فرقة
وفُرسانُهم تزداد فى كل ساعة ... وفُرْساننا فى حال[1] نقصٍ وقلة
فلمـــا ضَعُفنا خَيَّموا فى بلادنا ... ومالوا علينـا بَلدةً بعد بلدة
وجاءوا بأنفاط[2] عظام كثيرة ... تهدم أسوار البـــلاد المنيعة
وشدوا عليها فى الحِصار بقوة ... شهوراً وأياماً بِجـــدّ وعَزْمَة
فلمـــا تفانت خيلُنا ورجالنا ... ولم نر من إخواننا من إغاثة
وقَلَّت لنا الأقوات واشتدّ حالنا ... أطعناهُمُ بالكَرْه خوف الفضيحة
وخوفاً على أبنائنـا وبَناتنـا ... مِنَ أن يؤسَرُوا أَوْ يقتلوا شر قِتْلة
على أنْ نكون مثلَ من كان قَبْلَنا ... من الدَّجن من أهل البلاد القديمة
ونُبْقِي على آذاننا وصـــلاتنا ... ولا نتركَنْ شيئاً مِنَ أمر الشريعة
ومن شاء منا البحرَ جاز مُؤَمَّناً ... بما شاء من مال إلى أرض عُدْوة
إلى غير ذاكَ من شروط كثيرة ... تزيد على الخمسين شرطاً بخمسة
فقال لنا سُلْطانهم وكبيرُهم ... لكم ما شرطتم كاملا بالزيادة
وأبْدى لنا كُتْباً بعهد وموثق ... وقال لنا هذا أمانِي وذِمَّتى
فكونوا على أموالِكُمْ ودِياركم ... كما كُنتمُ من قبلُ دُونَ أَذِيَّة
فلما دخلنا تحت عَقْد ذِمامهم ... بدا غَدْرُهُمْ فينا بنقض العزيمة
وخان عهوداً كان قد غرَّنا بها ... ونَصَّرَنا كَرْهاً[3] بعُنْفٍ وسَطْوة

(١) فى ط : « فى كل » .
(٢) كذا فى ط . ويريد بالأنفاط : الآلات التى ترمى بها الحصون والأسوار كالمدافع . وفى ت : « بأنقاض » وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ١٠٥ من هذا الجزء).
(٣) فى ط : « قهرا » .

وأحرقَ ما كانتْ لنامن مَصاحفٍ ... وخلَّطها بالزِّبل أو بالنجاسةِ
وكل كتاب كان فى أمر ديننا ... ففى النار أَلْقَوْهُ بهُزْءٍ وحَقْرة
ولم يتركوا فيها كتاباً لمسلم ... ولا مُصْحَفاً يُخْلَى به للقراءة
ومن صام أو صلى ويُعلم حالُه ... ففى النار يُلْقُوه على كل حالة
ومَنْ لم يَجِئْ مِنَّا لموضع كُفرِهمْ ... يعاقبُه اللّباط شَرَّ العقوبة
ويَلْطِم خَدَّيه ويأخذ ماله ... ويجعلُه فى السجن فى سُوء حالة
وفى رَمضانٍ يُفْسدون صيامنا ... بأكل وشُرْب مرة بعد مرة
وقد أمرونا أن نَسُبَّ نبينا ... ولا نذكرنْه فى رَخاء وشدة
وقد سمعُوا قوماً يُغَنُّون باسمه ... فأدركهمْ منهمْ أليمُ المَضَرَّة
وعاقبَهُمْ حُكَّامُهُمْ وَوُلاتُهم ... بضرب وتغريم وسَجْنٍ وذِلّة
ومن جاءه الموتُ ولم يُحْضِرِ الذى ... يُذَكِّرُهُمْ لم يدفِنوه بحيلة
ويُترَكَ فى زِبْلٍ طريحاً مُجَدَّلا ... كمثل حِمار ميّت أو بَهيمة
إلى غير هذا من أمور كثيرة ... قِباحٍ وأفْعَالٍ غِزَارٍ رَدِيّة
وقد بُدِّلتْ أسماؤنا وتحولتْ ... بغير رِضاً منا وغير إرادة
فآهاً على تبديل دين محمد ... بدين كلاب الروم شَرِّ البرية
وآهاً على أسمائنا حين بُدِّلَتْ ... بأسماء أعلاج مِنَ أهل الغَباوة
وآهاً على أبنائنا وبَناتنا ... يَرُوحون للّباط فى كل غُدْوة
يُعلِّمهم كفراً وزُوراً وفِرْيةً ... ولا يقدِروا أن يمنعوهم بحيلة
وآهاً على تلك المساجد سُوِّرَتْ ... مَزابلَ للكفّار بعد الطّهارة
وآهاً على تلك الصوامع عُلِّقَتْ ... نَواقيسُهُمْ فيها نَظيرَ الشّهادة
وآهاً على تلك البلاد وحُسْنها ... لقد أظلمتْ بالكفر أعظم ظُلْمة

وصارت لعُبَّاد الصَّليب مَعاقِلا ... وقد أمِنوا فيها وقوع الإغارةِ
وصِرْنا عبيداً لا أُسَارَى فنُفْتَدَى ... ولا مسلمينَ نطقُهُمْ بالشَّهادة
فلَوْ أبصرت عيناك ما صارَ حالُنا ... إليه لجادتْ بالدُّموع الغزيرة
فيا ويلَنا ، يا بُؤْسَ ما قد أصابنا ... من الضُّرّ والبَلْوَى وثوبِ المَذَلَّة
سَأَلناك يا مولاىَ بالله ربِّنا ... وبالمصطفَى المختارِ خيرِ البَرِية
وبالسَّادة الأخيار آل محمد ... وأصحابه أكرمْ بهم مِنْ صَحَابة
وبالسَّيد العبَّاس عَمّ نبيِّنا ... وشَيْبته البيضاءِ أفضلِ شيْبة
وبالصالحين العارفينَ بربِّهِمْ ... وكلّ ولى فاضل ذى كرامة
عسى تنظروا فينا وفيما أصابنا ... لعل إلٰهَ العرش يأتى برحمة
فقولُكَ مسموع وأمرك نافذ ... وما قلت من شىء يكون بسرعة
ودينُ النصارى أصلُه تحتَ حكْمكمْ ... ومن ثَمَّ يأتيهم إلى كل كُورَة
فبالله يا مولاىَ مُنُّوا بفضلكم ... علينا برأى أو كلام بحُجَّة
فأنتمْ أولو الإفضال والمجدِ والعلا ... وغوثُ عباد الله فى كل آفة
فسلْ بابَهُمْ[1] أعنى المقيم برومةٍ ... بماذا أجازوا الغدر بعد الأمانة ؟
وما لَهُمُ مالوا علينا بغدرِهِمْ ... بغير أذًى منا وغير جريمة
وجنسهمُ المغلوبُ فى حفظ ديننا ... وأمنِ ملوك ذى وفاء أجِلّة
ولم يُخْرَجوا من دينهم وديارهم ... ولا نالهم غَدْر ولا هَتْكُ حُرْمة
ومَنْ يُعْطِ عهداً ثم يَغْدِر بعهده[2] ... فذاك حرامُ الفعل فى كُلّ مِلّة
ولا سِيَما عندَ الملوك فإنه ... قبيح شنيع لا يجوز بوجهة

(١) يريد البابا رئيس الدين المسيحى .
(٢) فى ط : « ثم يغدر بعده » .

وقد بَلَغَ المكتوب منكمْ إليهم ... فلم يَعملوا منه جميعاً بكلمة
وما زادهم إلا اعتداء وجُرْأَةً ... علينا وإقداماً بكل مَساءة
وقَدْ بَلَغَتْ أَرْسَالُ[1] مصرَ إليهم ... وما نالهم غدر ولا هتك حُرمة
وقالوا لتلك الرُّسْل عنا بأننا ... رضينا بدين الكفر من غير قَهْرة
وساقوا عقود الزور ممن أطاعهم ... ووالله ما نَرْضَى بتلك الشهادة
لقد كَذَبوا فى قولهم وكلامهم ... علينا بهذا القول أكبر فِرْية [٦٢]
ولكنّ خوفَ القتل والحَرْق رَدَّنا ... نقول كما قالوه من غير نِيَّة
ودينُ رسول الله ما زال عندنا ... وتوحيدُنا لله فى كلّ لحظة
ووالله ما نرضى بتبديل ديننا ... ولا بالذى قالوا مِنَ أمر الثلاثة
وإن زعموا أنّا رضينا بدينهم ... بغير أذى منهم لنا ومساءة
فسلْ[2] وَحَرا عن أهلها كيف أصبحوا ... أُسارَى وقتلى تحت ذل ومَهْنة
وسَلْ بِلِّفِيقا عن قضية أمرها ... لقد مُزِّقوا بالسَّيْف من بعد حَسْرة
ومنيافة[2] بالسيف مزق أهلها ... كذا فعلوا أيضاً بأهل البُشُرَّة[3]
وأندَرَش[4] بالنار أحرق أهلها ... بجامعهم صاروا جميعاً كفحمة
فها نحن يا مولاى نشكو إليكم ... فهذا الذى نلناه من شَرّ فُرْقة
عسى دينا يبقى لنا وصلاتنا ... كما عاهدونا قبل نقض العزيمة
وإلا فيُجْلُونا جميعاً مِنَ أرضهم ... بأموالنا للغَرْب دار الأحبة
فإجلاؤنا خير لنا من مُقامنا ... على الكفر فى عز على غير مِلّة
فهذا الذى نرجوه من عِزّ جاهكم ... ومِنْ عندكم تُقْضَى لنا كلُّ حاجة

(١) يريد بالأرسال (هنا) : جمع الرسول .
(٢) وحرا ، ومنيافة : اسما بلدين ، ولم نعثر عليهما فى المعاجم .
(٣) البشرة : جهة تنتظم قرى كثيرة نزهة قرب غرناطة .
(٤) أندرش (أندراش) : بلدة بالأندلس من كورة ألبيرة .

ومِنْ عندكم نرجو زوال كُرو بنا وما نالنا من سوء حال وذِلّة
فأنتم بحمد الله خير مُلوكنا وعزتُكمُ تعلو على كلّ عِزة
فنسأل مولانا دوامَ حياتكم بمُلك وعِز فى سرور ونَعْمة
وتهدين[1] أوطان ونصر على العِدا وكثرة أجناد ومال وثَرْوة
وثُمَّ سلام الله تتلوه رحمة عليكمُ مدى الأيّام فى كل ساعة

انتهت الرسالة بحمد الله ، وكتبتها وإن كانت ألفاظها غير بليغة ، تكميلا للفائدة ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

بلاغة أهل الأندلس

وكان أهل الأندلس فى عُنْفوان أمْرهم فى غاية البلاغة . حتى قال الرئيس ابن الجَيّاب يفتخر[2] بذلك :

أبى الله إلا أن تكون اليدُ العُلْيا لأَندَلُس من غير شرط ولا ثُنْيا[3]
وإنْ هى عَضَّتها نيوب نوائب فَصَيَّرت الشّهْد المَشُور بها شَرْيا[4]
فما عَدِمت أهلَ البلاغة والحِجا يقيمون فيها الرسْم للدين والدُّنيا
إذا خَطَبُوا قاموا بكل بليغَةٍ تُجَلِّى القلوب[5] الغُلْف والأعين العُمْيا
[٦٣] وإن شَعَرُوا جاءوا بكل غريبة تُخال النُّجُومَ النيِّراتِ لها حَلْيا
فنسأَلُ فى الدنيا من الله سَتْرةً علينا ، وفى الأخرى إذا حانتِ اللُّقْيا

ولعمرى ، لقد صدق قائل هذه الأبيات ، فإن البلاغة لم تزَل شمسُها بالأندلس باهرة الإياة[6] ، ظاهرة الآيات ، إلى أنِ استولى عليها العدو ، وعطّل

(١) كذا فى ت . والتهدين : التسكين وفى ط : « وتهذيب » .
(٢) فى ط : « مفتخرا » .
(٣) ولا ثنيا : ولا استثناء .
(٤) الشرى : الحنظل .
(٥) فى ت : « تحلى قلوب القلب » وهو تحريف .
(٦) إياة الشمس : ضوءها .

من أهل الإسلام الرَّواح إليها والغُدُوّ ، وفى أهلها بقية لسان وبراعة[١] ، وتصرف فى فنون الإجادة وبراعة ، وقد قصصنا عليك آنفاً الرسالة التى كتبها الملك[٢] المخلوع لصاحب المغرب فيما سردناه ، واطلعت منها على ما يؤيد ما [قلناه[٣]] ، من الغرض الذى انتحيناه وأوردناه : وقد كان ذلك الكاتب وطبقته تلقفوا كُرَة البلاغة من يد طبقة أخرى حازت[٤] مُعَلّى القِداح ، وتبرجت لها من الفصاحة كل خَوْد رَداح[٥] ، كالفقيه الكاتب أبى عبد الله الشّران ، المبرز فى أدواته على الأنداد والأقران ، وكالأديب الشهير [الفقيه عمر ، الذى لم تزل أخباره إلى الآن سَمَر ، وكفارس تلك الحلبة ، الكاتب القاضى الرئيس ، الوزير[٦]] الفقيه ، أبى يحيى بن عاصم ، الذى حَلِيَتْ بعلومه اللَّبَّات والمعاصم ، وغيرهم من الجهابذة النُّقّاد ، والأعلام الذين تخضع لهم المحاسن وتنقاد ، إن جَدُّوا وصلوا مقطوع الأسباب ، وإن هَزَلُوا ، على عادة الأفاضل فى مثل هذا الباب ، ملكوا النفوس ، وسحروا الألباب ؛ وقد سبق من كلام ابن عاصم ما يصحّح ما ادعيناه ، ولْنورد زيادةً إذا أبصرها المنصف المستفيد تَقَر عيناه ، فنقول :

مقامة الفقيه عمر : تسريح النصال إلى مقاتل الفصال

أما الفقيه عمر فهو أشهر من نار على عَلَم ، وأزجاله ومنظوماته ومقاماته عند العامة محفوظة ، وعند الخاصّة مرفوضة ، إلا القليل الذى يُسمح فى مثله لصاحب القلم ، كمقامته[٧] التى سماها بتسريح النِّصال ، إلى مقاتل الفَصّال ، ونصها :

(١) اليراعة : قصبة القلم . والمراد أنهم أهل فصاحة إذا تكلموا أو كتبوا .
(٢) فى ط : « كتب ملكها » .
(٣) زيادة عن ت .
(٤) فى ط : « جازت » .
(٥) الخود : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة ؛ والرداح : الثقيلة الأوراك والمآكم .
(٦) زيادة عن ت .
(٨) فى ط : « مقاماته » .

[٦٤] ياعماد السالكين ، ومحط رحال[١] المستفيدين والمتبركين ، وثمال الضعفاء والمساكين والمتروكين ، فى طريقتك يتنافس المتنافس ، وعلى أعطافك تزْهَى العباءات وتروق الدَّلافس[٢] ؛ وبكتابك تحيا جوامد الأفهام ، وبمذَبَّتك تُشَرِّد ذُباب الأوهام ؛ وفى زنبيلك[٣] يُدَسّ التالد والطارف ، وبعصاك يُهَشّ على بدائع المعارف ، اللهَ اللهَ فى سالك ، ضاقت عليه المسالك ؛ وشاد ، رُمِى بالبعاد[٤] ، أدركته متاعب الحِرْفة[٥] ، وأقيم من صَفّ أهل الصُّفَّة[٦] ؛ فلا يجد نشاطاً على ما يتعاطى ، ولا يَلْقَى اغتباطا ، وإن حل زاوية أَوْ نزَل رِباطاً ؛ أُقْصِى عن أهل القرب والتخصيص ، وابتُلِى بمثل حالة بَرْصِيص[٧] ؛ فأحيل عليك ، وتوقفت إقالته على توبة بين يديك ؛ فكاتبك استدعاء ، واستوهب منك هداية ودعاء ؛ ليسير على ما سَوّيت ، ويتحمل عنك أَشتات مارَوَيت ؛ فيلقى الأكفاء الظُّرفاء عزيزاً ، ويباهى بك كل من خاطبك مستجيزاً ، فاصرف إلى مُحَيَّا الرِّضا ، وأَعِدْ من إيناسك العهد الذى مَضَى ، ولا تلقنى مُعْرِضاً ولا مُعَرِّضا ، وأصغ إلىَّ سمعك كما قدر الله وقضى :

تعالَ نجددْها طريقة ساسانِ[٨] وعَضَّ عليها ما توالى الجديدانِ

---

(١) هذه الكلمة « رحال » : ساقطة فى ت .

(٢) الدلافس : جمع دلفاس (ويقال فيه دفاس أيضا) : نوع من اللباس خشن كالعباءة إلا أنه قصير ، يلبسه الصوفية والفقراء (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزى) .

(٣) فى ط : « زبيلك » وهى لغة فى الزنبيل .

(٤) فى ت : « بإبعاد » .

(٥) الحرفة (بالضم والكسر) : الحرمان .

(٦) أهل الصفة : فقراء صحابة رسول الله كانوا يبيتون فى صفة مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهى موضع مظلل منه .

(٧) برصيص ، ويقال فيه برصيصا : كان من عباد بنى إسرائيل ، ثم فتنه الشيطان ، وقصته مشهورة تذكر عند تفسير قوله تعالى : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) .

(٨) يريد بطريقة ساسان علم الحيل الساسانية . قال حاجى خليفة فى كشف الظنون : =

ونصرفْ إليها من مُثَار عَزَائِمٍ ... ونَحلف عليها من مُؤَكَّد أَيْمان
ونعقدْ على حكم الوفاء هواءنا ... لنأمَنَ مِنْ أقوال زُور وبُهْتان
ونقسمْ على ألَّا نصدّقَ واشياً ... يروح ويغدو بين إثْمٍ و دُوان
يطوف حوالينا ليفسد بيننا ... بمنطق إنسان وخُدْعة شيطان
على أننا من عالم كلما بدا ... تعوّذ منه عالمَ الإنس والجان
وحاشاك أن تُلْفَى عن الصلح مُعْرِضا[1] ... إلى الصلح آلتْ حرب عبس وذبيان
وإنِّى أَهَمَّتْنِى شئونٌ كثيرة ... وصُلْحُك أَوْلَى ما أُقَدِّم مِنْ شانى
فأنتَ إمامى إنْ كَلِفْتُ بِمَذْهَبٍ ... وأنت دليلى إنْ صَدَعْتُ ببُرهان
سأرعاك فى أهل العباءات كُلَّما[2] ... رأيتك فى أهل الطَّيالس ترعانى
ويا لابسى تلك العباءات إنها ... لباس إمام فى الطريقة دِهْقان
تفرقتِ الألوانُ منها إشارة ... بأنك[3] تأتى من حِلاك بألوان [٦٥]
ويا بأبى الفَصَّالُ شيخ طريقة ... خَلُوبٌ لألبابٍ لعوبٌ بأذهان
إذا جاء فى الثوب المحبَّر خِلتَه ... زُنَيْبِرةً[4] قدْ مُدَّ منها جَناحان
فما تأمنُ الأبدان آفة لَسْعِها ... وإن أقبلت فى سابغاتٍ وأبدان[5]

= « ذكره أبو الخير من فروع علم السحر وقال : علم يعرف به طريق الاحتيال فى جلب المنافع وتحصيل الأموال ، والذى باشرها يتزيا فى كل بلدة بزى يناسب تلك البلدة ، بأن يعتقد أهلها فى أصحاب ذلك الزى ، فتارة يختارون زى الفقهاء ، وتارة يختارون زى الوعاظ ، وتارة يختارون زى الأشراف ، إلى غير ذلك . ثم إنهم يحتالون فى خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها » .

(١) كذا فى ط . وفى ت : « على النصح » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « كلها » .
(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « فانك » .
(٤) زنيبرة : تصغير زنبورة ، وأصله زنبيرة ، وهى من الذباب اللساع .
(٥) السابغات والأبدان : الدروع .

سأدعوك فى حالات كَيْدى وَكديتى[1] بشيخىَ ساسانٍ وعمىَ هامان
وإنْ كان فى الأنساب منا تباينٌ فما تنكِر الآداب أنا نَسيبان
ألا فادع لى فى جنح ليلك دعوة لتنجح آمالى ويرجح ميزانى
لك الطائر الميمون فى كل وجهة سريت إليها غير نِكْسٍ ولا وانى[2]
فكَم من فقير بائس قد[3] عرفته فرفَّت عليه نِعْمة ذات أفنان
وكم من رفيع الجاه واليتَ أنسه فعاش قرير العين مرتفع الشان
فلو كنت للفتح بن خاقان صاحبا لما خانه المقدار فى ليلة الخان[4]
ولو كنتَ للصابى صديقاً ملاطِفاً لما قُبلت فيه مَقالة بُهتان[5]
ولو كنتَ من عبد الحميد مُقرَّباً لما هَزَم السفاحُ أشياعَ مَرْوان[6]
ولو كنتَ قد أرسلتها دعوة على أبى مسلم ما حاز أرض خراسان
ولو كنتَ فى يوم الغبيط مراسلا لبِسطامَ لم تهزم به آل شيبان[7]

(١) كذا فى نفح الطيب . والكدية : شدة الدهر . وفى ت : « كيد وكيدة » . وفى ط : « كيدى وكيدتى » .
(٢) النكس : الضعيف الجبان . والوانى : المقصر .
(٣) فى ت : « مذ » .
(٤) يشير إلى مقتل الفتح بن خاقان القيسى الأندلسى صاحب قلائد العقيان ومطمح الأنفس فى الفندق الذى نزل به بمدينة مراكش سنة تسع وثلاثين وخمس مئة (انظر وفيات الأعيان) .
(٥) الصابى : هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال كاتب ديوان الإنشاء فى دولة بنى بويه . ويشير الشاعر إلى ماناال الصابى من اضطهاد وإبعاد من عضد الدولة بن بويه ، لمقالة نقلت إليه عنه فأغضبته . (انظر وفيات الأعيان) .
(٦) يشير إلى ما نال مروان بن محمد وعبد الحميد بن يحيى كاتبه من الهزيمة على يد السفاح
(٧) الغبيط : مكان بين الكوفة وفيد ، وبه كان يوم بنى تميم وشيبان ، غلبت فيه تميم شيبان ، وفيه أسر عتيبة بن الحارث بن شهاب بسطام بن قيس ، ففدى نفسه بأربع مئة ناقة . (انظر العقد الفريد وشرح القاموس) . ومراسلا (هنا) : معاونا ، من المراسلة بمعنى المتابعة .

ولو كنتَ فى حرب الأمين لطاهرٍ لما هان فى يوم اللقاء ابن ماهان[١]
ولو كنتَ فى مَغْزى أبى يُوسُفٍ لَمَا رماه بغدر عبدُه فى تِلمسان[٢]
ولو أنّ كسرى يَزْدَجِرْدَ عرفته لما طاح مَقْتولا على يد طحّان[٣]
ولو أنّ لُذْريقاً وطِئْتَ بساطَه لما أثّرت فيه مَكيدة أُلْيان[٤]
وفيما مَضَى فى فاسَ أوضحُ شاهد غنيٌّ لدينا عن بَيَانٍ وتِبْيان
ولَمَّا اغتنى منك السعيدُ بكاتب رأى ما ابتغى من عزّ ملك وسُلْطان
فلا تنسنى من أهل وُدِّك إننى أخاف الليالى أن تطول فتنسانى
ولا خير أن تجعل كِفاءَ قصيدتى كِفاء ابنَ درّاج على مدحِ خَيْران[٥]
فجُد بدنانيرٍ ولا تكن التى ألمّ بها الكندىُّ فى شِعْب بَوّان[٦]

(١) يشير إلى الوقعة التى كانت بين طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون ، وعلى بن عيسى ابن ماهان قائد جيش الأمين ، وقد انتهت بانتصار طاهر وقتل ابن ماهان .

(٢) لعله يريد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى فى غزوه تلمسان ، وإقامته على حصارها مئة شهر . وقد قتله عبده « سعادة » فى أثناء ذلك الحصار المشهور ، فى حديث فصله السلاوى فى كتاب « الاستقصا ج ٢ ص ٤١ » .

(٣) يشير إلى هرب يزدجرد آخر ملوك الفرس من أعدائه ، والتجائه إلى طاحونة لم يحسن الطحان ستره فيها ، حتى أدركه طالبوه وقتلوه (انظر غرر أخبار ملوك الفرس للثعالبى صفحتى ٧٤٦ — ٧٤٧) .

(٤) يشير إلى تمكين أليان : (يليان ، جليان ، أمير المغرب من قبل لذريق ملك القوط بالأندلس) العرب من دخول الأندلس انتقاما لشرفه من لذريق ، فى حديث مفصل فى كتب التاريخ (انظر نفح الطيب وغيره) .

(٥) هو خيران الصقلى أمير المرية ، وهو من موالى المنصور بن أبى عامر ، وقد مدحه ابن دراج القصطلى بقصيدة نونية مطلعها :
« لك الخير قد أوفى بعهدك خيران » ولعل خيران لم يحسن جائزة الشاعر كما يفهم من السياق هنا .

(٦) الكندى : هو أحمد بن الحسين المتنبى الشاعر المعروف ، ونسب إلى محلة كندة بالكوفة . وشعب بوان : متنزه بفارس . يشير الشاعر إلى قول المتنبى فى القصيدة التى مدح فيها عضد الدولة ووصف شعب بوان :
وألقى الشرق منها فى ثيابى دنانيرا تفر من البنان =

فجودك فينا الغيث فى رَمْلِ عالجٍ وفضلُك فينا الخبزُ فى دار عُثمان(١)
وما زِلتَ من قبل السؤال مقابلا مُرادى بإحْساب وقصدى بإحسان(٢)
ولا تنس أياماً تقضَّت كريمة بزاوية المحروق أو دار هَمْدان(٣)
[٦٦] وتأليفنا فيهـــا لقبض إتاوة وإغرام مسنون وقِسمة حُلْوان
وقد جلس الطَّرقون بالبعد مُطْرِقا يقول نصيبى أو أبوح بكِتمان(٤)
عَريفىَ يَلْحانى إذا ما أتيتُه ولم أنصرف عنكم بواجب ألْحان
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا أئِمةَ حُسَّاب(٥) وأعلام كُهَّان
إذا استنزلوا الأرواحَ باسم تبادرت ظوائف ميمون وأشياع برقان(٦)
وإن بخّروا عند الحُلول تأرجت مجامرهم عن زَعفران ولُوبان(٧)
وإن فتحوا الدارات فى رد آبق ثنت عزمه أوهام خوف وخِذْلان(٨)

= يصف ضوء الشمس النافذ إليه من بين أوراق الأشجار ، فيرسم على ثيابه أشباه الدنانير صفرة واستدارة ، إلا أن اليد لا تقدر عليها .

(١) عالج : موضع بالبادية يصل إلى الدهناء ، والدهناء فيما بين اليمامة والبصرة . يقول : نحن متعطشون إلى جودك كتعطش رمال عالج إلى الغيث ، محتاجون إلى فضلك احتياج المحصورين فى دار عثمان بن عفان إلى الطعام والشراب وقد حرموها .

(٢) بإحساب : أى بما يكفينى ويرضينى .

(٣) زاوية المحروق : متعبد بفاس . ودار همدان بفاس أيضاً .

(٤) الطرقون (كلمة مغربية مولدة) : من بيده قبالة اللهو وقبض ضرائب الأعراس ونحوها ، مما تستعمل فيه الدفوف وآلات الملاهى (انظر تكملة المعجمات لدوزى) .

(٥) كذا فى ت ونفح الطيب . ويريد بالحساب : المشتغلين بحساب الطوالع للناس . وفى ط : « أحساب » .

(٦) ميمون وبرقان : من أسماء ملوك الجن التى تدور على ألسنة المشعبذين . (انظر كتاب الجواهر اللماعة ، فى استحضار ملوك الجن فى الوقت والساعة) .

(٧) لوبان : لفظة مغربية محرفة عن «اللبان» وهو الكندر المعروف . (عن دوزى)

(٨) الدارات : حلقات يعقدها شيوخ المشعبذين ومريدوهم عند استطلاع أمر خفى كإظهار مسروق ، وإرجاع آبق ، ونحو ذلك ، يقولون إذا سرق شىء : هلم نفتح الدارة .

فيحسب أن الأرض حيث ارتمت به ركائبه سَرْعَانَ رَجْل ورُكْبان
وقد عاشرتنا أسرة كيموية[١] أقامت لدينا فى مكان وإمكان
فلله من أعيان قوم تَألفوا على عَقْد سِحْر أو على قلب أعيان
ونحن على ما يغفر الله إنما نروح ونغدو من رِباط إلى حان[٢]
مع الصُّبح نُضْفيها عباءةَ صُفَّة وبالليل نُدْليها زنانيرَ رُهْبان[٣]
أتذكر فى سفح العُقاب مَبيتَكم ثمانين شخصاً من إناث وذُكْران[٤]
لديكُم من الألوان ما لم يجئ به طُهُورُ ابن ذَنُّون ولا عُرْسُ بُورَان[٥]

ثم ذكر خمسة أبيات أقذع فيها ، فلذا تركتها[٦] ، ثم قال :

فأقسم بالأيمان لولا تعفني عن السوء لانحلت عقيدة إيمانى
فعدْ للذى كنا عليه فإنّ لى على الغير إن صاحبتَه حقدَ غَيْرانِ
فمن يومِ إذ صيرت ودى جانباً وأعرضت عنى ما تناطح عنزان
ولا روت الكُتّابُ بعْدَ نِفارنا محاورةً من ثعلُبان لِسرحان

(١) كذا فى نفح الطيب : وفى ط : « كموية » وكلاهما يراد به النسب إلى الكيمياء ، وفى ت : « كهوية » ، وهو تحريف .
(٢) كذا فى ت . وفى ط ونفح الطيب : « خان » .
(٣) كذا فى ت عباءة صفة : يريد بها زى الفقراء النساك . انظر الحاشية رقم ٦ صفحة ١١٧ من هذا الجزء . والزنانير جمع زنار ، وهو ما يشد به الراهب وسطه ؛ يريد أنه يعمل فى الليل ما لا يعمل فى النهار . وفى ط : « نلويها زنانير ... الخ »
(٤) العقاب : موضع بالأندلس ، كانت به وقعة مشهورة محص الله فيها المسلمين .
(٥) ابن ذنون (ابن دنون) : هو المأمون أحد ملوك الطوائف فى طليطلة ، من بنى ذى النون ، وقد بلغوا فى البذخ والترف إلى الغاية ، ولهم الإعذار المشهور الذى يقال له : « الإعذار الذنونى » ، وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق ، والمأمون هو صاحب ذلك . وبوران هى بنت الحسن بن سهل ، وقد زفت إلى الخليفة المأمون بن هارون الرشيد فى إعراس مشهور فى كتب التاريخ .
(٦) ذكر المؤلف القصيدة كاملة من غير حذف فى نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٣ طبعة الأزهرية بمصر) .

وما هو قصدى منك إلا إجازةٌ تخولنى التفضيل ما بين خُلانى
وإنك إن سَخَّرتَ لى وأجزتنى لنم وَلِيًّا صان ودى وجازانى
ولمْ لا تروِّينى وأنت أجل من سقانى من قبل الرحيق فروّانى
ألا فأجْزنى يا إمامى بكل ما رويت لمَدْغَلِّيسَ أو لابن قُزمان(١)
ولا تنْس للدبَّاغ نظما عرفته فإنكما فى ذلك النظم سِيَّان
ومزدَوَجات ينسبون نظامها إلى ابن شُجاع فى مديح ابن بطّان
وألمم بشىء من خرافات عنتر وألمع ببعض من حكايات سُوسان
وإن كنتَ طالعت اليتيمة واسِنى بلاميّة فى الفحش من نظم واسانى(٢)
أجِزْنى بكشف الدّكّ(٣) أرضى وسيلةٍ وخيرِ جليس فى بساط ودكان
[٦٧] وناولْنىَ المِصباحَ(٤) فهو لغُربتى مُيسِّرُ أغراضى ورائدُ سلوانى
وألحقْ به شمسَ المعارف(٥) إننى أسائل عن إسناده كل إنسان
وقد كنتَ قبل اليوم عرفْتَنى به ولكننى أُنسيته بعد عرفان

(١) أبو بكر بن قزمان ومدغليس من أوائل الزجالين بالأندلس .
(٢) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانه بن محمد المعروف بالواسانى . ويشير الشاعر إلى قصيدته اللامية التى هجا بها أبا الفضل يوسف بن على ، وعرض فيه بابن القزاز ، ومطلعها :
يأهل جيرون هل لسامركم إذا استقلت كواكب الحمل
(انظر يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦١ — ٢٧٤ طبعة دمشق) .
(٣) كذا فى نفح الطيب . يريد كتاب : « كشف الدك ، وإيضاح الشك » لأبى عامر أحمد بن عبد الملك الأندلسى ، وهو كتاب مشهور فى الحيل والشعبذة . وفى الأصلين : « بكشف الديك » وهو تحريف .
(٤) فى الفهارس كتب كثيرة فى علوم مختلفة كل منها اسمه « المصباح » ، ولا ندرى أيها يريد . ولعله فى الروحانيات ، كما يفهم من السياق .
(٥) يريد كتاب : «شمس المعارف ، ولطائف العوارف» للشيخ أحمد بن على البونى ، المتوفى سنة ٦٢٢ ، وهو كتاب مشهور فى التعاويذ ونحوها من الروحانيات .

ولابُدّ يا أستاذُ من أن تُجيزَنى ... ببدْء ابنِ سبعينٍ وفصل ابن رضوانِ[١]
وكُتْبِ ابنِ أخلى كيف كانت فإنها ... لوزن رقيق القول[٢] أكرمُ ميزان
ولا تنس ديوان الصَّبابة[٣] والصفا ... لإخوان صِدْق فى الصفاخير إخوان
وزهرَ رياض[٤] فى صنوف أضاحك ... وجبذ كساء فى مكايد نسوان
كذاك فناولنى كتاب حُباحب ... وزدنى تعريفاً بها وببرجان
ولى أمل فى أن أروّى رسالة ... مضمنة أخبار حىّ بن يقظان[٥]
وحبِّس على الكاسَ والكوزَ والعصا ... فإنّك مُثْرٍ من عصيٍّ وكيزان
وصيِّر لىَ الدُّلفاسَ[٦] أرفعَ لِبْسةٍ ... فقد جلّ قَدْرى عن حرير وكَتّان
وقد رقّ طبعى واعترتنىَ خشية ... يكاد بها رُوحى يفارق جُثمانى
وخلِّ مفاتيح الطريقة فى يدى ... وسوِّغ لهم فيها[٧] مزيدى ونقصانى
فإنى لم أخدمك إلاّ بنيـــة ... وإنى لم أتبعك إلا بإحسان
فكن لى بالأسرار أفصح مُعْلن ... فإنىَ قد أخلصْتُ سرِّى وإعلانى

انتهت المقامة . وأثبتها لأنها أخف ما رأيت من هزليّات الفقيه عمرَ المالَقىّ ، رحمه الله وسامحه ، ومثل هذا الهزل قد وقع لكثير من الأئمة على سبيل

(١) يريد ببدء ابن سبعين كتاب « بدء العارف » لأبى محمد عبد الحق بن إبراهيم الشهير بابن سبعين المرسى الأندلسىّ . وابن رضوان : هو عبد الله بن يوسف بن رضوان النجارى من أهل ماهة .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « دقيق القوم » .
(٣) يريد ديوان الصبابة لابن أبى حجلة أحمد بن يحيى التلمسانى الحنفى المتوفى سنة ٧٧٦ هـ .
(٤) فى الفهارس كتب كثيرة بهذا الاسم .
(٥) يريد كتاب : « أسرار الحكمة المشرقية » لأبى بكر محمد بن عبد الملك بن الطفيل ، وهو قصة خيالية فلسفية ، جمع فيها بين الفلسفة والشريعة .
(٦) الدلفاس (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١١٧ من هذا الجزء) .
(٧) فى نفح الطيب : « حكمى » .

الإحماض[١] ، ولم يَعْنُوْا بها غالباً إلا إظهارَ البلاغة والاقتدار ، كما فعل الحريرى وغير واحد ، والأعمال بالنِّيات .

شىء من نظمه

ومن نظم الفقيه عمرَ المذكور قوله عفا الله عنه :

إلى الله ربى أشتكى سوء حالتى عسى فرجٌ يأتى بأفضل حالى
وما أسفى إلا لمالى أبيعـــه وخائن مالى يشتريه بمـالى

مقامة فى أمر الوباء

ومن أبدع ما صدر عنه رحمه الله مقامة فى أمر الوباء ، رأيت أن أثبتها لغرابة مَنزِعها ، وإن كان بعض فصولها لا يجرى على المشهور من مذاهب العلماء ، ونصها :

[٦٨] إلى حمراء الملك وقلعته ، ومَقَر العز ومَنعته ، ومطْلَع كل قمر نصْرِىٍّ يُخجل الأقمار بطلعته ، أبقاها الله على تعاقب الزمان ، منزل أمان ودار إيمان ، وأمتعها بحياة المَلِك الخَزْرجى اليمـان ، من مُوجبة إجلالها كما يجب ، المعترفة بفضلها وشرفها وأنوار الشمس لا تحتجب ، والواقفة عند إشارتها وطاعتها ، فإن تأْمُرْ أَمْتَثِلْ وإن تَدْعُ أَسْتَجِبْ ، مالقة ، المستمسكة بذمتها الوثيقة ، المتشوِّفة إلى أخبارها تشوف المُحَبَّة الشفيقة ، إلى رَيحانة قلبها فى الحقيقة ، وإلى هذا يا سيدتى ويا عُدَّتى ، ويا ذخيرتى ويا عُمْدتى ، أمتعنا الله وإياك بحياة مَنْ استنقذَنَا من الوَرَطات ، وردّنا إلى الصواب ممـا كانَ منا من الغَلَطات ، مولانا الغالب بالله[٢] وحدَه ، الموعود بعزيز النصر وقريب الفتح والله ميسِّر وعده .

سلام عليك يتعطَّر بذكر مولانا أمير المسلمين فَوْحُه[٣] ، وينشق

(١) الإحماض : الانتقال من حال إلى حال ؛ مأخوذ من إحماض الإبل ، وهو نقلها من رعى الحلة إذا سئمتها إلى رعى الحمض والحمض : ما ملح وأمر من النبات ، وهى كفاكهة الإبل ، والحلة : ما حلا ، وهى تخبزها . (عن القاموس) .

(٢) فى ت : « الغالب بأمر الله » .

(٣) فى ط : « بوجه » .

كالمسك[١] الفتيت روحه ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ، فإنى أحمد إليك الله الذى إذا استُكْفِى بعزّته كفَى ، وإذا استُشْفى بكلمته شفى ، وإذا سئل بواسع رحمته عفا ؛ وأُصلّى على رسوله محمد الكريم المصطفى ، وعلى آله وأصحابه ، أكرم من نصح له وأخْلَص ووفَى .

كتبته إليكِ يا سيدتى عن نفس قلقة ، ساهرة أرقة ، حاذرة مشفقة ، مُلْهَبة بل محترقة ؛ وإنى أُقسم عليك بالرب الذى كرمك بالعز وشرفك ، وعرّفك من لطائف الفرج بعد الشدة ما عرفك ، أن تسعدينى على تسكين لوعتى ، وتأمين روعتى ، وتراجُع رقادى [بعد سُهادى ، وقضاء حاجة جلّت فى فؤادى ، وتفهّمى مراد إشارتى وإشارة مرادى][٢] ، وتتركى هوى النفس الذى هو للحق معاند وللرشد معادى .

ومبنى هذه الرسالة إليك على قولهم : « الشفيق مولع بسوء الظن » ، ومن مِنَن الله على عبده الوقاية من المتالف جل الله العظيم المن ؛ وعلى قول المتنبى :

ربما ضر عاشق معشوقا ومن البر ما يكون عقوقا[٣]

والمثل الأول لى ، والآخر لك . والله يُيَسِّر فى حفظ مولانا أملى وأملك . [٦٩]

وإنى أتعجب من مساعدتك على إقامة مولانا بمنزل ، هذا المرض به فاش ، وهذا الهواء الفاسد بين دياره جاء وماش ، وسمعتُ أن حديث السفر لمالَقة أثقل عليك من حديث رقيب وعاذل وواش ؛ وأنّ الآراء فى ذلك اختلفت ، ولم يُرْجع فيها إلى سُنن تقدمت وعوائد سلفت ؛ والأوائل من المؤمنين رحمهم الله ماتركوا شيئاً سُدى ، بل نصبوا على كل طريق إلى النجاة علم هُدى ؛ وسمعت

(١) فى ت : « وينتشق المسك » .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) لم نجد هذا البيت فى نسخ ديوان المتنبى .

يا سيدتى أن القضية عُوِّل فيها على المُقام والاستسلام ، وخولف فيها رأى الخليفة الرشيد لما تحول فى مثلها عن سكنى دار السلام ، بمحضر أركان الدين وأعلام الإسلام ؛ وقد سمعتُ فى الأجوبة الظريفة ، ما صدر من قوله : أخشى أن أكون أول خليفة ؛ وقد كنتُ يا سيدتى أرتجى أن يكون لهذا المرض ارتفاع ، أو يحصل بدخول فَصْل[1] البرد انتفاع ؛ فتركت الكَتْب منتظرة لذلك ، إلى أن تزايدت الحال وأنت على حالك ، لا يمر الترحال بخاطرك ولا ببالك ؛ وأنا أقول : أما واجب التسليم ، لتقدير العزيز العليم ؛ فمتأكد شرعاً ، لا يضيق به المؤمن ذرعًا ؛ لكن ما يفعل المستسلم بالروح والجسد ، إذا قيل له اهرب من الأسد ؛ وقد أبصره مقبلا إليه ، أو مُنقضًّا عليه ؛ أيأخذ فى تحفظه واحتراسه ، أم يصبر لافتراسه ؟ ومن قيل له فى ظلم الليل : ارتفع عن هذا المكان تنج من السيل ؛ أينام فى مكانه ، أم يبادر إلى السلامة بجهد إمكانه ؟ ومن نودى : هذه الخيل قد طلعت مغيرة ، والرعاة بالجبال مستجيرة ؛ فارفع غنمك قبل الاكتساح ، فالوقت فى انفساح ؛ أيتركها تسرح ، ولا يبرح ؛ أم يرفعها لتسلم ، ممَّا تدرب وتعلم[2] ؟ وكذلك إذا قامت الرماة صفوفًا ، وأصابت سهامهم[3] من الخلق ألوفا ؛ أيرجِّح الحقُّ تباعداً أم وقوفًا ؟ وكذلك أيضاً المنازل ، التى تدوم بها الزلازل ؛ فأرضها [٧٠] فى كل يوم تميد ، ودَهَش القلوب بها حاضر عتيد ، والخسف بها فى يوم ينقص وفى يوم يزيد ؛ لا تسمع فيها إلا سقوط جدار ، على ركن دار ؛ وانفكاك الأركان ، على السكان ؛ وإخراج ميت ، من تحت بيت ؛ وسقوط سارية ، على جارية ؛ أيُعزم على السكنى والاستيطان ، تحت هذه الحيطان ؛ أم يؤخذ فى الاحتيال ،

(١) فى ت : « وقت » .
(٢) فى ت : « مما تدرى وتعلم » .
(٣) فى ت : « بسهامهم » .

بالخروج بالأطفال والعيال ؟ يا سيدتى الحمراء ، سألتك فأخبرينى ، وإن تحيَّر فَهْمى فاعذرينى ، ووصل إلىَّ الكتابُ الشريف ، من جِنان[1] العريف ؛ يذكر أن السلامة كانت [به][2] مستصحبة لمولانا ولناسه ، وأن العافية كانت بهم منتَشقة مع أنفاس رَنده وآسه ، ما عرضتْ به إلى طبيب حاجه ، ولا استدعى فيه المُعاور[3] للنظر فى زجاجه ؛ ولا لقول ولا عمل ، ولا بلغ من الجساوة والقساوة أقل أمل ؛ ولم ينتقص من الساكنين بهذا البستان ، من عبيد مولانا السلطان ، غير فتى من الخُصيان ، لا يساوى عشرة دراهم فى سوق الفتيان ، والجميع بحمد الله استمرت عافيتهم على استقامه ، بطول أيام الإقامه ؛ وعرفنى أيضاً جِنان العريف فى وافد كتابه ، ووارد خطابه ، أن رغبته كانت فى انتقال مولانا نصره الله من صحيح هوائه ، وسلسبيل مائه ؛ ونفحة جنابه ، وتلاعب النسيم العاطر بين قبابه . إلى مالَقة حيث الجو الصقيل ، والروض الذى يطيب به المَقيل ، والراحة التى تمتزج بالأرواح كما قيل ؛ حيث العَرْف الأرِج ، والوادى المنعرِج ، والساحل الذى ينشرح به الصدر الحرِج ، حيث البنفسَج يدير كئوس البَهار ، والياسَمين نجوم طالعة بالنهار ؛ حيث يتمازج طيب الزهَر ، بعَرْف الأترجّ ونفحات السَّحَر ، حيث يشبه أنين السوانى ، حنينَ المتعشّقات من الغوانى ، إذا حُمِدَ الصباح ، وانفلق الإصباح ؛ وعمرت صغار القوارب ، ونادت بحْرية الشباك :

---

(١) جنان العريف ، أو جنة العريف : بستان فى خارج غرناطة ، ذكره لسان الدين فى الإحاطة ، صفحة ٢٥ ج ١ .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) كذا فى ط . ولعله يريد بالمعاور ، كما يظهر من السياق الذى يفحص عن قوارير بول المرضى ليقدر وزنه ونوعه ، وهو من عاور الشىء إذا قدره ، كما يؤخذ من اللسان مادة « عير » . وفى ت « المغاور » .

[٧١] إلى المضارب[١] ، وسالت أنوار المشارق على جوانب المغارب ، ونادى محرك الجيش : ظهورَ الخيل ، وصباح الخير ، واستقبلوا الوادى الكبير لمصيد الأرنب والحوت والطير ؛ شكر الله جِنان العريف على ما قصد ونوى ، وعلى ما أظهر من اتباع حق ومخالفة هوى ، اعتماداً من أخبار الدول القديمة على ما حفِظ ورَوَى . وقال لى يا سيدتى إنك وقفت مع الحديث المنصوص[٢] ، الوارد فى مثل هذا المرض على الخصوص ؛ وفيه النهى عن الخروج من منازل هذا المرض ومواضعه ، وعن القدوم على معتركاته ومصارعه ؛ والحديث صحيح ، والرشدُ فيه قول صريح ؛ ولكن للعلماء فيه أقوال طويلة التفصيل ، وقد لخصها وبينها الإمام ابن رشد فى كتابه الجامع من البيان والتحصيل[٣] ؛ والاتفاقُ من الجميع أن النهى فى هذا الحديث ليس نهى تحريم ، وإنما هو على سبيل إرشاد وأدب وتعليم ؛ فلا إثم ولا حَرَج ، على من أقام ولا على من خرج . وقال عمرو بن العاص : الأفضل الخروج لأهل الفِطنه ، اتقاء من اعتقاد يؤدى إلى فتنه ؛ وكفى بعمرو بن العاص حُجَّة لمن أراد انتصارا ، والكلام كثير ، ولكنى اختصرته اختصارا ؛ وإنْ نظراً قدّمه كثير من الصحابة ورجّحه ، لخليق بأن يقال فيه ما أسعده وما أنجحه ! ياليت تفقهى كله يكون من هذا القبيل ، وجاريا على هذا السبيل ، مستنداً إلى قولِ صحابىّ جليل ، ومستدلًّا بأرشَد عِلْم ودليل ، ولو كان على خلاف المشهور من قول

(١) المضارب (هنا) : الخيام تضرب على ساحل البحار ، ليباع فيها مايصاد من السمك .

(٢) ورد الحديث المشار إليه فى صحيح مسلم ، ونصه فى رواية أسامة : « الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بنى إسرائيل ، أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض ، فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » . وفيه روايات أخر تختلف ألفاظها ، وتتفق معانيها ؛ وقد علق عليه النووى ، ونقل كلام القاضى عياض وغيره ، فلينظر ثمة (ج ١٤ ص ٢٠٤) .

(٣) اسم الكتاب : جامع البيان والتحصيل ، لما فى المستخرجة من التوجيه والتعليل .

خليل[١] . وهنا يقال : ما فى هذه القُلّة غير هذا الإغريل[٢] . يا سيدتى الحمراء ؛ أراك فى هذه القضية تفقّهتِ وتوقفت فيما بيّنــه عالم وذو عِلْم ، ومنَعْت مما ليس فيه حَرَج ولا إثم ؛ ولو كنت حاضرة لكان لى مَعَك حديث طويل ، واحتجاج ينصره نَص وتأويل . وسمعتُ أنكِ أشفقتِ من عظيم النَّفقَه ، وليس هذا موضعَ الشفقه ؛ فالأمن ليس بغال ، ولو يُشترى بكل ذخيرة وكل مال ؛ والأولى بالملامه ، مَن[٣] يفضِّل شيئا على السلامه . القمح يأكله السُّوس ، والذهب تغنى عنه الفُلوس[٤] ، فكيف يُستعظَمان فيما تُؤمَّن به النفوس . وبلغنى أنكِ [٧٢] قلت : مالَقة ليس بها زرع ، وبقليل المُقام يضيق لها صَدْر وذَرع[٥] ، وفلاحتها وحرثها ليس لها أصل ولا فرع ؛ وعزّ علىّ هــذا الكلام ، ولــكننى سلّمت والسّلام[٦] ؛ فإن سِعرى عن سعر[٧] غرناطة منحطّ ، وفى لمحة بصر يضيق منى بالطعام فى كثير من الأيام ساحل وشَطّ ، ولا يُعلم أنه دامت لى شدة قطّ . لى فى الاعتصام بالتوكل على الله ما يزيد على سبع مئة العام[٨] ، ما أشغلت فيها فكراً ولا قلباً بادخار قوت ولا باحتكار طعام ؛ أثق فى اليوم والغد ، بالرزق الرَّغَد ؛ تأتى به الرياح على الأعناق ، ويَفيض سيله على جوانب الدواوين وأكناف الأسواق ، وتجلبه الأحباب والأعداء بإذن اللطيف الخبير الوهّاب الرزاق.

(١) هو خليل بن إسحاق المالكى ، صاحب المختصر فى فقه المالكية .
(٢) كذا وردت هذه العبارة فى ط . وفى ت : « ما فى هذه القلة . . . الخ » . والعبارة على الروايتين ظاهرة التحريف .
(٣) فى ت : « نص » . وهو تحريف .
(٤) فى ط : « النفوس » .
(٥) فى ت : « وضرع » .
(٦) فى ت : « والإسلام » .
(٧) فى ت : « أسعار » .
(٨) فى الأصلين : « السبع مئة عام » .

قالت النملة : افتخارى ، بادخارى ؛ قالت العصفورة : توسلى ، بتوكلى ؛ قالت النملة : أعتمد على الحَبّ ؛ قالت العصفورة : أتوكل على الرَّب . فلما جَنّ الليل ، أقبل السيل ؛ فخرجت النملة بالعَوم ، و بقيت الحبوب بين الدَّوم ؛ فنزلت العصفورة وسجدت ، [والتقطت](١) من مدَّخر النملة كل ما وجدت ؛ وقالت : خسِر المحتكِر ، وربح طالب الرزق المبتكِر ، الكريم لا يفتخر بما يدَّخر .

وصح عندى أن الوزير أعزه الله ليس عنده فى هذا كله كلام ولا قول ، وأن الأمر عنده مفوَّض إلى الرب الذى له القوة والحول . وسمعتُ يا سيدتى أنّ هذا السقم ، أعظمُ تأثيره إنَّما هو فى قطع الأكباد ، من صغار الأولاد ؛ الذين من فوق السبع ودون العشر ، وهم فى هذه السنين رياحين القلوب العاطرة النَّشْر ؛ وهذا إلى كَتْبى لك أعظم داع ، فإن الأولاد سوائم والوالد راع ؛ والراعى لا يترك غنمه فى طريق سَبُع ضار ، ولا قريباً من حريق نار ؛ ونحن نشاهد الطير ينقل أفراخه من وكْر إلى وكْر ، و يسترها بملتف الشجر إذا خاف عليها عادية جارح(٢) أو صاحب مَكْر ؛ فكيف لا نقتدى فى تأمين رَوعتنا بمن تقدّم من الأكابر ، ونقف فى حامل السيل(٣) بأولادنا الأصاغر ؛ فما عندكِ فى هذا كله من القول ومن الجواب ؟ وما يظهر لك من وجه الرأى والصواب ؟ اكتبى بذلك كتاباً أعتمد عليه ، وأستند إليه ؛ وقبِّلى عنّى يدَ مولانا تقبيلا ، ويا ليتنى وجدت إلى ذلك سبيلا ؛ وأخبريه أنى [فى](١) خدمته على نيتى الأولى ، عاكفةً على شكر مِنّته الطُّولَى ؛ أدام الله حِياطة البلاد والنفوس بحفظه وحِياطته ، وأسمعنى البشارةَ [٧٣]

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ت : « جائح » .
(٣) حامل السيل : السيل الجارف .

بقدومه على مُحْدَث مالَقة من حمراء غَرناطتـه ؛ ويحفظه فى النفس والأولاد ، والملك والبلاد ، بمنّه وفضله .

وكُتب بتاريخ ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وثمان مئة . انتهت المقامة .

وكلام المذكور كثير ، ومحلّه من عذوبة المنطق أثير ؛ ونظمه أعلى طبقة من نثره طريقةً مَعَرّيّه ، حسبما يظهر ذلك بالتأمل لنفوس بالإنصاف حريّه ؛ وله [عدة] (١) تآليف أكثرها هزليّه ، ولذلك لم أجلب شيئاً منهـا سوى ما تقدم ، مما يقتضى ما أصّلناه من المزيه ، والفضيلة للبلاد الأندلسيه (٢) .

بعض مقطوعاته

ومن أحسن مقطوعاته (٣) التى تَطارَح بها على باب الـكريم ، وتطفّل بها تطفّل من لا يبرح عن باب سيده ولا يَرِيم ؛ ويُرجى له بها كل جميل ، والله لا يخيّب ما أمّلَه من تأميل ؛ قوله رحمه الله :

عقيدة دينِ الحقّ أن محمدا ... له الفضل إطلاقاً (٤) على كل مخلوقِ
وإن سبقتْ رُسْلٌ بكتْبٍ وبَعثة ... فما هو فى مجد وفضل بمسبوق
فهذا إذا ما عشتُ أُولى عقيدتى ... وهذا إذا ما متُّ آخر منطوق

[وقوله :

جئتك يا ربّ ولا عذر لى ... وهل لعبد السوء من معذرهْ ؟
أرجوك فيما أنت أهلٌ له ... فأنتَ أهلُ العَفْو والمَغْفره

وقوله فى مرضه :

يا سامعينَ الـكلامَ مُختلطا ... نظماً ونثراً قلائداً ودُرَرْ
صلّوا على المصطفى وَسيلتِنا ... محمدٍ وارحموا الفقيـه عُمر] (٥)

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ط : « من المزية للبلاد الأندلسية والفضلية » .
(٣) فى ط : « منظوماته » .
(٤) فى ط : « إجماعاً » .
(٥) ما بين القوسين المربعين زيادة عن ت .

تعريف بالشران

وأما الكاتب الرئيس أبو عبد الله الشّران[1]، فهو الشيخ الفقيه الرئيس الصدر، العلامة العِمَاد، الذخر الأرفع، العلم الأوحد، الأمجد الأسرى، الذى لا يجارى فى الإنشاء والاختراع كلاماً جزلاً، وقولاً فصلا، رئيس الكتبة بالحضرة العلية، أبو عبد الله، ابن الشيخ الفاضل الماجد الأعز الأرفع الأوجه أبى إسحاق، كان حيّا سنة سبع وثلاثين وثمان مئة. هذا كلام بعض الأندلسيين فيه. [٧٤]

وقال القَلَصَادى فى حقه: هو الفقيه الوجيه اللبيب اليقظ الأدرى، الأديب الأحظى، الرئيس النبيل الأرقى؛ وحيد عصره وأوانه، وفريد دهره وأقرانه، أبو عبد الله محمد الشران الغرناطى، تغمده الله برحمته.

وذكر هذا الشيخ القلصادى فى طالعة شرحه لأرجوزة أبى عبد الله الشران المذكور، التى أولها:

بحمد خير الوارثين أبتدى وبالسراج النبوىّ أهتدى

وهى أرجوزة عذبة النظم، سهلة المأخذ مختصرة فى علم الفرائض.

ومن بديع نظم الكاتب أبى عبد الله الشران رحمه الله تعالى قوله:

[فلا تمنع العين انهمالاً فإنه غرام شَجٍ إسنادُه غير مُهْمَلِ
أحاديث تَرْويها الجفون عن الحشا ويثبت منها مُرْسَلٌ بمسَلْسَل

وقوله يخاطب الفقيه الصالح سيدى أحمد بن حرشون، وقد أهدى له قُرص زعفران:

أهلاً بقُرصة زعفران أطلعت من حسنها للقلب باعث أنسِهِ
حَيّا الخُلوصَ به وغير عجيبة للبدر أن حَيّا بقرصة شمسه
يا نيِّرا للمجد أهدى نيرا كل امرئ إهداؤه من جنسه

وقوله][2]:

(١) هو محمد بن ابراهيم. (انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج).
(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت.

لما اختفت شمسك عن ناظرى أرسلتُ منـــه مطر الدمعِ
وأقبلت ظُلمـة ليل النوى فما ترى فى رُخصة الجمع

طريفة لابن جماعة وقد تولى الشران مكانه

وحكى الحافظ أبو عبد الله التَّنَسى رحمه الله، أنه لما صُرِف الفقيه أبو الفضل ابن جَماعة عن رياسة الكتابة بغرناطة، إلى قضاء الجماعة، وولى مكانه صاحب الترجمة أبو عبد الله الشَّران، لقى بعضُ رؤساء الدولة ابنَ جماعة يوماً، فقال له: يا سيدى، إن السر الذى عهدناه فى الحضرة غاب عنها بغيبتك. فقال له: وكيف لا وقد تركتم الفضل المجموع[1] وأخذتم الشَّر المكرّر[2]!

شعر للشران يعاتب ابن جماعة على إهمال دعوته إلى إعذار

ثم إن ابن جماعة كان عنده إعذار[3]، فدعا أعيان البلد إليه ولم يدع الشَّران، فكتب إليه الشران:

ماذا أعد المجدُ من أعذاره فى ترك دعوتنـــا إلى إعذارهِ[3]
إن كان رسم دون محضرنا اكتفى لا بد أن يبقى على إعذاره[4]

ثم قال الشيخ التَّنَسي: والشران هذا ممن له باع مديد فى الشعر، وتصرف حسن. انتهى.

قصيدته اللامية

ومن بديع نظم الشرَّان المذكور قوله رحمه الله:

دوام حال من قضايا المحالْ واللطف موجود على كل حالْ
والنصر بالصـــبر مُحَلَّى الظُّبى والجَد بالجِدّ مَريش النِّبال [٧٠]
وعادة الأيام معهـــودة حرب وسَلم والليـــالى سِجال
وما على الدهر انتقاد على حال فإن لحال ذات انتقال

(١) يشير إلى اسمه: «أبى الفضل بن جماعة».
(٢) يشير إلى لقب أبى عبد الله: «الشران». فكأنه تثنية: «شر».
(٣) الإعذار: طعام الختان.
(٤) الإعذار (هنا): التقصير.

مَن للياليَ بائتلاف وكم من اعتبار باختلاف[1] الليالْ
أخذٌ عطاءٌ ، مِحنةٌ مِنحةٌ تفرُّقٌ جَمْعٌ ، جَلال جمال
حَالُ[2] انتظامٍ وانتثارٍ معاً كأنما هَذِي الليالى لآل
وهلْ سَنى الصبحِ وجُنحُ الدُّجى لخلقة الأضداد إلاّ مِثال
والظُّلَمُ الحُلْكُ على نورها تدلّ والعُسر بيسر يُدَال
والسيف قد يصدأ فى غِمده ثم يُجَلِّى صفحتيه الصِّقال
والشمس بعد الغيم تُجْلَى كما للغيث من بعد القنوط انهمال
والفَرَج الموهوب تجرى[3] به لطائف لم تجر يوما ببال
فصابرِ الدهر بحاليه مِن حلو ومر واعتِدا واعتدال
فما له صبر على حالة وإنما الصبر حُلِىُّ الرجال
ولا يضق صدرك من أزْمة ضاقت فصنع الله رحبُ المجال

إلى هنا توجد هذه القصيدة بأيدى الناس ؛ ورأيت بخط بعض الأخيار بعد هذا البيت زيادة كثيرة على ذلك ، منسوبة لصاحب القصيدة ، وهى لا تبعد من نفسه ، على أنّ فيها إيطاء[4] . وها أنا أيضاً أثبتها بجملتها لغرابتها وجزالتها ، ولاشتمالها على مديح المصطفى المجتبى ، صلى الله عليه وسلم ، ونصها بعد قوله : « رحب المجال » :

وانظر بلطف العقل كم كُرْبة فرّجها لُطْفٌ كحَلّ[5] العِقال
وكِلْ إليه كلَّ حاجٍ فما [لذى][6] حِجًا إلا عليه اتكال

(١) فى نيل الابتهاج : « فى اختلاف » .
(٢) فى ت : « حلمى » .
(٣) زيد فى ط فوق هذه الكلمة : « تأتى به » .
(٤) كذا فى ط . والإيطاء : تكرير القافية لفظا ومعنى . وفى ت : « على أنه فيها وها أنا » .
(٥) فى ط : « فحل » .
(٦) زيادة عن ت .

وكل بَدْء فـــله غاية وغاية الخَطْب الشديدِ انحلالْ
وكلّ عَوْد فـــله آية وآية العَقْـــل اعتبار المآل
وفى مآل الصَّبْر عُقْبى الرِّضَا من فَرَج يُدنِى وأَجْر يُنَال
عجبت للعبـد الضعيف القُوَى يُغَرُّ[1] بالرب الشـديد المِحال
يَهْوِى مع الآمال مسـترسِلاً طوع الهوى حيث أمالته مال
تخـــدعه النفس بتخييلها وهل خيال النفس إلا خَبال [٧٦]
يخال أن الأمر جارٍ عَلَى تدبيره هيهاتَ ممـــا يَخال
الخَلْق والأمر لمن لم يزل فى مُلْكه المَلْك وما إن يَزَال
والفعـل والترك دليـل عَلَى مراده والكلُّ طوعُ انفعال
يعطِى فلا مَنْع ويقضِى فلا دَفْع ويُمضِى حكمه لا يُبَـــال
يُدَبِّر الأمر فعن أمره تقدير ما فى الكون سُفْلٍ وعال
يُضِل يَهْدى حكمـة أنفذت فضلاً وعدلاً فى هُدًى أو ضَلال
وحكمة البـــارئ فى حكمه ما لمجال العقل فيهـــا مجال
والرب لا يُسأَلُ عن فعله قد قُضِىَ الأمر ففيم السؤال
فيا أخا الفكر اشتغالاً بما فى غيره للفكر حَقّ اشـتغال
سلِّم ففى التسليم من كل ما ينفـــذ تسليم وتنعيم بال
وارض بما فاتك أو نلتَـــه فعكسه ما لك فيه مجال
وفوِّض الأمر إلى الحق لا تركن من الدنيـا لحال مُحال
فذو الحِجا فيما اتقى وارتجَى بالعَدْل حالٍ ومن العَدْل خال
يرضى بقسْم الرب كل الرضا فى كل حالٍ ما عن العهد حال

(١) ذكرت هذه العبارة أمام هذا البيت فى هامش ط : « يعترض الرب بدل يغر » .

يرى خلال الشكر والصبر فى ما سر أو ساء أبرَّ الخلالْ
فهو على الحالَيْن قد نال من مُناه فى الدارين أقصى مَنال
ما أقصر الدنيا على مرِّها كالظل ما أقصر مَدّ الظلال!
فافطَن لها حزما ففى ظلها ما قال يوما حازم حيث قال
ما يَقَظات العيش إلا كَرًى ولا مَرَائى العين إلا خيال[1]
يا ليت شعرى والمُنَى عِبرة[2] والشعر قول قد ينافى الفِعال
هل يستحيل العهد مِن صَبْوتى فقد مضى عهد الصِّبا واستحال
والشّيب هل يوقظنى صبحُه فالنّوم فى ليلٍ من[3] اللهو طال
وكِسرتى من عُسْرتى هل تقى وعَثْرتى من[4] عِبرتى هل تُقَال
هذا زمانى فى تولٍّ وفى عزمى توانٍ والهوى فى توال
حالُ من احتل بدار البَلا ولم يحدِّث نفسه بارتحال
يا رَبِّ ما المخلَصُ من زَلّتى لا عملٌ لا حجةٌ لا احتيال
[٧٧] يا رَبِّ ما يلقاك مثلى به عن طاعة لم ألقها بامتثال
يا رَبِّ لا أحملُ حَرَّ الصِّبا فكيف بالنار لضعفى احتمال
أم كيف عذرى وقد أعذرت لى[5] بأخذ حِذْرى من دواعى النكال
رحمتَك اللّهم فهى التى لها على العاصِين مثلى انثيال
ولا تعاملْنا بأعمالنا لكن رَجا آمالنا صِلْ ووَال

(١) يشير إلى قول أبى الحسن التهامى فى مرثيته ابنه :
فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارى
(٢) فى ت : « عدة » .
(٣) فى ط : « وفى » .
(٤) فى ت : « فى » .
(٥) فى ت : « بى » .

وبامتداح المصطفى هَبْ لنا ... مآثم الفعل لبرِّ المَقال[١]
فما سوى حبىَ للمصطفى ... وسيلةٌ لى بعُراها اتصال
ذلك تَجْرى[٢] وعلى فضله ... طمعت فى الفضل بلا رأس مال
فإن يفُز قِدْحى بمدحى له ... فقَد يُجِل النُّورُ قَدْرَ الذُّبال
ورائدُ الغُرّ الغوالى[٣] على ... مَوْثقة مما نوى من نَوال
أعظِم بأمداح نبى الهدى ... حبلَ اعتلاق أو شفاءَ اعتلال
خير الورى من بادٍ أو حاضرٍ ... أكرِمهمْ من حافٍ أو ذى انتعال
فادِيهمُ من فتَكات الرّدى ... هاديهم فى هَلَكات الضّلال
حاميهمُ بالعَضْب إذ لا حمى ... كاليهم[٤] فى الخطب إذ ليس كال
مُنيلهم إذ لا جَدَى يُرْتجى ... مُقيلهم إذ لا عِثارٌ يُقال
قَريعهم فى طبقات العُلا ... شفيعهم فى عرَصاتِ السؤال
مُؤويهمُ من حوضه من صَدَى ... مُؤْويهمُ من جاهه فى ظِلال
أطْول من سال بسَيْب النَّدى ... أصْول من فى الحق بالسيف صال
من خَصَّه الله بخَصْل المَدَى ... فى كل ما عم الهدى من خِصال[٥]
من باهِر الحسن وفضلِ التقى ... وحكمةِ النطق ومجدِ الفعال
حالٍ من العلم بأسنى حِلًى ... واف من الحلم بأزكى خِلال
نور مبين صادق فارق ... مبشّر هادٍ ختام كمال
أبيضُ يُستسقَى الحيا باسمه ... كَهْف الأيامَى ، لليتامى ثِمال

(١) فى ط : « الفعال » .
(٢) تجرى : تجارتى .
(٣) فى ت : « الغوادى » .
(٤) كاليهم : كالئهم ، أى حافظهم .
(٥) خصل المدى : إصابة الغاية .

الرحمة المُهْداة ضِمن احْتفَا والنعمة المُسْداة خَلْف احتفالْ
كم آية جَلَّى لنا أو تلا وغاية جَلَّى بها دون تال[1]
ذو العرش أسْمَى قدرَهُ فاسمُه فى العرش مقرون مع اسم الجلال
وذكره رَفْع فى ذكره حمداً ليتلو مدحَه كلُّ تال
[٧٨] أعطاه دون الرُّسْل خمساً كفتْ يدَ امتنانٍ فى العطايا الجزال
لم يبعث الرُّسْلَ اشتمالا وفى بَعْثته للثَّقَلين اشتمال
وقسمةَ الأنفال حِلًّا وما مِن قبلُ كانت لنبيٍّ حَلال
والأرضَ طُهْراً ومصلًّى لِأن كان له كونٌ بها واحتلال
والنصرَ بالرعب لشهرٍ مَدًى يُنَازِل الأعداء قبل النزال
والنعمةُ الكبرى التى نالها شفاعة الأخرى ونم المنال
وليلةَ المعراج أسرى فما أسْرَى وأسْنَى شرفًا فى اللّيال
جالَ وجِبْريل أنيسٌ له من السماوات العُلَى حيث جال
حتى انتهى من سِدْرة المنتهى إلى مَقام لم يَنَلْه مقال
قال له الرُّوح مَقامى هُنا وأنتَ فاصعد لمَقام الوِصال
فقال : يا أُنْسِىَ أفردْتَنِي حيث دَهَتْنى[2] مُدْهشات الجلال
فقال : كلاَّ إنما الأُنْسُ ما أَنْتَ مُوالٍ ولك اللهُ وال
طَأْ حضرةَ القُدْس اتصالًا فما أُبيح منها لِسواك اتصال
فزَجَّه فى النُّور زَجًّا رَأَى وراءه للحق نورَ الجمال
شاهدَ ما شاهدَ مما ارتقَى عن مَبلغ العقل وَوَهْم الخيال
فقال قوم بفؤادٍ رأى وعالِمٌ بالعين والقلب قال -

(١) جلى بها : أتى فيها سابقا .
(٢) فى ط : « وهتنى » .

وليس ذا وهو مُحال على ... حَال مَقام الحب مما يُحالْ
حيث تدلّى قابَ قَوْسَيْن أوْ ... أدْنى نجيًّا فى ظِلال الدّلال
وبعد ما فى النجم يُتْلَى عَلاَ ... ثم أتى والنجمُ فى الأُفق عال
وباحتمال الجسم والروح فى ... مَسْراه صحّ القولُ دون احتمال
وبانشقاق الصدر طِفلا فقِس ... له انشقاقَ البدر عند اكتمال
لنسبة بينهما فى الهدى ... والحسنِ والقرب وبُعد المنال
فنور هذا كَمْ جلا من دُجًى ... ونورُ هذا كَمْ هَدَى من ضلال
كلا بل الأنوار حيث انجلَتْ ... حِسًّا ومعنى منه كُلاًّ تُنال
ولِانشقاق البدر من نوره ... أبْدَى انشقاقًا وهْو تغيير حال
شُقّ هلالين على صفحتى ... ظَلمائه فى كل شِقٍّ هلال
والشَّطْر منه لاستلام الثّرى ... بين يديه بالسلام استمال
بل أخجَلَ البدرَ لنقصانه ... فانحط مُنشقا لبدر الكمال [٧٩]
هم سألوها آية أعْرضوا ... عنها وقد جاءت وِفاق السؤال
قالوا وقد جالوا[1] بسحرٍ أتى ... فقلتُ هذا السحر سِحْر حلال
بل عجبوا من نُكْتَة الكَونِ أنْ ... أعطاه رَبُّ الكون ما منه سَال
وهِجْرة بل وُصْلة للرضا ... وربما نِيل[2] بهجرٍ وِصال
ضفا لُحجْب السَّتر دُونَ العِدا ... فى الدار والغار عليه انسدال
إذ عار بالحكمة نورُ الهدى ... فى الغار من غارة حزب الضلال
وما اختفى من خيفة بل لأن ... تظهر أسرارُ معانى المعال[3]

(١) كذا فى ت وفى ط « حالوا » . ولعل كليهما مصحف عن : « خالوا » .
(٢) فى ت : « يبلى » .
(٣) المعال : أى المعالى .

حيث ثَنَى بعدُ عِنانَ الرَّدَى سُرَاقَةٌ عما سَرَى واستقالْ[١]
هِيلَ كثيبُ الطِّرْف خَسْفاً به عن كَثَب والصنع للطرْف هال[٢]
أهوى كما أهوت بميلاده من قصر كسرى الشُّرفات العوال[٣]
نِسبة حالٍ كان من سِرِّها أنْ بِسِوارَيْه غَدا وهْوَ حال[٤]
هناك هامتْ بالحِمام العِدا فحام حوليه حَمام فحال[٥]
فاطّرد الكَسْر على جمعهم واطّرد الفتحُ له صدقَ فال
والعنكبوت اعتمدوا حُجَّة خالوا بها الغِيلَ من الليث خال
فاعجب لهم بالواهنِ استوثقوا ظَنًّا وللبرهان هُمْ فى جدال
ما أصدقَ الصِّدِّيقَ فى قوله عدلٌ لنا فِي حُجج الصدق قال
أشْفَق لا حرصاً على نفسه بل غار من عِلْقٍ نَفيسٍ يُذَال
يأيها الصديق بشراك لا تحزن[٦] وشِمْ للنصر أمضى النصال
فحكمة العِصْمة إحرازُها ما بين أظفار الظُّبى والعوال
لله ما أشرفها عِزَّةً ليس لغير الله منها ابتهال
نُبُوَّةٌ لاحتْ براهينها قطعيّةً تُرْغم أنْف الجِدال

(١) سراقة : هو سراقة بن مالك الكنانى الذى تبع النبي صلى الله عليه وسلم عند الهجرة ، ليرده إلى قريش . (انظر خبره فى كتب السيرة) .
(٢) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما روى فى كتب السير من أن سراقة لما أراد اللحاق بالرسول ، وكاد يدركه ، غاصت قوائم فرسه فى الرمال ، وأفزعه ما رأى من عجزه عن إدراك النبي أو إصابته بسوء ، حتى اضطر أن يعود من حيث أتى .
(٣) يريد أن فرس سراقة خر على الأرض كما سقطت شرفات قصر كسرى عند مولد النبي إرهاصا لنبوته .
(٤) يشير إلى لبس سراقة لسوارى كسرى أيام عمر تصديقا لقول النبي لسراقة لما خرج فى طلبه فى الهجرة : « كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ! » . (انظر شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٤٨) .
(٥) يريد : أن أعداء النبي يوم الغار أرادوا قتله ، فحال الحمام دون غرضهم بمشيئته فوقه .
(٦) فى ت : « تحزع » .

وهل جدال فى عُلًى أوْجَبَتْ وآدم فى طِينه ذو انجدالْ
وإذ بدت فى وجهه غُرَّة خرت له الأملاكُ طوع امتثال
ونوحٌ أذ نُجِّىَ فى فُلْكه كان على أنوار هذا اشتمال
كذا خليل الله فى ناره من نوره أُهْدِىَ هَدْىَ الخلال
إذ قال جبريل له سَلْ تَنَلْ فقال علمُ الحال حَسْب السؤال
ونال إسماعيلُ منه الفِدا بالذِّبح أو إسحاقُ إن صحّ نال [٨٠]
وهودٌ أستجلى لديه الهُدى ويوسفٌ منها تحلَّى الجمال
وخِلْعَةَ الإشراق منها اكتسى بالطُّور مُوسى عند خلعِ النعال
والرُّوحُ روحُ الله لاقى بها بُشْرَى تلقّتها صدور الرجال
فيا له نورَ انتقاء بدا فى غرر الآباء منه انتقال
والشمسُ والبدر معاً والضُّحى والشُّهْبُ منه أشرقت والهِلال
ونوره أجْلَى ، وبرهانه أعلى ، وكم من دونها من مَعال
تفجرتْ أنْمُلُه بالنَّدى معنًى وبالحسّ جرت بالزُّلال[1]
وأنطق الطيرُ بتصديقه وأفصح الذئب به والغزال
وسبَّحت فى راحتيه الحصى وانهزم الجمع لجَشْو الرمال
والجِذع إذ عُوِّض مِن وَصْلِه بفصله حَنَّ حنين الفِصال
وهل إلى آياته مُنْتهى وعن عُلَى غاياته النجمُ آل[2]
فما بليغ بالغاً وصفه يقصُرُ عن ذاك المقام المقال
وبعد مبدا (نونَ) أو منتهى (براءةٍ) ماذا عسى أن يُقال[3]

(١) فى ط : « لا محال » . بدل : « بالزلال » .
(٢) آل : رجع عاجزا .
(٣) يشير إلى ثناء الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم فى مفتتح سورة (نون) ومختتم سورة (براءة) .

يا سيدَ الكونين فضلا به قد ساد فى الأولى ويومَ المآلْ
يا سابقَ الرسل اصطفاءً ويا خاتمَهُم جمعاً لمعنى الكمال
يا ملجأ الخلق ومَنجاهمُ إذا بهم ضاق انفساحُ المجال
يا من به نال المحبُّ الرضا ويا شفيعاً فى الذنوب الثقال
رُحماك فينا يا نبيَّ الهدى فلم تزل رحماك ذاتَ انهمال
رحماك فى أوطاننا راعِها مِن لحظك الأحمى بعين ابتهال
رُحماك فى سلطاننا وَالِهِ من نصرك الأمضى بأرضى نوال
رحماك فى غربتنا كن لها أُنْسًا فإن العهد بالأُنس طال
رحماك فى كُربتنا حُلّها منك بسرٍّ فهى رَهنُ اعتقال
رحماك فى عَيلتنا أغْنها إنا على رِفدك طُرًّا عِيال
رحماك فى قِلتنا زكِّها زكاة تكثير لجاه ومال
صالت علينا بالوُفور العدا وهل على راجيك غوثاً يُصال
صالت بعَدٍّ واعتداد معاً وما على ذاك الحمى يُستطال
[٨١] خَالَتْ بأنا لا غِياثٌ لنا حاشى غياثَ الخلق مما يُخال
وبالغِنَى اختالتْ وما إنْ لنا فى غير أفياء غِناك اختيال
فأنت للخلق مَلاذ الوَرَى والوَزَرُ الأَحْمَى لَدَى ذِى الجلال
صلى عليك الله نورَ الهُدَى أزكى صلاةٍ قُرِنَتْ(١) باتصال

بعض شعر له

انتهت القصيدة . ومن ذلك قوله رحمه الله :

لكَ يافقيهُ وَضَعْتُ خَدّى فى الثَّرى طمعاً بوصلٍ منكَ غيرِ مؤجَّلِ
فأجاب ذلك لا يجوز لأنه عندى رِبًا من باب ضَعْ وتعجَّل

(١) فى ط : « قورنت » .

وقوله :

لى سـيِّدٌ زار وما زرتهُ فمنِّىَ النقصُ ومنـه التَّمامْ
إن يحتملْ سَهوى ففقهٌ مضى لأننى المأمومُ وهْو الإمامْ
[وطالما زار الغمامُ الثَّرى ولم يزرْ قطُّ الثرى للغمام][1]

وقوله رحمه الله ، وهو غاية فى بابه :

بعثتُ بها ذِكْرَى على ثقة إلى مؤمَّلِ وعد من لقائك[2] مرقوبِ
فما زلتَ فَذًّا فى رءوس ذوى العُلى وما وعد رأْس مثل مَوْعد عُرْقوب

[وقوله :

عاب منى العُداة شـعراً وثغراً رُمِيا فى الصِّبا بشَيْب وشَيْنِ
قلت : لا عيب فِىَّ ما دام فضل فى النُّهى واللسانِ والشفتين][1]

وقوله :

قلت لما جَبَرْتُ بالعاج ثغراً[3] ولقد رُمتُ بالمُحال احتجاجا
صاحِ لا بأس أن يعُوج شَبابى بالتلاقى[4] أمَا ترى الثغر عاجا

وقوله :

رأتنى أحُوطُ الثغر رَبْطاً فأضحكت وتاهت بثغر بالجفون يُحاطُ
فقلت لخوف الحَل منه[5] ربطته أيُنكَر فى الثغر المَخُوف رِباط

وقوله :

إلهى لك الشكوى وحَسْبِىَ رحمةً نداؤُك فى شكوى الخطوب إلهى

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ط : « وفائك » .
(٣) فى ط : « ثغرى » .
(٤) فى ط : « بالتلافى » .
(٥) فى ت : « منك » .

وحقِّك ما للّهو أبدعتَ خلقتى وها أنا فى غَىّ البطالة[1] لاهِى
بنفسى وشيطانى ودنياى والهوى فُتِنْتُ ولكن أنت حَسْبِىَ لاهى[2]

ولنختم ما أردنا جلبه من نظمه الذى هو بحر لا ساحل له بقوله :

يا ربِّ قلتَ وقولُك الحق الذى أحكمتَ : إنك تستجيب لمن دعا
فاختم لعبدك بالرضَا واحكم له بالستر فى الدنيا وفى الأخرى معا

* * *

تعريف بالرئيس ابن عاصم

[٨٢] وأما الرئيس أبو يحيى بن عاصم فهو الإمام العلامة ، الوزير الرئيس ، الكاتب البليغ الجليل الخطيب الجامع الكامل ، الشاعر المفلق الناثر ، الحجة ، خاتمة رؤساء الأندلس بالاستحقاق ، القاضى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسى الأندلسى الغَرناطى ، قاضى الجماعة بها ، كان رحمه الله تعالى من أكابر[3] فقهائها وعلمائها ، أخذ عن الإمام المحقق أبى الحسن بن سمعة[4] ، والإمام القاضى أبى القاسم بن سراج ، والشيخ الراوية أبى عبد الله المَنتورى ، والإمام أبى عبد الله البَيانى وغيرهم ، وذكر فى شرحه تحفة والده أنه وُلِّىَ القضاء عام ثمان وثمانين وثمان مئة ، وله عدة تآليف منها شرحه العجيب على تحفة والده فى الأحكام ، وهو كتاب نافع ، فيه فقه متين ، ونقل صحيح ، وكانت بينه وبين عَصْريّه الإمام مفتى غرناطة أبى عبد الله السَّرَقُسْطِىّ ، مراجعات ومنازعات فى مسائل فقهية . ومن تآليفه رحمه الله : كتاب جنة الرّضى ، فى التسليم لما قدر الله وقضَى ؛ وكتاب الرّوض الأريض ، كأنه ذيّل به إحاطة ابن الخطيب ،

(١) فى ت : « البلاغة » .
(٢) لاهى : أى يا إلهى .
(٣) فى ط : « أكارم » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « سمعت » وهو تحريف .

وله غير ذلك ، وسنذكر شيئاً من كلامه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

قصيدة له تلد بنتين موشحتين فى مدح السلطان أبى الحجاج

ومن أغرب ما صدر عنه ، رضى الله عنه ، قصيدة ، تنفك منها قصيدتان أخريان بديعتان ، إحداهما من المكتوب بالأحمر ، والأخرى من المكتوب بالأخضر ، وكل واحدة من هاتين البنتين تلد موشحة ، كما ستراه ، وقد ألفيتُها بخط بعض أعلام سبته ، وهو الفقيه أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن فرج ، وجده محمد بن فرج هو الذى نأتى بجملة من نظمه فى النعْل النبوية ، عند ما نتعرض لذلك إن شاء الله تعالى ، فى محل هو أنسب من هذا الموضع ، وقد سقط من هذه القصيدة نحو ثلاثة أبيات ، فعوضتها بغيرها على ذلك السَّنَن[١] ، على أن بعض كلماتها لم تسقط إلى طرف[٢] .

ونص ما كتبه السبتى المذكور من نظم السيد الأستاذ العَلَم الصَّدْر المفتى القاضى رئيس الكُتّاب ، ومَعدِن السماحة ، ومنبع الآداب ، سيدى أبى يحيى [٨٣] ابن عاصم رحمه الله ، ورضى عنه ، يمدح السلطان العادل المقدَّس المنعم المرحوم المجاهد ، أبا الحجاج يوسف بن نصر ، قدَّس الله روحه ، ونضَّر ضريحه ، قال : ونقلتها من خط ناظمها رحمه الله . انتهى . وهذه هى القصيدة[٣] :

أَمَاوالهوى[٤] «ما كنتُ» مذ بان عهدُهُ أهيم بلُقيا من (تَنائر[٥]) وُدّهُ

رعى الله من «لو أنصف» الصبَّ فى الهوى لما فاض منه (الدمعُ) مُذ[٦] بانَ صدّه

(١) فى ط : « النسق » .

(٢) يريد أن الأبيات الثلاثة الساقطة قد ظهر منها بعض كلمات .

(٣) وضعنا ما كتب بالمداد الأحمر فى الأصل بين هذين القوسين « » ، وما كتب بالأخضر بين هذين الهلالين ( ) اقتداء بما فى نسخة ت .

(٤) فى ت : « إمام الهدى » .

(٥) فى ط : « تأثر » .

(٦) فى ط : « إذ » .

ولو جاد من « بعد المطال » بزَوْرة ... لما شَبَّ أشواقِي وقلبيَ زَنْدُه
كما خان صبرى يوم أصبح وَ « اصلى ... لظًى » زاد ماء (من جُفونى) وَقْدُه
لذاك أسالَ الدمعَ (كالدرّ) مَدْمَعِى ... من « الوَجْد » فاستولى على الجفن سُهْدُه
حكى لؤلؤاً (من سلكه) متناثرا ... و « إلا لِيَمٍ » قد تتـــابع مدُّه
ذخرتُ (الثمينَ) القدرَ منه بمقلتى ... ومازلت من خوف « النَّـكال » أُعِدُّه
ولاعجبٌ (مُذْ أعوز) القربُ أن غدا ... و « كالقمر الزاهى » سَناه و بُعده
أيُلْحق باللُّقيا أو (الوصل) من يغو ... رُ « فى نوره » بَدر السماء وجندُه
وصيَّر جسمى للصَّبابة (والتَّلا ... قى) يُتَيِّم قلبى إذ تمكن وَجدُه (١)
أُقَطِّع أنفاسى « عليه ك » آبة ... ولله (من بدر) لغيرىَ (٢) سَعْدُه
فمن شَعره « الليل البهيمُ » ومن سَنَى ... مُقَبَّلِه لله (حُسْن) نُورٌ يُمِدُّه
(بـ)حكْم « الدَّلالِ » الجَوْر حكْم جَوْره ... ومن شـأنه أ (لا قرين) يَرُدُّه
له مَعْطِفٌ « مستحسن القَدّ » ناعم ... به (عَلِقَتْ فى الحب) بالرَّغم أُسْدُه
رمى فى فؤادى جمرًا أُ « ذكى » لهيبَهُ ... به (ظبى أُنس) قد تلهَّبَ خدُّه
فيَعْبَق من نار الحيا عاطر « الشذا ... ك » أنى بذاكَ الخال قد نمَّ نَدُّه
ويبـــدو بآفاق الـ (جمال هـ) لاله ... له « الليل فرعاو » الـكواكب عقده
كأن الظُّبَى فى (مرتع) الطَّرف لحظه ... كأن « القنا فى » اللين والفعل قَدُّه
يروق (العيونَ) العِطْف منه فشُبِّهتْ ... به قُضُب البان « اعتدال » بـ وَمُلْدُه
ويانِعْ « مَوَرْدُ الخد » لو جاز (٣) قطفه ... وطيبُ رحيق الثغر لـ (وحل) وِرْده

(١) كذا فى ط . والشطر الثانى من هذا البيت غير مستقيم وزناً . وروايته فى ت :
وصير جسمى للصبابة وابتلى ... يتيم قلبى إذ تمكن وجده
ولا تتفق ألفاظ هذه الرواية مع ألفاظ الموشحة التى تخرج من هذه القصيدة .
(٢) فى ت : « لعمرى » .
(٣) فى ت : « حان » .

يجول به ريق « شَهِيٍّ » يحيلنى إليه لظًى (فى القَلْب) قد شَبَّ وَقْدُه
ويَحْمِى المُحَيَّا و « اللَّمَى » بلواحظ (عن) الدَّنَفِ المُغْرَى به[1] فتصْدُّه
فلله من رِيمٍ ضُلوعًى (كِناس) ه وروض يُسَقِّيه من الدمع عَهْدُه
ويُمْنَع منه المُسْتَهام (فما له) و « فى لثمه » لو جادَ باللثم قصدُه [٨٤]
و بالحسن منه (يَستبيح) حِمَى النُّهَى و « كل المُنَى » واليُمْنِ يحويه بُرْدُه
ويُلْوِى : (دَيْنِى) فى الهوى وهو موسِر له دُرُّ ثَغْرٍ « لو يُنَالُ » وعِقْدُه
أفى العدل أنْ (يَحْكُمْ) بتحريم ريقه لِأَن « كانَ للشَّهْد » المعلَّل وِرْدُه
تَخَيَّلْتُهُ لو نيلَ (بالنَّهْب فى) الكَرَى « وما ذقتُه » يشفِى منَ السُّقْمِ شَهْدُه
فأَجْنِى كما شاء الوِصال « رُضَابه » ويجنى على قلبى هوَاهُ وصَدُّه
ويشفِى بذاك المبسِم « العَذْب » ريقُه (فُؤَادِىَ إذ) يشفِى بلثمِىَ خَدُّه
وحُلْو « الجنى » مُرُّ الجَفَا باهرُ السـ (نى له نهب ه)ذا القلب قَسْرا[2] ورَدُّه
بدا « فى المِثال » كالغزال محاسناً وتخشاه أبطالُ (العرين) وأسده[3]
وللحب بدء « و لحظه الأوطف » الورى (أ) لا (هكذا) قلبُ المشوق أَقَدُّه
تملَّك رِقّى طَرْفُه « معَ سُـقْمِه » و : (الشرْع) فى حكم الغرام يَرُدُّه
وأظهر مكنون الهوى منذ جار (فى الْـ مُعَنَّى الـ) ذى قد طال فى الحب جَهْده[4]
وقد كان تحت الكَتْم (عُذرى و) وَجده ؤ « أسهر منه » ما اختفى قبل صده
و يحسبه فى (الحكم) بالجور « ك » الورى وهل با « لسليم » القلب يُحسب ضده
إذا (بالظنون) الكاذبات يناله ينام فكم عم « الليا » ى سُهْده

(١) فى ط : « بها » .
(٢) فى ت : « سرا » .
(٣) هذا البيت ساقط فى ت .
(٤) فى ط : « جحده » .

يلـ « وح سنـ» ا «ه» للمَشُوق وقربه عليـه حرام إذ (يحلل) بُعْدُه
وفى مجتلاه «الباهر» الْحُسْن والرُّوا حياتى ، وشبه (القتل) للنفس فقده
وأُنعش بالإنصاف «مهما بدا» و إن أرى (منه ظلماً) عاود القلب وَجْده
ويبديه نور الحسن وَهْناً « لمقلتى » ويخفيه فرعٌ فاحم الوصف جَعْده
يميل على المشتاق (بالهجر) حكمة ف « منه » استعار الميلَ عنىَ قدّه
فيا هاجرى (والصدّ) للصب قاتل وروض «نعيم» ى فى رضاك وخُلْده
أما (والفتونِ) البابلى وسحره لَيُقنعنى هزل « الوِصال » وجِدّه
ويا مِقولى (مالى سوا) ك مؤازرٌ ف «نخلِ الهوى وامدح» لمن حَقّ حمده
فصغ لؤلؤا من (مدحِىَ ابْنَ) ملوكنا «إمامَ الورى» الباهى على الخلق رِفْده[1]
مَنَ أورثه الملك المؤصّل (نصر) ه وأكسبه المجـــدَ المؤثّلَ سعده
لُبابُ العلى « قطب المعالى و » تاجُها و(بدر الهدى ال)وضّاحُ فى الدّهر[2] سعدُه
به قد غدا ثغر « الهدى » وهو باسم منير سناه (مشرق) الأفق سعدُه
[٨٥] «و»أضحى «الكمال طود» ه فإن اعتدى على البدر نقص ف (الجبين) يُمدّه
ومهما عفا عاد « الحجا » وهو قائل ك(ذا الحلم والصفح) الذى أستعدّه
وبالشُّمِّ يُزْرى عقله «الأرجحُ» الذى لنح (و[3] المعالى والمَجادة قصده
فمعنى الحُلى تهديه للقلب ذاته و « سر العُلى » يبديه للعين مجده
ومن كفه (غيث الندى) وغمامه و « معنى السماح » المستماحِ ورَغده
إذا انهل منه (الوا كف ال)ثرُّ لِلورى فصفْ «و الندى و» الجود قد لذ وِرْده[4]

(١) فى ط : « الباهى على الخلق قده » .
(٢) فى ت : « فى البحر » .
(٣) فى ت : « له والمعالى » .
(٤) هذا البيت ساقط فى ط .

تخال (هَتُون) البذل منهن زائلا يُكَيِّفه برق « الجلال » ورعدُه[1]
وكل « نوال ه » امل من بنانه فأقصى صفات الجود (قد جاز) جوده
وفيض نداه « يشرح » الحال إنه يمد الحيا (فى السمح) إذ يستمده
(و) فى غيثه الثَّجاج « المعتفى » الغنى إذا : (الأيادى) منه يبدأ رِفده
وللفضل والإحسان والبأس (سبق) ه وللملك والإســلام والعلم عَضْدُه
وأفعاله عند استباق (المدا) شأتْ و « فعل ظُباه با » لكُماة وجُردُه
له مشرفىّ (دائم ا) قطع للطُّلا فكل كمىٍّ ل « لعدا فيـ » ه فقـده
و بين (سكون) فى الندِىِّ من الحِجا (و) بين مَضاء : « القتال » يعُـده
وزيّنه من (قصده الجمع) للعُلا كما زَيَّن ا « لسيفَ » الصقيلَ فِرِنده
وحزم وعَزْم (بين بِكْر) وثيب : « ه المرهف » الماضى يُفَلِّل حدَّه
فيوم الندى الإسلام يَسعد دهره و« يوم الوغَى » الإشراك يتعس جَدُّه
ومن بأسه « أضحى الحما مُ » تمَنِّعاً و (للفخر) منه صارم يستعده
وتُمْسى عداه « كالحميم » شرابهم وما شـيدوا (فى دهره) فيهده[2]
و يغدو « الموال » ى « فى » سرور وغبطة من البشر أبكار (وعُون) تَوَدُّه
قد اعتاد « ترك الكافر » ين وشأنَهم لهيب (وشأن ه) ما مل الدمع وِرْده
فأبطالهم « رهن الفنا » ء « و » مالهم إلى (البذل) عقباه و بالسيف ردُّه
ولم يبق إلا من حَمَى الحسنَ (للعطا) وشفّع فى أحـ (يا) ئه[3] منه خدّه
وأصبح فى العلياء (كالبحر) كفه كما « قد غدا مثل ا » جواهر رِفده
فصَوْب الحيا (فى جوده) برقه الظُّبَى يريك « هشيم » الكفر مما يقدُّه

(١) هذا البيت ساقط فى ط .
(٢) فى ت : « لم يهده » .
(٣) فى ط : « أحبابه » .

نَداه (المَعين) الثَّر قد نعم الهدى ... ويشقى به حزب « الضلال » وجندهُ
وأحكَ « م رفع » الملك إذ نصب العدا ... على حال ذل (نال من) ضل[1] جهدُه
أيا سامى « القدر » الذى جل ذكره ... ويا محرز (المجد) الذى عز نده
صفاتك فى العليا « عزيز » منالها ... لها (كل طبع) أحرز الفضل فرده
فما شئته من عزة الجار و « الحمى » ... « وقد » رسما فوق السما كين مجده
[٨٦] وأبعدت فى (وصف العلى) عن مسابق ... لها و « تدانى » من نوالك رغدُه
وجودك (فيه ذو) الرجا مغرم فإن ... حمى « جوده » ذم المهلَّبَ أزدُه
وكم من (فنون) يستمد بها الضحى ... إذا ما تناءى « للمنـــال » ممدّه
وكم بات يتلا (و سور) ة الفتح عزمه ... ويحكَ « م مثل الأمر و » النهى وجدّه
وأصبح باستحقاقه (الحمد من) أولى الـ ... عدالة فى « الأحكام قد » بان رشده
بعدل و إحسان قَدَ اخت كليهما ... (حِلاه) كما آخى المهنـــدَ غمدُه
و بأس و بطش يحميان «حمى الهدى» ... فحتى (لقد تـ) لمَى مع السَّرح أُسْدُه
وحلم « وجودها » تـ « ن » ومكارم ... ء (لاهن كل) الوصف عنها وجهده
وكيف « ينال » المدح أوصاف ماجد ... يود العـلا (حينـ) ا وحينا تَوَدُّه
يعم بعفـ « و خص بالـ » ذنب نطقه ... و (تهدى إلى الرشد) المبينَ أَلَدّه
وللسيف نصر يا بن « نصر على » العدا ... فساعة (إذ يجلى) جلى الـكفرَ حدُّه
وللمُلْك عز أكسب الذل «مَنْ بغى» ... فحاقت به من موئل القهر نُكْدُه
ففى ذمة العلياء (تلك الحلا) العُلى ... و « لما بدت » للدين أُنجز وَعدُه
أَنَرْت بها من (فاحم الـ) ظلم ما دَجا ... فجلَّت « سعودٌ ه » نّ للملك عَضْده
فزالت (دجون) الجور عن مطلع الهدى ... فنور سَناه « فى اقتبال » وسَعْدُه
هو « المَلْك » لم تَغْبطه إلا نزارهُ ... بما ليس فى إم (كانهـا) وَمَعَدُّه

(١) فى ط : « كل » .

وفى منتهاك «الأشرف» الأَصل للورى دليل يَحُوز (الشفعَ) فى المجد فردُه
ويُمناك يوم الجود «تِرْب الحيا» اغتدت ألا (فهى) أقسامُ السماح وحدُّه
لك المرهَفُ السفاح بالفتح (مُثَّنًى) مع العـــلَمِ الموعود بالنصر جُندُه
وجمّعت شتى الجود (فى وتر) راحة فـ «غيث الندى» منها قد انهل عَهْده
فكم كاملٍ (الأَوصاف والـ) ذات ماجدٍ إلى ذلك «الهامى العميم» مَرَدُّه
علىّ (يمين قل) تهـا غير حانث لجودك تنظيم «النوال» ونَضْدُه
فقد عز فى الدنيا (له المِثْل) فى العلى فما «يوسفٌ ا» لاّ الحيا طاب وِرْدُه
وأينَ المُسامى (والمُضاهِى) مَجادة «لناصر دين» الله والمجدُ مجدُه
كريم المساعى حافظ الدِّين و«الهُدى ذو» الإنعام والفضلِ المبجّل عَقْدُه
فى الفخر أضحى «الفضل والمجد» طبعَه و(فى الدهر) أمسى ليس يُوجد نِدّه
ومحتده السامى «الكريم» نِجارُه يماثله (فى رفعة) القـــدر بَنده
فشتى «الخلال» الغرّ جُمِّعْنَ عنده بما حاز من علم (ودين) يُمِدَّه
ودونَك يا مولاى حسناءَ غادةً مهذبةً كالدر نُظِّم عِقْـــده
مُرنَّحةَ الأَعْطاف تلعب بالنُّهى فتَسْبى الحِجا طوْرا وطورا تَرُدُّه [٨٧]
هديةَ عبـــد مخلصٍ لك قلبُه وفى تلكُمُ الذاتِ الكريمةِ وُدُّه
فألفاظها تحكى جُمان دُموعِه وقرْطاسها يَحكيه فى اللَّون خَدُّه

قال جامع هذا التصنيف : أَشار الرئيس أبو يحيى بهذا الشطر الأَخير إلى الكاغَد الأصفر الذى كانت فيه هذه القصيدة مكتتبة ، ثم قال :

وأنقاسها من كل لون غريبها وترتيبها من ذاته يســـتعده
فأكْحَلُها من مقلتى أستميحهُ وأحمرها من أدْمعى أســـتمدّه

وأخضرها من طيب عيشى الذى مَضى لديك وأرجو بالرضـــا تستردُّه[1]
وأعجب شىء أنها بِكْر فِكْرتى وما بَلَغتْ مِعشار شهر نعدُّه
وقد ولدت بِنْتين ثِنتين مِثلَها يروقك من معناها ما تَوَدُّه
وكلتاها قد جُرِّدت من نظامها موشحة كالسَّيف راق فِرِنْدُه
فخذها ففيها للتواظر مَسْرح ومن مدحكَ[2] الحسنُ الذى تَسْتَمِدُّه
بقيت كما تهواه ما هَبَّتِ الصَّبا فمالت بها بان العُذَيب ورَنْدُه

انتهت القصيدة الفريدة ، وهأنا أذكر البنتين اللتين وَلَدت ، ثم أذكر ما ولدت كل واحدة منهما بحول الله وقوته .

البنت الأولى

فأما القصيدة الخارجة من المكتوب بالأخضر [فهذا نصها ، وتوشيحها ينتظم من المكتوب فيها بالأخضر][3] وهى هذه :

(تَناثر الدَّمعُ) مِن جُفونى (كالدُّر) من سِلْكه الثَّمينِ
(مُذْ أعوزَ الوصلُ) والتلاقى (من بدر) حسن بلا قرين
(عَلِقْتُ فى الحب) ظَبْيَ أُنْس (جمالُه) مَرتَعُ العُيون
(وحلّ فى القلب) عن كِناسٍ (فمالَهُ) يَستبيح دينى
(يَحْكُم بالنَّهب) فى فؤادى (إذ ناله) نَهْبَه العرين
(أهكذا الشرع) فى المُعَنَّى (المذرىّ) والحكْمُ بالظنون
(يُحلّل القتلَ) منه ظلما (بالهجْر) والصَّدِّ والفتون
(مالى سوى مَدْحِىَ) ابنَ نصر (بدْرَ الهدى) المشرقَ الجبين
(ذا الحلم والصفح) والمعالى (غيثَ النّدى) الواكف الهتون

(١) فى ت : « نستمده » .
(٢) فى ط : « مدحها » .
(٣) زيادة عن ت .

(قد جاز فى السمح) وَالأيادى (سبق المدى) دائم السكونِ
(وقصده الجمع) بين بِكر (للفخر) فى دهره وعُون [٨٨]
(وشأنُه البذلُ) للعطايا (كالبحر) فى جوده المعين
(نالَ من المجد) كل طبع (وصف العلا) فيه ذو فنون
(وسُوَرَ الحمدِ) من حلاه (لقد تلا) هُنَّ كلَّ حين
(تهدى إلى الرُّشد) إذ تُجَلِّى (تلك الحِلَى) فاحمَ الدُّجون
(كأنها الشفع) فهىَ مَثْنَى (فى وِتر) الأوصاف واليمين
(قَلَّ له المِثلُ) والمُضَاهِى (فى الدهر) فى رِفعة ودِين

الموشحة الأولى

انتهت البنت الخضراء ، وهذا نص بنتها الموشحة ، المستخرجة من الأخضر :

تناثرَ الدَّمعُ ، كالدُّرِّ مُذْ أَعْوَزَ الْوَصْلُ ، مِنْ بَدْرِ
عَلِقْتُ فى الحُبِّ جَمَالَهْ
وحل فى القَلْبِ فمالَهْ
يحكُم بالنَّهْبِ إذْ نالَهْ
أهكذا الشرْع ، العُذْرِى يُحَلِّل القَتْلَ ، بالهجْر
ما لى سِوَى مَدْحِى بَدْرَ الهُدَى
ذا الحلمِ والصَّفْحِ غيثَ الندى
قد جاز فى السَّمْحِ سَبْقَ المَدَى
وقصده الجمعُ ، للفخرِ وشَأْنُهُ البَذْلُ ، كالبحرِ
نال من المجد وصف العلا
وسُوَرَ الحمدِ لقَدْ تَلا
تَهدى إلى الرُّشْدِ تلكَ الحِلَى
كأنها الشفعُ ، فى وِتْرِ قَلَّ لها المِثْل ، فى الدَّهْرِ

[انتهت .

ويمكن أن تستخرج باختصار هكذا][1]:

تنـــاثر الدمعُ ، مُذْ أعوزَ الوصلُ
عَلِقت فى الحبِّ ، وحَـلَّ بالقلبِ ، يحـكم بالنهبِ
أهـــكذا الشرعُ ، يُحَلِّل القتـــل؟
مالى سوى مدحِى ، ذا الحلم والصفحِ ، قد حاز فى السَّمح
وقصـــده الجمعُ ، وشـأنه البـــذلُ
له من المجـــدِ ، وسُـــورِ الحمدِ ، تهدى إلى الرشدِ
كأنهـا الشـفعُ ، قَلَّ لها المِثـــلُ [٨٩]

انتهت .

البنت الثانية

وأما البنت الحمراء فهى الخارجة من المكتوب بالأحمر ، وتوشيحها ينتظم من المكتوب فيها بالأحمر ، وهذا نصها :

« ما كنتُ لَوْ أنصف » بعد المطالْ « أصْلَى لَظَى الوجدِ الأَلِيم » النكالْ
« كالقمـــر الزاهى » فى نُوره « عليه كالليـل البهيم » الدَّلال
« مستحسن القَد » ذَكىُّ الشّذا « كالليل فَرْعا والقَنا » فى اعتدال
« مُورّدُ الخـد » شهىُّ اللَّمى « فى لَثْمِهِ كلّ المُنَى » لَوْ يُنَال
« كأَنّ للشهـــــد » وما ذقتُه « رضابَه العذبَ الجَنَى » فى المثال
« ولحظه الأوطفُ » مع سُقْمه « أسْهرُ منـــه كالسَّليم » الليال
« وحُسْـــنه الباهرُ » مهما بدا « لمقلتى منـــه نعيمُ » الوصال
« خَلِّ الهَوى وامدح » إمام الورَى « قطب المعالى والهُدَى » والكَمال

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت .

« طودَ الحِجا الأرجحَ » سرَّ العلى « مَعْنى السَّماحِ والنّدى » والجَلالْ
« نوالُه يَشرح » للمعتفِي « فعلَ ظُباه بالعِدا » فى القتال
« لسيفه المرهَفِ » يوم الوغَى « أضحى الحِمام كالحميم » المُوال
« فيتركُ الكافر » رَهْن الفَنا « وقد غدا مثلَ الهَشيم » الضَّلال
« مُرَفّع القَدر » عزيز الحِمَى « وقد تَدانَى جُودُه » للمَنَال
« مُمَثَّلُ الأمْر » والاحكام قد « حَمَى الهُدَى وجُودُه » أنْ يُنَال
« وخُصَّ بالنصْر » على من بَغَى « لَمَّا بدت سُعوده » فى اقتبال
« الملكُ الأشرفُ » تِرْبُ الحَيا « غيثُ النَّدى الهامى العميم » النَّوال
« يوسفُ الناصرُ » دينَ الهُدَى « ذوالفضل والمجد الكريمُ » الخِلال

انتهت البنت الحمراء .

الموشحة الثانية

وهذا نص مُوَشِّحَتِها ، وهى بنتها ، الخارجة منها من المكتوب بالأحمر :

مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفْ أصْلَى لَظَى الوجدِ الأَليمْ
كالقَمَرِ الزاهى عليهِ كاللَّيلِ البَهيمْ

* * *

مُسْتَحسن القدِّ كالليل فَرْعًا والقَنا
مُوَرَّدُ الخَدِّ فى لثمه كلّ المُنى
كأنّ للشهدِ رضابَه العذبَ الجنى

* * *

ولحظُه الأوطفْ أسْهَرُ منه كالسَّليمْ [٩٠]
وحسنهُ الباهرْ لمقلتى منه نعيمْ

* * *

خَلّ الهـــوى وامدحْ قطب المعـــالى والهدَى
طودَ الحِجـــا الأرجحْ معنى السماحِ والنَّدى
نوالُه يشـــــرحْ فعلَ ظُباه بالعـــدا

* * *

لســـــيفه المرهفْ أضحى الحِمام كالحميمْ
فيـــــترك الكافرْ وقد غدا مثل الهشيمْ

* * *

مُرَفَّعُ القـــــدرِ وقد تدانى جـــودُهُ
مُمَثَّـــــلُ الأَمْرِ حَمَى الهُـــدَى وُجودُهُ
وخُصّ بالنصـــــر لمّا بدتْ ســـعودُهُ

* * *

الملكُ الأَشـــــرفْ غيث الندى الهامى العميمْ
يُوسفُ النـــــاصرْ ذو الفضل والمجد الكريمْ

ويمكن اختصارها أيضاً هكذا :

ما كنتُ لو أنصفْ ، كالقمـــــر الزاهرْ
مستحسَنُ القـدّ ، مورد الخـــد ، كأَنْ للشّهد
ولحظـه الأوطف ، وحســنه البـاهرْ
خل الهوى وامدحْ ، طودَ الحِجا الأَرجحْ ، نوالـــه يشرحْ
لســـيفه المرهف ، فيـــترك الـكافرْ
مُرَفَّع القـــدر ، مُمَثَّـــل الأَمر ، وخُصّ بالنـصر
الملكُ الأَشرفْ ، يُوســف النـاصرْ

قلت : وإنما لم أجزم بهذه المختصَرة لأَجل أن الناظم صرّح بأن كل واحدة من البنتين الحمراء والخضراء لم تلد إلا موشحة واحدة من البنتين ، ولو ولدت موشحتين لصرّح بذلك ، ولا شك أن الموشحة غيرَ المختصرة أتم معنى ، وأكمل مَساقا ، فالأصوب الاقتصار عليها ، وإن كان يمكن استخراج أكثر منها لمن تأمل حق التأمل ، والله تعالى أعلم .

موازنة بين ابن عاصم وصاحب عنوان الشرف الشامى

وعلى كل حال فقد أبدع هذا الرئيس فى هذه القصيدة ، وإن كان فيها [٩١] بعض تكلّف ، وقصده أبدع من قصد صاحب عنوان الشرف الشامى[١] ، لأن هذا أخرج من الخارج شيئين[٢] على ما لا يخفى ، غير أن صاحب عنوان الشرف أطال ، واستخرج أربعة علوم متباينة ، من أول وهلة ، وكلاهما قد أبدع رحمهما الله ؛ ولم أتحقق : هل وقف ابن عاصم على كتاب عُنوان الشرف ، فاهتدى بأضوائه أم لا ؟ والله تعالى أعلم .

مختار من كتابه جنة الرضى

ومن كتاب جنة الرضى له رحمه الله ما نصه[٣] :

« الحمد لله الذى عَوَّض من الخلاف وِفاقاً ، وأعقب من الافتراق اجتماعا واتفاقا ، وهيّأ لأسواق الائتلاف برفع الخلاف[٤] نَفَاقا ، ويسّر لوطن الجهاد[٥] من توثير المِهاد أرفاقا ، وزيّن بأنجم المسُّعود من النصر الموعود آفاقاً ، وعقد على جمع الكلمة من الأمة المسلمة إجماعا وإصفاقاً . نحمدُه سبحانه وهو المحمود بجميع اللغات ،

(١) كذا فى الأصلين . واسم الكتاب : « عنوان الشرف الوافى ، فى الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافى » ، وهو لشرف الدين بن المقرى إسماعيل بن أبى بكر اليمنى ، المتوفى سنة ٨٣٧ هـ . (انظر كشف الظنون) .

(٢) فى ط : « أشياء أخر » .

(٣) العبارة « له رحمه الله ما نصه » : ساقطة فى ت .

(٤) فى ت : « الاختلاف » .

(٥) فى ت : « الاجتهاد » .

ونشكره على ما سَنَّى من آمال على وَفقِ الأمنية مُبلِّغات ، ونُثْنى عليه بما أسْدَى من عوارفَ مُخَوَّلات ، ومواهبَ مُسَوَّغات ؛ حمدا نستكثر من دُرره النفيسة إنفاقًا ، وأمانته العظيمة فلا نأبى من حَمْلها إشفاقًا ؛ ونشهد أنه الله[1] لا إله إلا هو الواحد الأحد ، الفرد الصَّمَد ، الذى لم يلد ولم يُولَد ولم يكن له كُفُوًا أحد ؛ شهادةً نرفع لواءها المرنَّح[2] العَذَبات خَفَّاقا ، فلا لاقى بعد هذه الشهادة لمقاصد السعادة إخفاقا[3] ؛ ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، ونبيه المصطفى وخليله ؛ نبى الرحمة ، ونور الظُّلَم ، وشفيع الأمّه ، والمبعوث بالكتاب والحِكمه ، والمجموع له بيْن مزية السبق ومزية التتمه ؛ شهادة تستحفظ بقاع الأرض أرفاقا ، فلا تخشى معها القلوب ، وقد حصل منها الغرض المطلوب ، [٩٢] شكًّا ولا نفاقا ؛ ونصلى على النبى الكريم ، المبعوث بالخلق العظيم ؛ صلاة نَحُل بها من عُقْلة الذكر وَثاقا ، ونؤكد بها القَبول إذا عارض العمل المقبول مِيثاقا ؛ ونَرْضَى عن آل محمد وصحبه ، وعشيرته وحزبه ، المختصين بقربه ، الفائزين بالرضا من ربه ؛ أكرم الناس أعراقا ، وأعظمهم من خشية الله إطراقا ، وأبهرهم فى مقامات الهداية إشراقا ؛ ونستوهب منه التأييد والنصر ، والفتح الذى تفوت عجائبه الحصْر ، والمَنْح الذى لا تعرف صَلاةُ صِلاتِه القَصْر ؛ لهذه الخلافة الغالبية ، التى أطبقت على الإغضاء أحداقا ، وأظهرت من الحلم لما كان من مكنون العلم صِداقا ؛ ونبتهل إلى الله فى دوام أيامها ، وإعلاء أعلامها ، وإمضاء ذابلها المرهوب وحُسامها ؛ حتى يتنفس الإسلام خِناقا ، وتسير بها الرِّفاق ، وقد تهادتها الآفاق ، وَخْداً وإعناقا ، وتخضع لها الجبابرة ، والملوك القياصرة ، رقابا وأعناقا ؛ ونمد إليه

(١) فى ط : « الذى » .
(٢) فى ط : « المترنح » .
(٣) هذه العبارة ، من قوله : « فلا لاقى » إلى قوله : « إخفاقا » ساقطة فى ت .

يدَ الافتقار ، ونبسط كف الضراعة والاضطرار ؛ فى كفّ الفتن ، عن هذا الوطن ؛ وكف الكفار ، عن هذه الديار ؛ وتيسير الفرج القريب ، لهذا القطر الغريب ؛ وتسهيل الصعب العسير ، لهذا الصقع النائى عن الولى والنصير ؛ فيجمع بين[1] القلوب النافره ، والنفوس المتنافره ، افتراقا ؛ ويجعل دم العُداة بسيوف الحُماة الكماة مُرَاقا ؛ ويُتحف بأنبائه المعجبه ، وأخباره المغربة المطربة ، شاما وعراقا .

أما بعد ، فإن الله على كل شىء قدير ، وإنه بعباده لخبير بصير ، وهو لمن أهَلّ نيته ، وأخلص طويّتـه ، نعم المولى ونعم النصير ؛ بيده الرفع والخفض ، والبسط والقبض ؛ والرشْدُ والغى ، والنشر والطىّ ؛ والمنح والمنع ، والضر والنفع ؛ والبطء والعَجَل ، والرزق والأجَل ؛ والمَسَرّة والمساءه ، والإحسان والإساءه ؛ [٩٣] والإدراك والفَوْت ، والحياة والموت ؛ فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، فهو الفاعل فى[2] الحقيقة ، وتعالى الله عما يقول الآفِكون ، وهو الكفيل بأن يُظْهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ؛ وإن فى أحوال الوقت الداهية ، لذِكرَى لمن كان له قلب أو ألْقى السمع وهو شهيد ، وعِبْرَةً لمن تفهم قوله تعالى : إن الله يفعل ما يشاء ، وإن الله يحكم ما يريد ؛ فبينما الدُّسُوت عامره ، والوُلاة آمره ؛ والفئة مجموعه ، والدعوة مسموعه ؛ والإمرة مُطاعه ، والأجوبة سمعا وطاعه ؛ إذا بالنعمة قد كُفِرت ، والذِّمة قد خُفِرَت » .

ثم قال رحمه الله :

« والسعيد من اتعظ بغيره ، ولا يزيد المؤمنَ عمرُه إلاَّ خيراً ، جعلنا الله ممن قضى بخيره ؛ وبينما الفُرْقة حاصله ، والقطيعة فاصله ، والمَضرّة واصله ؛ والحبل

(١) فى ت : « به من » .
(٢) فى ط : « على » .

فى انبتات ، والوطن فى شَتات ، والخلاف يمنع رَعْى مَتَات[١] ، والقلوب شتّى من قوم أشتات ؛ والطاغية يتمطّى لقصْم الوَطن وقَضْمه ، ويلْحَظه لَحْظَ الخائف على هَضْمه والأخْذ بكَظْمه ، ويتوقع الحسرة[٢] إن يأذنِ اللهُ بجمع شمله ونَظْمه ، على رَغْم الشـــيطان ورغمه ؛ إذا بالقلوب قد ائتلفت ، والمتنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت ، والأفئدة بالأُلفة قد اقتربت إلى الله وازدلفت ، والمتضرّعة إلى الله قد ابتهلت ، فى إصلاح الحالة التى سلفت ؛ فألقت الحربُ أوزارها ، وأَدْنت الفرْقة النافرة مزَارها ، وجَلت الألفة الدينية أنوارَها ، وأوضحت العِصمة الشرعية آثارها ، ورَفعَت الوحشة الناشبةُ أظفارُها أعذارَها ، وأرضت الخِلافة الفُلانية[٣] أنصارَها ، وغَضَّت الفِئَةُ المتعرّضة[٤] أبصارها ، وأصلح الله أسرارها ؛ فتجمّعت الأوطان بالطاعه ، والتَزَمتْ نصيحةَ الدين بأقصى الاستطاعه ، وتسابقت إلى لزوم السنة والجماعه ، وألقت إلى الإمامة[٥] الفُلانية يدَ التسليم والضراعه ؛ فتَقَبَّلَتْ فَيْئَاتهم ، وأُحمِدَت جَيْئاتهم ؛ وأُسْعِدَت آمالُهم ، وارتُضِيَت أعمالهم ؛ وكُمِّلَتْ[٦] [٩٤] مَطالبهم ، وتُمِّمَتْ مآربهم ؛ وقُضِيت حاجاتهم ، واستُمِعت مناجاتهم ؛ وأُلسِنَتُهُمْ بالدعاء قد انطلقت ، ووجهتهم فى الخُلوص قد صَدَقت ، وقلوبهم على جَمْع الكلمة قد اتّفقت ، وأكُفُّهُمْ بهذه الإمامة الفلانيــة قد اعتلقت ، وكانتَ الإدالةُ فى الوقت على عدوِّ الدين قد ظهرت وبَرَقت » .

---

(١) المتات (بفتح الميم) : ما يتوسل به من حرمة أو قرابة أو نحو ذلك .
(٢) فى ت : « المسرة » .
(٣) يريد خلافة الغالب بالله صاحب غرناطة ، وقد سبق التصريح بذلك .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « المعترضة » .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الأمانة » .
(٦) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وقلت » .

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

[وكفَّتْ[١]، بقدرة ربه ، القدرةُ القاهره[٢] ، والعِزة الباهِره ، من عدوان الطاغية غوائل ، بإعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح وأوائل . ومعلوم بالضرورة أن الله لطيف بعباده حسبما شَهِد بذلك برهان الوجود ، وإن تُعُدّوا نعمة الله لا تحصوها دليل على ما سَوَّغَ الكرمُ والجود ؛ وإن من أعظم نعمه التى يُعْجَزُ عن أداء شكرها ، وإن طالت آماد الأعمار ، ويُتناغَى فى الثناء عليه فى أمرها ، فلا يبلغون من ذلك مِعشار المِعشار ، وتتجارى الألسنة والأقلام فى تقرير وصفها ، فلا تصل من ذلك إلى حد يُقْنع ولا إلى مِقدار ؛ وفى مثلها قال الله تعالى][٣] : « واذكروا نِعْمة الله عليكم إذْ كنتم أعداء فألّفَ بين قلوبكم فأصْبحتم بنعمته إخوانا وكُنتم على شَفَا حُفْرة من النار » . وما ذلك إلّا مِنَّةٌ قدرُها عظيم ، وخطرُها جسيم ، وصِراط العدل بها مستقيم ، وبها أمتنّ الله فى قوله : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » إلى : « حكيم » . فهل يُستطاع شكرُ النعمة التى لا يكون إنفاق الأرض جميعا لها قيمه ، أو يختلف اثنان بوجه أو حال فى كون هذه النعمة عظيمه ، أو يتمارى أحدٌ فى كون جمع الكلمة فى هذا الوطن الغريب مِنَّة كبيرة ومنحة كريمه !

ومن استقرأ التواريخ المنصوصه ، وأخبار الملوك المقصوصه ؛ علم أن النصارى دمرهم الله لم يدركوا فى المسلمين ثارا ، ولم يرفعوا[٤] عن أنفسهم عارا » .

---

(١) كفت : صرفت ومنعت .

(٢) فى نفح الطيب : « وكفت القدرة القاهرة » .

(٣) ما بين القوسين زيادة عن ت .

(٤) فيما مر من هذا الجزء (ص ٥٠) : « ولم يرحضوا » .

قال جامع الموضوع وفقه الله :

قد قدَّمتُ هذا من كلام الرئيس ابن عاصم ، وهو قوله : «ومن استقرأ التواريخ المنصوصة » فراجعه فيما سبق ، إلى قوله هناك : « وروِّية وارتجال » .

ثم قال هنا بإثره ما نصه :

« إلى أن استقلَّتْ هذه الدولة الفلانية على قواعدها ، واستقرت بأحلامها الراجحه ، وأعلامها الشامخه ؛ واستمرت على قوانين من السياسة كانت ضابطةً نَشْر المملكة عن الافتراق ، واستظهرت أبناؤها الغرُّ من الوفاء بشِيَمٍ اعتلقت بها أتم الاعتلاق ؛ فحفظ الله الدولة الفلانية إلا فى النُّدْره ، ووقاها من ذلك الأمر [٩٥] الصعب بوقاية من الاكتساب ووقاية من القدره ؛ وتطاولت الأيام ما بين مهادنة ومقاطعة » .

وقال جامع الموضوع وفقه الله : راجع تمام هذا الكلام فيما قدمناه إلى قوله هنالك : « اللهم احفظ علينا العقل والدين ، واسلك بنا سبيل المهتدين » .

وقال هنا بإثره ما نصه :

« و إنما النعمة التى لا يُقدَر قَدْرُها ، ولا يُوفَّى شُكرها ؛ هى التى تكفَّلَتْ بتَبْيينها تكييفات [الأقدار ، وانجلت عن بَيانها تدبيرات الفاعل المختار ؛ فجمع الله بها القلوب ، وهيّأ] (١) الغرض المطلوب ؛ وتتابعت بيعاتُ البلاد ، وتوافقت أهواء العباد ؛ وانتظم الملك جسما واحدا له روح طاهر ، واستقل الإسلام رَسْما ثابتا حكْمُه نصّ وعدْلُه ظاهر ؛ وهدى الله المسلمين مع جمع الكلمة إلى القصد الشرعىّ ، ووفّقهم إلى القيام بحكمه المحتوم وحقّه المرعىّ ؛ فاتّخاذُ السلطان فى [مثل] (١)

(١) زيادة عن ت .

هذه الأوطان واجب قياسا وسماعا ، وتعذُّرُ الخلافة فى مثل هذه المسافة غير جائز إجماعا .

أيها الملأ المشتمل على الشرفاء الذين بتقديمهم [يُسْتَنْجَز من البركة موعودُها ، والعلماء الذين هم حَفَظة الشريعة الحنيفيّة[١] أن تُتَعَدَّى حدودُها ؛ والأشياخ الذين بجهادهم استقرّ واجبها[٢] ، واستقام واجبها ، واستند عمودها ، والقواد الذين بحمايتهم][٣] تقام أحكامها ، وتُحاط أعلامُها ، وتُوَفَّى عهودُها ؛ والفُرسان الذين هم حُماتُها وأنجادُها ، وأنصارُها وجنودها ؛ والخاصّة الذين بهم يرجح عملها ، وينجَح أمَلُها ، ويتم مقصودُها :

تعلمون حقّا أن هذا الوطن الفلانىّ كان قد تعَيَّن[٤] للهلاك ، بسبب هذا الخلاف ، وتوقّعت القلوب المُشْفِقة حُدوثَ الفاقِرة بسبب هـذا الاختلاف ؛ وأن الشارع صلواتُ الله وسلامه عليه يَمْنع من كل ما يؤدّى إلى الفُرْقة بأتمّ الوجوه ، ويؤكّد الترغيب والترهيب بكل ما يخافهُ المؤمن ويرجوه ؛ وأن الفقه[٥] المذهبى ، إذا [٩٦] حصلت البيعة فى الأعناق ، وتحلت بها تَحَلِّىَ الحَمام بالأطواق ، معروف ومعلوم ؛ وأن اشتداده فى سـدّ باب الافتراق ، على العموم والإطلاق ، لازم محتوم ؛ والأقدار الإلهية قد هيّأت قصد الأُلْفه ، بلا كُلْفه ؛ ويسّرت سبب الاتفاق ، بحكم الوِفاق ؛ فأقبلوها نعمة مُسْداه ، وتُحفة مُهداه ؛ وشُدُّوا عليها أيدى الضِّنّه ، واعلموا ما فيها لله عليكم من المنّه ؛ وتعاقدوا على ألّا تُبْقوا من الخلاف أثرا ، واتفقوا على القصد الذى يخلّصكم عند الله سمعاً ونظرا ؛ وفى هـذا التيسير الذى ساعدَتْ به الألطافُ الخفيّه ، وساعفت به من قبل الربّ الصنائعُ الحفيه ؛ ما يتأكّد

(١) فى ت : « حفظ الشريعة الحنفية » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .
(٢) استقر واجبها : سكن روعها بعد اضطراب .
(٣) زيادة عن ت .
(٤) تعين ، أى تهلهل وتمزق ؛ مأخوذ من تعين السقاء ، وذلك إذا بلى ورقت منه مواضع .
(٥) فى ط : « العقد » .

به الاعتبار ، و يرشد إلى أنه أراد الله نفوذه[١] ، وربك يخلق ما يشاء ويختار . ومما يستكمل هذا القصد الذى أشرنا إليه ويستوفيه ، قول تاج الدين رحمة الله عليه : ما ترك من الجهل شيئاً مَنْ أراد أن يُظْهِرَ فى الوجود غير ما أراد الله أن يُظْهِر فيه .

وفَرْض على كل إنسان فى نفسه ما طلبه [به][٢] الشارع ، وعَذُبت فيه بالتفويض لحكم الله[٣] المَشارع . فالواجب علينا أن نجتمع ونأتلف ، ونتفق ولا نختلف ؛ ونعتمد صريح الفقه أخذاً وتركا ، ونتبع صحيح النقل الذى لا يدع رَيْباً ولا شكا ؛ ونسأل من الله الهداية إلى سبيل السلف الذين سَبَقوا ، ونعزم العزم على أمر الله فى قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا » .

و إن أولى الناس فى ذلك بإرهاف العزيمه ، وتوخّى السبل المستقيمه ؛ والقيام بمَضْمون هذا الرسم المستقلّ ، والوفاء بتكميل قَصْد الكاتب فيه والمُمْل ؛ لَخَواصّ الدولة الفلانية الذين لحقهم التمحيصُ والاختبار ، وتخوّلتهم بأبلغ الموعظة [٩٧] الأَقْضيةُ والأقدار ؛ وهم الذين ربحت منهم فى هذه السوق التجاره ، والمقصودون بالخطاب من باب إياكِ أعنى واسمعى يا جاره ؛ وهم المنونُ عليهم باسترجاع المَغصوب المُستَحَقّ ، والواقفون من انكسار القلوب ، والتنصّل من الذنوب ، موقفَ الأَوْلى به والأحق ؛ والمَعْنِيّون بقوله : « ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نَزَل من الحق » . ويختص منهم عماد الدوله ، وعميد الجُمله ، بالحظ الأوفر ، مما يتضمّنه هذا التأنيب ؛ و يستمنح من الله عَقِب التذكره ، بهذه الموعظه : « وما يتذكر إلاّ من يُنيب » .

(١) فى ت : « إنفاذ نفوذه » .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) فى ت : « لحكمه » .

فإنا إذا نظرنا إلى ما كان قد طَرَق من الابتلاء ، وشاهدنا ما كان مُعَرَّضا للوقوع من البلاء ؛ وراجعنا البصيرة فى النعم التى كنا عنها مَسْلو بين[١] ، والتُّربة[٢] التى كنّا عليها مغلو بين ، والأبواب التى كنا عنها مَحْجو بين ، والشِّرْذمة التى كنا بها مَرْبو بين ، [والأنفال][٣] التى كنّا فى عَدد مَنْ يُحيي رسومَها مَحْسو بين ؛ وقد سلّط الله علينا كثيرا من الظَّلَمة الذين أعنّاهم ، فعنـد ذلك لَعَنَّاهم ، وأهاننا الذين كُنا أكرمناهم ، جزاء لما احترمناهم ؛ فنَسُونا ، أحوج ما كنا إلى أن يذكرونا ، وخذلونا ، أفقرَ ما كنا إلى أن ينصرونا ، وأسلمونا ، أشد ما كنا فاقة إلى أن يُنجدونا ، وتركونا ، أعظَم ما كنّا حاجةً إلى أن يُسْعِدونا ؛ وخانونا ، أظهر ما كنا اضطرارا إلى وفائهم ، وظاهروا علينا ، أتم ما كنا افتقارا إلى غَنائهم ؛ فلا شك أن المؤاخذة كانت بسبب تلك الذنوب ، وأن الجناية هى التى أوجبت ما طَرَقَنا من الخطوب ؛ فأزف العذابُ ، وعاد من أعدى الأعادى الأحباب ، وتبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا وتقطعت بهم الأسباب ؛ وكادت العقوبة [٩٨] العظيمة أن تَلْحَق ، والأخذةُ الربانية أن تَمْحَق ؛ لولا أن الله تدارَكَنا بالعفو ، وتجاوز عن الهَفْو ؛ وأنالكم من الإدالة ما كنتم تؤمِّلون ، واستخلفكم فى الأرض لينظر كيف تعملون . فلنجعل ما وعظنا الله به من تلك الأزَمات نُصْب الأعين ، ولنتخذ حمده على ما منحنا من الإنالة[٤] هِجِّير الألسُن[٥] ؛ ولنعلم أن ذلك التمحيص إنما كان تنبيهاً من الله على ما عَطَّلْنا من حُدوده ، وإيقاظاً من الغفلة عن القيام بحقوقه ، والوفاء بعهوده ؛ ولنتحقق أن ما مَنّ الله به من جَبْر الأحوال ، وخَلْف

(١) فى ط : « مسئولين » .
(٢) فى ط : « الرتبة » .
(٣) زيادة عن ت :
(٤) فى ط : « الإفالة » .
(٥) هجير الألسن ، أى دأبها وشأنها .

الأموال ؛ واستقبال العز غَضًّا جديدا ، وصرف الهُون وقد كان عذاباً شديدا ؛ إنما هو إبلاغ فى الحجة علينا ، وإعذار بالموعظة إلينا ؛ وربما عاهَدْنا الله لئن آتانا من فضله لنصَّدَّقَنَّ ولنكوننَّ من الصالحين ، ولننزعن عما ارتكبناه من جرائر العاصين وجرائم الطالحين ؛ فالوفاء الوفاء حتما [إن أردنا] (١) أن نكون من المفلحين . وقلّما(٢) أزِف العذاب فَرُفع إلا عمن كان من المصلحين ، « فلولا كانت قرية آمنت » إلى قوله : « إلى حين » ؛ فلْنَقْدُر [قدر] (١) هذا التدارك ، الذى أخذ بأيدينا من مَهاوِى الانتقام ، ولنتأمّل موقع هذا البَلاء الذى أحلّنا من تجديد النعمة بأسنى مَقام ؛ ولنحذر نسيان ما ذُكِّرنا به ، فلم نذكر تلك الشدائد بل نسيناها ، ولا نفرح بما أوتينا [فرح] (١) المغرور الذى لايتراجع ولا يتناهى ؛ فإن فى ذلك أمَلَ الشيطان وسؤله ، ولَعْنَ الله ومَقْتَه ، قال الله تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء » إلى قوله : « بغته » .

اللهم هل بلّغت ، وبالغت فى النصح وأبلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد .

[٩٩] و « يا قومِ إن كان كَبُر عليكم مَقامى وتذكيرى بآيات اللهِ فعلى الله توكلت » ، وإليه أبرأ من حولى وتقصيرى عما فيه قَصَّرت ، وعما عنه نَكَلْت » .

ثم قال رحمه الله :

« وإن مولانا السلطان الملك الفاضل التالى الذاكر ، العفيف الطاهر ، المسترجع الصابر ، المجاهد المصابر ، المرابط المُشاغر(٣) ؛ أمير المسلمين ابن نصر الخزرجىّ نسبا ، السَّعْدى(٤) منشأ ، النصْرىّ جدا وأبا ؛ أيده الله على أعداء الدين ، وجعله

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ط : « وربما » .
(٣) المشاغر ، من الشغار ، وهو (هنا) : المعاونة فى الحرب .
(٤) السعدى : نسبة إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج ، وإليه ينتهى نسب بنى الأحمر ملوك غرناطة .

من الأئمة المهتدين ؛ ممن إذا جُنِي عليه غَفر ، لعِلْمنا به أنه حليم والله آخذ بيده كلما عَثَر ؛ فأرشدَنا بذلك إلى أنه كريم ؛ وممّن تطرُقه الخطوب ، وهو بالألطاف مصحوب ، وتُحَدِّق إليه النوائب وهو من نظرها الشَّزْر محجوب ؛ وممن جمع له الناس على أن يخشاهم فزاده إيمانا ، وقال : حسبى الله ونعم الوكيل ، فانقلب بفضل من الله ونعمه ، وممن صبر واسترجع فى نقص الأموال والأنفس والثمرات ، [فبُشِّر] (١) بصلوات من ربه ورحمه ؛ فتمالأت على أذيّته أصناف من الناس فى مرّات متعدده ، وآناء من الدهر متجدده ؛ فأتعس الله جدودهم ، وأضرع إليه خدودهم ، وأرغم بحَوْله وقُوّته أنوفهم ، وردّ عنه بسيف (٢) من الأقدار رماحَهم وسيوفهم ، وأدنَى لهم بأسباب مختلفة الأنواع حُتُوفهم : فمِنْ آمنٍ أُخِذ من مَأمنه الذى كان يستند إليه ، ومِنْ خائف قد أدهشه الرَّوْع فهو يحسب كل صيحة عليه ؛ فكأنّ ألسنة الأقدار تَنْهاهم عن منازعة الإراده ، وكأنّ واعظ الاعتبار يحذّرهم من شقائهم الكفيل له بالسعاده ؛ وكأن شاهد الحال يقول هذه إرادة الله قضاها ، وسنّته السابقة أنفذها وأمضاها ؛ فَمَنِ المنازعُ فيما حكم الله به وقضى ، [١٠٠] ومَنِ الساخط فى المحل الذى يطلب فيه من الله الرضا ؟ ولو كان استيلاؤه على المُلْك بقوة عصبيّه ، و إهلاك مناوئه عن طبيعة غضبيه ؛ لارتاب فى ذلك الناظر ، ووجد السبيلَ إلى الاحتجاج المُناظِر ؛ ولكنه طالما عُورض فى المُلْك فكَبَا معارضه لِفيه ، وأتيحت له النُّصرة من محلّ لم يحسبها فيه ؛ وشَدَّ ما احتال على نصرته غير واحد ، فانعكست عليه حيلته ؛ وتوسّل إلى مكروهه ، فطاحت فى قَليب الانقلاب عليه وسيلته ؛ وبُغِى عليه غيرَ ما مرّة فنصره الله على من بَغى عليه ،

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ط : « بدفاع » .

وابتغى بالسوء فردّه الله على من سَعَى به إليه ؛ ولعل ذلك لغيب عن العِيان مكتوم ، وحُكْم من الحكيم العليم محتوم ؛ أو لأثر من الاختصاص قد علمه الله وليس لنا بمعلوم ، أو لأمر قد تقاصرت عنه مدارك العقول ، وكَلَّت دونه رواجح الحُلوم ؛ ولهذه المعانى المقرّره ، والمقاصد المحرّره ، والمذاهب المفسّره ، والفوائد المسطّره ، وغرائب أحاديثها المشتهره ، خصّ الملأ المقصود فيه بالتذكره ، المعتمد منه بالإيقاظ والتبصره ؛ من أعضاد الدوله ، وسيوف الصّوله ؛ وأولياء الخُلوص الزكى الشيمه ، ومَوالى النعمة الفُلانية ، وهم الذين خولتهم موعظتُه الحسنه ، وأعجبتهم أغراضه المتعدده ، ومقاصده المستحسنه ؛ وعلموا أنه الحق ، فسألوا من الله التوفيق إليه ، والإرشاد إلى الاتصاف به والعمل عليه ، والهداية إلى التماس رضا الله لديه ؛ ووقفوا على ما هو لهم فى هذا الكتاب منصوص ، وأن سلطانهم بمزية الدفاع عنه مخصوص ، وأنه قد تطابقت على إيثاره نصوص ، واستوى[٢] فى تسليم الطاعة
[١٠١] له عموم وخُصوص ؛ فجدّدوا له البيعةَ الوثيقة ، على ما أوجب فى ذلك الحكم المشروع ، وأعطوْه على ذلك العهدَ الأكيد حسْبَما اتفقت عليه أصولٌ وفروع ؛ وعقدوا له مضمونها عقدا صحيحا ، وعُهدوا[٣] على ما تقتضيه السُّنة صريحا ؛ وشَهدوا له فيه على أنفسهم أنهم بالوفاء بها قائمون ، ولشروطها المرعية حافظون ، وعلى أحكامها الشرعية محافظون ؛ وعلى ما بُويع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعه ، ولزوم السنة والجماعه ، وإمحاض النصيحة جُهْد الاستطاعه ؛ فأيديهم فى السِّلم والحرب مصروفة[٤] فى مرضاته ، ونيتهم صادقة فى مسنونات الوفاء ومفترضاته ؛ ولقد شاهدوا الفرقة وما جَنَتْه ، والفتنة وما فتنته ، والألفة وما سنَّته ، والهدنة

(١) فى ت : « وسعى » .
(٢) فى ت : « واستولى فى تسليم » . وفى ط : « واستو فى تسليم » . وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه .
(٣) فى ط : « وعهدا » .
(٤) فى ت : « معروفة » .

وما قرّبت من إصلاح وأدْنته ؛ فليغتبطوا بها عهدا كريما ، وعقدا قد تضمّن فضلا [عظيما بل] [(١)] عميما ، واستلزم إنعاما جسيما ، وليوفوا بها الوفاء الذى يُولِيهم بها نعيما مقيما ، ويدفع عنهم عذابا أليما ، فإنه عز وجل يقول : « فمن نكث » إلى قوله : «عظيما» . وقد بسطوا أكُفَّهم إلى الله ضارعين ، وفى رحمته طامعين ، ولعظمته خاضعين ، ومن هيبته خاشعين ، ولخليفته طائعين ، وفى الخيرات مسارعين ؛ يَدْعونه رَغَبا وَرهَبا مستنزلين لرحمته بالإخلاص والإنابه ، واقفين على قدم الرجاء بباب الذى أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابه ؛ ويسألونه خير ماقدّره وقضاه ، والسلوك على ما فيه رضاه .

اللّهم بابَك قَصَدْنا ، وقَبولَك أردنا ، وعلى فضلك اعتمدنا ، وإلى عِزّتك استندنا ، وفى مَرْضاتك اجتهدنا ، وبهدايتك استرشدنا ؛ فلا تَكِلْنا إلى أنفسنا طَرْفةعين ، وأصلح لنا شأننا كلّه ؛ اللهم إنّا بك مستنصرون ، وبعزّتك مستظهرون ، ولغِناك مفتقرون ، ومن تقصيرنا مستعيذون ، ومن ذنوبنا مستغفرون ، ولشامل [(٢)] [١٠٢] عَفْوك منتظرون ، وفى خفىّ ألطافك مستبصرون ، ولعظيم انتقامك مستحضرون ، ولعميم صَفْحك مستشعرون ؛ فآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم انصر من بايعناه سلطانا ، ومهّد به بلاداً وأوطانا ، وأرغِم بتوخّيه للحق طاغيةً وشيطانا ، وآتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رَشَداً . اللهم اعْمُر بالمسَرّة ناديه ، وكافِ [(٣)] عنّا أياديه ، واكبِت اللهم أعاديه ؛ وكن لنا وليّا ونصيرا ، فأنت نعم المولى ونعم النصير . وصلّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد النبى الأمى ، القرشى الهاشمى ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، فأنت اللطيف وأنت الخبير » .

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ت : « لشمول » .
(٣) الأصل : كافئ . سهل الهمزة ، ثم عامل الفعل معاملة الناقص .

انتهى ما أردت نقله من جنة الرِّضَا للرئيس أبي يحيى بن عاصم رحمة الله عليه .

شيء من كلام ابن عاصم عن ابن فتوح

ورأيت بخط الوادى آشى ناقلا من كتابه المسمى «بالروض الأريض» مانصه :

ابن فتوح إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلى ، يكنى أبا إسحاق ، العالم المتفنن ، صاحبنا ، محقِّقٌ نَظَّار ، وأستاذٌ فوائدُ تدريسِه لُجَيْن ونُضار ؛ كلا بل جواهر ويواقيت ، ومَناسك هُدًى لها من السعادة مواقيت ؛ فحسب الطالب الموثوق بفهمه ، المصروف للتحصيل مطالع مواقع سهمه[1] ، أن يلازم حَلْقة تعليمه ، وأن يشُدَّ يد الضِّنة بما يلقى من محصول تفهيمه ؛ فإكسير الإفادة ، إنما حصّله الوافدون ، من جابر[2] صنعته ؛ وكيمياء السعادة ، إنما يلقاها[3] الظافرون فى نَضْرة روضه المُخْضَلّ ونَبْعته ؛ وقرض الشعر مما يمكن دخوله تحت فرعه ، ويندرج تحت قُدْرة تصرفه بجنسه ونوعه ؛ إلا أنه لِمَا يَصْدُرُ منه عن قريحته كاتم ، وسالك من البخل به على طرف النقيض مما سلكه حاتم .

فما عَلِق بحفظى منه خُطبةُ أرجوزةٍ صنَّفها فى النجوم :

[١٠٣] سبحان رافع السماء سَقْفا ناصبها دلالةً لا تخفَى
مُبدعها فلا ترى فُروجا مُودعها الأفلاكَ والبروجا

انتهى . وإنما ذكرته لتعلم اصطلاحه فى كتاب الروض الأريض . وقد نقلت كلاماً آخر منه فيما سبق فراجعه ؛ ولو تتبعتُ ما حصل لدىَّ من نظمه ونثره لطال الكتاب جدا .

---

(١) كذا وردت هذه العبارة فى ط . وفى ت : « المصروف للتحصيل مطامع...الخ» . وكلتاهما غامضة .

(٢) يورى باسم جابر بن حيان الصوفى من كبار الكيميائيين وتلميذ خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان .

(٣) فى ط : « يتلقفها » .

منشور سلطانى بتولى ابن عاصم القضاء

وقد وقفت بتلمسان المحروسة[١] على ظهير منشور سلطانى أصدر للرئيس أبى يحيى بن عاصم المذكور ، بتقديمه للنظر فى أمور القضاء وغيره ، ونصه :

هذا ظهير كريم إليه أُنهيت[٢] الظهائر ، شرفاً عليّا ؛ وبه تقررت المآثر ، برهاناً جليّا ؛ وراقت المفاخر ، قلائدَ وحُليّا ؛ وتميّزت الأكابر ، الذين افتخرت بهم الأقلام والمحابر ، اختصاصاً مولوليّا[٣] . فهو وإن تكاثرت المرسومات وتعددت ، وتوالت المنشورات وتجددت ، أكبرُ مرسوم تَتم فى الاعتقاد نظراً خطيرا ، وأحكم فى التفويض أمراً كبيرا ، وأبرم فى الاستخلاص[٤] عزماً أبيّا ؛ اعتمد بمسطوره العزيز ، واختص بمنشوره الذى تلقاه اليمن بالتعزيز ، مَنْ لم يزل بالتعظيم حقيقا ، وبالإكبار خَليقا ، وبالإجلال حريّا ؛ فهو شهير لم يزل فى الشهرة سابقا ، هادٍ لم يزل بالهدى ناطقا ، بليغ لم يزل بالبلاغة دريّا ؛ عظيم لم يزل فى النفوس معظَّما ، عَلم[٥] لم يزل فى الأعلام مقدما ، كريم لم يزل فى الكرام سنيّا ؛ اشتملت منه محافل الملك على [العِقد][٦] الثمين ، وحلّت به المشورة فى الكَنَف المحوط والحَرَم الأمين ، فكان فى مِشْكاة الأمور هاديا ، وفى ميدان المآثر[٧] جَرِيّا ؛ فإلى مقاماته تبلغ مقامات الإخلاص ، وإلى مرتبته تنتهى مراتب الاختصاص ؛ فيمن حاز فضْلا ، وزين فعْلا[٨] ، وشرّف نديّا ؛ واستكمل همما ، واستعمل قلما ، واستخدم مَشْرفيّا ؛ فلله ! ما أعلى قدرَ هذا الشرف ، الجامع بين المُتْلَد والمُطْرَف ، السابق فى الفضل أمداً قصيّا ؛ الحالّ من [١٠٤]

(١) الكلام من ابتداء هذه الكلمة إلى آخر نص الظهير ساقط من ت .
(٢) فى نفح الطيب (ج ٣ ص ٤٨٩ طبعة الأزهرية) : « انتهت » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « قوليا » .
(٤) فى نفح الطيب : « الاختصاص » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « عالم » .
(٦) زيادة عن نفح الطيب .
(٧) فى نفح الطيب : « المراشد » .
(٨) فى نفح الطيب : « حاز خصلا ، وزين حفلا » .

الاصطفاء مظهرا ، الفارع من العَلاء مِنبرا ، الصاعد من العزّ كرسيّا ؛ حاز الفضل إرثاً وتعصيبا ، واستوفى الكمال حظا ونصيبا ؛ ثناء أَرَجُه كالروض لو لم يكن الروض ذابلا ، وهدياً نوره كالبدر لو لم يكن البدر آفلا ، ومجداً علوه كالشُّها لو لم يكن الشُّها خفيا ؛ فما أشرفَ الملك الذى اصطفاه ، وكمّل له حق التقريب ووفّاه ، وأحلّه قرارة التمكين ، ومَنّ باختصاصه بالمكان المكين ، فسبق فى ميدان التفويض وسَما ، ورأى من الأنظار الحميدة ما رأى ، صادعاً بالحق إماماً عَلَما ، موضحاً من الدين نَهْجاً أمَمّا ، هادياً من الواجب صراطاً سويّا ؛ بانياً للمجد صرحاً مُشيَّدا ، مشهِراً للعدل قولا مؤيَّدا ، مُبرماً للخير سبباً قويّا ؛ فالله تعالى يصل لمقام هذا[1] الملك الذى أطلع فى سمائه بدراً دونه البدور ، وصدراً تلوذ به الصدور ، سعداً لا تماطله[2] الأيام فى تقاضيه ، ونصراً يَمْضى به نَصْل الجهاد فلا يزال ماضيه ، على الفتح مَبْنيّا ؛ ويُوالى له عزّا يذود عن حرم الدين ، ويَمنحه تأييداً يُصبح فى أعناق الكفر حديث سيفه قَطْعيّا ؛ أمر به مرسوماً عزيزاً لا تبلغ المرسومات إلى مداه ، ولا تُبدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه ، عبدُ الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله ، ابن الأمير المقدس فلان أيّدالله تعالى مقامه ، ونصر أعلامه ، وشكر إنعامه ، ويسّر مَرامه ؛ لإمام الأئمة ، وعلم الأعلام ، وعماد ذوى العقول والأحلام ، وبَرَكة حملة السيوف والأقلام ، وقُدوة رجال الدين وعلماء الإسلام ؛ الشيخ الفقيه أبى يحيى ابن كبير العلماء ، شهير العظماء ؛ حجة الأكابر والأعيان ، مصباح البلاغة والبيان ؛ قاضى القضاة وإمامهم ، أوحد الجِلّة وطَوْد شَمامهم ، الشيخ الفقيه أبى بكر بن عاصم ، أبقاه الله تعالى ؛ ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ، ومواهب الملك به معهودة الإحسان ،

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « يصل لهذا » .
(٢) فى نفح الطيب : « لا تمله » .

وقلائد الأيادى منه مُقلَّدة[١] بجيد كل إنسان ؛ قد تقرر والمفاخر لا تنسب إلا لبنيها ، والفضائل لا تعتبر إلا بمن يشيّد أركانها ويبنيها ؛ والكمال لا يصفّى [١٠٠] شِربه ، إلا لمن يُؤَمَّن سِرْبه ؛ وإن هذا العلَم الكبير ، الذى لا يفى بوصفه التعبير ؛ علَم بآثاره يقتدى ، وبأنظاره يهتدى ؛ وبإشارته يُستشهد ، وبإرادته يسترشد ؛ إذ لا أمَد علوّ إلا وقد تخطاه ، ولا مَرْكب فضل إلا وقد تمطّاه ؛ ولا شارقة هَدْى إلا وقد جَلّاها ، ولا لَبّة فخر إلا وقد حَلّاها ؛ ولا نعمة إلا وقد أسداها ، ولا سُومة[٢] إلا وقد أبداها ؛ لما له فى دار الملك من الخصوصية العظمى ، والمكانة التى تسوغ النعمى ؛ والرتب التى تسمو العيون إلى مرتقاها ، وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها ؛ حيث سر الملك مكتوم ، وقِرطاسه مختوم ، وأمره محتوم ؛ والأقلام قد رَوَّضت الطروسَ وهى ذاويه ، وقسّمت الأرزاق وهى طاويه ؛ شُقت ألسنتها فنطقت ، وقُطّت أرجلها فسبقت ؛ ويبست فأثمرت إنعاما ، ونُكِّست فأظهرت قواما ؛ وخَطّت فأعطت ، وكتبت فوهبت ، ومُشِقت فدَفَقت[٣] ، وأَبْرَمت فأنعمت ؛ فكم يسَّرت الجبر ، وعقرت الهزبر ؛ وشنَّفت المسامع ، وكيَّفت المطامع ؛ وأقلّت فيما ارتفع من المواضع ، وأحلّت لما امتنع من المراضع ؛ فهى تنجز النعم ، وتحجُز النقم ؛ وتبث المذاهب ، وتحث المواهب ؛ وتروض المُرّاد ، وتُنهض المُوادّ[٤] ؛ وتحرس الأكناف ، وتغرس الأشراف ؛ مُصيخة لنداء هذا العماد الأعلى ، طامحة لمكانه الذى سما واستعلى ؛ فيما يملى عليها من البيان ، الذى يقر له بالتفضيل ، الملك الضِّليل[٥] ؛ ويشهد له بالإحسان ،

(١) فى نفح الطيب : « متقلدة » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . والسومة (فى الأصل) : العلامة . وفى الأصلين : « حرفة » .
(٣) فى نفح الطيب : « فرفقت » .
(٤) فى ط ونفح الطيب : « المراد » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .
(٥) الملك الضليل : لقب امرئ القيس بن حجر الكندى الشاعر المعروف .

لسان حسّان ؛ و يحكم له ببَرْى القوس ، حبيب بن أَوْس ؛ و يهيم بما مِنَ الأساليب عنده ، شاعر كنده[١] ؛ و يستمطر سحبه الثَّرَّه ، فصيح المعره[٢] ؛ إلى منثور تزيل الفَقْر فِقَره ، و تَدِرّ الرّزق دِرَرُه ؛ لو انْهى إلى قُسّ إياد لشكر فى الصنيعة أياديَه ، واستمطر سُحبه وغواديَه ؛ أو بلغ إلى سَحْبان لسَحَره ، وما فارقه عشيّته
[١٠٦] ولا سَحَرَه ؛ ولو رآه الصابى لأَبدَى إليه من صَبْوته ما أبدى ؛ أو سمعه ابنُ عَبّاد ، لكان له عبدا ؛ أو بلغ بديعَ الزمان لهجر بدائعه ، واستنزر بضائعه ؛ أو أُتحِف به البُسْتِيُّ لاتخذه بستاناً ، أو عُرِض على عبد الحميد لأَحْمد من صَوْبه هَتَّانا ؛ فأعظِمْ به من عالٍ لا تُرْقَى ثنيَّته ، ولا تُحاز مزيّته ؛ ولا يُرْجَم أفقه ، ولا يُكْتم حقّه ؛ ولا يَنام له عن[٣] اكتساب الحمد ناظر ، ولا ينقاس به فى الفضل مناظر ؛ وهل تقاس الأجادل بالبُغاث ، أو الحقائق بالأَضْغاث ؛ ألا و إنَّ بيْته هو البيت الذى طلع فى أفقه كلّ كوكب وقّاد ، ممّن رَسَخ[٤] به للعلوم اتقاء واتقاد ، وتراءى[٥] به للمدارك ذكاء وانتقاد ؛ فأَعظِمْ بهم أعلاما وصدورا ، وأهلّة وبدورا ؛ خلّدت ذكرَهم الدواوين المسَطَّره ، وسرت فى محامدهم الأنفاسُ المعطره ، إلى أن نشأ فى سمائهم هذا الأَوْحد ، الذى شُهرة فضله لا تُجْحد ؛ فكان قمَرَهم الأزهر ، ونيِّرَهم الأظهر ؛ ووسيطةَ عِقْدهم الأنفس ، ونتيجةَ مَجْدهم الأقعس ؛ فأبعد فى المناقب آمادَه ، ورفع الفخر وأقام عِماده ؛ و بنى[٦] على تلك الآساس المَشِيده ، وجرى لإدراك تلك الغايات البعيده ؛ فسبق وجَلّى ، وشَنّف بذكره المسامع وحَلّى ؛ ورفع

(١) شاعر كنده : أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي لأنه ولد بمحلة كندة بالكوفة
(٢) فصيح المعرة : أبو العلاء المعرى .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « على » .
(٤) فى نفح الطيب : « وشج » .
(٥) فى نفح الطيب : « وترامى » .
(٦) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « وبناه » .

المشكل ببيانه ، وحَرّر الملتبس ببرهانه ؛ إلى أن أحلَّه قضاء الجماعة ذروةَ أفقه الأصعد ، و بوأه عزيز ذلك المقعد ؛ فشرّف الخُطّه ، وأخذ على الأيدى المشتطه ؛ لا يراقب إلا ربه ، ولا يضمر إلا العدل وحبه ؛ والمجلس السلطانى أعلاه[١] الله تعالى يختصّه بنفسه ، و يفرغ عليه من حُلل الاصطفاء ولبْسه ؛ و يستمطر فوائده ، ويجرى[٢] بأنظاره حقوق الملك وعوائده ؛ فكان بين يديه حكَما مُقْسِطا ، ومقسّما لحظوظ الإنعام مقسِّطا ، إلى أن خصّه بالكتابة المَوْلَوِيّه ، ورأى له فى ذلك حق الأَولَوِيّه ؛ إذ كان والدُه المقدّس نَعم الله ثَراه ، ومنحه السعادة فى أُخراه ؛ مُشرِّف ذلك الديوان ، ومُعْلِى ذلك الإيوان ؛ يُحبِّر رقاع[٣] المُلْك فتروق ، وتلوح كالشمس عند الشروق ؛ فحلّ ابنُه هذا الكبيرُ شرفا ، الشهير سلَفا ؛ مرتبته التى سَمَت ، وافترّت به عن السعد وابتسمت ؛ فسَحبت به للشرف مَطارف ، [١٠٧] وأحرزت به من الفخر التالد والطارف ؛ فهو اليوم فى وجهها غُرّه ، وفى عَيْنها قُرّه ؛ ولله هو فى مُلاحظة الحقائق ورَعْيها ، وسَمْع الحُجج ووَعْيها ؛ فلقد فضل بذلك أهلَ الاختصاص ، وسَبقهم فى تَبْيين ما يُشكل منه وما يَعتاص ؛ إذ المشكلة معه جليّةُ الأغراض ، والآراء لديه آمنة من مآخذ الاعتراض ؛ فكم رُتبة عمّرها بذَويها ، فأكسبها تشريفاً وتَنْويها[٤] ؛ وعلى ذلك فأعلام قُضاة الوطن ، ومن عَبَر منهم وقَطن ؛ مع أقدارهم الساميه ، ومعاليهم التى هى للزُّهر مُسَاميه ؛ إنما رقّتهم[٥] وساطتُه التى أحسَنت ، وزيّنت بهم المجالسَ وحَسّنت ؛ فبه أمْضَوْا

(١) فى نفح الطيب : « أسماه » .
(٢) فى نفح الطيب : « يجرب » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « وقائع » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « تنزيها » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « راقتهم » .

أحكامَهُم ، وأعملوا فى الأباطيل احتكامهم ؛ وكتبوا الرسوم ، وكَبتوا الخصوم ؛ وحلّوا دَسْت القضاء ، وسلّوا سيف المَضاء ؛ وفى زمانه تخرّجوا ، وفى بُستانه تأرّجوا ؛ ومن خُلُقه اكتسبوا ، وإلى طُرقه انتسبوا ؛ وعلى مَوارده حامُوا ، وحول فرائده[1] قامُوا ؛ وبتَعْريفه عُرِفوا ، وبتَشْريفه شَرُفوا[2] ؛ وبصِفَاته كَلِفوا ، وبعِرْفانه وقَفوا ؛ فأمِنوا مع انسكاب سُحُب إفادته من الجَدْب ، وقاموا بذلك الغرض بسبب ذلك النَّدْب ؛ وهل العلماء وإن عمّت فوائدهم ، وانتظمت بجياد الأذهان فرائدهم ؛ إلا من أنواره مُستمِدّون ، وإلى الاستفادة من أنظاره ممتدّون ، وببركاته معتدّون ، وبأسبابه مشتدّون ؛ فبه اجتُنِيت من أفنان المنابر ثمراتُهم ، وتأرّجت فى روضات المعارف زَهَراتهم ؛ وبه عَمَرُوا الحِلَق ، وَائْتلق من أنوارهم ما ائتلق ؛ إذ كلّ من اصطناعه محسوب ، وإلى بركته منسوب ؛ فهو بَدْرهم الأهدى ، وغَيْثهم الأجدى ؛ وعِقْدهم المُقتنى ، ورَوْضهم المُجتنى ؛ وبدر منازلهم ، وصَدْر محافلهم ؛ وعلى ما أعلى المقام المَولوىّ من مكانه ، وقضى به من استمكانه ؛ واعتمد من إبرامه ، وأَبْرم من اعتماده ، ومهّد من إكرامه ، وأكرم من مهاده ؛ واختصّ من عُلاه ، وأعلى من اختصاصه ، واستخلص من حُلاه ، وحَلّى من استخلاصه ؛ ووفّى من تكرّمه ، وكرّم من وَفائه ، واصطفى من نَجْده ، ومجّد من اصطفائه ؛ وقدّم من براعته ، وحكّم من يراعته[3] ؛ وشقّق[4] من كتابته ، وأنطق من خطابته ؛ وسجّل من أنظاره ، وعدّل[5] من اختياره ؛ فذكا ذكرُه ، [١٠٨]

(١) فى نفح الطيب : « فوائده » .
(٢) فى ط : « ألفوا » .
(٣) فى ط : « بداعته » .
(٤) شقق ، يريد : افتن . مأخوذ من شقق الرجل الكلام ، وذلك إذا أخرجه أحسن مخرج .
(٥) فى ط : « عجل » .

وسطا سَطْرُه ؛ وأمعن مَعْناه ، وأغنى مَغْناه . أشار أيّده الله تعالى باستئناف خُصوصيَّته وتجديدها ، وإثبات مقاماته وتحديدها ؛ لتُعْرَفَ تلك الحدود فلا تُتَخطّى ، وتُكْبَرتلك المَراتب فلاتُستعطَى ؛ فأصدر له — شكر الله تعالى إصداره ، وعَمر بالنصر داره — هذا المنشورَ الذى تأرّج بمحامده نشْرُه ، وتضمّن من مناقبه البديعَ فَرَاق طيّه ونَشره ؛ وغدَا وفرائدُ المآثر لديه مُوجدة مكوّنه ، وأصبح للمفاخر مالكا لما أتى به مُدَوّنه ؛ وخصّه فيه بالنظر المُطلق الشروط ، الملازم للتفويض ملازَمةَ الشرط للمشروط ؛ المستكمل الفروع والأصول ، المُستوفى الأجناس والفصول ؛ فى الأمور التى تختصّ بأعلام القُضاة الأكابر ، وكتّاب القضاة ذوى الأقلام والمحابر ، وشيوخ العلم وخطباء المنابر ، وسائر أرباب الأقلام القاطن منهم والغابر ؛ بالحضرة العليّه ، وجميع البلاد النصْريه ؛ تولّى الله جميعَ ذلك بمعهود سَتْره ، ووَصل له[1] ماتعوّد من شَفْع اللطف ووِتره ؛ يحوط مراتبَهم التى قُطفت من روضاتها ثمراتُ الحكم وجُنيت ، ويُراعى أمورهم التى أقيمت على القواعد[2] وبُنيت ، وحقوقهم التى حُفظت لهم فى المجالس السلطانية ورُعيت ؛ ويُحلّ كل واحد منهم فى منزلته التى تليق ، ومَرتبته التى هو بها خليق ؛ على مُقْتَضَى ما يعلم من أدواتهم ، ويَخْبُر من تباين ذواتهم ؛ ويُرشّح كلّ واحد إلى ما استحقّه ، ويُوْتى كل ذى حق حقّه ، اعتمادا على أغراضه التى عدَلت ، وصَدَحت على أفنانها من الأفواه طيورُ الشكر وهَدلت ؛ واستناداً فى ذلك إلى آرائه ، وتفويضاً له فى هـذا الشأن بين خُلَصاء الملك وظُهرائه ؛ وذلك لمُقتضَى ما كان عليه أعلامُ الرياسة الذين سبقوا ، وانتهضوا بهِمَمهم واستبقوا ؛ كالشيخ

(١) فى نفح الطيب : «لديه» .
(٢) فى نفح الطيب : « العوائد » .

الرئيس الصالح أبى الحسن بن الجيّاب ، والشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب ، رحمهما الله تعالى .

[١٠٩] فليقم — أبقاه الله تعالى — بهذه الأعمال التى سَمَتْ واعتزّت ، ومالت بها أعطاف العدل واهتزت ؛ وسار بها الخبر حيث سرى[١] ، وصار بها الحقُّ مَشْـدودَ العُرَى ؛ وعلى جميع القُضاة الأَصْفِياء ، والعُلماء الأَرْضِياء ، والخطباء الأولياء ، والمُقرئين الأذكياء ، وحَمَلة الأقلام الأحْظِياء ؛ أن يعتمدوا على هذا الولىّ العِمَاد فى كل ما يرجع إلى عوائدهم ، و يختصّ فى دار الملك من مَرتباتهم وفوائدهم ؛ وما يتعلّق بولاياتهم [وأمنياتهم][٢] ، و يليق بمقاصدهم ونيّاتهم[٣] ؛ فهو الذى يُسوّغهم المَشارب ، ويُبلّغهم المآرب ؛ و يستقبل العَلِىّ بالعَلِىّ ، والعاطل بالحُلِىّ ، والمُشْـكِل بالجَلِىّ ؛ والمَفْرِق بالتاج ، والمقدّمة بالإنتاج ؛ وعلى ذلك فهذا المنشور الـكريم قد أقرهم على ولايتهم[٤] وأبقاهم ، ولقّاهم من حفظ المراتب ما رقّاهم ؛ فليجرُوا على ما هم بسبيله ، وليهتدوا برُشد[٥] هذا الاعتناء ودليله .

وكُتِب فى صفر عام سبعة وخمسين وثمان مئة » . انتهى .

و إنما كتبته برُمته لتعلم به مِصداقَ ما قدمناه من تمـكّن ابن عاصم المذكور من مراتب الاصطفاء والاحتفاء[٦] .

تخميس لابن عاصم

ولنختم ترجمته ، رحمه الله ، بتخميس عجيب من نظمه :

سُبحانَ مَنْ أظهر الأنوارَ واحتجبَا وكُلّ حَمْـــد وتَمْجيد له وَجَبَا

(١) فى نفح الطيب : « ... الخبر حثيث السرى » .
(٢) زيادة عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « وأقضياتهم » .
(٤) فى نفح الطيب : « ولاياتهم » .
(٥) فى نفح الطيب : « بمرشد » .
(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من نسخة ت .

إذا ابتغَى العقلُ فى إدراكه سَبَبَا جاء الحجابُ فألقى دونه الحُجُبَا
حتى إذا ما تَلاشَى عندها ظَهَرَا

سُبحان مَنْ كان والأكوانُ لم تكُنِ فى غير أينٍ ولا وَقْت ولا زَمَنِ(٢)
حتى أتى الجودُ بالإيجاد والمِنَنِ وكان ما(١) قد رَسَمْناه بما ومَنِ(٣)
وأظهر الشمسَ ذاتَ النُّورِ والقَمَرَا

سُبحانَ من حَجَبَ الأبصارَ فاحتجبتْ وكم أراد مُرِيدٌ نَيْلها فأَبتْ
مَنْ حَدَّثته أمانيه فقد كذَبتْ حَقِيقة ذاتها عن ذاتها وَجَبَتْ
لا يُدْرك العقلُ من أخبارها خَبَرَا

سُبحان مَنْ شأْنه فى شأْنه عجبُ يَخْفَى فيظهرُ أو يبدو فيحتجبُ [١١٠]
يأيها العاكفون السادةُ النجُبُ هل فيكمُ مَنْ سعى سَعْيا كما يجبُ
ففاز بالغَرض المَطْلوب أو ظفِرَا

سُبحانَ مَنْ لم يزل بالعلم مُنْفردَا من تعالَى عن الأشباه فاتَّحدَا
سبحانه وتعالى واحداً صَمَدَا تبارك الله لم يولد ولم يلدَا(٤)
تَنزّه اللهُ عمّا يلْحَق البَشَرَا

سبحان من أخرج المَوْجودَ من عَدَمِ رَسْماً برَى كَوْنَه فى غير مُرْتسمِ
فلا مَحَلّ سِوى كُنْهٍ من الكَلِم ولم يَزَلْ هو فى دَيْمومة القِدمِ
مُؤثِّرا يخلُق التأثيرَ والأثرَا

سبحانَ من خلق الأشياء أجمعَهَا فمنْ رآها رأى أفعالَه معهَا

(١) الأبن : الإعياء .
(٢) فى ط : « من » .
(٣) بما ومن : يريد ماخلق الله مما لا يعقل ومن يعقل .
(٤) فى ط : « وما ولدا » .

وكان أتقنَها صُنْـــعا وأبْدعَها نَفْسٌ إلى العالَمِ العُـــلْوىّ رَفَّعَها
وخصّها من معاليه بما بَهَـــرَا

سُبحان من عَمَّ بالإنعام ما خَلقَا وشفّع العـــدلَ بالإحسان فاتّفقَا
وزاد بالذِّكر فى قلب التَّقِىّ تُقَى فاستكمل الدينَ والإيمان والخُلُقَا
وكان مدركُه الصـديقَ أو عُمَرَا

سُبحان من سبَّحتْه كلُّ سـابحةٍ وكلُّ عائمة فى المـــاء سائحةِ
وكلُّ غادية تَغْدو ورائحـــةِ وسبَّحَتْه خَفايا كلُّ جانحـــةِ
لم تعرف السرّ حتى جاورت صُوَرَا

سبحان من حمدته ألْسُن البَشَرِ فى السرّ والجَهْر والآصال والبُكَرِ
وفى دُجَى تَشْدُو نصفَ الليل والسَّحَرِ بالشُّكر والذِّكْر والآيات والسُّورِ
تُولِيه حَمْدا وتتلو بعـــده سُوَرَا

سُبحان من نَزّهَتْه ألْسُن عَزَفَتْ عَنْ كُلِّ مايُوهِمُ التَّشْبيه إذ وَصَفتْ
صَفا لها مَوْرِد التحقيق حين صَفَت فلم تُفَـــارقه حتى أثْبتت ونفَتْ
ولم تَدَع شُبهةً تُؤْذِى ولا ضَرَرَا

سُبحان مَنْ شُكْره فى الدين مُفْتَرَضُ وليس يُشْبهه جِسْم ولا عَرَضُ
يَنْهى ويأمُر ما فِى ذا وذا غَرَضُ فاذكُر لنُعْماهُ ذِكْرًا ليس يَنْقرضُ
فمن تحدَّث بالنُّعْمى فقـد شكرَا

[١١١] سُبحان من خضع السَّبعُ الطِّباق لهُ وأعْظَمَتْه قلوبٌ حَشْـــوُها وَلَهُ
تريد أن تعـــلَمَ الأبْـقَى وتَعْقلهُ طُوبى لمن أمّل الأبْـقَى وأمَّ لَهُ(١)
واستكثر الزاد لَمّا آنسَ السَّفَرا

(١) ورد هذا البيت محرفا هكذا فى ت :
تريد تعـلم ما تقى وتعمله طوبى لمن أمل الأتقا وأم له

سُبحان من زيّن الأفلاكَ بالشُّهُبِ وبَيَّن الدِّين بالآيات[١] والكُتبِ
ولم يَدَعْنا لدَى لَهْوٍ وفى لَعِبِ[٢] لكن نهانا وآتانا عَلِى الرّتب
حتى انتهينا وأذعنّا لِمَا أَمَرَا

سُبحان مَنْ جعل الأشياء تختلِفُ فتارةً تتَنـــاءى ثم تأتلفُ
هذا الظلام بنور[٣] الصُّبح يَنْصرفُ كما الضلالُ لنُورِ العلْم لا يَقِفُ
فسَلْه نُورًا يُنير السمعَ والبَصرَا

سُبحان مَنْ خلق الأخلاق والخِلَقا والشمسَ والبَدْرَ والظَّلْماء والغَسَقَا
يَروقك الكُلُّ مجموعًا ومُفْتَرقَا وانظُر لنَفْسِك واسلُك نحوَه طُرُقَا
فأَسْعدُ النـاس مَنْ فى نفسه نَظَرَا

سبحان مُنزِلِ ماء المُزْن فى المَطرِ يُرْوِى النباتَ ويَسْقى يانِع الثَّمَرِ
كأنما الزُّهْرُ تُهْديه إلى الزَّهَرِ إذا رأيتَ تلاقِيها على قَدَرِ
رأيتَ صُنعَ قَدير أحْكَمَ القَدَرَا

سُبحان مَنْ قَدّر الأقواتَ والأجَلاَ وتابعَ الوَحْى واستَتْلى به الرُّسُلاَ
فمن تَعدَّى حدودَ الفَوْق قيل غَلاَ ومن تَجوَّز مُنْحطًا فقد سَـفَلاَ
ومن تخطّى خُطوط المُنْتهى كَفَرَا

سُبحانَ مَنْ فجَّر الأنهارَ فانفجرتْ وقدّر الخيرَ فى إجْرائهـا فَجَرتْ
فزينةُ الأرض بالأَزْهار قد ظَهَرتْ وللبَصيرة عينٌ كُلَّما نظرتْ[٤]
رأتْ جَمالا وإجمالا ومُعْتَبرَا

(١) فى ط : « فى الآيات » .
(٢) فى ت : « ولا لعب » .
(٣) فى ت : « بضوء » .
(٤) فى ت : « بصرت » .

سبحانَ من خَلَق الإنسان من عَلَقِ وأعْقَب الليلةَ الليلاءَ بالغَسقِ
يابهجةَ الشمس(١) دونى عُذْتُ(٢) من فَلَقِ ويا سنا البَدْر عارضْ حُمْرة الشَّفَقِ
حتى تُعيد لنا من ليْلِنا سَحَرَا

سُبحان من علّم الإنسانَ بالقَلمِ وسلَّط الهمّ والبَلْوى على الهِمَمِ
فقاوَمَتْها جُنودُ الصَّبْر والكَرَمِ ثُم ابتلى قلبَ غيرِ العارف الفَهِمِ
فما أطاق ولا أوفى ولا صَبَرَا

[١١٢] سبحان مَنْ خلق الإنسان من عَجَلِ فليس يَمْشى إلى شىء على مَهَلِ
ولا يقول سِوى هذا وذلك لِى مُقَسِّم الحال بين الحِرْص والحِيَلِ
فليس تَلْقاه إلا ضارعاً حَذِرَا

سبحان مَنْ زانه بالعِلْم والأدبِ وبالفضائل والإيمان والطَّلَبِ
فلا يَزال حَليفَ الفِكْرِ والتَّعبِ رامَ الكَمال فلم يَبْلُغ ولم يَخِبِ
ولم يَرِد بعدُ فى رِىٍّ ولا صَدَرَا

سبحان مَنْ شانَهُ بالكِبْر والأشَرِ يُمْسى ويُصبح فى غَىٍّ وفى بَطَرِ
مُرَدَّد العَزْم بين الجُبْن والخَوَرِ لا يَستفيق من الشَّكْوى إلى البَشَرِ
ولا يُزحْزَح عن ظُلْم إذا قَدَرَا

سبحان مُحْرقه فى وَقْدةِ الحسَدِ فلا يزال أخا غَيْظ وفى نَكَدِ
كالبحر يَرْمى إلى العينين بالزَّبَدِ إذا رأى أثَرَ النُّعْمى على أحدِ
يَودّ لو كان أعمى لا يَرى ضَجَرَا

(١) فى ت : « النفس » .
(٢) فى ت : « عدت » بالدال المهملة .

سُبحان من أمر الأرواح فأتمرتْ ثم استُديمت فلم تَنهض بما أُمرتْ
وكلُّ نَفْس إذا ساعدتَها فجرتْ فلا تَصِلْها إذا خانتْك أو غَدرتْ
واقطعْ علائقَ مَنْ قد خان أو غَدَرَا

سبحان من بَسط التعليمَ ثم طَوَى فأعْقب القلبَ وَجْدًا دائما وهوَى
وذابَ[1] فى مُلْتظى أشواقه وذَوَى وكان أَزْمع واستوفَى المُنى ونوَى
حَجًّا فلما أتى ميقاتَه حُصِرَا

سبحان مَنْ فى بِساط العَدْل أجلسنا وباغتفار عَظِيم الذَّنْب آنسنا
وزان بالعِلْم والإيمانِ أنفُسَنا فكان أعظَمنا قدراً وأنفسَنا
من انتهى أو نُهِى أو خاف فازدَجرَا

سُبحان من خَصّ بالإيمان أنفُسَنا وخافَه من عذاب النار أَنْفُسُنا
لولاه لم نعرف المعروف[2] والحَسنا ولا استَفَدنا لساناً ناطقاً لَسِنا
ولا دَرَيْنا : أباحَ الشرعُ أو حَظرَا

سبحان مَنْ جعل الإيمان بالقَدَرِ والحشْرَ والنَّشْرَ مَنْجاةً من الضَّرَرِ
فلا خُلود مع الإيمان فى سَقَرِ ولا وُصول إلى أمْن بلا حَذَرِ
حتى تكونَ لأمْر الله مؤتمِرَا

سبحان من إن يشأ أعطاك أو مَنَعَا ومَنْ إذا شاء أمراً حادثاً وَقَعَا [١١٣]
وتارةً يَخْفِض الأمرَ الذى رفَعَا يوما يفرّق للإنسان ما جَمعَا
ولا يُبالى بمن أثرى ومَنْ خَسِرَا

سبحان من هو يومَ الفصل يَجْمَعُنَا وللنَّعيم بِفَضْل منه يَرْفَعُنَا

(١) فى ط : « وزاد » .
(٢) فى ت : « المسنون » .

مِن بعـــد رُؤْية أَهْوال تُرَوِّعنَا يُرَى لهـــا وَالهًا هَيْمَانَ أورعُنَا
حَيرانَ عُرْيان يُبْدِى كلَّ مَا سُتِرَا

سُبحان مَنْ شاء فى الدنيا سعادتَنَا بطاعةٍ أحسنت منّا إرادتَنَا
ويَبْتلينا ويَسْـــتحلِى عِبادتَنَا حتى إذا شاء فى الأُخْرى إعادتَنَا
أعادنا مثـــلَ ما كنّا كما ذكَرَا

سبحان من يَحْشُر الإنسان مُكْتَئِبَا خوفَ الجَزاء ويَجْزيه بما كَسَبَا
ويحكم الحُكْم يُمضِيه كما وَجبَا فالقاسِطون إلى نِيرانه عُصَبَا[1]
والمُقْسِطون إلى جنّاته زُمَرَا

سُبْحان من فضّل الإسلامَ فى الأُمَمِ بالطَّيِّب الطاهر المَبْعوث فى الحَرَمِ
مُحَمَّدٍ خيرِ مَنْ يَمْشى على قَدَمِ إذا عدَدْتَ بيوتَ المجد والكرمِ
فمنـه حتى إلى عَدْنانَ أو مُضَرَا

سُبحان مَنْ خَتم الأديانَ فى الأَزَلِ بالمِلّة السَّمْحة البَيْضاء فى المِلَلِ
أتَى بهـــا خيرُ مأمور ومُمْتثِلِ محمـــدٌ خاتَمُ الساداتِ والرُّسلِ
وخيرُ من حجّ بيتَ الله واعتمرَا

إذا وَصَـــفْنَا فبالتقصير نَعْترفُ فكلُّ لفظٍ بليغ دونَه يَقِفُ
هو النبىّ الذى فى ذكره شَرَفُ فإن طلبتَ رضاهُ بالذى تَصِفُ
فكُنْ على وَصْفه فى الذِّكْر مقتصرَا

صَـــلَّى الإلهُ عليه ما بدا قمـــرُ وما سَرَت فى الدياجى أنجمٌ زُهُرُ
وما تباينَتِ الأشكالُ والصُّورُ وما تُدُورِسَتِ الآيات والسُّورُ
وما قضى مُؤْمن من حاجة وطَرَا

(١) فى ت : « حطبا » .

وبالجملة فابنُ عاصم أبو يحيى كان يسمّيه أهْلُ زمانه ابنَ الخطيب الثانى ، حَسْبما قاله الوادى آشى وغيرُه .

تعريف بابن الخطيب

ولا بد أن نلِمَّ بنبذة من أخبار ابن الخطيب [السَّلْمانى الوزير] (١) : إذ هو [١١٤] لسان الدين ، ونخر الإسلام بالأندلسَ فى عصره ، فنقول : هو محمد بن عبد الله ابن سعيد [بن عبد الله بن سَعيد] (١) بن على بن أحمد السَّلْمانى ، قُرْطبى الأصل ، ثم لَوْشِيّه (٢) ، يُكْنى أبا عبد الله ، ويلقّب من الألقاب المشرِّفة بلسان الدين ، الوزير الشهير ، الطائر الصيت ، المَثل المَضْروب فى الكتابة والشعر والمعرفة بالعلوم على اختلاف أنواعها ، رحمه الله .

أوليته ونسبه

أوليته :

قال ابن الأحمر (٣) فى نثير فرائد الجُمان فى حقه ما نصه : « ذو الوزارتين الفقيه الكاتب ، أبو عبد الله محمد ، ابن الرئيس الفقيه الكاتب المُفْتى (٤) ببلدة لَوْشة ، عبد الله ، ابن الفقيه القائد الكاتب سعيد بن عبد الله ، ابن الفقيه الصالح ولى الله الخطيب سَعِيدِ السَّلْمانى اللَّوْشِىّ ، المعروف بابن الخطيب » . انتهى .

وقال غيره : إن بيتَهم يُعْرَف فى القديم ببنى الوزير (٥) ، ثم فى الحديث

(١) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٢) لوشيه : نسبة إلى لوشة (بفتح فسكون) : مدينة بالأندلس غربى ألبيرة قبل قرطبة ، منحرفة يسيرا ، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا ، وبينها وبين غرناطة عشرة فراسخ . (عن معجم البلدان) .

(٣) ابن الأحمر : هو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن السلطان القائم بأمر الله محمد ابن الأحمر .

(٤) كذا فى ط . وفى ت : « المعتزى » . يريد المنتسب إلى بلدة لوشة . إلا أن هذا الفعل يتعدى بإلى . وفى نفح الطيب المطبوع والمخطوط : « المنتزى » .

(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « وزير » . وفى ت : « وزيد » .

ببنى الخطيب . وسعيدٌ جَدُّه الأعلى أول من تلقّب بالخطيب ، وكان من أهل العلم والدين والخير ، وكذلك سعيد جده الأقرب كان على خلال حميدة ، من خَطّ ، وتلاوة ، وفقه ، وحساب ، وأدب ، خيِّرا ، صَـــدْرا ، تُوُفِّى عام ثلاثة وثمانين وست مِئَة ؛ وأبوه عبدُ الله كان من أهل العلم بالأدب والطب ، وقرأ عَلَى أبى الحسن البَلُّوطى ، وأبى جعفر بن الوزير[1] ، وغيرهما[2] ، وأجازه طائفة من أهل المشرق ، وتُوُفِّى بطريف عام واحد وأربعين وسبع مئة شهيداً يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى من العام مفقودا[3] ثابت الجأش ، شكر الله فعلَه .

قال ابنه لسان الدين صاحب الترجمة : أنشدتُ والدى أبياتاً من شعرى ، فسُرَّ وتَهَلَّل ، وارتجل رحمه الله تعالى :

الطبُّ والشِّعْر والكِتَابهْ سِماتُنا فى بَنِى النَّجابهْ

[١١٥] هى[4] ثلاثٌ مُبَلِّغـــات مراتباً بعضُهـــا الحِجَابه

انتهى .

نشأته وشيوخه

نشأته :

ونشأ لسان الدين على حالة حسنة سالكا سَنَن أسلافه ، فقرأ القرآن على المكَتِّبْ ، الأستاذ الصالح أبى عبد الله بن عبد الولى العَوَّاد ، تَكَتُّبا ، ثم حفظا ، ثم تجويدا ؛ ثم قرأ القرآن أيضاً على أستاذ الجماعة أبى الحسن القِيجاطى ، وقرأ عليه العربية ، وهو أول من انتفع به ؛ وقرأ على الخطيب أبى القاسم بن جُزَىّ ؛

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « زبير » .
(٢) كذا فى ت ونفح الطيب . والذى فى ط : « وقرأ على أبى الحسن البلوطى ، وأبى إسحاق بن زروال ، « وغيرهما » .
(٣) كذا فى الأصلين ونفح الطيب .
(٤) فى نفح الطيب : « هن » .

ولازم قراءة العربية والفقهِ والتفسير على الشيخ الإمام أبى عبد الله بن الفَخَّار البِيرى ، شيخ النحويين لعهده ؛ وقرأ على قاضى الجماعة أبى عبد الله بن بكر ؛ وتأدب بالرئيس أبى الحسن بن الجَيَّاب ؛ وروى عن كثير من الأعيان ، كالمحدِّث شمس الدين بن جابر ، وأخيه أبى جعفر ، والقاضى أبى البركات بن الحاج ، والشيخ أبى محمد بن سَلْمون ، وأخيه أبى القاسم بن سَلْمون ، وأبى عمرو بن الأستاذ أبى جعفر بن الزُّبَير ، وله رواية عالية ، والأستاذ اللغوى أبى عبد الله بن بيبش[1] ؛ والمحدّث الكاتب أبى الحسن التِّلِمْسانى المُسِنّ ، والقائد الكاتب أبى بكر بن ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الحكيم ، والقاضى المحدّث أبى بكر ابن شيرين[2] ، والشيخ أبى عبدالله ابن الفقيه القاضى أبى عبدالله بن عبد الملك ، والخطيب أبى جعفر الطّنجالى ، والقاضى أبى بكر بن مَنْظور ، والراوية أبى عبد الله بن حزب الله ، وعن أشهر أسلافنا المتأخّرين القاضى أبى عبد الله محمد المقَّرِى القُرَشى ، التِّلِمْسانى المولد والمنشأ والمقبر ، قاضى الجماعة بفاس ، وعن [١١٦] الشريف أبى على حسن بن يوسف ، وعن الخطيب الرئيس الراوية أبى عبد الله ابن مرزوق ، وعن المحدّث الفاضل الحسيب أبى العبّاس بن يَرْبوع السَّبتى ، والرئيس الكاتب أبى محمد بن عبد المُهيمن الحَضْرمى السَّبتى ، والشيخ المقرئ أبى محمد بن أيوبَ المالَقى ، آخر الرواة عن[3] ابن أبى الأحوص ، وعن أبى عثمان ابن ليون من أهل المريّة ، وعن القاضى أبى الحجّاج المُنْتشافرى[4] ، من أهل رُنْدة ، إلى غيرهم ممن يطول ذكره من أهل الأندلس ، والعُدْوة الغربية ،

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « بيس » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « بشرين »
(٣) فى ت : « على » .
(٤) كذا فى نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٣ ، ٣٩٥ طبعة بلاق) . وفى ط : «المشتافرى» . وفى ت : « المتثافرى » .

والمشرق وإفريقية بالإجازة ؛ وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبى زكريا يحيى بن هُذَيل ، ولازمه .

مؤلفاته

تآليفه :

قال ابن الأحمر رحمه الله : « [لابن الخطيب[1]] الأوضاع المصنفات ، التى آذانُ إحسانها هى المُقَرّطات المشَنَّفات ، منهـا فى التصوف الذى أكثر أهل الحقائق إليه نظر التشوّف : روضة التعريف بالحب الشريف » . انتهى .

ثم سرد غيرها من كتبه ، ومنها : الإحاطة ، فى تاريخ غرناطة ، فى خمسة عشر سِفْرا ؛ واللَّمحة البدرية فى الدولة النَّصْرية ؛ والحُلَل المَرْقُومة ؛ ومُثْلى الطريقة ، فى ذم الوثيقة ؛ والسحر والشعر[2] ؛ وريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب ، فى أسفار ؛ والصَيّب والجهام ، والماضى والكهام ، فى مجموع شعره ؛ ومِعْيار الاختيار[3] ؛ ومفاضلة مالَقة وسلا ؛ ورسالة الطاعون ؛ والمسائل الطبية ، فى سِفْر ؛ والرَّجَز فى عمل التِّرياق ؛ واليُوسُفِي فى الطب ، فى سفرين ؛ والتاجُ المحلَّى فى مساجلة القِدْح المُعَلَّى ؛ والكتيبة الكامنة ، فى أدباء[4] المئة الثامنة ؛ ونُفاضة الجِراب ، فى أربعة أسفار ، وهى من أحسن تآليفه ، ولم أزل أكثر البحث فى هذا التاريخ عنها ، فلم أقف منها على عين ولا أثر ، إلا عدة أوراق متفرقة ، وقد كنت قبل هذا التاريخ رأيت بعضها . والبَيْزرة ، فى سِفْر ؛ والبَيْطرة ، فى سفر جامع ، لما يرجع إليه من محاسن الخيل وغيره ؛ ورسالة تَكَوُّن الجنين ؛ والوُصول لحفظ الصحة فى الفصول ؛ ورجز الطب ؛ ورجز الأغذية ؛ ورجز السياسة ؛

(١) زيادة عن نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٢) .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٤) . وفى ت : « والشعر » .
(٣) فى نفح الطيب : « الأخبار » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « فى شعراء » . وفى ط : « فى آداب » .

وكتاب الوزارة ؛ ومقامة السياسة ؛ والغيرة على أهل الحَيْرة ؛ وحمل الجمهور على [١١٧] السَّنَن المشهور ؛ والزُّبدة المخوضة ؛ والرد على أهل الإباحة ؛ وسد الذريعة ؛ فى تفضيل الشريعة ؛ وخَطْرة الطيف : ورحلة الشتاء والصيف ؛ وطُرْفة العصر فى دولة بنى نصْر ، فى ثلاثة أسفار ؛ وتقرير الشّبه ؛ وتحرير الشُّبه ؛ واستنزال اللطف الموجود فى سر الوجود ؛ و بستان الدول ، وهو غريب فى معناه ، فى فنون السياسة ، فى ثلاثين جزءاً ، ولم يكمل ؛ وأبيات الأبيات ، فيما اختاره رحمه الله من مطالع ما له من الشعر ؛ ورَقْم الحُلَل فى نظم الدول ، فى غاية من الحلاوة والعذوبة والجزالة ؛ وفُتات الخِوان ، ولَقط الصوان ، فى سفر يتضمن المقطوعات ؛ وعائد[١] الصِّلة ، فى سفرين ، وصل به صلة الأستاذ أبى جعفر بن الزُّبير ؛ وتخليص[٢] الذهب فى اختيار عيون الكُتب الأدبيات ؛ وجيش التوشيح ؛ ورجز فى أصول الفقه ، شرحه ولىّ الدين بن خَلدون ، صاحب التاريخ المشهور : والإكليل الزاهر[٣] ؛ وكُناسة الدُّكان بعد انتقال السُّكان ؛ وعمل مَنْ طب لمن حَبّ ؛ والدرر[٤] الفاخره ، واللُّجَج الزاخره ، جمع فيه نظم بن صفوان ؛ والمباخر الطَّيبيه فى المفاخر الخطيبيه ؛ وخلع الرَّسَن فى أمر القاضى ابن الحسن ؛ وأعمال الأعلام ، فيمن[٥] بويع من ملوك الإسلام ، قبل الاحتلام[٦] . وألَّف أيضاً فى الموسيقى ، ومصنفاته زادت على الخمسين ، وقد ذكرنا نحو الخمسين[٧]

(١) فى ط : « غاية » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « تلخيص الذهب ... الخ » .
(٣) اسم الكتاب كاملا كما فى نفح الطيب : « الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر » .
(٤) كذا فى نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٥) . وفى الأصلين : « والدرة » .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « بمن » .
(٦) اسم الكتاب كما فى نفح الطيب : « إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، وما يحر ذلك من شجون الكلام » .
(٧) تختلف مؤلفات ابن الخطيب المذكورة فى نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٣ — ٦٥٥) عنها هاهنا زيادة ونقصانا .

رأى ابن الأحمر فيه

حاله :

قال ابن الأحمر :

« هو شاعر الدنيا ، وعلم المُفرد والثُّنيا ؛ وكاتب الأرض ، إلى يوم العرض ؛ لا يدافع مَدْحه فى الكُتب ، ولا يُجْنَحُ فيه إلى العَتْب ؛ آخر من تقدّم فى الماضى ، وسيف مَقُولة ليس بالكَهام إذ هو الماضى ؛ وإلا فانظر كلام الكُتَّاب الأول من العُصْبه ، كيف كان فيهم بالإفادة صاحبَ القصبه ؛ للبراعه ، باليراعه ؛ وبه أسْكِتَ صائلُهم ، وما حُمدت بُكَرهم وأصائلهم ؛ المشوبة[1] بالحلاوه ، المُمكنة من مفاصل الطِّلاوه ؛ وهو نفيس العُدوتين ، ورئيس الدولتين ؛ بالاطلاع على العلوم العقليه ، والإمتاع بالفهوم النقليه ؛ لَكِنَّ صِلَّ لِسانه فى الهجاء لَسَع ، ونجاد نِطاقه فى ذلك اتسع ؛ حتى صَدَمنى ، وعلى القول فيه أقدمنى ؛ بسبب هجوه فى ابن عمى ملك الصّقع الأندلسى ، سلطان ذلك الوطن فى النفر الجنسى ، المعظم فى الملوك بالقول الجنّى والإنسى ؛ ثم صفحت عنه صفحة القادر ، الوارد من مياه الظفر غير الصادر ؛ لأن مثلى لا يليق به إظهار العورات ، ولا يجمل به تتتبع العثرات ؛ اتباعاً للشرع فى تحريم الغِيبه ، وضرباً عن الكريهة ، وإثباتاً لحظوظ النقيبة الرَّغيبه ؛ فما ضرّه لو اشتغل بذنوبه ، وتأسف على ما شرب من ماء الهجو بذَنوبه . وقد قال بعض الناس : من تعرض للأعراض ، أرمى عِرْضه هدفاً لسهام الأغراض » . انتهى كلام ابن الأحمر .

[١١٨]

تولية الكتابة

وقال غيره :

تقلد[2] الكتابة أيام السلطان أبى الحجّاج ، فى أخريات دولته ، بعد

(١) فى ت : « المشربة » .

(٢) أبو الحجاج : هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر الأنصارى الخزرجى ، من أمراء المسلمين بالأندلس .

شيخه ابن الجَيَّاب .

كلام لابن الصباغ عنه وعن قوة بديهته

قال ابن الصباغ العقيلى : « كان أبو الحسن بن الجياب رئيسَ كتاب الأندلس ، وهم رؤساء غيرهم ، واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب اختصاصاً تاما ، وأورثه رتبته من بعده ، وعَهد بها إليه ، مشيراً بذلك على من استشاره من أعلام الحجَّاب عنـد حضور[1] عمره . وتدَرَّب بذكائه ، حتى استحق أزمَّته ، فأنسى بحسن سياسته شيخَه المذكور ، ونال التى لا فوقها من الحُظْوة ، و بُعد الصيت ، وسعادة البخت .

اتفق له يوماً بعد ما عزم النصرانى على ورود البلاد[2] ، وضاقت به الصدور ، [١١٩] فأنشد ابن الجياب بديهاً بمحضر الكتاب :

هـذا العدوّ قد طغى وقد تعـدَّى وبَغَى

[وقال لابن الخطيب : أجز أبا عبد الله ، فأنشده بديهاً][3] :

وأظهر السِّلم وقد أسَرَّ حَسْوًا فى ارتِغَا

فبلِّغ الرحمنُ سيْـــفَ النصْر فيه ما ابتغى[4]

وردِّه ردَّ ثمودَ والفصيلُ قد رَغا

حتى يُرى وليمـــةً لكلّ مَرْهوب الثُّغَا[5]

---

(١) فى ت : « ظهور » .

(٢) فى ت : « البلد » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) رواية هذا البيت فى ت :

فأبلغ الرمح بسيـــف النصر فيه ما ابتغى

(٥) الثغاء (ممدودا وقصر للشعر) : صوت الشاء والمعز وما شاكلها ، ويريد به صوت المفترس من الحيوان ، أو صوت الرماح والسيوف .

فقال ابن الجيّاب : هكذا و إلا فلا ، وعجب الحاضرون من هذه البديهة » .

انتهى كلام ابن الصباغ .

أيام ابن الخطيب مع السلطان أبي عبد الله

ولما توفى أبو الحجاج ازدادت[1] منزلة ابن الخطيب عند ابنه أبى عبد الله ، إلى أن كانت عليه الدائرة ، فقُبض على ابن الخطيب وعلى أملاكه ، ثم تخلّص منها نَكْبةً مُصْحفيةً[2] بشفاعة السلطان المستعين بالله أبى سالم إبراهيم ابن السلطان الشهير الكبير أبى الحسن المَرينى ، صاحب المغرب ، وكان[3] تحريك عزائم السلطان أبى سالم للشفاعة فيه بسعاية الغالب على دولته الحاجب الرئيس الخطيب الرَّحّال أبى عبد الله بن مرزوق . ولما تخلص ابن الخطيب من هذه الأنشوطة لحق بسلطانه أبى عبد الله ، كما نذكره قريبا ، وورد صُحْبَته المغربَ ، واستقرّ أبو عبد الله بن الخطيب بسَلَا تحت الجِراية التامة ، متكلّفا خدمة ضريح الملوك من بنى مَرِين ، لِيَمُتّ بذلك إلى صاحب المُلْك من بينهم ، كيما يقضى له ما بقى من مآربه[4] بالأندلس ، بشفاعة غير مردودة ؛ وفى أثناء هذه المدة كان يتطوف ببلاد المغرب مثل مراكش وأنظارها[5] . ثم لما رجع مخدومه لغَرناطة عاد هو فى صُحبة أولاده ، فألقى إليه مقاليد رياسته ، وأزمة سياسته ، ورقّاه إلى الذّروة

(١) فى ت : « زادت » .

(٢) مصحفية : نسبة إلى المصحفى جعفر بن عثمان الحاجب . ويشير إلى نكبته على يد ابن أبى عامر التى انتهت بسجنه فى المطبق ثم موته . وإلى هذه النكبة يشير ابن الخطيب ببيته :

تخلصت منها نكبة مصحفية لفقدانى المنصور من آل عامر

(انظر نفح الطيب ج ٢ ص ٥٩ — ٦٤ طبعة أوربا ، ج ٣ ص ٤٢ طبعة بلاق)

(٣) نص هذه العبارة فى ت : « وكان من تحريك السلطان أبى سالم للشفاعة فيه بسعاية الغالب على دولة أبى سالم الحاجب .. الخ » .

(٤) فى ط : « أغراضه » .

(٥) هذه العبارة من قوله « وفى أثناء » إلى قوله « وأنظارها » ساقطة فى ت .

التى لا فوقها ؛ ثم سَئِم الخدمة ، وتسخّط النِّعمة ، وأضمر الفرار عند ما سمع بأن [١٢٠] المُلْك استوثق للسلطان أبى فارس بن أبى الحسن المَرِينى ، وأنه مَلَك تِلِمْسان ، فأظهر الذهاب إلى تفقّد أحوال بعض الثغور ، فكان آخرَ عهد الأندلس به ، وخرج بتِلِمْسان ، واهتزّت دولة السلطان أبى فارس لقُدومه ، ثم كان من أمره ما سنذكره .

تفصيل لنكبة السلطان أبى عبد الله وذهابه إلى فاس

ولنُورد بعض تفصيل لما سبق الإلمام به ، وما لم يسبق ، فنقول :

قال فى كتابه المسمى باللَّمحة البدرية ، فى الدولة النصرية ، عند ذكره خلع السلطان أبى عبد الله ، وقيام الأمير إسماعيل عليه ، وذلك فى شهر رمضان المعظّم من عام ستين وسبع مئة ، ما نصه :

« وكان السلطان أبو عبد الله عند تَصيُّر الأمر إليه قد ألزم أخاه إسماعيلَ قصْراً من قصور أبيه بجوار داره ، مُرفّها[١] عليه ، متمّمةً وظائفه له ، وأسكن معه أمّه وأخواته منها ، وقد أستأثرت يومَ وفاة والده بمال جمّ من خزائنه الكائنة فى بيتها ، فوجدت السبيلَ إلى السعى لولدها ، فجعلت تُواصل زيارة ابنتها التى عقد لها الوالد مع ابن عمّه الرئيس أبى عبد الله ابن الرئيس أبى[٢] الوليد ، ابن الرئيس أبى عبد الله المبايع له بأندَرَش ، ابن الرئيس أبى السعيد جَدّهم الذى تجمعهم جُرثومته ، وشَمّر الصِّهْر المذكور عن ساعد عَزْمه وجِدّه ، وهو [على][٣] ما هو من الإقدام ومُداخلة ذُؤبان الرجال ، واُستعان بمن آسفته[٤] الدولة ، وهَفَت به الأطماع ، فتألّف منهم زُهاء مئة قَصَدوا جهة

(١) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤٥) . وفى ت : « صرفها » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « ابن » .
(٣) زيادة عن نفح الطيب .
(٤) آسفته : أغضبته .

من جهات القلعة مُتَسَنِّمين شَفًا صَعْبَ المُرتقى ، واتخذوا آلة تُدْرك ذروته لصعود[١] [بِنْية][٢] كانت به عن التمام ، وكبسوا حَرَسِيًّا بأعلاه بما اقتضى صُماته[٣] ، فاستَوَوْا به ، ونزلوا إلى القلعة سَحَر[٤] الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبع مئة ، فاستظهروا بالمشاعل والصُّرَاخ ، وعالجوا دار
[١٢١] الحاجب رِضوان ، ففَضُّوا أغلاقها ودخلوها ، فقتلوه بين أهله وولده ، وانتهبوا ما اشتملت عليه داره ، وأسرعت طائفة مع الرئيس ، فاستخرجت الأمير المعتَقَل إسماعيل وأركبته ، وقُرِعت الطبول ، ونُودى بدعوته ، وقد كان أخوه السلطان مُتحوِّلا بولده إلى سُكْنى الجنّـه المنسوبة للعَريف ، لِصْق داره ، وهى المَثل المضروب فى الظلّ الممدود ، والماء المسكوب ، والنسيم البَليل ، يفصل بينها و بين مَعْقل الملك السُّور المنيع ، والخَندق المصنوع ؛ فما راعه إلا النداء والعجيج ، وأصوات الطبول ، وهَبّ[٥] إلى الدخول إلى القلعة ، فألفاها قد أُخذت دونه شِعابُها كلّها ونقابها ، وقذفته الحِراب ، ورشقته السِّهام ، فرجَع أدراجَه ، وسدّده الله فى محل الحَيْرة ، ودسّ له عِرْق الفحول من قومه ، فامتطى صَهوة فرس كان مرتبطاً عنده ، وصار لوجهه فأعيا المتّبع ، وصَبَّح مدينة وادى آش ، ولم يشعر حافظ قصبتها إلا به ، وقد تَوَلَّجَ عليها ، فالتفّ به أهلها ، وأعطوه صَفْقتهم بالذَّبّ عنه ، فكان أملكَ بها ؛ وتجهّزت الحشود إلى منازلته ، وقد جدّد

(١) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب (المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٠ تاريخ) . وفى ط والنسخة المطبوعة فى بلاق من نفح الطيب : « لقعود » . وفى ت : « لعقود » .
(٢) زيادة عن ت ونفح الطيب .
(٣) الصمات (بالضم) : الصمت والسكوت . ولعله يريد : موته .
(٤) فى الأصلين ونفح الطيب : « سحور » .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وذهب » .

أخوه المتغلِّب على ملكه عقد السلم مع طاغية قَشتالة ، باحتياجه إلى سلم المسلمين ، لجرّاء فتنة بينه و بين البَرْجَلُونيين من أمّته ؛ واغتبط به أهل المدينة ، فذبّوا عنه ، ورضوا بهلاك نعمتهم دونه ، واستمرت الحال إلى يوم عيد النحر من عام التاريخ ، ووصله رسول صاحب المغرب[١] [مستنزلا منها[٢] ، ومستدعياً إلى حضرته لما عجز عن إمساكها . وراسل[٣] ملك الروم][٤] فلم يجد عنده من مُعَوَّل ، فانصرف ثانى يوم عيد النحر المذكور ، وتبعه الجمعُ الوافر من أهل المدينة خَيْلا ورَجْلا إلى مَرْبلة من ساحل إجازته . وكان وصوله إلى مدينة فاس ، مُصْحَبا من البِرِّ والكرامة بما لا مزيد عليه ، فى السادس من شهر محرم ، فاتح عام واحد وستين وسبع مِئَة ، وركب السلطان للقائه ، ونزل إليه عند ما سلّم عليه ، وبالغ [١٢٢] فى الحِفَاية به .

قصيدة ابن الخطيب بين يدى السلطان أبى سالم يستصرخه لمولاه

وكنت قد لحقت به مُفْلِتاً من شَرَك النكْبة التى استأصلت المال ، وأوهمت سوء الحال ، بشفاعة السلطان أبى سالم قدَّس الله روحه ، فقمت بين يديه فى المَحْفِل المشهود حينئذ ، وأنشدته :

سَلَا هل لَدَيْها من مُخَبِّرة ذِكْرُ ... وهل أعشب الوادى ونَمَّ به الزَّهرُ
وهل باكرَ الوسميُّ داراً على اللِّوَى ... عَفتْ آيُها إلا التوهُّمُ والذكْر
بلادى التى عاطيتُ مشمولةَ الهَوى ... بأكنافها والعيشُ فينانُ مُخْضَرُّ
وجَوِّى الذى رَبَّى جَنَاحِىَ وكْرُه ... فها أنا ذا مالى جَناح ولا وَكْر

(١) هو السلطان المولى أبو سالم ، كما سيأتى قريبا .
(٢) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب . وفى ت والنسخة المطبوعة : « عنها » . يريد : من وادى آش ، أو عن وادى آش .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « وأرسل » .
(٤) ما بين القوسين زيادة عن ت ونفح الطيب .

نَبَتْ بىَ لا عن جَفوة ومَلالة ولا نَسَخَ الوصلَ الهنىّ بها هَجْرُ
ولـكنّها الدنيـا قليلٌ متاعُها ولَذّاتُهـا دَأْبا تزور وتَزْوَرُّ
فمن لى بقُرب العَهْد منها ودُوننا مَدًى طال حتى يومُه عندنا شهر
ولله عَيْنا من رآنا وللأسى ضِرام له فى كل جارحة جَمْر
وقد بدّدَتْ دُرَّ الدموع يَدُ النوى(١) ولِلشوق أشجان يضيق لهـا الصَّدْر
بَكَيْنا على النَّهر الشَّروب عشيّةً فعاد أُجاجًا بعـــدَنا ذلك النَّهر
أقول لأظعانى وقد غالَها السُّرَى وآنسها الحادِى وأَوْحشها الزَّجْر
رويدَكِ بعد العُسْرِ يُسْرٌ أَنَا أُبشِرِى بإنجاز وَعْد الله قد ذَهب العُسْر
ولله فينـا سِرُّ غَيْب ورُبمـا أتى النّفعُ من حال أُريد بها الضُّرّ
وإن تَخُنِ الأيامُ لم تَخُنِ النُّهَى وإن يخذُلِ الأقوامُ لم يخذُلِ الصبر
وإن عَرَكَتْ منّى الحظوبُ مجرِّبا نِقابا تَساوَى عنـده الحُلْوُ والمُرّ(٢)
فقد عَجَمَتْ عوداً صَلِيباً على الردى(٣) وعَزْماً(٤) كما تَمضى المهنّدة البُتْر
إذا أنتَ بالبيضاء قَرَّرت(٥) مَنْزلى فلا اللحْم حِلٌّ ما حييتُ ولا الظَّهْر
زَجَرْنَا بإبراهيمَ بُرْءَ(٦) هُمومنـا فلمـا رأينا وَجْهه صدَق الزَّجر
بمُنتَخَب من آل يعقوبَ كلّما دجا الخَطبُ لم يَكْذِب لعَزْمته فَجْر
تناقلت الرُّكبانُ طِيبَ حَديثه فلمـا رأته صَدَّق الخبرَ الخُبْر
ندًى لو حواه البحر لذَّ مَذَاقُه ولم يَتعَقَّبْ مَدَّه أبدا جَزْر

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الهوى » .
(٢) النقاب : الفطن العالم بالأشياء .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « النوى » . وفى ت : « الندى » .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وعرفا » .
(٥) كذا فى النسخة الخطية والمطبوعة من نفح الطيب . وفى الأصلين : « قدرت » .
(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « جل » .

وبأسٌ غدا يرتاع من خَوْفه الرَّدَى ... وتَرَفُل فى أثوابه الفَتْكة البِكْرُ
أطاعتْه حتى العُصْم فى قُنَن الرُّبا ... وهَشَّتْ إلى تأميله الأنجُمُ الزُّهْر [١٢٣]
قَصَدناك يا خيرَ المُلوك على النَّوَى ... لتُنْصِفنا مما جَنَى عبدُك الدَّهر
كَففْنا بك الأيامَ عن غُلَوَائها ... وقد رَابَنا منها التعسُّفُ والكِبْر
وعُذْنا بذاك المَجْد فانصرَم الرَّدَى ... ولُذْنا بذاك العِزّ [فانهزم الذُّعر
ولما أتينا البحرَ يُرْهِبُ مَوْجُه ... ذكرنا نَداك الغَمْرَ(١)] فاحتُقِر البحر
خِلافتُك العُظْمى ومَنْ لم يَدِن بها ... فإيمانُه لَغْوٌ وعِرْفانه نُكْر
ووَصْفك يَهْدِى المدحَ قَصْدَ صوابه ... إذا ضَلَّ فى أوصافِ مَنْ دُونَك الشِّعر
دَعتك قلوبُ المؤمنين وأخلصتْ ... وقد طاب منها السرُّ لله والجَهر
ومُدَّت إلى الله الأكُفُّ ضَرَاعةً ... فقال لهُنَّ اللهُ قَدْ قُضِىَ الأمر
وألْبَسها النُّعْمى ببَيْعَتِك التى ... لها الطائرُ الميمونُ والمَحتِد الحرّ
فأصبح ثغرُ الثَّغر يَبْسِم ضاحكا ... [وقد كان مما نابَه ليس يَفْتر
وأَمَّنتَ بالسِّـــلم البلادَ وأهلَها ... فلا ظُبة تَعْرَى ولا رَوْعَـة تَعرو
وقد كان مولانا أبوك مُصَرِّحا(٢)] ... بأنك فى أبنـــائه الوَلد البَرّ
وكُنتَ خَلِيقاً بالإمارة بعـــدَه ... على الفَوْر لـكنْ كلُّ شىء له قَدْر
وأَوْحشتَ من دار الخِلافة هَالةً ... أقامتْ زماناً لا يلوحُ بها(٣) البَدْر
فَردَّ عليـــك اللهُ حقَّك إذ قَضَى ... بأن تَشْمل النُّعمَى و ينْسدل السِّتر
وقاد إليـــك المُلْكَ رِفقاً بخَلْقه ... وقد عَدِموا رُكنَ الإمامة واضطُّروا

(١) ما بين القوسين ساقط فى ط .
(٢) ما بين القوسين ساقط فى ط .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤٧ طبعة بلاق) . وفى ت : « لها » .

وزادك بالتَّمْحيص عِزًّا ورفعــةً ... وأجْراً ولولا السَّبْكُ ماعُرف[1] التِّبْر
وأنت الذى تُدْعى إذا دَهِم الرَّدَى ... وأنت الذى تُرْجَى إذا أَخْلَف القَطْر
وأنتَ إذا جار الزمانُ مُحَكَّمٌ ... لك النقضُ والإبرامُ والنهْىُ والأمر
وهــذا ابنُ نصرٍ قد أَتَى وجَناحُه ... مَهِيضٌ ومِنْ عُلْياك يُلْتَمَس الجَبْر
غريب يُرَجِّى منك ما أنتَ أَهلُه ... فإن كنتَ تَبْغِى الفخرَقدجاءك الفَخْر
ففُزْ يا أمير المسلمين[2] ببَيْعة[3] ... مُوَثَّقة قد حلّ عُرْوَتها الغــدر
ومثلك مَنْ يَرْعَى الدَّخيلَ ومن دَعا ... بَيا لَمَرِينٍ جاءه العِــزّ والنَّصْر
وخُذ يا إمامَ الحقّ[4] بالحق ثأْرَه ... ففى ضِمْن ما تأتى به العِزُّ والأجر
وأنت لهــا ياناصرَ الحق فلتقُم ... بحقّ فما زيدٌ يُرَجَّى ولا عَمْرو
فإن قِيل مالٌ مالُك الدهرَ وافرٌ ... وإن قيل جيشٌ عندك العَسْكَر المَجْر
يُكَفُّ بك العادِى ويَحْيا بك الهُدى ... ويَبنِى بك الإسلامُ ما هدَم الكُفر
أَعِــدْه إلى أوطانه عنك راضياً ... وطَوِّقه نُعماك التى مالهــا حَصْر
[١٢٤] وعاجل قلوبَ الناس فيــه بجَبْرها ... فقد صدّهم عنــه التغلّبُ والقَهْر
وهم يرقبون الفِعْل منك وصَفقةً ... تُحاولهــا يُمناك ما بعــدها خُسْر
مَرامُك سَهْل لا تَؤُودُك كُلْفة ... سِوَى عَرَض ما إنْ له فى العُلا خَطْر
وما العُمْر إلا زينــة مُستعارة ... تُرَدّ ولــكنَّ الثنــاء هو العُمْر
ومَنْ باع ما يَفْنَى بباقٍ مخــلّد ... فقد أنجح المَسْعَى وقد رَبح التَّجْر

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « لم يعرف » .
(٢) فى ط : « المؤمنين » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « لبيعه » .
(٤) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « الخلق » .

ومِنْ دون ما تَبْغيه يا مَلِكَ الهُدى ... جِيادُ المَذاكى والمُحجَّلةُ الغُرُّ
ورَادٌ وشُقُر واضحات شِياتها ... فأجسامُها تِبْر وأرْجلها دُرّ
وشُهبٌ إذا ما ضُمِّرتْ يومَ غارةٍ ... مَطَهَّمةٌ غارتْ بها الأنجمُ الزُّهْر
وأُسْدُ رجالٍ من مَرِين مُخيفةٌ ... عَمائمها بيضٌ وآسالها سُمْر
عليها من المَاذىّ كلّ مُفاضَة ... تدافعُ فى أعطافها اللججُ الخُضْر
هُمُ القومُ إن هَبُّوا لكَشْف مُلمَّة ... فلا المُلتقَى صَعْبٌ ولا المُرْتقَى وَعْر
إذا سُئِلوا أعْطَوْا وإن نُوزِعوا سَطَوْا ... وإن واعدُوا وفَّوْا وإن عاهدوا بَرُّوا
وإن مُدِحوا اهتزّوا ارتياحاً كأنّهم ... نَشَاوَى تَمشّتْ فى مَعاطِفهم خَمْر
وإن سَمِعوا العَوراء فرُّوا بأنْفُس ... حرامٌ على هِمَّاتها فى الوَغَى الفَرّ (١)
وتبسِمُ ما بين الوَشيج ثغورُهم ... وما بين قُضْب الدَّوْح يبتسِم الزَّهْر (٢)
أمَولاىَ غاضت فِكرتى وتبلّدت ... طِباعى فلا طَبْعٌ يُعين ولا فِكْر
ولولا حَنانٌ مِنْك داركْتَنى به ... وأحيَيْتنى لم تبقَ عينٌ ولا أثْر
فأوجَدْتَ منّى فائتًا أىَّ فائت ... وأنْشرتَ مَيْتًا ضَمَّ أشلاءَه قَبْر
بدأْتَ بفضل لم أَكُن لعَظيمه ... بأهل فجَلّ اللُّطْف وانفرَج الصَّدْر
وطَوَّقْتنى النُّعمَى المضاعَفةَ التى ... يَقِلّ عليها مِنِّىَ الحمدُ والشُّكر
وأنت بتَتْميم الصَّنائع كافلٌ ... إلى أن يعودَ الجاه والعِزّ والوَفْر
جَزاك الذى أسنَى مَقامَك عِصْمةً ... يُفَكُّ بها عانٍ ويُنْعش مُضْطَرّ
إذا نحن أثنينا عليك بمِدْحة ... فهَيْهات يُحصَى الرَّمل أو يُحصَرُ القَطْر
ولكنّنا نأتِى بما نَسْتطيعه ... ومَنْ بذلَ المجهود حَقّ له العُذْر

(١) العوراء : الكلمة القبيحة .
(٢) الوشيج : الرماح .

فلا تسأل عن امتعاض وانتقاض[١]، وسَداد أنحاء فى التأثر لنا وأغراض، واللهُ غالب على أمْره.

انصراف السلطان أبى عبد الله إلى الأندلس

وفى صَبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شَوَّال عام اثنين وستين [١٢٥] وسَبع مِئَة كان انصرافه إلى الأندلس، وقد ألح صاحب قَشتالة فى طلبه، وترجَّح الرأى على قصده، فقعد السلطان بقُبّة العَرْض من جنة المصارة، وبرز الناس وقد أسمعهم البُريح[٢]، واستُحْضِرت البُنود، والطبول والآلة، وألبس خِلعة الملك، وقِيدت له مَراكبه فاستقلّ، وقد التف عليه كل من جلا عن الأندلس من لَدُن الكائنة فى جملة كثيفة، ورئى من رقة الناس وإجهاشهم وعلوّ أصواتهم بالدعاء ما قدم به العهد، إذ كان مَظِنة ذلك سكوناً وعطافاً[٣] وقربا، قد ظلله الله برواق الرحمة، وعطف عليه وشائج المحبة، إلى كونه مظلوم العقد، منتزع الحق، فتبعته الخواطر، وحَمِيت عليه الأنفس، وانصرف لوجهته؛ وهو الآن برُندةَ مستقل بها وبجهاتها، ومقتنع برسم [سلطنتها[٤]] وقد قام له برسْم الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن على بن يوسف بن كَمّاشة الحضْرمى، وبكتابته الفقيه أبو عبد الله بن زَمْرك، وقد استفاض عنه من الحزم والتدرّب والتيقظ للأمور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا يُنكر، كان الله له ولنا بفضله».

انتهى كلام ابن الخطيب فى اللمحة البدرية.

---

(١) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط. وفى الأصلين: «وانتفاض».

(٢) البريح (كلمة دخيلة وهى كما فى دوزى): بمعنى الصريخ، أو إعلان الحرب، أو الهتاف بالتعبئة.

(٣) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب. وفى المطبوعة والأصلين: «وعفافا».

(٤) زيادة عن نفح الطيب. ومكان هذه الكلمة فى ط: «الوزارة».

وقد عرفت أنه فى ذلك التاريخ لم يكن دخل السلطان غرناطة ، ولم يلحق به ابن الخطيب حتى دخلها .

خبر هذه القصة كما رواها ابن خلدون

وقد ذكر ولى الدين بن خَلْدون هذه الواقعة فى تاريخه الكبير ، وأحسن سَرْدها ، فقال فى ترجمة أيام السلطان أبى سالم ما نصه :

الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غَرناطة

ومقتل رضوان ومَقْدَمه على السلطان

لما هلك السلطان أبو الحجّاج سنة خمس وخمسين [وسبع مئة[1]] ونصب ابنه محمد للأمر ، واستبدّ عليه رضوان مولى أبيه ، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من مَحبته ، فلما عدلوا بالأمر عنه حجَبوه ببعض قصورهم ، وكان له صِهْر من ابن عمه محمد بن إسماعيل بن الرئيس أبى سعيد ، فكان يدعوه سرًّا إلى القيام بأمره ، حتى أمكنته فرصةٌ فى الدولة بخروج السلطان [١٢٦] إلى بعض مُتنزّهاته برياضه ، فصعِد سورَ الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين فى [بعض][2] أوشاب جمعهم من الطَّغام لثورته ، وعَمَد إلى دار الحاجب رضوان ، فاقتحم عليه الدار ، وقتله بين حَرَمه و بناته ، وقرّبوا إلى إسماعيلَ فرسَه فركب ، فأدخلوه القصر ، وأعلنوا ببيعته ، وقرعوا طُبولَهم بسور الحمراء ، وفرّ السلطانُ من مكانه بمتنزّهه ، فلحق بوادى آش ، وغدا[3] الخاصة والعامة على إسماعيل فبايعوه ، واستبدّ عليه هذا الرئيس ابن عمه ، فخلعه لأشهر[4] من بيعته ، واستقل

(١) زيادة عن نفح الطيب .

(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٠٦ طبعة بلاق) .

(٣) الكلام من قوله « وغدا » إلى قوله « بوادى آش » ساقط فى تاريخ ابن خلدون .

(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « فخلعه لشهرين » .

بسلطان الأندلس . ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادى آش ، بعد مَقتل حاجبه رضوان ، واتّصل الخبرُ بالسلطان المولى أبى سالم ، امتعض لمهلك رضوان ، وخلع السلطان رَغْيا لما سلف له فى جِوارهم ، وأزعج لحِينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه ، فوصل إلى الأندلس ، وعقد مع أهل الدولة على إجازة المخْلُوع من وادى آش إلى المغرب ، وأطلق مِن اعتقالهم الوزيرَ الكاتب أبا عبدالله ابن الخطيب ، كانوا اعتقلوه لأول أمرهم ، لما كان رَديفا للحاجب رضوان ، ورُكْنا لدولة المخلوع ، فأوصى المولَى أبو سالم إليهم بإطلاقه فأطلقوه ؛ ولحق مع الرسول أبى القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادى آش للإجازة إلى المغرب ، وأجازَ لِذى القَعدة من سَنته ، وقَدِم على السلطان بفاس ، وأجَلّ قدومَه ، وركب للقائه ، ودخل به إلى مجلس ملكه ، وقد احتفل ترتيبه وغُصّ بالمشيخة والعِلْية ، ووقف وزيره ابن الخطيب ، فأنشد السلطان قصيدته الرائية يَستصْرِخُه لسلطانه ، ويستحثُّه لمظاهرته على أمره ، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس ، شفقة له ورحمة .

ثم سَرَد ولىّ الدين بن خلدون القصيدة التى قدمنا ذكرها إلى آخرها ، [١٢٧] قال[١] : ثم انفض المجلس ، وانصرف ابن الأحمر إلى نزله[٢] وقد فُرِشت له القصور ، وقُرِّبت الجياد بالمراكب الذهبية ، وبُعِث إليه بالكُسى الفاخرة ، ورُتبت الجرايات له ولمواليه من المُعْلوجى[٣] ، وبطانته من الصنائع ، وحفظ عليه رسم سلطانه فى الراكب والراجل ، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلا الآلة[٤] ،

(١) فى ت : « ثم قام ثم انقضى ... الخ » .
(٢) كذا فى ت ونفح الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفى ط : « منزله » .
(٣) يريد العلوجيين ، أى الموالى من النصارى . (عن تكملة المعجمات لدوزى) .
(٤) فى تاريخ ابن خلدون : « الأداة » .

أدبا مع السلطان ، واستقر فى جُمْلته إلى أن كان من لَحَاقه بالأندلس ، وارتجاع مُلْكه سنة ثلاث وستين ، ما نحن نذكره .

انتهى كلام ابن خلدون ، وفيه بعض مخالفة يسيرة لكلام ابن الخطيب فى اللمحة البدرية .

شىء عن أحوال ابن الخطيب كما رواها ابن خلدون

ولا بد أن نسرد كلام ابن خلدون فى شأن ابن الخطيب ، إذ ذكره فى ترجمة السلطان أبى فارس ابن السلطان أبى الحسن المَرينى بما نصه :

الخبر عن قدوم الوزير ابن الخطيب على السلطان بتلمسان نازعا إليه عن سلطانه ابن الأحمر صاحب الأندلس

أصل هذا الرجل من لَوْشة ، على مرحلة من غَرناطة ، فى الشمال من البسيط الذى فيه ساحتها ، المسمى بالمَرْج ، على وادى شَنْجيل ، ويقال شنبيل (١) ، المخترق (٢) فى ذلك البسيط من الجنوب إلى الشمال ، كان له بها سلفٌ معدود فى وزرائها ، وانتقل أبوه عبدُ الله إلى غَرناطة ، [واستُخْدِم لملوك بنى الأحمر ، واستعمل على مخازن الطعام ، ونشأ ابنه محمد بغَرناطة (٣)] وقرأ وتأدّب على مشيختها ، واختُصّ بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هُذَيل ، وأخذ عنه العلوم الفَلسفية ، وبرّز فى الطبّ ، وانتحل الأدب ، وأخذ عن أشياخه ، وامتلأ حوض (٤) السلطان من نظمه

(١) كذا فى الأصلين وابن خلدون . وظاهر أن الكلمتين محرفتان عن « شنيل » وهو اسم نهر غرناطة الشهير ، وقد ولع الشعراء بوصف هذا الوادى وتفضيله على النيل بزيادة الشين ، وهى ألف من العدد ، أى أنه يفضل النيل بألف ضعف . (راجع نفح الطيب ج ١ ص ٩٤ طبعة أوربا والإحاطة ج ١ ص ٢٦) .

(٢) فى تاريخ ابن خلدون : « المنحرف » .

(٣) هذه العبارة ساقطة فى ط .

(٤) كذا فى تاريخ ابن خلدون . وفى الأصلين ونفح الطيب : « وامتلأ من حول السلطان نظمه » .

ونثرُه ، مع انتقاء الجيد منه ، ونبغ فى الشعر والترسيل ، بحيث لا يجارى فيهما ، وامتدح السلطان أبا الحجّاج من ملوك بنى الأحمر لعصره[١] ، وملأ الدنيا بمدائحه ، وانتشرت فى الآفاق ، فرقّاه السلطان إلى خدمته ، وأثبته فى ديوان الكُتّاب ببابه ، مرءوسا بأبى الحسن بن الجيّاب ، شيخ العُدْوتين فى النظم والنثر ، وسائر العلوم الأدبية ، وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه ، [١٢٨] عند ما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبدّ عليه ، كما مرّ فى أخبارهم . فاستبد [ابن الجياب برياسة الكتاب من يومئذ إلى أن هلك فى الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فولّى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد][٢] ابن الخطيب رياسة الكتاب[٣] ببابه ، مُثَنّاة بالوزارة ، ولقّبه بها ، فاستقل بذلك ، وصدرت عنه غرائب من الترسيل فى مكاتبات جيرانهم من ملوك العُدوة ، ثم داخله السلطان فى تولية العُمّال على يده بالمشارطات ، فجمع له بها أموالا ، وبلغ به فى المخالطة[٤] إلى حيث لم يبلغ بأحد ممن قبله ؛ وسَفَر عنه إلى السلطان أبى عِنانٍ ملك بنى مَرين بالعُدْوة ، معزّيا بأبيه السلطان أبى الحسن ، فجلّى فى أغراض سفارته . ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ، عدا عليه بعض الزعانف [يوم الفطر بالمسجد][٢] فى سجوده للصلاة ، وطعنه فأشواه ، وفاظ لوقته[٥] وتعاورتْ سيوف الموالى المعلوجىّ[٦] هذا القاتل ، فمزّقوه أشلاء ،

(١) هذه الكلمة : « لعصره » . ساقطة فى ت وتاريخ ابن خلدون .
(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الكتابة » .
(٤) كذا فى ت والنسخة الخطية من نفح الطيب . وفى ط وابن خلدون والنسخة المطبوعة من نفح الطيب : « فى المخالصة » .
(٥) هذه العبارة : « وفاظ لوقته » ساقطة فى ت . وفاظ : مات .
(٦) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

وبويع ابنه محمد [بالأمر] [١] لوقته ، وقام بأمره مولاهم رِضوان ، الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم ، وكفالة الأصاغر من ملوكهم ، واستبد بالدولة ، وأفرد ابن الخطيب بوزارته . كما كان لأبيه ، [واتخذ لكتابته غيره] [١] وجعل ابن الخطيب رَدِيفا له فى أمره [٢] ، ومشاركا فى استبداده معه ، فجرت الدولة على أحسن حال ، وأقوم طريقة ، ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا إلى السلطان أبى عنان ، مستَمِدِّين له على عدوهم الطاغية ، على عادتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومَثَل بين يديه ، تقدم الوفدَ الذين معه من وزراء الأندلس وفقهائها ، واستأذنه فى إنشاد شعر [٣] قدَّمه بين يدى نَجْواه ، فأذن له ، وأنشد وهو قائم :

خَليفةَ الله ساعَـــدَ القدرُ عُلاك ما لاح فى الدجى قمرُ
ودافعَتْ عنك كَفُّ قُدْرته ماليس يَستطيع دفعَه البَشَر
وجهك فى النائبات بَدْر دُجًى لنـــا وفى المَحْل كفّك المطَر [١٢٩]
والناسُ طُرًّا بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عَمَروا
وجمـــلةُ الأمر أنه وَطَن فى غير عُلياك ما له وَطَر [٤]
ومن به مذ [٥] وصلْتَ حبلَهم ما جَحدوا نعمةً ولا كفروا
وقـــد أهمَّتْهُم بأنفسِهِمْ فوجّهونى إليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له فى الجلوس ، وقال له قبل أن يجلس :

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .
(٢) كذا فى ط وتاريخ ابن خلدون . وفى ت ونفح الطيب : « رديفا لرضوان فى أمره » .
(٣) فى تاريخ ابن خلدون : « شىء من الشعر » .
(٤) هذا البيت ساقط فى تاريخ ابن خلدون .
(٥) كذا فى نفح الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفى الأصلين : « قد » .

ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم ، ثم أثقل كاهلَهم بالإحسان ، وردّهم بجميع ما طلبوه . وقال شيخُنا القاضى أبو القاسم الشريف ، وكان معه فى ذلك الوفد : لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا .

ومكثَتْ دولتهم هذه بالأندلس خمْسَ سنين ، ثم ثار بهم محمدٌ الرئيس ابن عم السلطان ، شَرِكه فى جَدّه الرئيس أبى سعيد ، وتحيَّن خروج السلطان إلى متنزهه خارجَ الحمراء ، وتسوروا دار المُلْك المعروفة بالحمراء ، وكَبس رضوان فى بيته ، فقتله ونصَب للمُلْك إسماعيل بن السلطان أبى الحجاج ، بما كان صِهْرَه على شقيقته ، وكان معتَقَلا بالحمراء ، فأخرجه ، وبايع له ، وقام بأمره مستبدا عليه ، وأحسّ السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان ، فركب ناجياً إلى وادى آش ، وضبَطها ، وبعث بالخبر إلى السلطان أبى سالم إثْر ما استولى على مُلْك آبائه بالمغرب ، وقد كان مَثْواه أيام أخيه أبى عِنان عندهم بالأندلس ، واعتقل الرئيسُ القائم بالدولة هذا الوزيرَ ابن الخطيب ، وضيَّق عليه فى محبسه ، وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مُقامه بالأندلس ، وكان غالباً على هوى السلطان
[١٣٠] أبى سالم ، فزيّن له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادى آش ، يعُدّه زَبوناً[1] على أهل الأندلس ، ويكُفّ به عادية القرابة المرشحين هنالك ، متى[2] طمحوا إلى ملك المغرب ، فقبل ذلك منه ، وخاطب أهل الأندلس فى تسهيل طريقه من وادى آش إليه ، وبعَثَ مِنْ أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التِّلِمْسانى ، وحمله مع ذلك الشفاعة فى ابن الخطيب ، وحلِّ مُعْتَقَله ، فأُطْلِق ؛ وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادى آش ، وسار فى ركاب سلطانه ، وقدِموا على

(١) زبونا ، أى حربا وقوة . (انظر تكملة المعجمات لدوزى مادة زبن) .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « كما » . وفى ت : « ممن » .

السلطان أبى سالم ، فاهتزّ لقدوم ابن الأحمر ، وركب فى الموكب لتلقّيه ، وأجلسه إزاء كُرسيّه ، وأنشد ابنُ الخطيب قصيدَته كما مر ، يَستصرخ السلطان لنصره ، فوعده ، وكان يوماً مشهوداً ، وقد مر ذكره ، ثم أكرم مثواه ، وأرغد نُزُلَه ، ووفّر أرزاق القادمين فى ركابه ، وأرغد عيشَ ابن الخطيب فى الجِراية والإقطاع . ثم استأنس[1] واستأذن السلطان فى التّجوال بجهات[2] مَرّاكُش ، والوقوف على آثار المَلِك بها ، فأذن له وكتب إلى العُمّال بإتحافه ، فتبارَوْا[3] فى ذلك ، وحَصَلَ منه على حظ . وعند ما مر بسَلا إثْر قُفوله من سفره ، دخل مَقْبرة الملوك بشالة ، ووقف على قبر السلطان أبى الحسن ، وأنشد قصيدة على روى الراء [الموصولة][4] ، يرثيه ويستجير به فى استرجاع ضياعه بغرناطة ، مطلعها :

إنْ بان منزله وشَطَّت دارُهُ قامت مَقامَ عِيانه أَخبارُهُ
قَسِّم زمانك عِبْرَةً أَوْ عَبْرَةً هذا ثَراه وهـذه آثاره

فكتب السلطانُ أبو سالم فى ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة ، فَشَفَّعوه ، واستقر هو بسلا ، مُنْتَبذا عن سُلْطانه طول مُقامه بالعُدْوة . ثم عاد السلطانُ محمد المخلوعُ إلى مُلْكه بالأندلس سنة ثلاث وستين ، وبعث عن مُخَلّفه بفاس من الأهْل والولد ، والقائم بالدّولة يومئذ عمرُ بن عبد الله بن علىّ ، فاستقدم ابن الخطيب من سَلَا ، وبعثهم لنظره ، فسُرّ السلطان بقدومه ، وردّه إلى منزلته ، كما كان مَعَ رضوان كافله ، وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغُزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية فى ركاب أبيه ، عندما أحسّ بالشرّ من الرئيس

(١) فى ط ونفح الطيب : « استيأس » .
(٢) فى تاريخ ابن خلدون : « فى التحول إلى جهات . . . الخ » .
(٣) فى تاريخ ابن خلدون : « فتبادروا » .
(٤) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

صاحب غَرْناطة ، وأجاز يحيى من هنالك إلى العُدْوَة ، وأقام عثمانُ بدار الحَرْب ، فصَحِبَ السلطانَ [فى مَثْوى اغترابه هنالك ، وتقلَّب فى [مذاهب] [١] خِدمته ، وانحرفوا عن الطاغية بعد[٢] ما يَئِسوا من الفتح على يده ، فتحوَّلوا عنه إلى ثُغور بلادهم ، وخاطبوا [الوزير] [١] عمر بن عبد الله فى أن يمكِّنهم من بعض الثغور الغربية[٣] التى لطاغيتهم[٤] بالأندلس ، يرتقبون منها الفتح ، وخاطبنى السلطانُ المخلوع فى ذلك ؛ وكانت بينى وبين عمر بن عبد الله أُذمَّة مَرْعِيَّة ، وخاصَّة متأكِّدة ، فوفَّيت] [٥] للسلطان بذلك من عُمَرَ بن عبد الله ، وحَملته على أن يَرد عليه مدينةَ رُنْدة ، إذ هى من تُراث سَلَفه ، فقَبِل إشارتى فى ذلك ، وتَسَوَّغَها السلطانُ المخلوع ، ونزل بها وعثمانُ بن يحيى فى جُمْلَته ، وهو المقدَّم فى بطانته ، ثم غزوا منها مالَقة ، فكانت ركابا للفتح ، وملَكها السُّلطانُ ، واستولى بعدها على دار ملكه بغَرْناطة ؛ وعثمان بن يحيى متقدم القوم فى الدولة ، عريق فى المخالصة ، وله على السّلطان دَالّة ، واستبداد على هواه . فلما وصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده ، وأعاده إلى مكانه فى الدولة ، من عُلُوّ يده ، وقبول إشارته ، أدركته الغَيْرة من عثمان ، ونكِر على السلطان الاستكفاء به ، و [أراه] [١] التخوف من هؤلاء الأعياص[٦] على ملكه ، فحذِرَه السلطان ، وأخذ فى التدبير عليه ، حتى نكبه وأباه وإخوته فى رمضان سنة أربع وستين ، وأودعهم[٧] المُطْبِق ، ثم غَرَّبهم بعد ذلك ، وخلا لابن الخطيب

(١) زيادة عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى تاريخ ابن خلدون . وفى الأصلين : « عند » .
(٣) كذا فى نفح الطيب وابن خلدون . وفى الأصلين : « الفريبة » .
(٤) فى تاريخ ابن خلدون . « أطاعتهم » .
(٥) زيادة عن ت ونفح الطيب .
(٦) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الأعياس » .
(٧) فى ط : « وأوعدهم » .

الجو ، وغلب على هوى السلطان ، ودفع إليه تدبير الدولة ، وخلط بَنِيه بنُدَمائه
وأهل خَلْوته ، وانفرد ابن الخطيب بالحلّ والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، [١٣٢]
وعلِقَتْ به الآمال ، وغَشِى بابَه الخاصة والكافّة ، وغَصَّتْ به بِطانة السلطان
وحاشيته ، فتفننوا[1] فى السِّعايات فيه ، وقد صُمّ السلطان عن قَبولها ؛ ونَمى الخبر
بذلك إلى ابن الخطيب ، فشمّر عن ساعده فى التفويض ، واسْتُخْدم للسلطان
عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن ، ملك العُدوة يومئذ ، فى القبض على ابن عمّه
عبد الرحمن بن أبى يَفْلُوسن ابن السلطان أبى علىّ ، كانوا قد نَصَّبوه شيخاً على
الغُزاة بالأندلس ، لما أجاز من العُدوة بعد ما جاسَ خِلالها ، لطلَب الملك ،
وأَضْرم بها نار الفتنة فى كل ناحية ، وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله ،
القائم حينئذ بدولة بنى مرين ، فاضطُرّ إلى الإجازة إلى الأندلس ، فأجاز هو
ووزيره مسعود بن ماساى ، ونزلوا على السلطان المخلوع عام سبعة وستين ،
فأكرم نُزُلَهُمْ ، وتُوُفِّى علىّ بن بدر الدين شيخ الغزاة ، فقدم عبد الرحمن مكانه .
وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله ،
فغصّ بما فعله السلطان المخلوع من ذلك ، وتوقع انتقاض أمره منهم ، ووقف
على مخاطبات من عبد الرحمن يسرّ بها فى بنى مَرين ، فجزع لذلك ، وداخله
ابن الخطيب فى اعتقال ابن يفلُوسَن وابن ماساى ، وإراحة نفسه من شغبهم ،
على أن يكون له المكان من دولته متى نزع إليه ، فأجابه إلى ذلك ، وكتب له
العهد بخطه ، على يد سفيره إلى الأندلس وكاتبه أبى يحيى بن أبى مدين[2] ؛ وأغْرَى
ابنُ الخطيب سُلْطانه بالقبض على ابن يفلوسن وابن ماساى ، فقبض عليهم [١٣٣]
واعتقلهم ، وفى خلال ذلك استحكمت نُفْرة ابن الخطيب لِما بلغه عن البطانة ،

(١) فى تاريخ ابن خلدون : « فتوافقوا على ... الخ » .
(٢) العبارة من قوله : « فجزع » إلى هنا ساقطة فى تاريخ ابن خلدون .

من القدح فيه والسعاية ، وربما تخيل أن السلطان مال إلى قَبولها ، وأنهم قد أحفظوه عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان فى تفقّد الثغور [الغربية] [1] ، وسار إليها فى لُمَّة من فُرْسانه ، ومعه ابنه علىّ الذى كان خالصة للسلطان ، وذهب لِطِيَّته ، فلما حاذى جبلَ الفتح ، فرضةَ الحجاز إلى العدوة ، مال إليه ، وسرح إذنه بين يديه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه . [وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز إليه بذلك ، وجهز له الأسطول من حينه ، فأجاز إلى سَبتة ، وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة ، وامتثال المراسم ، ثم سار لقصد السلطان ، فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين ، بمُقامه تِلِمْسان ، فاهتزت له الدولة ، وأركبَ السلطانُ خاصَّته لتلقيه] [2] ، وأحلّه من مجلسه بمحلّ الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان التنويه والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس فى أهله وولده ، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة ، ثم أكثر [3] المنافسون له فى شأنه ، وأغروا سلطانه بتتبع عَثَراته ، وإبداء ما كان كامناً فى نفسه من سقطاته ، وإحصاء معايبه ، وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزَّندقة ، أحصوها عليه ونسبوها [إليه] [2] ، ورُفِعت إلى قاضى الحضرة أبى الحسن بن الحسن فاسترعاها ، وسَجَّل عليه بالزَّندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبعث القاضى ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز فى الانتقام منه بتلك السِّجِلّات ، وإمضاء حكم الله فيه ، فصَمّ عن ذلك ، وأَنِفَ لذمّته أَنْ تُخْفَر ، ولجواره أن يُرَدَّ ، وقال لهم : هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ! وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان فى جوارى ؛ ثم وفَّر

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .
(٢) زيادة عن ت وابن خلدون ونفح الطيب .
(٣) فى ابن خلدون : « لغط » .

الجِراية والإقطاع له ولبنيه ، ولمن جاء من أهل الأندلس فى جملته . فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ، ورجع بنو مرين إلى المغرب ، وتركوا [١٣٤] تِلِمْسان ، سار هو فى ركاب الوزير أبى بكر بن غازى ، القائم بالدولة ، فنزل بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنّق فى بناء المساكن ، واغتراس الجنات ، وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التى رسمها له السلطان المتوفَّى ، واتصلت حاله على ذلك ، إلى أن كان ما نذكره .

انتهى كلام ابن خلدون وأكثره بلفظه .

كتاب القاضى أبى الحسن إلى ابن الخطيب

قلت : وقد وقفت على كتاب للقاضى أبى الحسن بن الحسن المذكور يخاطب به ابن الخطيب ويعظه ، ويشير إلى ما اشتغل به من البنيان ، وفيه مايبين كلام ابن خلدون السابق وزيادة ، وما يدل على ما ذكره ابن خلدون من أنه سَجَّل عليه بأمور منكرة ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وقد أسقطت بعضه اختصارا ، ونص ما تعلق به الغرض قوله يخاطب الوزير ابن الخطيب :

فشرعتم فى الشراء ، وتشييد البناء ؛ وتركتم الاستعداد لهادم اللذات ، هيهات هيهات ؛ تبنون مالا تسكنون ، وتدخرون مالا تأكلون ، وتؤملون مالا تدركون ؛ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مُشَيَّدة ، فأين المهرب مما هو كائن ! ونحن إنما نتقلّب فى قدرة الطالب ، شَرَّقتم أو غرّبتم ، [والأيام تتقاضى الدَّين ، وتنادى بالنفس الفرّارة إلى أين إلى أين ! ونترك الكلام مع الناقد] (١) فيما ارتكبه من تزكيته نفسه ، وعَدِّ ماجلبه من مناقبه ، ما عدا ما هدَّد به من حديد لسانه ، خشيةَ اندراجه فى نَمَط من قال فيه رسول الله صلى الله عليه

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت ونفح الطيب .

وسلم : « إن من شر الناس من تركه الناس اتقاء فُحْشه »[1] . ولا غِيبة فيمن ألقى جلباب الحَياء عن وجهه ؛ ونرحمه على ما أبداه وأهداه من العيوب التى نَسبها لأخيه ، واستراح على قوله بها فيه ، ونذكّره على طريقة نصيحة الدين ، بالحديث الثابت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : [١٣٥] « أتدرون مَنِ المُفْلِس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ! فقال : إن المُفْلِس مِن أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعْطَى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم ، فطُرِحت عليه ، ثم طرح فى النار » . ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق ، هو الذى حملنى على نُصحكم ومُراجعتكم فى كثير من الأمور ، منها الإشارة عليكم بإذهاب عين ما كتبتم به فى التاريخ وأمثاله ، فإنكم نفعتم بما وقعتم فيه من الغِيبة المحرّمة أحياءً وأمواتاً ، لغير شىء حصل بيدكم ، وضررتم نفسكم بما رتّبتم لهم من المطالبات بنصّ الكتاب والسنة قِبَلكم ، والرضا بهذه الصفقة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل . وقد قلت لكم غير مرّة عن أطْراسكم المسودّة ، بما دعوتم إليه من البِدْعة ، والتلاعب بالشريعة : إن حقها التخريق والتحريق ، وإنّ من أطراها لكم فقد خدع نفسه وخدَعكم ، والله الشهيد بأنى نصحتكم وما غششتكم ، وليس هذا القول وإن كان ثقيلا عليكم ، بمُخالف كلّ المخالفة لما ذنبتم[2] به من تقدم المواجهة بالملاطفة ، والمعاملة بالمكارمة ، فليست المداراة بقادحة فى الدين ، بل هى محمودة

(١) الحديث كما فى الجامع الصغير للسيوطى (ج ١ ص ٢٢٨) : « إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه » .

(٢) كذا فى الأصلين ونفح الطيب . ولعلها محرفة عن « زننتم به » ، أى ظننتم به .

فى بعض الأحوال ، مستحسنة على ما بيّنه العلماء ، إذ هى مقاربة[١] فى الكلام ، أو مجاملة بأسباب الدنيا ، لصلاحها أو صلاح الدين ، وإنما المذموم المداهنة ، وهى بذل الدين لمجرد الدنيا ، والمصانعة به لتحصيلها ؛ ومن خالط للضرورة مثلكم وزايله بأخلاقه ، ونصحه مخاطبة ومكاتبة ، واستدل له بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحة مقالته ، فقد سَلِم والحمد لله من مداهنته ، وقام لله [١٣٦] بما يجب عليه فى حقكم من التحذير والإنكار ، مع الإشفاق والوجل . وأكثرتم فى كتابكم من المنّ بما ذكرتم أنكم صنعتم ، وعلى تقدير الموافقة لكم ، ليتكم فعلتم فسلمنا من المعرّة وسلمتم ، وجلّ القائل سبحانه : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم » . وقلما شاركتم أنتم فى شىء إلا بأعراض حاصلة فى يدكم ، أو لأغراض دنيوية خاصة بكم ، فاللام إذاً فى الحقيقة إنما هو متوجّه إليكم . وأما ما أظهرتم بمقتضى حركاتكم وكلامكم ، من التندم[٢] على فراق محلّكم ، والتعلل بأخبار قُطْركم وأهلكم ، فتناقضٌ منكم ، وإن كنتم فيه بغدركم[٣] :

أتبكى على لبنى وأنتَ تركتَها ... فكنتَ كآتٍ حَتْفه[٤] وهو طائعُ
وما كل ما منّتك نفسُك خاليا[٥] ... تُلاقِى ولا كلّ الهوى أنت تابع
فلا تبكينْ فى إثر شىء ندامةً ... إذا نزعتْه من يديك النوازع[٦]

(١) فى النسخة الخطيبة من نفح الطيب . « متقاربة » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الشؤم » .
(٣) كذا فى نفح الطيب المطبوع والخطى . وفى الأصلين : « بعذركم » .
(٤) كذا فى الأغانى (ج ٩ ص ٢١٧ طبعة دار الكتب) . وفى الأصلين ونفح الطيب : « غيه » .
(٥) كذا فى الأغانى . وفى الأصلين ونفح الطيب : « مخليا » .
(٦) البيت كما فى الأغانى :
فلا تبكين فى إثر لبنى ندامة ... وقد نزعتها من يديك النوازع
وهذه الأبيات من شعر لقيس بن ذريح فى زوجته لبنى بنت الحباب الكعبية .

وعلى أن تأسفكم[1] لما وقعتم فيه من الغدر لسلطانكم ، والخروج لا لضرورة غالبة عن أوطانكم ، من الواجب بكل اعتبار عليكم ، سيما وقد مددتم إلى التمتع لغيرها عينيكم . ولو لم يكن لهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة إلا ما خصت به من بركة الرباط ، ورحمة الجهاد ، لكفاها فخراً على مايجاورها من سائر البلاد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه » ، وقال عليه السلام : « الرَّوْحة يروحها العبد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها » .

وعلى كل تقدير فإذا لم يكن يا أخى فراركم من الأندلس إلى الله وحده بالتوبة المكمّلة والاستغفار ، مع الانقطاع فى أحد المواطن المكرمة المعظمة بالإجماع ، وهى طِيبة أو مكة أو بيت المقدس ، فقد خَسِرتم صَفقة رحلتكم ، وتبين أنّ لغير وجه الله العظيم كانت نية هِجْرتكم ؛ اللهم إلا إن كنتم قد لاحظتم مسألة الرجل الذى قتل مَئة نفس ، وسأل أعلم أهل الأرض ، فأشار [١٣٧] عليه بعد إزماع التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب ، واكتسب بها العيوب ؛ فأمرٌ آخر ، مع أن كلام العلماء فى هذا الحديث معروف[2] ؛ ويقال لكم من الجواب الخاص بكم : فعليكم إذاً بترك القيل والقال ، وكسر حربة الجدال والقتال ، وقصر ما بقى من مدة العمر على الاشتغال بصالح الأعمال . ووقعت فى مكتوبكم كلمات أوردها النقد فى قالب الاستهزاء والازدراء ، والجهالة بمقادير الأشياء ، منها : ريح صرصر ، وهو لغة القرآن ، وقاعٍ قرقرٍ ، وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم . ثبت فى الصحيح فى باب التغليظ فيمن لا يؤدى زكاة ماله ، « قيل : يا رسول الله ، والبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم

(١) فى ت : « أسفكم » .

(٢) انظر القرطبي (ج ٦ ص ١٥٣ طبعة دار الكتب) عند تفسير قوله تعالى : « أو ينفوا من الأرض » .

لايؤدى منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بقاع قرقر لايفقد منها شيئاً ، تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها[١] . الحديث الشهير . قال صاحب المعلم[٢] : بُطِح لها بقاع قَرْقر ، أى ألقى على وجهه ، والقاع : المستوى من الأرض ، والقرقر : كذلك ؛ هذا ما حضر من الجواب . و بقى فى مكتوبكم حَشْو كثير من كلام الإقذاع ، وفُحْش بعيد من الحِشمة والحياء ، رأيت أن من الصواب الإضراب عن ذكره ، وصَوْن اليد عن الاستعمال فيه ، والظاهر أنه إنما صدر عنكم وأنتم بحال مَرَض ، فلا حرج فيه عليكم إن شاء الله ، أجلّكم ، ومكّن أمنكم ، وسكن وَجَلكم ، ومنه جلّ اسمه[٣] نسأل لى ولكم حسن الخاتمة ، والفوز بالسعادة الدائمة ، والسلام الأتم يعتمدكم ، والرحمات والبركات من كاتبه على بن عبد الله بن الحسن ، وفقه الله .

وذلك بتاريخ أخريات جمادى الأولى من عام ثلاثة وسبعين وسبع مئة .

وقيد رحمه الله فى مُدْرَج طى هذا الكتاب ما نصه :

[١٣٨] يا أخى ، أصلحنى الله و إياكم ، بقى من الحديث شىء ، الصواب الخروج عنه لكم ، إذ هذا أوانه ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه ، وليكن البناء بعد أن كان على أصل صحيح بحول الله ، وحاصله :

أنكم عددتم ما شاركتكم فيه بحسب الأوقات ، وقطعتم بنسبة الأمور كلها لنفسكم[٤] ، وأنها إنما صدرت عن أمركم و بإذنكم ، من غير مشاركة فى شىء منها لكم ، ثم منتم بها المنّ القبيح ، المبطل لعمل برّكم ، على تقدير

(١) ارجع إلى مسلم والبخارى فى باب الزكاة ففى لفظ الحديث روايات .

(٢) لعله يريد : المعلم بفوائد مسلم ، وهو شرح على صحيح مسلم للإمام أبى عبد الله محمد التميمى .

(٣) فى النسخة الخطية من نفح الطيب : « ومنه سبحانه نسأل . . . الخ » .

(٤) فى نفح الطيب : « إلى أنفسكم » .

التسليم فى فعله لكم ، ورميتم غيركم بالتقصير فى حاله كله ، طريقة من يبصر القذى فى عين أخيه ويدع الجِذْع فى عينه ، وأقصى ما تسنّى للمحب أيام كونكم بالأندلس ، تقلّد كلفة قضاء الجماعة ، وما كان إلا أن وُليتها بقضاء الله وقدره ، فقد تبين لكل ذى عقل سليم أنه لا موجد إلا الله ، وإذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلا بإيجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه ، من غير عاضد له على تحصيل مراده ولا معين ، ولكنه ، جلت قدرته ، وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه ، وأوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه ، وكأنى بكم تضحكون من تقرير هذه المقدمة ، وما أحوجكم إلى تأملها بعين اليقين ، فكابدت أيام تلك الولاية النكدة[1] من النكاية ، باستحقاركم للقضايا الشرعية ، وتهاونكم بالأمور الدينية ، ما يعظم الله به الأجر ، وذلك فى جملة مسائل ، منها مسألة ابن الزُّبير المقتول على الزندقة بعد تقصّى موجباته ، على كره منكم ؛ ومنها مسألة ابن أبى العيش المثقف[2] فى السجن على آرائه المضلة ، التى كان منها دخوله على زوجه
[١٣٩] إثر تطليقه إياها بالثلاث ، وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مشافهة بالاستمتاع بها ، فحملتم أحد ناسكم تناول إخراجه من الثقاف[3] ، من غير مُبالاة بأحد ؛ ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم توجهت عليه مطالبة بدم قتيل ، وسيق المدعى عليه للذبح[4] بغير سكين ، فما وسعنى بمقتضى الدين إلا حبسه على ما أحكمته السنة ، فأنفتم لذلك ، وسجنتم الطالب[5] ولىّ الدم ، وسرحتم الفتى المطلوب على الفور ، إلى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ، ولا يجمل بى ولا بكم

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « المنكرة » .
(٢) المثقف : المسجون . (عن تكملة المعجمات لدوزى) .
(٣) الثقاف : الحبس والسجن . (عن دوزى) .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الذبيح » .
(٥) فى النسخة الخطية من نفح الطيب : « المطالب » .

ذكره . والمسألة الأخرى أنتم توليتم كِبْرها ، حتى جرى فيها القدر بما جرى من الانفصال ، والحمد لله على كل حال . وأما الرمى بكذا وكذا مما لا علم لنا بسببه ، ولا عذر لكم من الحق فى التكلم به ، فشىء قلما يقع مثله من البهتان ، ممن كان يرجو لقاء ربه ، وكلامكم فى المدح والهجو هو عندى من قبيل اللغو الذى نمر به كراما ، والحمد لله فكثّروا[1] أو أقلوا من أى نوع شئتم ، أنتم وما ترضونه لنفسكم[2] ، وما فُهْت لكم بما فُهْت من الكلام ، إلا على جهة الإعلام ، لا على جهة الانفعال ، لما صدر أو يصدر عنكم من الأقوال والأفعال ، فمذهبى غير مذهبكم ، وعندى ما ليس عندكم .

وكذلك رأيتكم تكثرون فى مخاطبتكم من لفظ الرُّقية فى مَعْرِض الإنكار لوجود نفعها ، والرمى بالمنقصة والحمق لمستعملها ، ولو كنتم قد نظرتم فى شىء من كتب السنة ، وسير الأمة المسلمة ، نظر مصدّق ، لما وَسِعكم إنكارُ ما أنكرتم ، وكَتْبه بخط يدكم ، فهو قادح كبير فى عقيدة دينكم ، فقد ثبت بالإجماع فى سورة الفَلَقِ أنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأن المراد بها هو وآحاد أمته ؛ وفى أمهات الإسلام الخمس أن رسول صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى رقاه جبريل ، فقال : بسم الله يُبريك[3] ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شرّ حاسد إذا حسد ، [١٤٠] ومن شر كل ذى عين . وفى الصحيح أيضاً أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا فى سَفَر ، فمروا بحىّ من أحياء العرب ، فاستضافوهم فلم يضيفوهم ، فقالوا : هل فيكم راق ؟ فإن سيد الحىّ لديغ أو مصاب ؛ فقال رجل من القوم : نعم ، فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب ، فبرئ الرجل ، فأُعْطى قطيعا من

(١) فى النسخة الخطية من نفح الطيب : « أكثروا أو قللوا » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « لأنفسكم » .
(٣) يريد : « يبرئك » فسهل .

غنم ، الحديث الشهير . قال أهل العلم : فيه دليل على جواز أخذ الأجرة على الرُّقية والطب وتعليم القرآن ، وهو قول مالك والشافعى وأحمد وأبى ثور وجماعة من السلف ، وفيه جواز المقارضة ، وإن كان ضد ذلك أحسن ، وفى هذا القدر كفاية . وما رَقَيت قط أحداً على الوجه الذى ذكرتم ، ولا استرقيت ، والحمد لله ، وما حَمَلَنى على تبيين ما بينته الآن لكم فى المسأله ، إلا إرادة الخير التام لجهتكم ، والطمع فى إصلاح باطنكم وظاهركم ، فإنى أخاف عليكم من الإفصاح بالطعن فى الشريعة ، ورمى علمائها بالمَنْقصة ، على عادتكم وعادة المستخف ابن هُذَيْل شيخكم ، منكر علم الجزئيات ، القائل بعدم قدرة الرب على جميع الممكنات ؛ وأنتم قد انتقلتم إلى جوار أناس أعلام ، قلما تجوز عليهم ، حَفِظَهُمُ الله ، المغالطات ، فتأسركم شهادة العدول التى لا مدفع لكم فيها ، وتقع الفضيحة ، والدين النصيحة ، أعاذنا الله من دَرْك الشقاء ، وشماتة الأعداء ، وجَهْد البلاء .

وكذلك أحذركم من الوقوع بما لا ينبغى فى الجناب الرفيع ، جناب سيد المرسلين ، وقائد الغُرّ المحَجَّلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه نقل عنكم فى هذا الباب أشياء منكرة ، يكبر فى النفوس التكلم بها ، أنتم تعلمونها ، وهى التى زرعت فى القلوب ما زَرَعت من بغضكم ، وإيثار بعدكم ، مع استشعار الشفقة والوجل من [١٤١] وجه آخر عليكم ، ولولا أنكم سافرتم قبل تقلص ظل السلطنة عنكم ، لكانت الأمة المسلمة ، امتعاضاً لدينها ودنياها ، قد برزت بهذه الجهات ، لطلب الحق منكم ، فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خُدّام الدول ماصدر عنكم ، من العبث فى الأبشار والأموال ، وهتك الأعراض ، وإفشاء الأسرار ، وكشف الأستار ، واستعمال المكر والحيل والغدر فى غالب[1] الأحوال ، للشريف والمشروف ، والخديم والمخدوم ، ولو لم يكن فى الوجود من الدلائل على صحة ما رضيتم به لنفسكم ، من

(١) فى ط : « فى سائر » .

الاتسام بسوء العهد ، والتجاوز المحض ، وكفران النعم ، والركون إلى ما تحصل من الحطام الزائل[١] ، إلا عملكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم ، أيده الله بنصره ، وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه ، وفى الكثير من أهل قطره ، لكفاكم وَصْمة لايغْسل دَنَسها البحر ، ولا يَنسى عارَها الدهر ، فإنكم تركتموه أولا بالمغرب عند تلوّن الزمان ، وذهبتم للكديه[٢] ، والأخذ بمقتضى المقامة الساسانية ، إلى أن استدعاه المَلك ، وتخلصت له بعد الجهد الأندلس ، فسقطتم عليه سقوط الذُّباب على الحَلواء ، وضربتم وجوه رجاله بعضاً ببعض ، حتى خلا لكم الجو ، وتمكن الأمر والنهى ، فهمزتم ولَمَزْتم ، وجمعتم من المال ما جمعتم ، ثم وَرَّيتم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء ، مكراً منكم ، فلما بلغتم أرض الجبل انحرفتم عن الجادة ، وهربتم بأثقالكم الهروب الذى أنكره عليكم كل من بلغه حديثكم أو يبلغه إلى آخر الدهر فى العُدوتين ، من مؤمن وكافر ، وبَرّ وفاجر ، فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة بتصرّفاتكم حازم ، أو يثق بكم فى قول أو فعل صالح أو طالح . ولو كان قد بقى لكم من العقل [١٤٢] ما تتفكرون به فى الكيفية التى ختمتم بها عملكم بالأندلس ، من الزيادة فى المغرم وغير ذلك ، مما لكم وِزْره ووِزْر من عمل به بعدكم إلى يوم القيامة ، حسبما ثبت فى الصحيح لحملكم على مواصلة الحزن ، وملازمة الأسف والندم على ما أوقعتم فيه نفسكم الأمّارة ، من التورط والتنشّب فى أشطان الآمال ، ودسائس الشيطان ، ونعوذ بالله من شرور الأنفس ، وسيئات الأعمال .

وأما قولكم عن فلان : إنه كان حشرة فى قشور[٣] اللّوز ، وإن فلاناً كان

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « الحطام باليد » .
(٢) كذا فى نفح الطيب المطبوع . وفى النسخة الخطية : « للكذبة » . وفى الأصلين : « للكيدة » .
(٣) فى نفح الطيب : « فى قلوب » .

بُرْغوثاً فى تراب الخمول ، فكلام سَفْسَاف ، يقال لكم من الجواب عليه : وأنتم يا هذا ، أين كنتم منذ خمسين سنة مثلا ؟ خلق الله الخلق لا استظهاراً بهم ولا استكثاراً ، وأنشأهم كما قدر أحوالا وأطواراً ، واستخلفهم فى الأرض بعد أمة أمماً ، و بعد عصر أعصاراً ، وكلَّفهم شرائعه وأحكامه ، ولم يتركهم هَمَلا ، وأمرهم ونهاهم ، ليبلوهم أيُّهم أحسن عملا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، و بكل اعتبار فلا نعلم فى نَمَط الطلبة تدريجا كان أسمح فى تدريجكم ، ونبدأ من كذا ، فإنه كان كذا وكذا ، وأكثر أهل زمانه تخملا وتقللا فى نفسه بالنسبة إلى منصبه ، كان الشيخ أبو الحسن بن الجياب ، ولكنه حين علم رحمه الله من نشأتكم ؛ وحالتكم ما علم ، نبذ مصاهرتكم ، وصرف عليكم صداقكم وكذلك فعلت بنت جُزَىّ زوج الرهيصى معكم ، حسبما هو مشهور فى بلدكم ، وذكرتم أنكم مازلتم من أهل الغِنى حيث نقرتم بذكر العَرَض [وهو بفتح العين والراء : حُطام الدنيا ، على ما حكى أبو عبيد ، قال أبو زيد : هو بسكون الراء : المال الذى لا ذهب فيه ولا فضة] ، وأى مال خالص يعلم لكم أو لأبيكم بعد الخروج من الثقاف[1] ، على ما كان قد تبقى عنده من مجبى قرية مترايل ، ثم من العدد الذى برز قبلكم ، أيام كانت أشغال الطعام بيدكم ، على ما شهد به الجمهور من أصحابكم ؛ وأما الفلاحة التى أشرتم إليها ، فلا حق لكم فيها ، إذ هى فى الحقيقة لبيت مال المسلمين ، مع ما بيدكم ، على ما تقرر فى الفقهيات ، والمعدوم شرعا كالمعدوم حِسًّا ، ولو قبل من أهل المعرفة بكم بعض ما لديهم من سَقطاتكم فى القال والقيل ، ولم يُصْرف إلى دفع معرتها عنكم وجهُ التأويل ، لكانت مسألتكم ثانية لمسألة أبى الخير بل أبى الشر ، الحادثة أيام خلافة الحكم ، المسطورة فى نوازل [١٤٣]

(١) يريد : الحبس والسجن . (انظر تكملة المعجمات لدوزى) .

أبى الأصبغ بن سهل ، فاعلموا ذلك ، ولا تهملوا إشارتى عليكم قديماً وحديثاً بلزوم الصلوات ، وحضور الجماعات ، وفعل الخيرات والعمل على التخلص من التَّبِعات ، إنَّ وعد الله حَقّ ، فلا تغرَّنَّكم الحياةُ الدنيا ، ولا يَغُرَّنَّكم بالله الغَرور .

وقلتم فى كتابكم : أين الخُطط المتوارثة عن الآباء والأجداد ؟ وقد أذهب الله عنا ببركة الملة المحمدية غيبة الجاهلية ، فى التفاخر بالآباء ، ولكننى أقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم : إن كانت الإشارة إلى المجيب بهذا ، فمن المعلوم المتحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الأصالة أحد أماثل قطره . قال القاضى أبو عبد الله ابن عسكر : وقد ذكر فى كتابه من سَلَفى فلان بن فلان ما نصه : و بيته بيت قضاء وعلم وجلالة ، لم يزالوا يرثون ذلك كابراً عن كابر ، استقضى جده المنصور ابن أبى عامر . وقال غيره وغيره ، و بيدى من عهود الخلفاء ، وصُكوك الأمراء المكتتبة بخطوط أيديهم ، من لدن فتح جزيرة الأندلس إلى هذا العهد القريب ، [١٤٤] ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد ، والمنة لله وحده . و إن كانت الإشارة إلى الغير[1] من الأصحاب فى الوقت ، حفظهم الله ، فكل واحد منهم إذا نُظِر إليه بعين الحق ، وُجِد أقرب منكم نسباً للخطط المعتبرة ، وأولى بميراثها بالفرض والتعصيب ، أو مساوياً على فرض المسامحة لكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، حرام دمه وماله وعرضه .

ونرجع إلى طريقة أخرى فنقول : من كان يافلان من قومكم فى عمود نسبكم فقيهاً مشهوراً ، أو كاتباً قبلكم معروفاً ، أو شاعراً مطبوعاً ، أو رجلا نبيهاً مذكوراً ، ولو كان يا لَوْشِىّ وكان ، لكان من الواجب الرجوع إلى التناصف

(١) فى النسخة المطبوعة من نفح الطيب : « الغير » .

والتواصل والتواضع ، وترك التحاسد والتباغض والتقاطع ، إن الله لا ينظر إلى صُوَركم وأبدانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .

وكذلك العَجَب كل العجب من تسميتكم الخَرِبات التى شرعتم فى بنائها بدار السلامة ، وهيهات هيهات ، المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وجَلاء ، وعَناء وفناء ، ولو لم يكن من الموعظة الواقعة بتلك الدار فى الوقت إلا موت سعيدكم عند دخولها ، لأغناكم عن العلم اليقينى بمآلها ، وأظهرتم سروراً كثيراً بما قلتم إنكم نلتم حيث أنتم من الشهوات التى ذكرتم أن منها الإكثار من الأكل والخرق ، والقعود بإزاء جارية الماء على نِطْع الجلد ، والإمساك أولى بالجواب على هذا الفصل ، فلا خفاء بما فيه من الخِسة والخبائث والخبث ، وبالجملة ، فسرور العاقل إنما ينبغى أن يكون بما يجمل تقديمه من زاد التقوى للدار الباقية ، فما العيش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا عيش الآخرة ، فقدموا إن قبلتم وَصاة الحبيب أو البغيض بَعْضاً ، عسى أن يكون لكم ، ولا تخلفوا كيلا[1] يكون عليكم ، هذا الذى قلته لكم وإن كان لدى من يقف عليه من نمط[2] الكثير ، فهو فى اعتبار المكان ، وما مر من الزمان فى حيّز اليسير ، وهو فى نفسه قول حق وصدق ، ومُستَنَدُ أكثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبيائه ، فاحمدوا الله العلى العظيم على تذكيركم به ، إذ هو مجرى النصيحة الصريحة ، يسّرنى الله وإياكم للُيسْرَى ، وجعلنا ممن ذُكِّر فانتفع بالذكرى ، والسلام .

انتهى كلام القاضى ابن الحسن النَّباهى رحمه الله .

[١٤٥]

قلت : ولعل هذا الكلام وأشباهه هو الحامل لابن الخطيب على هجو القاضى

(١) كذا فى ط . وفى ت ونفح الطيب : « كلا » .
(٢) فى النسخة الخطية من نفح الطيب : « وغط » .

ابن الحسن المذكور فى الكتيبة الكامنة ، حيث ذكره ولقبه بجُعْسوس[١] ، ووصفه بما لا يليق ذكره ، ثم ألف فى ذلك تأليفاً مستقلا ، سماه بخلْع الرَّسَن ، فى وصف القاضى ابن الحسن ، حسبما ألفيت ذلك بخط شيخ شيخنا القاضى سيدى عبد الواحد الونشريسى رحمه الله ، ولا يخلو كلام كل واحد منهما من تحامل على صاحبه ، والله يسمح لنا ولهما بجاه النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال ولى الدين بن خلدون فى تاريخه ، فى موضع آخر ما نصه :

كان محمد بن الأحمر المخلوع قد رجع من رُندة إلى ملكه بغرناطة ، فى جمادى من سنة ثلاث وستين ، وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المتنزى على ملكهم ، حين هرب من غَرناطة إليه ، وفاء بعهد المخلوع ، واستوى على كرسيه ، واستقل بملكه ، ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب ، فاستخلصه ، وعقد له على وزارته ، وفوض إليه فى القيام بملكه ، فاستولى عليه ، [١٤٦] وملك هواه ، وكانت عينه ممتدة إلى المغرب وسكناه إلى إن نزلت به آفة فى رياسته ، فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه ، وكان لأبناء السلطان أبى الحسن كلهم غيرةٌ من[٢] ولد عمهم السلطان أبى على ، ويخشونهم على أمرهم ، ولما لحق الأمير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن بالأندلس ، اصطفاه ابن الخطيب ، واستخلصه لنجواه ، ورفع فى الدولة رتبته ، وأعلى منزلته ، وحمل السلطان على أن عقد له على الغُزاة المجاهدين من زناتة ، مكان بنى عمه من الأعياض[٣] ، فكانت له آثار فى الاضطلاع بها ، ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره ، واستقل بملكه ، وكان ابن الخطيب ساعياً فى مرضاته عند سلطانه ، فدس[٤] إليه باعتقال عبد الرحمن

(١) الجعسوس : القصير الدميم .
(٢) فى تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٣٧ طبعة بلاق) : « على » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الأعياس » .
(٤) كذا فى ط وتاريخ ابن خلدون ونفح الطيب . وفى ت : « فأسر » .

ابن أبي يفلوسن ، ووزيره [المطارد به][1] مسعود بن ماساى ؛ وأدار ابنُ الخطيب فى ذلك مكرَه ، وحمل السلطان عليهما ، إلى أن سطا بهما ابن الأحمر ، واعتقلهما سائرَ أيام السلطان عبد العزيز ؛ وتغيّر الجو بين ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم ، وتنكّر له ، فنزع عنه إلى عبد العزيز[2] سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين ، لِمَا قَدَّم من الوسائل ، ومهَّد من السوابق ؛ فقبله السلطان ، وأحلّه من مجلسه محل الاصطفاء والقرب ، وخاطب ابنَ الأحمر فى أهله وولده ، فبعثهم إليه ، واستقر فى جملة السلطان . ثم تأكدت العداوة بينه و بين ابن الأحمر ، فرغّب السلطانَ [عبد العزيز][3] فى ملك الأندلس ، وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تِلِمسان إلى المغرب ؛ ونَمَى ذلك إلى ابن الأحمر ، فبعث إلى السلطان
[١٤٧] [عبد العزيز][3] بهديّة لم يُسْمَع بمثلها ، انتقى فيها من متاع الأندلس وماعونها ، وبغالها الفارهة ومَعْلوجيّ[4] السَّبْي وجواريه ، وأوفد بها رسله ، يطلب إسلام وزيره ابن الخطيب إليه ، فأبى السلطان من ذلك ونَكِره . ولما هلك واستبد الوزير ابن غازى بالأمر ، تحيز إليه ابن الخطيب وداخله ، وخاطبه ابن الأحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان [عبد العزيز][3] ، فلجّ واستنكف عن ذلك وأقبح الردّ ، وانصرف رسوله إليه وقد رَهِب سطوته ؛ فأظلق ابن الأحمر لِحينه عبدَ الرحمن بن أبى يفلوسن ، وأركبه الأسطول وقذف به إلى ساحل بطوية[5] ، ومعه الوزير مسعود بن ماساى ، ونهض — [يعنى ابن الأحمر] —[3] إلى جبل الفتح ، فنازله بعساكره ، ونزل عبد الرحمن ببطوية .

(١) زيادة عن ابن خلدون .
(٢) العبارة من قوله « وتغير الجو » إلى قوله « عبد العزيز » ساقطة فى تاريخ ابن خلدون .
(٣) زيادة عن نفح الطيب .
(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .
(٥) بطوية : من حصون ورباطات سفاقس ، وهى على البحر وبها منار مفرط فى الارتفاع . (عن المغرب للبكرى) .

ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا، تركته لطوله، وملخصه: أن الوزير أبا بكر ابن غازى، الذى كان معه[1] ابن الخطيب، ولّى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة، خوفا عليها من ابن الأحمر، ونهض هو، أعنى الوزير، إلى منازلة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ببطوية، إذ كانوا قد بايعوه، فامتنع عليه، وقاتله أياما، ثم رجع إلى تازا[2]، ثم إلى فاس، واستولى عبد الرحمن على تازا، وبينما الوزير أبو بكر بفاس يدبّر الرأى، إذ وصله الخبر بأن ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبى سالم، وهو المعروف بذى الدولتين، وهذه هى دولته الأولى، وذلك أن ابن عم الوزير، وهو محمد بن عثمان، لما تولى سبتة، كان ابن الأحمر قد طاول حصار جبل الفتح، وأخذ بمخنّقه، وتكرّرت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب، فاستعتب له، وقبّح ما جاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازى، من الاستغلاظ له فى شأن ابن الخطيب وغيره، فوجد ابن الأحمر بذلك السبيل إلى غرضه، وداخله فى [١٤٨] البيعة لابن السلطان أبى سالم، من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحَوْطة والرّقبة، وأن يقيمه للمسلمين سلطانا، ولا يتركهم فوضى وهملا تحت ولاية الصبى الذى لم يبلغ، ولا تصح ولايته شرعا، وهو السعيد بن أبى فارس، الذى بايعه الوزير أبو بكر بن غازى بتلمسان حين مات أبوه، واستبد عليه، واختص ابن الأحمر أحمدَ ابن أبى سالم من بين أولئك الأبناء، لِمَا سبق بينه وبين أبيه أبى سالم من الموالاة. وكان ابن الأحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا، منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح، الذى هو محاصر له، وأن يبعثوا إليه جميع أبناء الملوك من بنى مَرِين، ليكونوا تحت حَوْطته، وأن يبعثوا إليه بالوزير ابن الخطيب متى قدَروا

(١) فى نفح الطيب: «الذى كان تحيز إليه ابن الخطيب».
(٢) تازا: موضع من أعمال بنى العافية، فى جبل منه الذهب. (عن المغرب للبكرى).

عليه ؛ فانعقد أمرهم على ذلك ، وتقبّل محمد بن عثمان شروطه ، وركب من سبتة إلى طنجة ، واستدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله ، فبايعه ، وحمل الناس على طاعته ، واستقدم أهل سبتة للبيعة وكتابتها ، فقدموا وبايعوا ، وخاطب أهل جبل الفتح ، فبايعوا ، وأفرج ابن الأحمر عنهم . وبعث إليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح ، وخاطب أهله بالرجوع إلى طاعته ؛ فارتحل ابن الأحمر من مالقة إليه ، ودخله ، ومحا دعوة بنى مرين ، مما وراء البحر ، وأهدى للسلطان أبى العباس ، وأمده بعسكر من غُزاة الأندلس ، وحمل إليه مالاً للإعانة على أمره . ولما وصل الخبر بهذا كله إلى الوزير أبى بكر بن غازى ، قامت عليه القيامة ، وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب إليه يموّه بأن هذا عن
[١٤٩] أمره ، فتبرأ من ذلك ، ولاطف ابن عمه أن ينقض ذلك الأمر ، فاعتل له بانعقاد البيعة لأبى العباس . وبينما الوزير أبو بكر ينتظر إجابة ابن عمه إلى ما رامه منه ، بلغه الخبر بأنه أشخص الأبناء المعتقلين كلهم للأندلس ، وحصلوا تحت كفالة ابن الأحمر ، فوجم وأعرض عن ابن عمه ، ونهض إلى تازا لمحاصرة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، فاهتبل[1] فى غيبة ابن عمه محمد بن عثمان مُلْكَ المغرب ، ووصله مدد السلطان ابن الأحمر من رجال الأندلس الناشبة[2] نحو ستمائة ، وعَسْكَرٌ آخر من الغُزاة . وبعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمه السلطان أحمد ، ومظاهرته ، واجتماعهما على مُلْك فاس ، وعقد بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه ، فتراضيا . وزحف محمد بن عثمان وسلطانه إلى فاس ، وبلغ الخبر إلى الوزير أبى بكر بمكانه من

(١) اهتبل : غنم .
(٢) الناشبة ، يريد : الرماة .

تازا ، فانفضّ معسكره ، ورجع إلى فاس ، ونزل بكُدْية العرائس ؛ وانتهى السلطان أبو العباس أحمد إلى زرهون[١] ، فصمد إليه الوزير بعساكره ، فاختل مَصافّه ، ورجع على عقبه مفلولا ، وانتهب عسكره ، ودخل البلد الجديد البيضاء ، وجأجأ[٢] بالعرب أولاد حسين ، فعسكروا بالزّيْتون ظاهر فاس ، فنهض إليهم الأمير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الأجلاف ، وشرّدهم إلى الصحراء ، وشارف السلطان أبو العباس أحمد بمجموعة من العرب وزناتة ، وبعثوا إلى ولىّ دولتهم ونزمار بن عريف ، بمكانه من قصره الذى اختطه بمَلوية[٣] ، فجاءهم وأطلعوه على كامن أسرارهم ، فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق ، فاجتمعوا بوادى النجا ، وتحالفوا ، ثم ارتحلوا إلى كُدْية العرائس فى ذى القعدة من سنة خمس وسبعين ، وبرز إليهم الوزير بعساكره ، فانهزمت جموعه ، [١٥٠] وأحيط به ، وخلص إلى البلد الجديد بعد غص الريق . واضطرب معسكر السلطان أبى العباس بكُدْية العرائس ، ونزل الأمير عبد الرحمن بإزائه ، وضربوا على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار ، وأنزلوا بهـا أنواع القتال والإرهاب ؛ ووصلهم مدد السلطان ابن الأحمر ، فأحكموا الحصار ، وتحكموا فى ضِياع ابن الخطيب بفاس ، فهدموها ، وعاثوا فيها . ولما كان فاتحَ سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان ابنَ عمّه الوزير أبا بكر فى النزول عن البلد الجديد ، والبيعة للسلطان ، لكون الحصار قد اشتد به ويئس ، وأعجزه المال ، فأجاب ، واشترط عليهم الأمير

---

(١) الذى فى المغرب للبكرى : « زرهونة » .

(٢) كذا فى ت ونفح الطيب : وجأجأ : أهاب ودعا . وفى ط : « وجاء » .

(٣) ملوية : نهر كبير مشهور فى المغرب الأقصى ويصب إليه نهر سجلماسة ويصيران نهرا واحدا يصب فى بحر الروم فى شرقى سبتة وجنوبها على ثلاث مئة وعشرة أميال . (عن تقويم البلدان) .

عبد الرحمن التجافى له عن أعمال مراكش بدل سجلماسة ، فعقدوا له على كَره ، وطَوَوْا على المكر ، وخرج الوزير أبو بكر إلى السلطان أبى العباس وبايعه ، واقتضى عهده بالأمان وتخلية سبيله من الوزارة ، ودخل السلطان أبو العباس إلى البلد الجديد سابع المحرم ، وارتحل الأمير عبد الرحمن يومئذ إلى مراكش ، واستولى عليها .

نكبته ووفاته

محنة ابن الخطيب ووفاته :

ثم ذكر ابن خلدون الخبر عن مقتل ابن الخطيب فقال :

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه [فاتح] (١) سنة ست وسبعين ، استقلّ بسلطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه ، وسليمان بن داود بن أعراب كبير بنى عسكر رديف له ، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر عندما بويع بطنجة على نكبة ابن الخطيب ، وإسلامه إليه ، لِمَا نَمَى إليه عنه أنه كان يغرى السلطان عبد العزيز المرينى (٢) [١٥١] بملك الأندلس ، فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ، ولقيه أبو بكر بن غازى بساحة البلد الجديد ، فهزمه السلطان ، ولازمه بالحِصار ، أوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد ، خوفا على نفسه . فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ، ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه ، فقبضوا عليه ، وأودعوه السجن ، وطيّروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر ؛ وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب ، لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على مشيخة

(١) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى ت ونفح الطيب .

الغزاة بالأندلس ، متى أعاده الله إلى ملكه ، فلما استقر له سلطانه ، أجاز له سليمان سفيرا عن [الوزير] [١] عمر بن عبد الله ، ومقتضيا عهده من السلطان ، فصده ابن الخطيب عن ذلك ، [محتجا] [١] بأن تلك الرياسة إنما هى لأعياض الملك من بنى عبد الحق ، لأنهم يعسوب زَناتة ؛ فرجع سليمان ، وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ، ثم جاوز الأندلس لمحل إمارته من جَبَل الفَتْح ، فكانت تقعُ بَيْنه و بينَ ابنِ الخطيب مُكاتباتٌ ، يشير [٢] كلٌّ واحد منهما لصاحبه بما يُحْفِظه ، مما كَمَن فى صدورهما . وحينَ بلغ خبرُ القبض على ابن الخطيب إلى السلطان ابن الأحمر بعثَ كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ، وهو أبو عبد الله ابن زَمْرك ، فقدِم على السلطان أبى العباس ، وأحضر ابنَ الخطيب بالمَشْوَر [٣] فى مجلس الخاصة ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له فى كتابه فى المحبة [٤] ، فعظُم النَّكير فيها ، فوُبِّخ ونكِّل ، وامتُحن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ ، ثم نُقِل [٥] إلى محبسه ، واشتوروا فى قتله بمقتضى تلك المقالات المسجَّلة عليه ، وأفتى بعضُ الفقهاء فيه ، ودسّ سليمانُ بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ، ومعهم زعانفة جاءوا فى لفيف الخدم ، مع سفراء السلطان ابن الأحمر ، وقتلوه خَنْقا فى محبسه ، وأُخرج شِلْوه من الغد ، فدُفن فى مقبرة باب المحروق ، [١٠٢] ثم أصبح من الغد على شافة [٦] قبره طريحا ، وقد جمعت له أعواد ، وأضرمت

(١) زيادة عن نفح الطيب .
(٢) فى نفح الطيب : « ينفث » .
(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . والمشور : يريد مجلس المشورة . (راجع تكملة المعجات لدوزى) . وفى ط : « بالمنشور » .
(٤) فى ت : « بالمحبة » .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب المطبوع . وفى ت والنسخة الخطية من نفح الطيب « ثل » .
(٦) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب المطبوع والخطى : « سافة » . وفى الاحاطة : « ساقة » . ولعل الكلمة محرفة عن : « حافة » .

عليه نار ، فاحترق شعره ، واسودّ بَشَره ، فأُعيد إلى حفرته ، وكان فى ذلك انتهاء محنته . وعجب الناس من هذه الشنعاء التى جاء بها سليمان ، واعتدُّوها من هَناته ، وعظُم النَّكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته ، والله الفعال لما يريد .

شعره فى محبسه يبكى نفسه

وكان ، عفا الله عنه ، أيام امتحانه بالسجن يتوقّع مصيبة الموت ، فتجهش هواتفه بالشعر ، يبكى نفسَه ، ومما قال فى ذلك :

بَعُدْنا وإنْ جاورتْنا البُيوتْ ... وجئْنا بوَعْظ ونحن صُموتْ
وأنفاسُنا سكنت دَفعةً ... كَجَهْر الصلاة تلاه القُنوت
وكُنّا عِظامًا فصِرْنا عظاما ... وكنا نَقُوت فهـا نحن قُوت
وكنّا شموسَ سماء العُلا ... غَرَبن فناحت علينا السّموت[1]
فكم خَذَلَتْ ذا الحُسام الظُّبا ... وذو البُخت كم جَدَّلَته البُخوت
وكم سِيقَ للقبر فى خِرْقة ... فتًى مُلِئت من كُساه التُّخوت
فقُلْ للعدا ذهب ابن الخطيب ... وفات ومَنْ ذا الذى لا يفوت
ومَنْ كان يفرح منهم له ... فقُل : يفرح اليومَ من لا يموتْ

انتهى كلام ابن خلدون فى ديوان العبر .

تخميس لبعض بنى الصباغ

ورأيت تخميسا لبعض بنى الصباغ على هذه القطعة ، لكنّه زاد فيها بعضَ أبيات على ما ذكره ابن خلدون ، وها أنا أثبتُه تتميما للفائدة ، وهو :

أيا جاهلا غرّه ما يفوتْ ... وأَلْهاه حالٌ قليلُ الثبوتْ
تأمّل لمن بعد أنسٍ يَصُوتْ[2] ... بعدنا وإن جاورتنا البيوتْ
وجئنا بوعظ ونحن صموتْ

(١) السموت : الطرق ؛ الواحد : سمت . ولعله يريد : مدارات النجوم .
(٢) فى ط ونفح الطيب : « يفوت » .

لقد نِلتُ من دَهْرنا رِفْعــةً تقضَّت كبَرْق مضَى سُرْعةً
فهيهات ترجو لها رجعــةً وأصواتنا[1] سَكنت دَفعــةً
كجهر الصلاة تلاه القنوتْ

بدا لى من العِزِّ وجهٌ شــبابُ يُؤَمِّــل سَيْبى وبأسى يُهابُ[2] [١٠٣]
فسَرعان مُزِّق ذاك الإهابُ ومَدّت وقــد أنكرتنا الثيابُ
علينا[3] نسائجَها العنكبوتْ

فآها لعزٍّ تقضَّى مَنــامَا مُنِحْنا به الجاه دَوْما[4] كِرامَا
وكنّا نَسُوس أمورًا عظامَا وكنّا عِظاما فصِرْنا عِظامَا
وكنّا نقوتُ فها نحن قُوتْ

وكنّا لذا المُلْكَ حَلْىَ الطُّلاَ فآها عليه زماناً خــلاَ
نُعَوَّض من جِــدَّة بالبِلَى وكنا شُموسَ سماء العُــلاَ
غَرَبْن فناحت علينا السُّموتْ

تعوّدْتُ بالرغم صرفَ الليالِى وحَمَّلْتُ نفسِىَ فوقَ احتمالِى
وأيقنتُ أنْ سوف يأتى ارتحالِى ومَنْ كانَ مُنتظراً للزوالِ
فكيف يُؤمِّل منه الثبوتْ

(١) فيما مر : « وأنفاسنا » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . والسيب : العطاء . وفى ت : « يؤمن شيبى » . وفى ط : « يؤمن سيفى وسيفى .. الخ » .
(٣) فى ط : « عليها » .
(٤) كذا فى ت . وفى ط : « قدما » . وفى نفح الطيب : « قوما » .

هو الموت يا ما له من نَبَا[١] يَجوز الحِجابَ إلى مَنْ أبَى
ويألف[٢] أخذ سنىّ الخِبَا[٣] فكم أسْلَمَتْ ذا الحُسَام الظُّبَا
وذا البخت كم جَدَّلته البُخوتْ

هو الموتُ أفصَحَ من عُجْمةٍ وأيقظَ بالوعظ من نَوْمةٍ
وسلّى عن الحزن ذا حُرْقَةٍ فكم سِيق للقبرِ[٤] فى خِرْقَةٍ
فتى مُلِئتْ من كُساه التُّخوتْ

تقضّى زمانى بعَيْشٍ خَصيبِ وعندى لذَنْبِى انكسارُ المُنيبِ
وها الموتُ قد صُبْت منه نصيبى[٥] فقل للعدا ذهب ابن الخطيبِ
وفات ومن ذا الذى لا يفوتْ

مضَى ابنُ الخطيب كمن قبلَهُ ومَنْ بعده يَقْتفى سُبْلَهُ
وهذا الرَّدى ناثر شملَهُ[٦] فمن كان يفرح منهم لَهُ
فقل يفرح اليوم من لا يموتْ

---

(١) يريد : « نبأ » فسهل للشعر .
(٢) كذا فى نفح الطيب المطبوع . وفى الأصلين والنسخة الخطية من نفح الطيب : « ويأنف » .
(٣) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب ، يريد : الخباء ، وقصره للشعر . ويريد بسنى الخباء : الشريف العزيز الممتنع فى خبائه . وفى الأصلين ونفح الطيب المطبوع : « الحبا » .
(٤) فى ت (هنا) : « للموت » .
(٥) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط . وفى ت : « قد ضقت منه نصيب » . وفى ط : « قد ضمت منه نصيب » .
(٦) موضع هذا الشطر فى الأصلين بياض . وقد زدناه عن نفح الطيب .

هو الموتُ عَمَّ فما للعِـــدَا يُسَرُّون بى حين[1] ذُقتُ الردَى
ومن فاته اليومَ يأتى غـــدَا سَيَبْلى الجديدُ إذا ما المدَى
تتابع آحادُه والسُّبوتْ [١٠٤

أُخَىَّ توخَّ طـــريقَ النجاةِ وقدِّم لنفسك قبـــل المماتِ
وشمِّر بجِدٍّ لمـــــا هو آتِى ولا تغترِرْ بسَراب الحياةِ
فإنك عمّا قريب تموتْ

انتهى . وقد تذكرت بقوله :

سيبلى الجـــديد إذا ما المدا تتابع آحاده والســـــبوت

قول الآخر :

نَطوِى سُبوتا وآحادا ونَنْشرها ونحن فى الطَّىِّ بين السَّبْتِ والأحدِ
فَعُدَّ ما شئتَ من سَبْت ومن أحدٍ لا بُد أن يدخل المطْوِىُّ فى العَدَدِ

مر ابن الخطيب شعره :

قال بعض الأعلام : شعر ابن الخطيب ما بعده مطمع لطامع ، ولا مُعَرَّج على شاعر بعده للآذان والمسامع ؛ فمن ذلك قوله سامحه الله :

عسى خَطْرَةٌ[2] بالرَّكْب ياحادىَ العِيسِ على الهضْبةِ الشمّاء من قَصْر باديسِ[3]

(١) فى ت : « حيث » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٨٤) . وفى ت : « نظرة » .
(٣) باديس : فرضة بينها وبين سبتة مئة ميل ، ويقابلها من الأندلس مالقة . (عن تقويم البلدان) .

لنَظْفر من ذاك الزُّلال بغُـــلّة ... ونَنْعم فى تلك الظِّلال بتَعْريس (١)

حَبَسْت بها رَكْبى فُواقاً وإنّمـــا ... عَقَدْت على قلبى لها عَقْد تَحْبيس (٢)

لقد رسخت آىُ الجَوا فى جَوانحى ... كما رَسخ الإنجيل فى قلب قِسّيس

بمَيْدان جَفْنى للسّهاد كَتيبةٌ ... تُغيرعلى سَرْح الكَرَى فى كَراديس (٣)

وما بىَ إلا نَفْحـــــة حاجريّة ... سَرَتْ والدجَى ما بين وَهْن وتَغْليس (٤)

أَلاَ نَفَسٌ ياريحُ من جانب الحِمَى ... تُنفِّس من نار الجوى بعضَ تَنْفيس

وياقلب لا تُلْقِ الســـلاح فربما ... تعـذَّر فى الدهر اطِّرادُ المقاييس

وقد تُعْتِب الأيامُ بعـــد عِتابها ... وقد يُعْقِب الله النعيمَ من البُوس

ولا تخشى لُجَّ الدمع يا خَطْرة الكَرَى ... إلى الجفن بل قِيسى على صَرْح بِلْقِيس (٥)

تقول سُلَيْمَى : ما لجسمِك شاحباً ... مقالةَ تأنيب يُشـــاب بتأنيس

وقد كنتَ تعطُو كلما هبّت الصَّبا ... بريّانَ فى ماء الشَّبيبة مغموس

ومن رَابَح الأيام يا بنتَ عامر ... يَجُوب الفَـلا راحت يداه بتَفْليس (٦)

---

(١) التعريس : النزول للاستراحة آخر الليل .

(٢) الفواق (بالضم والفتح) : ما بين الحلبتين من الوقت ؛ أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع . يريد : وقتا قصيرا .

(٣) الكراديس : القطع العظيمة من الخيل . يريد : جيوش السهاد .

(٤) حاجرية : نسبة إلى حاجر . وهو منزل من منازل الحاج . والوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . والتغليس : آخره .

(٥) لا تخش : الصواب فيه فتح الشين وإسكان الياء ، إلا أن الوزن لا يستقيم بهذا الضبط . ويشير بصرح بلقيس إلى الآية الكريمة : « قيل لها ادخلى الصرح » .

(٦) رابح الأيام : غالبها ، يرجو أن ترجح كفته .

فلا تحسبى والصدقُ خيرُ[١] سجيّة ظُهورَ النّوَى إلاّ بطونَ النواميسِ[٢]
وقفـــــراء أما رَكْبها فمُضلّل ومَرْبعَها من آنس غيرُ مأنوس[٣]
سَـــنحنا[٤] بها من هضْبة لقَرارة ضَلالا وملْنا من كِناس إلى خِيس[٥]
إذا ما نهضنا عن[٦] مَقيلِ غَزالة نزلنا فعرّسنا بساحة عِرّيس[٧] [١٠٥]
أدرنا بها كأْساً دِهاقاً من السُّرَى أملنا بها عند الصّباح من الروس
وحَانة خَمّار هدانا لقَصْدها شَميمُ الحُمَيّا واصطكاك النّواقيس
تَطَلّع رَبّانيُّها من جِـــــداره يُهينَمْ فى جُنح الظلام بتَقْديس
بكرْنا وقُلْنا إذْ نزلنا بساحة عن الصافناتِ الجُردِ والضُّمّرِ العِيس
أيا عابدَ الناسوت إنا عِصـــابة أتينا لتَثْليث بَلَى ولتَسْـــديس
وما قَصْـــدنا إلا المقام بحَانة وكم أُلبِسَ الحقّ المبينُ بتَلْبيس
فأنزلنا قَوراء فى جَنَباتهـــا[٨] محاربب شتّى لاختلافِ النواميس
بَدَرْنا بها طين الختام بسَـــجْدة أردنا بها تجـــديد حَسْرة إبليس
ودار العَذارى بالمُدام كأنها قطاً تتهادى فى رياش الطّواويس
وصارَفنا فيها نُضارا بمثـــــله كأنا ملأنا الكأس ليلا من الكِيس

---

(١) فى ت : « غير » . وهو تحريف .
(٢) كذا فى الأصلين ونفح الطيب المخطوط والمطبوع . ولعلها محرفة عن « النواويس » بمعنى القبور .
(٣) المربع : الموضع الذى يرتبع فيه فى الربيع .
(٤) فى نفح الطيب : « سحبنا » .
(٥) الكناس : بيت الظبى . والخيس : موضع الأسد .
(٦) فى ت : « من » .
(٧) العريس : مأوى الأسد .
(٨) فى نفح الطيب المخطوط والمطبوع : « فأنزلنا فورا على جنباتها » .

وقُمنا نَشَاوَى عندما[١] متعَ الضُّحى ... كما نهضت غُلْب الأُسود من الخِيسِ[٢]
فقال : لبئس المُسلمون ضيوفنا ... أما وأبيك الحَبْرِ[٣] ما نحن بالبيس[٤]
وهل فى بنى مَنْـــواك إلا مُبرّز ... بحَلْبة شُورَى أو بحَلْقة تدريس
إذا هز عَسَّالَ اليَراعة فاتـكاً ... أسالَ نجيع الحِبْرِ فوق القراطيس
يقلِّب تحت النَّقْع مُقْلة ضاحك ... إذا التفتَ الأبطالُ عن مُقَل شُوس[٥]
سَبينا عُقار الروم فى عُقْر خاننا[٦] ... بحيلة[٧] تَمْوِيه وخُدعة تَدْليس
لئن أنكرتْ شَكْلى ففضلىَ واضحٌ ... وهل جائز فى العَقْل إنكار محسوس!
رسبت بأقصى الغرب ذُخْر مَضَنَّةٍ[٨] ... وكم دُرّة علياء فى قاع قاموس
وأغربت سُوسِى[٩] بالعُذَيْب و بارق ... على وَطن دانى الجِوار من الشُّوس[١٠]

قصيدة لابن الخطيب فى المولد النوى

ومن ذلك قوله رحمه الله فى الميلاد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام يمدح مخدومه أبا عبد الله المخلوع :

ما على القلب بعدكم من جُناح ... أن يُرَى طائراً بغَـــير جَناحِ

(١) فى ت : « بعدما » .
(٢) متع الضحى : بلغ آخر غايته .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « الخير » .
(٤) بالبيس : يريد : بالبئس ، أى لسنا بمن يقال لهم : بئس المسلمون .
(٥) شوس ، أى تنظر بمؤخر العيون غضبا .
(٦) فى نفح الطيب : « دارها » .
(٧) فى ط ونفح الطيب : « بحلية » .
(٨) فى نفح الطيب : « ثغر مضلة » .
(٩) كذا فى الأصلين ونفح الطيب المطبوع . والسوس (هنا) : السجية والطبع . وفى النسخة الخطية من نفح الطيب : « موسى » .
(١٠) العذيب وبارق : موضعان بالكوفة وفيهما يقول أبو الطيب :
تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق
والسوس : كورة بالمغرب مدينتها طنجة .

وعلى الشوق أن يُشَبّ إذا هـــبّ بأنفاسكم نسيمُ الضباحِ
جيرةَ الحى والحديث شُجون والليالى تلينُ بعـــد الجِماح
أترَوْن السّـــلُوّ خامَر قلبى بعدكم ؟ لا ، وفالقِ الإصباح
ولَوَ أنى أُعْطَى اقتراحى على الأيّـــام ما كان بُعْدُكم باقتراحى [١٠٦]
ضايقتنى فيكُمُ صروفُ الليالى واستدارت عَلَىّ دَوْر الوِشاح[1]
وسَقَتنى كأس الفراق دِهاقاً فى اغتباق مُواصِلٍ واصْطباح[2]
واستباحت من جِدّتى وفتائى حَرَمًا لَمْ أَخَلْهُ بالمُسْتَباح

ومنها :

ياتُرَى والنفوس أسْرَى أمانى مالها من[3] وَثاقها من سَراح
هل يُباح الوُرود بعـــد ذِياد أو يُباح اللّقاء بعد انتزاح
وإذا أعوذَ الجسومَ التـلاقى نابَ عنـه تعارُفُ الأرواح

قصيدة لأبى زكريا ابن خلدون يحاكى بها قصيدة ابن الخطيب

وهى طويلة ، ولم يحضرنى منها فى هذا التاريخ سوى ما كتبته . قلت : وأظن أن الفقيه الكاتب أبا زكريا يحيى بن خَلدون كاتب الإنشاء بتِلِمْسان المحروسة ، أيام السلطان أبى حمو[4] موسى بن يوسف الزّيانى رحمه الله نسج على مِنوال هذه القصيدة فى قصيدة بديعة له ، ورفعها إلى السلطان أبى حمو فى مولد سنة

(١) الوشاح (بالضم والكسر) : أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها .
(٢) الاغتباق : شرب الغبوق ، وهو شراب العشى . والاصطباح : شرب الصبوح ، وهو شراب الصبح .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٦٠٢) . وفى ت : « عن » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين هنا : « حم » .

ثمان وسبعين وسبع مئة . وهذا ابن خلدون أخو ولى الدين صاحب التاريخ المشهور ، ونص القصيدة :

ما على الصَّب فى الهوى من جُناحِ ... أنْ يُرَى حِلْف عَبْرة وافتضاحِ
وإذا ما المُحِبّ عِيلَ اصطبارا ... كيف يُصغِى إلى نصيحة لاحى
يا رَعَى الله بالمُحصَّب رَبْعـــا ... آذنتْ عهدَه النوَى بانتزاح(١)
كم أدرنا كأسَ الهوى فيه مَزْجا ... رُبَّ جِدٍّ من الجَوى فى المُزاح
هل إلى رَسمـــه المُحِيل سَبيل ... يا حُداة المطىِّ تلك الطِّلاح(٢)
نسأل الدار بالخَليط ونسقى ... ذلك الربع بالدُّموع السِّفاح
أىَّ شَجْو عاينتُ بعـــد نَواها ... من أسًى لازم وصَـــبْرٍ مُزاح(٣)
أَهْلَ وُدّى إنْ رابَكُم بَرْحُ وَجْدى ... من صَبًا بارحٍ و بَرْق لَياح
فاسألوا البرق عن خُفوق فؤادى ... والصَّبًا عن سَقام جِسْمى المُتاح
يا أُهيـــل الحمى نداء مَشُوق ... ما له عن هوى الدُّمى من بَرَاح
طالما استعذب المَدامعَ وِرْداً ... فى هواكم عن كلّ عَذب قَراح
[١٠٧] عاده بالطُّلول للشوق عِيـــدُ ... من حَمام بدَوْحهن صِدَاح
مَنْ لقلبٍ من الجَوى فى ضِرام ... ولجَفْن من البُكا فى جِراح
ولصَبٍّ يَهيجه الذكرُ شوقاً ... فهو سُكْراً يرتاح من غـير راح
ولَيال قضيتُ للَّهو فيهـــا ... وَطَرا والشباب ضافِى الجَناح

(١) المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب . (عن معجم البلدان) .
(٢) الطلاح : الإبل التى أعياها السفر وأضناها .
(٣) مزاح : بعيد .

راكباً فى الهوى ذَلُول تَصابٍ[1] ساحباً فى الغرام ذيلَ مَراحِ
ونجومُ المُنى تُنير إلى أن رَوَّع الشيْبُ سِرْبها بالصباح
أىّ مسْرًى حَمِدتُ لم أخل[2] منه بسوى حسرةٍ وطول افتضاح
وَاخَسارِى يوم القيامة إنْ لم يغفرِ اللهُ زَلَّتى واجتراحى
لم أقدِّم وسيلةً فيه إلا حُبَّ خيرِ الورَى الشفيع الماحى
سيّدِ العالمين دُنيا وأخرى أشرفِ الخلق فى العُلا والسَّماح
سيدِ الكون من سَماء وأرض سِرُّه بين غاية وافتتاح
زَهْرةِ الغَيْب مَظْهَر الوَحْى معنَى النور كُنْه المِشْكاة والمِصْباح
آيَة المكرُمات قُطْب المَعالى مصطفى الله من قُريش البِطاح
أوّل الأنبياء تَخْصيص زُلْفى آخر المرسلين بعثَ نجاح
صفوةِ الخلق أرفع الرسْل قَدْرا وسراج الهدى وشمسِ الفلاح
مَنْ لميلاده بمكة ضاءت من قُرَى قَيصَرٍ جميعُ الضواحى
وخَبَتْ نار فارسٍ وتداعتْ مِنْ مَشيد الإيوان كلُّ النواحى
من رَقِى فى السماء سبْعاً طِباقا ورأى آىَ ربّه فى اتضاح
ودنا منه قابَ قوسين قُرْبا ظافراً فى العُلى بكلّ اقتراح
من هَدَى الخلقَ بين حُمْر وسُودٍ وجلَا ليلَ غَيّهم بالصّباح
من يُجير الورى غدا يوم يُجْزَى كلُّ عاص وطائع باجتراح

(١) فى نفح الطيب : « نقاب » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب الخطى والمطبوع . وفى ت : « لم أنل » .

مَن إلى حَوْضــه وظلِّ لِواه[1] يلجأ الناسُ بين ظامٍ وضَاحِى[2]
أحمــدَ المجتَبَى حبيباً وأنّى فوق عِزِّ الحبيب مَرْمى طِماح
فى أناجيــــله المَسيحُ تلاه باسمــه والكليمُ فى الألواح
ولَكَمْ حُجّةٍ وبرهانِ صــدقٍ فى سَماعٍ أتَى بهــا والْتِماح
إنّ فى النَّجم والنباتِ لآيًا بَهَرَتْ والجمــادِ والأرواح
معجزات فُتْن المَدارِكَ وصْــفاً وحِسَابا كالزُّهْر أو كالصَّــباح
يا رُواة القَريض والشّعر عجزاً ما عسى تُدْرِكون بالأمداح
[١٥٨] إنما حَسْبنا الصــلاةُ عليه وهى للفوز آيةُ ٱستفتاح
يا إلهى بحق أحمــــدَ عفْواً عن[3] ذُنوبٍ جَنيتُهنَّ قِباح
وأدِمْ دولةَ الخليفــةِ موسى ذى المَعالى المُبينَة الأوضاح
مفْخَرُ المُلْكِ مستقرّ المزايا مَظْهر اللُّطف ذو التقى والصّلاح
ناصرُ الحق خاذل الجَور عَــدْلا ملجأ الخائفين بحرُ السَّماح
يَتلقّى النَّــــدى بوجهٍ حَيِيٍّ ويُلاقى العِــدا ببأس صِفَاح
وله المَكْرُمات إرثاً ولُبْساً[4] حاز حَمْــدا بها مُعَلَّى القِــدَاح
مِنْ عُلًا باذخٍ وفَخْرٍ صَمِيم وكمالٍ بحْتٍ ومَجْــدٍ صُراح
وأحاديثَ فى المَعالى حِسانٍ رُوِيتْ عنــه فى العَوالى الصِّحاح
عاقد صفْقَةَ العُــلَا كُلَّ حِينٍ فائز فيــه سعْيُه بالرَّبَاح

(١) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « حماه » .
(٢) الضاحى : الذى يبرز للشمس ويصلى حرها .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « من » .
(٤) كذا فى الأصلين ونفح الطيب . ولعلها : « كسبا » .

للندى والهدى يَرُوح ويَغْدُو أىَّ مَغْـدًى إلى العُلَا وَمَراحِ
مَلِكٌ تُشْرق الأسِرَّة منـــه فى سَماء السَّرير نُور صَـــباح
وإذا ما عَـــلَا بعَـالى العوالى صَهوةَ الجُرْد فهْو ليْث الـكِفاح
لَبِس الدهرُ منه حُـــلَّةَ حُسْن وثَنَى للسُّرور عِطْفَ مِرَاح
وعَلَا عاتِقَ الخِلافة منـــه طِرْز فَخْرٍ سَـــبَى النُّهَى بالتماح
وَرِث المُلْك شـامخاً عن سَراةٍ شيّدوا رُكْنه بأيدى الصَّـــفاح
مِنْ بَنِي القاسم الذين تحلَّوا بالمعـالى واســـتأثروا بالفلاح
فَرَعُوا هَضْبةَ الخلافة مَجْـــداً رَفَعوا سَـــقْفه على الأرماح
نَشروا رايةَ المفاخر حَمْـداً خافقَ النور بالرُّبَا والبِطاح
يا إماما بَذَّ المـــلوكَ جلالاً وجَمَـــالا فُدِّيتَ بالأرواح
أنت شمسُ الـكمال دُمْتَ عَلِيًّا فى اغتباق من المُنى واصْطِباح
وبَنُوك الأعلوْن أنجُمُ سَـــعْدٍ زاهِراتٌ بنُـــورِك الوضَّاح
وأبو تاشَـــفِين بَدرٌ مُنير زانهُ الله بالخِلال الصِّـــباح
أكْمل العالمين خَلْقاً وخُلْقاً أشرف الناس فى النَّدى والـكِفاح
وبكم زُيِّنَتْ سَماء المعـالى واهتدى الناسُ فى الدُّجى والصباح

قلت : قوله :

أكمل العـالمين خلقا وخلقا أشرف الناس فى الندى والـكفاح

لا يخلو من قلة تحفظ ، ومثل هذا فى الحقيقة إنما يُطلق على رسول صلى الله عليه [١٠٩]
وسلم ، وإن كان المتكلّم أراد أهل عصره .

وصف ليالى مولد النبى أيام السلطان أبى حمو

وكان السلطان أبو حَمو[١] موسى بن يوسف الممدوح فى هذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال ، كما كان ملوك المغرب والأندلس فى ذلك العصر وما قبله يَعْتنون بذلك ، ولا يقع منهم فيه إغفال ؛ وقد تقدم أن العَزْفِيّ صاحب سِبتة هو الذى سَنّ ذلك فى بلاد المغرب ، وأتى بزُلْفى تُدنيه إلى الله وتُقرّب ؛ واقتفى الناس سَنَنَه ، وتقلدوا مِنَنَه ؛ تعظيما للجناب الذى [وَجب] له السموّ والعلو ، على أن بعضهم قد خرج فى ذلك إلى حدّ الإسراف والغلو ؛ وكل يعمل على شاكلته .

ومن جملة احتفال السلطان أبى حمو[١] المذكور ما قاله صاحب راح الأرواح[٢] : « إنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوىّ ، على صاحبه الصلاة والسلام ، بمشورة من تِلِمْسان المحروسة ، مَدْعاةً حَفيلة ، يحشُر فيها الناس خاصة وعامة ، فما شئت من نمارق مصفوفه ، وزَرَابِىّ مبثوثه ؛ وبُسُط مُوَشّاه ، ووسائد بالذهب مُغَشّاه ؛ وشمع كالأسطوانات ، وموائد كالهالات ؛ ومَباخر صُفْر منصوبة كالقباب ، يخالها المبصر من تِبْر [مذاب][٣] ؛ ويُفاض على الجميع أنواع الأطعمه ، كأنها أزهار الربيع المنمنمه ؛ تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ، ويخالط حُسن ريّاها[٤] الأرواح ويُخامر ؛ رُتّب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال ، وقد علت الجميع أُبّهة الوقار والإجلال ؛ وبعقب ذلك يحتفل المُسْمِعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومُكفِّرات ترغّب فى الإقلاع عن الآثام ؛ يخرجون فيها من فن إلى فن ، ومن أسلوب إلى أسلوب ؛ ويأتون من ذلك بما[٥] تطرب له [١٦٠]

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « أبو حم » .
(٢) صاحب راح الأرواح هو أبو عبد الله التنسى ثم التلمسانى .
(٣) التكملة عن نفح الطيب .
(٤) فى ط : « رؤياها » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « ما » .

النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب ؛ وبالقرب من السلطان ، رضوان الله عليه ، خزانة [المِنْجانة[١] ، قد زُخْرِفت كأنها حُلَّة يمانيه ، لها أبواب مُرْتَجَة[٢] ، على عدد ساعات][٣] الليل الزمانيـه ؛ فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها ، وفتح عند ذلك باب من أبوابها ؛ وبرزت منه جارية صُوِّرت فى أحسن صوره ، فى يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطوره ؛ فتضعها بين يدى السلطان بلطافه ، ويُسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافه ؛ هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصباح ، ونداء المنادى حىّ على الفلاح » .

انتهى كلام صاحب راح الأرواح .

وقال[٤] فى نظم الدرر والعقيان فى هذا المعنى ما نصه :

«وكان ، يعنى السلطان أبا حمو ، يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم ، يُقيم مَدْعاة ، يحشر لها الأشراف والسُّوقة ، فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزَرابىّ مبثوثة ، وشمع كالأسطوانات ، وأعيان الحضرة على مراتبهم ، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخزّ الملون ، وبأيديهم مباخر ومِرشّات ، ينال كل منها بحظه ، وخزانة المنجانة ذات تماثيل لُجين محكمة الصنعة ، بأعلاها أيكة تحمل طائرا ، فَرْخاه تحت جناحيه ، ويَختلِه فيهما[٥] أرقم ، خارج من كَوّة بجذر الأيكة صُعُدا[٦] ، وبصَدْرها أبواب مُرْتجة

(١) المنجانة : آلة لرصد الوقت . (انظر تكملة المعجمات لدوزى) .
(٢) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب وفيما سيأتى فى الأصلين . وفى الأصلين هنا ونفح الطيب المطبوع : « موجفة » .
(٣) التكملة عن ت ونفح الطيب .
(٤) يريد أبا عبد الله التلمسانى ثم التنسى صاحب راح الأرواح .
(٥) فى نفح الطيب : « فيها » .
(٦) فى نفح الطيب : « صاعدا » .

بعدد ساعات الله الزمانية ، يصاقب طَرَفيها بابان كبيران ، وفوق جميعها دُوَيْن رأس الخِزانة ، قمر أكمل ، يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك ، و يُسامت أول كل ساعة بابُها المرتَج ، فينقَضُّ من البابين الكبيرين عُقَابان ، بِفِي[1] كل واحد منهما صَنْجة صُفْر ، يلقيها إلى طَسْت من الصُّفْر مجوّف ، بوسطه ثقب يفضى بها إلى داخل الخِزانة فيرنّ ، وينهَش الأرقم أحد الفَرخين ، فيصفِر له أبواه ، فهنا [١٦١] يفتح باب الساعة الذاهبة ، وتبرز منه جارية محتزِمة ، كأظرف ما أنت راء ، بيمناها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ، ويُسراها موضوعة على فيها ، كالمُبايعة بالخلافة ، والمُسْمِع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يُؤتى آخرَ الليل بموائد كالهالات دَوْرا ، والرياض نَوْرا ؛ قد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشتهيها الأنفس ، وتستحسنها الأعين ، وتَلَذّ بسماع أسمائها الأذن ، ويَشْره مُبْصِرها للقرب منها والتناول و إن كان ليس بغَرْثان ؛ والسلطان لم يفارق مجلسه الذى ابتدأ جلوسه فيه ، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع ، حتى يصلّى هنالك صلاة الصبح .

على هذا الأسلوب تمضى ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جميع أيام دولته ، أعلى الله مَقامه فى علّيين ، وشكر له فى ذلك صنعه الجميل ، آمين .

وما من ليلة مولد مرت فى أيامه إلا ونظم فيها [قصيدا] [2] فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم أول ما يبتدئ المُسْمع فى ذلك المحفل العظيم بإنشاده ، ثم يتلوه إنشاد مَنْ رفع إلى مَقامه العلى فى تلك الليلة نظما » .

انتهى كلام صاحب نظم الدرر والعقيان ، وهو أتم مَساقا من كلامه فى راح الأرواح .

(١) فى نفح الطيب : « فى يد » .
(٢) زيادة عن ث ونفح الطيب .

شعر لأبى زكريا يحيى بن خلدون فى المنجانة

أقول : ولا بد أن نذكر جملة من القطع التى أنشأها الكاتب أبو زكرياء يحيى بن خلدون كاتب السلطان أبى حمو المذكور ، على لسان جارية المِنْجانة ، مخاطبة بما مر من الليل ، وكانت الجارية تأتى بها فى يدها اليمنى ، كما ذكرناه ؛ فمن ذلك [قوله رحمه الله فى مضىّ ساعتين من الليل :

أخليفةَ الرحمن والملكَ الذى تعنو لعزّ عُلاه أملاكُ البَشَرْ
لله مجلسُك الذى يحكى عُـــلاً بك مالِكى أفقَ السماء لمن نظر
أوَ ما ترى فيـه النجومَ زواهرا وجهُ الخليفة بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قد انقضت تُثْنى عليك ثَنا الرياض على المطر
لا زال هذا المُلْك منصوراً بكم وبلغتَ ممّـا ترتجى أسنى الوطر

و] قوله رحمه الله فى انقضاء ثلاث ساعات من الليل : [١٦٢]

أمولاى يابن المـلوك الأُلى لهم فى المَعالى سَنِىّ الرتَبْ
تولت ثلاثٌ من الليل أبْـــقت لك الفخرَ فى عُجْمها والعرب
فدُمْ حجةَ الله فى أرضـــه تنالُ الذى شئته من أرب

وقوله رحمه الله فى مضى ست ساعات :

يا ماجدا وهو فردُ تخاله فى عَساكرْ
سِتٌّ من الليل ولّت ما إن لها من نظائر
دامت لَياليك حتى إلى المَعاد نَواضر

وقوله رحمه الله فى مُضِىّ ثمان ساعات :

يا أكرمَ الخلق ذاتاً وأشرفَ الناس أُسْرَهْ
مَرّتْ ثمانٌ وأبْقَتْ فى القلب مِنّىَ حَسْره

فيهنّ كان شبابى أخا نعيمٍ ونَضْره
وَلّى بها الدهرُ عَنّى تُرَى لها بَعْدُ كَرّه
فالله يُبقيك مَوْلَى يُطيل فى السعد عُمْره

وقوله رحمه الله فى مضى عشر ساعات :

يا مالك الخير والخيل التى حكمتْ له بعِزٍّ على الأيام مُقْتَبَلِ
هذا الصباح وقد لاحت بشائرُه والليلُ وَدَّعنا توديعَ مُرْتحل
لله عشرٌ من الساعات باهرةٌ مَضَيْن لا عن قِلًى منّا ولا مَلَل
كذا تَمُرّ ليالى العُمْر راحلةً عنّا ونحن مَعَ الآمال فى شُغُل
نُمْسِى ونُصْبح فى لَهْوٍ نُسَرُّ به جهلاً وذلك يُدْنينا من الأَجَل
[١٦٣] والعمر يَمضى ولا نَدرِى فوا أَسَفاَ عليه إذ مَرّ فى الآثام والزَّلَل
ياليت شعرى غدًا(١) كيف الخلاص به ولم نُقَدِّم له شيئا من العمل
يا رَبُّ عفوَك عما قد جنته يدى فليْس لى بجزاء الذنب من قِبَل
يا ربّ وانصر أمير المسلمين أبا حَمو الرِّضا وأَنِلْه غاية الأَمَل
وأَبْقِ فى العز والتمكين مدّته وأعْلِ دولته الغرّا على الدُّول

موشحة التلاليسى يخاطب بها أبا حمو

ومن الموشّحات التى خوطب بها السلطان أبو حمو رحمه الله فى مولد سنة سبع وستين وسبع مئة ، قولُ طبيب دولتـه أبى عبد الله محمد بن أبى جمعة الشهير بالتلاليسى ، رحمه الله تعالى :

لى مَدْمَع هَتّانْ يَنهَلّ مثلَ الدُّرَرْ
قد صيَّر الأجفانْ ما إن لها من أثرْ

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « ياليت أن غدا » . وفى ت « ياليت غدا » . وهما ظاهرتا التحريف .

حُقّ له يجـــرِى دَمًا على طـــول الدوامْ
مُذْ جَـــدَّ فى السيرِ ناسٌ إلى خـــير الأنامْ
وعاقـــنى وِزْرِى يا صاحِ عن ذاك المَقامْ
وسارت الأظْعانْ يُحْدى بها فى السَّحَرِ
فاستبشر الركبانْ بقرب نَيْل الوطَرِ

يا ســـعدَهُ مَنْ زارْ قـــبرَ النبىِّ المصطفَى
محمـــــد المختارْ قُطبِ المعالِى والوفا
فى مدحه قـــد حارْ الخَلْقُ طُرًّا وكَفى
فى مُحْكَمَ القرآن وشَرحِه والسِّـــيَرِ
فَضَّله الرحمنْ على جميع البشَرِ

يا حادىَ الركبِ بالله إن جئتَ البقيعْ
تحيـــةَ الصَّـــبِّ بلِّغ إلى الهادى الشفيعْ
غُرِّبْتُ بالغـــربِ عن ذلك المُغْنَى الرفيعْ
وليس لى إمكانْ يُنهضنى للسفَرِ [١٦٤]
إلا من السلطان الملكِ المظَفَّـــرِ

من لم يزل يسمُو إلى المعالى كلَّ حِينْ
ذاك أبو حمّـــو المولَى أميـــرُ المسلمينْ
طاعتُه غُـــنمُ نِلْنا بها دنيـــا ودينْ
أظهرَ فى البُلْدانْ من عـدله المُشْتَهَرِ
وعَمَّ بالإحسانْ للبـدوِ ثم الحضَرِ

قابلَه إســـــعادْ تكلّ عنـــه الألْسِنهْ
قَبيلُ عبـــدِ الوادْ[1] به غـــدت فى سلطنه
أيامُـــه أعيـــادْ يا ليتها ألفا سَـــنَهْ
مُلْكُ بنى زَيّانْ بالمشرَفِيّ الذَّكَرِ
أحياه إذْ قد كانْ ليس لَه مِنْ خبَرِ
تاهتْ تِلِمْسان بملكه على البـــلادْ
صار لهـــا شان وسعدُها حِلْفُ ازديادْ
قد ضـــل إنسان قال بها يشكو السُّهادْ
ليلُ الهَوَى يقظانْ والحِبِّ تِرْب السَّهَرِ
والصبر لى خَوّانْ والنوم من[2] عينى بَرِى[3]

شىء عن السلطان أبى حمو

وكان هذا السلطان أبو حمو رحمه الله يَقرض الشعر، ويحب أهله، وله رحمه الله تأليف حسن فى السياسة، لخص فيه « سُلْوان المُطاع » لابن ظَفَر، وزاد عليه فوائد، وأورد فيه جملة من نظمه، وأمورا جرت له مع معاصريه من ملوك بنى مَرِين وغيرهم، وصنّفه برسم ولى عهده أبى تاشَفِين، وسمّاه « نظم السلوك، فى سياسة الملوك ».

قصيدة ابن الخطيب للسلطان أبى حمو يستعيذ به

وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب المذكور آنفا كثيرا ما يوجّه إليه بالأمداح، ومن أحسن ما وَجّه له[4] قصيدة سينية فائقة، وذلك [١٦٥] عند ما أحسّ بتغير سلطانه عليه، فجعلها مقدمة بين يدى نجواه، لتمهد له مثواه؛

(١) فى ط: « الجواد ».
(٢) كذا فى ط. وفى ت: « عن ».
(٣) برى: يريد: « برىء » فسهل للشعر.
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٢٧ طبعة بلاق). وفى ت: « إليه ».

وتحصل له المستقرّ ، إذا ألجأه الأمر إلى المفرّ ؛ فلم تساعده الأيّام ، كما هو شأنها فى أكثر الأعلام ؛ وهى هذه :

أطلعْن فى سُدَف الفُروع شُموسَا ضحِك الظلام لها وكان عَبُوسَا
وعَطَفْن قُضْبا للقُدود نواعِمًا بُوِّئْن أدواح النعيم غُرُوسا
وعَدَلْنَ عن جَهْر السلام مَخافةَ الْـــواشى فجئن بلفظه مَهموسا
وسَفَرْن من دَهَش الوداع وقومهن إلى الترحّل قد أناخوا العِيسا
وخَلَسْن من خَلَل الحِجال إشارة فتركن كلّ حِجالهـا مخلوسا
لم أنْسَها من وَحْشةٍ والحىُّ قد زَجَر الحمولَ وآثرَ التَّغْليسا
لاالمُلْتَقَى من بعدها كَثَبٌ(١) ولا عُوجُ الركائب تَسْأم التخييسا(٢)
فوقَفْتُ وِقْفـة هائم بُرَحاؤُهُ وَقَفَتْ عليـه وحُبِّسَتْ تَحْبِيسا
ودَعَوْتُ عينى عاتبا وعُيونها بعصا النَّوَى قد بُجِّسَتْ تبجيسا
تَأَفَسْت يا عينىَّ دُرَّ دُموعِهِمْ فعرضت دُرًّا للدُّموع نفيسا
ما لِلْحِمَى بعـد الأحبّة مُوحِشاً ولَـكَمْ تَراءى آهـلاً مَأْنُوسا
ولِسِرْبه حَوْلَ الخيـــلة نافراً عَمَّن يُحِسّ به وكانَ أنيسا
ولِظِلِّه المورودِ غَمْـــرُ قَلِيبه لا يقتضِى وِرْدًا ولا تَعْرِيسا(٣)
حَيَّيْتُه فَأجابنى رجْعُ الصَّـدَى لا فَرْق بَينهما إذا ما قِيسا
ما إن يَزيد على الإعادة صوته حَرْفا فيشفى بالمَزِيد نَسِيسا(٤)

(١) كثب ، أى قريب .
(٢) كذا فى ط . والتخييس : أن تذلل الدابة وتراض بالركوب . وفى ت ونفح الطيب : « التجنيسا » .
(٣) القليب : البئر . وغمره : أى ماؤه الغامر . والتعريس : النزول آخر الليل .
(٤) النسيس : غاية جهد الإنسان .

نَضَبَ المَعِين وقَلَّص الظلُّ الذى ظَلْنا وُقُوفا عنـــده وجُلُوسا
نتواعد الرُّجْعَى ونَغْتَنِمِ اللِّقا ونُدِيرُ مِنْ شكوى الغرام كؤوسا
فإذا سألتَ فلا تسائِلْ مخبِرا وإذا سمعتَ فلا تُحِسَّ حَسِيسا
عَهْدِى به والدهرُ يُتْحِفُ بالمُنَى وقد اقتضتْ نُعماه أن لا بُوسا[1]
والعيْش غَضُّ الرَّيْع والدُّنيا قَدِ اجْـــتُلِيَتْ بمغناه[2] علىّ عَرُوسا
أَتُرَى يُعيدُ الدَّهْرُ عَهْدًا للصِّبا دَرَسَتْ مَغانى الأنس فيه دُروسا
[أوطانُ أوطارٍ تَعَوَّضَ أُفْقُها من رَوْنَق البِشر البهىِّ عُبوسا][3]
هيهاتَ لا تُغْنِي لَعَـلَّ ولا عَسَى فى مِثْلها إلا لآية عِيسى
والدّهر فى دَسْت القضاءِ مُدَرِّسٌ فإذا قضى يستأنف التَّـدريسا
[١٦٦] تَفْـتَنّ فى جُمَـــل الورَى أبحاثه لا سيَّما فى باب نِعْم وبِيسا
وسَجيةُ الإنسان ليسَ بناصِلٍ من صِبْغها حتَّى يُرَى مَرْمُوسا
يغترّ مَهْمـا ساعدتْ آمالُه فاذا عَرَا الخَطْبُ كان يئُوسا
فلَوَ أنَّ نفْسا مُـكِّنَتْ من رُشْدها يوما وقدَّسها الهُدَى تقديسا
لم تستفزّ رسوخَها النُّعْمَى ولا هَلَعَتْ إذا كَشرت[4] إليها البُوسا
قل للزمان إليك عن متذمّم[5] بضمان عِزّ لم يكن ليَخِيسا[6]

(١) لا بوسا : لا بؤسا ، فسهل .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « بمعناه » .
(٣) التكملة عن ت ونفح الطيب .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « كسرت » . وفى ط : « كثرت » وكلاهما تحريف .
(٥) المتذمم : المستنكف .
(٦) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « تبخيسا » .

فإذا استحرّ جِلادُه فأنا الذى اســـتَغشيت مِنْ سَرْد[1] اليقين لَبُوسا[2]

وإذا طغا فِرْعونه فأنا الذى مِنْ ضُرّه وأذاه عُذْتُ بموسى

أنا ذا أبو مثواه[3] من يَحْمِى الحِمَى لَيْثا ويُعـــلِم بالزَّئير الخِيسا

بِحِمَى أَبى حَمُّو حَطَطْتُ ركائبى لما اختبرتُ الليْثَ والعِرِّيسا

أَسَد الهِياج إذا خطا قُدُمًا سَطَا فيُخَلِّف الأَسَدَ الهِزَبْر فَرِيسا

بَدْر الهُدَى يَأْبَى الظِّلالَ ضِياؤه أبداً فيجلو الظلمةَ الحِنْديسا[4]

جَبَل الوَقار رَسَا وأَشْرَف واعْتَلى وسَمَا فَطأطأتِ الجبالُ رُءوسا

غَيْث النوال إذا الغمامُ حَلوبةٌ مَثَلَتْ بأيدى الحالبين بَسُوسا[5]

تلقاه يوم الأُنس روضًا ناعما وتراه بأساً فى الهِياج بَئيسا

كَمْ غَمْرةٍ جَلَّى وكم خَطْبٍ كفى إن أوطأ الجُرْد العِتاق وَطيسا

كَمْ حِكمةٍ أبدَى وكم قَصْدٍ هَدَى للسالِكين أَبان منه دَرِيسا[6]

أعلَى بَنى زَيَّانَ والفَـذّ الذى لَبِس الـكمال فزيّن المَلْبوسا

جَمع النّدى والباسَ والشيمَ العُلاَ والسُّودَدَ المتواترَ القُدْموسا[7]

والحِلْمَ ليس يُبايِن الخُلُق الرِّضا والعِـلمَ ليس يعارض الناموسا

---

(١) سرد اليقين : أى درع من اليقين .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « البوسا » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « مثواى » .
(٤) الحنديس : الشديد الظلمة .
(٥) البسوس : الناقة التى لا تدر إلا على الإبساس ، أى التلطف ، بأن يقال لها : بس بس ، تسكينا لها .
(٦) الدريس : الطريق الخفى .
(٧) القدموس : القديم .

والسعدَ يغنى حكمه عن نَصْبةٍ تستخبرُ التربيعَ والتَّسديسا
كم راضَ صعباً لا يُرَاضُ مُعاصيا كم خاض حَرْباً لا تُخاض ضَرُوسا
بَلَغ التى لا فَوْقَها متمهِّلا وعَلَا السُّهَا واستسفلَ البِرْجيسا(١)
يا خيرَ مَنْ خفقت عليه سَحابة للنصر تُمْطره أجشَّ بَجِيسا(٢)
وأجلَّ مَنْ حَمَلَتْه صَهْوَةُ سابح إنْ كَرَّ ضعضع كَرُّه الكُردوسا(٣)
قَسَماً بِمَنْ رفع السماء بغير ما عَمَدٍ ورَفَّع فوقَها إدريسا
ودَحَا البَسيطة فَوْق لُجِّ مُزْبِدٍ ما إنْ يَزال على القَرار حَبِيسا
حتَّى يُهيب بأَهْلِه الوعدُ الذى حَشَرَ الرئيسَ إليه والمرءوسا
[١٦٧] ما أنْتَ إلا ذخرُ دهرك دُمْتَ فى الصَّوْن الحريزِ مُمَتَّعا محروسا
لو ساومته الأرضُ فيك بما حوتْ لَرَآك مُسْتاماً بها مَبْخُوسا
حلف(٤) البُرور بها أَلِيَّةَ صَادقٍ ويمينُ مَنْ عقد اليمين غَمُوسا(٥)
مَن قاسَ ذاتَكَ بالذواتِ فإنَّه جَهِلَ الوزان وأَخْطأ التقييسا
لا تستوِى الأعيانُ فضلَ مَزِيَّةٍ وطبيعة فَطَرَ الإله وَسُوسا(٦)
لعنايةُ التَّخصيص سرٌّ غامض من قبلِ ذرءِ الخلقِ خَصَّ نُفوسا
مَن أَنْكَر الفضل الذى أُوتيتَه جَحَدَ العِيانَ وأنكرَ المحسوسا

(١) البرجيس (بالكسر) : نجم ، أو هو المشترى .
(٢) بجيسا : غزيرا .
(٣) الكردوس : القطعة العظيمة من الخيل .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « كلف » .
(٥) يمين : يكذب . واليمين الغموس : التى تغمس صاحبها فى الإثم ثم فى النار ، وهى الكاذبة التى يتعمدها صاحبها عالما بأن الأمر بخلافه .
(٦) السوس : الطبيعة والسجية .

من دَان بالإخلاص فيكَ فعقْدُه لا يقبـلُ التمويه والتلبيسا
والمنتمَى العَلَوِىّ عِيصُك لم تكن لِتُرى دَخيلا فى بنيه دسيسا[1]
بَيْتُ البَتولِ ومُنْتَمَى الشرَفِ الذى تَحْمِى الملائكُ دَوْحَهُ المَغْروسا
أمّا سياستك التى أحْكمتها فَرَمَيْتَ بالتقصيرِ أسْطَالِيسا
فَلَوَأنْ كِسرَى الفرسِ أبصر بعضَها ما كان يَطْمع أن يُعدّ سَؤُوسا[2]
لوسار عدلُك فى السنين لما اشتكتْ بخْسا ولم يكُ بعضُهُنّ كبيسا
ولَوِ الجوارى الخُنّسُ انتسبت إلى أقوامِ عِزّك ما خَنَسْن خُنوسا[3]
قُدْتَ الصِّعاب فكل صَعْبٍ سامحٌ لكَ بالقِياد وكانَ قبلُ شَمُوسا
تَلْقَى الليوثَ وللقَتَام غَمامة قدحَ الصفيحُ وَميضَها المَقْبوسا
وكأنّها تحتَ الدُّروع أراقِمٍ يَنْظُرْنَ من خَلَل المغافر شُوسا[4]
ما لابن مامةَ فى القديم وحاتمٍ ضرَبَ الزمانُ بجودهم ناقوسا[5]
من جاء منهم مثلَ جُودك كلّما حَسِبُوا المكارم كُسوة أوْ كِيسا
أنتَ الذى افْتَكّ السفينَ وأهلَه إذْ أوسَعَتْ سُبُل الخلاص طُمُوسا
أنت الذى أمددت ثغر الله بالصَّـــدَقاتِ تُبْلسُ كَرّةً إبْليسا
وأعَنْتَ أندلُسا بكل سَبيكةٍ مَوْسومةٍ لا تَعرِف التَّدْليسا

(١) العيص : الأصل .
(٢) فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط : « بسوسا » .
(٣) الجوارى الخنس : منها زحل والمريخ والمشترى وعطارد والزهرة ؛ وخنوسها : اختفاؤها .
(٤) شوسا : ناظرة بمؤخر العين غضبا .
(٥) ابن مامة : هو كعب ، وهو من أجواد العرب .

وشَحنته بالبُرّ فى سُبل الرضا والبرّ قارب قاعُها القامُوسا
إن لم تجرّ بها الخَميسَ فطالما جَهّزْت فيها للنّوال خميسا
ومَلأْتَ أيديَها وقد كادتْ على حُكْم القضاء تُشابه التّفليسا
[١٦٨] صدّقْتَ للآمال صَنْعة جابرٍ(١) وكفيْتَها التشميع والتشميسا(٢)
والحَلّ والتقطير والتّصْعيد والـ ـتخمير والتّصْويل والتكْليسا(٣)
فسبكت من آمالها مالا ومِنْ أوراقها وَرِقًا وكُنّ طُرُوسا
بُهِتُوا فلمّا استَخْبروا لم يُنْكِروا وَزْنا ولا لَوْنا ولا مَلْمُوسا
تَدْبير مَنْ قلَب السُّطورَ سَبائِكا منها ومن طَبَع الحُروف فُلُوسا
ونَحَوْت نَحْوَ الفضل تَعْضِد منه بالـ ـمَسْموع ما ألفيتَ منه مَقيسا
وجَبَرْت بعد الكسرِ قومَك جاهدا تُغنِي العَديمَ وتُطْلق المَحْبوسا
ونَشرْت راية عِزّهم مِنْ بعدما دَال الزمانُ فسامَها تَنْكِيسا
أحكمتَ حيلةَ بُرْئِهِمْ بلطافةٍ قد أعْجَزَتْ فى الطِّب جالينوسا
وفَلَلْتَ من حَـدّ الزمان وإنه أوْحَى وأمْضَى من غِرار المُوسَى
وشَحذْت حَـدًّا كان قبلُ مُثَلّما ونَعَشْت جَـدًّا كان قبلُ تَعيسا

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٧١ من هذا الجزء).
(٢) التشميع: تليين الشيء وتصييره كالشمع. (عن مفاتيح العلوم للخوارزمى).
(٣) الحل: أن تجعل المنعقدات مثل الماء. والتقطير: مثل صنعة ماء الورد، وهو أن يوضع الشيء فى القرع ويوقد تحته، فيصعد ماؤه إلى الأنبيق، وينزل إلى القابلة، ويجتمع فيه. والتصعيد: شبيه بالتقطير، إلا أن أكثر ما يستعمل فى الأشياء اليابسة. والتصويل: أن يجعل الشيء الذى يرسب فى الرطوبات طافيا، وذلك أن يصير مثل الهباء حتى يعلو على الماء. والتكليس: أن يجعل جسد فى كيزان مطينة ويجعل فى النار حتى يصير مثل الدقيق. والشيء يكلس ثم يعلو. (عن مفاتيح العلوم).

لم تَرْجُ إلا اللهَ جـــلّ جلالُه ... فى شِـدَّة تُـكْفَى وجُرْح يُوسَى
قدمتَ صُبْحا فاستضأت بنوره ... ووجدت عنـد الشدة التنفيسا
ما أنتَ إلا فالح[1] متيقّن ... بالنُّجْح تَعْمُرُ مُمرعا ويَبيسا
ومُتاجِرٌ جَعَلَ الأريكةَ صَهْوة ... عَرَبِيـــــة والمَتْكَأَ القَرَبُوسا[2]
ما إنْ تُبايع أو تُشارِى[3] واثقا ... بالربح إلا المالكَ القُـــدُّوسا
والعزمُ يفـترع النجومَ بناؤه ... مَهْما أقام على التُّقَى تأسيسا
ومَقام صَبرِك واتكالك مُذْ كِرٌ ... بحديثـــــه الشِّبْلِىّ أو طاووسا[4]
ومَـنِ ارتضاه اللهُ وفَّق سعيَهُ ... فرأى العظيمَ من الحظوظ خسيسا
ما ازددتَ بالتمحيص إلا جِدَّة ... ونضوتَ من خِلَـع الزمان لَبيسا
ولطالما طرقَ الخسوفُ أهـــلَّة ... ولطالما اعترض الكُسوف شُموسا
ثم انجلتْ نسماتُها عن مَشْرِق ... للسّعد ليسَ بحـاذر تتعيسا
خُـذْها إليك على النَّوَى سِينية ... تُرْضِى الطِّباق وتشكُر التَّجْنيسا
إنْ طُوولت[5] بالدّر من حول الطُّلى ... يوما تشكَّت حَظَّها المَوْكُوسا
لولاك ما أصْغت لخِطْبة خاطب ... ولَعُنِّسَتْ فى بيتهـا تَعْنيسا
قصدَتْ سليمانَ الزمانِ وقاربت ... فى الخطو تحسِبُ نفسها بلْقيسا

(١) كذا فى الأصلين ونفح الطيب . وفى ت : « والج » .
(٢) القربوس : حنو السرج .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « ما إن يبايع أو يشارى » .
(٤) الشبلى : هو أبو بكر دلف بن جحدر الصوفى وكانت وفاته سنة ٣٣٤ هـ . وطاوس : هو أحمد بن محمد بن أحمد أبو سعيـد الماليني الصوفى وكانت وفاته سنة ٤١٢ هـ .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « طولت » .

لى فيك ودٌّ لم أكن من بعد ما أعطيتُ صَفقةَ عهده لِأَخِيسا
كَمْ لى بصحّة عَقْده مِنْ شاهدٍ لا يحذَر التجريحَ والتَّدْليسا
يَقْفو الشَّهادةَ باليمين وإنّه لَمُؤَمَّنٌ من أن يُعَدَّ فَسِيسا(١)
لا يستقرّ قَرارُ أفكارى إلى أنْ أَسْتقر لَدى عُلَاك جَلِيسا
[١٦٩] وأُرَى تُجَاهك مستقيمَ السيرِ للـ ـقَصْد الذى أَعْملتُه معكوسا
هى دَين أيامى فإن سمحت به لم يبق من شىء عليه يُوسَى
لا زال صُنْع الله مجنوبا إلى مَثْواك يُهْدى البِشر والتأنيسا
متتابعا كتتابع الأيام لا يَذَرُ التعاقُبَ جُمعةً وخَميسا
فلَوَ انصفتك إيالة المُلك التى رُضْت الزمان لها وكان شَرِيسا
قَرَنَتْ بذكرك والدعاء لك الذى تختارُه التسبيحَ والتقديسا
القلبُ أنت لها رئيس حياتها لم تَعتبر مهما صَلَحْتَ رئيسا

قال الحافظ أبو عبد الله التَّنَسِيّ ، رحمه الله ورضى عنه : حذا ابن الخطيب فى هذه السينية حَذْو أبى تمام فى قصيدته التى أولها :

أقَشيبَ رَبْعِهِمُ أراكَ دَرِيسَا تَقْرِى ضُيوفَك لَوْعة ورَسِيسا

واختلس كثيرا من ألفاظها ومعانيها . انتهى .

نثر له أيضا وصل به القصيدة

ووصل ابن الخطيب هذه السينية بنثر بارع يخاطب به السلطان أبا حَمّو المذكور ، ونصه :

(١) الفسيس : الأحمق الضعيف العقل . وفى ت : « قسيسا » بالقاف بدل الفاء ، وهو تصحيف .

« هذه القصيدة ، أبقى الله أيام المَثابة المَوْلوية المُوسَوِية ممتعة بالشمل المجموع ، والثناء المسموع ، والملك المنصور الجُموع ؛ نَفْثَةُ من باح بسرّ هواه ، ولبّى دعوة الشوق العابث بلبه[1] وقد ظفِر بمن يهدى خبر جَواه إلى محل هَوَاه ؛ ويختلس بعث تحيّته ، إلى مُثير أريحيته ؛ وهى بالنسبة إلى مايعتقد من ذلك الكمال ، الشاذّ عن الآمال ؛ عُنْوان من كتاب ، وذَوَاق من أوقار ذات أقتاب ؛ وإلا فمن يقوم بحق تلك المثابة لسانه ، أو يكافئ إحسانها إحسانه ؛ أو يستقل بوصفها يراعه ، أو تنهض بأيسر وَظيفها ذراعه ؛ ولا مكابرة بعد الاعتراف ، والبحر لا ينفَد بالاغتراف ؛ لا سيما وذاتكم اليوم والله يُبقيها ، ومِن المكاره يقيها ، وفى معارج القُرْب من حضرة القُدْس يُرَقّيها ، ياقوتة اختارها واعتبرها ، ثم بلاها بالتمحيص [١٧٠] فى سبيل التخصيص واختبرها ، وسَبيكة خلّصها وسَجَرها ، فخلصها بِسَجْره من الشَّوْب ، وأبرزها من لُباب الذَّوْب[2] ؛ وقصرت عن هذه الأثمان ، وسُرّ بصدق دعواه[3] البَهْرمان[4] ؛ ليفاضل بين الجَهام والصَّيِّب ، ويَميزَ الله الخبيثَ من الطيِّب ؛ فأراكم أن لا جَدْوَى للعديد ولا للعُدَّه ، وعَرَّفكم بنفسه فى حال الشِّدّه ، ثم فَسَح لكم بعد ذلك فى المُدَّه ؛ لتعرفوه إذا دال الرَّخاء ، وهَبَّت بعد تلك الزعازع الرِّيحُ الرُّخَاء ؛ ومَلَّاكم من التجارب ، وأوردكم من ألطافه أعذب المشارب ؛ ونقلكم بين إمرار الزمان وإحلائه ، ولم يسلبكم إلا حقيرا عند أوليائه ؛

(١) وردت هذه العبارة محرفة فى ت هكذا : « ودعوة الشوق الثابت بلبه » .

(٢) وردت هذه العبارة فى الأصلين هكذا : « وسبيكة خلصها وشحرها فخلصتها الشحيرة من الشوب وأبرزتها من ... الخ » . وفى نفح الطيب : وسبيكة خلصها وسخرها ، فخلصها لتسخيره من الشوب ... الخ » . والعبارة فى كل ذلك قلقة ، ولعل ما أثبتناه أقرب إلى المعنى المراد . والسجر : مصدر سجر التنور ونحوه ، إذا أحماه .

(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « دموعه » . وفى ط : « دعوته » .

(٤) البهرمان : العصفر ، وهو دون الأرجوان شدة حمرة .

وأعادكم المعاد المطهَّر ، وألبسكم من أثواب اختصاصه المُعلَمَ المشهَّر ؛ فأنتم اليوم بعين العنايه ، بالإفصاح والكنايه ، قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف بالجنايه ؛ فإن كان المُلك اليوم عِلْما يُدْرَس ، وقوانين فى قوة الحفظ تُغْرَس ، وبضاعة برصَدِ التجارب تُحْرَس ؛ فأنتم مالك دار هجرته المحسو به ، وأصْمَعِىّ شُعو به المنسو به ؛ إلى ما حُزتم من أشتات الكمال ، المُرْبية على الآمال ؛ فالبيت عَلَوِىّ المنتَسب ، والمُلك بين الموروث والمكتَسب ؛ والجود يعترف به الوجود ، والدِّين يشهد به الركوع والسجود ؛ والبأس تعرفه التهائم والنّجود ، والخُلُق يحسده الروض المَجُود ؛ والشِّعْر يغترف من عَذْب نمير ، ويصدق من قال بُدِئ بأمير وخُتِم بأمير ؛ وإن مملوككم حَوَّم من بابكم على العَذْب البَرود ، فعاقه الدهر عن الوُرود ؛ واستقبل أُفقه ليحقِّق الرّصْد ، ولكنه أخطأ القصْد ؛ [١٧١] ومن أخطأ الغرض أعاد ، ورجا من الزمان الإسعاد ؛ فربما خُبِئ نصيب ، أو كان مع الخواطئ سهم مُصيب ؛ وكانَ يؤمّل صحبة ركّاب الحِجاز ، فانتقلت الحقيقة منه إلى المجاز ؛ وقَطَعَت القواطع التى لم يَنَلْها الحساب ، ومنعت الموانع التى خَلَص منهـا إلى الفتنة الانتساب ؛ ومن طَلَب الأيام أن تجرىَ على اقتراحه ، وجب العمل على اطّراحه ؛ فإنما هى البحر الزاخر ، الذى لا يُدرك منه الآخِر ؛ والرّياح متغايره ، والسفينة الحائره ؛ فتارة يتعذر من المُرْسَى الصَّرْف ، وتارة تَقطع المسافة البعيدة قبل أن يرتدّ الطَّرف ؛ هذا إن سالمها عَطَبُها ، وأعْيِى من الوَقود حطبُها ؛ ولقد علم الله جلّ جلاله أن لقاء ذلك المَقام الكريم عند المملوك تمام المطلوب ، ممن[1] يجبر كسر القلوب ؛ فإنه مما انعقد على كماله الإجماع ، وصح فى عوالى معاليه السماع ، وارتفعت فى وجود مثاله الأطماع ؛ أخلاقا هذّبها الكرم الوضّاح ،

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « فمن » .

وسجية كَلِف بها الكمال الفضَّاح ؛ وحِرصا على الذكر الجميل ، وما يتنافس فيه إلا من سمت هممه ، وكَرُمت ذممه ، وأَلِفت الخلد رِمَمُه ؛ إذ الوجود سراب ، وما فوق التراب تراب ؛ ولا يبقى إلا عمل راق ، أو ذكر بالجميل يُسطَّر فى أوراق[1] ؛ حسبما قلت من قصيدة كتبتها على ظهر [مكتوب][2] موضوع ، أشار به من كانت له طاعه ، فوفت بمقترحه استطاعه :

يمضى الزمان فكلّ فانٍ ذاهبٌ ... إلا جميـــلَ الذكر فهو الباقِ
لم يبق من إيوان كِسْرى بعد ذا ... ك الحَفل إلا الذِّكرُ فى الأوراق
هل كان للسفّاح والمنصور والْـ ... ـــمهدىّ مِنْ ذِكْر على الإطلاق
أو للرشـــيد وللأمين وصِنْوه ... لولا شَـــــباةُ يَراعَةِ الورّاق
رجَع التراب إلى التراب بما اقتضتْ ... فى كلِّ خَلْق حِكْمة الخَلّاق [١٧٢]
إلا الثناء الخالدَ العَطِرَ الشـذا ... يُهْدِى حديث مكارم الأخلاق

والرغبة من مقامكم الرفيع الجناب ، أن يمكِّنها من حُسْن المثاب[3] ؛ فتحظى بحلول ساحته ، ثم بلثم راحته ؛ ثم بالإصغاء ، ولا مزيد للابتغاء ؛ إلى أن ترتفع الوَساطه ، وتغنى عن التركيب البساطه ؛ ويُنْسَى الأثَر بالعين ، ويُحْسِن الدهر قضاء الدَّين ؛ ونسأل الذى أغرى بها القريحه ، ولم يجعل الباعث إلا المحبة الصريحه ؛ أن يُبقى تلك المَثابة زيناً للزمان ، وذُخْرا مكنوفا باليمن والأمان ، مظلّلا برحمة الرحمن ، بفضله وكرمه » . انتهى .

بعض مقطوعات لابن الخطيب فى السلطان أبى حمو

ومن مقطوعاته ، أى ابن الخطيب ، البديعة فى مخاطبة هذا السلطان أبى حَمُّو صاحب تِلِمْسان ، قوله يشكره على ما كان أعان به أهل الأندلس :

(١) فى ط : « أو ذكر جميل » .
(٢) زيادة عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « المناب » .

لقد زارَ الجزيرة منكَ بحرٌ يُمِدّ فليس تعرف منه جَزْرا
أعدْتَ لها بعهدك عهد موسى سميّك فهى تتلو منه ذِكرا
أقمتَ جِدارها وأفدت كَنْزا ولو شئت اتخذت عليه أجْرَا

وقوله :

وقالوا الجزيرة قد صَوَّحَتْ فقلت : غمامَ النَّدى تنتظرْ
إذا وكَفَتْ كَفُّ موسى بها غَماما يعود الجنابُ الخَضِر

ومخاطبات الوزير ابن الخطيب للسلطان أبى حمو كثيرة جدا ، ولنقتصر منها على ماذكرناه .

ومن نظم ابن الخطيب رحمه الله :

يا إمام الهدى وأى إمام أوضَحَ الحقَّ بعد إخفاء رَسْمهْ
أنتَ عبد الحليم حلمَك نرجو فالمسمّى له نصيبٌ مِن اسمه

شعر له يودع به عبد الواحد ابن سلطان إفريقية

[وله يخاطب عبد الواحد بن زكرياء بن أحمد اللّحيانى أبا مالك ابن سلطان إفريقية مُوَدِّعا :

أبا مالك أنت نجل الملوكِ غيوثِ الندى وليوثِ النِّزالِ
ومثلك يرتاح للمَكْرُماتِ وما لكَ بين الورى مِنْ مثال
عزيز بأنفسنا أنْ نَرى رِكابك مُؤْذِنة بارتحال
وقد خَبَرَتْ منك خُلْقا كريما أناف على درجاتِ الكمال
وفازت[1] لديك بساعات أُنْس كما زار فى الليل طيفُ الخيال
ولولا تعلُّلنا أننا نزورك[2] فوق بساط الجَلال

(١) كذا فى نفح الطيب (ج ٤ ص ١٧٦) . وفى الأصلين : « وجازت » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « بزورك » .

ونبلغُ فيك الذى نبْتغى وذاك على الله سَهْل المنال
لما فَتَرَتْ أنفُسٌ مِنْ أسًى ولا بَرِحت أدْمُعٌ فى انهمال
تلقتك حيثُ احتللت السعودُ وكان لك الله فى كل حال

وتوفى أبو مالك المخاطب بهذا ببلد الجَريد سنة خمسين وسبع مئة][1]

ومن أبدع ما وقع لابن الخطيب لاميته التى أولها :

* الحق يعلو والأباطل تسفل *

من قصيدة «المنح الغريب» له

قال ابن حِجّة فى شرح بديعيته ، الذى سماه بتقديم أبى بكر ، ما نصه :

« ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الأعداء ، براعة الاستهلال للعلامة إمام المغرب ، ذى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، وهى :

الحق يعلو والأباطل تسفل والله[2] عن أحكامه لا يُسْأَل [١٧٣]

فإنه قال : نظمت للسلطان أسعده الله تعالى وأنا بمدينة سَلا ، لما انفصل طالباً حقه بالأندلس ، قصيدة كان صنع الله براعة استهلالها[3] ، ووجهت بها إليه إلى رُنْدة قبل الفتح ، ثم لما قَدِمْتُ أنشدْتها [بين يديه][4] بعد الفتح وفاء بنذرى ، وسَمَّيتها : « المنح الغريب ، فى الفتح القريب » ، منها قوله رحمه الله :

وإذا استحالت حالة وتبدّلت فالله عزّ وجلّ لا يتبدّلُ
واليسرُ بعد العُسْر موعود به والصبر بالفَرَج القريب مُوَكَّل
والمستعِدّ لما يؤمّل ظافر وكفاك شاهد « قيّدوا وتوكلوا »

(١) فى نفح الطيب : سنة ٧٤٠ .
(٢) فى شرح بديعية ابن حجة : « والحق » .
(٣) فى شرح البديعية المذكور : « كان صنع الله مطابقا لاستهلالها » .
(٤) الزيادة عن شرح البديعية لابن حجة .

أمحمد والحمد منك سجية بحُلِيّها دون[1] الورَى تتجمّلُ
أمّا سُعودك فهو دون مُنازع عَقْد بأحكام القضاء مُسَجَّل
ولك السجايا الغُرّ والشِّيَم التى بغريبها يَتَمَثَّل المُتَمَثِّل
ولك الوَقار إذا تزَلْزَلَتِ الرُّبا وهَفَتْ من الرَّوْع الهِضاب المُثَّل
عَوِّذ كمالك ما استطعتَ فإنه قد تنقصُ الأشياء مما تكمُل
تاب الزمان إليك مما قد جَنَى والله يأمُر بالمَتاب ويَقْبَل
إن كان ماضٍ من زمانك قد مضى بإساءةٍ قد سَرّك المُسْتَقبل
هذا بذاك فشفع الثانى[2] الذى أرضاك[3] فيما قد جناه الأوّل
والله قد ولّاك أمرَ عباده لما ارتضاك ولايةً لا تُعْزَل
وإذا تعمّدك الإله بنصره وقضى لك الحُسْنى فمن ذا يخذُل
وظعنت عن أوطان ملكك راكبا مَتْن[4] العُباب فأىُّ صبر يجمل ؟
والبحرُ قد حُنِيَتْ[5] عليك ضلوعه والريح تقطع للزفير[6] وترْسِل
ولك الجوارى المنشآت قد اُغْتدت تختالُ فى بُرْدِ الشباب وترفُل
جَوفاء يحملها ومن حملت به من يعلم الأنثى وماذا تحمل
صبَّحتهم غُرَرَ الجياد كأنما سَدَّ[7] الثنيّة عارضٌ متهلّل

(١) فى شرح البديعية : « بين » .
(٢) كذا فى البديعية . وفى الأصلين : « الجانى » .
(٣) كذا فى ط . وفى ت : « ارتضاك » .
(٤) كذا فى البديعية . وفى الأصلين : « بين » .
(٥) كذا فى نفح الطيب ، وفى ط : « خففت » وفى ت : « خفت عليه » .
(٦) فى البديعية : « تبتلع الزفير » .
(٧) كذا فى البديعية . وفى ت : « كأنها بيد الثنية » أى بطريق الثنية . وفى ط : « كأنها أسد الثنية » وهى محرفة عما أثبتناه فى صلب الكتاب .

مِنْ كل منجَرِد أغرّ مُحَجَّل يرمى الجياد[١] به أغرُّ محجّل
زَجل الجَناح إذا أجدّ لغارة[٢] وإذا تغنّى للصهيل فبُلْبُل
جيد كما التفتَ الظَّليم وفوقه أُذُن ممشَّقة وطَرْف أكحل

ومنها :

وخليج هندٍ راق حسنُ صفائه حتى يكاد يعوم[٣] فيه الصيقل [١٧٤]
غرقت بصفحته النَّمال وأوشكت تبغى النجاةَ فأوثقتها الأرجل
فالصرح منهُ ممرَّد ، والصفح منـــه مُوَرَّد ، والشَّطُّ منـه مُصَنْدَل[٤]
وبكل أزرق إن شكت ألحاظُه مَرَهَ العُيون فبالعَجاجَة يُكْحَلُ[٥]
مُتَأوِّد أعْطافه فى نَشْوة مما يُعَلّ من الدماء ويُنْهل
عجباً له أنّ النجيع بطرفِه رَمَدٌ ولا يخفى عليـه مُقتَل
لله موقفك الذى وثبـــاته وثبـــاته مَثَلٌ به يُتَمَثَّل
والنَّصْل خط ، والمَجَال صحيفـة والسمْر تَنقُط ، والصوارم تَشْكُل
والبِيض قد كُسِرَتْ حروفُ جُفونها وعوامل الأسَل المثقّف تَعْمَل

وهى طويلة ، وجميعها فرائد ؛ ولم أكثر منها إلا لعلمى أن كلام لسان الدين ابن الخطيب غريب فى هذه البلاد » . انتهى كلام ابن حِجَّة رحمه الله .

ومِن هذه بعد قوله « وطرف أكحل » :

فكأنما هو صورة فى هيكل من لُطفه وكأنما هو هيكل

(١) كذا فى البديعية . وفى الأصلين : « الجلاد » .
(٢) فى ت والبديعية : « لغاية » .
(٣) فى البديعية . « يقول » .
(٤) فى ط والبديعية ونفح الطيب : « مهدل » .
(٥) مره العيون : خلوها من الكحل ، أو فسادها لتركه .

ومنها ، بعد قوله : « والبيض قد كسرت » البيت ، قوله :

لله قومُك عنـد مُشْتَجَر القَنا إذ نَوَّب الدَّاعى المُهِيب وأقبلوا
قوم إذا لَفَح الهَجير وُجُوههمْ حَجَبوا برايات الجهاد وظَلَّلوا

من مقطوعات له لما أشرف على مراكش

ومن مقطوعات ابن الخطيب قوله لما أشرف على مراكش :

ماذا أُحدّث عن بحر سَبَحْت به مِن البحار فلا إثم ولا حَرَجُ
دَحاه مبتـدع الأشياء مستويا ما إن به دَرَك كَلاَّ ولا دَرَج
حتى إذا ما المنار الفرد لاح لنا صِحْ ابشرى يامطايا[1] جاءك الفرج
قَرُبْتِ من عامر داراً ومَنْزلة والشاهدُ العدل هذا الطِّيبُ والأرج

وقال رحمه الله :

كَأَنَّا بتامِسْنا نجوسُ خلالَها وممدودها فى سيرنا ليس يُقْصَر
مراكبُ فى البحر المحيط تخبَّطتْ ولا جهة تدرى ولا البر يُبْصَر

كتاب ابن خاتمة إلى ابن الخطيب

[١٧٥] قال ابن الخطيب : ولما قضى الله عز وجل بالإدالة ، ورجعنا إلى أوطاننا من العُدوة ، واشتهر عنى ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة ، والتّيه على السلطان ، والدالّة[2] والتكبّر على أعلى رُتَب الخدمة ، وتطارحْتُ على السلطان فى استنجاز وَعْد الرحلة ، ورغبت فى تبرئة[3] الذمة ، ونفرت عن الأندلس بالجملة ، خاطبنى ، يعنى أبا جعفر بن خاتمة ، بعد صدر بلغ من حسن الإشارة ، وبراعة الاستهلال الغاية ، بقوله :

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ت .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « والدولة » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « تقدية » وفى ط : « تفويت » .

« وإلى هـذا يا سيدى ومحل تعظيمى وإجلالى ، أمتع الله تعالى بطول بقائكم ، وضاعف فى العز درجات ارتقائكم[١] ؛ فإنه من الأمر الذى لم يغب عن رأى العقول ، ولا اختلف فيه أرباب المعقول ؛ أنكم بهـذه الجزيرة شمس أفقها ، وتاج مَفْرِقها ؛ وواسطة سِلْكها ، وطِراز ملكها ؛ وقِلادة نحرها ، وفريدة دُرّها[٢] ، وعِقْد جِيدها [المنصوص][٣] ، وكمال زينها[٤] على العموم والخُصوص ؛ ثم أنتم مَدار أفلاكها ، وسر سياسة أملاكها ؛ وترجمان بيانها ، ولسان إحسانها ، وطبيب[٥] مارَسْتانها ؛ والذى عليه عَقْد إدارتها ، وبه قِوام إمارتها ؛ فلدَيْه يُحَل المشكل ، وإليه يلتَجأ فى الأمر المعضِل ؛ فلا غَرْو أن تتقيد بكم الأسماع والأبصار ، وتحدّق نحوكم الأذهان والأفكار ؛ ويُزْجَر عنكم السانح والبارح ، ويُستنبأ ماتَطرِف عنه العينُ وتختلج الجوارح ؛ استقراء لمرامكم ، واستطلاعا لطالع اعتزامكم ، واستكشافا عن مرامى سهامكم ؛ لا سيما مع إقامتكم على جَناح خُفوق ، وظهوركم فى مُلْتَمَع بُروق ، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق ؛ حتى تستقر بكم الديار ، ويلقِى عصاه التَّسْيار ؛ ولها العذر فى ذلك ، إذ صَدْعها بفراقكم لم يندمل ، وسرورها بلقائكم لم يكتمل ؛ فلم يَبْرَ بَعْدُ جناحها المَهِيض ، ولا جَمّ ماؤها المغيض ، [١٧٦] ولا تميزت من داجيها لياليها البيض ؛ ولا استوى نهارها ، ولا تألقت أنوارها ؛ ولا اشتملت نعماؤها ، ونسيت غماؤها ؛ بل هى كالناقه ، والحديث العهد بالمكاره ، تستشعر نفس العافيه ، وتمسح منكم باليد الشافيه ؛ فبحنانكم عليها ، وعظيم

(١) فى ط : « ارتفاعكم » .
(٢) فى ط : « دهرها » .
(٣) التكملة عن نفح الطيب .
(٤) فى نفح الطيب : « وتمام زينتها » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وطب » .

حرمتكم على من لديها ؛ لا تشوبوا لها عذب المُجاج بالأُجاج ، وتفطموها عما عُوِّدت من طيب المِزاج ؛ فما لدائها — وحياة قربكم — غير طِبّكم من عِلاج ؛ وإنى ليخطُر بخاطرى محبةً فيكم ، وعناية بما يَعْنيكم ، ما نال جانبكم — صانه الله — بهذا الوطن من الجفاء ، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء ؛ وأن الوطن إحدى الحواضن الأظآر ، التى يحق لها جميل الاحتفاء ، وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأودّاء الصفاء ؛ فيغلب على ظنى أنكم لحسن العهد أجنح ، وبحق نفسكم عن حق أوليائكم أسمح ، وللتى هى أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسجح . وهب أن الدُّرّ لا يحتاج فى الإثبات ، إلى شهادة النحور واللَّبّات ؛ والياقوت غنىّ المكان ، عن مظاهرة القلائد والتيجان ، أليس أنه أعلى للعِيان ، وأبعد عن مكابرة البُرْهان ، تألقها فى تاج المَلِك أنوشِرْوان ؛ فالشمس وإن كانت أم الأنوار ، وجِلاء الأبصار ، مهما أغمى مكانها من الأفق قيل : أليل هو أم نهار ؛ وكما فى علمكم ما فارق ذوو الأرحام ، وأولو الأحلام ؛ مواطن استقرارهم ، وأماكن قرارهم ، إلا برَغْمهم واضطرارهم ، واستبدال دار خير من دارهم ؛ ومتى توازن الأندلس بالمغرب ، أو يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب ؟ ما تحت أديمها أشلاء أولياء وعُباد ، وما فوقه مرابط جهاد ، ومَعاقِد ألوية فى سبيل الله ومَضارب [١٧٧] أوتاد ؛ ثم يُبَوِّئ ولده مُبَوَّأ أجداده ، ويجمع له بين طارفه وتِلاده ؛ أعيذ أنظاركم المسدَّدة من رأى فائل ، وسَعْى طويل لم يحْل منه بطائل ، فحسبكم من هذا الإياب السعيد ، والعَوْد الحميد » . وهى طويلة .

رد ابن الخطيب على كتاب ابن خاتمة

قال ابن الخطيب : فأجبته بقولى :

لُمْ فى الهَوَى العُـذْرِىِّ أو لا تَلُمْ ... فالعـــذلُ لا يدخل أسماعى

شأنُك تَعْنِيفى وشأنى الهَوى ... كلٌّ امرئٌ فى شأنه ساعى

أهلا بتُحفَة القادم ، وريحانة المُنادِم ، وذِكرى الهوى المتقادم ؛ لا يُصفِر[1] الله مَسراك ، بما أسراك ؛ لقد جُبْت[2] إلىّ من همومى ليلا ، وجبست رَجْلا وخيلا ، ووَفَّيت من صاع الوفاء كَيْلا ، وظَنَنْت بى الأسف على ما فات فأعملتَ الالتفاتَ لكيلا ؛ فأُقسم لو أنّ أمرى اليوم بيدى ، أو كانت اللِّمة السوداء من عُدَدِى ؛ ما أفلتّ شراكى المنصوبة لأمثالك ، حول المياه و بين المسالك ، ولا علمت ما هنالك ؛ لكنكَ طرقتَ حِمًى كَسَعَتْه الغارةُ الشَّعواء ، وغيَّرت ربعه الأنواء ؛ فخمد بعد ارتجاجه ، وسكت أذينُ دَجاجه ، وتلاعبت الرياح الهُوج فوق فجاجه ؛ وطال عهده بالزمان الأوّل ، وهل عنـد رسم دارس من مُعَوَّل ؛ وحَيَّا الله نَدْبا إلى زيارتى نَدَبك ، و بآدابه الحكمية أدَّبك :

فكان وقد أفاد بك الأمانى كمن أهدى الشفاء إلى العليل

وهى شيمة بوركت من شيمه ، وهبة الله قِبَلَه مِن لَدُن المشيمه ، ومن مثله فى صِلة رَعْى ، وفَضْل سَعْى ، وقولٍ ووَعْى ؟

قسما بالكواكب الزُّهْـــر والزهر عاتمــه

إنما الفضل مِـــلة ختمت بابن خاتِمــه [١٧٨]

كسانى حُلّة فضله ، وقد ذهب زمان التجمّل ، وحمّلنى شكره وكَتِدى واهٍ عن التَّحمُّل ، ونظرنى بالعين الكليلة عن العيب فهلا أجاد التأمّل ، واستطلع طِلع نَثّى ، ووالى فى مَبرَك المَعْجَزة حَثّى ، إنما أشكو بَثّى :

* ولو تُرك القطا ليلا لناما *

---

(١) فى ط ونفح الطيب : « لا يصفر » .

(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « جئت » .

وما حال شَمْل وِتدُه مفروق ، وقاعدته فَرُوق ، وصُواع بنى أبيه مسروق ؛ وقلبٍ قرحُه من عضة الدهر دام ، وجمرة حَسْرته ذات احتدام ؛ هذا وقد صارت الصغرى ، التى كانت الكبرى ؛ لمشيب[1] لم يَدَع أن هجم لما نجم ، ثم تهلل عارضه وانسجم :

لا تجمعى هَجْرا علىّ وغُرْبةً فالهجر فى تَلَف الغريب سريع

نظرتُ فإذا الجنب ناب ، والنفس فريسة ظُفُر وناب ، والمال أكيلة انتهاب ، والعمر رَهْن ذهاب ، واليد صِفر من كل اكتساب ، وسوق المَعاد مترامية والله سريع الحساب :

ولو نُعْطَى الخيارَ لما افترقْنا ولكنْ لا خيارَ مع الزّمانِ

وهبْ أن العمرَ[2] جديد ، وظل الأمن مديد ، ورأى الاغتباط بالوطن سديد ، فما الحُجة لنفسى إذا مرت بمَطارح جفوتها ، وملاعب هفوتها ؛ ومثاقف قناتها ، ومظاهر عُزّاها ومَناتها ؛ والزمان ولود ، وزناد الكون غير صَلُود !

وإذا امرؤ لَدَغَتْهُ أفعَى مرة تركته حين يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرَق

ثم إن المرغّب قد ذهب ، والدهر قد استرجع ماوَهَب ، والعارض قد اشتهب ؛ وآراء الاكتساب مرجوحة[3] مرفوضه ، وأسماؤه على الجوار مخفوضه ، والنية مع الله على الزهد فيما بأيدى الناس معقوده ، والتوبة بفضل الله عز وجل منقوده ، غير معترضة ولامنقوده[4] ؛ والمعاملة سامريه ، ودروع الصبر سابريه ؛ والاقتصاد [١٧٩]

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « لسيب » وهو تصحيف .
(٢) فى ط : « الأمر » .
(٣) فى ط : « مرجومة » .
(٤) منقودة (الأولى) : من نقد الثمن ، وهو تعجيله . و(الثانية) : من النقد ، وهو تمييز ما فى الشىء من حسن وقبح .

قد قرت العين بصحبته ، والله قد عوّض حب الدنيا بمحبته ؛ فإذا راجعها مثلى من بعد الفراق ، وقد رَقَى لَدْعَتها ألف راق ؛ وجمعتنى بها الحجره ، فما الذى تكون الأجره ؟ جل شانى ، وإن رضى الوامق[1] وسخِط الشانى : إنى إلى الله مهاجِر ، وللعَرَض الأدنى هاجِر ، ولأَظْعان السُّرَى زاجر ، لنَجْدٍ إن شاء الله تعالى أوحاجر ؛ لكن دعانى للهوى ، إلى هذا المولى المنعم هوى ؛ خلعتُ نعلَى الوجود وما خلعته ، وشوق أمرنى فأطعته ، وغالَبَ صبرى والله فما استطعته ؛ والحال أغلب ، وعسى أَلَّا يخيب المَطلب ؛ فإن يسّر رضاه فأمل كَمَل ، وراحل احتمل ، وحادٍ أشجى الناقة والجمل ؛ وإن كان خلاف ذلك ، فالزمان جم العوائق ، والتسليم بمقامى لائق :

ما بين غَمضة عين وانتباهتها يصرّف الأمرُ من حال إلى حال

وأما تفضيله هذا الوطن على غيره ، ليُمْن طيره ، وعموم خيره ؛ وبركة جهاده ، وعُمران رُباه ووِهاده . بأشلاء عُبّاده وزُهاده ؛ حتى لا يفضله إلا أحد الحرمين ، فحق برئ من المين ؛ لكننى للحرمين جَنَحْت ، وفى جو الشوق إليهما سَنَحْت ؛ فقد أفضتْ إلى طريق قصدى مَحَجّته ، ونصرتْنى والمنةُ لله حُجّته ؛ وقصد سيدى أسْنَى قَصْد توخاه الحمد والشكر ، ومعروف عُرِف به النُّكْر ؛ والآمال من فضل الله بعد تُمتار ، والله يخلق ما يشاء ويختار ؛ ودعاؤه بظهر الغيب مَدَد ، وعُدّة وعَدَد ، وبره حالَى الظعْن والإقامة معتمل ومعتمد ، ومجال المعرفة بفضله لا يحصره أمد . والسلام . انتهى .

من رثاء السلطان أبى سالم

وقال فى الإحاطة فى ترجمة السلطان أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى ، بعد كلام كثير ، ما نصه :

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « الموافق » .

[١٨٠] « فلقد كان بقيّة البيت ، وآخر القوم دَمائة وحياء ، و بعداً عن الشر ، وركونا للعافية ، وأنشـدت على قبره الذى وُوريت به جُثته بالقلة من ظاهر المدينة ، قصيدة أديت فيها بعض حقه ، وهى :

بنى الدنيا بَنى لَمْعِ السَّرابِ لِدوا للموت وابنوا للخرابِ

انتهى المقصود منه .

شـعر له فى الرغبة إلى الله

ومن نظم ابن الخطيب فى الرغبة إلى الله تعالى :

إلهِىَ بالبيت المقـدّس والمسعَى وجَمْعٍ إذا ما الخلق قد نزلوا جَمْعا
وبالموقف المشهود يا ربّ فى مِنًى إذا ما أسال الناسُ من خوفك الدمعا
وبالمصطفى والصَّحْب عَجِّلْ إقالتى وأنجحْ دُعائى فيك يا خير من يُدْعَى
صَـدَعْتُ وأنتَ المستغاث جنابه أقِلْ عثرتى يا مأْمَلِى واجْبُرِ الصدعا

شـعر له بعد عودته من الرحلة المراكشية

وقال رحمه الله عقب الإياب من الرحلة المراكشية :

أفادت وِجْهتى بِنَداك مالا قضى دَيْنى وأَصْلح بعضَ حالى
ومَتعتُ الخواطر بانشراح وأطرفْتُ النواظَر باكتحال
وأُبْتُ خفيفَ ظَهرٍ والمطايا بجاهك تشتكى ثِقَل الرِّحال
وشانى للعالم غـير شانى وحالى بالمكارم جِدُّ حال
فحُب عُلاك إيمانى وعَقْدى وشكر نداك دينى وانتحالى
كأنْ قد صحّ لله انقطاعى بتأميـلِى جنابَك وارتحالى
وما يبقى سوى فعل جميـل وحالُ الدهر لا تبقى بحال
وكل بداية فإلى انتهـاء وكل إقامـة فإلى ارتحال
ومن سام الزمان دوام أمر فقد وقفَ الرجاء على المُحال

وقال رحمه الله فى الضراعة إلى مولاه :

مولاى إن أذنبت ، يُنْكَر أن يُرَى منك الكمالُ ومنى النُّقصان ؟
والعفو عن سَبَب الذنوب مُسبّب لولا الجِنَاية لم يَكُن غُفْران

وله فى مدرسة [وقال سامحه الله مما كُتب فى حيطان المدرسة التى بناها السلطان أبو الحجاج :

ألا هكذا تُبنَى المدارس للعِلْم وتبقَى عهود المجد ثابتة الرسْم
ويُقصد وجه الله بالعمل الرّضا وتُجْنَى ثمار العز من شجر العزم
تفاخر منى حضرة الملك كلما تقدّم خصم فى الفخار إلى خصم
فأجدَى إذا ضن الغمامُ من الحيا وأهدَى إذا جَنّ الظلام من النجم
فيا ظاعناً للعِلم يطلب رِحلة كُفيتَ اعتراض البيد أو لُجج اليمّ
ببابىَ حُطّ الرحْل لا تنو وِجهة فقد فزت فى حال الإقامة بالغُنم
فكم من شِهاب فى سمائىَ ثاقب ومن هالة دارت على قمر تمّ
يُفيضون من نور مبين إلى هُدًى ومن حكمة تجلو القلوب إلى حُكْم
جزى الله عنى يُوسُفا خير ما جَزى ملوكَ بنى نصْر عن الدين والعلم

وله فى غرناطة وقال ابن الخطيب مررت يوماً مع شيخنا أبى البركات ببعض مسالك غرناطة ، فأنشد من نظمه :

« غرناطة ما مثلها حَضْرَهْ الماء والبهجة والخُضْرَه

واستجازنى رحمه الله تعالى ، فقلت »[1] :

سكانها قد أُسْكِنوا جَنَّةً فَهُمْ يُلَقَّوْن بها نَضْره][2]

وله يخاطب قبر الولى السبتى وكتب رحمه الله عن سلطانه أبى عبد الله بن نصر يخاطب الضريح المقصود ، والمنهل المورود ، والمرعى المنتجع ، والخِوان الذى يكفى الغَرْثَى ، ويمرّض المرضَى ،

(١) ما بين هذين القوسين « » عن نفح الطيب وهو ساقط من ت .
(٢) ما بين القوسين ساقط فى ط .

[١٨١] ويقوت الزَّمنَى ، ويتعداهم إلى أهل الجِدَة زعموا والغِنَى ، قبر ولىّ الله سيدى أبى العباس السبتى[١] ، نفعنا الله به وجبر جالنا ببركاته النعم ، ودفع علينا النقم :

يا ولىّ الإله أنت جَـــواد ... وقَصَدْنا إلى حِماكَ المنيعِ
راعنا الدهر بالخطوب فجِئْنا ... نرتجى من عُلاكَ حُسْنَ الصنيع
فمددنا لك الأكف نرجِّى ... عودة العز تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلةً تُرْبك الزا ... كى وزُلْفَى إلى العَلِيم السميع
كم غريب أسرَى اليك فوافَى ... رضاً عاجلٍ وخـــير سريع

ياولىّ الله الذى جعل جاهه سبباً لقضاء الحاجات ، ورفع الأزَمات ، وتصريفه باقياً بعد الممات ، وصدّق نقلَ الحكايات ظهور الآيات ؛ نفعنى الله بنيتى فى بركة تربك ، وأظهر علىّ أثَر توسلى بك إلى الله ربك ؛ مُزِّق شملى ، وفُرِّق بينى و بين أهلى ؛ وتُعُدّى علىّ ، وصرفت وجوه[٢] المكايد إلىّ ؛ حتى[٣] أخرجت من وطنى و بلدى ، ومالى وولدى ؛ ومحل جهادى ، وحقى الذى صار لى طوعاً عن آبائى وأجدادى ؛ عن بَيعة لم يَحُلّ عُقدتها الدين ، ولا ثبوت جريمة تَشين ؛ وأنا قد قرعت باب الله بتأميلك ، فالتمس لى قبوله بقَبولك ؛ ورُدَّنى إلى وطنى على أفضل حال ، وأظهر علىّ كرامتك التى تُشد إليها ظهور الرحال ؛ فقد جعلت وسيلتى إليك رسول الحق ، إلى جميع الخلق ؛ والسلام عليك أيها الولى الكريم ، الذى يأمن به الخائف وينتصف الغَريم ، ورحمة الله .

---

(١) أبو العباس السبتى هو الولى الصالح الشيخ أحمد بن جعفر السبتى الخزرجى ، وهو غير أبى العباس الشريف السبتى الذى تقدم ذكره فى هذا الجزء فى صفحة ٣٢ وما بعدها .

(٢) فى ت : « وجهة » .

(٣) فى ت : « حين » .

وله يورى بدم الأخوين

وقال سامحه الله فى معنى التورية الطبية ، بالدواء المسمى بدم الأخوين ، فى شأن سلطان الأندلس القائم عليهم وأخيه ، وشأن ذلك الدواء النفع من الجراح :

بإسماعيل ثم أخيه قيس ... تأذّن هم ليلى بانبلاجِ
دم الأخوين داوَى جُرْح قلبى ... وعالجنى وحَسْبك من عِلاج

وله فى اقتباس

وقال مقتبساً فى غير ذلك :

يامن بأكناف فؤادى رَبَعْ[1] ... قد ضاق بى فى حبك المتسعْ
ما فيك لى جَدْوَى ولا أرعوِى ... شُحٌّ مُطاعٌ وهَوًى مُتَّبَع

شعر له فى التورية بالطب

وقال فى التورية بالطِّب :

إنى وإن كنتُ ذا اعتلالِ ... رَثَّ القُوى بَيِّن الهُزالِ
فى «عارضِ التَّيس» لى شِفَاء ... فكيف فى عارِض الغَزال

وقال يخاطب ابن مرزوق

وقال يُخاطب الحاجبَ الفقيهَ الخطيبَ ، سيّدى أبا عبد الله بن مَرْزوق ، وطغا على بيت المشارقة فى العِذَار : [١٨٢]

أمَا والذى تُبْلَى لديه السَّرائرُ ... لَمَا كنتُ أرضَى الخَسْفَ لولا الضرائرُ
غدوتُ لضَيْم ابن الرَّبيب فَرِيسةً ... أمَا ثار من قومى لنصرىَ ثائرُ[2]
إذا التمستْ كفِّى لديه جِرايتى ... كأنىَ جانٍ[3] أوْبَقَتْه الجرائر
وما كان ظنّى أن أنال جِراية ... يُحَكَّم من جَرَّائها فِىّ جائر
متى جاد بالدِّينار أخضرَ زائفاً ... ودارتُه دارتْ عليها الدوائر
وقد أخرج التعنيتُ كِيسَ مَرارتى ... ورقّت لِبَلْواى النفوسُ الأخايِر

(١) ربع : أقام وسكن .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « ناصر » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « جار » وهو تحريف .

تذكرت بيتاً فى العِذَار لبعضهم ... له مَثَل بالحُسْن فى الأرض سائر:

« وما اخضرّ ذاك الخَدّ نبتا وإنما ... لكَثْرة ما شُقّت عليه المرائر »[1]

وجاهُ ابنِ مرزوق لدىّ ذخيرةٌ ... وللشـــدّة العُظمَى تُعَدّ الذخائر

ولو كان يدرِى مادهانى لساءه ... وأنكر ما صارت إليــه المصاير

وكان ابن الربيب هذا من خُدّام السلطان أبى سالم ، وكانت جِراية ابن الخطيب وغيره ممن قدم من أعيان الأندلس على يده ، فكان لا يوفّى بحقهم ، فاشتكى ابن الخطيب به إلى الحاجب ابن مرزوق بهذا النظم المذكور ، وإلى الله ترجع الأمور .

شعر له فى مخاطب أحد الشرفاء

وقال رحمه الله يخاطب أحد الشرفاء الكرام :

أعْيا اللقاء علىّ إلا لمحةً ... فى جُملةٍ لا تقبل التفصيلَ

فجعلت بابَك عن يمينك نائباً ... أُهديه عند زيارتى تَقْبيلا

فإذا وجدتُك نِلْتُ ما أمّلتُه ... أو لم أجدك فقد[2] شَفَيت غليلا

وقال يشكر السلطان أبا سالم على تخليصه إياه

[١٨٣] وقال فى مخاطبة السلطان أبى سالم رحمه الله فى سبيل الشكر ، عند ما خلّصه من الوَرْطة بشفاعته التى قدّمنا ذكرها :

سَمِىَّ خليل الله أحييتَ مُهجَتى ... وعاجَلنى منك الصَّريخُ على بُعْدِ

فإن عشتُ أُبلغْ فيك نَفسىَ عُذْرَها ... وإن لم أعش فالله يَجزيك من بعدى

وله فى التغزل

قال : وقلت فى التغزّل ، وما أبعده عنّى فى الوقت ، والحمد لله :

---

(١) هذا البيت لعيسى بن سنجر المعروف بالحاجرى المتوفى سنة ٦٣٢هـ من قصيدة مطلعها :

على دمع عينى من فراقك ناظر ... يرقرقه إن لم ترقه المحاجر

(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « فما » .

أصبح الخدّ منك جَنّــة عَدْن مُجْتلَى أعــيُنٍ وشَمّ أُنوفِ
ظَلّلتها من الجُفون سُــيوف جَنةُ الخُلْد تحت ظلّ السيوف

من رسالة له فى تهنئة ابن أبى مدين بتقلد الخطة

وخاطب صاحب الأشغالِ أبا عبــد الله بن أبى القاسم بن أبى مدين يهنئه بتقلد الخُطة من رسالة :

تعُود الأمانىُّ بعد انصراف ويعتدل الشيء بعد انحرافِ
فإن كان دهرُك يوماً جنَى فقد جاء ذا خَجل واعتراف

طلع البشير ، أبقاك الله ، بقَبول الخلافة المَرينيّه ، والإمامة السَّنيه[1] ، خصّها الله بنَيل الأُمنيه ؛ على تلك الذات التى طابت أرومتها وزكت ، وتأوّهت العلياء لتذكر عهدها وبكت ، وكاد السرور ينقطع لولا أنها تركت منك الوارث الذى تركت ؛ فلولا العذر الذى تأكّدت ضرورته ، والمانع الذى ربما تقرّرت لديكم صورته ؛ لكنت أولَ مُشافه بالهناء ، ومُصَارف لهذا الاعتناء ، الوثيق البناء ، فنقول والحمد لله والثناء . وهى طويلة .

رسالته إلى السلطان أبى سالم مستعينا به

وقال يخاطب السلطان أبا سالم عند انقطاعه بضريح والده بشالة سلا ، حيث مدفنُ مُلوك بنى مرين :

عن باب والدك الرِّضا لا أبرحُ يَأسو الزمانُ لأجل ذاك ويَجرحُ[2]
ضُرِبَتْ خيامى فى حِماه فصِبْيتى تجنِى الحميمَ[3] به وبَهمى تَسْرح
حتى يُراعَى وجهُه فى وِجْهتى بعناية تَشْفِى الصدور وتشرح
أيسوغ عن مثواه سيرى خائبا ومَنابر الدنيا بذكرك تَصْدح

(١) فى ط : « السريه » :
(٢) فى ط : « لأجل ذا أو يجرح » .
(٣) كذا فى الأصلين والسلاوى ، ولعلها مصحفة عن « الجميم » وهو النبت الكثير . يريد أنهم فى بسطة من العيش .

أنا فى حماه وأنت أبصر بالذى يرضيه منك فوزن عقلك أرجحُ
فى مثلها سيف الحَمِية يُنْتضَى فى مثلها زَنْد الحفيظة يُقْدح
وعسى الذى بدأ الجميل يُعيده وعسى الذى سد المذاهب يفتح

[١٨٤] ومما كتب به إلى السلطان أبى سالم من مدينة سلا ، بعد عودته من مَرّاكش .

مولاى المرجو لإتمام الصنيعة ، وصلة النعمة ، وإحراز الفخر ، أبقاكم الله تُضْرَب بكمُ الأمثال فى البر والرِّضا ، وعلوّ الهمة ، ورعْى الوسيلة .

مقبِّل مَوْطئ قدمكم ، المنقطع إلى تُرْبة المولى والدكم ابن الخطيب ، من الضريح المقدس بشالة ، وقد حَطّ رحل الرجاء فى القبة المقدسة ، وتَيَمَّم[1] بالتربة الزكية ، وقعد بإزاء لحد المولى أبيكم ، ساعة إيابه من الوجهة المباركة ، وزيارة الرُّبُط المقصودة ، والتُرَب المعظمة ، وقد عزم ألاَّ يبرح طوعاً من هذا الجوار الكريم ، والدخيل المرعىّ ، حتى يصله من مَقامكم ماينا سب هذا التطارح على قبر هذا المولى ، العزيز على أهل الأرض ثم عليكم ، والتماس شفاعته فى أمر سهل عليكم ، لا يجر إنفاذَ[2] مال ، ولا اقتحام خَطر ، إنما هو إعمال[3] لسان ، وخَط بَنان ، وصرف عزم ، وإحراز فخر وأجر ، وإطابة ذكر ، وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم ، أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدّس بلسان المقال ، ما يحضر مما يفتح الله فيه ، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ، ما يتلقى عنه من الجواب . وقال لى صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم ، سيدى الخطيب ، سَنَّى الله أمله ، من

(١) كذا فى السلاوى (ج ٢ ص ١١٥) . وفى الأصلين : « وتدمم » .
(٢) فى السلاوى : « إنفاد » .
(٣) فى ت : « عمل » .

سعادة مقامكم ، وطول عُمركم : يا فلان ، أنت والحمد لله ممن لا يُنكَر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من البِشْر والقَبول والإنعام ما صدر ، جزاكم الله جزاء المحسنين . وقد تقدم تعريف مولاى بما كان من قيام العبد بما نقله إلى التربة الزكية عنكم ، حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد الآن يَعرِض عليكم الجواب ، وهو أنى لما فرغت من مخاطبته بمرأى من الملأ الكبير ، والجم الغفير ، أكببت على اللحد الكريم ، داعياً ومخاطباً ، وأصغيت [١٨٥] بأذنى نحو[١] قبره ، وجعل فؤادى يتلقى ما يوحيه إليه لسان حاله ، فكأنى به يقول لى : قل لمولاك : يا ولدى ، وقرة عينى ، المخصوص برضاى و برى ، الذى ستر حريمى ، ورد ملكى ، وصان أهلى ، وأكرم صنائعى ، ووصل عملى ، أُسلِّم عليك ، وأسأل الله أن يرضى عنك ، ويُقبل عليك ؛ الدنيا دار غُرور ، والآخرة خير لمن اتقى ، وما الناس إلا هالك وابن هالك ، ولا تجد إلا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة ، أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ، ومثلك من ذُكِّر فتذكر ، وعُرِّف فما أنكر ؛ وهذا ابن الخطيب [قد][٢] وقف على قبرى ، وتهمّم بى ، وسبق الناس إلى رثائى ، وأنشدنى ومجّدنى ، وبكانى ودعا لى ، وهنأنى بمصير أمرى إليك ، وعفّر وجهه فى تربى ، وأمّلنى لما انقطعَتْ منى آمال الناس ، فلو كنتُ يا ولدى حيّا لما وَسِعنى أن أعمل معه إلا ما يليق بى ، وأن أستقل فيه الكثير ، وأحتقر العظيم ، لكن لما عجزتُ عن جزائه ، وَكَلْتُهُ إليك ، وأحلته يا حبيب قلبى عليك ، وقد أخبرنى أنه سَليب المال ، كثير العِيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر فى عَدَم[٣] نشاطه أثر السن ، وأمّل أن ينقطع بجوارى ، ويستتر بدخيلى

(١) كذا فى السلاوى . وفى الأصلين : « عند »
(٢) التكملة عن السلاوى .
(٣) فى ط : « فى عظيم » .

وخدمتى ، ويُرَدّ عليه حقُّه بحرمتى ، ووجهى ووجوه من ضاجعنى من سلفى ، ويَعبدَ الله تحت حرمتك وحرمتى ، وقد كنت تشوفت إلى استخدامه فى الحياة ، حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم المزية القديم القُرْبة ، أبو عبد الله ابن مرزوق ، فسله يذكّرك ، واستخبره يخبرك ، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا
[١٨٦] الرجل خديمى بعد الممات ، إلى أن نلحق جميعاً برضوان الله ورحمته التى وسعت كل شىء ، وله يا ولدى ولد نجيب يخدم ببابك ، وينوب عنه فى ملازمة بيت كُتّابك ، وقد استقر بدارك قراره ، وتعيّن بأمرك مَرْتَبُه ودِثاره ، فيكون الشيخ خديم الشيخ ، والشاب خَديمَ الشاب ، هذه رغبتى منك ، وحاجتى إليك . واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يذكر ويُتَحَدّث به فى الدنيا ، وبين أيدى الملوك والكبراء ، فاعمل ما يبقى لك فخره ، ويتخلد ذكره ، وقد أقام مجاوراً ضريحى ، تالياً كتاب الله علىّ ، منتظراً ما يصله منك ، ويقرؤه علىّ ، من السعى فى خلاص ماله ، والاحتجاج بهذه الوسيلة فى جبره ، وإجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فاللهَ اللهَ يا إبراهيم ، اعمل ما يُسْمع عنى وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال » . [انتهى][1] .

والعبد يا مولاى مقيم تحت حرمته وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته ، ولتعلموا وتتحققوا أنى لو ارتكبت الجرائم ، ورَزَأت الأموال ، وسفكت الدماء ، وأخذت حسائف[2] الملوك الأعزة ممن وراء النهر من التتر ، وخلف البحر من الروم ، ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكنهم الله منى من غير عهد ، بعد أن بلغهم تذمُّمى بهذا الدخيل ، ومقامى بين هذه القبور الكريمة ، ما وسع أحداً منهم من حيث الحياء والحِشْمة من الأموات والأحياء ، وإيجاب الحقوق ، التى

(١) التكملة عن السلاوى .
(٢) الحسائف : العداوات ، جمع حسيفة .

لايغفلها الكبار للكبار، إلا الجود الذى لايتعقبه البخل، والعفو الذى لا تفسده المؤاخذة، فضلا عن سلطان الأندلس، أسعده الله بموالاتكم، فهو فاضل، وابن ملوك أفاضل، وحوله أكياس، مافيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم، لاسيما مولاى والدكم، الذى أتوسل به إليكم وإليهم، فقد كان يتبنَّى مولاى أبا الحجاج، ويشمله بكنفه، وصارَخَه بنفسه، وأمده بأمواله، ثم صيّر الله ملكه إليكم، وأنتم من [١٨٧] أنتم ذاتا وقبيلا، فقد قرّت يا مولاى عين العبد بما رأت فى هذا الوطن المراكشى، من وفور حشودكم، وكثرة جنودكم، وترادف أموالكم وعددكم، زادكم الله من فضله. ولا شك عند عاقل، أنكم إن انحلت عروة تأميلكم، وأعرضتم عن ذلك الوطن، استولت عليه يد عدوه، وقد عُلِم تطارحى بين الملوك الكرام، الذين خضعت لهم التيجان، وتعلّقت بثوب الملك الصالح، والد الملوك [الكرام][1]، مولاى والدكم، وشهرة حُرْمة شالة معروفة، حاشَ لله أن يضيعها أهل الأندلس، وما تُوُسّل إليهم قَطُّ بها إلا الآن، وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة، وأملى منكم أن يتعين من بين أيديكم خديم، بكتاب كريم، يتضمن الشفاعة فى رد ما أخذ لى، ويخبر بمثواى مترامیا على قبر والدكم، ويقرر ما لزمكم بسبب هذا الترامى، من الضرورة المهمة، والوظيفة الكبيرة، عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا، وتطلبون منهم عادة المكارمة بحل هذه العقدة، ومن المعلوم أنى لو طلبت بهذه الوسائل من طيب[2] مالهم، ما وسعهم بالنظر العقلى إلا حفظ هذا الوجه مع هذا القبيل وهذا الوطن، فالحياء والحشمة يأبيان العذر عن هذا فى كل مِلّة ونحلة، وإذا تم هذا الغرض، ولا شك فى إتمامه بالله، تقع صدقتكم على القبر الكريم

(١) التكملة عن السلاوى.

(٢) فى ت: «صلب».

بى ، وتعينوننى لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقده ، ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المولد فى جواره ، و بين يديه ، وهو غرض غريب مناسب لبركم به ، إلى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعيا مثنيا ، مستدعيا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذِمتى بالأندلس ذمة بهذا الرِّباط المبارك ، يرثها ذريتى ، وقد ساوَمتُ فى شىء من ذلك ، منتظرا ثمنه ، مما يباع بالأندلس [١٨٨] بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم فى مثل هـذا ، أو يُتَوَقّع فيه وَحشة أو جفاء ، واللهِ ما طلبته ، لـكنهم أسرى وأفضل ، وانقطاعى أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدَكم إلا عملُ ما يليق بكم فيه ، وهأنا أرتقب جوابكم ، بما لى عندكم من القَبول ، ويسعنى مجدكم فى الطلب ، وخروج الرسول لاقتضاء هذا الغرض ، والله يطَّلع من مولاى على ما يليق به . والسلام .

وكتبه فى الحادى عشر من رجب ، عام أحَد وستين وسبع مئة .

وفى مدرج الـكتاب بعد نثر هذه القصيدة :

مولاى هأنَا فى جوار أبيـــكا فابذل من البر المقـــدّر فيكا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى والله يسمعك الذى يُرضيكا
واجعل رضاه إذا نهدْتَ كَتيبة تهدى إليك النصر أو تَهْديكا
واجبرْ لجبرى قلبه تنـــل المنى وتطالع الفتح المبين وشيكا
فهو الذى سن البُرور بأمّـــه وأبيـــه فاشرع شرعه لبنيكا
وابعث رسولك منـذرا ومحذرا وبما تؤمل نيـــــلَه يأتيكا
قد هز عزمك كل قطر نازح وأخاف مملوكا به ومليـــكا
فإذا سموتَ إلى مرام شاسع فغضونه ثمرَ المـــــنى تجنيكا
ضمِنت رجالُ الله منك مَطالبى لما جعلْتك فى الثواب شريكا

فلئن كَفَيتَ وُجوهها فى مقصِدى ورَعيتها بركاتها تكفيك
وإذا قضيت حوائجى وأريتنى أملى فربك ما أردتَ يريكا
واشدد على قولى يدا فهو الذى برهانه لا يقبل التشكيكا
مولاى ما استأثرت عنك بمُهجتى أنى ومهجتى التى تفديكا
لكن رأيت جناب شالةَ مغنما يُضْفِى علىّ العزَّ فى ناديكا
وفروض حقك لا تفوت فوقتها باق إذا استجزيته يَجزيكا
ووعدتنى وتكرر الوعد الذى أبت المكارم أن يكون أفيكا
أضفى عليك الله سِتر عناية من كل محذور الطروّ يقيكا
ببقائك الدنيا تُحاط وأهلها فالله جل جلاله يُبقيكا

رد السلطان أبى سالم على ابن الخطيب

ولما وصل هذا السلطان أبا سالم رحمه الله راجعه بما نصه ، بعد البسملة والصلاة : [١٨٩]

من عبد الله المستعين بالله إبراهيم أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، [أبى الحسن ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين] (١) أبى سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، أيد الله أمره ، وأعزّ نصره ، إلى الشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعز الأحظى ، الأوجه الأنوه ، الصدر الأحفل ، المصنف البليغ ، الأعرف الأكمل ، أبى عبد الله ابن الشيخ الأجل الأعز الأسنى ، الوزير الأرفع الأنجد ، الأصيل الأكمل ، المرحوم المبرور أبى محمد بن الخطيب ، وصل الله عزته ، ووالى نعمته (٢) .

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت وعن السلاوى .
(٢) فى ت : « رفعته » .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم المصطفى ، والرضا عن آله وصحبه أعلام الإسلام ، وأئمة الرشد والهدى ، وصلة الدعاء لهذا الأمر العلى العزيز المنصور المستعينى ، بالنصر الأعز ، والفتح الأسنى .

فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم بلوغ الأمل ، ونُجْح القول والعمل ، من منزلنا الأسعد ، بضَفة وادى ملويه ، يمنه الله ، وصنع الله جميل ، ومنُّه جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المُتَكَفِّلة[1] برعى الوسائل ، ذلكم لما تميزتم به من التمسك بالجناب العلى المولوىّ العلوىّ ، جدد الله عليه ملابس غفرانه ، وسقاه غيوث رحمته وحنانه ، و بما أهديتم إلينا ، من التقرب لدينا ، بخدمة ثراه الطاهر ، والاشتمال بمَطارف حُرْمته السامية المظاهر ، و إلى [١٩٠] هذا وصل الله حظوتكم ، ووالى رفعتكم ، فإنه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابَل بالإسعاف المستعذَب ورده ، فوقفنا على ما نصّه ، واستوفينا ما شرحه وقَصّه ، فآثرنا حسن تلطفكم فى التوسل بأكبر الوسائل إلينا ، ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا ، وفى الحين[2] عَيَّنّا لكمال مطلبكم ، وتمام مأربكم ، والتوجه بخطابنا فى حقكم ، والاعتمال بوفقكم ، خديمينا أبا البقاء بن تاشكورت ، وأبا زكرياء بن فرقاجة ، أنجدهما الله وتولاهما ، وأمسِ تاريخه انفصلا مودّعين إلى الغرض المعلوم ، بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذى يوفيه ، فكونوا على علم من ذلكم ، وابسطوا له جملة آمالكم ، و إنا لنرجو ثواب الله فى جبر أحوالكم ، و برء اعتلالكم ، والله سبحانه يصل

(١) فى ت : « المتكلفة » .

(٢) فى ت : « فى الحسن » ، وهو تحريف .

مَبرتكم ، ويتولى تكرمتكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب فى الرابع والعشرين لرجب عام واحد وستين وسبع مئة .

رد ابن الخطيب على السلطان أبى سالم شاكرا

فراجعه ابن الخطيب بما نصه :

مولاى خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الأرض عن حجة ، ومعدن الشفقة والرحمة ، ببرهان وحكمة ، أبقاكم الله عالى الدرجة فى المنعمين ، وافر الحظ عند جزاء المحسنين ، وأراكم ثمرة بر أبيكم فى البنين ، وصنع لكم فى عدوكم الصنع الذى لا يقف عند معتاد ، وأذاق العذاب الآليم من أراد فى مثابتكم بإلحاد .

عبدكم الذى ملكتم رِقَّه ، وآويتم غربته ، وسترتم أهله وولده ، وأسنيتم رزقه ، وجبرتم قلبه ، يُقبّل مَوْطِىء الأخمص الكريم من رجلكم الطاهرة ، المستوجبة بفضل الله لموقف النصر ، الفارعة هضْبةَ العز ، المعملة الخطو فى مجال السعد[1] ، ومسير[2] الحظ ، ابن الخطيب من شآلة التى تَوَكَّد بملككم الرضىّ احترامها ، وتجدد برعيكم عهدها ، واستبشر بملككم دفينها ، وأشرق بحسناتكم نورها ، [١٩١] وقد ورد على العبد الجواب المولوى ، البر الرحيم ، المنعم المحسن ، بما يليق بالملك الأصيل ، والقدر الرفيع ، والهمة السامية ، والعزة القَعْساء ، من رعى الدخيل ، والنصرة[3] للذمام ، والاهتزاز[4] لبر الأب الكريم ، فثاب الرجاء ، وانبعث الأمل ، وقوى العضُد ، وزار اللُّطَف ، فالحمد لله الذى أجرى الخير على يدكم الكريمة ، وأعانكم على رعْى ذمام الصالحين ، المتوسّل إليكم أولا بقبورهم

(١) فى ط : « السعة » .
(٢) كذا فى السلاوى . ذا الأصلين : « وميسر » .
(٣) فى ت : « والمعرة » .
(٤) فى ت : « والاعتزاز » .

ومتعبداتهم ، وتراب أجداثهم ، ثم بقبر مولاى ومولاكم ومولى الخلق أجمعين ، الذى تسبب فى وجودكم ، واختصكم بحبه ، وغمركم بلطفه وحنانه ، وعلمكم آداب الشريعة ، وأورثكم ملك الدنيا ، وهيأتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة ، بعد طول المدى ، وانفساح البقاء ، وفى علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب ، من النصرة[1] عن طائر داست أفراخه ناقة فى جِوار رئيس منهم ، وما انتهى إليه الامتعاض لذلك ، مما أهينت فيه الأنفس ، وهلكت الأموال ، وقُصارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خُدّامكم ، من عرب تامِسْنا ، فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم [ابن الكريم] فيمن لجأ أولا إلى حِماكم بالأهل والولد ، عن حسنة تبرعتم بها ، وصدقة حملتكم الحرية على بذلها ، ثم فيمن حَطَّ رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم ، دامع العين ، خافق القلب ، دامى القُرْحة[2] ، يتغطى بردائه ، ويستجير بعليائه ، كأننى ترامیتُ عليه فى الحياة أمام الذعر الذى يُذْهل العقل ، ويحجب عن التمييز ، بقصر داره ، ومضجع رقاده ، ما من يوم إلا وأجهر بعد التلاوة : يا لَيعقوب ، يا لمَرين ، نسأل الله ألّا يقطع عنى معروفكم ، ولا يسْلُبنى عِنايتكم ، ويستعملنى ما بقيت فى خدمتكم ، ويتقبل دعائى فيكم ، ولحين وصول الجواب الكريم ، نهضت إلى القبر المقدس ، ووضعته بإزائه ، وقلت : يا مولاى ، يا كبير الملوك ، وخليفة الله ، وبَرَكة بنى مَرين ، صاحب الشهرة والذكر فى المشرق والمغرب ، عبدك المنقطع إليك ، المترامى بين يدى قبرك ، المتوسل إلى الله ثم إلى ولدك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاه ولدِك ما يليق بمقامه ، من رعى وجهك ، [والتقرب إلى الله برَعْيك] ، والاشتهار فى مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأنتم من [١٩٢]

(١) كذا فى ط والسلاوى . وفى ت : « النعرة » .
(٢) فى السلاوى بدل هذه العبارة : « وامى الفزعة » .

أنتم ، من إذا صنع صنيعة كمَّلها ، وإذا بدأ مِنّة تَمَّمها ، وإذا أسدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقصة ، وأنا بعدُ تحت ذيل حرمتك ، وظل دخيلك ، حتى يتم أملى ، ويخلص قصدى ، وتحف نعمتك بى ، ويطمئن إلى مأمنك قلبى .

ثم قلت للطلبة : أيها السادة ، بينى وبينكم [تلاوة] كتاب الله منذ أيام ، ومناسبة النِّحلة ، وأُخوّة التألف بهذا الرِّباط المقدس ، والسّكنى بين أظهركم ، فأمِّنوا على دعائى بإخلاص من قلوبكم ، واندفعت فى الدعاء والتوسل ، الذى نرجو أن يتقبله الله ولا يضيعه ، وخاطب العبد مولاه شاكراً لنعمته ، مُشيدا بصنيعته ، مسرورا بقبوله ، وشأنه من التعلق والتطارح شأنه ، حتى يكْمُلَ القصد ، ويتم الغرض ، معمور الوقت بخدمة يرفعها ، ودعاء يردده ، والله المستعان .

تهنئته للسلطان أبى سالم بفتح تلمسان

وفى يوم الخميس سابع عشر من شعبان ، من العام المؤرخ ، ورد كتاب فتح تِلِمْسان ، فأصدر ابن الخطيب إلى باب السلطان أبى سالم ما نصه : [١٩٣]

مولاى فَتّاح الأقطار والأمصار ، فائدة الزمان والأعصار ، أُثيرَ هبات الله الآمِنة مِنَ الاعتصار ، قدوة أولى الأيدى والأبصار ، ناصر الحق عند قعود الأنصار ، وهى طويلة ، انظرها فى الريحانة ، وبعدها قصيدة بديعة مطلعها :

أطاع لسانى فى مديحك إحسانى وقد لهِجت نفسى بفَتح تلمسانِ

من مخاطباته لابن مرزوق

ومن مخاطباته للحاجب ابن مَرزوق .

سيدى ، بل مالكى ، بل شافعى ، ومنتشلى من الهفوة ، ورافعى وعاصمى عند تجويد حروف الصنائع ، ونافعى الذى بجاهه أجزَأَتِ المنازل قِراى ، وفضلت أولاى ، والمنة لله أخراى ، وأصبحتُ وقول الحسن هِجّيراى :

عَلِقتُ بحَبْل من حِبَال محمد أمنتُ به من طارق الحدَثَانِ
تَغَطَّيت من دهرى بظل جَناحه فعيْنى ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الأيام ما اسمى ما درتْ وأين مكانى ما عَرَفْن مكانى

وصلت مِكناسة ، حرسها الله تعالى ، تحت غيثٍ حَذانى حَذو نداك ، وسحائب لولا الخصال المبرة قُلْت يداك ، وكأن الوطن لاغتباطه بجوارى ، وما رآه من انتياب زُوَّارِى ، أوعز إلى بهت يقطع الطريق ، وأطلق يده على التغريق ، وأشراق القوافل مع كثرة المـاء بالريق ، فلم يسع إلا المُقام أياما ، قُعودا فى البر وقياما ، واختيارا لضروب الأنس واعتياما ، ورأيت بلدةً معارفها أعلام ، وهواؤها برد وسلام ، ومحاسنها تعمل فيها ألسنة وأقلام ، فحيا الله سيدى ، فلكم من فضل أفاد ، وأنس أحياه وقد باد ، وحفظ منه على الأيام الذخْر والعتاد ، كما [١٩٤] مَلَّكه زِمام الكمال فاقتاد ، وأنا أتطارح عليه فى صلة تفقده ، وموالاة يده ، بأن يسهمنى فى فرض مخاطباته مهما خاطب ، معتبرا فى هذه الجهات ، ويصحبنى من مناصحته بكئوس مسرة ، يعمل فيها هالك وهات ، فالعز بعزه معقود ، والسعد بوجوده موجود ، ومَنهل السرور بسروره مورود ، والله عز وجل يبقيه ببقـاء الدهر ، [ويجعل حبه وظيفة السر ، وحمده وظيفة الجهر ، ويحفظ على الأيام من زمنه زين الدهر] ويصل لنا تحت إيالته العام بالعام والشهر بالشهر ، آمين آمين . انتهى.

شىء من صراحة ابن الخطيب فى مجلس السلطان أبى عنان

وقال رحمه الله :

حضرت يوما بين يدى السلطان أبى عِنان فى بعض وفاداتى عليه ، لغرض الرسالة ، وجرى ذكر بعض أعدائه ، فقلت ما اعتقدت فى اطراء ذلك العدو ، وما عرفته من فضله ، وأنكر على بعض الحاضرين ، ممن لا يحطِب إلا فى حبل السلطان ، فصرفت وجهى وقلت : أيدكم الله ! تحقير عدو السلطان بين يديه

ليس من السياسة فى شىء ، بل غير ذلك أحق وأولى ، فإن كان السلطان غالبا عدوه كان قد غلب غير حقير ، وهو الأولى بفخره ، وجلالة قدره ، وإن غلبه العدو لم يغلبه حقير ، فيكون أشد للحسرة ، وأوكد للفضيحة . فوافق رحمه الله على ذلك ، واستحسنه ، وشكر عليه ، وخجل المعترض . انتهى .

شعر له فى مكناسة

ومن نظمه رحمه الله :

مِكناسةٌ جُمِعت بها زُمَرُ العِدا ... فمدى بريدٍ فيه ألف بريد
من واصلٍ للصوم لا لرياضة ... أو مدمن للجوع غيرِ مُريد
فإذا سلكت طريقها متصوفا ... فابن السلوك بها على التجريد

شعر له فى مدينة آنفى

ولما دخل رحمه الله مدينة آنفى ، ومر منها على دار عظيمة ، تنسب إلى والى جبايتها « عبو » من بنى الترجمان ، قارون قومه ، وغنى صنفه ، قال :

قد مررنا بدار « عبو » الوالى ... وهى ثَكْلَى تشكو صروف الليالى
أقْصَدَتْ ربها الحوادث لما ... رشقته بصائبات نِبال
كان بالأمس واليا مستطيلا ... وهو اليوم ما له من وال

شعر له فى ابن بطان

ومن نظمه رحمه الله فى الشيخ ابن بطان الصنهاجى :

لله درك يا ابن بطان فما ... لشهير جودك فى البسيطة جاحد [١٩٥]
إن كان فى الدنيا كريم واحد ... يزن الجميع فأنت ذاك الواحد
أجريتَ فضلك جعفرا يحيا به ... ما كان من مجد فذكرك خالد
فالقوم منك تجمعوا فى مُفرد ... ولد كما شاء العلاء ووالد
وهى الليالى لا تزال صروفها ... يشقى بموقعها الكريم الماجد
وبمستعين الله يصلح منك ما ... قد كان أفسده الزمان الفاسد

شعر له فى البرغوث

وقال رحمه الله وقد انتابه البرغوث :

زَحَفَتْ إلىّ ركائبُ البُرغوث ... نمّ الظلام برَكبها الحثوثِ

بالحبّة السوداء قابل مَقدمى ... لله أىُّ قِرًى أعـدّ خبيث

كسحَتْ بهن ذباب(١) سرح تجلّدى ... ليلا فحَبْل الصبر جِدُّ رَثيث

إن صابرت نفسى أذاه تعبّدت ... أوْ صِحْت منه أنِفْت من تحنيثى

جَيْشان من ليل و برغوث فهل ... جيش الصباح لصَرْختى بمُغيث

شعر له فى ابن روح

[ومن نظمه رحمه الله فى عثمان بن يحيى بن عمر بن روح :

أسَمِىّ ذى النورين وجهُك فى الوغى ... شمس الضحى حَلّت بليث عَرين

إن تفتخر بمَرِينَ أرضُ العُـدوة القُـصوى فإنك أنت فخر مَرِين](٢)

شعر له صدر به رسالته إلى ابن حسون

وقال يخاطب الوالى محمد بن حَسُّون بن أبى العلاء ، وصدّر بها رسالة :

لم يُبق لى جودُ الولاية(٣) حاجةً ... فى الأمن أو فى الجاه أو فى المالِ

بعـد اللقاء أولو الفضائل بغيتى ... ورأيت هـذا القصدَ شرط كمال

أجملتـه وتشوفت لبيـانه ... هِمَم فكنت مفسر الإجمـال

وخصصت بالإلغاء غيرك غَيرة ... وجعلت ذكرك شاهدَ الأعمال

ألبست(٤) يابنَ أبى العلا قُشُب المُلا ... وتركت أهلَ الأرض فى أسمال

إن دَوّن الفُضلاء فضلا مُعْلَما ... فلقد أتيتَ عليـه بالإكمال

تُثنى عليك رعيّـة آمالها ... فى أن تفوز يداك بالآمال

(١) كذا فى نفح الطيب والسلاوى . وفى الأصلين : « به دبياج » . وهو محرف عما أثبتناه .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت .

(٣) فى الأصلين : « الخلافة » . وقد أثبتنا رواية نفح الطيب للاءمتها السياق .

(٤) فى نفح الطيب : « قلبست » .

أرْعِيتَها هَمَـــلا فلم يَطْرق لها بمَنيع سُـــورك طارقُ الإهمالِ
من كنتَ واليه تولّته العُـــلاَ ومن اطّرحت فـــا له من والى

شعر له فى ندب مراكش بعد الموحدين

وقال رحمه الله عند وقوفه على مَرّاكش ، واعتباره بما صار إليه أمرُها[1]:

بَلَد قد غزاه صَرْفُ الليالى وأباح المَصُونَ منـــه مُبِيحُ
فالذى خَرّ من بِنـاه قتيل والذى خرّ منه بعضٌ جَريح [١٩٦]
وكأنّ الذى يزورُ طبيبٌ قد تأتّى له بهـا التشريح
أعْجِمت منـــه أربُع ورُسوم كان قِدْما بها اللسان الفَصِيح
كم مَعانٍ غابت بتلك المَغانى وجمالٍ أخْفاه ذاك الضريح
ومُلوكٍ تعبّـدوا الدهرَ لمّا أصبح الدهرُ وهو عَبْد صَرِيح
دوّخوا نازح البَسِيطة حتى قال ما شـاء ذابِل وصَفِيح
حَيْث[2] شُبّتْ لهم من البأس نار ثم هَبّتْ لهم من النَّصْر رِيح
أثَر يَنْـــدُب المؤثِّر لمّا طال[3] بعد الدنوّ منه النُّزوح
ساكنُ الدار رُوحها كيف يبقى جَسَد بعـــد ما تولّى الروح

شعر له يخاطب به عامرا الهنتاتى

وقال يخاطب عَميد مَرّاكش[4] ، المتميّز بالرأى والسياسة والهمّة ، وإفاضة العدل، وكفّ اليد ، والتجافى عن مال الجباية ، عامر بن محمد بن على الهَنتاتى :

تقول لى الأظعانُ والشوق فى الحشى له الحُـكْم يَمْضى بين ناهٍ وآمرِ
إذا جبلَ التوحيد أصبحتَ فارعا نجِيمٌ قريرَ العين فى دار عامر

(١) كذا فى الأصلين وفى نفح الطيب . وفى السلاوى زيادة فى هذه العبارة يتضح بها المقام ، قال : « ولما وقف على مصانع مراكش وقصورها وقصبتها واعتبر ما صار إليه أمرها بعد الموحدين قال » .
(٢) فى ط : « حين » .
(٣) فى ط : « كان » .
(٤) فى السلاوى : « عميد البلاد المراكشية » .

وزُرْ تربة المعلوم إنّ مَزارها هو الحجّ يُفْضِى نحوَه كلُّ ضامرِ
سَتَلْقَى بمَثْوَى عامرِ بن محمد ثغورَ الأمانى من ثنـــايا البشائر
ولله ما تبلوه من ســـعد وجْهة ولله ما تَلْقاه من يُمْن طائر
وتُستعمل الأمثال فى الدهر منكما بخـــير مَزُور أو بأغبطِ زائر

تعريف بعامر المنتاتى

أقول : عامر بن محمد هذا ، هو قَرِيع[1] هَنْتاتة ، وكانت له مع أبى الحسن المَرِينى فى الوفاء أحاديث ، صَحّحت عند أبى عِنان وغيره مُتاته ، ولم يزل فى رياسته مدة أبى عِنان ومَن بعده من ملوك بنى مَرِين ، إلى زمن أبى فارسٍ عبد العزيز ابن أبى الحسن ، فنازله بجنوده ، وحاصره بمعتقَله ، حتى استولى عليه وقتله .

وقد ساق أمرَه ابنُ خَلدون واستوفاه ، ومنعنى من الإتيان به ما حصل من التطويل فى هذه الترجمة ، وقد أشار إليه ابن الأحمر فى « نَثير فرائد الجُمان » عند ما ذكر الشريف الشبوكى ، ونصه :

شئ من الشريف الشبوكى

[١٩٧] « صاحبنا الفقيه ، محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف ، يُكْنَى أبا عبد الله ، ويعرف بالشبوكى ، رأيته وصحبته ، ونِسْبته حسْبما نقلته من خطه على متن كتاب ، وأخبرنى هو به ، وسمعته أيضا بفاس ، من بعض الناس ، وهو محمد ابن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمران بن عبـد الرحيم بن نوح بن شعيب بن على بن أبى محمد بن حَيّان بن فضل بن طاهر بن مطهر بن حمود بن زياد ابن محمد بن الحسن[2] بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، ويعرف بالشبوكى . وشبوكة : قرية بينها وبين مدينة فاس ثلاثة أميال[3] ؛ وأخبرنى أن جده عبد الرحيم

(١) القريع : السيد الرئيس .
(٢) فى ط : « الحسين » .
(٣) فى ت : « أيام » .

أتى من المشرق إلى المغرب ، واستوطن بشبوكة ، وهو شريف ؛ ويوسف أبوه كان رحمه الله جميل الوجه جدا ، شاعرا مجيدا فقيها ، وبرّز عَدْلا فى سِماط شهود فاس ، واستخدمه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عِنان المرينى شاهدا فى دار صناعته ؛ وأحمد والد يوسف كان فقيها صوفيا ؛ ومحمد والد أحمد كان فقيها صالحا ؛ ويوسف والد محمد كان فقيها عالما صالحا مكاشفا مجاب الدعوة ، من أهل الطبقة العليا فى الصلاح ؛ وأبو عبد الله هذا كتب الوثيقة بشهود فاس .

شعر للشبوكى فى مدح أبى فارس والتحريض على الهنتاتى

حاله أكرمه الله : هو فارس القَريض ، وحامل لوائه الطويل العريض ، وله وجه وسيم ، وحياء جسيم ، وسُموّ همته لم يبلغها إنسان ، ولم يُسْمع بمثلها فى سالف الأزمان ، ويُؤْثِر عزة نفسه على هواه ، ويختار مَهْيع السمو على ما سواه ، وأنشدنى لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز المَرينى ، بعد قتله لوزيره المتغلب على أمره ، عمر بن عبد الله بن على اليابانىّ ، ويحرضه على قتال الشيخ [١٩٨] أبى ثابت عامر بن محمد بن على الهَنْتاتى ، صاحب جبل هَنْتاتة ، من حوز مراكش ، حين خرج عليه به ، بالسلطان المعتمد على الله أبى الفضل محمد بن أخى السلطان عبد العزيز هذا :

أبانَ فى حبّـــه ما قال عاذلهُ ... دمعٌ جرى فوق صَفح الخد هاملهُ
فبات من وطأة التفريق ذا وجل[1] ... يستنجد الصـــبر عونا وهو خاذله
صَبٌّ إذا ما بدا بالرَّقْمتين له ... وَميض برق الحِمى هاجت بلابله
يبكى لمنزل أنس بان آهـــله ... وظاعن عنه قـــد شَطّت منازله
يا حسن عصر بهم قضّيته زمنا ... رقّت حواشيه إذ رقّت أصائله

(١) فى ط : « فى وجل » .

كأنّ صوبَ دموعى بعد بُعْدِهِمِ ... سَيْبُ المليك إذا وافاه سائلهُ
عبد العزيز الذى عزت بدولته ... مراتب الحق والتاحت دلائله
وأصبح الملك فى أمن وفى دَعَة ... مِنَ الذى كان غالته غوائله
عادت بعيدٍ لنا منه نَضارته ... فعاد يافعه واشتد كاهله
كالروض باكره طَلّ على ظمأ ... وجادَه بعد ذاك الطَّلّ وابله
هو الإمام الذى من أمّ ساحَته ... جادت عليه بجدْواها أناملُه
ومن تخلّف جهلا عن إجابته ... سارت إليه على علم صواهله
قُلْ للذى عنه أقصَتْه جرائمه ... وعَقّلته عن العَليا مَعاقله
زُرْ حضرةَ الملكِ الميمون طالعُه ... تَحْظ بما أنت فى دنياك آمله
فطَبْعه الصفح والمعروف شيمته ... والحِلْم والصَّوْن والتقوى شمائله
أبلغ جميع العِدا أن سوف يشملُهم ... من الظُّبَى كلُّ ماضى الحد فاصله
هذا المليك أتاهم فى كتائبه ... لنَسْخ آجالهم تُنْضَى رَواحله
بكل خِرْق طويل الباع مُتّئد ... مقصّر عمرَ من تَلْقى مناصله(١)
وجحفلٍ فيه سُمْر الخط مُشْرَعةٌ ... قد حَجّبت أنجُمَ الشِّعْرَى قَساطله
سيعلم الغُمْر عُقْبَى ما جناه إذا ... كَلّت مواضيه وانفضّت كلا كله
وحاط بالجبل البحر المحيط ولا ... حت فوق أرؤسهم منه جداوله
فانهض إليهم أميرَ المسلمين فقد ... أُعْطيت كل المُنى فيما تحاوله
من ذا يُنازل جيشًا أنت قائده ... يومَ الكريهة أو مَنْ ذا يُناضله [١٩٩]

(١) المناصل : السيوف ؛ الواحد : منصل (بضم الميم وسكون النون مع ضم الصاد وفتحها) .

ألا ترى المارقَ الرِّعديدَ حين عتا وأضمر المكر صادَتْه حبائلهُ
ظنَّ الضنين بأن يسمو ويعلوَ فى دنيا سَمَتْ وعلت فيها بواطله
فغادرته الصِّعاد الزُّرْق منْجَدِلا فوق الصَّعيد تُناديه جنادله
دنياه تَضْحك من أحواله عجبا به وفى الحىّ تَبكيه أرامله
فليَهْنِ دين الهدى من بعد مدته أنْ أنت يا ذا المُحيَّا الطَّلْق كافِله
لم ينتصب قَطُّ فى الدنيا لواء عُلاً إلاّ ومِن آل عبد الحق حامله
مولاى مولاى دُم مَا عشت مُصطحِبا عُلاً ونخرا وعِزًّا لا تزايله
إن سار جيشك فالتأييد يَقْدُمه والنصر عاجله يقفوه آجله

انتهى كلام ابن الأحمر .

وأقارب هذا الشريف الشبوكىّ لم يزالوا إلى الآن ، ولهم مصاهرة مع وليّنا الفقيه المحدِّث ، الحاج الرَّحال البَرَكة ، القدوة الصالح الناصح ، أبى عبد الله سيدى محمد بن الولىّ الصالح سيدى أبى بكر بن محمد ، صاحب الدّلا[1] ، أبقى الله علاهم ، وأعانهم على ما أولاهم .

شعر لابن الخطيب على قبر السلطان أبى الحسن المرينى

ولنرجع إلى ابن الخطيب فنقول :

وقال رحمه الله ، وقد شاهد بجبل هَنتاتة محل وفاة السلطان أبى الحسن المَرينى ، حيث أصابه طارق الأجل ، الذى فَصَل الخُطَّة ، وأصمت الدّعوة ، ورفع المنازعة ، وعاينه مُرَفَّها[2] عن الابتذال بالسكنى ، مفترَشا بالحصباء ، مقصودا بالابتهال والدعاء ، فلم يبرح يومَ زيارة محل وفاته أنْ قال :

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصلين ، ولم نفهم المراد منها ، ولم نعثر على مرجع آخر لهذا الكلام المنقول عن ابن الأحمر ، لنعارض به هذا النص .
(٢) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « مرفعا » .

يا حسنَها من أرْبُع وديار أضحت لباغى الأمن دارَ قرارِ
وجبال عزّ لا تذِل أنوفُها إلا لعز الواحد القهار
ومقر[١] توحيدٍ وأُس خلافة آثارُها تُنْبى عن الأَخْبار
ما كنت أحسب أنَّ أنهار النَّدَى تجرى بها فى جملة الأنهار
ما كنت أحسب أن أنوار الحِجا تلتاح فى قُنَنٍ وفى أحجار
مَجّت جوانبُها البَرود وإن تكن شَبَّتْ بها الأعداء جَذوة نار
هدّت بناها فى سبيل وفائها فكأنّها صَرْعى بغير عُقار
لمّا توعّدها على المجد العدا رضِيَتْ بعَيْث النار لا بالعار
[٢٠٠] عَمرت بجِلّة[٢] عامر وأعزّها عبد العزيز بمُرهَفٍ بتّار
فرَسا رِهان أحرزا قَصَب النَّدى والبأسَ فى طَلَق وفى مِضمار
وَرِثا عن النَّدْب الكبير أبيهما محضَ الوفاء ورفعةَ المقدار[٣]
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة بالأصل فى وَرَق وفى أثمار
أزرَتْ وجوهُ الصّيد من هنتاتة فى جوّها بمطالع الأقمار
لله أى قبيلة تركت لها النظراء دَعْوى الفخر يوم فخار
نصرتْ أميرَ المسلمينَ[٤] وملكُه قد أسلمته عزائمُ الأنصار
وارَتْ عليًّا عندما ذهب الرَّدَى والروعُ بالأسماع والأبصار
وتخاذل الجيشُ اللُّهام وأصبح الأبطال بين تقاعُد وفِرار

(١) فى ط : « ومحل » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين والسلاوى : « بجلة » . ويريد بعامر : عامر بن محمد الهنتاتى .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الأقدار » .
(٤) فى ط : « المؤمنين » .

كُفِرَتْ صنائعُه فيتّم دارها مُستنظِرا منها بعز جوارِ
وأقام بين ظهورها لا يتّقى وقْع الردى وقد ارتمى بشرار
فكأنها الأنصارُ لمّا آنست فيما تقادم[1] غُربة المختار
لما غدا لحظًا وهم أجفانه نابتْ شِفارهمُ عن الأشفار
حتى دعاه الله بين بيوتهم فأجاب مُمتثِلا لأمر البارى
لو كان يُمنع من قضاء الله ما خلصتْ إليه نوافذُ الأقدار
قد كان يأمُل أن يكافئ بعض ما أولَوْه لولا قاطعُ الأعمار
ما كان يقنعه لو امتدّ المَدَى إلا القيامُ بحقّها من دار
فيعيد ذاك الماء ذائبَ فِضّة ويعيد ذاك الترب تِبْرَ[2] نُضَار
حتى تفوز على النوى أوطانُها من مُلْكه بجلائل الأوطار
حتى يلوح على وجوه وجوههمْ أثَرُ العناية ساطعَ الأنوار
ويُسَوِّغَ الأملَ القصىَّ كِرامَها من غير ما ثُنْيا ولا استعصار[3]
ما كان يَرْضَى الشمسَ أو بدرَ الدجى عن دِرْهم فيهم ولا دينار
أو أن يُتَوِّج أو يقلِّد هامَها ونحورَها بأهلّة ودَرارى
حقٌّ على المولى ابنِه[4] إيثارُ ما بذلوه من نصر ومن إيثار
فلمثلها ذُخِر الجزاء ومثلُه من لا يُضيع صنائع الأحرار
وهو الذى يقضى الديونَ وبِرُّه يُرضِيه فى علَن وفى إسرار

(١) فى ط ونفح الطيب : « تقدم » .
(٢) فى نفح الطيب والسلاوى : « ذوب » .
(٣) الثنيا : الاستثناء . والاستعصار : استفعال من العصر بمعنى المنع . ولم ترد صيغة « استفعل » من العصر فى المعاجم التى بأيدينا .
(٤) يريد بالمولى : ابنه السلطان أبا سالم بن أبي الحسن المرينى .

[٢٠١] حتى تُحَجَّ مَحِـــلَّة رَفعوا بها عـــلَمَ الوفاء لأعْيُن النُّظارِ
فيصير منهـا البيتُ بيتا ثانيا للطائفين إليـــــه أى بِدار
تغْنِى قلوب القوم عن هَدْى به ودموعُهم تكفى لرمى جِمـار
حُيِّيتِ من دار تكفّل سعيها الـــــمحمود بالزُّلْفى وعُقْبى الدار
وضَفَت عليكِ من الإله عناية ما كَرَّ ليـــلٌ فيك إثْر نَهار

شعر لابن الخطيب على قبر المعتمد

وقال رحمه الله ، حين زار بخارجِ أغماتَ قبر المعتمد بالله أبى القاسم ابن عَبَّاد ، أمير حِمْصٍ[1] وقُرطبة والجزيرة ، وما إلى ذلك الصُّقع الغربى ، ونص كلامه الذى رتبه فى ذلك أنه قال :

وقفت على قبر المعتمد بالله بمدينة أَغْمات ، فى حركة راحة أعملتها إلى الجهات المَرَاكشية ، باعثها لقاء الصالحين ، ومشاهدة الآثار عام واحد وستين وسبع مئة ، وهو بمقبرة أغمات ، فى نَشَز من الأرض ، قد حَفَّت به سِدرة ، و إلى جنبه قبر اعتماد حَظِيّته مولاة رَميك ، وعليهما هيئة[2] التغرب ، ومعاناة الخمول من بعد الملك ، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما ، فأنشدت فى الحال :

قد زُرت قبرَك عن طوع بأَغمات رأيتُ ذلك من أُولى المهماتِ
لِمْ لا أزورك يا أندى الملوك يدا ويا سراجَ الليـالى المدلَهِمّات
وأنت مَنْ لو تَخطَّى الدهرُ مَصْرَعَه إلى حياتى لجادت فيـه أبياتى
أناف قبرُك فى هَضْب يميِّزه فتنتحيه حَفِيّات التّحيات
كرُمت حياً ومَيْتاً واشتهرت عُلًا فأنت سلطان أحياء وأموات

(١) يريد بحمص (هنا) : مدينة إشبيلية بالأندلس ، لأن العرب الذين نزلوها عند الفتح أسموها باسم بلدهم فى الشرق .
(٢) فى نفح الطيب : « أثر » .

مارِىء[١] مثلك فى ماض، ومُعْتَقدى أن لا يُرَى الدهرَ فى حالٍ ولا آتِى

شعر له فى مخاطبة ابن يوسف

وقال رحمه الله مخاطباً أحمد بن يوسف حفيد الولى الصالح سيدى أبى محمد صالح النائم فى ظل صيته ، رحمهم الله :

يا حفيدَ الولىّ يا وارث الفخْـــر الذى نال فى مقال[٢] وحالِ
لك يا أحمد بن يوسف جُبنا كل قفر[٣] يعيى أكف الرحال

[٢٠٢] ولما خرج رحمه الله من آسِفَى[٤] سار إلى منزل ينسب لأبى خدو[٥] ؛ فيه رجل من بنى المنسوب إليه ، اسمه يعقوب ، قال فى نُفاضة الجراب ، فألطف وأجزل وآنس فى الليل ، وطلبنى بتذكرة تثبت عندى معرفته ، فكتبت له :

نزلنا على يعقوبَ نجل أبى خَدُّو فعرَّفنا الفضل الذى ما له حَدُّ
وقابلَنا بالبشر واحتفل القِرى فلم يبق لحم لم ننله ولا زُبد
يحق علينا أن نقوم بحقـــه ويلقاه منا البر والشكر والحمد

وله فى مخاطبة السلطان

وقال يخاطب السلطان :

أنت للمسلمين خـــير عِماد ومَلاذ وأىّ حِـــرْز حريزِ
لو رأى ما شرعت للخلق فيه عمرُ الفاضلُ ابن عبـد العزيز
لجزى ملـكَكَ المبارك خـيرا وقضى بالشّـــفوف[٦] والتبريز
فاشكر الله ما استطعت بفعل وبقول مُطَوَّل أو وجـــيز

(١) رىء : أصله (رئى) بالبناء للمجهول ، قدمت اللام على العين .
(٢) فى ت : « مقام » .
(٣) فى نفح الطيب : « قطر » .
(٤) آسفى : من الثغور المراكشية .
(٥) فى نفح الطيب : « حذو » .
(٦) يريد بالشفوف (هنا) : الزيادة .

كل مَلْكٍ يُرَى بصُحْبة أهل العلم قد باء بالمحل العزيزِ
فإذا ما ظفرت منهم بإكسير ملأت البلاد من إبريز
والبرايا تَبِيد والمُلْك يفنى أين كسرى الملوك مَعْ أَبْرَويز

وله فى مخاطبة ابنه وقد وصل لزيارته

وقال : أنشدت ابنى عبد الله وقد وصل لزيارتى من الباب السلطانى ، حيث [جرايته ووظيفته ، وانجر حديث] (١) ما فُقِد بغرناطة فى شجون الكلام :

يا بنىَّ عبدَ الإله احتسابا عن أثاث ومنزلٍ وعَقارِ
كيف يَأْسَى على خَسارة جزء من يرى الكلَّ فى سبيل الخَسار
هَدَف لا تنى سِهامُ الليالى عن سِباق تجاهَه وبِدار
واحد طائش وثانٍ مصيبٌ ليس ينجى منها اشتمالُ حِذار
غير ذى الدار صُرِّفَ الهمُّ فيها فمناخ الرحيل ليس بدار

وقال : أنشدته وأمرته بحفظه ، والتأدب به ، واللَّهَج بحكمته :

إذا ذهبتْ يمينُكَ لا تُضيِّع زمانكَ فى البكاء على المصيبهْ
ويُسراك اغتنم فالقوس ترمِى وما تدرِى أرشقتها قريبه
[٢٠٣] وما بغريبة نُوَب الليالى ولكن النَّجاةَ هى الغريبه

بعض مقطوعات له

وقال رحمه الله :

يَأهل هذا القُطْر ساعده القَطْر بُليتُ فدُلُّونى لمن يُرْفع الأمرُ
تشاغلتُ بالدنيا ونمتُ مفرِّطا وفى شُغُلى أو نَوْمتى سُرِق العمر

وقال رحمه الله :

مالى أهذِّبُ نفسى فى مطالبِها والنفسُ تأنَفُ تهذيبى وتَهذِى بى

(١) ما بين القوسين تكملة عن ت .

إذا استعنتُ على دهرى بتجربة تأبى المقاديرُ تجريبى وتجرى بى

وله فى مشرف الدار حين أكل القابض

وقال رحمه الله مَوَرّيا حين أكل مُشْرف الدار القابض[1] ، أى أخذ ماله :

مُشْرِف دار الملك ما بالُه منتفخَ الجوف شكا نافضا
فقيل لى ليس به علة لكنه قد أكل القابضا

وقال رحمه الله :

يا نفس لا تُصغى إلى سَلْوة كم أخلف الموعدَ عُرقوبُ
وأنت يا قلبىَ وَصّاك إبراهيم بالحزن ويعقوب

وله فى رأس الغادر بالدولة

قال : وقلت فى رأس الغادر بالدولة حين عرض على :

فى غير حفظ الله مِن هامة هام بها الشيطان فى كل وادْ
ما تركتْ حمداً ولا رحمة فى فم إنسان ولا فى فؤادْ

وله فى الغزل

وقال رحمه الله :

يا كوكبَ الحسن يا معناه يا قمرَهْ يا روضه المتناهى الرَّيْع يا ثمرَهْ
أمرتنى بسُلُوٍّ عنكِ ممتنع مأمور حسنك لمّا يَقْضِ ما أمَرَه

شعر له فى السعيد أبى بكر

[وقال رحمه الله فى السعيد أبى بكر ابن السلطان أبى عنان :

أميراً كأن قُمَير الدجى أفاض الضياء على صفحتيه
تملأ قلبىَ من حبه غداةَ نظرت بعينى إليه
فلا بسط الدهر كفَّ الرَّدى لذاك الشُّخَيص وذاك الوُجَيه][2]

(١) القابض : من الألفاظ الأندلسية ، وهى هنا بمعنى المال المأخوذ .
(٢) ما بين القوسين ساقط فى ت .

وله فى توديع ابنه لما انصرف عنه إلى فاس

وقال عند ما انصرف عنه ابنه إلى مدينة فاس ، لإقامة رسمه من الخدمة ، قال : وأشجانى انصرافه لوقوع قَرحه على قرح ، والمستعان الله :

بان[1] يومَ الخميس قرةُ عينى ... حسْبىَ الله أىُّ موقف بَيْنِ !
لو جنى موقف النَّوى حَيْنَ حَىّ ... حانَ يومَ الوَداع والله حينى
ضايقتنى صروف هذى اللَّيالى ... وأطالت همى وألْوَتْ بدينى
وطن نازح وشَمْل شَتيت ... كيف يبقى مُعذَّب بين ذَيْن ؟
[٢٠٤] يا إلهى أدركْ بلطفك ضعفى ... إن ما أشتكيه ليس بهيْن

وله فى السيادة الخطيبية

قال : وخاطبت السيادة الخطيبية[2] مع طيفور طعام :

تَعَلَّمْ طيفورى خِـلال سميّه[3] ... وإن كان منسوباً إلى غير بِسْطَامِ
وجاء فقيرَ الوقت لابسَ خِرقة ... فليس براض غير صحبة صَوَّام
فدَيْتُك لا ترده عنك مخيَّبا ... ودَرِّسه يا مولاى قِصّة بِلْعام[4]

قال : وكتبت إلى السيادة الخطيبية ، ووصل ولدها إلى سلا ، ومنعنى عن لقائه عذر من مرض ، وكان نزوله بزاوية النساك :

صَدّنى عن لقاء نَجْلك عذر ... يمنع الجسم عن تمام العبادهْ
واختصرت القِرى لأن حَطّ رحلا ... فى محل الغِنى ودار الزّهاده

---

(١) فى ت : « فات » .
(٢) يريد بالسيادة الخطيبية ، الخطيب ابن مرزوق حاجب الدولة الغرناطية .
(٣) طيفورى : يريد طبقا عليه مأكول . وسميه : يريد به القطب طيفور بن عيسى ابن سروشان ، المكنى بأبى يزيد البسطامى ، شيخ الصوفية ، وصاحب الأحوال المشهورة . (انظر شرح القاموس) .
(٤) لعله يريد بلعام بن باعوراء من بنى إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، وله قصة مشهورة .

ولَوَ أنى احتفلتُ لم يُعِنِ الدهـــرُ ولا نِلْت بعضَ بعضٍ أراده
وعلى كل حالة فقُصورى عادة إذ قبُولك العـذرَ عاده
لا عدمتَ الرضا من الله والحُسْـــنى كما نص وحيُه والزياده

وقال يخاطبه من ضريح السلطان أبى الحسن بشالة ، لاستنهاض عزيمته فى قضاء غرضه :

برِئت لله من حولى ومن حِيَلِى إن نام عنى وَلِيِّى فهْوَ خيرُ وَلِى
أصبحت مالِىَ من عَطْف أُؤمّله من غيره فى مُهِمّات ولا بَدَل
ما كنتُ أَحْسِب أن أُرْمَى بقاصية للهجر أقطعُ فيها جانب الأمل
من بعد ما خَلَصت نحوى الشفاعة ما بين الفلا[1] والدّجى والبيض والأَسَل
إن كنتُ لستُ بأهل للذى طمحتْ إليـه نفسى وأهْوَى نحوه أملى
فكيف يُلْغَى ولا تُرْعَى وسيلتُه دَخيلُ قبر أمير المسلمين عَلِى
من بعد ما اشتهرت حالى به وسَرَتْ بها الركائب فى سهل وفى جبل
والرسـل تَتْرى ولا تخفى نتائجها عنـد التأمّل من قول ولا عمل
ولا لليلِىَ من صُبح أطالعه كأن هَمِّىَ قد مد الدُّجُنّـة لى
لو أننى بابن مرزوق عقدتُ يدى وكان محتكِما فى خِيرة الدُّول
لكان كربِىَ قَدْ أفضَى إلى فرج وكان حُزْنِىَ قد أوفى على جَذَلِ
ألْمَمْت[2] بالعتب لم أحذَرْ مواقعَه « أنا الغريقُ فما خوفى من البلل » [٢٠٥]
ولستُ أجحد ما خُوِّلْتُ من نِعَم لـكنها النفسُ لا تنفكّ عن أمل
ولست أيأسُ من وعد وُعِدْت به وإنما « خُلِق الإنسانُ من عَجَل »

(١) فى نفح الطيب : « العلا » .
(٢) فى نفح الطيب : « ألحت » .

وقال رحمه الله يخاطب السلطان أبا الحجاج : — وله فى مخاطبة السلطان أبى الحجاج

أمولاى إن الشعرَ ديوانُ حكمة ... يفيد الغنَى والعزّ والجاه مَنْ كانا
وقد وُجِد المختارُ فى الحفْل مُنْصِتا ... له وَحَبا كعبا عليه وحسّانا
وفيما رواه الناقلون وأثبتوا ... بذلك ديواناً صحيحاً فديوانا
بأن أبا بكر خليفتَــه الرّضا ... وفاروقَه الأدنى إليــه وعثمانا
وأن عليا قدس الله جمعَهم ... وكرمنا بالقُرب منهم وحيّانا
لهم فى ضروب القول إذْ هُمْ فحولُه ... خطاب وشِعْر يستقِرّان تبيانا
وفاض على أهل القريض نوالُهم ... فرُوِّض رَوْضُ القول سَحّا وتَهتانا
وأنتَ أحقُّ الناس أن تفعل التى ... بهـا[1] فعل المختار ديناً وإيمانا
فما زلتَ تَهْدِى فى البرية هديَه ... وتقضى بما يُرْضيه سِرًّا وإعلانا
وإن قيل قدر المرء ما هو محسنٌ ... فصنعة نظم القول أرفعــه شانا

وقال رحمه الله فى فن التورية : — وله فى التورية

بنفسى حبيب فى ثناياه « بارق » ... ولـكنهـــا للواردين عِذابُ
إذا كان لى منه عن الوصل « حاجر » ... فدمعى « عقيق » بالجفون مُذاب

وقال :

عَذّبتَ قلبى بالهوى فتقيــامه ... فى نار هجرك دائماً وقعودهُ
ولقد عهِدتُ القلب وهو موحّد ... فعلام يُقضَى فى العذاب خلوده

وقال فى التجنيس : — وله فى التجنيس

دُعوتُك للود الذى جَنَباته ... تداعتْ مبانيها وهَمّت بأن تهِى

(١) فى نفح الطيب : « الذى به » .

وقلتُ لعهد الوصل والقرب بعد ما تناءى أأسلو عن حياتى[1] وأنت هى
ومن شام من جو الشبيبة بارقا ولم تنهه عنه النُّهَى كيف ينتهى ؟

وقال أيضاً :

ناديتُ دمعىَ إذْ جدّ الرحيلُ بهم والقلبُ من فَرَق التوديع قد وَجَبا
سَقَطْتَ يادمعُ من عينى غَداة نأى عنى الحبيبُ ولم تقض الذى وجبا

[٢٠٦] وله فى التورية أيضا

وقال مُوَرّيا :

كتبتُ بدمع عينى صفحَ خدِّى وقد مَنَع الكَرى هجرُ الخليل
وراب الحاضرين فقلت هذا كتاب « العين » ينسب للخليل

وتذكرت بهذا قول الشيخ أبى حيان :

سبقَ الدمع بالمسير المطايا إذ نوى من أحب عنّىَ نُقْلهْ
وأجاد السطور فى صفحة الخدّ ولمْ لا يجيد وهو ابن مُقْله

والبيتَ الثانى أردت ، ولكن ابن الخطيب قد قصد تورية أخرى لم يقصدها أبو حيان ، وكلاهما قد أحسن فى توريته .

من شعره

وقال ابن الخطيب :

ولما رأت عزمى حثيثاً على السُّرَى وقد رابها صَبْرى على موقف البينِ
أتت بصِحاح الجوهرى دموعُها فعارضتُ من دمعى بمختصَر العين

وقال أيضا :

بحق ما بيننا يا ساكنى القصَبهْ رُدُّوا علىّ حياتى فهى مغتصَبهْ
ماذا جنيتم على قلبى بِبَيْنِكُمُ وأنتمُ الأهلُ والأحباب والعصَبهْ

(١) فى نفح الطيب : « وهل أسلو حياتى » .

وقال عفا الله عنه :

مَضجعى فيك عن قتادة يَرْوى ورَوى عن أبى الزّناد فؤادى
وكذا النوم شاعر فيك أمسى من دموعى يَهيم فى كل وادى

وقال رحمه الله :

حين ساروا عنى وقد خنقتنى عَبَرات قد أعربت عن وَلُوعى
صِحْت من ينصر الغريبَ فلمّا لم أجد ناصراً بلغت دموعى

وقال عفا الله عنه :

قال لى والدموع تَنْهَلُّ سُحْبا فى عِراض[1] من الخدود مُحولِ
بك ما بى فقلت مولاىَ عافا كَ المُعافى من عَبْرتى ونُحولى
أنا جفنى القريحُ يَرْوِى عن الأعـ ـمش والجفنُ منك عن مكحول

وله فى جلوس السلطان فى يوم برد للسلام

وقال ، وقد جلس السلطان فى يوم شديد البرد للسلام :

جلس المولَى لتسليم الوَرَى ولفصل البرد فى الجو احتكامْ
فإذا ما سألوا عن يومنا قلت هذا اليومُ بردٌ وسلامْ

[٢٠٧] وله فى الغزل

وقال رحمه الله تعالى :

بأبى بدر[2] غزانى مستبيحاً سَرْح[3] صدرى
فأنا اليوم شهيد الحب من غزوة بدْر

وقال :

أشكو لمبسِمه الحريقَ وقد حَمَى عنِّى لَمَاه المشتهَى ورحيقَهُ
يا ريقَه حيّرتنى ومَطلتَنى ما أنت[4] إلا باردٌ يا ريقَهُ

(١) كذا فى الأصلين ونفح الطيب ، ونميل إلى أن هذه الكلمة محرفة عن «عراص» بالصاد المهملة ، فهى أليق بهذا المقام .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « ظبى » .
(٣) كذا فى ت . والسرح : فناء الدار . وفى ط : « صرح » . والصرح : القصر .
(٤) فى ط : « ماكنت » .

أبيات له فى المحسنات البديعية

وقال فيمن ركب البحر وماد :

ركب السفينة واستقلّ بأفقها فكأنما ركب الهلالَ الفرقدُ
وشكوا إلىّ بميدهم فأجبتهم[1] لا غروَ أنْ ماد القضيب الأملد

وقال أيضاً :

يا مالكى بخـــــلال تُهدِى إلى الفكر[2] حَيْرهْ
أضرمتَ قلبىَ نارا يا مالكُ بنَ نُوَيرهْ

وقال عنـد ما خرج السلطان ابن الأحمر من فاس متوجهاً إلى الأندلس لطلب حقه :

ولما حثثتَ السيرَ والله حاكم لملكك فى الدنيا بعزّ وفى الأخرى
حكى فرسَ الشِّطْرنج طِرفُك لا يُرى يُنَقَّل من بيضاء إلا إلى حمرا

وقال رحمه الله تعالى :

تعجلتُ وخْطَ الشَّيْب فى زمن الصبا لخوضى غِمارَ الهمّ فى طلب المجدِ
فهما رأيتم شَيبة فى مفارقى[3] فلا تنكروها إنها شَيبة الحمد

وقال رضى الله عنه :

يا من تقلد للعَلاَء سُلوكا والفضلُ أضحى نهجُه مسلوكا
كاتبتنى متفضِّلا فملكتنى لا زلتُ منك مكاتَبا مملوكا

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى ط . وفى ت : « وشكا إلى بميده فأجبته » ؛ وفى نفح الطيب : « وشكوا إليه بميدهم فأجبتهم » .
(٢) فى نفح الطيب : « القلب » .
(٣) فى نفح الطيب : « فوق مفرق » .

وقال عفا الله عنه :

أجاد يراع الحسن خَطَّ عِذارِهِ وأوْدَعه السرَّ المصون الذى يَدْرِى
ولم يفتقر فيـــه لختم وطابع فمبسمه أغنـاه عن طابع السر

[٢٠٨] وقال فى رجل حلف وأقسم أنه ذو مال وأمانة ، وطلب من السلطان الخدمة :

حلفتَ لهم بأنك ذو يسار وذو ثقة وبر فى اليمين
ليستندوا إليـك بحفظ مال فتأكل باليسار وباليمين

وقال فى الفخر :

ما ضرنى أن لم أكن[1] متقدما فالسبق يُعرَف آخرَ المضمارِ
ولئن غدا رَبْع البـلاغة بلْقعا فلرُبَّ كنزٍ فى أساس جِدار

وقال فى مديح السلطان أبى الحجاج :

فى مصر قلبى من خزائن يوسُفٍ حَبٌّ وعِـــيرُ مدائحى تمتارهُ
حلّيْت شـــعرى باسمه فكأنه فى كل قُطْر حَـــلَّه دينارهُ

وقال يخاطب ابنَه السلطانَ أبا عبد الله :

قالوا لخدمته دعاك محمـــدٌ فكرهتُها وزهِـــدتُ فى التنويهِ
فأجبتهم أنا والمهيمنِ كاره فى خـــدمة المولى مُحِبٌّ فيه

ومن قوله فى غرناطة :

أحبُّكِ يامغنى[2] الكمال بواجب[3] وأقطع فى أوصافك الغُرِّ أوقاتى
تقسَّم منك التربَ قومى وجيرتى فنى الظَّهر أحيائى وفى البطن أمواتى

(١) كذا فى الأصلين ؛ وفى نفح الطيب : « أن لم أجئ » .
(٢) فى نفح الطيب : « أحييك يامعنى » .
(٣) الواجب : القلب .

وقال فى غرض ينحو به نحو المشارقة :

رمَوْا بالسُّلوِّ حليف الغرامِ وأدمعه كالحيا الهاطلِ
أعوذ بعزكَ يا سيدِى لذلىَ من دَعوة الباطل

وقال أيضاً :

يا ليلُ طُلْتَ ولم تجُد بتبسُّم وأرَيتنى خُلُقَ العَبوس النادمِ
هلاّ رحمتَ تغرُّبى وتفرُّقى لله ما أقساك يا بن الخادم

وله فى سكين الأضاحى

وقال فى سكين الأضاحى للسلطان أبى الحجاج رحمه الله :

لىَ الفضلُ أن شاهدتنى واختبرتنى على كل مصقول الغِرارين مُرْهَفِ
كفانىَ فخراً أن ترانىَ قائماً بسنة إبراهيم فى كف يوسف

وله فى مروحة سلطانية

وقال فى مِرْوحة سلطانية :

كأنىَ قوس[1] الشمس عندطلوعها وقد قَدِمت من قبلها نَسمةُ الفجْرِ
وإلا كما هبّت بمُحْتَدِم الوَغى بنَصْرٍ ولكن من بُنود بنى نَصْر[2]

وله يخاطب ابن الجياب [٢٠٩]

وقال يخاطب شيخه ابن الجياب :

بين السِّهام وبين كُتْبكَ نسبة فيها يُصاب من العدو المَقْتلُ
وإذا أردت لها زيادة نِسبة هذى وهذى فى الكِنانة تُجْعَل

وله فى الغزل

وقال يتغزّل ، وفيه معنى غريب :

إن اللِّحاظ هى السيوف حقيقة ومن استرابَ فحجتى تكفيهِ
لم يُدْعَ غمدُ السيف جَفناً باطلا إلا لشِبه اللحظ يُغْمَد فيه

قيل : وأحسن منه قول غيره :

إن العيون النُّجْل أمضى موقعا من كل هندىّ وكل يمانِ

(١) فى ت : « ظل » .
(٢) بنو نصر : هم بنو الأحمر ملوك غرناطة .

فضل العيون على السيوف بأنها[١] قتلت ولم تخرج من الأجفان

وأصل ما قال ابن الخطيب قول الآخر :

بين السيوف وعينيه مشاركة[٢] من أجلها قيل للأغماد أجفانُ

وقال ابن الخطيب أيضا فى البراغيث : وله فى البراغيث أيضا

بتنا نكابدُ هَمَّ القَحْط ليلتنا وأنجد السُّهد والكَرْب البراغيثا[٣]

وكان يُحْمَلُ ما كنّا نكابده من المشـــقّة لو أنَّ البرا غيثا[٤]

وقال فى خالد البَلَوِى صاحب الرحلة ، وقد استكثر من سرقة كتاب وله فى خالد البلوى

« البرق الشامى » للعماد الأصبهانى :

خليـــلىَّ إن يُلْف اجتماع بخالد فقولا له قولا ولن تَعْدُوَا الحقّا

سرقتَ العِماد الأصبهانىَّ برقَه وكيف ترى فى شاعر سَرَق البرقا ؟

وقال فى المنجانة : وله فى المنجانة

تأمَّلِ الرملَ فى المَنجان منقطعاً يجرى وقَدْره عمراً منك منتهياَ

والله لو كان وادى الرمل يُنجده ما كان[٥] كامله إلا وقد ذهبا

وقال : وله فى الغزل

أقول لعاذلى لمـــا نهانى وقد وجد المقالة إذ جفانى

علمتَ بأنه مُرُّ التجنى وفاتك أنه حُلْو اللســان

---

(١) فى ت : « لأنها » .

(٢) فى ط : « بين اللحاظ وعينيه مناسبة » .

(٣) رواية هذا البيت فى نفح الطيب :

بتنا نطارح هم القحط ليلتنا وأيد الهم والسهد البراغيثا

(٤) البرى : التراب . ورسمت (البرى) بالألف ليتم الجناس بين البيتين . وغيث : أصابه الغيث .

(٥) فى ت : « ماطال » .

وله فى التصوف

وقال فى غرض صُوفى :

لا تنكروا أن كنتُ قد أحْبَبْتُكم ... أو أننى استولى علىّ هواكُمُ
طوعاً وكرهاً ما تروْن فإننى ... طُفْتُ الوجود فما وجدتُ سواكم

وله فى المديح موريا [٢١٠]

وقال يمدح وفيه تورية :

وإن نظرتَ إلى لألاء غُرَّته ... يوم الهياج رأيت الشمس فى الأسدِ

شعر له يشك أنه للشارفة

ونسب إليه الحافظ أبو عبد الله التَّنَسى رحمه الله ، قصيدة يخرج منها أكثر من ثلاث مِئَة بيت ، ونسبها غير التَّنَسى إلى بعض المشارقة ، فالله أعلم ، وهى :

دارٌ ثوى بفؤادى شفَّه سَقَمُ[1] ... لِحِنتى من دواعى الهمّ والكمدِ
بأضلعى لَهَبٌ تَذْكُو[2] شَرارته ... من الضنى فى محل الرُّوح من جسدى[3]
يومَ النَّوى حل فى قلبى له ألمٌ[4] ... وحُرْقتى وبلائى فيه بالرصَد
توجُّعى من جوًى شُبَّت حرارته ... مع العنا قَدْ رَثَى لى فيه ذو الحسد
أصل الهوى مُلْبِسى وجْدا به عَدَم ... لمهجتى من رشاً بالحسن منفرد
تَتَبُّعى وَجْهُ[5] من تزهو نضارته ... إذا انثنى قاتلى عمداً بلا قَوَد
مُهْدِى الجوى مُولَعٌ بالهجر منتقم ... ما حيلتى قد كوى قلبى مع الكبِد
لمصرعى معتـــد تحلو مرارته ... يا قومنا[6] آخذ نحو الرَّدَى بيدى
قلبى كَوى ملكٌ فى النفس محتكم ... لقصَّتى فهْو سؤلى وهو معتمَدى
مُرَوِّعى قمر تَســـبِى إشارته ... إذا رنا ساطع الأنوار فى البلد

(١) فى ت هنا : « ألم » .
(٢) فى ط : « تبدو » .
(٣) فى ت هنا : « ... الروح والجسد » .
(٤) فى ت : « يوم النوى ظل فى قلبى به ألم » .
(٥) فى ت : « وجد » .
(٦) فى ط : « ياقومنا » .

هَدَّ القُوَى حَسَن كالبدر مبتسم لِفتنتى مُوهِن عند النَّوى جَلدى
مُودِّعى النار قد شَبَّت زيارته لما جنى مُورثى وجدا مع الأبد

قلت : وعندى أنها بعيدة من نَفَس ابن الخطيب ، مع أن الحافظ التَّنَسى نسبها له ، وغيره نسبها لبعض المشارقة ، وذكر التَّنَسى أنه يخرج منها ثلاث مئة بيت ونيف وستون بيتاً[1] ، والله ولى التوفيق .

ثم وقفت بعد هذا على كراسة من بعض تآليف الصَّفَدى بخطه ، عبّر[2] فيها أنها لبعض المشارقة ، وأورد القطعة مع تقديم وتأخير ، فأردت أن أذكره إتماماً للفائدة ؛ ونصه :

صالح بن أحمد بن عثمان صلاح الدين القوّاس الشاعر الخِلاطى ثم البعلبكى ، توفى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، كان رجلا خيّراً متواضعاً ، صحب الفقراء ، وسافر الكثير ، وكان يعبُرُ الرؤيا ؛ قال الصَّفَدى : أنشدنى من لفظه الشيخ الحافظ الذهبى ، قال : أنشدنى المذكور قصيدته السائرة ذات الأوزان ، وهى : [٢١١]

داء ثَوى بفؤادى شَفَّه سَقَمُ لِمحنتى من دواعى الهم والكمدِ
بأضْلُعى لَهَب تذكو شَرارته من الضَّنَى فى محل الرُّوح من جسدى
يومَ النَّوَى ظلّ فى قلبى به أَلَمَ وحُرْقتى وبلائى فيه بالرَّصَد
توجعى من جوًى شبّت حرارته مع[3] العنا قدْ رثى لى فيه ذو الحسد
أصل الهوى مُلْبِسى وجدا به عَدَم لمهجتى من رَشًا بالحسن منفرد

(١) طريقة ذلك أن يؤخذ الشطر الأول من كل بيت كما هو أو مع تغيير فى بعض كلماته ، ثم يوضع مع ماينا سبه معنى من الشطور الثوانى فى القصيدة كلها ، فتخرج من ذلك صور كثيرة للبيت الواحد .

(١) فى ت : « عين » .

(٢) فى ط : « من » .

تتبعى وَجْه[١] من تزهو نضارته لما جنى مُورثى وجدا مع[٢] الأبدِ
هَدَّ القوى حَسَن كالبدر مبتسم لِفتْنتى مُوهِن عند النّوى جَلَدى
مُودّعِى قمَر تَسْبِى إشارته إذا رنا ساطع الأنوارِ فى البَلَد
مُهْدِى الجَوى مُولَع بالهجر مُنتقِم ما حيلتى قد كوى قلبى مع الكَبِد
لمصرعى مُعْتَدٍ تحلو مرارته يا قومَنا آخذ نحو الردَى بيدى
قلبى كوى مَلِكٌ فى النفس محتكم لقصتى وهو سُؤلِى وهو معتمدى
مولّعى النار قد شَطَّت[٣] زيارته لما انثنى قاتلى عمداً بلا قَوَد

قال الصَّفَدى : قلت : هذه القصيدة تقرأ على ثلاث مئة وستين وجهاً .

وله فى المشيب

[وقال فى المشيب :

إنى لمُبْلَى بالهوى من بعد ما للوخْط بالفَودين أى دبيبِ
لَبِس البياضَ وحلَّ ذِروةَ مِنبر منى ووالَى الوعظَ فِعْل خطيب

وله وقد أجاز بسبتة

وكتب ببعض الحيطان لما أجاز بسَبتة :

أقمنا بُرْهة ثم ارتحلنا كذاك الدهرُ حالا بعد حالِ
وكل بِداية فإلى انتهاء وكل إقامة فإلى ارتحال
ومن سام الزمانَ دوام أمر فقد وقف الرجاء على المُحال

وقد قدّمنا بعض هذه المقطوعة على غير هذا الوجه][٤] .

وله فى طاق الماء

وقال مما يكتب فى طاق الماء بباب القبة :

أنا طاق تزهو بىَ الأيامُ تَعِبت فى بدائعى الأفهامُ

(١) فى ت : « متيمى وجد » .
(٢) فى ت : « وجدى مدى » .
(٣) فى ت : « مرومى سار لا شطت » .
(٤) ما بين القوسين جاء متأخرا فى ط بعد قوله : « قلبى الثانى » .

وتبـــدّيت للنواظر سِحرا بأ كأن الإناء فيّ إمامُ[1]
واقف للصـلاة حتى إذا ما جئت للشُّرب حان منى السلام

وقال فى ذلك أيضاً :

ياصانعى لله ما أحكمتـــه فَلأَنْتَ بين العـــالَمين رئيسُ
أحكمتَ تاجي يوم صُغت رُقوشه فَصَبَت إليـه مَفارقٌ ورءوس
وأقمتُ فى محرابه فكأنه مَجلَى[2] إناء المـاء فيه عَروس

بين ابن الجياب وابن الخطيب

وكتب إليه شيخه ابن الجَيّاب بقوله :

أيا كتابى إذا ما جئت ما لَقَةً دارَ المكارم من ثِنْي ووُحدانِ
فلا تُسَلِّم على رَبْعٍ بذى سَلَم بها وسَلِّم على ربع لسَلْمان

[٢١٢] فأجابه ابن الخطيب بقوله :

يا ليت شعرىَ هل يُقْضَى تألُّفنا ويثنىَ الشوقَ عن غاياته الثانى
أو هل يحن على نفسى معذبُها أو هل يرق لقلبى قلبىَ الثانى

بعض أبيات له

وقال رحمه الله :

عَدِّ عن كيتَ وكيتْ ما عليها غيرُ ميتْ
كيف تُرْجَى حالة البُقـــيَا لمِصباح وزَيْت

وقال رحمه الله :

والله ما جانٍ على ماله أو جاهه مَن ذاد عن عرضهِ[3]

(١) فى ط : « الإمام فى قيام » .
(٢) فى ط : « يحكى » .
(٣) فى ط : « من حاط من عرضه » .

والناس فى خير وفى[1] ضده هم شهداء الله فى أرضه

موشحة له فى مدح السلطان يوسف أبى الحجاج

وقال رحمه الله : ومما قلته من الموشّحات التى انفرد باختراعها الأندلسيون ، وطمس الآن رسمُها :

رُبَّ ليل ظفرتُ بالبدرِ ونجوم السماء لم تَدْرِ
حفظ الله ليلنا ورَعى
أىُّ شمل من الهوى جَمَعا
غفلَ الدهرُ والرّقيب معا
ليت نهرَ النهار لم يجرِ حكمَ الله لى على الفجْرِ
عَلّل النفس يا أخا العربِ
بحديث أحلى من الضَّرَبِ
فى هوى مَنْ وِصالُه أرَبِى
كلَّما مرَّ ذكر من تَدْرِى قلتُ يا بردَه على صدرِى
صاحِ لا تَهْتَمِمْ بأمر غَدِ
وأَجِزْ صِرْفَها يداً بيَدِ
بين نهر و بلبـــل غَرِدِ [٢١٣]
وغصون تميد من سُكْرِ أعْلَنتْ يا غمامُ بالشكرِ
يا مرادى ومنتهى أمـلى
هاتها عَسْجدية الحُلَلِ
حلّت الشمسُ مَنزل الحَمَل
وبُنُـــود الربيع فى نشرِ والصَّبا عنـــبرية النَّشرِ

(١) فى ت : « وإن » .

غُرةُ الصبح هذه وضحتْ
وقيان الغصون قد صدحتْ
وكأن الصَّبا إذا نفحَتْ
وهفا طيبها عن الحضرِ مِدحـــة فى عُلا بنى نَصْرِ
هُمْ ملوك الورى بلا ثُنْيا
مَهَّدوا الدين زيَّنوا الدنيا
وحَمَى اللهُ منهمُ العَلْيـــا
بالإمام المرفَّع الخَطَرِ والغمام المبـــارك القَطْرِ
إنما يوسفٌ إمام هُدَى
حاز فى المَعْلُوات كلَّ مدَى
قلْ لدهر بمُلْكه سَعِدا
افتخر جمـــلة على الدَّهْرِ كافتخار الربيع بالزَّهْرِ
يا عماد العَـــلاء والمجدِ
أطلع العيـدُ طالع السعدِ
ووفى الفتح فيـــه بالوعد
وتجلت فيـــه على القصرِ غُرَر من طلائع النّصرِ
فتهنَّأ من حســنه البَهَجِ
بحيـاة النـفوس والمُهَجِ
واستمعْهَا ودعْ مقال شجى
قَسَماً بالهوى لِذِى حِجْرِ ما لليلِ المَشوق مِنْ فجرِ

ومن بديع موشّحاته رحمه الله قوله :

[٢١٤] كم ليوم الفراق من غُصَّهْ فى فؤاد العميـــدْ
نَرفع الأمر فيه والقِصَّهْ للولىّ الحميـــدْ

رحل الركب يقطع البيدا بسفين النِّيـــاقْ
كل وَجْناء تُتْلِعُ الجيدا وتَبُـــذّ الرِّفاقْ
حَسِبتْ ليـلة اللقا عيداً فهْىَ ذات اشتياقْ
صائمات لا تقبل الرخصهْ قبل فِطْر وعيـــدْ
فهى مذ أمَّلتَـه مختصه بجهـاد جهيـــد

ومنها وهو آخرها :

يا إمام العُـــلا والفَخْرِ ذا السَّـــنا المُبهِجِ
ها كَها لا عَدِمتَ فى الدهرِ آمِـــلاً يَرْتَجِى
عارضَتْ قول بائع التمر بمقـــــال شَجِ
غَرَّبوكِ الجمالُ يا حفصـــهْ من مكان بعيدْ
من سجلماسة ومن قَفْصهْ وبـــلاد الجَرِيد

وله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

ومن بديع نظمه رحمه الله فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة المشهورة وهى :

سَلْ ما لِسَلْمَى بنار الهجر تَكْوِينى وحبُّها فى الحَشَى مِنْ قَبْلِ تكوينى
وفى مُناها تمنَّيتُ المُنَى فَفَـدَا قلبى كئيباً ببَـلْوَاه يُناجِينى
وفى قِباب قُبَا قامَتْ لنا بقَبا طرازُها مُذْهبٌ فى حُسْن تَزْيين
لمَّا انْثَنَت فى الحِلى تَزْهُو بهَجْتها وبالغـــزالة تُزْرِى والسَّراحِين
لمَّا تغنَّتْ فى أفْنان قامَتهـــا تغنَّتْ بفُنون الصَّـــدِّ تُفْنِينى
ويحسبُ الصبُّ يُسلينى محبَّتَها هيهات لو أن جمّ النار يُصْلِينى
النارُ فى كَبِدى والشَّوْق يُقْلقنى والقُربُ يَنْشُرنى والبُعْد يَطوِينى

ورُكن صَبْرى تَخَلَّى فى الغرامِ وقد ... تمكَّن الحبُّ فِىَّ أىَّ تمكين
وقد رأيتُ مَسيرى عزَّ مطْلبُه ... والطَّرف والظَّرف يُبكينى ويكوينى
نصَبت حالى لرَفْع الضَّم منجزم ... بالكسْر عَلَّ برَشْف الضَّم تُحيينى
ياصاح عُجْ بالحِمَى وانزِل بهم سحَرا ... وانظر لِعُجْب أثيلاث البساتين
[٢١٥] وفوق سَفْح عَقيق الدَّمع عُجْ لِترَى ... جآذر الحىّ بين الخُرَّد العِين
وملْ على أثَلاتِ البَان مُنعطفا ... وحَىِّ سَلْعا وسَلْ عن حال مِسكين
ثم أْتِ جَزْعاً وجُزْ عن حىّ كاظمة ... واقرَ السَّلام على خير النبيّين
محمد المصطفى المختار مَنْ ظهرت ... آياته فتسلَّى كلُّ مَحزون
مَنْ خَصَّه الله بالقُرآن معجزةً ... ما نالها مُرْسَلٌ قد جاء بالدين
ومن شهاب بدا من نوره رُجِمَت ... شُهْب الدياجى رُجُوماً للشَّياطين
وفوق راحته صُمُّ الحَصَى نطقتْ ... والماء مِنْ كفّه يُزْرِى بجيْحُون
وهْو الذى اختاره البارى وأرْسَله ... بَرًّا رءوفاً رَحيماً بالمساكين
إنْ سار فى الرَّمْل لم يَظهر له أثرٌ ... وإنْ علا الصَّخرَ عادَ الصخرُ كالطين
كأنَّ بالرَّمْل ما بالصخر من جَلَدٍ ... شوْقاً وبالصخر ما بالرَّمْل من لِين
وفى الصَّحيحيْن أنَّ الجِذْعَ حَنَّ له ... والعِذْق أنَّ إليه أىَّ تأْنين
وقد سَمِعنا بأنّ الطير خاطَبَه ... فى مَنطِق مُفْصِحٍ مِنْ غَيْر تلكين
والظبىَ والضَّبَّ جاءا يشهدان بأنْ ... لا شىء أعظم من طه ويسين
فكيف أُحْسِن مَدْحا فى محاسنه ... لكنَّ لى قَبولاً مِنهُ يكفينى
أُقبِّل الأرض إجلالاً لهيبته ... وألثِمُ التُّربَ علَّ الوصل يحيينى
وقد أقول ابنُ حَمْدانَ الغريبُ أنَى ... مُنادياً بفؤادٍ منه محزون
ياأكرمَ الخَلْق من عُرْب ومن عَجم ... وأحسنَ الناس من حُسنٍ وتزيين

إنِّى أتيتُك فاقبلنى وخُذْ بيـــدى ... ومن لهيب لَظَى جِرْنى[1] وسجِّين
وقد مَدَحْتُك فارحمنى وجُدْ فعسى ... من هَوْلِ يوم اللقا والحشْر تنجينى
وكن شفيعى من النِّيران يا أملى ... لعلّ أحظى بأجرٍ غير مَمْنون
صلَّى عليكَ إله العرش ما صَدَحت ... قُمْرِيَّةٌ فوق أفنـــانِ الرَّياحين
صلَّى عليك إله العرش ما غَرَدت ... حَمائمٌ فوق أغصان البساتين
صلَّى عليك إلَهُ العرش ما وفدت ... نُوَيقة لحِمَى الأطلال تبرينى
صلَّى عليك إلَه العرش ما هَطَلت ... مدامع السُّحب أو عيْن المحبِّين
صلَّى عليك إله العرش ما ضحكت ... مَبَاسم الزَّهر فى ثَغْر الأفانين
وألْفُ ألْفِ صلاةٍ لا نفادَ لهـــا ... مضروبة فى ثمان ألفَ تسعين [٢١٦]
عليك ياخـــيرَ خَلْق الله قاطبةً ... وألفُ ألفِ ســـلام فى ثمانين
وَآلِك الغُرّ وَالأصحـــابِ كلِّهم ... وَتابعيهم ليوم الحشْرِ والدِّين
ماعطّر الرَّوْض فى الأسحار عُرف صَبا ... وَفاح نَشْر خُزَامى منه نَسْرين
وَما شَدَا مُنْشِد صبٌّ لفَرْط جَوًى ... سَلْ ما لِسَلْمى بنار الهَجْر تَـكْوينى

وله فى الرجوع إلى الله

[وقال رحمه الله :

لَبِسْـــنا فلم نُبْلِ الزمان وأبلانا ... يُتابع أخرانا على الغىّ أُولانَا
ونغـــترّ بالآمال والعُمْرُ ينقضى ... فما كان بالرُّجْعَى إلى الله أولانا
وماذا عسى أن ينظر الدهرُ ما عسى ... فما انقاد للزجر الحَثِيث ولا لانا
جَزَينا صنيعَ الله شرَّ جزائه ... فلم نَرْع ما مِنْ سابق الفضل أُوْلانا
فيارَبِّ عاملْنا بما أنت أهـلُه ... من العفو واجبُر صَدْعنا أنتَ مولانا][2]

انتهى .

(١) يريد : « أجرنى » .
(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت .

ولنقتصر من نظمه على هذا القدر ، فإنه طويل عريض ، وإنما أطلت النفَسَ فى ترجمة ابن الخطيب ، رحمه الله ، علماً منّى بأن الذين رغبوا فى تأليف هذا الموضوع ، لهم تشوّف إلى أنباء ابن الخطيب ، وكلامه وجلية أحواله ليست عندهم ، وإنما يحفظون بعضَ نظمه ونثره ، ولا يدرون ابتداء أمره وانتهاءه ، وقد حكى غير واحد أنه رِيء رحمه الله بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى بسبب بيتين ، وهما :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكونُ لم تُفتح له أغلاقُ
أيروم مخلوق ثناءك بعد مَا أثنَى على أخلاقك الخلّاق

تخميس الغسانى على بيتين لابن الخطيب

وقد رأيت على هذين البيتين تخميساً لا بأس به ، لأبى عبد الله بن جابر الغسّانى المكناسى ، رحمه الله ، وهو :

يا سائراً لضريح خير العالَمِ يُنهِى إليه مَقالَ صبّ هائم
بالله نادِ وقُلْ مقالَة عالم يامصطفى من قبلِ نشأةِ آدم
والكون لم تُفتح له أغلاق
بثَناك قد شَهدت ملائكةُ السّما والله قد صلّى عليك وسلّمَا
يا مجتبًى ومعظّماً ومُكرّماً أيروم مخلوق ثناءك بعد ما
أثنى على أخلاقك الخلّاقُ

انتهى .

* * *

أولاد ابن الخطيب

وأولاد ابن الخطيب رحمه الله ثلاثة : عبد الله ، ومحمد ، وعلىّ . وكلهم حدّث عن أبيه وعن ابن الجَيّاب ، وعلىٌّ منهم هو صاحب السلطان أحمد المَرينى [٢١٧] الملقّب بالمستنصر .

على بن الخطيب والمستنصر فى بستان

وحُكى أنه حضر معه فى بستان ، سحّ فيه ماء المذاكرة الهتّان ؛ وقد أبدى الأصيل شواهد الاصفرار ، وأزمع النهار لمّا قدِم الليلُ على الفرار ؛ فقال المستنصر[1] لمّا لان جانبه ، وسالت بين سَرَحات البستان جداوله ومَذانبه :

يا فاسُ إنّىَ وأيْمُ الله ذو شَغفٍ ... فى كلّ ربع له معناه يَسْبينى
وقد أنِسْت بقُرب منك يا أملى ... ونظرة فيكم بالأنس تحيينى

فأجابه على بن الخطيب بقوله [العذب المُصيب][2] :

لا أوحش الله رَبعاً أنت زائرُه ... يا بَهجة المُلْك والدنيا مع الدِّينِ
يا أحمدَ الحمد أبقاك الإله لنا ... فخر الملوك وسُلطانَ السلاطين

شىء عن عبد الله ومحمد ابنى الخطيب

وأما عبد الله فقد كتب بالعُدوتين ، عن ملوك الحضرتين . وأما محمد فقد نال حظاً من التصوّف ، ولم يكن له إلى خدمة الملوك تشوف .

وصية ابن الخطيب لأولاده

ولا بد أن نُلمّ بوصية ابن الخطيب ، رحمه الله ، لأولاده المذكورين ، لما فيها من الحِكم والوصايا النافعة لمن عمل بها ، وهى :

الحمد لله الذى لا يَروعه الحِمَام المرقوب ، إذا شِيم نجمه المثقوب ، ولا يَبْغَته الأجل المكتوب ، ولا يَفْجَؤه الفراق المعتوب ، مُلْهِم الهُدى الذى تطمئن به القلوب ، وموضّح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة فى قِسْم الوجوب ، لاسيّما للولىّ المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل فى كتابه المعجز الأسلوب ، « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ » ، « ووَصّى بِها إبراهيمُ بَنيهِ ويَعْقُوب » ؛ والصلاة

(١) فى ط : « السلطان » .
(٢) زيادة عن ت .

والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زُرّت على نوره جُيوب الغيوب ،
[٢١٨] وأشرفِ من خُلعت عليه حُلَل المَهابة والعصمة ، فلا تقتحمه العيون ولا تَصِمُه[١]
العيوب ، والرّضا عن آله وأصحابه المثابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب ،
والأمل المسلوب ، والاقتداء الموصل للمرغوب ، والعز والأمن من اللُّغوب .

وبعد ، فإنى لمّا عَلانى المشيب[٢] بغُمّته ، وقادنى الكِبَر فى رُمّته ، وادّكرتُ
الشباب بعد أُمّته ؛ أسِفتُ لِمَا أَضَعْت ، ونَدِمت بعد الفِطام على ما رَضِعت ؛
وتأكّد وُجوب نُصْحى لمن لزمنى رَعْيُه ، وتعلّق بسعيى سَعْيه ، وأمّلت أن تَتَعَدّى
إلىّ ثمراتُ استقامته ، وأنا رهين فَوات ، وفى برزخ أموات ؛ ويأمنَ[٣] العثور
فى الطريق التى اقتضت عِثارى ، إن سلك — وعسى ألاّ يكون ذلك — على
آثارى : فقلت أخاطب الثلاثة الوَلَد ، وثمرات الخَلَد ؛ بعد الضراعة إلى الله
فى توفيقهم[٤] ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ؛ وأن يَمُنّ علىّ فيهم بحسن
الخَلَف ، والتلافى من قبْل التّلَف ، وأن يرزق خَلَفهم التمسك بهَدْى السّلَف ؛
فهو ولىّ ذلك ، والهادى إلى خير المسالك .

اعلموا هداكم[٥] مَنْ بأنواره يَهتدى الضُّلّال ، وبرضاه تُرفع الأغلال ، وبالتماس
قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأُخلفت الآمال ، وتبرأت من يمينها
الشِّمال ؛ أنى مودعكم وإن سالمنى الردَى ، ومُفارقكم وإن طال المدَى ، وما عدا

(١) كذا فى نفح الطيب ؛ وفى ط : « ولا تصفه » ، وهو تحريف .
(٢) فى ط : « الهرم » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وليأمن » .
(٤) فى ط : « تفضيلهم » .
(٥) فى نفح الطيب : « هداكم الله تعالى الذى بأنواره ... الخ » .

مما بدا[١] ؛ فكيف وأدوات السفر تُجمع ، ومنادِى الرحيل يُسْمَع ؛ ولا أقل للحبيب المودِّع من وصية محتضَر ، وعُجالة مقتصِر ؛ ورَتيمة تُعقد فى خِنصَر ، ونصيحة تكون نَشيدة واعٍ ومُبْصِر ؛ تتكفل لكم بحُسْن العواقب من بعدى ، وتوضّح لكم فى الشفقة والحنو قَصْدى ، حسْبَما تضمن وعْدُ الله من قبل وعدى ؛ فهى أَرَبكم الذى لا يتغيّر وقفُه ، ولا ينالكم المكروه ما رَفّ عليكم سَقْفه ؛ وكأنى [٢١٩] بشبابكم قد شاخ ، وبرَاحلكم قد أناخ ؛ وبنشاطكم قد كسِل ، واستبدل الصابَ من العسَل ، ونُصول الشيب تَرُوع بأَسَل ، لا بل [السَّام][٢] من كل حَدَب قد نَسَل ، والمَعاد اللَّحْد ولا تسَل ؛ فبالأمس كنتم فِراخ حَجْر ، واليوم آباء[٣] عَسْكر مَجْر ، وغدا شيوخ مَضْيعة وهَجْر ؛ والقبور فاغره ، [والنفوس عن المألوفات صاغره][٤] ؛ والدنيا بأهلها ساخره ، والأُولى تَعقبها آخره ؛ والحازم من لم يُتَّعظ به فى أمر ، وقال : بيدى لا بيد عمرو ؛ فاقتنُوها من وصيّه ، ومَرام فى النصح قَصيه ؛ وخُصُّوا بها أولادكم إذا عقَلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا ؛ وحسبى وحسبُكم الله الذى لم يخلق الخلق هَمَلا ، ولكن ليبلُوَهم أيُّهم أحسن عملا ؛ ولا رضِى الدنيا منزلا ، ولا لطَف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا ؛ ولْتُلَقنوا تلقينا ، وتَعْلموا علماً يقينا ؛ أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرِدَ بذنبى ، ويفترش التراب جنبى ؛ ويسُح انسكابى ، وتهرول عن المصلَّى ركابى ؛ أحرصَ منى على سعادة إليكم تُجلب ، أو غاية كمال بسببكم تُرتاد وتطلب ؛ حتى لا يكون فى الدين والدنيا أوْرَفَ

(١) ماعدا مما بدا : أى ما الذى يصرف الإنسان عن إتمام ما بدا منه . يريد أنه لا يمنعه من الرحيل عن هذه الدنيا مانع .
(٢) زيادة عن نفح الطيب . والسام (بتخفيف الميم) : الموت .
(٣) فى نفح الطيب : « أبناء » .
(٤) زيادة عن نفح الطيب .

منكم ظِلاً ، ولا أشرف محلّا ، ولا أغبط نَهَلا وعَلاً ؛ وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تُصيخوا إلى قولى الآذان ، وتتلمحوا صُبْح نصحى فقد بان ، وسأعيد عليكم وصيّة لقمان :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » . « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا [٢٢٠] تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » .

وأعيد وصيّة خليل الله وإسرائيله ، حسبما تضمّنه محكم تنزيله : « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » . والدين الذى ارتضاه واصطفاه ، وأكمله ووفّاه ، وقرّره مصطفاه ، من قبل أن يتوفّاه ، إذا أُعمل فيه افتقاد ، فهو عمل واعتقاد ؛ وكلاهما مقرّر ، ومستمد من عقل أو نقل محرر ؛ والعقل متقدّم ، و بناؤه مع رفض أخيه متهدم ؛ فالله واحد أحَد ، فرد صَمَد ، ليس له والد ولا ولد ؛ تَنَزّه عن المكان والزمان ، وسبق وجوده وجود الأكوان ؛ خالق الخلق وما يعملون ، والذى لا يُسْأل عن شىء وهم يُسْأَلون ؛ الحى العليم المدبّر القدير ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ؛ أرسل الرسل رحمة لتدعو العباد[1] إلى النجاة من الشقاء ، وتُوَجِّهَ[2] الحجة فى مصيرهم

(١) فى ط : « توجب » .
(٢) فى نفح الطيب : « الناس » .

إلى دار البقاء ، مؤيَّدَة بالمعجزات التى لاتنصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ؛ ثم ختم ديوانَهم بنبيّ مِلَّتنا المُرْعية للهَمَل ، الشاهدة على المِلَل ، فتلخّصت الطاعه ، وتبينت[1] له الإمرة المطاعه ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعه ؛ ثم إن الله قبضه إذ كان بشرا ، وترك دينه يضم من الأمة نَشَرا ؛ فمن اتبعه لحِق به ، ومن حاد عنه تورّط فى مُنْتَسَبِه[2] ، وكانت نجاته على قدر سببه .

روى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم[3] تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى ، فعَضوا عليهما بالنواجذ » . [٢٢١]

فاعملوا يا بَنِيَّ بوصيةٍ مِنْ ناصح جاهد ، ومُشْفِق شفقة والد ؛ واستشعِروا حبه الذى توفرت دواعيه ، وعُوا مَراشد هديه فيافَوْز واعيه ؛ وصِلُوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به مجملا [أو مفصلا][4] على حَسَبه ، وأوجبوا التجلّة لصحبه ؛ الذين اختارهم الله لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ؛ واشملوهم بالتوقير ، وفضّلوا منهم أولى الفضل الشهير ؛ وتبرءوا من العصبية التى لم يدعكم إليها داع ، ولا تعِ التشاجرَ بينهم أُذنُ واع ؛ فهوعنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ؛ ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة ، وأئمتها الجِلّه ؛ فهم صَقَلَة نصولهم ، وفروعٌ ناشئة عن أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم ؛ واعلموا أنى قطعت فى البحث زمانى ، وجعلت النظر شانى ، منذ برانى الله وأنشانى ، مع نبل يعترف به الشانى ، وإدراك يسلمه العقل الإنسانى ؛ فلم أجد خابط وَرق ، ولا مصيب عَرَق ؛ ولا

(١) كذا فى ط . وفى ت : « تيقنت » . وفى نفح الطيب : « تعينت » .
(٢) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « ومن تركه نوط عنه فى منسبه » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « لن تضلوا » .
(٤) زيادة عن نفح الطيب .

نازع خِطام ، ولا متكلف فِطام ، ولا مقتحم بحر طَام ؛ إلا وغايته التى يقصدها قد فَضَلتها الشريعة وسبقتها ، وفَرَعت ثنيتها وارتقتها ؛ فعليكم بالتزام جادَّتها السابله ، ومصاحبة رُفقتها الكافله[1] ، والاهتداء بأقمارها غير الآفله ؛ والله يقول وهو أصدق القائلين : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ » ؛ وقد علت[2] شرائعُه ، وراع الشكوكَ رائعُه ؛ فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوس فِعل المهتدين ، فلن ينفع مَتاعٌ بعد الخلود فى النار أبد الآبدين ، ولا يضرّ مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ، ومتاع الحياة الدنيا أخسّ ما ورث الأولاد عن الوالِدين ، اللهم قد بلّغت ، فأنت [٢٢٢] خير الشاهدين ؛ فاحذروا المعاطب التى توجب فى الشقاء الخلود ، وتستدعى شَوْه الوجوه ونُضْج الجلود ؛ واستعيذوا[3] برضا الله من سُخْطه ، وار بئوا بنفوسكم عن غمطه ؛ وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تَحْمَدوا على جِيفة العَرَض الزائل ائتلافكم ؛ واقنعوا منه بما تيسّر ، ولا تأسَوْا على ما فات وتعذَّر ؛ فإنما هى دُجنة[4] يَنسخها الصباح ، وصَفقة يتعقّبها الخسار والرباح ؛ ودونكم عقيدةَ الإيمان ، فشدّوا بالنواجذ عليها ، وكفكفوا الشُّبَه أن تدنو إليها ؛ واعلموا أن الإخلال بشىء من ذلك خَرْق لا يرفؤه عمل ، وكل ما سوى الراعى هَمَل ، وما بعد الرأس فى صلاح الجسم أمَل ؛ وتمسكوا بكتاب الله حفظاً وتلاوه ، واجعلوا حمله على حمل التكليف عِلاوه ؛ وتفكروا فى آياته ومعانيه ، وامتثلوا أوامره وانتهوا عن مناهيه ، ولا تتأوّلوه ولا تَغْلُوا فيه ؛ وأَشْرِبوا قلوبكم حب

(١) فى نفح الطيب : « الكاملة » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « علمت » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « واستعتبوا » .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « دجية » .

من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حبه ؛ وصونوا شعائر الله صَوْن المحترِم ، واحفظوا القواعد التى ينبنى عليها الإسلام حتى لا ينخرِم .

اللهَ اللهَ فى الصلاة ذريعة التجلّه ، وخاصة الملّه ، وحاقنة الدم ، وغنى المستأجَر المستخدَم ؛ وأم العباده ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهاده ؛ والناهية عن الفحشاء والمنكر مهما[1] عرض الشيطان عرضهما ، ووطّأ للنفس الأمارة سماءها وأرضهما ؛ والوسيلة إلى بَلّ الجوانح ببَرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ؛ وضابطة[2] حسن العشرة من الجار ، وداعية المسالمة من الفُجّار ؛ والواسمة بسِمَة السلامه ، والشاهدة للعقد برفع الملامه ؛ وغاسول الطبع [٢٢٣] إذا شانه طَبَع ، والخير الذى كل خير له تَبَع ؛ فاصبِروا النفس على وظائفها بين إبداء وإعاده ، [فالخير عاده][3] ؛ ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنيه ، [وتُؤثِروا على السَلِية الدنيّه][4] ؛ فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تَنبِس[5] ، والفلك بها من أجلكم لا يحبس ؛ وإذا قرنت[6] بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذى لا يغيره الغدو ولا الأصيل ؛ والوظائف بعد أدائها لا تفوت ، وأين حق من يموت ، من حق الحى الذى لا يموت ؟ وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها ، وأتبعوها النوافل ما أطقتموها ؛ فبالإتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استُحِقّ[7] الكمال ،

(١) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « وإن » .
(٢) فى نفح الطيب : « ضامنة » .
(٣) زيادة عن ت ونفح الطيب .
(٤) زيادة عن نفح الطيب .
(٥) تنبس : تسرع .
(٦) فى ط : « قورنت » .
(٧) فى نفح الطيب : « استحقت » .

ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح مع إضاعة رأس المال ؛ وثابروا[١] عليها فى الجماعات ، وبيوت الطاعات ؛ فهو أرفع للملام ، وأظهر لشرائع الإسلام ؛ وأبرّ بإقامة الفَرْض ، وأدْعى إلى مساعدة البعضِ البعض .

والطهارة التى هى فى تحصيلها سبب موصِّل ، وشرط لمشروطها محصِّل ؛ فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها ؛ والحُجول والغُرر فأطيلوها ، والنيات فى كل ذلك فلا تهملوها ؛ فالبناء بأساسه ، والسيف برِئاسه[٢] . واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطُهور ، وذكر مجهور وغير مجهور ؛ تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر المفترقات ؛ فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعِقال ، وكان فى درجة الرجولة ذا انتقال[٣] ، واستعاض صَدأه بصِقال ؛ وإن تراخى تقهقر الباع ، وسرقته الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشَمَل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، ولِدَتُها القريبة ؛ مِفتاح السماحة بالعرَض الزائل ، وشُكْران المسئول على الضد من درجة السائل ؛ وحق الله فى مال من أغناه ، [٢٢٤] لمن أجهده فى المعاش وعنّاه ؛ من غير استحقاق مَلْء يده وإخلاء يد أخيه ، ولا عِلّة القدر الذى يخفيه ، وما لم ينله حظ الله فلا خير فيه ؛ فاسمحوا بتفرقتها للحاضر لإخراجها ، واختيار عرضها ونِتاجها ؛ واستحيُوا من الله أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عذل ؛ واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تَمْلِكون ، ولا تدرون أين تسلُكون ؛ فوهَب وأقدَر ، وأورد

(١) العبارة عن قوله : « وثابروا » إلى قوله : « وأبر » ساقطة فى نفح الطيب .
(٢) فى نفح الطيب : « بمراسه » .
(٣) هذه الجملة ساقطة فى نفح الطيب .

بفضله وأصدر ؛ ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ؛ فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر المقرِّبة إلى الله زُلْفى ، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفى ؛ مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ؛ والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ؛ وإن وَسِع الاعتكافُ فهو من سننه [المرعيه ، ولواحقه][1] الشرعيه ؛ فبذلك تَحْسُن الوجوه ، وتحصل النفوس من الرقة على ما ترجوه ؛ وتهذَّب الطباع ، ويمتد فى ميدان الوسائل إلى الله الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ؛ وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسَنّه ، وقال : ليس له جزاء عند الله إلا الجنه .

ويلحق بذلك الجهاد فى سبيل الله إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ؛ فكونوا ممن يسمع نفيرَه ويُطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه .

هذه عُمُد الإسلام وفروضه ، ونقود مَهره وعُروضه ؛ فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يُناوئكم ظاهرين ، وتلْقَوُا الله لا مبدِّلين ولا مغيرين ، ولا تضيّعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أنّ بالعلم تُستكمَلُ وظائف هذه الألقاب ، وتُجْلى محاسنها من بعد الانتقاب ؛ فعليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدى الشافع ؛ فالعلم مفتاح هذا [٢٢٥] الباب ، والموصِّل إلى اللُّباب ؛ والله عز وجل يقول : « هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو ٱلْأَلْبَاب » . والعلم وسيلة النفوس

(١) التكملة عن ت ونفح الطيب .

الشريفه ، إلى المطالب المُنيفه ، وشرطه الخشية لله والخِيفه ؛ وخاصة الملأ الأعلى ، وصفة الله فى كتبه التى تُتْلى ؛ والسبيل فى الآخرة إلى السعاده ، وفى الدنيا إلى التَّجِلّة عاده ؛ والذُّخر الذى قليله يشفع وينفع ، وكثيره يُعْلِى ويرفع ؛ لايغصبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ؛ ولا يبتزه الدهر إذا مال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ؛ من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل وإن جَمّ ماله ؛ وإن كان وقته قد فات اكتسابَكم ، وتخطّى حسابكم ؛ فالتمسوه لبنيكم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ؛ واحملوهم على جمعه ودرسه ، واجعلوا طباعهم ثَرًى لغرسه ؛ واستسهلوا ماينالهم من تعب من جرّاه ، وسهر يهجُر له الجفن كراه ؛ تَعْقِدوا لهم ولاية عِزّ لا تُعزل ، وتُحِلّوهم مَثابةَ رفعة لا يُحط فارعها ولا يستنزل ؛ واختاروا من العلوم التى يُنْفِقها الوقت ، ما لا يناله فى غيره المقت ؛ وخير العلوم علوم الشريعه ، وما نجم بمنابتها المَريعه ؛ من علوم لسان لاتستغرق الأعمارَ فصولُها[1] ، ولا يضايق ثمرات المعاد محصولها ؛ فإنما هى آلات لغير ، وأسباب إلى خير منها وخير ؛ فمن كان قابلا منها لازدياد ، وألفى فهمَه ذا انقياد ؛ فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ؛ ثم الشروع فى أصول الفقه ، فهو العلم العظيم المِنّه ، المُهْدِى كنوز الكتاب والسُّنّه ؛ ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجله ، والتدرب فى طرق النظر وتصحيح [٢٢٦] الأدلّه ، وهذه هى الغاية القصوى فى المِلّه ؛ ومن قصّر إدراكُه عن هذا المرمَى ، وتقاعد عن التى هى أسمى ؛ فليرْوِ الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ؛ وإياكم والعلوم القديمه ، والفنون المهجورة الذميمه ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا ، ورأياً ركيكا ؛ ولا يثمر فى

(١) فى ط : « فضولها » .

العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ؛ وتطويق الاحتقار ، وسمة الصَّغار ، وخمول الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار ؛ وجادة الشريعة أعرق فى الاعتدال ، وأوفق[1] من قطع العمر فى الجدال ؛ هذا ابن رشد قاضى المصر[2] ومفتيه ، وملتمس الرشد ومؤتيه ؛ عادت عليه بالسَّخطة الشنيعه ، وهو إمام الشريعه ؛ فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورُّط فى ازدحامها ، ولا تخلطوا سامكم بحامها ؛ إلا ما كان من حساب ومساحه ، وما يعود بجدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحه ؛ وما سوى ذلك فمحجور ، وضَرَم مسجور ، وممقوت مهجور .

وأْمروا بالمعروف أمراً رفيقا ، وانهَوْا عن المنكر نهيا حريا بالاعتدال حقيقا ، واغبطوا من كان من سِنَة الغَفَلات مُفيقا ، واجتنبوا ما تُنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا ؛ وأطيعوا أمر من ولاّه الله من أموركم أمرا ، ولا تقرِّبوا من الفتنة جمرا ، ولا تداخلوا فى الخلاف زيداً ولا عمْرا .

وعليكم بالصدق فهو شِعار المؤمنين ، وأهم ما أضْرَى[3] عليه الآباء ألسنة البنين ؛ وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شىء عرف به . وإياكم والكذبَ فهو العورة التى لا توارى ، والسَّوْءة التى لا يُرْتاب فى عارها ولا يُتَمارى ؛ وأقل عقوبات الكذاب ، بين يدى ما أعدَّ الله له من العذاب ، ألّا يُقبل صدقه إذا صدق ، ولا يعوَّل عليه إن كان بالحق قد نطق . [٢٢٧]

وعليكم بالأمانة فالخيانة لُوم ، وفى وجه الديانة كُلُوم ؛ ومن الشريعة التى

---

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وأشفق » .

(٢) كان ابن رشد قاضى الجماعة بقرطبة .

(٣) يقال : أضراه بالشىء إذا أغراه به وعوده إياه ، وكأنه ضمن الفعل معنى : حرنه على الشىء .

لا يُعذَر بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ؛ وحافظوا على الحِشمة والصيانه ، ولا تَجزُوا من أقرضكم دَين الخيانه ؛ ولا توجدوا للغدر قَبولا ، ولا تقروا عليه طبعاً مجبولا ؛ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ؛ ولا تستأثروا بكنز ولا خَزْن ، ولا تَذْهبوا لغير مناصحة المسلمين فى سَهْل ولا حَزْن ، ولا تَبْخَسوا الناس أشياءهم فى كيـل أو وزن ؛ واللهَ اللهَ أن تعينوا فى سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ؛ واعلموا أن الإنسان فى فُسحة ممتدّه ، وسبيل الله غير منسدّه ؛ مالم يَنْبِذ إلى الله بأمانه ، ويغمس فى الدم الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى فى كتابه الذى هدى به سَنَناً قويماً ، وجلّى من الجهل والضـلال ليلا بهيما : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَـا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » .

واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه ، وامتد فى سبيل السعادة باعه ، ولو لم تتلق[1] نور الله الذى لم يهد[2] شعاعه ، فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه ؛ ومن غلبت عليه غرائز جهله ، فلينظر هل يحب أن يُزنَى بأهله ؟ والله قد أعد للزانى عذاباً وَبيلا ، وقال : « وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » .

والخمر أم الـكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ؛ واللهو لم يجعله الله فى الحياة شرطا ، والمحرّم قد أغنى عنـه بالحلال الذى سَوَّغ وأعطى ؛ وقد تركها [٢٢٨] فى الجاهلية أقوام لم يرضَوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضَرّة فى مَرْضاة

(١) فى ط : « تتلو » .
(٢) فى ت : « يهده » .

الأجساد ، والله قد جعلها رِجْساً محرماً على العباد ، وقَرَنها بالأنصاب والأزلام فى مباينة السَّداد .

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهى الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ٱللهِ وَرَسُوله » فى الكتاب المبين . ولا تأكلوا مال أحد [بغير حق يبيحه][1] ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه ؛ والتمسوا الحلال يسعى فيه أحدكم على قدمه ، ولا يَكِلِ اختياره إلا للثقة من خدمه ، ولا تَلْجَئوا إلى المتشابه إلا عند عدمه ؛ فهو فى السلوك إلى الله أصل مشروط ، والمحافظ عليه مغبوط .

وإياكم والظلم ، فالظالم ممقوت بكل لسان ، مجاهر لله بصريح العصيان ، والظلم ظُلمات يوم القيامة كما ورد فى الصِّحاح الحِسان ؛ والنميمة فساد وشتات ، لا يبقى عليه مُتَات ، وفى الحديث : « لا يدخلُ الجنة قَتَّات » . واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغِيبة فباب الخير عنها مسدود ، والبخلَ فما رئى البخيل وهو مودود[2] ؛ وإياكم وما يُعتذر منه ، فمواقف الخزى لا تستقال عثراتها ، ومَظِنّات الفضائح لا تؤْمن غَمَراتها ؛ وتفقَّدوا أنفسكم مع الساعات ، وأفشوا السلام فى الطرق والجماعات ، ورِقُّوا على ذوى الزَّمانات والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يُربحكم فى البضاعات ؛ وعَوِّلوا عليه وحده فى الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائد ؛ وتقربوا إليه باليسير من ماله ، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله ؛ وارْعَوْا حقوق الجار ، [٢٢٩]

(١) زيادة عن ت ونفح الطيب .
(٢) كذا فى نفح الطيب وفى الأصلين : « إلا وهو مردود » .

واذكروا ما ورد فى ذلك من الآثار ؛ وتعاهدوا أولى الأرحام ، والوشائجَ البادية الالتحام ؛ واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر ، وتفسد السر والجهر ؛ والرِّشَا فإنها تَحُطّ الأقدار ، وتستدعى المذلة والصَّغار ؛ ولا تَسامحوا فى لُعْبَة قَمْر ، ولا تشاركوا أولى البطالة فى أمْر ؛ وصونوا المواعد من الإخلاف ، والأيمان من حِنْث الأوغاد والأجلاف ، وحقوقَ الله من الازدراء والاستخفاف ، ولا تَلهَجُوا بالآمال العِجاف ، ولا تَكلَفوا بالكَهانة والإرجاف ؛ واجعلوا العُمر بين مَعاش ومَعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله بمرصاد ، وأن الخلق بين زرع وحصاد[1] ؛ وأقِلُّوا بغير الحالة الباقية الهموم ، واحذروا القواطع عن السعادة كما تُحذر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر فى الدنيا محال أن يدوم ؛ وقابلوا بالصبر أذية المُؤْذِين ، ولا تقَارضوا[2] مَقالاتِ الظالمين ، فالله لمن بُغى عليه خير الناصرين ؛ ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تضجوا[3] للأمراض إذا أعْضَلَتْ ؛ فكل منقرض حقير ، وكل منقضٍ وإن طال فقصير ؛ وانتظروا الفَرَج ، وانتشقوا من جناب الله الأرَج ؛ وأوسعوا بالرجاء الجوانح ، [واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبَى لعبد إليه جانح][4] ، وتضرعوا إلى الله بالدعاء ، والجئوا إليه فى البأساء والضراء ؛ وقابلوا نِعم الله بالشكر الذى يقيِّد منها الشارد ، ويُعذِب الموارد ؛ وأسهموا منها للمساكين ، وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ؛ فمن الآثار : « يا عائشة أحسنى جِوار

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وأن الخلق زرع حصاد » .
(٢) فى نفح الطيب : « ولا تعارضوا » .
(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « تضجروا » .
(٤) زيادة عن نفح الطيب .

نِعَمَ الله ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم » . ولا تُطْغِكم النعم فتقصروا فى[1] [٢٣٠]
شكرها ، وتلفكم الجهالة بسكرها ؛ وتتوهموا أن سعيكم جَلَبها ، وجِدَّكم حلبها ؛ فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فعل إلا الله إذا نظر بعين اليقين . واللهَ اللهَ لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تُذهبوا بذهابه زَيْنكم ؛ وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ؛ بما أمكنه من إخلاص وبر ، ومراعاة فى علانية وسر ؛ وللإنسان مزية لا تُجْهل ، وحق لا يُهْمل ؛ وأظهروا التعاضد والتناصر ، وصِلُوا التعاهد والتزاور ؛ تُرْغِموا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوِدّاء ؛ ولا تَنافسوا فى الحظوظ السخيفه ، ولا تَهارَشوا تهارُش السباع على الجيفه ؛ واعلموا أن المعروف يُكَدَّر بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ؛ فإذا أسديتم معروفاً فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساء أمرا فاحتقروه ؛ واللهَ اللهَ لا تنسَوا مقارضة سَجْلِى ، وبَرُّوا أهل مودتى من أجْلى ؛ ومن رُزق منكم مالا بهذا الوطن القَلِق المِهاد ، الذى لا يصلح لغير الجهاد ؛ فلا يستهلكه أجمعَ فى العَقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه إن تَغلَّب العدو على بلده فى الافتضاح والافتقار ؛ ومُعوَّقاً عن الانتقال ، أمام النُّوب الثقال ؛ وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال فى الطلب أولى ؛ وازهدوا جُهْدكم فى مصاحبة أهل الدنيا ، فخيرها لايقوم بشرها ، ونفعها لا يفى بضُرها ؛ وأعقاب من تقدم شاهِدَه ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضده ؛ ومن بُلِى منكم بها فليستظهر بسَعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، ويحذر مُعاداة الرجال ، ومَزَلات الإذلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ؛ وإفشاء الأسرار ، وسكر الاغترار[2] ؛ [٢٣١]

(١) فى نفح الطيب : « ولا تطغوا فى النعم فتقصروا عن شكرها » .
(٢) فى نفح الطيب : « وإفشاء السر ، وسكر الاغترار ، فإنه دأب الغر » .

وليصن الديانه ، ويؤثر الصمت ويلزم الأمانه ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق ؛ وليقف فى التماس أسباب الجلال ، وسمو القدر ورفعة الحال دون الكمال ، فما بعد الكمال غير النقصان ، والزعازع تسالم اللَّدْن اللطيف من الأغصان . وإياكم وطلبَ الولايات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الحظوظ[1] وغِلاباً ؛ فذلك ضرر بالمُروءات والأقدار ، داع إلى الفضْح[2] والعار ؛ ومن امتُحن منكم بها اختياراً ، أو جُبِر عليها إكراهاً وإيثاراً ؛ فليتلق وظائفها بسَعة صدره ، وليبذل من الخير فيها ما يشهد أنّ قدرها دون قدره ؛ فالولايات فِتنة ومِحنه ، وأَسْر وإحْنه ؛ وهى بين إخطاء سعاده ، وإخلال بعاده ؛ وتوقّع عزل ، وإدالة رخاء بأَزْل ، وبيع جِدّ من الدنيا بهزْل ؛ ومَزَلّة قدم ، واستتباع ندمْ ؛ ومآل العمر كله فَوْت ومَعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ؛ جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، وممن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه أسعدكم الله وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدرْتُها ؛ فتلقّوها بالقَبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ؛ وبقدر ما أمضيتم من فروعها ، واستغشيتم من دروعها ؛ اقتنيتم من المناقب الفاخره ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخره ؛ وبقدر ما أضعتم من لآليها النفيسة القِيَم ، استكثرتم من بواعث الندم ؛ ومهما سئمتم إطالتها ، واستغزرتم مقالتها ؛ فاعلموا أن تقوى الله فذلكة الحساب ، وضابط هذا الباب ؛ كان الله خليفتى عليكم فى كل حال ، فالدنيا مُناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ؛ فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ؛ [٢٣٢]

(١) فى نفح الطيب : « الخطوب »

(٢) فى نفح الطيب : « الفضيحة » .

جعلها[١] الله من وراء خُطة[٢] النجاه ، ونَفَّق بضائعها المُزْجاه ، بلطائفه المرتجاه ؛ والسلام عليكم من حبيبكم المودِّع ، والله يَلْأَمُهُ[٣] حيث شاء من شمل متصدِّع ؛ والدِكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله و بركاته .

انتهت الوصية ، وهى غريبة فى معناها .

قلت : ولأجل ذلك كان شيخ شيخنا الفقيه الإمام القاضى العلامة سيدى عبد الواحد الوانشريشى رحمه الله ، كثيراً ما يُدخِل منها فى خطبه ، على مالا يخفى على من طالعها ، و إلى الله ترجع الأمور .

و إذ بلغنا فى ترجمة ابن الخطيب إلى هذا الحد الذى يستطيله الناظر فيه ، وهو والله لا يتم التعريف بابن الخطيب ولا يوفيه ، فلنذكر القاضى النَّباهىّ والكاتب ابن زَمْرك ، اللذين كان لهما مع ابن الخطيب أول الأمر مصافاة ومُتَات ، ثم استحالت إلى ما علمت من العداوة ذات البتات .

انتهى الجزء الأول من أزهار الرياض فى أخبار عياض

ويليه الجزء الثانى ، وأوله : أخبار القاضى النباهى

---

(١) فى ط : « جعله » ، وفى نفح الطيب : « جعل » .

(٢) فى نفح الطيب : « خطته » .

(٣) كذا فى نفح الطيب . ولأم الصدع من باب منع : أصلحه . وفى الأصلين : « يلمه » .

فهارس الكتاب

١ — فهرس الأعلام	٣٣٩ — ٣٤٨
٢ — فهرس الشعراء	٣٤٩ — ٣٥٠
٣ — فهرس القبائل	٣٥١ — ٣٥٢
٤ — فهرس الأماكن	٣٥٣ — ٣٥٧
٥ — فهرس الكتب	٣٥٨ — ٣٦١
٦ — فهرس القوافي	٣٦٢ — ٣٦٦
٧ — فهرس أنصاف الأبيات	٣٦٧
٨ — فهرس الموضوعات	٣٦٨ — ٣٧١

فهرس الأعلام

(ا)

آدم (عليه السلام) : ٢ ، ٨٨
إبراهيم بن أحمد بن فتوح القفيلى : ١٧١
إبراهيم الموصلى : ٩
أبرويز : ٢٩٩
ابن الأبار : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥
ابن أبى الأحوص : ١٨٨
ابن أبى دينار : ٣٧
ابن أبى عامر = المنصور محمد بن أبى عامر
ابن أبى العيش : ٢١٧
ابن أبى يفلوسن = عبدالرحمن بن أبى يفلوسن
ابن الأحمر : ٢٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٩١ ، ٣٠٦
ابن أخلى : ١٢٤
ابن بشكوال : ٢٧
ابن بطان الصنهاجى : ١٢٣ ، ٢٨٨
ابن ثروان : ٨٥
ابن جابر : ٢٧
ابن جماعة = أبو الفضل بن جماعة
ابن الجياب = أبو الحسن بن الجياب
ابن الحاج السلمى = أبو البركات بن الحاج البلفيقى السلمى
ابن حجر العسقلانى : ٢٥
ابن حجة : ٢٦٢ ، ٢٦٤
ابن الحسن = أبوالحسن بن الحسن (القاضى)
ابن الحسن المستقصى : ٦٣
ابن الحسن النباهى : ٣٧ ، ٣٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٣٦٦
ابن حيان : ٣٤
ابن خاتمة أبو جعفر : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦٥
ابن الخطيب : ٥ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٦٦
ابن خلدون الحضرمى : ٢٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ ، ٢٩١
ابن خلكان : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧
ابن داود (الإمام) : ١٠٣
ابن الدراج = أبو على الصدفى
ابن دراج القسطلى : ١٢٠
ابن دنون = ابن ذنون
ابن ذنون : ١٢٢
ابن ذى يزن : ٤٧
ابن الربيب : ٢٧٥
ابن رشيد : ٣٥
ابن رضوان عبدالله : ١٢٤

ابن الزبير : ٢١٧
ابن زرزار : ٦٢
ابن زمرك = أبو عبد الله بن زمرك
ابن سبعين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم : ١٢٤
ابن سعيد : ٣٠
ابن سكرة = أبو على الصدفى
ابن سيدة : ٢٧
ابن شجاع : ١٢٣
ابن الصباغ العقيلى : ١٩٢ ، ١٩٣
ابن صفوان : ١٩٠
ابن عاصم = أبو يحيى بن عاصم
ابن عمر : ٣٦
ابن غازى : ٢٢٥
ابن الغرديس التغلبى : ٢٤
ابن فتوح = إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلى
ابن قزمان : ١٢٣
ابن قنفذ : ٢٤
ابن ماساى = مسعود بن ماساى
ابن مامة كعب : ٩٥ ، ٢٥٤
ابن ماهان على بن عيسى : ١٢٠
ابن مراتة : ٣٧
ابن مرزوق = أبو عبد الله بن مرزوق
ابن الملجوم أبو القاسم : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧
ابن نصر الخزرجى = أبو الحجاج يوسف ابن إسماعيل بن نصر الخزرجى
ابن هذيل : ٢١٩
أبو إسحاق = إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلى
أبو إسحاق إبراهيم بن هلال = الصابى أبو إسحاق إبراهيم بن هلال
أبو الأصبغ بن سهل : ٢٢٢
أبو البركات بن الحاج البلفيق : ٤١ ، ١٨٨
أبو بكر بن أبى عنان : ٣٠٠
أبو بكر دلف بن جحدر الصوفى = الشبلى
أبو بكر بن أبى عبد الله بن الحكيم : ١٨٨
أبو بكر بن شيرين : ١٨٨
أبو بكر الصديق : ٣٠٣
أبو بكر بن عاصم : ١٧٣
أبو بكر بن غازى : ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
أبو بكر بن قزمان = ابن قزمان
أبو بكر بن منظور : ١٨٨
أبو تاشفين : ٢٤٢ ، ٢٤٩
أبو ثابت عامر بن محمد الهنتانى = عامر بن محمد الهنتانى أبو ثابت
أبو ثور : ٢١٩
أبو جعفر = ابن خاتمة أبو جعفر
أبو جعفر بن جابر : ١٨٨
أبو جعفر بن الزبير : ١٩٠
أبو جعفر الطنجالى : ١٨٨
أبو الحجاج المنتشافرى : ١٨٨
أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن نصر الخزرجى : ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
أبو الحسن التلمسانى : ١٨٨
أبو الحسن بن الجياب : ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٩
أبو الحسن بن الحسن (القاضى) : ٢١١ ، ٢١٢
أبو الحسن بن سمعة : ١٤٥
أبو الحسن الشارى : ٣٦
أبو الحسن على (القاضى) : ٤٢
أبو الحسن على بن أحمد الخزرجى : ١٩
أبو الحسن على بن الحسن = ابن الحسن النباهى

أبو الحسن علي بن محمد = أبو حسون
أبو الحسن علي النصري : ٦٨
أبو الحسن علي بن يوسف بن كماشة الحضرمي: ٢٠١
أبو الحسن القيجاطي : ١٨٧
أبو الحسن المريني: ٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢
أبو حسون : ٧٨
أبو حمو موسى بن يوسف : ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
أبو حنيفة : ٢١
أبو حيان : ٣٠٤
أبو خدو : ٢٩٨
أبو الخير : ١١٨
أبو دواد : ٩٥
أبو زكريا يحيي بن هذيل : ١٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩
أبو زيد : ٢٢١
أبو سالم بن أبي الحسن المريني : ٦٥ ، ٦٦ ، ١٩٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦
أبو سعيد : ٢٠٧ ، ٢٨٢
أبو الشرف رفيع : ٤٢
أبو الطاهر : ٤٢
أبو الطيب أحمد بن الحسين = المتنبي أبو الطيب
أبو العباس أحمد بن أبي سالم : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠
أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسني (القاضي) : ٥٩
أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي الخزرجي: ٢٧٣
أبو العباس أحمد بن محمد السبتي الشريف : ٣٢ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٢٧٣
أبو العباس البقني : ٧٢
أبو العباس بن العريف : ٢١
أبو العباس العزفي : ٣٩ ، ٢٤٣
أبو العباس بن يربوع السبتي : ١٨٨
أبو عبد الله = ابن الخطيب
أبو عبد الله = الشبوكي محمد بن يوسف
أبو عبد الله بن أبي الحجاج = أبو عبد الله ابن الأحمر
أبو عبد الله بن أبي الحسن : ٦٨
أبو عبد الله بن أبي عبد الله بن عبد الملك : ١٨٨
أبو عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين : ٢٧٦
أبو عبد الله بن أبي الوليد بن أبي عبد الله : ١٩٤
أبو عبد الله بن الأحمر : ٣٧ ، ٥٨ ، ٧٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ ، ٢٧٢ ، ٣٠٧
أبو عبد الله بن الأزرق : ٧١
أبو عبد الله بن بكر : ١٨٨
أبو عبد الله البياني : ١٤٥
أبو عبد الله بن بيبش : ١٨٨
أبو عبد الله التلمساني : ٢٤٤
أبو عبد الله التنسي : ١٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٧ ، ٣١٠ ، ٣١١
أبو عبد الله بن حزب الله : ١٨٨
أبو عبد الله بن زمرك : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٢٠١ ، ٢٣٠ ، ٣٦٦
أبو عبد الله السرقسطي : ١٤٥
أبو عبد الله الشران : ١١٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤

أبو عبد الله بن عبد الولى القواد : ١٨٧
أبو عبد الله بن عسكر : ٢٢٢
أبو عبد الله بن الفخار : ١٨٨
أبو عبد الله محمد بن يوسف = المواق أبو عبد الله محمد بن يوسف
أبو عبد الله محمد بن أبى بكر : ٢٩٤
أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن على النصرى : ٦٧
أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الرحمن الكميلى : ٣٥
أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل البسطى : ١٠٣
أبو عبد الله محمد أبى محمد العقيلى : ١٠٣
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد الوادى آشى : ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ، ١٧١ ، ١٨٦
أبو عبد الله محمد التميمى : ٢١٦
أبو عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى : ٢٣
أبو عبد الله محمد بن حمادة البرنسى : ٣٦
أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى = ابن الأبار
أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن فرج : ١٤٦
أبو عبد الله محمد بن عياض : ٢٤ ، ٢٧
أبو عبد الله محمد المقرى : ٥ ، ١٨٨
أبو عبد الله محمد بن يوسف بن إسماعيل الخزرجى = أبو عبد الله بن الأحمر
أبو عبد الله بن مرزوق : ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٢
أبو عبد الله المنتورى : ١٤٥
أبو عبد الله بن نصر = أبو عبد الله بن الأحمر
أبو عبيد : ٢٢١
أبو عبيد البكرى : ٦٠
أبو عثمان بن ليون : ١٨٨
أبو على : ٢٢٤
أبو على حسن بن يوسف : ١٨٨
أبو على حسين بن محمد الصدفى : ٢١
أبو عمرو بن أبى جعفر : ١٨٨
أبو عنان فارس المرينى : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
أبو فارس عبد العزيز بن أبى الحسن المرينى : ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥
أبو الفضل بن جماعة : ١٣٤
أبو الفضل الشيرازى = الشيرازى أبو الفضل
أبو الفضل محمد : ٢٩٢
أبو القاسم التلسانى الشريف : ٢٠٣ ، ٢٠٧
أبو القاسم بن جزى : ١٨٧
أبو القاسم الجنيد : ٢١
أبو القاسم الحسن بن الحسين = الواسانى أبو القاسم الحسن بن الحسين
أبو القاسم بن سراج : ١٤٥
أبو القاسم بن سلمون : ١٨٨
أبو القاسم بن محمد الغسانى : ٤٥
أبو القاسم الملاحى : ٢٣
أبو القاسم بن الملجوم = ابن الملجوم أبو القاسم
أبو مالك = عبد الواحد بن زكريا أبو مالك
أبو محمد بن أيوب المالقى : ١٨٨ .
أبو محمد بن الخطيب : ٢٨٢
أبو محمد بن سلمون : ١٨٨
أبو محمد صالح : ٢٩٨
أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم = ابن سبعين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم

أبو محمد بن عبد المهيمن : ١٨٨
أبو مسلم الخراساني : ١١٩
أبو الوليد اسماعيل بن يوسف = ابن الأحمر
أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم : ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ١١٦ ، ١٤٥ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٦
أبو يحيى بن أبي مدين : ٢١٠ ، ٢١١
أبو يزيد البسطامي = طيفور بن عيسى
أبو يزيد خان الثاني : ١٠٨ ، ١٠٩
أبو يوسف : ١٢٠
أبو يوسف = يعقوب عليه السلام
أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني : ٦١
أحمد بن أبي سالم = أبو العباس أحمد بن أبي سالم
أحمد بن جعفر السبتي = أبو العباس السبتي
أحمد بن حرشون : ١٣٣
أحمد بن الحسين = المتنبي
أحمد (بن حنبل) : ٢١٩
أحمد بن على الأنصاري = ابن خاتمة
أحمد بن محمد أبو سعيد الماليني = طاووس
أحمد بن محمد الأندلسي = أبو العباس أحمد الدقون
أحمد المريني : ٣١٩ ، ٣٢٠
أحمد النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
أحمد بن يوسف : ٢٩٨
إدريس (عليه السلام) : ٢٥٣
أرسطوطاليس : ٢٥٤
إسحاق (عليه السلام) : ١٤٢
إسحاق الموصلي : ٩
إسماعيل (عليه السلام) : ١٤٢
إسماعيل بن أبي الحجاج = ابن الأحمر
الأسود بن قنان : ٩٥
أشجع بني مروان = عمر بن عبد العزيز
ألبان : ١٢٠
امرؤ القيس : ٧٤ ، ٩٠ ، ١٧٤
الأمين : ١٢٠ ، ٢٦٠
أندلس بن يافث : ٢٩ ، ٣٠
أنو شروان : ٢٦٧
الوطاسي : ٧٢
أويس بن عامر القرني : ٨٩
إياس بن معاوية : ٨٩

(ب)

بايزيد = أبو يزيد خان الثاني
بجير بن الحارث : ٩٥
برصيص : ١١٧
برقان : ١٢١
بر بن قيس : ٩٧
بسطام (بن قيس) : ١١٩
البسطي = أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل البسطي
بلعام بن باعوراء : ٣٠١
بلقيس : ٢٥٦
بوران بنت الحسن بن سهل : ١٢٢
البوصيري : ٨٣
بنت جزي : ٢٢١

(ت)

التنسي = أبو عبد الله التنسي

(ج)

جابر بن حيان الصوفي : ١٧١ ، ٢٥٥
الجاحظ : ٣٧
جارية بن الحجاج = أبو دواد

جالوت : ٣٠
جالينوس : ٢٥٥
جبريل (عليه السلام) : ١٤٢ ، ٢١٨
جذيمة : ٥
جعفر بن عثمان الحاجب المصحفى : ١٩٣
جليان = أليان

(ح)

حاتم : ١٧١ ، ٢٥٤
الحاجب (ملك سبتة) : ٣٧
الحارث الأكبر الغسانى : ٥٣
الحارث بن عباد : ٩٥
حبيب بن أوس الطائى : ١٧٥
الحجاج : ٨٦ ، ٨٧
الحجارى : ٢٩
الحريرى : ١٢٥
الحسن بن سهل : ١٢٢
حسين الزرويلى : ٢٤
حنظلة بن العرقى الإيادى = أبو دواد

(خ)

خالد البلوى : ٣٠٩
خالد بن يزيد بن معاوية : ١٧١
الخطيب بن مرزوق = أبو عبد الله بن مرزوق
خليل (بن إسحاق المالكى) : ١٣٠
خيران الصقلى : ١٢٠

(د)

دارا : ٤٧
داود (عليه السلام) : ٣٠
دن بطرة : ٦٢
دن جانجة : ٦١

(ذ)

الذهبى : ٣١١
ذوالدولتين = أبوالعباس أحمد بن أبى سالم
ذو الودعات = ابن ثروان

(ر)

رسول الله صلى الله عليه وسلم = محمد النبى صلى الله عليه وسلم
الرشيد : ١٢٧ ، ٢٦٠
رضوان (الحاجب) : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
الرضى (الشريف) : ٤٩
رقاش : ٥
الرهيصى : ٢٢١

(ز)

زهير بن أبى سلمى : ٨٢
زياد = النابغة الذبيانى

(س)

ساسان : ٤٧ ، ١١٩
سبت بن سام بن نوح : ٢٩ ، ٣٦
سبت بن يافث : ٢٩
سراقة بن مالك الكنانى : ١٤١
سعادة : ١٢٠
سعد بن عبادة : ١٦٧

السعيد بن أبي فارس : ٢٢٦
السفاح : ١١٩ ، ٢٦٠
سفيان (بن سعيد بن مسروق الثورى) : ٩٦
سليمان (عليه السلام) : ٤٨ ، ٢٥٦
سليمان بن داود بن أعراب : ٢٢٩ ، ٢٣٠
سليمان بن عبد الملك : ٨٦ ، ٨٧
السموءل : ٧٤
سوسان : ١٢٣
سيف بن ذى يزن = ابن ذى يزن

(ش)

الشافعى (الإمام) : ٢١٩
الشبلى : ٢٥٦
الشبوكى محمد بن يوسف : ٢٩١ ، ٢٩٤
شداد : ٤٧
شرف الدين بن المقرى : ١٥٨
الشريف = أبو العباس أحمد بن محمد السبتى الشريف
شمس الدين = أبو عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى
شمس الدين البغدادى : ٢٦
شمس الدين بن جابر : ١٨٨
شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على = ابن حجر العسقلانى
شيبة : ١١٤
الشيرازى (أبو الفضل) : ٩٤

(ص)

الصابى أبو إسحاق ابراهيم بن هلال : ١١٩
الصفدى : ٣١١ ، ٣١٢

(ض)

الضليل = امرؤ القيس

(ط)

طارق بن زياد : ٦١
طاهر بن الحسين : ١٢٠
طاووس : ٢٥٦
طيفور بن عيسى : ٣٠١

(ع)

عاد : ٤٧
عامر بن محمد بن على الهنتاتى أبو ثابت : ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
عائشة : ٣٣٣
العباس (عم النبى) : ١١٣
العباس بن مرداس : ٤١
عبد الحميد الكاتب : ١١٩
عبد الرحمن بن أبى يفلوسن : ٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
عبد الرحيم بن نوح : ٢٩٢ ، ٢٩٣
عبد العزيز بن أبى الحسن = أبو فارس عبد العزيز بن أبى الحسن المرينى
عبدالله (أبو لسان الدين بن الخطيب) : ٢٠٤
عبد الله بن لسان الدين بن الخطيب : ٢٩٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٠
عبد الواحد بن زكرياء أبو مالك : ٢٦١ ، ٢٦٢
عبد الواحد الوانشريسى : ٢٢٤ ، ٣٣٦
عبو : ٢٨٨
عتيبة بن الحارث : ١١٩
عثمان بن عفان : ١٢١ ، ٣٠٣

عثمان بن يحيى بن عمر : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٨٩
العربى = أبو عبد الله محمد أبى محمد العقيلى
العزفى = أبو العباس العزفى
عزة : ٥
عضد الدولة بن بويه : ١١٩ ، ١٢٠
على بن أبى طالب : ٣٠٣
على بن بدر الدين : ٢١٠
على بن عيسى بن ماهان = ابن ماهان على ابن عيسى
على بن لسان الدين : ٣١٩ ، ٣٢٠
العماد الأصفهانى : ٣٠٩
عمر (بن الخطاب) : ١٤١ ، ٣٠٣
عمر (الفقيه) : ١٣٢
عمر بن عبد العزيز : ٨٥ ، ٨٩
عمر بن عبد الله بن على : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٣٠
عمر بن عبد الله اليابانى : ٢٩٢
عمر المالقى : ١١٦
عمرو بن العاص : ١٢٩
عمرو بن عدى : ٥
عمرو بن موسى : ٢٣
عنترة : ١٢٣
عياض بن موسى : ١٢ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٤٤
عيسى (بن موسى بن عياض) : ٢٨

(ف)

الفاروق = عمر بن الخطاب
الفتح بن خاقان : ١١٩
الفرزدق : ٥
فرعون موسى : ٢٠٣
الفنش : ٦٢

(ق)

القادر (الخليفة) : ٩٣
قارون : ٤٧
القاسم (بن موسى بن عياض) : ٢٨
قحطان : ٤٧
القعقاع بن شور : ٩٦
القلصادى : ١٣٣

(ك)

كثير : ٥
كعب = ابن مامة كعب
كليب : ٩٥
الكندى = المتنبى

(ل)

لبنى (بنت الحباب الكعبية) : ٢١٤
لذريق : ١٢٠
لسان الدين = ابن الخطيب
لقمان : ٣٢٣

(م)

المأمون = ابن ذنون
المأمون بن الرشيد : ٢١ ، ١٢٠ ، ٢٢
مارية بنت ظالم : ٥٣
مالك (الإمام) : ٣٦ ، ٢١٩
مالك بن المرحل : ٣٢
الماوردى : ٢١
المتنبى : ٧٤ ، ١٢٠ ، ١٧٥
محمد المخلوع = أبو عبد الله بن الأحمر
محمد بن إبراهيم = أبو عبد الله الشران
محمد (بن أبى الحجاج) = أبو عبد الله بن الأحمر

محمد بن أبي عبد الرحمن : ٦٢
محمد بن أبي عبد الله : ٦٨
محمد بن الأحمر = أبو عبد الله بن الأحمر
محمد بن إسماعيل : ٢٠٢
محمد بن حسون بن أبي العلاء : ٢٨٩
محمد بن الحكيم : ٢٠٥
محمد بن الخطيب : ٢٢٤
محمد بن عبد الله = ابن الخطيب
محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض : ٢٤
محمد بن عثمان : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
محمد بن الفرديس = ابن الفرديس التغلبي
محمد بن فرج : ١٤٦
محمد بن لسان الدين : ٣١٩
محمد بن محمد بن عاصم القيسي = أبو يحيى ابن أبي بكر بن عاصم
محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) : ٢ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢١
محمد بن يوسف = الشبوكي محمد بن يوسف
محمد بن يوسف بن إسماعيل = أبو عبد الله ابن الأحمر
مدغليس : ١٢٣
مروان بن محمد : ١١٩
المستنصر = أحمد المريني
مسعود بن ماساى : ٢١٠ ، ٢٢٥
المصحفي = جعفر بن عثمان الحاجب
المصطفى صلى الله عليه وسلم = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
المعلى : ٧٤
الملك الضليل = امرؤ القيس بن حجر
المنتورى (أحمد) : ٢١
المنذر بن ماء السماء : ٧٤
المنصور (أبو جعفر) : ٢٦٠
المنصور محمد بن أبي عامر : ٢٨ ، ١٢٠ ، ١٩٣
المهدى : ٢٦٠
مهلهل : ٩٥
مهيار (الديلمي) : ٤١
الموّاق أبو عبد الله محمد بن يوسف : ٢١
موسى (عليه السلام) : ٨٨ ، ٢٥٢
موسى بن يوسف = أبو حمو موسى بن يوسف
موسى بن نصير : ٦١
ميمون : ١٢١

(ن)

النابغة الذبياني : ٧٨
نافع : ٣٦
النباهي = ابن الحسن النباهي
النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
النوار : ٥
نوح (عليه السلام) : ٢٩ ، ١٤٢

(هـ)

هامان : ١١٩
هبنقة القيسي يزيد بن ثروان = ابن ثروان
هراندة أبو شانجة = دن جانجة
هرم بن سنان : ٨٢
هشام بن الحكم : ٢٨

الهنتاتى = عامر بن محمد الهنتاتى أبو ثابت

(و)

الوادى آشى = أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد الوادى آشى
الوادى آشى = أبو عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى
الواسانى أبو القاسم الحسين بن الحسين : ١٢٣
الوانشريشى (عبد الواحد) : ٦٦
ولى الدين بن خلدون = ابن خلدون الحضرمى
وتزمار بن عريف : ٢٢٨

(ى)

يافث بن نوح : ٢٩
يحصب بن مدرك : ٢٧
اليحصبى : ٢٧
يحيى بن هذيل = أبو زكريا يحيى بن هذيل
يزدجرد : ١٢٠
يزيد بن أبى مسلم : ٨٦
يسار : ٩١
يعقوب : ٢٩٨
يعقوب : (عليه السلام) : ٩ ، ٨٤
يليان = أليان
يوسف (عليه السلام) : ٩
يوسف بن أبى عبد الله : ٦٨
يوسف بن إسماعيل = أبو الحجاج يوسف ابن إسماعيل
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى : ١٢٠

فهرس الشعراء

(ا)

ابن الجياب = أبو الحسن بن الجياب
ابن الحاج السلمى = أبو البركات البلفيق
ابن حجاج : ٩٤
ابن الخطيب ٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٣
ابن دراج القصطلى : ١٢٠
ابن عاصم = أبو يحيى بن أبى بكر بن عاصم
أبو البركات البلفيق : ٤١ ، ٢٧٢
أبو تمام : ٢٥٧
أبو الحجاج المنصفى : ٣٥ ، ٣٦
أبو الحسن بن الجياب : ١١٥ ، ١٩٢ ، ٣١٣
أبو الحسن التهامى : ١٣٧
أبو الحسن على بن أحمد الخزرجى : ١٩
أبو الحكم مالك بن المرحل : ٢٩
أبو حيان : ٣٠٤
أبو زكريا يحيى بن خلدون : ٢٣٨ ، ٢٤٦
أبو سعيد المخزومى : ٩٩
أبو الطيب = المتنبى
أبو الطيب صالح بن شريف الرندى : ٤٧
أبو العباس أحمد الدقون : ١٠٤
أبو العباس الشريف : ٣٨ ، ٤١
أبو عبد الله = الشبوكى محمد بن يوسف
أبو عبد الله بن جابر : ٣١٩
أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حجاج = ابن حجاج
أبو عبد الله بن الخطيب السلمانى = ابن الخطيب
أبو عبد الله الشران : ١٣٣ ، ١٣٤
أبو عبد الله محمد بن أبى جمعة : ٢٤٧
أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الرحمن الكيلى ٣٥
أبو عبد الله محمد بن أبى محمد العقيلى : ٧٢ ، ١٠٣
أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربى = أبو عبد الله محمد بن أبى محمد العقيلى
أبو العتاهية : ٢١ ، ٨٧
أبو نواس : ٢٦
أبو يحيى بن أبى بكر بن عاصم : ١٤٦ ، ١٧٩
أحمد المرينى : ٣٢٠

(ت)

التلاليسى = أبو عبد الله محمد بن أبى جمعة

(ج)

جرول = الحطيئة

(ح)

الحاجرى = عيسى بن سنجر
الحارث بن عباد : ٩٥
حسان بن ثابت : ٩٧
الحطيئة : ٩٧

(د)

الدقون = أبو العباس أحمد الدقون

(ر)

الرندى = أبو الطيب صالح بن شريف الرندى

(ش)

الشبوكى محمد بن يوسف : ٢٩٢
الشعران = أبو عبد الله الشعران
الشريف الرضى : ٩٣

(ص)

صالح بن أحمد بن عثمان : ٣١١
صالح بن شريف الرندى = أبو الطيب صالح ابن شريف الرندى
الصمة القشيرى : ٣

(ع)

العربى = أبو عبد الله محمد بن أبى محمد العقيلى
عمر المالقى : ١١٦ ، ١٢٥
عياض : ٣٤
عيسى بن سنجر : ٢٧٥

(ف)

الفرزدق : ٥

(ق)

قيس بن ذريح : ٢١٤
قيس بن عاصم : ٩٨

(م)

مالك بن المرحل = أبو الحكم مالك بن المرحل
المتنبى : ١٢٠ ، ١٢٦ ، ٢٣٧
المستنصر = أحمد المرينى
المنصف = أبو الحجاج المنصف

(ن)

النابغة الذبيانى : ٧٨ ، ٩٨

(و)

الواسانى : ١٢٣

(ى)

يحيى بن خلدون = أبو زكريا يحيى بن خلدون
يزيد بن عبد المدان : ٩٩

فهرس القبائل

(ا)

آل شيبان : ١١٩
آل عامر : ١٩٣
آل عبد الحق : ٢٣٠ ، ٢٩٤
آل محمد صلى الله عليه وسلم : ١١٣
آل يعقوب : ١٩٧
إرم : ٨٠
الأسبان : ٢٨
أشيب : ٩٦
الأنصار : ٢٩٦
أهل الأندلس : ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٦٨ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٤
أهل الجزيرة = أهل الأندلس
أهل حمص : ٤٨
أهل رندة : ١٨٨
أهل سبتة : ٢٩
أهل الصفة : ١١٧
أهل غرناطة : ٦٩
أهل المشرق : ٢٥ ، ١٢٢
أهل المغرب : ٢٥
أهل المرية : ١٨٨
أولاد حسين : ٢٢٨
أولاد عبد الله المهدى = الفاطميون

(ب)

البربر : ٣٠ ، ٣٦ ، ٧٧
البرجلونيين : ١٩٦
برنس : ٣٦
بكر : ٩٥
بنو الأحمر = بنو نصر
بنو إسرائيل : ١١٧ ، ١٢٩ ، ٣٠١
بنو بويه : ١١٩
بنو الترجان : ٢٨٨
بنو تميم : ٧٤ ، ٩٨ ، ١١٩
بنو جريد : ١٢
بنو الحارث بن ثعلبة : ١٢
بنو داود : ٧١
بنو ذى النون : ١٢٢
بنو زيان : ٢٥٢
بنو الصباغ : ٢٣١
بنو العافية : ٢٢٦
بنو عبد الحق = آل عبد الحق
بنو عبيد : ٢٨
بنو العزفى : ٤٥
بنو عسكر : ٢٢٩
بنو القاسم : ٢٤٢
بنو مرين : ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩١
بنو نصر : ٥٠ ، ٥٣ ، ١٦٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٧٢ ، ٣٠٨
بنو والبة : ١٢

(ت)

التتار : ٨٩
الترك : ١٠٩
تغلب : ٩٥
تميم = بنو تميم

(ث)

ثور : ٩٦
ثمود : ١٠٠

(ح)

حمير : ٢٧

(خ)

الخزرج : ١٦٧

(د)

الديلم : ١٠٩

(ذ)

ذبيان : ١١٨

(ر)

الرباب : ٩٦
الروم : ١١٠

(ز)

زناتة : ٢٢٨ ، ٢٣٠

(س)

سعد : ٩٨

(ش)

شيبان : ١١٩

(ض)

ضبة : ٩٦

(ط)

الطوائف : ١٢٢

(ع)

عاد : ٨٠ ، ١٠٠
عامر : ٢٩٥
عبس : ١١٨
العجم = الفرس
العرب : ١ ، ١٢ ، ٥٣ ، ٧٢ ، ٨٧ ، ١٠٩ ، ٢٢٨ ، ٢٥٤ ، ٣١٧
عوف : ٩٦

(غ)

الغساسنة ٧٨ ، ٩٧

(ف)

الفاطميون : ٢٨
الفرس : ٤٧ ، ٧٢ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ٢٤٠ ، ٣١٧
فزارة : ١٢

(ق)

قريش : ١٤١ ، ٢٤٠
القوط : ١٢٠

(م)

مرين = بنو مرين
المشارقة = أهل المشرق
الملثمون : ٧٧
منقر : ٩٨

(ى)

اليمن : ٤٧

فهرس الأماكن

(ا)

آسفى : ٢٩٨
آنفى : ٢٨٨
أبان : ١٢
الأبلة : ٧
أحد : ٢٤٨
أرغون : ٧٠
أزمور : ٣٥
إشبيلية : ٤٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٢٩٧
أغمات : ٢٩٧
إفريقية : ١٨٩ ، ٢٦١
ألبيرة : ١٨٦
أندرش : ٦٧ ، ١١٤ ، ١٩٤
الأندلس : ٢١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤١ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٠ ،
٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ،
٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،
١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ،
١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٥ ، ١٨٦ ،
١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،
٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ،
٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ،
٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ،
٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦
أوربة : ٣٧ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٢ ،
٩٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٤
إيوان كسرى : ٤٧

(ب)

باب الشريعة : ٦٨
باديس : ٢٣٤
بارق : ٢٣٧
بحر الروم : ٢٢٨
بحر الزقاق : ٢٩ ، ٦٧
برقه : ٣٠
بزلياتة : ٤١
بسطة : ٢٨
البشرة : ٦٦ ، ٦٧ ، ١١٤
البصرة : ٧٠ ، ٨٩ ، ١٢١
بطوية : ٢٢٥ ، ٢٢٦
بلاد العرب : ٤٧
بلاق : ١٨٨ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ،
٢٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٤٩
البلد الجديد : ٢٢٩
بلفيق : ٤١ ، ١١٤
بلنسية : ٣٥ ، ٤٦ ، ٤٨
بليونش : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ،
٣٦ ، ٣٧
البيازين : ٧٠
أليرة : ١١٤
البيضاء : ١٩٧ ، ٢٢٨

(ت)

تازا : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨
تامسنا : ٢٦٥

تلمسان : ٧ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧١ ، ١٢٠ ، ١٧٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٦٠
تهامة : ٩٢
التوتة : ٣٦

(ث)

ثهلان : ٤٨

(ج)

جبل الفتح : ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠
جبل موسى : ٣٥
الجريد : ٢٦٢
الجزائر : ٦ ، ٢٤
الجزيرة = الأندلس
جم : ٢٧١
جنان العريف : ١٢٨ ، ١٩٥
جنة الحافة : ٣٣
جنة العريف = جنان العريف
جنة المصارة : ٢٠١
جيان : ٢٨ ، ٤٨
جيرون : ١٢٣

(ح)

حاجر : ٢٣٥
حبيبة أم يحيى : ٧
الحجون : ٩
حزوى : ١٠
الحمراء : ٦٧ ، ١٠٤ ، ١٣٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧
حمص = إشبيلية
الحمة : ٦٦

(خ)

خراسان : ١١٩

(د)

دار ابن الفرديسى التغلبي : ٢٤
الدار البيضاء : ٥٩
دار السلام : ١٢٧
دار الكتب المصرية : ٢١ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٩٥ ، ٢١٤ ، ٢١٥
دار همدان : ١٢١
دانية : ٢٤
دجلة : ٧
الدهناء : ١٠ ، ١٢١
الديار المصرية = مصر

(ر)

رابطة الفصال : ٤٢
ربض البيازين : ٦٨
رضوى : ١٢
رندة : ٦١ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤
رومة : ١١٣

(ز)

زاوية المحروق : ١٢١

زرهون : ٢٢٨
زنقة حجامة : ٢٤
الزيتون : ٢٢٨

(س)

سبتة : ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٤٦ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٣١٢
سجلماسة : ٢٢٨ ، ٢٢٩
سفاقس : ٢٢٥
سلا : ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧
سلع : ٣١٧
السوس : ٢٣٧

(ش)

شاطبة : ٤٨
شالة : ٢٠٨ ، ٣٠٢
شالة سلا : ٢٧٦
الشام : ٤٨ ، ٥٥
شبوكة : ٢٩١ ، ٢٩٢
شعب بوان : ٧ ، ١٢٠
شفيل = شنيل
شنجيل = شنيل
شنيل : ٢٠٤

(ص)

الصفا : ٩
الصفارين : ٤٣
صقلية : ٤٢

(ط)

طليطلة : ٤٦ ، ٢٢٢
طنجة : ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧

(ع)

عالج : ١٢١
العدوة : ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٧ ، ٢٠٩
العذيب : ٢٣٧
العراق : ٥٥
العقاب : ١٢٢

(غ)

الغبيط : ١١٩
غرناطة : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤ ، ٢٧٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
غمدان : ٤٧

(ف)

فارس : ٧ ، ١٢٠
فاس : ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠١

فج خير : ٦٣
فلسطين : ٣٠
فيد : ١١٩

(ق)

قبر السلطان أبي الحسن : ٢٠٨
قبر المعتمد بالله أبي القاسم بن عباد : ٢٩٧
قبة العرض : ٢٠١
قرطبة : ٢٨ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ١٨٦ ، ٢٩٧
قسطنطينية : ١٠٩
قشتالة : ٦٢ ، ٧٠ ، ٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٠١
القيروان : ٢٨

(ك)

كدية العرائس : ٢٢٨
كندة : ١٢٠ ، ١٧٥
الكوفة : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٥ ، ٢٣٧

(ل)

لطة : ٥٤
لوشة : ١٨٦ ، ٢٠٤

(م)

مالقة : ٤١ ، ٦٦ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤ ، ٣١٣
المحصب : ٢٣٩
المدرسة اليوسفية : ٥٥
المدينة : ١٢ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٦٧
مراكش : ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ١١٩ ، ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢
مربلة : ١٩٦
المرج : ٢٠٤
مرسية : ٤٦ ، ٤٨ ، ٦٦
المرية : ٢٣ ، ٤١ ، ١٢٠
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم : ١١٧
المشارف : ٤٧
مصر : ٢٦ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٨٢ ، ٣٠٧
المطبعة الأزهرية : ٧٥
مطبعة الفتوح : ٨٧
المعرة : ١٧٥
المغرب : ٢٨ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٢
مقبرة أغمات : ٢٩٧
مقبرة باب المحروق : ٢٣٠
مكناسة : ٢٨٧ ، ٢٨٨
مكة : ٩ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٧
ملوية : ٢٢٨
مليانة : ٦٦
مليلة : ٦٧
المنارة : ٢٨
منصف : ٣٥
منى : ٢٣٩
منيافة : ١١٤
المية : ٣٧
منية العبا : ٣٣

(ن)

نجد : ٣ ، ٩٢

(هـ)

هنتاتة : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤
الهند : ٤٩

(و)

وادى آش : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧
وادى النجا : ٢٢٨
الواسطة : ٧٠
وانغيريش : ٦٦
وحرا : ١١٤

(ى)

يثرب = المدينة
اليمامة : ١٢١
اليمن : ٤٧ ، ٩٥

فهرس الكتب

(ا)

آداب الدين والدنيا = أدب الدنيا والدين
أبيات الأبيات لابن الخطيب : ١٩٠
الإحاطة لابن الخطيب : ٥ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١٤٥ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢٣٠ ، ٢٧٠
أخبار الحمق والمغفلين لابن الجوزى : ٨٥
أخبار حى بن يقظان = أسرار الحكمة المشرقية
أدب الدنيا والدين : ٢١
الأربعين النووية : ٨٨
الاستبصار فى عجائب الأمصار : ٣١ ، ٣٤
أسرار الحكمة المشرقية : ١٢٤
الاستقصا للسلاوى : ٦١ ، ٦٢ ، ٧٨
استنزال اللطف الموجود فى سر الوجود لابن الخطيب : ١٩٠
إعمال الأعلام فيمن بويع من ملوك الإسلام لابن الخطيب : ١٩٠
الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى : ٢١٤
الإكليل الزاهر لابن الخطيب : ١٩٠
الإكمال لكتاب المعلم للقاضى عياض : ٢
الأمالى للقالى : ٩٧ ، ٩٩
أنباء الغمر : ٢٥ ، ٢٦

(ب)

بدء ابن سبعين = بدء العارف
بدء العارف لابن سبعين : ١٢٤
بديعية العميان : ٢٣
البرق الشامى للعماد الأصفهانى : ٣٠٩
بستان الدول لابن الخطيب : ١٩٠
البستان لابن مريم : ٢٤ ، ٣٣
بغية الرائد لما تضمنه حديث أبى زرع من الفوائد للقاضى عياض : ٢
بغية الملتمس للضبى : ٢١
البيان والتبيين للجاحظ : ٨٧
البيزرة لابن الخطيب : ١٨٩
البيطرة لابن الخطيب : ١٨٩

(ت)

تاج العروس : ٢٠ ، ٤١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٩ ، ٣٠١
التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى لابن الخطيب : ١٨٩
تاريخ ابن خلدون = العبر وديوان المبتدأ والخبر
تخليص الذهب فى اختيار عيون الكتب لابن الخطيب : ١٩٠
تقديم أبى بكر لابن حجة : ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤
تقرير الشبه وتحرير الشبه لابن الخطيب : ١٩٠
تقويم البلدان : ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤
تكملة كتاب الصلة : ٦٦
تكملة المعجمات لدوزى : ٣٦ ، ٥٤ ، ٦١

(ج)

جامع البيان والتحصيل : ١٢٩

الجامع الصغير للسيوطى : ٢١٣
جنة الرضى فى التسليم لما قدر الله وقضى لابن عاصم : ٥٠ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٧١
جيش التوشيح لابن الخطيب : ١٩٠
الجواهر اللماعة : ١٢١

(ح)

الحلل المرقومة لابن الخطيب : ١٨٩
حمل الجمهور على السنن المشهور لابن الخطيب : ١٩٠

(خ)

خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف لابن الخطيب : ١٩٠
خلع الرسن فى أمر القاضى ابن الحسن لابن الخطيب : ١٩٠

(د)

الدرر الفاخرة والتيجان الزاخرة لابن الخطيب : ١٩٠
دوزى = تكملة المعجمات
ديوان الصبابة : ١٢٤

(ذ)

الذخائر والأعلاق لأبى عبد الله الأشبيلى : ٢

(ر)

راح الأرواح لابن الخطيب : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
رجز الأغذية لابن الخطيب : ١٨٩
رجز السياسة لابن الخطيب : ١٨٩
رجز الطب لابن الخطيب : ١٨٩
رجز فى أصول الفقه لابن الخطيب : ١٩٠
الرجز فى عمل الترياق لابن الخطيب : ١٨٩
الرد على أهل الإباحة لابن الخطيب : ١٩٠
رسالة تكون الجنين لابن الخطيب . ١٨٩
رسالة الطاعون : ١٨٩
رقم الحلل فى نظم الدول لابن الخطيب : ١٩٠
الروض الأريض : ٥٨ ، ٦٠ ، ١٤٥ ، ١٧١
الروض المعطار فى أخبار الأقطار لأبى عبد الله الحميرى : ٢
ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لابن الخطيب : ١٨٩ ، ٢٨٦

(ز)

الزبدة الممخوضة لابن الخطيب : ١٩٠
زهر الرياض : ١٢٤

(س)

السحر والشعر لابن الخطيب : ١٨٩
سد الذريعة فى تفضيل الشريعة لابن الخطيب : ١٩٠
سراج المريدين لابن العربى : ٢
سلوان المطاع لابن ظفر : ٢٤٩
سند المهتدين : ٢١ ، ٢٢

(ش)

شرح بديعية ابن حجة = تقديم أبى بكر
شرح الشاطبية : ٢٧
شرح الشفاء للشهاب : ٢٧
شرح القاموس = تاج العروس
شرح المواهب اللدنية للزرقانى : ١٤١

الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٩٥
شمس المعارف للبونى : ١٢٣

(ص)

صبح الأعشى للقلقشندى : ٤٦ ، ٥٤
صحيح البخارى : ٣٧ ، ٨٨
صحيح مسلم : ١٢٩ ، ٢١٦
الصلة لابن بشكوال : ٢١ ، ٢٧
الصيب والجهام والماضى والكهام لابن الخطيب : ١٨٩

(ط)

طرفة العصر فى دولة بنى نصر لابن الخطيب : ١٩٠

(ع)

عائد الصلة لابن الخطيب : ١٩٠
العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٢٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
العقد الفريد : ١١٩
عمل من طب لمن حب لابن الخطيب : ١٩٠
عنوان الشرف الوافى : ١٥٨

(غ)

غرر أخبار ملوك الفرس : ١٢٠
الغنية للقاضى عياض : ٢ ، ٣٦
الغيرة على أهل الحيرة لابن الخطيب : ١٩٠

(ف)

فتات الحوان ولقط الصوان لابن الخطيب : ١٩٠
فهرسة ابن غازى : ٧١

(ق)

القاموس : ٥ ، ٣٥ ، ١٢٥
القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) : ٢١٥
قلائد العقيان : ١١٩

(ك)

كتاب حباحب : ١٢٤
كتاب السياسة لابن الخطيب : ٧١
كتاب الوزارة لابن الخطيب : ١٩٠
الكتيبة الكامنة فى أدباء المائة الثامنة : ١٨٩
كشف الدك وإيضاح الشك : ١٢٣
كشف الظنون لحاجى خليفة : ٢٦ ، ١١٧ ، ١٥٨
كناسة الدكان لابن الخطيب : ١٩٠
كنز العارفين : ٢
الكواكب الوقادة : ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٠

(ل)

لسان العرب : ٩٢ ، ٩٩ ، ٣٥
اللمحة البدرية لابن الخطيب : ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٤

(م)

المباخر الطيبية فى المفاخر الخطيبية لابن الخطيب : ١٩٠
مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة لابن الخطيب : ١٨٩
مجلة المجمع الملكى للغة العربية : ٤٦
مجمع الأمثال للميدانى : ٥
المحكم لابن سيده : ٢٧
مختارات ابن الشجرى : ٩٨

مختصر خليل : ٧١
المختصر فى فقه المالكية : ١٣٠
مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية : ٢٣ ، ٢٥
مسالك الأبصار للعمرى : ٣٠
المسائل الطبية لابن الخطيب : ١٨٩
المسهب : ٢٩
المصباح : ١٢٣
المضاف والمنسوب للثعالبى : ٨٥ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦
مطمح الأنفس : ١١٩
معجم أصحاب الصدفى : ٢٣
معجم البلدان : ٢٤ ، ٣٧ ، ٤١ ، ١٨٦ ، ٢٣٩
معجم دوزى = تكملة المعجمات لدوزى
معجم ما استعجم : ١٢
المعلم لفوائد مسلم : ٢١٦
معيار الاختيار لابن الخطيب : ١٨٩
المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب : ٣١ ، ٦٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨
مفاتيح العلوم للخوارزمى : ٢٥٥
مفاضلة مالقة وسلا لابن الخطيب : ١٨٩
مقامة السياسة لابن الخطيب : ١٩٠
المقتبس فى أخبار المغرب والأندلس : ٣٦
مقدمة تاريخ ابن خلدون : ٧١
المنتقى : ٢
منية الطالب لأهز المطالب : ٢
الموطأ للإمام مالك : ٢
المونس فى أخبار إفريقية وتونس : ٣٧

(ن)

نثير فرائد الجمان : ١٨٦ ، ٢٩١
نزهة المشتاق للادريسى : ٣٠
نظم الدرر والعقيان : ٢٤٤ ، ٢٤٥
نظم السلوك فى سياسة الملوك : ٢٤٩
نفاضة الجراب لابن الخطيب : ١٨٩ ، ٢٩٨
نفح الطيب : ٥ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٠ ... الخ
النهاية لابن الأثير : ٩٢
نيل الابتهاج بتطريز الديباج : ١٠٤ ، ١٣٣ ، ١٣٥

(و)

الوصول لحفظ الصحة فى الفصول لابن الخطيب : ١٨٩
وفيات الأعيان : ٢٥ ، ٩٤ ، ١١٩

(ى)

يتيمة الدهر للثعالبى : ٩٤
اليوسفى فى الطب لابن الخطيب : ١٨٩

فهرس القوافى

(ب)

بنفسي — عذابُ : ٣٠٣ طويل
ومن — معايبه : ١٠٤ »
سلام — صحابي : ٦ »
بعثت — مرقوب : ١٤٤ »
حلنا — العصائبَا : ١٣ »
أمولاى — الرتبُ : ٢٤٦ »
ما لى — بِي : ٢٩٩ بسيط
قوم — الكربَا : ٩٨ »
سبحان — وجبا : ١٧٩ »
ناديت — وجبا : ٣٠٤ »
بحق — مغتصبَه : ٣٠٤ »
بليونش — عقابُ : ٣٥ مخلع البسيط
الطب — النجابَه : ١٨٧ » »
بنى — للخرابِ : ٢٧١ وافر
إذا — المصيبَه : ٢٩٩ »
يا — ويطيبُ : ٥ كامل
إلى — ديب : ٣١٢ »
فيقول — انتسب : ٣ مجزوء الكامل
يا — عرقوبُ : ٣٠٠ سريع
انظر — كاعبِ : ٣٦ »
فعالة — بالشارب : ٣٧ »
وثقت — حسبي : ٣٨ مجتث
سلام — يثربِ : ٢٩ متقارب

(ت)

ألا — سبتُ : ٩ طويل
سلام — خليفة : ١٠٩ »
أحبك — أوقات : ٣٠٧ »
قد — المهمات : ٢٩٧ بسيط
عد — ميت : ٣١٣ مجزوء الرمل
بعدنا — صموت : ٢٣١ متقارب
آيا — الثبوت : ٢٣١ »

(ث)

بتنا — البراغيثا : ٣٠٩ بسيط
زحفت — المحثوث : ٢٨٩ كامل

(ج)

ماذا — حرج : ٢٦٥ بسيط
بإسماعيل — بانبلاج : ٢٧٤ وافر
قلت — احتجاجا : ١٤٤ خفيف

(ح)

عن — ويجرح : ٢٧٦ كامل
حييت — يروح : ٢٩ سريع
بلد — مبيحُ : ٢٩٠ خفيف
ما — جناح : ٢٣٧ »
ما — وافتضاح : ٢٣٩ »

(د)

أولئك — شدُّوا : ٩٧ طويل
أما — وده : ١٤٦ »
نزلنا — حد : ٢٩٨ »

عذبت — وقعوده : ٣٠٣	طويل	
سمى — بعدِ : ٢٧٥	«	
تعجلت — المجد : ٣٠٦	«	
وإنا — فى الأسد : ٣١٠	بسيط	
دائى — والكمد : ٣١٠	«	
فقه — جاحدُ : ٢٨٨	كامل	
ركب — الفرقد : ٣٠٦	«	
ماذا — ممهدِ : ٦٥	«	
مكناسة — بريد : ٢٨٨	«	
بحمد — اهتدى : ١٣٣	رجز	
أنا — المعتمد : ٤٠	مجزوء الرجز	
كم — العميد : ٣١٥	رمل	
ليس — واحد : ٢٦	سريع	
فى — واد : ٣٠٠	«	
مضجعى — فؤادى : ٣٠٥	خفيف	
صدنى — العباده : ٣٠١	«	

(ر)

كان — سامرُ : ٩	طويل	
سلا — الزهر : ١٩٦	«	
كأنا — يقصر : ٢٦٥	«	
أما — الضرائر : ٢٧٤	«	
تقول — وآمر : ٢٩٠	«	
يا أهل — الأمر : ٢٩٩	«	
هى — مضمرِ : ١١	«	
تخلصت — عامر : ١٩٣	«	
على — المحاجر : ٢٧٥	«	
أجاد — يدرى : ٣٠٧	«	
كأنى — الفجر : ٣٠٨	«	
الدهر — وأكابرا : ١٥	«	
ولما — الأخرَى : ٣٠٦	«	
إنه — أسمارُ : ٦	بسيط	
فهو — والقمر : ١٢	«	
وقلت — الضارِى : ٩٨	«	
يا — ثمره : ٣٠٠	بسيط	
الناس — باختيارى : ٩٤	مخلع البسيط	
ما — الزاهر : ١٥٧	مجزوء البسيط	
ندمت — نوارُ : ٥	وافر	
تمتع — مرارِ : ٣	«	
لقد — جزرا : ٢٦١	«	
بلد — عذارُه : ٣	كامل	
إن — أخباره : ٢٠٨	«	
فى — تمتاره : ٣٠٧	«	
أحياء — الأزهارِ : ١٦	«	
ماذا — إعذاره : ١٣٤	«	
فالعيش — سارى : ١٣٧	«	
أخليفة — البشر : ٢٤٦	«	
يا — قرار : ٢٩٥	«	
ما — المضمار : ٣٠٧	«	
يا — حيره : ٣٠٦	مجزوء الكامل	
النازلون — الأزر : ٩٧	رجز	
لى — الدرر : ٢٤٧	مجزوء الرجز	
رب — تدرى : ٣١٤	رمل	
بأبى — صدرى : ٣٠٥	مجزوء الرمل	
جئتك — معذره : ١٣٢	سريع	
سكانها — نضره : ٢٧٢	«	
غرناطة — والخضره : ٢٧٢	«	
خليفة — قرُ : ٢٠٦	منسرح	
يا — ودرر : ١٣٢	«	
تناثر — بدر : ١٥٤	خفيف	
يا — وعقار : ٢٩٩	«	
يا — أسره : ٢٤٦	مجتث	
يا — عساكر : ٢٤٦	«	
وقالوا — تنتظر : ٢٦١	متقارب	

(ز)

فهو — لهزّ : ١٠١	خفيف	
أنت — حريز : ٢٩٨	«	

(س)

عسى — باديس : ٢٣٤ طويل
أهلا — أنسِه : ١٢٣ كامل
يا — رئيس : ٣١٣ »
أطلعن — عبوسا : ٢٥٠ »
أقشيب — ورسيسا : ٢٥٧ »

(ض)

سلام — الرياض : ١٨ وافر
أمفق — الرياض : ١٩ »
والله — عرضه : ٣١٣ كامل
سرح — الرياض : ١٨ مجزوء الكامل
مصرف — ناقضا : ٣٠٠ سريع

(ط)

رأتنى — يحاط : ١٤٤ طويل
يأهل — الغلط : ٤٦ بسيط
بليونش — النياطا : ٣٤ مخلع البسيط

(ع)

جرى — متوزعُ : ١١ طويل
أتبكى — طائع : ٢١٤ »
إلهى — جمعا : ٢٧١ »
لا — سريع : ٢٦٩ كامل
يا — دعا : ١٤٥ »
انظر — اللامع : ٣٧ سريع
لم — أسماعى : ٢٦٧ »
يا — المنيع : ٢٧٣ خفيف
حين — ولوعى : ٣٠٥ »
يا — المتسع : ٢٧٤ متقارب

(غ)

هذا — وبغى : ١٩٢ مجزوء الرجز
وأظهر — فى ارتغا : ١٩٢ » »

(ف)

فبينا — نتنصف : ٩١ طويل
لى — مرهف : ٣٠٨ »
والزهر — صافى : ٨ كامل
سبحان — لا تخفى : ١٧١ رجز
فكل — يسرف : ٣٦ سريع
أصبح — أنوفِ : ٢٧٦ خفيف
ربما — عفوفا : ١٢٦ »
تعود — انحراف : ٢٧٦ متقارب

(ق)

كأن — زرقُ : ٨ طويل
عقيدة — مخلوق : ١٣٢ »
تذكرت — السوابق : ٢٣٧ »
خليلى — الحقّا : ٣٠٩ »
غرناطة — العراق : ٥٥ مخلع البسيط
عطفا — لا تتفرقُ : ٩٣ كامل
وإذا — يفرق : ٢٦٩ »
يا — أغلاق : ٣١٩ »
وترنمت — أشواقِى : ٩ »
يمضى — الباقى : ٢٦٠ »
أشكو — ورحيقَه : ٣٠٥ »

(ك)

مولاى — فيكا : ٢٨١ كامل
يا — مسلوكا : ٣٠٦ »

(ل)

بلاد — شمولُ	٤	طويل
إلى — صالِى	١٢٥	»
فلا — مهمل	١٣٣	»
أبان — حاملهُ	٢٩٢	بسيط
لا — حالِ	٢١	»
قاضى — الدول	٢٦	»
كذا — آمال	٤١	»
ماذا — وترحال	٤١	»
لا — وجل	٩٩	»
أمنت — وأحوال	١٠٤	»
يا — مقتبل	٢٤٧	»
برئت — ولى	٣٠٢	»
مال — حال	٢٧٠	»
لـكن — حلاَ	١٥	»
بليونش — الجمال	٣٥	مخلع البسيط
وإذا — لا يتبدلُ	٢٦٢	»
الحق — لا يسأل	٢٦٢	»
كم — منزلِ	٦	»
وما — بالرجل	٩٢	»
لك — مؤجل	١٤٣	»
فكان — العليل	٢٦٨	»
أفادت — حالى	٢٧١	»
لم — المـال	٢٨٩	»
أقنا — حال	٣١٢	»
كتبت — الخليل	٣٠٤	»
أعيا — التفصيلا	٢٧٥	»
بين — المقتلُ	٣٠٨	كامل
والناس مثاله	١٤	مجزوء الكامل
دوام — حال	١٣٤	سريع
ما — النكال	١٥٥	»
يأهل — الحل	١٢٣	منسرح
قربا — حيالِى	٩٥	خفيف
إلى — الهزال	٢٧٤	»
قد — الليالى	٢٨٨	»
يا — وحال	٢٩٨	»
قال — محول	٣٠٥	»
سبق — نقلَه	٣٠٤	»
تناثر — الوصل	١٥٥	مجتث
أبا — النزال	٢٦١	متقارب
رموا — الهاطل	٣٠٧	»

(م)

وليس — وأسهم	٩٩	طويل
ألا — الرسم	٢٧٢	»
تعلم — بسطام	٣٠١	»
ندد — أحكمها	١٠٣	مديد
مولى — الذممِ	٧٢	بسيط
هم — والنعم	٧٨	»
ما — الأليم	١٥٦	مجزوء البسيط
لا — هواكمُ	٣١٠	كامل
يا — النادمِ	٣٠٨	»
يا — هائم	٣١٩	»
لى — حيله	١٤	مجزوء الكامل
جلس — أحكامْ	٣٠٥	رمل
لى — التمام	١٤٤	سريع
أنا — الأفهامْ	٣١٢	خفيف
يا — رسمه	٢٦١	»
قسما — عاتمه	٢٦٨	مجزوء الخفيف

(ن)

وما — الحيوانُ	١٥	طويل
وكانت برهانِ	٢٨	»
تعال — الجديدان	١١٧	»
أطاع — نلمسان	٢٨٦	»

علقت — الحدثان : ٢٨٧	طويل	
ولما — البين : ٣٠٤	»	
أمولاى — كانا : ٣٠٣	»	
لسنا — أولانا : ٣١٨	»	
رب — فنن : ٨	مديد	
لكل — إنسانُ : ٤٧	بسيط	
بين — أجفان : ٣٠٩	»	
روعت — وجيرانى : ١١	»	
أيا — ووحدان : ٣١٣	»	
يا — الثانى : ٣١٣	»	
سل — تكوينى : ٣١٦	»	
لا — الدين : ٣٢٠	»	
يا — يسبينى : ٣٢٠	»	
تناثر — الثمين : ١٥٣	مخلع البسيط	
مضت — يدانِ : ١٤	وافر	
وألقى — البنان : ١٢٠	»	
ولو — الزمان : ٢٦٩	»	
حلفت — فى اليمين : ٣٠٧	»	
أقول — جفانى : ٣٠٩	»	
نسائل — ما عنينا : ١٠	»	
لا — فطنُ : ٩٨	كامل	
إنى — أفن : ٩٨	»	
مولاى — النقصان : ٢٧٢	كامل	
حيا — المكنونِ : ٧	»	
أسمى — عرين : ٢٨٩	»	
إن — المكنون : ٣٠٨	»	
بليونش — شانا : ٣٤	»	
أخطر — حسنه : ٢٩	سريع	
عاب — وشين : ١٤٤	خفيف	
بان — بين : ٣٠١	»	

(هـ)

ندم — شكواه : ١٤	طويل	
إلهى — إلهى : ١٤٤	»	
دعوتك — تعى : ٣٠٣	»	
قالوا — فى التنويه : ٣٠٧	كامل	
إن — تكفيه : ٣٠٨	»	
خبر — وأجلاه : ١٠٣	منسرح	

(ى)

أبى — ثنيا : ١١٥	طويل	
بأمل — منتهيا : ٣٠٩	بسيط	
أميرا — صفحتيه : ٣٠٠	متقاربه	

فهرس أنصاف الأبيات

(ا)

إذا عبروا قالوا مقادير قدرت : ٨٧ طويل
إن كنت أخطأت فما أخطا القدر : ٨٧ رجز

(س)

سم العداة وآفة الجزر : ٩٧ رجز

(ش)

شم الأنوف من الطراز الأول : ٩٧ كامل

(ل)

لك الخير قد أوفى لعهدك خيران : ١٢٠ طويل

(ه)

هى المقادير فامض أو فذر : ٨٧ رجز

(و)

وطود موسى لها تاج على الراس : ٣٥ بسيط
ولو ترك القطا ليلا لناما : ٢٦٨ وافر

فهرس الموضوعات

صفحة

روضة الورد فى أولية هذا الإمام الفرد
نسب عياض... ... ... ٢٣
عنـد الوادى آشى ٢٣
عند ابن الأبار ٢٣
عند ابن خاتمة ٢٣
عند ابن الملجوم ٢٣
نزوله بدار ابن الغرديس ٢٤
عند ولده محمـد ٢٤
عند ابن خلكان ٢٥
عند ابن خاتمة أيضا ٢٥
شىء عن ابن خلكان وابن خلدون ... ٢٥
الكلام فى ضبط اليحصبي ٢٧
محمد بن عياض يخبر عن موطن أجداده ٢٧
شىء عن سبتة ٢٩
وصف ابن الخطيب لسبتة ٣٠
الشريف أبو العباس وحفاوته بابن الخطيب ٣٢
شعر لابن الخطيب فى بليونش. ٣٤
شعر لعياض فيها أيضا ٣٤
وصف ابن حيان لها ٣٤
شعر للمنصفى فيها أيضا ٣٥
شعر الكميلى فيها ٣٥
شعر المنصفى فيها ٣٦
مثل من كرم الشريف أبى العباس ... ٣٧
ثناء أبى الحسن النباهى على الشريف وشىء عنه... ... ... ٣٨
شعر للشريف ٣٨
حفاوة أبى عنان بالشريف أبى العباس ومنزلته فى سبتة... ... ... ٣٩
وصف أحد كتاب الشريف له ... ٤٠

صفحة

دواة أبى عنان وشعر مكتوب عليها ... ٤٠

رجع إلى ذكر الشريف

شىء من كرم الشريف وشعره ... ٤١
أشراف سبتة ٤٢
دخل الشريف من مضرب الميناء وما كان ينفقه فيه ٤٢
حفاوة ملوك بنى مرين ٤٤
سبب تعريف المؤلف بهذا الشريف ... ٤٤
استيلاء العدو على سبتة... ... ... ٤٥
رثاء طليطلة... ... ... ٤٦
قصيدة الرندى فى رثاء الأندلس ... ٤٧
ابن عاصم وبعض ما جاء فى كتابه عن انحلال أمر الاندلس ٥٠
ذكر غرناطة ٥٥
تقريظ لابن عاصم على كتاب الإحاطة ٥٦
نبذة من كتاب الروض لابن عاصم عن ابن يوسف ٥٨
مثال من حرص ابن الخطيب على الفوائد ٥٩
اضطراب أمر الأندلس بالخروج على القواعد ٦٠
وصف البكرى للأندلس ٦٠
وصف ابن الخطيب للأندلس ٦١
أبو يوسف المرينى ودن جانحه ومثل من عز الإسلام ٦١
تعقيب لابن الخطيب على قصة أبى يوسف ٦٢
بعض ما كتب فى استنهاض الهمم ضد النصارى ٦٣
لابن زمرك... ... ... ٦٣
لابن الخطيب ٦٤

سقوط غرناطة فى يد العدو والخلاف فى تاريخ ذلك ٦٥
خروج أمير الحمراء ابن أبى الحسن إلى فاس ٦٧
وفاته وشىء عنه وعن عقبه ٦٨
حال المسلمين بعده بالأندلس ٦٨
رسالة فى ذكر ما جرى للمسلمين فى الأندلس... ... ... ٦٩
تنكيل طاغية قشتالة وأرغون بالمسلمين ٧٠
بعض من خرج من علماء الأندلس ٧١
كتاب ابن الأحمر لصاحب فاس... ٧٢
أبو عبد الله العربى وشىء من نظمه ١٠٣
قصيدة الدقون فى ندب الجزيرة ... ١٠٣
مما كتبه بعض أهل الجزيرة إلى بايزيد ١٠٨
بلاغة أهل الأندلس ١١٥
مقامة الفقيه عمر : تسريح النصال إلى مقاتل الفصال... ... ... ١١٦
شىء من نظمه ١٢٥
مقامة فى أمر الوباء ١٢٥
بعض مقطوعاته ١٣٢
تعريف بالشران... ... ... ١٣٣
شىء من نظمه ١٣٣
طريفة لابن جماعة وقد تولى الشران مكانه ١٣٤
شعر للشران يعاتب ابن جماعة على إهمال دعوته إلى إعذار ١٣٤
قصيدته اللامية ١٣٤
بعض شعر له ١٤٣
تعريف بالرئيس ابن عاصم ١٤٥
قصيدة له تلد بنتين فوشحتين فى مدح السلطان أبى الحجاج... ... ... ١٤٦
البنت الأولى ١٥٣
الموشحة الأولى... ... ... ١٥٤
البنت الثانية ١٥٥
الموشحة الثانية ١٥٦
موازنة بين ابن عاصم وصاحب عنوان الشرف الشامى ١٥٨
مختار من كتابه جنة الرضى ١٥٨
شىء من كلام ابن عاصم عن ابن فتوح ١٧١
منشور سلطانى بتولى ابن عاصم القضاء ١٧٢
تخميس لابن عاصم ١٧٩
تعريف بابن الخطيب ١٨٦
أوليته ونسبه ١٨٦
نشأته وشيوخه ١٨٧
مؤلفاته ١٨٩
رأى ابن الأحمر فيه ١٩١
توليه الكتابة ١٩١
كلام لابن الصباغ عنه وعن قوة بديهته ١٩٢
أيام ابن الخطيب مع السلطان أبى عبد الله ١٩٣
تفصيل لنكبة السلطان أبى عبد الله وذهابه إلى فاس ١٩٤
قصيدة ابن الخطيب بين يدى السلطان أبى سالم يستصرخه لمولاه ١٩٦
انصراف السلطان أبى عبد الله إلى الأندلس ٢٠١
خبر هذه القصة كما رواها ابن خلدون ٢٠٢
شىء عن أحوال ابن الخطيب كما رواها ابن خلدون ٢٠٤
كتاب القاضى أبى الحسن إلى ابن الخطيب ٢١٢
نكبته ووفاته ٢٢٩
شعر له فى محبسه يبكى نفسه ٢٣١
تخميس لبعض بنى الصباغ ٢٣١
شعر ابن الخطيب ٢٣٤
قصيدة لابن الخطيب فى المولد النبوى ٢٣٧
قصيدة لأبى زكريا بن خلدون يحاكى بها قصيدة ابن الخطيب ٢٣٨
وصف ليالى مولد النبى أيام السلطان أبى حمو... ... ... ٢٤٣
شعر لأبى زكريا بن خلدون فى المنجاة ٢٤٦

موشحة للتلاليسى يخاطب بها أبو حمو ٢٤٧
شىء عن السلطان أبى حمو... ... ٢٤٩
قصيدة ابن الخطيب للسلطان أبو حمو يستعيذ به ٢٤٩
نثر له أيضا وصل به القصيدة ... ٢٥٧
بعض مقطوعات لابن الخطيب فى السلطان أبى حمو... ... ... ٢٦٠
شعر له يودع به عبد الواحد بن سلطان إفريقية ٢٦١
من قصيدة المنح الغريب له ٢٦٢
من مقطوعات له لما أشرف على مراكش ٢٦٥
كتاب ابن خاتمة إلى ابن الخطيب ... ٢٦٥
رد ابن الخطيب على كتاب ابن خاتمة ٢٦٧
من رثاء السلطان أبى سالم ٢٧٠
شعر له فى الرغبة إلى الله ٢٧١
شعر له بعد عودته من رحلة المراكشية ٢٧١
وله فى مدرسة ٢٧٢
وله فى غرناطة ٢٧٢
وله يخاطب قبر الولى السبتى ٢٧٢
وله يورى بدم الأخوين ٢٧٤
وله فى اقتباس ٢٧٤
شعر له فى التورية بالطب ٢٧٤
وقال يخاطب ابن مرزوق ٢٧٤
شعر له فى مخاطبة أحد الشرفاء ... ٢٧٥
وقال يشكر السلطان أبا سالم على تخليصه إياه ٢٧٥
وله فى التغزل ٢٧٥
من رسالة فى تهنئة ابن أبى مدين بتقلد الخطة ٢٧٦
رسالته إلى السلطان أبى سالم مستعينا به ٢٧٦
رد السلطان أبى سالم على ابن الخطيب ٢٨٢
رد ابن الخطيب على السلطان أبى سالم شاكرا... ... ... ٢٨٤
تهنئة للسلطان أبى سالم بفتح تلمسان ٢٨٦
من مخاطباته لابن مرزوق ٢٨٦
شىء من صراحة ابن الخطيب فى مجلس السلطان أبى عنان ٢٨٧
شعر له فى مكناسة ٢٨٨
شعر له فى مدينة آنفى ٢٨٨
شعر له فى ابن بطان ٢٨٨
شعر له فى البرغوث ٢٨٩
شعر له فى ابن روح ٢٨٩
شعر له صدر به رسالته إلى ابن حسون ٢٨٩
شعر له فى ندب مراكش بعد الموحدين ٢٩٠
شعر له يخاطب به عامرا الهنتاتى ... ٢٩٠
تعريف بعامر الهنتاتى ٢٩١
شىء عن الشريف الشبوكى ٢٩١
شعر للشبوكى فى مدح أبى فارس والتحريض على الهنتاتى ٢٩٢
شعر لابن الخطيب على قبر السلطان أبى الحسن المرينى ٢٩٤
شعر لابن الخطيب على قبر المعتمد... ٢٩٧
شعر له فى مخاطبة ابن يوسف ... ٢٩٨
وله فى مخاطبة السلطان... ... ... ٢٩٨
وله فى مخاطبة ابنه وقد وصل لزيارته ٢٩٩
بعض مقطوعات له ٢٩٩
وله فى مشرف الدار حين أكل القابض ٣٠٠
وله فى رأس الغادر بالدولة ٣٠٠
وله فى الغزل ٣٠٠
شعر له فى السعيد أبى بكر ٣٠٠
وله فى توديع ابنه لما انصرف عنه إلى فاس ٣٠١
وله فى السيادة الخطيبية ٣٠١
وله فى مخاطبة السلطان أبى الحجاج ٣٠٣
وله فى التورية ٣٠٣
وله فى التجنيس... ... ... ٣٠٣
وله فى التورية أيضا ٣٠٤
بعض شعر له ٣٠٤

وله فى جلوس السلطان فى يوم برد للسلام ٣٠٥
وله فى الغزل ٣٠٥
أبيات له فى المحسنات البديعية ... ٣٠٦
وله فى سكين الأضاحى ٣٠٨
وله فى مروحة سلطانية ٣٠٨
وله يخاطب ابن الجياب ٣٠٨
وله فى الغزل ٣٠٨
وله فى البراغيث أيضا ٣٠٩
وله فى خالد البلوى ٣٠٩
وله فى المنجانة ٣٠٩
وله فى الغزل ٣٠٩
وله فى التصوف... ... ... ٣١٠
وله فى المديح موريا ٣١٠
شعر له يشك أنه للشارقة ٣١٠
وله فى المشيب ٣١٢
وله وقد أجاز بسبتة ٣١٢
وله فى طاق الماء ٣١٢
بين ابن الجياب وابن الخطيب ... ٣١٣
بعض أبيات له ٣١٣
موشحة له فى مدح السلطان ... } ٣١٤
يوسف أبى الحجاج ... ... }
وله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ٣١٦
وله فى الرجوع إلى الله ٣١٨
تخميس للغسانى على بيتين لابن الخطيب ٣١٩
أولاد ابن الخطيب ٣١٩
على بن الخطيب والمستنصر فى بستان ٣٢٠
شىء عن عبد الله ومحمد ابنى الخطيب ٣٢٠
وصية ابن الخطيب لأولاده ٣٢٠

تصويب أخطاء مطبعية

خطأ	صواب	ص	س
محمد بن الخلفاء	محمد ابن الخلفاء	٥٨	٤
لسان العربى	لسان العرب	٩٢	١٧
الأسود ابن قنان	الأسود بن قنان	٩٥	١٠
نظم بن صفوان	نظم ابن صفوان	١٩٠	١٣
ابن يفلوسن	ابن أبى يفلوسن	٢١٠	١٧
آسِفَى	آسَفِي	٢٩٨	٦

المعهد الخليفي للأبحاث المغربية
بيت المغرب

أزهار الرياض في أخبار عياض

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني

الجزء الثاني

ضبطه وحققه وعلّق عليه

مصطفى السقا
المدرس بجامعة فؤاد الأول

إبراهيم الأبياري
المدرس بالمدارس الأميرية

عبد الحفيظ شلبي
المدرس بالمدارس الأميرية

مطبعة فضالة

الأصول المعتمدة لأزهار الرياض

ذكرنا فى مقدمة الجزء الأول من أزهار الرياض بعض الأصول التى اعتمدنا عليها فى تحقيق الكتاب ، ونذكرها فى مفتتح هذا الجزء تذكيراً للقراء مع ما وقع إلينا من أصول جديدة ؛ وقد استعملنا فى الدلالة على هذه الأصول الحروف الآتية :

(ط)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٢٠١٣ تاريخ) . وقد وصفناها فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

(ت)

للدلالة على القطعة المطبوعة من هذا الكتاب فى تونس سنة ١٣٢٢ هجرية ، وقد انتهت بانتهاء ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، حيث انتهى الجزء الأول من طبعتنا هذه .

(م)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية (برقم ٧٩٤ تاريخ) ، وقد وصفناها فى مقدمة الجزء الأول .

(ص)

للدلالة على نسخة عثرنا عليها بعد الفراغ من طبع الجزء الأول ، وهى بخط مغربى واضح ، فى ٥٩٣ صفحة من القطع الكبير ، وبها عدة سقطات ، ونرجح أنها كتبت قبل سنة ١١٤١ لوجود هذا التاريخ على آخر صفحة منها بخط بعض مالكيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثانى

من كتاب

أزهار الرياض، فى أخبار عياض

[القاضى النباهى]

التعريف به

أما القاضى النّباهى فهو علىُّ بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن[1] الجُذامى المالَقى النّباهى، أبو الحسن الشهير بابن الحسن، قاضى الجماعة بغَرناطة، الإمام العالم العلّامة. كان رحمه الله من أكابر المشهورين بها، ممن له الفصاحة والبلاغة والجلالة، إلى الاتصاف بالعلم والمعرفة، والتفنّن فى العلوم مَعقولها ومنقولها.

ذكره ابن الخطيب فى الإحاطة وأثنى عليه، وذكر أن ولادته عام ثلاثةَ عشَرَ وسبع مئة، على ما ذكره بعضُهم، وتأخرت وفاتُه عن ابن الخطيب، بحيث إنه كان حيًا عام اثنين وتسعين وسبع مئة.

من كلام لابن الخطيب عنه

وقال ابن الخطيب فى ترجمة السلطان ابن الأحمر ما نصه[2]:

ثم قَدَّم للقضاء الفقيهَ الحسيب أبا الحسن، وهو عين الأعيان بمالَقة، المخصوصُ [٢٣٣] برسم التجلّة، والقيام بالعَقد والحل، فسدّد وقارَب، وحمل الكَلّ، وأحسن

(١) فى نفح الطيب طبعة الأزهرية والمخطوطتين المحفوظتين بدار الكتب المصرية (برقمى ٣٥٩ و ٣٦٠ تاريخ): «على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن».

(٢) انظر كتاب الإحاطة (ج ٢ صفحة ١٩، ٢٠ طبعة الموسوعات سنة ١٣١٩).

مصاحبة الخُطبة والخُطة[١]، وأكرم المَشيخة، مع النزاهة، ولم يقف فى حسن التأتى عند[٢] غاية ؛ فاتَّفِق على رجاحته، ولم يقف فى النصح عند غاية ؛ أعانه الله . انتهى ملخصا .

وكم بين ما قال فيه هنا وبين ما فى « الكتيبة الكامنة » من تلقيبه بجُعْسُوس[٣]، ووَصْمِه بما لا يليق سماعه . وعلى كل حال فقد انتصف كل واحد منهما من صاحبه بلسانه، وعفو الله وراء الجميع .

من كلام السراج عنه

وقال فى حقه الشيخ أبو زكرياء يحيى السّراج فى فَهْرسته :

الشيخ الفقيه الراوية، قاضى الجماعة بالأندلس وخطيبها، أبو الحسن ؛ أخذ عن أبى محمد عبد الله بن أحمد التُّجيبى المُوَطَّأ والشفاء وأكثرَ الصحيحَيْن ؛ وعن الخطيب أبى جعفر الطَّنجالى، والقاضى العارف أبى القاسم بن سعيد الحُميدى، والوزير أبى بكر بن الحكيم، والقاضى أبى جعفر أحمد بن عبد الحق، والحاجّ الراوية أبى القاسم بن المهنى[٤] ؛ وقرأ على الفقيه الحاج أبى القاسم بن أحمد[٥] بن محمد بن عمران الحَضْرمى بعضَ مختصر ابن الحاجب، والتسهيلَ البديع فى اختصار التفريع ؛ والحاج أبى عبد الله محمد بن على السَّكونى، والخطيب أبى عبد الله الساحلى، والقاضى أبى الحجاج المُنْتشافرى . قَدِم رسولاً لفاس عام سبعة وستين، ثم عام ثمانية وثمانين . انتهى .

(١) يريد أنه تولى الخطابة وخطة القضاء، وأحسن العمل فيهما .
(٢) كذا فى الإحاطة . وفى الأصول « على » . وهو تحريف .
(٣) الجعسوس (كعصفور) : اللئيم الخلقة والخلق؛ ويقال : اللئيم القبيح ؛ ويقال : رجل جعسوس، إذا كان قصيرا دميما . (عن لسان العرب) .
(٤) ورد هذا الاسم مضطربا فى الأصول ونفح الطيب بين « المهنى » و « الهنا » و « البنا » . وقد أورد لسان الدين بن الخطيب فى جملة مشيخته ذكر الحاج أبى القاسم ابن المهنى المالقى، فلعله المراد هنا .
(٥) فى (س) : « أبى القاسم بن محمد بن أحمد ... الخ » .

قلت : تقدم من كلام ابن خلدون أنه جاء رسولا فى شأن ابن الخطيب[1] ، وذلك خلاف هذين التاريخين معاً ، فتأمله .

من تآليفه

وله رحمه الله بحث فى مسألة الدعاء بعد الصلاة ، رام فيه الرد على الشيخ الإمام أبى إسحاق الشاطبى ، حسبما نقله صاحب المِعْيار . ومن تآليفه رحمه الله : [٢٣٤] « كتاب المرقبة[2] العُليا ، فى مسائل القضا والفُتيا » فى جزأين ، وهو كتاب ممتع إلى الغاية ، وقفت على الجزء الأول منه ، وقد ذَكر فى أثنائه أخبارَ سلفه رحمه الله ، ولم أقف من أمره على غير ما ذكرته فى هذا الموضوع . وقد قدَّمنا أنه كان مع السلطان أبى عبد الله بن الأحمر المخلوع حين رجع إلى طلب ملكه من المغرب ؛ ورأيت لبعض المتأخرين وصفَه بالقاضى الأجل ذى الوزارتين . والله أعلم .

[ابن زمرك]

نسبه

وأما ابن زَمرك فهو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصَّريحى ، أبو عبد الله ، ويعرف بابن زَمرك . هكذا ذكر غير واحد من المحققين ، وسيأتى فى كلام ابن الأحمر حذف « محمد » فيما بين « أحمد » و « يوسف » ، ولعله من باب النسبة إلى الجد ، والله أعلم .

بعض ما كتبه ابن الخطيب عنه فى الإحاطة

قال ابن الخطيب فى الإحاطة[3] : وُلد هذا الفاضل بغَرناطه ، ونشأ بها ،

(١) قدم لسان الدين بن الخطيب على السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٣ ، وتوفى السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٤ فيكون قدوم القاضى النباهى على السلطان عبد العزيز فى شأن ابن الخطيب فيما بين سنتى ٧٧٣ و ٧٧٤ (انظر أزهار الرياض ج ١ ص ٢١١ والاستقصا للسلاوى ص ١٣٢ ج ٢) .

(٢) كذا فى الأصول . وفى بعض الفهارس : « المرتبة » .

(٣) ترجمة ابن زمرك فى الإحاطة فى الصفحات (٢٢١ — ٢٤٠) من الجزء الثانى . وقد عارضنا ما نقله المقرى هنا على ترجمة الإحاطة ، فوجدناه قد تصرف فى النقل بعض التصرف .

وهو من مفاخرها ، وكان صدراً من صدور طلبة الأندلس ، وأفراد نُجبائها ، مختصًا مقبولا ، هَشًّا خَلوبا ، عذبَ الفكاهة ، حُلو المجالسة ، حسن التوقيع ، خفيف الروح ، عظيمَ الانطباع ، شَرِه المذاكرة ، فطناً بالمعاريض ، حاضرَ الجواب ، شُعْلة من شعل الذكاء ، تكاد تحتدم جوانبه ، كثير الرقة ، فكِهاً غَزِلا ، مع حياء وحشمة ، جواداً بما فى يده ، مشاركا لإخوانه ؛ نشأ عَفًّا طاهرا ، كلِفاً بالقراءة ، عظيم الدُّءوب ، ثاقب الذهن ، أصيل الحفظ ، ظاهر النُّبل ، بعيدَ مدى الإدراك ، جيّد الفهم ؛ اشتهر فضله ، وذاع أرَجه ، وفشا خبره ، واضطلع بكثير من الأغراض ، وشارك فى جملة من الفنون ، فأصبح متلقِّف كُرة البحث ، وصارِخَ الحَلْقة ، وسابِقَ الحَلْبة ، ومَظِنة الكمال ؛ ثم ترقّى فى درج المعرفة والاطلاع[1] ، وخاض لُجَّة الحفظ ، وركضَ قَلَمَ[2] التسويد [٢٣٥] والتقييد والتعليق ، ونصب نفسه للناس متكلّما فوق الكرسىّ [المنصوب][3] ، وبين الحَفْل المجموع ، مستظهراً بالفنون التى بَعُد فيها شأوه ، من عربيّة و بيان ، وماتقذف به لُجّة النقل من أخبار وتفسير ، مُتشوّفا مع ذلك[4] إلى السلوك ، مصاحباً للصوفية ، آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة ؛ ثم عانَى الأدب ، فكان أملك به . ورحل فى طلب العلم والازدياد ، فترقّى إلى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبى سالم بن أبى الحسن ، وعُرف فى بابه بالإجادة . ثم رجع مع السلطان ابن الأحمر فى طلب ملكه ، فلطُف محلُّه منه ، وخَصّه بكتابة سرّه ، [وثابت

(١) كذا فى الإحاطة . وفى الأصلين ونفح الطيب : « الاضطلاع » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٢) فى الأصلين : « ركض فى التسويد » . وما أثبتناه عن الإحاطة ونفح الطيب .

(٣) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

(٤) كذا فى نفح الطيب والإحاطة . وفى الأصلين : « معها » .

الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائلة ، فأقرّه على رسمه][1] ، معروف الانقطاع والصاغية، كثير الدّالة ، مضطلعاً بالخُطَّة : خطّا، و إنشاء ، ولَسَناً، ونقداً ؛ فحسُن مَنَابُه ، واشتهر فضلُه ، وظهرت مشاركته ، وحَسُنت وَساطته ، ووسِع الناسَ تخلقه ، وامتد فى ميدان النظم والنثر باعُه ، فصدر عنه من المنظوم قصائد[2] بعيدة الشأو فى مدى الإجادة ، من الأغراض المتعدّدة ، من ميلادّيات وغيرها ، وهو بحاله الموصوفة إلى الآن ، أعانه الله وسدّده .

وأخذ العربية عن رُحْـلَةِ الوقت[3] فى فنّها ، أبى عبد الله [بن الفَخّار ؛ ثم على إمامها القاضى الشريف ، إمام الفنون اللسانية ، أبى القاسم محمد بن أحمد الحَسَنى ؛ والفقهَ والعربيةَ على الأستاذ المفتى أبى سعيد بن لُبّ ؛ واختص بالفقيه المحدث الصدر أبى عبد الله][4] بن مرزوق ، روى عنه كثيراً ؛ ولقى الحافظ القاضى أبا عبد الله المقّرى لمّا قَدِم الأندلس رسولا ، وذاكره ؛ وقرأ الأصول على أبى على منصور الزّواوى ؛ وروى عن القاضى أبى البركات بن الحاجّ ، والمحدِّث أبى الحسين بن التِّلِمْسانى ، والخطيب ابن اللّوْشى ، والمقرئ أبى عبد الله بن بيبش ؛ وقرأ بعضَ الفنون العقلية بفاس على الشريف الرُّحْلة أبى عبد الله العَلَوى [٢٣٦] التلمسانى ، واختص به اختصاصاً لم يخْل فيه من استفادة ، وحُنكة فى الصناعة .

وأما شـعره فمترام إلى نَمَط[5] الإجادة ، خَفاجىّ[6] النَّزْعة ، كلف بالمعانى البديعة ، والألفاظ الصَّقيلة ، غزير المـادة

(١) ما بين القوسين زيادة عن نفح الطيب والإحاطة .
(٢) فى الأصلين : (قصيدة) . وما أثبتناه عن نفح الطيب والإحاطة .
(٣) فى الإحاطة ونفح الطيب : « المغرب » .
(٤) ما بين القوسين ساقط فى (ط) .
(٥) فى الإحاطة ونفح الطيب : « هدف »
(٦) نسبة إلى شاعر شرقى الأندلس أبى إسحاق إبراهيم بن خفاجة أشهر وصاف الطبيعة فى الأدب العربى (٤٥٠ — ٥٣٣) هـ .

مولده فى رابع عشر شوال عام ثلاثة وثلاثين وسبع مِئَة .

انتهى كلام ابن الخطيب .

شعر له أورده ابن الخطيب

وأورد له ابن الخطيب فيما يرجع إلى الفخر قولَه — قال ابن الخطيب : ولقد صدق — :

ولا نِعْمتى فى الجُود والجودُ شِيمتى[1] جُبِلْت على إيثارها[2] يومَ مَوْلِدى
ذَرينى فلو أنى أُخَلَّد بالغِنى لكنت ضَنيناً بالذى ملكت يدى

وأورد له أيضاً قولَه :

لقد عَلِمَ اللهُ أنّى امرؤ أُجَرِّرُ ثوبَ[3] العَفاف القَشِيبْ
فكم غمَّض الدهرُ أجفانَه وفازت قِداحى بوصل الحبيب
وقِيل رقيبُك فى غفلة فقلت أخاف الإلهَ الرَّقيب

وله أيضاً رحمه الله :

مالِى بحَمْل الهوى يَدَانِ من بعد ما أعوزَ التدانى
أصبحتُ أشكو إلى[4] زمانٍ ما بِتُّ منه على أمانِ
ما بال عَيْنيك تَسْجُمان والدمعُ يرفضّ كالجُمان
ما ذاك والإلْف عنك وانٍ والبعدُ من بعده كَوانى ؟
يا شِقْوة النفس ، مِنْ هوانٍ لَجَجْتُ[5] فى أبْحُر الهوان

(١) فى نفح الطيب : « ألائمة » ... « شيمة » .
(٢) فى ط والإحاطة : « آثارها » .
(٣) فى الإحاطة ونفح الطيب : « ذيل » .
(٤) فى رواية : « أشكوك من زمان » .
(٥) فى الأصلين : « لجج » ، والتصويب عن « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » لأحمد بابا التنبكتى .

لم يَثْنِنى عن هواك ثانٍ يا بُغيةَ القلب قد كفانى

انتهى .

حظوته عند ابن الأحمر بعد تنكره لابن الخطيب

ثم أظلم الجو بينه و بين ابن الخطيب ، وتولّى مكانَه بعد فِراره كما قدمناه ، وحظى عند ابن الأحمر جدا ، و بقى على ذلك مدة .

من كتاب لبعض بنى الأحمر عنه

قلت : وقد رأيت بتلمسان كتاباً مُلوكيّا[1] من تأليف بعض سلاطينها بنى الأحمر ، وهو حفيد ابن الأحمر المخلوع ، سلطان الأندلس ، الذى كتب له ابن زمرك المذكور بعد ابن الخطيب ، أورد فيه كلامَ ابن زَمرك ، وسمّاه : « البَقيّة والمُدْرَك ، من كلام ابن زَمْرك » ، وهو سِفْر ضخم ، ليس فيه إلا نَظْمه فقط ؛ وذكر فيه أن ابن زَمرك مات قتيلا بعد التسعين وسبع مئة ، فكان ذلك الواقع [٢٣٧] له مساوياً لما وقع لابن الخطيب شيخِه ، حسْبما قدمناه .

ونصُّ ما قيّدت من ذلك الكتاب من أوله :

« أما بعدَ ما يجب من حمد الله تعالى فى كل حال ، وشكره على ما أوْلَى ويسّر من صلاح الأحوال ؛ والصلاةِ والسلام على سيدنا محمد صَفْوة الأنبياء ، وسيد الأرسال[2] ، والرضا عَمّن له من صَحب وأنصار وآل ؛ فإن من المعلوم أن الأدب له بالنفس عَلاقة تؤديه إلى الاستحسان ، وتؤثر من اشتهر به بالملاحظة بلحظ الحظ مع تعاقب الأحيان ؛ ولا خفاء أن أيام مولانا الجد المقدّس ، الغَنِيّ بالله ، تولاه الله برضوانه ، كانت غُرَراً فى وجوه الأيام ، ومَواسم تَجمع الطِّمّ والرِّمّ[3]

(١) النسبة إلى الملوك : « ملكى » بفتح الميم واللام ، وشاع على أقلام بعض الفصحاء كالجاحظ « ملوكى » ، ولعله للفرق بين النسبة إلى الملك (بكسر اللام) والملك (بفتحها) .

(٢) نبهنا فى الجزء الأول فى أكثر من موضع على أن المغاربة يستعملون « الأرسال » جمعا لرسول ، ولم يرد السماع بذلك .

(٣) الطم والرم : كناية عن العدد الكثير .

من الرؤساء الأعلام ؛ الآخذينَ بأعنّة الكلام ، السابقين فى حَلْبة النِّثار والنظام ؛ وأن الفقيه الرئيس المدْرك ، الناظم الناثر أبا عبد الله محمد بن يوسف ابن زَمرك ؛ عفا الله عنه — وحسبك بمن ارتضاه مولانا [الجد] [١] رحمه الله لكتابته ، وصَرَّفه فى الوجوه المتعددة من رسالته وحجابته ؛ فكان بذلك خليقاً ، لما جُمِع فيه من أدوات الكمال علماً وتحقيقاً ؛ وإدراكا ونُبلا ، وفقها[٢] وأصولا ، وفروعاً وأدباً وتحصيلا ، و بياناً وتفسيراً ونظما وترسيلا — لمّا[٣] كان قد أخفت الأيام سَنَى صبحه[٤] ، وخابت وسائل نصحه ، وعادت بعُدْوانها بعد فوز قِدْحه ؛ وعَثَر بين أقدام أقوام لا يعرفون أىَّ ذُخر فقدوا ، ولا أىّ مُطْلَق من تصرفاته الجميلة قَيَّدوا ؛ مستبصرين بالجهل فى دياجى غَيّهم ، مُعْجَبين بما ارتكبوه من جياد بَغْيهم ؛ جميعهم يلحظه مُقَل داميه ، وألفاظ حاميه ؛ يُصابحونه بأوجه خَلَت عن الوجاهة ، سِيماها الحسد ، وضميرها السَّخَط بما قدَّره الواحد الصَّمد .

[[٥] فَخرَّ على الأَلاءة لم يُوَسَّد كأنّ جَبِينَه سيفٌ صَقِيلُ [٦]

فيالله من أشلاء هنالك ضائعة ، وأعلاق غير مَصونة ، ووسائل مَخفورة ؛ وأذمَّة قُطِعَت أرحامُها ، ولم يُرْعَ ذِمامها ؛ وعاثت الأيدى الفاتكة حينئذ على بَنيه ، وارتكبوها شَنْعاءَ فى أهله وذويه] [٥]

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى (ص ، م) ، ونفح الطيب . والذى فى (ط) : « وفهما »
(٣) خبر لقوله : « وأن الفقيه الرئيس المدرك ... الخ » .
(٤) كذا فى ص ونفح الطيب . وفى ت : « من » .
(٥) مابين القوسين زيادة عن نفح الطيب و (ص) .
(٦) البيت لابن عنمة الضبى ، من مقطوعة له فى رثاء بسطام بن قيس . قال التبريزى فى شرح الحماسة : « خر : سقط . والألاءة : شجرة . لم يوسد ، يستعملونه كثيراً فى القتيل ، وليس بجيد ، لأن القتلى بعضهم يوسد . وشبه جبينه ، لصفائه وانحسار الشعر عنه ، بسيف مصقول ، أى لم يكن أغم ؛ والغمم عندهم مذموم » .

هل كان إلا حَيًا تحيا العبادُ به ... هل كان إلا قَذًى فى عين ذى عَوَرِ
إن قال قولا تَرَ الأبصارَ خاشعةً ... لِمَا يُخبِّر من وَحْيٍ ومن أثَرِ
يا لَهْف نفسىَ لو قد كنتُ حاضرَه ... غداةَ جُرِّعه أدهى مِنَ الصَّبِر
لَمَا تركتُ لَهُ شِلْوا بمَضْيعةٍ ... ولا تولّى صريعَ الناب والظُّفُرِ
« وكان ما كان مما لست أذكره ... فظُنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر »[1]

وإن سأل سائل عن الخبر الذى ألمعنا بذكره ، وضَمَّنَّا هذا البيت ذَرْوًا[2] من فظيع أمره ؛ فذلك عند ما نَسَب صاحب الأمر إليه ما راب ، وَتلّه [وابنيه][3] للجبين مُعَفَّرين بالتراب ؛ وصَدمه فى جُنح الليل والمصحف بين يديه يتوسّل بآياته ، ويتشفع بعظيم بركاته ؛ فأخذته السيوف ، وتعاورته الحُتوف ؛ وأذهبه سَليباً قتيلا ، مُصَيِّرا مصراع منزله كثيباً مَهيلا ، وكنا على بُعْد من هذه الآزفة التى أورثت القلوب شَجَناً طويلا ؛ وذكّرتنا بعناية مولانا [الجدّ][4] الغنىّ بالله بجانبه أعظم ذكرى ، فأَغْرَينا برثائه خَلَدا وفكرا ؛ وارتجلنا عند ذكره الآن هذه الأبياتَ إشارة مُقْنِعه ، وكناية فى السُّلوان مُطمعه ؛ وأرضينا بالشفقة أوِدّاءه ، وأرغمنا بتأبينه أعداءه . ولما تبلّج الصبحُ لذى عينين ، وتلقّينا راية الفَرَج بالراحتين ؛ عَطَفتنا على أبْنائه عواطف الشفقه ، وأطْلقنا لهم ما عائت الأيدى عليه[5] صلةً لرحم طالما أضاعها من جهل الأذمّه ، وأخفر عهود تَخَدمه[6] لمن سلف من الأئمه ؛ وصرفنا للبحث والتفتيش وجوه آمالنا ، وجعلنا ضمّ مانثرته الحوادث

(١) هذا البيت من مقطوعة لعبد الله بن المعتز .
(٢) ذروا : طرفا من القول . وفى الأصلين ونفح الطيب : « درا » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .
(٣) هذه الكلمة عن (ص) ونفح الطيب .
(٤) هذه الكلمة عن نفح الطيب .
(٥) المسوع : عائث به .
(٦) يريد بتخدمه : خدمته . والمسوع من هذا : تخدمت خادماً : إذا اتخذته .

من منظوماته من أكيد أعمالنا ؛ وكان تعلّقَ بمحفوظنا جملة وافرة من كلامه ، مشتملة على ما راق وحسن من نثاره ونظامه ؛ فأضفنا ذلك إلى ما وقع عليه اجتهادنا من رِقاعه ، الحائلة المنتهبَة بأيدى النوائب ، الدائرة المستلبة بتعدّى النواهب ؛ فخلص من الجملة قلائد عِقيان ، وعُقود دُرّ ومَرْجان ؛ ترتاح النفوس [٢٣٩] النفيسة لإنشادها ، وتحسُد الأبصارُ الأسماعَ عند إيرادها ؛ إلى مايتخلّلها من تخليد مآثرسلفنا ، والإشاده بعظيم مُلْكنا ؛ فشرعنا فى تقييد أوابدها الشارده ، وإحياء رسومها البائده ؛ كَلَفا بالأدب ؛ لوضوح فضله ، وتأدية لما يجب من رعاية أهله .

ولنبدأ بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبَّه عليه ، ونُظهر ما كنّا نُضمره من الميل إليه ، فى كل ما له أو عليه ، فنقول :

هو الفقيه الكاتب ، الفذ الأوحد ، أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن محمد ابن أحمد بن يوسف الصَّريحىّ ، ويعرف بابن زمرك ؛ أصله من شرق الأندلس ، وسكن سلفه بالبَيّازين من غرناطة ، وبها ولد ؛ فنشأ ضئيلا كالشِّهاب يتوقد ، مختصر الجِرْم والأعين بإطالة فواضله تشهد ، ومُكتِّب[1] الفئة القرآنية يؤثره بالجَناب الممهَّد ، فاشتغل أول نشأته بطلب العلم ، والدُّءوب على القراءة ، وأخذ نفسه بملازمة حَلَقات التدريس ، ولم يبلغ حد وجوب المفترضات إلا وهو متحمل الرواية ، وملتمس لفوائد الدرايه ؛ مُصابِحٌ كل يوم أعلامَ العلوم ، ومستهدٍ بمصابيح الحدود العلمية والرُّسوم . فافتتح أبواب الكتب النحوية بالإمام أبى عبد الله ابن الفَخّار ، الآية الكبرى فى فن العربية ، وتردَّد الأعوامَ العديدة إلى قاضى الجماعة أبى القاسم الشريف ؛ فأحسن الإصغاء ، وبَذَّ النُّحاة البُلغاء ؛ بما أوجب رثاءه عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة ، التى أولها :

(١) المكتب الذى يعلم الصبيان الكتابة . قال الحسن البصرى : وكان الحجاج مكتبا بالطائف ، أى معلما . (عن تاج العروس) .

« أغرى سَراة الحى بالإطراق »

[٢٤٠] حسبما تأتى مستوفاة إن شاء الله تعالى . واهتدى فى طريق الخُطبة ومناهج الصوفية ، بالخطيب المعظَّم أبى عبد الله بن مرزوق ، الوافد على مولانا الجد أبى الحجاج رضى الله تعالى عنه فى عام ثلاثة وخمسين وسبع مئة ، وإليه جَنح ، وإياه قصد ، عند تغرُّبه إلى المغرب ، فى دولة السلطان أبى سالم ، فتوَّجَهُ بالعمامة التى ارتجل بين يديه فيها :

توَّجْتنى بعمامـــــهْ تُوِّجْتَ تاجَ الـكرامهْ
فرَوْض حمدك يُزْهَى منّى بسجع الحمـامه

وأخذ عِلْمَ الأصلين عن الحافظ الناقد أبى علىّ منصور الزَّواوى ، وبرع فى الأدب ، أثناء الانقطاع وأولَ الطلب لأبى عبد الله بن الخطيب ، ولـكن لم يُحْمد بينهما المـآل . واقتدى فى العلوم العقلية بالشريف أبى عبد الله التِّلِمْسانى ، قُدوة الزمان ؛ وحصلت له الإجازة والتحديث بقاضى الجماعة ، وشيخ الجلة ، أبى البركات بن الحاجّ ، وبالخطيب البليغ أبى عبد الله اللَّوشى ، وبالخطيب الورع أبى عبد الله بن بيبش العَبْدَرى ، رضى الله عن جميعهم . وبواجب محافظتنا على عهدهم ، إذ نحن واردون بالإجازة التامة عذبَ وِرْدِهم ، وَصَل سببَنا بهم الـكثيرُ من شيوخنا ، مثلُ الإمام المعظّم أبى محمد عبد الله بن جُزَىّ ، ومعلّمنا الثقة المجتهد أبى عبد الله الشريشى ، والقاضى الإمام أبى عبد الله محمد بن على بن عَلّاق ، وغيرهم رحمة الله عليهم . لذلك صار صدراً فى نوادى طلبة الأندلس ، وأفراد نجبائها ؛ فما شاءه المحاضِر يجده فى خَضْله [١] ، ويتلقاه من باهر فضله ؛ فكاهة ومجالسة أنيقة ممتعه ، ومحادثة أريضة مزهره ، وجوابا مُطَبِّقا للمَفْصِل [٢] ، وذهنا

(١) الخضل : الدر واللؤلؤ ، يشبه بهما كلامه .
(٢) فى نفح الطيب : « شافياً للمعضل » .

سابقا لإيضاح المشكل ؛ مع انقياد الطبع ، وإرسال الدّمعة ، فى سبيل الخشوع [٢٤١] والرقة ، ورشح الجبين عند تلقى الموعظة ، وصوْن الوجه بجلباب الحياء ، ومقابلة الناظر إليه بالاحتشام ، والمبادرة للاستدعاء ، على طهارة ، وبذل وُسْع ، وكرم نفس ، لم يُعْهد أجمل مشاركة منه لإخوانه ، ولا أمتع منه بجاهه ، إلى مبالغة فى الهَشَّة والمَبَرَّة والإيثار بما مُنح ، وجُنوح إلى حبّ الصالحين ، ذلك بالانضواء إلى شيخ الفِرق الصوفية ، الولىّ أبى جعفر بن الزيّات ، وأخيه الفاضل الناسك شيخنا أبى مهدىّ ، قدّس الله مَغناه ، وسواهما من أهل الأندلس والعُدْوة ، وحَمْله أشد الحمل على كل مُتَلَبِّس[1] كأبى زكرياء البَرْغُواطِى وسواه .

ومن تنديداته — زعموا — على أبى الحسن المحروق لمَيْله عنه :

وَلَدُ الفقر[2] والرِّباط ولـكنْ نفسُه للسلوك ذاتُ افتقارِ

وخَطَب الأدب يافعاً وكهلا ، وحاز عِلْمَه إدراكا ونُبلا .

ولما كانت الحادثة على مولانا الجد رحمه الله ، واجتاز إلى المغرب ، كما تقرر فى غير هذا ، كَلِف به ، وأنِس إليه ، لحلاوة منطق ، ورَفْع استيحاش ، ومُراوضة خُلْق ؛ ثم كَرّ فى صحبة رِكابه ، فعلت مَنزلته ، وَلُطف محلّه .

وقفنا على رقعة من رقاعه وهو يبدئ فيها ويعيد ، ويقول : « خدمته سبعاً وثلاثين سنة ، ثلاثة بالمغرب ، وباقيها بالأندلس ، أنشدته فيها ستا وستين قصيدة ، فى ستة وستين عيداً ، وكل ما فى منازله السعيدة ، من القصور والرياض والدّشار[3] والسبيكة ، من نظم رائق ، ومدح فائق ، فى القِباب والطاقات والطُّرُز[4] وغير

(١) المتلبس : الذى يظهر النسك والعبادة ، ويبطن الغش والفساد (عن نفح الطيب ج ٣ ص ٣٨٧ — أزهرية) .

(٢) فى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٣٦٠) : « ولد الثغر » .

(٣) الدشار : يريد به الدسكرة ، وهى فى معنى الضيعة .

(٤) الطرز : جمع طراز ، وهى الثياب تنسج للسلطان ، أو هى الدور تصنع فيها الثياب .

[٢٤٢] ذلك [فهولى] (١) ، وكنت أؤا كله وأؤا كل ابنه مولاى أبا الحجّاج وهما كبيرا ملوك أهل الأرض ، وهنأته بكذا وكذا قصيدة ، وفوّض لى فى عقد الصلح بين الملوك بالعُدوتين، وصلحُ النصارى عقدتُه تسع مرات ، أخِسَّة(٢) فوض إلىّ ذلك » ؟

قلنا : صدق فى جميع ما ذكره ، والعقود بذلك شاهدة له .

وخصه عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره ، واستعمله بعد أعوام فى السِّفارة بينه وبين ملوك عصره ؛ فحُمِد منابُه ، ونَمَت أحواله ، ورَغِد جنابه . وكان هنالك بعض تقوّلات تَشين وجه اجتهاده ، وتُومئ بما احتقبه من سوء مقاصده ، وماصرّفه من قبيح أغراضه ، وهاجت الفتنة ، فكانت سِفَارته أعظم أسبابها . وعند الأشُدّ من عُمُره عرضت لأفكاره تقلبات ، وأقعدته عن قِداح السياسة آفات مختلفات ، وأشْعَرَته حدّةُ ذهنه أنه متخبط فى أشراك وَقَعات(٣) ؛ فقعد بجامع مالَقة ، ثم بمسجد الحمراء ، ملقيًا على الكرسىّ فنونا جمله ، وعلوما لم يزل يتلقاها عن أولياء التعظيم والتجلّه ؛ فانحاز إلى مادّة أمم بمالَقة طَما منهم البحر ، وتراءى لأبصارهم وبصائرهم الفخر ؛ وكان التفسير أغلب عليه لفَرْط ذكائه ، وما [كان] قيَّده وحصله أيام قراءته [وإقرائه] ؛ فما شئتَ من بيان ، وإعجاز قرآن ؛ وآيات توحيد وإخلاص ، ومناهج صوفية تؤذن بالخلاص ، يومَ الأخذ بالنواص . ومراراً عدة سمع ما يلقيه ولىُّ الأمر ، وياشِدَّة البلوَى التى أذاقه مُرّها ، وأمطاه إلى طِيَّة الهلاك ظهرها ؛ ويا قُرب ما كان الفَوت ، والحُسام الصَّلْت ، من تباعد هذه القُرب التى أُلْفيت(٤) .

---

(١) هذه التكملة عن نفح الطيب .

(٢) فى الأصلين : « ألخسة » والتصويب عن نفح الطيب .

(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « توقفات » ، ومؤدى العبارتين مختلف .

(٤) فى ص، و نفح الطيب : « من متباعد هذه القرب التى ألفيت » . وفى العبارة غموض.

قلنا : لقد جَمَح جواد القلم ، فأطلقنا[١] ونحن نشير إلى هـذا الرئيس وتبدُّل طباعه ، بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطلاعه ؛ و إحراز شِيَم أدَّت إلى علوّ مقداره ، واستقامة مداره ؛ فآل عُمْر مولانا جدِّنا إلى النفاد ، ورمت رئيسَ كتابه هذا أسهمُ [٢٤٣] الحسّاد ؛ فظهر الخفىّ ، وسقط به الليل على سِرْحان[٢] قد طالما جرب الوفىّ والصفىّ.

وكان من شأنه الاستخفافُ بأولياء الأمر من حُجّاب الدوله ، والاسترسال فى الرد عليهم بالطبع والجبلّة[٣] مع الاستغراق فى غِمار الفتن أندلساً وغرباً ، ومراعاة حظوظ نفسه استيلاء وغصْباً ؛ أما الجراءة فانتضى سيوفها ، وأما إكفاء السماء على الأرض فتواصم نوّع صنوفها[٤] ، وأما المجاهدة فوقفَ بميدان الاعتراض صفوفَها ، وأما المجاملة فنكّر معروفها . أدّاه هذا النبأ العظيم إلى سكنى المعتقل بقصَبة المَرِيّة ، وعلى الأثَر كان الفرج قريباً ، وسطور المؤاخذة قد أوسعها العفوُ تضريباً . ونالته هذه المحنة عند وفاة مولانا الجد الغنىّ بالله — وكانت وفاته غُرة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وسبع مئة[٥] — لأسباب يطول شرحها ، أظهرُها شراسةٌ[٦] فى لسانه ، واعتزاز[٧] بمكانه ، وتضريب بين خدّام السلطان وأعوانه ، فكبا[٨]

(١) كذا فى الأصول ونفح الطيب المطبوع والمخطوط ، ولعله يريد : « فأطلنا » ، أو : « فأطلقنا له العنان » .

(٢) هذا مثل ، قال الميدانى : « سقط به العشاء على سرحان » قال أبو عبيد : وأصله أن رجلا خرج يتلمس العشاء ، فوقع على ذئب فأكله — يضرب فى طلب الحاجة يؤدى صاحبها إلى التلف .

(٣) كذا فى ص ونفح الطيب . والذى فى ط : « الجلة » . وهو تحريف .

(٤) كذا فى ط ، ونفح الطيب . وفى ص : « فرع حتوفها » .

(٥) إلى هنا ينتهى ما أوردته نسخة (ص) من الروضة الأولى ، وسقطت منها بقيتها .

(٦) فى ط : « شواهة » . وما أثبتناه عن النسخة المخطوطة من نفح الطيب المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٣٦٠ تاريخ) .

(٧) فى نفح الطيب : « واغترار » .

(٨) فى ط : « فكفا » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

لليدين وللفم ، إلى أن منَّ الله بسَراحه ، وأعاده إلى الحضرة فى أول شهر رمضان المعظم عامَ أربعة وتسعين وسبع مئة ، فكان ما كان من وفاة مولانا الوالد رحمه الله ، وقيام[1] أخينا [محمد] مقامه بالأمر. فاستمر الحال أياماً قلائل، وقدَّم للكتابة الفقيه ابن عاصم لمدة من عام ، ثم أعاد المذكور إلى خُطَّته ، وقد دَمِثَت[2] بعض أخلاقه ، وخَمَدت شراسته[3] . وحلا بعضُ مذاقه ، فما كان إلا كَلَا ولَيْت[4] ، وإذا به قدساء مشهداً وغيباً ، وأوسع الضمائر شكا وريباً ؛ وغلبت الإحَن عليه ، وغَلَت مراجلها لديه[5] ؛ وصار يتقلّب على[6] جمر الغضَى ، ويتبرّم بالقضا ؛ ويظهر النصح وفى طيه التشفى[7] ، ويَسِم نفسه بالصلاح ، ويعلن بالخشوع ، ويُشير بأنه الناصح الأمين ، ويتلو قول الله سبحانه : « ولكن لا تُحبُّون الناصحين » . ورتّب على [٢٤٤] المُشتغلين كبيرهم وصغيرهم ذنوباً لم يقترفوها ، ونسب إليهم نِسَباً من التضييع لم يعرفوها ؛ وأنهم احتجَنُوا الأموال ، وأساءوا الأعمال[8] والأقوال ؛ فلم يَظفر من ذلك بكبير طائل ، ولا حصل — على تفاوت أعداده — على حاصل ؛ هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية ، وعدم اضطلاعه[9] بالأمور [الجبائية][10] ؛ فمن نفس يُرَوِّع سِرْبها ، ويكدِّر[11] بالامتحان والامتهان شِرْبها ؛ ومن ضارعة

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « مقام » .
(٢) فى ط : « صميت » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « شراهته » .
(٤) كذا فى الأصل . ويقال : ما كان إلا كلا ولا : كناية عن الزمن القليل . (انظر لسان العرب)
(٥) فى ط : « وغلبت من أجلها عليه » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٦) فى ط : « إلى » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٧) فى ط : « فى طية الشفتين » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٨) فى ط : « الأجال » والتصويب عن نفح الطيب .
(٩) فى ط : « اطلاعه » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(١٠) التكملة عن نفح الطيب .
(١١) فى ط : « ولا يكدر » . والتصويب عن نفح الطيب .

خاشعة لله سُلِبَتْ ، وطُولبت بغير ما اكتسبتْ ، وتعدّت الأيدى إلى أقوام جِلّة سَعِدوا بشقائه ، وامتُحِنوا وهم المُبرَّءون من تزويره واعتدائه ، وسَيسْأَلون ، يوم لا يُغنى مال ولا بنون ؛ وصار يصرف أغراضَه ، ويُظهر أحقاده ، بين إفصاح بما كان الإعجام خيراً من إلقائه ، وأن عُمُرَ المسكين المستضعف لا حاجة فى طول بقائه ؛ إلى مجاهرةٍ عُهِد منه أيامَ شَبيبته نَقيضُها ، وانعكس فى شاخته [١] تصريحها المُنغِّص وتعريضها ؛ لا يريح نفسَه من جهد ، ولا يقف من اللّجاجة عند حد . وقد كان ثَقل سمعه ، فساءت إجابتُه [٢] ، وطغت أخلاقه ، فسئم الناسُ وَسَاطته ، وربما استُحْلف ؛ فلم يكن بين اللازمة واللازمة [٣] إلا الحِنْث عن قصد وغير قصد ، ودعا على نفسه وأبنائه بإنجاز وعد ، وأن يُقَيِّض [٤] الله له ولهم قاتل عَمْد . فسُبحان القاهر فوق عباده ، الرحيم بهذا الشخص وبالأموات من شيعته وأولاده .

فاستمر على ذلك إلى إحدى الليالى ، فهلك [فى جُنْح الليل] [٥] فى جوف داره ، على يدى مخدومه ؛ تلقاه — زعموا — عند الدخول عليه ، وهو بالمصحف رافع به يديه ؛ فَجَدَّلَتْه [٦] السيوف ، وتناولته الحُتُوف ؛ فقُضِى عليه ، وعلى من وُجِد من خدّامه وابنيه : كل ذلك بمَرأى عين من أهله وبناته ، ولم يتقوا الله فيه حق تُقاته ؛ فكانت أنكى الفجائع ، وأفظع الوقائع ؛ وساءت القالة ، وعَظُم [٢٤٥] المصاب ، وكل شىء إلى أجل نافذ وكتاب [٧] .

(١) كذا بالأصل ونفح الطيب ، ولا معنى لها . ولعله يريد شيخوخته .
(٢) أخذه من المثل العربى : « أساء سمعا فأساء جابة » . والجابة : اسم بمعنى الإجابة .
(٣) اللازمة : المراد بها هنا اليمين التى يمتنع انفكاكها مما عقدت عليه . وفى ط : « الملازمة » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٤) فى ط : « يكيف » ، والتصويب عن نفح الطيب .
(٥) التكملة عن نفح الطيب .
(٦) فى ط : « فجندلته » . والتصويب عن نفح الطيب وكتب اللغة .
(٧) قال المؤلف فى النفح : « وقد فهم من مضمون ما سبق أن قتل ابن زمرك بعد عام خمسة وتسعين وسبع مئة » .

ولما تلخّصت هذه المقدمة بين يدى نِظامه ، وتم جميع ما أبرزه البحث والاجتهاد من خير كلامه ؛ اخترنا له اسماً يوافقه ، ويوضح مَشارقه ، وهو « البَقِيّة والمُدْرَك ، من شعر ابن زَمْرَك[1] » . أما البقية فلما بقى بعد هلاكه ، وتخطته الحوادث وشَحَّ الدهر بإمساكه ؛ والمُدرَك : لأجل ماتَرَك فى مُبَيّضاته ، ولم يخرجه فى حياته . وها نَحْنُ نَنْظِمُ[2] دُرره الرائقة ، ونطلع فى مراتب التأليف كل شارقة .

فمن ذلك قوله فى ذكر الحضْرة[3] العليه ، وتهنئة مولاه الجد رحمة الله عليه ببعض المواسم العيديه ؛ ووصف كرائمَ من جياده ، وآثار ملكه وجهاده :

يا من يَحِنُّ إلى نجد ونادِيها ... غَرناطةٌ قد ثَوَتْ نَجْدٌ بِوادِيها
قِفْ بالسَّبيكة وانظُرْ ما بساحتها ... عَقيلةٌ والكَثِيبُ الفَرْد جاليها
تقلَّدتْ بوِشاح النَّهر وابتسمت ... أزهارُها وهْى حَلْى فى تَراقيها
وأعين النرجس المطلول يانعة ... تَرَقْرَقَ الطَّل دمعاً فى مآقيها
وافتَرَّ ثغرُ أقاحٍ من أزاهرها ... مُقبِّلاً خَدَّ وردٍ من نواحيها
[كأنما الزهر فى حافاتها سَحَرًا ... دراهمٌ والنسيم اللَّدْن يَجبيها][4]
وانظر إلى الدَّوْح والأنهارُ تكنُفُها ... [مثل النَّدامَى سواقيها][5] سواقيها
كم حولها من بُدور تَجْتَنِي زَهَرا[6] ... فتحسِب الزّهر قد قَبَّلن أيديها
حَصباؤها لؤلؤ قد شَفَّ جوهرُهُ ... والنَّهر قد سال ذَوْبًا من لآلِيها

---

(١) فى بعض مواضع من ط : « البقية والمدرك الظاهر من شعر ابن زمرك » . ولعل كلمة : « الظاهر » زيادة من الناسخ .
(٢) كذا فى م ، وفى ط : « سأتحف بنظم »
(٣) يريد غرناطة .
(٤) هذا البيت عن نفح الطيب .
(٥) التكملة عن نفح الطيب .
(٦) فى ط : « وحولها من زهور تختفى نهراً » والتصويب عن نفح الطيب .

[نهر المنجِّم] [١] والزَّهرُ المُطِيف به ... زُهْر النُّجوم إذا ماشِئْت تَشْبيها
يَزِيد حُسْناً على نهر [٢] المَجَرَّة قد ... أغناه دُرُّ حَبَابٍ عن دَراريها
يُدْعى المُنْجِّمَ رائيه وناظرُه [٣] ... مُسَمَّياتٌ أبانَتْها أسامِيها
إن الحِجاز مَغانيه [٤] بأندلسٍ ... ألفاظُها طابقت منها معانيها
فتلك نَجْد سقاها كلُّ مُنسجم ... [من الغَمام يُحَيِّيها فيُحييها] [١]
[وبارقٌ وعُذيب كل مُبتسِمٍ [١]] ... من الثغور يحلّيها مجلّيها
وإن أردت تَرَى وادى العقيق فرِدْ ... دُموع عُشّاقها حُمراً جواريها
وللسّبيكة تاجٌ فوق مَفْرِقها ... تودّ دُرُّ الدَّرارى لو تُحَلِّيها
كأنّ حمرَاءها واللهُ يَكلؤُها ... ياقوتةٌ فوق ذاك التاج يُعْليها
إنَّ البُدورَ لتيجان مُكلّلة ... جواهرُ الشُّهْب فى أبهى مَجاليها [٥] [٢٤٦]
لكنها حَسَدت تاج السبيكة إذ ... رأت أزاهره زَهْراً يجليها
بُروجها لبُروج الأُفق مُخْجِلة ... فشُهْبُها فى جمال لا تُضاهيها
تلك القُصور [التى] راقتْ مظاهرُها ... تَهْوِى النجومُ قُصوراً عن مَعاليها
لله لله عيناً من رأى سَحَرًا ... تلك المَنارةَ قد رقّت حواشيها
والصبحُ فى الشّرق قد لاحت بَشائره ... والشُّهْب تَسْتَنُّ [٦] سَبْقاً فى مَجاريها
تَهْوِى إلى الغرب لما هالَها [٧] سَحَرٌ ... وغمَّض الفَجْرُ من أجْفان واشيها

(١) التكملة عن نفح الطيب .
(٢) فى ط : « زهر » . والتصويب عن نفح الطيب
(٣) فى ط : « فنظر » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٤) فى ط : « معاليه » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٥) فى ط : « جواهر الشيب تجلى من مجاليها » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٦) فى ط : « يستر » والتصويب عن نفح الطيب . و« تستن » : تعدو .
(٧) فى نفح الطيب : « غالها » .

وساجعُ العُودِ فى كف النَّديم إذا ... مااستوقفت[١] ساجعاتُ الطيرِ يُغريها
يُبْدِى أفانينَ[٢] سِحر فى ترنُّمه ... يُصْبِى العقول بها حسنا ويَسْبِيها
يَجُسُّه ناعمُ الأطرافِ تحسِبها ... لآلئا وهى نُور فى تلاليها[٣]
مُقاتِلٌ بلِحاظٍ قوسُ حاجِبها ... ترمى القلوبَ بها عمداً فتُصميها
فبا كَرَ الروضَ والأغصانُ مائلة ... يَثْنى النفوسَ لها شوقا تثنِّيها
لم يَرْقُصِ الدَّوْحُ بالأكام من طرب ... حتى شدا من قِيان الطير شاديها
وأسمعتْها فُنونَ السحر مُبدعة ... وُرْقُ الحمـــام وغنّاها مغنّيها
غَرناطة آنسَ الرحمنُ ساكنها ... باحت بسرّ معانيها أغانيها
أعدَى نسيمُهُمُ لُطفا نفوسَهمُ ... فرِقّة الطبع طبع منـــه يُعديها
فخـــلّد الله أيامَ السرور بها ... صُفراً عشيّاتُها بيضاً لياليها
ورَوَّض المحلَ منها كلُّ منبجِسٍ ... إذا اشتكت بغليل الجدب[٤] يُرويها
يَحْكِى[٥] الخليفةَ كفّا كلما وَكَفت ... بالجود فوق مَواتِ الأرض يُحييها
تُغْنِى العُفاةَ وقد أمّت مكارمَه ... عن السؤال وبالإحسان تُغنيها
لها بَنانٌ فما غيث يساجلُها ... جُوداً ولا سُحْبه يوما تدانيها
فإن تَصُبْ سُحْبُه بالماء حين هَمَتْ ... بعسْجَد ولُجَين صاب هاميها
يأيها الغَيْث أنت الغوثُ فى زمن ... ملوكه تَلِفتْ لولا تلافيهـــا
إن الرعايا جَزاك الله صالحة ... مَلَكْتَ شرقا وغربا مَنْ يُراعيها

(١) فى نفح الطيب : « ما استوقف الطير يدنيها ويغريها » .
(٢) فى ط : « بين الأفانين » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٣) فى ط : « يجسها » ... « فى تجليها » وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٤) فى ط : « بقليل الجرى » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٥) فى ط : « على » . والتصويب عن نفح الطيب .

إن الخلائق فى الأقطار أجمعها سوائمٌ أنت فى التحقيق راعيها[1]
فكل مَصْلَحة للخلق تحكمها وكل صالحة فى الدين تَنويها
إذا تَيممت أرضاً وهى مُجْدِبة فرحمة الله بالشقيا تُحَيِّيها
يا رحمة بَثَّتِ الرُّحْمى بأندلس لولاك زُلْزِلتِ الدنيا بمن فيها [٢٤٧]
فى فضل جودك قد عاشت مَشِيخَتُها فى ظل أمنك قد نامت ذَراريها
فى طول عمرك يرجو اللهَ آملُها بنصر ملكك يدعو اللهَ داعيها
عوائد الله قد عُوِّدْتَ أفضلَها لتُبلِغَ الخلقَ ما شاءت أمانيها
سُلَّ السعود وخَلِّ البيض مُغمدة واضرب بها فِرْيةَ[2] التثليث تَفْريها
لله أيامك الغُرّ التى اطردت فيها السُّعودُ بما تَرْضَى ويُرْضيها
لله دولتك الغراء إن لها لكافلاً من إله العَرْش يَكْفيها
هيهاتَ أن تبلغَ الأعداء مأربةً فى جَرْيها وجنودُ الله تحميها
هذى سيوفُك فى الأجفان نائمةً[3] والمشركون سيوفُ الله تُفْنيها
سريرة لك فى الإخلاص قد عَرَفَتْ حُسْنى عواقبها حتى أعاديها
لم تحتجب شُهُبُ الآفاق عن بَصَر[4] إلا وهَدْيك للأبصار يَهْديها
يابْنَ الملوك وأبناء الملوك إذا تدعو الملوكُ إلى طَوْع تُلَبِّيها
أبناء نَصْرٍ ملوكٌ عزَّ نَصْرُهمُ وأوسعوا الخلق تَنويها[5] وترفيها

(١) فى ط : « نعائم ... واعيها » والتصويب عن نفح الطيب المطبوع والمخطوط .
(٢) فى ط : « فرقة » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٣) فى ط : « قائمة » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٤) فى نفح الطيب : « لم يحجب الصبح شهب الأفق عن بصر »
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « تنزيهاً » .

هُمُ المصابيح نور الله مُوقِدُها تضىء للدين والدنيا مَشاكيها
هُمُ النجومُ وأُفْق الهَدْى مَطلعُها فوزاً لَمَهْـــدِيِّها عزًّا لهاديها
هُمُ البـــدور كمالٌ ما يفارقها هُمُ الشموس ظلامٌ لا يواريها
قَضَتْ قواضبُها أنْ لا انقضاء لها وأمضت الحُكْمَ فى الأعدا مَواضيها
وخَلّدت فى صِفاح الهند سِـــيرتَها وأسندت عن عواليها مَعاليها
وأورثتْك جهاداً أنت ناصره والأجر منك يُرضِّيها ويُحْظِيها
كَمْ موقفٍ تَرْهَبُ الأعداء موقفَه(١) والخيل تَرْدِى ووَقْع السُّمْر(٢) يُرْديها
ثارتْ عَجاجتُـــه واليومُ مُحتجب والنَّقْع يؤثر غَيما من دياجيها
وللأســـنَّة شُهْب كلما غَرَبت فى الدَّارعين تَجَلَّت من عواليها
وللسيوف بُروق كلما لَمَعت تُزْجِى الدماء وريح النصر يُزْجيها
أطلعت وجهاً تريك الشمْسَ غُرَّتُه تبارك الله ما شمسٌ تساميها
من أين للشمس نُطْق كله حِكَمٌ يُعيدها كلّ حين منك مُبْديها
لك الجياد إذا تجرى سوابقها فللرياح جياد ما تجاريها
إذا انبرتْ يومَ سَـبْق فى أعِنّتها ترى البروق طِلاحاً لا تُباريها
[٢٤٨] من أَشْهَبٍ قد بدا صُبْحا تُراعُ لَهُ شُهْب السماء فإنّ الصبح يخفيها
إلاّ التى فى لِجَامٍ منـــه قَيَّدَها فإنه سامَها عِزًّا وتَنْويها
أو أشقرٍ مُرْعِبٍ شُقْرَ(٣) البُروق وقد أَبْقى لها شَفَقا فى الجو تنبيها
أو أحمرٍ جَمْرُه فى الحرب متقدٌ يعلو لهـا شَرر من بأس مُذْكيها

(١) فى نفح الطيب : « موقعه » .
(٢) فى نفح الطيب : « السيف » .
(٣) كذا فى النسخة المطبوعة من نفح الطيب . وفى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب (برقم ٣٥٩ تاريخ) : « أواشقر مر عن شقر البروق وقد » . والذى فى(ط) : « أو أشقر ضامر سبق البروق وقد » .

لونُ العقيق وقد سال العقيق دما ... بعطْفه من كُماة كَرّ يُدْميها[1]

أو أدهمٍ مِثلِ[2] صدر الليل تَنْعَلُه ... أهِلّة فوق وجه الأرض يُبديها

إن حارت الشُّهْب ليلا فى مُقَلَّده ... فصُبْح غُرّته بالنور يَهديها

أو أصفَرٍ بالعَشِيات ارتدى مَرَحًا ... وعُرْفُه بتمادى الليل يُنْبيها

مُمَوَّهٍ بنُضَار تاهَ من عَجَب ... فليسَ يَعْدَم تمويها ولا تِيها

وربّ نهرِ حُسامٍ رَاق[3] رائقُه ... متى تَرِدْه نفوس الكفر يُرْديها

تجرى الرءوس حَباباً فوق صفحته ... وما جرى غير أن البأس يُجْريها

وذابلٍ من دم الكفار مَشْربُه ... يُجْنِي الفتوحَ وكفُّ النصر تَجنيها

وكم هلالٍ لقوس كلّما نَبضت ... ترى النجوم رُجوما فى مَراميها

أئمة الكفر ما يَمَّمْتَ ساحتها ... إلا وقد زُلْزِلَتْ قَسْرا صَياصيها

يا دولةَ النَّصْرِ هل من مُبْلغٍ دُوَلاً ... مَضَيْن أنك تُحييها وتُنْسيها

[أو مُبلغٍ سالف الأنصار مَأْلُكَةً ... والله بالخُلْد فى الفِرْدوس يَجزيها][4]

أنّ الخلافة — أعلى اللهُ مُظهرها — ... أبقتْ لنا شرفًا والله يُبقيها

يابن الذين لهم فى كل مَكرُمة ... مَفاخرٌ ولسانُ الدَّهر يُمليها

أنصارُ[5] خيرِ الورى مختار هِجرته ... جيران روضته أكرِمْ بأهليها

أسمتهمُ المِلّةُ السَّمْحاء[6] تكرِمةً ... أنصارَها وبهمْ عَزَّت أواليها[7]

---

(١) فى ط : « كى يريبها » وما أثبتناه عن نفح الطيب المخطوط (رقم ٣٠٩ تاريخ) .
وفى المطبوع : « كاد يدميها » .

(٢) فى نفح الطيب : « ملء » .

(٣) فى نفح الطيب : « رق » .

(٤) هذا البيت عن نفح الطيب .

(٥) فى ط : « أصحاب » وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٦) المسموع : « السمحة » .

(٧) أواليها : أوائلها ، جمع أول . قدم اللام على العين ، ثم سهل الهمزة .

فى حُنين وفى بدْر وفى أُحُد تُلْفِى مفاخرَهم مشهورةً فيها
ولْتسألِ السِّيَر المرفوعَ مُسْنَدُها فعن مواقفهم تُرْوَى مَغازيها
مآثرٌ خلَّد الرحمن أُثْرَتَها [يَنُصُّها (١)] من كتاب الله قاريها
ماذا يُجيد بليغ أو يُنَمِّقه من الكلام ووَحْى الله تاليها
له الجهاد به تَسرى الرياحُ إلى ممالكِ الأرضِ من شَتَّى أقاصيها
تُحْدَى الركابُ إلى البيت العتيق به فمكةٌ عَمَرَت منه نواديها
بشائر تُسْمِع الدنيا وساكنَها إذا دعا باسمك الأعلى مُناديها
كفى خلافتَك الغرَّاءَ مَنْقبةً أنَّ الإلهَ يُوالى من يُواليها
[٢٤٩] وقد أفاد بَنيه الدهرُ تجربةً أن السُّعود تعادى من يعاديها
إذا رَمَيْتَ سِهامَ العزم (٢) صائبةً فما رميتَ بل التوفيقُ راميها
شكراً لمن عَظُمَت منّا مواهبُه وإن تُعَدَّ فليس العدّ يُحْصيها
عمّا قريب ترى الأعيادَ مُقْبلةً من الفُتوح ووَفْد النَّصر حادِيها
وتبلغ الغايةَ القُصوى بشائرُها فقد أَظلَّتْ بما تَرْضَى مَباديها
فاهْنأ بما شئتَ من صُنْع تُسَرّ به وأنو الأمانىَّ فالأقدار تُدْنيها
مولاى خُذْها كما شاءت بلاغتُها ولو تُباع لكان الحسنُ يَشْريها
أرسلتُها حيثُما الأرواحُ مُرْسَلَةٌ (٣) نوادرا تَنْشُر البُشْرَى أماليها
جاءت تُهَنّيك عيدَ الفطر (٤) مُعْجَبَةً بحسنها ولسانُ الصدق يُطْرِيها (٥)
البِشْر فى وجهها واليُمْن فى يَدِها والسِّحْر فى لفظها والدّر (٦) فى فِيها

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب وعن م .
(٢) كذا فى نفح الطب . وفى الأصلين ط ، م : « العز » .
(٣) الأرواح : الرياح ؛ يريد أنه أطلقها مع الرياح تسير بها فى كل ناحية .
(٤) فى نفح الطيب : « النحر » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « يقريها » .
(٦) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « الشهد » .

لو رَصَّع البدرُ منها تاجَ مَفْرِقه ... لم يَرضَ دُرَّ الدَّرَارى أنْ تحلِّيها
فإن تكن بنْتَ فكرى وهو أوجدَها ... نُعماك فى حِجْره كانت تُرَبِّيها
فى روض جُودِك قد طوَّقتنى مِنَناً ... طوقَ الحمام فما سَجْعى مُوفِّيها
ولو أُعِرْتُ لسان الدهر يشكُرها ... لكان يقصُر عن شكرٍ يُوفِّيها
بَقِيتَ للدين والدنيا إمامَ هُدًى ... مُبلِّغَ النفسِ ما ترجُو أمانيها
والسعد يجرى لغاياتٍ(١) تؤَمِّلها ... مادامت الشمس(٢) تجرى فى مجاريها

ومن ذلك أيضاً قوله هَنَاءً لمولانا الجَدِّ رحمه الله بالفتح المغربى للسلطان(٣) أبى العباس بن السلطان أبى سالمٍ المَرِينىّ :

هِىَ نَفْحةٌ هَبَّتْ من الأنصارِ ... أهدَتْك فتحَ ممالك الأمْصارِ
فى بِشْرها وبِشارة الدُّنيا بها ... مُسْتَمْتَعُ الأسماعِ والأبصارِ
هَبَّتْ على قُطْرِ الجِهاد(٤) فرَوَّحَتْ(٥) ... أرْجاءَهُ بالنَّفْحة المِعطار
وسَرَتْ وأمرِ الله طَىَّ بُرودِها ... يُهْدِى البريةَ صُنعَ لُطف البارِى
مَرَّتْ بأرْواحِ المنابر فانبرتْ ... خُطَباؤها [مُفْتَنَّة](٦) الأطيار

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى (ط) : « لآيات » .
(٢) فى نفح الطيب : « ما دامت الشهب ... الخ » .
(٣) يريد أن فتح المغرب كان على يد السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم المرينى ، وكان السلطان ابن الأحمر يشد أزره فى ذلك .
(٤) فى ط : « الجهات » . وفى نفح الطيب : « الجياد » . والمعنى غير واضح على الروايتين ، وفى م : « الجهاد » . ويريد بـ « قطر الجهاد » الأندلس ، لما كان عليه أهله من استمرار الجهاد مع أعدائهم .
(٥) روحت أرجاءه ، أى جعلتها معطرة بالرائحة الطيبة . وفى الأصول : « روضت » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .
(٦) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

حَنَّت مَعارجُها[١] إلى أعشارها[٢] لمّا سمعن بها حنين عِشَار[٣]
لو أنصفتك لكلَّلت أدواحَها تلك البشائرُ يانعَ الأزهار
[٢٥٠] فَتْحِ الفُتوح أتاك فى حُلَلِ الرِّضا بعجائب الأزمان والأعصار
فتح الفتوح جَنَيْتَ من أفنانه ما شئت من نصر ومن أنصار
كم آيةٍ لك فى السُّعود جليّةٍ خَلَّدت منها عِبرة استبصار
كم حكمةٍ لك فى النفوس جَلِيَّةٍ خفيتْ مداركها عن الأفكار
كم من أمـيرٍ أَمَّ بابك فانثنى يُدْعَى الخليفةَ دَعْوة الإكبار
أعطيتَ أحمدَ رايةً[٤] مَنصورة بركاتُها تَسْرى[٥] من الأنصار
أركبته فى المُنْشَآت كأنما جَهَّزته فى وجهـــة لِمَزار
من كل خافقة الشِّراع مُصَفِّقٍ منها الجَناحُ تَطير كل مَطار
ألقَتْ بأيدى الريح فضلَ عِنانها فتكاد تسبق لَمْحَةَ الأبصار
مثلَ الجياد تدافعتْ وتسابقتْ من طافح الأمواج فى مِضمار
لله منها فى المَجاز سَـــوابح وقفتْ عليك الفخرَ وهى جوارى
لما قصدتَ بها مراسىَ سِبْتة عَطفَتْ على الأسوار عَطْف سِوار
لما رأتْ من صُبْح عزمك غُرَّة محفوفة بأشـــعة الأنوار
ورأت جَبيناً دُونه شمسُ[٦] الضُّحى لَبَّتك بالإجلال والإكبار

(١) كذا فى نفح الطيب . والمعارج : جمع معرج ، وهو الدرج والمصعد ؛ يريد أن الأغصان فى تفرعها وركوب بعضها بعضاً كالدرج . وفى الأصول : « معاشرها » .
(٢) الأعشار : جمع عشر ، ولعله يريد به هنا أجزاء الألحان التى ترددها الأطيار .
(٣) العشار : جمع عشراء ، وهى الناقة الحديثة العهد بالنتاج .
(٤) المراد بأحمد : السلطان أحمد بن أبى سالم المرينى الذى فتح المغرب بنصرة ابن الأحمر له ، وأزال منه دولة أبى زيان بن عبد العزيز بن أبى الحسن المرينى .
(٥) فى نفح الطيب : « تروى عن » مكان : « تسرى من » .
(٦) فى الأصول : « صبح » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

فأفضْت فيها من نداك مواهباً[١] حَسُنتْ مواقعها على التكرار
وأريْتَ أهل الغرب[٢] عزم مُغَرِّب قد ساعدته غرائب الأقدار
وخَطَبْت من فاسَ الجديدِ عَقيلةً لَبّتكَ طَوْعَ تسَرُّع وبِدار
مَا صدَّقُوا مَتْنَ الحديث بفَتْحها حتى رأوه فى مُتون شِفار
وتسمَّعوا الأخبارَ باستفتاحها والخُبْرُ قد يُغنى عَنِ الأخبار
قُولُوا لِقِرْد[٣] فى الوزارة غرَّه حِلْمٌ مَنَنْت به على مِقدار
أسكنتهُ من فاسَ جنةَ مُلكها مُتنعّماً منهـــا بدار قَرار
حتى إذا كَفَرَ الصنيعةَ وازدرى بحقوقها ألحقته بالنـــار
جَرَّعت نجْلَ الكاس[٤] كأساً مُرَّةً دَسَّت إليه الحَتفَ فى الإسكار
كَفَرَ الذى أوليته من نعْمة لا تأنَسُ النعماء بالكفّار
فطرحتـه طَرْحَ النواة فلم يَفُزْ من عِزّ مُغْرِيه بغير فِرار
لم يتفق لخليفة مثـــلُ الذى أعطى الإلٰهُ خليفةَ الأنصار

(١) فى الأصول : « مواسما » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصلين ط ، م : « الشرق » .
(٣) يريد به الوزير لسان الدين بن الخطيب ، وكان ابن الأحمر « الغنى بالله » قد سمح له بسكنى فاس بقية حياته ، إلا أنه لما بلغه عنه أنه يغرى سلطان بنى مرين بتملك غرناطة أرسل فى طلبه، إلى أن كان ما كان من محنة ابن الخطيب التى مرت فى الجزء الأول من هذا الكتاب، فى حديث مفصل . (انظر صفحة ٢٢٥ وما بعدها ، من الجزء الأول) .
(٤) نجل الكاس : هو أبو بكر بن غازى بن الكاس ، وزير السلطان عبد العزيز ابن أبى الحسن المرينى والقائم بدولة ابنه أبى زيان من بعده ، وقد كان ابن الأحمر الغنى بالله طلب من السلطان ووزيره أن يسلما إليه لسان الدين بن الخطيب ، لما بلغه أنه يحرض السلطان عبد العزيز على تملك غرناطة ، فامتنع السلطان ، وامتنع وزيره من تسليم ابن الخطيب ، فكان ذلك سبباً فى مساعدة ابن الأحمر أبا العباس أحمد بن أبى سالم بن أبى الحسن المرينى على إقامة دولة بالمغرب الأقصى ، وانتزاع الملك من ابن عمه أبى زيان بن عبد العزيز الذى تولى بعد أبيه وكان طفلا، نكاية فى وزيره أبى بكر ابن الكاس . (اقرأ تفصيل الموضوع فى تاريخ ابن خلدون وفى الاستقصا للسلاوى) .

لم أدْرِ والأيامُ ذاتُ عجائب تَردادها يحلو على التَّـذكار
ألواء صُبْحٍ فى ثَنِيَّة مَشْرِق أم راية فى جَحْفل جَرّار
[٢٥١] وشهابُ أُفْقٍ أمْ سِنانٌ لامع ينقضُّ نجماً[1] فى سماء غُبار
ومناقبُ المولى الإمامِ محمـــدٍ قد أشرقت أم هُنَّ زُهْر دَرَارى
فاق المـــلوك بهمّة عُلْوية مِنْ دونها نجْمُ السماء السارى
لو صافح الـكفَّ الخضيبَ[2] بكفه فَخَرت بنهر للمجرَّة جارى
والشُّهْب تطمع فى مطالع أُفقها لو أحرزتْ منـــه مَنيع جِوار
سَلْ بالمشارق صُبْحها عن وجهه يفترُّ منـــه عن جبين نَهار
سَلْ بالغمائم صَوْبَها عن كفِّه [تُنْبيكَ عن بَحْرٍ بها زخَّار][3]
[سَلْ بالبُروق صِفاحها عن عزمه[3]] تُخبرْك عن أمْضى شَبًا وغِرار
قد أحرز الشِّيَمَ الخَطيرة عند ما أمْطَى العزائمَ صَهْوَةَ الأخطار[4]
إن يَلق ذو الإجرام صَفحةَ صفْحِه فَسَح القَبولُ له خُطا الأعمـار
يا من إذا هبّت واسِمُ حَمْدِه أزرت بعَرف الروضة المِعطار
[يامَنْ إذا افْتَرَّت مَبَاسِمُ بِشْره وهَبَ النفوسَ وعاش فى الإقتار][5]
يامن إذا طلعت شموس سُعوده تُعْشِى أشعتُها قوى الأبصار
قَسماً بوجهك فى الضياء وإنه شمسٌ تُمِـدّ الشمسَ بالأنوار

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصول : « نارا » .
(٢) الـكف الخضيب : المخضوبة ، ويطلق الـكف الخضيب على نجم فى السماء ، تشبيها له بالـكف .
(٣) هذا الشطر عن نفح الطيب .
(٤) يريد بالشطر الثانى من هذا البيت أنه جعل ظهر الأخطار مطية لعزائمه . وروايته فى الأصول ونفح الطيب : « أمضى ... » الخ . وما أثبتنا أشبه بالمعنى .
(٥) هذا البيت عن نفح الطيب وم . وروايته : « عاث فى الإقتار » وفيها غموض ، وفى م : « عاش فى الإقتار » . يريد أنه إذا سئل يجود بأعز مايملك ويعيش مضيقا على نفسه .

قَسَما بعَزْمك فى المَضاء وإنَّه[1] سيفٌ تُجرّده يَدُ الأقدار
لَسماحُ كفّك كلما استوهبتُه يُزْرِى بغيث الدِّيمة المِدرار
لله حَضْرتك العليـــةُ لم تَزَلْ يُلقِى الغريبُ بها عصا التّسْيار
كم من طريد نازحٍ قذفت به أيدى النوى فى القفر رَهْن سِفار
بَلّغته ما شاء من آماله فسَلا عن الأوطان بالأوطار
صيّرت بالإحسان دارَك دارَه مُتِّعْتَ بالحُسْنَى وعُقْبى الدّار
والخَلْق تعلم أنّك الغَوث الذى يُضْفِى عليهـــا وافِىَ الأستار
كم دعوةٍ لك فى المُحول مُجابةٍ أغرت جُفونَ المُزن باستعبار
جارت مجارى الدمع من قَطْر الندى فرَعى الربيعُ لها [حُقوقَ الجار][2]
فأعاد وَجْهَ الأرض طَلْقاً مُشْرِقاً مُتضاحِكا بمَباسِم النَّوار
يا مَنْ مآثره وفَضْل جهاده تُحدَى القِطارُ بها إلى الأقطار
حُطْتَ البلاد ومَن حَوَتْه ثُغورها وكفى بسَعْدك حامياً لِذمار[3]
فلَرُبّ بِكْرٍ للفُتوح خَطبتَها بالمشرفيّـــة والقَنا الخَطّار
وعَقيلةٍ للكُفر لمّا رُعْتها أخرستَ من ناقوسها المِهْذار [٢٥٢
أذهبتَ من صَفْح الوجود كيانها ومَحَوْتها إلّا من التَّذكار
عَمَروا بها جنّاتِ عَدْن زُخْرِفت ثم انثَنَوا عنهـــا دِيارَ بَوار
صَبَّحت منهـا روضةً مَطْلولةً فأعدتهـــا لِلْحَيْن مَوقدَ نار
وأسودّ وجه الكُفر من خِزيٍ متى ما أحمرّ وجهُ الأبيض[4] البَتّار

(١) فى الأصول : « قسما بوجهك فى اللقاء وإنه » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٢) التكملة عن نفح الطيب .
(٣) جاء هذا البيت فى الأصول متقدما على موضعه هنا بعد قوله : « صيرت بالإحسان » . وقد راعينا الترتيب الذى ورد فى نفح الطيب .
(٤) فى الأصول : « المرهف » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

ولَرُبَّ رَوْضٍ للغنا[1] متأوِّدٍ ... نابَ الصَّهيلُ به عن الأطيارِ
مهما حَكَت زُهْرُ الأسنّة زَهرَه ... حَكَتِ السيوفُ مَعاطِفَ الأنهار
متوقّد لَهبُ الحديد بجَوِّه[2] ... تَصْلَى به الأعداء لَفْحَ أُوار
فبكُلِّ مُلتفتٍ صُقالٌ مُشْهَرٌ ... قدّاح زَنْد للحفيظة وَارِى
فى كفّ أروعَ فوق نَهْدٍ سابحٍ ... مُتموِّجِ الأعطاف فى الإخْضار
من كل مُنحفز بلَمحة بارقٍ ... حُمِل السلاحُ به على طَيَّار
من أشهبٍ كالصبح يَطْلُع غُرَّةً ... فى مستهلِّ العَسْكر الجَرّار
أو أدهمٍ كالليل إلا أنه ... لم يرضَ بالجَوْزاء حَلْىَ عِذار
أو أحمرٍ كالجَمر يُذْكِى شُعلةً ... وقدِ ارتمى من بأسه بشَرار
أو أشقرٍ حَلّى الجمالُ أديمَه ... وكساهُ من زَهْوٍ جَلالَ نُضار
أو أشعلٍ[3] راق العيونَ كأنه ... غَلَسٌ يخالِط سُدْفةً بنهار
شُهْبٌ وشُقْرٌ فى الطِّراد كأنها ... رَوْض تَفتّح عن شَقيق بَهار
عَوَّدْتَها أن ليس تَقْرُب مَنْهَلاً ... حتى يُخالَطَ [بالدم المَوّار][4]
يا أيّها الملك الذى أيامُه ... غُرَر تَلُوح بأوجه الأعصار
يَهْنِى لواءَك أن جَدَّك زاحف ... بلواء خير الخلق للكُفّار[5]
لا غَروَ أنْ فُقْت الملوك سيادةً ... إذ كان جَدّك سيّدَ الأنصار
السابقون الأولون إلى الهُدى ... والمُصْطفَوْن لنُصْرة المُختار

(١) الغنا ، أى الغناء (بالمد) فقصره للشعر .
(٢) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصل « بجده » . وما أثبتناه أولى بالسياق .
(٣) الأشعل : من الشعلة (بالضم) ، وهى البياض فى ذيل الفرس والناصية والقذال .
(٤) التكملة عن نفح الطيب .
(٥) يريد سعد بن عبادة الأنصارى سيد الخزرج ، وبنو الأحمر من سلالته . ويشير إلى حمل سعد لراية الرسول يوم فتح مكة .

مُتهلِّلون إذا النَّزيلُ عراهُمُ سَفَروا له عن أوجه الأقمار
من كل وَضَّاح الجبين إذا احْتَبَى تلقاهُ مَعصوباً بتـــاج فَخَار(١)
قد لاث صُبْحاً فوق بَدْرٍ بعد ما لَبِس المكارمَ وارتدى بوَقَار
فاسأل ببَدْر عن مواقفِ بأسهمْ فهُمُ تلافَوْا أمرَه ببـــدار [٢٥٣]
لهمُ العوالى عن مَعالى فَخْرها نَقَل الرواة عَوالىَ الأخبـار
وإذا كتاب الله يتلو حَمْدَهُمْ [أَوْدَى القُصُورُ بمُنَّـة الأشعار
يا بْنَ الذين إذا تُذُوكِر فخرُهم فَخَروا بطِيب أَرُومةٍ ونِجار
حقّا لقد أوضحتَ من آثارهم(٢)] لمّـا أخذتَ لدينهم بالثَّار
أصبحتَ وارثَ مَجْدهم وفَخارهم ومُشرِّف الأَعصار والأمصار
يا صادراً فى الفتح عن وِرد المُنَى رِدْ ناجحَ الإيراد والإصـدار
واهنأْ بفَتحٍ جاءَ يشتمِل الرِّضا جَذلانَ يَرْفُل فى حِلَى استبشار
وإليكَها مِلْءَ العيون وَسامةً حيَّتْك بالأَبكار من أفكارى
تُجْرِى حُداةُ العِيس طيبَ حديثها يَتعلَّلون به على الأَكْوار
إن مَسَّهم لَفْحُ الهَجير أَبلَّهم مِنـــه نَسيمُ ثنائك المِعْطار
وتُميل مَن أَصغى لها فكأنني عاطيتُه منها كُئوس عُقار
قَذَفَتْ بحورُ الفكر منها جوْهراً لمّـا وصَفْتُ أناملاً ببحَار
لا زِلتَ للإسـلام سِتْراً كُلَّما أَمَّ الحَجيجُ البيتَ ذا الأستار
وبَقيتَ يابدْرَ الهُدَى تَجْرِى بما شاءتْ عُلاك سـوابقُ الأقدار

شعر اختاره المؤلف أيضاً من كتاب ابن الأحمر

انتهى ما تعلق به الغرض من هذا التأليف المُلُوكى ، وقد أتيت به بحروفه

(١) يريد إذا جلس فى ندى قومه محتبيا على عادة العرب ، كان على رأسه تاج الفخار والرياسة والشرف .
(٢) التكملة عن نفح الطيب .

من أوله إلى هذا الموضع ، وتتبعه يطول ، ولكنى أنتقى منه نُبذة زائدة على ما سبق ، من مواضع شتى ، فنقول :

فى مدح الغنى بالله وتجديد الدولة الأحمدية

قال المؤلف رحمه الله : ومن ذلك[1] أثناء وجّهه مولانا الجد رحمه الله لتجديد الدولة الأحمدية[2] ، صدر عام تسعة وثمانين وسبع مئة :

هَبَّ النسيمُ على الرياض مع السَّحَرْ ... فاستيقظتْ فى الدَّوْح أجفانُ الزَّهَرْ
ورمَى القَضيبُ دَراهماً مِن نَوْره ... فاعتاض من طَلِّ الغمام بها دُرَر
نَثَرَ الأزاهرَ بعد ما نظم النّدى ... يا حُسْنَ ما نَظَم النسيمُ وما نَثَر
قُم هاتِها والجوُّ أزهرُ باسمٌ ... شَمْساً تحُلُّ من الزجاجة فى قَمَر
إنْ شَجَّها بالماء كفُّ مُديرها ... تَرميهِ من شُهُب الحَباب بها شَرَر
ناريّة نُوريّة من ضوئها ... يَقِدُ[3] السِّراجُ لنا إذا الليلُ اعتكر
[٢٥٤] لم يُبْقِ منها الدهرُ إلا صِبْغةً ... قد أُرعِشَتْ فى الكأس من ضَعْف الكِبَر
من عهد كِسْرى لم يُفَضَّ ختامها ... إذ كان يَذخَرُ كَنزَها فيما ذَخر
كانت مُذاب التِّبْر فيما قد مضى ... فأحالها ذَوبَ اللُّجَين لِمَنْ نظر
جَدِّدْ بها عُرْس الصَّبُوح[4] فإنها ... بِكْر تُحيِّيها الكرامُ مع البُكَر
وابلُل بها رِيقَ[5] الأصيلِ عَشِيّة ... والشمس من وَعْد الغروب على خَطَر

(١) يريد : من شعر ابن زمرك فى سلطانه الغنى بالله .
(٢) تولى أبو العباس أحمد بن أبى سالم المرينى سلطنة المغرب الأقصى مرتين ، بمساعدة الغنى بالله بن الأحمر ملك غرناطة ، الأولى من سنة ٧٧٦ إلى سنة ٧٨٦ ؛ والثانية من سنة ٧٨٩ إلى سنة ٧٩٦ وهذه هى المشار إليها هنا . (انظر الاستقصا للسلاوى) .
(٣) فى نفح الطيب : « قدح » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « العروس » .
(٥) فى نفح الطيب : « رتق » . وهو تحريف .

مُحمرّةٌ مُصفرّة قد أظهرتْ خَجَل المُريب يشوبه وَجَلُ الحَذِرْ
من كفّ شَفّافٍ تجسّد نورُه من جَوْهرٍ لألاء بَهْجته[1] بَهَر
تهوَى البُدورُ كمالَه وتودّ أن لَوْ أُوتيتْ منه المحاسنَ والغُرر
قد خطّ نُونَ عِذاره فى خَدّه قلمانِ من آسٍ هناك ومن شَعَر
وَالَى عليك بها الكئوسَ وربّما يَسقيك من كأس الفُتور إذا فَتَر
سُكْرُ النَّدامَى من يدَيْه ولحظه مُتعاقِبٌ مهما سَقَى وإذا نظر
حيث الهَديلُ مع الهدير تناغَيَا فالطيرُ تشدو فى الغصون بلا وَتَر
والقُضْبُ مالت للعناق كأنها وَفْد الأحبّة قادمين من السَّفر
مُتلاعباتٍ فى الحُلِيِّ يَنوب فى وَجناتهن الوَرْدُ حُسْناً عن خَفَر
والنَّرجس المَطلولُ يَرْنو نحوها بلَواحظٍ دمْعُ النَّدَى منها انهمر
والنهر مَصقولُ الحُسام متى يَرِد دِرعَ الغَدِير مُصفّقا فيه [صَدَر][2]
يَجرى على الحَصْباء وهى جواهرٌ مُتكسّرا منْ فوقها مهما عَثر
هل هذه أم روضة البُشرى التى فيها لأرباب البصائر مُعتَبَر
لم أدرِ مِنْ شَغَف بها وبهذه مَنْ منهما فَتَن القلوب ومن سَحَر
جاءت بها الأجفانُ[3] مِلْءَ ضلوعها مِلْءَ الخواطر والمَسامع والبَصَر
ومُسافرٍ فى البَحر مِلءَ عِنانه وافَى مع الفَتح المُبين على قَدَر
قادته نحوك بالخِطام كأنه جَمَل يُساق إلى القِياد وقد نفر
وأراه دينُ الله عِزّة أهله بك يا أعفّ القادرين إذا قَدَر

(١) فى نفح الطيب : « مهجته » .
(٢) التكملة عن نفح الطيب .
(٣) يريد بالأجفان : المراكب ؛ الواحد : جفن . وهى كلمة أندلسية ، ذكرها دوزى بهذا المعنى فى تكملة المعاجم العربية .

يا فخرَ أندلسٍ وعِصمة أهلها ... لله سِرٌّ فى اختصاصك قد ظهرْ
كم مُعْضِلٍ من دائهـــا عالجتَه ... فشفيتَ منـــه بالبِدار وبالبِدَر
ما ذا عسى يصـف البَليغُ خليفةً ... واللهِ مَا أيامُـــه إلا غُرَر [٢٠٠]
وُرِّثْتَ هذا الفخرَ يا ملِكَ الهُدى ... عن كل مَنْ آوى النبيَّ ومَنْ نصر
من شـاء يعرفُ فخرهم وكمالهم ... فلْيتـلُ وحْىَ الله فيهم والسِّير
أبناؤهم أبناء نَصْرٍ بَعـــدَهُمْ ... بسيوفهم دينُ الإله قد انتصَر
مولاىَ سعدُك والصـباحُ تَشابها ... وكلاهما فى الخافقَين قد اشتهر
هذا وزير الغَرْب عَبْـــدٌ آبِق ... لم يُلْفِ غيرَك فى الشدائد مِنْ وَزَر(١)
كفَر الذى أوليتَه مِن نعمـةٍ ... والله قد حَتَم العـذاب لمن كفر
إن لم يَمت بالسيف مات بغيظه ... وصَـلَى سعيراً للتأسف والفِكَر(٢)
ركب الفِرار مَطِيّة ينجو بهـا ... فجَرتْ به حتى اسـتقر على سَقَر
وكذا أبو حَمّو وكان حِمامـــه ... قد حُمّ وهو من الحيـاة على غَرر(٣)
بَلّغته — واللهُ أكبرُ شاهدٍ — ... ما شـاء من وطن يَعِزّ ومن وَطَر
حتى إذا جحدَ الذى أوليتَه ... لم تُبْقِ منـــه الحادثاتُ ولم تَذَر
فى حاله واللهِ أعظمُ عِـــبْرةٍ ... لله عَبْـــد فى القضاء قد اعتبر
فاصْـــبِر تَنَلْ أمثالَها فى مثله ... إنّ العواقب فى الأمور لمن صـبَر
ردْحيث شئت مُسَوَّغا وِردَ المُنَى ... فالله حسبُك فى الوُرود وفى الصَّدَر

(١) يريد : الوزير لسان الدين بن الخطيب .
(٢) يشير إلى ما جرى على الوزير ابن الخطيب من الخنق ثم الحرق .
(٣) هو : أبو حمو موسى بن يوسف الزيانى سلطان المغرب الأوسط ، من بنى عبد الواد ، وكان بينه وبين ملوك المغرب الأقصى من المرينيين مجاذبات وحروب كثيرة فصلها ابن خلدون فى تاريخه ، والسلاوى فى الاستقصا .

لا زلتَ محروساً بعين كلاءة ... مادام عينُ الشمس تُعشِى مَن نَظَرْ

ومنها، وقد أضاف إلى ذلك من التغزّل طوْعَ بِداره، وحُجَّةَ اقتداره، فقال:

والعُودُ فى كفّ النديم بِسِرّ ما ... تُلْقِى لنا منه الأناملُ قد جَهَرْ
غنّى عليه الطيرُ وهو بِدَوْحِه ... والآنَ غنّى فوقه ظَبْىٌ أغرّ
عُود ثَوَى حِجْر القضيب رَعَى له ... أيام كانا فى الرياض مع الشَّجَر
لاسيما لما رأى من ثغرِه ... زهراً وأين الزّهر من تلك الدُّرر!
ويظُن أنّ عِذارَه من آسِه ... ويظنّ تُفّاحَ الخُدود من الثّمَر
يَسْبِى القلوبَ بلفظه وبلَحْظه ... [وَافتِنْتى][1] بين التكلّم والنظر
قد قيّدته لأنســـــنا أوتارُه ... كالظبى قُيِّد فى الكِناس إذا نَفَر [٢٥٦]
لم يُبْلَ قلبى قبلَ سَمْع غِنائه ... بمُعذّر سَلَب العقولَ وما اعتذر
جَسّ القلوب بِجَسّه أوتارَه ... حتى كأنّ قلوبنا بين الوَتَر
نَمَّتْ لنا ألحـــــانُه بجميع ما ... قد أودعتْ فيه القلوبُ من الفِكَر[2]
يا صامتاً والعُـود تحت بَنانه ... يُغْنيك نُطْقُ الخُبْرِ فيه عن الخَبَر
أغنَى غِناؤك عن مُدامك ياتُرَى ... هل من لحاظك أم بنانك ذا السُّكَر
باحتْ أناملُكَ اللِّدانُ بكلّ ما ... كان المُتيَّمُ فى هواه قد سَتَر
ومُقاتلٍ ما سَلّ غير لِحاظه ... والرمحَ هزّ من القَوام إذا خَطَر
دانت له منّا القلوب بطاعةٍ ... والسيف يَملكُ ربَّه فيمن قَهَر[3]

فى شكر السلطان لنعمة وصلته فى عاشوراء

ثم قال بعد إيراد جملة من كلامه:

وقال شاكراً لنعمة وصلتْه من مولانا رحمة الله عليه فى عاشوراء:

(١) تكملة عن نفح الطيب.
(٢) ورد هذا البيت فى الأصل محرفا ومحذوف بعض الكلمات. وقد أثبتناه عن نفح الطيب.
(٣) فى نفح الطيب: «مهما قهر».

مولاىَ يا بْنَ السابقين إلى العُلا والرافعين لواءها المَنشُـــورَا
إن لوحِقُوا[1] فى المعْلُوات[2] فإنهم طَلَعوا بآفاق العَـلاء بُدورا
أو فُوخروا فى المـكْرُمات فإنهم نَظَمُوا بأسلاك الفَخار شُذورا
أبناءِ أنصـــــار النبىّ وصحبه فى الذكر أصبح فخرُهم مذكورا
والمؤثرين وربُّنا أثنَى بهـــــا فى الحشر خَلَّد وَصْفَهُمْ مَسْطورا[3]
فاضت علينا مِن نَدَاك غمائمٌ وتفجرتْ مِن راحتَيْك بُحورا
مِن كفّ شَفّاف الضياء تخالُهُ لصفاء جوهره تَجَسَّـد نُورا
نِعَمٌ مُنوّعـة تعـدّد وَفْرها أعجزتَ عنها شُكْرىَ الموفورا
فى مَوْسِم للدِّين قد جـدّدته وأقمتَ فينا عيـــدَه المشهورا
أضـعافَ ما أهديتنا[4] من مِنَّةٍ تُهْدِى إليك ثوابَها عاشورا
وعلى الطريق بَشائرٌ محمودة ألقاك جَذْلانًا بهـا مسرورا

فى وصف قرنفل بجبل الفتح

ثم قال : ومن لَفظه فى وصف القَرنفل الصعْب الاجتناء بجبل الفتح ، وقد وقَّع له مولانا الغنى بالله بذلك ، فارتجل قِطعاً ، منها :

أتونى بنَوّار يَروق نَضَارَة كخد الذى أهوى وطِيب تنفُّسِهْ
[٢٥٧] وجاءوا به من شاهق مُتَمنِّع تَمَنُّع ذاك الظَّبى فى ظِل مَكنِسه
رعى الله مِنّى عاشـقاً متقنِّعاً بزَهْرٍ حكَى فى الحُسن خَدّ مُؤَنِّسِه

(١) كذا فى (ط) وفى نفح الطيب « : لوحظوا » .
(٢) المعلوات : جمع معلوة (كمكرمة) . يريد بها المعالى ، ولم نجد المعلوة (بوزن مكرمة) فى المعاجم التى بين أيدينا .
(٣) يشير إلى قوله تعالى فى سورة الحشر فى مدح أنصار النبى : (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .
(٤) فى النسخة المخطوطة من نفح الطيب المحفوظة بدار الكتب (برقم ٣٦٠) : « حملتنا »

وإن هبَّ خَفَّاق النسيم بنَفْحةٍ حَكت عَرفَه طيباً قضَى بتأنُّسِهْ

ومنها :

رعَى الله زهراً يَنتمِى لقَرنفُلٍ حَكى عَرف مَنْ أَهْوَى و إشراقَ خدِّهِ
وَمنبِتُه فى شاهق مُتمنِّعٍ كما امتنع المَحبوب فى تيهِ صَدِّه
أميلُ إذا الأغصانُ مالتْ بروْضة أُعانق منها القُضْبَ شوقاً لقدّه
وأهفو لِخَفَّاق النسيم إذا سَرَى وأهوَى أريجَ الطّيب من عَرف ندّه

ومنها :

يَقَرُّ بعَينى أن أَرَى الزهر يانعاً وقد نازعَ المحبوبَ فى الحُسن وصفَهُ
وما أبصرتْ عينى كزَهر قَرنفُلٍ حَكى خَدَّ من يَسْبِى الفؤادَ وعَرْفَه
تَمنّع فى أَعْلَى الهِضاب لمُجْتنٍ تمنُّعَه مِنّى إذا رُمْت إلفَه
وفى جَبل الفَتح اجتَنَوْه تَفاؤلاً بفَتحٍ لِبَابِ الوَصْل يَمنح عَطفَه
[وما ضرّ ذاك الغُصْنَ وهو مُرَنَّح إذا ما ثنَى نحو المُتَيّم عِطْفَه] (١)

فى تهنئة مولاه بوصول القائد خالد من تلمسان

ثم قال : ومن قصائده التى يودّ الصَّباح سناها ، والنسيم اللَّدْن رقّة معناها ، يُهنئ مولانا الجد رضى الله عنه ، عند وصول خالصة مَقامه ، وكبير خُدَّامه ، القائد خالد ، رحمه الله تعالى ، من تِلمْسان بالهديه ، وتجديد المقاصد الوديه ، ووافق استئناف راحة من الذات العليّه ، ومن بعض فروع دَوحتها الزكيّه :

أَدِرْها ثلاثاً من لحاظك واحبِسِ فقد غالَ منها السُّكرُ أبناءَ مَجْلِس
إذا مانهانى الشَّيبُ عن أكؤس الطِّلا تُدِيرُ علىَّ الخمرَ منها بأكؤس
عَذِيرىَ من لحظٍ ضعيف وقد غدا يُحكّم منّا فى جُسوم وأنفس

(١) هذا البيت عن نفح الطيب .

وروضِ شبابٍ ماسَ غُصْنُ قَوامه ... وفتَّح فيه اللحظُ أزهارَ نَرجس
وما زال وَرْد الخدّ وهو مُضعَّف ... يُعِيرُ أقاحَ الثغر طِيبَ تنفّس
وكم جال طِرْف الطَّرف فى روض حُسْنه ... يُقيِّدُهُ فيه العِذارُ بسُنْدس
أما ولياليِ الوَصْلِ فى رَوضة الصِّبا ... ومألَفِ أحبابى وعَهدِ تأنُّسى
لئن نَسِيتْ تلك العهودَ أحبّتى ... فقلبى عهودَ العامريّة ما نسِى
[٢٥٨] وحاشا لنفسى بعد ما افترَّ فَوْدُها ... من الشَّيب عن صُبْحٍ به مُتنفِّس
وألبَسَها ثوبَ الوَقار خليفةٌ ... [به لَبِس الإسلامُ أشرفَ مَلْبَس][1]
وجدّد للفَتح المُبينِ مَواسِمًا ... أقام بها الإيمانُ أفراحَ مُعْرِس
وأَوْرَثَه العَلْياءَ كلُّ خليفةٍ ... نَماهُ إلى الأنصار كُلُّ مُقدَّس
فيا زاجرَ الأظعان وهى ضَوامِرٌ ... بغير الفَلا والوحش لم تتأنَّس
إذا جئتَ من دار الغَنِيّ بربّه ... مُناخ العُلا والعزّ فانزِل[2] وعَرِّس
فإن شئتَ من بحر السَّماحة فاغترف ... وإن شئتَ من نُور الهداية فاقبِس
أمولاىَ والَى السعدُ منك ولايةً[3] ... أنارتْ بها الأكوانَ جَذْوة مُقْبِس
إذا شئتَ أن ترمِى القَصِىَّ من المُنَى ... تدورُ لك الأفلاكُ مرفوعة القِسى
فترمِى بسهم من سُعودك صائبٍ ... سديدٍ لأغراض الأمانِى مُقرْطِس[4]
أهنّيك بالإبلال ممّن شِفاؤه ... شِفاؤك فاسكر مَن تُلاقِى وقدِّس
ودَعْنى أرِد يُمناكَ فهى غَمامة ... تُبَخِّل صوْبَ العارض المُتبجِّس[5]

(١) التكملة عن نفح الطيب .
(٢) فى نفح الطيب : « فاعقل » .
(٣) رواية هذا الشطر فى نفح الطيب : « أمولاى إن السعد منك لآية » .
(٤) يقال : رمى فقرطس ، إذا أصاب الغرض .
(٥) العارض : السحاب المعترض فى الأفق . والمتبجس : السحاح المنهمر .

أُقبّلُ منها راحةً إثرَ راحـــةٍ أتتك بها الرُّكبان من بَيْت مَقْدِس
ومَن نَسَبَ الفتحَ المُبينَ وِلادةً إليـــــه بغير الفخر لم يتأسّس[1]
فيأيهـــــا المولى الذى بكماله خلائفُ هذا العصر فى الفخْر تأتَسى
[لآمنتَ[2]]موسى[3] من عوادى سَمِيّه ولولاك لم يبرح بخِيفة مُوجِس
بعثتَ بميمون النَّقيبة ، فى اسمـه خُـــلودٌ لعزٍّ ثابتٍ متأسس
فجاءك بالمـال العريض هَـديّةً بها الدينُ أثوابَ المسرّة يكتسى
وشَفّعها بالصافنات كأنهـــا وقد راق مَرْآها جآذر مَـكْنِس
تَنُصُّ من الإشراف جيدَ غَزالة وتَرْنو من الإيجاس عن لحظ أشوس
لك الخيرُ، موسى مثلُ موسى كلاهما بغير شِـــعار الوُدّ لم يتلبّس
فلا زِلْت فى ظِل النّعيم وكلُّ من يعاديك لا ينفكّ يَشْقَى بأبؤس
عليكَ سـلامٌ مثل حمدك عاطرٌ تنفّس وجه الصبح عنه بمعْطِس

فى مولد عام خمسة وستين

ثم قال بعد ذكر كثير من نظمه و بعض ميلادياته :

وأنشد فى مولد عام خمسة وستين :

لعلَّ الصَّبا إن صافحت رَوض نَعمانِ تُؤَدِّى أمان القلب عن ظَبية البانِ
وماذا على الأرواحِ وهى طَليقة لو احتملتْ أنفاسُها حاجَة العانى
وما حالُ من يستودعُ الريحَ سرَّه ويطلُبها وهْىَ النّموم بكِتمان [٢٥٩]
وكالطيفِ أسْتقريه فى سِنَة الكَرى وهل تنقَع الأحلامُ غُلّة ظمآن

(١) أى لم يقم دعواه على أساس .
(٢) التكملة عن نفح الطيب .
(٣) موسى : هو موسى بن أبى عنان بن أبى الحسن المرينى ، قامت له دولة بالمغرب الأقصى بمساعدة ابن الأحمر من سنة ٧٨٦ إلى سنة ٧٨٨ هـ . أما سميه فلعله يقصد به أبا حمو موسى بن يوسف الزيانى من بنى عبد الواد ، سلطان المغرب الأوسط ، وكان كثير الشغب على ملوك المغرب الأقصى .

أسائلُ عن نجد ومَرمَى صَبابتى ... مَلاعب غِزلانِ الصَّريم بنَعمانِ
وأُبدى إذا ريح الشمال تنفَّست ... شمائلَ مُرتاحِ المَعاطفِ نَشوان
عُرفتُ بهذا الحبّ لم أدر سَلوة ... وأنّى لمسلُوب الفؤاد بسُلوان
فيا صاحبىْ نَجواىَ والحبُّ غاية ... فمِنْ سابقٍ جَلّى مَداه ومن وانى
وراءَكما ما اللوم يَثْنِي مَقادتى ... فإنِّىَ عن شان المَلامة فى شان
وإنّى وإن كنت الأبىَّ قيادُه ... ليأمُرنى حُبُّ الحِسان ويَنهانى
ولا زِلتُ أرعى العهدَ فيمن يُضيعه ... وأذكر إلْفى ما حييت وينسانى
فلا تُنكرا ماسامَنِي مَضَض الهوى ... فمِنْ قبلُ قد أودى بقيس وغَيلان(١)
لِيَ الله إمّا أومض البرقُ فى الدُّجى ... أُقلِّب تحت الليل مُقلة وَسنان
وإن سُلّ من غِمد الغمام حُسامُه ... بَرَى كبدى الشوقُ المُلِمّ وأضنانى
تراءى بأعلام الثنيّـــــة باسماً ... فأذكرنى العهدَ القديمَ وأبكانى
أُسامِرُ نجمَ الأفق حتى كأننا ... وقد سَدلَ الليلُ الرّواقَ حليفان
ومِمّا أناجى الأُفقَ أُعديه بالجَوى ... فأرعَى له سَرْح النجوم ويَرْعَانى
ويُرسل صَوب القَطر من فَيض أدمُعِى ... ويَقْدح زَنْد البَرْق من نار أشجانى
وضاعف وجدى رَسْمُ دار عهِدْتُها ... مَطالعَ شُهبٍ أو مَرَاتِعَ غِزلان
على حين شِرْبُ الوصل غيرُ مصَرَّد ... وصَفْو الليالى لم يُكَدّر بِهِجران
لئن كَدّرت عينى الطُّلولُ فإنها ... تَمُتُّ إلى قلبى بذكرٍ وعِرفان
ولم أر مثلَ الدمع فى عَرَصاتها ... سَقَى تُرْبَها حينَ استهلّ وأظمانى
ومماشَجانى أن سَرَى الركبُ مَوْهِنًا ... تُقاد به هُوج الرِّياح بأرسان
غَوارب فى بحر السَّراب تخالُها ... وقد سَبَحت فيه مَواخِرَ غِربان

(١) قيس : المراد به قيس بن الملوح مجنون بنى عامر . وغيلان : ذو الرمة الشاعر .

على كل نِضْو مثلِه فكأنما رَمَى منهما صدرَ المَفازة سَهمانِ
ومِن زاجرٍ كَوْماءَ مُخْطَفة الحشى تَوَسَّد منها فوقَ عَوجاء مِرْنان
نَشاوَى غَرامٍ يَسْتميل رءوسَهمْ من النوم والشوق المبرِّح سُكْرَان
أجابوا نداء البين طَوعَ غرامِهم وقد تُبْلِغُ الأوطارَ فُرقةُ أوطان
يَؤُمُّون مِن قبر الشفيعِ مثابةً تَطَلَّعُ منها جنةٌ ذاتُ أفنان
إذا نزلوا من طَيبة بجواره فأكرمُ مَولًى ضَمَّ أكرم ضِيفان [٢٦٠]
[بحيثُ عَلا الإيمانُ وامتد ظلّه وزان حِلَى التوحيد تعطيلُ أوثان] (١)
مَطالعُ آياتٍ مَثابةُ رحمـــةٍ معاهدُ أملاكٍ مَظاهر إيمان
هنالك تصفو للقبول موارد يُسَقَّون منها فَضلَ عفو وغُفران
هنالكَ تُؤدَّى للســـلام أمانة يُحييهمُ عنها بروْح وريحان
يُناجون عن قُربٍ شفيعَهم الذى يؤمله القاصِى من الخلق والدّانى
لئن بلَغُوا دُونِى وخُلِّفْت إنه قضاء جرى من مالك الأمر دَيَّان
وكم عَزْمةٍ مَنَّيْتُ نفسىَ صَرْفها وقد عرَفَتْ منى مَواعدَ لَيَّان (٢)
إلى الله نشكوها نفوساً أبيَّة (٣) تَحِيد عن الباقى وتغترُّ بالفانى
ألا ليتَ شِعرى هل تُساعدُنى المُنَى فأتركَ أهلى فى رِضاه وجيرانى
وأَقضِى لُبانات الفؤاد بأن أرَى أُعفِّر خدِّى فى ثَراه وأجفانى
إليكَ رسولَ الله دَعوةَ نازحٍ خَفُوقِ الحَشَى رهنِ المطامع هَيْمان
غريبٍ بأقصى الغَرب قيَّد خَطْوَه شَبابٌ تَقَضَّى فى مَراحٍ وخُسران

(١) هذا البيت عن نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٥ طبعة الأزهرية) .
(٢) الليان (بكسر اللام وفتحها) : المطل .
(٣) كذا فى نفح الطيب . يصف النفوس بالجموح والامتناع . والذى فى الأصل : « أيمة » . ولا معنى لها .

يُجـدُّ اشتياقاً للعقيـق وبانه ... ويَصبو إليها ما استجدّ الجديدانِ
وإنْ أومض البَرْقُ الحِجازىّ مَوْهنا[1] ... يُرَدِّدُ فى الظَّلماء أَنَّةَ لَهْفان
فيامُولِىَ الرُّحمى ويا مُذْهِب العَمى ... ويامُنجِد الغَرْقَى ويامُنقِذَ العانى
بسطتُ يدَ المحتاج ياخيرَ راحم ... وذنبىَ ألجانى[2] إلى موقف الجانى
وَسيلتىَ العُظمى شفاعَتُك التّى ... يلوذ بها عيسى وموسى بن عِمران
فأنت حبيبُ الله خاتَم رُسْله ... وأكرمُ مخصوصٍ بزُلْفَى ورِضوان
وحَسْبُك أن سَمَّاك أسماءه العُلا ... وذاك كمال لا يُشاب بنُقْصان
وأنت لهذا الكون علّة كَوْنه ... ولولاك ما امتاز الوجود بأكوان
ولولاك للأفلاك لم تَجْلُ نَيِّراً ... ولا قُلِّدَتْ [لَبَّاتُهُنَّ بشُهْبان][3]
خُلاصة صَفْو المَجْد[4] من آل هاشم ... ونُكْتة سِرِّ الفخر من آل عَدْنانِ
وسيّد هذا الخَلق من نسلِ آدمٍ ... وأكرم مبعوثٍ إلى الإنسِ والجان
وكم آيةٍ أطلعْتَ فى أُفُق الهُدى ... يَبين صباح الرشد فيها ليَقظان
وما الشمسُ يَجلوها النهارُ لمُبصرٍ ... بأجلَى ظهوراً أو بأوضح برهانِ
وأكرِمْ بآياتٍ تَحَدّيتَنا بها ... ولا مِثْل آيات لمحكم فُرقان
وماذا عسى يُثْنِى البليغُ وقد أتى ... ثناؤك فى وَحىٍ قديم[5] وقرآن
[٢٦١] فصلَّى عليك اللهُ ما انسكب[6] الحيا ... وما سَجَعَتْ وَرْقاء فى غُصُنِ البان

---

(١) الموهن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه .
(٢) ألجانى : يريد : « ألجأنى » بالهمز ، فسهل للشعر .
(٣) التكملة عن نفح الطيب .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « الخلق » ، ويستقيم المعنى بهذا أيضا ، غير أن ما أثبتناه يلائم الشطر الثانى من البيت .
(٥) فى نفح الطيب : « كريم » .
(٦) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصل : « انسبك » ، ولعله تبديل من الناسخ .

وأيّد مولانا ابنَ نَصْر فإنه لأشرفُ مَنْ يُنمَى لمُلْك وسُلطانِ
أقام — كما يُرْضيك — مولدَكَ الذى به سَفَر الإسلام عن وجه جَذْلان
سَمِيُّ رسول الله ناصر دينه مُعظِّمه فى حال سرٍّ وإعلان
ووارثُ سِرِّ المجد من آل خَزْرج وأكرمُ من تَنْمى قبائلُ قَحطان
ومُرْسِلُها ملْءَ الفَضاء كَتائباً تَدِين لها غُلْبُ الملوك بإذعان
حدائقُ خُضْرٌ والدُّروع[1] غدائر وما أنبتت إلا ذَوابلَ مُرَّان
تَجاوَبُ فيها الصاهِلات وتَرْتمى جوانبها بالأسْد مِنْ فوق عِقْبان
فمن كل خَوَّار العِنان قد ارتمَى به كلُّ مِطْعام العشيّات مِطْعان
ومُوردِها ظَمْآى الكُعوب ذوابلا ومُصْدِرها من كل أملدَ رَيَّان
ولله منها والرَّبوع مَواحل غمام ندًى كَفَّتْ به المَحْلَ كَفَّان
إذا أخلف الناسَ الغمامُ وأمْحلُوا فإن نداه والغمامَ لَسِيّان
إمامٌ أعادَ المُلْك بعد ذَهابه إعادة لا نابى الحُسام ولا وانى
فغادر أطلالَ الضَّلال دَوارسًا وجدّد للإسلام أرفعَ بُنْيان
وشَيَّدها والمجدُ يشْهد دولةً مَحافِلُها تُزْهَى بيُمْن وإيمان
وراق مِنَ الثَّغر الغريب ابتسامُهُ وهَزَّ له الإسلام أعطاف مُزْدان
لك الخيرُ ما أسْنَى شمائلَك التى يُقصِّر عن إدراكها كلّ إنسان
ذَكاء إياس فى سَماحة حاتمٍ وإقدام عمرٍو فى بَلاغة سَحْبان
أمولاىَ ما أسْنَى مَناقبَك التى هِىَ الشُّهْبُ لا تُحْصَى بعدّ وحُسْبان
فلا زلتَ ياغوث البلاد وأهلها مُبلِّغ أوطار ممهّد أوطانِ

فى مولد سنة سبع وستين وسبع مئة

ثم قال بعدَ سرْد ميلاديّة ، وأنشد ذلك فى مولد سنة سبع وستين وسبع مئة وألم فى أخْرياتها بوصف المَشْور الأسْنَى ، الرفيع المَبْنى :

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « والدموع » . وهو تحريف .

زار الخيال [بأيْمَنِ الزَّوراء][1] فجلا سَناه غَياهبَ الظَّلماء
وسَرى مع النَّسمات يَسحب ذيلَه فأتَتْ تَنِمّ بعَنْبر وكِباء[2]
هـذا وما شيءٌ ألَذّ من المُنَى إلا زيارتُه مع الإغفاء
بِتْنا خَيالين الْتَحفنا بالضَّنَى والشَّقم ما نخشَى من الرُّقباء
[٢٦٢] حتى أفاق الصبح من غَمراته وتجاذبت أيدى النسيم ردائى
يا سائلى عن سِرّ من أَحْببته السرُّ عندى مَيِّت الأحياء
تاللهِ ما أشكو المحبة والهوى لسِوَى الأحبة أو أموتَ بدائى
يا زَين[3] قَلْبى لستُ أبرَح عانياً أرضَى بسُقْمى فى الهوى وعَنائى
أبكى وما غيرُ النَّجيع مدامعى أُذْكِى ولا ضَرَمٌ سِوى أحشائى
أهْفُو إذا تهفو البروق وأَنثَنِى لِسُرَى النواسِم من رُبا تَيْماء
باللهِ يا نَفَس الحِمَى[4] رِفْقا بمَن أغْريتــه بتنفُّس الصُّعَدَاء
عجَباً لَهُ يَندَى على كَبِدى وقد أذكى بقلبى جَمْــرةَ البُرَحاء
يا ساكِنى البطحاء أىُّ لُبَانةٍ لى عنـدكم يا ساكِنى البَطحاء
أتُرَى النَّوى يوما تَخيبُ قِداحها ويفوزَ قِدْحِى منكمُ بلقاء
فى حَيِّكم قمرٌ فؤادى أفْقُهُ تَفْديه نفسِى مِنْ قريبٍ نَائِى
لم تُنْسِنى الأيامُ يومَ وَداعِــه والركبُ قـد أوْفَى على الزَّوراء
أبكِى ويَبْسِم والمحاسنُ تُجْتَلَى فعَلِقْت بين تَبَسُّم وبُكاء
يا نظرة جادت بهـا أيدى النوى حتى استهلَّت أدمُعى بدِماء

(١) التكملة عن نفح الطيب .
(٢) الكباء (بالكسر) : عود البخور ، أو ضرب منه .
(٣) فى النسختين المخطوطتين من نفح الطيب : « يادين » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . طبعة الأزهرية، أى يا ريح الحمى . وفى ط: « يا ناسما نسم الحمى » .

مَن لى بثانيةٍ تُنادى بالأَسَى : «قَدْكَ اتَّئِد أسْرَفْتَ فى الغُلَواءِ»[1]
ولَرُبَّ ليلٍ بالوِصال قطعتُه أجلو دُجاه بأوْجهِ النُّدماء
أَنْسَيْتُ فيه القلبَ عادةَ حِلمه وحَثَثْتُ فيه أَكْؤُس السَّرّاء
وَجَرَيْت فى طَلَق التصابى جامحا لا أنثنى لمَقادةِ النُّصَحاء
أطوِى شَبابى للمشيب مَرَاحِلاً بِرَواحِل الإصباح والإمساء
يا ليتَ شعرى هل أُرَى أَطْوِى إلى قَبْرِ الرسول صحائفَ البيداء
فتطيبَ فى تلك الربُوع مَدائحى ويطولَ فى ذاك المَقام ثَوائى
حيث النبوّة نورُها متألِّق كالشمس تُزْهَى فى سَنًى وسَناء
حيثُ الرسالة فى ثَنِيّة قُدْسها رَفَعتْ لِهَدْىِ الخلق خَيْر لواء
حيثُ الضريحُ ضريحُ أكرم مُرسَلٍ فَخْرِ الوجود وشافعِ الشفعاء
المُصْطَفَى والمرتَضَى والمجْتَبَى والمُنْتَقَى من عُنصر العَلياء
خيرِ البرية مُجتباها ذُخرِها ظِلِّ الإلٰه الوارفِ الأفْياء [٢٦٣]
تاجِ الرِّسالة خَتْمِها وقِوامِها وعمادِها السّامى على النُّظراء
لولاه للافلاك ما لاحتْ بها شُهُبٌ تُنير دَياجِىَ الظَّلْماء
ذو المعجزاتِ الغُرّ والآىِ الَّتى أُكْبِرنَ عن عَدٍّ وعن إحصاء
وكَفاكَ رَدُّ الشمس بعْد غروبها وكفاكَ ما قد جاء فى الإسراء
والبدر شُقَّ له وكَمْ من آيةٍ كأَنامِلٍ جادت[2] بنَبْع الماء
وبليلة المِيلاد كم من رحمة نَشَر الإلٰهُ بها ومِن نَعماء
قد بَشَّر الرسْلُ الكرامُ ببعثه وتقدّم الكُهّانُ بالأنباء

(١) هذا صدر بيت لأبى تمام ، وتمامه : « كم تعذلون وأنتم سجرائى » . وفى الديوان « اتئب أربيت » مكان : « اتئد أسرفت » . وهو بمعناه .
(٢) فى نفح الطيب : « جاءت » .

أكرِمْ بها بُشْرَى على قَدَرٍ سَرَت ... فى الكون كالأرواح فى الأعضاء
أمسَى بها الإسلام يُشرِق نُوره ... والكفر أصبحَ فاحمَ الأرجاء
هو آيةُ الله التى أنوارُها ... تجلو ظلام الشكّ أىَّ جِلاء
والشمسُ لا تَخفَى مَزيةُ فضلها ... إلا على ذى المُقْلةِ العمياء
يا مصطَفًى والكونُ لم تَعْلَق به ... من بعدُ أيدى الخلْقِ والإنشاء
يا مَظهَرَ الحق الجلىّ ومَطلَعَ النُّور السنِىّ السَّافر[1] الأضواء
يا مَلْجأ الخَلْق المشَفَّعَ فيهم ... يا رحمةَ الأموات والأحياء
يا آسِىَ المَرْضَى ومُنْتَجَع الرِّضا ... ومؤاسِىَ الأيتام والضُّعفاء
أشكو إليك وأنت خير مُؤَمَّل ... داء الذنوب وفى يديك دوائى
إنى مددتُ يدِى إليك تَضَرُّعا ... حاشَى وكَلّا أن يخيب رجائى
إن كنتُ لم أَخْلُصْ إليك فإنَّما ... خَلَصَت إليك مَحَبتى ونِدائى
وبسعْد مولاى الإمامِ محمدٍ ... [تَعِدُ] الأمانِى أن يُتاحَ لِقائى
ظِلِّ الإلٰه على البلاد وأهلها ... نخرِ المُلوك السادة الخلفاء
غَوثِ[2] العباد ولَيْثِ مُشتجر القنا ... يومَ الطِّعان وفارجِ الغَمّاء
كالدهر فى سَطَواته وسَماحه ... تجرى صَباه بزَعْزع ورُخاء
رَقَّت سَجاياه وراقتْ مُجْتَلَى ... كالنهر وَسْط الرَّوضة الفيحاء[3]
كالزَّهر فى إبراقه والبدر فى ... إشراقه والزُّهْرِ فى اللَّأْلاء
[٢٦٤] يا بْنَ الأُلَى إجمالهم[4] وجَمالهم ... فَلَقُ الصباح وواكف الأنواء

(١) فى نفح الطيب : « الساطع » .
(٢) فى نفح الطيب : « غيث » .
(٣) فى م ونفح الطيب : « الغناء » .
(٤) إجمالهم ، أى توسمهم فى المعروف والإنعام. وفى البيت لف ونشر غير مرتبين.

أنصارِ دين الله حِزبِ رسـوله والسّابقين بحَلْبة العَلياء
يا بن الخلائف مِنْ بنى نَصْرٍ ومَنْ حاطوا ذِمارَ المِـلّة السّمحاء
مِن كل مَن تَقف الملوك ببابه يَسْتَمْطرون سَحائب النّعماء
قوم إذا قادُوا الجيوش إلى الوَغَى فالرُّعب رَائِدهم إلى الأعـداء
والعزُّ مَجْلوب بكل كَتيبة والنَّصر معقود بكل لِواء
يا وارثا عنها مَناقبها التى تسمو مَراقيها على الجَوْزاء
يا فخر أَندَلُسٍ وعِصْمة أهلها يَجزيك عنها الله خَيْر جَزاء
كَمْ خُضْتَ طَوْع صلاحها من مَهْمَهٍ لا تهتدى فيـه القَطا للمـاء
تَهْدِى بها حادى السُّرَى بعزائم تُهدِى نجوم الأفق فَضْلَ ضياء
فارفع لواء الفخر غَـيرَ مُدَافَع واسْحبْ ذيول العزّة القَعْساء
واهنأْ بمَبْناك السعيد فإنه كَهْفٌ ليوم مَشُورة وعَطاء
لله مِنْه هَالة قـد أصبحت حَرَم العُفاة ومَصْرَع الأعـداء
تَنْتَابُها طَيرُ الرّجاء فتَجْتنى ثَمَرَ المُنَى من دَوْحة الآلاء
لله منـه قُبَّةٌ مَرْفُوعَةٌ دون السماء تفوتُ لَحْظَ الرّائى
راقَتْ بدائع وَشْيِها فكأنّها وشْىُ الربيعِ بمسْقَط الأنْداء[1]
عَظَّمتَ ميـلادَ النبىِّ محمدٍ وشَفَعْته باللّيـلة الغَرّاء
أحييتَ ليلك ساهرا فأفدْتنا قُوتَ القلوب بذلك الإحيـاء[2]
يأيُّها المَلِكُ الهُمامُ المُجتَبَى فاتتْ عُلاك مَدارِكَ العُقلاء
مَنْ لى بأن أُحْصِى مَنَاقِبك التى[3] ضاقتْ بهِن مَذاهِب الفُصَحاء[4]

(١) فى م : « الأنواء » .
(٢) فى هذا البيت تورية بكتابى : « قوت القلوب لأبى طالب المكى » و « الإحياء للغزالى » ، وكلاهما فى التصوف .
(٣) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « ... أحصى مدائحك التى » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « ظرفت بهن مدائح الفضلاء »

وإليكَ منى رَوْضـةً مَطْلُولةً أَرِجت أزاهرُها بطِيب ثَناء
فافْسحْ لها أكنافَ صَفْحِك إنها بِكْرٌ أتتْ تَمْشِى على اسْتحياء

ماأنشده فى مولد عام ثمانية وستين

قال : وأنشد من ذلك فى مولد عام ثمانية وستين ، وقد كان مولانا رضى الله عنه أَبَى أن يُرْسَل العِنان فى مدح مَقامِه ، مبالغة فى توقير جانب المصطفى صلى الله عليه وسلم و إعظامه ؛ فلهذا القصد الأدبىّ الكريم أتى من المدح[1] السلطانىّ [٢٦٥] فى آخرها الملتمح القريب ، واكتفى من القلادة بما أحاط بالتَّريب[2] ؛ ومَدَّ القولَ فى ذكر الرسول وعجائب مجده ، حسبما اقتضاه الاختيار من مولانا كافأ الله جميلَ قصده ، آمين :

هذا الصَّباحُ صَباحُ الشَّيب قد وضَحا سِرْعانَ ما كان ليلاً فاستنار ضُحَى
للدهر لَوْنان مِنْ نُور ومِنْ غَسَقٍ هذا يُعاقِب هـذا كُلَّما بَرِحا
وتلك صِبْغتُه أَعْدَى[3] بَنيه بها إذا تراخَى مَجال العُمر وانفسحا
ما يُنكِرُ المرء من نُورٍ جَلا غَسَقاً[4] ما لم يكن لِأَمانى النفس مُطَّرِحا
إذا رأيت بروقَ الشيب قد بسمت[5] بمَفرِقٍ فمُحيّا العيش قد كَلَحا
يَلقَى المشيبَ بإجلال وتَكْرِمَةٍ مَنْ قد أعدَّ من الأعمال ما صَلَحا
أمَّا ومِثْـلِىَ لم يَبرَحْ يُعَلِّله مِنَ النسيم عليـلٌ كلما نَفَحا
والبرقُ ما لاح فى الظَّلماء مُبْتَسِما من جانب السَّفح إلا دَمْعَه سَفحا
فما له برقيب الشيبِ من قِبَـلٍ من بعد مالامَ فى شأن الهوَى ولَحَا

(١) كذا فى م . وفى ط : « بالمدح » .
(٢) التريب واحد الترائب . وهى مايلى الترقوتين من عظام الصدر ؛ يشير إلى المثل المعروف : « يكفى من القلادة ماأحاط بالعنق » . والذى فى الأصلين : « بالترتيب » وهو تحريف .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « أهدى » .
(٤) الغسق : ظلمة أول الليل .
(٥) كذا فى م . وفى ط : « لمعت » .

يأبَى وَفائِىَ أن أُصْغِى للائمةٍ ... وأَنْ أُطيعَ عَذولى غَشّ أو نَصَحا
يَاهل نَجْدٍ سَقَى الوَسْمِىُّ رَبْعَكُمُ ... غيثاً يُنيلُ غليلَ التُّرْب ما اقترحا(١)
ما للفؤاد إذا هَبَّتْ يَمانِيَةٌ ... تُهديهِ أنفاسُها الأشجانَ والبُرَحا
يا حَبَّذَا نَسْمَةٌ مِنْ أرضكم نَفَحَتْ ... وحَبَّذَا رَبْرَبٌ مِنْ جَوِّكم سَنَحا
يا جِيرَةً تَعْرِف الأحياءُ جُودَهُمُ ... ما ضرَّ من ضَنَّ بالإحسان لوْ سَمَحا
ما شِمْتُ بارقةً من جوّ كاظمة(٢) ... إلا وَبِتُّ لِزَنْد الشوق مُقْتَدِحا
فى ذمّة اللهِ قلبى ما أُعَلِّله ... بالقُرْبِ إلا وعاد القُرب مُنْتَزَحا
كَمْ ليلةٍ والدُّجى راعتْ جوانبُها ... قَلْبَ الجبان فما ينفكّ مُطَّرِحا
سَرَيْتُها ونجومُ الأُفْق فيه طَفَتْ ... جواهراً وعُباب الليلِ قد طَفَحا
بسابحٍ أَهْتدِى ليلا بغُرَّتِهِ ... والبدرُ فى لُجَّةِ الظَّلماء قد سَبَحا
والسُّحْب تَنْثر دُرَّ الدمع مِنْ فَرَقٍ ... والجوّ يَخلَع من بَرْق الدُّجَى وُشُحا
ما طالَبَتْ هِمّتى دهرِى بمَعْلُوَةٍ(٣) ... إلَّا بلغتُ من الأيام مُقْتَرَحا
ولا أدَرتُ كُئوسَ العزم مُغْتَبِقاً ... إلا أَدَرْتُ كُئوس العز مُصْطَبِحا
هذا وكلّ الذى قد نِلْتُ من أمَلٍ ... مثلَ الخيال تراءى ثُمتَ انتَزَحا(٤) [٢٦٦]
كَمْ يَكدَحُ المرء لا يدرى مَنِيَّتَه ... أليسَ كلُّ امرئٍ يُجْزَى بما كَدَحا
وارْحَمْتَا لشبابى ضاع أطيبُه ... فما فَرِحت بهِ قدْ عادَ لى تَرَحا
أليسَ أيامُنا اللَّاتى سَلَفْن لنا ... منازِلاً أَعْمَلتْ فيها الخُطَا مَرَحا

(١) كذا فى م . وفى ط : « عيشا يمل غليل الثوب ما اقترحا » وهو تحريف .
(٢) كاظمة : موضع على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب . وقد أكثر الشعراء من ذكرها .
(٣) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٣٩) من هذا الجزء .
(٤) كذا فى م . وفى ط :
هذا وكل الذى أملت من أمل ... مثل الخيال تراه ثمت انتزحا

إنَّا إلى الله ، ما أولَى المتابَ بنا[1] لو أنّ قلبا إلى التوفيق قد جَنَحا
الحقُّ أبلجُ والمَنجاةُ عن كَثَبٍ والأمرُ لله والعُقْبَى لمن صَلَحَا
يا وَيحَ نفسٍ تَوَانت عَنْ مَراشدها وطرْفُها فى عِنان الغَىّ قد جَمَحا
ترجو الخلاصَ ولم تَنهجْ مسالكَها من باع رُشداً بغىّ قلّما رَبحا
يارَبِّ صفْحَكَ يَرْجو كلُّ مُقترفٍ فأنت أكرمُ مَنْ يعفو ومن صفحا
يارب لا سببٌ أرجو الخلاصَ به إلا الرسولَ ولطفاً منك إنْ نَفَحا
فما لجأتُ له فى دَفْعِ مُعضِلةٍ إلا وجدتُ جَنابَ اللُّطْفِ مُنْفَسِحا
ولا تضايقَ أمرٌ فاستجرتُ به إلا تَفَرّجَ باب الضِّيق وانفتحا
ياهَلْ تُبَلِّغُنى مَثواه ناجيةٌ تَطْوِى بىَ القَفْرَ مهما امتدَّ وانفسَحَا
حيثُ الرُّبوعُ بنورِ الوحْيِ آهلةٌ مَنْ حلَّها احتسبَ الآمالَ مُقْتَرَحا
حيثُ الرسالةُ تجلو من عَجائبها مِنَ الجَمال بِنُورِ الله مُتَّضحا[2]
حيثُ النبوةُ تتلو مِنْ غرائبها ذِكراً يغادرُ صَدْرَ الدين مُنْشرِحا
حيثُ الضريحُ بما قد ضمَّ من كرَمٍ قد بذَّ[3] فى الفَخْرِ مَن سادَ ومَنْ نجَحَا
يا حبَّذَا بَلدَةٌ كان النبىُّ بها يَلقَى الملائك فيها أيَّةً سَرَحا
يا دارَ هِجْرته يا أُفْقَ مَطْلعِه لى فيكِ بدرٌ بغير الفِكْرِ ما لمَحا
مِنْ هاشمٍ فى سماء العِزِّ مَطلعُه أكرِمْ به نسباً بالعزِّ مُتَّشِحا
مِنْ آلِ عَدْنان فى الأشرَافِ من مُضر مِنْ مَحْتِدٍ تطمَحُ العَلْياء إنْ طَمَحا
من عهدِ آدمَ ما زالت أوامرُهُ[4] تُسَام بالمجد[5] من آبائه الصرَحا

(١) فى ط : « بما » وفى م : « لنا » . والظاهر أن كلاهما محرف عما أثبتناه .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « تزين إجمال نور الله متضحا » . ولعل « تزين » محرفة عن : « تريك » أو كلمة بهذا المعنى .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « مر » وهو تحريف .
(٤) كذا فى الأصلين . ولعلها محرفة عن : « أواصره » أو كلمة بهذا المعنى .
(٥) تسام بالمجد : تعرف وتشتهر . من السومة وهى العلامة .

عنايةٌ سبقت قبلَ الوجود له ... والله لو وُوزنت بالكون ما رَجَحَا
يا مصطفى وَكمام الكون ما فُتِقَتْ ... يا مُجْتَبَى وَزناد النُّورِ ما قُدِحا
لولاكَ ما أشرقتْ شمسٌ ولا قَمَر ... لولاكَ ما راقتِ الأفلاكُ مُلتمَحا
صَدَعْتَ بالنُّور تجلو كلَّ داجيةٍ ... حتّى تَبَيَّنَ نَهْجُ الحقّ واتَّضحا
يا فاتحَ الرُّسْلِ أَوْ يا خَتْمَها شَرَفاً ... بُورِكْتَ مُخْتَتِمًا قُدِّسْتَ مُفْتَتِحا
دنوتَ للخلق[1] بالأَلطافِ تَمْنَحُها ... والقلبُ فى العالَمِ العُلْوِىّ ما بَرِحا [٢٦٧]
كالشَّمس فى الأُفُقِ الأَعْلى مجرَّتُها ... والنُّورُ منها إلى الأبصار قدْ وَضَحا
كَمْ آيةٍ لِرَسول الله مُعْجِزَةٍ ... تَكِلُّ عن مُنْتَهاها ألسنُ الفُصَحا
إنْ رُدَّتِ الشمسُ مِنْ بعد الغُروب لهُ ... قدْ ظَلَّلَتْهُ غمامُ الجَوّ حيثُ نَحا
يا نِعمةً عَظُمَتْ فى الخَلق مِنَّتُها ... ورَحمةً تَشْمَلُ الغادينَ والرَّوَحا[2]
اللهُ أعطاك ما لَمْ يُؤتِهِ أحدًا ... واللهُ أكرمُ مَنْ أعطى ومَنْ مَنَحا
حبيبُــه مُصطفاه مجتَباه وَفِى ... هذا بلاغٌ لِمَن حَلَّاكَ ممتدِحا
أَثْنى عليكَ كتابُ اللهِ مُمتدِحًا ... فأيْنَ يبلغ فى عَلْياكَ مَنْ مدَحَا
قد أَبْعدَتنِي ذُنوبى عَنْكَ يا أملِي ... فجُهْدِىَ اليومَ أَنْ أُهْدِى لكَ المدَحا
لَعلَّ رُحْماكَ والأقدارُ سابقــةٌ ... تُدْنِى مُحِبًّا بأقصى الغرب منْتَزِحا
نَفْسٌ شَعَاعٌ وقَلْبٌ خانَ أضْلُعَه ... مما يُعانِى من الأشواقِ قدْ بَرِحا
إذا البُروق أضاءتْ والغَمام هَمَتْ ... فَزَفْرَتِى أُذْكِيتْ أوْ مدْمَعِى سَفَحا
لِمْ لَا أَحِنُّ وهذا الجِذْعُ حَنَّ لهُ ... لما تباعَدَ عنْ لُقْياه وانتَزَحا
كَمْ ذا التَّعَلُّل والأيام تَمْطُلنى ... كأنَّها لم تجِد عن ذاك مُنْتَدَحا
ما أقدرَ اللهُ أن يُدْنِى على شَحَطٍ ... وأَنْ يُقَرِّب بَعد البَيْن مَنْ نزَحا

(١) فى م : « للحق » .
(٢) الروح (بتحريك الواو) : الرائحون . الواحد : رائح .

يا سيِّدَ الرُّسْل يا نِعْمَ الشفيعُ إذا ... طال الوقوفُ وحرُّ الشمس قد لفَحا
أنت المُشفَّع والأبصارُ شاخِصَة ... أنت الغياث وهوْلُ الخطْب قد فدَحا
حاشَى العُلا – وجميلُ الظّن يشفعُ لى – ... أَنْ يُخْفِقَ السَّعْىُ مِنِّى بعد ما نَجَحا
عَساك يا خيرَ مَنْ تُرْجَى وسائلُه ... تُنْجِى غريقاً ببحر الذنب قد سَبَحا
ما زال معترفاً بالذنب مُعْتَذِرا ... لعلَّ حُبَّك يَمحُو كل ما اجْترحا
عسى البشيرُ غَداةَ الرَّوْع يُسْمِعُنى ... بُشرَى تعودُ لِىَ البُؤسَى بها فرَحا
لا تَيأَسَنّ فإنّ اللهَ ذو كَرَمٍ ... وحُبُّكَ العاقبَ الماحى[1] الذنوبَ محا
صلَّى الإلٰه على المختـــارِ صفوتِهِ ... ما العارضُ انْهلَّ أو ما البارقُ الْتَمحا
وأيَّدَ اللهُ مولانا بعِصمتـــــه ... بأىِّ باب إلى العَليـاء قد فَتحا
وهَنَّأَ الدِّينَ والدنيـا على مَلِكٍ ... لسَعدِه الطائرُ الميمونُ قد سَنَحا
أنا الضَّمينُ لمكحولٍ بغُرَّتِه ... ألَّا تَرَى عينُـه بؤسًا ولا تَرَحا
مَوْلاىَ خُذْها كما شاءتْ بلاغتُها ... غرَّاء لم تَعْدَم الأَحْجال والقَزَحا
[٢٦٨] كأنّ سِرْب قوافيها إذا سَنَحَتْ ... طيرٌ على فَنَنِ الإحسان قد صَدَحا

ومن إعذارياته سنة أربع وستين وسبع مئة

قال : ومن إعذارياته المُحكمة نسْقاً وَرصْفاً ، المتناهيـة فى كل فَنّ حُسْنَ تَحْليةٍ غريبةٍ ووَصْفاً — حسْبما اقتضته ملاحظة النِّسبة الرفيعة لصنائع مولانا رحمة الله عليه ، واحتفاله المناسب لعزّ ملكه ، من تعميم الخلق بالجَفَلَى فى دَعواهم ، واستدعاء أشراف الأمم من أهل المغرب وسِواهم ؛ تفنُّناً فى مكارمَ مُتَعَدِّده ، آيامُها عن أصالة المجد مُعْرِبه ، وإغراءً لهِمَمِ المُلْك بما يُتَمِّم الأمنَ من أوضاع مُغْرِبه ؛ ومباهاةً بعَرْض الجيوش والكتائب للعدو الكافر ، ومكاثراً من مماليك دولته

(١) العاقب والماحى : من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وسمى عاقبا لمجيئه آخر الرسل ؛ وماحيا لأن الله يمحو به الكفر .

بالعدد الوافر ؛ مما ألجم اللَّسِنَ الذكىّ عِيًّا ، وغادر الإعذار الذَّنُونِىّ [١] مَنْسِيًّا ؛ كافأ اللهُ أُبوَّته المولوية عنا وعن آبائنا ، وتلقَّى بالقَبول الكفيلِ بتجديد الرِّضوان ما نصِل إليه من خالص دعائنا ؛ إنه مُنْعِم جَواد — قولُه فى الصَّنيع المختصّ من ذلك بمولانا الوالد قدس الله روحه ، وذلك سنة أربع وستين وسبع مِئة :

مَعاذَ الهَوى أن أصْحَب القَلْبَ سالياً ... وأن يَشغَل اللَّوّامُ بالعَذْل بالِيَا
دعانىَ أُعْطِ الحُبَّ فضلَ مَقادَتى ... ويَقضِى عَلَىَّ الوجدُ ما كان قاضيا
ودُونَ الذى رام العواذلُ صَبْوةٌ ... رَمَتْ بىَ فى شِعْب الغرام المَراميا
وقلبٌ إذا ما البَرْقُ أومضَ مَوْهِناً ... قَدَحْتُ به زَنْداً من الشَّوق وَاريا
خَليـــلىَّ إنّى يومَ طَارقةِ النَّوَى ... شَقِيتُ بمَنْ لو شاء أنعمَ باليا
وبالخَيْف يومَ النَّفْر يا أمَّ مالك ... تَخَلَّفتُ قَلْبِى فى حِبالكِ عانيا
وذى أُشُرٍ عَذْب الثَّنايا مُخَصَّرٍ ... يُسقِّى به ماء النعيم الأقاحيا
أحومُ عليـه مادَجا الليلُ ساهِرا ... وأصْبِحُ دُونَ الوِردِ ظمآنَ صاديا
يُضىء ظلامُ الليل ما بين أضلعِى ... إذا البارقُ النَّجدىُّ وَهْناً بدا ليا
أَجِيرَتَنا بالرَّمل والرملُ مَنزلٌ ... مَضَى العيشُ فيـه بالشبيبةِ حاليا
ولم أر رَبْعاً منـــه أقْضَى لُبَانَةً ... وأشجَى حَمَاماتٍ وأحْلَى مَجانيا
سَقَتْ ظِلَّه الغُرُّ الغوادِى ونَظَّمتْ ... من القَطْر فى جِيد الغُصون لآليا [٢٦٩]
أُبَشِّـكُمُ أنى على النَّأْى حافظ ... ذِمامَ الهَوَى لو تَحْفَظون ذِماميا
أناشِـدُكمْ والحُرُّ أوفَى بعهده ... ولن يَعدَمَ الإحسانُ والخيرُ جازيا

(١) الذنونى : نسبة إلى ابن ذنون (ابن دنون) وهو المأمون أحد ملوك الطوائف فى طليطلة من بنى ذى النون، وقد بلغوا فى البذخ والترف الغاية ، ولهم الإعذار المشهور الذى يقال له الإعذار الذنونى ، وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق .

هَلِ الوُدّ إلا ما تَحاماهُ كاشِح ... وأخفقَ فى مَسعاهُ مَن جاء واشيا
تأوَّبنى والليلُ يُذْكِى عُيونَه ... ويسحَب مِنْ ذيل الدُّجُنَّة ضافيا
وقد مَثَلَتْ زُهْرُ النجوم بأُفْقِه ... حَبابا على نَهْرِ المَجَرّة طافيا
خيالٌ على بُعْد المَزارِ أَلَمَّ بى ... فأذكرنى مَنْ لم أكُنْ عنه ساليا
عجِبتُ له كيفَ اهتدى نحو مَضْجَعِى ... ولم يُبْقِ منى السُّقمُ والشوقُ باقيا
رَفعتُ له نارَ الصَّبابة فاهتدى ... وخاض لها عرْض الدُّجُنَّة ساريا
وربَّما أجَدَّ الوجْدَ سِرْبٌ على النَّقَى ... سوانحُ يصْقُلْن الطُّلَى والتَّراقيا
نزَعْن عَنِ الألحاظ كلَّ مُسَدَّدٍ ... فغادرْن أفلاذ القلوب دَواميا
ولما تراءى السِّرْب قلتُ لصاحِبى ... وأيقنتُ أنَّ الحُبَّ ما عِشْتُ دائيا
حَذارِكَ من سُقْمِ الجُفُون فإنَّه ... سَيُعْدِى بما يُعْيى الطبيبَ المُداويا
وإن أميرَ المسلمين محمَّدا ... ليُعْدِى نَداه السَّارياتِ الهَواميا
تضىء النجومَ الزَّاهراتِ خِلالُه ... ويَنْفُثُ فى رُوْع الزَّمان المَعاليا
مَعالٍ إذا ما النجم صَوَّب طالباً ... مبالغَها فى العِز خُلِّفَ[1] وانيا
يسابق عُلْوِىَّ الرِّياح إلى النَّدَى ... وتَفْضح جَدْوَى راحتيه الغَواديا
ويُغْضِى عَنِ العَوراء إغضاءَ قادِرٍ ... ويَرْجُحُ فى الحِلم الجبالَ الرواسيا
هُمامٌ يَرُوع الأُسْدَ فى حَوْمة الوَغَى ... كما راعتِ الأُسْدُ الظِّباءَ الجَوازِيا[2]
مناقبُ تسمو للفَخار كأنّما ... تُجارى إلى المجد النجومَ الجَواريا
إذا اسْتَبَقَ الأملاكُ يوماً لغاية ... أبيتَ وذاكَ المجد إلا التَّناهيا
بهَرْتَ فأخفيتَ الملوكَ وذِكرَها ... ولا عَجَبٌ فالشمس تُخْفِى الدَّراريا
جَلَوْتَ ظلامَ الظُّلْم من كل مُعْتدٍ ... ولا غَرْوَ أن تَجْلو البدورُ الدياجيا

(١) فى نفح الطيب : « حلق » .
(٢) الجوازى أصله : الجوازئ (بالهمز) ، وسهل للشعر ؛ والجوازئ من الظباء التى تجزأ بالرطب عن الماء .

هَدَيتَ سبيلَ اللهِ مَنْ ضَلَّ رُشْدَه فلا زِلتَ مَهْدِيًا إليها وهادِيا
أَفدْتَ وحَتَّى المُلْكُ مما أفدتَهُ وطَوَّقت أشرافَ المُلوك الأياديا
وقد عرفَتْ منها مَرِينُ(١) سوابقا تُقِرُّ لها بالفضل أُخْرى الليالِيا
وكان أبو زَيَّانَ جِيدا مُعَطَّلا فزينتَه حتى اغتدى بك حَالِيا
لكَ الخيرُ لم تَقْصِد بما قد أَفدتَهُ جزاءً ولكن همةٌ هِيَ ماهيا [٢٧٠
فما تُكْبِرُ الأملاكُ غيرَك آمِراً ولا ترهَبُ الأشرافُ غيرَك ناهيا
ولا تشتكي الأيامُ مِنْ داء فِتْنةٍ فقد عرفَتْ منك الطبيبَ المُداويا
وأندلُساً أوليتَ ما أنتَ أهلُه وأوْردتَها وِرْداً من الأمن صافيا
تلافَيْتَ هذا الثَّغْرَ وهو على شَفَى وأصبحْتَ مِن داء الحوادث شافيا
ومِنْ بعد ما ساءتْ ظُنونٌ بأهلها وحامُوا على وِرْد الأمانى صواديا
فما يأمُلون العيش إلا تَعَلُّلا ولا يَعرفون الأمْن إلا أمانيا
عَطَفتَ على الأيّام عِطْفة راحم وألبستَها ثوبَ امتنانك ضافيا
فآنَسَ من تِلقائك المُلْكُ رُشدَه ونالَ بك الإسلامُ ما كان راجيا
وقفتَ على الإسلام نفساً كريمة تَصُدَّ عَدُوّا عَنْ حِماهُ وعاديا
فرأْيٌ كما انشقَّ الصباحُ وعَزْمَةٌ كما صقَلَ القَينُ الحُسامَ اليَمانيا
وكانتْ رِماح الخطِّ خُمْصًا ذَوَابِلا فأَنْهلتَ منها فى الدماء صَواديا
وأَوْرَدْتَ صَفْح السيف أبيضَ ناصعاً فأَصْدرته فى الرَّوْع أحمرَ قانيا
لك العزمُ تُسْتَجْلَى الخُطوبُ بهَدْيه ويُلْفَى إذا تنبو الصوارمُ ماضيا
إذا أنتَ لم تفخَر بما أنتَ أهلُه فما الصُّبحُ وضاحَ المشارقِ عاليا
ويَهْنيك دونَ العيد عيدٌ شَرَعْتَه تَبُثُّ به فى الخافِقَيْن التهانيا

(١) مرين : قبيلة معروفة ، وهى فرع زناتة من قبائل البربر .

أقمتَ به من فِطْرة الدين[1] سُنَّةً ... وجدَّدْتَ من رسْم الهداية عافيا
صَنيعٌ تَوَلَّى اللهُ تشييدَ فخرِه ... وكان لِمَا أَوْليتَ فيه مُجازيا
تَودُّ النجومُ الزُّهْر لو مَثَلَتْ به ... وقَضَّت من الزُّلْفَى إليك الأمانيا
وما زالَ وجه اليوم بالشمس مُشرِقا ... سُروراً به والليلُ بالشُّهْبِ حاليا
على مثلِه فلْيَعْقِدِ الفخرُ تاجَهُ ... ويسمو به فوقَ النجوم مَرَاقيا
به يَعْمُرُ الأَنْدَاءَ[2] كلُّ مُفوَّهٍ ... ويَحدو به من بات بالقَفْر ساريا
ويوسُف[3] فيه بالجَمال مُقَنَّعٌ ... كأن له مِنْ كلِّ قلْبٍ مُناجيا
وأقبلَ قَدْ شابَ الحياءُ مَهابةً ... يُقلِّبُ وجهَ البَدْر أَزْهَرَ باهيا
وأقدمَ لا هَيّابَةَ الحَفْلِ واجِما ... ولا قاصِراً فيه الخُطَا متَوانيا
شمائلُ فيه من أبيه وجَدِّه ... تَرى العزَّ فيها مُسْتَكِنًّا وباديا
فيا عَلَقا[4] أَشْجَى القلوب لوأننا ... فَديناكَ بالأعْلاق ما كنتَ غاليا
جَرَيتَ فأجريتَ الدُّموع تَعَطُّفاً ... وأطْلعتَ فيها للسرور فَوَاشيا
وكم مِنْ وَلِيٍّ دُونَ بابكَ مُخْلص ... يَفدِّيه بالنفْس النَّفيسة واقيا
وصِيدٍ من الحَيَّين أبناءِ قَيْلَةٍ ... تَكُفُّ العوادى[5] أو تُبيدُ الأعاديا [٢٧١]
بهاليلُ غُرٌّ إنْ أَعَدُّوا لغارة ... أعادُوا صَباح الحيّ أَظْلَمَ داجيا
فوالله لولا أَنْ تَوَخَّيْت سُنَّةً ... رضيتَ بها أَنْ كان ربك راضيا
لكانت بها للأعْوَجِيَّات[6] جَوْلَةٌ ... تُشيبُ مِنَ الغُلْبِ الشَّبابِ النواصيا

(١) فى م : « حظوة الدين » .
(٢) الأنداء (هنا) : الأندية . والذى فى نفح الطيب : « تغمر الأنواء » . وفيها تحريف ظاهر .
(٣) يوسف : هو ابن الغنى بالله ملك غرناطة الممدوح بهذه القصيدة .
(٤) العلق (بالتحريك) : الذى تتعلق به القلوب .
(٥) فى الأصلين وكل نسخ نفح الطيب : « تكف الأعادى » ولعله محرف عما أثبتناه .
(٦) الأعوجيات : نسبة إلى أعوج ، فرس كان لبنى هلال .

وتتركُ أوصالَ الوشيج مُقَصَّدًا ... وبيضَ الظُبى حُمْرَ المُتون دواميا
ولما قضى من سنّةِ الله ما قضى ... وقد حَسَدَتْ منه النجومُ المَساعيا
أفضْنا نُهَنِّى منكَ أكرمَ مُنْعِم ... أَبَى لعميم الجُودِ إلا تواليا
فيَهْنِى صِفاحَ الهِنْدِ والبأسَ والنّدَى ... وسُمْرَ العوالى والعِتاقَ المَذاكيا
ويَهْنِى البُنودَ الخافقاتِ فإنّها ... [سَيَعْقِدها فى ذِمّة النّصرِ غازيا
كأنّى به يَشْفِى الصَّوارمَ والظُّبَى ... ويَحْطِمَ فى لَأْمِ الضَّلال العواليا
كأنى به قد تُوِّجَ المُلْكَ يافعاً][1] ... وجَمَّعَ أشتاتَ المَكارمِ ناشيا
وقضَّى حُقوقَ الفخْرِ فى مَيْعة الصِّبا ... وأحسنَ من دَيْنِ الكمالِ التَّقاضيا
وما هوَ إلّا السَّعدُ ، إن رُمْتَ مَطْلَعا ... وسَدَّدْتَ سهماً كان رَبُّكَ راميا
فلا زِلتَ يا فخرَ[2] الخِلافة كافلا ... ولا زِلتَ يا خيرَ الأئمةِ كافيا
ودُمْتَ قَريرَ العَيْنِ منه بغِبْطَة ... وكان لهُ رَبُّ البريّة واقيا
نظمتُ لَهُ حُرَّ الكلام تمائما ... جعلتُ مكانَ الدُّرِّ فيها القوافيا
لآلٍ بها باهَى المُلوكَ نَفاسَةً ... وجَلَّت لَعمْرِى أن تكونَ لآليا
أرَى المالَ يَرْميهِ الجديدانِ بالبِلَى ... وما إنْ أرى إلا المَحامدَ باقيا

ومن شعره فى الصنيع المختص بالأميرين سعد ونصر

ثم قال : ومن ذلك ما أنْشَد فى الصَّنيع الثانى المختصّ بعمَّيْنا السَّيِّدين الأميرين سَعْدٍ ونَصْر ، رحمة الله عليهما ، وأجاد فى وصف الجُنْد والجُرْدِ والطَّلْبة[3] وغَرائبِ الأوضاع .

أ لِلَمْحَة[4] من بارق مُتَبسِّمِ ... أرسلتَه دَمْعًا تَضَرَّجَ بالدَّمِ[5]

(١) ما بين القوسين عن م .
(٢) كذا فى م ونفح الطيب وفى ط : « يا كهف » .
(٣) الطلبة : يعنى بها بعض آلات الحرب . (راجع معجم دوزى) .
(٤) فى نفح الطيب : « وللمحة » .
(٥) فى ط : « أمن الوميض البارق المتبسم * أرسلت دمعاً قد تضرج بالدم » وما أثبتناه عن نفح الطيب .

ولِنَفْحَةٍ تهفو ببـــانات اللِّوَى يهفو فؤادُك عنْ جَوانح مُغْرَم
هى عادة عُذْرية من يَوْم أَنْ خُلِق الهَوى تعتاد كلَّ متيَّم (١)
قد كنتُ أعذِل ذا الهوى من قبل أَنْ أدرِى الهوَى واليومَ أعذِل لُوَّمى
كَمْ زَفْرةٍ بَيْن الجَوانح ما ارْتقَتْ حَذَرَ الرَّقيبِ ومدْمعٍ لم يَسْجُم
إنْ كان واشِى الدَّمعِ قد كَتَم الهَوى هيهاتَ واشى السُّقم لَمّا يَكْتُم (٢)
[٢٧٢] ولقـد أَجَدَّ هَواىَ رَسْمٌ دارِسٌ قد كادَ يَخْفَى عن خَفِىّ تَوَهُّم
وذكرتُ عَهدًا فى حِماه قدِ انقضى فأطلتُ فيــه تردّدى وتلَوُّمى
ولَرُبَّما أَشْجَى فؤادى عنــده وَرْقاء تَنْفُثُ شَجْوَها بترنُّم
لا أَخْرَبَ اللهُ الطُّلولَ فطالما أشْجَى الفَصيحَ بها بُكاء الأَبكم
يا زاجرَ الأَظعان يَحْفِزُها السُّرَى قِفْ بى عليها وقْفَةَ المُتَلَوِّم
لِتَرَى دُموع العاشقين برسْمِها حُمْرًا كَحاشِيَةِ الرِّداء المُعْلم
دِمَنٌ عَهِدتُ بها الشَّبيبةَ والهَوى سَقْيًا لهــا ولعهدها المُتقدِّم
وكَتيبةٍ للشوْق قد جَهَّزْتُها أغزُو بها السُّلْوان غَزْوَ مُصَمِّم
ورَفَعْتُ فيها القلْب بَنْدًا خافقا وأريتُ للعُشَّــاق فَضْلَ تهُّم
فأنا الَّذى شابَ الحماسةَ بالهَوى لـكنَّ مَنْ أهْوَى مُضايقُ مقْدَمِى
فطُعِنْتُ مِنْ قَدِّ القَوام بأسمَرٍ ورُمِيتُ من غَنَج اللِّحاظ بأَسْهُم
يا قاتَلَ اللهُ الجُفون فإنهــا مَهْما رَمَتْ لم تُخْطِ شاكِلَةَ (٣) الرَّمى
ظَلَمَتْ قَتيلَ الحُبِّ ثم تَبيَّنَتْ للسُّقْم فيهــا فَتْرَةُ المُتَظَلِّم
يا ظَبيةً سَنَحَتْ بأكنافِ الحِمَى سُقِى الحِمَى صَوْبَ الغَمام المُسْجَم (٤)

(١) فى ط : « فى قلب » مكان قوله : « تعتاد » ، وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « هيهات واشى السقم لا يتكتم » .
(٣) الشاكلة : الناحية .
(٤) المسجم : المصبوب .

ما ضرَّ إذْ أرسَلْتِ نظرةَ فاتِكٍ أنْ لَوْ عَطَفتِ بنظرةِ المُتَرَحِّمِ
فرأيتِ جِسْمًا قدْ أُصيبَ فُؤادُه مِنْ مقْلتيكِ وأنتِ لَمْ تتأثَّمِى (١)
ولقد خشيتُ بأن يُقادَ بجُرْحِه فوَهَبْتُ لحظَكِ ما أحلَّكِ مِنْ دَمِى (٢)
كَمْ خُضْتُ دونَكِ مِنْ غِمارِ مَفازةٍ لا تَهتدِى فيها اللُّيوث لمَجْثِمِ
والنجمُ يَسرِى من دُجاه بأدْهَمٍ (٣) رَحْبِ المُقَلَّد بالثريا مُلْجَمِ
والبدرُ فى صَفْحِ السَّماء كأنَّه مِرْآةُ هِنْدٍ وسْطَ لُجٍّ تَرْتَمِى (٤)
والزُّهْرُ زَهْرٌ والسماء حديقةٌ فُتِقَتْ كمائمُ جُنْحِها عَنْ أنجمِ
والليل مُرْبَدُّ الجَوانح قد بَدا فيه الصباح كغُرَّةٍ فى أدْهَمِ
فكأنما فَلَقُ الصَّباح وقد بدا مَرْأَى ابنِ نصرٍ لاح للمُتَوَسِّمِ
مَلِكٌ أفاضَ على البَسيطة عَدْلَهُ فالشَّاةُ لا تَخشَى اعتداءَ الضَّيْغَمِ
هو مُنتهَى آمالِ كلِّ مُوفَّقٍ هو مَوْرِدُ الصادِى وكنزُ المُعْدِمِ
لاحتْ مَناقبُهُ كواكِبَ أسْعُدٍ فرأتْ مَلامحَ نورِه عينُ العَمِى
ولقد تراءى بأسُه وسَماحُه فأتى الجلالُ من الجمال بتَوْءَمِ
مِخْضَلُ الغَمام وقد تضاحك برقُه فأفاد بينَ تجهُّمٍ وتبسُّمِ
أنسَى سَماحةَ حاتِمٍ وكَفاكَ فى يوم اللقاءِ ربيعةَ بن مُكَدَّمِ (٥)
مِعْيارُه تَسيرُ النيراتُ بهَدْيِها وتُعيرُ عَرْفَ الرَّوْضِ طِيبَ تَنسُّمِ
فالبدرُ دُونَكَ فى عُلاً وإنارةٍ والبحرُ دُونَكَ فى ندًى وتكرُّمِ
ولكَ القِبابُ الحُمرُ تُرْفَعُ للنَّدى فتُرَى العمائمُ تحتها كالأنجمِ

(١) فى بعض نسخ نفح الطيب : « لم تتألمى » .
(٢) يقاد : من القود ، وهو القصاص . وأحلك : جعلك فى حل .
(٣) الأدهم : الأسود ، وهو من أوصاف الخيل ، كأن النجم ركب أدهم الليل .
(٤) شبه البدر بمرآة هند فى الصفاء . والعرب تضرب المثل فى الصفاء بمرآة الغريبة .
(٥) ربيعة بن مكدم : فارس جاهلى معروف .

يُذْكَى الكِباء بها كأنّ دُخانه ... قِطَعُ السحاب بجوِّها المُتغيِّم (١)
ولك العوالى السُّمْرُ تُشْرَع (٢) للعِدا ... فتخِرُّ صرْعَى لِلْيَدَين وللفم
ولك الأيادى البيضُ قد طَوَّقتَها ... صِيدَ الملوك ذوِى التِّلاد الأقدم
شِيَمٌ يُقِرُّ الحاسِدُون بفضْلِها ... والصُّبْح ليس ضِياؤُه بمُكتَّم
ورِثَ السَّماحةَ عن أبيه وجَدِّه ... فالأكرمُ ابن الأكرم ابن الأكرم
نَقلوا المَعالِىَ كابِراً عن كابِرٍ ... كالرُّمح مُطَّرِد الكُعوب مُقَوَّم
وتَسَنَّمُوا رُتَبَ العَلاء بحقِّها ... بأبٍ وجَدٍّ فى الخلافة وابْنِم (٣)
يا آل نصر أنتمُ سُرُجُ الهُدَى ... فى كل خَطْب قد تَجَهَّم مُظْلِم
الفاتحون لكل صَعْب مُقْفَلٍ ... والفارجون لكل خَطْبٍ مُبْهَم
والباسِمون إذا الكُماة عوابسٌ ... والمُقْدِمُون على السَّواد الأعظم
أبناء أنصارِ النبىِّ وحِزْبِه ... وذَوِى السوابق والجِوار الأعصَم (٤)
سَلْ عَنهُمُ أُحُدا وبَدْرا تُلْفِهِمْ ... أهلَ الفَناء بها وأهلَ المَغْنَم
وبفتح مكَّةَ كَمْ لَهُمْ فى يومه ... بِلواءِ خيرِ الخَلق من مُتَقدِّم
أقسمتُ بالحَرَم الأمين ومكَّةٍ ... والرُّكْنِ والبيْت العَتيق وزَمْزَم
لولا مآثِرُهم وفضلُ عُلاهُمُ ... ما كان يُعْزَى الفَضْلُ للمُتَقدِّم
ماذا عَسَى أُثْنِى وقد أثنتْ عَلَى ... عَلْيائهم آىُ الكِتاب المُحْكَم
ياوارثاً عنها مآثِرَها الَّتِى ... قَدْ شَيَّدَتْ للفخرِ أشرفَ مَعْلَم
يا فَخرَ أَندلُسٍ لقَدْ مَدَّتْ إلى ... عَلْياك كَفَّ اللائذِ المُسْتَعصم

(١) الكباء (ككساء) : عود البخور أو ضرب منه .
(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « ترفع » .
(٣) فى نفح الطيب : « ما بين جد فى الخلافة وابنم » .
(٤) الجوار الأعصم ، أى الممتنع على من يريده بأذى .

أما سُعُودُك فى الوَغَى فتكفَّلَتْ بسلامةِ الإسلامِ[1] فاخلُدْ واسْلَمِ
وافيتَ هـذا الثَّغرَ وهو على شَفَى فشَفَيْتَ مُعْضِلَ دائِهِ المُستحكِمِ
ورَعَيْتَهُ بسياسةٍ دارتْ على مُحْتَطِّهِ دَوْرَ السِّوارِ بِمِعْصَمِ
كم لَيـلةٍ قد بِتَّ فيها ساهِراً تُهْدِى الأمانَ إلى العُيون النُّوَّمِ
يا مَظْهَرَ الألطافِ وهْىَ خَفِيَّةٌ ومَهَبَّ ريحِ النَّصرِ للمُتَنَسِّمِ
تِلْكَ دَوْلَتُك الَّتِى آثارُها سِـيَرُ الرِّكاب لمُنجِدٍ أَوْ مُتْهِمِ
ما بعْدَ يومك فى المواسِمِ بعد ما أتبعتَ عيدَ الفطرِ أكرَمَ مَوْسِمِ
وافتك أشرافُ البـلاد بيومِه من كلِّ نَدْب للعُـلا مُتَسَنِّمِ
صَرَفوا إليكَ رِكابَهُمْ وتَيَمَّموا من بابك المُنْتابِ خـيرَ مُيَمَّمِ
وتَبوَّءوا منـــه بدار كرامة فالـكُلُّ بين مُقَرَّب ومُنَعَّمِ
ودَّتْ نُجومُ الأُفْقِ لو مَثَلَتْ به لتَفُوز فيـــه برُتبة المُستَخْدَمِ
والروضُ مُختالٌ بِحُلَّةِ سُـنْدسٍ من كل مَوْشِىِّ الرُّقوم مُنَمْنَمِ
ورياحُه نَسَمَتْ بنَشْرِ لَطِيمةٍ[2] وأَقاحُه بَسَمَتْ بثغرٍ مُتْلَمِ[3]
وأَرَيْتَنَا فيـــهِ عجائبَ جَمَّةً لم تَجْرِ فى خَـــلَدٍ ولم تَتَوَهَّمِ
أَرْسَلْتَ سَرْعان الجياد كأنَّها أسْرابُ طَـيْرٍ فى التَّنُوفة حُوَّمِ[4]
مِنْ كلِّ مُنْحَفِرٍ بخَطْفةِ بارقٍ قـد كادَ يَسبِق لَمْحَةَ المُتَوَهِّمِ[5]

(١) فى م : « بسلامة الأملاك » .
(٢) اللطيمة : الطيب ، أو وعاء المسك ؛ وتطلق اللطيمة أيضاً على سوق المسك والعير التى تحمله .
(٣) فى الأصلين وبعض نسخ نفح الطيب «مسلم» . وفى النسخة الخطية (رقم ٣٦٠) من نفح الطيب : « ملثم » . وظاهر أن كلا اللفظين محرف عما أثبتناه . والمثلم : المفلج الأسنان .
(٤) سرعان الجياد : أوائلها . والتنوفة : المفازة ، وهى الأرض البعيدة الواسعة الأطراف .
(٥) فى ط : «منحرف» . ولا معنى له هنا وما أثبتناه عن النسخة المطبوعة من نفح الطيب .

طِرْفٍ يَشُكُ الطَّرْفُ فى اشتباته فكأنَّهُ ظَنٌّ بصَدْرِ مُرَجَّمِ
ومُسافرٍ فى الجو تَحسِب أنَّه يَرقَى إلى أَوْجِ السّماء بسُلَّمِ
رامَ اسْتِراقَ السَّمع وهو مُمَنَّع فأُصِيب من قُضُب العِصِىِّ بأسْهم
رَجَمته مِنْ شُهُب النِّصال حواصب[1] لولا تَعرُّضه لها لم يُرجَم
ومُدَارة الأفلاك أعجزَ كُنْهُها إبداعَ كلّ مهندسٍ ومُهَنْدِم
يَمْشِى الرجالُ بجوْفِها وجميعُهم عن مُسْتَوَى قَدَمَيْه لم يتقدَّم
ومُنَوَّع الحركات قد ركِب الهوا يمشِى على خَطٍّ به مُتوهَّم
فإذا هَوَى مِنْ جَوّه ثم اسْتَوَى أبصرتَ طيْرا حَلَّ[2] صُورةَ آدمى
يَمْشِى على فَنَن الرِّشاء كأنَّهُ فيه مُسَاوِرُ ذابلٍ أو أرقم
وإليك من صَوب العُقول عقيلةً وقفَتْ ببابك وقفةَ المُسْتَرْحِم
تَرجو قبولَك وهو أعظم مِنْحةٍ فاسمحْ به خُلِّدت مِنْ مُتَكَرِّم
طاردتُ فيها وصفَ كلّ غريبة فنظمتُ شاردهُ الذى لم يُنْظَم
ودَعَوْتُ أربابَ البيان أُرِيهِم «كمْ غادر الشعراء مِنْ مُتَرَدَّم»[3]
ما ذاكَ إلا بعضُ أنعُمِك التّى قد علّمْتنَا كيفَ شُكرُ المُنعم

ومنه فى صنيع الأمير أبى عبد الله

ثم قال : وأَنْشَدَ مِن ذلك فى الصَّنيع المخصوص بعمِّنا الأمير أبى عبد الله رحمة الله تعالى عليه ، وأَطْنبَ فى وصف دار المُلْك وغير ذلك من ضخامة آثار مولانا الجدّ رضى الله عنه :

سَلِ الأُفْق بالزُّهْرِ الكواكبِ حاليَا فإنّىَ قد أودعتُه شَرح حالِيَا

(١) كذا فى النسخة الخطية (رقم ٣٥٩) من نفح الطيب . وفى الأصلين وسائر نسخ نفح الطيب : « قواضب » . وما أثبتناه أولى بالسياق .
(٢) فى نفح الطيب : « حول » .
(٣) هذا صدر مطولة عنترة المشهورة .

وحَمَّلتُ مُعْتَلَّ النَّسيمِ أمانةً ... قَطَعتُ بها عُمْرَ الزمانِ أمانيَا
فيا من رَأَى الأرواحَ وهْىَ ضعيفة ... أُجِمِّلها ما يَسْتَخِفُّ الرواسيا
وسَاوِسُ كَمْ جَدَّتْ وجَدَّ بى الهَوَى ... فَعُدَّ بِهَا القلبُ المقَلَّبُ هازِيا
ومَنْ يُطِعِ الأَلْحاظَ فى شِرْعَةِ الهَوى ... فلا بُدَّ أنْ يَعْصِى نَصيحاً ولاحِيا
عَدَلْتُ بقَلْبِى عن وِلايةِ حُكْمِه ... غَداةَ ارْتَضَى من جائرِ اللَّحْظِ والِيا
وما الحُبُّ إلّا نظرةٌ تبعثُ الهوى ... وتُعْقِبُ ما يُعْيِى الطبيبَ المُداويا
فيا عجبًا للعَيْنِ تمشِى طَليقةً ... ويُصْبِحُ مِنْ جَرَّائها القلبُ عانيا
أَلَا فى سبيلِ اللهِ نفسٌ نَفيسة ... يُرَخِّصُ منها الحُبُّ ما كانَ غاليا
ويا رُبَّ عَهْدٍ للشَّباب قَضَيْتُهُ ... وأحْسنتُ مِن دَيْنِ الوِصالِ التَّقاضيا
خَلَوْتُ بمَنْ أَهْواه من غَيْرِ رِقْبة ... ولكن عَفافِى لم أكُنْ عَنهُ خاليا
ويومٍ بمُسْتَنِّ الظِّباء شَهِدْتُه ... أَجَدَّ وِصالاً بالِيًا فيه بالِيا[1]
ولم أصْحُ من خَمْرِ اللِّحاظ وقد غَدا ... بِهِ الجوّ وضَّاحَ الأَسِرَّة ضاحيا
وجَرَّد من غِمْدِ الغَمامة صارما ... من البَرْق مَصْقولَ الصَّفيح يَمانيا[2]
تبسّم فاسْتَبْكَى جُفونِىَ عَبْرَةً[3] ... مَلأْتُ بذُرِّ الدَّمع منها رِدائيا
وأَذْكَرَنِى ثَغْرًا ظَمِئْتُ لِوِرْدِه ... ولا والهوَى العُذْرِىِّ ما كنتُ ناسيا
وراح [خَفُوق[4]] القَلْبِ مِثْلى كأَنَّما ... بِبَرْق الحِمَى من لَوْعة الحُب مابيا
وليلةَ باتَ البدرُ فيها مُضاجعى ... وباتت عُيون الشُّهْبِ نَحوِى رَوَانيا
كرَعَت بها بين العُذَيب وبارقٍ ... بمَوْرد ثَغْرٍ باتَ بالثُّر حاليا

(١) مستن الظباء : مكان عدوها . وأجد : أحدث وجدد .
(٢) فى نفح الطيب : « مصقول الصفيحة صافيا » . وفى م . « مصقول الصفاح » .
(٣) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « غمرة » .
(٤) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

رَشَفْتُ بها شَهْدَ الرُّضابِ سُلافَةً ... وقَبَّلْتُ فى ماءِ النَّعيمِ الأقاحيا
فيا بَرْدَ ذاكَ الثَّغْرِ رَوَّيتَ غُلَّتِى ... ويا حَرَّ أنفاسِى أَذَبْتَ فؤاديا
وروضةِ حُسْنٍ للشَّباب نَضيرة ... هَصَرْت بغُصْنِ البانِ فيها المَجانيا
وقد بتُّ أسقِى وَرْدَةَ الخَدِّ أدمُعِى ... فأَصْبَح فيها نَرْجِسُ اللَّحظ ذاويا
ومالتْ بقلبِى مائلاتُ قُدودِها ... فما للقُدود المائلاتِ ومالِيا
جزَى اللهُ ذاكَ العهدَ عَوْدًا فطالما ... أعادَ على رَبْعِ الظِّباء الجوازيا(١)
وقُلْ لِلَيالٍ فى الشباب نَعِمْتُها ... وقَضَّيتها أُنسا سُقِيتِ لَيالِيا
ويا وَادِياً رَفَّت علىَّ ظِلالُه ... ونحنُ نُديرُ الوَصلَ فُدِّيتَ وادِيا
رَمَيْتِنِى عُيونُ السِّرب فيهِ وإنما ... رَمَيْن بقلْبِى فى الغِرام المَراميا(٢)
فلولا اعتصامى بالأمير محمدٍ(٣) ... لما كنتُ مِنْ فَتْك اللواحظ ناجيا
فقلْ للَّذى يَبْنِى عَلَى الحُسْن شِعْره ... عليه مع الإحسان لا زِلْتَ بانيا
فكَمْ من شَكاةٍ فى الهَوَى قد رَفَأْتَها ... ورقَّعتها بالمدح إذ جاء تاليا
وكَمْ ليلةٍ فى مدحه قد سَهِرْتُها ... أُباهِى بِدُرِّ النظم فيه الدَّرَارِيا
ولاحَ عمودُ الصُّبْحِ مثلَ انتسابِه ... رَفَعْتُ عليه للمديحِ المبانيا
إمامٌ أفادَ المكْرُمَاتِ زَمَانَهُ ... وشاد له فوق النجوم المعاليا
وجاوز قَدْرَ البَدْرِ نُورًا ورِفعةً ... ولم يَرْضَ إلا بالكمال مُوالِيا
هو الشمس بَثَّتْ فى البَسيطة نَفْعها ... وأنوارُها أَبْدَتْ(٤) قريبا وقاصيا
هو البحرُ بالإحسانِ يَزْخَرُ مَوْجُه ... ولَكِنَّه عذْبٌ لِمَنْ جاء عافيا

(١) الجوازى : جمع جازية ، وهى الجزاء ، يريد بها النعمة والسيقا ونحوها .
(٢) فى م : « المراسيا » .
(٣) فى م : « الإمام محمد » .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « أمدت » . وفى نفح الطيب : « أهدت » . وكلاهما تحريف .

هو الغيث مهما[1] يُمْسِكِ الغيثُ سُحْبه ... يُرَوِّى بسُحْب الجود من كان صاديَا
شمائلُ لو أنَّ الرياض بحسنها ... لَمَا صارَ فيها زَهرُها الغَضُّ ذاويا
فيا بن الملوك الصِّيد من آلِ خَزْرَجٍ ... وذا نسَبٍ كالصُّبح عَزَّ مُسَامِيا
ألَسْتَ الَّذى تَرْجُو العُفاةُ نَوَالَه ... فَتُخْجِلَ جـدواهُ السَّحابَ الغواديا
ألَسْتَ الذى تخشَى البُغاةُ صِياله ... فتُـــنْزِلَ عَلياهُ الصعابَ العواديا[2]
وهَدْيُكَ مَهْمَا ضَلَّتِ الشُّهْبُ قصدَها ... تولَّتْه فى جُنح الدُّجُنَّـــة هادِيا
[وعزمُكَ أمضَى من حُسامِك فى الوغَى ... وإن كان مصقولَ الغِرارين ماضيا][3]
فكَمْ قادحٍ فى الدِّين يَكْفرُ ربَّه ... قَدَحْتَ لَهُ زَند الحفيظة واريا
وما راعـــه إلا حُسامٌ وعَزْمة ... يُضيئان فى ليل الخطوب الدَّواجيا
فلولاك يا شمس الخلافـــة لم يَبِنْ ... سبيلُ جِهادٍ كان من قبلُ خافيا
ولولاكَ لم تُرْفَع سَمَاءُ عَجاجـــةٍ ... تَلُوح بهـــا بِيضُ النُّصُول دَرَارِيا
ولولاكَ لم تُنهَلْ غُصُونٌ من القَنا ... وكانت إلى وِرْد الدِّماء صـــواديا
فأثمرَ فيها النَّصْلُ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[4] ... فأجْـــنَى قِطاف الفَتح غَضًّا ودانيا
ومَهْما غَدَا سَـــفَّاحُ سَيْفِك غَاريا ... يُغادِرُ وجْـهَ الأرض بالدَّم كاسيا
قَضَى اللهُ مِنْ فوق السَّمَوات أنه ... على من أَبَى الإسلامَ فى الأرض قاضيا
فكَمْ مَعْقِلٍ للكفر[5] صَبَّحتَ أهله ... بجيشٍ أعاد الصُّبْحَ أظلَمَ داجيا
رَقِيتَ إليـه والسُّيُوفُ مُشِيحةٌ ... وَقَدْ بَلغَتْ فيه النفوسُ التَّراقيا

(١) فى ط ونفح الطيب : « يهمى » وهو تحريف من الناسخ .
(٢) فى نفح الطيب : « فتوجل علياه الصعاب »
(٣) هذا البيت عن نفح الطيب .
(٤) فى م : « موردا » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « فكم معقل فى الأرض » .

ففتّحتْ مَرْقاةَ المنعِ عَنْـــوَةً وبات به التّوحيـــدُ يعْلو مُنادِيَا
[٢٧٧] وناقوسُه بالقسْر[١] أمسَى مُعَطَّلا ومِنْبَرُه بالذِّكر أصْـــبحَ حاليا
عجائب لم تخطُرْ ببال وإنما ظَفِرْنا بها عن هِمَّةٍ هى ماهِيَا
فمِنكَ استفادَ الدهرُ كلَّ عَجيبة يباهى بها الأملاكَ أُخْرى لَيالِيا
وعنك يُرَوِّى النَّاسُ كُلَّ غَريبَةٍ تخُطُّ على صَفْحِ الزمانِ أَماليا
ولله مَبناكَ الجميـــلُ فإنّهُ يَفوقُ عَلَى حُكْمِ السُّعُود المَبانيا
فَكَمْ فيه للأبصارِ مِنَ مُتَنَزَّهٍ تُجِدُّ به نَفْسُ الحليم الأمانيا
وتَهْوَى النجومُ الزُّهْرُ لَوْ ثَبتَتْ به ولم تَكُ فى أُفْقِ السَّماءِ جَواريا
ولو مثَلَتْ فى ساحتيه[٢] لَسَابَقَتْ إلى خِدْمة تُرْضيك منها الجواريا
به البَهْوُ قد حاز البَهاءَ وقد غدَا به القَصْرُ آفاقَ السَّماء مُباهيا
وكَمْ حُلَّةٍ جَلَّلتَـــهُ بحُليِّها من الوَشْى تُنسى السّابِرِىَّ[٣] اليمانيا
وكم من قِسِىٍّ فى ذَراه ترَفَّعتْ على عَمَدٍ بالنُّور باتت حَوَاليا
فتحسبها الأفلاكَ دَارتْ قِسِيُّهَا تُظِلّ عمودَ الصُّبح إذ لاح[٤] باديا
سَوارِىَ قد جاءت بكل غريبة فطارت بها الأمثالُ تجرى سواريا
به المرمرُ المَجلوُّ قد شَفَّ نُورُه فيجلو من الظَّلْماء ما كانَ داجيا
إذا ما أضاءتْ بالشُّعاع تخالُها على عِظَم الأجرامِ منها لآليا
به البحرُ دَفَّاع العُباب تخالُهُ إذا ما انبرَى وَفْد النَّسيم مُباريا

(١) فى م ، ط : « بالقس » وهو تحريف من الناسخ . وما أثبتناه عن نفح الطيب المخطوط (رقم ٣٥٩) .
(٢) فى نفح الطيب : « فى سابقيه » .
(٣) السابرى : ثوب رقيق جيد .
(٤) فى نفح الطيب : « بات » .

إذا ماجَلَتْ أيدى الصَّبا صَفْح مَتْنه أرتْنا دُرُوعًا أُكسِبَتْنَا الأيادِيَا(١)
ورَاقصةٍ فى البحْرِ طَوْعَ عِنانها تراجِعُ ألحانَ القِيان الغوانيا(٢)
إذا ماعلَتْ فى الجَوّ ثم تحدَّرت تُحَلِّى بمُرْفَضِّ الجُمانِ النواحيا
يَذوبُ لُجَيْنٌ سَالَ بين جواهرٍ غدَا مثلَها فى الحُسْن أبيضَ صافيا
تَشابه جارٍ للعُـــيونِ بجامدٍ فلم أدرِ أيًّا منهما كانَ جاريا
فإنْ شِئْتَ تشبيهاً له عَنْ حَقِيقةٍ تُصِيبُ بها المَرْمَى وبُورِكْتَ راميا
فقُلْ أرْقصَتْ منها البُحَيْرَةُ بِنْتَها(٣) كما يُرْقِصُ المولودَ مَنْ كانَ لاهيا
أرتْنا طِباعَ الجُودِ وهى وليدة ولَمْ ترضَ فى الإحسان إلاّ تَغَالِيا
سقَتْ ثَغْرَ زَهْرِ الرَّوْضِ عَذْبَ بَرُودِها وقامتْ لكى تُهْدِى إلى الزَّهْرِ(٤) ساقيا
كأنْ قَدْ رأتْ نهرَ المَجَرَّة نَاضِباً فَرامتْ بأن تُجْرِى إليه السَّواقيا
وَقامت بناتُ الدَّوْحِ فيه مَوائلا فُرَادَى ويتلو بعضُهن مثَانِيا [٢٧٨]
رَوَاضعَ فى حِجْرِ الغمام تَرَعْرَعَتْ وشَبَّت فشبَّت(٥) حُبُّها فى فؤادِيا
بها كلُّ ملْتَفّ الغدائر مُسْبَل تُجيلُ به أيدِى النَّسيم مَدَارِيا(٦)
وأَشْرفَ جيدُ الغُصْن فيها معَطَّلاً فَقَلَّدَتِ النَّوَّارَ منـــهُ التَّراقيا
إذا ما تَحَلَّتْ دُرَّ زهْرِ غُروسه(٧) يَبيت لها النّمام بالطِّيب واشيا

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « أرتنا الدرارى واكتسبنا ... » الخ .
(٢) فى نفح الطيب المطبوع : « الأغانيا » . وفى المخطوطتين منه : « المغانيا » .
(٣) فى نفح الطيب المطبوع والمخطوطتين : « منها » .
(٤) فى نفح الطيب المطبوع : « الدهر » . وهو تحريف .
(٥) شبت : أشعلت وأوقدت .
(٦) المدارى : جمع مدرى ، وهو المشط .
(٧) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « إذا ما أقلت در ثغر بروده »

مُصارَفَةُ النَّقْدَيْنِ فيها بمِثْلها أجازَ بها قاضى الجمالِ التَّقاضيا[1]
فإنْ ملأَتْ كَفَّ النسيمِ مَعَ الضُّحَى[2] دَرَاهِمَ نَوْرٍ ظَلَّ عنها مكافِيا
فَيملأُ حِجْرَ الرَّوض حَوْلَ غصونها دنانيرَ شَمْس تتركُ الرَّوضَ حاليا
تُغَرِّدُ[3] فى أفنانها الطَّيْرُ كُلَّما تَجُسُّ به أيدِى القِيانِ المَلاهيا
تُراجِعُها سَجْعاً فتَحْسِب أنَّهـا بأصْواتها تُمْلِى عليها الأغانيا
فلم نَدْرِ[4] رَوْضاً منه أنمَ نَضْرَةً وأعطَرَ أرجاءً وأَحْلَى مجانيا
ولم نَرَ قَصْراً منه أعلى مَظاهِرا وأَرْفَعَ آفاقاً[5] وأفْسَحَ نادِيا
مَعَانِيَ من نَفْسِ الكمالِ انْتَقَيْتَها وزِيِّنْتَ منها بالجمـــالِ المَغانيا
وفاتَحْتَ مَبْناهُ بِعِيدٍ شَرَعْتَـهُ تَبُثُّ به فى الخافقَيْنِ التهانيا[6]
ولما دَعَوْتَ النـاسَ نحوَ صَنِيعِهِ أجابُوا لَهُ مِنْ جانبِ الغَورِ[7] دَاعِيا
وأَمُّوهُ مِنْ أقصى البلادِ تَقَرُّبا وما زالَ مِنْكَ السَّعْدُ يُدْنِى الأَقاصِيا
وأَذْكَرْتَ يومَ العَرْضِ جُوداً ومَنْعَةً بمَوْقِفِ عَرْضٍ كنتَ فيه المُجَازِيا
جَزَيْتَ به كُلاًّ عَلَى حالِ سَعْيِهِ فما غَرَسَتْ يُمْناهُ أَصْبَحَ جانِيا
وأَطْلَعْتَ مِنْ جَزْلِ الْوَقُودِ هَوَادِجًا تذكِّرُ يومَ النَّفْرِ مَنْ كانَ ساهِيا
وحِينَ غَدَا يُذْكَى بِبَابِكَ[8] للقِرَى فلا غرو أنْ أجْرِيتَ فيه المَذَاكِيا[9]

(١) فى نفح الطيب : « أجاز بها النقدين منها كما هيا » .
(٢) فى نفح الطيب : « بمثلها » مكان قوله : « مع الضحى » .
(٣) فى نفح الطيب : « تعود » .
(٤) فى ط : « فلم نر » وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٥) فى ط : « وأوضح إبانا » مكان قوله : « وأرفع آفاقا » ولا معنى له ، والتصويب عن نفح الطيب .
(٦) فى الأصلين : « التناهيا » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٧) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « الفوز » .
(٨) كذا فى م . وفى ط : « يذكى المناثر » . وفى نفح الطيب : « يذكى مناثر » .
(٩) المذاكى من الخيل : التى أتى عليها بعد اكتمال قوتها سنة أو سنتان .

وطامحةٍ فى الجوِّ غيرِ مُطالةٍ ... يَرُدُّ مَدَاها الطَّرْفَ أحْسَرَ عانيَا
تَمُدُّ لها الجَوْزَاءُ كفَّ مُصَافِحٍ (١) ... ويَدْنو لهـا بدرُ السماءِ مُناجيا
ولا عَجَبٌ أَنْ فاتتِ الشُّهْبَ بالعُلَا ... وأَنْ جَاوَزَتْ منها المَدَى المُتَناهيا
فَبَيْنَ يَدَىْ مَثْوَاكَ قامت لخدمةٍ ... ومَنْ خَدَمَ الأعْلى استفادَ المَعاليا
وشاهِدُ ذَا أنِّى بِبَابِكَ وَاقِفٌ ... وقد حَسَدَتْ زُهْرُ النُّجوم مكانِيا
وقد أُرْضِعَتْ ثَدْىَ الغمائم (٢) قبلَها ... بحِجْرِ رِياضٍ كُنَّ فيـه نواشِيا
فلما أُبِينَتْ عَنْ قَرارةِ أَصْلِها ... أَرَادَتْ إلى مَرْقَى الغَمامِ تَعاليا
وَعَدَّتْ لِقَاءَ السُّحْبِ عِيداً ومَوْسِمًا ... لِذَاكَ اغْتَدَتْ بالزَّمْرِ تُلْهِى الغوَادِيا [٢٧٩]
فأَضْحَكتِ الْبَرْقَ الطَّرُوبَ خِلَالَهَا ... وباتَ لأْكواس (٣) الدَّرَارِى مُعَاطِيا
رأتْ نفسَها طالت فظنّت بأنَّها ... تَفوتُ عَلَى رَغْمِ اللَّحَاقِ المَرَاميا
فخفَّتْ إليها الذَّابلاتُ (٤) كأنها ... طُيورٌ إلى وَكْرٍ أطَلْنَ تَهاويا
حَكَتْ شَبَهًا للنَّحْلِ والنَّحْلُ حَوْلَهُ ... عَصِيٌّ إلى مَثْوَاهُ تَهْوِى عَوَاليا
فمِنْ مُثْبِتٍ منها الرَّمِيَّةَ مُدْرِكٍ ... ومِنْ طائِشٍ فى الجَوِّ حلّقَ وَانيا
وحِصْنٍ مَنيعٍ فى ذَرَاه قد ارْتَقَى ... فأَبْعَدَ فى الجوِّ الفضاءِ المَرَاقِيا
كأنَّ بُرُوجَ الأُفقِ غارَتْ وقد رأت ... بُروجَ قُصورٍ شِدْتَهُنَّ سَوَاميا
فأنْشَأْتَ بُرْجًا صاعِداً مُتَـنزِّلا ... يكونُ رسولًا بينهنَّ مُدَاريا
تَطَوَّرَ حالاتٍ أَتَى فى ضُروبها ... بأنواعِ حَـلْى تَسْتَفِزُّ الغَوانيا

(١) فى نفح الطيب : « مسارع » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « المفاخر » . وما أثبتناه أولى بالسياق .
(٣) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط . والذى فى ط : « باتت » . ولم يسمع : « أكواس » جمعا لكأس . وإنما المسموع : « أكؤس وكئوس وكئاس » .
(٤) يريد بالذابلات « النيازك » وهى الرماح . والذى فى نفح الطيب : « الزائلات » .

فَحِجْلٌ برِجْليها ، وشاحٌ بخَصْرِها ... وتاجٌ إذا[1] ما حلَّ منها الأعاليَا
وما هُوَ إلا طَيرُ سَعْدٍ بذِرْوَةٍ ... غَدَا زاجِرًا من أَشْهَبِ الصُّبْحِ بازِيا
أمولاىَ يا فخرَ الملوكِ ومَنْ به ... سَيبلُغُ دينُ اللهِ ما كان راجِيا
بَنُوكَ على حكمِ السَّعادة خمسةٌ ... وذا عَدَدٌ للعَيْنِ ما زال واقيا
تَبيتُ لهمْ كَفُّ الثريَّا مُعيذةً ... ويصبحُ مُعْتلُّ النَّسيمِ رَوَاقيا[2]
أسامٍ عليها للسعادةِ مِيسَمٌ ... تَرَى العِزَّ فيها مُسْتَكِنًّا وباديا
جعلْتَ أبا الحجَّاج فاتحَ طِرْسِهِمْ ... وقد عرَفتْ منك الفُتوحُ التّواليا
وحَسْبُك سَعْدٌ ثم نصر يَليهمُ ... مُحمّدٌ الأرْضَى فما زِلتَ رَاضِيا
أقمت بِهِ مِنْ فِطْرَةِ الدِّينِ سُنَّةً ... وجَدَّدْتَ مِنْ رسْمِ الهداية عافيا
وجاءوا به مِلْءَ العُيونِ وَسامةً ... يُقلِّبُ وَجْهَ البَدْرِ أَزْهرَ باهِيا
فيا عاذلا ما كانَ أَجْرأَ مِثْلَهُ ... فمِثلك لا يُدْمِى الأسودَ الضّواريا[3]
وجاءتْكَ مِن مِصْرَ التَّحايا كرائمًا ... كما فتَقَتْ أيدِى التِّجَارِ الغَواليا
ووافَتْكَ من أرض الحجاز تَميمةٌ ... تُتَمِّمُ صُنْعَ اللهِ لا زالَ باديا
ونَادَاكَ بالتَّهْويل سُلْطانُ طَيْبَةٍ ... فيا طِيبَ ما أهدَى إليكَ مُناديا
وقامَ وقد وافَى ضريحَ مُحَمَّدٍ ... لِسلطانِك الأعلى هُنالك داعِيا
سَرِيرَتُكَ الرَّحْمَى جَزاكَ بسعْيِها ... إلهٌ يُوَفِّى فِى الجزاء المَساعِيا
فواللهِ لولا سُنَّةٌ نَبَوِيَّةٌ ... عَهِدْناهُ مَهْدِيًّا إليها وهاديا
وعُذْرٌ مِنَ الإعذار قرَّرَ حُكْمَهُ ... من الشَّرْعِ أخبارٌ رُفِعْنَ عواليا

---

(١) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « إلى » .
(٢) فى م : « ويصبح معتل النواسم راقيا » .
(٣) فى ط : « فياغادراً . . . * فمثلك لايرمى . . . الخ . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

لَراعَتْ بهاللِحَرْب[1] أهوالُ مَوْقِفٍ تُشِيبُ بمُبيضِّ النُّصول العَواليَا [٢٨٠]
لكَ الحمدُ فيه من صَنيع تُعِدُّه فتَالِيُه فى الفخْرِ عزَّزَ ثانيا
تَشُدُّ له الجَوْزاء عِقْدَ نِطَاقِها لِتَخْدُمَ فيه كَيْ تنالَ المَعاليا
وهُنِّيتَ بالأَمْداح فيه وقد غَدا وُجُودُكَ[2] فيه بالإجادَة وافيا
ودُونَكَ مِنْ بَحْرِ البَيان جواهراً كَرُمْنَ فما يُشرَيْنَ إلاّ غواليا
وطارَدْتُ فيها وَصْفَ كلِّ غريبَةٍ فأعْجَزْتُ مَنْ يأتى ومَن كانَ ماضيا
فيا وَارِثَ الأَنصارِ لا عَنْ كَلالَةٍ تُرَاثَ جَلالٍ يستحِقُّ الرِّواسيَا
بأَمْداحِهِ جاءَ الكتابُ مفصَّلا يُرَتِّله فى الذِّكر مَنْ كان تَالِيا
لَقَدْ عَرَفَتْ الإسلامُ مِمَّا أفَدْتَهُ[3] مَكارِمَ أنصارِيَّةً وأياديا
عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ فاسلَمْ مُخَلَّداً تجدِّدُ أعياداً وتُبْلِى أعادِيا

فى صنيع للغنى بالله لإعذار بعض حفدته

ثم قال : ومِنْ ذَلِكَ أيضاً فيما اعْتُمِدْنا به نَحْن وأخونا المتولِّى بالأَمر بعد مولانا الوالد رحمةُ الله تعالى على الجميع من تلك الصنائع ، وهى جامعة لجمِّ الأَوصاف والبدائع :

نُجُومٌ أَمَدَّتْها بُدورٌ كوَامِلُ لها النُّورُ من شمْسِ الخلافَةِ شامِلُ
وفى الشُّهْبِ مِنْ بدر السماء مَشَابِهٌ وفى البَدْرِ مِنْ شمْسِ النَّهارِ مَخَايِلُ
وتُعْرَفُ فيها مِنْ أبيها شمائلٌ كما فى أبيها مِنْ أَبيهِ شَمائل
مَرَاتب فى عَدِّ الحِساب ثلاثةٌ وهُنَّ لأقمارِ العَلاءِ مَنازل
طَلَعْنَ عَلَى حُكمِ السُّعود أَهِلَّةً وسَرْعانَ ما تَبْدُو وهُنَّ كوَامِل

(١) فى نفح الطيب : « للجزر » .
(٢) فى الأصل : « وفودك » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوطتين وفى الأصلين : « أجدته » .

تَجلَّتْ إلى الأبصار مِنْ أُفُقِ الهُدى ... وبُثَّتْ إلى الأنْصَارِ منها وَسَائلُ
فيأيُّها المَوْلَى الذى شَادَ آخِرًا ... مِنَ الفَخْرِ ما لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأوائل
بَنُوكَ كأمْثالِ الأناملِ عِـــدَّةً ... فزانتْ يَدَ الإسلامِ تِلْكَ الأَناملِ
غُصونُ بروْضِ الجودِ مِنْكَ تَرعْرَعَتْ ... وقَدْ جادَهَا مِن صَوْبِ نُعْمَاكَ وابل
فوالله مَا أدرِى إذَا ما تُذُوكِرَتْ ... أأخلاقها[1] تُجْلَى لنَا أَمْ خَمَائِل
غُيُوثُ سَمَاحٍ وَالعُـفاة مَسَايِلٌ ... لُيُوث كِفاح والـكُماةُ تُنازل
سُيوفٌ مُحلَّاةٌ عَلَى عاتِقِ الهُدَى ... إذا تُنْتضَى تَمضِى وتَنْبو المَفاصل[2]
تَخاف عُدَاةُ الدِّين مِنْهُمْ وَتَتَّقِى ... كما تتقّى الأُسْدَ الظباء الجوافل[3]
وإنَّ أَبا الحَجَّاج وهْوَ كبيرُهم ... مَحـلُّ كثير دونَهُ مُتَضائِل
[٢٨١] مَليكٌ إذا استَقْبَلْتَ غُرَّةَ وجْهِهِ ... تخيَّلْتَ أَنَّ الشمْسَ فيها تُقابِل
إذا استُمْطِرتْ فى المَحْلِ سُحْبُ بَنانه ... فَهُنَّ لمستجدِ هَوامِ هَوامِل
وإنْ سَالَ ماء البِشْر فوق جَبينِهِ ... فلَيسَ بمَدْفوعٍ عن الوِرْد سائل
تَقلَّد منـه عاتِقُ المُلْكِ صارِما ... لهُ العَزْم نَصْلٌ والسُّعودُ حَمائل
وأبناؤُه دُرٌّ تَناسَقَ عِقْدُه ... يُحلَّى بهم من لَبَّةِ الفخر عاطِل
أزاهِرُ فى روض المحاسن أَيْنَعَتْ ... فلا رَوْضُها ذاوٍ ولا الزَّهْر ذابِل
زَواهر فى أُفْقِ العَلاءِ تَطَلَّعَتْ ... يُشابِهُ بعضٌ بعضَها ويُشاكِل
فما منْهُمُ إلَّا أَغَرُّ مُحَجَّلٌ ... بِوِرْدِ المعالِى فى الشَّبيبةِ ناهِل
أقَمْتَ لها الإعذارَ مَوْسِمَ رَحْمَةٍ ... تسَنَّتْ به للمتَّقين المـآمل
وما هُوَ إلا مَوْرِدٌ لِسَعادَةٍ ... تَفيضُ لها مِنْهُ المُنَى والفَواضِل

(١) فى الأصلين : « لأخلاقها » ولعلها محرفة عما أثبتناه ، ليستقيم الكلام .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « المفاصل » .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « الجوازل » جمع جوزل ، وهو الفتى من الظباء .

وأَجْرَيْتَ سَرْعانَ الجِيادِ بِلَعْبِ ... تذكَّرَ فيه مَوْقِفَ الجِدِّ هازِلُ
نجومٌ وآفاقُ الطِّرادِ مَشارِقٌ ... عليها بُدُورٌ من وُجوهٍ كواملِ
مَفاتيحُ أبوابِ الفُتوحِ فطالما ... أُبيحتْ بها للكافِرينَ المَعاقِلُ
فأَشْهَبُ كالإِصباحِ راقَ أديمُه ... وغالتْ به شُهْبَ السماءِ الغَوائِلُ
ألَمْ ترَ أَنَّ الشُّهْبَ فى الأُفقِ كلما ... تَجَلَّى لهُ الإِصْباحُ فهْىَ أَوائِلُ
وأَحْمَرُ زانَ الوَرْدُ مِنْهُ خَمِيلةً ... يَحُفُّ بهِ نَهْرٌ منَ السَّيْفِ سائِلُ
جَرَتْ لَوْنَهُ مِنْ فَوْقِهِ مُهَجُ العِدَا ... فَلَلَّهِ مِنْه الْجَامِدُ الْمُتَسَايِلُ[1]
تَلاقَى بِهِ أَمثالَهُ فكأَنَّها ... جِمارٌ وقدْ أَذْكَى بها البأسَ باسِلُ
إذا قُبِسَتْ[2] بالرَّكْضِ فى حَوْمةِ الوَغَى ... تُنِيرُ بها لَيْلَ القَتامِ مَشَاعِلُ
وأَشقَرُ مَهْمَا جَاوَلَ[3] البَرْقَ فى مَدًى ... يَفُوتُ جَوادَ البَرْقِ منهُ المُجاوِلُ
تَحَلَّى بِمَحْلولِ[4] النُّضَارِ أَدِيمُهُ ... فكلٌّ مُحَلًّى دُونَهُ فَهْوَ عاطِلُ
وَأَدْهَمُ فى مِسْحِ الدُّجَى مُتَلَفِّعٌ ... وَقَدْ خاضَ مِنْهُ فى الصَّباحِ الأَسافِلُ
يُكَلَّلُ بالجَوْزَاءِ حَلْىُ لِجامِهِ ... فَدُرُّ الدَّرارِى مِنْ حِلاهُ عَواطِلُ
ولم يُرْضِهِ سَرْجُ الهِلالِ مُفَضَّضاً ... فأعرضَ عَنْها للأَهِلَّةِ ناعِلُ
وأَصْفَرُ فى ثَوْبِ الأَصِيلِ قَدِ ازْتَدَى ... وربَّتَما وَدَّت حِلاهُ الأَصائِلُ
وقد قُدَّ مِنْ بُرْدِ العَشِىِّ جِلالُه ... وفى ذَيْلِهِ صِبْغٌ مِنَ اللَّيْلِ حائِلُ

(١) هذا البيت ساقط فى ط .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « إذا اقتبست بالركن » .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « جاوز » .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « بمجوال » .

وصاعدةٌ فى الجو مِلْءَ عِنانها تُسَامِتُ أَعْنَانَ السَّما وتُطَاوِلُ
طَلَعْتَ تُحَيِّي البَدْرَ مِنْهَا بِصَعْدَةٍ عَلَيْهَا لِوَاءُ الصُّبْحِ فى الأُفْقِ مَائِلُ
[٢٨٢] وقد أَعْرَبَتْ (١) بالرَّفْعِ عن طِيبِ (٢) فَخْرِها متى نَصَبَتْها فى الفَضاءِ العَوامِلُ
يَمُدُّ لها الكفُّ الخَضِيبُ بِسَاعِدٍ ويشكى السِّماكَ الأَعْزَلَ الرُّمْحَ عامِلُ
وتَنْتَابُها هِيفُ العِصِيِّ كأنَّها سِهامٌ وَعَاها للرَّمِيَّةِ نَابِلُ
تُرَاوِغُها طَوْراً وطَوْراً تُضِيفُها فسامَ (٣) لِأَعْلَى مُرْتَقَاهَا وَنَازِلُ
وبالأمْسِ كانت بَعْضَ أَغْصَانِ دَوحِها فَنَقَّلَهَا عنها عَلَى الرَّغْمِ ناقِلُ
فَحَنَّت إلى أَوْطانها وَتَسَابَقَتْ تُعَارِدُ مَسْرَاهَا بِهَا وَتُوَاصِلُ
وَبُرْجٌ مُنِيفٌ فى ذُرَاها قد ارتقى لِتُرْفَعَ منهُ للبُرُوجِ الرَّسائِلُ
تَطَوَّرَ حالاتٍ أَتَى فى جَمِيعِها بأوضاعِ (٤) حَلْيٍ وَصْفُه مُتَفَاضِلُ
فَتَاجٌ بأَعْلاها ، وِشَاحٌ بِخَصْرِهَا وفى الساقِ منْه قَدْ أُدِيرتْ خَلاخِلُ
وما هو إلا قائمٌ مَدَّ مُلْكَهُ إلى الله فى البُقيَا لما صَدَّ سائِلُ
ولله عَيْناً مَنْ رَأَى القَصرَ حَوْلَهُ منازلُ فيها للسُّعودِ منازِلُ
تروقُكُ فيهِ للبُدُورِ مطالعٌ إذا مَثَلَتْ فى ساحَتَيْه الأَمائِلُ
مَظاهِرُ أقمارٍ مَرَاتِبُ أنْجُمٍ منازِلُ بالنَّصرِ العَزِيزِ أَواهِلُ
وقد كانَ هَوْلُ الحفْلِ رَوْعَ أَهِلَّةٍ وأُشْعِرَتِ الإشفاقَ تِلكَ المحافِلُ

(١) كذا فى م . وفى ط : « بالفخر » .
(٢) فى م : « فجرها » .
(٣) فى الأصلين : « حسام » ولا معنى لها هنا .
(٤) فى م : « بأنواع » .

فأبدتْ به أبناء نَجْلِكَ أَوْجُهاً تَبِينُ إلى السَّارين منها المَجَاهِلُ
فلا الحفْل مَرْهُوبٌ ولا الخطْوُ قاصِرٌ ولا السِّرْبُ مُرْتاعٌ ولا الرَّوْعُ هائِل
وَلا القَلْب مَنْخُوبٌ وَلا الحِلْمُ طائِشٌ ولا العقل مَعْقول ولا الفِكر ذَاهل
أولئكَ أبناءُ الخلافةِ بُوكِرُوا وتَجْرى عَلَى أعدائِهن الصَّواهِل
هَنيئاً بها مِنْ سُنَّةٍ نَبَوِيَّةٍ زَهَا الفخرَ مَحْصُولٌ لَدَيْهَا وَحَاصِل
ورُحْمَى له مِنْ عاذِرٍ بانَ عُذْرُهُ وأَوْهَمَ نَقْصًا فَضْلُهُ مُتَطَاوِل
فَنَقْصُ هِلالِ الأُفْقِ ما زالَ مُؤْذِناً لَمَرْآهُ أَنْ يَبْدو لنا وَهْوَ كامل
ومِنْ نَقْصِ ظِلِّ الشَّمسِ تَزْدادُ رِفْعَةً إلى أن تُرَى والظِّلُّ فى الشَّرْق مَائل
وإن تابعَ النَّقْصُ الشُّهورَ فإنَّها عَلَى إثْرِهِ تأتى وَهُنَّ كَوَامِل
ونَقْصُ صلاةِ الظُّهر يَوْمَ عَرُوبةٍ لِمَعْنَى كَمالٍ أوضحَتْهُ الدَّلائِل
وإنْ نَقَصَ البازِى رياشَ جَناحِهِ يَزِيدُ اسْتباقاً وهْو للصَّيد خاتِل
وتَسْتَفِرغُ الأَنْعَامُ ما فى ضروعِها عَشِيًّا لِتَغدُو والضروعُ حَوافل
ونَقْصُ زَكاةِ المالِ فيهِ وُفورُهُ ومَشْقُ ذُباب السَّيف يَخْشَاهُ صَاقِل
لكَ الخيرُ مِن صُنْعٍ جلوتَ مَحاسِناً يُحَدِّى بها حادِى السُّرَى ويُنَاقِل
ألا هَكَذَا فليعْقِدِ الفَخْرُ تاجَهُ ويَسْمو إلى أَوْجِ العُلا ويُطَاوِل [٢٨٣]
بأبلَجَ غارَ الصُّبْح منهُ بطَلْعَةٍ لَهَا البَدْرُ تاجٌ والنُّجومُ قَبائل
إذا خَطَبَ العلياَ تَخَطَّتْ رِكَابُهِ عَلَى خَطَرِ المَسْعَى القَنَا والقَنابل
ولوْ رامَ إدراكَ النُّجومِ بحِيلةٍ لأَحرزَ مِنْ إدراكِها ما يُحاوِل
وإن طلبَتْ زُهْرُ النُّجومِ لَحَاقَه فمِنْ دُونِ مَا تبغِى المَدى المُتطاوِل
وتَخْفُقُ بالنَّصرِ العَزيزِ بنُودُهُ إذا خَفَقَتْ فيها الصَّبا والشَّمائل
وليلِ جِهَادٍ باتَ يرعَى نُجومَهُ فَلَا الليلُ مُنْجابٌ ولا النَّجْمُ آفِل

يُراعِى حُمَاة الدِّينِ فِيهِ بِمُقْلَة ... يُرَاعى بها الإسلامَ كافٍ وكافِلُ
إذا اشتاقَ هَزَّ الرِّيحُ خافقَ بَنْدِهِ ... وإن حَنَّ غَنَّتْهُ الجِيَادُ الصَّوَاهِل
وَفى اللهِ عَنْ وَصْلِ الأَحِبَّة مَرْغَبٌ ... وفى الغَزْوِ عن ذكرِ المنازل[1] شاغل
مِن الخَزْرَجِيِّينَ الَّذِينَ نَمَتْهُمُ ... عشائرُ مِنْ قَحْطانِها وفَصائل
تَسَامَى إلى ماءِ السَّماءِ[2] فجودُهُ ... بماءِ سماءٍ فى البَسِيطة حَائِل[3]
أقولُ لمُسْتامِ الرَّبيعِ وقد غَدا ... يَرودُ مَصَاب[4] الغَيْثِ والعامُ ماحِل
أمامَكَ دَارٌ للغَنِيِّ بربِّهِ ... بأَرْجائِها للمُعْتَفِينَ مَنَاهِل
تفَجَّرُ مِنْ كَفَّيه عَشْرَةُ أَبْحُرٍ ... يَغَصُّ بهنَّ البَحْرُ[5] وَهْىَ أَنَامل
فتجْرِى بها سُفْنُ الرَّجاءِ إلى مَدًى ... وَلَيْسَ إلى الجودِى مِنَ الجودِ سَاحِل[6]
فَرَاجِيه تَسْتَجْدِى العُفاةُ نَوالَه ... وسائلُه تُزْجَى إليه الوَسائل
أحاديثُ عنهُ فى السَّماحِ غريبةٌ ... يُرَوِّى عواليها عَطَاءٌ وَوَاصِلُ
لكَ اللهُ مَنْ تُولِ غَمَامُ بَنَانِهِ ... أقامتْ فروضَ البرِّ منها النوافل
طلَعْتَ بأُفْقِ الغَربِ نَيِّرَ رَحْمَةٍ ... وَقَدْ شرُفَتْ منك العُلا والفَضَائل
فحمدُكَ أَحْرَى مَا أَفادتْ حَقَائِبٌ ... وَذِكرُكَ أَسْنَى ما أَقَلَّتْ رَواحِل

---

(١) فى م : « المعاهد » .
(٢) ماء السماء : لقب عامر بن حارثة الأزدى ، وهو أبو عمرو مزيقيا ، ويقال لولده : بنو ماء السماء ، وهم ملوك الغساسنة الذين منهم الأنصار ، قبيلة الممدوح . قال بعض الأنصار :
أنا ابن مزيقيا عمرو وجدى ... أبوه عامر ماء السماء
(٣) فى م : « جائل » بالجيم المعجمة .
(٤) كذا فى م . ويرود مصاب الغيث ، أى يتطلب مساقط المطر . والذى فى ط : « يروم خصاب » .
(٥) فى ط : « النهر » .
(٦) فى م : « سوى » مكان قوله : « إلى » .

تَرُومُ جَوارِى الشُّهْبِ شأْوَكَ فى العُلا ... ومنْ دُونه للنَّيِّرات مَرَاحِلُ
وفى الصُّبح مِن ذاكَ الجبينِ أَشعَّةٌ ... وفى الشمس من ذاك المُحَيَّا دَلائل
وفى الرَّوْضِ مِنْ رياكَ عَرْفٌ ونَفْحة[1] ... وَفى الغيْثِ من يُمْنَاكَ جُودٌ وَنَائِل
إذا أَنْتَ لم تُزْجِ الجنودَ إلى العُلا ... فإنّ جُنودَ اللهِ عنْكَ تُقَاتِل
وَإن لَمْ تُقَوِّمْها سِهاماً مَرِيشةً ... فإن سهامَ اللهِ عنكَ تُناضِل
تَرِيشُ لكَ الأقدارُ أَسْهُمَ أَسْعُد ... تُصَابُ بها للدَّارِعينَ مقَاتِل
لكَ العِزُّ تَسْتَجلِى الخُطُوبَ بنُورِهِ ... فَلَيْسَ لَهُ إلا الصَّباحَ مماثِل
اذَا العَزْمُ لم يَصْقُلْ حُسامَ كَمِيِّهِ ... فما نَافِعٌ ما قَدْ جَلَتْهُ الصَّيَاقِل [٢٨٤]
فقَبْلَ مضاءِ السَّيفِ تُمْضَى عَزائمٌ ... وبَعْدَ بناءِ الرَّأْىِ تُبْنَى المَعاقِل
وما يستَوِى ـ والعِلْمُ للهِ وحدَهُ ـ ... عَليمٌ بأَعقابِ الأُمور وجاهِل
تُظَلِّلُ سُحْبُ الطَّيْرِ جيشَكَ حيْثُما ... تميلُ به الرَّاياتُ وَهْىَ حَوامِل
فَلاقَى بها عِقْبانَ طيرٍ ورايةٍ ... تُبيدُ الأَعادى والرِّماحُ حَبائل
فَقُلْ لعَمِيدِ الرُّومِ دُونَكَ فارتقِبْ ... طَلائعَ فيها للمنايا رَسائل
وَشِمْ بارِقَ السَّيفِ اللَّموعِ جُفُونُهُ ... سَحابٌ[2] قَتَامٍ تَحْتَه الدَّمُ سَائِل
ولا تَزْجُرِ الغِرْبانَ فى البَحرِ إنَّها ... سَفائِن والبحرُ المُذَلَّل حامِل
ولكنَّها واللهُ يُنْجِز وَعْدَهُ ... جَوارٍ بِآسَادِ الرِّجالِ حوامل
ومُخْضَرَّةُ الأرجاءِ فى جَنَباتِها ... مَسارِح تَحْمِيها الرِّماحُ الذَّوابِل
تَرَى الدَّوْحَ مِنْها بالأَسنَّةِ مُزْهِرًا ... إذا ما سَقَتْهُ للسُّيوف الجَدَاوِل
تَبُلُّ غَلِيلَ الرُّمْحِ مِنْ مُهَجِ العِدَا ... إذا ما كَسَتْ منها الرِّماحَ غَلائل

(١) فى ط : « نغمة » ولا يستقيم بها الكلام هنا ، وما أثبتناه عن م .
(٢) فى ط : « حسام » . وفى م : « سجام » ولعلهما محرفتان عما أثبتناه .

فياعَجبًا لِلرُّمْحِ رَوَّيْتَهُ دَمًا ... وقد راقَ منه العينَ رَيَّانُ ذَابلُ
لَقَدْ كَمُلَتْ فيكَ المحاسنُ كلُّها ... وما كلُّ مَنْ يُعْطَى الخِلافة كامِل
فعِندَ جَميع الخلقِ شكْرُكَ عاجِلٌ ... وعِندَ الإلهِ الحقِّ أجرُكَ آجِل
وَدُونَكَ مِنْ نَظْمى جَوَاهِرَ حِكمةٍ ... يُفاخِرُ مِنها السِّحْرَ بالشِّعر بَابِل[1]
وما هُو إلَّا ذِكرُ أوصافِكَ العُلا ... فَتَفْعَلُ[2] يا مَوْلاىَ والعَبْدُ قائل
فَتُتْلى عَلَى الأَسْماعِ مِنها بدائعٌ ... وتُجْلَى عَلَى الأبصارِ مِنها عَقائل
وَلَوْ أنَّنى أدْرَكْتُ أعْصارَ مَنْ مَضى ... لَمَا قالَ فيها الشاعِرِ المتَخايل
«وإنى وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ ... لآت بما لم تَسْتَطِعْهُ الأوائل»[3]
ولا افتخرتْ قِدْما إيادٌ بقُسِّها ... ولا اسْتَصْحَبَتْ سَحْبانَ فى الفخروائل
فلا زِلتَ يامَوْلاىَ مَوْرِدَ رَحْمَةٍ ... عِطاشُ الأَمانى فى رِضاكَ[4] نَواهل
تُقيمُ رُسُومَ المَعْلُوات[5] بمَغْرِبٍ ... وذِكرُكَ فى أقصَى البَسيطة جائل
وَأَدْرَكْتَ فى الأعداءِ ما أنتَ طالبٌ ... وبُلِّغتَ فى الأبناءِ ما أنتَ آمِل

في صنيع لبعض أمراء بنى الأحمر

[٢٨٥] ثم قال : ومن ذلك فى الصَّنيع المختصّ بالأمراء الجلة ، أخينا المعزّ لدولتنا أبى الحسن ، وأخينا أبى العباس ، وابن عمنا أبى عبد الله ، وصل الله سعودهم ، ولقد أبدع فى تشييده وتأسيسه ، وبسط يد الحسن من براعة تخميسه ، وذلك عام عودة مولانا رحمة الله تعالى عليه من سِبتة لما عادت إلى ملكه ، قال :

(١) كذا فى م . وفى ط « نائل » والمعنى لا يستقيم على هذه الرواية .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « فتنقل » .
(٣) البيت من قصيدة فى الفخر لأبى العلاء المعرى .
(٤) فى م : « الأمانى فى نوال نواهل » .
(٥) المعلوات : جمع معاوة (كمكرمة) من العلو ، يريد معالى الأمور ، ومكاسب الشرف . وقد عثرنا عليها فى اللسان نقلا عن ابن برى ، فليُصحح ما جاء بالحاشية الثانية صفحة ٣٩ من هذا الجزء .

أَرِقتُ لِبَرْقٍ مِثْلِ جَفْنِيَ سَاهِرَا يُنَظِّمُ من قَطْرٍ[1] الغَمام جَوَاهِرَا
فأضْحَكَ زَهْرُ الرَّوْضِ مِنْه أزاهرَا وصبحٍ حكى وجْهَ الخليفة باهرَا
تجسّم مِنْ نُورِ الهُدَى وتَجَسَّدَا
شِفَائِيَ مُعْتَلّ النسيم إذا انْبَرَى وَأَسْنَدَ عَنْ دَمعى الحديثَ الذى جَرَى
وَقَدْ فَتَقَ الأَرْجاءَ[2] مِسْكاً وعَنْبَرَا كأنَّ الْغَنِي بالله فِي الرَّوْضِ قَدْ سَرَى
فَهَبَّتْ بِهِ الأَرْوَاحُ عَاطِرَةَ الرِّدَا
عَذِيرِيَ مِنْ قَلْبٍ إِلَى الْحُسْنِ قَدْ صَبَا تُهَيِّجُهُ الذِّكْرَى وَيَصْبُو إِلَى الصِّبَا
وَيُجْرِي جِيَادَ اللَّهْوِ فى مَلْعَبِ الصِّبَا وَلَوْلَا ابْنُ نَصرٍ مَا أَفَاقَ وَأَعْتَبَا[3]
رَأَى وَجْهَهُ صُبْحَ الهِدَايَةِ فاهْتَدَى
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ شِكَايَةً جَنَى الحُسْنُ فِيهَا لِلْقُلُوبِ جِنَايَةً
وَأَعْظَمَ فيها بالعُيونِ نِكايةً وأطْلَعَ فى لَيْلٍ من الشَّعْرِ آيَةً
مُحَيًّا جَمِيلا بالصَّبَاحِ قَدِ ارْتَدَى
بِهَدْيِكَ تَهْدِى النَّيِّرَاتُ وَتَهْتَدِى وأَنْوَاءُهَا جَدْوَى يَمِينِكَ تَجْتَدِى
وَعَدْلُكَ للأَمْلاكِ[4] أَوْضَحُ مُرْشِدِ بآثارِهِ فى مُشْكِلِ الأمرِ تَقْتَدِى
فَمَا بالُ سُلْطَانِ الجمالِ قَدِ اعْتَدَى
تَحَكَّمَ مِنَّا فى نُفُوسٍ ضَعِيفَةٍ وسَلَّ سُيُوفًا مِنْ جُفُونٍ نَحِيفَةٍ
أَلَمْ يَدْرِ أَنَّا فِي ظِلَالِ خَلِيفَةٍ وَدَوْلَةِ أَمْنٍ لا تُرَاعُ مُنِيفَةٍ
بِهَا قَدْ رَسَا دِينُ الهُدَى وتَمَهَّدَا

(١) فى ط : « نظم » . وماأثبتناه عن م والمخطوطتين من نفح الطيب: وهو أولى بالسياق .
(٢) فتق الأرجاء : طيبها وخلطها بمسك وعنبر .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وأعتب (هنا) : رضى . وفى (ط) : « ما أفاق ولا اجتبى » . وفى م : « وما احتبى »
(٤) كذا فى ط . والأملاك : جمع ملك (بكسر اللام) . وفى م : « للأفلاك » .

خُذُوا بِدَمِ المُشْتَاقِ لَحْظاً أَرَاقَهُ وَبَرْقاً بِأَعْلَامِ الثَّنِيَّةِ شَاقَهُ
وإن كلفُوهُ فَوْقَ ما قَدْ أَطَاقَهُ يَبُثُّ حَدِيثاً ما أَلَذَّ مَسَاقَهُ[1]
خَلِيفَتَنَا المَوْلَى الإِمامَ مُحَمَّدَا
تَقَلَّدَ حكْمَ العَدْلِ دِيناً وَمَذْهَبَا وجَوْرَ اللَّيَالِي قَدْ أَزَاحَ وَأَذْهَبَا
فَيَا عَجَبَا لِلشَّوْقِ أَذْكَى وَأَلْهَبَا وَسلَّ صَبَاحًا صَارِمَ البَرْقِ مُذْهَبَا
[٢٨٦] وقَدْ باتَ فى جَفْنِ الغَمَامَةِ مُغْمَدَا
يُذَكِّرُنِى ثَغْراً لِأَسْمَاءَ أَشْنَبَا إِذَا ابْتَسَمَتْ تَجْلُو من اللَّيْلِ غَيْهَبَا
كعَزْمِ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ إذا احتَبَى وأَجْرَى به طِرْفاً من الصُّبْحِ أَشْهَبَا
وَأَصْدَرَ فى ذاتِ الإِلٰهِ وَأَوْرَدَا
فَسُبْحَانَ مَنْ أَجْرَى الرِّياحَ بِنَصرِهِ وَعَطَّرَ أَنْفَاسَ الرِّيَاضِ بِشُكْرِهِ
فَبَرْدُ الصَّبَا يُطْوَى عَلَى طِيبِ نَشرِهِ ومَهْمَا تَجَلَّى وجْهُهُ وَسْطَ قَصرِهِ
تَرَى هَالَةً بَدْرُ السَّماءِ بِهَا بَدَا
إِمامٌ أَفَادَ المَعْلُوَاتِ[2] زَمَانَهُ فَمَا لَحِقَتْ زُهْرُ النُّجُومِ مَكَانَهُ
وَمَدَّ عَلَى شَرْقٍ وَغَرْبٍ أَمَانَهُ وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ بَنَانَهُ
تُفَرِّقُ مُسْتَجْدِيهِ فى أَبْحُرِ النَّدَى
هُوَ البَحْرُ مَدَّ العارِضَ المُتَهَلِّلَا هُوَ البَدْرُ لَكِنْ لَا يَزَالُ مُكَمَّلَا
هُوَالدَّهْرُ لَايَخْشَى الْخُطُوبَ وَلَا وَلَا[3] هُوَ العَلَمُ الخَفَّاقُ فِى هَضْبَةِ العُلَا
هُوَ الصَّارِمُ المَشْهُورُ فى نُصرَةِ الهُدَى

(١) فى م : « مذاقة » .
(٢) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٨١ من هذا الجزء .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « ولا الولا » .

أَمَا وَالَّذِى أَعْطَى الوُجُودَ وُجُودَهُ وَأَوْسَعَ مِنْ فَوْقِ البَسِيطَةِ جُودَهُ
لَقَدْ أَصْحَبَ النَّصرَ العَزِيزَ بُنُودَهُ وَمَدَّ بِأَمْلَاكِ السَّمَاءِ جُنُودَهُ
وَأَنْجَزَ لِلْإِسْلَامِ بِالنَّصرِ مَوْعِدَا

أَمَوْلَاىَ قَدْ أَنْجَحْتَ رَأْياً وَرَايَةً وَلَمْ تُبْقِ فى سَبْقِ المَكَارِمِ غَايَةً
فَتَهْدِى سَجَايَاكَ ابْنَ رُشْدٍ[1] نِهَايَةً وَإِنْ كَانَ هَذَا السَّعْدُ مِنْكَ بِدَايَةً
سَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُخَلَّدَا

سُعُودُكَ تُغْنِى عَنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ وُجُودُكَ يُزْرِى بِالْغَمَامِ السَّوَاكِبِ
وَإِنْ زَاحَمَتْهَا شُهْبُهَا بِالمَنَاكِبِ وَوَجْهُكَ بَدْرُ المُنْتَدَى وَالمَوَاكِبِ
وَقَدْ فَسَحَتْ[2] فى الفَخْرِ أَبْنَاؤُكَ المَدَى

بَنُوكَ كَأَمْثَالِ الأَنَامِلِ عِدَّةً أَعَدَّتْ لِمَا يُخْشَى مِنَ الدَّهْرِ عُدَّةً
وَزِيدَ بِهِمْ بُرْدُ الخِلَافَةِ جِدَّةً أَطَالَ لَهُمْ فِى ظِلِّ مُلْكِكَ مُدَّةً
إِلٰهٌ يُطِيلُ العُمْرَ مِنْكَ مُؤَبَّدَا[3]

بُدُورٌ بِأَوْصَافِ الكَمَالِ اسْتَقَلَّتِ غَمَامٌ بِفَيَّاضِ النَّوَالِ اسْتَهَلَّتِ
سُيُوفٌ عَلَى الأَعْدَاءِ بِالنَّصرِ سُلَّتِ نُجُومٌ بِآفَاقِ العَلَاءِ تَجَلَّتِ [٢٨٧]
وَلَاحَتْ كَمَا شَاءَتْ سُعُودُكَ أَسْعُدَا

وَإِنَّ أَبَا الحَجَّاجِ سَيْفُكَ مُنْتَضَى وَبَدْرٌ بِآفَاقِ الجَمَالِ تَعَرَّضَا
بِنُورِكَ يَا شَمْسَ الخِلَافَةِ قَدْ أَضَا وَرَاقَتْ عَلَى أَعْطَافِهِ حُلَلُ الرِّضَا
فَحَلَّ مَحَلاً مِنْ رِضَاكَ[4] مُمَهَّدَا

(١) يريد : إذا كان ابن رشد قد جاء بـ « بداية المجتهد » ، فقد جاءت همتك وسجاياك بالنهاية التى لا مطلب وراءها لمجتهد .
(٢) فى الأصلين : « سبحت » ، ولا يستقيم بها المعنى ، وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٣) فى ط : « مؤيدا » . بالمثناة التحتية .
(٤) فى نفح الطيب : « علاك » .

مَليكٌ لَهُ تَعْنُو المُلُوكُ جَلَالَةً يُجَرِّرُ أَذْيَالَ الفَخَارِ مُطَالَةً
وتَفْرَقُ أُسْدُ الغَابِ مِنْهُ بَسَالَةً وتَرْضَاهُ أَنْصَارُ الرَّسُولِ سُلَالَةً
فَأَبْنَاؤُه طَابُوا فُرُوعاً وَمَحْتِدَا

أَزَاهِرُ فى رَوْضِ الخِلافَةِ أَيْنَعَتْ زَوَاهِرُ فِى أُفْقِ العَلَاءِ تَطَلَّعَتْ
جَوَاهِرُ أَعْيَتْ فى الجَمَالِ وَأَبْدَعَتْ وعَنْ قِيمَةِ الأَعْلَاقِ قَدْراً تَرَفَّعَتْ
يُسَرُّ بِهَا الإِسْلامُ غَيْباً وَمَشْهَدَا

بِعَهْدِ[1] وَلِيِّ العَهْدِ — كُرِّمَ عَهْدُهُ وَأُنْجِزَ فى تَخْلِيدِ مُلْكِكَ وَعْدُهُ —
تَنَظَّمَ مِنْهُمْ تَحْتَ شَمْلِكَ[2] عِقْدُهُ وَأَوْرَثَهُمْ فَخْراً أَبُوهُ وَجَدُّهُ
فَأَعْلى عَلِيًّا حِينَ أَحْمَدَ أَحْمَدَا

تَحُوطُ بِهِمْ مُلْكاً عَزِيزاً وَمِلَّةً وتَلْحَظُ عَيْنُ السَّعْدِ مِنْهُمْ أَهِلَّةً
سَتَبْدُو عَلَى أُفْقِ المُلَا مُسْتَقِلَّةً وَسُحْبًا بِفَيَّاضِ النَّدَى مُسْتَهِلَّةً
تُفَجِّرُ بَحْرًا لِلسَّمَاحَةِ مُزْبِدَا

ونَجْلُكَ نَصْرٌ يَقْتَفِى نَجْلَ[3] رَسْمِهِ أَمِيرٌ يَزِينُ العَقْلَ رَاجِحُ حِلْمِهِ
أَتَاكَ بِنَجْلٍ يُسْتَضَاءُ بِنَجْمِهِ لِحُبِّ رَسُولِ اللهِ سَمَّاهُ بِاسْمِهِ
وبِاسْمِكَ فى هَذِى المُوَافَقَةِ اقْتَدَى

أَقَمْتَ بِإِعْذَارِ الإِمَارَةِ سُنَّةً وَطَوَّقْتَهَا مِنْ حَلْيِ فَخْرِكَ مِنَّةً
وَأَسْكَنْتَهَا فِى ظِلِّ بِرِّكَ جَنَّةً وَأَلْحَفْتَهَا بُرْدَ اعْتِنَائِكَ جُنَّةً
وَعَمَّرْتَ مِنْهَا بِالتِّلَاوَةِ مَسْجِدَا

---

(١) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصلين : « أبوهم » . وهو أبو الحجاج يوسف ابن الغنى بالله .

(٢) فى م : « ظلك » .

(٣) كذا فى ط . وفى م : « تقتفى نحل » .

فَلِلّهِ عَيْنَا مَنْ رَآهُمْ تَطَلَّعُوا غُصُوناً بِرَوْضِ الجُودِ مِنْكَ تَرَعْرَعُوا
وَفى دَوْحَةِ العَلْيَاءِ مِنْكَ تفرَّعُوا مُلوكٌ بِجِلْبَابِ الْحَيَاءِ تَقَنَّعُوا
أَضَاءَ بِهِمْ مِنْ أُفْقِ قَصْرِكَ مُنْتَدَى

وَقَدْ أَشْعَرُوا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ نُفُوسَهُمْ وَقَدْ أَفْرَغُوا(١) فَوْقَ الْحُلِىِّ لُبُوسَهُمْ
وَقَدْ زَيَّنُوا بِالْبِشْرِ فِيهِ شُمُوسَهُمْ وعاطَوْا كُئُوسَ الأُنْسِ(٢) فِيهِ جَلِيسَهُمْ [٢٨٨]
وَأَبْدَوْا عَلَى هَوْلِ المَقَامِ تَجَلُّدَا

شَمَائِلُ فِيهِمْ مِنْ أَبِيهِمْ وَجَدِّهِمْ تُفَصِّلُ آىَ الْفَخْرِ فِيهَا بِحَمْدِهِمْ
وَتَنْسُبُهَا الأَنْصَارُ قِدْمًا لِسَعْدِهِمْ تُضِىءُ بِهَا نُورًا مَصَابِيحُ سَعْدِهِمْ
وَلِمْ لاَ وَمِنْ صَحْبِ الرَّسُولِ تَوَقَّدَا

فَوَ اللهِ لَوْلاَ سُنَّةٌ قَدْ أَقَمْتَهَا وَسِيرَةُ هَدْىٍ لِلنَّبِىِّ عَلِمْتَهَا
وَأَحْكَامُ عَدْلٍ لِلْجُنُودِ رَسَمْتَهَا لَجَالَتْ بِهَا الأَبْطَالُ تَقْصِدُ سَمْتَهَا
وَتَتْرُكُ أَوْصَالَ الْوَشِيجِ مُقَصَّدَا(٣)

وَيَاعَاذِرًا أَبْدَى لَنَا الشَّرْعُ عُذْرَهُ طَرَقْتَ حِمًى قَدْ عَظَّمَ اللهُ قدرَهُ
وَأَجْرَيْتَ طِيباً يَحْسُدُ الطِّيبُ نَشْرَهُ لَقَدْ جِئْتَ مَا تَسْتَعْظِمُ الصِّيدُ أَمْرَهُ
وَتَفْدِيهِ إِنْ يَقْبَلْ خَلِيفَتُهَا فِدَا

رَعَى اللهُ مِنْهَا دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً أَفَادَتْ نُفُوسَ المُخْلِصِينَ إِنَابَةً
وَلَمْ تُلْفِ مِنْ دُونِ القَبُولِ حِجَابَةً وَعَاذِرُهَا لَمْ يُبْدِ عُذْرًا مَهَابَةً
فَأَوْجَبَ عَنْ نَقْصٍ كَمَالاً تَزَيَّدَا

---

(١) فى نفح الطيب : « وأضفوا به » مكان قوله : « وقد أفرغوا » .
(٢) فى م : « الأمن » .
(٣) الوشيج : شجر الرماح ، ويريد به هنا الرماح نفسها . والمقصد : المكسر .

فَنَقْصُ زَكَاةِ[1] الْمَالِ وَفْرُ نِصَابِهِ وَمَا السَّيْفُ إِلاَّ بَعْدَ مَشْقِ ذُبَابِهِ
وَمَا الزَّهْرُ إِلاَّ بَعْدَ شَقِّ إِهَابِهِ بِقَطْعِ يَرَاعِ الخَطِّ حُسْنُ كِتَابِهِ
وبِالْقَصِّ يَزْدَادُ الذُّبَالُ تَوَقُّدَا

وَلَمَّا قَضَوْا مِنْ سُنَّةِ الشَّرْعِ وَاجِبَا وَلَمْ نَلْقَ مِنْ دُونِ الخِلَافَةِ حَاجِبَا
أَفَضْنَا نُهَنِّى مِنْكَ جَذْلَانَ وَاهِبَا أَفَاضَ عَلَيْنَا أَنْعُمًا وَمَوَاهِبَا
تَعَوَّدَ بَذْلَ الجُودِ فِيمَا تَعَوَّدَا

هَنِيئًا بِهذَا[2] قَدْ بَلَغْتَ مُؤَمَّلَا وَأَطْلَعْتَ نُورًا يَبْهَرُ الْمُتَأَمِّلَا
وَأَحْرَزْتَ أَجْرَ الْمُنْعِمِينَ مُكَمَّلَا تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى جَزِيلاً وَأَجْمَلَا
وَبَلَّغَ فِيكَ الدِّينَ وَالْمُلْكَ مَقْصِدَا

أَلَا فِى سَبِيلِ العِزِّ وَالْفَخْرِ مَوْسِمُ يَظَلُّ بِهِ ثَغْرُ الْمَسَرَّةِ يَبْسِمُ
وَعَرْفُ الرِّضَا مِنْ جَوِّهِ يَتَنَسَّمُ وَأَرْزَاقُ أَرْبَابِ السَّعَادَةِ تُقْسَمُ
فَفِى وَصْفِهِ ذِهْنُ الذَّكِىِّ تَبَلَّدَا

وَجَلَّتْ فى هَذا الصَّنِيعَ مَصَانِعا تَمنى بُدُورُ التَّمِّ منْها مَطَالِعا
[٢٨٩] وَأَبْدَيْتَ فِيهَا لِلْجَمَالِ بَدَائِعا وَأَجْرَيْتَ[3] لِلْاحْسَانِ فِيهَا مشَارِعا
يَوَدُّ بِها نَهْرُ المَجَرَّةِ مَوْرِدَا

وَأَجْرَيْتَ فِيهَا الخَيْلَ وَهْىَ سَوَابِقُ وإِنْ طَلَبَتْ فى الرَّوْعِ فَهْىَ لَوَاحِقُ
نُجومٌ وَآفَاقُ الطِّرَادِ مشَارِقُ يَفُوتُ الْتِمَاحَ الطَّرْفِ منْهَا بَوَارِقُ
إِذَا مَا تُجَارِى الشُّهْبَ تَسْتَبِقُ الْمَدَى

(١) فى نفح الطيب : « كمال » .
(٢) فى نفح الطيب : « هنيئا » مكان قوله : « بهذا » .
(٣) فى م : « وأعذبت » .

وَتَطْلُعُ فى لَيْلِ القَتَامِ كَوَاكِبَا وَقَدْ وَرَدَتْ نَهْرَ النَّهَارِ مَشَارِبَا
تَقُودُ إِلَى الأعداءِ مِنْها كَتائِبَا فَتَرْسُمُ مِنْ فوْقِ التُّرَابِ مَحَارِبَا
تَخِرُّ رُءوسُ الرُّومِ فيهِنَّ سُجَّدَا

سَوَابِحُ بالنَّصرِ العَزِيزِ سَوَانِحُ وَهُنَّ لِأَبْوَابِ الفُتُوحِ فَوَاتِحُ
تَقُودُ إِلَيْكَ النَّصرَ وَاللهُ مَانِحُ فَمَا زِلْتَ بابَ الخَيْرِ وَاللهُ فَاتِحُ
وَمَا ثَمَّ شَيْءٌ قَدْ عَدَا بَعْدَ مَا بدَا

رِيَاحٌ لَهَا مَثْنَى البُرُوقِ أَعِنَّةٌ ظِبَاءٌ فَإِنْ جنَّ الظَّلَامُ فَجِنَّةٌ
تَقِيهَا مِنَ البَدْرِ المُتَمِّ جُنَّةٌ وَتُشْرَعُ مِنْ زُهْرِ النُّجُومِ أَسِنَّةٌ
فَتَقْذِفُ شُهْبَ الرَّجْمِ فى ثُغَرِ العِدَا

فَأَشْهَبُ مِنْ نَسلِ الوَجيهِ إِذا انتمَى جرَى فَشَأَى شُهْبَ الكَوَاكِبِ فى السَّمَا
وَخَلَّفَ مِنْهَا فى المُقَلِّدِ أَنْجُمَا تَرَدَّى جَمَالًا بالصَّبَاحِ وَرُبَّمَا
يَقُولُ لهُ الإِصْبَاحُ نَفْسِى لَكَ الفِدَا

وَأَحْمَرُ قَدْ أَذْكَى بِهِ البَأْسُ جَمْرَةً وَقَدْ سَلَبَ اليَاقُوتَ وَالوَرْدَ حُمْرَةً
أَدارَ بِهِ ساقٍ مِنَ الحَرْبِ خَمْرَةً وَأَبْدَى حَبَابًا فوْقَها الحُسْنُ غُرَّةً
يَزِينُ بِها خَدًّا أَسِيلًا مُوَرَّدَا

وَأَشْقَرُ مَهْما شَعْشَعَ الرَّكْضُ بَرْقَهُ أَعارَ جَوَادَ البَرْقِ فِي الأُفْقِ سَبْقَهُ
بَدَا شَفَقًا قَدْ جَلَّلَ الحُسْنُ أُفْقَهُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَبْدَعَ خَلْقَهُ
فَسالَ عَلَى أَعْطافِهِ الحُسْنُ عسْجَدَا

وَأَصْفَرُ قدْ وَدَّ الأَصِيلُ جَمالَهُ وَقدْ قَدَّ مِنْ بُرْدِ العَشِيِّ جِلالَهُ

إِذَا أَسْرجُوا جُنْحَ الظَّلَامِ ذُبالَهُ فَغُرَّتُهُ نَجْمٌ تضِىء مَجالَهُ
وَفِى ذَيْلِهِ ذَيْلَ الظَّلامِ قدِ ارْتَدَى
وَأَدْهَمُ فِى مِسْحِ[1] الدُّجَى مُتَجَرِّدٌ يَجِيشُ بِهِ بَحْرٌ مِنَ اللَّيْلِ مُزْبِدُ
[٢٩٠] وَغُـــرَّتُهُ نَجْمٌ بِهِ مُتَوقِّدُ لَهُ الْبَدْرُ سَرْجٌ والنُّجُومُ مُقَلَّدُ
وَفِى فَلَقِ الصُّبْحِ الْمُبِينِ تَقَيَّدَا
وأَبْيضُ كَالْقِرْطاسِ لاحَ صَباحُهُ عَلَى الحُسْنِ مَغْدَاهُ وَفيهِ مَرَاحُهُ
[وَلِلظَّبَيَاتِ الْآنِساتِ][2] مِرَاحُهُ تَراهُ كَنَشْوَانٍ أَمَالَتْهُ رَاحُـــهُ
وَتَحْسِبُهُ وَسْطَ الْجِمَالِ مُعَرْبِدا
وذاهِبَةٌ فِى الْجَوِّ مِلْءَ عِنانِهَا وَقدْ لَفَّعَتْها السُّحْبُ بُرْدَ عَنانِهَا
يَفُوتُ ارْتِدَادَ الطَّرْفِ لَمْحُ عِيَانِهَا وَخَتَّمَتِ الْجَوْزاءُ سَبْطَ بَنانِهَا
وصاغَتْ لهَا حَلْىَ النُّجومِ مُقَيَّدَا
أَراها عَمُودُ الصّبحِ عُلْوَ الْمَصاعِدِ وَأَوْهَمَهَا قُرْبَ المَدَى الْمُتَباعِدِ
فَفَاتَتْهُ سَبْقاً فِى مَجالِ الرَّوَاعِدِ وَأَتْحَفَتِ الْكَفَّ الْخَضِيبَ بِساعِدِ
فَطَوَّقَتِ الزُّهْرُ النُّجومَ بِها يَدَا
وَقدْ قَذَفتها للعصىّ حواصِبُ قَدِ انْتَشَرَتْ فِى الْجَوِّ مِنْها ذَوائِبُ
تَزَاوَرَ مِنْها فِى الْفَضاءِ حَبَائِبُ فَبَيْنَهُمَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ مَناسِبُ
لِأَنَّهُما فِى الرَّوْضِ قَبْلُ تَوَلَّدَا
بَناتُ لِأُمٍّ قد حَيِينَ بِرَوْحِهَا[3] دَعاها الْهَوَى مِنْ بَعْدِ كَتْمٍ لِبَوْحِهَا

(١) فى م : « جنح » .
(٢) ما بين القوسين ساقط فى ط .
(٣) كذا فى م . والذى فى ط : « حلين بدوحها » .

فَأَقْلَامُهَا تَهْوِى لِخَطِّ بِلَوْحِهَا فَبِالْأَمْسِ كَانَتْ بَعْضَ أَغْصَانِ دَوْحِهَا
فَعَادَتْ إِلَيْهَا الْيَوْمَ مِنْ بَعْدُ عُوَّدَا

وَيَا رُبَّ حِصْنٍ فِى ذُرَاهَا قَدِ اعْتَلَى أَنَارَتْ بُرُوجَ الْأُفْقِ فِى مَظْهَرِ الْعُلَا
بُرُوجُ قُصُورٍ شِدْتَهَا مُتَطَوِّلَا فَأَنْشَأْتَ بُرْجًا صَاعِدًا مُتَنَزِّلَا
يَكُونُ رَسُولًا بَيْنَهَا مُتَرَدِّدَا[1]

وَهَلْ هِىَ إِلَّا هَالَةٌ حَوْلَ بَدْرِهَا يَصُوغُ لَهَا حَلْيًا يَلِيقُ بِنَحْرِهَا
تَطَوَّرَ أَنْوَاعًا تَشِيدُ بِفَخْرِهَا فَحِجْلٌ بِرِجْلَيْهَا وِشَاحٌ بِخَصْرِهَا
وَتَاجٌ بِأَعْلَى رَأْسِهَا قَدْ تَنَضَّدَا

أَرَادَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَهْوَ مُمَنَّعُ فَقَامَ بِأَذْيَالِ الدُّجَى يَتَلَفَّعُ
وَأَصْغَى لِأَخْبَارِ السَّمَا يَتَسَمَّعُ فَأَتْبَعَهُ مِنْهَا ذَوَابِلُ شُرَّعُ
لِتَقْذِفَهُ بِالرَّجْمِ مَثْنًى وَمَوْحَدَا

وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِمٌ مَدَّ كَفَّهُ لِيَسْأَلَ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ لُطْفَهُ
لِمَوْلًى تَوَلَّاهُ وَأَحْكَمَ رَصْفَهُ وَكَلَّفَ أَرْبَابَ الْبَلَاغَةِ وَصْفَهُ
وَأَكْرَمَ مِنْهُ الْقَانِتَ الْمُتَهَجِّدَا

مُلَاقِىَ رَكْبٍ مِنْ وُفُودِ النَّوَاسِمِ مُقَبِّلَ ثَغْرٍ لِلْبُرُوقِ الْبَوَاسِمِ
مُخَتِّمَ كَفٍّ بِالنُّجُومِ الْعَوَاتِمِ مُبَلِّغَ قَصْدٍ مِنْ حُضُورِ الْمَوَاسِمِ
تُجَدِّدُهُ مَهْمَا صَنِيعٌ تَجَدَّدَا

وَمُضْطَرِبٌ فِى الْجَوِّ أَثْبَتَ قَامَةً تَقَدَّمَ يَمْشِى فِى الْهَوَاءِ كَرَامَةً
تَطَلَّعَ فِى غُصْنِ الرِّشَاءِ كِمَامَةً وَتَحْسَبُهُ تَحْتَ الْغَمَامِ غَمَامَةً
يَسِيلُ عَلَى أَعْطَافِهِ عَرَقُ النَّدَى

(١) فى م : « متوددا » .

هَوَى وَاسْتَوَى فِى حَالِهِ وَتَقَلَّبَا كَخَاطِفِ بَرْقٍ قَدْ تَأَلَّقَ خُلَّبَا
وَتَحْسَبُهُ قَدْ دَارَ فِى الْأُفْقِ كَوْكَبَا وَمَهْمَا مَشَى وَاسْتَوْقَفَ الْعَقْلَ مُعْجَبَا
تُقَلِّبُ فِيهِ الْعَيْنُ لَحْظًا مُرَدَّدَا

لَقَدْ رَامَ يَرْقَى لِلسَّمَاءِ بِسُلَّمِ فَيَمْشِى عَلَى خَطٍّ بِهِ مُتَوَهَّمِ
أَجِلْ فِى الَّذِى يُبْدِيهِ فِكْرَ تَوَسُّمِ تَرَى طَائِرًا قَدْ حَلَّ صُورَةَ آدَمِى
وَجِنًّا بِمَهْوَاةِ الْفَضَاءِ تَمَرَّدَا

وَمُنْتَسِبٍ لِلْخَالِ[1] سَمَّوْهُ مُلْجَمَا لَهُ حَكَمَاتٌ حُكْمُهَا فَاهُ أَلْجَمَا
تَخَالَفَ جِنْسًا وَالِدَاهُ إِذَا انْتَمَى كَمَا جِنْسُهُ أَيْضًا تَخَالَفَ عَنْهُمَا
عَجِبْتُ لَهُ إِذْ لَمْ يَلِدْ وَتَوَلَّدَا

ثَلَاثَتُهَا فِى الذِّكْرِ جَاءَتْ مُبِينَةً مِنَ اللَّاءِ سَمَّاهَا لَنَا اللهُ زِينَةً
وَأَنْزَلَ فِيهَا آيَةً مُسْتَبِينَةً وَأَوْدَعَ فِيهَا لِلْجَهُولِ سَكِينَةً
وَآلَاءَهُ فِيهَا عَلَى الْخَلْقِ عَدَّدَا

كَسَوْهُ مِنَ الْوَشْيِ الْيَمَانِىِّ هَوْدَجَا يَمُدُّ عَلَى مَا فَوْقَهُ الظِّلَّ سَجْسَجَا
[وَكَمْ صُورَةٍ تُجْلَى بِهِ تَبْهَرُ الْحِجَا وَجَزْلٍ وَقُودٍ نَارُهُ تَصْدَعُ الدُّجَى
وَقَلْبِ حَسُودٍ غَاظَ مُذْ كِيهِ[2] مَوْقِدَا]

وَمَا هِىَ إِلَّا مَظْهَرٌ لِجِهَادِهِ أَرَتْنَا[3] بِهَا الْأَفْرَاحُ فَضْلَ اجْتِهَادِهِ
مَلَاءِبُهَا هَزَّتْ قُدُودَ صِعَادِهِ وَأَذْكَرَتِ الْأَبْطَالَ يَوْمَ طِرَادِهِ
فَمَا ارْتَبَتَ فِيهِ الْيَوْمَ صَدَّقْتَهُ غَدَا

(١) يريد به البغل .
(٢) فى م « تذكيه » .
(٣) فى الأصلين : « هدى » وما أثبتناه عن نفح الطيب .

أَلَا جَدَدَ الرَّحْمٰنُ صُنْعًا حَضَرْتُهُ وَدَوْحُ الأَمانِي فى ذَرَاهُ هَصرْتُهُ
بِقَصرِ طَوِيلَ الوَصْفِ فيهِ اخْتَصرْتُهُ يُقَيِّدُ طَرْفَ الطَّرْفِ[1] مهما نَظَرْتُهُ
« وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا »[2]

دَعَوْتَ لَهُ الأَشْرَافَ مِنْ كلِّ بَلْدَةٍ فَجَاءوا بِآمَالٍ له مُسْتَجَدَّةٍ
وَخُصُّوا بِأَلْطَافٍ لَدَيْهِ مُعَدَّةٍ أَيَادٍ بِبَيَّاضِ النَّدَى مُسْتَمَدَّةٍ
فَكلُّهُمُ مِنْ فَضْلِه قَدْ تَزَوَّدَا

وَجَاءَتْكَ مِنْ آلِ النَّبِيِّ عِصَابَةٌ لَهَا فِى مَرَامِى الْمَكْرُمَاتِ إِصَابَةٌ
أَحَبَّتْكَ حُبًّا لَيْسَ فيهِ اسْتِرَابَةٌ وَلَبَّتْ دَوَاعِى الخيرِ[3] مِنْهَا إِجَابَةٌ [٢٩٢]
وَنَادَاهُمُ التَّخْصِيصُ فابْتَدَرُوا النَّدَى

أَجَازُوا إِلَيْكَ الْبَحْرَ وَالْبَحْرُ يَزْخَرُ لِبَحْرِ سَمَاحٍ مَدُّهُ لَيْسَ يَجْزِرُ
فَرَوَّاهُمُ مِنْ عَذْبِ جُودِكَ كَوْثَرُ وَوَالَيْتَ مِنْ نُعْمَاكَ مَا لَيْسَ يُحصَرُ
وَعَظَّمْتَهُمْ تَرْجُو النَّبِيَّ مُحَمَّدَا

عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ ثُمَّ سَلَامُهُ بِهِ طَابَ مِنْ هَذَا النِّظَامِ اخْتِتَامُهُ
وَجَاءَ بِحَمْدِ اللهِ حُلْوًا كَلَامُهُ يَعِزُّ عَلَى أَهْلِ الْبَيَانِ مَرَامُهُ
وَتُمْسِى لَهُ زُهْرُ الْكَوَاكِبِ حُسَّدَا

أَبُثُّ بِهِ حَادِى الرِّكَابِ مُشَرِّقًا حَدِيثَ جِهَادٍ لِلنُّفُوسِ مُشَوِّقَا
رَمَيْتُ بِهِ مَنْ بِالْعِرَاقِ مُفَوِّقًا وَأَرْسَلْتُ مِنْهُ بِالْبَدِيعِ مُطَوِّقَا
حَمَامًا عَلَى دَوْحِ الثناء مُغَرِّدَا

---

(١) طرف الطرف : تحريك البصر .
(٢) هذا عجز بيت للمتنبي ، وصدره : « وقيدت نفسى فى ذراك محبة » .
(٣) فى نفح الطيب : « الفوز » .

رَكضْتُ بِهِ خَيلَ الْبَيَانِ إِلَى مَدًى ... فَأَحْرَزْتُ فضل[1] السَّبْقِ فى حَلْبَةِ الْهُدَى
وَنَظَّمتُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِى مُخَلَّدًا[2] ... وَطَوَّقتُ جِيدَ الْفَخْرِ عِقْدًا مُنَضَّدَا
وَقمتُ بِهِ بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ مُنْشِدًا
نَسقْتُ مِنَ الإِحْسَانِ فيهِ فرَائِدًا ... وَأَرْسَلتُ فِى رَوْضِ المحَاسِنِ رَائِدَا
وَقَلَدْتُ عِطْفَ الْمُلْكِ منهُ قَلَائِدًا ... تَعَوَّدْتُ فيهِ لِلْقَبُولِ عوَائِدَا
فَلَازِلْتَ لِلْفَضْلِ الْجَزِيلِ[3] مُعَوِّدَا
وَلَازِلتَ لِلصُّنْعِ الْجَمِيلِ مُجَدِّدَا ... وَلَا زِلت لِلْفَخْرِ العَظِيمِ مُخَلِّدَا
وَعُمِّرْتَ عُمْرًا لَا يَزَالُ مُجَدَّدَا ... وَمُتِّعْتَ بالأَبْنَاءِ أَوْحَدَ أَوْحَدَا
وَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنَاكَ مَا سَانِقٌ حَدَا

من عيدياته

ومن العِيدِيّات :

هَذِى المَعَالِمُ لَفْظٌ أَنتَ مَعْنَاهُ ... كلٌّ يَقولُ — إذا اسْتَنْطَقْتَهُ — اللهُ
بَحْرُ الْوُجُودِ وَفُلْكُ الْكَوْنِ جَارِيَةٌ ... وَباسْمِكَ اللهُ مُجْرَاهُ وَمُرْسَاه
[٢٩٣] مِنْ نُورِ وَجْهِكَ ضَاءَ الْكَوْنُ أَجْمَعُهُ ... حَتَّى تَشَيَّدَ بالأفْلَاكِ مَبْنَاه
عَرْشٌ وَفَرْشٌ وَأَمْلَاكٌ مُسَخَّرَةٌ ... وَكُلُّها سَاجِدٌ لِلّهِ مَوْلَاه
سُبْحانَ مَنْ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ مِنْ عَدَمٍ ... وأَوْسَعَ الْكَوْنَ قبلَ الْكَوْنِ نُعماه
مَنْ يَنْسُبِ[4] النُّورَ لِلْأَفْلَاكِ قُلْتُ لَه ... مِنْ أَيْنَ أُطْلِعَتِ الْأَفْلَاكُ لَوْلَاه
مَوْلَاىَ مَوْلَاىَ بَحْرُ الجُودِ أَغْرَقَنِى ... والْخَلْقُ أَجْمَعُ فِى ذَا الْبَحْرِ قَدْ تَاهُوا
فَالْفُلْكُ تَجْرِى كَمَا الْأَفْلَاكُ جَارِيَةٌ ... بَحْرُ السَّمَاءِ وبَحْرُ الْأَرْضِ أَشْبَاه

(١) فى نفح الطيب : « خصل » وهما بمعنى :
(٢) فى ط : « مقلدا » .
(٣) فى م : « للفعل الجميل » ونفح الطيب .
(٤) فى م : « يثبت » .

وكُلُّها نِعَمٌ لِلْخَلْقِ شـــامِلَةٌ ... تَبارَكَ اللهُ لاَ تُحْصَى عَطاياه
يافائِقَ الرَّتْقِ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ كما ... فِى سابقِ العِلْمِ قَدْ خُطَّتْ قضاياهُ
كُنْ لِى كما كُنْتَ لِى إِذْ كُنْتُ لاَ عَمَلاً ... أَرْجُو ولاَ ذَنْبَ قَدْ أَذْنَبْتُ أَخْشاه
وأَنْتَ فِى حَضَرَاتِ الْقُدْسِ تَنْقُلُنِى ... حَتَّى اسْتَقَرَّ بِهَذَا الْكَوْنِ مَثْوَاه
مَا أَقْبَحَ الْعَبْدَ أَنْ يَنْسَى وتَذْكُرَهُ ... وأَنْتَ باللُّطْفِ والإِحْسانِ تَرْعاه
غُفْرَانَكَ اللهُ مِنْ جَهْلٍ بُلِيتُ بِهِ ... فِيمَنْ أَفادَ وُجُودِى كَيْفَ أَنْساه
مِنِّى عَلَىَّ حِجابٌ لَسْتُ أَرْفَعُهُ ... إِلاَّ بِتَوْفِيقِ هَدْى مِنْكَ تَرْضاه
فَعُدْ عَلَىَّ بِما عَوَّدْتَ مِنْ كَرَمٍ ... فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَمَّلْتُ رُحْماه
ثُمَّ الصَّلاةُ صَلاةُ اللهِ دائِمَةً ... عَلَى الَّذِى باسْمِهِ فِى الذِّكْرِ سَمَّاه
المُجْتَبَى وزِنَادُ النُّورِ مَا قُدِحَتْ ... ولاَزَكا مِنْ نَسِيمِ الرَّوْضِ مَسْرَاه
والمُصْطَفَى وكِمامُ الكَوْنِ مَا فُتِقَتْ ... عَنْ زَهْرِ زُهْرٍ يَرُوقُ الْعَيْنَ مَرْآه
ولاَ تَفَجَّرَ نَهْرٌ لِلنَّهـــــارِ عَلَى ... دُرِّ الدَّرارِى فَغَطَّاهُ وأَخْفَـــاه
يا فاتِحَ الرُّسْلِ أَوْ يا خَتْمَهَا شَرَفًا ... واللهُ قَدَّسَ فِى الْحالَيْنِ مَعْنَاه
لَمْ أَدَّخِرْ غَيْرَ حُبٍّ فيك أَرْفَعُهُ ... وسِـــيلَةً لِكَرِيمٍ يَوْمَ أَلْقاه
صَلَّى عَلَيكَ إِلٰهٌ أَنتَ صَفْوَتُهُ ... مَا طُيِّبَتْ بِلَذِيذِ الذِّكْرِ أَفْواه
وعَمَّ بالرَّوْحِ والرَّيْحَانِ صُحْبَتَهُ ... وجَادَهُمْ مِنْ نَمِيرِ العَفْوِ أَصْفاه
وَخَصَّ أَنْصارَهُ الأَعْلَيْنَ صَفْوَتَهُ ... وأَسْكَنُوا مِنْ جِوارِ اللهِ أَعْلاه
أَنْصـــارَ مِلَّتِهِ أَعْلامَ بَيْعَتِهِ ... مَنَاقِبٌ شَرُفَتْ أَثْنَى بِها الله
وأَيَّدَ اللهُ مَنْ أَحْيَا جِهَادَهُمُ ... وأَوْصَلَ الفَخْرَ أُوْلاهُ بِأُخْرَاه [٢٩٤]
المُنْتَقَى مِنْ صَمِيمِ الفَخْرِ جَوْهَرُهُ ... مَا بَيْنَ نَصْرٍ وأَنْصارٍ تَهَادَاه
العِلْمُ والحِلْمُ والإِقبالُ شِيمَتُهُ ... والبَأْسُ والجُودُ بَعْضٌ مِنْ سَجَاياه

وهى طويلة ، سَرَدها هذا المؤلف كُلَّها ، ومنها :

يَهْنِي زَمَانَكَ أَعْيَادٌ مُجَدَّدَةٌ ... مِنَ الْفُتُوحِ مَدَى الْأَيَّامِ تَغْشَاهُ
غَضِبْتَ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا بِحَقِّهِمَا ... يَا حَبَّذَا غَضَبٌ فِي اللهِ أَرْضَاه
فَوَّقْتَ لِلْغَرْبِ سَهْمًا رَاشَهُ قَدَرٌ ... وَسَـــدَّدَ اللهُ لِلْأَعْدَاءِ مَرْمَاه
سَهْمٌ أَصابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ ... لَقَدْ رَمَى الْغَرَضَ الْأَقْصَى فَأَصْمَاه
مَنْ كَانَ بَنْدُكَ يَا مَوْلاىَ يَقْدُمُهُ ... فَلَيْسَ يُخْلِفُهُ فَتْحٌ تَرَجَّاه(١)
مَنْ كَانَ جُنْدُكَ جُنْدَ اللهِ يَنصُرُه ... أَنَاله اللهُ مَا يَرْجُو وَأَسْنَاه
مَلَّكْتَهُ غَرْبَهُ خُلِّدْتَ مِنْ مَلِكٍ ... لِلْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مِنْهُ مَا تَمَنَّاه
وسامَ أَعْدَاءَكَ الْأَشْقَيْنَ مَا كَسَبُوا ... وَمَنْ تَرَدَّى رِدَاءَ الْغَدْرِ أَرْدَاه
قُلْ لِلَّذِى رَمِدَتْ جَهْلاً بَصِيرَتُهُ ... فَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ شَمْسَ الْهَدْىِ عَيْنَاه
غَطَّى الْهَوَى عَقْلَهُ حَتَّى إِذَا ظَهَرَتْ ... لَهُ الْمَرَاشِـــدُ أَعْشَاهُ وَأَعْمَاه
هَلْ عِنْدَهُ وَذُنُوبُ الْغَـدْرِ تُوبِقُه ... أَنَّ الَّذِى قَدْ كساهُ الْعِزَّ أَعْرَاه
لَوْ كَانَ يَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ... مَا زِلْتَ مَلْجَأَهُ الْأَحْمَى وَمَنْجَاه
سُلَّ السُّعُودَ وَخَلِّ البِيضَ مُغْمَدَةً ... فَالسَّيْفُ مَهْمَا مَضَى فالسَّعْدُ أَمْضَاه
وَاشْرَعْ مِنَ الْبَرْقِ نَصْلاً رَاعَ مُصْلَتُهُ(٢) ... وارْفَعْ مِنَ الصُّبْحِ بَنْدًا رَاقَ مَجْلَاه
فالْعُدْوَتَانِ وَمَا قَدْ ضَمَّ مُلْكُهُمَا ... أَنْصَارُ مُلْكِكَ صَانَ اللهُ عَلْيَاهُ(٣)
لَا أَوْحَشَ اللهُ قُطْرًا أَنْتَ مَالِكُهُ ... وَآنَسَ اللهُ بِالْأَلْطَافِ مَغْنَاه
لَا أَظْلَمَ اللهُ أُفْقًا أَنْتَ نَيِّرُهُ ... لَا أَهْمَلَ اللهُ سَرْحًا أَنْتَ تَرْعَاه

(١) كذا فى م . وفى ط : « نصر شرحناه » .
(٢) فى م : « مقتله » .
(٣) فى م : « معلاه » .

واهْنَأْ بِشَهْرِ صِيَامٍ جَاءَ رَائِدُه[1] (مُسْتَنزِلاً) مِنْ إِلٰهِ العَرْشِ رُحماهُ
أَهَلَّ بِالسَّعْدِ فَانْهَلَّتْ بِهِ مِنَنٌ وأَوْسَعَ الصُّنْعَ إِجْمالاً ووفَّاه
أَمَا تَرَى بركاتِ الأَرْضِ شَامِلَةً وَأَنعُمَ اللهِ قَدْ عَمَّتْ بَرَايَاه
وَعَادكَ الْعِيدُ تَسْتَحْلِي مَوَارِدَهُ وَيُجْزِلُ الأَجرَ والرُّحْمَى مُصَلاَّه
جَهَّزْتَ جَيْشَ دُعَاءٍ فِيهِ تَرْفَعُهُ لِذِي الْمَعَارِجِ وَالإِخْلَاصُ رَقَّاه
أَفَضْتَ فِيهِ مِنَ النَّعْمَاءِ أَجْزَلَهَا وَأَحْسَنُ الْبِرِّ مَا الإِحْسَانُ زَكَّاه [٢٩٠]
والَيْتَ لِلْخَلْقِ مَا أَولَيْتَ مِنْ نِعَمٍ والَى لَكَ اللهُ مَا أَوْلَى ووالاه

عيدية أخرى

ثم قال بعد سرد عِدَّة قصائد : ومن بدائعه المُنيفة عيديّة ميلادية ، وافقتها وجهته من غزوات مولانا الجد أيضا :

لَوْ كُنْتُ أُعْطَى مِنْ لِقَائِكَ سُؤْلَا لَمْ أَتَّخِذْ بَرْقَ الْغَمَامِ رَسُولَا
أَوْ كُنْتُ أَبْلَغُ مِنْ قَبُولِكَ مَأْمَلِي لم أُودِعِ الشَّكْوَى صَبًا وَقَبُولا
لَكِنَّ مُعْتَلَّ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى مَازَالَ يُوسِعُ ذَا الْهَوَى تَعْلِيلا
وَبِمُلْتَقَى الأَرْوَاحِ دَوْحَةُ أَيْكَةٍ جَاذَبْتُهَا عِنْدَ الْهُبُوبِ مميلا[2]
عَهْدِي بِهَا سَدَلَتْ عَلَيَّ ظِلَالَهَا فَسَدَلْتُ ظِلًّا لِلشَّبَابِ ظَلِيلا
رَتَعَتْ بِهِ حَوْلِي الظِّبَاءُ أَوَانِسًا فَنَعِمْتُ فِيهِ مُفَوَّسًا وَمَقِيلا
وَصَقَلْتُ لِلْحَسْنَاءِ صَفْحَ مَوَدَّتِي لَمَّا اجْتَلَيْتُ الْعَارِضَ الْمَصْقُولا
ثُمَّ انْتَشَيْتُ[3] وَقَدْ تَعَاطَيْتُ الْهَوَى رِيمًا أَغَرَّ وَجُؤْذَرًا مَكْحُولا
كَمْ فِيهِ مِنْ مُلَحٍ لِمُرْتَادِ الْهَوَى تَرَكَتْ فُؤَادَ مُحِبِّهِ مَتْبُولا

(١) كذا فى م . وفى ط : « زائره » .
(٢) فى م : « مميلا » .
(٣) فى م : « انثنيت » .

لم تَرْوِ لِى عَيْنَاهُ حِكْمَةَ بابِلٍ ... إِلَّا أَخَـذْتُ حَدِيثَها مَقْبُولَا
ولَقَدْ أَجَـدَّ جَوَايَ لَمَّا زُرْتُهُ ... رَسْمًا كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ مُحِيلا
قَدْ أَنْـكَرَتْهُ الْعَيْنُ إِلَّا لَمْحَةً ... عَرَفَتْ بِهِ آثارَهُ تَخْيِيـلا
وإِذَا الطُّلُولُ تَعَرَّضَتْ لِمُتَيَّمٍ ... غَادَرْنَ دَمْعَ جُفونِهِ مَطْلُولا
مَنْ يُنْجِدِ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ فإِنَّهُ ... بَعْدَ الأَحِبَّـةِ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلا
كَيْفَ التَّجَمُّلُ[1] بَعْدَهُمْ وأَنَا الَّذِى ... أَنْسَيْتُ قَيْسًا فِى الْهَوَى [وَ] جَمِيلا
مَنْ عَاذِرِى والْقَلْبُ أَوَّلُ عَاذِلٍ ... فِيمَنْ أُفَنِّدُ[2] لَائِمًا وعَـذُولا
أَتْبَعْتُ فِى دِينِ الصَّبَابَةِ أُمَّـةً ... مَا بَدَّلُوا فِى حُبِّهِمْ تَبْـدِيلا
يا مَوْرِدًا حَامَتْ عَلَيْـهِ قُلُوبُنا ... لَوْ نِيلَ لَمْ تَجْرِ[3] الْمَدَامِـعُ نِيلا
مَا ضَرَّ مَنْ رَقَّتْ[4] غَلَائِلُهُ ضُحًى ... لَوْ بَاتَ يَنْقَعُ لِلْمُحِبِّ غَلِيلا
كَمْ ذَا أُعَلِّلُ بِالْحَـدِيثِ وبِالْمُنَى ... قَلْبًا كَمَا شَاءَ الغَرَامُ عَلِيـلا
أَعْدَيْتُ واصِلَةَ الهَدِيلِ بِسُحْرَةٍ ... شَجْوًا وجَانِحَةَ الأَصِيلِ نُحُولا
وسَرَيْتُ فى طَيِّ النَّسِيمِ لَعَلَّنِى ... أَخْتَـلُّ حَيًّا بالعَقِيقِ حُلولا
هَذَا وَوَجْدِى مِثْلُ وجْدِىَ عِنْدَ مَا اسْـتَشْعَرْتُ مِنْ رَكْبِ الْحِجَازِ رَحِيلا [٢٩٦]
قَدْ سَـدَّدُوا الْأَنْضَاءَ ثُمَّ تَتابَعُوا ... يَتْلُو رَعِيلٌ فى الفَلَاةِ رَعِيـلا
مِثْلُ القِسِيِّ ضَوَامِرٌ قَدْ أُرْسِلَتْ ... يَذْرَعْنَ عَرْضَ البِيدِ مِيلًا مِيلا
مُتَرَنِّحِينَ عَلَى الرِّحَالِ كَأَنَّمَـا ... عَاطَيْنَ مِنْ فَرْطِ الْكَلَالِ شَمُولا
إِنْ يَلْتَبِسْ عَلَمُ الطَّرِيقِ عَلَيْهِمُ ... جَعَلُوا التَّشَوُّقَ لِلرَّسُولِ دَلِيـلا

(١) كذا فى م . ولذى ط : « التحمل » بالحاء المهملة .
(٢) كذا فى م . والذى فى سائر الأصول : « أقيد » .
(٣) فى ط : « وموارد » و « لم ألف » . مكان قوله « يامواردا » و « لم تجر » .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « راقت » .

يارَاحِلِينَ ومَا تَحَمَّـــلَ رَكْبُهُمْ ... إلَّا قُلُوبَ العَاشِـــقِينَ حُمُولا
نَاشَدْتُكُمْ عَهْدَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا ... والعَهْدُ فِينا لم يَزَلْ مَسْئُولاَ
مَهْمَا وصَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ... أَنْ تُوسِعوا ذَاكَ الثَّرَى تَقبِيلا
يالَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَعَرِّسُ لَيْلَةً ... فأَبِيتَ حَوْلِي إذْخِرًا وجَلِيـــلا(١)
أَوْ تُرْوِنِي(٢) يَوْمًا مِياهُ مَجَنَّـــةٍ ... وَيَشِيمُ طَرْفِي شَامَةً وطَفِيلا(٣)
وأَحُطَّ فِي مَثْوَى الرَّسُولِ رَكَائِبِي ... وأَبِيتُ لِلْحَرَمِ الشَّرِيفِ نَزِيلا
بِمَنَازِلِ الْوَحْيِ التِي قَدْ شُرِّفَتْ ... قَدْ شَافَهَتْ أَعْلامُها التَّنْزِيلا
بِمَعَاهِدِ الإِيمَـــانِ والدِّينِ الَّتِي ... قَدْ صَافَحَتْ عَرَصَاتُها جِبْرِيلا
وَمُهَاجَرِ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَأَهْلِهِ ... حَيْثُ اسْتَقَرَّ بِهِ الأَمَانُ دَخِيلا
دَارِ الرَّسُولِ وَمَطْلَعِ القمرِ(٤) الَّذِي ... إِبْدَاؤُهُ مَا فَارَقَ التَّكْمِيلا
يَاحَبَّـــذَا تِلْكَ الْمَعَالِمُ والرُّبا ... يَاحَبَّـــذَا تِلْكَ الطُّلولُ طُلولا
حَيْثُ النُّبُوَّةُ قَدْ جَلَتْ آفَاقَها ... وَجْهًا مِنَ الحَقِّ الْمُبِينِ(٥) جَمِيلا
حَيْثُ الرِّسالَةُ فُصِّلَتْ أَحْكَامُها ... لِتُبَيِّنَ التَّحْرِيمَ والتَّحْلِيـــلا
حَيْثُ الشَّرِيعَةُ قَدْ رَسَتْ(٦) أَرْكَانُها ... فَالنَّصُّ مِنْها يَعْضُـــدُ التَّأْوِيلا

(١) الإذخر (بكسر الهمزة والخاء) : حشيش طيب الريح وإذا جف ابيض . والجليل : الثمام .
(٢) كذا في الأصلين .
(٣) مجنة (بفتح الميم وكسرها) : موضع قرب مكة . وشامة وطفيل : جبلان بمكة . وقد أخذ معنى هذا البيت والذي قبله من قول بلال رضى الله عنه :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بفج وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة ... وهل يبدون لى شامة وطفيل

(٤) في ط : « الفخر » .
(٥) في ط : « الصبح الجميل » .
(٦) في م : « دست » .

حَيْثُ الْهُدَى والدِّينُ والْحَقُّ الَّذِى ... مَحَقَ الضَّلالَ وأَذْهَبَ التَّضْلِيلا
حَيْثُ الضَّرِيحُ يَضُمُّ أَكْرَمَ مُرْسَل ... وأَجَلَّ خَلْقِ اللهِ جِيلاً جِيلا
إنَّ الإِلٰهَ اخْتَارَها[1] لِمُقامِهِ ... واخْتارَهُ لِلْعالَمِينَ رَسُولا
رَحِمَ الإِلٰهُ الْعالَمِينَ بِبَعْثِهِ ... فِيهِمْ وفَضَّلَ جِنْسَهُ تَفْضِيلا
بِدُعائِهِ انْقَشَعَ الغَمامُ[2] وقَبْلَها ... والَتْ بِدَعْوَتِهِ الْغَمامُ هُمولا
والشَّمْسُ قَدْ رُدَّتْ لَهُ ولَطالَما ... قَدْ ظَلَّلَتْهُ سَحابُها تَظْلِيلا
لِمْ لاَ يُطاوِعُهُ الْوُجُودُ وَقَدْ غَدَا ... مِنْ نُورِهِ فِى خَلْقِهِ مَعْلُولا
[٢٩٧] يَا نُكْتَةَ الأَكْوانِ يَا عَلَمَ الْهُدَى ... آياتُ فَضْلِكَ رُتِّلَتْ تَرْتِيلا
لَوْلاكَ لَمْ يَكُ لِلْكِيانِ حَقِيقَةٌ ... ولَكانَ بَابُ وُجودِها مَقْفولا[3]
لَوْلاكَ لِلزُّهْرِ الْكَواكِبِ لَمْ تَلُحْ ... مِثْلَ الأَزَاهِرِ مَا عَرَفْنَ ذُبُولا
لَوْلاكَ لَمْ تَجْلُ السَّماءُ شُمُوسَها ... وَلَكانَ سَجْفُ ظَلامِها مَسْبُولا
لَوْلاكَ مَا عُبِدَ الإِلٰهُ وَما غَدَا ... رَبْعُ الجِنانِ بِأَهْلِهِ مَأْهُولا
يَا رَحْمَةَ اللهِ الَّتِى أَلْطافُها ... سَحَبَتْ عَلَيْنَا لِلْقَبُولِ ذُيُولا
يَا حُجَّةَ اللهِ الَّتِى بُرْهانُها ... ما كانَ يَوْمًا صِدْقُهُ مَجْهُولا
كَمْ آيَةٍ لَكَ قَدْ صَدَعْتَ بِنُورِها ... لَيْلَ الضَّلالِ وإِفْكَهُ المَنْحُولا
أَوْضَحْتَها كالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِها ... وَعَقَلْتَ عَنْ إِدْرَاكِهِنَّ عُقُولا
وَأَتَيْتَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ مُبَيِّنًا ... قَدْ فُصِّلَتْ آياتُهُ تَفْصِيلا
أَثْنَى عَلَيْكَ بِكُتْبِهِ مَنْ أَنْزَلَ الـ ... ـقُرْآنَ وَالتَّوْرَاةَ والإِنْجِيلا

(١) كذا فى م . وفى ط : « اختاره » .
(٢) فى ط : « الظلام » .
(٣) ورد « قفل الباب » ثلاثيا فى أساس البلاغة .

فإذا البليغُ يَرُومُ مَدْحَكَ جاهِدًا ... أضْحَى حُسامُ لِسانِهِ مَفْلُولا
يا شافِعَ الرُّسْلِ الكِرامِ ومَنْ بِهِ ... يَرْجُونَ فِي يَوْمِ الحِسابِ قَبُولا
رِفْقًا بِمَنْ مَلَكَ القَضاءُ زِمامَهُ ... فغَدَا بِقَيْدِ ذنوبه[1] مَعقولا
واحَسْرَتا ضَيَّعْتُ عُمْرِيَ فِي الهَوَى ... والتَّوْبُ أضْحَى دَيْنُهُ مَمْطولا
وجَرَيْتُ فِي طَلَقِ البَطالَةِ جامِحًا ... حَتَّى انْثَنَى طَرْفُ الشَّبابِ كَلِيلا
وعَثَرْتُ فِي طَلَبِ المَفازِ جَهالَةً ... لَكِنْ وجَدْتُكَ لِلعِثارِ مُقِيلا
يا صَفْوَةَ اللهِ الأَمِينَ لِوَحْيِهِ ... مَنْ أمَّ جاهَكَ أحْرَزَ التَّأْمِيلا
واللهِ مالِي لِلْخَلاصِ وسِيلَةٌ ... إلاَّ رِضاكَ وعَفْوَكَ المَأْمُولا
إنْ كُنْتُ ما أعْدَدْتُ زادًا نافِعًا ... أعْدَدْتُ حُبَّكَ شافِعًا مَقْبُولا
صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ ما رَكْبٌ سرَى ... فأجَدَّ وخْدًا[2] فِي المَفازَةِ مِيلا
وأعَزَّ مَنْ ولاَّهُ أمْرَ عبادِهِ ... فَحَباهُمُ إحْسانَهُ الموصُولا[3]
وأقامَ مَفْرُوضَ الجِهادِ بعَزْمَةٍ ... تَرَكَتْ بِأفْئِدَةِ العُداةِ[4] فُلُولا
واللهِ ما أدْرِي وقَدْ حَضَرَ الوَغَى ... أحُسامُهُ أمْ عَزْمُهُ مَصْقُولا
مَلِكٌ إذَا لَثَمَ الوُجُودُ يَمِينَهُ ... فالبَحْرُ عَذْبًا والرِّياضُ بَلِيلا
أوْ يُحْلِفُ النَّاسَ الغَمامُ وأمْحَلُوا ... فَنَداهُ لا يُخْشِي العُفَاةَ مُحُولا
مِنْ دَوْحَةٍ نَصْرِيَّةٍ يَمَنِيَّةٍ ... وشِجَتْ فُرُوعًا فِي العُلا وأُصُولا [٢٩٨]
فإذا سَأَلْتَ الكُتْبَ نَقْلَ فَضِيلَةٍ ... لَمْ تُلْفِ إلاَّ فخْرَها مَنْقُولا

(١) فى ط : « زمامه » .
(٢) فى ط : « وجدا » .
(٣) فى ط : « المأمولا » .
(٤) فى ط : « العباد » .

يَاأَيُّهَـــــا المَلِكُ الَّذِى أَيَّامُهُ ... وضَحَتْ بأَوْجه دهرز[1] مُحُولا
واللهِ ما آثار هَدْيك عنـــدنا ... إلاّ نجـــــومًا ما عَرَفْنَ أُفُولا
لمْ يَعْرِفِ التَّرْكِيبَ سَيْفُكَ فى الْوَغَى ... فاعْجَبْ لهُ قَدْ أَحْكَمَ التحْلِيلا
كَمْ صُورَةٍ لَكَ فى الفُتُوحِ وسُورَةٍ ... تُجْلَى وتُتْلَى بُكْرَةً وأَصِيلا
لم تَسْرِ سَارِيةُ الرِّيَاحِ بِطَيْبَةٍ ... إلّا لِتَحْمِلَ ذِكْرَكَ الْمَعْسُولا
وكَأَنَّ صَفْحَ البَرْقِ سَيْفُك ظَلَّ من ... غِمْدِ الغَمامةِ مُرْهَفًا مَسْلولا[2]
كم بَلْدَةٍ لِلكُفْرِ قدْ عَوَّضْتَ مِنْ ... ناقُوسِها التَّكبيرَ والتَّهْلِيـــلا
صَدَقتْ مُقَدِّمَةُ الجُيوشِ فَصَيَّرَتْ ... مِنْ حِينِها مُوضُوعَهَا مَحْمُولا
كَسَرُوا تَمَاثِيلَ الصَّلِيبِ ومَثَّلُوا ... بِمَن انتَمَى لِوَلَائِهِ تَمْثِيلا
لما أَحَطْتَ بها وحَانَ دَمَارُها[3] ... أَخْرَجْتَ مُتْرَفَها الأَعَزَّ ذَلِيلا
تَجْرِى الدُّمُوعُ وما تَبُـلُّ غَلِيلَهُ ... فَمُصَفَّدٌ يَبْـكِى هُنَاكَ قَتِيلا
إ سَلَّتْ يمينُ المُلْكِ منك على العِدَا ... عَضْـــبًا مَهِيبَ الشَّفْرَتَين صَقِيلا
لم يَرْضَ سـيفُك أن يُحَلَّى جوهراً ... حتى يُحَلَّى عَسْجداً مَحْـــلولا
لم ترضَ هِمَّتُك القليلَ من التقى ... حتى أتتْ بالصالحاتِ قَبِيـــلا][4]
فأَقَمْتَ مِيلادَ الرَّسُولِ بِلَيْلَةٍ ... أَوْضَحْتَ فيها للْجِهَادِ سَبِيلا
حَيْثُ القِبابُ البِيضُ جَلَّتِ الرُّبا ... أَزْهَارَ رَوْضٍ مَا اكْتَسَينَ ذُبُولا
ومَوَاقِدُ النيرانِ تُذْكَى حَوْلَها ... فَيُنِيرُ مَشْعَلُها رُبًا وسُهُولا
والأُفْقُ فَوْقَكَ قُبَّةٌ مَحْبُوكَةٌ ... مَدَّتْ عَلَيْك طِرَافَها المسدولا[5]

(١) كذا فى الأصلين وفيه تحريف ظاهر .
(٢) فى م : « معلولا » .
(٣) فى م : « وهان ذمارها » .
(٤) الأبيات الثلاثة زيادة عن م .
(٥) فى ط : « المسبولا » . وما أثبتناه عن م .

ورَمَى[1] إليكَ ببدْرِهِ ونُجُومِهِ يُهْدِيكَ مِنْهُ التَّاجَ والإِكْليلا
حَيْثُ الكَتائِبُ قَدْ تلاَطَمَ مَوْجُهَا وتَدَفَّقَتْ فيها الخُيولُ سُيُولا
زَخَرَت بأَمْواجِ الحَديدِ ورُبَّما ضَاقَ الفَضاءُ فَمَا وجَدْنَ مَسِيلا
يَتَجَاوبُ التَّكْبيرُ فى جنَبَاتِها فَتُعِيدُهُ غُرُّ الجِيَادِ صَهيلا
حَمَلَتْ مِنَ الأَبْطَالِ كُلَّ مُشَمِّرٍ لا يقتَنِى[2] سُمْرَ القَنَا ونُصُولا
آسَادُ مَلْحَمَةٍ إذا اشْتَجَرَ الوَغَى دَخَلوا مِنَ الأَسَلِ[3] المُثقف غيلا
إن شَمَّرُوا يَوْمَ الحُرُوبِ ذُيُولَهُمْ سَحَبُوا منَ الزَّرَدِ المُفاضِ ذُيُولا
أَو قَصَّرُوا يَوْمَ الطِّعانِ رِمَاحَهُمْ وصَلوا بها الخَطْوَ الوَسَاعَ طويلا
يَالَيْلةَ ظَفِرَتْ يَدايَ بأَجْرِها وسَهِرْتُ فيها بالرِّضا مَشْمُولا
واللهِ لوْ عُوِّضْتُ عنْكِ شَبِيبتى مَا كُنْتُ أَرضَى بالشَبَابِ بَدِيلا [٢٩٩]
يَا ناصِرَ الإِسْلامِ يَامِلكَ العُلا اللهُ يُؤْتِيكَ الجَزَاءَ جزِيلا
جَهِّزْ جُيُوشَكَ للجِهَادِ مُوَفَّقًا وكَفَى بِرَبِّكَ كافِيًا وكَفيلا
ولْتُبْعِدِ[4] الغَارَاتِ فى أَرْضِ العِدَا واللهُ حَسْبُكَ ناصِرًا ووكِيلا
وإِلَيْكَ مِنْ سُمْرِ الجِهادِ غريبَةً جاءَتْكَ تَقْرِضُكَ[5] الثَناءَ جَميلا
وأَطلْتُ لكِنِّى أَطبْتُ وعادَتِى أُلْفَى مُطيباً فِى المَدِيحِ مُطِيلا
لا زَالَ نَصْرُكَ كُلَّمَا اسْتَنْجَدْتَهُ لِمُهِمِّ دِينِكَ عائِدًا مَوْصُولا

(١) فى م : « أومى » .
(٢) فى الأصول : « الأسد المنقب » ، وهو تحريف .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « لا يعتنى » .
(٤) فى م : « واستعمل » .
(٥) كذا فى م . وفى ط : « جاءت تقرظك » .

ثُم قال بعد ذكر جملة من قصائد :

ومن ذلك وقد عاد من وجهة للصيد أعملها ، وأعنّة للجياد فى ميادين ذلك الطِّراد أرسلها ، ما أنشده :

حَيَّاكِ يَا دَارَ الْهَوَى مِنْ دَارِ ... نَوْءُ[1] السِّمَاكِ بِدِيمَةٍ مِدْرَارِ
وأعادَ وجْهَ رُبَاكِ طَلْقًا مُشْرِقًا ... مُتَضَاحِكًا بِمَبَاسِمِ النَّوَّارِ
أُمْذَ كُرِّى دارَ الصَّبابةِ وَالهَوَى ... حَيْثُ الشَّبابُ يَرُوقُ حُسْنَ[2] نُضَار
عاطَيْتَنِى عَنْها الحَدِيثَ كأنَّما ... عاطيْتَنى منها كُئُوسَ عُقَار
إيهٍ وَإنْ أَذْكَيْتَ نارَ صَبابَتِى ... وَقَدَحْتَ زَنْدَ الشَّوْقِ بالتَّذْكار
يا زاجِرَ الأَظْعانِ وَهْىَ مَشُوقَةٌ ... أَشْبَهْتَهَا فى زَفْرَةٍ وَأُوار
حَنَّتْ إلى نَجْدٍ وَلَيْسَتْ دارَها ... وصَبَتْ إلى هِنْدِيَّةٍ والقار
لكِنَّها شامَتْ بِهِ بَرْقَ الحِمَى ... واعْتادَها طَيْفُ الكَرَى بِمَزَار[3]
هلْ تُبْلِغُ الحاجاتِ إنْ حُمِّلْتَها ... إنَّ الوَفاءَ سَجِيَّةُ الأَحرار
عَرِّضْ بِذِكْرِى فى الخِيامِ وقُلْ إذا ... جِئْتَ العَقِيقَ مُبَلِّغَ الأَوْطار
[عارٌ] بقَومِكِ يَابْنَةَ الحَيَّيْنِ أنْ ... تُلْوِى الدُّيُونَ وأَنْتِ ذاتُ يَسار
أَمَنَعْتِ مَيْسُورَ الكَلامِ أَخا الهَوَى ... وبَخِلْتِ حتَّى بالخيال السَّارى ؟
وأَبانَ جارِى الدَّمْعِ عُذْرَ هُيامِهِ ... لكِنْ أَضَعْتِ حُقُوقَ[4] ذاكَ الجار
هذا وقَوْمُكِ مَا عَلِمْتِ خِلالَهُمْ ... أَوْفَى الكِرامِ بِذِمَّةٍ وجِوار

(١) فى م : « موق » .
(٢) فى م ونفح الطيب : « يرف غصن » .
(٣) فى نفح الطيب والإحاطة :
شاقت به برق الحمى واعتادها ... طيف الكرى بمزارها المزوار
(٤) فى نفح الطيب : « لكن أضعت له حقوق الجار » .

اللهَ فى نفسٍ شَـــعاعٍ كُلَّمَا هَبَّ النَّسيمُ تَطيرُ كلَّ مَطار
باللهِ يا لَمياءُ ما مَنَعَ الصَّـــبا أَلاَّ تَهُبَّ بِعَرْفِكِ المِعْطـــار
يَا بِنْتَ مَنْ تَشْدُو الحُداةُ بِذِكْرِه مُتَعَلِّلِينَ بِهِ عَلَى الأَكْوار
مَا ضَرَّ نَسْمَةَ حاجِرٍ لَوْ أَنهـــا أَهْدتْ لنا خَبَرًا منَ الأَخبار [٣٠٠]
هل بانُهُ مِنْ بَعْدِنا مُتَأَوِّدٌ مُتَجـــاوِبٌ مُتَرَنِّمُ الأَطيار
وهَلِ الظِّباءُ الآنِساتُ كَعَهْدِها(١) يَصْرَعْنَ أُسْدَ الغابِ وهْىَ ضَوارِى
يَفْتِكْنَ مِنْ قاماتِهَا ولِحاظِهـــا بالْمَشْرِفيَّـــةِ والقَنَا الخَطَّار
أَشْعَرْتُ قَلْبى حُبَّهُنَّ صَـــبابَةً فَرَمَيْنَنِى مِنْ لَوْعَتِى بِجِمار
وعَلَى الكَثِيبِ سَوَانِحٌ حُمْرُ الحِلَى بِيضُ الوُجُوهِ يَصِدْنَ بالأَفكار
أَذْنَى الحَجِيجُ مَزارَهُنَّ ثلاثةً بِمِنًى لَوَ انَّ مِنًى دِيارُ(٢) قرار
لَـكِنَّ يَوْمَ النَّفْرِ جُدْنَ لنا بما عَوَّدْنَنَا مِنْ جَفْوَةٍ ونِفَار
يَابنَ الأُلَى قد أَحْرَزُوا فَضْلَ(٣) العُلا وسَمَوْا بطِيبِ أُرومةٍ ونِجـــار(٤)
وتَنُوبُ عن صوْبِ الغَمامِ أَكُفُّهُمْ وَتَنُوبُ أَوْجُهُهُمْ عن الأَقمار
مِنْ آلِ سَعْدٍ(٥) رافِعِى علَمِ الهدَى المُصْطَفَيْنَ لِنُصْرَةِ المُخْتار
أَصبَحْتَ وارِثَ مَجْدِهِمْ وفَخارِهِمْ ومُشَرِّفَ الأَعْصار والأَمْصار
وجْهٌ كما حَسَرَ الصَّـــبَاحُ نِقابَهُ ويَدٌ تُمِدُّ أَنَامِلاً بِبِحـــار
جَرَّدْتَ دون الدِّينِ عَزْمَةَ أَرْوَعٍ جَدَّدْتَ منها سُنَّةَ الأَنصار

(١) فى م ونفح الطيب : « كعهدنا » .
(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « بدار » .
(٣) فى نفح الطيب : « خصل » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « ونخار » .
(٥) يريد سعد بن عبادة سيد الخزرج ، من كبار أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

حُطتَ البلادَ ومَنْ حَوَتْهُ ثُغُورها وكَفَى بسَعْدِكَ حامياً لِذمار
لله رحلتُكَ[1] التى نِلْنا بها أَجْرَ الجهادِ ونُزْهَةَ الأَبْصَار
أَوْرَدْتَنَا فيها لِجُودِكَ مَوْرِدًا مُسْتَعْذَبَ الإِيرَادِ وَالإِصدار
وَأَفَضْتَ فِينَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبًا حَسُنَتْ مَوَاقِعُهَا عَلَى التَّكْرَار
أَضْحَكْتَ ثَغْرَ الثَّغْرِ لَمَّا جِئْتَهُ وخَصَصْتَهُ بخَصَائِص الإِيثَار
حَتَّى الفَلاَةُ تُقِيمُ يَوْمَ وَرَدْتَهَا سُنَنَ القِرَى بِتَلاَلُؤِ[2] الأَنْوَار
وسَرَتْ عُقَابُ الجوِّ تُهْدِيكَ الذِى تَصطَادُ مِنْ وَحْشٍ وَمِنْ أَطْيَار
والأَرْضُ تَعْلَمُ أَنَّكَ الغَوْثُ الذِى تُضْفِى عَلَيْهَا وَافِى[3] الأَستَار
ولرُبَّ مُمتَدِّ الأَباطِحِ مُوْحِشٍ عالِى الرُّبا مُتَباعِدِ الأَقْطَار
هَمَلِ المَسارِحِ لَا يُرَاعُ قَنِيصُهُ إِلَّا لِنَبْأَةِ فارِسٍ مِغْوَار
سَرَحَتْ عِنَانُ الرِّيحِ فيهِ وربَّمَا أَلْقَتْ بِسَاحَتِهِ عَصَا التَّسْيار
باكَرْتَهُ والأُفْقُ قدْ خَلَعَ الدُّجَى مِسْحًا لِيَلْبَسَ خِلْعَةَ[4] الإِسْفار
[٣٠١] وجَرَى بِهِ نَهْرُ النَّهارِ كَمِثْلِ مَا سَكَبَ النديم سُلَافَةً مِنْ قار[5]
عَرَضَتْ بِهِ المُسْتَنفَرَاتُ كأَنَّهَا خَيْلٌ عِرَابٌ جُلْنَ[6] فى مِضْمَار
أَتبَعْتَهَا غُرَرَ الجِيَادِ كَوَاكِبًا تَنقَضُّ رُجْمًا فى سَمَاءِ غُبَار
والهَادِيَاتُ يَؤُمُّهَا عَبْلُ الشَّوَى مُتَدَفِّقٌ كتَدَفُّقِ التَّيَّار
أَزْجَيْتَهَا شَقْرَاءَ رَائِقَةَ الحِلَى فَرَمَيْتَهُ مِنْهَا بِشُعْلَةِ نَار

(١) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصل : « رحمتك » ،
(٢) كذا فى الإحاطة : والذى فى الأصلين : « بثلاثة » .
(٣) فى نفح الطيب المطبوع : « واقى » .
(٤) فى م ونفح الطيب : « حلة » .
(٥) كذا فى م ونفح الطيب ، وفى ط : « نار » .
(٦) فى م : « خلن » .

أَثْبَتَّ فِيهِ الرُّمْحَ ثُمَّ تَرَكْتَهُ ... خَضِبَ الجَوَانِحِ بالدَّمِ الْمِوَّار
حَامَتْ عَلَيْهِ الذَّابِلاَتُ كَأَنَّهَا ... طَيْرٌ أَوَتْ مِنهُ إلى أَوْكَار
طَفِقَتْ أَرَانِبُه غَدَاةَ أَثَرْتَهَا[1] ... تَبْغِى الفِرَارَ وَلَاتَ حِينَ فِرَار
هَلْ يَنْفَعُ الْبَاعُ الطَّوِيلُ وَقَدْ غَدَتْ ... يَوْمَ الطِّرَادِ قَصِيرَةَ الأَعْمَار
مِنْ كُلِّ مُنْحَفِزٍ بِلَمْحَةِ بَارِقٍ ... فَاتَتْ خُطَاهُ مَدَارِكَ الأَبْصَار
[وَجَوَارِحٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِ طِلَابَهَا ... فَكَأَنَّمَا طَالَبْنَهُ بِالثَّـــار
سُودٌ وَبِيضٌ فِى الطِّرَادِ تَتَابَعَتْ ... كَاللَّيْلِ طَارَدَهُ بَيَاضُ نَهَار][2]
تَرْمِى بِهَا وَهِىَ الْحَنَايَا ضُمَّرًا ... مِثْلَ السِّهَامِ نَزَعْنَ عَنْ أَوْتَار
ظَنَّتْ بِأَنْ تَنْجُو بِهَا[3] كَلَّا وَلَوْ ... أَغْرَيْتَـــهُ بِأَرَانِبِ الأَقْمَار
وَبِكُلِّ فَتْخَاءِ الْجَنَاحِ إِذَا ارْتَمَتْ ... فَكَأَنَّهَا نَجْمُ السَّمَاءِ السَّارِى
زَجِلُ الجَنَاحِ مُصَفِّقٌ كَمَنَ الرَّدَى ... فِى مِخْلَبٍ مِنْهُ وَفِى مِنْقَار
أَجْلَى الطَّرِيدَ مِنَ الْوُحُوشِ وَإِنْ رَمَى[4] ... طَيْرًا أَتَاكَ بِهِ عَلَى مِقْدَار
وَأَرَيْتَنَا الْكَسْبَ الذى أَعْدَادُهُ ... مَلأَتْ جَمَالًا أَعْيُنَ النُّظَّار
بِيضٌ وَصُفْرٌ خِلْتَ مَطْرَحَ سَرْحِهَا ... رَوْضًا تَفَتَّحَ عَنْ شَقِيقٍ بَهَار
مِنْ كُلِّ مَوْشِىِّ الأَدِيمِ مُفَوَّفٍ ... رَقَمَتْ بَدَائِعَهُ يَدُ الأَقْدَار
خُلِطَ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ فِى لَوْنِهِ ... فَتَرَى اللُّجَيْنَ يَشُوبُ ذَوْبَ نُضَار
أَوْ أَشْعَلٍ رَاقَ الْعُيُونَ كَأَنَّهُ ... غَلَسٌ يُخَالِطُ سُـــدْفَةً بِنَهَار

(١) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصل : « تركتها » .
(٢) البيتان عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « ينجو لها » والضمائر فى البيت خفية الدلالة .
(٤) فى الأصل : « الطريق » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

سَرَحَتْ بمُخضَرِّ الجَوَانِبِ يانِعٍ تَنْسَابُ فِيهِ أَرَاقِمُ الأَنْهار
قَدْ أَرْضَعَتْهُ السَارِيَاتُ لِبَانَها وحَلَلْنَ فِيهِ أَزِرَّةَ النَّوَّار
أَخَذَتْ سَعُودُكَ حِذْرَهَا فَلِحِكْمَةٍ أَغْرَتْ جُفُونَ المُزْنِ باسْتِعْبار
لَمَّا أَرَتْكَ[1] الشَّمْسُ صُفْرَةَ حَاسِدٍ لِجَبِينِكَ المُتَأَلِّقِ الأَنْوَار
نَفَثَتْ عَلَيْكَ السُّحْبُ نَفْثَ مُعَوِّذٍ[2] مِنْ عَيْنِهَا المُتَوَقِّعِ الأَضْرَار
فَارْفَعْ لِوَاءَ الفَخْرِ غَيْرَ مُدَافَعٍ واسْحَبْ ذُيُولَ العَسْكَرِ الجَرَّار
[٣٠٢] وَاهْنَأْ بمَقْدَمِكَ السَّعِيدِ مُخَوَّلًا ما شِئْتَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ أَنصَار
قد جِئْتَ دَارَكَ مُحْسِناً ومُؤَمِّلًا مُتَّعْتَ بالحُسْنَى وعُقْبَى الدَّار
وإِلَيْكَهَا مِنْ رَوْضِ فِكْرِيَ نَفْحَةً شَفَّ الثَّنَاءُ بِهَا عَلَى الأَزْهَار

ثم قال : ومن ذلك ما أنشده ، رضى الله تعالى عنه ، فى رحلة ركاب المجاهد إلى المريّة بالقصر الصُّمادحى فى حدود عشر سنين وسبع مئة :

مَا لِلْحُمُولِ تَحِنُّ لِلْأَطْلَالِ وَيَشُوقُهَا ذِكْرُ الزَّمَانِ الخَالِي
يَنْنِي أَزِمَّةَ هِيمِهَا شَوْقٌ إِلَى ظِلِّ الأَرَاكِ وأَزْرَقٍ سَلْسَال
ذَكَرَتْ بِهَا الحَيَّ الجَمِيعَ كَعَهْدِهَا والرَّبْعُ مِنْهَا مُخْضَرُّ السِّرْبَال
والدارُ حَالِيَةُ المَعَاطِفِ والرُّبَا ومَرَادُهَا بالرَّوْضَةِ المِخْضَال
أَيَّانَ ما لَعِبَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى وتَرَاهَنَتْ فِي الحَلِّ والتَّرْحَال[3]

(١) فى الأصل : « رأتك » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٢) فى نفح الطيب : « نفثة معوذ » .
(٣) كذا فى م . وفى ط :
« أيان ما لعبت به أيدى الهوى ذهب الغرام بحيلة المحتال » .

وَجَرَتْ بسدَّتِها[1] الحُدَاةُ كأنَّها ... قِطَعُ السَفائِنِ خُضْنَ بَحْرَ لَيال

دَعْنى أُطَارِحُها الحَنِينَ فإنَّنى ... لا أَنثَنى[2] لِمقالةِ العُـذّال

وهى المَنازِلُ أَشْبَهَتْ سُكَّانَها ... أَعْمَارُهَا تَفْضِى إلى الآجال

بَلِيَتْ مَحاسِنُها وخَفَّ أَنِيسُهَا ... والشَوْقُ والتَّذْكَارُ لَيْسَ بِبَالِى

ولَقَدْ أَقُولُ وما يُعَنِفُ ذُو الهَوَى ... ذَهَبَ الغَرَامُ بِحِيلَةِ المُحْتَال

أَحَشًى تَذُوبُ صَبَابَةً ومَدَامِعٌ ... تُغرِى جُفُونَ المُزْنِ باستِهْلال

وَوَرَاءَ مُطَّلَعِ الخُدُور جَآذِرٌ ... تُجْلَى شُمُوساً فِى غَمَامِ حِجَال

يَا ساكِنى نَجْدٍ وما نجدٌ سِوَى ... نادى[3] الهَوَى ومُخَيَّمِ الآمال

مَا لِلظِّبَاءِ الآنساتِ بِرَبْعِكُمْ ... عُطُلاً وهُنَّ مِنَ الجَمَال خَوَالِى

أَوْ لِلرِّيَاحِ تَهُبُّ وهِىَ بَلِيلةٌ ... فَتَهِيجُ منْ وجْدى ومنْ بَلْبالى

هِىَ شِيمَةٌ عُذْرِيَّةٌ عَوَّدتُها ... قَلْبًا شَعاعا[4] مَا يُرَى بالسَّالِى

يَا بِنْتَ مَنْ غَمَرَ العُفَاةَ نَوالُه ... هَلاَّ سَمَحْتِ[5] ولوْ بِطَيْفِ خَيالى

فَلَكُمْ بَعَثْتُ مَعَ النَّسِيمِ تَحِيَّتِى ... عَوَّدْتُ سَارِى البَرْقِ مِنْ أَرْسالى

باللهِ يَا رِيحَ النُّعَامَى جَرِّرِى ... فَوْقَ الخُزَامَى عاطِرَ الأَذْيالِ

وَإِذَا مَرَرْتِ عَلَى الكَثِيبِ بِرَامَةٍ[6] ... صافِحْ مُحَيَّا الرَّوْضَةِ المِخْضال

فيها المَعاهِدُ قَدْ طَلَعْنَ بأُفْقِهَا ... زَمَنًا ولَمْ أُجْنَحْ لِوَقْتِ زَوال

---

(١) كذا فى م . وفى ط : « بشدة » .

(٢) فى ط : « لك أنثنى » .

(٣) فى م : « دار » .

(٤) كذا فى م . وفى ط : « شفافا » .

(٥) فى ط : « سمحت » .

(٦) كذا فى م . ورمة : موضع بالعقيق ، أو وراء القريتين فى طريق البصرة إلى مكة . (انظر معجم ما استعجم للبكرى) . وفى ط : « زابة » .

أُمُذَ كُرَى عَهْدَ الشَّبِيبَةِ جادَهُ صَوْبُ العِهادِ بوَاكِفٍ هَطَّال
[٣٠٣] عاطَيْتَنِي عنْهُ الحَدِيثَ كَأَنَّما عاطَيْتَنِي مِنْهُ أُبْنَةَ(١) الجِرْيال
هذا عَلَى أَنِّى نَزَعْتُ عَنِ الصِّبَا وصَرَمتُ مِنْ حُبِّ الحسانِ حِبالِى(٢)
حَسْبِي وَقارًا فِي النَّدِيّ إِذَا احْتَبَى وتَجاوَلُوا فِي الفَخْرِ كُلَّ مَجال
أَنِّى أُلُوذُ بِدَوْلَةٍ نَصْرِيَّةٍ حَلِيَتْ مَحاسِنُها بِكُلِّ كَمال
حيثُ الوُجُوهُ صَبيحةٌ والْمَكْرُما تُ صَرِيحَةٌ والعِزّ غَيْرُ مزال(٣)
حيْثُ المَكارِمُ سَنّها أَعْلامُها منْ كلِّ فَيَّاضِ النَّدَى مِفْضال
بِيضُ الأَيادِى والوُجوه أَعِزَّةٌ قَدْ شَيَّدُوا العَلْيا بِسُمْرِ عَوَالى
هُمْ آلُ نصْرٍ ناصَرُوا دِينَ الهُدَى والمُصْطَفَوْنَ لِخِيرَةِ الأَرْسال
ما شئْتَ مِنْ مَجْدٍ قديمٍ شادَهُ أَبْناء قَيْلَةَ أَشْرَفِ الأَقْيال
ما منهُمُ إِلاَّ أَغَرُّ مُحَجَّلٌ يَلْقَى العَظائِمَ وهْوَ غَيْرُ مُبالى
مُتَبَسِّمٌ واليوْمُ أَكْلَحُ عابِسٌ والحَرْبُ تدْعُو بالكُماةِ نَزَال
قد عُوِّدُوا النَّصْرَ العَزِيزَ وخُوِّلُوا الـ فَتْحَ المُبِينَ بِمُلْتَقَى الأَبْطال
بذلوا لدى(٤) الهَيْجا كَرَائِمَ أَنْفُسٍ قد أُرْخِصَتْ فِي اللهِ وهِىَ غَوَالى
يَأَيُّها المَلِكُ الهُمَامُ المُجْتَبَى ومُنِيلَ دِينِ اللهِ خَيْرَ مَنال
أَصْبَحْتَ وارِثَ مجْدِهِمْ وفَخَارِهِمْ ومُشَرِّفَ الأَمْصارِ والأَبْطال
وطلَعْتَ فِي أُفُقِ الخِلافَةِ نَيِّرًا تَجْلو ظَلامَ الظُّلْمِ والإِضْلال

(١) فى ط : « ابتدا » .
(٢) كذا فى . م وفى ط : « وصرعت من حب الحنان حبالى » وفيه تحريف ظاهر .
(٣) فى ط : « والعذر غير نوال » .
(٤) فى ط : « الدما » . والتصويب عن م .

فُقْتَ المُلوكَ جَلالةً وبَسالةً ... وَشَأَوْتَهُمْ[1] فِي الحِلْمِ والإِجْمال

أَعْدَتْ محاسنُكَ المَحاسنَ كُلَّها ... فَجَمالُها يُزْرى بِكُلِّ جمال

فالشَّمْسُ تأْخُذُ عَنْ جَبينِكَ نورَها ... والرَّوْضُ يَنْفَحُ عنْ كريمِ خِلال

والرِّيحُ تحْمِلُ عنْ ثنائكَ طيبَها ... فِي مُلْتَقاهَا من صَبًا وشَمال

والغَيْثُ إلاَّ منْ نَدَاكَ مُبَخَّلٌ ... فالغَيثُ يُقْلِعُ والنَدَى مُتَوَالى

تُعْطِى الذى لا فَوْقَهُ لِمؤَمِّلٍ ... وَتَجُودُ بالإِحْسَانِ قبلَ سُؤال

طَاوَلْتَ عُلْوِىَّ النُّجُومِ بِهِمَّةٍ ... لا فَاقِدًا عِزًّا ولا بِمكْسَال[2]

وَبلَغْتَ مِنْ رُتَبِ السَعادَةِ مَبْلَغاً ... أَبْعَدْتَ فِيهِ مُرْتَقَاكَ العالى[3]

وَقِيَاسُ سَعْدِكَ فى مَرَامِكَ كلِّهِ ... يَقْضِى مُقَدَّمُهُ بِصِدْقِ التَّالى

لمن الجِيَادُ الصَافِنَاتُ كأَنَّها ... فى الوِرْدِ أَسْرَابُ القَطَا الأَرْسال

مِنْ كلِ مَلْمُومِ القُوَى عَبْلِ الشَوَى ... مُرْخَى العِنَانِ مُحَفَّزٍ[4] جَوَّال

لمنْ القِبابُ الحُمْرُ تُشْرَعُ لِلنَّدَى ... فتَفِيضُ لِلْعافينَ فَيْضَ سجَال

لمنْ الخِيامُ البِيْضُ تَحْسِبُ أَنَّها ... زُهْرُ الكَوَاكِبِ أُطْلِعَتْ بِجَلال[5] [٣٠٤]

مُنْدَاحَةُ الأَرْجاءِ عَالِيَةُ الذُّرَى ... فكأَنَّها فى الوَهْدِ شُمُّ جِبال

هُوَ مَظْهَرُ المُلْكِ العَلِىِّ وَمَطْلَعُ النُّورِ الجَلِىِّ بمرْقَبٍ مُتَعالى

آثارُ مَوْلانَا الإِمامِ مُحَمَّدٍ ... بَدْرِ الهُدَى لا زَالَ حِلْفَ كمال

---

(١) كذا فى م . وفى ط : « ورأستهم » .

(٢) المكسال (كما فى كتب اللغة) : من صفات الإناث . والوجه فى مكسال النصب . ولكنه عدل عنه للقافية . وقد وقع منه هذا فى غير موضع من القصيدة .

(٣) كذا فى م . وفى ط : « مرتقى العالى » .

(٤) فى ط : « محفن » .

(٥) فى ط : « بجلال » .

لله وجهتك التى نلنا بها أجر الجهاد وبغية الآمال
ما شئت من حسن يفوق كماله ويروق منظره الجميل الحالى
كم من عجائب جمة أظهرتها ما كان يخطر وصفهن ببال
أمت وفود الناس منك مملكا قد خص بالتعظيم والإجلال
جاءوا مواقيت اللقاء كأنهم وفد الحجيج برامة وألال[1]
لله عينا من رأى ملك العلا حف الوقار جماله بجلال
فى موكب لبسوا الخلوص شعاره وتميزوا منه بزى جمال
بلغوا به العدد الكثير وكلهم أرضاهم إحسانك المتوالى
يهنى المرية نعمة سوغتها جادت بها الأيام بعد مطال
قدست وادیها وزرت خلالها فلها الفخار بها على الآصال[2]
وكسوتها برد الشباب مفوفا وشفيت ما تشكو من الأوجال
مولاى لا أحصى ثناءك إنه أربى على التفصيل والإجمال
أعليت فى أفق العناية مظهرى وخصصته بعوارف الإفضال
ظفرت يداى بكل ما أملته فى النفس أو فى الجاه أو فى المال
لم تبق لى أملا وما بلغته بلغت ما ترجو من الآمال

ثم قال بعد ذكر بعض العيديات : ومن ذلك :

بشرى كما وضح الصباح وأجمل يعشى سناها كل من يتأمل[3]

(١) رامة : تطلق على أكثر من مكان . (انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٠٨ من هذا الجزء) . وألال : جبل بعرفات .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « الأمثال » .
(٣) فى نفح الطيب : « يتهلل » .

أبْدَى لها[١] وَجْهُ النهارِ طَلاقَةً ... وَأفْتَرَّ من ثَغرِ الأَقاحِ مُقبَّل
وَمَنابِرُ الإِسْلامِ يا مَلِكَ الْوَرى[٢] ... بحُلاكَ أَوْ بِحُلِيِّها تَتَكمّل
تَجْلُو لنا الأَكْوانُ مِنْكَ محاسِنًا ... تُرْوَى عَلَى مَرِّ الزّمانِ وَتُنْقَل
فالشَّمْسُ تأخُذُ مِنْ جَبينِكَ نُورَها ... وَالْبِشْرُ مِنْكَ بِوَجْهِها يَتَهَلَّلُ
والرَّوْضُ يَنْفَحُ عَنْ ثَنائِكَ طِيبُهُ ... والوُرْقُ فيهِ بالمَمادِحِ تَهْدِل [٣٠٥]
والبَرْقُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ مُنْتَضًى ... والسُّحْبُ تَهْمِي مِنْ يَدَيْكَ وَتَهْمُل
يا أَيُّها الْمَلِكُ الذى أَوْصَافُهُ ... دُرٌّ عَلَى جِيدِ الزَّمانِ مُفَصَّل
اللهُ أَعْطَاكَ الَّتى لا فَوْقَها ... وَحَباكَ بالْفَضْلِ الذى لا يُجْهَل
وَجْهٌ كما حَسَرَ[٣] الصَّباحُ نِقابَهُ ... لِضِيائِهِ تَعْشُو البُدُورُ الكُمَّل
تَلْقاهُ فى يَوْمِ السَّماحَةِ وَالْوَغَى ... وَالْبِشْرُ فِي وَجَناتِهِ[٤] يتهلَّل
كَفٌّ أَبَتْ أَلَّا تَكُفَّ عَنِ النَّدَى ... أَبَدًا فإِنْ ضَنَّ الحَيَا تَسْتَرْسِل
وَشَمائِلٌ كالرَّوْضِ بَاكَرَهُ الحَيَا ... وَسَرَتْ بِرَيَّاهُ الصَّبَا والشَّمْأَل
خُلُقُ ابن نصرٍ فى الجمالِ كخَلْقِهِ ... ما بَعْدَها مِن غايةٍ تُسْتَكمل
نُورٌ عَلَى نُورٍ بأَبهى منظَرٍ ... فى حُسْنِهِ لِمُؤَمِّلٍ ما يأْمُل
فاقَ الملوكَ بسيفِهِ وبسيْبِه ... فَبِعَدْلِهِ وبفَضْلِهِ يُتَمَثَّل
وإذا تطاوَلَ لِلْفخارِ[٥] عَمِيدُهُمْ ... فَلَهُ عليهِ تَطاوُلٌ وَتَطَوُّل

(١) كذا فى م . وفى ط : « لنا » .
(٢) فى نفح الطيب طبعة الأزهرية : « العلا » .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « حسن » . وقد مر هذا التشبيه فى قصيدته الرائية حيث يقول :
وجه كما حسر الصباح نقابه ... ويد تمد أناملا ببحار
(٤) فى نفح الطيب : « جنباته » .
(٥) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « للعميد » .

يا آيَةَ اللهِ الَّتِى أَنْوَارُهَا ... يُهْدَى بها قَصْدَ الرَّشَادِ الضُّلَّلُ
قُلْ لِلَّذِى التَبَسَتْ مَعَالِمُ رُشْدِهِ ... هَيْهَاتَ قَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ الأَمْثَل
قَدْ نَاصَحَ الإِسلامَ خَيرُ خَلِيفةٍ ... وَحَمَى عرينَ الْمُلْكِ أَغلَبُ مُشْبِل(١)
فَلَقَدْ ظَهَرْتَ مِنَ الكمالِ بِمُسْتَوًى ... ما بَعْدَهُ لِذَوِى الخِلافَةِ مَأْمَل
وَعِنَايَةُ اللهِ اشْتَمَلْتَ رِدَاءَهَا ... وَعَلِقْتَ مِنْهَا عُرْوَةً لا تُفْصَل
فالجودُ إلَّا مِنْ يَدَيْكَ مُقَتِّرٌ ... وَالْغَيْثُ إلَّا مِنْ نَدَاكَ مُبَخَّل
وَالْعُمْرُ إلَّا تَحْتَ ظِلِّكَ ضَائِعٌ ... والْعَيْشُ إلَّا فى جَنَابِكَ مُمْحِل
حيْثُ الجِهَادُ قَدِ اعْتَلَتْ رَايَاتُهُ ... حيْثُ المَغَانِمُ لِلْعُفَاةِ تُنَفَّل
حيْثُ القِبَابُ الحُمْرُ تُرْفَعُ لِلْقِرَى ... قَدْ قَامَ(٢) فى أَرْجَائِهِنَّ المَنْدَل(٣)
يَا حُجَّةَ اللهِ الَّتِى بُرْهَانُهَا ... عَزَّ المُحِقُّ بِهِ وَذَلَّ المُبْطِل
قُلْ لِلَّذِى نَاوَاكَ يَرْقُبُ يَوْمَهُ(٤) ... فَوَرَاءَهُ مَلِكٌ يَقُولُ وَيَفْعَل
وَاللهُ جَلَّ جَلالُهُ إنْ أَمْهَلَتْ ... أَحْكَامُه مُسْتَدْرَجاً لا تُهمِل
يا نَاصِرَ الإِسْلامِ وَهْو فَرِيسةٌ ... أُسْدُ العِدَا(٥) مِنْ حَوْلِهَا تَتَسَلَّل
يا فَخْرَ أَنْدَلُسٍ وَعِصْمةَ أَهْلِها ... لَكَ فِيهِمُ النُّعْمَى التى لا تُجْهَل
[٣٠٦] لاَ يُهْمِلُ اللهُ الذينَ رَعَيْتَهُمْ ... فَلأَنْتَ أَكْفَى وَالْعِنَايَةُ أَكْفَل
لا يَبْعُدُ النَّصْرُ العَزِيزُ فَإِنَّهُ ... آوَى إِلَيْكَ وَأَنْتَ نِعْمَ المَوْئِل
لَوْلاَ نَدَاكَ لَهَا لَمَا نَفَعَ النَّدَى ... وَلَجَفَّ مِنْ وِرْدِ الصَّنَائِعِ مَنْهَل

(١) فى ط : « مشمل » . وفى نفح الطيب : « أشمل » . والتصويب عن م .
(٢) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « عام » .
(٣) المندل : العود .
(٤) فى نفح الطيب المطبوع : « يدفع نومه » . وفى المخطوط : « يرفع رأسه » .
(٥) فى نفح الطيب : « الفلا » .

لَوْلاكَ كانَ الدِّينُ[1] يُغمَطُ حقُّهُ ... وَلَكانَ دَينُ النَّصرِ فِيهِ يُمْطَلُ
لَكِنْ جَنَيْتَ الفَتْحَ مِنْ شَجَرِ القَنا ... وَجَنى الفُتُوحِ لمنْ عَدَاكَ مُعَلَّلُ[2]
فلطالما[3] اسْتَفْتَحْتَ كلَّ مُمَنَّعٍ ... مِنْ دُونِهِ بابُ المطَامِعِ مُقْفَلُ
وَمتَى نَزَلْتَ بِمَعْقِلٍ مُتَأَشِّبٍ ... فَالعُصْمُ مِنْ شَعَفَاتِهِ[4] تُسْتَنْزَلُ
وَإذَا غَزَوْتَ فَإنَّ سَعْدَكَ ضَامِنٌ ... أَلّا تَخِيبَ وأَنَّ قَصْدَكَ يَكْمُلُ
فَمِنَ السُّعُودِ أَمَامَ جَيْشِكَ مَوْكِبٌ ... وَمِنَ المَلائِكِ دُونَ جُنْدِكَ جَحْفَلُ
وَكَتِيبةٍ أَرْدَفْتَهَا بِكَتِيبةٍ ... وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ فى الحَدِيدِ وَتَرْفُلُ[5]
مِنْ كلِّ مُنْخَفِزٍ كَلَمْحَةِ بارِقٍ ... بالْبَدْرِ يُسْرَجُ وَالأَهِلَّةِ يُنْعَلُ
أَوْفَى بِهَادٍ كالظَّلِيمِ وخَلْفَهُ ... كَفَلٌ كَمَا مَاجَ الكَثِيبُ الأَهْيَلُ
حَتَّى إذَا مَلَكَ الكَمِيُّ عِنانَهُ ... يَهْوِى كما يَهْوِى بَجَوٍّ أَجْدَلُ
حَمَلَتْ أُسُودَ كَرِيهةٍ يَوْمَ الْوَغَى ... مَا غابُهَا إلّا الوَشِيجُ الذُّبَّلُ
لَبِسُوا الدُّرُوعَ غَدَائِراً مَصْقُولةً ... وَالسُّمْرُ قُضْبٌ فَوْقَهَا تَتَهَدَّلُ
مِنْ كلِّ مُعْتَدِلِ الْقَوَامِ مُثَقَّفٍ ... لَكِنَّهُ دُونَ الضَّرِيبَةِ يَعْسِلُ
أَذْكَيْتَ فِيهِ شُعْلَةً مِنْ نَصْلِهِ ... يُهْدَى بِهَا إنْ ضَلَّ عَنْهُ المَقْتَلُ
وَلَرُبَّ لَمّاعِ الصِّقالِ[6] مُشَهَّرٍ ... مَاضٍ وَلَكِنْ فِعْلُهُ مُسْتَقْبَلُ
رَقَّتْ مَضَارِبُهُ وَرَاقَ فِرِنْدُهُ ... فَالحُسْنُ فِيهِ مُجْمَلٌ وَمُفَصَّلُ
فَإذَا الحُرُوبُ تَسَعَّرَتْ أَجزالُها ... يَنْسَابُ فى يُمْنَاكَ مِنْهُ جَدْوَلُ

(١) كذا فى نفح الطيب المخطوط والمطبوع . وفى ط : «الطير» . وفى م : «الطين» .
(٢) فى نفح الطيب : «مؤمل» .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « ولقبل ما » .
(٤) الشعفات : رءوس الجبال ؛ الواحدة : شعفة (بالتحريك) .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « ترقل » .
(٦) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « الصقيل » .

وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْقَتَامِ رَأَيْتَهُ ... وَكَأَنَّهُ فِيهِ ذُبَالٌ مُشْعَلُ
فَاعْجَبْ لَهَا مِنْ جَذْوَةٍ لا تَنْطَفِي ... فِى أَبْحُرٍ زَخَرَتْ وَهُنَّ الأَنْمُلُ
هِىَ سُنَّةٌ أَحْيَيْتَهَا وَفَرِيضَةٌ ... أَدَّيْتَهَا قُرُبَاتُهَا تُتَقَبَّلُ
فَإِذَا الْمُلُوكُ تَفَاخَرَتْ بِجِهَادِهَا[1] ... فَلأَنْتَ أَحْفَى بِالْجِهَادِ وَأَحْفَلُ
يَابْنَ الَّذِينَ جَمَالُهُمْ وَنَوَالُهُمْ ... شَمْسُ الضُّحَى وَالْعَارِضُ الْمُتَهَلِّلُ
يَابْنَ الأَمَامِ ابْنِ الإِمَامِ ابْنِ الإِمَا ... مِ ابْنِ الإِمَامِ وَقَدرُهَا[2] لا يُجْهَلُ
آبَاؤُكَ الأَنْصَارُ تِلْكَ شِعَارُهُم ... فَلِحَيِّهِمْ آوَى النَّبِىُّ الْمُرْسَلُ
[٣٠٧] فَهُمُ الأُلَى نَصَرُوا الْهُدَى بِعَزَائِمٍ ... مَصْقُولَةٍ وَبَصَائِرٍ لا تُخْذَلُ
مَاذَا يُحَبِّرُ شَاعِرٌ فِى مَدْحِهِمْ ... وَبِفَضْلِهِمْ أَثْنَى الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ
مَوْلاَىَ لا أُحْصِى مَآثِرَكَ الَّتِى ... بِحَدِيثِهَا تَمْضِى[3] الْمَطِىُّ الذُّلَّلُ
وَإِذَا الْحَقَائِقُ لَيْسَ يُدْرَكُ كُنْهُهَا ... سِيَّانِ فِيهَا مُكْثِرٌ وَمُقَلِّلُ
فَإِلَيْكَ مِنْ شَوَّالَ غُرَّةَ وَجْهِهِ ... أَهْدَاكَهَا يَوْمٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ
عَذْرَاء رَاقَ الْعِيدَ رَوْنَقُ حُسْنِهَا ... فَغَدَا بِنَظْمِ[4] حُلِيِّهَا يَتَجَمَّلُ
رَضَعَتْ لِبَانَ الْعِلْمِ فِى حِجْرِ النُّهَى ... فَوَفَتْ لَهَا مِنْهُ ضُرُوعٌ حُفَّلُ
سَلَكَ الْبَيَانُ لَهَا سَبِيلَ إِجَادَةٍ ... لَوْلاَ صِفَاتُكَ كَانَ عَنْهَا يَعْدِلُ
جَاءَتْ تُهَنِّى الْعِيدَ أَيْمَنَ قَادِمٍ[5] ... وَافَى بِشَهْرِ صِيَامِهِ يَتَوَسَّلُ
وَطَوَى الشُّهُورَ مَرَاحِلاً مَعْدُودَةً ... كَيْمَا يُرَى بِفِنَاءِ جُودِكَ يَنْزِلُ

(١) فى نفح الطيب : « بجدودها » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصلين : « ومثلها » .
(٣) فى م ونفح الطيب : « تنضى » .
(٤) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « بحسن » .
(٥) فى الأصلين : « قائم » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

وَأَتَى وَقَدْ شَفَّ النُّحولُ هِلالَه ... وَلِشَوْقِهِ لِلقَاءِ وَجْهكَ يَنْحَل
عَقَدَتْ بِمَرْقَبِهِ العُيُونُ مسرَّةً ... فَمُكَبِّرٌ لِطُلُوعِـــهِ وَمُهَلِّل
فَاسْلَمْ لِأَلْفِ مِثْلِهِ فى غِبْطَةٍ ... ظِلُّ المُنَى مِنْ فَوْقِها يَتَهَدَّل
فإذَا بَقِيتَ لنا فَكلُّ سَعادَةٍ ... فى الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِهَا تَتَكَفَّل

ومن أناشيده فى المواسم العقيقية

ثم قال بعد إيراد جملة قصائد :

ومن جياد أناشيده المتميزة بالسبقية ، وبارقات تهانيه فى المواسم العقيقية ، قوله يهنئه ، رضوان الله تعالى عليه ، بطلوع مولانا الوالد قدّسه الله تعالى :

طَلَعَ الهِـــلالُ وَأُفْقُهُ مُتَهَلِّلُ ... فَمُكَبِّرٌ لِطُلُوعِـــهِ وَمُهَلِّلُ
أَوْفَى عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ بِغُرَّةٍ ... فَغَدَا الصَّباحُ بِنُورِهَا يَتَجَمَّل
شَمْسُ الخِلافَةِ قَدْ أَمَدَّتْ نُورَه ... وَبِسَعْدِها يَرْجُو التَّمامَ وَيَكْمُل
لِلّهِ مِنْهُ هِـــلالُ سَعْدٍ طَالِعٌ ... لِضِيائِهِ تَعْشُو البُدُورُ الكُمَّل
وأَلَحْتَ يا شَمْسَ الهِدَايَةِ كَوْكَبًا ... يُغْشِي سَناهُ كلَّ مَنْ يَتَأَمَّل
والتَّاجُ تاجُ البَدْرِ فى أُفُقِ العُلَا[1] ... ما زَالَ بالزُّهْرِ النُّجُومِ يُكَلَّل
ولَئِنْ حَوَى كلَّ الجمالِ فإنَّهُ ... بالشُّهْبِ أَبْهَى ما يكُونُ وأَجْمَل
أَطْلَعْتَ يا بَدْرَ السَّماحِ هِلالَهُ ... والمُلْكُ أُفْقٌ والخِلافَةُ مَنْزِل
يَبْدُو بِهالَاتِ السُّرُوجِ وإنَّهُ ... مِنْ نُورِ وجْهِكَ فى العُلَا يَسْتَكمِل
قَلَدْتَ عِطْفَ المُلْكِ مِنْـهُ صَارِمًا ... بِغَنائِهِ ومَضَـــائِهِ يُتَمَثَّل [٣٠٨]
حَلَّيْتَهُ بِحُلَى الكَمالِ وجَوْهَرِ الـــخُلُقِ النَّفِيسِ وكلِّ خَلْقٍ يَجْمُل
يَغْزُو أَمَامَكَ والسُّعُودُ أَمَامَهُ ... ومَلائِكُ السَّبْعِ العُلا تَتَنَزَّل

(١) فى الأصلين : « السما » ، وما أثبتناه عن نفح الطيب .

مَنْ مُبْلِغُ الأَنْصَارِ مِنهُ بِشَارَةً ... غُرُّ البَشَائِرِ بَعْدَهَا تَسْتَرْسِلُ
أَحْيَا جِهادَهُمُ وجَدَّد فَخْرَهُمْ ... بَعْدَ المَشِينَ فَلَكُهُمْ يَتَأَثَّل
فَبِهِ إِلى الأَجْرِ الجزِيلِ تَوَصَّلُوا ... وبهم إِلى رَبِّ السَّما يُتَوَسَّل
مَنْ مُبلِغُ الأَذْوَاء مِنْ يَمَنٍ وَهُم ... قدْ تُوِّجوا وتَمَلَّكوا وَتَقَيَّلوا
أنَّ الخِلافَةَ فى بَنِيهِمْ أَطْلَعَتْ ... قمراً[1] بهِ سَعْدُ الخَلِيقَةِ يَكمُل
منْ مُبْلِغٌ قحْطَانَ آسَادَ الشَّرَى ... مَا غابُها إِلّا الوشيجُ[2] الذُّبَّل
أَنَّ الخليفَةَ وهْوَ شِبْلُ لُيُوثِهِمْ ... قَدْ حَاطَ مِنْهُ الدِّينَ لَيْثٌ مُشْبِل
يَهْنِي بَنِي الأَنْصَارِ أَنَّ مَلِيكَهُمْ[3] ... قَدْ بَلَّغَتْهُ سُعُودُهُ مَا يَأْمُل
يَهْنِى البُنُودَ فإنّها ستُظِلُّهُ ... وجَنَاحُ جِبْرِيلَ الأَمِينِ يُظَلِّل
يَهْنِى الجِيَادَ الصَّافِنَاتِ فإنّها ... بِفُتُوحِهِ تَحْتَ الفَوَارِسِ تَهْدِل
يَهْنِى المَذَاكِىَ والعَوَالِىَ والظُّبَى ... فَبِهَا إِلى نَيْلِ المُنَى يَتَوَصَّل
يَهْنِى المَعالِىَ والمَفاخِرَ أَنَّه ... فى مُرْتَقَى أَوْجِ العُلا يَتَوَقَّل
سَبَقَتْ مُقَدِّمة الفتوح قدومَهُ ... وأتاكَ وهو الوادع المُتَمَهِّل[4]
وبَدتْ نُجومُ السعدِ قبل طُلُوعِهِ ... تَجلو المَطالِعَ قبلَهُ لاَ تَأْفُل[5]
ورَوَتْ أحاديث الفتوح غرائبا ... والنصرُ يملِى والبشائر تَنْقُل
أَلقَتْ إليكَ به السُعودُ زِمامها ... فالسعد يُمضِى ما تقولُ ويفعل
فالفتح بين مُعجَّل ومُؤَجَّلٍ ... يُنسيك ماضيَه الذى يُستقبل

(١) فى الأصلين : « نخراً » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٢) فى ط : « الشحيح » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٣) فى م ونفح الطيب : « إمامهم » .
(٤) فى الأصلين : « المتعمل » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٥) كذا فى ط . والذى فى م ونفح الطيب : « وتؤثل » .

أوَلَيْس فى شأن المسير دلالة ... أن المقاصدَ من طِلابك تكملُ
ناداهُمُ داعى الضَّلال فأقبلوا ... ودعاهُمُ داعِى المَنون فجُدِّلوا
عَصَوُا الرسولَ إباية وتحكمتْ ... فيهم سيوفُك بعدها فاستمثلوا
كانوا جبالا قد عَلَتْ هَضَباتها ... نَسَفَتْهُمُ ريح الجِلاد فزُلزلوا
كانوا بحارا من حديدٍ زاخرٍ ... أذكتهمُ نارُ الوَغى فتَسَيَّلُوا
رَكَّبْتَ أرْجُلَها الأداهمَ كلَّما ... يتحركون إلى قيام تَصْهَل
كان الحديدُ لباسهم وشِعارهم ... واليوم لم تلبسه إلا الأرجل
اللهُ أعطاكَ التى لا فَوقَها ... فَتْحًا بِهِ دِينُ الهُدَى يَتأثَّل [٣٠٩]
جَدَّدت للأنصارِ حَلْى جهادهمْ ... فالدين والدنيا به تَتَجَمَّل
مَنْ يُتْحِفُ البيْتَ العتيقَ وزَمزما ... والوفد وفْد الله فيه يَنْزِل
مُتَسابقين إلى مَثابةِ رَحْمَةٍ ... من كل ما حَدَبٍ إليه تَنْسِل
هِيماً كأفواج القَطَا قد ساقها ... ظمأ شديد والمَطاف المَنْهَل
مِنْ كُل مرفوع الأكُفِّ ضراعةً ... والقلب يخفِقُ والمدامعُ تَهْمُل
حتى إذا رَوَتِ الحديث مُسَلْسَلا ... بيض الصوارم والرماحُ العُسَّل
عَنْ فَتْحك الأسْنَى عن الجيش الذى ... بثباته أهل الوَغى تَتَمَثَّل
أهْدَتهُمُ السَّراء نُصْرة دِينهمْ ... واستبشروا بحديثها وتهلَّلوا
وتناقَلُوا عنك الحديث مَسَرَّةً ... بسَماعه واهتز ذاكَ المَحْفِل
ودَعَوْا بنصركَ وهو أعْظمُ مَفخراً ... إن الحجيج بنصر ملكك يَحْفِل
فاهنأْ بملكك واعتمدْ شكرا به ... لُطْفَ الإله وصُنْعه تَتَخَوَّل
شُرِّفْت منه باسم والدك الرِّضَا ... يحيا به منه الكريم المُفْضِل

(١) فى نفح الطيب : «فجدلوا» .

أبْديتَ مِنْ حسن الصنيع عجائبا تُرْوَى على مَرِّ الزمان وتُنْقَلُ
خَفَقَتْ به أعْلامُك الحمرُ التى بخفوقها النصر العزيزُ موَكَّل
هَدَرَت طبول العز تحت ظلالها عنوان فتح إثرَها يُسْتَعْجَل
ودَعَوْتَ أشراف البلاد وكأنَّهُمْ يُثْنِى الجميلَ وصُنْعُ جودك أجمل
ورَدُوا ورود الهيم أجهدها الظَّما فصفا لهم من وِرد كَفِّكَ مَنْهَل
وأثرتَ فيه للطراد فَوارسًا مثل الشموس وجُوهُهُمْ تَتَهَلَّل
من كلّ وضّاح الجبين كأنه نجم وجنح النقع لَيْل مُسْبَل
يَرِد الطِّرادَ على أغَرَّ مُحَجَّلٍ فى سَرْجِه بطلٌ أغَرُّ مُحَجَّل
قَدْ عُوِّدُوا قَنْصَ الكماة كأنَّما عِقْبَانها يَنْقَضُّ مِنها أجْدَل
يَسْتَتْبعون هوادجا مَوْشِية من كل بدع فوق ما يُتَخَيَّل
قد صُوِّرتْ منها غرائبُ جَمَّةٌ تُنْسِى عُقول الناظرين وتُذْهِل
وتضمنتْ جَزْلَ الوَقُود حُمولُها والنصر فى التحقيق ماهى تحمل
والعادياتُ إذا تَلَتْ فُرسانُها آىَ القتال صُفُوفُها تَتَرَتَّل
[لله خيلك إنها لسوابح بحرَ القتام وموجه مَتَهَيِّل]
من كل برق بالثُّرَيَّا مُلْجَم بالبدر يُسْرَج والأهلة يُنْعَل
[٣١٠] أو فى بهاد كالظَّليم وخلفه كَفَل كما ماج(١) الكثيب الأهْيَل
هن البوارق غير أن جيادها عن سَبْق خيلك يا مؤيد تَنْكُل(٢)
مِنْ أشْهَبٍ كالصبح يعلو سَرْجَه صُبْح به نجم الضلالة يأفُل
أو أدْهَمٍ كاللَّيل قُلِّد شُهْبَهُ خاضَ الصَّباح فأثبَتَتْهُ الأرجل

(١) فى نفح الطيب : «لاح» .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب ؛ وفى م : «تشكل» .

أو أشقر سال النُّضَارُ بعطفه وكساه صِبغة بهجة لا تَنْصُلُ
أو أحمر كالجمر أُضْرِمَ بأسُهُ بالركض فى يوم الحفيظة يُشعَل
كالخمر أُتْرِعَ كأسها لِندامِها وبها حَبَابة غُرَّة تَتَسَيَّل
أوْ أصفر لبس العَشِيّ مُلَاءة وبذيله لليل ذيل مُسْبَل
أجلتَ فى هـذا الصنيع عوائدا الجود فيهـا مُجْمَل ومفصَّل
أنشأت فيها من نَداك غمائما بالفضل تَنْشَأ والسَّماحة تَهْمُل
فَجَّرت من كفيك عشرة أبحر تُزْجِى سحاب الجود وهى الأنمل
من قاس كفك بالغمام فإنه جهل القياس ومثلها لا يجهل
تسخو الغمام ووجهها متجهم والوجه منـه مع الندى يتهلّل
والسحب تسمح بالميـاه وجوده ذهب به أهل الغنى تتموّل
من قاس بالشمس المنيرة وجهَه أَلْفَيْتَهُ فى حكمه لا يَعْدِل
من أين للشمس المنيرة مَنْطِق ببيانه دُرّ الكلام يُفَصَّل
مِنْ أين للشمس المنيرة راحـة تسخو إذا بخل الزمان المُمْحِل
مَنْ قاس بالبـــدر المنير كمالَهُ فالبدرُ ينقص والخليفة يكمُل
مِنْ أين للبـدر المنير شمائل تسرى برَيّاها الصَّـبا والشَّمأل
مِن أَيْنَ للبـــدر المنير مَناقب بجهادها تُنْضَى المطىّ الذُّلَّل
يا من إذا نفحت نواسم حمـده فالمسك يعبَق طيبه والمَنْدل
يا مَن إذا لُمِحَتْ مَحاسن وجهه تعشو العيون ويُبْهَر المتأمل
يا مَنْ إذا تليت مفاخر قومه آى الـكتاب بذكرها تَتَنَزَّل
كَفَلَ الخلافة مِنْكَ يا ملكَ المُلا والله جل جلاله بك أكفلُ
مَأمونُها وأمينها ورشـيدها منصورها مَهْدِيُّها المتوكل

حَسْبَ الخلافة أن تكون وليَّها ومجيرها من كل من يتخيل
[٣١١] حَسْبُ الزمان بأن تكون إمامَه فله بذلك عزة لا تهمَلُ
حَسْبُ الملوك بأن تكون عميدها ترجو الندى من راحتيك وتأمل
حَسْبُ المعالى أن تكون عِمَادها[1] فعليك أطنابُ المفاخر تُسْدَل
يا حُجة الله التى برهانُها عز المحقّ به وذل المُبْطلُ
أنت الإمام ابن الإمام ابن الإما م ابن الإمام وفخرها لا يُعْدَل
عَلَّمْتَ حَتَّى لمْ تَدَعْ مِنْ جَاهِلٍ أَعْطَيْتَ حَتَّى لمْ تَدَعْ مَنْ يَسْأَل
وعِنَايَةُ اللهِ اشْتَمَلْتَ رِدَاءَهَا وَعَلِقْتَ[2] منهَا عُرْوَةً لا تُفصَل

اتصل بهذا البيت جملة أبيات من القصيدة المترجمة[3] فى العيديات التى أولها :

بشرى كما وضح الصباح وأَجمل

وحذفناها من هذه اقتصاراً للتكرار ، وزاد فى هذه :

أَخذتْ قُلوبَ الكَافِرِينَ مَهَابَةٌ فعُقُولهمْ مِنْ خَوْفِها لاَ تعْقِلُ
حَسِبُوا البُرُوقَ صَوَارِماً مسلولة[4] أَرْوَاحُهُمْ مِنْ بَأْسِهَا تَتَسَلَّلُ[5]
وترَى النُّجُومَ مَنَاصِلًا مَرْهُوبَةً فيفر منها الخائفُ المتنصِّل
يابْنَ الأُلى إجْمَالهُمْ وجَمالهُمْ شمْسُ الضُّحَى وَالعَارِضُ المتهلِّل
مَوْلاَىَ لاَ أُحْصِى مَآثِرَكَ الَّتِى بِجِهادِهَا يَتَوَسَّـــلُ المُتَوَسِّل

(١) كذا فى م وفى ط : «عميدها» . وفى نفح الطيب : «إمامها» .
(٢) فى الأصل هنا : «وملكت» .
(٣) كذا فى م . وفى ط : «المتوجهة بالعيديات» .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : «مصقولة» .
(٥) فى م : «تتسيل» .

أَصْبَحْتُ فى ظِلِّ امْتِدَاحِكَ سَاجِعا ظِلُّ (١) المُنَى مِنْ فَوْقِهِ يَتَهَدَّل
طَوْقَتْه طَوْقَ الحَمَائِمِ أَنْعُماً فَغَدَا بشكْرِكَ فى المَحَافِلِ يَهْدِل
فَإِلَيْكَ مِنْ صَوْنٍ (٢) العُقُولِ عَقِيلةً أَهْدَاكَهَا صَنَعٌ أَغَرُّ مُحَجَّل
عَذْرَاء رَاقَ الصُّنْعَ رَوْنَقُ حسنها فَغَدَا بِنَظْمِ حُلِيِّهَا يَتَكَلَّل
خَيَّرْتَهَا بَيْنَ المُنَى فَوَجَدْتُهَا أَقصَى مُنَاهَا أنها تُتَقَبَّل
لَا زِلْتَ شَمْساً فى سَمَاءِ خِلَافَةٍ وَهِلَالُكَ الأَسْمَى يَتِمُّ وَيَكْمل

وله فى بعض نزه مولاه فى شنيل

ثم قال بعد ذكر جملة من نظمه : ومن رقيق منازعه فى بعض نزه مولانا رضوان الله عليه بالقصر السلطانى من شَنِّيل قوله :

نَفْسِى الفِدَاء لِشَادِنٍ مَهْمَا خَطَرْ فَالْقَلْبُ مِنْ سَهْمِ الجُفُونِ عَلَى خَطَرْ
فَضَحَ الغَزَالَةَ وَالأَقَاحَةَ وَالقَنَا مَهْمَا تَثَنَّى أَوْ تَبَسَّمَ أَوْ نَظَرْ
عَجَبًا لِلَيْلٍ ذَوَائِبٌ مِنْ شَعْرِهِ وَالْوَجْهُ مِنْهُ عَنْ صَبَاحٍ قَدْ سَفَر
عَجَبًا لِعِقْدِ الثَّغْرِ مِنْهُ مُنَظَّمًا وَالْعِقْدُ مِنْ دَمْعِى عَلَيْهِ قَدْ انْتَثَر [٣١٢]
مَا رُمْتُ أَنْ أَجْنِى الأَقَاحَ بِثَغْرِهِ إِلَّا وَقَدْ سَلَّ السُّيُوفَ مِنَ الْحَوَر
لم أَنْسَهُ لَيْلَ ارْتِقَابِ هِلَالِهِ وَالْقَلْبُ مِنْ شَكِّ الظُّهُورِ عَلَى غَرَر
بِتْنَا نُرَاقِبُهُ بِأَوَّلِ لَيْلَةٍ فَإِذَا بِهِ قَدْ لَاحَ فى نِصْفِ الشَّهَر
طَالَعْتُهُ فى رَوْضَةٍ كَخِلَالِهِ وَالطِّيبُ مِنْ هَذِى وَتِلْكَ قَدْ اشْتَهَر
وَكِلَاهُمَا يُبْدِى مَحَاسِنَ جَمَّةً مِلْءَ المَشَامِ (٣) وَالمَسَامِعِ وَالبَصَر
وَالْكَأْسُ تَطْلُعُ شَمْسُهَا فى خَدِّهِ فَتَكَادُ تُعْشِى بِالأَشِعَّةِ مَنْ نَظَر

(١) فى نفح الطيب : «طل» .
(٢) فى نفح الطيب : «صوغ» .
(٣) كذا فى م وط . وفى نفح الطيب المخطوط والمطبوع : « التنسم » .

نُورِيَّةٌ كَجَبِينِهِ وَكِلاَهُمَا (١) يَجْلُو ظَلاَمَ اللَّيْلِ بِالْوَجْهِ الأَغَرّ
هِيَ شِيمَةٌ (٢) لِلشَّيْخِ فِيهَا نِسْبَةٌ مَا إِن يَزَالاَ يَرْعَشَانِ مِنَ الكِبَر
أَفْرَغْتَ فِى جِسْمِ الزُّجَاجَةِ رُوحَهَا فَرَأَيْتَ رُوحَ الأُنْسِ مِنهَا قَدْ بَهَر
لاَ تَسْقِ غَيْرَ الرَّوْضِ فَضْلَةَ كَأْسِهَا فَالغُصْنُ فِى ذَيْلِ الأَزَاهِرِ قَدْ عثر (٣)
مَا هَبَّ خَفَّاقُ النَّسِيمِ مَعَ السَّحَر إِلَّا وَقَدْ شَاقَ النُّفُوسَ وَقَدْ سَحَر
نَاجِى القُلُوبَ الخَافِقَاتِ كَمِثْلِهِ (٤) وَوَشَى بِمَا تُخْفِى الكِمَامُ مِنَ الزَّهَر
وَرَوَى عَنِ الضَّحَّاكِ (٥) مِنْ زَهْرِ الرُّبَا مَا أَسْنَدَ الزُّهْرِىُّ عَنْهُ عَنْ مَطَر
وَتَحَمَّلَتْ عَنْهُ صَحِيحَ حَدِيثِهِ رُسُلُ النَّسِيمِ وَصَدَّقَ الخُبْرُ الخَبَر
يَا قَصْرَ شَنِّيلٍ وَرَبْعُكَ آهِلٌ وَالرَّوْضُ مِنْكَ عَلَى الجَمَالِ قَدِ اقْتَصَر
للهِ بَحْرُكَ وَالصَّبَا قَدْ سَرَّدَتْ مِنْهُ دُرُوعاً تَحْتَ أَعْلاَمِ الشَّجَر
وَالآسُ حَفَّ عِذَارُهُ مِنْ حَوْلِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ يَهْوَى العِذَارَ قَدِ اعْتَذَر
قَبِّلْ بِثَغْرِ الزَّهْرِ كَفَّ خَلِيفَةٍ يُغْنِيكَ صَوْبُ الجُودِ مِنْهُ عَنِ المَطَر
وَافْرِشْ خُدُودَ الوَرْدِ تَحْتَ نِعَالِهِ (٦) وَاجْعَلْ بِهَا لَوْنَ المُضَاعَفِ عَنْ خَفَر
وَانْظِمْ غِنَاءَ الطَّيْرِ فِيهِ مَدَائِحاً وَانْثُرْ مِنَ الزَّهْرِ الدَّرَاهِمَ وَالدُّرَرْ
المُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الشَّرَفِ الذى فِى مَدْحِهِ قَدْ أُنْزِلَتْ آىُ السُّوَرْ
وَالمُجْتَبَى مِنْ عُنْصُرِ النُّورِ الذى فِى مَطْلَعِ الهَدْىِ المُقَدَّسِ قَدْ ظَهَرْ

(١) فى نفح الطيب . « وهلالها » .
(٢) كذا فى ط . وفى نفح الطيب : « نسخة » . ولعل كلا اللفظين محرف عن « شيخة » .
(٣) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط . وفى ط و م : « زهر » .
(٤) فى م : كشكله . وفى نفح الطيب : « لمثله » .
(٥) فى نفح الطيب : « عن » .
(٦) كذا فى نفح الطيب . وفى م : « المخفف » . ومكان هذه الكلمة بياض فى ط .

ذُو سَطْوَةٍ مَهْمَا كَفَى ذُو رَحْمَةٍ ... مَهْمَا عَفَا ذُو عِفَّةٍ مَهْمَا قَدَرْ

كَمْ سائِلٍ لِلدَّهْرِ أَقْسَمَ قَائِلًا ... وَاللهِ مَا أَيَّامُهُ إِلَّا غُرَرْ

مَوْلَايَ سَعْدُكَ كَالمُهَنَّدِ فى الوَغَى ... لَمْ يُبْقِ مِنْ رَسْمِ الضَّلَالِ ولم يَذَرْ

مَوْلَايَ وَجْهُكَ والصَّبَاحُ تَشَابَهَا ... وَكِلَاهُمَا فى الخافِقَيْنِ قد اشْتَهَرْ

إِنَّ الملوكَ كَوَاكِبٌ أَخْفَيْتَهَا ... وطَلَعْتَ (١) وَجْهُكَ فى مظاهرها (٢) قَمَرْ

فى كلِّ يَوْمٍ منْ زَمَانِكَ مَوْسِمٌ ... فى طِيِّهِ لِلخَلْقِ أَعْيَادٌ كُبَرْ

فاسْتَقْبِلِ الأَيَّامَ يَنْدَى رَوْضُها ... ويَرِف والنَّصْرُ العَزِيزُ لهُ ثَمَرْ

قد ذَهَّبَتْ مِنْها العَشَايَا ضِعْفَ مَا ... قد فَضَّضَتْ منها المحاسنُ فى السَّحَرْ

يابْنَ الَّذينَ إذا تُعَدُّ خِلَالُهُمْ ... نَفِدَ الحِسابُ وأُعجِزَتْ عنها القُدَرْ

إِنْ أَوْرَدوا هِيمَ السيُوفِ غَدَائِرًا ... مَصْقولةً فلطَالَمَا حَمِدوا الصَّدَرْ

سائِلْ ببَدْرٍ عنهُمُ بَدْرَ الهُدَى ... فيهِمْ (٣) عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ قد انتَصَرْ

واسْأَلْ مَوَاقِفَهُمْ بكُلِّ مَشَاهِدٍ (٤) ... وَاقْرَ المَغَازِيَ فى الصَّحِيحِ وفى السِّيَرْ

تَجِدِ الثَّنَاءَ ببَأْسِهِمْ وبجُودِهِمْ ... فى مُصْحَفِ الوَحْيِ المُنَزَّلِ مُسْتَطَرْ

فبِمِثْلِ هَدْيِكَ فَلْتَبِرْ شَمْسُ الضُّحَى ... وبِمِثْلِ قَوْمِكَ فَلْيُفَاخِرْ مَنْ فَخَرْ

مَاذَا أَقُولُ وَكُلُّ وَصْفٍ مُعْجِزٌ ... والقَوْلُ فيكَ مَعَ الإِطَالَةِ مُخْتَصَرْ

تِلْكَ المَنَاقِبُ كالثَّوَاقِبِ فى العُلَا ... مَنْ رَامَهَا بالحَصْرِ أَدْرَكَهُ الحَصَرْ

إِن غابَ عَبْدُكَ عنْ حِمَاكَ فإِنَّهُ ... بالْقَلْبِ فى تِلْكَ المَشَاهِدِ قد حَضَرْ

---

(١) فى نفح الطيب : « وحدك » .

(٢) فى ط : « فى جوانبها » .

(٣) فى م : « كل » مكان قوله : « فيهم » .

(٤) فى نفح الطيب : « مشهر » .

فاذكُرْهُ إنّ الذِّكْرَ مِنْكَ سَعَادَةٌ وبهَا عَلَى كلِّ الأنَامِ قد افْتَخَرْ
ورِضَاكَ عنْهُ غايةٌ مَا بَعْـدَهَا إلَّا رِضا الله الذى ابْتَدَعَ البَشَرْ
فاشكُرْ صَنِيعَ اللهِ فيكَ فإنّهُ سُبْحانَه ضَمِنَ المَزِيدَ لِمَنْ شَكَرْ
وعلَيكَ منْ رُوحِ الإلٰهِ تَحيَّةٌ تَهفُو إليك معَ الأصَائِلِ والبُكَرْ

وله فى الشكر على ضروب من التحف

ثم قال : ومن أغراضه الوقتية استرسالا مع الطبع البديهى ، فى الشكر على ضروب من التُّحَف التى يَقْتَضِيها[1] التحفِّى السلطانى بأولياء خدمته ، نُبَذٌ متعددة فيما يظهر ؛ فمنها قوله :

يا خَيْرَ مَنْ مَلَكَ المُلوكَ بجُودِهِ وبفَضْـلِهِ قدْ أشْبَهَ الأمْلَاكا
واللهَ مَا عَرَفَ الزَّمَانُ وَأَهْـلُهُ أَمْناً وَيُمْنـا دائِمًا لَوْلاكا
وافَيْتُ[2] أَهْلِي بالرِّياضِ عَشِيَّةً فى رَوْضِ جاهِكَ تَحْتَ ظِلِّ رِضاكا[3]
فَوَجَدْتُهُ قدْ طَلَّهُ صَوْبُ النَّدَى بسَحَائِبٍ تَنْهَلُّ مِنْ يُمْناكا
وسَفَائِنٍ مَشْحُونَةٍ أَلْقَى بِهـا بَحْرُ السَّماحِ يجيشُ مِنْ نُعْماكا
رُطَبٌ مِنَ الطَّلْعِ النَّضِيدِ كأَنّها قَدْ نُظِّمَتْ مِنْ حُسْنِها أَسْلَاكا
مِنْ كلِّ ما كانَ النَّبِيُّ يُحِبُّها وَأَحَبَّها الأنْصَارُ مِنْ أَوْلَاكا
[٣١٤] وَبَدَائِعِ التُّحَفِ الَّتى قَدْ أُطْلِعَتْ مِثْلَ البُدُورِ أنارَتِ الأحْلَاكا[4]
نُطَفٌ[5] مِنَ النُّورِ المُبِينِ تَجَسَّمَتْ حَتَّى حَسِبْنا أَنَّهُنَّ هُـدَاكا

(١) فى ط : « ينتقيها » . وفى م : « يقتنيها » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٢) فى ط : « ولقيت » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .
(٣) فى نفح الطيب « ذراكا » .
(٤) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « فنارت الأفلاكا » .
(٥) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط . وفى الأصلين : « لطف » .

يَحْلُو عَلَى الأفْوَاهِ طِيبُ مَذَاقِها لَوْلَا التَّجَسُّدُ خِلْتُهُنَّ سَنَا كا[1]
طَافَتْ بها النَّشْأُ الصِّغَارُ كأَنَّها سِرْبُ القَطَا لَمَّا وَرَدْنَ نَدَا كا
نَجْوَاهُمُ مَهْمَا سَمِعْتَ كلامَهُمْ وَنِدَاهُمُ : مَوْلَاىَ أَوْ مَوْلَا كا
أَبْلَغْتَ فى الأبْنَاءِ عَبْدَكَ سُؤْلَهُ لَا زِلْتَ تَبْلُغُ فى بَنِيكَ مُنَا كا
يَتَدَارَسُونَ مِنَ الدُّعَاءِ صَحَائِفاً كَيْمَا يُطِيلَ اللهُ فى بُقْيَا كا
فَبَقِيتَ شَمْساً فى سَمَاءِ خِلَافَةٍ وَهُمُ البُدُورُ أَمِدَّهُنَّ سَنَا كا

فى هدية من حب الملوك

ثم قال : ومنها وقد أهداه — رحمه الله — أطباقا من حب الملوك[2] :

كَتَبَ الإلٰهُ عَلَى العِبَادِ مَحَبَّةً لَكَ كانَ فَرْضُ كِتابِها مَوْقُوتَا
وَأَنَا الَّذِى شَرَّفْتَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ حَتَّى جَعَلْتَ لهُ المَحَبَّةَ قُوتَا
ما زِلْتَ تُتْحِفُهُ بِكُلِّ ذَخِيرَةٍ حَتَّى لَقَدْ أَتْحَفْتَهُ الياقُوتَا
وَالِى المُلُوكِ قَدْ اعْتَزى مِنْ عزه فغدَا لهُ ياقُوتُها مَمْقُوتَا

فى هدية أخرى منه

ومنها فى مثل ذلك :

يا خَيْرَ مَنْ مَلَكَ المُلُوكْ أَهْدَيْتَنِى حَبَّ المُلُوكْ
فَكَأَنَّمَا ياقُوتُهَا نُظِمَتْ لَنا نَظْمَ السُّلُوكْ
إِنَّ المُلُوكَ إِذَا لَجَوْا فِعَيَالُهُمْ أَنْ أَمْلُوكْ
وَكَذَا العُفَاةُ إِذَا شَكَوْا فِغِنَاهُمُ أَنْ يَسْأَلُوكْ
فَاللهُ يَقْبَلُ مَنْ دَعَا لِعُلَاكَ مِنْ أَهْلِ السُّلُوكْ

(١) فى ط ونفح الطيب : « ثنا كا » . وما أثبتنا عن م .
(٢) حب الملوك ، ويقال له أيضاً حب الزلم ، هو المعروف عند عامة أهل القاهرة بحب العزيز ، لأن العزيز بن المعز الفاطمى كان مولعا به .

لَا زِلْتَ تَطْلُعُ غُـــرَّةً كالشَّمْسِ فى وَقْتِ الدُّلوكْ

فى صيد أهدى إليه

ومنها وقد أهداه صيداً مما صاده بنوه رضى الله تعالى عنه :

يا خَيْرَ مَنْ وَرِثَ السَّمَاحَ عن الأُلَى نَصَرُوا الهُدَى وتبَوَّءوا الإيمانَا
فى كلِّ يَوْمٍ منْكَ تُحْفَةُ مُنْعِمٍ وَالَى الجَمِيلَ وَأَجْزَلَ الإحْسَانَا
قَدْ أَذْكَرَتْ دَارَ النَّعِيمِ عَبِيدَهُ وَتَضَمَّنَتْ مِنْ فضْلِهِ رِضْوَانَا
[٣١٠] تُهْدِى مَوَالِيكَ الَّذِينَ[1] تَفَرَّعُوا عَنْ دَوْحِ فَخْرِكَ فى العُلَا أَغْصَانَا
لِجَلَالِكَ الأَعْلَى قَنِيصاً أَتْعَبُوا فى صَيْدِهِ الأَرْوَاحَ وَالأَبْدَانَا
فتَخُصُّنِى مِنْــهُ بأَوْفَرِ قِسْمَةٍ فَسَحَتْ لِعَبْدِكَ فى الرِّضَا مَيدَانَا
لِلّهِ مِنْ مَوْلًى كَرِيمٍ بالَّذِى تُهْدِى المَوَالِى يُتْحِفُ العُبْدَانَا
تَدْعُو بَنِيَّ إِلَى الغَنِيِّ بِرَبِّهِ يا رَبَّنَا أَغْنِ الَّذِى أَغْنَانَا
وَعَلَيْكَ مِنْ قُدْسِ الإِلٰهِ تَحِيَّةٌ تُهْدِيكَ مِنْــهُ الرُّوحَ وَالرَّيْحَانَا

فى أصناف من الفواكه أهديت إليه

ومنها وقد أهداه رحمه الله تعالى أصنافا من الفواكه :

يا مَنْ لهُ الْوَجْهُ الْجَمِيلُ إِذَا بَدَا فَاقَتْ مَحَاسِنُهُ البُدُورَ كَمَالَا
وَالْمُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الْفَخْرِ الَّذِى فَاقَ الخَلَائِفَ عِزَّةً وَجَلَالَا
مَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاىَ مِثْلَ هَدِيَّةٍ أَبْدَتْ لنا صُنْعَ الإِلٰهِ تَعَالَى
فِيها مِنَ التُّفَّاحِ كلُّ عَجِيبَةٍ تُذْكِى بَرِيَّاهَا صَبًّا وَشَمَالَا
تُهْدِى لنا نَهْدَ الحَبِيبِ وَخَدَّهُ وَتُرِى مِنَ الْوَرْدِ الْجَنِيِّ مِثَالَا
وَبِها مِنَ الأُتْرُجِّ شَمْسٌ أَطْلَعَتْ مِنْ كلِّ شَطْرٍ لِلْعُيُونِ هِلَالَا
وَيَحُفُّهَا وَرَقٌ يَرُوقُ كأَنَّهُ وَرَقُ النُّضَارِ وَقَدْ أَجَادَ نِبَالَا[2]

(١) فى ط : «تهدى موالى للبنين» .
(٢) كذا فى الأصلين ونفح الطيب ولم يظهر لنا معنى لهذه الكلمة .

لوْنُ العَشِـيَّةِ ذُهِّبَتْ صَفَحَاتُها ... رَقَّتْ وَرَاقَتْ بَهْجَةً وَجَمَـالَا
وبها مِنَ النُّقْلِ الشَّهِيِّ مُذَكِّرٌ ... عَهْـــدًا تَوَلَّى لَيْتَهُ يَتَوَالَى
لِلّهِ منهـا خُضْرَةٌ مِنْ حَضْرَةٍ ... تُغْنِي العُـفَاةَ وَتُحْسِبُ الآمَالَا
أَذْكَرْتَنِى العَهْدَ القَدِيمَ وَمَعْهَدًا ... كانَتْ شُمُوسُ الرَّاحِ فيهِ تَلَالَا
فأَرَدْتُ تَجْدِيدَ العُهُودِ وَإِنَّمـا ... كَتَبَ المَشِيبُ عَلَى عِذَارِىَ لَا لَا
فأَدَرْتُ مِنْ ذِكْرَاكَ كأْسَ مُدَامَةٍ ... وشَرِبْتُ مِنْ حُبِّى لها جِرْيَالَا
فبَقِيتَ شَمْسًا فى سَمَاءِ خِلَافَةٍ ... لَا يَسْتَطِيعُ لها الزَّمَانُ زَوَالَا

وله فى يوم عاشوراء

ثم قال : ومنها يوم عاشوراء :

يَـأَيُّهـا المَوْلَى الَّذِى بَرَكَاتُهُ ... رَفَعَتْ لِوَاءَ للنَّدَى مَنْشُـورَا
لَكَ رَاحَةٌ تُزْجِى الغَمَامَ بِأَنْمُلٍ ... فَجَّرْتَ منهـــا بالنَّوَالِ بُحُورَا
وَالْيَوْمَ مَوْسِمُ قُرْبَةٍ وَعِبَـادَةٍ[1] ... وَغَدًا ظَفِرْتَ بِأَجْرِهِ عاشُورَا
رَاعَيْتَ فيـــهِ سُنَّةً نَبَوِيَّـةً ... يَرْوِى الثِّقَاتُ حَدِيثَها المَشْهُورَا
لَا زِلْتَ عامَكَ كلَّهُ فى غِبْطَةٍ ... لُقِّيتَ منهـا نَضْرَةً وَسُرُورَا [٣١٦]

ومن بعض قطعه

ومنها فى بعض قطعه :

وَاليْتَ ما أُولَيتَ يا بَحْرَ النَّدَى ... ووحَقِّ وَجْهِكَ[2] ما رَأَيْتُ كَهَـذِهِ
فإِذَا يَهُزُّ لها اللِّســـانُ حُسَامَهُ ... فَصِفَاتُ فَخْرِكَ قدْ قَضَتْ بِنَفَاذِهِ
عَلَّمْتَ فُرْسَانَ الكلامِ نِظَامَها ... كَتَعَلُّمِ التِّلْمِيـــذِ مِنْ أُسْتَاذِهِ
وَالبَحْرُ تَمْتَارُ السَّـحَائِبُ مَاءَهُ ... فَتَجُودُهُ مِنْ غَيْثِهِـــا بِرَذَاذِهِ

(١) فى م : « شهادة » وما أثبتناه عن ط ونفح الطيب .
(٢) فى نفح الطيب : « جودك » .

فى باكور أهداه إليه

ومنها وقد أهداه باكورا :

يا وَارِثَ الأنْصَارِ وَهْىَ مَزِيَّةٌ ... بفَخَارِها أثنَى الكِتَابُ المُنْزَلُ
أهْدَيتَنى البَاكُورَ وَهْىَ بشَارَةٌ ... ببَوَاكِرِ الفَتْحِ الذى تَسْتَقْبِل
وَوِلَادَةٌ لِهِلَالِ تِمٍّ[1] طَالِعٍ ... وَجْهُ الزَّمانِ بوَجْهِهِ يَتَهَلَّل
هُوَ أوَّلُ الأنْوَارِ فى أُفُقِ الهُدَى ... وَتَرَى الأَهِلَّةَ بَعْدَهُ تَسْتَرْسِل
مَوْلَاىَ صِدْقُ الفأْلِ قَدْ جَرَّبْتَهُ ... مِنْ لَفْظِ عَبْدِكَ وَالعَوَاقِبُ أَجْمَل

فى جفنة ثريد

ثم قال : ومنها فى جَفنة ثَريد :

طَعَامُكَ مِنْ دَارِ النَّعِيمِ بَعَثْتَهُ ... فشَرَّفتَنى مِنْ حَيْثُ أَدْرِى وَلَا أَدْرِى
بِهَضْبَةِ نُعْمَى قَدْ سَمَوْنَا لأَوْجِهَا ... فَصِدْنَا بِأَعْلَاها الشَّهِىَّ مِنَ الطَّيْر
وَقَوْرَاءَ قَدْ دُرْنَا بِهَالَةِ بَدْرِها ... كما دَارَتِ الزُّهْرُ النُّجُومُ عَلَى البَدْر
وَقَدْ حُمِلَتْ فَوْقَ الرُّءُوسِ لأَنَّها ... هَدِيَّةُ مَوْلًى حَلَّ فى مفْرِقِ الفَخْر
فما شِئْتَ مِنْ طَعْمٍ زَكِىٍّ مُهَنَّإٍ ... وماشِئْتَ مِنْ عَرْفٍ ذَكِىٍّ ومِنْ نَشْر
فلَوْ أَنها قَدْ قُدِّمَتْ لِخَلِيفَةٍ ... لَأَعْظَمَها قَدْرًا وَبَالَغَ فى الشُّكْر
وَكَمْ لَكَ مِنْ نُعْمَى عَلَىَّ عَمِيمَةٍ ... يَقِلُّ لِأَدْنَاها الْجَمِيلُ مِنَ الذِّكْر
فَلَا زِلْتَ يا مَوْلَى المُلوكِ مُبَلَّغًا ... أَمَانِىَّ تَرْجُوها إِلَى سَالِفِ الدَّهْر

فى الشكر عن كتاب

ومنها شكرا عن كتاب :

مَوْلَاىَ يَوْمُ الْجُمُعَهْ ... سُعُودُهُ مُجْتَمِعَهْ
فَانْعَمْ صَبَاحًا وَاغْتَنِمْ ... أَوْقَاتَهُ الْمُجْتَمِعَهْ
وَابْشِرْ بِصُنْعٍ عَاجِلٍ ... أَعْلَامُهُ مُرْتَفِعَهْ

(١) فى م ونفح الطيب : « سر » .

وَانتَظِرِ الفَتْحَ الَّذِى يَأْتِيكَ بالنَّصْرِ مَعَهْ [٣١٧]
وَبِيضُهُ وَسُمْرُهُ إِلَى العُدَاةِ مُشْرَعَه
وَاللُّطْفُ مَرْجُوٌّ فَرِدْ بِفضْلِ رَبِّى مَشْرَعَه
فَاتَحْتَنِى شَرَّفْتَنِى بِرُقْعَةٍ مُرَقَّعَه
بَلْ رَوْضَةٍ مَمْطورَةٍ أَزْهارُها مُنَوَّعَه
حَدِيقَة قَدْ جُدْتَها بِصَوْبِ جودٍ مُتْرَعَه
ورَايَة مَنْشُورَة وَآيَة مُسْتَبْدَعَه
كَمْ حِكْمَةٍ لَطِيفَةٍ فى طَيِّها مُسْتَوْدَعَه
عَقِيلَة صَوَّرْتَها منَ الْجَمَالِ مُبْدَعَه
سَقَيْتَنِى بفَضْلِها منْ فَضْلِ كأْسٍ مُتْرَعَه
فَدُمْ وَأَمْلَاكُ الْوَرَى عَلَى عُلَاكَ مُجْمِعَه

فى الشكر على خلعة

ومنها شكرا على خِلعة :

يا بَدْرَ تَمٍّ فى سَمَاءِ خِلافَةٍ حَفَّتْ نجُومُ السَّعْدِ هَالَةَ قَصْرِهِ
أَلْبَسْتَ عَبْدَكَ منْ ثِيابِكَ مَلْبَسًا قَدْ قَصَّرَتْ عَنْهُ مدَارِكُ شُكْرِهِ
وَرِضَاكَ عَنْهُ خَيْرُ ما أَلْبَسْتَهُ فلَقَدْ أَشَادَ بجَاهِهِ وَبِبِرِّهِ
أَلْبَسْتَنِى، أَرْكَبْتَنِى، شَرَّفْتَنِى أَهْدَيْتَنِى مَا لَا أَقُومُ بحَصْرِهِ
نَظَرِى لوَجْهِكَ وَهْوَ أَجْمَلُ نَيِّرٍ يُزْرِى عَلَى شَمْسِ الزَّمَانِ وَبَدْرِهِ
أَعْلَى وَأَعْظَمُ مِنَّةً لَا سِيَّمَا وَأَنَا الْمُنَعَّمُ فى الحُضُورِ بِبِشْرِهِ
لَا زِلْتَ مَوْلَى لِلْمُلُوكِ مؤَمَّلًا وَعُلَاكَ[1] لِلْإِسْلَامِ مَفْخَرَ دَهْرِهِ

(١) فى م ونفح الطيب : « وحلاك » .

ثم قال : ومنها وقد خلع — رضوان الله عليه — على رسول من أرساله :

أَبَحْرُ سَمَاحٍ مَدَّ عَشْرَةَ أَبْحُرٍ ... تُفيضُ غَمَامَ الجُودِ وَهْىَ الْأَنَامِلِ
بِكَفِّكَ غَيْثٌ لِلْبِلَادِ وَأَهْلِهَا ... يُرَوِّضُ مَحْلَ الْأَرْضِ وَالْعَامُ ماحِلِ
لَكَ الخَيْرُ إِنْ أَصْبَحْتَ بَحْرَ سَمَاحَةٍ ... يَعُمُّ نداهُ فالمَوَاهِبُ سَاحِلِ
خَلَعْتَ عَلَى هٰذَا الرَّسُولِ مَلَابِسًا ... بِهَا تَتَسَنَّى فى عُلَاكَ[1] المَآمِلِ
وَبَلَّغتَهُ آمالَهُ كَيفَ شَاءَهَا ... فَبُلِّغْتَ يا مَوْلَاىَ ما أَنْتَ آمِلِ

وله فى السؤال عن حاله وقد مرض بعض أبنائه

ثم قال بعد إيراد عدة مقطوعات وقصائدَ من نَمَط ما سبق :

[٣١٨] وأنشده وقد مرض بعض أبنائه — رحمة الله عليه وعليهم — سائلا عن حاله :

أُسَائِلُ بَدْرَ التَّمِّ كَيفَ هِلَالُهُ ... وَأَدْعُو لهُ الرَّحْمٰنَ جَلَّ جَلَالُهُ
وَأَسْأَلُهُ تَعْجِيلَ رَاحَتِهِ الَّتِى ... وَسِيلَتُنَا فيها النَّبِىُّ وَآلُه
سَتَبْلُغُ فيهِ مَا تُؤَمِّلُ منْ مُنًى ... وَيُرْضِيكَ يا بَدْرَ الكَمَالِ كَمَالُه

وفى مثله يقول رحمه الله :

فى مثل ذلك

أَقُولُ لِبَدْرِ التَّمِّ كَيفَ هِلَالُكَا ... نَعِمْتَ صَبَاحًا بالسُّرُورِ[2] وَآلُكَا
وَبُلِّغتَ فى النَّجْلِ السَّعِيدِ[3] سَعَادَةً ... تَقَرُّ بِهَا عَيْنًا وَيَنْعَمُ بالُكَا
وَخُصِّصْتَ بالبُشْرَى منَ اللهِ رَبِّنَا ... كَمَا عَمَّ أَقْطَارَ الجِهَاتِ نَوَالُكَا

(١) فى م ونفح الطيب : « فى عداك » .
(٢) فى نفح الطيب : « بالسعود » .
(٣) فى م ونفح الطيب : « الكريم » .

فى التورية باسم قائد

وفى التورية باسم قائد ولاّه مولانا — رضى الله عنه — على جماعة من الجند .

يَا أَيُّهَا المَوْلَى[1] الذى أَيَّامُهُ تَهْمِى بِسُحْبِ الْجُودِ مِنْ آلائِهِ
أَبْشِرْ لِجَيْشِكَ بالسَّعَادَةِ كُلَّمَا يَغْزُو فنَصرُ الله تَحْتَ لوَائِهِ

فى ملبس اتخذه

وأنشده — رضى الله عنه — فى ملبس اتخذه :

أَمَوْلَاىَ يا بْنَ السَّابِقِينَ إِلَى العُلَا وَمَنْ نَصرُوا الدِّينَ الحَنِيفِىَّ أَوَّلَا
غَنِيتَ بِنُورِ اللهِ عَنْ كلِّ زِينَةٍ وَأَلْبَسْتَ مِنْ رِضْوَانِهِ أَشْرَفَ الْحِلَى
وَقَارُكَ زَادَ الْمُلْكَ عِزًّا وَهَيْبَةً وَسَوَّغَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ مَنْهَلَا
وَيَاشَمْسَ هَدْىٍ فِى سَمَاءِ خِلَافَةٍ وَأَبْنَاؤُهُ الزُّهْرُ الْمُنِيرَةُ تُجْتَلَى
تَبَارَكَ مَنْ أَبْدَاكَ فى كُلِّ مَظْهَرٍ جَمِيلًا جَلِيلًا مُسْتَعَاذًا[2] مُؤَمَّلَا
فَيُخْجِلُ مِنْكَ الشَّمْسَ شَمْسُ هِدَايَةٍ وَيَحْسُدُ مِنْكَ الْبَدْرُ بَدْرًا مُكَمَّلَا
إِذَا أَنْتَ أَلْبَسْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ مَلَابِسَ عِزٍّ لَيسَ يُدْرِكُهَا البِلَى
وَطَوَّقْتَ أَجْيَادَ المُلوكِ أَيَادِيًا وَتَوَّجْتَهُمْ بالفَخْرِ تَاجًا مُكَلَّلَا
فَمَاشِئْتَ فَالْبَسْ فالمُشَاهِدُ قَائِلٌ: تَبَارَكَ مَا أَسْنَى وَأَبْهَى وَأَجْمَلَا!
أَلَا كُلُّ مَنْ صَلَّى وَضَحَّى وَمَنْ دَعَا وَمَدَّ يَدَيْهِ ضَارِعًا وَتَوَسَّلَا
وُجُودُكَ شَرْطٌ فِى حُصولِ قَبُولِهِ وَجُودُكَ أَثْرَى كَفَّهُ مُتَنَفِّلًا[3]

---

(١) فى م « الملك » .
(٢) فى م : « مستفادا » .
(٣) كذا فى م وط . وفى نفح الطيب : « فتنفلا » .

[٣١٩] وقال برسم مايُرْسَمُ على ثوب فى بعض هدايا مولانا رحمه الله تعالى للسلطان أبى العبّاس :

فيما يرسم على ثوب مهدى للسلطان أبى العباس

أُهْدِى أَبَا الْعَبَّاسِ مَلْكَ النَّدَى وَالْبَاسِ
ثَوْبَ السَّمَاءِ لِأَنَّهُ بَدْرٌ بَدَا لِلنَّاسِ
فَلَقُ الصَّبَاحِ بِوَجْهِهِ عَوَّذْتُهُ بِالنَّاسِ
يَكْسُو إِمَامًا لَمْ يَزَلْ بِحُلَى الْمَحَامِدِ كَاسِ
فَيَالَهُ مِنْ مُرْتَدٍ ثَوْبَ التُّقَى لَبَّاسِ[1]
أَذْيَالُهُ مِنْ حمده[2] مِسْكِيَّةُ الأَنْفَاسِ
وَبِطَرْزِهِ مَدْحٌ زَرَى بِالْمَدْحِ فِى الْقِرْطَاسِ
إِنْ كُنْتُ فِى لَوْنِ السَّمَا ءِ بِفِسْبَةٍ وَقِيَاسِ
فَلَأَنْتَ يَا بَدْرَ الْعُلَا شَرَّفْتَنِى بِلِبَاسِ
أَنَا مُنْشِدٌ «مَّا فِى وُقُو فِكَ سَاعَةً مِّنْ بَاسِ»
لِتَرَى رِيَاضًا أَطْلَعَتْ زَهْرًا عَلَى أَجْنَاسِ
أَوْرَاقُهَا تَوْرِيقُهَا بِقَضِيبِهَا الْمَيَّاسِ
وَمِنَ الْمَدِيحِ مُدَامَتِى وَمِنَ الْمَحَابِرِ كَاسِى
فَاللهُ يُمْتِعُ لَابِسِى بِالْبِشْرِ وَالإِينَاسِ

وفى مثل ذلك قوله رحمه الله :

فى مثل ماتقدم

إِنَّ الإِمَامَ مُحَمَّدَا أَهْدَى الْخَلِيفَةَ أَحْمَدَا

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « والباس » .
(٢) فى ط : « مزجه » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

[لِلبَاسِهِ ثَوباً وقدْ لَبِس المَحامِدَ وارْتَدَى][1]
وَعِمَامَةَ التقوى[2] التى مِنْ فَوْقِهَا شَمْسُ الْهُدَى
ياحُسنَهَا إِذْ أَرْسلت من كفِّهِ غَيْثَ النَّدَى
وكأَنَّ وَشْيَ رُقُومِهَا بالبَرْقِ طُرِّزَ عَسْجِدا
وَبِطَرْزِهِ لَوْنُ السَّمَا ء وَوَجْهُهُ[3] قَمَرٌ بَدَا
لِلّهِ مِنْـهُ نَـيِّرٌ حَـلَّ المَنَازِلَ أَسْعُدَا
مُسْتَنصِرٌ أَعْـلَى لَهُ فَوْقَ الـكَوَاكِبِ مَصْعَدَا

وله فى الغنى بالله وهو على جواد أدهم

ثم قال بعد ذكر قصيدة فى المدح :
وأنشده وهو على جواد أدهم :

تَجـلى لَنا المَوْلَى الإِمَامُ مُحَمَّدٌ عَلَى أَدْهَمٍ قَدْ رَاقَ حُسْنُ أَدِيمِهِ
فأَبصَرْتُ صُبْحًا فوق ليل[4] وَقَدْ حَكى مُقَلِّدُ ذَاكَ الطَّرْفِ بَعْضَ نجومه

[٣٢٠]

وله مع هدية زهرية

وكتب له مع هدية زَهرية :

أَمَوْلَاىَ تَقْبِيلى لِيُمْنَاكَ شَاقَنى وَلَا يُنـكِرُ الظَّمْآنُ شَوْقًا إِلَى الْبَحْرِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ مَاطَلَنى بِهَا وَشَوَّقَنى مِنْ حَيْثُ أَدْرِى وَلَا أَدْرِى
بَعَثْتُ لَكَ الزَّهْرَ الْجَنِىَّ لَعَلَّها يُقَبِّلُها عَنِّى ثُغُورٌ مِنَ الزَّهْرِ

وله متشوقا إلى الغنى بالله

وكتب إليه أيضاً متشوقاً :

كَتَبْتُ وَدَمْعِى بَلَّ الرَّكْبَ قَطْرُهُ وَأَجْرَى بِهِ بَيْنَ الخِيَامِ السَّوَاقِيَا

(١) البيت عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « الشفق » .
(٣) فى ط : السما . . . . وبوجهه . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « تحت ليل » ولا يستقيم به المعنى .

حَنِيناً لمَوْلًى أَتْلَفَ المالَ جُوْدُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَلَّدَ الفَخْرَ باقِيا
وَمَا عِشْتُ بَعْدَ البَيْنِ إِلَّا لِأَنَّنى أُرَجِّى بِفَضْلِ اللهِ مِنْهُ التَّلَاقِيا

وأنشده أيضًا وهو بحال تألم : — ومما كتبه إليه وهو فى حال تألم

كأَنِّى بِلُطْفِ اللهِ قَدْ عَمَّ خَلْقَهُ وعَافَى إِمَامَ المُسْلِمِينَ وَقَدْ شَفَى
وَقَاضِى القَضَاءِ الحَتْمِ سَجَّلَ حَكْمَهُ(١) وخَطَّ على رَسْمِ الشِّفَاءِ لهُ : اكْتَفَى

وفى مثل ذلك : — فى مثل ذلك أيضا

لَكَ الخَيْرُ يا مَوْلَاىَ أَبْشِرْ بِعِصْمَةٍ عَقَدْتَ مَعَ الأَيَّامِ فِى حِفْظِهَا صُلْحَا
وَعَافِيَةٍ فِى صِحَّةٍ مُسْتَجَدَّةٍ تُجَدِّدُ لِلدِّينِ السَّعَادَةَ وَالنُّجْحَا
فَوَجْهُ التَّهَانِى مُشْرِقٌ مُتَهَلِّلٌ وَجَوُّ الأَمانِى بَعْدَ ما غَامَ قَدْ أَصْحَى
وَقَدْ ظَهَرَتْ لِلبُرْءِ مِنْكَ عَلَامَةٌ عَلَامَتُكَ العُظْمَى تَقُولُ لنا : صَحَّا

وفى مثل ذلك : — فى ذلك أيضا

يَا إِمامًا قَدْ تَخِذْنَا هُ مِنَ الدَّهْرِ مَلَاذَا
خَطُّ يُمْنَاكَ يُنَادِى صَحَّ هَذَا ، صَحَّ هَذَا

وقال مهنئاً بالشفاء : — وله فى التهنئة بالشفاء

الحَمْدُ لِلهِ بَلَغْنَا المُنَى لَمَّا رَأَيْنَاكَ وَزَالَ العَنَا
وَفُزْتَ بالأَجْرِ وَكَبْتِ العِدَا وَفُزْتَ بالعِزِّ وَطِيبِ الثنا
فالحَمْدُ لِلهِ عَلَى مَا بِهِ مَنَّ عَلَيْنَا مِن ظُهُورِ الشِّفَا

(١) فى نفح الطيب : « ختمه » .

فى هذا أيضا وقال أيضا فى نحو منه :

نَعَمْ قَرَّتِ الْعَيْنَانِ وَانشَرَحَ الصَّدْرُ وَقَدْ لَاحَ مِنْ وَجْهِ الإِمامِ لَنَا الْبَدْرُ
سَرَيْنَا بلَيْـلِ التِّيهِ يكْذِبُ فَجْرُهُ فَلَمَّا تَجَلَّى بِشْرُه صَـدَقَ الْفَجْر [٣٢١]
أَغرُّ الْمُحَيَّا بالْحَيَـاءِ مُقَنَّعٌ زَهاهُ الـكَلَامُ الحُرُّ وَالنَّسَبُ الْحُر
إِمامُ الْهُدَى قَدْ خَصَّهُ بِخِـلافَةٍ إِلَهٌ لهُ فِي خَلْقِهِ النَّهْيُ وَالأَمر

فى مثل ما سبق وقال فى مثله وقد ركب رحمة الله عليه لمعاهد حضرته :

هَنِيئًا هَنِيئًا لا نَفَادَ لِعَـدِّهِ وَبُشْرَى لِدِينِ اللهِ إِنْجَازُ وَعْدِهِ
فَقَدْ لَاحَ بدْرُ التَّمِّ فى أُفُقِ الْعُـلا وَحَـلَّ كما يَرْضَى مَنازِلَ سَعْدِه
وَطَافَ إِمَامُ(١) الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٌ بِحَضْرَتِهِ الْعُلْيَا مُبلِّغَ قَصْـدِه
ولاحتْ بها الأنوارُ من بشْر وجهه وفاحَ بها النَّوارُ من نَشْر حمده
[وأبصرَتِ الأبصارُ شمسَ هداية وأشرقت الأرجاء من زُهر وَفده](٢)
ولَوَّحَتِ الأَعْـلامُ فِيهَا بِنصرِهِ كما لوَّحَ الصبحُ المنير(٣) بِبَنْدِه
سَتُهْدِى لَهُ الأَيَّامُ كلَّ مَسرَّةٍ ويُحيى بِهِ الرَّحْمٰنُ آثَارَ جَـدِّه
فَسُلَّ حُسَامَ السَّعْدِ واضربْ بحَدِّهِ(٤) وخَلِّ حُسَامَ الْهِنْدِ فِي كِنِّ(٥) غِمْدِه
فَسَيْفُكَ سَيْفُ اللهِ مَهْمَا سَـلَلْتَهُ يُقِيمُ حُدُودَ اللهِ قَائِمُ حَـدِّه

(١) فى م ونفح الطيب : « أمير » .
(٢) هذا البيت عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « النصر المبين » .
(٤) فى نفح الطيب : « به العدا » مكان قوله : « بحده » .
(٥) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « كنز » .

وله يصف البازى ويشكر ما أهدى إليه من صيده

وأنشده رضى الله عنه فى طَرد مولانا الوالد ، رحمة الله تعالى عليه ، ويصف البازى ، ويشكر ما أهداه من صيده :

يا مَنْ تَمُدُّ لهُ المُلُوكُ أَكُفَّهَا ... تَدْعُو الإلهَ لهُ بِطُولِ بَقَاء
أَضْحَى ولِيُّ العَهْدِ نَجْلُكَ صَائِداً ... شَأْنَ المُلُوكِ العِلْيَةِ العُظَمَاء
ورَمَى البُزَاةَ عَلَى القَنَاةِ(١) يَصِيدُهُ ... صَيْدَ الخَلِيفَةِ شَارِدَ الأَعْدَاء
مِنْ كُلِّ خَافِقَةِ الجَنَاحِ إِذَا مَشَتْ ... تُبْدِى اخْتِيَالَ الغَادَةِ العَذْرَاء
أَهْدَتْ لَنَا سَبَجَ(٢) العُيُونِ وَطَوَّقَتْ ... أَرْجَاءَهَا بِعَقِيقَةٍ حَمْرَاء
وَاسْتَاقَتِ اليَاقُوتَ فى مِنْقَارِها ... وَمشَتْ عَلَى المَرْجَانِ فى اسْتِحْيَاء
وَوَشَتْ يَدُ الأَقْدَارُ فى أَعْطَافِها ... وَشْيًا زَرَى بالحُلَّةِ السِّيَرَاء
مَلِكُ الطُّيُورِ أَتَى إِلَى مَلِكِ الوَرَى ... فاسْتَاقَهَا لِمُؤَمِّلِ الخُلَفَاء
وقَضَى سَمَاحُكَ أَنْ تَجُودَ بِبَعْضِهَا ... لِلْعَبْدِ تُعْلِيهِ عَلَى الجَوْزَاء
لِلَّهِ هَلْ شَرَفٌ يُضَاهِى ذَا الذى ... أَوْلَيْتَه مِنْ مِنَّةٍ غَرَّاء
هَيْهَاتَ أَيْنَ جَزَاؤُها مِنْ شُكْرِهِ ... يَجْزِيكَ عَنَّا اللهُ خَيْرَ جَزَاء
أَوَلَسْتَ قَدْ أَوْلَيْتَ كُلَّ خَلِيفَةٍ ... شرقًا وغَرْبًا أَصْوَبَ الآرَاء
[٣٢٢] فَلِصَاحِبِ الصَّفْرَاءِ(٣) فَخْرٌ خَالِدٌ ... يَحْظَى بِهِ مِنْ صَاحِبِ الحَمْرَاء
بِيضًا وسُمْرًا قَدْ شَرَعْتَ لنصرِهِ ... وأَعَنْتَ بالبَيْضَاءِ والصَّفْرَاء(٤)
لَا زِلْتَ شَمْسَ خِلَافَةٍ أَبْنَاؤُهُ ... مِثْلُ البُدُورِ بِمَرْقَبِ العَلْيَاء

(١) كذا فى م وط ، والكلمة كما يظهر محرفه عن اسم طير أو نحو ذلك .
(٢) السبج : خرز أسود ، شبه عيون الطير به .
(٣) الصفراء : موضع قرب المدينة . ولعله يريد بصاحب الصفراء سعد بن عبادة جد المدوح إذ كان موطنه المدينة وما جاورها .
(٤) البيضاء والصفراء هنا : كنايتان عن الفضة والذهب .

وأجاب عن أبيات خمس ، كتب — رضى الله عنه — بها إليه :

لَكَ فى الخِلافةِ مَظْهَرٌ لَا يُفْرَعُ ... مِنْ دُونِ مَرْقَبِهِ النُّجُومُ الطُّلَّعُ
يَا أَيُّهَا المَلِكُ الذى أَيَّامُهُ ... غُرَرٌ بِوَجْهِ الدَّهْرِ لَا تَتَقَنَّعُ
سُبْحانَ مَنْ حَلَّاكَ بالْخُلُقِ الرِّضَا ... وكَسَاكَ منهُ حُلَّةً لا تُخْلَعُ
أَمَّا المُدَامُ فدُمْتَ تُطْلِعُ شَمْسَها ... بَيْنَ البُدُورِ وشَمْسُ وَجْهِكَ تَسْطَعُ
أَغْنَيْتَنِى عَنْها بِخَمْرِ بَلَاغَةٍ ... فالطِّيبُ منْ نفحَاتِها يَتَضَوَّعُ
بوَّأْتَنِى مِن عِزِّ نَظْمِكَ رَوْضَةً ... طابَ الجَنَى منها وَلَذَّ المَشْرَعُ
وَأَرَيْتَنى جُنَحَ الدُّجُنَّةِ غُرَّةً ... فالنُّورُ منْ قَسماتِها يَتَطَلَّعُ
يعنو لهَا البَدْرُ المُنِيرُ وقد عَلَا ... والبَدْرُ تَاجٌ بالنُّجُومِ مُرَصَّعُ
فَاتَحْتَنى منها بِخَمْسِ وَلَائِدٍ ... لتُعِيذَها من كلِّ عَيْنٍ تَلْقَعُ[1]
قَبَّلْتُها أَلْفًا وَبِتُّ لرَبِّها ... أَدْعُو لهُ حَتَّى الصَّبَاحِ وأَضْرَعُ

وله يصف غربانا ويتفاءل

وقال يصف غربانا أجراها — رحمة الله عليه — ويتفاءل له بالراحة من شكاية ثلاثة .

أَعْلَامُكَ الْحُمْرُ فَوْقَ السُّفْنِ خَافِقَةٌ ... وريحُ سَعْدِكَ تُجْرِيهَا عَلَى قَدَرِ
مَا إِنْ رَفَعْتَ قَسِىَّ السُّفْنِ فى وَطَنٍ ... إِلَّا وَنِلْتَ قَصِىَّ السُّؤْلِ وَالْوَطَرِ
قَالُوا السَّفَائِنُ فَوْقَ البَرِّ ذَا عَجَبٌ ... منْ غيْرِ بَحْرٍ ولا مَوْجٍ ولا غَرَرِ
فقُلْتُ آثارُ مَوْلانَا التى سَفَرَتْ ... لنَا العِنَايَةُ عنْ آيَاتِها الكُبَرِ
تَجْرِى بريحِ سُعُودٍ فى بحَارِ نَدًى ... تُغْنِى بَنَانُكَ عن بَحْرٍ وعن مَطَرِ
لِلَّهِ يَوْمٌ عَجِيبُ الصُّنْعِ ذُو أَثَرٍ ... مُحَجَّلٌ رَائِقُ الْأَوْضَاحِ والغُرَرِ
اسْتَبْشَرَ النَّاسُ فيهِ بالصَّنِيعِ وقَدْ ... تَضَمَّنَ البِشْرَ فى وِرْدٍ وفى صَدَرِ

(١) يقال : لفع فلان فلانا بعينه : أصابه بها .

زَجَرْتُهُ بشِـــفَاء قَدْ أَتَاكَ كَمَا ... يُرْضِى عُلَاكَ جَمِيلِ الخُبْرِ والْخَبَرِ
إِذَا شَكَوْتَ فَكُلُّ الكَوْنِ ذُو وَصَبٍ ... فَأَنْتَ مِنْهُ مَكَانَ السَّمْعِ والبَصر
[٣٢٣] وَمَنْ شَكَا بأَلِيمِ الْوَجْدِ فى بَصرٍ ... فَقَدْ تَعَوَّدَ غيْرَ السُّهدِ والسَّـــفَر (١)
فَأَسْأَلُ اللهَ رَبَّ العَرْشِ فى لُطَفٍ ... يَسرِى إِلَيْكَ بها إِنْعامُ مُقْتَدِرِ
وأَنْ يُدَافِعَ عَنْ ذَاتٍ بحُرْمَتِها ... تَعَوَّدَ الْخَلْقُ لُطْفَ اللهِ فى القَدَر

فى التهنئة بعودة الأمير من جبل الشوار

ثم قال بعد إيراد جملة من نظمه :

وأنشده وقد عاد — رحمة الله عليه — من بعض متوجهاته الجهادية لجبل الشّوار .

عَلَى الطَّائِرِ المَيْمُونِ والطَّالِعِ السَّعْدِ ... قَدِمْتَ معَ الصُّنْعِ الجميلِ عَلَى وَعْدِ
وَقَدْ عُدْتَ مِنْ جَبَلِ الشُّوَارِ لتَجْتَلِى ... عَقَائِلَ لِلْفَتْحِ المُبِينِ بِلَا (٢) عَدِّ

ثم قال بعد ذكر جملة :

فيما يرسم بطيقان الأبواب

وقال مما رسم فى طيقان الأبواب بالمبانى الســـعيدة التى ابتناها مولانا رضى الله عنه .

أَنَا تَاجٌ كهِلَالِ ... أَنَا كُرْسِىُّ جَمَالِ
يَنْجَلِى الإِبْرِيقُ فيهِ ... كعروس ذِى اخْتِيَال
جُودُ مَوْلَانَا ابْنِ نصرٍ ... قَدْ حَبَانِى بالكَمَال

فى مثل هذا

وفى المعنى :

مَنْ رَأَى التَّاجَ الرَّفِيعَا ... قَدْ حَوَى الشَّكْلَ البَدِيعَا

(١) كذا ورد البيت فى الأصلين ، وفيه غموض .
(٢) فى م ونفح الطيب : « على عد » .

تَحْسُدُ الْأَفْلَاكُ مِنْـــهُ قَوْسَهُ السَّهْلَ المَنِيعَا
دمْتَ رَبْعًا لِلتَّهَـــانِي انْظِمِ الشَّـــمْلَ الْجَمِيعَا

وفيه :

لِلْغَنِي بالله قَصرٌ لِلتَّهانِي يَصْطَفِيـــهِ
فيـهِ مِحْرَابُ صَلَاةٍ يَقِفُ الإِبْرِيقُ فيه
تاليا سـورَةَ حُبِّي[1] وَالمَعَـالِي تَقْتَفِيـه

وفيه :

أَيُّ قَوْسٍ ذِى كَمَالٍ سَهْمُهُ سَهْمُ السَّعَادَهْ
مَلِكُ الإِبْرِيقِ فيـهِ عُوِّد الإِحْسَانَ عَادَه
ذُو صَـلَاةٍ من صِلاتٍ كُلُّها دَأْبًا مُعَـــادَه

فى مبتنى للأمير سعد

وفى المعنى مما كتبه لمبتنى لعمنا الأمير سعد رحمة الله تعالى عليه :

انْظُرْ لأُفْقِ جَمَـالٍ بِهِ الْأَبارِيقُ تَصْـعَدْ
بَدِيع حُسْنٍ حَبَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ الْمُمَجَّد
فَخْرُ الإِمارَةِ سَـعْدٌ بِهِ الخَلِيفَةُ يَسْـعَد
وَكَيْفَ لَا وَأَبُوهُ فَخْرُ المُلُوكِ مُحَمَّد
[عليه حَلْيُ رِضاهُ فى كلِّ يومٍ تَجدّد][2]

[٣٢٤] وفيه أيضاً :

رَفَعْتَ قَوْسَ سَمَاء يُزْهَى بِتَاجِ الهِلالِ

(١) كذا فى م ونفح الطيب المخطوط وفى ط : « حسن » .
(٢) هذا البيت عن م ونفح الطيب .

قَدْ قَلَّدَتْهُ نُقُوشِي دُرَّ الدَّرَارِى الْغَوَالى
تَرى الْأَبَارِيقَ فِيهِ تُهْدِيكَ عَذْبَ الزُّلَال
قَدْ زَانَ قَصرِىَ سَعْدٌ بِسَعْدِهِ الْمُتَوَالى
فَدَامَ يَعْمُرُ رَبعِى فى ظِلِّ مَوْلَى الْمَوَالى

وقال فى الغرض :

مَا تَرى فى الرِّيَاضِ أشباهى يَسْحَرُ العقل حسنىَ الباهى
زَانَ رَوْضِى أَمِيرُهُ سَعْدٌ وَهْوَ نَجْلُ الغَنِيِّ بالله
دَامَ مِنْهُ بِمُرْتَقَى عِزٍّ آمِرٌ بالسُّعُودِ أَوْ نَاهى

وله فى الشكر عن هدية

وقال فى غرض الشكر [عن مُغَطًّى صِنهاجىّ أهداه إياه] (١) :

لمن قُبَّةٌ حَمْرَاء مُدَّ فَضَاؤُهَا تَطَابَقَ مِنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا
وَمَا أَرْضُهَا إِلَّا خَزَائِنُ رَحْمَةٍ وَمَا قَدْ سَمَا مِنْ فَوْقِ ذَاكَ غِطَاؤُهَا
وَقَدْ شَبَّهَ الرَّحْمٰنُ خِلْقَتَنَا بِهَا وَحَسْبُكَ فَخْراً بَان مِنْهُ اعْتِلاؤُهَا
وَمَعْرُوشَةُ(٢) الْأَرْجَاءِ مَفْرُوشَةٌ بِهَا صُنُوفٌ مِنَ النَّعْمَاءِ مِنْهَا وِطَاؤُهَا
تَرى الطيرَ فِى أَجْوَافِهَا قَدْ تَصَفَّفَتْ عَلَى أَنْعُمٍ (٣) عِنْدَ الإِلٰهِ كِفَاؤُهَا
وَنِسْبَتُهُ صِنْهَاجَةٌ غَيْرَ أَنَّهُ(٤) تُقَصِّرَ عَمَّا قَدْ حَوَى خُلَفَاؤُهَا
حَبَتْنِى بِهَا دُونَ الْعَبِيدِ خِلَافَةٌ عَلَى اللهِ فِى يَوْمِ الْجَزَاءِ جَزَاؤُهَا

(١) ما بين القوسين عن م ونفح الطيب .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م « مفروشة » .
(٣) فى م ونفح الطيب : « على نعم » .
(٤) كذا فى ط . والذى فى م ونفح الطيب : « ونسبتها ... غير أنها » . والضمير بالتذكير عائد على المغطى المهدى ، وبالتأنيث عائد على القبة .

وَفِي مِثْلِه :

مَا لِلْعَوَالِمِ جُمِّعَتْ فِي قُبَّةٍ ... قَدْ شَادَهَا كَرَمُ الإِمَامِ مُحَمَّدِ
فِي صَفْحِ صَرْحٍ بِالزُّجَاجِ مُمَوَّهٍ ... وَبِجُودِ مَوْلَايَ الْإِمَامِ مُمَهَّدِ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِطَائِرٍ (١) ... عَنْ ثَوْبِ مُوَشِّيِّ الرِّيَاشِ مُجَرَّدِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الطُّيُورُ تَغَرَّدَتْ ... فَلِشُكْرِ هَذَا الْعَبْدِ سَجْعُ مُغَرِّدِ
صُفَّتْ عَلَيْهَا لِلْفَوَاكِهِ كُلُّ مَا ... قَدْ عَاهَدَتْهُ بِدَوْحِهَا الْمُتَعَوِّدِ
لَوْ أَبْصَرَتْ صِنْهَاجَةٌ أَوْضَاعَهُ ... دَانَتْ لَهُ أَمْلَاكُهَا بِتَعَبُّدِ (٢)
عَوَّدَتْنِي الصُّنْعَ الْجَمِيلَ تَفَضُّلاً ... لَا زِلْتَ خَيْرَ مُعَوِّدٍ وَمَعَوَّدِ
وَبِسُورَةِ الْأَنْعَامِ كَمْ مِنْ آيَةٍ ... فِيهَا لِقَارٍ بِالنَّوَالِ مُجَوِّدِ [٣٢٥]

وله فى التذييل على بيتى ابن المعتز

وقال تذييلا لبيتى ابن المعتزّ :

« سَقَتْنِيَ فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا ... شَبِيهَةَ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ لِلشَّعْرِ وَالدُّجَى ... وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَخَدٍّ حَبِيبِ »
إِلَى إِنْ بَدَا الصُّبْحُ الْمُنِيرُ كَأَنَّهُ ... مُحَيَّا ابْنِ نَصْرٍ لَمْ يُشَنْ بِغُرُوبِ
شَمَائِلُهُ مَهْمَا أُدِيرَتْ كُئُوسُهَا ... قَلَائِدُ أَسْمَاعٍ وَأُنْسُ قُلُوبِ

وله فى التذييل على بيت ابن وَكِيع

وقال مُذَيِّلًا على بيت ابن وَكِيع أيضاً :

« هِيَ فِي أَوْجُهِ النَّدَامَى عَقِيقٌ ... وَهِيَ مِثْلُ النُّضَارِ فِي الاقْدَاحِ »
كَابْنِ نَصْرٍ تَرَاهُ فِي الحَرْبِ لَيْثًا ... وَهُوَ بَدْرُ الهُدَى وَغَيْثُ السَّمَاحِ

(١) فى نفح الطيب : « كطائر » .
(٢) الضمير فى أوضاعه للمغطى وهو القبة الموصوفة ؛ وفى دانت له يعود على المهدى ، وهو محمد الذى بالقبة .

ذِكْرُهُ قَدْ ثَنَى قُدُودَ النَّدَامَى وَأَعَادَ الْحَيَاةَ فِى الأَشْبَاحِ[1]

ومما يرسم للغنى بالله

وقال مما يُرسَمُ للغنى بالله :

لِلْغَنِى بِاللهِ مُلْكٌ بُرْدُهُ بِالْعِزِّ مُذْهَبْ
دَامَ فى رفعـــة شانٍ مَاجَلَا الإِصْبَاحُ غَيْهَبْ

وقال أيضاً :

يابْنَ نَصْرٍ لَكَ مُلْكٌ لَيْسَ تَعْدُوهُ الْفُتُوحُ
دُمْتَ رُوحاً لِلْمَعَالِى مَاسَرَى فى الْجِسْمِ رُوحُ

من مقطوعة

وقال من مقطوعة :

وَابْنُ نَصْرٍ لَهُ مُحَيَّا كَصُبْحٍ إِنْ تَجَلَّى جَلَا دُجَى[2] كُلِّ كَرْبِ
ذُو حُسَامٍ كَأَنَّهُ لَمْعُ بَرْقٍ فِى بَنَانٍ كَأَنَّهَا غَيْثُ سُحُبِ

ومن أخرى :

وَكَأَنَّ النُّجُومَ فِى غَسَقِ اللَّيْـــلِ جُمَانٌ يَلُوحُ فِى آبْنُوسِ
وَكَأَنَّ الصَّبَاحَ فِى الأُفْقِ يُجْلَى بِجُلِىِّ النُّجُومِ مِثْلُ العَرُوسِ
وَكَأَنَّ الرِّيَاضَ تُهْدِى ثَنَاءً لِلْغَنِى بِاللهِ فَوْقَ الطُّرُوسِ

فى عيدية

ثم قال بعد قصائد كثيرة عيدية :

وقال من أخرى عِيدية شاركتها فى كثير [من أبياتها قصيدة][3] فتحيةٌ تقدّمت ، أولها :

(١) فى م ونفح الطيب : « فى الأرواح » .
(٢) فى نفح الطيب : « لنا » مكان « دجى » .
(٣) التكملة عن م .

* هِىَ نفحةٌ هَبَّتْ مِنَ الأَنْصَارِ *

والمختص بهذه :

أَضِيَاءُ هَدْيٍ أَمْ ضِيَاءُ نَهَارِ وَشَذَا الْمَحَامِدِ أَمْ شَذَا الأَزْهَارِ

ومنها بعد كثير :

قَسَمًا بِهَدْيِكَ فِى الضِّيَاءِ وَإِنَّهُ شَمْسٌ تُمِدُّ الشُّهْبَ بِالأَنْوَارِ [٣٢٦]

ومنها أيضاً :

كَمْ مِنْ لَطَائِفَ لِلْهُدَى أَوْضَحْتَهَا خَفِيَتْ مَدَارِكُهَا[1] عَلَى الأَفْكَارِ

كَمْ مِنْ جَرَائِمَ قَدْ غَفَرْتَ عَظِيمَهَا مُسْتَنْزِلاً مِنْ رَحْمَةِ الْغَفَّارِ

عَلِمَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا فَتَسَابَقَتْ لِرِضَاكَ فِى مِضْمَارِ

فى وصف جيش ومنها يصف الجيش :

سَالَتْ بِهِ تَحْتَ الْعَجَاجِ سَفِينَةٌ نُفِحَتْ بِرِيحِ الْعَزْمِ[2] مِنْ أَنْصَارِ

أَرْسَتْ بِجُودِى الْجُودِ فِى يَوْمِ النَّدَى وَجَرَتْ بِيَوْمِ الْحَرْبِ فِى تَيَّارِ

ومنها :

أَلْقَى بِأَيْدِى الرِّيحِ فَضْلَ عِنَانِهِ فَيَكَادُ يَسْبِقُ لَمْحَةَ الأَبْصَارِ

ومنها :

فَهِىَ الْعِرَابُ مَتَى أُثِيرَتْ فِى الْوَغَى قَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ صُنْعِ لُطْفِ الْبَارِى[3]

---

(١) فى نفح الطيب : « لطائفها » .

(٢) فى نفح الطيب : « العز » .

(٣) كذا فى ط ونفح الطيب المخطوط . وفى م ونفح الطيب المطبوع : « انبرت » .

ومنها :

إنْ خَاضَ فِي بَحْرِ العَجَاجِ[1] رَأَيْتَهُ ... يَجْلُو دُجُنَّتَهُ بِوَجْـهِ نَهَارِ

ومنها :

كَم فِيهِمُ مِنْ قَارِى ضَيْفٍ طارقٍ ... وَضحَتْ شَوَاهِدُ فَضْلِهِ لِلْقَارِى

ومنها :

يَأَيُّهَا الملِكُ الَّذِي أَيَّامُـــهُ ... غُرَرٌ تَلُوحُ بِأَوْجُهِ الْأَعْصَار

قَدْ زَارَكَ العِيدُ السَّعِيدُ مُبَشِّرًا ... فَاسْمَحْ لِأَلْفِ مِثْـــلِهِ بِمَزَار

لَمَّا أَزْدَهَتْهُ عَوَاطِفٌ أَلْطَفْتَهَا[2] ... عَطَفَ الإِلٰهُ عَلَيْـكَ عَطْفَ سِوَار

[فأَتَى][3] يُؤَمِّمُ مِنْكَ هَدْيًا صَالِحًا ... كَيْ[4] يَسْتَمِدَّ النُّورَ بَعْدَ سِرَار

وَأَتَاكَ يَسْحَبُ ذَيْلَ سُحْبٍ أَغْدَقَتْ ... تُغْرِى جُفُونَ المُزْنِ بِاسْـتِعْبَار

جَادَتْ بِجَارِى الدَّمْعِ[5] مِنْ قَطْرِ النَّدَى ... فَرَعَى الرَّبِيعُ لَهَا حُقُوقَ الْجَار

فَأَعَادَ وَجْهَ الْأَرْضِ طَلْقًا مُشْرِقًا ... مُتَضَاحِكًا بِمَبَاسِمِ النَّـــوَّار

لَمَّا دَعَاكَ إِلَى القِيَامِ بِسُـنَّةٍ ... حَكَمَتْ دَوَاعِى الجُودِ وَالإِيثَار

فَأَفَضْتَ فِينَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبًا ... حَسُنَتْ مَوَاقِعُهَا عَلَى التَّكْرَار

فَاهْنَأْ بِعِيدٍ عَادَ يَشْتَمِلُ الرِّضَا ... جَذْلَانَ يَرْفُلُ فِى حِلَى اسْتِبْشَار

---

(١) فى نفح الطيب : « فى ليل العجاج » .

(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « لقيتها » .

(٣) التكملة عن نفح الطيب .

(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « إذ يستمد » .

(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « بحار الدمع » .

ومنها :

لا عُذْرَ لى أَنْ كنتُ فِيهِ مقصّرًا ... سَدَّتْ صِفَاتُكَ أَوْجُهَ الْأَعذارِ
فإذا نَظَمْتُ مِنَ المَنَاقِبِ دُرَّهَا ... شرَّفْتَنى منها بنَظْمِ دَرَارى
فَلذاكَ أَنْظِمُهَا قلائدَ لُؤلُؤٍ ... لأُلاؤُهَا قَدْ شَفَّ بالأَنْوَار

من قصيدة له ميمية

ثم أورد هذا المؤلف قصيدة ميمية طويلة ، أولها :

هَنَاءَ لهُ ثَغْرُ الْهُدَى يَتَبَسَّمُ ... وَيُبْشَرَى بهَا عَرْفُ الرِّضَا يَتَنَسَّمُ
تَبَسَّمَ ثَغْرُ الثَّغْرِ عَنْهَا بِشَارَةً ... فأَعْدَى ثُغُورَ الزَّهْرِ مِنْهُ التَّبَسُّمُ [٣٢٧]
وَلَاعَجَبٌ مِنْ مَبْسِمِ الزَّهْرِ فِى الرُّبَا ... فَلِلْبَرْقِ مِنْ خَلْفِ السَّحَائِبِ مَبْسِمُ
عِنَايَةُ مَنْ أَعْطَى الْخَلِيفَةَ رُتْبَةً ... عَلَيْهَا النُّجُومُ النَّيِّرَاتُ تُحَوَّمُ
فَمِنْهُ اسْتَفَادَ الْمُلْكُ كلَّ غَرِيبَةٍ ... تُخَطُّ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ وَتُرْسَمُ
وَمِنْهُ تَلَقَّى الْهَدْىَ كلُّ خَلِيفَةٍ ... كَأَنَّهُمُ مِمَّا أَفَادَ تَعَلَّمُوا

ومنها بعد نيّف على ستين بيتاً :

وكَمْ مِنْ لِوَاءٍ فِى الفُتُوحِ نَشَرْتَهُ ... وَلِلرُّعْبِ جَيْشٌ دُونَهُ يَتَقَدَّمُ
فَقُلْ لِمُلُوكِ الأَرْضِ دُونَكُمُ فَقَدْ ... أَعَلَّمُ مَالاَ زَالَ بالنَّصْرِ يُعْلَمُ
تَسَامَتْ بِهِ لِلنَّصْرِ أَشْرَفُ ذِمَّةٍ ... لَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ عَهْدٌ مُكَرَّمُ
وَكَمْ مِنْ جِهَادٍ قَدْ أَقَمْتَ فُرُوضَهُ ... يُزَارُ بِهِ الْبَيْتُ العَتِيقُ وَزَمْزَمُ
وَكَمْ عَزْمَةٍ جَرَّدْتَ مِنْهَا إِلَى العِدَا ... حُسَاماً بِهِ دَاءُ الضَّلَالَةِ يُحْسَمُ
وَكَمْ بَيْتِ مَالٍ فِى الْجِهَادِ بَذَلْتَهُ ... وَأَقْرَضْتَ مِنْهُ اللهَ مَا اللهُ يَعْلَمُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ جِئْتَ فيهَا بِلَيْلَةٍ ... مِنَ النَّقْعِ فيهَا لِلْأَسِنَّةِ أَنْجُمُ
سَهِرْتَ بهَا وَاللهُ يَكْتُبُ أَجْرَهَا ... تُؤَمِّنُ فيهَا الخَلْقَ وَالْخَلْقُ نُوَّمُ

وَفَوْقَكَ[1] مِنْ سَعْدٍ لِوَاءٌ مُشَهَّرٌ ... وَدُونَكَ مِنْ عَزْمٍ حُسَامٌ مُصَمِّمُ
إِذَا أَنْتَ جَهَّزْتَ الْجِيَادَ لِغَارَةٍ ... فَإِنَّ صَبَاحَ الْحَىِّ أَغْبَرُ أَقْتَمُ
فَمِنْ أَشْهَبٍ مِهْمَا يَكُرَّ رَأَيْتَهُ ... صَبَاحاً بِلَيْلِ النَّقْعِ لَا يَتَكَتَّمُ
وَأَحْمَرَ قَدْ أَذْكَى بِهِ الْبَأْسُ جَذْوَةً ... إِذَا ابْتَلَّ عِطْفاً فِى الْوَغَى يَتَضَرَّمُ
وَأَشْقَرَ أَعْدَى الْبَرْقَ لَوْناً وَسُرْعَةً ... وَلَكِنْ لَهُ دُونَ الْبُرُوقِ التَّقَدُّمُ
وَأَصْفَرَ فِى لَوْنِ الْعَشِىِّ وَذَيْلُهُ ... وَلَوْنُ الَّذِى بَعْدَ الْعَشِيَّةِ يُعْلَمُ
وَأَدْهَمَ مِثْلِ اللَّيْلِ وَالْبَدْرُ غُرَّةٌ ... وَبِالشُّهْبِ فِى حَلْىِ الْمُقَلَّدِ مُلْجَمُ
وَأَشْهَبَ كَالْقِرْطَاسِ قَدْ خَطَّ صَفْحَهُ ... كِتَابٌ مِنَ النَّصْرِ الْمُؤَزَّرِ مُحْكَمُ
وَرُبَّ جِلَادٍ مِنْ جِدَالٍ سَطَرْتَهُ ... يَرَاعُ الْقَنَا[2] فِيهِ تَخُطُّ وَتَرْسُمُ
وَقَامَ خَطِيبُ السَّيْفِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ ... فَأَعْجَبُ مِنْهُ أَعْجَمٌ يَتَكَلَّمُ
فَكَمْ مِنْ رُءُوسٍ عَنْ جُسُومٍ أَزَالَهَا ... فَأَثْكَلَ مِنْهَا كُلَّ بَاغٍ يُجَسِّمُ
وَزُرْقِ عُيُونٍ لِلْأَسِنَّةِ قَدْ بَكَتْ ... وَلَا دَمْعَ إِلَّا مَا أُسِيلَ بِهِ الدَّمُ
وَنَهْرِ حُسَامٍ كُلَّمَا أَغْرَقَ الْعِدَا ... تَلَقَّتْهُمُ مِنْهُ سَرِيعاً جَهَنَّمُ
فَأَصْلَيْتَ عُبَّادَ الْمَسِيحِ مِنَ الْوَغَى ... سَعِيراً بِهِ يَرْضَى الْمَسِيحُ وَمَرْيَمُ [٣٢٨]
أَبَرَّ[3] مِنَ التَّثْلِيثِ بِاللهِ وَحْدَهُ ... فَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَاللهُ يَعْصِمُ
وَنَبِّهْ سُيُوفاً مَاضِيَاتٍ عَلَى الْعِدَا ... وَخَلِّ جُفُونَ الْمُرْهَفَاتِ تَهُوَّمُ
وَلِلهِ مِنْ شَهْرِ الصِّيَامِ مُوَدِّعٌ ... عَلَى كُلِّ مَحْتُومِ السَّعَادَةِ يَكْرُمُ
تَنَزَّلَ فِيهِ الذِّكْرُ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ... فَيُبْدَأُ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَيُخْتَمُ

(١) كذا فى م . وفى ط : « وسعدك » .
(٢) فى ط : « الغنى » .
(٣) كذا فى ط ، وفى م : « أبرز » وفى اللفظ تحريف .

وللهِ فيـــهِ من لَيَالٍ مُنِيرَةٍ أضَاءَ بِنُورِ الوَحْيِ منهُنَّ مُظْلِمُ
وصَابَتْ سَحَابُ الدَّمْعِ يُمْحَى بِمَائِها مِنَ الصُّحْفِ أوْزَارٌ تُحَطُّ وَمَأْثَمُ
وللهِ فِيهِ لَيْلَةُ القَدْرِ قَدْ غَدَتْ عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فِي الثَّوَابِ تَقَدَّمُ
تَبِيتُ بِهَا حَتَّى الصَّبَاحِ بِإِذْنِهِ مَلَائِكَةُ السَّبْعِ الطِّبَاقِ تُسَلِّمُ
وبُشْرَى بِعِيدِ الفِطْرِ أَيْمَنِ قَادِمٍ عَلَيْكَ بِمَجْمُوعِ البَشَائِرِ يَقْدَمُ
جَعَلْتَ قِرَاهُ سُـــنَّةً نَبَوِيَّةً لَهَا فِي شِعَارِ الدِّينِ قَدْرٌ مُعَظَّمُ
ومِنْ دَعَوَاتٍ لِلإِلَهِ رَفَعْتَهَا تُسَدِّدُ مِنْهَا لِلإِجَابَةِ أَسْهُمُ
وفِي كلِّ عَيْنٍ مِنْ مُحِبَّاكَ قُرَّةٌ وفِي كلِّ كَفٍّ مِنْ نَوَالِكَ أَنْعُمُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَفْخَرْ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَلَا أَبْصَرَ المِصْبَاحَ مَنْ يَتَوَسَّمُ (١)
فَمَا مَهَّدَ الإِسْلَامَ غَيْرُ خَلِيفَةٍ عَلَى عِطْفِهِ دُرُّ المَحَامِدِ يُنْظَمُ
فَكَمْ بَيْتِ شِعْرٍ قَدْ عَمَرْتُ بِذِكْرِهِ فَبَاتَ بِهِ حَادِي السُّرَى يَتَرَنَّمُ
ولَسْنَ بُيُوتًا بَلْ قُصُورًا مَشِيدَةً تُطِلُّ عَلَى أَوْجِ العُـــلَا وَتُخَيِّمُ
ومَا ضَرَّهَا أَنْ قَدْ تَأَخَّرَ عَهْدُهَا إِذَا طَالَ مَبْنَاهَا الَّذِينَ تَقَدَّمُوا
وَإِذْ (٢) أَنْتَ مَوْلَاهَا وعَامِرُ رَبْعِهَا فَكُلُّ فَخَارٍ تَدَّعِيهِ مُسَلَّمُ
أَنَا العَبْدُ قَدْ أَسْكَنْتَهُ جَنَّةَ الرِّضَا فَلَا زِلْتَ فِيهَا خَالِدًا تَتَنَعَّمُ
وَلَا زِلْتُ فِي الأَعْيَادِ سَاجِعَ (٣) رَوْضِهَا إِذَا احْتَفَلَتْ أَشْرَافُهَا أَتَرَنَّمُ
بَقِيتَ (٤) مَتَى يَبْلَ الزَّمَانُ تُجِدَّهُ وَفِي كلِّ يَوْمٍ مِنْكَ عِيدٌ ومَوْسِمُ

(١) فى ط : « من يتوهم » . وما أثبتناه عن م .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « ومذ أنت » .
(٣) فى ط : « ساكن » . وما أثبتناه عن م .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « أقمت » .

ودُمْتَ لِأَلْفٍ مِثْلِهِ فى سَعَادَةٍ يَذِلُّ بِهَا بَاغٍ وَيَعْتَزُّ مُسْلِمُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الفَخْرَ جُهْدَ مُقَصِّرٍ وَأَنَّكَ أَعْلَى مِنْ مَدِيحِى وَأَعْظَمُ
خَتَمْتُ ثَنَائِى بِالدُّعَاءِ وَهَأَنَا أُقَلِّبُ فِى كَفِّ النَّدَى وَأُسَلِّمُ

فى رثاء الغنى بالله

ثم قال : ولمّا انتقل مولانا الجد إلى رِضوان الله ونعيم خُلده ، وقام مولانا الوالد ولىُّ عهده بالأمر من بعده ، أنشده رثاء فى السَّلَف ، وهناء فى الخَلَف ، رحمة الله تعالى عليهما : [٣٢٩ظ]

[عَزَاءً فَإِنَّ الشَّجْوَ قَدْ كَانَ يُعْرِفُ وَبُشْرَى بِهَا الدَّاعِى عَلَى الغَوْرِ يُشْرِفُ]
لَئِنْ غَرَبَ البَدْرُ المُنِيرُ مُحَمَّدٌ لَقَدْ طَلَعَ البَدْرُ المُكَمَّلُ يوسُف
وإِنْ رُدَّ سيفُ المُلْكِ صَوْنًا لِغِمْدِهِ فَقَدْ سُلَّ مِنْ غِمْدٍ[٢] الخِلَافَةِ مُرْهَف
وَإِنْ طَوَتِ البُرْدَ اليَمَانِى يَدُ البِلَى فَقَدْ نُشِرَ البُرْدُ الجَدِيدُ المُفَوَّف
وَإِنْ نَضَبَ الوَادِى وَجَفَّ مَعِينُهُ فَقَدْ فَاضَ بَحْرٌ بِالجَوَاهِرِ يَقْذِف
وإِنْ صَوَّحَ الرَّوْضُ الَّذِى يُنْبِتُ الغِنَى فَقَدْ أَزْهَرَ الرَّوْضُ الذى هُوَ يُخْلِف
وَإِنْ أَقْلَعَتْ سُحْبُ الحَيَا وَتَقَشَّعَتْ فَقَدْ نَشَأَتْ مِنْهَا غَمَائِمُ وُكَّف
وإِنْ صَدَعَ الشَّمْلَ الجَمِيعَ[٣] يَدُ النَّوَى بِيُوسُفَ فَخْرِ المُنْتَدَى يَتَأَلَّف
وإِنْ رَاعَ قَلْبَ الدِّينِ نَعْىُ إِمَامِهِ فَقَدْ هُزَّ مِنْهُ بِالبِشَارَةِ مَعْطِف
وَقَدْ مَلَكَ الإِسْلَامَ خَيْرُ خَلِيفَةٍ مِنَ البَدْرِ أَبْهَى بَلْ مِنَ الشَّمْسِ أَشْرَف
يُعِيرُ مُحَيَّاهُ الصَّبَاحَ إِذَا بَدَا وَتُخْجِلُ يُمْنَاهُ الغَمَامَ وَتَخْلُف
فَمِنْ نُورِ مِرْآهُ الكَوَاكِبُ تَهْتَدِى وَمِنْ فَيْضِ جَدْوَاهُ الحَيَا نَتَوَكَّف

(١) هذا البيت عن م .
(٢) فى ط : « سيف » . والتصويب عن م .
(٣) فى ط : « الجيل » والتصويب عن م .

ولمَّا قضَى المَوْلَى الإمَامُ مُحَمَّدٌ ... تَحَكَّمَ فِي النَّاسِ الأَسَى والتَّأَسُّفُ
فَلاجَفْنَ إلَّا مُرْسِلٌ سُحْبَ دَمْعِهِ ... وَلَا قَلْبَ إلَّا بِالجَوَى يَتَلَهَّفُ
وَقَدْ كَادَتْ الدُّنْيَا تَمِيدُ بِأَهْلِهَا ... وَقَدْ كَادَتْ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ تَرْجُفُ
وَقَدْ كَادَتْ الأَفْلَاكُ تَرفَضُّ حَسْرَةً ... وَكَادَتْ بِهَا الأَنْوَارُ تَخْفُو وتُكْسَفُ
وَلَكِنْ تَلَافَى اللهُ أَمْرَ عِبَادِهِ ... بِوَارِثِهِ واللهُ بالنَّاسِ أَرْأَفُ
فَلِلدِّينِ والدُّنْيَا ابْتِهَاجٌ وغِبْطَةٌ ... وللثَّغْرِ ثَغْرٌ بِالمُنَى يُتَرَشَّفُ
أَمانٌ كما تَنْدَى الشَّبِيبَةُ نَضْرَةً[1] ... يُمِدُّ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الأَرْضِ أُورَفُ
طَلَعْتَ عَلَى الإِسْلَامِ فِي دَوْلَةِ الرِّضَا ... فَأَمَّنْتَهُ مِنْ كُلِّ مَا يَتَخَوَّفُ
بِوَجْهٍ يُرِينَا البَدْرَ عِنْدَ طُلُوعِهِ ... وفِي وَجْنَةِ البَدْرِ المُنِيرِ التَّكَلُّفُ
وعَزْمٍ كما انْشَقَّ الصَّبَاحُ مُصَمِّمٍ ... وَرَأْيٍ بِهِ بِيضُ الصَّوَارِمِ تُرْهَفُ
وَحَوْلَكَ مِنْ حِفْظِ الإِلٰهِ كَتَائِبٌ ... وفَوْقَكَ مِنْ ظِلِّ السَّعَادَةِ رَفْرَفُ
فَوَاللهِ مَا نَدْرِي وَلِلْعِلْمِ عِنْدَنَا ... بَرَاهِينُ عَنْ وَجْهِ الحَقَائِقِ تَكْشِفُ
أَوَجْهُكَ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ تَطَلَّعَتْ ... وَكَفُّكَ أَمْ سُحْبُ الحَيَا تَتَوَكَّفُ
فَكَمْ لَكَ مِنْ ذِكْرٍ جَمِيلٍ ومَفْخَرٍ ... عَمِيمٍ عَلَى أَوْجِ الكَوَاكِبِ يُشْرِفُ
يُزَارُ بِهِ البَيْتُ العَتِيقُ وَزَمْزَمٌ ... وَيَعْرِفُهُ حَتَّى الصَّفَا والمُعَرَّفُ [٣٣٠]
وَمَنْ يَسْأَلِ الأَيَّامَ تُخْبِرْهُ أَنَّهَا ... بِقَوْمِكَ تُزْهَى فِي الفَخَارِ وتَشْرُفُ
وهَلْ تَهْدِمُ الأَيَّامُ بُنْيَانَ مَفْخَرٍ ... تُشَيِّدُهُ آيٌ كِرَامٌ ومُصْحَفُ
ولَوْ كَانَتْ الأَيَّامُ قَبْلُ تَنَكَّرَتْ ... فَبِاسْمِكَ يَا بَدْرَ الهُدَى تَتَعَرَّفُ
أَلَا لَا تَرُعْنَا الحَادِثَاتُ فَإِنَّنَا ... عِصَابَةُ تَوْحِيدٍ بِهِ نَتَشَرَّفُ

(١) فى م : « ترضى الشبيبة روضه » .

ولَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّوَكلَ عَادَةٌ ... وظَنٌّ جَمِيلٌ وَعْـدُهُ لَيْسَ يُخْلَفُ
فَمَنْ مُبْلِـغٌ عَنَّا الغَنِيَّ بِرَبِّهِ ... وَقَدْ سَارَ لِلفِرْدَوْسِ يُحْيَا ويُتْحَف
بِآيَةِ مَا بَلَّغْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ ... أَمَانِيَّ لِلرَّحْمَنِ تُدْنِى وتُزْلِف
وعَنْكَ يُرَوِّى النَّاسُ كل غَرِيبَةٍ ... يُرَوَّى لَنَا مِنْهَا الغَرِيبُ المُصنَّف(١)
فَكَسَّرْتَ تِمْثَالاً وَهَدَّمْتَ بِيعَةً ... وناقُوسُهَا بالْكُفْرِ يَهْذِى ويَهْتِف
وَكَم مِنْ مَنَارٍ بالأَذَانِ عَمَرْتَهُ ... فَصَارَتْ بِهِ الآذَانُ بَعْدُ تُشَنَّف
وَسِرْتَ وَقَدْ خَلَّفْتَ خَيْرَ خَلِيفَةٍ ... لَكَ الفَخْرُ مِنْهُ والثَّنَاءُ المُخَلَّف
أَيُوسُفُ قَدْ أَرْضَيْتَهُ أَجْلَ الرِّضَا ... وَكَانَ بِمَا تَرْضَى وَتَخْتَارُ يَكلَف
وَكُنْتَ لَهُ يَاقُرَّةَ العَيْنِ قُرَّةً ... عَلَى بِرِّهِ المَحْتُومِ تَحْنُو وَتَرْأَف
سَتَجْرِى عَلَى آثَارِهِ سَابِقَ المَدَى ... فَيُهْدَى لَهُ مِنْكَ الثَّنَاءُ المُضَعَّف
سَيَلْقَى عَدُوُّ الدِّينِ مِنْكَ عَزَائِمًا ... إِلَيْهِ بِجَرَّارِ الكَتَائِبِ تَزْحَف
ويَأْسَفُ لَمَّا يُبْصِرُ البَرَّ يَرْتَمِى ... بِفُرْسَانِهِ والبَحْرَ بِالسُّفْنِ يَقْذِف
وَتَفْتَحُ مِنْ بُلْدَانِهِ كلَّ مُقْفَلٍ(٢) ... يُعَبِّدُ عُبَّادَ الصَّلِيبِ ويُؤْسِف
فَمَا أَرْؤُسُ الكُفَّارِ إِلَّا حَصَائِدٌ ... بِسَيْفِكَ سَيْفِ اللهِ تُجْنَى وتُقْطَف
حُسَامُكَ رَقْرَاقُ الصَّفِيحِ كَأَنَّهُ ... بِكَفِّكَ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ(٣) يُنَطَّف
ضَعِيفٌ يَصِحُّ النَّصرُ مِنْ فَتَكَاتِهِ ... فَيُرْوَى لَنَا مِنْه الصَّحِيح المُضَعَّف(٤)
ورُمْحُكَ مُرْتَاحُ المَعَاطِفِ هِزَّةً ... كَأَنْ قَدْ سَقَتْهُ مِنْ دَمِ الكُفْرِ قَرْقَف
ولَا عَيْبَ فِيـــهِ غَيرَ أَنَّ سِنَانَهُ ... إِذَا شَمَّ رِيحَ النَّقْعِ فِى الحَرْبِ يَرْعَف

(١) فى البيت تورية بكتاب « الغريب المصنف » فى اللغة ، لأبى عبيد القاسم بن سلام .
(٢) فى م : « معقل » .
(٣) فى م . : « ماء السماحة » .
(٤) فى م : « المصحف » .

فإن كَعَّتْ[١] الأَبْطَالُ فِى حَوْمَةِ الوَغَى يُشِيرُ لَنَا مِنْهُ البَنَانُ المُطَرَّفُ[٢]
لَقَدْ فَخَرَ الإِسلامُ مِنْكَ بِبَيْعَةٍ وَزَالَ بها عَنْهُ الأَسَى والتَّخَوُّف
وَأَلْبَسْتَهُ بُرْداً مِنَ الفَخْرِ ضَافِياً عَلَى عِطْفِهِ وَشْىُ المَدِيحِ يُفَوَّف
وقَدْ نُظِمَتْ فِيهِ السُّعُودُ[٣] مَيامِناً كما يُنْظَمُ العِقدُ النَّفيسُ ويُرْصَف[٤] [٣٣١]
فَدُمْتَ قَرِيرَ العَيْنِ فِى كلِّ غِبْطَةٍ بِمَا شِئْتَ مِنْ آمَالِكَ الغُرِّ تُسعَف

وله على لحده الثنى بالله

وأنشد على لحده المقدس — رحمه الله تعالى — فى المعنى قوله :

ضَرِيحَ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ يَخُصُّكَ رَبِّى بالسَّلامِ المُرَدَّدِ
وَحَيَّاكَ[٥] مِنْ رُوحِ الإِلهِ تَحِيَّةٌ مَعَ المَلإِ الأَعْلَى تَرُوحُ وَتَغْتَدِى
وشَقَّتْ جُيُوبَ الزَّهرِ فيكَ[٦] كَائِمٌ يَرِفُّ بِهَا الرَّيْحَانُ عَنْ خَضِرٍ[٧] نَدِى
وَصَابَتْ مِنَ الرَّحْمَى[٨] عَلَيْكَ غَمَائِمٌ تُرَوِّى ثَرَى هَذَا الضَّرِيحِ المُنَجَّد
وَزَارَتْكَ مِنْ حُورِ الجِنَانِ أَوَانِسٌ نَوَاعِمُ فى كلِّ النَّعِيمِ المُخَلَّد
وَجَاءَتْكَ بالبُشْرَى مَلائِكَةُ الرِّضَا كما جَاءَ فى الذِّكْرِ الحَكِيمِ المُمَجَّد
وَصَافَحَ مِنْكَ الرَّوْضُ أَطْيَبَ تُرْبَةٍ وعاهَدَ مِنْكَ المُزْنُ أَكْرَمَ مَعْهَد
رِضَا اللهِ والصفحُ الجميلُ وعفوُهُ[٩] يُوَالَى عَلَى ذَاكَ الصفِيحِ المُنَضَّد

---

(١) كعت : جبنت .
(٢) طرفت المرأة بنانها : إذا خضبته بالحناء ، يشبه سنان الرمح المخضب بالدم بالبنان المخضب بالحناء .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « وقد نظمت فيه المديح »
(٤) فى الأصلين : « يوصف » بالواو . ولعلها محرفة عما أثبتناه .
(٥) فى م : « وجاءتك » .
(٦) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « فيه » .
(٧) فى نفح الطيب : « خضل » .
(٨) فى ط : « وطابت من المولى » والتصويب عن نفح الطيب .
(٩) فى ط : « والعفو الجما ، صفحه »

ويا صَدَفاً قَدْ حازَ مِنْ جَوهَرِ العُلاَ ... لِكلِّ[1] نَفيسٍ بالنَّفَاسَةِ مفْرَدِ
أعِنْدَكَ أنَّ الحِلْمَ وَالعِلْمَ وَالحِجَا ... وَزهْرَ الحِلَى قَدْ أُدْرِجَتْ طيَّ مُلْحَد
وَهَلْ أَنْتَ إلاَّ هالَةُ القَمَرِ الذِي ... بِنورِ هُداهُ الشُّهْبُ تُهْدَى وَتَهْتَدِى[2]
ويا عَجَباً من ذَلِكَ التُّرْبِ كيفَ لا ... يَفِيضُ بِبحرٍ للسَّماحةِ مُزْبِد
لَقَدْ ضاقَتِ الأكْوانُ وَهْيَ رَحِيبَةٌ ... بما حُزْتَ مِنْ فَخْرٍ عَظِيمٍ وَسُؤْدُد
قَدِمْتَ عَلَى الرَّحمٰنِ أكرمَ[3] مَقْدَمٍ ... وَزُوِّدْتَ مِنْ رُحْمَاهُ خَيْرَ مُزَوَّد
أقامَ بكَ المَوْلَى الإمَامُ محمَّدٌ ... مُؤَمِّلَ فَوْزٍ بالشفيعِ محمَّـــد
فَجاءَ كما يَرْضَى وَتَرْضى بِهِ العُلاَ ... وأَنْجَزَ لِلآمالِ[4] أكْرَمَ مَوْعِد
ومَدَّ ظِلالَ العَــدْلِ فى كلِّ وِجْهَةٍ ... وكفَّ أكُفَّ البَغْيِ مِنْ كلِّ مُعْتَدِى
وقامَ بِمَفْرُوضِ الجِهَادِ عَنِ الوَرَى ... وعَوَّدَ دِينَ اللهِ خَـــيْرَ مُعَوَّد
قَضى بَعْدَ مَا قَضَّى الخِلافَةَ حَقَّها ... وعَامَلَ وجْهَ اللهِ فى كلِّ مَقْصِـــد
وفَتَّحَ بالسَّيْفِ المَمالِكَ عَنْـــوَةً ... ومَدَّتْ لهُ أَمْلاكُها كَفَّ مُجْتَدِى
وكَسَّرَ تِمْثالَ الصَّليبِ وأُخْرِسَتْ ... نَواقِيسُ كانَتْ للضَّلالِ بِمَرْصَد
وطَهَّرَ مِحْراباً وجَدَّدَ مِنْـــبَرًا ... وأَعْلَنَ ذِكْرَ اللهِ فى كلِّ مَسْجِد
ودَانَتْ له الأمْلاكُ شَرْقاً ومَغْرِباً ... وكُلُّهُمُ أَلْقى لهُ المُلْكَ باليَـــد
[٣٣٢] وطَبَّقَ مَعْمُورَ البَسِيطةِ ذِكْرُهُ ... وسارَتْ بِهِ الرُّكبانُ فى كل فَدْفَد
وسافَرَ عَنْ دَارِ الفَنَاءِ لِيَجْتَنِي ... بِمَا قَدَّمَ اليومَ السَّعَادَةَ فى غَـــد

(١) فى نفح الطيب : « فاز من جوهر ... بكل »
(٢) فى ط : « وتقتدى » .
(٣) فى م : « أيمن » . وما أثبتناه عن ط ونفح الطيب .
(٤) فى الأصلين : « الأملاك » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

وقامَ بأمْرِ اللهِ حَقَّ قِيَـــامِهِ بعَزْمَـــةٍ لَا وَانٍ ولاَ مُتَرَدِّدِ
لئِنْ سارَ للرَّحمٰنِ خَـــيْرَ مُوَدَّعٍ وحَل مِنَ الفِرْدَوْسِ أَشْرَفَ مَقْعَدِ
فَقَدْ خَلَّفَ المَوْلَى الخليفَةَ يوسُفا يُعيدُ له غُرَّ المَسَاعِى ويَبْتَدى
سَبِيلَكَ فى سُبْلِ المَـكَارِمِ يَقْتَفِى وهَدْيَكَ يا خَـــيْرَ الأَئِمَّةِ يَقتَدى
محمدُ جَلَّى الخطبَ مِنْ بَعدِ يوسُفٍ ويُوسفُ جَلَّى الخطبَ بعد محمّد
ولَوْ وَجَد الناسُ الفِدَاء مُسَوَّغاً فَدَاكَ بِبَذْلِ النَفس كلُّ مُوحِّد
سَتَبْكِيكَ أَرْضٌ كُنتَ غَيْثَ بلادِها وتبكيكَ حَتَّى الشُّهْبُ فى كلِّ مشْهد
وتَبْكِي عَلَيْكَ السُحْبُ مِلءَ جُفونِهَا بِدَمْعٍ يُرَوِّى غُلَّةَ المُجْدِبِ الصَّدِى
وتَلْبَسُ فيكَ النَيِّراتُ ظَلامَهَا حِداداً ويُذْكِى النَجْمُ جَفْنَ مُسَهَّد
وما هِىَ إلاَّ أَعْيُنٌ قد تَسَهدتْ فَـكَحَّلَها نَجْمُ[1] الظَلامِ بإثْمِـد
فلاَ زِلْتَ فى ظِلِّ النَعيمِ مُخَـــلَّدًا ونَجْلُكَ يَحيَا بالبَقَاءِ المُخَلَّد
وأَوْرَدَكَ الرَّحْمٰنُ حَوْضَ نَبِيِّـــهِ وَأَصْدَرَ من خَلَّفْتَ عَنْ خَيْرِ مَوْرِد
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِثْلُ حَمْدِكَ عَاطِرٌ يَفُضُّ خِتَامَ المِسْكِ عَنْ تُرْبِكَ النَدى
وَصَلَّى عَلَى المُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ صَلَاةً بِهَا نَرْجُو الشفَاعَةَ فى غد

وفى رثاء النفى بلقة أيضاً

ثم قال : وقال أيضاً فى هـذا الغرض من رثائه ، ومدح مولانا الوالد فى أثنائه :

سَـــلامٌ عَلَى الدُّنيَا جَمِيعاً وَمَا فيهَا غَداةَ نَعَتْ شَمْسَ الخِلافَةِ مَنْ فِيها
نَعَتْ مَلِكَ الأَمْلاكِ والكَامِلَ الذى يَكُفُّ عَوَارِى الحادِثَاتِ وَيَكْفِيها
عَمِيدَ بَنِى الأَنْصَارِ غَيْرَ مُدافَعٍ وَمُحْيِي مَعَالِيها وَمَـــوْلَى مَوَاليها

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « جفن » .

وَبَدْرَ دَيَاجِيها وَشَمْسَ نَهَارِها ... وَبِشْرَ مُحَيَّاها وَنورَ مَجَالِيهـــا
خفا الكَوكَبُ الوَقَّادُ قَدْ كانَ نورُهُ ... يُجَلِّى مِنَ الدُّهْمِ الخُطوبِ دَيَاجِيها
هَوَى[1] القَمَرُ الوَضَّاحُ مِنْ أُفُقِ العُلا ... فَأَظْلَمَ جَوُّ النَـــيِّرَاتِ بِسَارِيها
وَقَدْ كُسِفَتْ شَمْسُ الهِدَايَةِ بَعدَمَا ... أَبَانَ سَبيـلَ الْحَقِّ لِلْخَلْقِ هَادِيها
هُوَ الجبَلُ الرَاسِى تَصَدَّعَ بَعْدَ مَا ... أَقَرَّتْ بِهِ شُمُّ الجِبَالِ رَوَاسِيها
يَعِزُّ عَلَى دِينِ الْهُدَى أَنَّ شَمْسَهُ ... يَطُولُ بِأَطْبَاقِ التُّرَابِ تَوَارِيها[2]
يَعِزُّ عَلَى زُهْرِ النُّجُومِ مَتَى سَرَتْ ... وَلَا تَلْمَحُ الهَدْىَ الَّذِى كانَ يَهْدِيها
لِأَنْدَلُسٍ ثُكْلٌ عَلَيْـهِ مُرَدَّدٌ ... لَهُ لَبِسَتْ سُوْدَ المُسُوحِ نَوَاحِيها[3]
ثَلَاثِينَ حَوْلًا بَعْدَ خَمْسٍ تَعَوَّدَتْ ... يُدَافِعُ عَنْهَا كلَّ خَطْبٍ وَيَحْمِيها
أُبَكِّيهِ لِلرَايَاتِ يَخْفُقُ بَنْدُهَا ... وَفى مَرْقَبِ النَصْرِ المُؤَزَّرِ يُعْلِيها
أُبَكِّيهِ لِلْخَيْلِ المُغِيرَةِ بِالضُّحَى ... وَقَدْ أَبْعَدَ الفَتْحُ المُبِينُ مَرَامِيها
وَيَبْكِيهِ مَعْمُورُ البَسِيطَةِ كلُّها ... وَمَا ضَمَّ مِنْ دَانِى البِلَادِ وقَاصِيها
وتَبْكِيهِ سُحْبٌ أَخْجَلَتْها بَنَانُهُ ... وَتُرْسِلُ دَمْعَ الغَيْثِ حُزْناً مَآقِيها
وَتَبْكِيهِ حَتَّى الشُّهْبُ فِى أُفُقِ العُلَا ... وَتَلْبَسُ جِلْبَابَ الظَلَامِ جَوَارِيها
عَزَاءً أَمِـيْرَ المُسْلِمِينَ فَإِنَّهـا ... مَقَادِيرُ رَبِّ الخَلْقِ فى الخَلْقِ يُجْرِيها
هُوَ المَوْتُ وِرْدٌ لِلْخَلِيقَةِ كلِّها ... أَوَاخِرُهَا تَقْـفُو سَبِيلَ أَوَالِيهـا
وَمَا بَيْنَنَا حَىٌّ وَمَا بَيْنَ آدَمٍ ... أَلَا هَكذَا سَوَّى البَرِيَّةَ بَارِيها

---

(١) فى ط : « هو » وهو تحريف .
(٢) كذا فى م ، وفى ط : « رواسيها » . وهو تحريف .
(٣) كذا فى ط . وفى م : « لياليها » .

وفى مَوْتِ خَيْرِ الخَلقِ أَكْبَرُ أُسْوَةٍ ... تُصَبِّرُ أَحْرَارَ النُّفُوسِ وتُسْلِيها
أَمَوْلَايَ لَوْ كَانَ الْفِدَاءُ مُسَوَّغًا ... فَدَيْنَاكَ بالدُّنْيا جَمِيعاً وما فِيها
أَمَوْلَايَ كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لَكَ عِنْدَنا ... إِذَا نَحْنُ رُمْنَا حَصْرَهَا لَيْسَ نُحْصِيها
أَمَوْلَايَ خَلَّفْتَ العَبِيدَ إِلى الأَسَى ... يُنَاجِيكَ مِنْ فَرْطِ الشُّجُونِ مُنَاجِيها
وَقَدْ مَاتَ مِنَّا الصَّبْرُ إِلَّا صُبَابَةً ... بِذِكْرِكَ فِي جُنْحِ الدُّجُنَّةِ نُحْيِيها
أَمَوْلَايَ يَامَوْلَايَ هَلْ أَنْتَ سَامِعِي ... أَبُثُّكَ مَا يُشْجِي القُلُوبَ ويُدْمِيها
تَحَفَّيتَ بِي حَتَّى نَضَوْتُ شَبِيبَتِي ... عَزِيزاً وَجِيهاً حَيْثُمَا رُمْتُ تَوْجِيها
وقَدْ كَانَ ظَنِّي أَنْ تَكُونَ جَنَازَتِي ... يُشَيِّعُهَا مِنْكَ الرِّضَا وَيُوَارِيها[1]
[وقدعِشْتُ حَتَّى ذُقْتُ فَقْدَكَ قَلَّمَا ... تُبَلِّغُ نَفْسٌ مَا تُرِيدُ أَمَانِيها]
ولولا أبو الحجَّاج نجلُك لم يكن ... لِدِينِ الهُدَى كَرَّاتُ بَحْرٍ يُزَجِّيها
ولكنَّهُ وَاللهُ يُجْمِلُ[2] صَبْرَه ... مَنَاقِبَكَ الغُرَّ الكِرَامَ سَيُحْيِيها
فَخَلَّفْتَنَا مِنْهُ لِأَكْرَمِ كَافِلٍ ... يُحَمِّلُ أَعْبَاءَ الخِلافَةِ كَافِيها
سَرِيرَتُهُ الرُّحْمَى وَسِيرَتُهُ الرِّضَا ... وَأَخْلَاقُهُ الغُرُّ الكَرِيمَةُ تَدْرِيها
وسيلَتُكَ العُظْمَى وَظِلُّكَ فَوْقَنَا ... وعُمدَتُنا واللهُ فى العِزِّ يُبْقِيها
فما كُنْتَ إِلَّا الشَّمْسَ قدغَرَبَتْ لنَا ... وأَنْوَارُهَا بَدْرُ التَّمَامِ يُجَلِّيها
وَمَا أَنْتَ إِلَّا المِسْكُ إِنْ تَخْفَ ذَاتُهُ ... يَنِمَّ بِهَا العَرْفُ الذَّكِيُّ فَيُفْشِيها
أَلَا قَدَّسَ الرَّحْمَنُ نَفْسًا كَرِيمَةً ... بِكُلِّ عَزِيزٍ فى الوُجُودِ نُفَدِّيها [٢٣٤]
وبُشْرى لنَا أَنَّ السَّعَادَةَ نُزْلُهَا ... وأَنَّ رِضَا اللهِ الكَرِيمِ يُرَضِّيها
وحَاشَا وكَلَّا أَنْ تَضِيعَ وسائل ... سَيَذْخَرُهَا الرَّبُّ الكَرِيمُ ويُنْشِيها

(١) كذا فى م . وفى ط : « ويواليها » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « يحمد » .

فكمْ مِنْ جِهَادٍ قَدْ رَفَعْتَ بُنُودَهُ ... وقَدْ أَثْمَرَتْ فِيها المَعَالِى[1] عَوَالِيها
كَسَرْتَ تَمَاثِيلَ الصَّلِيبِ وأَخْرَسَتْ ... نَوَاقِيسُ كَانَتْ بالضَّلَالِ تُنَاغِيها
وكَمْ مِنْ مَنَارٍ قَدْ أَعَدْتَ أَذَانَهُ ... وأَعْلَنَ فِيهِ دَعْوَةَ الحَقِّ دَاعِيها
وكَمْ مِنْ رِيَاضٍ لِلْكَتَائِبِ قَدْ غَدَتْ ... تَضِيقُ بِمُسْتَنِّ الجِيَادِ نَوَاحِيها
وَمُلْتَفِّ زَرْعٍ بالأَسِنَّةِ مُزْهِرٍ ... ولَكِنْ بِهِ الرُّمَّانُ تَحْلُو مَجَانِيها
إِذَا ظَمِئَتْ مِنْهَا الذَّوَابِلُ فِى الوَغَى ... جَدَاوِلُ أَنْهَارِ السُّيُوفِ تُرَوِّيها
غِرَاسٌ زَكِىٌّ لِلْجِهَادِ غَرَسْتَهُ ... فَصِرْتَ إِلى دَارِ السَّعَادَةِ تَجْنِيها
ولَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سِنِينَ قَطَعْتَهَا ... رَهِينَ شَكَاةٍ لَا تَزَالُ تُعَانِيها
صَبَرْتَ لَهَا صَبْرَ الكِرَامِ وإِنَّمَا ... ذَخَرْتَ أُجُورًا فَضْلُ رَبِّكَ جَازِيها
أَمَالَكَ فِى الأَنْصَارِ خَيْرُ وَسِيلَةٍ ... وقد كُنْتَ بالنَّصْرِ العَزِيزِ تُحَيِّيها
وحَسْبُكَ بالمُخْتَارِ أَكْرَمَ[2] شَافِعٍ ... وسُنَّتُهُ واللهِ لَا زِلْتَ تُحْيِيها
عَلَى عَلَمِ الدُّنْيَا وفَخْرِ مُلُوكِهَا ... تَحِيَّةُ رَبٍّ لَا يَزَالُ يُوَالِيها
سأَبْكِيهِ مَا دَامَ الحَمَامُ مُطَوَّقًا ... وما سَجَعَتْ تَبْكِى الهَدِيلَ قَمَارِيها
وأُهْدِيهِ مِنْ طِيبِ السَّلَامِ مُعَطَّرًا ... كما فَتَقَتْ أَيْدِى التِّجَارِ غَوَالِيها
وأَسْبَلَ رَبُّ العَرْشِ[3] سُحْبَ كَرَامَةٍ ... تَسُحُّ عَلَى ذَاكَ الضَّرِيحِ غَوَادِيها
ونَسْأَلُ فَتْحًا لِلْخَلِيفَةِ يُوسُفٍ ... يُمَلِّكُهُ أَقْصَى البِلَادِ وَمَنْ فِيها

وله فى استعطاف السلطان أبى الحجاج

ثم ذكر هذا المؤلف جملة نظم ابن زمرك فى السلطان أبى الحجاج واستعطافه، وما يهز له الرضا من شمائل أعطافه، ومنها:

بِمَا قَدْ حُزْتَ مِنْ كَرَمِ الخِلَالِ ... بِمَا أَدْرَكْتَ مِنْ رُتَبِ الجَلَالِ

(١) كذا فى م. وفى ط: «العوالى».
(٢) فى م: «أكبر».
(٣) فى م: «وأسأل رب العرش».

بما خُوِّلْتَ مِنْ دِينٍ ودُنْيا بما قدْ حُزْتَ مِنْ شرَفِ المَعالِي[1] [٣٣٥
بمَا أُوليْتَ مِنْ صُنْعٍ جَمِيلٍ يُطَابِقُ لَفْظُهُ مَعْنَى الكَمال
تَعَمَّدْنى بِفَضْلِكَ واغْتَفِرْهَا ذُنُوبًا فِي الفِعَالِ وفى المَقَال

وله فى خطاب السلطان أبى عبد الله

ثم قال : ومن ذلك أيضاً يخاطب أخانا السلطان أبا عبد الله رحمة الله تعالى عليه ، متوسلا بقديم ذِمامه ، والخِدَم المتعددة من نظامه :

أَتَعْطَشُ أَوْلَادِى وأَنْتَ غَمَامَةٌ تَعُمُّ جَمِيعَ الخَلق بالنَّفْعِ والسُّقْيا
وتُظْلِم أَوْقاتِى ووجْهُكَ نَيِّرٌ تَفِيضُ بِهِ الأَنْوَارُ لِلدِينِ والدُنْيا
وجَدُّكَ قدْ سَمَّاكَ رَبُّكَ باسْمِهِ وأَوْرَثَكَ الرَحْمَنُ رُتْبَتَهُ العُلْيا
وقَدْ كانَ أَعْطَانِى الَّذِى أَنَا سائِلٌ وسَوَّغَنى مِنْ غيْرِ شَرْطٍ ولا ثُنْيا[2]
وشِعْرِىَ فى غُرِّ المَصَانِعِ خَالِدٌ يُحَيِّيهِ عَنِّى فى المَمَاتِ وفى المَحْيَا
ومَازِلْتُ أُهْدِى المَدْحَ مِسْكًا مُفَتَّقًا فَتَحْمِلُهُ الأَرْوَاحُ عَاطِرَةَ الرِّيَّا
وقَدْ أَكْثَرَ العَبْدُ[3] التَّشَكِّى وإِنَّهُ وحَقِّكَ يافخْرَ المُلُوكِ قدِ استَحْيَا
وَما الْجُودُ إِلاَّ مَيِّتٌ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا نَفَخَتْ يُمْنَاكَ فى رُوحِهِ يَحْيَا
فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْعو لِدِينِ مُحَمَّدٍ فَيَدْعُو لِمَوْلاَنَا الْخَلِيفَةِ بالْبُقْيَا

ومن شعره فى أبى عبد الله

ثم ذكر قصائد كثيرة ومقطوعات فى مدحه لأخيه أبى عبد الله ، إلى أن قال :

وقال أيضاً فيه وقد نزل بالوَلَجة من مرج الحضرة .

مَنْزِلُ الْيُمْنِ والرضَا وَالسُّعُودِ أَنْجِزَتْ فِيهِ صَادِقَاتُ الوُعُودِ

(١) فى نفح الطيب : « الجمال » .
(٢) ولا ثنيا : أى من غير استثناء .
(٣) فى الأصلين : « أضمر » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

كلَّ يَوْمٍ نَزَاهَةٌ إِنْ تَقَضَّتْ أَنْشَدَتْهَا السُّعُودُ بالله عُودِى
جَمَعَ الْمُسْتَعِينُ وصْفَ كَمالٍ بَيْنَ بَأْسٍ عَمَّ الْملوكَ وَجُود
فَاهْنَ فى غِبْطةٍ وعزَّةِ مُلْكٍ أَنْتَ واللهِ فَخْرُ هَذَ الْوُجُود

وقال أيضاً مشيراً لتوليته العَلَامة :

لَكَ غُرَّةٌ وَدَّ الصَّبَاحُ جَمَالَها ومَحَاسِنٌ تَهْوَى الْبُدُورُ كمالَها
وشَمَائِلٌ تَحْكِى الرياضُ خِلالَها وأَنَامِلٌ تَرْجو الأنامُ خِلالها(١)
لِلْمُسْتَعِينِ خلافةٌ(٢) نَصْرِيَّةٌ عَرَفَتْ مُلوكُ العَالَمِينَ جَمالها(٣) [٣٣٦]
وأَنَا الذِى قَدْ نَالَ مِنْكَ مَعَالِياً تَهْوَى النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ مَنَالها
تُهْدِيهِ ما قَدْ نِلْتَهُ مِنْ بَعْضها والفخرُ كلُّ الفخرِ فِيمَنْ نَالها
فى كلِّ يوْمٍ مِنْكَ مِنَّةُ مُنْعِمٍ لَوْ طَاوَلَتْ سَمْكَ العُلاَ(٤) مَاطَالها
بَلَّغْتَ آمالَ العَبِيدِ فَبُلِّغَتْ فِيكَ العَبِيدُ مِنَ الْبَقَا آمالها

ثم قال : وقال أيضاً وكتبها إليه مع خمسة أقلام :

أَيَا مَلِكاً لَمْ يُبْدِ لِلْعَيْنِ حُسْنُهُ سِوَى مَلَكٍ قد حَلَّ مِنْ عالَمِ القُدْسِ
لَكَ الخيْرُ خُذْهَا كالأَنَامِلِ(٥) خَمسَة تُعَوِّذُ مَرْآكَ المُكَمَّلَ بالْخَمْسِ
فَمَنْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ مَرْآكَ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ أَوْ آيَةِ الكُرْسِى

وله فى خطاب مولاه الوالد

ثم قال بعد ذكر قصيدة : وقال يخاطب مولانا الوالد — رحمة الله عليه —

(١) فى م : « ترجى الأنام حلالها » . وفى نفح الطيب : « ترجى الأنام خلالها » .
(٢) فى ط : « جلالة » . وما أثبتناه عن م ، ونفح الطيب .
(٣) فى نفح الطيب : « جلالها » .
(٤) فى نفح الطيب : « السما » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « من أنامل » .

وقد مرّ معه بفحص رِيّة ، والثلج قد عم أنديتـه ، وبسط أرديته ، فى وجهة تَوَجّهها مولانا الجد — تغمده الله تعالى — برحمته إلى مالقة :

يَامَنْ بِهِ رُتَبُ الْمَعالِى[1] تَعْتَلِى ... وَمَعَالِمُ الْفَخْرِ الْمَشِيدَةِ تَبْتَنِى
ازْجُرْ بِهذَا الثَّلْجِ فَأْلاً إِنَّهُ ... ثَلْجُ الْيَقِينِ بِنَصْرِ مَوْلاَنَا الْغنى
بَسَطَ الْبَيَاضَ كَرَامَةً لِقُدُومِهِ ... وافْتَرَّ ثَغْرًا عَنْ مَسَرَّةِ مُعْتَنى
فَالْأَرْضُ جَوْهَرَةٌ تَلُوحُ لِمُجْتَلٍ ... والدَّوْحُ[2] مَزْهَرَةٌ تَفُوحُ لِمُجْتَنى
سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَى الْوُجُودَ وُجُودَهُ ... لِيَدُلَّ مِنْهُ عَلَى الْجَوَادِ الْمُحْسِن
وَبَدَائِـعِ الْأَكْوَانِ فِى إِتْقَانِهَا ... أَثَرٌ يُشِيرُ إِلَى الْبَدِيـعِ الْمُتْقِن

مرثيته لأبى القاسم الحسنى

ثم قال : ومن غير السُّلطانيات ، ممـا بزّ فيه سبقاً وتبريزاً ، وعَرضه على نَقَدة البيان ، فرأت منه كل مُذْهَبَة خَلَصَت إبريزاً ، مرثيّته للقاضى المعظم الشريف أبى القاسم الحسنىّ من شيوخه ، أنجزها الوعد السابق فى المقدّمة بها :

أَغْرَى سَرَاةَ الحىِّ بِالْإِطْرَاقِ ... نَبَأٌ أَصَمَّ مَسَامِـعَ الْآفَاقِ
أَمْسَى بِهِ لَيْلُ الْحَوَادِثِ دَاجِياً ... وَالصُّبْحُ أَصْبَحَ كَاسِفَ الْإِشْرَاقِ
فُجِـعَ الْجَمِيعُ بِوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ ... شَتَّى الْعُلاَ وَمَكَارِمِ الْأَخْلاَقِ [٣٣٧]
هُبُّوا لِحُكْمِكُمُ الرِّصـين فَإِنَّهُ ... صَرْفُ الْقَضَاءِ فَمَا لَهُ مِنْ وَاقِ
نَقَشَ[3] الزَّمَانُ بِصَرْفِهِ فِى صَفْحَهِ : ... كُلُّ اجْتِمَاعٍ مُؤْذِنٌ بِفِرَاقِ
مَاذَا تَرَجَّى مِنْ زَمَانِكَ بَعْدَمَا ... عَلِقَ الْفَنَاءُ بِأَنْفَسِ الْأَعْـلاَقِ
مَنْ تَحْسُدُ السبْعُ الطباَقُ عَلاَءَهُ ... عَالَوْا عَلَيْهِ فِى الثَّرَى بِطِبَـاقِ

(١) فى نفح الطيب المخطوط : « الإمامة » . وفى المطبوع : « الإمارة » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « والأرض » .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « نشر » .

إنَّ المَنَايَا لِلْبَرَايَا غَايَةٌ ... سَبَقَ الكِرَامُ لِخَصْلِها بِسِبَاقِ
لَمَّا حَسِبْنَا[1] أَنْ تُحَوِّلَ أَبْؤُسًا ... كَشَفَتْ عَوَانُ حُرُوبِها عَنْ سَاقِ
مَا كَانَ إِلَّا البَدْرَ طَالَ سِرَارُهُ ... حَتَّى رَمَتْهُ يَدُ الرَّدَى[2] بِمَحَاقِ
[أَنِفَ المُقَام مع الفَنَاءِ نَزَاهَةً ... فنوى الرحيلَ إلى مُقامٍ بَاقِ]
عَدِمَ المُوافِقَ فى مُرَافَقَةِ الدُّنَا ... فَنَنَى[3] الرِّكَابَ إلى الرَّفِيقِ البَاقِي
أَسَفًا عَلَى ذَاكَ الجَلَالِ تَقَلَّصَتْ ... أَفْيَاؤُهُ وَعُهِدْنَ خَيْرَ رِوَاقِ
يَا آمِرِى بالصَّبْرِ عِيلَ تَصَبُّرِى ... دَعْنِى عَدَتْكَ لَوَاعِجُ الأَشْوَاقِ
وَذَرِ[4] الهِرَاعَ تَشِى بِدَمْعٍ مِدَادِهَا ... وَشْىَ القَرِيضِ يَرُوقُ فى الأَوْرَاقِ
يَا حَسْرَتِى لِلْعِلْمِ أَقْفَرَ رَبْعُهُ ... وَالعَدْلِ جُرِّدَ أَجْمَلَ الأَطْوَاقِ
رَكَدَتْ رِيَاحُ المَعْلُوَاتِ لِفَقْدِهَا ... كَسَدَتْ بِهِ الآدَابُ بَعْدَ نَفَاقِ
كَمْ مِنْ غَوَامِضَ قَدْ صَدَعْتَ بِفَهْمِهَا ... خَفِيَتْ مَدَارِكُهَا عَلَى الحُذَّاقِ
كَمْ قَاعِدٍ فى البِيدِ فَوْقَ قَعُودِهِ ... قَعَدَتْ بِهِ الآمَالُ دُونَ لَحَاقِ
لِلَّهِ الرِّكَابُ بَعْدَ بُعْدِكَ تُنْتَضَى ... مَا بَيْنَ شَأْمٍ تَرْتَمِى وَعِرَاقِ
تَفْلِى الفَلَا بِمَنَاسِمٍ مَفْلُولَةٍ ... تَسِمُ الحَصَى بِنَجِيعِهَا الرَّقْرَاقِ
كَانَتْ إِذَا اشْتَكَتِ الوَجَى وَتَوَقَّفَتْ ... يَهْفُو نَسِيمُ ثَنَائِكَ الخَفَّاقِ
فَإِذَا تَنَسَّمَتِ الثَّنَاءَ أَمَامَهَا ... مَدَّتْ لَهَا الأَعْنَاقَ فى الإِعْنَاقِ
يَا مُزْجِىَ البُدْنِ القِلَاصِ خَوَافِقًا ... رِفْقًا بِهَا فَالسَّعْىُ فى إِخْفَاقِ

(١) فى م : « لما خشينا » . وفى النفح المخطوط : « حبسنا » .
(٢) فى ط : « الدجى » .
(٣) فى م والنفح المخطوط : « فنضا » .
(٤) فى م : « ودع » .

مَاتَ الذى وَرِثَ العُلَا عَنْ مَعْشَرٍ ... وَرِثُوا تُرَاثَ المَجْدِ باسْتِحْقَاقِ
رُفِعَتْ لهمْ رَايَاتُ كلِّ جَلَالَةٍ ... فَتَمَيَّزُوا فى حَلْبَةِ السُّبَّاقِ
عَلَمُ الهُدَاةِ وَقُطْبُ أَعْلامِ الوَرَى[1] ... حَرَمُ العُفَاةِ لِمُجْتَنَى الأَرْزَاقِ
رَقَّتْ سَجَايَاهُ وَرَاقَتْ مُجْتَلَى ... كالشَّمْسِ فى بُعْدٍ وَفى إِشْرَاقِ
كالزَّهْرِ فى لألائِهِ وَالبَدْرِ فى ... عَلْيَائِهِ وَالزُّهْرِ فى الإِبْرَاقِ
مَهْمَا مَدَحْتُ سِوَاهُ قَيَّدَ وَصْفَهُ ... وَصِفَاتِهِ حَمْدٌ عَلَى الإِطْلَاقِ [٣٣٨]
يا وَارِثًا نَسَبَ النُّبُوَّةِ جَامِعًا ... فى العِلْمِ وَالأَخْلَاقِ وَالأَعْرَاقِ
يَابْنَ الرَّسُولِ وَإِنَّها لَوَسِيلَةٌ ... يَرْقَى بِهَا أَوْجَ المَصَاعِدِ رَاقِ
وَرَدَ الكِتَابُ بِفَضْلِكُمْ وَكَمَالِكُمْ ... فَكَفَى ثَنَاءَ الوَاحِدِ الخَلَّاقِ
مَوْلَاىَ إِنِّى فى عُلَاكَ مُقَصِّرٌ ... قَدْ ضَاقَ عَنْ عِلْمِ[2] النُّجُومِ نِطَاقِ
وَمَنِ الذى يُحْصِى مَنَاقِبَ فَضْلِكُمْ[3] ... عَدُّ الحَصَى وَالرَّمْلِ غَيْرُ مُطَاقِ
يَهْنِى قُبُورًا زُرْتَهَا فَلَقَدْ ثَوَتْ ... مِنَّا مَصُونَ جَوَانِحٍ وَحِدَاقِ
خَطَّ الرَّدَى مِنْهَا سُطُورًا نَصُّهَا[4]: ... لَا بُدَّ أَنَّكَ لِلفَنَاءِ مُلَاقِ
وَلَحِقْتَ تَرْجَمَةَ الكِتَابِ وَصَدْرَهُ ... وَفَوَائِدُ المَكْتُوبِ فى الإِلْحَاقِ
كَمْ مِنْ سَرَاةٍ فى القُبُورِ كَأَنَّهُمْ ... فى بَطْنِهَا دُرٌّ ثَوَى بِمِحَقَّاقِ
قُلْ لِلسَّحَابِ اسْحَبْ ذُيُولَكَ نَحْوَهُ ... وَالعَبْ بِصَارِمِ بَرْقِكَ الخَفَّاقِ
أَوْدَى الَّذِى غَيْثُ العِبَادِ بِكَفِّهِ ... يُزْرِى بِوَابِلِ كَفِّ غَيْثِكَ الغَيْدَاقِ

---

(١) فى م ونفح الطيب : « النهى » .
(٢) فى م ونفح الطيب : « حصر » .
(٣) فى نفح الطيب : « مجدكم » .
(٤) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « قبورا زرتها »

إِنْ كَانَ صَوْبُكَ بِالْمِيَاهِ فَدَرُّهَا ... دُرٌّ يُرَوِّضُ مَا حِلَ الإِمْلَاقِ
بَشَرٌ كَثِيرٌ قَدْ نَعُوا لَمَّا نَعَى[1] ... قَاضِى الْقُضَاةِ وَغَابَ فِى الأَطْبَاقِ
أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الْكَرَامَةِ ضَافِياً ... وَأَرَحْتَ مِنْ كَدٍّ وَمِنْ إِرْهَاقِ
يَتَفَيَّؤُونَ ظِلَالَ جَاهِكَ كُلَّمَا ... لَفَحَتْ سَمُومُ الْخَطْبِ بِالإِحْرَاقِ
عَدِمُوا الْمُوَافِقَ فِى فِرَاقِكَ وَانْطَوَى ... عَنْهُمْ بِسَاطُ الرِّفْقِ وَالإِرْفَاقِ
رَفَعُوا سَرِيرَكَ خَافِضِينَ رُءُوسَهُمْ ... مَا مِنْهُمْ إِلَّا حَلِيفُ سِيَاقِ[2]
لَكِنْ مَصِيرُكَ لِلنَّعِيمِ مُخَلَّدًا ... كَانَ الذِى أَبْقَى عَلَى الأَرْمَاقِ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُرَى بَحْرُ النَّدَى ... طَوْدُ الْهُدَى يَسرِى عَلَى الأَعْنَاقِ
إِنْ يَحْمِلُوكَ عَلَى الْكَوَاهِلِ طَالَمَا ... قَدْ كُنْتَ مَحْمُولًا عَلَى الأَحْدَاقِ
أَوْ يَرْفَعُوكَ عَلَى الْعَوَاتِقِ طَالَمَا ... رُفِّعْتَ ظَهْرَ مَنَابِرٍ وَعِتَاقِ
وَلَئِنْ رَحَلْتَ إِلَى الْجِنَانِ فَإِنَّنَا ... نَصْلَى بِنَارِ الْوَجْدِ وَالأَشْوَاقِ
لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُ حُزْنَ مَنْ خَلَّفْتَهُ ... لَثَنَى عِنَانَكَ كَثْرَةُ الإِشْفَاقِ
إِنْ جَنَّ لَيْلٌ جُنَّ مِنْ فَرْطِ الأَسَى ... وَسِوَى كَلَامِكَ مَا لَهُ مِنْ رَاقِ
[٣٣٩] فَابْعَثْ خَيَالَكَ فِى الْكَرَى يَبْعَثْ بِهِ ... مَيْتَ السُّرُورِ[3] لِثَاكِلٍ مُشْتَاقِ
أَغْلَيْتَ يَا رُزْءَ التَّصَبُّرَ مِثْلَمَا ... أَرْخَصْتَ دُرَّ الدَّمْعِ فِى الآمَاقِ
إِنْ يُخْلِفِ الأَرْضَ الْغَمَامُ فَإِنَّنِى ... أَسْقِى الضَّرِيحَ بِدَمْعِيَ الْمُهْرَاقِ

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « قضى » .
(٢) يقال : ساق المريض سياقا : إذا أخذ فى نزع الروح ، والمراد هنا الجهد والحزن .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « النشور » .

وله فى مدح شيخه ابن الخطيب

ومن أوَّليَّات نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى مادحا ، قولُه من قصيدة مطلعُها :

* أَمَا وَانْصِدَاعِ النُّورِ مِنْ مَطْلَعِ الْفَجْرِ *

يقول فيها بعد أبيات :

لَكَ اللهُ مِنْ فَـــذِّ الْجَلَالَةِ أَوْحَدِ ... تُطَاوِعُهُ الآمالُ فِي النَّهْيِ وَالْأَمْرِ

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الذِى طَال فَخْرُهُ ... عَلَى الْمُرْهَفَاتِ الْبِيضِ وَالْأَسَلِ السُّمْرِ

يُقَلِّدُ أجيـــادَ الطُّروسِ تمائِماً ... بِصِنْفَيْ لآلٍ من نظامٍ وَمِن نَثْرِ

تَهَيَّبَكَ الْقِرْطَاسُ فَاحْمَرَّ إِذْ غَـــدَا ... يُقِلُّ بُحُوراً مِن أنامِلِكَ الْعَشْرِ

كَأَنَّ رِيَاضَ الطِّرْسِ خَـــدٌّ مُوَرَّدٌ ... يُطَرِّزُهُ وَشْيُ الْعِـــذَارِ مِنَ الْخَبْرِ

فَشَارَةُ هَـــذَا الْمُلْكِ رَائِقَةُ الْحُلَى ... بِأَلْوِيَةٍ حُمْرٍ وَبِالصُّحُفِ الْحُمْرِ

وَمَا رَوْضَـــةٌ غَنَّاءُ عَاهَدَهَا الْحَيَا ... تَحُوكُ بِهَا وَشْيَ الرَّبِيعِ يَدُ الْقَطْرِ

تُغَنِّي قِيَانُ الطَّـــيْرِ فِي جَنَبَاتِهَا ... فَيُرْقِصْنَ غُصْنَ الْبَانِ فِي حُلَلٍ خُضْرِ

تَمُدُّ لِأَكْوَاسِ[1] الْعَرَارِ أَنَامِلاً ... مِنَ السَّوْسَنِ الغَضِّ الْمُخَتَّمِ بِالتِّبْرِ

وَيَحْرُسُ خَـدَّ الوَرْدِ صَارِمُ نَهْرِهَا ... وَيُمْنَعُ ثَغْرُ النَّوْرِ بِالذَّابِلِ النَّضْرِ

يُفَاخِرُ مَرْآهَا السَّمَاءَ مُحَاسِـــناً ... فَتُزْرِى[2] نُجُومُ الزَّهْرِ مِنْهَا عَلَى الزُّهْرِ

إِذَا مَسَحَتْ كَفُّ الصَّبَا جَفْنَ نَوْرِهَا ... تَنَفَّسَ ثَغْرُ الزهرِ عَنْ عَنْبَرِ الشَّحْرِ

بِأَعْطَرَ مِنْ رَيَّا ثَنَائِكَ فِي الشُّرَى ... وَأَبْهَـــرَ حُسْناً مِنْ شَمَائِلِكَ الْغُرِّ

عَجِبْتُ لَهُ يَحْـكِى خِـلَالَ خَمِيلَةٍ ... وَتَفْرَقُ مِنْهُ الْأُسْدُ فِي مَوْقِفِ الذِّعْرِ

---

(١) كذا فى الأصلين ونفح الطيب ، ولم نجد الأكواس جمعا للكأس فى معاجم اللغة .

(٢) فى نفح الطيب : « وتزرى » .

إِذَا أَضْرَمَتْ مِنْ بَأْسِهَا الْحَرْبُ جَاحِمًا تَأَجَّجَ مِنْهُ الْعَضْبُ فِى لُجَّةِ الْبَحْرِ
وَإِنْ كَلَحَ الْأَبْطَالُ فِى حَوْمَةِ الْوَغَى تَرَقْرَقَ مَاءُ الْبِشْرِ فِى صَفْحَةِ الْبَدْرِ
لَكَ الْحَسَبُ الْوَضَّاحُ وَالسُّؤْدُدُ الذِى يَضِيقُ نِطَاقُ الْوَصْفِ فِيهِ عَنِ الْحَصْرِ
تَشَرَّفَ أُفْقٌ أَنْتَ بَدْرُ كَمَالِهِ فَغَرْنَاطَةٌ تَخْتَالُ تِيهًا عَلَى مِصْرِ
تَكَلَّلَ تَاجُ الْمُلْكِ مِنْكَ مَحَاسِنًا وَفَاخَرَتِ الْأَمْلَاكَ مِنْكَ بَنُو نَصْرِ
بِعَزْمَةِ مَضْمُونِ السَّعَادَةِ أَوْحَدٍ وَغُرَّةِ وَضَّاحِ الْمَكَارِمِ وَالنَّجْرِ (١)
[٣٤٠] طَوَى الْحَيْفَ مَنْشُورَ اللِّوَاءِ مُؤَيَّدًا فَعَزَّ حِمَى الْإِسْلَامِ بِالطَّىِّ وَالنَّشْرِ
وَمَدَّ ظِلَالَ الْأَمْنِ إِذْ قَصَرَ (٢) الْعِدَا فَيُتْلَى ثَنَاءُ الْمُلْكِ بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ
إِذَا احْتَفَلَ الْإِيوَانُ يَوْمَ مَشُورَةٍ وَتَضْطَرِبُ الْآرَاءُ مِنْ كُلِّ ذِى حِجْرِ
صَدَعْتَ بِفَصْلِ الْقَوْلِ غَيْرَ مُنَازَعٍ وَأَطْلَعْتَ آرَاءً قَبِسْنَ مِنَ الْفَجْرِ
فَإِنْ تَظْفَرِ الْخَيْلُ الْمُغِيرَةُ بِالضُّحَى فَعَنْ رَأْيِكَ الْمَيْمُونِ تَظْفَرُ بِالنَّصْرِ
فَلَا زِلْتَ لِلْعَلْيَاءِ تَحْمِى ذِمَارَهَا وَتَسْحَبُ أَذْيَالَ الْفَخَارِ عَلَى النَّسْرِ
وَلِلْعِلْمِ فَخْرُ الدِّينِ وَالْفَتْكُ بِالْعِدَا بَأَوْتَ بِهِ يَابْنَ الْخَطِيبِ عَلَى الْفَخْرِ
يُهَنِّيكَ عِيدُ الْفِطْرِ مَنْ أَنْتَ عِيدُهُ وَيُثْنِى بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ غُرِّ
جَبَرْتَ مَهِيضًا مِنْ جَنَاحِى وَرِشْتَهُ وَسَهَّلْتَ لِى مِنْ جَانِبِ الزَّمَنِ الْوَعْرِ
وَوَأَّتَنِى مِنْ ذِرْوَةِ الْعِزِّ مُعْتَلًى وَشَرَّفْتَنِى مِنْ حَيْثُ أَدْرِى وَلَا أَدْرِى
وَسَوَّغْتَنِى الْآمَالَ عَذْبًا مُسَلْسَلًا وَأَسْمَيْتَ مِنْ ذِكْرِى وَرَفَّعْتَ مِنْ قَدْرِى
فَدَهْرِىَ عِيدٌ بِالسُّرُورِ وَبِالْمُنَى وَكُلُّ لَيَالِى الْعُمْرِ لِى لَيْلَةُ الْقَدْرِ

(١) فى الأصلين : « وعمود » و « الفخر » موضع : « وغرة » . « والنجر » .
وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٢) فى ط : « ومد ظلال العدل إن قصد » .

فَأَصْبَحْتُ مَغْبُوطًا عَلَى خَيْرِ نِعْمَةٍ يَقِلُّ لأَدْنَاهَا الكَثِيرُ مِنَ الشُّكْرِ

قال :

وكتب إليه جوابا عن رسالة خاطب أولاده بها ، صدرها :

* مالى بحمل الهوى يدان *

قال جامع هذا الموضوع ، وفقه الله تعالى :

هذه قد تقدمت فى هذا الموضوع ، فراجعها .

وله مما يخاطب به ابن الخطيب أيضا

ثم قال : وكتب إليه جوابا عن آخر كذلك :

حَيَّتْ صَبَاحًا فَأَحْيَتْ سَاكِنِي(١) الْقَصْبَهْ وَاسْتَرْجَعَتْ أَنْفُسًا بِالشَّوْقِ مُغْتَصَبَهْ

قَضَى الْبَيَانُ لهـا أَلَّا نَظِيرَ لَهَا فَأَحْرَزَتْ مِنْ مَعَانِي فَضْلِهِ(٢) قَصَبَهْ

ناجت طَلِيحَ(٣) سُرًى لَا يَسْتَفِيقُ لَهَا هَدَّتْ جَوَارِحَهُ واسْتَوْهَنَتْ عَصَبَهْ

فَحَرَّكَتْهُ عَلَى فَتْكِ الْكَلَالِ بِهِ وَأَذْهَبَتْ بِسُرُورِ الْمُلْتَقَى نَصَبَهْ

وَأَذْكَرَتْ عَهْدَ مُهْدِيهَا عَلَى شَحَطٍ فَعَاوَدَ الْقَلْبُ مِنْ تَذْكَارِهِ وَصَبَهْ

مَا كُنْتُ أَسْمَحُ مِنْ دَهْرِي بِجَوْهَرِهِ لَوْ كَانَ يَسْمَحُ لِي بِالْقَلْبِ مَنْ غَصَبَهْ

سَلْ أَدْمُعَ الصَّبِّ مَنْ أَغْرَى السَّحَابَ بِهَا وَقَلْبَهُ بِجِمَارِ الشَّوْقِ مَنْ حَصَبَهْ

فَاللهُ يَحْفَظُ مُهْدِيهَا وَيَشْكُرُهُ فَوَجْهَهَا بِعِصَابِ الْحُسْنِ قَدْ عَصَبَهْ

مَنْ كَانَ وَارِثَ آدَابٍ(٤) يُشَعْشِعُهَا بِالْفَرْضِ إِنِّي فِي إِرْثِي لَهَا عَصَبَهْ

هَذَا الْمَلَاذُ مَلَاذُ النَّاسِ قَاطِبَةً سُبْحَانَ مَنْ لِغِيَاثِ الْخَلْقِ قَدْ نَصَبَهْ

---

(١) فى ط : « صاحب » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

(٢) فى نفح الطيب : « خصله » ، وهما بمعنى .

(٣) فى ط : « نجت طريح » وفيه تحريف ظاهر .

(٤) فى نفح الطيب المخطوط : « يحفظ آدابا » .

[٣٤١] وخاطبه كذلك [١] :

طَالَعْتُهَا دُونَ الصَّبَاحِ صَبَاحَا ... لَمَّا جَلَتْ غُرَرَ الْبَيَانِ صِبَاحَا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ وَمَا رَأَيْتُ كَحُسْنِهَا ... وَجْهًا أَغَرَّ وَمَبْسِمًا وَضَّاحَا
عَذْرَاءَ أَرْضَعَهَا الْبَيَانُ لِبَانَهُ ... وَأَطَالَ مَغْدَى عِنْدَهَا وَمَرَاحَا
فَأَتَتْ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ نَحِيُّهَا ... تُذْكِي الْحِجَا وَتُنَعِّمُ الْأَرْوَاحَا
لَا بَلْ كَمِثْلِ الرَّوْضِ بَاكَرَهُ الْحَيَا ... وَسَقَى بِهِ زَهْرَ الْكِمَامِ فَفَاحَا
وَطَوَتْ بِسَاطَ الشَّوْقِ مِنِّيَ بَعْدَ مَا ... نَشَرَتْ عَلَيَّ مِنَ الْقَبُولِ جَنَاحَا

وخاطبه كذلك :

يُكَلِّفُنِي مَوْلَاىَ رَجْعَ جَوَابِهِ ... وَمَا لِتَعَاطِي الْمُعْجِزَاتِ وَمَالِيَا
أُجِيبُكَ لِلْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَأَكْتُبُ مِمَّا قَدْ أَفَدْتُ الْأَمَالِيَا
فَأَنْتَ الَّذِي طَوَّقْتَنِي كُلَّ مِنَّةٍ ... وَأَحْيَيْتَ [٢] آمَالِي وَأَكْسَبْتَ مَالِيَا
وَأَنْتَ الَّذِي أَعْدَى الزَّمَانَ كَمَالُهُ ... وَصَيَّرْتَ أَحْرَارَ الزَّمَانِ مَوَالِيَا
فَلَا زِلْتَ لِلْفِعْلِ الْجَمِيلِ مُوَاصِلًا ... وَلَا زِلْتُ لِلشُّكْرِ الْجَزِيلِ مُوَالِيَا

وخاطبه كذلك :

ذَرُونِي فَإِنِّي بِالْعَلَاءِ خَبِيرُ ... أَسِيرُ فَإِنَّ النَّيِّرَاتِ تَسِيرُ
وَكَمْ بِتُّ أَطْوِي اللَّيْلَ فِي طَلَبِ الْعُلَا ... كَأَنِّي إِلَى نَجْمِ السَّمَاءِ سَفِيرُ
بِعَزْمٍ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ رِوَاقَهُ ... يَكُرُّ عَلَى ظَلْمَائِهِ فَيُنِيرُ
أَخُو كَلَفٍ بِالْمَجْدِ لَا يَسْتَفِزُّهُ ... مِهَادٌ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَثِيرُ
ذَا مَا طَوَى يَوْمًا عَلَى السُّرِّ كَشْحَهُ ... فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْمَمَاتِ نُشُورُ

(١) هذه القطعة متأخرة فى النسخة التيمورية عن التى بعدها .
(٢) فى ط ونفح الطيب : « وأحسبت » . وما أثبتناه عن م .

وَإِنِّى وَإِنْ كُنْتُ المُمَنَّعَ جَارُهُ ... لَتَسْبِى فُؤَادِى أَعْيُنٌ وَثُغُورُ
وَمَا تَعْتَرِينِى فَتْرَةٌ فِى مَدَى الْعُلَا ... إِلَى أَنْ أَرَى لَحْظًا عَلَيْهِ فُتُور
وَفِى السِّرْبِ مِنْ نَجْدٍ تَعَلَّقْتُ ظَبْيَةً ... تَصُولُ عَلَى أَلْبَابِنَا وَتَغِير
وَتَمْنَعُ مَيْسُورَ الكَلَامِ أَخَا الْهَوَى ... وَتَبْخَلُ حَتَّى بِالْخَيَالِ يَزُور
أَسُكَّانَ نَجْدٍ جَادَهَا وَاكِفُ الْحَيَا ... هَوَاكُمْ بِقَلْبِى مُنْجِدٌ وَمُغِير
وَيَاسَكَنِى بِالْأَجْرَعِ الْفَرْدِ مِنْ مِنًى ... وَأَيْسَرُ حَظٍّ مِنْ رِضَاكِ كَثِير
ذَكَرْتُكِ فَوْقَ الْبَحْرِ وَالْبُعْدُ بَيْنَنَا ... فَمَدَّتْهُ مِنْ فَيْضِ الدُّمُوعِ بُحُور
وَأَوْمَضَ خَفَّاقَ الذُّؤَابَةِ بَارِقٌ ... فَطَارَتْ بِقَلْبِى أَنَّةٌ وَزَفِير [٣٤٢]
وَيَهْفُو فُؤَادِى كُلَّمَا هَفَتِ(١) الصَّبَا ... أَمَا لِفُؤَادِى فِى هَوَاكِ نَصِير
وَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَذِكْرُكِ هَزَّنِى ... أَمِ الْكَأْسُ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ تَدُور
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى النَّوَى مَا يَسُوءُهَا ... وَلِلْبَيْنِ حُكْمٌ يَعْتَدِى وَيَجُور
بِأَنَّا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ سَوْفَ نَلْتَقِى ... وَنُمْسِى وَمِنَّا زَائِرٌ وَمَزُور
إِلَى كَمْ أُرَى أَكِنِّى وَوَجْدِى مَصَرَّحٌ ... وَأُخْفِى اسْمَ مَنْ أَهْوَاهُ وَهُوَ شَهِير
أَمُنْجِدَ آمَالِى وَمُغْلِىَ كَاسِدِى ... وَمَصْدَرَ جَامِى وَالْحَدِيثُ كَثِير
أَأَنْسَى — وَلَا أَنْسَى — مَجَالِسَكَ الَّتِى ... بِهَا تَلْتَقِينِى نَضْرَةٌ وَسُرُور
نَزُورُكَ فِى جُنْحِ الظَّلَامِ وَنَنْثَنِى ... وَبَيْنَ يَدَيْنَا مِنْ حَدِيثِكَ نُور
عَلَىَّ أَنَّنِى إِنْ غِبْتُ عَنْكَ فَلَمْ تَغِبْ ... لَطَائِفُ لَمْ يُحْجَبْ لَهُنَّ سُفُور
نَرُوحُ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ وَعِنْدَهَا ... رَوَاحٌ عَلَيْنَا دَائِمٌ وَبُكُور
فَظِلُّكَ فَوْقِى حَيْثُمَا كُنْتُ وَارِفٌ ... وَمَوْرِدُ آمَالِى لَدَيْكَ نَمِير

(١) فى نفح الطيب : « هبت » .

وعُذْرًا فإنّى إنْ أَطَلْتُ فإنّمَا قُصَارَاىَ مِنْ بَعْدِ البَيَانِ قُصُورُ

وكتب إليه خاتمة رسالة كذلك :

وحَقِّكَ مَااسْتَطْعَمتُ بَعْدَكَ غَمْضَةً مِنَ النَّوْمِ حَتَّى آذَنَ النَّجْمُ بالغُرُوبْ(١)
وعَارَضْتُ مَسْرَى الرِّيحِ قُلتُ لَعلَّها تَنِمُّ بِرَيَّا مِنْكَ عَاطِرَةِ الهُبُوب
إلَى أَنْ بَدَا وجْهُ الصَّبَاحِ كأنَّهُ مُحَيَّاكَ إذْ تُجْلَى بِغُرَّتِهِ الْخُطُوب
فَقُلتُ لِقَلبِي استَشْعِرِ الأُنْسَ وابْتَهِجْ فإنْ تَبْعُدِ الأَجْسَامُ لم تَبْعُدِ القُلُوب
وسِرْ فِي ضَمَانِ اللهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ رِكَابُكَ لَاتَخْشَى الحوَادِثَ أَنْ تَنُوب

وله فى وصف مصباح

ثم قال : وقال — بعد إيراد جملة من نظمه فى النسيب وما يناسبه — يصف مصباحا :

لَقَدْ زَادَنِي وَجْدًا وَأَغْرَى بِيَ الْجَوَى ذُبَالٌ بِأَذْيَالِ الظَّلَامِ قَدِ التَفَّا
تُشِيرُ وَرَاءَ اللَّيْلِ مِنْهُ بَنَانَةٌ مُخَضَّبَةٌ وَاللَّيْلُ قَدْ حَجَبَ الكَفَّا
تَلُوحُ سِنَانًا حِينَ لَا تَنْفَحُ الصَّبَا وَتَبْدُو سِوَارًا حِينَ تَثْنِي لَهُ العِطْفَا
قَطَعْتُ بِهَا لَيْلِي يُطَارِحُنِي الجَوَى فَآونَةً يَبْدُو وآونَةً يَخْفَى
[٣٤٣] إِذَا قُلْتُ لَا يَبْدُو أَشَالَ لِسَانَهُ وَإِنْ قُلْتُ لَا يَخْبُو(٣) الضِّيَاءُ بِهِ كَفَّا
إِلَى أَنْ أَفَاقَ الصُّبْحُ مِنْ غَمْرَةِ الدُّجَى وأَهْدَى نَسِيمُ الرَّوْضِ مِنْ طِيبِهِ عَرْفَا
لَكَ اللهُ يَا مِصْبَاحُ أَشْبَهْتَ مُهْجَتِي وَقَدْ شَفَّهَا مِنْ لَوْعَةِ الْحُبِّ مَا شَفَّا

(١) عقب المقرى على هذه الأبيات فى نفح الطيب ج ٣ ص ٤٤٨ طبعة الأزهرية بقوله : « قلت : هذه غاية فى معناها لولا خروجها عن القواعد فى ترتيب قافيتها ومعناها » . والأبيات من الطويل ، إلا أن التفعيلة الأخيرة تختلف عن تفعيلات الطويل .

(٢) فى م : « الأمن » .

(٣) فى نفح الطيب : « لا يخفى » .

وله فى صدر رسالة إلى ابن الخطيب

ثم قال وكتب له صدر رسالة :

أَزُورُ بِقَلْبِي مَعْهَدَ الانْسِ وَالْهَوَى ... وَأَنْهَبُ مِنْ أَيْدِى النَّسِيمِ رَسَائِلَا
وَمَهْمَاسَأَلْتُ الْبَرْقَ يَهْفُو مِنَ الْحِمَى ... يُبَادِرْ بِهِ دَمْعِى مُجِيبًا وَسَائِلا
فَيَالَيْتَ شِعْرِى وَالأَمَانِى تَعِلُّلٌ ... أَيَرْعَى لِى الْحَىُّ الْكِرَامُ الْوَسَائِلا
وَهَلْ جِيرَتِى الأُولَى كَمَا قَدْ عَهِدْتُهُمْ ... يُوَالُونَ بِالإِحْسَانِ مَنْ جاءَ سَائِلا

ثم قال بعد أن ذكر عدة قطع :

وله يصف الزرافة ويمدح مدح السلطان أبا سالم

وقال يصف الزَّرَافة فى قصيدة مدح بها السلطان أبا سالم ملكَ المغرب — رحمه الله — وقد ورد عليه بها وَفْد الأحابش فى هدية من ملكهم ، ونصُّها :

لَوْلَا تَأَلُّقُ بَارِقِ التَّـــذْكَارِ ... مَا صَابَ وَاكِفُ دَمْعِىَ الْمِدْرَارِ
لَكِنَّهُ مَهْمَا تَعَرَّضَ خَافِقًا ... قَدَحَتْ يَدُ الأَشْوَاقِ زَنْدَ أُوَارِى
عَلَّ[1] الْمُشُوقَ إِذَا تَذَكَّرَ مَعْهَدًا ... أَنْ يُغْرِىَ الأَجْفَانَ بِاسْتِعْبَارِ
أَمُذَكِّرِى غَرْنَاطَةً حَلَّتْ بِهَا ... أَيْدِى السَّحَابِ أَزِرَّةَ النَّـــوَّارِ
كَيْفَ التَّخَلُّصُ لِلْحَدِيثِ وَدُونَهَا[2] ... عَرْضُ الْفَـــلَاةِ وَطَافِحٍ زَخَّارِ
هَـــذَا عَلَى أَنَّ التَّغَرُّبَ مَرْكَبِى ... وَتَوَلُّجَ الفِيحِ الْفِسَاحِ شِعَارِى
فَلَكَمْ أَقَمْتُ غَدَاةَ زُمَّتْ عِيسُهُمْ ... أَبْغِى الْقَرَارَ وَلَاتَ حِينَ قَرَارِ
وَطَفِقْتُ أَسْتَقْرِى الْمَنَازِلَ بَعْدَهُمْ ... يَمْحُو الْبُكَاءُ مَوَاقِعَ الآثَارِ
إِنَّا بَنِى الآمَالِ تَخْـــدَعُنَا الْمُنَى ... فَنُخَادِعُ الآمَالَ بِالتَّسْيَارِ
نَتَجَشَّمُ الأَهْوَالَ فِى طَلَبِ الْعُلَا ... وَنَرُوعُ سِرْبَ النَّوْمِ بِالأَفْكَارِ

(١) فى نفح الطيب : « وعلى » .
(٢) فى نفح الطيب : « وبيننا » .

لا يُحْرِزُ المَجْدَ الخَطِيرَ سِوَى امْرِىءٍ ... يُمْطِى العَزَائِمَ صَهْوَةَ الأَخْطَارِ
إلا[1] يفاخِرْ بالعَتَادِ فَفَخْرُهُ ... بِالمَشْرَفِيَّـــةِ والقَنَا الخَطَّار
مُسْتَبْصِرٍ مَرْمَى العَوَاقِبِ وَاصِلٍ ... فِي حَمْلِهِ الإِيرَادَ بِالإِصْـــدَار
فَأَشَدُّ مَاقَادَ الجُهُولَ إِلَى الرَّدَى ... عَمَهُ البَصَائِرِ لَا عَمَى الأَبْصَار
وَلَرُبَّ مُرْبَدِّ الجَوَانِحِ مُزْبِدٍ ... سَبَحَ الهِلَالُ بِلُجِّهِ الزَّخَّار
فُتِقَتْ كَمَائِمُ جُنْحِهِ عَنْ أَنْجُمٍ ... سَفَرَتْ زَوَاهِرُهُنَّ عَنْ أَزْهَار
[٣٤٤] مَثَلَتْ عَلَى شَاطِى المَجَرَّةِ نَرْجِسًا ... تَصْطَفُّ مِنْـهُ عَلَى خَلِيجٍ جَارِى
فَكَأَنَّمَا بَدْرُ التَّمَامِ بِجُنْحِهِ ... وَجْـــهُ الإِمَامِ بِجَحْفَلٍ جَرَّار
وَكَأَنَّمَا خَمْسُ الثُّرَيَّا رَاحَـــةٌ ... ذَرَعَتْ مَسِيرَ اللَّيْلِ بِالأَشْبَار
أَسْرَجْتُ مِنْ عَزْمِى مَصَابِيحًا بِهَا ... تَهْدِى السُّرَاةَ لَهَا مِنَ الأَقْطَار
وَارْتَاعَ مِنْ بَازِى الصَّبَاحِ غُرَابُهُ ... لَمَّا أَطَلَّ فَطَارَ كُلَّ مَطَار

[ومنها] :

وَغَرِيبَةٍ قَطَعَتْ إِلَيْكَ عَلَى الوَنَى ... بِيـــدًا تَبِيدُ بِهَا هُمُومُ السَّارِى
تُنْسِيهِ طِيَّتَهُ الَّتِى قَـــدْ أَمَّهَا ... وَالرَّكْبُ فِيهَا مَيِّتُ الأَخْبَار
يَقْتَادُهَا مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلِ الدُّجَى ... وَكَأَنَّمَا عَيْنَاهُ جُـــذْوَةُ نَار
تَشْدُو[2] بِحَمْدِ المُسْتَعِينِ حُدَاتُهَا ... يَتَعَلَّلُونَ بِهِ عَلَى الأَكْوَار
إِنْ مَسَّهُمْ لَفْحُ الهَجِيرِ أَبَلَّهُمْ ... مِنْـــهُ نَسِيمُ ثَنَائِكَ المِعْطَار
خَاضُوا بِهَا لُجَجَ الفَلَا فَتَخَلَّصَتْ ... مِنْهَا خُلُوصَ البَـدْرِ بَعْدَ سِرَار

(١) فى ط : « من لا يفاخر » . وفى م ونفح الطيب : « إما يفاخر » ولعله محرف عما أثبتناه .
(٢) فى الأصلين : « تحدو » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

سَلِمَتْ بِسَعْدِكَ مِنْ غَوائِلِ مِثْلِها ... وَكَفَى بِسَعْدِكَ حَامِياً لِذِمارِ

وَأَتَتْكَ يَا مَلِكَ ٱلزَّمَانِ غَرِيبَةٌ ... قَيْدُ ٱلنَّواظِرِ نُزْهَةُ ٱلأَبْصَارِ

مَوْشِيَّةُ الأَعْطَافِ رَائِعَةُ الحِلى ... رَقَمَتْ بَدَائِعَهَا يَدُ ٱلأَقْدَارِ

رَاقَ ٱلعُيُونَ أَدِيمُهَا فَكَأَنَّهُ ... رَوْضٌ تَفَتَّحَ عَنْ شَقِيقٍ (١) بَهَارِ

مَا بَيْنَ مُبْيَضٍّ وَأَصْفَرَ فَاقِعٍ ... سَالَ ٱللُّجَيْنُ بِهِ خِلَالَ نُضَارِ

يَحْكِي حَدَائِقَ نَرْجِسٍ فِى شَاهِقٍ ... تَنْسَابُ فِيهِ أَرَاقِمُ الأَنْهَارِ

تَحْدُو (٢) قَوَائِمُ كَالْجُذُوعِ وَفَوْقَهَا ... جَبَلٌ أَشَمُّ بِنَوْرِهِ مُتَوَارِى

وَسَمَتْ بِجِيدٍ مِثْلِ جِذْعٍ مَائِلٍ ... سَهْلِ التَّعَطُّفِ لَيِّنٍ خَوَّارِ

تَسْتَشْرِفُ الجُدْرَانُ مِنْهُ تَرَائِباً ... فَكَأَنَّمَا هُوَ قَائِمٌ بِمَنَارِ

تَاهَتْ بِكُلِّهَا وَأَتْلَعَ جِيدُهَا ... وَمَشَى بِهَا الإِعجابُ مَشْىَ وَقَارِ

خَرَجُوا لَهَا الجَمَّ الغَفِيرَ وَكُلُّهُمْ ... مُتَعَجِّبٌ مِنْ لُطْفِ صُنْعِ البَارِى

كلٌّ يَقُولُ لِصَحْبِهِ قُومُوا ٱنْظُرُوا ... كَيْفَ ٱلجِبَالُ تُقَادُ بِالأَسْيَارِ

أَلْقَتْ بِبَابِكَ رَحْلَهَا وَلَطَالَمَا ... أَلْقَى ٱلغَرِيبُ بِهِ عَصَا ٱلتَّسْيَارِ

عَلِمَتْ مَلُوكُ الأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا ... فَتَسَابَقَتْ لِرِضَاكَ (٣) فِى مِضْمَارِ

يَتَبَوَّءُونَ بِهِ وَإِنْ بَعُدَ ٱلمَدَى ... مِنْ جَاهِكَ الأَعْلَى أَعَزَّ جِوَارِ

فَٱرْفَعْ لِوَاءَ ٱلفَخْرِ غَيْرَ مُدَافَعٍ ... وَٱسْحَبْ ذُيُولَ ٱلعَسْكَرِ ٱلجَرَّارِ [٣٤٥]

وَاهْنَأْ بِأَعْيَادِ ٱلفُتُوحِ مُخَوَّلاً ... مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ أَنْصَارِ

وَإِلَيْكَهَا مِنْ رَوْضِ فِكْرِى نَفْحَةً ... شَفَّ ٱلثَّنَاءُ بِهَا عَلَى الأَزْهَارِ

---

(١) كذا فى الأصلين ونفح الطيب ولعلها : « شتيت » .

(٢) كذا فى الأصلين ونفح الطيب .

(٣) فى ط : « لعلاك » .

فى فَضْلِ مَنْطِقِهَا وَرَوْنَقِ[1] رَسْمِهَا مُسْتَمْتَعُ ٱلأَسْمَاعِ وَٱلأَبْصَارِ
وَتَمِيلُ مِنْ أَصْغَى لَهَا فَكَأَنَّنِي عَاطَيْتُهُ مِنْهَا كُئُوسَ عُقَارِ

وله يستنجز كتاب المغرب ميلادياتهم

وقال رحمه الله تعالى يخاطب كتّاب الإنشاء بالمغرب وقد حضر هنالك ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأُنشدت قصائدهم ، واستنجز بعد ذلك وعدهم بتقييد نسخها بمقطوعات مرتجلة أجابوه عنها ، منها :

أَ كَتِيبَةَ ٱلكُتَّابِ أَيْدَ جَمْعُكُمْ بِعِنَايَةِ ٱلمَوْلَى ٱلخَلِيفَةِ أَحْمَدِ
لَا تَمْطُلُوا دَيْنَ الغَرِيبِ فَإِنَّنِى مِنْكُمْ وَإِنْ رَغِمَتْ لِذَلِكَ حُسَّدِى
زَيَّنْتُمُ حَفْلَ ٱلبَيَانِ بِسِحْرِكُمْ ٱلْيَوْمِ زِينَةَ سِحْرِكُمْ مِنْ مَوْعِد
فَلْتَسْمَحُوا لِى بِالقَصَائِدِ عَاجِلاً وَلْتَبْلُغُوا مِمَّا أُؤَمِّلُ مَقْصِدِى

وقال أيضاً :

أَيَا عِلْيَةَ ٱلكُتَّابِ دَعْوَةَ مُنْصِفٍ عَلَيْكُمْ بِكُمْ فِى مَقْطَعِ ٱلحَقِّ يَسْتَنْدِى
سَمَحْتُمْ بِنَظْمِ ٱلدُّرِّ فِى لَبَّةِ العُلَا فَكَمْ رَاقَ مِنْ سِمْطٍ هُنَاكَ وَمِنْ عِقْدِ
فَمَا ضَرَّكُمْ أَنْ تَسْمَحُوا لِى بِكَتْبِهَا فَتَسْتَجْزِلُوا شُكْرِى وَتَسْتَوْجِبُوا حَمْدِى

وقال أيضاً :

مَا عُذْرُكُمْ[2] أَنْ لَمْ تَجُودُوا بَعْدَمَا مُلِّكْتُمُ كَفَّ الخَلِيفَةِ أَحْمَدِ
فَلْتَبْعَثُوا لِى كُلَّ بِكْرٍ فَذَّةٍ تَأْتِى بِفَخْرِ خِلَالِهَا وَسْطَ النَّدِى

وله إليهم أيضاً فى المعنى المتقدم

وكتب إليهم فى المعنى أيضا وقد كان السلطان أبو العباس أعطاه قصيدة من نظمه [تلك الليلة] :

(١) فى نفح الطيب : « ورائق » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « ما ضركم » .

ظِلَالِكُمُ تَنْدُو(١) وَمَوْرِدُكُمُ عَذْبُ وَتَرْضَوْنَ أَنْ أَضْحَى وَبِالْمِلْحِ لِى شُرْبُ
وَأَنْتُمْ وَمَا أَنْتُمْ غَمَائِمُ رَحْمَةٍ تَصُوبُ وَأَحْلَامُ الْعُفَاةِ لَهَا تَصْبُو
أَفِيضُوا عَلَيْنَا وَانْظُرُونَا بِفَضْلِكُمْ لِنَقْبِسَ نُورًا لَا يَخِيبُ وَلَا يَخْبُو
أَلِفْتُ الْهَوَى حَتَّى أَنِسْتُ بِجَوْرِهِ فَكُلُّ عَذَابٍ نَالَنِى فِى الْهَوَى عَذْبُ [٣٤٦]
وَقُلْتُ لِجِسْمِى إِنَّهُ ثَوْبُكَ الضَّنَى وَقُلْتُ لِقَلْبِى إِنَّهُ إِلْفُكَ الْحُبُّ
وَقَالُوا صَبَا وَالشَّيْبُ لَاحَ صَبَاحُهُ فَقُلْتُ بِبِيضٍ كَالصَّبَاحِ أَنَا صَبُّ
نَهَبْتُ عِذَارَى الْحَىِّ لَيْلَةَ عَرْضِهَا وَقَدْ جُلِيَتْ مِنْهَا لِمُبْصِرِهَا شُهْبُ
وَلَمْ أَرَ مِنْهَا غَيْرَ رَجْعِ حَدِيثِهَا فَتَجْهَلُ مِنْهَا الْعَيْنُ مَا يَعْرِفُ الْقَلْبُ
عِرَابٌ إِذَا اسْتَنَّتْ بِشَأْوٍ بَلَاغَةٍ تُقَصِّرُ مِنْ دُونِ اللَّحَاقِ لَهَا الْعُرْبُ
وَإِنْ أَسْنَدَتْ مَا بَيْنَ نَجْدٍ وَحَاجِرٍ تَقُولُ رُوَاةُ الشِّعْرِ يَا حَبَّذَا الْغَرْبُ
فَمَنْعَةُ صِدْقٍ لِلْخِلَافَةِ قَدْ ضَفَتْ عَلَى مَنْ حَوَاهُ مِنْ مَهَابَتِهِ حُجْبُ
وَجَوٍّ صَقِيلٍ قَدْ جَلَتْهُ يَدُ الصَّبَا يُسَافِرُ طِرْفُ الطَّرْفِ فِيهِ فَمَا يَكْبُو
فَلَوْلَا أُلَّتِى مِنْ دُونِهَا طَاعَةُ الْهَوَى لَحَفَّتْ بِهَا حَوْلِى الْأَبَارِيقُ وَالشُّرْبُ
وَلَكِنْ نَهَانِى الشَّيْبُ أَنْ أَقْرَبَ الْهَوَى إِذَا لَمْ يُتِحْ مِمَّنْ أُحِبُّ لِىَ الْقُرْبُ
فَلَا تَمْطُلُوا دَيْنَ الْمُعَلَّلِ عَنْ غِنًى فَجَانِبُكُمْ سَهْلٌ وَمَنْزِلُكُمْ رَحْبُ
وَإِنْ لَمْ تَرَوْنِى كُفْئَهُنَّ تَرَفُّعًا وَصَدَّكُمْ مِنْ دُونِ خِطْبَتِهَا خَطْبُ
فَوَلَاىَ قَدْ أَهْدَى الْعَمِيدَ عَقِيلَةً يُكَلِّلُهَا مِنْ لَفْظِهَا اللُّؤْلُؤُ الرَّطْبُ
أَدَارَتْ كُئُوسًا مِنْ مُدَامِ صَبَابَةٍ كَمَا امْتَزَجَ الصَّهْبَاءُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
فَوَاللهِ لَوْلَا مَوْعِدٌ يَوْمُهُ غَدٌ لَوَاجَهَكُمْ مِنِّى عَلَى مَطْلَبِى الْعَتْبُ

(١) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « تندى » .

أَ كُتّابَ مَوْلَانَا الخَلِيفَةِ أَحْمَدِ وحَسْبُكُمُ الفَخْرُ العَمِيمُ بِهِ حَسْب
بِهِ اعْتَزَّتِ الآدَابُ وامْتَدَّ بَاعُهَا وَطَالَتْ يَدَاهَا واسْتَخَفَّ بِهَا العُجْبُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِالفَضْلِ تَنْفُقُ سُوقُهَا لَكَانَ يُقَالُ التِّبْرُ فى أَرْضِهِ تُرْبُ
بَقِيتُمْ بِهِ فى ظِلِّ جَاهٍ وَغِبْطَةٍ تَخُبُّ إلى لُقْيَا نَجِيبِكُمُ النُّجْبُ

وله فى مراجعة الكاتب أبى زكريا بن أبى دُلامة

وقال يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبى دُلامة منهم ، وقد أجابه رحمة الله تعالى عليه :

عَلَى الطَّائِرِ المَيْمُونِ والطَّالِعِ السَّعْدِ أَتَتْنِى مَعَ الصُّنْعِ الجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ
وَأَحْيَيْتَ يا يَحيى بِها نَفْسَ مُغْرَمٍ يُجِيلُ جِيَادَ الدَّمْعِ فى مَلْعَبِ السُّهْدِ
نَسِيتُ وما أَنْسَى وَفَائِى وخَلَّتِى وَأَقْفَرَ رَبْعُ القَلْبِ إلَّا مِنَ الوَجْدِ
وَمَا الطَّلُّ فى ثَغْرٍ مِنَ الزَّهْرِ بَاسِمٍ بِأَذْكَى وَأَصْفَى مِنْ ثَنَائِى وَمِنْ وُدِّى
فَأَصْدَقْتُهَا مِنْ بَحْرِ فِكْرِى جَوَاهِرا تُنَظَّمُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِىِّ فى عِقْدِ
[٣٤٧] وَكُنْتُ أُطِيلُ القَوْلَ لَوْلَا ضَرُورَةٌ دَعَتْنِى إلى الإِيجَازِ فى سُورَةِ الحَمْدِ

* * *

وله فى السلطان أبى العباس

وأنشد السلطان أبا العباس المذكور فى غُراب من إنشائه :

أَإِنْسَانَ عَيْنِ الدَّهْرِ جَفْنُكَ قَدْ غَدَا يَحُفُّكَ مِنْهُ طَائِرُ اليُمْنِ والسَّعْدِ
إذَا مَا هَفَا فَوْقَ الرُّءُوسِ شِرَاعُهُ أَرَاكَ جَنَاحًا مُدَّ لِلْجَزْرِ وَالمَدِّ

وأنشدهُ فيه أيضاً :

لَكَ الخَيْرُ شَأْنُ الجَفْنِ يَحْرُسُ عَيْنَهُ وَهَذَا بِعَيْنِ اللهِ يُحْرَسُ دَائِمَا
تَبِيتُ لَهُ خَمْسُ الثُّرَيَّا مُعِيذَةً تُقَلِّدُهُ زُهْرَ النُّجُومِ تَمَائِمَا

فيَا جَفْنُ لاَ تَنْفَكَّ فى الحِفْظِ دَائِمًا وَإِنْ كُنْتَ فِى لُجٍّ مِنَ ٱلبَحْرِ عَائِمًا

انتهى ما انتقيته من هذا التأليف الملوكى مع أنى تركت أكثره .

للمؤلف فى سبب إطالة الحديث عن ابن زمرك

قلت : وإنما أطلت فى كلام الرئيس ابن زمرك رحمه الله تعالى لوجوه :

أولها : أن الذى ألَّفتُ الكتاب من أجله راغبٌ فى ذلك .

الثانى : وَلوع كثير من الناس بكلامه ، حتى قال شيخنا سيدى الإمام العلامة المؤلف الكبير أبو العباس أحمد الشهير ببابا السودانى رحمه الله ، بعد أن ذكر فى التعريف به نحو عشرين سطراً[1] : إنى لم أقف فى أمره على غير هذا ، ولم أقف على وفاته . وبالجملة فالذى تكلم خواص الناس فيه من أمره هو ما فى الإحاطة والكتيبة ؛ وأما الجم الغفير فهم بمعزل عما فى الكتابين فضلا عن غيره .

الوجه الثالث : أن ما نقلته من ذلك كان عندى مقيداً فى عدة أوراق ، فخفت عليه الدروس ، فلما جمعت بعضه هنا .

الرابع : ما اشتمل عليه من أوصاف الجهاد والخيل وغير ذلك من الغرائب ، وليس الخبر كالعِيان .

الخامس : ما فى بعضه من أمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو المقصود بالذات وغيره تبع ، وهو فى مسك ختام هذه الأوجه الخمس ، وليس يحتاج إلى دليل نور القمر والشمس .

من موشحات ابن زمرك

وقد عنَّ لى أن أذكر جملة من موشحاته لغرابتها ، ولأن جل ما وقفت عليه منها ينخرط فى سلك المعرب ، إذ أكثره من مخلع البسيط .

---

(١) يشير المؤلف إلى كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبى العباس أحمد بابا ، وهو تذييل على كتاب الديباج المذهب فى علماء المذهب لابن فرحون .

موشحة له فى الشوق إلى غرناطة

فمن ذلك قوله تشوقاً إلى غرناطة — أعادها الله — ومادحاً الغنىّ بالله :

بِاللهِ يا قَامَةَ القَضِيبِ ... وَمُخْجِلَ الشَّمْسِ والقَمَرْ
مَنْ مَلَّكَ الحُسْنَ فِى القُلُوبِ ... وأيَّدَ اللَّحْظَ بالحَوَرْ
مَنْ لَمْ يَكُنْ طَبْعُهُ رَقِيقا ... لَمْ يَدْرِ مَا لَذَّةُ الصِّبا
فَرُبَّ حُرٍّ[1] غَدا رَقِيقا ... تَمْلِكُهُ نَفْحَةُ الصَّبا
نَشْوَانَ لَمْ يَشْرَبِ الرَّحِيقا[2] ... لَكِنْ إلى الحُسْنِ قَدْ صَبا
فَعَذَّبَ القَلْبَ بالوَجِيبِ ... وَنَعَّمَ العَيْنَ بالنَظَرْ
وَبَاتَ والدَمْعُ فى صَبِيبِ ... يَقْدَحُ مِنْ قَلْبِهِ الشَّرَرْ
أَوَاهُ[3] مِنْ قَلْبِيَ المَعَنَّى ... يَهْفُو إذا هَبَّتِ الرِّياحْ
لَوْ كانَ لِلصَبِّ ما تَمَنَّى ... لَطَارَ شَوْقاً بِلَا جَناحْ
وَبُلْبُلُ الدَّوْحِ إنْ تَغَنَّى ... أَسْهَرُ لَيْلى إلى الصَبَاحْ
عَسَاكَ إنْ زُرْتَ يا طَبِيبِى ... بالطَّيْفِ فِى رَقدَةِ السَّحَرْ
أَنْ تَجْعَلَ النَّوْمَ مِنْ نَصِيبى ... والعينَ تَحْمِى مِنَ السَّهَرْ
كَمْ شَادِنٍ قادَ لى الحُتُوفا ... بِمَرْبَعِ القَلْبِ قَدْ سَكَنْ
يَسُلُّ مِنْ لَحْظِهِ سُيُوفا ... فالقَلْبُ بالرَّوْعِ ما سَكَنْ
خُلِقْتُ مِنْ عَادَتى أُلُوفا ... أَحِنُّ لِلإلْفِ والسَكَنْ
غَرْناطَةٌ مَنْزِلُ الحَبِيبِ ... وَقُرْبُها السُّؤْلُ والوَطَرْ

(١) فى الأصلين : « من قد » مكان قوله : « حر » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٢) فى الأصلين : « الرقيقا » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٣) فى نفح الطيب : « عجبت » مكان قوله : « أواه » .

تَبْهَرُ بالمنْظَرِ العَجِيبِ فَلَا عَـدا رَبْعَـا المَطَر
عَرُوسَـةٌ(١) تَاجُهَا السَّبِيكَهْ وَزَهْرُهَا الحَـلْى والحُلَلْ
لَمْ تَرْض مِنْ عِزِّهَا شَرِيكَهْ بِحُسْنِهَا يُضْرَبُ الْمَثَلْ
أَيَّدَها الله مِنْ مَلِيكَهْ تَمْلِكُهَا أَشْرَفُ الدُّوَلْ
بدَوْلَةِ الْمُرْتَجَى المَهِيبِ(٢) الْمَلِكِ الطَّاهِرِ الأَغَرّْ
تَخْتَالُ مِنْ بُرْدِهَا القَشِيبِ فِى حُلَّةِ النَّوْرِ وَالزَّهَرْ
كَرْسِيُّهَا جَنَّـةُ العَرِيفِ مِرْآتُهَا صَفْحَةُ الغَـدِيرْ
وَجَوْهَرُ الطلِّ فى(٣) شُـنُوفِ تُحْكِمُهُ صَـنْعَةُ القَدِيرْ [٣٤٩]
والانْسُ فيهـا عَلَى صُـنُوفِ فَمِن هَـدِيلٍ ومِنْ هَـدِيرْ
كَمْ خَرَّقَ(٤) الزَّهْرُ مِنْ جُيُوبِ وَكَلَّلَ القُضْبَ بالدُّرَرْ
فَالغُصْنُ كَالكَاعِبِ اللَّعُوبِ وَالطَّيْرُ تَشْدُو بِلا وَتَرْ
وَلائِمُ النَصْرِ فِى اُحْتِفَالِ وَفَرْحُ دِينِ الهُـدَى(٥) جَدِيدْ
سلطانُهـا مُعْمِلُ(٦) العَوَالِى مُحَمَّدُ الظَّافِرُ السَّـعِيدْ
وَمُخْجِلُ البَـدْرِ فِى الـكَمَالِ سُـلْطَانُهَا الْمُجْتَـبَى الفَرِيدْ
أَصْفَحُ مَوْلًى عَنِ الذُّنُوبِ أَكْرَمُ عَافٍ إِذَا قَدَرْ
وَشَمْسُ هَدْيٍ بِلَا مَغِيبِ وَبَحْرُ جُودٍ بِلَا حَسَرْ

(١) فى ط : « فهى عروس » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب المطبوع .
(٢) فى نفح الطيب المخطوط : « المجيب » .
(٣) فى ط ونفح الطيب « عن » .
(٤) فى ط : « مزق » .
(٥) فى نفح الطيب : « الهوى » .
(٦) فى ط : « يعمل » .

مَوْلاَىَ يَا عَاقِدَ الْبُنُودِ تُظَلِّلُ الأَوْجُهَ الصِّبَاحْ
أَوْحَشْتَ يَا نُخْبَةَ الوُجُودِ غَرْنَاطَةً هَالَةَ السَّمَاحْ
سَافَرْتَ بِالْيُمْنِ وَالسُّعُودِ وَعُدْتَ بِالْفَتْحِ وَالنَّجَاحْ
يَا مُلْهَمَ الْقَلْبِ لِلْغُيُوبِ وَمُطْعَمَ[1] النَّصْرِ وَالظَّفَرْ
أَسْمَعَكَ اللهُ عَنْ قَرِيبٍ : « عَلَى السَّلاما مِنَ السَّفَرْ »

ومن موشحاته فى وصف مبنى الرشاد

وقال أيضاً من الموشَّحات الفائقة[2] ، فى مثل أغراض هذه السابقة ، وأشار إلى محاسنَ مِنْ وَصْفِ « الرَّشاد » :

نَسِيمُ غَرْنَاطَةٍ عَلِيلُ لَكِنَّهُ يُبْرِئُ الْعَلِيلْ
وَرَوْضُهَا زَاهِرٌ بَلِيلُ[3] وَرَشْفُهُ يَنْقَعُ الْغَلِيلْ
سَقَى بِنَجْدٍ رُبَا الْمُصَلَّى مُبَاكِراً رَوْضَهَا[4] الْغَمَامْ
فَجَفْنُهُ كُلَّمَا اسْتَهَلَّا تَبَسَّمَ الزَّهْرُ فِي الْكِمَامْ
والرَّوْضُ بِالْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّى[5] وَجَرَّدَ النَّهْرَ عَنْ حُسَامْ
وَدَوْحُهَا ظِلُّهُ ظَلِيلُ يَحْسُنُ فِي رَبْعِهِ الْمَقِيلْ
وَالْبَرْقُ وَالْجَوُّ مُسْتَطِيلُ يَلْعَبُ بِالصَّارِمِ الصَّقِيلْ
عَقِيلَةٌ تَاجُهَا السَّبِيكَهْ تُطِلُّ[6] بِالْمَرْقَبِ الْمُنِيفْ
كَأَنَّهَا فَوْقَهُ مَلِيكَهْ كُرْسِيُّهَا جَنَّةُ الْعَرِيفْ

(١) كذا فى ط ونفح الطيب المطبوع . وفى م : « مطلع » .
(٢) فى نفح الطيب : « الرائقة » .
(٣) كذا فى ط . وفى م : « مزهر جليل » . وفى نفح الطيب : « زهره بليل » .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « روضة » ، وفى نفح الطيب : « روضه » .
(٥) فى نفح الطيب المخطوط : « تحلى » .
(٦) كذا فى نفح الطيب المطبوع . والذى فى الأصلين والنفح المخطوط : « تظل » .

تُطْلِعُ[١] مِنْ عَسْجَدٍ سَبِيكَهْ شَمُوسُهَا كُلَّمَا تُطِيفْ
أَبْدَعَكَ الْخَالِقُ الْجَلِيلُ يَا مَنْظَرًا كُلُّهُ جَمِيلْ
قَلْبِي إِلَى حُسْنِهِ يَمِيلُ وَقَبْلَنَا قد صبا جَمِيلْ [٣٠٠]
وَزَادَ لِلْحُسْنِ فِيكَ حُسْنَا مُحَمَّدُ الْحَمْدِ وَالسَّمَاحْ
جَدَّدَ لِلْفَخْرِ فِيكَ مَغْنَى[٢] فى طَالِعِ الْيُمْنِ وَالنَّجَاحْ
تُدْعَى رَشَادًا[٣] وَفِيكَ مَعْنَى يَخُصُّكَ الفَأْلُ بِافْتِتَاحْ
فَالنَّصْرُ وَالسَّعْدُ لاَ يَزُولُ لِأَنَّهُ ثَابِتٌ أَصِيلْ
سَعْدٌ وَأَنْصَارُهُ قَبِيلُ آبَاؤُهُ عِتْرَةُ الرَّسُولْ
أَبْدَى بِهِ حِكْمَةَ القَدِيرِ وَتَوَّجَ الرَّوْضَ بِالْقِبَابْ
وَدَرَّعَ الزَّهْرَ بالغَدِيرِ وَزَيَّنَ النَّهْرَ[٤] بِالْحَبَابْ
فَمِنْ هَدِيلٍ وَمِنْ هَدِيرِ مَا أَوْلَعَ الْحُسْنَ بِالشَّبَابْ
هَبَّتْ عَلَى رَوْضِهَا القَبُولُ وَطَرْفُهَا[٥] بالسُّرَى كليلْ
فَلَمْ يَزَلْ بَيْنَهَا يَجُولُ حَتَّى تَبَدَّتْ لَهُ حُجُولْ
لِلزَّهْرِ فِي عِطْفِهَا رُقُومُ تَلُوحُ لِلْعَيْنِ كالنُّجُومْ
وَلِلنَّدَى بَيْنَهَا رُسُومُ عِقْدُ النَّدَى فَوْقَهُ نَظِيمْ
وَكُلُّ وَادٍ بِهَا يَهِيمُ وَلَمْ يَزَلْ حَوْلَهَا يَحُومْ

(١) فى نفح الطيب : « تطبع » .
(٢) فى نفح الطيب المطبوع : « مبنى » .
(٣) فى ط (هنا) : « دثارا » .
(٤) فى ط : « الزرع » وفى م : « الدرع » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٥) فى نفح الطيب المخطوط : « وروضها » .

شَنِّيلُها مُدَّ منـهُ نِيلُ وَالشِّينِ ألفُ لِمُسْتَنِيلْ
وَعَيْنُ وَادٍ بِهَا[1] تَسيلُ مِنْ فَوْقِ خَدٍّ لَهُ أَسِيلْ
كَمْ مِنْ ظِلَالٍ بِهِ تَرِفُّ تَضْفُو لها فَوْقَهُ سُتُورْ
ومِنْ زُجاجٍ بِهِ يَشِفُّ ما بَيْنَ نَوْرٍ وَبَيْنَ نُورْ
ومنْ شُمُوسٍ بِها تُصَفُّ تُدِيرُهَا بَيْنَنَا البُدُورْ
مِزَاجُها العَذْبُ سَلْسَبِيلُ يَاهَلْ إلى رَشْفِها سَبِيلْ
وكَيفَ والشِّيبُ لِى عَذُولُ وصِبْغُهُ صُفْرَةُ الأصِيلْ
يا سَرْحَةً فى الحِمَى ظَلِيلَهْ كَمْ نِلْتُ فى ظِلِّكِ المُنَى
رَوَّضَكِ اللهُ مِنْ خَمِيلَهْ يُجْنَى بِها أَطْيَبُ الْجَنَى
وبَرْقُها صادِقُ المَخِيلَهْ ما زَالَ بالْغَيْثِ مُحْسِنَا
أَنْجَزَ لى وَعْدَكِ القَبُولُ فَلَمْ أَقُلْ مِثْلَ مَنْ يَقُولْ
«يا سَرْحَةَ الحِى يا مَطُولُ شَرْحُ الذى بَيْنَنَا يَطُولْ»[2]

[٣٥١] ومن ذلك ما كتب به للغنىّ بالله : ومن موشحاته إلى الغنى بالله

أَبلِغْ لِغِرْنَاطَةٍ سَلامِى وصِفْ لها عَهْدِىَ السَّلِيمْ
فلَوْ رَعَى طَيْفُها ذِمَامِى ما بِتُّ فى لَيْلَةِ السَّلِيمْ
كَمْ بِتُّ فِيها عَلَى اقتِرَاحِ أُعَلُّ مِنْ خَمْرَةِ الرُّضَابْ
أُدِيرُ مِنْها كُئُوسَ رَاحِ قَدْ زَانَتِ[3] الثَّغْرَ بالْحَبَابْ

(١) كذا فى نفح الطيب المطبوع . وفى الأصلين والنفح المخطوط : « به » .
(٢) هذا البيت مطلع مقطوعة للسان الدين بن الخطيب ، أوردها المقرى فى نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٠) طبعة الأزهرية .
(٣) فى م ونفح الطيب : « زانها » .

أَخْتَالُ كَالْمُهْرِ فى الْجِمَاحِ نَشْوَانَ فى رَوْضَةِ الشَّبَابْ
أُضَاحِكُ الزَّهْرَ فى الكِمَامِ مُبَاهِيًا رَوْضَهُ الوَسِيمْ
وأَفْضَحُ الغُصْنَ فى القَوَامِ إِنْ هَبَّ مِنْ جَوِّهَا نَسِيمْ
بَيْنَا أَنَا والشَّبَابُ ضَافِي وظِلُّهُ فَوْقَنَا مَدِيدْ
ومَوْرِدُ الْأُنْسِ فِيهِ صَافِي وبُرْدُهُ[1] رَائِقٌ جَدِيدْ
إِذْ لَاحَ فى الفَوْدِ غَيْرَ خَافِي صُبْحٌ بِهِ نُبِّهَ الوَلِيدْ
أَيقَظَ مَنْ كَانَ ذَا مَنَامِ لَمَّا انْجَلَى لَيْلُهُ البَهِيمْ
وأَرْسَلَ الدَّمْعَ كَالْغَمَامِ فى كلِّ وَادٍ بِهِ أَهِيمْ
يا جِيرَةً عَهْدُهُمْ كَرِيمُ وفِعْلُهُمْ كُلُّهُ جَمِيلْ[2]
لَا تَعْذِلُوا الصَّبَّ[3] إِذْ يَهِيمُ فقَبْلَهُ قَدْ صَبَا جَمِيلْ
القُرْبُ مِنْ رَبْعِكُمْ نَعِيمُ وَبُعْدُكُمْ خَطْبُهُ جَلِيلْ
كَمْ مِنْ رِيَاضٍ بِهِ وِسَامِ يُزْهَى بِهَا الرَّائِدُ[4] المُسِيمُ[5]
غَدِيرُهَا أَزْرَقُ الْجِمَامِ وَنَبْتُهَا كُلُّهُ جَمِيمُ[6]
أَعِنْدَكُمْ أَنَّنِى بِنَاسِ أُكَابِدُ الشَّوْقَ والْحَنِينْ
أَذْكُرُ أَهْلِي بِهَا ونَاسِي فاليَوْمُ فى الطُّولِ كَالسِّنِينْ

(١) فى الأصلين : « وبرقه » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
٢) فى م : « وكل فعل لهم جميل » .
(٣) فى م : « القلب » .
(٤) فى نفح الطيب : « الرائض » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى م : « السليم » وفى ط : « الوسيم » .
(٦) كذا فى نفح الطيب المطبوع . وفى ط : « تميم » . وفى م : « بهيم » .

اللهُ حَسْبِي فَكَمْ أُقاسِي مِنْ وَحْشَةِ الصَّحْبِ وَالبَنِينْ
مُطارِحًا سَاجِعَ الحَمامِ شَوْقًا إلى الإلْفِ وَالحَمِيمْ
وَالدَّمْعُ قَدْ لَجَّ فى انْسِجَامِ وَقَدْ وَهَى عِقْدُهُ النَّظِيمْ
يا سَاكِنى جَنَّةِ العَرِيفِ أَسْكَنْتُمُ جَنَّةَ الخُلُودْ
كَمْ ثَمَّ مِنْ مَنْظَرٍ شَرِيفٍ قَدْ حُفَّ بالْيُمْنِ وَالسُّعُودْ
وَرُبَّ طَوْدٍ بِهِ مُنِيفٍ أَدْوَاحُهُ الخَضْرُ كالبُنُودْ
[٣٠٢] والنَّهْرُ قَدْ سُلَّ كالحُسَامِ لِرَاحَةِ الشَّرْبِ مُسْتَدِيمْ
والزَّهْرُ قَدْ رَاقَ بابتِسَامِ مُقَبِّلاً رَاحَةَ النَّدِيمْ
بَلِّغْ عُبَيْدَ المَقَامِ صَحْبِي لاَ زِلْتُمُ الدَّهْرَ فى هَنَا
لِقَاكُمُ بُغْيَةُ المُحِبِّ وَقُرْبُكُمْ غَايَةُ المُنَى
فعِنْدَكُمْ قَدْ تَرَكْتُ قَلْبِي فَجَدَّدَ اللهُ عَهْدَنَا
وَدَارَكَ الشَّمْلَ بانْتِظَامِ مِنْ مُرْتَجَى[1] فَضْلِهِ العَمِيمْ
فى ظِلِّ سُلْطَانِنَا الإمَامِ الطَّاهِرِ الظَّاهِرِ الحَلِيمْ[2]
مُؤَمِّنِ العُدْوَتَيْنِ مِمَّا يُخَافُ مِنْ سَطْوَةِ العِدَا
وَفارِجِ الكَرْبِ إنْ أَلَمَّا وَمُذْهِبِ الخَطْبِ[3] والرَّدَى
قَدْ رَاقَ حُسْنًا وفاقَ حِلْمًا وما عَدَا غَيْرَ ما بَدَا
مَوْلاَىَ يا نُخْبَةَ الأَنَامِ وحَائِزَ الفَخْرِ فى القَدِيمْ
كَمْ أَرْقُبُ البَدْرَ فى التَّمامِ شَوْقًا إلى وَجْهِكَ الكَرِيمْ

(١) كذا فى ط . وفى نفح الطيب المطبوع والمخطوط : « من يرتجى » .
(٢) فى م ونفح الطيب : « الحميم » .
(٣) فى م : « الكرب » .

ومن موشحاته معارضا ابن سهل

ومن موشحاته فى غير المخلع ، موطئاً على موشَّحةِ ابن سهل التى أولها :

« ليل الهوى يقظان »

قولُه :

نَوَاسِمُ البُسْتَانْ تَنْثُرُ سِلْكَ الزَّهَرِ
وَالطَّلُّ فى الأغْصَانْ يَنْظِمُهُ بالجَوْهَرِ
وَرَايَةُ[1] الإصْبَاحْ أضَاءَ مِنْهَا المَشْرِقُ
تَنْشُرُهَا الأرْوَاحْ فَلاَ تَزَالُ تَخْفِقُ
والزهْرُ زَهْرٌ فاحْ لها عُيُونٌ تَرْمُقُ
فأَيقِظِ النُّدْمَانْ تُبْصِرُ مَا لَمْ يُبْصَرِ
جَوَاهِرَ الشُّهْبَانْ[2] قَدْ عُرِضَتْ لِلْمُشْتَرِى
قَدَحْتَ لِى[3] زَنْدَا يَأَيُّهَذَا البَارِقُ
أَذْكَرْتَنِى عَهْدَا إِذِ الشَّبَابُ رَائِقُ
فالشَّوْقُ لاَ يَهْدَا وَلاَ الفُؤَادُ الْخَافِقُ
وكَيْفَ بالسُّلْوَانْ والقَلْبُ رَهْنُ الفِكَرِ
وسُحُبُ الهِجْرَانْ تَحْجُبُ وَجْهَ القَمَرِ
لَوْلاَ شُمُوسُ الكَاسْ نُدِيرُهَا بَيْنَ البُدُوزْ [٣٠٣]
وَعَرَّجَ الإِينَاسْ مِنَّا عَلَى رَبْعِ الصُّدُوزْ

(١) فى نفح الطيب : « وراحة » .
(٢) كذا فى م . والشهبان : جمع شهاب . وفى نفح الطيب : « الشبان » ، وهو تحريف . وفى ط : « الهليان » .
(٣) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « له » .

لَكِنْ لها وَسْوَاسْ يُغْرِى بِرَبَّاتِ الخُدُورْ
كَمْ وَالِهٍ هَيْمَانْ بِصُبْحِ وَجْهٍ مُسْفِرِ
ضِيَاؤُهُ قَدْ بَانْ مِنْ تَحْتِ لَيْلٍ مُقْمِرِ
يا مَطْلَعَ الأَنْوَارْ كَمْ فِيكَ مِنْ مَرْأًى جَمِيلْ
وَنُزْهَةَ الأَبْصَارْ ما ضَرَّ لَوْ تَشْفِى الغَلِيلْ
يا رَوْضَةَ الأَزْهَارْ وعَرْفُها يُبْرِى العَلِيلْ
قَضِيبُكِ الفَيْنَانْ يُسْقَى بِدَمْعٍ هَمِرِ
فَلَاعِجُ الأَشْجَانْ فَيْضَ الدُّمُوعِ يُجْرِى[1]
هَلْ فِي الْهَوَى نَاصِرْ أَوْ هَلْ يُجَارُ الهَائِمُ
لَوْ كَانَ لِى زَائِرْ طَيْفُ الخَيَالِ الحَائِمُ
مَا بِتُّ بالسَّاهِرْ وَدَمْعُ عَيْنِي سَاجِمُ
وَالحُبُّ ذُو عُدْوَانْ يَجْهَدُ فى ظُلْمِ البَرِى
وصَارِمُ الأَجْفَانْ مُؤَيَّدٌ بالْحَوَرِ
رُحْمَاكَ فى صَبٍّ أَذْكَرْتَهُ عَهْدَ الصِّبَا
بَوَاعِثُ الحُبِّ قَادَتْ إِلَيْهِ الوَصْبَا
لَمْ تَهْفُ بِالقَلْبِ رِيحُ الصَّبَا إِلَّا صَبَا[2]
بَلِيلَةَ الأَرْدَانْ قَدْ ضُمِّخَتْ بِالعَنْبَرِ
يُشِيرُ غُصْنُ الْبَانْ مِنْها بِفَضْلِ المِئْزَرِ

(١) فى ط : « يمتر » . ولعلها محرفة عن : « يمرى » .
(٢) فى نفح الطيب : « هبا » .

طَيِّبَهَا حَمْدْ فَخْرَ الْمُلُوكِ الْمُجْتَبَى
مَنْ يَرْجُحُ الطَّوْدْ مِنْ حِلْمِهِ إِذَا احْتَبَى
قَدْ جَرَّدَ السَّعْدْ مِنْهُ حُسَامًا مُذْهَبَا
فَالْبَأْسُ وَالْإِحْسَانْ وَالْغَوْثُ لِلْمُسْتَنْصِرِ
تَحْمِلُه الرُّكْبَانْ تَحِيَّةً لِلْمِنْبَرِ
عِصَابَةُ الْكُتَّابْ حُقَّ لَهَا الْفَوْزُ الْعَظِيمْ
تَخْتَالُ فِي أَثْوَابْ أَلْبَسَهَا الطَّوْلُ الْجَسِيمْ
فَحَسْبُهَا الْإِطْنَابْ فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ الْعَمِيمْ [٣٥٤
خَلِيفَةَ الرَّحْمٰنْ لَازِلْتَ زَاهِي(١) الْمَظْهَرِ
يَا مَوْرِدَ الظَّمْآنْ وَرَأْسَ مَالِ الْمُعْسِرِ
خُذْهَا بِلَا دَعْوَى تُزْهَى عَلَى الرَّوْضِ الْوَسِيمْ
جَاءَتْ كَمَا تَهْوَى أَرَقَّ مِنْ لَدْنِ النَّسِيمْ
قَدْ طَارَحَتْ شَكْوَى مَنْ قَالَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمْ(٢)
«لَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانْ وَالْحُبُّ تِرْبُ السَّهَرِ
وَالصَّبْرُ لِي خَوَّانْ وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي بَرِي»

ومن موشحاته فى الصبوحيات

ومن مُخَلَّع البسيط فى الصَّبُوحِيَّات قوله سامحه الله تعالى ورحمه ورضى عنه :

رَيْحَانَةُ الْفَجْرِ قَدْ أَطَلَّتْ خَضْرَاءَ بِالزَّهْرِ تَزْهَرْ

(١) فى م ونفح الطيب : « سامى » .
(٢) فى ط : « السقيم » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

ورَايةُ الصُّبْحِ إِذْ[1] أَظَلَّتْ ... فى مَرْقَبِ الشَّرْقِ[2] تُنْشَرْ

فالشُّهْبُ مِنْ غارَةِ الصَّبَاحِ ... تَرْعَـــدُ خَـوفًا وَتَخْفِقْ

وأَدْهَمُ اللَّيـــلِ فى جِمَاحِ ... أَعِنَّـــةَ الـبَرْقِ يُطْلِقْ

والأُفْقُ فى مُلْتَقى الرِّياحِ ... بأَدْمُـــعِ الغَيْثِ يَشْرَقْ

والسَّحْبُ بالجَوْهَرِ استَهَلَّتْ ... فالْبَرْقُ سَـيْفٌ مُجَوْهَرْ

صِفَاحُهُ المُذْهَبَاتُ حَلَّتْ ... فى رَاحَـةِ الجَوِّ تُشْهَرْ

كَمْ لِلصَّبَا ثَمَّ مِن مَقِيـلِ ... بِطِيبِـــهِ الزَّهرُ يَشْهَدْ

والنَّهْرُ كالصَّارِمِ الصَّـقِيلِ ... فى حِلْيَـةِ[3] النَّوْرِ يُغْمَدْ

ورُبَّ قَالٍ بِهِ وقِيـــلِ ... لِلطَّيرِ فى حِينِ تُنْشِـــدْ

فأَلْسُنُ الوُرْقِ قَدْ أَمَلَّتْ ... مَدَائحًا عَنْـهُ تَشْكُرْ[4]

وَنَسْمَةُ الصُّبْحِ حِينَ كَلَّتْ[5] ... فى سُنْدُسِ الرَّوْضِ تَعْثُرْ

والْـكَاسُ فى رَاحَةِ النَّـدِيمِ ... يَجْلُو بِهـا غَيْهَبَ الهُمُومْ

أَقْبَسَتِ النَّـارَ[6] فى القَدِيمِ ... مِن قَبـلِ أَنْ تُخْلَقَ الـكُرُومْ

والغُصنُ[7] فى مَلْعَبِ النَّسِيمِ ... لِلزَّهْـرِ فى عِطْفِهِ رُقُومْ

فَلَبَّةُ القُضْبِ قَدْ تَحَلَّتْ ... والطَّلُّ فى الحَلْيِ جَوهَرْ

---

(١) فى نفح الطيب : « قد » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « الصبح » . وفى نفح الطيب : « الشمس » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصلين : « فى حلبة » .
(٤) فى ط ونفح الطيب : « تسكر » .
(٥) فى نفح الطيب : « قد تجلت » .
(٦) فى رواية : « النور » .
٧) فى نفح الطيب المطبوع : « والنهر » .

وَبَهجَةُ الكَوْنِ قد تَجَلَّتْ والرَّوْضُ بالْحُسْنِ يَبْهَرْ
يُذْكِرُنِي وَجْنَةَ الْحَبِيبِ والآسَ فى صَفْحَةِ العِذارْ
وشَارِبَ الشَّارِبِ العَجِيبِ بَينَ أَقَاحٍ وجُلَّنَارْ
يُدِيرُ مِن ثَغْرِهِ الشَّنِيبِ سُلَافَةً دُونَها العُقَارْ
حَلَّتْ لِأَهْلِ الهَوَى وَجَلَّتْ بالذِّكْرِ وَالْوَهْمِ تُسْكِرْ
كَمْ مِن نُفُوسٍ بها تَسَلَّتْ فما لها الدَّهْرَ مُنْكِرْ
يَا غُصنَ بَانٍ يَمِيلُ زَهْوَا رَيَّانَ فى رَوْضَةِ الشَّبَابْ
لَوْ كُنْتَ تُصْغِى لِرَفْعِ شَكْوَى أَطَلْتُ مِنْ قِصَّةِ العِتَابْ
وَمَنْ لِمِثْلِي بِبَثِّ نَجْوَى لِلْبَدْرِ[1] فى رَفْرَفِ السَّحَابْ
عَزَائِمُ الصَّبْرِ فِيكَ حُلَّتْ وَعُقْدَةُ الصَّبرِ تُذْخَرْ
قَدْ كَثُرَتْ مِنكَ مَا اسْتَقَلَّتْ وَلَيْتَ لَو كُنْتَ تَشْعُرْ
كَمْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا وَبِتَّا ضِدَّيْنِ فى السُّهْدِ والرُّقَادْ
أُسَامِرُ النَّجْمَ فِيكَ حَتَّى عَلَّمْتُ أَجْفَانَهُ[2] السُّهَادْ
أَرْقُبُ بَدْرَ الدُّجَى وَأَنتَا قَدْ لُحْتَ فى هَالَةِ الفُؤَادْ
نَفْسِيَ وَلَّيْتَ مَا تَوَلَّتْ دَعْهَا عَلَى الشَّوْقِ تَصْبِرْ
لَوْ سُمْتَهَا الهَجْرَ ما تَوَلَّتْ ولَمْ تَكُنْ عَنكَ تَنْفِرْ
عَلَّمَهَا الصَّبْرَ فى الحُرُوبِ سُلْطَانُنَا عَاقِدُ البُنُودْ
مُعَفِّرُ الصَّيْدِ لِلجُنُوبِ أَعَزُّ مَنْ حُفَّ بالْجُنُودْ

(١) فى نفح الطيب المخطوط : « للبرق » .
(٢) فى م : « أجفانها » .

نُصِرْتَ بالرُّعْبِ فى القُلُوبِ وَالْبِيضُ لَمْ تَبْرَحِ الْغُمُودْ
عِنايَةُ اللهِ فِيهِ حَلَّتْ[1] بِسَعْـــدِهِ الدِّينُ يُنْصَرْ
وَالْخَلْقُ فى عَصْرِهِ تَمَلَّتْ غَنَائِمًا لَيسَ تُحْصَرْ
مَوْلاَىَ يَا نُـكْتَةَ الزَّمَانِ دَارَ بِمـا تَرْتَضى الفَلَكْ
جَلَّلْتَ بالْيُمْنِ وَالأَمَانِ كلَّ مَلِيـــكٍ وَمَا مَلَكْ
لَمْ يَدْرِ وَصْـفِى ولاَ عِيَانِى أَمُمَلَّكٌ[2] أَنْتَ أَمْ مَلَكْ
جُنُودُكَ الغُلْبُ حَيْثُ حَلَّتْ بالْنَّصْرِ والفَتْحِ تُخْـــفَرْ
وعَادَةُ اللهِ فِيـــكَ دَلَّتْ أَنَّكَ بالْـكُفْرِ تَظْـــفَرْ
يَا آيَـةَ اللهِ فِى الْـكَمَالِ وَمُخْجِلَ الْبَـدْرِ فِى التَّمَامْ
قَدِمْتَ بِالْعِـــزِّ وَالْجَلاَلِ والدَّهْرُ فِى ثَغْرِهِ ابْتِسَـامْ
يَخْتَالُ فِى حُـــلَّةِ الْجَمَالِ والبَـدْءُ قَدْ عَادَ فِى اخْتِتَامْ [٣٥٦]
رَيْحَانَةُ الفَجْرِ قَدْ أَطَلَّتْ خَضْرَاءَ بالزَّهْـــرِ تَزْهَرْ
ورَايَةُ الصُّبْحِ إِذْ أَظَلَّتْ فِى مَرْقَبِ الشَّرْقِ تُنْشَرْ

ومن موشحاته فى الصبوحيات أيضا

وقال رحمه الله تعالى وسامحه :

قَدْ طَلَعَتْ رَايَـةُ الصَّبَاحِ وآذَنَ اللَّيْـلُ بالرَّحِيلْ
فَبَاكِرِ الرَّوْضَ باصْطِبَاحِ وَاشْرَبْ عَلَى زَهْرِهِ البَلِيلْ
فَالْوُرْقُ هَبَّتْ مِنَ السِّنَاتِ[3] لِمِنْـبَرِ الدَّوْحِ[4] تَخْطُبْ

(١) فى نفح الطيب : « جلت » .
(٢) فى ط : « أملك » .
(٣) فى م والنفح المخطوط : « الثبات » . وظاهر أنها محرفة عن « السبات » .
(٤) فى ط : « الروض » .

تَسْجَعُ مُفْتَنَّةَ اللُّغَاتِ كُلٌّ عَنِ الشَّوْقِ يُعْرِبْ
والغُصْنُ بَعْدَ الذِّهَابِ يَاتِي لِأَكْؤُسِ الطَّلِّ يَشْرَبْ
وأَدْمُعُ السُّحْبِ فِي انْسِيَاحِ فِي كُلِّ رَوْضٍ لَهَا سَبِيلْ[1]
والجَوُّ مُسْتَبْشِرُ النَّوَاحِي يَلْعَبُ بالصَّارِمِ الصقِيلْ
قُمْ فَاغْتَنِمْ بَهْجَةَ النُّفُوسِ مَا بَيْنَ نَوْرٍ وبَيْنَ نُورْ
وشَفِّعِ الصُّبْحَ بِالشُّمُوسِ تُدِيرُهَا بَيْنَنَا البُدُورْ
ونَبِّهِ الشَّرْبَ لِلكُئُوسِ تُمْزَجُ مِنْ رِيقِهِ الثُّغُورْ
مَا أَجْمَلَ الرَّاحَ فَوْقَ رَاحِ صَفْرَاءَ كَالشَّمْسِ فِي الأَصِيلْ
تُغَادِرُ الصَّدْرَ ذَا انْشِرَاحِ لِلْأُنْسِ فى طَيْفِهِ[2] مَقِيلْ
ولاَ تَذَرْ خَمْرَةَ الجُفُونِ فَسُكْرُهَا فِي الهَوَى جُنُونْ
وَلْتَخْشَ مِنْ أَسْهُمِ العُيُونِ فَإِنَّهَا رَائِدُ المَنُونْ
عُرِّضْتُ مِنْهَا إِلَى الفُتُونِ وكُلُّ خَطْبٍ لَهَا يَهُونْ
أَهِيمُ بالْغَادَةِ الرَّدَاحِ والجِسْمُ مِنْ حُبِّهَا عَلِيلْ
لَوْ بِتُّ مِنْهَا عَلَى اقتِرَاحِ نَقَعْتُ مِنْ رِيقِهَا الغَلِيلْ
أُوَاعِدُ الطَّيْفَ لِلمَنَامِ ومَنْ لِعَيْنَيَّ بِالمَنَامْ
أَسْهَرُ فِي لَيْلِهِ التِّمَامِ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ فِي التِّمَامْ
وَأَلْثِمُ الزَّهْرَ فِي الكِمَامْ عَلَيْهِ مِنْ ثَغْرِكَ ابْتِسَامْ

(١) كذا فى النفح المطبوع والمخطوط . وفى ط : « مثيل » . وفى م : « يميل » . وظاهر أن كلتا الروايتين محرف عما أثبتناه .
(٢) كذا فى ط . وفى م : « طبعه » . وفى النفح المطبوع والمخطوط : « طيه » .

سَفَرْت عَنْ مَبْسِمِ الأَقَاحِ وَرِيقُك الْعَذْبُ سَلْسَبِيلْ
قُلْ لِيَ يَا رَبَّةَ الوِشَاحِ هَلْ لِي إِلَى الْوَصْلِ مِنْ سَبِيلْ
يَا كَعْبَةَ الْحُسْنِ زِدْت حُسْنَا وَلِلْهَوَى حَوْلَك الْمَطَافْ
وغُصْنَ بَانٍ إِذَا تَثَنَّى لَوْ حَانَ(١) مِنْ زَهْرِك الْقِطَافْ
[٣٧٥] أَلَا انْعِطَافٌ عَلَى الْمُعَنَّى فَالْغُصْنُ يَزْهُو بِالِانْعِطَافْ
أَصْبَحْتَ تَزْهُو عَلَى المِلَاحِ بِذَلِكَ الْمَنْظَرِ الْجَمِيلْ
وَوَجْهُكَ الشَّمْسُ فِي اتِّضَاحِ (٢) لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَمِيلْ
مَا الزَّهْرُ إِلَّا بِنَظْمِ دُرٍّ تَحْسُدُ(٣) فِي حُسْنِهِ الْعُقُودْ
لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ الأَغَرِّ أَكْرَمِ مَنْ حُفَّ بِالسُّعُودْ
مُحَمَّدِ الْحَمْدِ وَابْنِ نَصْرٍ وَبَاسِطِ الْعَدْلِ فِي الْوُجُودْ
مُسَاجِلِ السُّحْبِ فِي السَّمَاحِ بِالْغَيْثِ مِنْ رِفْدِهِ(٤) الْجَلِيلْ
وَمُخْجِلِ الْبَدْرِ فِي الْلِيَاحِ بِغُرَّةٍ مَا لَهَا مَثِيلْ
يَا مُشْرِبَ الْحُبِّ فِي الْقُلُوبِ وَوَاهِبَ الصَّفْحِ لِلصِّفَاحْ
نُصِرْتَ بِالرُّعْبِ فِي الْحُرُوبِ وَالرُّعْبُ أَجْدَى(٥) مِنَ السِّلَاحْ
قَدْ لُحْتَ مِنْ عَالَمِ الْغُيُوبِ لَمْ تَعْدَمِ الْفَوْزَ وَالنَّجَاحْ(٦)
مَرَّاكُشُ نُهْبَةُ افْتِتَاحٍ وَالصُّنْعُ فِي فَتْحِهَا جَلِيلْ

(١) فى ط : « كان » .
(٢) فى م : « فى افتضاح » .
(٣) فى ط « تعسكر » وهو تحريف .
: ، ط : « رفده » وهو تحريف .
(٥) فى الأصلين : « أجرى » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٦) فى م ونفح الطيب المطبوع : « والفلاح » .

بُشْرَاكَ بالفَتْحِ وَالنَّجَاحِ والشُّكْرُ مِنْ ذَلِكَ القَبِيلْ

ومن موشحاته التهنئة بالشفاء من مرض

ومن غير المخلّع قوله فى الهناء بالشفاء من مرض :

فِى كُئُوسِ الثَّغْرِ مِنْ خَمْرِ اللَّعَسْ[1] رَاحَةُ الارْوَاحْ
وتغشَّى[2] الرَّوْضَ مِسْكِىُّ النَّفَسْ عَاطِرُ الأَرْوَاح
قَدْ كَسَا الأَدْوَاحَ وَشْيًا[3] مُذَهَّبَا يَبْهَرُ الشَّمْسَا
عَسْجَدٌ قَدْ حَلَّ[4] مِنْ فَوْقِ الرُّبَا يُبْهِجُ النَّفْسَا
فَاتَّخِذْ لِلَّهْوِ فِيهِ مَرْكَبَا تَلْحَقِ الأُنْسَا
مِنْبَرُ الغُصْنِ عَلَيْهِ قَدْ جَلَسْ سَاجِعُ الأَدْوَاحْ
حُلَلَ السُّنْدُسِ خُضرًا قَدْ لَبِسْ عِطْفُهُ المُرْتَاحْ
قُمْ تَرَى هَذَا الأَصِيلَ شَاحِبَا حُسْنُهُ قَدْ رَاق
وَلِأَذْيَالِ الغصُونِ سَاحِبَا فِى حِلَى الأَوْرَاق
وَنَدِيمِى قَالَ لِى مُخَاطِبَا قَوْلَ ذِى إِشْفَاق
عَادَةُ[5] الشَّمْسِ بِغَرْبٍ تُخْتَلَسْ هَاتِ شَمْسَ الرَّاحْ
إِنْ أَرَانَا الجَوُّ وَجْهًا قَدْ عَبَسْ أَوْقِدِ المِصْبَاح
وَوُجُوهُ الشَّرْبِ تُغْنِى عَنْ شُمُوسْ كُلَّمَا تَجْلَى
بِلِحَاظٍ أَسْكَرَتْنَا عَنْ كُئُوسْ خَمْرُهَا أَحْلَى [٣٠٨]

(١) فى نفح الطيب : « فى كئوس ... من ذاك اللعس » .
(٢) فى ط : « وعشى » .
(٣) فى ط : « مسكا » .
(٤) فى م : « عسجدى حل » .
(٥) فى م : « غادة » . بالغين المعجمة .

مُظْهِرَاتٍ مِنْ خَبَايَا[1] فِي النفُوسْ ... سُـوَرًا[2] تُتْـلَى

مَا زَمَانُ الأُنْسِ إِلَّا مُخْتَلَسْ ... فَاغْتَنِمْ يَا صَاحْ

وَعُيُونُ الشُّهْبِ تُذْكَى عَنْ حَرَسْ ... تَخْصِمُ النُّصَّاحْ

مَا تَرَى ثَغْرَ الوَمِيضِ بَاسِمَا ... يُظْهِرُ البِشْرَا

وَثَنَاءَ الرَّوْضِ هَبَّ نَاسِمَا ... عَاطِـرًا نَشْرَا

بَثَّ مِنْ أَزْهَارِهِ دَرَاهِمَا ... قَائِلًا بُشْرَى

رَكِبَ الْمَوْلَى مَعَ الظَّهْرِ الفَرَسْ ... وَشُفِي[3] وَارْتَاحْ

بِجُنُودِ اللهِ دَأْبًا يُحْتَرَسْ ... إِنْ غَـدَا أَوْ رَاحْ

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا وَالْهَنَا ... بَعْضُنَا بَعْضَـا

فَزَمَانُ السَّعْدِ وَضَّاحُ السَّنَى ... وَجْهُـهُ الْأَرْضَى

أَثْمَرَتْ فِيهِ العَوَالِي بِالْمُنَى[4] ... ثَمَـرًا غَضَّا

يَجْتَنِي الإِسْلَامُ مِنْهَا مَا اغْتَرَسْ ... سَيْفُهُ السَّـفَّاحْ

فِي ضَمِيرِ النَّقْعِ مِنْهَا قَدْ هَجَسْ ... شُهُبٌ تَلْتَـاحْ

يَا إِمَامًا بِالْحُسَامِ الْمُنْتَضَى ... نَصَرَ الْحَقَّـا

ثَغْرُكَ الوَضَّاحُ مَهْمَا أَوْمَضَا ... أَخْجَـلَ البَرْقَا

وَدُيُونُ السَّـعْدِ مِنْهُ تُقْتَضَى ... تُوسِعُ الحَقَّـا

لَكَ وَجْهٌ مِنْ صَبَاحٍ مُقْتَبَسْ ... بِشْرُهُ وَضَّـاحْ

---

(١) فى نفح الطيب : « خفايا » .

(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « سورة » .

(٣) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « وسقى » .

(٤) فى الأصلين : « بالهنا » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

وَجَمِيلُ الصَّفْحِ مِنْهُ مُلْتَمَسْ مُنْعِمٌ صَفَّاحْ
هَا كَهَا تُمْزَجُ لُطْفًا بِالنَّسِيمْ كُلَّمَا هَبَّا
قَدْ أَتَتْ بِالْبُرْءِ وَالصُّنْعِ الجَسِيمْ تَشْكُرُ الرَّبَّا
أَخْجَلَتْ مَنْ قَالَ فِي الصُّبْحِ الوَسِيمْ مُغْرَمًا صَبَّا
«غَرَّدَ الطَّيْرُ فَنَبِّهْ مَنْ نَعَسْ» يا مُدِيرَ الرَّاحْ
«وَتَعَرَّى الْفَجْرُ عَنْ ثَوْبِ الغَلَسْ»(١) وَانْجَلَى الإِصْبَاح

موشحة له أخرى فى الهناء بالشفاء

وقال فى الهناء بالشفاء أيضاً ، من مُخَلَّع البسيط :

قَدْ أَنْعَمَ اللهُ بِالشِّفَاءِ وَاسْتَكْمَلَتْ رَاحَةُ الإِمَامْ [٣٥٩]
فَلْتَنْطِقِ الطَّيْرُ بِالهَنَاءِ وَلْيَضْحَكِ الزَّهْرُ فِي الكِمَامْ
وُجُودُهُ بَهْجَةُ الوُجُودِ وَبُرْؤُهُ رَاحَةُ النُّفُوسْ
قَدْ لَاحَ فِي مَرْقَبِ السُّعُودِ وَاسْتَبْشَرَتْ أَوْجُهُ الشُّمُوسْ
فَالدَّوْحُ يُومِي إِلَى السُّجُودِ أَكَامُهُ حَطَّتِ(٢) الرُّءُوسْ
وَالزَّهْرُ فِي رَوْضَةِ السَّمَاءِ كَالزَّهْرِ قَدْ رَاقَ بِابْتِسَامْ
والصُّبْحُ مُسْتَشْرِفُ اللِّوَاءِ وَالبَدْرُ مُسْتَقْبِلُ التَّمَامْ
مَحَاسِنُ الكَوْنِ قَدْ تَجَلَّتْ جَمَالُهَا العَقْلَ يَبْهَرُ
عَرَائِسٌ بِالبَهَا تَحَلَّتْ وَالطَّلُّ فِي الحَلْيِ جَوْهَرُ
وَأَلْسُنُ الوُرْقِ قَدْ أَمَلَّتْ مَدَائِحًا عَنْهُ تَشْكُرُ
تَسْتَوْقِفُ الخَلْقَ بِالْغِنَاءِ كَأَنَّهَا تُحْسِنُ الكَلَامْ

(١) هذا الشطر والذى فوقه من بيتين لابن وكيع فى مقطوعة له أوردها ابن منظور فى كتاب « نثار الأزهار فى الليل والنهار » ، ونص البيتين فيه (صفحة ٤٨ طبعة الجوائب) :

« غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالعيش خلس
سل سيف الفجر من غمد الدجى وتعرّى الصبح من قمص الغلس »

(٢) فى الأصلين ونفح الطيب : « غطت » ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .

تُطْنِبُ لِلّٰهِ فِى الثَّنَاءِ تَقُولُ : سَلَّمْتَ يَا سَلَامْ
كَمْ مِنْ . ثُغُورٍ لَهَا ثُغُورُ تَبْسِمُ إِذْ جَاءَهَا البَشِيرُ
وَمِنْ خُدُورٍ بِهَا بُدُورُ يُشِيرُ مِنْهَا لَهُ الْمُشِيرُ
تَقُولُ إِذْ حَفَّهَا السُّرُورُ تَبَارَكَ الْمُنْعِمُ الْقَدِيرُ
قَدْ أَنْعَمَ اللهُ بِالْبَقَاءِ فِى ظِلِّ مَوْلًى بِهِ اعْتِصَامْ
قَدْ صَادَفَ النُّجْحَ فِى الدَّوَاءِ فَالدَّاءُ عَنَّا لَهُ انْفِصَامْ
يَهْنِيكَ مَوْلَاىَ بَلْ يُهَنَّا بِبُرْئِكَ الدِّينُ وَالْهُدَى
فَالْغَرْبُ والشَّرْقُ مِنْكَ يُغْنَى بِمَذْهَبِ الْخَطْبِ وَالرَّدَى
وَاللهِ لَوْلَاكَ مَا تَهَنَّا مَنْ فِيهِ مِنْ سَطْوَةِ الرَّدَى
يَا مَوْرِدَ الأَنْفُسِ الظِّمَاءِ قَدْ كَانَ يَشْتَفُّهَا الأُوَامْ
وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِالبَهَاءِ رَدَدْتَ لِلْأَعْيُنِ الْمَنَامْ
لَوْ أَبْذُلُ الرُّوحَ فِى الْبِشَارَهْ بَذَلْتُ بَعْضَ الَّذِى مَلَكْ
فَأَنْتِ يَا نَفْسُ مُسْتَعَارَهْ مَوْلَاكِ بِالفَضْلِ جَمَّلَكْ
لَمْ أَدْرِ إِذْ أَسْطُرُ الْعِبَارَهْ أَمَلِكٌ هُوَ أَمْ مَلَكْ
[٣٦٠] لَازِلْتَ مَوْلَاىَ فِى هَنَاءٍ تُبَلِّغُ القَصْدَ وَالْمَرَامْ
وَدُمْتَ لِلْمُلْكِ فِى اعْتِلَاءٍ تَسْحَبُ أَذْيَالَهُ الغَمَامْ

موشحة له فى وصف مالقة ومدح الغنى بالله

وقال أيضاً يصف مالقة ويمدح الغنىّ بالله :

عَلَيكِ يَا رَبَّةَ السَّلَامُ وَلَا عَدَا رَبْعَكِ المَطَرْ
مُذْ حَلَّ فى قَصْرِكِ الإِمَامُ فَقُرْبُكِ السُّؤْلُ وَالْوَطَرْ
كَمْ فِيكِ لِلْمُغْرَمِ المَشُوقِ مِنْ مَنْظَرٍ يُبْهِجُ النُّفُوسْ

وَالدَّوْحُ فِى رَوْضِكِ الأَنِيقِ ... لِلشُّكْرِ قَدْ حَطَّتِ الرُّءُوسْ
وَالْجَوُّ مِنْ وَجْهِكِ الشَّرِيقِ ... تَحْسُدُهُ أَوْجُهُ الشُّمُوسْ
وَأَعْيُنُ الزُّهْرِ لَا تَنَامُ ... تَسْتَعْذِبُ السُّهْدَ والسَّهَرْ
تَنْفُثُ مِنْ تَحْتِهَا الغَمَامُ ... تَرْقِيكِ مِنْ أَعْيُنِ الزَّهَرْ[1]
عَرُوسَةٌ أَنْتِ يَا عَقِيلَهْ ... تُجْلَى عَلَى مَظْهَرِ الكَمَالْ
مُدَّتْ لَكِ الكَفُّ مُسْتَقِيلَهْ ... تَمْسَحُ أَعْطَافَكِ الشِّمَالْ
والبَحْرُ مِرْآتُكِ الصَّقِيلَهْ ... تَشِفُّ عَنْ ذَلِكَ الْجَمَالْ
والْحَلْيُ زَهْرٌ لَهُ انْتِظَامُ ... يُكَلِّلُ القُضْبَ بالدُّرَرْ
قَدْ رَاقَ مِنْ ثَغْرِهِ ابتِسَامُ ... وَالوَرْدُ فى خَدِّهَا خَفَرْ
إِنْ قِيلَ مَنْ بَعْلُهَا المُفَدَّى ... وَمَنْ لَهُ وَصلُهَا مُبَاحْ
أَقُولُ أَسْنَى[2] المُلُوكِ رِفْدَا ... مُخَلَّدُ الفَخْرِ بالصِّفَاحْ
مُحَمَّدُ الْحَمْدِ حِينَ يُهْدَى ... ثَنَاؤُهُ عَاطِرَ الرِّيَاحْ
تُخْبِرُ عَنْ طِيبِهِ الْكِمَامُ ... وَالْخُبْرُ يُغْنِى عَنِ الخَبَرْ
فَالسَّعْدُ وَالرُّعْبُ وَالحُسَامُ ... وَالنَّصْرُ آيَاتُهُ الْكُبَرْ
ذُو غُرَّةٍ تَسْحَرُ البُدُورَا ... وَطَلْعَةٍ تُخْجِلُ الصَّبَاحْ
كَمْ رَايَةٍ سَامَهَا ظُهُورَا ... تُظَلِّلُ الأَوْجُهَ الصِّبَاحْ
وَكَمْ ظَلَامٍ[3] جَلَاهُ نُورَا ... أَظْفَرَ بالْفَوْزِ وَالنَّجَاحْ
الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ الْهُمَامُ ... أَعَزُّ مَنْ صَالَ وَافْتَخَرْ

(١) فى م : « البشر » .
(٢) فى ط : « أهنا » .
(٣) فى نفح الطيب : « جهاد » .

[٣٦١] لِسَيْفِهِ فِي الْعِدَا احْتِكَامُ جَرَى بِهِ سَابِقُ القَدَرْ
يَا مُرْسِلَ الخَيْلِ فِي الغِوَارِ(١) لَوْ تَطْلُبُ البَرْقَ تَلْحَقُ
لَكَ الْجَوَارِى إِذَا تُجَارِى سَوَابِقَ الشُّهْبِ تَسْبِقُ
تَسْتَنُّ فِي لُجَّةِ الْبِحَارِ فالْكُفْرُ مِنْهُنَّ يَفْرَقُ
فالدِّينُ وَلْيُقْصَرِ الكَلَامُ بِسَيْفِكَ اعْتَزَّ وَانْتَصَرْ
كَذَاكَ أَسْلَافُكَ الْكِرَامُ هُمْ نَصَرُوا سَيِّدَ البَشَرْ

موشحة له فى وصف بناء المحدث بمالقة

وقال من غير هذا البحر فى المحدث(٢) بمالقة :

قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ أَتَمَّ انْتِظَامْ وَاغْتَنَمَ الأَحْبَابُ قُرْبَ الحَبِيبْ
وَاسْتَضْحَكَ الرَّوْضُ ثُغُورَ الكِمَامْ(٣) عَنْ مَبْسِمِ الزَّهْرِ البَرُودِ الشَّنِيبْ
وَعَمَّمَ النَّوْرُ رُءُوسَ الرُّبَا وَجَلَّلَ النُّورُ صُدُورَ البِطَاحْ
وَصَافَحَ القُضْبَ نَسِيمُ الصَّبَا فالزَّهْرُ يَرْنُو عَنْ عُيُونٍ وِقَاحْ
وَعَادَ لِلرَّوْضِ زَمَانُ الصِّبَا فَقَلَّدَ النَّهْرَ(٤) مَكَانَ الْوِشَاحْ
وَأَطْلَعَ القَصْرُ بُدُورَ التِّمَامْ فِي طَالِعِ الفَتْحِ القَرِيبِ الغَرِيبْ
خُدُورُهَا قَامَتْ مَقَامَ الغَمَامْ لَا أَشْتَكِي مِنْ بُعْدِهَا بِالمَغِيبْ
أَصْبَحْتِ يَا رَيَّةَ مَجْلَى الشُّمُوسْ جَمَالُكِ العَيْنُ بِهِ تُبْهَرُ
وَالبِشْرُ يَسْرِي فِي جَمِيعِ النُّفُوسْ وَرَايَةُ الأُنْسِ بِهَا تُنْشَرُ
وَالدَّوْحُ لِلشُّكْرِ تَحُطُّ الرُّءُوسْ وَأَنْجُمُ الزَّهْرِ بِهَا تَزْهَرُ

(١) الغوار (بالكسر) : الإغارة .
(٢) المحدث : اسم مبنى عجيب كان بمالقة .
(٣) فى الأصلين ونفح الطيب : « الغمام » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .
(٤) فى الأصلين ونفح الطيب : « وعاود النهر . . . فقلد الزهر » ، وما أثبتناه أولى بالسياق .

وَرَاجَعَ النَّهْرُ غِنَاءَ الحَمَامْ وَقَدْ شَدَتْ تَسْجَعُ سَجْعَ الخَطِيبْ
بِمِنْبَرِ الغُصْنِ الرَّشِيقِ القَوَامْ لَمَّا انْثَنَى يَهْفُو بِقَدٍّ رَطِيبْ
يَا حَبَّذَا مَبْنَاكِ فَخْرُ القُصُورْ بِدَوْحِهِ طَالَتْ بُرُوجُ السَّمَا
مَا مِثْلُهُ فِي سَالِفَاتِ العُصُورْ وَلَا الَّذِي شَادَ ابْنُ مَاءِ السَّمَا
كَمْ فِيهِ مِنْ مَرْأَى بَهِيجٍ(١) وَنُورْ فِي مُرْتَقَى الجَوِّ بِهِ قَدْ سَمَا
خَلِيفَةَ اللهِ وَنِعْمَ الإِمَامْ أَتْحَفَكَ الدَّهْرُ بِصُنْعٍ عَجِيبْ
يَهْنِيكَ شَمْلٌ قَدْ غَدَا فِي الْتِئَامْ مُمَهَّدٌ فِي ظِلِّ عَيْشٍ خَصِيبِ
نَوَاسِمُ الوَادِي بِمِسْكٍ تَفُوحْ وَنَفْحَةُ النَّدِّ بِهِ تَعْبَقُ [٣٦٢]
وَبَهْجَةُ السُّكَانِ فِيهِ تَلُوحْ وَجَوُّهُ مِنْ نُورِهِمْ(٢) يُشْرِقُ
وَرَوْضُهُ بِالسِّرِّ مِنْهُ تَبُوحْ بَلَابِلٌ عَنْ وَجْدِهِ تَنْطِقُ
لَوْ أَنَّ مَنْ يَفْهَمُ عَنْهَا الكَلَامْ فَهْيَ تُهَنِّيكَ هَنَاءَ الأَدِيبْ
وَنَهْرُهُ قَدْ سُلَّ مِنْهُ الحُسَامْ يَلْحَظُهُ النَّرْجِسُ لَحْظَ المُرِيبْ
فَأَجْمَلُ الأَيَّامِ عَصْرُ الشَّبَابْ وَأَجْمَلُ الأَجْمَلِ يَوْمُ اللِّقَا
يَا دُرَّةَ القَصْرِ وَشَمْسَ القِبَابْ وَهَازِمَ الأَحْزَابِ فِي المُلْتَقَى
بَشَّرَكَ الرَّبُّ بِحُسْنِ المَآبْ مَتَّعَكَ اللهُ بِطُولِ البَقَا
وَلَا يَزَالُ القَصْرُ قَصْرُ السَّلَامْ يَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ القَشِيبْ
يَتْلُو عَلَيْكَ الدَّهْرُ فِي كُلِّ عَامْ: « نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ »

(١) فى ط : « جميل » .
(٢) فى م : « وبهجة المشكاة ... نورها » .
(٣) فى م : « ما أجل » .

موشحة له أخرى فى الهناء بالشفاء

وقال — رحمه الله — من المُخَلَّع فى الشفاء :

فِي طَالِعِ الْيُمْنِ وَالسُّعُودِ ... قَدْ كَمُلَتْ رَاحَةُ الإِمَامْ
فَأَشْرَقَ النُّورُ فِي الْوُجُودِ ... وَابْتَسَمَ الزَّهْرُ فِي الْكِمَامْ
قَدْ طَلَعَتْ رَايَةُ النَّجَاحِ ... وَانْهَزَمَ الْبَأْسُ وَالْعَنَا
وَقَالَ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ... مُؤَذِّنُ الْفَوْزِ[1] بِالْمُنَى
فَالدَّهْرُ يَأْتِي بِالاقْتِرَاحِ ... مُسْتَقْبِلاً أَوْجُهَ الهَنَا
تَخْفِقُ مَنْشُورَةَ الْبُنُودِ ... وَالسَّعْدُ يَقْدُمُ مِنْ أَمَامْ
وَالأُنْسُ مُسْتَجْمِعُ الْوُفُودِ ... وَاللُّطْفُ مُسْتَعْذَبُ الجِمَامْ
وَأَكْؤُسُ الطَّلِّ مُتْرَعَاتْ ... بِأَنْمُلِ السَّوْسَنِ النَّدِى
وَالطَّيْرُ مُفْتَنَّةُ اللُّغَاتْ ... تَشْدُو بِأَصْوَاتِ مَعْبَدِ
وَالْغُصْنُ يَذْهَبُ ثُمَّ يَاتْ ... بِالسُّنْدُسِ الْغَضِّ مُرْتَدِى
وَالدَّوْحُ يُومِى إِلَى السُّجُودِ ... شُكْرًا لِذِى الأَنْعُمِ الْجِسَامْ
وَالرِّيحُ خَفَّاقَةُ الْبُنُودِ ... تُبَاكِرُ الرَّوْضَ بِالْغَمَامْ
مَظَاهِرٌ لِلْجَمَالِ تُجْلَى ... قَدْ هَزَّ أَعْطَافَهَا السُّرُورْ
وَبَاهِرُ الْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّى ... مَا بَيْنَ نَوْرٍ وَبَيْنَ نُورْ
[٣٦٣] قَدْ هَنَّأَتْ بِالشِّفَاءِ مَوْلَى ... بِعَصْرِهِ تَفْخَرُ الْعُصُورْ
مَا بَيْنَ بَاسٍ وَبَيْنَ جُودِ ... قَدْ مَهَّدَ الأَمْنَ لِلأَنَامْ
فَالدِّينُ ذُو أَعْيُنٍ رُقُودِ ... وَكَانَ لاَ يَطْعَمُ الْمَنَامْ
وَالْكَأْسُ فِي رَاحَةِ السُّقَاةِ ... تَرُوحُ طَوْرًا وَتَغْتَدِى

(١) فى نفح الطيب : « القوم » .

يُهْدِيكَهَا رَائِقُ السِّمَاتِ مَابَيْنَ بَرْقٍ وَفَرْقَـــدِ
وَٱلشَّمْسُ تَذْهَبُ للبَيَاتِ قَدْ لَبِسَتْ ثَوْبَ عَسْجَدِ
وَٱلزَّهْرُ فى اليَانِعِ الجودِ يُقَابِلُ ٱلشَّرْب بابْتِسَامْ
وَٱلرَّوْضُ مِنْ حِلْيَةِ ٱلْفُمُودِ قَدْ جَرَّدَ النَّهْرَ عَنْ حُسَامْ
مَوْلَاىَ يَا أَشْرَفَ ٱلْمُلُوكِ وَعِصْمَةَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينْ
أُهْدِيكَ مِنْ جَوْهَرِ ٱلسُّلُوكِ يَقْذِفُهُ بَحْرُكَ ٱلْمَعِـــينْ
جَعَلْتُ تَنْظِيمَهُ سُـــلُوكِى وَأَنْتَ لِى الْمُنْجِدُ الْمُعِينْ
تَحِيَةُ ٱلْوَاحِدِ الْمجِيـــدِ وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَٱلسَّـــلَامْ
عَلَيْـكَ مِنْ رَاحِمٍ وَدُودِ يَا مُخْجِلَ ٱلْبَـدْرِ فى التِّمَامْ

موشحة له أخرى فى الهناء بالشفاء

وقالَ رَحِمَهُ الله تعالى من الرمَلِ ٱلْمَجْزُوء :

وَجْهُ هَذَا ٱلْيَوْم بَاسِمْ وَشَـذَا الأَزْهَار ناسِمْ
هَاتِهَا [صَاحِ][1] كُئُوسَا جَالِبَـــاتٍ للسُّرُورْ
وَٱرْتَقِبْ مِنْهَا شُمُوسَا طَالِعَـــاتٍ فى بُدُورْ
ما تَرَى الرَّوْضَ عَرُوسَا فى حُـلَى نَوْرٍ وَنُورْ
وَأَتَتْ رُسْلُ النَّوَاسِمْ تَجْتَـلِى هذِى الْمَوَاسِمْ
قَدْ أَهَلَّتْ بالْبَشَائِرْ أَضْحَكَتْ ثَغْرَ الأَزَاهِرْ
سَنَحَتْ فى يُمْنِ طَائِرْ وَنُظِمْنَ كَالْجَـوَاهِرْ
فَانْشُرُوهَا فى العَشَائِرْ إِن هذَا الصُّنْعَ بَاهِرْ
وَأَشِيعُوا فى العَوَالِمْ الْغَنِى بِاللهِ سَـــالِمْ

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

أَىُّ نُورٍ يَتَوَقَّدْ أَىُّ بَدرٍ يَتَلَالَا
أَىُّ فَخرٍ يَتَخَلَّدْ أَىُّ غَيثٍ يَتَوَالَى
إِنَّمَا المَوْلَى مُحَمَّدْ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى
[٣٦٤] كَفُّهُ بَحرُ المَقَاسِمْ وَبِهَا حِجُّ المَبَاسِمْ
خَيْرُ أَمْلَاكِ الزَّمَانِ مِن بَنِي سَعْدٍ وَنَصرِ
مَا تَرَى أَن الشَّوَانِي فى صَعيد البر[1] تَجرِى
قد أَطَارَتْهَا التَّهَانِي دُونَ بِحْرِيٍّ وَبَحْرِ
مُذْ رَأَتْ بَحْرَ النَّعَائِمْ كُلُّهَا جَارٍ وَعَائِمْ
فَهَنِيئًا بِالشِّفَاءْ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينْ
وَلَنَا حُقَّ الهَنَاءْ وَجَمِيعِ المُسْلِمِينْ[2]
إِن جَهَرْنَا بِالدُّعَاءْ يَنْطِقُ الدَّهْرُ أَمِينْ
دُمْتَ مَحْرُوسَ المَكَارِمْ بِظُبَى البِيضِ الصَّوَارِمْ

ومن موشحاته فى تهنئة السلطان موسى بن أبى عنان المرينى

وقالَ يُهَنِّئُ السُّلْطَانَ مُوسَى بنَ السُّلْطانِ أَبى عِنَان وقد وَجَّهَ إليهِ الغَنِيُّ باللهِ أُمَّهُ وَعَيَالَهُ عِنْدَ تَمَلُّكِهِ المَغرِبَ مِنْ قِبَله :

قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ أَتَمّ انْتِظَامْ وَلَاحَت الأَقْمَارُ بَعد المَغِيبْ
وأَضْحَكَ الرَّوْضُ ثُغُورَ الكِمَامْ عَن مَبْسِمِ الزَّهْرِ[3] البَرُودِ الشَّنِيبْ

(١) فى نفح الطيب المخطوط : « النجر » .
(٢) فى نفح الطيب : « العالمين » .
(٣) فى م : « الثغر » مكان : « الزهر » .

وَعَاوَدَ الغُصْنَ زَمَانُ الصِّبَا ... وَأُشْرِبَ الأُنْسَ جَمِيعُ النُّفُوسْ
وعَمَّمَ[١] النَّوْرُ رُءُوسَ الرُّبَا ... وَجَلَّلَ[٢] النُّورُ وُجُوهَ الشُّمُوسْ
وأَطْرَبَ الغُصْنَ نَسِيمُ الصِّبَا ... فَالرَّوحُ لِلشُّكْرِ[٣] يَحُطُّ الرُّءُوسْ
وَاسْتَقْبَلَ الْبَدْرُ لَيَالِي التِّمَامْ ... وصَافَحَ الصُّبْحَ بِكَفٍّ خَضِيبْ
وَرَاجَعَ الأَطْيَارُ سَجْعَ الحَمَامْ ... بِكُلِّ ذِي لَحْنٍ بَدِيعٍ غَرِيبْ
نَوَاسِمُ الوَادِي بِمِسْكٍ تَفُوحْ ... وَنَفْحَةُ النَّـــــدِّ بِهِ تَعبَقُ
وَبَهْجَةُ السُّكَّانِ مِنْهُ تَلُوحْ ... وَجَوُّهُ مِنْ نُورِهِمْ يُشْرِقُ
وَعَرْفُهُ بِالطِّيبِ مِنْهُمْ يَفُوحْ ... كَأَنَّهُ عن عَنْـــبَرٍ يُفْتَقُ
وَالنَّهْرُ قَدْ سُلَّ كَمِثْلِ الْحُسَامْ ... حَبَابُهُ تَطْفُو وَطَوْرًا تَغِيبْ
وَثَغْرُهَا قَدْ رَاقَ مِنْـهُ ابْتِسَامْ ... يُهَنِّئُ الأَحْبَابَ قُرْبَ الْحَبِيبْ
كَوَاكِبٌ أَبْرَاجُهُنَّ الخُـدُورْ ... يَلُوحُ عَنْهَا كُلُّ بَدْرٍ لِيَاحْ
جَوَاهِرٌ أَصْـدَافُهُنَّ القُصُورْ ... نَظَمَهَا السَّعْدُ كَنَظْمِ الوِشَاحْ
يَا حَبَّذَا وَاللهِ رَكْبُ السرُورْ ... يُبَشِّرُ المَوْلَى بِنَيْـلِ اقْتِرَاحْ [٣٦٠]
ابْتَهَجَ الـكَوْنُ بِمُوسَى الإِمَامْ ... وَاخْتَالَ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ القَشِيبْ
وَعَادَهُ يَخْدُمُ مِثْلَ الغُـلَامْ ... شَبَابُهُ قَدْ عَادَ بَعْدَ المَشِيبْ
أَكْرِمْ بِهِ وَاللهِ وَفْدِ الـكَرِيمْ ... مَوْلَاتُنَا «الحُرَّةُ» فِي مَقْدَمِهْ
مَرْضَاتُهَا[٤] تُحظِي بِدَارِ النَّعِيمْ ... وَتُوجِبُ التَّوْفِيقَ مِنْ مُنْعِمِهْ

(١) فى نفح الطيب : « وجم » .
(٢) فى ط : « جل » وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .
(٣) كذا فى الأصلين والنفح المطبوع . وفى النفح المخطوط : « السكر » .
(٤) فى ط : « مرضاته » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

بَشَّرَ بِالنَّصْرِ (١) وَفَتْحٍ جَسِيمْ وَخَيْرُهُ أَجْمَعُ فى مَقْدَمِهْ
لِقَاؤُهَا المَبْرُورُ مِسْكُ الخِتَامْ بَشَّرَكَ اللهُ بِصُنْعٍ عَجِيبْ
وَقصرُكَ المَيْمُونُ قَصرُ السَّلَامْ خُصَّ بِحِفْظٍ مِنْ سَمِيعٍ مُجِيبْ
مَوْلَاىَ يَهْنِيكَ وَحُقَّ الهَنَا قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ كَنَظْمِ السُّعُودْ
قَدْ فُزْتَ بالفَخْرِ وَنَيْلِ المُنَى وَأَنْجَزَ السَّعْدُ جَمِيعَ الوُعُودْ
وَقَرَّتِ العَيْنُ وَزَالَ العَنَا وَكُلَّمَا مَرَّ صَنِيعٌ يَعُودْ
فَلَا يَزَلْ مُلْكُكَ حِلْفَ الدَّوَامْ يَحُوزُ فى التَّخْلِيدِ أَوْفَى نَصِيبْ
يَتْلُو عَلَيْكَ الدَّهْرُ بَعْدَ السَّلَامْ: « نَصرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ »

ومن موشحاته فى وصف غرناطة والطرد وغيرذلك

وقال رحمه الله فى وصف غَرناطةَ والطَّرَد وغيرهما :

لِلهِ مَا أَجْمَلَ رَوْضَ الشَّبَابْ مِنْ قَبلِ أَنْ يُفْتَحَ زَهْرُ المَشِيبْ
فِى عَهْدِهِ أَدَرْتُ كَأْسَ الرُّضَابْ حَبَابُهَا الدُّرُّ بِثَغْرِ الحَبِيبْ
مِنْ كُلِ مَن يُخْجِلُ بَدْرَ التَّمَامْ مَهْمَا تَبَدَّى وَجْهُهُ لِلْعُيُونْ
وَيَفْضَحُ الغُصْنَ بِلِينِ القَوَامْ وَأَيْنَ مِنْهُ لِينُ قَدِّ الغُصُونْ
وَلَحْظُهُ يَمْضِى مَضَاءَ الحُسَامْ وَيُذْهِلُ القَلْبَ بِسِحْرِ الجُفُونْ
أَبْصَرْتُ مِنْهُ إِذ يَحُطُّ النِّقَابْ شَمْساً وَلَكِنْ مَالَهَا مِنْ مَغِيبْ
إِذا تَجَلَّتْ بَعْدَ طُولِ ارْتِقَابْ صَرَفْتُ عَنْهَا اللَّحْظَ خَوْفَ الرَّقِيبْ
مَنْ عَاذِرِى مِنهُ فُؤَادٍ صَبَا لِلَامِعِ البَرْقِ وَخَفْقِ الرِّيَاحْ
يَطِيرُ إِن هَبَّ نَسِيمُ الصَّبَا تُعِيرُهُ الرِّيحُ خُفُوقَ الجَنَاحْ

(١) فى ط : « بالنصح » . والتصويب عن م وتتمح الطيب .

ما أَوْلَعَ الصَّبَ بعَهْدِ الصِّبا وَهَلْ عَلَى مَن قَدْ صَبَا مِنْ جُناحْ
فَقَلْبُهُ مِن شَوْقِهِ فِي ٱلتِهَابْ قَدْ أَحْرَقَ الأَكْبَادَ مِنهُ الوَجِيبْ
وَٱلْجَفْنُ مِنهُ سُحْبُهُ فِي ٱنْسِكَابْ قَد رَوَّضَ الخَدَّ بِدَمْعٍ سَكِيبْ [٣٦٦]
غَرْنَاطَةٌ رَبْعُ الهَنَا وَالمُنَى وَقُرْبُها السُّؤْلُ وَنَيْلُ الوَطَرْ
وَطِيبُهَا بالوَصْلِ لَو أَمْكَنَا لَمْ أَقْطَعِ ٱللَّيلَ بِطُولِ السَّهَرْ
عَمَّا قَرِيبٍ حُقَّ فِيهِ الهَنَا بِيُمْنِ ذِي العَوْدَةِ بَعْدَ السَّفَرْ
وَيَحْمَدُ النَاسُ نَجَاحَ الإِيَابْ بِكُلِ صُنْعٍ مُسْتَجَدٍّ غَرِيبْ
وَيَكْتُبُ الفَأْلُ عَلَى كلِ بَابْ: « نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ »
مَا لَذَّةُ الأَمْلَاكِ إِلا ٱلقَنَصْ لأَنَّهُ الفَأْلُ بَصَيدِ العِدَا
كَمْ شَارِدٍ جُرِّعَ فِيهِ الغُصَصْ وَأُورِدَ المَحرُوبُ وِرْدَ الرَّدَى
وَكَمْ بِذَا[1] الفَحْصِ لَنَا مِن حِصَصْ قَدْ جُمِّعَ البَأْسُ بِها وَالنَّدَى

ومِنهَا بعدَ أَبْيَاتٍ سَقَطَت :

مَوْلَايَ مَوْلَايَ وَأَنتَ الَّذِي جَدَّدْتَ لِلأَمْلَاكِ عَهْدَ الجَلَالْ
وَٱلشَمْسُ وَالبَدْرُ مِن العُوَّذِ لَمَا رَأَتْ مِنْكَ بَدِيعَ الجَمَالْ
وَٱلرَوْضُ فِي نَعْمَتِهِ يَغْتَذِي بِطِيبِ مَا قَدْ حُزْتَهُ مِن خِلَالْ
بُشْرَاكَ بُشْرَاكَ بِحُسنِ المَآبْ تَسْتَضْحِكُ الرَوْضَ بِثَغْرٍ شَنِيبْ
وَدُمْتَ مَحْرُوسَ العُلَا وَالجَنَاب بِعِصْمَةِ ٱللهِ السَمِيعِ المُجِيبْ

(١) فى الأصلين ونفح الطيب : « بدا » ، ولعله محرف عما أثبتناه .

آخر موشحاته وهى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

وقد طال الكلامُ ؛ ولنَجْعَل آخرَ مُوَشَّحَةٍ لهُ رَحِمهُ اللهُ تعَالَى زَهْرِيَّةً فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، تكونُ مِسكَ الختام ، وهى :

لَوْ ترجِعُ الأَيَامُ بَعْدَ الذَّهابْ ... لَمْ تَقْدَحِ الأَشْوَاقُ ذِكْرَى حَبِيبْ
وَكلُّ مَنْ نَامَ بِلَيْلِ الشَّبابْ ... يُوقِظُهُ الدَهْرُ بِصُبْحِ المَشيبْ
يَارَاكِبَ العَجْزِ أَلَا نَهْضَةٌ ... قد ضَيَّقَ الدَهْرُ عَلَيكَ المَجَالْ
لَا تَحسِبَنْ أَنَّ الصِّبَا رَوْضَةٌ ... تَنَامُ فيهَا تَحتَ فَيءِ الظِّلَالْ
فالعَيشُ نَومٌ والرَّدَى يَقْظَةٌ ... والمَرءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخَيَالْ
والعُمر قَد مَرَّ كَمَرِّ السَحَابْ ... والمُلْتَقَى باللهِ عَمَّا قَرِيبْ
وأَنْتَ مَخْدُوعٌ بِلَمعِ السرَابْ[1] ... تَحْسِبُهُ مَاءً ولاَ تَستَرِيبْ
واللهِ مَا الكَونُ بِمَا قَد حَوَى ... إِلاَّ ظِلَالٌ تُوهِمُ الْغَافِلاَ
وعَادَةُ الظِّلِّ إِذَا مَا استوَى ... تُبصِرُهُ مُنْتَقِلاً زَائِلاَ
[٣٦٧] إِنَّا إِلَى اللهِ عَبِيدُ الْهَوَى ... لَم نَعرِفِ الْحَقَّ وَلَا الْبَاطِلَا
فَكُلُّ مَنْ يَرجُو سِوَى اللهِ خَابْ ... وإِنَّمَا الفَوزُ لِعَبدٍ مُنِيبْ
يَستَقْبِلُ الرُّجْعَى بِصِدْقِ الْمَتَابْ ... وَيَرقُبُ اللهَ الشَّهِيدَ القَرِيبْ
يَاحَسرَتَا مَرَّ الصِّبَا وانْقَضَى ... وأَقبَلَ الشَّيْبُ يَقُصُّ الأَثَرْ
واخَجْلَتَا وَالرحْلُ قَدْ قُوِّضَا ... وَمَا بَقِي فِي الخُبْرِ غَيْرُ الخَبَرْ
وَلَيتَنِي لَو كُنْتُ فِيما مَضَى ... أَدَّخِرُ الزَّادَ لِطُولِ السَّفَرْ
قَدحَانَ مِن رَكْبِ التصَابِي إِيَابْ ... ورَائِدُ الرُّشْدِ أَطَالَ الْمَغِيبْ
يَا أَكْمَهَ القَلْبِ بِغَيْنِ الْحِجَابْ ... كَم ذَا أُنَادِيكَ فَلا تَستَجِيبْ

(١) فى ط : « السحاب »

هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِدارِ الْكَرِيمْ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِى شَفِيعٌ مُطَاعْ
فَجَاهُهُ ذُخْرُ الْفَقِيرِ الْعَدِيمْ وَحُبُّهُ زَادِى وَنِعمَ الْمتَاعْ
وَاللهُ سَمَّاهُ الرَّءوفَ الرَّحِيمْ فَجَارُهُ الْمَكْفُولُ مَا إِنْ يُضَاعْ
عَسَى شَفِيعُ النَّاسِ يَوْمَ الحِسَابْ وَمَلْجَأُ الْخَلْقِ لِدَفْعِ الْكُروبْ
يَلْحَقُنِي مِنْهُ قَبُولٌ مُجَابْ يَشْفَعُ لِي فِي مُوبِقَاتِ الذُّنوبْ
يَا مُصطَفَى وَالْخَلْقُ رَهْنُ الْعَدَمْ وَالْكَوْنُ لم يَفْتِقْ كِمَامَ الوُجُودْ
مَزِيَّةٌ أُعْطِيتَهَا فِي الْقِدَمْ بِهَا عَلَى كلِّ نَبِيٍّ تَسُودْ
مَوْلِدُكَ المَرْقُوبُ لَمَّا نَجَمْ أَنجَزَ للأُمَّةِ وَعْدَ السُّعُودْ
نَادَيْتُ لَو يَسْمَحُ لِي بِالْجَوَابْ شَهْرَ رَبِيعٍ : يَارَبِيعَ القُلُوب
أَطْلَعْتَ لِلْهَدْيِ بِغَيْرِ احْتِجَابِ شَمساً وَلَكِنْ مَالَهَا مِنْ غُرُوبِ

وَلْيَكُنْ هَذَا آخِرَ ما أَرَدْنَاه ، وقصَدناهُ من شأن ابن زمرك وسَرَدناه .

* * *

كلام ابن خلدون فى الموشحات والأزجال

وسَنَح لِي أن أَنتَقِي بعض كلام ابن خَلدونَ فى تاريخه الكبير فى ذكر المُوشَّحات والأزجال ، فنقول :

قال رحمه الله : وأما أهل الأندلس فَلَمَّا كثر الشعر فى قُطرهم وتهذَّبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميقُ فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنا منه ، وسموه «بالموشَّح» ، ينظمونه أسماطاً أسماطاً ، وأغصاناً أغصانا ، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدِّد منها بيتاً واحداً ، ويلتزمون عدد قوافى [٣٦٨] تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد ، إلى آخر القطعة ؛ وأكثر ما ينتهى عندهم إلى سبعة أبيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان ، عددها بحسب الأغراض والمذاهب ، ويَنسِبُون فيها ويمدحون كما يُفعَل فى القصائد ، وتجاوَزُوا

فى ذلك إلى الغاية ، واستظرفه الناس جُمْلَةً [١] الخاصّة والكافّة ، لسهولة تناوله ، وقرب طريقه .

وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مُقدَّم بن مُعافَى القَبْرِىّ [٢] من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المَرْوَانى ؛ وأخذ عنه ذلك ابنُ عبدِ رَبِّه صاحبُ كتاب العقد ، ولم يَظهر لها مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما ، فكان أولَ من برع فى هذا الشأن بعدهما عُبَادَةُ القَزَّاز ، شاعر المعتصم بن صُمادِح صاحب المَرِيَّة ؛ وقد ذكر الأعْلَمُ البَطَلْيَوْسِيُّ أنه سمع أبا بكر بنَ زُهْر يقول : كل الوشّاحين عِيال على عُبادة القَزّاز فيما اتفق له من قوله :

بَدْرُ تَمٍّ شَمْسُ ضُحَى غُصْنُ نَقَا مِسْكُ شَمْ
مَا أَتَمْ مَا أَوْضَحَا مَا أَوْرَقَا مَا أَنَمْ
لاَ جَرَمْ مَنْ لَمَحَا قَدْ عَشِقَا قَدْ حُرِمْ

وزعموا أنه لم يَسبق عُبادة وَشّاح من معاصريه ، الذين كانوا فى زمان ملوك الطوائف ؛ وجاء مُصلِّيا خلفَه منهم ابن ارفع رأسه [٣] شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طُلَيْطِلَة [٤] . قالوا : وقد أحسن فى ابتدائه فى الموشحة التى طارت له حيث يقول :

---

(١) فى الأصلين وبعض المراجع : « وحله » .

(٢) كذا فى ط وبغية الملتمس . وهو شاعر معروف فى أيام عبد الرحمن الناصر أيضا . والقبرى (بفتح القاف وسكون الباء الموحدة ثم راء مهملة) : نسبة إلى قبرة ، بلدة بالأندلس بقرب قرطبة . (انظر نفح الطيب ج ١ ص ٦٠٤ طبعة أوربة) . وفى م : « العبرى » . وظاهر أنه مصحف عما أثبتناه .

(٣) هو أبو بكر محمد بن ارفع رأسه (انظر نفح الطيب ج ٢ ص ٥١٣ طبعة أوربة) .

(٤) اسم بلد كبير بالأندلس ، ضبطه صاحب القاموس والصاغانى بضم الطاءين ، وخطأه الشارح فضبطه بضم الأولى وكسر الثانية ، وصوبه نقلا عن مؤرخى المغرب وابن السمعانى وغيرهم .

الْعُودُ قَدْ تَرَنَّمَ بِأَبْدَعِ تَلْحِينْ
وَسَقَتِ[1] المذَانِبْ رِيَاضَ البَسَاتِينْ

وفى انتهائه حيث يقول :

تَخْطِرْ وَلَا تُسَلِّمْ عَسَاكَ المَأْمُونْ
مُرَوِّعُ الكتائبْ يَحْيَى بنُ ذِى الفُونْ

ثم جاءت الحَلْبة التى كانت فى مدة المُلَثَّمين ، فظهرت لهم البدائع ؛ وفُرسان حَلْبتهم الأعمى التُّطِيْلِيّ[2] ، ثم يحيى بن بَقِيّ ، والتُّطِيْلِيّ من الموَشَّحات المُذْهَبَة[3] قوله :

كَيْفَ السَّبيلُ إِلَى صَبْرِى وَفى الْعَالَمْ أَشجَانُ [٣٦٩]
وَالرُّكْبُ وَسْطَ الفَلَا بالخرَّدِ النَّواعِمْ قدْ بَانُوا

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوَشَّاحين اجتمعوا فى مجلس بإشبيليَة ، وكان كل واحد منهم قد صنع موشحة ، وتأنق فيها ، فتقدم الأعمى التُّطِيْلِيُّ للإنشاد ، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله :

ضَاحِكٌ عَنْ جُمَانْ سَافِرٌ عَنْ بَدْرِ
ضَاقَ عنهُ الزَّمَانْ وَحَوَاهُ صَدْرِى

خَرَّقَ[4] ابن بَقِيّ مُوَشَّحَتَه ، وتبعه الباقون .

(١) كذا فى ط . وفى م ونفح الطيب ومقدمة ابن خلدون : « وشقت » .
(٢) كذا فى م ونفح الطيب ؛ وهو منسوب إلى تطيلة « بضم فكسر وياء ساكنة ولام » مدينة بالأندلس فى شرقى قرطبة » راجع معجم البلدان لياقوت . وفى ط والمقدمة : « الطليطلى » .
(٣) فى م : « المذهبية » .
(٤) فى م : « مزق » .

وذكر الأعلم البَطَلْيَوْسِيُّ أنه سمع ابن زُهْر يقول : ما حسدت قَطُّ وَشَّاحا على قول إلا ابنَ بَقِيّ حينَ وقع له :

أَمَا تَرَى أَحْمَـــدْ فِي مجدِهِ العالى لا يُلْحَقْ
أَطْلَعَـــهُ المَغْرِبْ فَأَرنَا مِثْلَهُ يَا مَشْرِقْ

وكان فى عصرهما من الوشاحين المطبوعين أبو بكر بن الأبيض[1] ، وكان فى عصرهم أيضا الحكيم أبو بكر بن باجّه صاحب التلاحين المعروفة .

ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلُويت صاحب سَرَقُسْطة ، فألقى على بعض [قَيْنَاته][2] موشحته [التى أَوَّلُها][2] :

جَرِّرِ الذَّيْلَ أيَّما جَرّ

فَطَرِبَ الممدوح لذلك ، وختمها بقوله :

عَقَدَ اللهُ رَايةَ النَّصْرِ لأمير العُلا أَبى بَكْرِ

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلُويتَ صاح : واطرباه ! وشَقَّ ثيابه ، وقال : ما أحسن ما بدأت وما ختمت ! وحلف بالأيمان المغلّظة[3] ألاَّ يمشىَ ابن باجّة إلى داره إلا على الذَّهَب ، فخاف الحكيم سُوء العاقبة ، فاحتال بأن جَعل ذهبا فى نعله ، ومشى عليه .

ثم قال ابن خلدون بعد كلام : واشتهر بعد هؤلاء فى صدر دولة الموحدين محمد بن أبى الفضل بن شَرَف . ثم قال : وابن هردوس[4] الذى له :

يَا لَيْلَةَ الوَصْلِ والسُّعُودِ باللهِ عُودِى

(١) كذا فى م . وفى ط والمقدمة : « أبو بكر الأبيض » .
(٢) ما بين القوسين عن مقدمة ابن خلدون .
(٣) فى ط : « المعظمة » .
(٤) فى مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق : « ابن بهرودس » .

وابن موهل[1] الذى له :

[٣٧٠] مَا الْعِيدُ فِي حُلَّةٍ وَطَاقِ وشَمٍّ طِيبْ
وإنَّمَا الْعِيدُ فِي التَّلاَقِي مَعَ الْحَبِيبْ

وأبو إسحق الدُّوَيْنى . قال ابن سَعيد : سمعت أبا الحسن سَهل بن مالك يقول إنه دخل على ابن زُهْر وقد أَسَنَّ وعليه زِىّ البادية ، إذ كان يسكن بحصن إسْتِبَه[2] ، فلم يعرفه ، فجلس حيث انتهى به المجلس ، وجَرَّت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها :

كُحْلُ الدُّجَى يَجْرِى مِنْ مُقْلَةِ الْفَجْرِ عَلَى الصَّبَاحْ
ومِعْصَمُ النَّهَرِ فى حُلَلٍ خُضْرٍ مِنَ الْبِطَاحْ

فتحرك ابنُ زُهر ، وقال : أنت تقول هذا ؟ قال : اختبر ؛ قال : ومن تكون ؟ فعرَّفه ، فقال : ارتفع ، فوَاللهِ ما عرفتك . قال ابن سعيد : وسابق الحَلْبة التى أدركت هؤلاء أبو بكر ابن زُهْر ، وقد شرَّقَتْ موشحاته وَغرَّبَتْ . قال : وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول : قيل لابن زُهر : لو قيل لك ما أبدعُ ما وقع لك فى التوشيح ؟ فقال : كنتُ أقول :

مَا لِلْمُوَلَّهْ مِنْ سُكْرِهِ لا يُفِيقْ يالَهُ سَكْرانْ !
[مِنْ غيْرِ خمرِ ما لِلْكئيبِ الْمَشُوقْ يَنْدُبُ الأوطانْ][3]
هَلْ تُستعادْ أيامُنَا بالخليجْ وَلَيالينا
إذْ يُسْتَفادْ مِنَ النَّسيمِ الأريجْ مِسْكُ دَارِينَا

(١) فى نفح الطيب المطبوع : « مؤهل » بالهمز .
(٢) كذا فى مقدمة ابن خلدون . وهى من أعمال إشبيلية . وفى ط : « سبتة » . وفى م : « أشبه » . وهو تحريف .
(٣) التكملة عن مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق .

وَإِذْ يَكادُ حُسْنُ المكان البَهِيجْ أَنْ يُحَيِّينَـــا
نَهْرٌ أَظَـــلَّهُ دَوْحٌ عَلَيْهِ أَنِيقْ مُورِقٌ فَيْنَانْ
والماء يَجْرِى وعـــائمٌ وغريقْ مِنْ جَنَى الرَيْحَانْ

واشتهر بعده ابنُ حَيُّون . إلى أن قال ابن خلدون : وبعد هؤلاء ابنُ حَزْمون بمُرْسِيَة . ذكر ابن الرائس أن يحيى الخزرجى[1] دخل عليه فى مجلسه ، فأنشده موشحة لنفسه ، فقال له ابن حزمون : ما المُوَشَّحُ بموشح حتى يكون عاريا عن التكلّف ؛ فقال : على مثل ماذا ؟ قال على مثل قولى :

يا هاجِرِى[2] هَلْ إِلَى الوِصالِ مِنْكَ سَبِيلْ
أَوْ هَلْ تَرَى عن هَوَاكَ سَالِى قَلْبَ العَلِيلْ

[٣٧١] وأبو الحسن سهل بن مالك بغَرناطة . قال ابن سعيد : كان والدى يُعْجَب بقوله :

إنّ سَيْلَ الصَّبَاحِ فى الشَّرْقِ عادَ بَحْرًا فى أَجْمَعِ الأُفْقِ
فتـــداعتْ نوادِبُ الوُرْقِ أَتَرَاهَا خافَتْ مِنَ الغَرَقِ
فبَكَتْ سُحْرَةً عَلَى الوَرَقِ

واشتهر بإشبيلِيَة لذلك العهد أبو الحسن بن الفَضْل . قال ابن سعيد عن والده : سمعتُ سهلَ بن مالك يقول له : يا بن الفضل ، لك على الوَشّاحين الفضل بقولك :

وَا حَسْرَتا لِزَمَانٍ مَضَى عَيْشِيَةَ بَانَ الهَوَى وانْقَضَى
وأَفْرِدْتُ بِالرَّغْمِ لاَ بِالرِّضَا وبِتُّ عَلَى جَمَرَاتِ الغَضَى

(١) فى م : « يحيى بن الخزرجى » .
(٢) فى ط : « ياساحرى » .

أُعَانِقُ بِالفِكْرِ تِلْكَ الطُّلُولْ وأَلْثِمُ بِالْوَهْمِ تِلْكَ الرُّسُومْ

قال : وسمعت أبا بكر بن الصابونى يُنشدُ الأستاذَ أبا الحسن الدَّبَّاج موشحاته غير ما مرة ، فما سمعته يقول : لله دَرُّك إلا فى قوله :

قَسَمًا بِالهَوَى لِذِى حِجْرِ ما لِلَيْلِ المَشُوقِ مِن فجْرِ
جَمَدَ الصُّبْحُ لَيْسَ يَطَّرِدُ ما لِلَيْلِي — فِيما أَظُنُّ — غَدُ
صَحَّ يَا لَيلُ أَنَّكَ الأَبَدُ
أَوْ فَقُصَّتْ[1] قَوَادِمُ النَّسْرِ فَنُجُومُ السَّماءِ لاَ تَسرِى

ومن [محاسن][2] موشحات ابن الصابونى قوله :

ما حَالُ صَبٍّ ذِى ضَنًى واكتِئَابْ أَمْرَضَهُ يَا وَيْلَتَاه الطَّبِيبْ
عَامَلَهُ مَحْبُوبُهُ باجْتِنَابْ ثُمَّ اقتَدَى فِيه الكَرَى بالحَبِيبْ
جَفَا جُفُونِى النَّوْمُ لٰكِنَّنِي لَمْ أَبكِهِ إِلاَّ لِفَقْدِ الخَيَالْ
وَذَا الوِصَالُ اليَوْمَ قَدْ عَزَّنِي مِنهُ كما شاء وشاء الوِصَالْ
فَلَستُ باللَّائِمِ مَن صَدَّنِي بصُورَةِ الحَقِّ ولا بالمُحَالْ

واشتهر ببرّ العُدْوة ابنُ خَلَفٍ الجزائرىُّ صاحب الموشحة المشهورة :

يَدُ الإصبَاحْ قَدَحَت زِنَادَ الأنوَارْ من مَجَامِرِ الزَّهْرِ

وابنُ خرز[3] البِجائى ، وله من موشحة : [٣٧٢]

ثَغرُ الزَّمَانِ مُوَافِقْ حَيَّاكَ مِنهُ بِابتِسَام

(١) كذا فى إحدى روايات المقدمة طبعة باريس ؛ وقد وردت هذه الكلمة مضطربة فى الأصلين ونفح الطيب .
(٢) هذه الكلمة عن مقدمة ابن خلدون طبعة باريس .
(٣) فى المقدمة طبعة بلاق : « ابن هزر » . وفى نفح الطيب : « خزر » .

ومن محاسن الموشحات [للمتأخرين] [1] ، موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية وسبتة من بعدها ، [فمنها قوله] [1] :

هَلْ دَرَى ظَبْيُ الحمى أَنْ قَدْ حَمَى ... قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكنِسِ
فَهْوَ فِي نَارٍ [2] وَخَفْقٍ مِثْلَمَا ... لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ

وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس [والمغرب لعصره] [3] ، فقال :

جَادَكَ الغَيْثُ إِذَا الغَيْثُ هَمَى ... يا زَمَانَ الوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا حُلُمَا ... فِي الكَرَى أَوْ خُلْسَةَ المُخْتَلِسِ
إِذ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ المُنَى ... تَنْقُلُ الخطوَ عَلَى مَا يَرْسُمُ
زُمَرًا بَينَ فُرَادَى وَثُنَى ... مِثْلَمَا يَدْعُو الوُفُودَ المَوسِمُ
والحَيَا قَدْ جَلَّلَ الرَّوْضَ سَنَى ... فَثُغُورُ الزَّهْرِ [4] فيه تَبْسِمُ
وَرَوَى النُّعمانُ عَن مَاءِ السَّمَا ... كَيفَ يَروِي مَالِكٌ عَن أَنَسِ
فَكَسَاهُ الْحُسْنُ ثَوْبًا مُعْلَمَا ... يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسِ
فِي لَيَالٍ كَتَمَتْ سِرَّ الْهَوَى ... بالدُّجَى لَوْلَا شُمُوسُ الْغُرَرِ
مَالَ نَجْمُ الكَأْسِ فِيها وهَوَى ... مُستَقِيمَ الْسَّيْرِ سَعْدَ الأَثَرِ
وَطَرٌ مَا فيه مِنْ عَيْبٍ سِوَى ... أَنَّهُ مَرَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ
حِينَ لَذَّ النَّوْمُ [5] مَعْ حُلْوِ اللَّمَى [6] ... هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومَ الْحَرَسِ

---

١) هذه الكلمة عن مقدمة ابن خلدون .
(٢) فى نفح الطيب : « فى حر » . (٣) التكملة عن نفح الطيب .
(٤) فى الأصلين ومقدمة ابن خلدون : « فسنى الأزهار » وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٥) كذا فى الأصلين ومقدمة ابن خلدون طبعة بلاق ؛ وفى النفح المطبوع والمخطوط ، والمقدمة طبعة باريس : « الأنس » .
(٦) كذا فى كتاب « العذارى المائسات فى الأزجال والموشحات » . والذى فى الاصلين ونفح الطيب ومقدمة ابن خلدون : « شيئا أو كما » .

غَارَتِ الشُّهْبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا أَثَّرَتْ فِينَا عُيُونُ النَّرْجِسِ
أَىُّ شَىء لامْرِئٍ قَدْ خَلَصَا فَيَكُونَ الرَّوْضُ قَدْ مُكِّنَ[1] فيهْ
تَنْهَبُ الأَزْهَارُ منه الفُرَصَا أَمِنَتْ مِنْ مَكْرِه مَا تَتَّقِيهْ
فَإِذَا الْمَاء تَنَاجَى وَالحَصَى وَخَلا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهْ
تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيُورًا بَرِمَا يَكْتَسِى مِنْ غَيْظِه مَا يَكْتَسِى
وَتَرَى الآسَ لَبِيبًا فَهِمَا يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأُذْنَىْ فَرَسِ
يَأْهَيْلَ الْحَىِّ مِنْ وَادِى الْغَضَى وَبِقَلْبِى مَسْكَنٌ[2] أَنْتُمْ بِهِ
ضَاقَ عَنْ وَجْدِى بِكُمْ رَحْبُ الفَضَا لا أُبَالِى شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
فَأَعِيدُوا عَهْدَ أُنْسٍ قَدْ مَضَى تُعْتِقُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ
وَاتَّقُوا اللهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمًا يَتَلاشَى نَفَسًا فِى نَفَسِ [٣٧٣]
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا أَفَتَرْضَوْنَ عَفَاءً[3] الحبسِ
وَبِقَلْبِى مِنْكُمُ مُقْتَرِبُ بِأَحَادِيثِ الْمُنَى وَهْوَ بَعِيدْ
قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ شِقْوَةَ الْمُغْرَى بِهِ. وهْوَ سَعِيدْ
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَو مُذْنِبُ فى هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدْ
سَاحِرُ الْمُقْلَةِ مَعْسُولُ اللَّمَى جَالَ فى النَّفْس مَجَالَ النَّفَسِ
سَدَّدَ السَّهْمَ وَسَمَّى وَرَمَى فَفُؤَادِى نُهْبَةُ الْمُفْتَرِسِ
إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابَ الأَمَلُ وَفُؤَادُ الصَّبِّ بِالشَّوقِ يَذُوبْ

(١) فى الأصلين : « كن » . وما أثبتناه عن نفح الطيب والمقدمة طبعة باريس . كذا فى م ونفح الطيب المخطوط والمقدمة . وفى ط : « سكن » .
(٢) فى المقدمة طبعة بلاق : « خراب » .

فَهْوَ لِلنَّـــفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ لَيْسَ فى الحُبِّ لمحْبُوبٍ ذُنوبْ
أَمرُهُ مُعْتَمَـــدٌ[1] مُمتَثَلُ فى ضُلوعٍ قَدْ بَرَاهَا وقلوبْ
حَكَّمَ اللَّحْظَ بها فاحْتَكَمَا لَمْ يُرَاقِبْ فى ضِعَافِ الأَنْفُسِ
مُنْصِفَ المَظْلومِ مِمَّنْ ظَلَمَـــا ومُجَازِى البَرِّ مِنْهـــا والمُسِى
مَا لِقَلبِى كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا عَادَهُ عيدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدْ
كانَ فى اللَّوْحِ لهُ مُكْتَتَبَا قَوْلُهُ : «إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدْ»
جَلَبَ الهَمَّ لهُ وَالوَصَـــبَا فهْوَ لِلْأَشْجَانِ فى جَهْدٍ جَهِيدْ
لاَعِجٌ فى أَضْلُعى قَدْ أُضْرِمَا فهْىَ نَارٌ فى هَشِـــيمِ اليَبَسِ
لَمْ يَدَعْ فى مُهْجَتِى إِلاَّ ذَمَا كَبَقَاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الغَلَسِ
سَلِّمِى يَا نَفْسُ فى حُكْمِ القَضَا وَأَعْمُرِى الوَقْتَ بِرُجْعَى وَمَتَابْ
دَعْكِ من ذِكْرَى زَمَانٍ قَدْ مَضَى بَيْنَ عُتْبَى قد تَقَضَّتْ وَعِتَابْ
وَاصْرِفِ القَوْلَ إلى المَوْلَى الرِّضَا مُلْهَمِ التَّوفيقِ فى أُمِّ الـكِتَابْ
الـكَرِيمِ المُنْتَهَى والمُنْتَمَى أَسَدِ السَّرْجِ[2] وبَدْرِ المَجْلِسِ
يَنْزِلُ النَّصْرُ عليْـــهِ مِثلَمَا يَنْزِلُ الوَحْىُ بِرُوحِ القُدُسِ

قال : وأما المشارقة فالتكلُّف ظاهر على ما عانَوْه من الموشَّحات . ومن أحسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سَنَاء المُلْكِ المِصْرِىّ ، التى اشتهرت شرقاً وغرباً ، أولها :

[٣٧٤] حَبِيبِى أُرْفَعْ حِجَابَ النُّـــورْ عَنِ العِذَارْ

(١) فى النفح والمقدمة : « معتمل » .
(٢) فى المقدمة طبعة باريس : « السرح » .

نَنْظُرُ المِسْكَ عَلَى الكافُورْ فى جُلَّنَارْ
كَلِّلِي يَا سُحْبُ تِيجَانَ الرُّبَا بالْحُلِي
وَاجْعَلِي سِوَارَهَا[1] مُنْعَطِفَ الجَدْوَلِ

ولما شاع فن التوشيح فى أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتميق كلامه، وتصريع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا على طريقته بلغتهم الحَضَرية، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا، واستحدثوا فنًّا سموه بالزَّجَل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال، بحسب لغتهم المستعْجِمة.

وأول من أبدع فى هذه الطريقة الزَّجَلية أبو بكر بن قُزْمَان، وإن كانت قيلت قَبله بالأندلس، لكن لم تظهر حِلاها، ولا انسبكت معانيها، ولا اشتهرت رَشاقتها إلا فى زمانه، وكان لِعهدِ المُلَثَّمين[2]، وهو إمام الزجالين على الإطلاق.

قال ابن سعيد: ورأيت أزجاله مَرْوِيَّة ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب. قال: وسمعت أبا الحَسَن[3] بن جَحْدَر الإشبيليّ إمام الزجالين فى عصرنا يقول: ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثلُ ما وقع لابن قُزْمان شيخ الصناعة، وقد خرج إلى متنزه مع بعض أصحابه فجلسوا تحت عريش وأمامهم تمثال أسَد من رُخام يَصُب الماء من فيه على صفائح من الحجر، فقال:

وَعَرِيشْ قَدْ قَامْ عَلَى دُكَّانْ بحالْ رِوَاقْ
وأسَدْ قَدِ ابتلعْ ثُعْبانْ فِي غلْظ ساقْ

(١) كذا فى م وط. وفى كثير من الأصول الأخرى: «سوارك». ولا يستقيم به المعنى، لأن المراد أن تجعل السحب النهر المنعطف سوار الربا.
(٢) هو أبو بكر محمد بن قزمان، توفى سنة ٥٥٥ هـ.
(٣) فى م ونفح الطيب المخطوط: «أبا الحسين».

وَفَتَحْ فَمُو بِحَالْ إِنْسَانْ بِهِ ٱلْفُوَاقْ
وانْطَلَقْ بِجْرِى[1] عَلَى ٱلصَّفَاحْ وَأَلْقَى الصِّيَاحْ[2]

وكان ابن قُزْمان مع أنه قُرْطبِيُّ الدار كثيرا ما يتردد إلى إشبيلية ، ويَنْتاب نهرها .

[٣٧٠] ثم ذكر ابن خلدون عنه وعن جماعة حكاية وكلاما ، إلى أن قال : وجاءت بعدهم حَلْبَة كان سابقها مَدْغَلِّيس ، وقعت له العجائب فى هذه الطريقة ، فمن قوله فى زَجَلِه المشهور :

وَرَذَاذْ دِقّ يِنْزِلْ وَشُعَاع ٱلشَّمْسِ يِضْرَبْ
فَتَرَى ٱلْوَاحِدْ يِفَضَّضْ وِتَرَى الآخَرْ يِذَهَّبْ
وَٱلنَّبَاتْ يِشْرَبْ وِيسْكَرْ وَٱلْغُصُونْ تَرْقُصْ وِتِطْرَبْ
وِتْرِيدْ تِجِى إِلِينَا ثُمَّ تِسْتِحِى وِتِهْرَبْ[3]

ومن محاسن أزجاله قولُه :

* لاحَ الضِّيا والنجوم حَيارَى[4] *

ثم قال ابن خلدون : وظهر بعد هؤلاء فى إشْبِيلية ابن جَحْدر ، الذى فُضِّل على الزجالين فى فتح مَيُوزْقَة بالزَّجل المشهور الذى أوله :

مَنْ عَانَدِ ٱلتَّوْحِيدْ بِالسَّيْفِ يُمْحَقْ أَنَا بَرِى مِمَّنْ يُعَانِدِ ٱلْحَقْ

قال ابن سعيد : لقيته ولقيت تلميذه البعبع[5] صاحب الزجل المشهور الذى أوله :

(١) كذا فى المقدمة طبعة بلاق . والذى فى الأصلين وسائر المراجع : « ثم » .
(٢) فى بعض المراجع : « ولق » . كما أن فى بعضها « الصباح » .
(٣) فى الأصلين : « وترجع » . والتصويب عن مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق .
(٤) فى م والنفح « سكارى » .
(٥) كذا فى الأصلين ونفح الطيب . وفى المقدمة طبعة باريس : « اليعتع » . وبهامشها روايات آخر . وفى المقدمة طبعة بلاق : « المعمع » .

يَا لَيْتَنِى إنْ رِيتْ[1] حَبِيبِى أَفْتِلْ[2] اذْنُو بالرُّسِيلَا[3]
لِيشْ أَخَذْ عُنْق الْغُزَيِّل وَسَرَقْ فمّ الْحُجيلَا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سَهْل بن مالك إمام الآداب ، ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبُنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب ، إمام النظم والنثر فى الملة الإسلامية غير مدافَع ، فمنْ محاسنه فى هذه الطريقة :

امْزِجِ الأَكْوَاسْ وِامْلاَلِى نجدّدْ مَا خُلِق المالْ إلاّ أَنْ يُبَدَّدْ

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الشُّشْتُرِىّ منهم :

بِينْ طُلُوعْ وبِينْ نُزُولْ اِخْتَلَطَت الغزولْ
وَمَضَى مَنْ لَمْ يَكُنْ وَبَقَى مَنْ لَمْ يزُولْ

ومن محاسنه أيضا قوله فى ذلك المعنى :

البُعْدْ عنّكْ يَا بْنِى أَعظَمْ مَصَايِبِى
وحِينْ حَصَلْ لِى قُرْبَكْ نِسِيتْ أَقَارْبِى

وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالأندلس محمد بن عبد العظيم ، من أهل وادى آش ، وكان إماما فى هذه الطريقة ، وله من زجل يعارض به مَدْغَلِّيس [٣٧٦] فى قوله :

* لاَحْ الضِّيَا والنُّجُومْ حَيَارَى *

بقوله :

حَلّ المُجُونْ يَاهْلْ الشَّطَارَا مُذْ جَلّت الشّمْس بالحَمَلْ

(١) كذا فى م . وفى ط والمقدمة طبعة بلاق : «رأيت» . وفى النفح المخطوط : «لقيت» .
(٢) فى الأصلين : «أقبل» . وما أثبتناه عن المقدمة طبعة باريس .
(٣) الرسيلا (فى الأصل) : الرسيلة ، مصغر الرسلة (بالكسر) ، وهى التؤدة والرفق . يريد أنه يعرك أذن حبيبه فى لين ورفق .

ثم ذكر ابن خلدونَ جملة من هذا الزّجَل ، وقال بعد ذلك : وهذه الطريقة الزّجلية لهذا العهد ، هى فَنّ العامّة بالأندلس من الشعر ، وفيها نظمهم ، حتى إنهم لينظمون بها فى سائر البحور الخمسةَ عشر ، لكنْ بلغتهم العامّية ، ويسمّونه الشّعر الزّجَلىّ . إلى أن قال : وكان من المجيدين فى هذه الطريقة لأول هذه المِئَة ، الأديب أبو عبد الله اللّوْشِى ، وله من قصيدة يمدح فيها السلطان ابنَ الأحمر :

طَلّ الصَّبَاحْ قُمْ يَا نَدِيمْ نِشْرَبُو ونِضْحَكُو مِنْ بَعْد مَا نِطْرَبُو

ثم سَرَدها ابن خَلدون ، وهى طويلة جدًا .

ثم قال : ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فَنًّا آخر من الشعر ، فى أعاريضَ مُزْدَوِجة كالموشّح ، نظموا فيه بلغتهم الحَضَرية أيضا ، وسَمّوه عَروض البلد ، وكان أولَ من استحدثه بينهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس ، يُعْرَف بابن عُمَير ، فنظَم قطعة على طريقة المُوَشّح ، ولم يخرج فيها عن مذهب الإعراب [إلا قليلا] (١) ، مطلعها :

أَبكَانِى (٢) بشَاطِى النَّهْرْ نُوحْ الحَمَامْ عَلى الغُصْنِ فى البُسْتَانْ قريب الصَّبَاحْ
وكَفّ السَّحَرْ تَمْحُو مِدَاد الظَّلَامْ ومَاء النَّدَى يجْرِى بِثَغْرِ الأَقَاحْ
باكَرْتُ الرِّيَاضْ وَالطَّلّ فِيهِ افتِرَاقْ سَرّ (٣) الجَوَاهِرْ فى نُحُورِ الجوَارْ
وَدَمْع النَّوَاعِرْ يِنْهَرِق انْهِرَاق يحَاكِى ثَعَابِينْ حَلَقَتْ بالثِّمَارْ
لَوُوا (٤) بالغُصُونْ خَلْخَالْ عَلَى كلّ سَاقْ وَدَارَ الجَمِيعْ بالرُّوض دوْر السِّوَارْ

(١) التكملة عن مقدمة ابن خلدون طبعة باريس .
(٢) فى م : « بكانى » .
(٣) كذا فى المقدمة طبعة بلاق . وفى ط والمقدمة طبعة باريس : « كثير » . وفى م : « كلمن » .
(٤) فى م : « لو ترى » .

وأَيْدِى النَّدَى تخْرِقْ جُيُوب الكِمَامْ ... وَتحْمِلْ نَسِيم المِسْك عَنْهَا رِيَاحْ
وَعَاج الضِّيا يُطْلَى بِمِسْكِ الغَمَامْ ... وَجَرّ النَّسِيمْ ذِيلُو عَلَيهَا وفَاحْ
رَأيتِ الحَمَامْ بِينْ الوَرَقْ فى القَضِيبْ ... قَد ٱبْتَلّت أَرْيَاشُو بِقَطْرِ النَّدَى
يِنُوح مِثْل ذَاكَ المُسْتَهَامِ الغَرِيبْ ... قَدِ ٱلْتَفّ مِنْ ثُوبُو الجَدِيدْ فى رِدَا
ولٰكِنْ بفَاهْ أَحْمَرْ وسَاق خَضِيبْ ... يِنْظِمْ سُلُوكْ جَوْهَرْ ويِثْقَلْدَا [٣٧٧]
جَلَسْ بين الأَغْصَانْ جِلْسة المُسْتَهَامْ ... جَنَاحًا تَوَسَّدْ وٱلْتَوَى فى جَنَاحْ
وصَارْ يشْتكِى مَافِى ٱلْفُؤَادْ مِنْ غَرَامْ ... مِنْهَا ضَمّ مِنْقَارُو لِصَدْرُو وصَاحْ
فَقُلْت أُحَامْ أَحْرَمْت عيْنِي الهُجُوعْ ... أَدِى ماتَزَالْ[1] تبْكِى بِدَمْعٍ سَفُوحْ
قَالْ لِي بَكِيتْ حَتَّى صَفَتْ لِي الدُّمُوعْ ... بِلَا دَمْع يِنْبقَى طُولْ حَيَاتِي يِنُوحْ
عَلَى فَرْخْ طَارْ لِي لَمْ يَكُنْ لُو رُجُوعْ ... أَلِفْت البُكَا والحُزنْ مِنْ عَهْدِ نُوحْ
كذاكْ هُوَ الوَفَا كَذَا هُوَ الذِّمَامْ[2] ... ٱنْظُرْ لِلْجُفُونْ صَارَتْ بِحَالِ الجِرَاحْ
وِانتُمْ منْ بَكى مِنكُمْ إذا تَمّ عَامْ ... يِقُولْ قَدْ عَيَّانى[3] ذَا البُكَا وَالنُّوَاحْ
فَقُلْت احَمَامْ لَوْ خُضْت بَحْر الضَّنَى ... كانْ تِبْكى وَتِرْثِي لِي بِدَمْعٍ هَتُونْ
ولو كانْ بِقَلْبَكْ مَا بقلبى أنَا ... رَمَادْ كانْ يِصِيرْ تحتكْ فُرُوع الغُصُونْ
اليُومْ لِي نُقَاسِى الهَجْرْ كم مِنْ سَنَا ... حَتَّى لا سَبِيلْ جُمْلَهْ تَرانِي العُيُونْ
وِمِمَّا كَسَا [جِسْمِى] النُّحُولْ والسقَامْ ... أَخْفَانِي نُحُولِي عَنْ عُيُونِ اللَّوَاحْ

(١) كذا فى م . وفى بعض المراجع : « أراك ما تزال » .
(٢) كذا فى ط . وفى المقدمة طبعة باريس : « كذا هو الوفا قلت كذا هو الذمام » ، وكذا ورد فى المقدمة طبعة بلاق بنقص كلمة : « قلت » . وفى م : كذا هو الوفا قل لم كذ هو الذمام » .
(٣) فى المقدمة طبعة بلاق : « عنانى » .

لَوْ جَتْنِي المَنَايا كانْ نِمُوتْ فِي المَقَامْ وَمنْ مَاتْ بَعْد يَا قُومْ لَقَدِ اسْتراحْ

ثم قال ابن خلدون : فاستحسنه أهل فاس ، وَوَلِعُوا به ، ونَظَمُوا على طريقته ، وتركوا الإعراب الذى [لَيْس] [1] من شأنهم ، وكثر شياعُه بينهم ، واستفحل فيه كثير منهم ، ونوعوه أصنافا ، إلى المزدوج ، [والكازى] [1] ، والملعَبة ، والغَزَل ؛ واختلفتْ أسماؤها باختلاف ازدواجها ، وملاحظاتهم فيها .

فمن المزدوج ما قاله ابن شجاع ، من فحولهم ، وهو من أهل تازا :

اِلْمَالْ زِينـةِ الدُّنْيَا وعِزّ النُّفُوسْ يِبْهِى وُجُوهًا لَيْسَ هِى بَاهِيَـا
فَهَا كُلّ مَنْ هُوْ كَثير الفُلُوسْ وَلُّوه [2] الـكَلَامْ والرُّتْبَـة العَالِيَا
يِكَبَّرُوا مِن كُتْرَ مَالُو وِلَوْ كَانْ صَغِيرْ ويِصَغَّرُوا عَزِيز القُومْ إِذَا يِفْتِقِرْ
مِنْ ذَا يِنْطِبِقْ صَدْرِى وَمِنْ ذَا يِغِيرْ وِكَادْ يِنْفقـع لَوْلاَ الرُّجُوعْ لِلْقَدَرْ
حَتَّى [3] يِلْتجِى مَنْ هُو فِى قُومُهْ كَبِيرْ لِمَنْ لاَ أَصْل عِنْدُو وَلاَ لُو خَطَرْ
لَقَدْ يِنْبَغِى نِحزَنْ عَلَى ذِى العُـكوسْ ونُصبُغْ عِليهْ ثُوبِي مِن رَاس [4] خَابِيَا
أَدِى صَارَت الأَذْنَابْ أَمَام الرُّءوسْ وَصَارْ يستَفِيدْ الْوَادْ مِنَ السَّاقِيَا
ضَعْف النَّاس عمل ذَا أَو فَسَاد الزَّمَانْ مَا نِدْرِيُو عَلَى مَن نِكَثِّرُو ذَا العِتَابْ
[٣٧٨] أَدِى [صَار] فُلَانِ اليُوم يِصْبَحْ بُو فُلَانْ وَلَوْ رِيتْ وِكِيفْ حَتَّى يِرُدّ الجَوابْ

(١) هذه الـكلمة زيادة عن المقدمة .
(٢) كذا فى مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق . وفى الأصلين : « ألوه » .
(٣) فى المقدمة طبعة باريس : « أدى » .
(٤) فى م والمقدمة طبعة باريس : « فراس » .
(٥) هذه الـكلمة عن المقدمة .

عِشنا والسلام[١] حتى رأينا عِيَانْ أنفاس السلاطين[٢] فى جُلُودِ الكلابْ
كِبارِ النفوس جِدًّا ضِعافِ الأُسُوسْ هُمْ فِي ناحْيا والمجد فى ناحْيـــا
يروا أنَّهُمْ ـ وَالنَّاس يروهُمْ تُيُوس ـ وُجُوه البَـلَدْ والعُمَد[٣] الرَّاسْيَا

ثم ذكر ابن خلدون كلاما آخر لابن شُجاع . ثم قال : وكان منهم على بن المؤذن بتِلِمْسان . [وكان][٤] لهذه العصور القريبة من نحولهم بزَرْهون من نواحى مكناسة[٥] رجل يعرف بالـكفيف ، أبدع فى مذاهب هذا الفن ؛ ومن أحسن ما عَلِق له بمحفوظى قولُه فى رحلة السلطان أبى الحسن و بنى مَرين إلى إفريقية ، يصف هزيمتهم بالقَيْروان ، ويُعزِّيهم عنها ، ويُؤنسهم بما وقع لغيرهم ، بعد أن عَيَّبَهم[٦] على غزاتهم إلى إفريقية فى مَلْعَبَة من فتون هذه الطريقة ، يقول فى مُفْتَتَحِها ، وهو من أبدع مذاهب البـلاغة فى الإشعار بالمقصد فى مطلع الكلام وافتتاحه ، ويُسَمَّى براعة الاستهلال :

سُبْحَانْ مَالِكْ خَوَاطِرِ الأُمَرَا بِنْوَاصِيهَا فى كلِّ حِيْن[٧] وَزْمَانْ
إِنْ طِعْناهْ أَعْظَمْ لنا نَصْرا وإِنْ عَصِيناهْ عاقبْ بكلِّ هَوَانْ[٨]

إلى أن يقول فى السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص :

كُنْ مَرْعِى قُلْ وَلَا تَـكُنْ رَاعِى فالرَّاعِى عَنْ رَعِيَّتُهْ مَسْئُولْ

(١) كذا فى المقدمة . وفى ط : « يبخل بالسلام » . وفى م : « يبخل بالجواب » .
(٢) كذا فى المقدمة . وفى ط « الشياطين » . وفى م : « شياطين » .
(٣) كذا فى المقدمة طبعة باريس . وفى الأصلين والمقدمة طبعة بلاق : « والعمدة » .
(٤) هذه الكلمة عن المقدمة .
(٥) فى م . والمقدمة طبع بلاق : « ضواحى » .
(٦) فى المقدمة طبعة باريس : « عتبهم »
(٧) فى م : « فـكل » .
(٨) كذا فى المقدمة طبعة باريس . وقد ورد هذا البيت مضطربا فى الأصلين .

واسْتَفْتِحْ بالصَّلَاة عَلَى الدَّاعِى ... لِلْإِسْلَامْ وَالرَّضِى السَّنِى المَكْمُولْ
لِلْخُلَفَا الرَّاشِدِينَ وَالأَتْبَاعِ ... وَاذْكُرْ بَعْدَهُمْ إِذَا تحبّ وَقُولْ
أَحُجَّاجًا تخلَّوا الصَّحْـــرَا ... ودَرُوا شَرْح البلاد مع السكانْ
عَسْكَرُ فاسَ المنيرَةِ الغرَّا ... أَيْنَ سارت به عَزَائِمُ السُّلْطَانْ
[٣٧٩] أَحُجَّاجْ بالنَّبى الَّذِى زُرْتمْ ... وَقَطَعْتمْ لُو كَلَاكِل البَيْدَا
عَنْ جِيْش الغرب جِيتْ نِسْأَلْكمْ ... الْمَتْلوفْ فِى أُفْرِيقيَا السودَا
وَأَمِيرْ كَانْ بالعطَا يِزَوِّدْكمْ ... وَيَدَعْ بَرِّيَّة الحِجازْ رَغْـدا
قَامْ كُلّ[1] كَلَسْدْصَادف الجَزَرَا ... وَيِعْجَزْ[2] شُوْطْ بَعْدْ مَا لِحْقَانْ[3]
وتركوا دَمّ ولهَبْ فِى الْغَـبْرَا ... أَدِى صارْ إِذْ غَارْ لَهْ سَيَحانْ[4]
لَوْ كانْ مَا بِيْنْ تُونِسِ الغَرْبَا ... وبِلَادِ الغَرْبْ سَدّ الاسكَندَرْ
مَبْنِى مِنْ شَرْقِها إِلَى غَرْبَا ... طَبَقًا بِحَدِيْدْ وثانيًا بصـــفَرْ[5]
لَا بُدّ لِلطَّيْرْ كانْ يِجِى بِنَبَا ... أَوْ يأْتى الرِّيحْ عنهمْ بفَرْدْ خَبَرْ
مَا أَعْوَضْها مِنْ أمورْ وما شَرَّا ... لَو تُقْرَا كل يوم على الويدان[6]
لَجَرتْ بالدَّمّ وانْصَدَعْ حَجَرَا ... وهَوَتْ الاَجْرافْ وجَفّتْ الغُدْرانْ
اِدْرِى لى بِعَقْلك الفَحَّاصْ ... وَتَفَكَّر لِى بخاطرك جَمْعَا

---

(١) كذا فى ط . وفى م والمقدمة : « قل » .
(٢) كذا فى المقدمة طبعة بلاق . وفى الأصلين والمقدمة طبعة باريس : « وتفجر » .
(٣) كذا فى م والمقدمة طبعة باريس . وفى ط : « يحفان » . وفى المقدمة طبعة بلاق : « يخفان » .
(٤) ورد هذا البيت مضطربا فى ط والمقدمة . وما أثبتناه عن م .
(٥) يريد الصفر (بضم الصاد وسكون الفاء) وهو نوع من النحاس .
(٦) كذا فى الأصلين والمقدمة طبعة باريس . وفى المقدمة طبعة بلاق : « الديوان » . ولعله يريد : « الوديان » ليستقيم المعنى بها فى البيت الآتى .

إن كانْ يعْلَمْ[١] حمامْ ولاَ رَقَّاصْ عَنْ السُّلطانْ شَهْرْ وقَبْلَهُ سَبْعَا
بكْتَابْ عَبْد المُهَيْمنْ القوَّاصْ[٢] وَعلاَمَاتْ تُنْشَرْ عَلَى الصُّمْعَا[٣]
إلاَّ قُوْم عَازْبِينْ بِلاَ سِـــتْرَا مجهُولِينْ لاَ مكانْ وَلاَ إمكانْ
لَمْ يدْرِيُوا كيفْ يصَوّرُوا الكَسْرَا أَوْ كِيف دَخَلوا مدِينَة القيْرَوَانْ
أَمُولاَىْ بُو الحَسَنْ خطِينَا البَابْ بقَضِيّة سَـــيْرنَا إلى تُونسْ
فى غِنَى كنَّا عَنْ الجرِيدْ وَالزّابْ وايْشْ لَكْ بعَرب إفْرِيقيَة القُونس[٤]
ما بَلغَكْ عن عُمَرْ بِن الخَطّابْ الْفَارُوق فَاتِـح القُرَى المُونسْ[٥]
ملَك الشَّامْ وَالحِجَازْ وَتَاج كِسرَى ولَمْ يِفْتَح مِن أُفْرِيقِيَا دُكَّانْ
كانْ إذَا تُذْكَرْ لَهْ كِرِهْ ذِكْرَا ويْقُولْ اسمُهَا[٦] يُفَرّقِ الإِخْوَانْ
هٰذَا الفَارُوقْ زُمُرُّدْ الاَكْوَانْ صَرَّحْ فِى أُفْرِيقيا بذا التَّصريحْ
وَبَقَتْ حِمَى إلَى زَمَنْ عُثْمَانْ وفتَحْها ابن الزُّبَيرْ عن تَصحِيحْ
لَمَّا دَخلتْ غَنايمهَا الدِّيوَانْ مَاتْ عُثْمَانْ وانقَلَبْ عَلِينا الرِّيحْ
وافتَرَق النَّاس عَلَى ثَلاَثْ أُمَرَا وبَقَى ماهو السُّكُوتْ عَنُو إيْمانْ[٧]
إذَا كانْ ذَا فى مُدَّة البَرَرَا إيشْ نِعمِلْ فى أَوَاخِر الأَزْمَانْ
وأَصْحَاب الجَفْر فى كُتَيْبَاتَا وَفى تَارِيخ كَاتْبَا وكيـــوَانَا[٨]

(١) فى ط : « توجد » .
(٢) فى المقدمة طبعة باريس : « الفواص » . وفى طبعة بلاق : « القصاص » .
(٣) يريد الصومعة .
(٤) كذا فى م : « القونس » وفى ط : « القوبس » .
(٥) كذا فى المقدمة طبعة باريس . وفى ط والمقدمة طبعة بلاق : « المولس » . وفى م : « البولس » .
(٦) فى ط : « فيها تفرق » مكان قوله : « اسمها يفرق » .
(٧) فى ط والمقدمة طبعة بلاق : « وتبقى ما هو للسكوات عنوان » .
(٨) كاتب : عطارد . وكيوان : زحل .

[٣٨٠] تذكُرُ فى صُحْفِها[١] وأَبْيَاتَا شِقّ وسَطِيحْ وابن مَرّانَهْ[٢]
ابن مَرِينْ إِذَا انْكَبَتْ بَرَايَاتَا[٣] لِجْدَارْ تُونسْ فَقَدْ سقَطْ شَانَا
قد ذَكَرْنَا ما قَالْ سيِّد الوُزَرَا عِيسَى بن الحَسَن الرَّفيع الشَّانْ
قَالْ لِى رِينَا وَانَا بها أَدْرَى لَكِنْ إِذَا جَا القَضَا عِمِتْ الأَجْفَانْ
وِ يقُولْ لك مَا رَمَى المَرِينِيَّا مِن حَضْرَةْ فَاسْ إِلى عَرَبْ دِيابْ[٤]
رَادْ المَوْلَى يِمُوتْ أَبُو يَحْيَى سُلْطَانْ تُونِسْ وصَاحِب العَتَّابْ[٥]
ولَقَدْ كانْ قَبْـل ذَا الأَشْيَا جَعَلَ أُولادْ أَبُو الحَسَنْ أَنْسَابْ

ثم أخذ فى ترحيل السلطان وجيوشه إلى آخر رحلته ، ومنتهى أمره مع أعراب إفريقية ، وأتى فيها بكل غريبة من الإبداع .

وأما أهل تونس فاستحدثوا فن الملعبة أيضا على لغتهم الحَضَرية ، إلا أن أكثره ردىء ، ولم يَعلَق بمحفوظى [منه شىء][٦] لرداءته .

وكان لعامّة بغداد أيضا فنّ من الشعر يسمونه المَوَاليَا ، وتحته فنون كثيرة ، يُسَمُّون منها القُومَا ، وكانْ وكانْ ، و [منه مفرد ، ومنه فى بيتين ، ويسمونه][٦] دُوبَيْت ، على اختلاف الموازين المعتبرة عندهم فى كل واحد منها ، وغالبها مُزْدَوِجة من أربعة أغصان ، وتبعهم فى ذلك أهل مصر والقاهرة ، وأتوا فيها بالغرائب ،

(١) كذا فى ط والمقدمة . وفى م : « شعرها » .
(٢) فى المقدمة طبعة باريس : « مروانا » .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « نكس » .
(٤) فى المقدمة طبعة باريس : « ذباب » .
(٥) كذا فى المقدمة طبعة باريس . وفى ط : « العتاب » . ولعله يريد : الأعتاب . وفى المقدمة طبعة بلاق : « الأبواب » .
(٦) التكملة عن المقدمة .

وتجاروا[١] فيها بأساليب البلاغة ، بمقتضى لغتهم الحضرية ، فجاءوا بالعجائب .

ورأيت فى ديوان الصَّفِيّ الحِلِّيّ من كلامه[٢] أن الموالِيَّا من بحر البسيط ، وهو ذو أربعة أغصان وأربع قوافٍ ، ويسمى صوتا وبيتين ، وأنه من مخترعات أهل واسط ، وأنّ « كانْ وكانْ » فى قافية واحدة ، وأوزان مختلفة فى أشطاره ، والشطر الأول من البيت أطول من الشطر الثانى ، ولا تكون قافيته إلا مُرْدَفة[٣] بحرف العلة ، وأنه من مخترعات البغداديين ، وأنشد فيه .

ثم ذكر ابن خلدون عدة مقطعات من الموالِيَّا ، ومنها :

نَادِيتُهَا ومَشِيبِي قَـدْ طَوَانِي طَيّ جُودِي عَلَيّ بِقُبْلَهْ فى الهَوَى يَا مَيّ [٣٨١]
قَالَتْ وقَدْ تَرَكَتْ[٤] دَاخِلْ فُؤَادِي كَيّ مَاظُنّ ذَا القُطن يَغْشَى[٥] فم مَن هو حَيّ

ومنها :

يا حادِيَ العِيس أُزْجُرْ بالمَطَايا زَجْر وقفْ عَلَى مَنْزِل أَحْبَابى قُبيل الفَجْر
وصِحْ فِي حَيِّهم يَا مَن يُرِيد الأَجْر يِنْهَض يِصَلِّى عَلَى مَيِّت قَتِيل الهَجْر

ومنها :

عينى التى كُنْت أَرْعَاكُم[٦] بها بَاتِتْ تَرعَى النُّجُومْ وبالتَّسهيدْ اِقْتَاتِتْ
وأَسهُم البِين صابتْنى ولاَ فَاتِتْ وسَلْوِتى[٧] ـ عَظَّم اللهْ أَجْركم ـ مَاتِتْ

(١) فى م والمقدمة طبعة بلاق : « تبحروا » .
(٢) راجعنا ديوان صفى الدين الحلى المطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٢ م ، فلم نجد ذكرا لما أشار إليه ابن خلدون هنا .
(٣) فى ط : « مزدوجة » . وما أثبتناه عن م والمقدمة طبعة باريس .
(٤) فى المقدمة طبعة بلاق : « كوت » .
(٥) فى المقدمة طبعة بلاق : « يحشى » .
(٦) فى ط : « أنظركم » .
(٧) فى ط : « ومهجتى » .

ثم قال : ومن الذى يسمونه دُو بيت :

قَد أَقْسَمَ مَن أُحِبُّـهُ بالْبَارِى أَنْ يَبعَثَ طَيفَهُ مَعَ الأسحارِ

يَا نَارَ أشوافِى[1] بِهِ فاتَّقدِى لَيـــلاً عَسَاهُ يَهْتَدِى بالنَّارِ

واعلم أن الذوق فى معرفة البلاغة منها كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة ، وكثر استعماله لها ، ومخاطبته بين أجيالها ، حتى يُحَصِّل ملكتها ، كما[2] قلناه فى اللغة العربية ، فلا يشعر الأندلسى بالبلاغة التى فى شعر أهل المغرب ، ولا المغربىّ بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمشرق ، ولا المشرقى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمغرب ؛ لأن اللسان الحضرى وتراكيبه مختلفة فيهم ، وكل واحد منهم مدرك بلاغة لغته ، وذائق محاسن الشعر من أهل بلدته ، وفى خَلْق السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ آيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ .

انتهى كلام ابن خلدون فى ديوان العِبَر ، ببعض الاختصار .

اعتذار المؤلف عن ذكره الأزجال

قلت : كأنّ بمنتقد ليس له خِبره ، يُسَدِّدُ سِهام الاعتراض و يتولى كِبْرَه ، ويقول : ما لنا و إدخال الهزل فى معرض الجِد الصُّراح ؟ وما الذى أحوجنا إلى ذكر هذا المَنْحَى والأليقُ طرحه كلّ الاطِّراح ؟ فنقول فى جوابه على الإنصاف :

[٣٨٢] لم تزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف ، وليس مرادهم إيثارَ الهزل على غيره ، وإنما ذلك من باب ترويح القلب ، وهو أعون على خيره ، وللسَّلَف فى مثل ذلك حكايات يطول جَلْبها ، ولا يَقْدَح ذلك فى سكينتهم ، ولا يُتَوَهَّمُ لسببه سلبُها ، ويرحم الله تعالى عِياضا إذ قال :

قُلْ لِلأَحِبَّةِ وَالْحَدِيثُ شُجُونُ مَا ضَرَّ أَنْ شَابَ الوَقَارَ مُجُونُ

الأبيات الآتية فى محلها .

(١) فى الأصلين : « شوقى » . وما أثبتناه عن المقدمة . (٢) فى م : « لما » .

وليس قصدُنا نحن بهذا ، عَلِمَ الله ، غَرَضًا فاسدا ، نُنَفِّقُ منه فى سُوق الهزل كاسدا ، وإنما غَرَضُنا صحيح ، وزَنْدنا غير شحيح . على أن المقصود الأعظم مدح النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الأوزان ، وكلُّ ما سِيق وسيلةٌ إلى ذلك مما راق أو زان .

موشحتان غير منسوبتين فى مدح الرسول

واعلم أيها الناظر ، أذهبَ اللهُ عن ساحتك الأشجان ، أنّ كثيرا من الأئمة مَدَحوا بذلك المبعوثَ رحمة إلى الإنس والجانّ ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، صلاةً وسلاما يتضوع نَشْرُهما فى المشارق والمغارب ، ويتألق نورهما ، فيهتدِى به قائلهما لقضاء الأغراض والمآرب . فمن ذلك قول بعض مَن كَرَع من مَنهَل حبه العذب المشارب ، من مُوَشَّح لم أقف منه إلّا على قوله :

الْبُلْبُلُ فِي الرِّياضِ لَمَّا نَشَدا ... بالْقَوْلِ شَدَا
وَالْغُصْن لَهُ يَمِيلُ حتَّى سَجَدَا ... مِمَّا وَجَدَا
قَدْ مَدَّ لهُ الأَكُفَّ مِنْ غَيْرِ نِدَا ... يَمْتاحُ نَدَى
وَالْوُرْقُ شَدَتْ بِصَوْتِهَا الملحَانِ ... دُونَ العَلَقِ[1]
لَمَّا ذُكِرَ بأَطْيَبِ[2] الأَلْحَانِ ... رَبُّ الْفَلَقِ

يَا أَشْرَفَ مُرْسَلٍ بِهِ اللهُ هَدَى ... مَنْ رَامَ هُدَى
بِالْمَدْحِ لَدَيْكَ عَبْدُ وَهَّابٍ غَدَا ... يَرْجُوكَ غَدَا
يَا مَنْ مَدِيحُهُ جَلَا كلَّ صَدَا ... مِمَّنْ رصَدَا[3]
يَا مَلْجَأَ كلِّ خَائِفٍ أَوْ جَانِي ... بِالذَّنْبِ شَقِي

(١) العلق : الهوى .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « بطيب » .
(٣) كذا فى ط . يريد اتجه إليك وقصدك . وفى م : « صدا » .

[٣٨٣] لاَ زَالَ حِمَاكَ رَوْضَةً لِلْجَانِى وَالْمُنْتَشِـــــقِ

يَا عُرْبَ تِهَامَةٍ حِمَاكُمْ أَرَبِى فِيـــــهِ الْعَرَبِى
فَالسَّعْىُ لِغَيْرِ أَرْضِكُمْ لَمْ يُجِبِ حَثَّ النُّجُبِ
فَالْفَضْلُ لَكُمُ مَعْ كَمَالِ الْحَسَبِ عِنـــــدَ النَّسَبِ
مِنْ مَدْحِكُمُ[1] تَصَرَّمَتْ أَحْزَانِى وَالْفَرْحُ بَقِى
عِنْدِى أَبَدًا وَفَوَّحَتْ أَوْزَانِى مِسْـــكَ الْعَبَقِ

ومن ذلك قول بعض العُدول من أهل العصر القريب من عصرنا ، رحمهم الله تعالى :

يَا عُرَيبَ الحىِّ مِنْ حَىِّ الحِمَى أَنْتُمُ عِيْدِى وَأَنْتُمْ عُرُسِى
لَمْ يَحُلْ عَنكُمْ وِدَادِى بَعْدَمَا حُلْتُمُ ، لاَ وَحَيَاةِ الأَنْفُسِ
مَنْ عَذِيرِى فى الذِى أَحْبَبْتُهُ مَلَّكَ القلبَ شـديدَ البُرَحَا[2]
بَدْرُ تِمٍّ أَرْسَـلَتْ مُقْلَتُهُ سَهْمَ لَحْظٍ لِفُؤَادِى جَرَحَا
إِنْ تَبَدَّى أَوْ تَثَنَّى خِلْتَهُ غُصْنَ بانٍ فَوْقَهُ شَمْسُ ضُحَى
تَطْلُعُ الشَّـــمْسُ عِشاءً عِنْدَمَا تَتَحَلَّى مِنْهُ أَبْهَى مَلْبَسِ[3] [٧٤]
وَتَرَى اللَّيْـلَ أَضَا مُنْهَزِمًا وَتَرَى الصُّبْحَ أَضَا فى الغَلَسِ

يَا حَيَاةَ النَّفْسِ صِلْ بَعْدَ النَّوَى وَالِهًا مُضْنًى شَدِيدَ الشَّغَفِ
قَدْ بَرَاهُ السُّقْمُ حَتَّى ذَا الْهَوَى كاد أن يُفْضِى بهِ لِلتَّلَفِ
آهِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ بِاللِّوَى وَزَمَانٍ بِالْمُنَى لم يُسْعِفِ

(١) فى ط : « مددكم » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « منكم قلبى قبل هذى البرحا » . وفيه تحريف ظاهر .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « تنجلى منه بأبهى ملبس » .

كُنتُ أَرْجُو الطَّيْفَ يَأْتِى حُلْمًا عائداً يَا نَفْسُ مِنْ ذَا فَأْيأسِى
هَلْ يَعُودُ الطَّيْفُ صَبًّا مُغْرَمًا سَاهِرًا أَجْفَانُهُ لَمْ تَنْعُس

هِمْتُ فِى أَطْلَالِ لَيْلَى وَأَنَا لَيس فِى الأَطْلَالِ لِى مِنْ أَرَبِ
مَا مُرَادِى رَامَةٌ وَالْمُنْحَنَى لاَ وَلَا لَيْلَى وَسُعْدَى مَطْلَبِى
إِنَّمَا سَوْلِى وَقَصْدِى وَالْمُنَى سَيِّدُ الْعُجْمِ وَتَاجُ الْعَرَب
[أَحمَد الْمُخْتَارُ طَهَ مَنْ سَمَا الشريفُ ابنُ الشَّرِيفِ الكَيِّس][1]
خَاتَمُ الرُّسْلِ الكَرِيمُ الْمُنتَمَى طَاهِرُ الأَصْلِ زَكِىُّ النَّفسِ

ولم أقف من هذه الموشّحة على غير هذا القدر ، وهو عجيب ، عارض مُوشّحَتى ابن سَهْل وابن الخطيب السابقتى الذكر .

موشحات لابن الصباغ الجذامى فى مدح الرسول أيضا

ومن ذلك جملة مُوَشّحات ، انتقيتها من كلام الشيخ الإمام الصالح الزكى [٣٨٤ الصوفى ، أبى عبد الله محمد بن أحمد بن الصبّاغ الجُذَامِىّ ، وقد ألّف ذلك بعضُ الأئمة فى تأليف رفعه للسلطان المرتضى صاحب مراكش ، وأطال فيه من مُوشّحات هذا الشيخ وسائر نظمه ، ولم أذكر من مُوَشّحاته هنا إلا الغُرَر[2] ، على أنها كلّها غرر ، فمن ذلك قوله رحمه الله :

أَلِفَ الْمُضْنَى الشَّجُونَا وَارْتَضى الأَحْزَانَ دِينَا
فَوْقَ صَفْحِ الوَجْنَتَيْنِ أَهْمَلَ الدَّمْعَ الْهَتُونَا
يَقْطَعُ الأَيَّامَ حُزْنَا وَبُكاءً وعـــويلا
فَارْحَمُوا صَــبًّا مُعَنًّى قَلْبُهُ يُذكِى غَلِيـــلا

(١) هذا البيت عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « هنا على القدر » .

مُلْهَبَ الأَحْشَاءِ مُضْنَى بِالنَّوَى أَضْحَى عَلِيلاَ
ذَابَ شَوْقًا وَحَنِينَا وَسَقَامًا[1] وَأَنِينَا
يَا لَهُ مِنْ حِلْفِ بَيْنٍ يَرْتَضِى فِيكَ الْمَنُونَا

أَتَرَى عَهْدًا تَقَضَّى مِنْكُمُ هَلْ لِى يَعُودُ
فَمَتَى عَنِّىَ تَرْضَى قَدْ بَرَى جِسْمِى الصُّدُودُ
لَمْ أُطِقْ وَاللهِ نَهْضَا فَبِحَقِّ الْحَقِّ جُودُوا
وَارْحَمُوا صَبًّا مُهِينَا كَمْ شَكَا الْبَيْنَ سِنِينَا
وَشُئُونُ الْمُقْلَتَيْنِ تَسْكُبُ الدَّمْعَ الْمَعِينَا

قَدْ ذَوَى غُصْنُ الشَّبَابِ وَمَضَى عُمْرِى وَوَلَّى
آنَ لِى وَقْتُ الإِيَابِ كَمْ أُسَلِّى[2] النَّفْسَ جَهْلاَ
هَذِهِ عِرْسُ الْمَتَابِ فِى قِبَابِ الْوَصْلِ تُجْلَى
حَسَّنُوا فِيهَا الظُّنُونَا وَادْخُلُوهَا آمِنِينَا
قَدْ وَصَلْنَا كُلَّ بَيْنٍ وَعَفَوْنَا وَرَضِينَا

نَحْوَ هَاتِيكَ الرُّبُوعِ فَاجْهَدُوا كَدَّ الْحُمُولِ
وَإِلَى قَبْرِ الشَّفِيعِ أَعْمِلُوا سَيْرَ الرَّحِيلِ
إِنْ تَكُنْ خِلِّى مُطِيعِى يَمِّمَنْ خَيْرَ رَسُولِ
كُنْ لِى يَا رَبِّ مُعِينَا وَصِلِ الصَّبَّ الْحَزِينَا
قَبْلَ أَنْ يَحِينَ حَيْنِى وَأَرَى الْمَوْتَ يَقِينَا [٣٨٥]

(١) فى م : « وبكاء » .
(٢) فى م : « أمنى » .

نَمَّ رَيْحَانُ التَّدَانِي وَسَرَتْ رِيحُ الْوِصَالِ
قَدْ صَفَا وِرْدُ الأَمَانِي فَانْتَهِضْ نَحْوَ المَعَالِي
صَاحِ كَمْ هَذا التَّوَانِي فَاسْتَمِعْ عَذْبَ المَقَالِ
وَبَلِينَا وَابْتُلِينَا وَاشْ يَقُول النَّاس فِينَا
قُمْ بِنَا يَا نُور عيني نَجْعَل الشَّكَّ يَقِينَا

وقولُه فى التشوّق إلى مكة وطَيْبة ، على ساكنها الصلاة والسلام :

زَهْرُ شَيْبِ المَفَارِقْ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ الْكِمَامْ
فَابْكِ الزَّمَانَ الْمُفَارِقْ وَحَاكِ فِي النَّوْحِ الْحَمَامْ
عُوِّضْتُ بالصُّبْحِ الأَصِيلْ وَقَدْ عَرَا الْبَدْرَ انْكِسَافْ
أَلَمَّ بِالْغُصْنِ الذُّبُولْ وَكَانَ لَدْنًا ذَا انْعِطَافْ
رِيحُ الصَّبَا كَانْ[1] تُمِيلْ كَأَنْ سُقِى صِرْفَ السُّلَافْ[2]
حَتَّى[3] رَمَى الْقَلْبَ رَاشِقْ وَفُوِّقَتْ نَحْوَى السِّهَامْ
وَلِسَانُ الْحَالِ نَاطِقْ يُخْبِرُنِى أَنْ لَا دَوَامْ
يَا بَدْرَ أَيَّام الشَّبَابْ هَلْ لِلْأُفُول مِنْكَ[4] طُلُوعْ
أَضْحَى فُؤَادِى ذا الْمُذَابْ حَلِيفَ أَشْجَانٍ فَزُوعْ
وَنَارُ حُزْنِى فِي الْتِهَابْ تُذْكَى بِأَحْنَاءِ الضُّلُوعْ
فَإِنْ هَفَا الْبَرْقُ خَافِقْ ذَكَرْتُ عَهْدِى بِالْخِيَامْ

(١) فى ط : « فيها » .
(٢) فى الأصلين : « الزلال » ، وظاهر أنه خطأ من النساخ .
(٣) فى م : « حين » .
(٤) فى ط : « من » .

وَإِنْ تَأَوَّهَ عَاشِقْ سَاجَلْتُ فِي دَمْعِي الغَمَامْ

وَلَّى الشَّبَابُ وَانقضَى فَدَمْعُ عَيْنِي فِي انْهِمَالْ
وَفِي الحَشَى جَمْرُ الغَضَا لِفَقْدِ هَاتِيكَ اللَّيَالْ
يَا عَهْدَ أَيَّامِ الرِّضَا هَلْ رَجْعَةٌ تُدْنِي الْوِصَالْ
تَحْيَا بِهَا نَفْسٌ وَامِقْ مُضْنَى الفؤَادِ مُسْتَهَام
نَحْوَ العُذَيْبِ وَبَارِقْ يَحْدُو بِهِ حَادِي الغَرَامْ

(١) يَهِيجُهُ لَمْعُ البَوَارِقْ مِنْ طَيْبَةٍ حِينَ تُشَامْ
فَإِنْ تَعُقْنِيَ العَوَائِقْ أَلْصَقْتُ خَدِّي بِالرَّغَامْ

[٣٨٦] يَا دَارُ هَلْ يَدْنُو المَزَارْ فَيَعْقُبَ اللَّيْلَ الصَّبَاحْ
لَهْفِي عَلَى بُعْدِ الدِّيَارْ وَقَصِّ أَرْيَاشِ الجَنَاحْ
مَتَى أُرَى أَحْدُو القِطَارْ فَقَدْ بَرَانِي الِانْزِاحْ
أَشْدُو المَطَايَا السَّوَابِقْ (٢) مُزَمْزِمًا عِنْدَ المَقَامْ :
ثَغْرُ الزَّمَانِ المُوَافِقْ حَيَّاكَ مِنْهُ بِابْتِسَامْ

وقولُه رحمه الله :

رُسُومُ ظَاهِرِ البِلَى بِكُلِّ رَسْمٍ طَاسِمٍ (٣) عُنْوَانْ
وَرَبْعُهُمْ (٤) مَا أَشْكَلَا مِنْهَا لِكُلِّ حَازِمٍ تِبْيَانْ

(١) جاءت هذه « القفلة » فى ط دون م . وكان من حقها أن تسبق بدور ذى ستة أغصان على نظام أدوار هذه الموشحة . أو لعلها زائدة .
(٢) فى م : « بالسوائق » .
(٣) فى ط : « ظاهر » .
(٤) فى م : « وعنهم » .

قِفْ بِالدِّيَارِ وَاعْتَبِرْ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ العِبَرْ
وَانْظُرْ[1] لَهَا وَازْدَجِرْ فَإِنَّ فِيهَا الْأُجَرْ
كَمْ مَعْلَمٍ قَدْ دَثَرْ فَلَمْ يَبِنْ مِنْهُ أَثَرْ
تَبْكِيهِ وُرْقُ الْفَلَا وَفِي بُكَا الْحَمَام أَشْجَانْ
فَلْنَنْتَدِبْ إِلَى الطُّلَا فَفِي فُؤَادِ الْهَائِمْ أَحْزَانْ

سَمَاعا من الْوُجُودْ[2] عَنْهُ تفاهم العُقُولْ[3]
فَغَيْبَةٌ وَشُهُودْ كِلَاهُمَا عينُ الدَّلِيلْ
حَتَّى مَتَى يَا مُرِيدْ تَخْتَالُ فِي ثوب الْخُمُولْ
تَشْكُو لَنَا الْعِلَلَا وَأَنْتَ بِالْمَآثِمِ جَذْلَانْ
فَلُذْ بِعِزِّ الْعُلَا فَعِنْدَنَا لِلنَّادِمِ إِحْسَانْ

فَنَاء أَهْلِ الطَّرِيقْ هُوَ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ
فَكُلُّ مَعْنًى دَقِيقْ بِوَصْفِهِمْ يُحَقَّقُ
أَنْوَارُهُمْ فِي شَرِيقْ بِهَا اسْتَضَا الْمُوَفَّقُ
قَدْ أَوْضَحُوا السُّبُلَا فَهُمْ لَنَا فِي الْعَالَمِ بُرْهَانْ
فَاجْنَحْ إِلَيْهِمْ وَلَا تُغْفِلْ لِلْوَاسِمْ إِبَّانْ

يَا نَاسِيًا لِوَصْلِنَا أَيقِظْ مِنَ النَّوْمِ الجُفُونْ
سَلِّمْ إِلَيْنَا فَعْلَنَا مَا كَانَ مِنْهُ أَوْ يَكُونْ
لَا حَوْلَ إِلَّا حَوْلُنَا فَانْفِ الشُّكُوكَ وَالظُّنُونْ

(١) فى ط : « وانطق » .
(٢) كذا ورد هذا الشطر بالأصلين .
(٣) فى م : « عنه نبا فهم العقول » .

[٣٨٧] يَا غَادِرًا قَدْ سَـــلَا أَقْصِرْ فَلَيْسَ يَجْمُلُ سُلْوَانْ
لِلّٰهِ مَا أَجْمَـــــلَا مَنْ بَاتَ وَهْوَ بِالْهَوَى نَشْوَانْ

يَا طَالِبًا لِلنَّـــــدَى يَبْغِي السَّمَاحَـــةَ وَالنَّوَالْ
يَمِّمْ — فُدِيتَ — أَحْمَـدَا بَدْرَ الْعُلَا شَمْسَ الْكَمَالْ
وَعَدٌّ عَمَّنْ شَـــدَا وَاسْتَغْرَقَ الْمَدْحَ وَقَالْ:
إِنْ جِئْتَ أَرْضَ سَلَا تَلْقَاكَ بِالْمَكَارِمِ فِتْيَانْ
هُمُ سُطُورُ الْعُـــلَا وَيُوسُفُ بْنُ الْقَاسِمِ عُنْوَانْ

وقوله رحمه الله :

بِأَرْضِ طَيْبَةَ مَعْهَدْ شَوْقِي إِلَيْـهِ مُجَدَّدْ
هَلْ لِي بِتِلْكَ الطُّلُولِ
مِنْ زَوْرَةٍ وَمَقِيـلِ
يَاقَبْرَ خَـــيْرِ رَسُولِ
مَـتَى يَرَاكَ فَيَسْعَدْ صَبٌّ بِبُعْدِكَ مُكْمَدْ؟
مُذْ قَدْ بَرَاه انْـبِزَاحُ
وَقُصَّ مِنْـــهُ الْجَنَاحُ
لَهُ إِلَيْـكَ ارْتِيَاحُ
بِالْغَرْبِ أَضحَى مُقَيَّدْ وَالضَّعْفُ وَالشَّيْبُ يُشْهَدْ
رَبْعُ التَّوَاصُـــلِ أَقْوَى
فَمَنْ عَلَى الْهَجْرِ يَقْوَى
قد صَيَّرَ الجسمَ نِضْوَا

سَهْمُ بِعادٍ مُسَدَّدْ لَقَدْ[1] رَمَانِى فَأَقْصَدْ
مَتَى يُتَاحُ التَّدَانِى
لِمُكْمَدِ الْقَلْبِ عانِى
يَشْدُو بِكُلِّ لِسَانِ
عَسَى الَّذِى كُنْتُ أَعْهَدْ مِمَّا تَقَضَّى يُجَدَّدْ
يَا بُغْيَتِى يا مُرَادِى
أَشْكُوكَ فَرْطَ بِعَادِى
فى كُلِّ وَادٍ أُنادِى :
مَالِىَ غَيْرَكَ مَقْصِدْ فَكَيْفَ بِالْهَجْرِ أُقْصَدْ
فَوَّضْتُ أَمْرِى إِلَيْكَا
فَذَاكَ وَقْفٌ عَلَيْكَا
مَالِى شَفِيعٌ لَدَيْكَا
إِلَّا بُكَائِىَ سَرْمَدْ فَمَنْ عَلَى الْحُسْنِ[2] يُسْعِدْ
بِى فَافْعَلْ مَا تَشَا
أَضْحَى لِى مِنْكَ الرَّجَا
فَكُلُّ دَاءٍ دَوَا
وَكُلُّ رَأْيِى[3] مُسَدَّدْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُرَشَّدْ

(١) فى ط : « حين » .
(٢) كذا فى الأصلين ؛ ولعلها : « الحزن » .
(٣) فى م : « رأى » .

وقوله رحمه الله :

قُمْ وَنَاجِ اللهَ فِي دَاجِي الْغَلَسْ تَنْتَشِي الأَرْوَاحْ[1]
وَالْتَمِسِ لِلْعفْوِ فِيهِ مُلْتَمَسْ وَانْتَبِهْ قَدْ فَاحْ
عَرْفُ أَزْهَارِ الرِّضَا ثُمَّ اقْتَبِسْ نُورَ رُشْدٍ لاَحْ
وَانْتَشِقْ يَا صَاحِ أَرْوَاحَ السَّحَرْ يَا لَهَا مَشْمُومْ
[٣٨٨] عَرْفُهُ إِنْ هَبَّ فِي إِثْرِ الزَّهَرْ يُنْعِشُ المَزْكُومْ
مَرِّغِ الخَدَّ وَنَادِ بِالنَّحِيبْ وَاهْمِلِ الأَجْفَانْ
قِفْ بِمَغْنَاهُمْ وُقُوفَ مُسْتَرِيبْ حَالَفَ الأَشْجَانْ
وَاشْكُ إِنْ وَافَقْتَ إِصْغَاءَ الطَّبِيبْ عِلَّةَ الهِجْرَانْ
فَعَسَى بِالوَصْلِ تُحْيِي مَا دَثَرْ وَيَطِيبُ النَّعِيمْ
فَالنَّوَى مَا إِنْ عَلَيْهِ مُصْطَبَرْ وَالبِعَادُ أَلِيمْ
يَا رَحِيمَ الخَلْقِ رُحْمَاكَ فَقَدْ جِئْتُ مَغْنًى رَحِيبْ
لَيْسَ لِلعَبْدِ عَلَى النَّارِ جَلَدْ وَهْوَ عَبْدٌ مُرِيبْ
عَبْدُ سَوْءٍ [لحاك][2] قَدْ قَصَدْ يَشْتَكِي بِالذُّنُوبْ
مَنْ لَهُ يَوْمَ تَرَامَى بِالشَّرَرْ زَفَرَاتُ الجَحِيمْ
فَيَهَابُ الخَلْقُ[3] مِنْ خَيْرِ البَشَرْ عَافِنِي يَا رَحِيمْ
أَنَا مَا بَيْنَ مَقَامَيْنِ مُقِيمْ أَوْرَثَانِي شَجَا

(١) فى م : « تقتنى الأرباح » .
(٢) السياق ووزن البيت يقتضيان هذه الكلمة أو ما فى معناها .
(٣) فى ط : « فيها ندا الخلق » .

فِي فُؤَادِي مِنْ دُمُوعِي كَلُومْ قَلَّمَا تُرْتَجَى
وَاعْتِلاَقِي بِجَنَابِ الكَرِيمْ مُشْعِرٌ بِالنَّجَا
هَا أَنَا فِي الحَالَتَيْنِ فِي خَطَرْ وَالفُؤَادُ سَلِيم
سَلَكَ التَّوْحِيدُ فيهِ بِالنَّظَرْ سُبْلَ نَهْجٍ قَوِيم

أَحَلِيفَ الحُزْنِ تَشْكُو بِالبِعَادْ لُذْ بِمَجْدٍ(١) أَثِيل
فِي قِبَابِ المَجْدِ تَحْظَى بِالْمُرَادْ حَيْثُ(٢) حَلَّ الرَّسُول
عِنْدَهُ يَشْفِي صَدَاهُ الفُؤَاد وَاسْأَلَنْ مَنْ يَقُول:(٣)
« لَيْتَنِي رَمْلَةُ الحَرَّهْ »(٤)

وقوله رحمه الله :

نَأَتْ بِيَ الأَوْطَانْ عَنْ حَضْرَةِ الإِحْسَانْ وَلاَ مُعِينْ
فَمَنْ لِذِي أَحْزَانْ لِطَيْبَةٍ قَدْ كَانْ لَهُ حَنِينْ

شَطَّتْ بِيَ الدَّارُ فَيَا شَوْقَاهُ لِيَثْرِبْ
أَحْبَابُهُ(٥) سَارُوا وَالبَيْنُ أَقْصَاهُ بِالمَغْرِبْ
فِي قَلْبِهِ نَارُ تُذْكِيهِ أَمْوَاهُ فَلَتَعْجَبْ
لَوْ سَابَقَ الإِخْوَانْ فِي ذٰلِكَ المَيْدَانْ أَضْحَى مَكِينْ

(١) كذا فى ط . وفى م : « لذ بذى مجد » .
(٢) فى م : « حيثما حل » .
(٣) فى ط : « واسأل عمن » . وفى م : « وسل عما » . ولعلهما مبدلتان عما أثبتناه ، ليجرى الوزن مع ما سبق .
(٤) كذا وردت هذه العبارة فى م ، ولم ترد فى ط .
(٥) فى ط : « أخدانه » .

فَحَالِفِ[1] الأَشْجَانْ وَاصْحَبْ مَعَ الأَحْيَانْ[2] قَلْبًا حَزِينْ

[٣٨٩] لِلْمَوْرِدِ العَذْبِ وَالمَنْهَلِ السَّلْسَلْ شُدُّوا الرَّحِيلْ
فَيَا ظَمَا قَلْبِى لِذٰلِكَ المَنْهَلْ هَلْ مِنْ مَقِيلْ
بِسَاحَةِ القُرْبِ فَيُبْرِدَ السَّلْسَلْ حَرَّ الغَلِيلْ
إِنْ أَمْكَنَ الإِمْكَانْ أَنْ يَكْرَعَ الظَّمْآنْ مِنَ المَعِينْ
فى مَشْرَبِ الرِّضْوَانْ فَذَاكَ سَعْدٌ دَانْ لِلرَّائِدِينْ

يَا حَادِىَ الظُّعْنِ وَسَائِقَ الرَّكْبِ إِلَى العَقِيقْ
أَسِفْتُ لِلْبَيْنِ فَهَلْ إِلَى القُرْبِ يُلْفَى طَرِيقْ
مَتَى النَّوَى تُدْنِى مِن مَطْلَعِ الشُّهْبِ قَلْبًا خَفُوقْ
فَيَثْرِبٌ بُسْتَانْ لِلرَّوْحِ وَالرَّيْحَانْ فِيهِ فُنُونْ
وَدَوْحُهُ المُزْدَانْ تَحْيَا بِهِ الأَكْوَانْ فى كُلِّ حِينْ

يَا خَيْرَ مَرْسُولِ لِلْحُرِّ وَالعَبْدِ بِالمُعْجِزَاتْ
نِدَاءُ مَخْبُولِ نَادَى عَلَى بُعْدِ خَوْفَ المَمَاتْ
أَنْتُمْ مُنَى سُولِى وَأَنْتُمْ قَصْدِى وَلِى صِفَاتْ
تَمُجُّهَا الآذَانْ وَتَقْتَضِى الهِجْرَانْ فَمَا يَكُونْ
مِنْ ذِى شُجُونٍ عَانْ يَحْكِى بِدَوْحِ البَانْ شَادِى الغُصُونْ

يَا صَاحِ وَالقَصْدُ أَنْ يَظْفَرَ الأَوَّاهْ بِقَصْدِهِ

(١) فى ط : « نخالف » .
(٢) فى ط : « الأعيان » .

إِنْ شَفَّكَ البُعْدُ فَثِقْ بِعَفْوِ اللهْ عَنْ عَبْدِهِ
وَدَعْ فَتًى يَشْدُو وَاللَّهْوُ قَدْ أَلْهَاهْ عَنْ رُشْدِهِ
جَنَّانُ يَا جَنَّانْ اِجْنِ مِنَ البُسْتَانْ الياسَمِينْ
وَخَلِّ الرَّيْحَانْ بِحُرْمَةِ الرَّحْمٰنْ لِلعاشِقِينْ

وقوله[1] رحمه الله تعالى :

لِأَحْمَدَ المُصْطَفَى مَقَامُ
جَلَّ عُلاً فَلاَ يُرَامُ
بِنُورِهِ يَهْتَدِى الأَنَامُ
فَأَىُّ شَمْسٍ وَأَىُّ بَدْرٍ قَدْ أَطْلَعَتْهُ لَنَا السُّعُودُ
بِنُورِهِ تُشْرِقُ الشُّمُوسُ
فِى حُبِّهِ تُخْلَعُ النُّفُوسُ
يَا أَيُّهَا المُسْمِعُ الرَّئِيسُ
أَدِرْ عَلَيْنَا كُئُوسَ فَخْرٍ مِنْ ذِكْرِهِ تُعْطَ مَا تُرِيدُ
أَمْدَاحُ خَيْرِ الوَرَى نَعِيمُ
نَحْنُ أُنَاسٌ بِهَا نَهِيمُ
يَا مَادِحِيهِ بِاللهِ قُومُوا
خُوضُوا بِنَا مَوْجَ بَحْرِ فَخْرٍ مَنْ مَاتَ فِيهِ فَهُوَ شَهِيدُ
الشَّطْحُ فِى حُبِّهِ مُبَاحُ
وَنَحْنُ قَوْمٌ لَنَا ارْتِيَاحُ
قُلُوبُنَا حَشْوُهَا جِرَاحُ

(١) هذه الموشحة عن م .

مِنْ نَأْيِ مَغْنَاهُ لَيْتَ شِعْرِى مَتَى يَرَى قَبْرَهُ العَمِيدُ

إِنْ سَمَحَ الدَّهْرُ بِالوُصُولِ

لِقَبْرِ خَيْرِ الوَرَى الرَّسُولِ

السَّيِّدِ الأَرْفَعِ الجَلِيلِ

فَثَمَّ نَخْلَعُ ثِيَابَ طُهْرٍ وَتُوفِى رُوحِى لِمَنْ تُرِيدُ

وقوله أيضا :

لَهْفِى عَلَى عُمْرِى(١) مَضَى وَالشَّيْبُ فِى الفَوْدِ بَدَا وَمَا قَضَيْتُ الغَرَضَا

أَيَّامُ رَيْعَانِ الشَّبَابْ وَلَّتْ وَلَمْ تَنْوِ الإِيَابْ

فَنَارُ حُزْنِى فِى التِهَابْ وَدَمْعُ عَيْنِى فِى انسِكَابْ

يَا عَهْدَ أَيَّامِ الرِّضَا هَلْ رَجْعَةٌ تَشْفِى الصَّدَى حَقًّا وَتَنْفِى المَرَضَا

إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَا دَعْ عَنْكَ أَوْصَافَ الجَفَا

وَاذْكُرْ لِرَسْمٍ قَدْ عَفَا وَهِمْ بِمَدْحِ المُصْطَفَى

الهَاشِمِىِّ المُرْتَضَى تَاجِ العُلاَ شَمْسِ الهُدَى لاَ تَبْغِ مِنْهُ عِوَضَا

وَشِمْ رُبُوعًا لِلحَبِيبْ وَأَنْزِلْ بِمَغْنَاهُ الرَّحِيبْ [٣٩٠]

وَلُذْ بِمَرْعَاهُ الخَصِيبْ فَهْوَ لِمَا تَشْكُو الطَّبِيبْ

نَادِ بِهِ مُعَرِّضَا هَلْ تَقْبَلُونَ مُكْمَدَا قَدْ كَانَ عَنْكُمْ أَعْرَضَا

رَمَتْ فُؤَادِىَ النَّوَى وَغُصْنُ عُمْرِى قَدْ ذَوَى

وَالشَّوْقُ قَلْبِىَ قَدْ كَوَى وَاهًا عَلَى فَقْدِى القُوَى

(١) فى م : « عمر » .

قَضَى النَّوَى مَا قَدْ قَضَى هَلْ يَسْتَطِيعُ الْجَلَدَا قَلْبٌ عَلَى جَمْرِ الغضَى

لَقَدْ تَنَاءتِ الدِّيَارْ وَشَطَّ بِي عَنْهَا المَزَارْ
لَوْ كَانَ لِي حُكْمُ اخْتِيَارْ مَا قَرَّ بِي عَنْهَا قَرَارْ
مَا شَاءَهُ حُكْمُ القَضَا يَجْرِي وَلَوْ طَالَ المَدَى فَلَا تَكُنْ مُعْتَرِضَا

وقوله رحمه الله :

أَطْلَعَ الصُّبْحُ رَايَةَ الفَجْرِ فَتَبَدَّى المَكْتُومُ مِنْ سِرِّي
إِنْ تَكُنْ بَاحِثًا عَنِ الأَسْرَارْ فَانْتَشِقْ صَاحِ نَفْحَةَ الأَسْحَارْ
وَأَطِلْ فِي الأَصَائِلِ الأَذْكَارْ فَهْيَ أَذْكَى مِنْ عَاطِرِ الأَزْهَارْ
أَيْنَ طِيبُ المِسْكِ وَشَذَا[1] الزهْرِ فِي دُجَى اللَّيْلِ مِنْ شَذَا الذِّكْرِ

آهِ مِنْ أَدْمُعِي وَمِنْ حُزْنِي فَجْعَةُ البَيْنِ كَمْ تَرَى تُضْنِي
جِسْمَ مُشْتَاقِ دَمِي الجَفْنِ يَا عَذُولِي عليْهِمُ عِنِّي[2]
عَبَرَاتِي تَنْهَلُّ كَالقَطْرْ وَفُؤَادِي يُذْكَى عَلَى الجَمْرِ
شَفَّنِي الوَجْدُ فَاجْبُرُوا صَدْعِي يَوْمَ بِنْتُمْ عَنْ سَاحَتَيْ سَلْعِ
خَدَّدَ الخَدَّ سَاكِبُ الدَّمْعِ إِنْ تَعُودُوا مُتَيَّمَ الجِزْعِ
بُدِّلَ العُسْرُ مِنْهُ بِالْيُسْرِ وَأَتَتْهُ السُّعُودُ بِالْبِشْرِ
لَيْسَ لِلعَبْدِ مِنْكُمُ بُدُّ قَدْ بَرَانِي وَشَفَّنِي البُعْدُ

(١) كذا فى الأصلين . والصواب : « شذا » بدون واو العطف ، ليجرى مع المطلع ، وهو من الخفيف .
(٢) كذا فى ط . وفى م : « غنى » .

مَنْ لِصَبٍّ أَذَابَهُ الوَجْدُ بَاتَ فِي دَوْحِ حُزْنِهِ يَشْدُو
فِي هَوَاكُمْ لَقَدْ فَنِي عُمْرِي فَالطُفُوا بِي وَأَمِّنُوا ذُعرِي
سَيِّدِي أَنتَ مَلجَأُ الصَّبِّ فَأَجِرْ مِنْ ضَنَى النَّوَى قَلبِي
إِنْ تَكُنْ لِي أَوْ إِنْ تَكُنْ حَسْبِي فِيكَ أَشْدُو مَقَالَ ذِي عُجْبِ:
(١)جَرِّرِ الذَّيلَ أَيَّمَا جَرٍّ وَصِلِ الشُّكْرَ مِنْكَ بالشُّكْرِ(٢)

[٣٩١] وقوله رحمه الله تعالى:

لِأَحْمَدٍ بَهْجَةٌ كَالقَمَرِ الزَّاهِرْ فِي أَبرُجِ السَّعدِ
عَلاَؤُهَا يَسْبِي بِنُورِهِ البَاهِرْ كُلَّ سَنَى مَجْدِ

فِي عَالَمِ القُدْسِ قُدِّسَ عَلْيَاهُ فَفَاقَ فِي الحَمْدِ
بِالبَدْرِ والشَّمْسِ يُزْرِي مُحَيَّاهُ فَجَلَّ عَنْ نِدِّ
لِلجِنِّ وَالإِنسِ أَرْسَلَهُ اللهُ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
أَذَلَّ بِالحُجَّةِ وَأَمْرِهِ الظَّاهِرْ(٣) مَنْ خَانَ لِلعَهْدِ
بِالشَّرْقِ وَالغَرْبِ تَنَاوَلُهُ العَاطِرْ أَندَى مِنَ النَّدِّ

يَا خَيْرَ مَرْسُولٍ مِنْ خِيرَةِ الخَلْقِ أَذَابَنِي البُعْدُ
إِلَيْكَ يَا سُؤْلِي قَدْ قَادَنِي شَوْقِي فَكَمْ أُرَى أَشْدُو
بِصَوْتِ مَخْبُولِ حَكَى غِنَا وُرْقِ هَيَّجَهَا الوَجْدُ
غَرِقْتُ فِي لُجَّهْ وَلَيْسَ لِي نَاصِرْ عَلَى جَوَى البُعْدِ

(١) هذا مطلع موشحة لأبى بكر بن باجة.
(٢) فى رواية: «وصل السكر منك بالسكر».
(٣) فى م: «القاهر».

إلّاكَ يَا حَسْبِي وَأَدْمُعُ النَّاظِرْ تَنْهَلُّ فِي الخَدِّ

إنْ عَاقَنِي ذَنْبِي عَنْ ذٰلِكَ المَغْنَى فَلَيْسَ لِي حَوْلُ
وَكَيْفَ بِالْقُرْبِ لِلْهَائِمِ المُضْنَى وَبَيْنَنَا سُبْلُ
تُذِيبُ بِالكَرْبِ جِسْماً ذَوَى حُزْنَا وَشَفَّهُ الخَبْلُ
إِلَيْكُمُ وَجَّهْ وَجْهًا غَدَا حَائِرْ وَالدَّمْعُ فِي الخَدِّ
يَنْهَلُّ كَالسُّحْبِ وَزَفْرَةُ الخَاطِرْ تُلْهَبُ بِالوَقْدِ

يَا سَامِعَ النَّجْوَى إِلَيْكَ أَوْصَابِي تَشْكُو بِأَوْجَالِي
تَرَكْتَنِي نِضْوًا أَلُوذُ بِالبَابِ مُقَسَّمَ البَالِ
إِنْ كَانَ بِالبَلْوَى لِطُولِ أَغْيَابِي أَسَأْتُمُ حَالِي
فَقَلْبُكُمْ(١) رَجِّهْ بِهَا أَرَى حَاسِرْ(٢) إِنْ لَمْ تَكُنْ نِدِّي(٣)
أَعُوذُ بِالحُبِّ مِنْ أَمْرِكَ الآمِرْ بِالبُعْدِ لِلْعَبْدِ

بِحُبِّ مَنْ تُحْذَى لِقَبْرِهِ النُّجْبُ السَّيِّدِ الطَّاهِرْ
هِمْ دَائِمًا وَجْدَا يَأَيُّهَا الصَّبُّ وَعْدٌ عَنْ خَاطِرْ
مَنْ قَالَ إِذْ أَوْدَى بِقَلْبِهِ الحُبُّ قَوْلاً غَدَا سَائِرْ
بدائِعُ(٤) البَهْجَهْ وَنُزْهَةُ النَّاظِرْ وجَنَّةُ الخُلْدِ [٣٩٢]
وَبُغْيَةُ القَلْبِ وَرَاحَةُ الخَاطِرْ فِي ذٰلِكَ الخَدِّ

(١) كذا فى م . وفى ط : « قبلكم » . والمعنى — على كلتا الروايتين — غير واضح .
(٢) فى ط : « خاسر » .
(٣) فى م : « رفدي » .
(٤) فى الأصلين : « براكع » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

وقوله ، رحمه الله تعالى :

لِأَحْمَـــدَ تَعْنُو الأَقْمَارْ فَعَـدِّدْ فَخَارَهْ
وَأَنْظِمْ ثَنَاهُ أَشْعَـــارْ وَلَازِمْ وَقَارَهْ

لِأَحْمَـــــدَ بَدْرِ الأُفْقِ وشَمْسِ المَعَالِي
تَأَجَّجُ نَارُ الشَّـــوْقِ وكَيفَ اُحتِيَالِي
لَئِنْ فَازَ أَهْـلُ السَّـبْقِ بِذَاكَ الـكَمَالِ
وَحَلُّوا بِهَاتِيـــكَ الدَّارْ وَحَازُوا جِوَارَهْ
فَفِى القَلْبِ نَارُ الأَفْـكَارْ قَدْ اُذْكَتْ أُوَارَهْ

حَادِى الرَّكْبِ بَلِّغْ عَنِّى سَـلَامًا كَثِيرَا[1]
وَقُلْ مُغْرَمٌ ذُو حُزْنِ قَدِ اُضْحَى أَسِيرَا
أَصْـمَتْهُ سِهَامُ البَيْنِ لَمْ يُلْفِ نَصِيرَا
وَقَدْ أَبْعَـــدَتْهُ الأَقْدَارْ وَالحُزْنُ أَثَارَهْ
فِى القَلْبِ تَنَائِى الأَقْطَـارْ يُضْرِمُ نَارَهْ

إِذَا لَاحَ لَمْعُ الـــبَرْقِ مِنْ اُكْنَافِ نَجْدِ
دَعَانِى إِلَيْهِ شَـــوْقِى وَإِفْرَاطُ وَجْدِى
إِلَى قَـبْرِ خَـيْرِ الخَلْقِ سَأَجْهَدُ جَهْدِى
لَعَـلِّىَ أَقْضِى الأَوْطَارْ وَأُعْطَى مَزَارَهْ

(١) كذا فى م . وفى ط : « أسيرا » . ولعلها هذه الأخيرة محرفة عن « أثيرا » .

فَعَـــنِّىَ تُمْحَى الأَوْزَارْ إِذَا زُرْتُ دَارَهْ

يَا حَادِىَ شَوْقِىَ زَمْزِمْ بِذِكْرِ الحَبِيبْ
يَا حَرَّ وَجْـــدِىَ ضَرِّمْ نِيرَانَ الوَجِيبْ
يَا دَمْـعَ عَيْنِىَ أَرْقِمْ بِخَدِّ الـكَئِيبْ
رُسُـــومَ سُطُورِ التَّذْكَارْ نِرَبْـعٍ أَنَارَهْ
سَـنَا نُورِ وَجْهِ المُخْتَارْ قَدْ أَعْلَى[1] مَنَارَهْ

أَيَا رَبِّ بِالْمُخْتَـــــارْ وَالصَّحْبِ الكِرَامْ
قَرِّبْ قُرْبَ نَائِى الدَّارْ[2] مِنْ ذَاكَ المَقَامْ
وَاغْفِرْ قَوْلَ[3] ذِى إِصْرَارْ غَنَّى فِى هُيَامْ
مَنْ يُرُونِى دَارَ العَطَّارْ بِذُرَا المَنَارَهْ
ثِيَابِى وَمَا تَحْوِى الدَّارْ[4] نُعْطِهِ البِشَارَهْ

وقوله ، رحمه الله تعالى :

آهِ مِنْ فَرْطِ الوَجِيبِ أَوْرَثَتْ قَلْبِىَ خَبْـــلاَ
زَفَرَاتُ شَوْقٍ مُـدْنَفْ مِنْـكُمُ لَمْ يُعْطَ وَصْـلاَ

قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُونُ وَالبُـكَاءُ وَالأَنِينُ
نَحْوَكُمْ لَهُ حَنِينُ أَبَدًا بِهِ يَدِينُ

(١) فى م : « ضيا » .
(٢) فى م : « قرب نائى الديار » .
(٣) فى ط : « قوى » .
(٤) رواية هذا الشطر فى ط : « وما تحتوى الدار » . والتصويب عن م .

دَمْعُ خَـــدَّيْهِ الهَتُونُ دَمِيَتْ منـــه[1] الجُفُونُ
يَا سَقامى[2] يَا طَبِيبِى عَفْوُكُمْ عَـــنِّى أَوْلَى
لم تَزَلْ[3] باللُّطْفِ تُوْصَفْ فَأَنِلْ عبْـدَكَ فَضْـــلاَ

لَمْ تَزَلْ بِى فِى أُمُورِى سَـــيِّدِى مَوْلًى لَطِيفَا
أَنْتَ مَوْلاَىَ نَصِـــيرِى فَاجْـــبُرِ العَبْـدَ الضَّعِيفَا
مَنْ عَذِيرِى أَوْ مُجِيرِى إِنْ أَطَلْتَ بِى الوُقُوفَا
يَا لِيَـوْمِىَ العَصِيبِ وَسِـجِلُّ الصُّحْفِ يُتْلَى
وقُلوبُ الخَلْقِ تَرْجُفْ وَلِنَارِ الخَوْفِ تَصْلَى

بِالنَّـــــبِىِّ بِالعَـــلِىِّ [بالرَّفيع][4] القَدْرِ أَحْمَدْ
وَعَتِيـــــقِ الرِّضَىِّ وَأَبِى حَفْصِ المُمَجَّدْ
والشَّهِيـــــدِ وَعَلِىٍّ غُرَرِ الفَخْرِ المُؤَبَّدْ
نحْوَ سَاحَاتِ الْحَبِيبِ فَلْتُيَسِّرْ لِىَ سُـــبْلَا
فَمَتَى بِالْقُرْبِ أُسْعَفْ أَوْ أُرَى لِذَاكَ أَهْلَا
يَا حُدَاةَ العِيسِ عَنِّى فَاحِـلُوا نَحْوَ العَقِيقِ
أَســـفِى وَطُولَ حُزْنِى وَبُكَائِى وَشَهِيـــقِى
عَلَّنِى بِالْخَيْفِ[5] أَجْنِى زَهْرَ إِبَّان اللُّحُوقِ [٣٩٤]

(١) فى ط هنا : « به الجفون » وفى عجز البيت الذى قبله : « منه يدين » . ولعل الناسخ وضع كلا من حرفى الجر مكان الآخر .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « ياشقائى » .
(٣) فى ط : « لا تزال » . وما أثبتناه عن م .
(٤) هذه الكلمة أو ما فى معناها يقتضيها السياق .
(٥) فى ط : « بالخوف » .

هَلْ لِصَبٍّ مِنْ نَصِيبِ فَيَعُودَ الْهَجْرُ وَصْلَا
يَا زَمَانَ الْقُرْبِ اِعْطِفْ وَأَنِلْ مُضْنَاكَ شَمْلَا[1]

سَيِّدِى قَدْ ذُبْتُ حُزْنَا لَا تُخَيِّبْ فِيكَ قَصْدِى
وَأَنِلْنِى مِنْكَ حُسْنَى[2] قَدْ بَرَانِى طُولُ بُعْدِى
وَاغْتَفِرْ قَوْلَ مُعَنًّى هَائِمًا يَشْكُو بوَجْدِى
يَا فُلَانْ اِنْ زُرْتَ حِبِّى اِفْتِلِ اُذْنُو بالرَّسِيلَا
لِيشْ أَخَذْ عُنْقَ الْخُشَيْفْ وَسَرَقْ فَمّ الْحُجِيلَا[3]

انتهى ما قصدته من مُوَشَّحات هذا الشيخ النبوية .

نظم الجذامى فى غير الموشحات

وأما نظمه فى غير الموشحات ، فمنه قوله رحمه الله :

هَبَّ النَّسِيمُ بِطِيبِ ذِكْرِ الهَادِى فَتَأَرَّجَتْ نَفَحَاتُ عَرْفِ النَّادِى
يَا شَادِيًا يَشْدُو بِمَدْحِ مُحَمَّدٍ كَرِّرْ فَدَيْتُكَ مَدْحَهُ يَا شَادِى
كَرِّرْ عَلَى الأَسْمَاعِ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ فَلِذِكْرِهِ بَرْدٌ عَلَى الأَكْبَادِ
وَأَعِدْ عَلَيْنَا نَظْمَ فَخْرِ هِلَالِ مَنْ بَهَرَ الوَرَى مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِى
هُوَ ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الأَثِيلِ وَقُطْبُهُ هُوَ صَفْوَةُ الأَشْرَافِ وَالأَمْجَادِ
هُوَ بَحْرُ جُودٍ فَاضَ عَذْبُ نَوَالِهِ وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ لَدَى الوُرَّادِ
هُوَ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ وَالْمُخْتَارُ مِنْ أَعْلَى نِجَارٍ[4] جَلَّ عَنْ أَنْدَادِ

(١) فى م : « نيلا » .
(٢) فى الأصلين : « حسنا » . وما أثبتناه أولى .
(٣) هذه الخرجة من زجل للبعبع ، وقد وردت فى صفحة ٢١٨ من هذا الجزء باختلاف فى بعض الكلمات ، فلتراجع .
(٤) فى الأصلين « نفار » . وما أثبتناه أحق بالسياق .

هُوَ مُنْتَهَى أَمَلِى وَمَلْجَأُ مَفْزَعِى هُوَ شَمْسُ إِيمانى وَبَدْرُ رَشادِى
هُوَ عِصْمَتِى مِمَّا أَخَافُ وَحُبُّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِلْخُطُوبِ عِمادِى
إِشْرَاقُ كلِّ النَّيِّرَاتِ وَحُسْنُهَا مِنْ نُورِ حُسْنِ شِهَابِهِ الْوَقَّادِ
لاَ تَعْجَبُوا فَعِنَايَةُ الْمُخْتَارِ قَدْ خَرَقَتْ قِيَاسَ العَقْلِ فِى الْمُعْتَادِ
شَوْقِى إِلَى ذَاكَ المَقَامِ أَثَارَهُ حُزْنٌ تَلَهَّبَ لَفْحُهُ بِفُؤَادِى
يَا وَيْحَ مُكْتَئِبٍ وَمَا قَدْ شَفَّهُ مِنْ فَرْطِ أَحْزَانٍ وَطُولِ بِعَادِ
كَمْ رَامَ قُرْبَ الدَّارِ مِنْ أَحْبَابِهِ لَوْ أَسعفَ المَقْدُورُ بالإِسْعادِ
كَمْ رَامَ أَنْ يَشْفِى بِزَوْرَتِهِ ظَمَا قَلْبٍ إِلَى تِلْكَ المعاهِدِ صَادِى
أَيَّامَ أُطْلِعَ بَدْرُ حُسْنِ شَبَابِهِ مِنْ فَوْقِ نَاعِمِ غُصْنِهِ الْمَيَّادِ
[٣٩٥] فَالآنَ قَدْ لَعِبَتْ بِهِ أَيَّامُهُ وَعَدَتْ عَلَيْهِ لِلْمَشِيبِ عَوَادِى
شَيْبٌ وَضَعْفٌ وَانْبِزَاحُ مَوَاطِنٍ فَمَتَى يُتِيحُ الدَّهْرُ نَيْلَ مُرَادِى
لَهْفِى عَلَى عُمْرٍ تَصَرَّمَ وَانْقَضَى أَفْنَيْتُ فِيهِ طَارِفِى وَتِلَادِى
فَلأُنْزِحَنَّ مَدَامِعِى أَسَفًا عَلَى مَا قَدَّمَتْهُ يَدِى لِيَومِ مَعَادِى
يَا حَادِىَ الأَظْعَانِ يَأْمُلُ طَيْبَةً اُقْصُصْ فَدَيْتُكَ قِصَّتِى يَا حَادِى
وَانْزِلْ بِهَاتِيكَ الرُّبُوعِ وَقِفْ عَلَى نَادِى النَّدَامَى إِنْ عَرَضْتَ وَنَادِ:
هَذَا أَسِيرُ بِعَادِكُمْ أَجْفَانُهُ تَحْكِى بِفَيْضِ الدَّمْعِ سُحْبَ عِهَادِ
فَمتَى عَلَى بُعْدِ الدِّيارِ وَشَحْطِها[1] يَحْظَى بِوَصْلِكُمُ حَلِيفُ سُهادِ
فَعَلَيكُمُ مِنِّى سَلاَمٌ طَيِّبٌ مَا نَاحَ غِرِّيدٌ بِسَرْحَةِ وَادِى

وقوله رحمه الله :

سَأَنْظِمُ مِنْ فَخْرِ النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ لآلِئَ لاَ يَبْلَى جَدِيدُ نِظَامِهَا

(١) فى م : « وشطها » .

تَضَـــوَّعَ طِيباً عَرْفُها فَـكَأَنَّه ... تَضَوُّعُ أَزْهَارٍ بدَتْ مِنْ كِمامِها
سَجَايا أَبَتْ إلاَّ السَّمَا كَيْنِ مَنْزِلاً ... فَفَاقَ عَلَى العَلياءِ عِلْقُ[1] مَقَامِها
خِلَالٌ إِذَا لاحَتْ قِبَابٌ لَدَى عُلًا ... تُنِيفُ فتعلُوها قِبـابُ خِيَامِها
إِذَا يَمَّمُوا يَوْمًا إِمَامَ مَـكَارِمٍ ... فَأَحْمَدُ قَدْ أَضْحَى إِمامَ إِمَامِها
فَـكَمْ ذُو عُلاً أَوْ مَا لِدَرْكِ مَقَامِها ... فَمَرَّ وَلَمْ يُدْرِكْ مَرَامِي مَرامِها
وَكَمْ ظَامِئٍ قَدْ رَامَ يَرْوَى بِرِيِّها ... فَآبَ وَقَدْ أَضْحَى عَلِيلَ[2] أُوَامِها
لِذَاكَ العُلَا قَلبِي مَشُوقٌ بِحُبِّهِمْ ... وَقَدْ شُوِّقَتْ[3] نَفسِي بِطُولِ مُقامِها
فَلِلَّهِ عَيْنٌ لاَ تَمَلُّ بُـكَاءَهَا ... وَقَدْ حُرِمَتْ فِيهِ لَذِيذَ مَنَامِها
وَنَفْسٌ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ قَرِيحَةٌ ... تُطَارِحُ فِي البَلْوَى حَمَامَ حِمامِها
وَعمرٌ مَضَتْ أَيامُ شَرْخِ شَبَابِهِ ... وَقَدْ قَدَّصَرْفُ الدَّهْرِ غُصْنَ قَوامِها
فَيَانَسْمَةَ الأَسحارِ مِنْ نَحْوِ يَثْرِبٍ ... أَلِمِّي بِنَفْسٍ قَدْ ذَوَتْ بِضِرامِها
وَيَا حَادِيَ الأَظْعَانِ نَحْوَ قِبَابِهِمْ ... أَلاَ فَاخْصُصِ العَلْيَا بِطِيبِ[4] سَلاَمِها

ومن تخميسه ومن ذلك قولُه رحمه الله مُخَمِّسًا شعراً لغيره :

أَلَا هَلْ إِلَى وَادِي العَقِيقِ طَرِيقُ
فَقَدْ هَاجَ شَوْقًا[5] لِلدِّيارِ مَشُوقُ
يَقُولُ وَفِي الأَكْبادِ مِنْهُ خُفُوقُ
دُمُوعِي عَلَى وَادِي العَقِيقِ عَقِيقُ ... وَلِي زَفْرَةٌ تَحْدُو بِها وَتَسُوقُ [٢٩٦]

(١) كذا فى م . وفى ط : « علو » .
(٢) فى ط : « غليل » .
(٣) فى ط : « سولت » .
(٤) فى ط : « بطول » .
(٥) فى م : « شوقى » .

إِذَا مَا حَدَا فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ دَالِجُ
تُحَرِّكُنِى نَحْوَ الْعَقِيقِ لَوَاعِجُ
وَعِنْدِى مِنَ الشَّوْقِ الْمُبَرِّحِ هَائِجُ
وَفِى كَبِدِى مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ لَاعِجُ يَهِيجُ بِهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ حَرِيقُ
وَلَمَّا جَرَتْ بِى نَحْوَ طَيْبَةَ أَسْعُدِى
وَبُلِّغْتُ آمَالِى وَأُوتِيتُ مَقْصِدِى
وَأَوْرَدَنِى التَّوْفِيقُ أَعْظَمَ مَوْرِدِ
نَظَرْتُ فَقَالُوا إِنَّ ذَا قَبْرُ أَحْمَدِ وَذَاكَ أَبُو حَفْصٍ وَذَاكَ عَتِيقُ
فَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِى شِمْتُ بَارِقَا
فَفَتَّ[1] الْجَوَى مِنِّى ضُلُوعًا خَوَافِقَا
وَأَبْدَيْتُ وَجْدًا لِلْعَوَائِدِ خَارِقَا
فَمَا مَلَكَتْ عَيْنِى دُمُوعًا سَوَابِقَا وَلَا هَدَأَتْ لِى زَفْرَةٌ وَشَهِيقُ
بِذِكْرِكَ يَا خَيْرَ الْأَنَامِ تَلَذُّذِى
وَبِاسْمِكَ مِنْ خَطْبِ الْبِعَادِ تَعَوُّذِى
وَمَا زَالَ قَلْبِى بِامْتِدَاحِكَ يَغْتَذِى
أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ حُبُّكَ مُنْقِذِى وَإِنِّى لَفِى بَحْرِ الذُّنُوبِ غَرِيقُ
عَلَيْكَ مَدَى[2] الْأَحْيَانِ تَنْهَلُّ أَدْمُعِى
وَفِيكَ وَإِنْ أَبْعَدْتُ مَا زَالَ مَطْمَعِى
شَفِيعِىَ حُبِّى لِلنَّبِىِّ الْمُرَفَّعِ
وَهَلْ تُحْرِقَنَّ النَّارُ قَلْبِى وَأَضْلُعِى وَحُبُّكَ فِى قَلْبِى وَأَنْتَ رَفِيقُ

(١) كذا فى م . وفى ط : « فعرت » . (٢) فى م : « مع » .

ثَنَاؤُكَ رَيْحَانِى وَمِسْكِى وَمَنْدَلِى
عَلَيْكَ رَسُولَ اللهِ كلُّ مُعَوَّلِى
حَنَانَيْكَ لِلْقَلْبِ الْمُتَيَّمِ فَابْذُلِ
فَكَمْ فِيهِ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلِ وَرَبُّكَ بِالوَعْدِ الكَرِيمِ حَقِيقُ

من نظمه فى مدح النبى

قلتُ : ولنجعل آخر ما أوردنا[1] من أمْدَاحه النبوية قولَه :

تَرَكْتُ امْتِدَاحَ الْعَالَمِينَ وَلُذْتُ مِنْ مَدَائِحِ خَيْرِ الْخَلْقِ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى
سَأَجْعَلُهَا كَهْفِى وَحِصْنِى وَمَلْجَئِى لَعَلِّىَ بالأمْدَاحِ أَسْتَوْجِبُ العِتْقَا

نسأل الله ، بجاه هذا النبى الشريف القدر ، العظيم المَزِيَّة ، أن يُعْتِقَنَا من النار ، ويُجيرنا فى الدنيا والآخرة من كلّ مصيبة ورَزِيَّة ، وأن يُسَهِّل علينا زيارته العظيمة البَرَكات ، وأن يَلْطُف بنا فى السَّكَنات والحَرَكات .

* * *

لابن خاتمة فى الموشحات

وقد عَنَّ لى لمَّا ذكرت كلام ابن خلدونَ فى الموشَّحات أن أذكر كلام الإمام ابن خَاتمة . [٣٩٧]

قال رحمه الله تعالى فى كتابه « مَزِيَّةَ المَرِيَّة » فى باب محمد ، ما نصه :

« محمَّد[2] بن عُبادة ، يكْنَى أبا بكر ، ويُعْرف بالقَزَّاز ، وأحسِبُه من أهل مالَقة ، كان من صدور الأُدباء ، ومشاهير الشعراء الأَلِبَّاء ؛ وممن له باع فسيح ، فى طريقة التوشيح ؛ حتى طار اسمه فيها كل مَطار ، واشتهر بها نظمه أىَّ اشتهار . وهذه الطريقة من مخترعات أهل الأندلس ، ومُبْتَدَعاتهم الآخذة

(١) فى ط : « أردناه » .
(٢) انظر ترجمة محمد بن عبادة هذا فى القسم الثانى من الذخيرة لابن بسام .

بالأنفُس ؛ هم الذين نَهَجُوا[١] سبيلها ، ووضعوا مَحْصُولها .

قال أبو الحسن بن بَسَّام : وأول [من صنع أوزان هذه الموشَّحات بأُفُقنا ، واخترع طريقتها][٢] ، فيما بلغنى ، محمد بن محمود[٣] القَبْرِىّ الضرير ، وكان يصنعها[٤] على أعاريض أشطار الأشعار ، غير أن أكثرها على الأعارِيض المهملة ، غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامىّ أو العَجَمِىّ ، يسميه المَرْكَزْ ، ويضع عليه الموشَّحة ، من غير تضمين فيها ولا أغصان . وقيل إن أبا عمرَ أحمد بن عبد ربّه ، صاحب كتاب « العِقد » هو أول من سبق إلى هذا النوع من الموشَّحات .

وحكى الكاتب أبو الحسن على بن سعيد العَنْسىّ فى كتابه « المُقْتَطَفْ من أزاهِر الطُّرَف » : أن الحِجارِىّ ذَكَر فى كتابه « المُسْهِب فى غرائب المَغْرب » أن المخترع لها بجزيرة الأندلس المُقَدَّم بن مُعَافَى[٥] القَبْرِىّ ، من شعراء الأمير عبد الله المروانى ، وأخذه عنه أبو عُمَرَ بن عَبدِ رَبِّه ، صاحب « العِقد » ، ثم غَلَبَهما عليه المتأخرون . وأول من برع فيه منهم عُبادة بن القَزَّاز ، شاعر المعتصم صاحب المَرِيّة .

قال الأستاذ أبو الحسن على بن سَعْد الخير البَلَنْسِىّ فى كتابه : « نُزْهَة الأَنْفُس ، وروضة التَّأَنُّس ، فى توشيح أهل الأندلس » ضمنه عشرين وَشَّاحا ، على طريقاتهم فى الإجادة والإحسان :

العُباديُّون ثلاثة : ابنُ ماء السماء ؛ وهو عُبَادة بن عبد الله بن محمد بن عُبادة

(١) فى م : « نحوا » .

(٢) مكان مابين القوسين فى الأصلين : « وأول من اخترعها » وما أثبتناه عن الذخيرة لابن بسام ، طبعة الجامعة المصرية (ج ٢ ص ١) .

(٣) فى الذخيرة : « حمود » .

(٤) فى م : « يضعها » .

(٥) فى الأصلين هنا : « المقدم أبو معافى » .

ابن ماء السماء بن أفلح بن الحسين بن سعيد بن قيس بن سعد بن عُبادة الخَزْرَجيّ [٣٩٨] الأنصاريّ ، من أهل مالَقَة . وعُبَادَة بن محمد بن عُبادة الأقرع ، ومحمد بن[١] عُبادةَ القَزّاز هذا .

قال الأستاذ أبو جعفر : وكان محمد بن عُبادة من شعراء المعتصم ، فوشحه منها بكل دُرٍّ مُنْتظم ، وعقد بمعنى البلاغة والبراعة مُلْتئم . ومن أظرف ما وقع له فى المديح من التوشيح ، موشَّحَتُه التى أوَّلُها :

كَمْ فى القُدُود اللِّيَانْ تَحْتَ اللِّمَمْ مِنْ أَقْمُرٍ عَوَاطِى

ومن أظرف ماوقع له فى خلالها من حسن الالتئام ، وسهولة النظام ، ماينذُر وجود مثله فى منثور الكلام ، وذلك فى أحَدِ مراكزها حيث يقول :

لَمَّا غَـــــدَا قَادِرَا أَضْحَى قَلِيلَ[٢] المَعْذَلَهْ

يا حاكِمًا جَائِرَا قَتَلْتَ مَنْ لا ذنبَ لَهْ

سَطَوْتَ بالْهَيْمَانْ[٣] ظُلْمًا وَلَمْ تَسْتَبصِرِ يا ساطِى

خَفْ سَطْوَةَ الرَّحْمَن إذَا حَكَمْ بَيْنَ البرِى والخاطِى

ويخرج فى هذه الموشحة على قوله :

مَا أَمْلَحَ البِهْرَجَانْ وَفُلْ يَنِمْ كالْعَنْبَرِ لِلْسوَاطِى

والفُلْك كالعِقبان وَالمعتصِمْ بالْعَسْكَرِ فى الشَّاطِى»

ثم قال ابن خاتمة : « ومن شعره ما أنشده الأديب أبو أحمد ، جعفر بن إبراهيم ابن الحاجّ المَعافريّ فى كتابه « محك[٤] الشعر » ونَسَبه إليه :

---

(١) فيما مر من عبارة ابن سعيد « ... عبادة بن القزار » . وفيما نقل عن ابن خلدون فى هذا الجزء (ص ٢٠٧) : « عبادة القزاز » .

(٢) فى ط « عزيز » ، وهى بمعناها .

(٣) فى ط : «بالبهتان» .

(٤) فى م : « مجد »

أَوْدِعْ فُؤَادِى حُرَقًا أَوْ دَعِ ذَاتَكَ تَرْدَى أَنتَ فِى أَضلعِى
وَارْمِ سِهَامَ اللَّحْظِ أَوْ كُفَّهَا أَنْتَ بِمَا تَرْمِى مُصَابٌ مَعِى
مَوْقِعُهَا قَلْبِى وَأَنْتَ الَّذِى مَسْكَنُهُ فِى ذَلِكَ المَوْضِعِ

ولهُ رحمه الله :

[٣٩٩] أُنْظُرْ إِلَى البَدْرِ الَّذِى لَاحَ لَكْ فِى وَسَطِ اللُّجَّةِ تَحْتَ الحَلَكْ
قَدْ جَعَلَ البَحْـــرَ سَمَاءً لَهُ وَاتَّخَـذَ الْفُلْكَ مَكَانَ الْفَلَكْ

وحضر مجلس المعتصم ابن صُمادح وبين أيديهـم ورد مَصْبُوب ، فبرز من داخل وردة منها الحيوان الأخضر ، الموجود فى الورد ، وتسميه العرب القيقزان[1] فقال له المعتصم : صفه ، فقال :

وأَخضَرَ حَمَّادِىٌّ[2] فِى الوَرْدِ لَائِحٌ على صَفْحِ وَرْدٍ حُسْنُهُ مُتَنَاهِى
كما أخـذتْ حَسْناءُ فَصَّ زُمُرُّدٍ بِصُفْرَةِ مِسْوَاكٍ وَحُمْرِ شِـــفَاهِ

وكتب يوما إلى المعتصم وقد تأخرت صِلَات شعرائه :

يَأَيُّهَا المَلِكُ الَّذِى حَازَ العُلَا مَعْنٌ أَبُوهُ وَخَالُهُ المَنْصُورُ
بِفِنَاءِ قَصْرِكَ عُصْبَةٌ أُدَبِيَّةٌ لا زَالَ وَهْوَ بِشَمْلِهِمْ مَعْمُورُ
زَفُّوا إِلَيْكَ بَنَاتِ أَفْكَارِهِمْ وَاستَبْطَئُوكَ فَهُمْ لَهُنَّ قُصورُ

انتهى كلام ابن خاتمة ، رحمه الله تعالى :

---

(١) كذا فى ط . وفى م : « القيقوان » . ولم نجد فى المعاجم اسم دويبة تكون فى الورد بأحد هذين اللفظين . ووجدنا لفظة « قشبان » اسما لدويبة كالحنفساء تكون فى النبات .

(٢) كذا فى ط . وفى م : « سماوى » . والمعنى غير ظاهر على الروايتين .

رجـــع

وحيث انتهينا إلى هذا المقدار ، من الخروج عن أصل الترجمة ، فَلْنَثْنِ العِنان إلى ما ألممنا به أولا من ذكر سَبْتَة ، أعادها الله ، فنقول :

بعض ما ورد من الأثر فى سبتة

إن بعض الفقهاء يذكر فى شأن سَبْتَةَ حـديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد اختلف الناس فى أمره ، وقد حَدَّث به الفقيه أبو عبد الله محمدُ [بن محمد] [١] ابن يحيى السَّرَّاج ، عن جده العلامة أبى زكريا السَّرَّاج ، قال أخبرنا أبو البركات محمد بن إبراهيم ، قال : أخبرنا إبراهيم بن أحمدَ الغافقىّ [٢] ، حدثنا [٣] محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدىّ ، حدثنا محمد [٤] بن حسن بن عطية ، هو ابن غازى ، حدثنا أبو الفضل عِياض ، [حدثنا] [١] أحمد بن قاسم أبو العباس الصَّنْهَاجِى ، شيخ لا بأس به ، أنبأنا أبو على بن خالد ، وأبو عبد الله محمد بن عيسى ، قالا [حدثنا] [١] أبو عبد الله محمد بن على بن الشيخ ، [حدثنا] [١] وهب بن مَيْسَرة ، عن محمد بن وَضَّاح ، عن سُحْنون ، عن ابن القاسم ، عن [٤٠٠] مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :

« مَدِينَةٌ بالمغرب سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنها على مجمع بَحْرَى المَغْرِب ، وهى مدينة بناها سَبْت بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام ، واشتق لها اسماً من اسمه ، فهى سَبَتة ، ودعا لها بالبَرَكة والنصر ، فلا يريد أحد بها سوءا إلا رَدَّ الله دائرة السوء عليه » .

---

(١) التكملة عن م .
(٢) فى م : « الشافعى » .
(٣) فى ط « ابن » مكان قوله حدثنا . والتصويب عن م .
(٤) فى ط : « بن عمر » مكان قوله : « حدثنا محمد » :

هكذا ذكره الشيخ الإمام الحافظ ، سيدى أبو عبد الله محمد ابن الشيخ العالم الربانى ، سيدى الحسن بن مخلوف التِّلِمْسانى — رحمه الله — فى شرحه للشفاء ، ورواه عن شيخه أبى عبد الله السَّرَّاج المذكور ، بالسَّند المذكور ، وقال إثْرَه : تَرَدَّدَ رأى القاضى عِياض فى هذا الحديث ، ففى الغُنْية[1] : « أنا بَرَاء[2] من عُهدة هذا الحديث » . وفيه : « هذا حديث موضوع . وابن الشيخ لا يُتَّهمُ ، ولا أدرى من [أين][3] دخل عليه[4] هذا » . وفى المدارك[5] : « هو حديث رواه ابن الشيخ عن وهب بن مَيْسَرَة ، يرفعه إلى مالك ، عن نافع ، عن ابن عُمر : أنَّ فى أقصى المغرب ، على ساحل من سواحل البحر ، مدينةً تسمى سَبْتَة ، أسسها رجل صالح اسمه سَبَت ، واشتق لها اسماً من اسمه ، ودعا لها بالنَّصر والظَّفَر ، فما رامها أحد بسوء إلا ردَّ الله بأسه عليه » .

وذكر أشياء على من رامها بسوء ، ثم قال : وهـذا كله يصدّق هذا الحديث . انتهى .

الخليفة الناصر وسبتة

وكانت سَبْتَة مَطمَحَ هِمَم ملوك العُدْوَتين ، وقد كان للناصر المَرْوَانِىّ صاحب الأندلس عنايةٌ واهتمام بدخولها فى إيالته ، حتى حَصَل له ذلك ، ومنها مَلَكَ المَغْرِب ، حَسْبما هو مذكور فى أخباره ، وكان تملُّكه إياها سنة تسع عشرة وثلاث مِئة ، وبها اشتدَّ سلطانه ، وملك البحرَ بعُدْوَتيه ، وصار المَجاز فى يده ، [٤٠١] وتوطَّدَتْ طاعته بأرض المغرب ، وكان أولَ من سما إلى ذلك من أمْلاك

(١) الغنية : كتاب لعياض ، وقد سبقت إشارة المؤلف إليه فى مقدمة الجزء الأول وسيأتى الكلام عليه عند ذكر مؤلفات عياض .
(٢) كذا فى ط . وفى م : « أبرأ » .
(٣) التكملة عن م .
(٤) فى ط : « عليهم » .
(٥) كذا فى م . يريد كتاب المدارك لعياض . وفى ط : « المذكور » . وهو تحريف .

الأندلس ، منذ سكنها الإسلام ، فاستظهر بها على أمره ، وخلّفها[١] ميراثاً لمن بعده من وُلاة الأندلس ، وأكرم وجوه أهل سَبتة الذين جَنَحوا إلى طاعته ، ورفع منازلهم ، وقضى حوائجهم ، وَوَصَلَهم ، وخلع عليهم وعلى قاضيهم حُسَيْن ابن فتح .

خلافة الناصر

والناصر أول من تسمّى بأمير المؤمنين من بنى أمية بالأندلس ، لأن الدولة عظمت فى أيامه ، حين اختلّ[٢] نظام ملك العباسيين بالمشرق ، وتغلّبت عليه الأعاجم ، ولم يَتَسمّ أحد من سَلَفِه[٣] بالأندلس إلا بالأمير . وكان مُلكه بالأندلس فى غاية ما يكون من الضخامة[٤] ورفعة الشأن ، وهادَنَه الرُّوم ، وأزدلفت إليه ، تطلب مُهادنته ومُتاحفته بعظيم الذخائر ، ولم تَبْقَ أُمَّةٌ سمِعَتْ به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس وسائر الأمم ، إلا وجَرَتْ إلَيْه ، أو وفدت خاضعة راغبة ، وانصرفت عنه راضية . وقد سَرَد الإمام ابن حَيّان من ذلك فى تاريخه الكبير ما هو معلوم ، وذكر هو وغيره أن صاحب مدينة القُسْطَنْطِينِيَّة العُظمى هاداه ، ورغب فى مُوادعته .

رسل ملك الروم إليه

وكان وُصُول أَرْسَالِ صاحِب القسطنطينية عظيم الروم قُسْطَنْطِين بن ليونَ فى شهر صفر سنة ثمان وثلاثين[٥] وثلاث مِئة ، وتأهبَ الناصر لورودهم ، وأمر أن يُتَلَقَّوْا أعظم تَلَقٍّ وأفخمه ، وأحسن قبول وأكرمه ، وأخرج إلى لقائهم ببَجّانة يحيى بن محمد بن اللَّيث وغيرَه ، لخدمة أسباب الطريق ، فلما صاروا بأقرب المحلّات من قُرطبة ، خرج إلى لِقائهم القوّاد ، فى العَدَد والعُدَّة

(١) فى ط : « وخلاها » . (٢) فى ط : « اختلط » .
(٣) فى ط : « ممن سلف » . (٤) فى ط : « الفخامة » .
(٥) كذا فى م ونفح الطيب ، وفيه أيضاً نقلا عن ابن خلدون ، أنها كانت سنة ست وثلاثين ، ولم يرجح المؤلف إحدى الروايتين . وفى ط : « ثلاث وثلاثين » .

والتَّعْبية ، فتلقَّوْهُم قائداً بعد قائد ، وكمَّل اختصاصهم بعد ذلك بأن أخرج
[٤٠٢] إليهم الفَتَيْين الكبيرين الخَصِيّين : ياسرا وتمَّاما ، إبلاغا فى الاحتفاء بهم ، فلقياهم بعد القُوَّاد ، فاستبان لهم بخروج الفَتَيين إليهم بَسْطُ الناصر وإكرامه[١] ، وأنزلوا بمُنْية ولىّ العَهْد الحَكَم ، المنسوبة إلى نُصَير[٢] ، بعُدْوَة قُرْطبة فى الرَّبَض ، ومُنِعُوا وحُمُوا من لقاء الخاصَّة والعامَّة ، ومُلابسة الناس جُملة ، ورُتِّب لحِجابتهم رجال تُخُيِّروا من الموالى ووُجوه الحشَم[٣] ، فصُيِّرُوا على باب قصر هذه المُنْية ستة عشرَ رجلا ، لأربع دُول ، لكل دولة أربعة منهم ، ورحل الناصر لدين الله من قَصْر الزَّهْراء إلى قصر قُرطبة ، لدخول وفود الروم عليه ، فقَعد لهم يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، من السنة المذكورة ، فى بَهْو المجلس الزاهر ، قُعوداً حسَنًا نبيلا ؛ فقعد عن يَمينه من بنيه ، ولىّ العهد الحَكَم ، ثم عبد الله ، ثم عبد العزيز ، ثم الأصبغ ، ثم مَرْوان ؛ وقعد عن يَساره المُنذر ، ثم عبد الجبَّار ، ثم سليمان ؛ وتخلَّف عبد الملك ، لأنه كان عليلا لم يُطِق الحضور ؛ وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالا ، ووقف الحُجَّاب من أهل الخِدْمة من أبناء الوزراء والموالى والوكلاء وغيرهم ، وقد بُسط صحن الدار أجمع بعِتاق البُسط وكرائم الدَّرانك[٤] ، وظُلِّلت أبواب الدار وحناياها بظُلَل الدِّيباج ورَفيع السُّتور ، فوصل [رُسُل][٥] ملك الروم حائرين مما[٦] رأوه

(١) ذكر المقرى بعد هذا فى النفح هذه العبارة : « لأن الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة ، لأنهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه ، وبيدهم القصر السلطانى » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى م « نصر » . وفى ط « مضر » .
(٣) فى ط : « المشيخة » .
(٤) الدرانك : ضروب من البسط .
(٥) هذه الكلمة عن نفح الطيب .
(٦) فى ط : « حائرين لمتعة ما رأوه » . وفى م : « حائرين لشنعة ما رأوه » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

من بَهجة المُلك ، وفَخَامة السلطان ، ودَفعوا كتابَ مَلِكهم صاحب القسطنطينية ، وهو فى رَقّ مَصْبوغ لوناً سماويًا ، ومكتوب بالذهب بالخط الإغريقى ، وداخل الكتاب مُدْرجَة مصبوغة أيضا ، مكتوبة بفِضّة بخط إغريقىّ أيضاً ، فيها وصف هديته التى أرسل بها وعَددُها ، وعلى الكتاب طابَع ذهب ، وزنُه أربعة مثاقيل ، على الوجه الواحد منه صورة المسيح ، وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة [٤٠٣] ولده . وكان الكتاب بداخل دُرْجِ فِضّة منقوش ، عليه غِطاء ذهب ، فيه صورة قسطنطين الملك ، مَعْمولة من الزجاج الملوّن البديع ، وكان الدُّرْج داخل جَعبَةٍ[1] مُلْبسة بالدِّيباج ، وكان فى تَرجمة عُنوان الكتاب فى سَطر منه :

« قُسطنطين ورُومانُس[2] ، المؤمنان بالمسيح ، المَلِكان العظيمان ، مَلِكا الروم » .

وفى سطر آخر :

« العظيم الاستحقاق للفخر ، الشريف النسب ، عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس ، أطال الله تعالى بقاءه » .

وفى خمس بقين منه نُقِل هؤلاء الرُّسُل من منزلهم بمُنية نُصَيْر[3] بالرَّبَض ، إلى دار إبراهيم الفتى ، بداخل قُرطبة .

وفى آخر هذا الشهر أعاد الناصر لدين الله القُعود الثانىَ لرُسُل مَلِك الروم ، بقصر الزهراء ، فاحتفل لذلك أيضاً ، واستكمل له الأُهْبة ، وبالغ فى الزينة ، وقعد على باب السُّدة صاحب المدينة ، مع من ضُمّ إليه من العُرَفاء والشُّرَط والحَرَس ، وهم صفوف قيام ، وقام مع سُور القصر سِماط من الموالى ، فى

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « جفنة » .

(٢) كذا فى إحدى روايات نفح الطيب (طبعة أوربة) . وقد ورد هذا الاسم مضطربا فى الاصلين وكثير من المراجع ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) انظر الحاشية رقم (٣) صفحة (٢٥٧) من هذا الجزء .

الملابس الحِسان والسلاح الشاكّ ، وأُلزَمَ[١] الفُصْلان[٢] كلّها جُمَلا من العبيد والحَشَم والبوّابين وغيرهم ، فى أشكل زِيهم .

ثم أعاد القعود لهم بالزهراء ، وهذا[٣] القعود الثالث ، كان يوم الخميس لثلاث بقين منه ، على ما تقدم فى[٤] الأُهبة والاحتفال فى الزينة .

وفى النصف من جُمادى الأولى منها أدخل الناصر لدين الله هؤلاء الرسل على نفسه ، فى مجلس خاص ، قعد لهم فيه بقصر الزّهراء ، فى المجلس المشرف على الرياض ، فلما خرجوا من عنده ، أُدخلوا فى[٥] دِيار الصِّناعات والعُدّة
[٤٠٤] بأكناف الزهراء ودار السِّكة ، وطِيف بهم بأرجائها ، ثم صُرِفوا إلى دار نُزولهم ، فاتصل مُقامهم بقُرطبة فى كرامة موصولة ، وعطايا متوالية ، إلى أن كَمَلت الهدية التى كوفئ بها الطاغية مُرْسِلُهم ، وأُسلمت إليهم ، مع أجوبتهم ، وأُمروا بالرحيل .

وجلس لهم الناصر لدين الله فى النصف من شوال من السنة بعدها ، فدخلوا للوَداع ، وجُدِّدت لهم الخِلَع ، وانطلقوا لسبيلهم ، متعجبين مما رأوا من عِزّ الإسلام .

هدية ابن شهيد إلى الناصر

وفى سنة سبع وعشرين وثلاث مئة ، لثمان خَلَون من شهر جُمادى الأولى ، وردت على الناصر لدين الله هدية وزيره أحمدَ بن عبد الملك بن شُهَيد ، العظيمة الشأن ، التى اشتهر ذكرها إلى الآن ، ووقع الإجماع على أنه لم يُهادَ أحد من ملوك الأندلس بمثلها ، فأعجبتِ الناصر وأهل مملكته جميعاً ، وأقروا أن نَفْساً

(١) كذا فى م . وفى ط : « والروم » . ولا يستقيم بها الكلام .
(٢) الفصلان ، كما فى كتب اللغة : جمع فصيل ، وهو حائط قصير دون الحصن أو دون سور البلد . وقد توسع المغاربة فى استعماله ، فأطلقوه على ما نسميه « الجناح » وهو القسم المستقل من بناء يجمع عدة أقسام . وسترد هذه الكلمة بهذا المعنى بعد قليل فى هذا الجزء .
(٣) فى ط : « وهو » .
(٤) فى م : « من » .
(٥) زادت م هنا : « رياض » .

لم تسمح بإخراج مثلها ضربة عن[١] يدها ، وكتب مع هديته هذه رسالة حسنة ، بالاعتراف للناصر لدين الله بالنعمة ، والشكر عليها ، استحسنها الناس وكتبوها . وزاد الناصر وزيرَه هذا حُظْوَةً واختصاصاً ، وأسمى منزلته على سائر الوزراء جميعاً ، فأضعف له رِزق الوِزارة ، وبَلَّغه ثمانين ديناراً فى الشهر ، وبلغ مصروفه إلى ألف دينار فى السنة[٢] ، وثَنَّى له العظمة ، لتثنيته له الرزق ، فسماه ذا الوزارتين لذلك ، وكان أولَ مَن سُمِّى بذلك بالأندلس ، امتثالا لاسم صاعد بن مَخْلَد الوزير ، وزير بنى العباس ببغداد ، وأمر بتصدير فِراشه فى البيت ، وتقديم اسمه فى زِمام[٣] الارتزاق فى أول التسمية ، فعظُم مِقداره فى الدولة جِدّا .

وتفسير هديته هـذه ، على ما ثبت فى كتابه للناصر : وذلك من المـال العَين خمسُ مِئة ألفِ دينار ؛ ومن العُود المرتفع أربعُ مِئة رِطل ، منها فى قطعة [٤٠٥] واحدة مئة وثمانون رطلا ؛ ومن المسك الذكى المفضَّل فى جنسه مِئتا أوقية واثنتا عشرة أوقية ؛ ومن العنبر الأشهب الذى بقى على خلقته ولم تدخله صناعة مِئة أوقية ، منها قطعة عجيبة الشكل أربعون أوقية ؛ ومن الـكافور المرتفع النقى الذكى ثلاث مِئة أوقية ؛ ومن أنواع الثياب ثلاثون شُقَّة ، وبُقَج[٤] خاصّية للباسه ، بيضا وملوّنة ، وخمس ظهائر شُعَيْبِيَّة[٥] خاصّية له ، وعشرة فِراء من عالى الفَنَك ، منها سبعة بيض خُراسانية ، وثلاثة مُلَوَّنة ، وستة مَطارف عراقية خاصّية له ، وثمانى وأربعون مِلْحَفَة زَهْرية لِـكُسوته ، ومِئة مِلحفة زهرية

(١) فى م والنفح طبعة أوربة : « على » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « وبلغه ثمانين ألف دينار فى السنة » ، ونص هذه العبارة فى جميع نسخ النفح التى تحت أيدينا : « وبلغه ثمانين ألف دينار أندلسية ، وبلغ معروفه إلى ألف دينار » . (٣) فى نفح الطيب : « فى دفتر » .
(٤) كذا فى ط . وفى م : « فتح » . وفى جميع نسخ نفح الطيب : « خنج » ، ولعله محرف عما أثبتناه . (٥) كذا فى الأصلين ونفح الطيب .

لرقاده ، وعشرة قناطير شُدَّ فيها مئة جلد سَمُّور ، وأربعة آلاف رِطل من الحرير المغزول ، وألف رطل من لون الحرير ، قبض جميع ذلك صاحب الطِّراز ، وثلاثون بساطاً من صوف مختلفة الصناعات ، طول كل بساط منها عشرون ذراعاً ، ومئة مُصَلًّى من وجوه الفُرُش المختلفة الصناعات ، من جنس البُسُط ، وخمسة عشر نِخًّا[1] من عمل الخز المقطوع شَطرها ، وسائرُها من جنس البُسُط الوجوه ؛ ومن السلاح والعُدَّة مِئة تِجْفاف[2] ، بأبدع الصناعات[3] وأغربها وأكملها ، وألف تُرْس سُلطانية ، ومِئَة ألف سهم ؛ ومن الخيل مِئَة فرس ، منها من الخيل العِراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا ، وخمسة من عُرْض هذه الخيل مسرجة ملجمة ، لمراكب الخلافة ، مجالس[4] سروجها خز عراق ، وثمانون فرساً مما يصلح للوُصَفاء والحَشَم ، وخمسة أبغل عالية الركاب ، وأربعون وصيفا ، وعشرون جارية من مُتَخَيَّر الرقيق ، بكسوتهم وجميع آلاتهم .

وفى الكتاب : كان قد أمرنى أيده الله بابتياعهم من مال الأخماس قبلُ ، فابْتعتهم من نِعمته عندى ، وصيرتهم من بيتى[5] ، ومع ذلك عشرة [٤٠٦] قناطيرَ سُكَّر طَبَرْزَذ ، لا سُحاق[6] فيه .

وفى آخر الكتاب : ولما علمت تطلع مولاى — أيده الله تعالى — إلى قرية كذا بالعقبانية[7] المنقطعة الغرْس فى شَرَفها ، وتَرداده — أيده الله

(١) فى الأصلين والنفح المخطوط « نوخا » . وفى النفح المطبوع « نخاخا » ، والكلمة محرفة عما أثبتناه .

(٢) التجفاف (بالكسر) : آلة للحرب ، يلبسه الفرس والإنسان ليقيه فى الحرب .

(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « الصباغات » .

(٤) كذا فى جميع نسخ نفح الطيب . وفى الأصلين : « ملابس » .

(٥) فى ط : « وبعثى » .

(٦) يريد بالسحاق (السكر الناعم) . ولم نجد هذه الكلمة فى معاجم اللغة .

(٧) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب طبعة أوربة : « القبقانية » . وفى النفح المخطوط وطبعة القاهرة : « القينانية » .

تعالى — لذكرها ، لم أهنأ بعيش حتى أعملت الحيلة فى ابتياعها بأحوازها ، وأكتبت وكيله ابن بقيّة الوثيقة فيها باسمه ، وضمّها إلى ضياعه ، وكذلك صنعت فى قرية شِيرة من نَظَر[1] جَيّان ، عندما اتصل بى من وصفه لها ، وتطلّعه إليها ، فما زلت أتصدى لمسرّته بهـا ، حتى ابتعتها الآن بأحوازها ، وجميع منازلها ور بوعها[2] ، واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقيّة ، وصار فى يده له أبقاه الله سبحانه ، وأرجو أنه سيُرْفع فيها فى هذه السنة آلافُ أمداد من الأطعمة إن شاء الله تعالى .

ولما علمت نافذ عزمه — أبقاه الله تعالى — فى البُنيان ، وكَلَفه به ، وفكرت فى عدد الأماكن التى تَطَلَّع نفسه الكريمة إلى تخليد آثاره فى بنيانها ، مدّ الله فى عمره ، وأوفى بهـا على أقصى أمله ، علمت أن أسّـه وقِوامه الصخر ، والاستكثار منه ، فأثارت لى همتى ونصيحتى حِكمة حيلة أحْكَمها سعدُك وجَدك ، اللذان يبعثان ما لا يُتَوَهَّم علمه ، حيلة أقيم لك بها فى عام واحد عدد ما كان يقوم على يدى عبدك ابن عاصم فى عشرين عاما ، وينتهى تحصيل النفقة فيه إلى نحو الثمانين ألفا ، أعجّل شأنَه فى عام ، سوى التوفير العظيم الذى يبديه العِيان ، إن شاء الله تعـالى ؛ وكذلك ما ثاب إلى فى أمر الخَشَب لهذه المُنْية المكرّمة ، فإن ابن خليل عبدك المجتهد الدءوب انتهى فى تحصيل عدد ما تحتاج إليه ، ثلاثِ مِئة ألف عود ، ونيّفٍ على عشرين ألفَ عود ، على أنه لا يدخل منه فى السـنة إلا نحو الألفى عود ، ففتح لى سعدك رأيا أقيم له بتمامه جميع هـذه الخشُب العام على كماله ، بورود الجَليبة لوقتها ، وقيمته على الرخص ما بين الخمسين ألفا إلى الستين[3] ألفا . [٤٠٧]

(١) كذا فى جميع نسخ نفح الطيب . وفى الأصلين : « قطر » .
(٢) فى الأصلين : « وزروعها » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى ط . وفى م والنفح : « والستين » .

انتهى ما بعث به الوزير ابن شُهيد ملخَّصا[1] .

الناصر وقد أراد الفصد يوما

ومن غريب ما يُحكى أن أمير المؤمنين أراد الفَصد ، فقعد فى البهو بالمجلس الكبير المشرف بأعلى مدينته بالزهراء ، واستدعى الطبيب لذلك ، وأخذ الطبيب المِبضَع ، وجَسّ عَضُد[2] الناصر ، فبينما هو كذلك إذ أطلّ زُرزور ، فصعِد على إناء ذهب بالمجلس ، وأنشد :

أيُّها الفاصِدُ رِفْقًا بأمـــيرِ المؤمنينَا
إنما تفصِدُ عِرْقًا فِيهِ يَحْيَا العالَمِينَا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة ، فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف ، وسُرّ به غاية السرور ، وسأل عمن اهتدى إلى ذلك وعَلّم الزُّرزور ، فذُكر له أن السيدة الكبرى مرْجانة ، أم ولده ولىّ عهده الحكم المستنصر بالله ، صنعت ذلك ، وأعدته لذلك الأمر ؛ فوهب لها ما يُنَيِّف على ثلاثين ألف دينار .

بناء الناصر جامع الزهرا

والناصر المذكور هو البانى لمدينة الزَّهراء العظيمة المِقدار . وكان يَعمل فى جامعها حين شرع فيه من حُذّاق الفَعَلة كلّ يوم ألفُ نَسَمة ، منها ثلاث مئة بَنّاء ، ومِئتا نجار ، وخمس مئة من الأجراء وسائرِ أهل الصنائع ، فاستتمّ بنيانَه وإتقانه فى مدة ثمانية وأربعين يوما ، وجاء فى غاية الإتقان ، من خمسة أبهاء عجيبة الصنعة . وطوله من القبلة إلى الجوف ، حاشى المقصورة ، ثلاثون ذراعا ، وعرْض البَهْو الأوسط من أبهائه ، من الشرق إلى الغرب ثلاث عشرة ذراعا ، وعَرْض كل بهو من الأربعة المكتنفة له اثنتا عشرة ذراعا ، وطول

(١) ورد الخبر عن هدية ابن شهيد لعبد الرحمن الناصر فى نفح الطيب نقلا عن تاريخى ابن خلدون وابن الفرضى ، فارجع إليه .
(٢) فى م ونفح الطيب : « يد » .

صحنه المكشوف من القبلة إلى الجوف ثلاث وأربعون ذراعا ، وعرضه من الشرق إلى الغرب إحدى وأربعون ذراعا ، وجميعه مفروش بالرُّخام الخَمْرىّ ؛ وفى وسطه فَوَّارَة يجرى فيها الماء ؛ فطول هذا المسجد أجمع من القبلة إلى الجوف — سوى المحراب — سبع وتسعون ذراعا ، وعرضه من الشرق إلى الغرب تسع وخمسون ذراعا ، وطول صَومعته فى الهواء أربعون ذراعا ، وعرضها عشر أذرع فى مثلها .

وأمر الناصر لدين الله باتخاذ مِنبر بديع لهذا المسجد ، فصُنع فى نهاية من الحسن ، ووُضع فى مكانه منه ، وحُظِرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة . وكان وضع هذا المِنْبر فى مكانه من هذا المسجد عند إكماله ، وذلك يوم الخميس لسبع بَقِين من شعبان من سنة تسع وعشرين وثلاث مئة .

بناؤه القناة

وكان فى صدر هذه السنة كمل الناصر بُنيان القناة الغريبة الصنعة ، التى أُجْرِىَ فيها الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربىّ قرطبة ، فى المناهر المهندسة ، وعلى الحنايا المعقودة ، يجرى ماؤها بتدبير عجيب ، وصنعة غريبة محكمة ، إلى بِركة عظيمة ، عليها أسد عظيم الصورة ، بديع الصنعة ، شديد الروعة ، لم يُشاهَد أوفى منه ولا أبهى منه فيما صوّر الملوك فى غابر الدهر ، مطلىّ بذهب إبريز ، وعيناه جوهرتان ، لهما وميض شديد . يجوز هذا الماء إلى عجز هذا الأسد ، فيمجه فى تلك البركة مِن فيه ، فيَبْهر الناظر بحسنه وروعة منظره ، وثجاجة[1] صبّه ؛ فتُسْقَى من مُجاجه جِنان هذا القصر على سعتها ، ويستفيض على ساحاته وَجنَباته ، ويُمِدّ النهر الأعظم بما فَضَل منه ، فكانت هذه القناة وبِركتها ، والتمثال الذهب الذى يصب فيها ، من أعظم آثار الملوك فى

(١) لم نجد هذه الكلمة من مصادر : ثج الماء ، بمعنى انصب .

غابر الدهر ، لبعد مسافتها ، واختلاف مسالكها ، وفخامة بنيانها ، وسُموّ أبراجها ، التى يترقى الماء فيها ، ويتصوّب من أعاليها .

[٤٠٩] وكان مدة العمل فيها ، من يومَ ابتُدِئَت من الجبل إلى أن وصلتْ [أعنى القناة] (١) إلى هذه البركة ، أربعة عشر شهرا . وكان انطلاق الماء فى هذه البركة الانطلاق الذى اتصل واستمر ، يومَ الخميس غُرة جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وكانت للناصر فى هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة ، أفضل فيها على عامّة أهل مملكته ، ووصل المهندسين والقوّام بالعمل بصِلات حسنة جزيلة .

تشييد الناصر مدينة الزهراء

واستمر العمل فى مدينة الزّهراء من عام خمسة وعشرين وثلاث مئة [إلى آخر دولة الناصر وابنه الحَكَم ، وذلك نحو من أربعين سنة] (١) .

ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما ذكرناه آنفاً ، كانت أول جماعة صُلِّيت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان ، وكان الإمام لها فيه القاضى [أبا عبد الله] (١) محمد بن عبد الله بن أبى عيسى . ومن الغد صَلّى الناصر فيه الجمعة ؛ وأول خطيب خَطَب به القاضى المذكور .

ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهى فى الجلالة والفخامة ، أطبق الناس على أنه لم يُبْنَ مثله فى الإسلام أَلْبَتَّة ، وما دخل إليه أحد قط من سائر البلاد النائية ، والنِّحَل المختلفة ، من ملك وارد ، ورسول وافد ، وتاجر ، وجِهْبِذ ، وفى هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفِطنة ، إلا وكلهم قطع أنه لم ير له شبيها ، بل لم يَسْمع به ، بل لم يتوهم كون مثله ، حتى إنه كان أعجب ما يؤمله القاطع إلى الأندلس فى تلك العصور النظر إليه ، والتحدث عنه ؛ والأخبار عن هذا تتسع جدا ، والأدلة عليه تكثر ، ولو لم يكن فيه إلا السطح المُمَرَّد ،

(١) التكملة من نفح الطيب .

المشرف على الروضة ، المباهِى بمجلس الذهب والقبّة وعجائب ما تضمنته من إتقان الصنعة ، وفخامة الهمّة ، وحسن المسْتَشْرَف ، وبراعة الملبس والحُلّة ، ما بين مَرْمَر مَسنون ، وذهب مَوْضون ، وعَمَد كأنما أُفْرِغَت فى القوالب ، [٤١٠] ونقوش كالرياض ، وبِرَك عظيمة محكمة الصنعة ، وحياض وتماثيل عجيبة الأشخاص ، لا تهتدى الأوهام إلى سبيل استقصاء التعبير عنها ؛ فسبحان الذى أقدر هذا المخلوق الضعيف على إبداعها واختراعها من أجزاء الأرض المنحلة ، كيما يُرِى الغافلين عنه من عباده ، مثالا لما أعده لأهل السعادة فى دار المُقامة ، التى لا يتسلّط عليها الفناء ، ولا تحتاج إلى الرَّمّ ، لا إله إلا هو المنفرد بالكرم .

وذكر المؤرخ أبو مَرْوان بن حيّان صاحب الشرطة ، أن مبانى قصر الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ، ما بين كبيرة وصغيرة ، حاملة ومحمولة ، ونَيِّف على ثلاث مئة سارية زائدة ؛ وفسّر بعضهم هذا النيّف بثلاث عشرة ، منها ما جُلِب من مدينة رُومة ، ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية ؛ وأن مصاريع أبوابها ، صغارها وكبارها ، كانت تنيّف على خمسة عشر ألف باب ، وكلها مُلْبَسة بالحديد والنحاس المموّه ، والله أعلم ، فإنها كانت من أهول ما بناه الإنس ، وأجله خطرا ، وأعظمه شأنا .

وقال بعض المؤرخين : وكان عدد الفِتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى ، وسبع مئة وخمسين فتى ، ودَخالتهم[1] من اللحم كل يوم ، حاشى أنواع الطير والحوت ، ثلاثة عشر ألفَ رطل ؛ وعِدّة النساء بقصر الزهراء ، الصغار والكبار وخدم الخِدْمة ، ستة آلاف وثلاث مئة أمرأة وأربع عشرة . ورأيت فى بعض الدواوين

(١) الدخالة بمعنى الراتب : لفظة أندلسية مولدة لم تذكرها المعاجم العربية ، وذكرها دوزى فى تكملة المعاجم العربية .

— وهو الصواب إن شاء الله — أن عدد الفِتيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبع مئة وخمسون ، [وجعل بعضهم مكان الخمسين سبعة وثمانين] [١] ، وعدد النساء بقصر الزهراء مثل ما ذكرنا أولا .

[٤١١] ثم قال بإثره : وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسّم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك ، سوى الدَّجاج والحَجَل وصنوف الطير وضروب الحِيتان . والله تعالى أعلم .

وقال ابن حيان : ألفيت بخط ابن دحون الفقيه ، قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس : بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بنيان الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلاث مئة ، وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المنجور المعدَّل ستة آلاف صخرة ، سوى الصخر المنصرف فى التبليط ، فإنه لم يدخل فى هذا العدد . وكان يخدم فى الزهراء كل يوم ألف وأربع مئة بغل ، منها أربع مِئة زوامل الناصر لدين الله ، ومن دوابّ الأكرية الراتبة للخدمة ألف بغل ، لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل فى الشهر ، يجب لها فى الشهر ثلاثة آلاف مثقال . وكان يرد الزهراء من الجير والجصّ فى كل ثالثٍ من الأيام ألف ومئة حِمْل [١] ، وكان فيها حمامان ، واحدة للقصر ، وثانية للعامّة .

وذكر بعض أهل الخدمة فى الزّهراء أنه قَدَّر النفقة فيها فى كل عام بثلاث مِئة ألف دينار ، مدة خمسة وعشرين عاماً [التى بقيت من دولة الناصر ، من حين ابتدأها ، لأنه تُوُفّى سنة خمسين] [٢] ، وحَصَّل جميع الإنفاق فيها ، فكان مبلغه خمسة عشر بيتَ مال .

(١) التكملة عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى نفح الطيب : وفى الأصلين : « جل » .

قال : وجلب إليها الرُّخام من قَرطاجَنَّة وإفريقية وتونس ، وكان الذين يجلبونه عبدُ الله بن يونس عَريف البنائين ، وحسنٌ وعلىٌّ[1] ابنا جعفر الإسكندرانى . وكان الناصر يصلهم على كل رخامة ، صغيرة أو كبيرة بعشرة دنانير .

وقال بعض المؤرخين الأثبات : كان يصلهم على كل رُخامة صغيرة بثلاثة دنانير ، وعلى كل سارية بثمانية دنانير سجلماسية[2] ، وكان عدد السَّوارى المجلوبة من إفريقية ألف سارية ، وثلاث عشرة سارية ، ومن بلاد الإفرنج تسع عشرة سارية . وأهدى إليه ملك الروم مئة وأربعين سارية ، وسائرها من [٤١٢] مقاطع الأندلس : طَرَّكونة وغيرها ، فالرُّخام المجزَّع من رَيَّة ، والأبيض من غيرها ، والوردىُّ والأخضر من إفريقية ، من كنيسة سَفَاقُس . وأما الحوض المنقوش المُذْهَب الغريب الشكل ، العالى القيمة ، فجلبه إليه أحمد اليونانى من القُسطنطينية ، مع ربيع الأسقف القادم من إيلياء ؛ وأما الحوض الصغير الأخضر المنقوش بتماثيل الإنسان ، فجلبه أحمد من الشام ، وقيل من القسطنطينية مع ربيع الأسقف أيضا ، وقالوا إنه لا قيمة له ، لفرْط غرابته وجماله ، وحُمل من مكان إلى مكان ، حتى وصل فى البحر ، ونصبه الناصر فى بيت المنام ، فى المجلس المستشرف الشرقى ، المعروف بالمؤنس ، وجعل عليه اثنى عشر تمثالا من الذهب الأحمر ، مرصَّعة بالدر النفيس الغالى ، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة : صورة أسد إلى جانبه صورة غزال ، إلى جانبه صورة تمساح ، وفيما يقابله ثعبان وعُقاب ، وفى

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « عامر » .

(٢) فى ط : « سلجماسية » وفى م : « سلجسماتية » . وظاهر أنهما محرفتان عما أثبتناه .

المُجَنَّبتين حَمامة ، وشاهين ، وطاوس ، ودَجاجة ، وديك ، والثانى عشر[١] لم يحضرنى اسمه الآن ؛ وكل هذا من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ، [ويخرج الماء من أفواهها][٢] . وكان المتولّى لهذا البنيان المذكور ابنه الحَكَم ، لم يتّكل فيه الناصر على أمين غيره ، وكان يُخبز فى أيامه كل يوم برسم حِيتان البحيرة[٣] ثمان مِئة خُبْزة [وقيل أكثر][٢] ، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه[٤] .

وكان الناصر قد قسّم الجباية أثلاثا ، ثلث للجند ، وثلث للبناء ، وثلث مُدَّخر . وكانت جِباية الأندلس يومئذ من الكُوَر والقُرى خمسة آلاف ألف[٥] ، وأربع مئة ألف ، وثمانين ألف [دينار][٢] ، ومن السُّتُّوق والمستخلص سبعَ مئة ألف ، وخمسة وستين ألفَ دينار ؛ وأما أخماس الغنائم فلا يحصيها ديوان . وقيل إن مبلغ تحصيل النفقة فى بُنْيان الزهراء مِئة مُدْى[٦] [٤١٣] من الدراهم القاسمية ، بكيل قُرطبة . وقيل إن مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ثمانون مُدْيا وستة[٧] أقفزة ، من الدراهم المذكورة . واتصل بُنيان الزهراء أيام الناصر خمسا وعشرين سنة ، شطر خلافته ، ثم اتصل بعد وفاته خلافةَ ابنه الحَكَم كلّها ، وكانت خمسة عشر عاما وأشهرا . فسبحان الباقى بعد فناء الخلق ، لا إله إلا هو .

---

(١) لم يذكر المؤلف (هنا) غير عشرة ، وقد ذكرها فى نفح الطيب وزاد على ماذكره هنا : الفيل ، والحدأة ، والنسر .

(٢) التكملة عن نفح الطيب .

(٣) فى نفح الطيب : « البحيرات » .

(٤) ورد فى كتاب « إعمال الأعلام » للسان الدين بن الخطيب (قسم ثان) فى ترجمة عبد الرحمن الناصر ذكر بناء الزهراء باختلاف فى بعض التفاصيل .

(٥) فى نفح الطيب : « خمسة آلاف ألف ألف » .

(٦) المدى : مكيال ، وهو غير المد .

(٧) فى نفح الطيب : « سبعة » .

شىء عن عمران قرطبة

وكانت قرطبة إذ ذاك أم المدائن ، وقاعدة الأندلس ، وقَرارة الملك . وكان عدد شُرطاتها أربعة آلاف وثلاث مئة ، وكانت عِدّة الدور التى فى القصر الكبير أربع مئة دار [ونيفا وثلاثين] (١) ، وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها ، الواجب على أهلها المبيت فى السور ، مئة ألف دار ، وثلاثة عشر ألف دار ، حاشى دور الوزراء وأكابر الناس والبياض (٢) ، وعدد أرباضها ثمانية وعشرون ، وقيل أحد وعشرون ؛ ومبلغ (٣) المساجد بها ثلاثة آلاف وثمان مئة وسبعة وثلاثون مسجدا ؛ وعدد الحمامات المُبرَزة للناس سبع مئة حمام ، وقيل ثلاث مئة ؛ ووسط الأرباض قَصَبة (٤) قرطبة ، التى تختص بالسور دونها . وأما اليتيمة التى كانت فى القصر فى المجلس البديع ، فإنها كانت من تُحَف (٥) قصر اليونانيين ، بعث بها صاحب القسطنطينية إلى الناصر مع تحف كثيرة سنية .

احتفال الناصر لمقدم ملك الروم وظهور البلوطى على سائر الخطباء

وكان القاضى مُنذرُ بن سعيد البَلُّوطى ممن يُكرمه الناصر ويُجلّه ، وولاّه قضاء جماعته ؛ وكان أولَ الأسباب فى معرفته بالناصر ، وزُلفاه لديه ، أنّ الناصر لما احتفل بالجلوس لدخول [رسل] (٦) ملك الروم الأعظم صاحب القسطنطينية عليه بقصر قُرطبة ، الاحتفالَ الذى اشتهر ذكره فى الناس ، حسبما تقدم بعضُ [٤١٤] الإلماع به ، أحبّ أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكُر جلالة مَقعده ، وعظيمَ سلطانه ، وتَصِف ما تهيأ له من توطيد الخلافة فى دولته . وتَقدَّم إلى الأمير الحكم ابنه وولىّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، ويقدمه أمام نشيد

(١) التكملة عن نفح الطيب .
(٢) يريد بالبياض : خاصة الناس ، وهو فى مقابل السواد والجمهور .
(٣) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « وبلغ » .
(٤) فى نفح الطيب : « قبة قرطبة التى تحيط بالسور » ، وفى العبارة تحريف ظاهر .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « فكانها كانت تحف »
(٦) زيادة يقتضيها السياق .

الشعراء ، فأمر الحكم صَنيعه [١] الفقيه محمد بن عبد البر الكُسَيْبانى بالتأهب لذلك ، وإعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدى الخليفة ، وكان يدّعى من المقدُرة على تأليف الكلام ما ليس فى وسع غيره ، وحضر المجلس السلطانىّ ؛ فلما قام يحاول التكلم بما رآه ، بهره هول المقام ، وأُبّهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل غُشِىَ عليه ، وسقط إلى الأرض ؛ فقيل لأبى على البغدادىّ إسماعيل بن القاسم القالى ، صاحب الأمالى والنوادر ، وهو [حينئذ] [٢] ضيف الخليفة ، الوافد عليه من العراق ، وأمير الكلام ، وبحر اللغة : قُم فارقع هذا الوَهْى ؛ فقام ، فحمد الله وأثنى عليه ، بما هو أهله ، وصلّى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القَوْل ، فوقف ساكتاً مُفْكِرا فى كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك مُنذر بن سعيد ، وكان ممن حضر فى زمرة الفقهاء ، قام من ذاته ، [بدرجة من مِرقاته] [٢] ، فوصل افتتاح أبى على لأول خطبته بكلام عجيب ، وفصل مصيب [٣] ، يَسُحُّه سَحًّا [٤] ، كأنما يحفظه قبل ذلك بمدة ، وبدأ من المكان الذى انتهى إليه أبو على البغدادى ، فقال :

أمّا بعد حمد الله والثناء عليه ، والتعداد لآلائه ، والشكر لنعمائه ، والصّلاة على محمد صفيه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مَقاماً ؛ ولكل مَقام مقال ، وليس بعد الحق إلا الضّلال ؛ وإنى [٥] قمت فى مَقام كريم ، بين يدى ملك [٤١٥]

(١) فى ط : « ضيفه » . والتصويب عن م ونفح الطيب .

(٢) التكملة عن نفح الطيب .

(٣) مكان هذه العبارة : « وفصل مصيب » فى نفح الطيب : « ونادى من الإحسان فى ذلك المقام كل مجيب » .

(٤) فى م : « نسجه نسجاً » .

(٥) فى ط : « فقد » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

عظيم ، فأصغوا إلىّ معشرَ الملأ بأسماعكم ، وَالْقَنُوا [١] عنى بأفئدتكم ؛ إن من الحقّ أن يقال للمُحقّ صدقت ، وللمُبطل كذبت ؛ و إن الجليل تعالى فى سمائه ، وتقدّس بصفاته وأسمائه ، أمر كليمه موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى جميع أنبيائه ، أن يُذَكر قومه بأيام الله عزّ وجل عندهم ، وفيه وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسْوَة حسنة ؛ و إنى أُذكّركم بأيام الله عندكم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين ، التى لَمّتْ شَعَثكم ، وَأَمّنَتْ سِرْبكم ، ورفعت قُوّتكم ، بعد أن كنتم قليلا فكثّركم ، ومُستضعفين فقوّاكم ، ومستذلين فنصركم ، ولاّه الله رعايتكم ، وأسند إليه إمامتكم ، أيام ضربت الفتنة سُرادقها على الآفاق ، وأحاطت بكم شُعَل النفاق ، حتى صرتم فى مثل حَدَقة البعير [٢] ، من ضيق الحال ، ونكَد العيش والتقتير [٣] ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرّخاء ، وانتقلتم بيُمن سياسته إلى تمهيد [كنف] [٤] العافية بعد استيطان البلاء . أَنْشُدكم بالله معاشرَ الملأ ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسُّبُل مخوفة فأمّنها ، والأموال مُنتَهبة فأحرزها وحصّنها ، ألم تكن البلاد خَرابًا فعمّرها ، وثغور المسلمين مُهتضمة فحماها ونصرها ، فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمعَ كلمتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشَفَى صدوركم ، وصرتم يداً على عدوّكم ، بعد أن كان بأسُكم بينكم ، فأَنْشُدُكم الله ألم تكن خلافته قُفل الفتنة بعد انطلاقها من عِقالها ، ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب [٤١٦] أحوالها ، ولم يكلْ ذلك إلى القواد والأجناد ، حتى باشره [بالقوة] [٤] والمهجة

(١) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « وأتقنوا » .
(٢) فى م : « العين » .
(٣) فى نفح الطيب : « التغيير » .
(٤) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

والأولاد ، واعتزل النِّسوان ، وهجر الأوطان ، ورفض الدَّعة وهى محبوبة ، وترك الرُّكون إلى الراحة وهى مطلوبة ، بطَوِيَّة صحيحة ، وعزيمة صريحة . و بصيرة نافذة ثاقبة ، وريح هابَّة غالبة ، ونُصْرَة من الله واقعة واجبة ، وسلطان قاهر ، وجَدّ ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور ، متحمِّلا للنصَب ، مستقلا لما ناله فى جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنة عند حِدَّتها ، ولم يبق لها غارب إلا جَبَّه ، ولا نَجَم لأهلها قَرْن إلا جَدَّه ، فأصبحتم بنعمة الله إخوانا ، و بلمِّ أمير المؤمنين لشَعَثكم على أعدائه أعوانا ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب [الخيرات و] (١) البَرَكات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقْصَين والأَدنين مُستخدَمةً إليه و إليكم ، يأتون من كل فجٍّ عميق ، و بلد سَحيق ، لأخذ حَبْل بينه و بينكم ، جملة وتفصيلا ، « ليقضىَ اللهُ أمراً كان مَفْعولا » ، ولَنْ يخلف الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أمور باطنة خافية ، دليلها قائم ، وجَفْنها غير نائم : « وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمنُوا مِنْكمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فى الأرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الآية . وليس فى تصديق ما وعد الله ارتياب ، ولِكلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرّ ، ولكل أجَل كتاب ، فاحمدوا الله ، أيُّها الناس ، على آلائه ، واسألوه المَزيد من نَعمائه ، فقد [٤١٧] أصبحتم فى خلافة أمير المؤمنين ، أيده الله بالعصمة والسَّداد ، وألهمه بخالص التوفيق إلى سبيل الرشاد ، أحسن الناس حالا ، وأنعمهم بالا ، وأعزهم قَرارا ، وأمنعهم دارا ، وأكْثَفَهُمْ جمعا ، وأجلهم صُنعا ، لا تُهاجون ولا تُذَادُون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم ، بالمناصحة

(١) التكملة عن نفح الطيب .

لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفتكم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يداً من الطاعة ، وسعى فى تفريق الجماعة ، ومَرَق من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ؛ وقد علمتم أن فى التعلق بعصمتها [والتمسك بعُروتها] (١) ، حفظَ الأموال وحَقْنَ الدماء ، وصلاح الخاصة والدَّهْماء ، وأنَّ بقوام الطاعة تقام الحدود ، وتُوَفَّى النُّهود ، وبها وُصِلت الأرحام ، ووضحَتْ الأحكام ، وبها سَدَّ الله الخَلَل ، وأَمَّن السُّبُل ، وَوَطَّأَ الأكناف ، ورفع الاختلاف ، وبها طابَ لكم القَرار ، واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به ، فإنه تبارك وتعالى يقول : « أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » الآية . وقد علمتم ما أحاط بكم فى جزيرتكم هذه من ضُروب المُشركين ، وصُنوف المُلْحِدين ، الساعين فى شَقِّ عصاكم ، وتفريق مَلَئِكم ، الآخذين فى مخاذلة دينكم ، وهَتْك حَريمكم ، وتَوهين دعوة نبيكم ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين . أقول قولى هذا ، وأختتم بالحمد لله رب العالمين ، وأستغفر الله الغفور الرحيم ، فإنه خير الغافرين .

[٤١٨] فخرج الناس يتحدثون عن حسن مَقام مُنذر ، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه(٢) . وكان الخليفة الناصر لدين الله أشدَّهم تعجبا منه ، فأقبل على ولى عهده ابنهِ الحَكَم يسائله عنه ، ولم يكن يُثْبت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال له الحكم : هو منذر بن سعيد البَلُّوطِىّ(٣) . فقال : والله(٤) لقد أحسن ما شاء ؛ فَلَئِنْ كان حبّر خطبته هذه وأعدها ، مخافة أن يدور ما دار ، فيتلافَى الوهْى ،

(١) هذه العبارة عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « منطقه » .
(٣) نسبة إلى حِصن البلوط قرب قرطبة .
(٤) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « له » .

فإنه لبديع من قدرته واحتياطه ؛ ولئن كان أتى بها على البديهة لوقته ، إنه لأعجب وأغرب ؛ فكان ذلك سبب اتصاله به ، واستعماله له .

من خطبة البلوطى

وذكر ابن أصبغ الهمْدانىّ عن منذر القاضى ، أنه خطب يوماً وأراد التواضع ، فكان من فصول خطبته أن قال :

حَتَّى مَتى و إلى متى أعظ غيرى[1] ولا أتعظ ، وأَزْجُر ولا أزدجر ، أدل الطريق على المستدلين[2] ، وأبقى مُقيما مع الحائرين ، كلاَّ ، إن هذا لهو البلاء المبين ، « إن هى إلا فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدى من تشاء » الآية . اللهم فرِّغنى لما خلقتنى له . ولا تَشْغَلْنى بما تَكَفَّلْت لى به ، ولا تَحْرمنى وأنا أسألك ، ولا تعذِّبْنى وأنا أستغفرك ، يا أرحم الراحمين . قال :

بينه وبين الناصر فى التزهيد فى تنميق البناء

وكان الخليفة الناصر لدين الله كَلِفا بعمارة الأرض ، و إقامة معالمها ، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك ، وعزّة السُّلطان ، فأفضى به الإغراق فى ذلك إلى أن ابتنى مدينة الزَّهراء ، البناء الذى شاع ذكره ، واستفرغ وُسْعَه فى تنميقها ، و إتقان قُصورها ، وزخرفة مصانعها[3] ؛ فأراد القاضى منذر أن يَغُضَّ منه ، بما يتناوله من الموعظة ، بفصْل الخطاب والحكمة ، والتذكير بالإنابة والرجوع[4] ، فأدخل فى خطبتــه فصلا ، مبتدئاً بقوله تعالى : « أَتَبْنُونَ بِكلِّ رِيعٍ آية تَعبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون . وَ إذا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِين . فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعون . وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بما تَعلَمُون . أَمَدَّكُمْ بأَنعامٍ وَبَنِين . [٤١٩]

(١) هذه الكلمة ساقطة من نفح الطيب .
(٢) كذا وردت هذه العبارة فى الأصلين ونفح الطيب .
(٣) زاد المقرى فى نفح الطيب (هنا) العبارة الآتية : « وانهمك فى ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذى اتخذه ، ثلاث جمع متواليات » وقد آثرنا إثباتهما هنا توضيحا للمقام .
(٤) فى ط : « والرجعة » .

وَجَنَّاتٍ وَعُيُون . إنى أَخَاف عَليكمُ عَذَابَ يَوْم عَظِيم » . ولا تقولوا : « سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِين » . « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ؛ والآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى » ؛ وهى دار القرار ، ومَكان الجزاء .

ووصل ذلك بكلام جَزْل ، وقول فَصْل ، ومضى فى ذم تشييد البنيان ، والاستغراق فى زخرفته ، والإسراف فى الإنفاق [عليه] (١) ؛ فجرَى طَلَقا ، وانتزع فيه قوله (٢) تعالى : « أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ » الآية ؛ وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت ، والتحذير من فَجْأته ، والدعاء إلى الزهد فى هذه الدار الفانية ، والحض على اعتزالها ، والرفض لها ، والندب إلى الإعراض عنها ، والإقصار عن طلب اللذات ، ونَهْى النفس عن اتّباع هواها ؛ فأسْهَب فى ذلك كله ، وأضاف إليه من آى القرآن ما يطابقه ، وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله ، حتى ادَّكر من حضره من الناس ، وخضعوا ورَقُّوا ، واعترفوا وبكَوا ، وضجُّوا ودَعَوْا ، وأعلنوا التضرع إلى الله والتوبة ، والابتهالَ فى المغفرة ، وأخذ خليفتُهم من ذلك بأوفر حظ ، وقد علم أنه المقصود ، فبكى وندِم على ما سلف له [من فَرْطِه] (٣) ، واستعاذ بالله من سُخْطه ؛ إلا أنه وَجَد على مُنذر بن سعيد ، لغلَظ ما تَقَرَّعه به ، فشكا ذلك إلى ولده الحَكَم بعد انصرافه ، وقال : والله لقد تَعَمَّدَنى منذر بخطبته ، وما عَنَى بها غيرى ؛ فأسرف علىّ ، وأفرَط فى تقريعى ، ولم يُحْسِن السياسة فى وعظى ، فزعزع قلبى ، وكاد بعصاه يَقْرعنى (٤) ؛ واستشاط غيظا عليه ، فأقسم ألاَّ يُصَلِّى [٤٢٠]

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب .
(٢) فى ط : « بقوله » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .
(٣) التكملة عن نفح الطيب .
(٤) فى ط : « يصرعنى » . وما أثبتناه عن م والنفح .

خلفه صلاة الجمعة خاصّة ، فجعل يلتزم صلاتَها وراء أحمد بن مطرّف[١] ، صاحب الصلاة بقرطبة ، ويُجانب الصلاة بالزّهراء ؛ وقال له الحكم : وما الذى يمنعك من عزل المنذر من الصلاة بك ، والاستبدال منه إذ كرهته ؟ فزجره وانتهره ، وقال له : أمثل مُنذر بن سعيد فى خيره وفضله وعلمه — لا أم لك — يُعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد ، [سالكة غير القصد][٢] ؟ هذا ما لا يكون ؛ وإنى لأستحيي من الله ألا أجعل بينى وبينه فى صلاة الجمعة شفيعا مثل مُنذر ، فى ورعه وصدقه ، ولكنه قد أحرجنى فأقسمت ؛ ولَوَدِدْتُ أنى أجد سبيلا إلى كفارة يمينى بملكى ؛ بل يصلّى بالناس حياتَه وحياتَنا إن شاء الله تعالى .

خطبة لمنذر فى الاستسقاء

وقحِط الناس آخر مدة الناصر ، فأمر القاضىَ المذكورَ منذرَ بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس ، فتأهّب لذلك ، وصام بين يديه أياما [ثلاثة][٢] ، تنفّلا وإنابة ورهبة ، فاجتمع له الناس فى مصلّى الرَّبَض بقرطبة ، بارزين إلى الله تعالى فى جمع عظيم ، وصعد الخليفة الناصر فى أعلى مصانعه المرتفعة من القصر ، ليشارف[٣] الناس ، ويشاركهم فى الخروج إلى الله تعالى ، والضراعة له ؛ فأبطأ القاضى حتى اجتمع الناس ، وغَصّت بهم ساحة المصلّى ؛ ثم خرج نحوهم ماشيا متضرعا ، مُخْبِتا متخشّعا ، وقام ليخطب ، فلما رأى بِدار الناس إلى ارتقابه[٤] ، واستكانتهم من خِيفة الله ، وإخباتَهم له ، وابتهالهم إليه ، رقّت نفسه ، وغلبته عيناه ؛ فاستعبر وبكى حينا ، ثم افتتح خطبته بأن قال :

يأيها الناس ، سلام عليكم . ثم سكت ، ووقف شبيهَ الحَصِر ، ولم يكُ من

---

(١) فى ط : « معتوف » . وما أثبتناه عن م والنفح .
(٢) التكملة عن نفح الطيب .
(٣) فى ط : « ليعرف الناس » . وما أثبتناه عن م والنفح .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « ارتفاعه » . وفى النفح : « ارتقائه » .

عادته ؛ فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، لا يدرون ما عراه ، ولا ما أراد بقوله ؛ ثم اندفع تاليا لقوله تعالى : « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ [٤٢١] سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ؛ استغفروا ربكم إنه كان غفّارا ، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، وتزلّفوا بالأعمال الصالحات لديه .

قال الحاكى : فضجّ الناس بالبكاء ، وجأروا بالدعاء ؛ ومضى على تمام خطبته ، فقرع النفوس[1] بوعظه ، وانبعث الإخلاص بتذكيره ، فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء مُنْهَمِر ، روّى الثرى ، وطرد المَحْل ، وسكّن الأزل ، والله لطيف بعباده .

من خطبة له أخرى فى ذلك

وكان له فى خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ؛ ومنه أن قال يوما وقد سَرَّح طَرْفه فى مَلأ الناس ، عند ما شَخَصوا إليه بأبصارهم ، فهتف بهم كالمنادى : « يأيها الناس » ، وكررها [عليهم][2] ، مشيرا بيده فى نواحيهم : « أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد . إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيد . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيز » . فاشتد وجد الناس ، وانطلقت أعينهم بالبكاء ، ومضى فى خطبته .

بعض أخباره مع الناصر وحديث القبيبة

قال القاضى أبو الحسن[3] : ومن أخبار مُنذِر المحفوظة له مع الخليفة الناصر ، فى إنكاره عليه الإسراف فى البناء ، أن الناصر كان اتخذ لسطح القُبَيْبة ، المصغرة الاسم للخصوصية ، التى كانت مائلة على الصَّرْح الممرَّد المشهور شأنه بقصر الزهراء ، قراميدَ مُغشَّاةً ذهباً وفضة ، أنفق عليها مالا جسيما ، وقَرْمَد

(١) كذا فى م . وفى ط والنفح : « الناس » .
(٢) هذه الكلمة عن نفح الطيب .
(٣) هو القاضى أبو الحسن بن الحسن النباهى ، وقد مر التعريف به فى صدر هذا الجزء .

سقفها به ، وجعل سقفها صَفْرَاء فاقعة ، إلى بيضاء ناصعة ، فتستلب الأبصار بأشعة أنوارها ، وجلس فيها إثر تمامها يوما لأهل مملكته ، فقال لقَرابته ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة ، مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك : هل رأيتم أو سمعتم مَلِكا كان قبلى فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ فقالوا : لا والله يا أمير [٤٢٢] المؤمنين ، وإنك لأوحدُ فى شأنك كله ، وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه مَلك رأيناه ، ولا انتهى إلينا خبرُه ، فأبهجه قولهم وسره . فبينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضى مُنْذِر بن سعيد واجما ناكس الرأس ، فلما أخذ مجلسه ، قال له كالذى قال لوزرائه ، من ذكر السقف المذهب ، واقتداره على إبداعه ، فأقبلت دموع القاضى تتحدر على لحيته ، وقال له : والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ، ولا أن تمكنه من قيادك[1] هذا التمكين ، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته ، وفضّلك به على العالمين ، حتى يُنْزلك منازل الكافرين . قال : فانفعل عبد الرحمن لقوله ، وقال له : انظر ما تقول ، وكيف أنزلتنى منزلتهم . فقال له : نعم ، أليس الله تعالى يقول : « وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُون » . فوَجَم الخليفة ، وأطْرق مَليّا ، ودموعه تتساقط ، خشوعا لله سبحانه . ثم أقبل على منذر ، وقال له : جزاك الله يا قاضى عنا وعن نفسك خيراً ، وعن الدين والمسلمين أجمل جزائه ، وكثّر فى الناس أمثالك ، فالذى قلت هو الحق . وقام عن مجلسه ذلك [وهو يستغفر الله

(١) فى م : « قلبك » .

تعالى][1] ، وأمر بنقْض سقف القُبيبة ؛ وأعاد قرمدها[2] تراباً على صفةٍ غيرها . انتهى .

الناصر وأيام سروره

وحكى غيرُ واحد أنه وُجِد بخطِّ الناصر رحمه الله : أيامُ السرور التى صفت له دون تكدير يومُ كذا من شهر كذا من سنة كذا ، ويومُ كذا من كذا . وعُدَّت تلك الأيام ، فكانت أربعة عشر يوماً .

فاعجب أيها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها ، وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها . هذا الخليفة الناصر حِلْف السعود ، المضروب به المثل فى الارتقاء [٤٢٣] فى الدنيا والصعود ؛ مَلَكها خمسين سنة وستة أو سبعة أشهر وثلاثة أيام ، ولم تَصْفُ له إلا أربعة عشر يوماً ، فسُبحان ذى العزة القائمة ، والمملكة الدائمة ، تبارك اسمه وتعالى ، لا إله إلا هو .

إعذار الناصر لأولاد ابنه وما كان بينه وبين الفقيه أبى إبراهيم لتخلفه

وحُكى أنه — أعنى الناصر — لما أَعْذَرَ لأولاد ابنه أبى مَرْوانَ الأكبر عبيدِ الله ، اتخذ لذلك صنيعاً عظيما بقصر الزهراء ، لم يتخلف عنه أحد من أهل مملكته ، وأمر أن يُنْذَر لشهوده الفقهاء المشاوَرون ، ومن يليهم من العلماء والعُدول ، ووجوه الناس ، فتخلَّف من بينهم الفقيه المشاوَر أبو إبراهيم المذكور الذكر فى كتب النوادر[3] والأحكام ، وافْتُقِد مكانه ، لارتفاع منزلته ، فساء ذلك الخليفةَ الناصر ، ووجَد على أبى إبراهيم ، وأمر ابنه ولىَّ العهد الحَكم بالكتاب إليه ، والتَّنفيذ له[4] ، فكتب إليه الحكم رقعة ، نسختها :

---

(١) الزيادة عن نفح الطيب .

(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى إعمال الأعلام لابن الخطيب : « وإعادة قراميدها ترابا على غير تلك الصفة » . وفى ط : « وأعاد سقفها ... الخ » .

(٣) فى ط : « النوازل » . وما أثبتناه عن م .

(٤) فى م : « والتنفيذ إليه » .

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله وتولاّك ، وسددك ورعاك ، لما امتَحن أمير المؤمنين مولاى وسيدى أبقاه الله الأولياء الذين يستعدُّ بهم ، وجَدَك متقدما فى الولاية ، متأخرا عن الصِّلة ، على أنه قد أنذرك ، أبقاه الله ، خصوصا للمشاركة فى السرور الذى كان عنده ، لا أعدمه الله توالىَ المسرة ؛ ثم انْذِرْتَ من قبلُ إبلاغا فى التكرمة ، فكان ، على ذلك كله ، من التخلف ما ضاقت عليك فيه المعذرة ، واستبلغ أمير المؤمنين فى إنكاره ، ومعاتبتِك عليه ، فأعْيتْ عليك عنك الحجة . فعرِّفنى أكرمك الله ، ما العـذر الذى أوجب توقُّفك عن إجابة دعوته ، ومشاهدة السرور الذى سُرَّ به ، ورغب المشاركة فيه [لنعرّفه] (١) ، أبقاه الله بذلك ، [٤٢٤] فتسكن نفسه العزيزة إليه ، إن شاء الله تعالى » .

فأجابه أبو إبراهيم :

« سلام على الأمير ورحمة الله وبركاته .

قرأت ، أبقى الله سيدى ، هذا الـكتاب وفهمته ، ولم يكن توقّفى لنفسى ، إنما كان لأمير المؤمنين سيِّدنا ، أبقاه الله ولسلطانه ، لعلمى بمَذْهبه ، واسكونى إلى تقواه ؛ واقتفاره لأثر سلفه الطيب رضوان الله عليهم ، فإنهم كانوا يَسْتبقون من هذه الطبقة بقيَّة ، لا يَمْتهنونها بما يَشينها ، ولا بما يَغُضّ منها ، ويَطْرُق إلى تنقُّصها ، فيستعدُّون بها لدينهم ؛ ويَتَزَيَّون (٢) بها عند رعاياهم ؛ ومن يَفِدُ عليهم من قُصَّادهم ، فلهذا تخلَّفت ، ولعلمى بمذهبه توقفت ، إن شاء الله تعالى .

قال : فلما أقرأ الحَكَمُ أباه الناصر لدين الله جواب أبى إبراهيم إسحاق ،

(١) التـكملة عن نفح الطيب .
(٢) فى م ونفح الطيب : « ويتزينون » .

أعجبه واستحسن اعتذاره ، وزال ما بنفسه عليه . وكان الفقيه أبو إبراهيم المذكور معظما عند الناصر وابنه الحكم ، وحُقّ لهما أن يعظماه .

بين الحكم والفقيه أبي إبراهيم

وقد حكى الفقيه أبو القاسم مفرّج بن محمد بن مفرّج قال : كنت أختلف إلى الفقيه أبى إبراهيم — رحمه الله — فيمن يختلف إليه للتفقّه والرواية ، فإنى لعنده فى بعض الأيام فى مجلسه ، بالمسجد المنسوب لأبى عثمان ، الذى كان يصلّى فيه قربَ داره ، بجَوْفِيِّ قصر قرطبة ، ومجلسه حافل بجماعة الطلبة ، وذلك بين الصّلاتين ، إذ دخل عليه خَصِيّ[1] من أصحاب الرسائل ، جاء من عند الخليفة الحكم ؛ فوقف وسلّم ، وقال له : يا فقيه ، أجب أمير المؤمنين ، أبقاه الله . فإن الأمر خرج فيك ، وها هو قاعد ينتظرك ، وقد أُمِرْت بإعجالك ، فالله الله . فقال له : سَمْعا وطاعة لأمير المؤمنين ، ولا عَجَلة ؛ فارجع إليه — وفقه الله — وعَرِّفه عنى أنك وجدتنى فى بيت من بيوت الله عز وجل ، مع طلاب العلم ، أسمعهم حديث ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم يقيّدونه عنى ، وليس يمكننى ترك ما أنا فيه حتى يتمّ المجلس المعهود لهم ، فى رضاء الله وطاعته ، فذلك أوكد من مسيرى إليه الساعة ، فإذا انقضى أمر من اجتمع إلىّ من هؤلاء المحتَسِبين فى ذات الله ، الساعين فى مرضاته ، مشيت إليه إن شاء الله تعالى . [٤٢٥]

ثم إنه أقبل على شأنه ، ومضى الخَصِيّ يُهَيْنِم متضاجرا من توقّفه ؛ فلم يكُ إلا ريثما أدّى جوابه وانصرف سريعا ساكن الطَّيش . فقال له : يا فقيه ، أنْهَيتُ قولك على نصّه إلى أمير المؤمنين ، أبقاه الله ، فأصغى إليه وهو يقول [لك][2] : جزاك الله خيراً عن الدين ، وعن أمير المؤمنين ، وجماعة المسلمين ،

(١) فى م هنا : « الفتى » .

(٢) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

وأمتعهم بك ، و إذا أنت أوْعَبْت ، فامض[1] إليه راشدا ، إن شاء الله تعالى ، فقد أُمِرْتُ أن أبقَى معك حتى ينقضىَ شغلك ، وأُذكّرك تمضى معى . فقال له : حسن جميل ، ولـكنى أضعُف عن المشى إلى باب السُّدة ، ويصعب علىّ ركوب دابة لشيخوختى ، وضعف أعضائى ، و باب الصناعة الذى يقرب إلىّ من أبواب القصر المـكرم أحوط لى ، وأرفق بى ؛ فإن رأى أمير المؤمنين ، أيَّدَه الله تعالى ، أن يأمر بفتحه ، لأدخل إليه منه ، هَوّن علىّ المشى ، وودُع جسمى ؛ وأحب أن تعود ، فتنهى إليه ذلك عنى ، حتى تعرف رأيه فيه ، وكذلك تعود إلىّ ، فإنى أراك فتى شديدا ، فكن على الخير معينا .

ومضى عنه الفتى ، ثم رجع بعـد حين ، وقال : يا فقيه ، قد أجابك أمير المؤمنين إلى ما سألت ، وأمر بفتح باب الصناعة ، وانتظارك من قِبَله ، ومنـه خرجتُ إليك ، وأُمرت بملازمتِك مذكرا بالنهوض عند فراغك ؛ وقال : افعل راشدا ؛ وجلس الخَصِىّ جانبا ، حتى أكل أبو إبراهيم مجلسه ، بأكمل وأفسح ما جرت[2] به عادته ، غير منزعج ولا قَلِق ؛ فلما انفضضنا عنه قام إلى داره ، فأصلح من شأنه ، ثم مشى إلى الخليفة الحَكَم ، فوصل إليه من ذلك الباب ، وقضى حاجته من لقائه ، ثم صرفه على ذاك الباب ، فأعيد إغلاقه على إثر خروجه . [٤٢٦]

قال مفرّج : ولقد تعمّدْنا فى تلك العشية ، إثر قيامنا عن الشيخ أبى إبراهيم ، المرورَ بهذا الباب المعهود إغلاقه ، بدير القصر ، لنرى الذى تجشم[3] الخليفة له ، فوجدناه كما وصف الخَصِىّ مفتوحا ، قد حفّه الخدم والأعوان منزعجين ، ما بين

(١) فى م : « فانهض » .

(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « كأفسح ما جرت » .

(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « لنرى تحشم » .

كنّاس وفرّاش، متهيئين لانتظار أبى إبراهيم ؛ فاشتد عجبنا لذلك ، وطال تحدثنا عنه . انتهى .

هـكَذا هـكَذا تكونُ المَعالِي طُرُقُ الجِدِّ غيرُ طرْق المُزَاحِ

بيعة الحكم المستنصر

وكان الخليفة الحَكَم المستنصر المذكور قد قام بأعباء الملك أحسن قيام ، لما توفى والده الناصر فى يوم الأربعاء لثلاث — وقيل لاثنتين — مضين[1] من شهر رمضان ، من سنة خمسين وثلاث مِئَة ، واستقرت الخلافة به ، حتى لم يَعْدَم من الناصر إلا شخصه ، واعتلى سرير الملك ثامن وفاة أبيه ، يوم الخميس ، وأنفذ الكتب إلى الآفاق بتمام الأمر له ، ودعا الناس إلى بيعته ، واستقبل من يومه النظر فى تمهيد سلطانه ، وتثقيف مملكته ، وضبْط قصوره ، وترتيب أجناده .

وأولُ ما أخذ البيعة على صقالبة قصره ، الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر ، كجعفر صاحب الخيل والطِّراز ، وغيره من عظمائهم ، وتكفّلوا بأخذها على من وراءهم وتحت أيديهم ، من طبقتهم [وغيرهم][2] ؛ وأوصل إلى نفسه فى الليل دون هؤلاء ، [٤٢٧] الأكابرَ من الكتاب والوُصَفاء ، والمقدَّمين والعُرَفاء ، فبايعوه ؛ فلما كملت بيعتهم و بيعة أهل القصر تقدم إلى عظيم دولته جعفر بن عثمان ، بالنهوض فى أخيه شقيقه أبى مروان عبيد الله ، المتخلف لعلته ، بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة ؛ وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حُدَير بالنهوض أيضا فى أبى الأصبغ عبد العزيز شقيقه الثانى ، فمضيا إليهما ، كل واحد منهما فى قطيع من الجند ، وأتيا بهما إلى قصر مدينة الزهراء ؛ ونفَذ غيرُهما من وجوه الرجال فى الخيل ، للإتيان بغيرهما من الإخوة ، وكانوا يومئذ ثمانية ، فوافى جميعهم الزهراء فى الليل ، فنزلوا فى مراتبهم

(١) فى م : « بقين » .
(٢) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

بفُصلان دار الملك ، وقعدوا فى المجلسين الشرقى والغربى ، وقعد المستنصر بالله على سرير الملك ، فى البهو الأوسط من الأبهاء المذْهَبة القبلية ، التى فى السطح الممرد ؛ فأول من وصل إليه الإخوة ، فبايعوه ، وأنصتوا لصحيفة البَيعة ، والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ؛ ثم بايع بعدهم الوزراء وأولادهم وإخوتهم ، ثم أصحاب الشُّرْطة ، وطبقات أهل الخدمة ؛ وقعد الإخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله ، إلا عيسى بن فطيس ، فإنه كان قائما يأخذ البيعة على الناس ؛ وقام الترتيب على الرسم فى مجالس الاحتفال المعروفة ؛ فاصطف فى المجلس الذى قعد فيه أكابر الفِتيان يمينا وشمالا ، إلى آخر البهو ، كل منهم على قدره فى المنزلة ، عليهم الظهائر البيض ، شعار الحزن ، قد تقلدوا فوقها السيوف ، ثم تلاهم الفِتْيان الوُصفاء ، عليهم الدروع السابغة ، والسيوف الحالية ، صفين منتظمين
[٤٢٨] فى السطح ، وفى الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفِتيان الصقالبة الخِصيان ، لابسين البياض ، بأيديهم السيوف ، يتصل بهم مَنْ دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ، ثم تلاهم الرُّماة متنكبين قِسِيَّهم وجِعابهم ، ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفُحول ، شاكين فى الأسلحة الرائقة ، والعُدة الكاملة ، وقامت التعبية فى دار الجند والترتيب من رَجَّالة العبيد ، عليهم الجواشن والأقبية البيض ، وعلى رءوسهم البيضات الصَّقْلبيّة[1] ، وبأيديهم التِّراس الملونة ، والأسلحة المزينة ، انتظموا صفين إلى آخر الفصيل[2] . وعلى باب السُّدَّة الأعظم البوابون وأعوانهم ، ومن خارج باب السُّدة فُرسان العبيد إلى باب الأقباء ، واتصل بهم فُرسان الحشَم ، وطبقات الجند والعبيد والرُّماة ، موكبا

(١) فى م : « الصقلية » .

(٢) الفصيل : واحد الفصلان (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ٢٦١ من هذا الجزء) . وفى الأصلين والنفح : « الفصل » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

إثر موكب ، إلى باب المدينة الشارع إلى الصحراء ، فلما تمّت البَيْعة أُذن للناس بالانفضاض ، إلا الإخوةَ والوزراء و [أهل] [1] الخدمة ، فإنهم مكثوا بقصر الزهراء ، إلى أن احْتُمل جسد الناصر رحمه الله إلى قصر قرطبة ، للدفن هنالك فى تُرْبة الخلفاء .

وفى ذى الحجة من سنة خمسين المذكورة تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحَكَم من البلاد ، للبيعة والتماس المطالب ، من أهل طليطلة وغيرها من قواعد الأندلس وأصقاعها ؛ فتوصّلوا إلى مجلس الخليفة ، بمحضر جميع الوزراء والقاضى منذر ابن سعيد والملأ ، وأُخذت عليهم البيعة ، ووُقِّعت [2] الشهادات فى نسخها .

وفود أردون عليه وحديث ذلك

وفى آخر صفر من سنة إحدى وخمسين أخرج الخليفة الحَكَمَ المستنصر بالله مواليه محمدا وزيادا ابنى أفلح الناصرىّ ، فى كتيبة من الحشَم والخدم ، لتلقى غالب [٤٢٩] الناصرىّ ، صاحب مدينة سالم ، المُورد للطاغية أَردون بن أدفونش الخبيث فى الدولة ، المتملك على طوائف من أمم الجلالقة ، والمنازِع لابن عمه المَلَّك قبله شانجه بن رُذْمير ؛ وتَبرَّع هذا اللعين أَردون بالمسير إلى باب المستنصر بالله من ذاته ، غير طالب إذن ، ولا مستظهر بعهد ، وذلك عندما بلغه من اعتزام المستنصر بالله فى عامه ذلك على الغزو إليه ، وأخذه فى التأهب له ، فاحتال فى تأميل المستنصر بالله ، والارتماء إليه ، وخرج قبل أمانٍ يُعْقَد له ، أو ذمّة تَعصِمه ، فى عشرين رجلا من وجوه أصحابه ، تكنّفهم غالب الناصرى ، الذى خرج إليه ؛ فجاء بهم نحو مولاه الحكم ؛ وتلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور ؛ فأنزلاهم ؛ ثم تحركا بهم ثانى يوم نزولهم إلى قرطبة ، فأخرج المستنصر بالله إليهم هشام بن محمد بن عثمان المُصْحَفىّ ، فى جيش عظيم كامل التعبية ، وقَدِموا إلى باب قرطبة ،

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب . (٢) فى م : « ووثقت » .

فمروا بباب قصرها . فلما انتهى أُردون[١] إلى ما بين السُّدة و باب الجِنان ، سأل عن مكان رَمس الناصر لدين الله ، فأشير إلى ما يوازى موضعه من داخل القصر فى الروضة ؛ فخلع قلنسوته ، وخضع نحو مكان القبر ودعا ، ثم رد قَلَنْسوته إلى رأسه .

وأمر المستنصرُ بإنزال أُردون فى دار[٢] الناعورة ، وقد كان تقدَّم فى فرشها بأنواع الغِطاء والوِطَاء ، وانتهى من ذلك إلى الغاية ؛ وتوسع له فى الكرامة ولأصحابه ، فأقام بها الخميس والجمعة ، فلما كان يومُ السبت ، تقدم المستنصر بالله باستدعاء
[٤٣٠] أُردون ومن معه ، بعد إقامة الترتيب ، وتعبية الجيوش ، والاحتفال فى ذلك ، من العُدد والأسلحة والزينة ؛ وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى المجلس الشرقى من مجالس السطح ، وقعد الإخوة و بنوهم ، والوزراء ونظراؤهم صفًّا[٣] فى المجلس ، فيهم القاضى منذر بن سعيد ، والحكام والفقهاء ؛ فأتى محمد بن القاسم بن طملس[٤] بالملك أُردون وأصحابه ، وعالى[٥] لَبوسه ثوب ديباجىّ رومىّ أبيض ، وبَلْيُوَال من جنسه وفى لونه ؛ وعلى رأسه قلنسوة رومية منظومة بجوهر ، وقد حَفَّته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالأندلس ، يؤنسونه و يبصرونه ، فيهم وليد بن حيزون[٦] قاضى النصارى بقرطبة ، وعبيد الله بن قاسم مُطران طليطلة ، وغيرهما[٧] ؛ فدخل بين صَفّى الترتيب ، يقلب الطَّرْف فى نَظْم الصفوف ، و يجيل النظر[٨] فى كثرتها ، وتظاهر أسلحتها ، ورائق حليتها ، فراعهم ما أبصروه ،

(١) تقدم قريبا هذا الاسم مضبوطا (بفتح الهمزة) . والصواب (بضمها) .
(٢) فى م : فى منية « الناعورة » .
(٣) فى الأصلين : « معاً » . وما أثبتناه عن نفح الطيب طبعة مصر والمخطوط . وفى نفح الطيب طبع أوربة : « جفا » . أى : جماعة .
(٤) كذا فى الاستقصا للسلاوى (ج ١ صفحة ٨٧) وفيما سيأتى من م . وفى نفح الطيب المطبوع والمخطوط : « طميس » . وفى ط وم هنا : « طلمس » .
(٥) فى م : « وعلى » . (٦) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « خيزران » .
(٧) مكان هذه الكلمة « وغيرها » فى م : « وأصبغ بن نبيل وعبد الرحمن بن لب » .
(٨) فى ط : « الفكر » وما أثبتناه عن م والنفح .

وصلّبوا على وجوههم ، وتأملوا ناكسى رءوسهم ، غاضّين من جفونهم ، قد سُكِّرت أبصارهم ، حتى وصلوا إلى باب الأقباء ، أول باب قصر الزهراء ، فترجّل جميع من كان خرج إلى لقائه ، وتقدم الملك أُردون وخاصة قوامسه[1] على دوابهم ، حتى انتهوا إلى باب السُّدَّة ، فأُمر القوامس بالترجُّل هنالك ، والمشى على الأقدام ، فترجّلوا ، ودخل الملك أُردون وحده ، راكبا مع محمد بن طماس[2] ، فأُنزل فى بَرْطَل[3] البهو الأوسط ، من الأبهاء القبلية ، التى بدار الجند ، على كرسىّ مرتفع ، مكسو الأوصال بالفضة ، وفى هذا المكان بعينه نزل قبله عدوُّه ومناوئه شانجة بن رُذْمير ، الوافد على الناصر لدين الله ، رحمه الله تعالى ، فقعد أُردون على الكرسىّ ، وقعد أصحابه بين يديه ، وخرج الإذن لأردون الملك من المستنصر [٤٣١] بالله ، بالدخول عليه ، فتقدم يمشى وأصحابه يتبعونه ، إلى أن وصل إلى السطح ، فلما قابل المجلس الشرقى ، الذى فيه المستنصر بالله ، وقف وكشف رأسه ، وخلع بُرْنُسَه ، وبقى حاسراً ، إعظاما لما بان له من الدنو إلى السرير ، واستُنْهِض ، فمضى بين الصفّين المرتّبين فى ساحة السطح ، إلى أن قطع السطح ، وانتهى إلى باب البَهْو ، فلما قابل السرير خر ساجدا سُويعة ، ثم استوى قائما ، ثم نهض خطوات ، وعاد إلى السجود ، ووالى ذلك مرارا ، إلى أن قُدِّم[4] بين يدى الخليفة ، وأهوى إلى يده ، فناوله إياها ، وكرّ راجعا ، مقهقرا على عقبه ، إلى وِساد دِيباج مُثَقَّل بالذهب ، جُعل له هنالك ، ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير ، فجلس عليه والبُهْرُ قد علاه ؛ وأُنهض خلفه من استدْنى من قوامسه وأتباعه ، فدَنَوْا ممتثلين

(١) القوامس : الأمراء . الواحد : قومس بوزن جعفر .
(٢) انظر الحاشية (رقم ٤) صفحة (٢٨٩) من هذا الجزء .
(٣) البرطل (كجعفر وبرثن) : كلة إسبانية ومعناها : سقيفة عند باب البيت ، أو فى أحد جوانب الفناء ، ولا تزال تستعمل فى المغرب . (راجع تكملة المعاجم العربية لدوزى) .
(٣) فى م : « قام » .

فعله فى تكرير الخنوع ، وناولهم الخليفة يده ، فقبلوها وانصرفوا مُقَهْقِرين ، فوقفوا على رأس ملكهم ، ووصل بوصولهم وليد بن حَيزون قاضى النصارى بقرطبة[1] ، فكان الترجمانَ عن الملك أُردون ذلك اليوم ، وأطرق الخليفة الحكم عن تكليم الملك أُردون إثر قعوده [أمامه وقتا] [2] ريثما [3] يُنْزِخُ رَوعُه ، فلما رأى أن قد خُفِّض عليه ، افتتح تكليمه ، فقال : لِيَسُرَّك إقبالُك ، ويُغَبِّطْك تأميلُك ، فلدينا لك من حسن رأينا ، ورُحب قبولنا ، فوق ما قد طلبته .

فلما تُرْجم له [كلامه] [2] إياه ، تطلّق وجه أُردون ، وانحط عن رتبته ، فقبّل البِساط ، وقال : أنا عبد أمير المؤمنين مولاى ، المتوركُ على فضله ، القاصد إلى مجده ، المحكَّم فى نفسه ورجاله ، فحيث وضعنى من فضله ، وعوّضنى من خدمته ، رجوت أن أتقدم فيه بنية صادقة ، ونصيحة خالصة . [٤٣٢]

فقال له الخليفة : أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا ، وسينالك من تقديمنا لك ، وتفضيلنا إياك على أهل ملتك ، ما يُغَبِّطك ، وتتعرّف به فضل جنوحك إلينا ، واستظلالك بظل سلطاننا .

فعاد أُردون إلى السجود عند فهمه مقالة الخليفة ، وابتهل داعيا ، وقال : إن شانجة ابن عمى تقدم إلى الخليفة الماضى مستجيراً به منى ، فكان من إعزازه إياه ما يكون من مثله من أعاظم الملوك ، وأكارم الخلفاء ، لمن قصدهم وأملهم ؛ وكان قصده قصد مضطرّ ، قد شَنَأته رعيته ، وأنكرت سيرته ، واختارتنى لمكانه ، من غير سعى منّى — علم الله ذلك — ولا دعاء إليه ، فخلعته وأخرجته عن ملكه مضطرا مضطهدا ؛ فتطوّل عليه رحمه الله ، بأن صرفه إلى ملكه ،

(١) زادت م بعد هذه الكلمة : « وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة » .
(٢) هذه الكلمة عن نفح الطيب .
(٣) فى ط : « كيما » ، وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

وقوّى سلطانه ، وأعزّ نصره . ومع ذلك فلم يقم بفرض النعمة التى أسديت إليه ، وقصّر فى أداء المفروض عليه وحقه وحق أمير المؤمنين مولاى من بعده ؛ وأنا قد قصدت باب أمير المؤمنين لغير ضرورة ، من قرارة سلطانى ، وموضع احتكامى[1] ، مُحكِّمًا له فى نفسى ورجالى ومَعاقلى ، ومن تحويه من رعيتى ؛ فشَتّانَ ما بيننا من قوة الثقة ، ومَطرَح الهمة .

فقال الخليفة : قد سمعنا قولك ، وفهمنا مغزاك ، وسوف يظهر من إقراضنا إيّاك على الخصوصية فوق شأنه ، ويترادف من إحساننا إليك به أضعافُ ما كان من أبينا رضى الله عنه إلى نِدِّك ، وإن كان له فضل التقدم بالجنوح إلينا ، والقصد إلى سلطاننا ، فليس ذلك مما يؤخرك عنه ، ولا يَنْقصك مما أنلناه ، وسنصرفك مغبوطا إلى بلدك ، [ونشدُّ أواخىّ ملكك][2] ، ونملكك جميع من انحاش إليك من أمتك ، ونعقِد لك بذلك كتابا يكون بيدك ، نُقرر به حدَّ [٤٣٣] ما بينك وبين ابن عمك ، ونقبضه عن كل ما يُصرِّفه من البلاد إلى يدك ، وسَيُرَادَف عليك من إفضالنا فوق ما احتسبته . والله على ما نقول وكيل .

فكرر أُردون الخضوع ، وأسهب فى الشكر ، وقام للانصراف مقهقرا ، لا يولّى الخليفة ظهره ، وقد تكنّفه الحَفَدة من جِلّة الفِتيان ، فأخرجوه إلى المجلس الغربىّ فى السطح ، وقد علاه البُهْر ، وأذهله الرَّوع ، من هول ما باشره ، وجلالة ما عاينه ، من فخامة الخليفة ، وبهاء العزة . فلما أن دخل المجلس ، ووقعت عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه ، انحط ساجداً إعظاماً له ، ثم تقدَّم الفِتْيان به إلى البهو الذى بجوفىّ هذا المجلس ، فأجلسوه هنالك على وساد مثقّل بالذهب ، وأقبل نحوه الحاجب جعفر ، فلما بَصُر به قام إليه ، وخضع له ،

(١) فى نفح الطيب « أحكامى » . (٢) التكملة عن نفح الطيب .

وأومأ إلى تقبيل يده ، فقبضها الحاجب عنه ، وانحنى إليه ، فعانقه ، وجلس معه ، فغبَّطه ، ووعده من إنجاز عِدات الخليفة له بما ضاعف سروره ؛ ثم أمر الحاجب جعفرٌ ، فصُبَّت عليه الخِلَع التى أمر له بها الخليفة ، وكانت دُرَّاعة منسوجة بالذهب ، وبُرْنُسا مثلها ، له لوزة مُفْرَغة من خالص التِّبْر ، مرصّعة بالجواهر والياقوت ، ملأت عين العِلْج تجلّة ، فخرّ ساجداً ، وأعلن بالدعاء ؛ ثم دعا الحاجب أصحابه رجلا رجلا ، فخلع عليهم ، على قدر استحقاقهم ؛ فكمل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم ، وخرّ جميعهم خاضعين شاكرين ، ثم انطلق الملك [أُردون] (١) وأصحابه ، وقُدِّم لركابه فى أول البهو الأوسط فرس من عتاق خيل الركاب ، عليه سرج حَلْى ، ولجام حَلْى مفرَغ ، وانصرف مع ابن طملس إلى
[٤٣٤] قصر الرُّصافة ، مكان تضييفه ، وقد أُعِد له فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة والفَرْش والماعون ، واستقر الملك أُردون وأصحابه فيما لا كِفاء له من سَعة التضييف ، و إرغاد المعاش ، واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الإسلام فيه ، ما أفاضوا فى التبجّح به ، والتحدث عنه أياما .

شعر للمرادى فى هذا المقام

وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخليفة فى هذا اليوم مقامات حِسان ، و إنشادات لأشعار محكمة متقان ، يطول القول فى اختيارها .

فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المرادىّ من قصيدة طويلة :

مُلْك الخليفةِ آية(٢) الإقبال وسُعوده موصولة بنوالِ
فالمسلمون بعزة و برفعة والمشركون بذلة وسِفال
أُلقت بأيديها الأعاجم نحوه متوقّعين لصَوْلَة الرئبال
هذا أميرهمُ أتاه آخذا منه أواصرَ ذمّة وحِبال

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب .
(٢) فى نفح الطيب : « غاية » .

متواضعا لجلاله متخشّعا متبرّعا لمّا يُرَعْ بقتالِ
سينال بالتأميل للملك الرضا عزا يعُم عِداه بالإذلال
لا يومَ أعظمُ للولاة مسرة وأشدُّه غيظا على الأقيال
من يوم أُردونَ الذى إقباله أَمَلُ المَدَى ونهاية الإقبال
مَلك الأعاجم كلها ابنُ ملوكها وَالٍ نماه للأعاجم وال
إن كان جاء ضرورة فلقد أتى عن عزّ مملكة وطوع رجال
فالحمد لله المنيل إمامنا حظ الملوك بقدرة المتعالى
هو يومُ حشر الناس إلا أنهم لم يُسألوا فيه عن الأعمال
أضحى الفضاء مُغَمًّا[1] بجيوشه والأفق أقتم أغبر السِّربال
لا يهتدى السارى لليل قَتَامه إلا بضوء صوارم وعَوالى
وكأن أجسام الكُماة تسربلَتْ مُذ غُبِّرتْ منه[2] جسومَ صِلال[3]
وكأنما العِقبانُ عِقْبانُ الفَلا منقضة لِتخطُّفِ الضِّلال
وكأن منتصب القنا مهتزّه أشطانُ نازحةٍ بعيدةِ جال[4]
وكأنما خَيْل التجافيف[5] اكتست نارا توهُّجها بلا إشعال

وتتبُّع مثل هذه الأخبار لا آخر له ؛ والله المستعان .

ذكر من منذر ابن سعيد البلوطى [٤٣٥]

وكان القاضى مُنذر بن سعيد السابق ذكره ، سمع بالأندلس من عبيد الله ابن يحيى بن يحيى ونظرائه ، ثم رحل حاجًّا سنة ثمان وثلاث مئة ، فسمع من عدَّة أعلام ، منهم محمد بن المنذر النَّيْسابوريّ ، سمع عليه كتابه المؤلف فى

(١) فى نفح الطيب الطبوع والمخطوط : « مخيما » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « غبرت » . وفى نفح الطيب : « عريت عنه » .
(٣) كذا فى الأصلين ونفح الطيب المطبوع والمخطوط . (٤) يريد بالجال : قعر البئر.
(٥) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « قبل التجافيف » . والتجافيف : جمع تجفاف (بالكسر) وهو آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه فى الحرب .

اختلاف العلماء ، المسمى بالإشراف ، وروى بمصر كتاب العين للخليل ، عن أبى العباس بن وَلَّاد ، وروى عن أبى جعفر بن النحاس . وكان متفننا فى ضروب العلوم ، وغلب عليه التفقه بمذهب أبى سليمان داودَ بن علىٍّ الأصْبَهانىّ ، المعروف بالقياسىّ[1] و بالظاهرىّ ؛ فكان منذر بن سعيد يؤثر مذهبه ، و يجمع كتبه ، و يحتجّ لمقالته ، و يأخذ به فى نفسه وذويه ؛ فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه ، بالذى استقر عليه العمل فى بلدهم ، وحَمَل عليه السلطانُ أهل مملكته .

وله تواليف مفيدة ؛ منها كتاب أحكام القرآن ؛ والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك فى الفقه والكلام والرد على أهل المذاهب ؛ وكان خطيبا بليغا ، عالما بالجدل ، حاذقا فيه ، شديد العارضة ، حاضر الجواب ، عتيده ، ثابت الحجة ذا شارة عجيبة ، ومنظر جميل ، وخُلُق حميد ، وتواضع لأهل الطلب ، وانحطاط لهم ، وإقبال عليهم ؛ وكان مع وقاره التامّ فيه دُعابة مستملَحة ، وله نوادر مستحسنة ، لولا السآمة لجلبنا منها طرَفا . وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر ، فى شهر ربيع الآخر[2] سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة ، ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر إلى وفاته ، ثم للخليفة الحَكَم المستنصر ، إلى أن تُوُفِّى [٤٣٦] رحمه الله ، عقب ذى الحجة سنة خمس وخمسين وثلاث مئة ؛ فكانت ولايته لقضاء الجماعة ستة عشر عاما كاملة ، لم يُحفظ عليه فيها جَور فى قضية ، ولا قَسْم بغير سَوِيَّة ، ولا ميل بهوى ، ولا إصغاء إلى عناية ، رحمه الله ورضى عنه . ودُفن بمقبرة قريش ، بالرَّبَض الغربى من قرطبة ، أعادها الله ، جوفىّ مسجد السيدة الكبرى ، بقرب داره .

(١) فى م : «بالعباسى» . (٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : «الأول» .

بعض مأثور كلامه

قال القاضى أبو الحسن[١] : كان شيخنا القاضى أبو عبد الله بن عياش الخزْرجي يستحسن من كلام القاضى مُنذر قولَه فى التزكية :

اعلم أن العدالة من أشد الأشياء تفاوتاً وتبايناً ، ومتى حَصَّلت ذلك عرفت حالة الشهود ، لأن بين عدالة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعدالة التابعين رضى الله عنهم فَوْتا[٢] عظيما ، وتباينا شديدا ؛ و بين عدالة أهل زماننا وعدالة أولئك مثلُ ما بين السماء والأرض ؛ وعدالة أهل زماننا على ما هى عليه بعيدة التباين أيضاً . والأصل فى هذا عندى ، والله الموفق ، أن من كان الخير أغلبَ عليه من الشر ، وكان متنزِّها عن الكبائر ، فواجب أن تُعْمَل[٣] شهادته ، فإن الله تعالى قد أخبرنا بنص الكتاب أن من ثَقُلَتْ موازينه فهو فى عيشة راضية ، وقال فى موضع آخر : «فأولئك هم المفلحون» ؛ فمن ثقلت موازين حسناته بشىء لم يدخل النار ؛ ومن استوت حسناته وسيئاته لم يدخل الجنة فى زمرة الداخلين أولا ، وهم أصحاب الأعراف ، فذلك عقوبة لهم ، إذ تخلفوا عن أن تزيد حسناتهم على سيئاتهم ؛ فهذا حكم الله فى عباده . ونحن إنما كُلِّفنا الحكم بالظاهر ، فمن ظهر لنا أن خيره أغلب عليه من شره حكمنا له بحكم الله فى عباده ، ولم نطلب له علم الباطن ، ولا كُلِّفه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت عنه أنه قال : « إنما أنا بَشَر ، وإنكم تختصمون إلىّ ، فلعلّ بعضكم أن يكون ألْحن بحجته من [٤٣٧] بعض ، فأحكم له على نحوٍ مما أسمع » . فأحكام الدنيا على ما ظهر ، وأحكام الآخرة على ما بطن ؛ لأن الله تعالى يعلم الظاهر والباطن ، ونحن لا نعلم إلا الظاهر ؛ ولأهل كل بلد قوم قد تراضى عليهم عامتهم ، فبهم تنعقد مناكحهم و بيوعهم ، وقد قدموهم فى مساجدهم ولجُمَعهم وأعيادهم ، فالواجب على من اسْتُقْضِىَ على

(١) هو أبو الحسن البناهى السابق الذكر .
(٢) فى م : « يونا » .
(٣) إعمال الشهادة : قبولها والعمل بها .

موضع أن يُعْمِل شهادة أمثالهم وفقهائهم ، وأصحاب صلواتهم ، وإلا ضاعت حقوق ضعيفهم وقويهم ، وبطلت أحكامه . ويجب عليه أن يسأل إن استراب فى بعضهم فى الظاهر والباطن عنهم ، فمن لم يثبت عنده عليه اشتهار فى كبيرة ، فهو على عدالة ظاهرة ، حتى يثبت غير ذلك . انتهى .

نقد الونشريشى فى تشنيع ابن الخطيب على الموثقين

قلت : تذكرت هنا ما رأيته بخط الإمام الحافظ سيدى أحمد الونشريشى رحمه الله على ظهر كتاب ابن الخطيب : « مُثْلَى الطريقة فى ذم الوثيقة » ، وقد مدَّ فيه ابن الخطيب الباع فى ذم المُوَثِّقين[1] ، وذكر مثالبهم . ونصّ ما ألفيته بخط المذكور :

الحمد لله . جامعُ هذا الكلام المقيَّد هنا بأول ورقة منه ، قدْ كدَّ نفسه فى شىء لا يَعْنى الأفاضل ، ولا يعود عليه فى القيامة ولا فى الدنيا بطائل ، وأفنى طائفة من نفيس عمره فى التماس مساوئ طائفة ، بهم تُستباح الفروج ، وتُملَك مُشَيَّدات الدور والبُروج ، وجعلهم أُضحوكة لذوى الفَتْك والمَجانة ، وانتزع عنهم جلباب الصدق والديانة ، سامحه الله وغفر له . قال ذلك وخَطَّه بيُمنى يديه عُبيد ربه أحمد بن يحيى بن محمد بن على الونشريشى ، خار الله سبحانه له . انتهى .

رجع إلى سبتة وما كان بين ابن خميس وبعض طلبتها

ولنرجع إلى ما كنا فيه من أخبار سَبتة ، فنقول :

كان أهل سَبتة فى غاية الذكاء والفطنة ، والعلم والمعرفة ؛ وقد حكى الشيخ النظَّار أبو إسحاق الشاطبىّ فى شرحه على ألفية ابن مالك ، عن شيخه أبى عبد الله [٤٣٨] الفَخَّار ، عن بعض أهل سبتة ، أن الشيخ أبا عبد الله بن خميس التِّلِمْسَانىّ لما ورد على سَبتة بقصد الإقراء بها ، اجتمع عليه عيون طلبتها ؛ فألقوا عليه

(١) كذا فى ط . وفى م : « الموقعين » .

مسائل من غوامض باب الاشتغال ، فحاد عن الجواب ، بأن قال لهم : أنتم عندى كرجل واحد . يَعْنى أن ما ألقوا عليه من المسائل إنما تلقوها من رجل واحد ، وهو ابن أبي الربيع ؛ فكأنه إنما يُخاطب رجلا واحداً ، ازدراء بهم . فاستقبله أصغر القوم سِنًّا وعلما ، بأن قال له : إن كنت بالمكان الذى تزعُم ، فأجبنى عن هذه المسائل ، من باب معرفة علامات الإعراب ، التى أذكرها لك ؛ فإن أجبت فيها بالصواب ، لم تحظ[1] بذلك فى نفوسنا ، لصغرها بالنظر إلى تعاطيك من[2] الإدراك والتحصيل ، وإن أخطأت فيها لم يسعك هذا البلد ؛ وهى عشرة :

الأولى : أَنْتُمْ يا زَيْدُون تَغْزُون .

والثانية : أَنْتُنَّ يا هنداتُ تَغْزُون .

والثالثة : أَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ و ياهِندات تَغْزُون .

والرابعة : أَنْتُنَّ يا هِنداتُ تَخْشَيْن .

والخامسة : أَنْتِ يَا هِنْدُ تَخْشَيْنَ .

والسادسة : أَنْتِ يا هِنْدُ تَرْمِين .

والسابعة : أَنْتُنَّ يا هِنْدَاتُ تَرْمِين .

والثامنة : أَنْتُنَّ يا هِنْدَاتُ تَمْحُونَ أَوْ تَمْحِيْن [كيفَ تَقُول][3]

والتاسعة : أَنْتِ يا هندُ تَمْحِين أَوْ تَمْحُون[4] كيْفَ تقول .

والعاشرة : أَنْتُمَا تَمْحُوانِ أو تَمْحِيَانِ ، كيف تقول .

---

(١) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « لم تحط » .

(٢) فى نفح الطيب المخطوط والمطبوع : « تعاميك عن » .

(٣) التكملة عن نفح الطيب .

(٤) فى هذه الصيغة خطأ سيعرض له ابن مرزوق (فى صفحة ٣٠١) من هذا الجزء . عند قوله : « وليس ما وقع فى السؤال ... الخ »

وهل هذه الأفعال كلُّها مَبْنيَّة أو مُعْرَبة ؟ أو بعضها مبنىّ و بعضها معرب ؟ وهل كلها على وزن واحد أم على أوزان مختلفة ؟ علينا السؤال ، وعليك التمييز ، لنعلم الجواب . فبُهِتَ الشيخ وشَغَل المَحَل بأن قال : إنما يُسْأَل عن هذا صغار الوِلدان . فقال له الفتى : فأنت دونهم إن لم تجب . فانزعج [الشيخ] (١) وقال هذا سوء أدب ، ونهض منصرفا ، ولم يصبح إلا بمالَقة ، متوجها إلى غَرناطة ، فلم يزل بها مع الوزير ابن الحكيم ، إلى أن مات . تغمده الله برحمته . انتهى .

[٤٣٩] وأورد هذه الحكاية أيضا عالم الدنيا ، سيدى أبو عبد الله بن مرزوق ، فى شرحه على الألفية لابن مالك ، وهو شرح متسع جدا ، وقفت منه على بعضه بتِلِمْسان ، وكان آخر السِّفر الأول اسمُ الإشارة ، وذلك السِّفر أعظم جِرْما من جميع شرح المُرَادىّ ؛ ونصّ [محل] (١) الحاجة منه :

وقد حُكِى أن بعض طلبة سَبتة أورد على أبى عبد الله بن خميس عشر مسائل من هذا النوع ، وهى : أَنْتُمْ يا زَيْدُونَ تَغْزُون ؛ وَأَنْتُنَّ يا هِنْدَاتُ تَغْزُون ؛ وَأَنْتُمْ يا زيدُون ويا هِنداتُ تَغْزُونَ ؛ وأنْتنَّ يا هنداتُ تَخْشَيْن ؛ وأنْتِ ياهِندُ تَخْشَين ؛ وأنْتِ يا هِنْدُ تَرْمِين ؛ وأنْتنَّ يا هِنْدَاتُ تَرْمِين ،وأنْتنَّ يا هِنداتُ تَمْحُون أو تَمْحِينَ كيف تقول . وأنتِ ياهِندُ تَمْحِينَ أوْ تَمْحَيْنَ كيف تقول ؛ وأنتما تَمْحُوَانِ أو تَمْحِيَان ، على لغة من قال محوت كيف تقول ؟ وهل هذه الأمثلة كلها مبنية أو معربة أو مختلفة ؟ وهل وزنها واحد أو مختلف ؟ قالوا : ولم يجب بشىء . قلت : فلعله استسهل أمرها .

فأما المثال الأول فمعرب ، ووزنه تَفْعُون (٢) ، إذ أصله تَغْزُوُون ،

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

(٢) فى الأصلين : « تفعلون » وهو ظاهر التحريف .

كتنظرون[1] ، فاستثقلت ضمة الواو ، التى هى لام ، فحذفت ، ثم حُذفت الواو أيضا ، لالتقائها ساكنة مع واو الضمير ، وكانت أولى بالحذف ، لأن واو الضمير فاعل ، ولغير ذلك مما تقدم بعضه .

وأما الثانى فمبنى ، ووزنه تَفْعُلْن ، كتخرُجْنَ .

وأما الثالث فكالأول إعراباً ووزناً ، لأن فيه تغليبَ المذكر على المؤنث .

وأما الرابع فمبنىّ ، ووزنه تَفْعَلْن ، مثل تَفْرَحْن ، لأنه لما احتيج إلى تسكين آخر الفعل ، لإسناده إلى نون جماعة النسوة ، رُدَّت الياء إلى أصلها ، لأنها إنما قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، والآن ذهبت حركتها لاستحقاقها السكون . [٤٤٠]

وأما الخامس فمعرب ، ووزنه تَفْعَيْن ، وأصله تَخْشَيِينَ ، كتَفْرَحِين ، فقلبت الياء ألفاً ، لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع ياء الضمير ، وتركت فتحة الشين دالة على الألف .

وأما السادس فمعرب ، ووزنه تَفْعِينَ . وأصله تَرْمِيِينَ ، كتَضْرِبين ، حذفت كسرة الياء لاستثقالها ، ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير .

وأما السابع فمبنى ، ووزنه تَفعِلْنَ كتضرِبْن .

وأما الثامن والتاسع ، فمضارع مَحَى ورد بالأوزان الثلاثة ، فمن قال يَمحو [قال فى المضارع من جماعة النسوة : تَمْحُون ، مثله من غزا بناء ووزنا . ومن قال يَمحِى][2] قال فيه : تَمْحِين كتَرْمِين ، بناء ووزنا . ومن قال يَمحَى قال

(١) وردت هذه الكلمة فى الأصلين بعد قوله : « تفعون » على أنها تنظير للوزن . وهكذا جرى المؤلف فى المثالين الخامس والسادس . وقد أخرناها إلى موضعها الصحيح فيما ساقه المؤلف ليستقيم الكلام .

(٢) التكملة عن نفح الطيب .

فيه تَمْحَيْن كتَخْشَيْن، بناء ووزنا . ويقال فى مضارع الواحدة على اللغة الأولى تَمْحِين كتَدْعِين : إعراباً ووزنا وتصريفا . وقد تقدم فى كلام المصنف . وعلى الثانية ، كما يقال لها من رمى إعراباً ووزناً وتصريفاً . وعلى الثالثة كما يقال لها من تخشى أيضاً ، وقد تقدما .

وليس ما وقع فى السؤال كما نُقِل من خطّ بعض الشارحين أنه يقال فيها « تَمْحَوْن » كتَفْرَحْن بشىء .

وأمر التثنية ظاهر . انتهى بحروفه .

قلت : وقد جزم غير واحد بأن ابن خميس لا يجهل مثل هذه المبادئ ، إذ هو من أكابر الأعلام العارفين بالنحو واللغة وغيرهما من أنواع العلوم ؛ وقد نقل بعض من له خبرة بأحواله أنه كان يُحسِن علم السيمياء والله أعلم .

التعريف بابن خميس ، ومقتله

وهو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد الحَجْرِىّ[1] (بفتح الحاء وسكون الجيم) ، الرُّعَيْنى ، نسبة إلى حَجْرِ ذى رُعَين[2] . وهو من أهل تِلِمْسان ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن خميس . [٤٤١]

قال ابن الخطيب فى «عائد الصلة» : كان رحمه الله نسيجَ وَحْدِه زهدا وانقباضا وأدبا وهمة ، حسن الشيبة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيداً عن الرياء والهوى ، عاملا على السياحة والعُزْلة ، عارفا بالمعارف القديمة ، مضطلعا بتفاريق النِّحل ، قائما على العربية والأصلين ، طَبَقَة الوقت فى الشعر ، وفحل الأوان فى المطوّل ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب .

ثم ذكر ابن الخطيب من أحواله جملة ، إلى أن قال : و بلغ الوزيرَ أبا عبد الله

(١) فى م : « محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد الحميرى الحجرى » .
(٢) حجر ذى رعين : أبو قبيلة من اليمن .

ابن الحكيم أنه يروم السفر ، فشق ذلك عليه ، وكلّفه تحريكَ الحديث بحضرته ، وجرى ذلك فقال الشيخ : أنا كالدم بطبعى أتحرك فى كل ربيع . انتهى .

وقال ابن خاتمة فى حقه ، بعد أن وصفه بالشاعر المجيد : إنه رحَل من تلمسان بلده إلى سَبتة ، فأقام بها مدة ، ومدح رؤساءها من بنى العزَفى ، ثم أجاز البحر إلى الأندلس ، فاحتل بحضرة غَرناطة فى أواخر سنة ثلاث وسبع مئة ، فى جوار الوزير أبى عبد الله بن الحكيم ، فتقارضا حُلل المجد . وتباريا فى الرِّفْد والحمد ، فأدنى له ذو الوزارتين أخلاف بره و إكرامه ، وخلع عليه ابن خميس أثواب نثره ونظامه ، فله فيه القصائد التى حَلِيت بها لَبّات الآفاق ، وتنفّست عنها صدور الرِّفاق .

وكان رحمه الله من فحول الشعراء ، وأعلام البلغاء ، يُصَرِّف العويص ، ويرتكب مستصعَبات القوافى ، ويطير فى القريض مَطار ذوى القوادم الباسقة والخوافى ، حافظا لأشعار العرب وأخبارها ، له مشاركة فى العقليات ، واستشراف على الطب[1] ؛ وقعد لإقراء العربية بحضرة غَرناطة ، وكان ما ينتحله من العلم فوق ما يحصله . ومال بأَخَرة إلى التصوّف والتَّجْوال ، والتحلى بحُسن السَّمْت ، وعدم الاسترسال ، بعد طى بساط ما فَرَط له فى بلده من الأحوال ، وكان صَنَع [٤٤٢] اليدين . حدثنى بعض من لقيه[2] من الشيوخ أنه صنع قدحا من الشمع على أبدع ما يكون فى شكله ، ولطافة جوهره ، وإتقان صنعته ، وكتب بدائرة شفته :

وما كنتُ إلا زهرةً فى حديقةٍ تَبَسَّمُ عنى ضاحكاتُ الكمائم
فقُلِّبت[3] من طورٍ لطور فهأنا أقبلُ أفواه الملوك الأعاظم

وأهداه خدمةً للوزير أبى عبد الله بن الحكيم .

وأنشدنا شيخنا القاضى أبو البركات ابن الحاجّ وحكى لنا ، قال :

(١) فى م : « الطب » . (٢) فى ط : « لقيت » .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « فنقلت » .

أنشدنى أبو عبد الله بن خميس وحكى لى ، قال: لما وقفت على الجزء الذى ألفه ابن سَبْعين ، يعنى أبا محمد عبد الحق بن أحمد بن إبراهيم بن نصر ، وهو الذى سماه بالفقيرية[1] ، كتبت على ظهره :

الفقرُ عِندىَ لفظ دَقَّ مَعناهُ من رامه من ذوى الغايات عَنَّاهُ
كَمَ مِنْ غَبِىّ بعيد عن تصورهِ أراد كشفَ مُعَمَّاه فعَمَّاهُ

وأنشدنا شيخنا الأستاذ أبو عثمان بن ليون غير مرة ، قال : سمعت أبا عبد الله بن خميس ينشد ، وكان يحسب أنهما له ، ويقال إنهما لابن الرومى :

ربَّ قومٍ فى منازلهم عُرَرٍ صاروا بها غُررا
ستر الإحسانُ ما بهمُ سترى لو زالَ ما سَتَرَا

ثم قال ابن خاتمة بعد كلام : وقد جمع شعره ودوّنه صاحبنا القاضى أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمى فى جزء سماه : « الدر النفيس من شعر ابن خميس » ، وعرّف به صدرَ الجزء . وقد نقلت منه هنا :

وقدم أبو عبد الله بن خميس المَرِيَّة سنة ست وسبع مِئة ، فنزل بها فى كنَف القائد الحاضر[2] بها حينئذ ، أبى الحسن بن كماشة ، من خدام الوزير أبى عبد الله ابن الحكيم ، فوسع له فى الإيثار والمَبَرَّة ، و بسط له وجه الكرامة طَلْق الأسِرَّة ؛ وبها قال فى مدح الوزير أبى عبد الله بن الحكيم قصيدته التى أولها :

العُشىُ تَعْيا والنّوابغْ عن شكر أنعمك السوابغ

ووجّه بها إليه من المريّة . ومنها :

ودسائع ابن كماشة معْ كل بازغة و بازغ

(١) فى م : « بالفقيرة » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « الحافد » .

تأتى بما تَهْوَى النَّفا نع من شهيات اللّغالغ

ويقال إن الوزير أبا عبد الله بن الحكيم اقترح عليه أن ينظم له قصيدة هائية ، فابتدأ منها مطلعها ، وهو قوله :

لِمَنِ المنازلُ لا تجيب هواها[1] مُحِيت معالمها وصُمَّ صَداها

وذلك فى أواخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبع مئة . ثم لم يزد على ذلك إلى أن توفى ؛ فكان آخر ما صدر عنه من الشعر ، وقد أشار معناه إلى معناه ، وقد آذن أولاه بحضور أخراه ، فكانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلا ، ضحوةَ يوم الفطر ، مستهلّ شوال ، سنة ثمان وسبع مئة ، وهو ابن نيِّف وستين سنة ، وذلك يوم مَقتل مخدومه الوزير أبى عبد الله بن الحكيم ، أصابه قاتله لحقده على مخدومه . ويقال إنه لما هم به قاتله قال له : أنا دخيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يلتفت إليه ، وجعل يجْهِز عليه . فقال له : لم لم تقبل الدخيل بينى و بينك ؟ فكان آخر ما سُمع منه : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ ثم إنه استفاض بعد ذلك من حال القاتل أنه هلك قبل أن يُكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه ؛ فكان يصيح و يستغيث : ابن خميس يطلبنى ، ابن خميس يعذبنى[2] ، ابن خميس يقتلنى . وما زال الأمر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال . [٤٤٤]

نعوذ بالله من الوَرَطات ، ومواقعات العَثَرات . انتهى كلام ابن خاتمة .

وحكى غيره أنّ مطلعَ تلك القصيدة نظمه ليهنئ بها ابن الحكيم فى ذلك العيد الذى قتل فيه ، فلم يقدر على زيادة شىء ، فلما قُتل كتب بعضهم بعد قوله :

* لِمَنِ المنازلُ لا تجيبُ هواها *

لابن الحكيم .

(١) فى م هنا وفيما سيأتى : « صداها » .

(٢) فى م : « يضربنى » .

ونقل غير واحد فى شأن قاتله خلافَ ما حكاه ابن خاتمة . والله أعلم .

ومن مشهور نظمه رحمه الله قصيدته التى أولها :

مَشُوقٌ زَارَ ربعكِ يا أُمامَا ... محا آثارَ دِمْنَتها الشآما

تَتَبَّعَ رِيقـةَ الطَّلِّ ارْتِشافا ... فلا نَفَعَتْ ولا نَقَعَتْ أُواما

وهى طويلة ، ولـكنها من غُرَر القصائد ، يمدح بهـا أبا سعيد بن عامر ويذكر الوحشة الواقعة بينه وبين أبى بكر بن خطاب .

ومن بديع شعره قولُه مطلعَ قصيدة :

تُراجِـعُ مِن دُنياكَ ما أنتَ تاركُ ... وتسأَلها العُتْبَى[1] وها هى فَارِكُ

تُؤَمِّل بعد التَّرْكِ رَجْـعَ وِدادِها ... وشَرُّ وِدادٍ ما تَوَدُّ التَّرائكُ

حَلالَكَ[2] مِنها ما حَلالكَ فى الصِّبا ... فأنْتَ عَلَى حَلْوَائه مُتَهالِكُ

تَظَاهَرُ بالسُّلْوانِ عَنهـا تَجَمُّلا ... فقلبُكَ مَحزون وثغرُكَ ضاحِكُ

تَنَزَّهْتُ عنها نَخْوةً لا زَهادةً ... وشَعْرُ عِذارِى أسودُ اللونِ حالكُ

وهى من القصائد الطَّنَّانة ، وتركتُها لطولها ؛ وفى آخرها يقول :

فلا تَدْعوَنْ غيرى لِدفعِ مُلِمَّـةٍ ... إذا مادَهَى من حادث الدَّهرِ داهِكُ[3]

فما إنْ لذاكَ الصَّوْتِ غيرىَ سَامِـعٌ ... وما إنْ لبيتِ المجد بَعْدِىَ سَامِكُ

يَغَصُّ ويَشْجَى نَهْشَلٌ ومُجَاشِـعٌ ... بِما أورثتْنى حِميرٌ والسَّكاسِكُ

تُفَارِقُنى الرُّوحُ التى لَسْتُ غَيْرَها ... وطيبُ ثَنائِى لاصِقٌ بى صَائكُ

---

(١) فى ط : « العقبى » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « خلالك » .

(٣) كذا فى ط . ودهكه (كمنعه) : طحنه وكسره . وفى نفح الطيب : « داعك »

وَمَاذَا عَسَى تَرْجُو لِدَاتِى وأَرْتَجِى ... وقَدْ شَمِطَتْ مِنِّى اللِّحَى والأَفَانِكُ[1]
يَعُودُ لَنَا شَرْخُ الشَّبَابِ الَّذِى مَضَى ... إِذَا عَادَ لِلدُّنْيَا عَقِيلٌ ومَالِكُ

[٤٤٥] ومما اشتهر من نظمه قوله :

أَرَّقَ عَيْنِي بارِقٌ مِنْ أُثَالْ ... كَأَنَّهُ فى جُنْحِ لَيْلِى ذُبَالْ
أَثارَ شَوقًا من صميم[2] الحَشَى ... وعَبْرَتى فى صَحْنِ خَدِّى أَسَالْ
حَكَى فُؤادِى قَلَقًا واشْتِعَالْ ... وجَفْنَ عَيْنِي أَرَقًا وانْهِمَالْ
جَوانِحٌ تَلْفَحُ نِيرَانُهَا ... وأَدْمُعٌ تَنْهَلُّ مِثْلَ الْعَزَالْ[3]
قُولُوا وُشَاةَ الحُبِّ ما شِئْتُمُ[4] ... ما لَذَّةُ الحُبِّ سوى أَنْ يُقالْ
أَعْذِرُ لُوَّامِى[5] وَلَا عُذْرَ لِى ... فَزَلَّةُ العالِمِ ما إِنْ تُقَالْ
قُمْ نَطْرُدِ الْهَمَّ بِشْمولَةٍ ... تُقَصِّرُ الليلَ إذا الليلُ طالْ
وعاطِها صَفْراءَ ذِمِّيَّةً ... تَمْنَعُها الذِّمَّةُ مِنْ[6] أَنْ تُنَالْ
كالمِسْكِ رِيحًا واللَّمَى مَطْعَمًا ... والتِّبْرِ لَوْنًا والهوا فى اعْتِدالْ
عَتَّقَهَا فى الدَّنِّ خَمَّارُها ... والْبِكْرُ لا تَعْرِفُ غَيْرَ الحِجَالْ
لَا تُثقِبِ الْمِصْبَاحَ لَا واسْقِنِي ... عَلَى سَنَى الْبَرْقِ وضَوْءِ الْهِلالْ

(١) الأفانك : جمع إفنيك ، وهو مجمع اللحيين أو طرفهما عند العنفقة . وفى الأصل « الأفاتك » بالتاء بدل النون ؛ وفى نفح الطيب : « الأفائك » ؛ وظاهر أن كلتا الروايتين تصحيفا .
(٢) فى النفح : « ضمير » .
(٣) العزالى : جمع عزلاء ، وهى مصب الماء من الراوية ونحوها .
(٤) فى ط : « ما شأنكم » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .
(٥) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « عذرا للوامى » .
(٦) فى النفح المخطوط : « ما » مكان قوله : « من » .

فالعَيْشُ نَوْمٌ والرَّدَى يَقظَةٌ ... وَالمَرْءُ مَا بَيْنَهُما كالخَيَالْ

خُذْهَا عَلَى تَنْغِيمِ مُسْطَارِها[1] ... بَين خَوابيها وبَين الدَّوَالْ

فِي رَوْضَـــةٍ باكِرُ وَسْمِيِّها ... أَخْجَلَ دَارِينَ وأَنْسَى أَوَالْ[2]

كأَنَّ فَأْرَ المِسْكِ مَفْتُوقَةٌ[3] ... فِيها إذا هَبَّتْ صَبًا أَوْ شَمَالْ

مِنْ كَفِّ ساجِي الطرف ألحاظه ... مُفَـــوَّقات أَبدًا لِلنِّضَالْ

مَنْ عاذِرِى والكلُّ لى عاذِرٌ ... مِنْ حَسَن الوجه قبيح الفِعالْ

مِنْ خُلَّبِيِّ الوعْـــدِ كَذَّابِهِ ... لَيَّانَ لا يَعرِفُ غَيرَ المِطالْ

كأَنهُ الدَّهْرُ وأَىُّ امرِئٍ ... يبقَى على الدَّهْرِ إذا الدَّهْرُ حَالْ

أَمَا تَرانى آخِـــذًا نَاقِضًا ... عَلَيْهِ مَا سَوَّغنى[4] مِنْ مُحَالْ

ولَمْ أَكُنْ قَطُّ له عائبا ... كمثلِ ما عَابَتْهُ[5] قبلى رجالْ

يَأْبى ثَرَاءَ المالِ عِلْمِى وهَلْ ... يجتمع الضِّدَّانِ عِلْمٌ ومَالْ

وتأنفُ الأَرضُ مُقَامى بها ... حَتَّى تَهَادَانى ظهورُ الرِّحَالْ

لَوْلَا بَنُو زَيَّانَ مَا لَذَّ لِى الـــ ... ـعَيْشُ وَلَا هَانَتْ عَلَىَّ اللَّيَالْ

هم خَوَّفُوا الدَّهْرَ وهم خَفَّفُوا ... على بَنى الدُّنيا خُطاهُ الثِّقَالْ

أَلْفَيْتُ[6] مِنْ عَامِرِهِم سَـيِّدًا ... غَمْرَ رِدَاء الحمدِ جَمَّ النَّوَالْ

---

(١) المسطار (بضم الميم) : الخمرة الصارعة لشاربها ، لشدة حموضتها .

(٢) دارين : فرضة بالبحرين ، كان بها سوق للمسك . وأوال (كسحاب) : جزيرة كبيرة بالبحرين ، عندها مغاص اللؤلؤ .

(٣) فى النفح المطبوع : « مفتوتة » .

(٤) فى النفح المطبوع : « سوفنى » .

(٥) فى النفح المخطوط : « عاتبا ... عاتب » .

(٦) فى النفح وم : « لقيت » .

وكَعْبَةً للجودِ مَنْصُوبةً يَسْعَى إليها الناسُ فى[1] كل حالْ[2] [٤٤٦]
خُذْهَا أبا زَيَّانَ مِنْ شَاعِرٍ مُسْتَعْذَبِ[3] النَّزْعةِ عذْبِ المقالْ
يَلْتَفِظُ الألْفَاظَ لَفْظَ النَّوَى ويَنظِمِ الآلاءَ نَظْمَ اللآلْ
مُجَارِيًا مِهْيَارَ فى قولِهِ «ما كنتُ لَوْلَا طَمَعِى فى الْخَيَالْ»

ومَطْلع قصيدة مِهيار التى عارضها ابن خميس هو قوله :

« ما كنتُ لولا طمعى فى الخيال أنْشُد ليلَى بين طول اللَّيالْ »

وربما يهجس[4] فى خاطر من يرى وصف هؤلاء الأئمة للخمر وغيرها ، أنَّ ذلك منهم على حقيقته ، حاشاهم من ذلك ، وإنما مَقْصدهم بذلك خلافُ ما يُتوَهَّم ، فلا يُساء بهم الظنُّ ، فإن العُذر لهم فى مثل ذلك بَيِّن ، واعتقادَ براءتهم من هذا الشَّين مُتَعَيِّن؛ ويرحم الله شيخ الشيوخ ، وَلِىَّ الله الرَّبَّانىَّ الشهير البركات ، سيدى أبا مدين شُعَيْبا ، أفاض الله علينا من أنواره إذ يقول ، على ما نسبه له بعض الأئمة :

شعر صوفى لأبى مدين

بَكَتِ السَّحابُ فأضحكتْ لبُكائِها زَهْرَ الرِّياضِ وفاضَتِ الأنْهارُ
وقدَ أقبلَتْ شَمْسُ النهارِ بِحُلَّةٍ خَضْرَا وفى إسْرارِها أسْرارُ
وأتى الربيعُ بخَيلِهِ وجُنودِهِ فتمتَّعَتْ فى حُسْنِهِ الأبْصَارُ
والوردُ نادَى بالوُرودِ إلى الجَنَى فتسابقَ الأطيارُ والأشجارُ
والكأسُ تَرْقُص والعُقار تَشَعْشَعتْ والجوّ يَضْحَكُ والحبيبُ يُزَارُ

(١) كذا فى النفح المخطوط . وفى ط « من » . وفى م والنفح المطبوع « من » .
(٢) فى النفح المطبوع والمخطوط : « بال »
(٣) فى نفح الطيب : « مستملح » .
(٤) فى م : « ينجم » .

والعُودُ للغِيد الحِسَان مُجاوِبٌ والطَّارُ أخْفَى صَوْتَهُ المِزْمَارُ
لا تحسَبُوا الزَّمْرَ الحرَامَ مُرادَنَا مِزْمَارُنا[1] التَّسْبيحُ والأذْكارُ
وشَرابُنا من لُطْفِه وغِناؤُنا نِعْمَ الحبيبُ الواحدُ القهَّارُ
والعُود عادَاتُ الجميلِ وكَاسُنا كاسُ الكِياسَةِ والعُقار وَقَارُ
فتألَّفُوا وتَطَيَّبُوا واسْتَغنموا قبلَ المماتِ فدَهْرُكُمْ غَـدَّارُ
واللهُ أرحمُ بالفقيرِ إذا أتَى مِنْ وَالِدَيْهِ فإنَّهُ غفَّار
ثم الصَّلاة على الشفيع المُصطفَى ما رنَّمَتْ بلغاتها الأطْيَار

تخميس على قصيدة لسيدى ابراهيم التازى

وقد تَذَكَّرْتُ بلاميَّة ابن خَميس المذكورة ، قصيدة على رويِّها ووَزْنِها ، أولُها قوله :

ما حالُ مَنْ فارقَ ذاكَ الجمالْ وذاقَ طعْمَ الهَجْرِ بَعْدَ الوِصالْ

[٤٤٧] وهى من نظم الشيخ العارف الصالح سيدى إبراهيم التَّازِىّ ، رضى الله عنه ، رأيت أن أذكرها هنا كفّارة لما يتوهَّمُه السامع فى لامية ابن خميس ، وقد كنت رأيت بتلمسان تخميساً لبعض الأكابر على قصيدة سيدى إبراهيم هذه ، وأنشدته الشيخ مولانا العمّ ، شيخ الإسلام ، سيدى سعيد بن أحمد المَقَّرِىّ رضوان الله عليه ، فانفعل لذلك غايةً واهتز ، وهأنا أذكر القصيدة ضمن التخميس ، وهو :

بَدَتْ كغُصْنٍ ناعمٍ فى اعتدَالْ
وأبدلتْ وَصْلى بصاد ودالْ
قُلْتُ كصبٍّ عاشق حيث قالْ

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « فرادنا » .

ما حالُ مَن فارقَ ذاكَ الجمالْ وذاقَ طعمَ الهَجْر بَعْدَ الوِصالْ

صَبٌّ صبَا مِنْ وَجْدِ لَحْظِ الرَّشا

مِنْ حُبّه عن لُبِّه يُنْتَشَى[1]

وسِرُّه بِدَمْعِهِ قَدْ فَشَا

والعَقلُ منهُ ذاهبٌ والحَشَى مُلتَهِبٌ والجِسْمُ يَحْكِى الخَيَالْ

شَأنى بها ما دُمْتُ فى رِقِّها

رَاقٍ ولا رَغبةَ فى عِتْقِها

دُمْتُ لَها عَبْدًا ومِن حَقِّها

أَبِيتُ أَرْعَى النَّجْمَ فى أُفْقِها ولَيلُ أهلِ الحُبِّ رَحْبٌ طُوالْ

جاء بها التَّنصيصُ فى جُمْلَتِى[2]

أَقضى بها فَرْضى وَهِىَ مِلَّتى

نَأَتْ بصبرِى صِحْتُ واخجلتى

والدَّمْع كالمِدْرار مِنْ مُقْلتى يَجرِى على الوَجْنة يا لَلرِّجالْ

ما عَمِرَتْ لى بالهوى رَاحةٌ

مِنْ بُعْدِهَا وَلاَ خَلَتْ ساحَةٌ

مِنْ حُسنها إذ هىَ وَضَّاحةٌ

ولَيْسَ لى عَيْشٌ ولا رَاحةٌ والحالُ يُغْنى ذا الحِجا عَنْ سُؤالْ

الوَصْلُ قد أَبْدَى لنا حُسْنَهُ

---

(١) انتشى : سكر . وفى الأصلين : « يختشى » . ولعله محرف عما أثبتناه .

(٢) فى م : « التنضيض فى حلق » .

والبُعْدُ[١] قَدْ أَبْدَى لنا شَيْنَهُ[٢]
قُولُوا لِمَنْ ليلُ الهَوَى جَنَّهُ
يا قَبَّحَ اللهُ النَّوَى إنَّهُ قَتْلٌ بلا سَيْفٍ وداءٌ عُضَالْ
إِلْفِيَ مُذْ حلَّ بِقلبي قَضى[٣]
أعادَهُ اللهُ لنا[٤] بالرِّضا
بِطالعِ السَّعْدِ ونورٍ أَضَا
ويا رَعَى اللهُ زمانًا مَضى بالأُنْسِ فى وارفِ تِلك الظِّلالْ
للهِ أَطْلالٌ بها خَيَّمَتْ
فكَمَ بها مِنْ أُمَّةٍ أَحْرَمَتْ
ويا رَعى اللهُ بها ما حَمَتْ
ظِلالُ تَيْماءَ الَّتى تَيَّمَتْ قَلبِي وخَلَّتْ مُهْجَتِي فى نَكالْ
نِلْتُ لذيذَ الوَصْلِ فى تُرْبِها
لو دامَ ما غُيِّبْتُ عَنْ قُرْبِها
فكيفَ لا أُعْلِنُ مِنْ حُبِّها
آهًا لَهَا مَنْ لِي بأُنْسٍ بها خَوْفَ الوَجَى[٥] ما بينَ تِلكَ الجِبالْ
تلكَ رُبوعٌ فازَ مَنْ حلَّها

(١) فى م : « والصد » .
(٢) فى الأصلين « سنه » ، والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .
(٣) كذا فى الأصلين ولعلها : « مضى » .
(٤) فى ط : « علينا » .
(٥) فى ط : « خوف الرجا » وفى م : « عرف الرجا » ، ولعله محرف عما أثبتناه .

وعُقْـــــدَة الإبعاد قَدْ حَلَّهـا
مَنْ لِي بِقُرْبٍ أجتنِي وَصْلَهَا
أَلْزَمُهَا أَبْثُّ أمْرِى لَهَا أَنَعِّمُ[1] الطَّرْفَ بذاكَ الجمال
ما فازَ إلَّا مَنْ غَـــدَا خِلَّهَا
ومَنْ أتَاهَا قاصـــــدًا أهْلَهَا
يا عاشِقِينَ استعطِفُوا دَلَّهَا
للهِ مَا أحْسَن خَالًا لَهَـــا تَقبيلُه المحظورُ عَيْنُ الحَـــلَالْ
نَفسِى فِدَا مَنْ حَـــلَّ فى رَكْبِها
ومَرَّغَ الخَـــدَّيْنِ فى تُرْبِها
ونالَ ظِـــلَّ الأمْنِ فى حِزْبِهـا
وما أَلَذَّ العيشَ فى قُرْبِهـــا فى رِيِّه بَذْلُ[2] العَطَا والنَّوَالْ
يَأهـــل ذاكَ المَنْصِبِ المَوْلَوِى
عَنْ حُبِّكُمْ قلبِىَ ما يَرْعَوِى
لأننى مِنْ مائِكُمْ أرْتَوِى
يا سَادتى يا صَـــفْوَتى يا ذَوِى بِرِّى وشُكْرِى يا كِرامَ الفِعَال
كَمْ بتُّ لَيْـــلِى[3] بِكُمُ ساهِرًا
سَامِرْتُ فيـــه كَوْكَبًا زاهِرا

(١) فى م : « وأنم » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « فجديه بعد » مكان قوله : « فى ريه بذل » .
(٣) فى م : « من ليل » مكان قوله : « ليلى » .

وصِرْتُ مِنْ شَوْقى لكم ذاكرَا
كانَ سُرُورى بكُمُ وَافِرَا وبَدْرُ سَعْدِى مُشْرِقًا فى كَمَالْ
فهأنا اليـــــومَ أعانى العَنَا
وظِـلُّ أَمْنِى كانَ فى المُنْحَنَى
وبَدْرُ سَـــــعْدِى ناظِمٌ شَمْلَنَا
[٤٤٩] فانخسفَ البَـــدْرُ وَرَاحَ الْهَنَا ما كانَ ذا يخطُرُ مِنِّى ببالْ
يا مَنْ غَـــدَا قَلبِى بِهِمْ مُغْرَمَا
مِنْ أَجْلِ خَوْدٍ حُسْـــنُها قَدْ سَمَا
مَنْ لِى بها أرشُـفُ ذاكَ اللَّمَى
يا جِيرَةَ الحَىِّ وأَهْلَ الْحِمَى أَنْتُمْ مُنَى قَلبِى على كلِّ حالْ
كانتْ بكُمُ لى فى الهَوى نُزْهَةٌ
فصِرْتُ(١) أبكِى إذْ بَدَتْ وَحْشَةٌ
وهأنا لَمْ تَرْقَ لى دَمْعَـــةٌ
ولَيْسَ بى صَـبْرٌ ولاَ سَـلْوَةٌ عنـكُمُ ولو شَطَّ المَدَى واسْتَطَالْ
يا مَنْ بِهِمْ قَلبى غَـــدا مُولَعَا
وحَقِّ مَنْ طافَ ومَنْ قَدْ سَعى
ما العبـــدُ إلاّ صادِقٌ ما ادَّعَى
فارْعَوْا ذِمامِى واجْهَـدُوا فى الدُّعَا لِلْمُدْنَفِ المُضْنَى عَسى ذُو الْجَلَالْ
مَتَى أَرَى رَكْبِى بِهِمْ قَافِلاَ

(١) فى ط : « فكنت » ، وما أثبتناه عن م .

ورَبْعَكُمْ أَضْحَى بِهِ آهِلَا
فاللهَ أَرْجُو داعِيًا سَائِلَا
أَنْ يجمعَ الشَّمْلَ بكمْ عاجِلَا فى ذَلِكَ المَغْنَى العَدِيمِ المِثالْ

ومن نظْم ابن خميسٍ التِّلِمْسَانىِّ المذكور قولُه :

نَظَرَتْ إليكَ بمِثْلِ عَيْنَىْ جُؤْذَرٍ وَتَبَسَّمَتْ عَنْ مِثْلِ سِمْطَىْ جَوْهَرِ
عَنْ ناصِعٍ كالدُّرِّ أو كالبَرْقِ أَوْ كالطَّلْعِ أو كالأُقْحُوان مُؤَشَّرِ
تَجْرِى عَلَيْهِ مِنْ لَمَاها نُطْفَةٌ بل خَمْرَةٌ لَكِنَّها لم تُعْصَرِ
لوْ لَمْ يَكُنْ خَمرًا سُلافًا رِيقُها تُزْرِى وتَلعَبُ بالنُّهَى لَمْ تُحْظَرِ
وكذَاكَ ساجِى جَفْنِهَا لو لَمْ يكُنْ فيهِ مُهَنَّدُ لَحْظِها لَمْ يُحْذَرِ
لو عُجْتَ طَرْفَكَ فِى حَدِيقةِ خَدِّها وأَمِنْت سَطْوَةَ صُدْغِها المُتَنَمِّرِ
لرَتَعْتَ مِنْ ذاكَ الحِمَى فِى جَنَّةٍ وكَرَعْتَ مِنْ ذَاكَ اللَّمَى فى كَوْثَرِ
طَرَقَتْكَ وَهْنًا والنُّجُومُ كأَنَّها حَصْباءُ دُرٍّ فى بِساطٍ أَخْضَرِ
والرَّكْبُ بيْنَ مُصَعِّدٍ ومُصَوِّبٍ والنَّوْمُ بيْنَ مُسكِّنٍ ومُنَفِّرِ
بَيْضَا إذا اعْتَكَرَتْ ذوائِبُ شَعْرِها سَفَرَتْ فأَزْرَتْ بالصَّباحِ المُسْفِرِ
سَرَحَتْ غَلائِلَها(١) فَقُلتُ سَبِيكَةٌ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ دُمْيَةٌ مِنْ مَرْمَرِ
مَنَحَتْكَ ما مَنَعَتْكَ يَقْظَانًا فَلَمْ تُخْلِفْ مَواعِدَهَا ولَمْ تَتَغَيَّرِ [٤٠٠]
وكأَنَّما خافتْ بُغَاةَ وُشَاتِها فأَتَتْكَ من أَرْدَافِها فى عَسْكَرِ
وبِجِزْعِ ذاكَ المُنْحَنَى أَدْمَانَةٌ تَعْطُو فتَسْطُو بِالهِزَبْرِ القَسْوَرِ

(١) سرحت غلائلها : أى خرجت منها .

وتَحِيةٌ جَاءتْكَ فى طَىِّ الصَّبَا أَزْكى وأعطرُ مِنْ شَمِيمِ العَنْبَرِ
جرَّتْ عَلَى وَاديكَ فضْلَ رِدَائِها فعَرَفْتَ فيها عَرْفَ ذَاكَ الإِذْخِرِ
هاجَتْ بَلابلَ نازحٍ عن إِلْفِه مُتشوِّقٍ ذَاكِى الحَشَى مُتَسَعِّرِ
وإذا نسيتِ لَيالىَ العَهْدِ الَّتِى سَلَفَتْ لَنَا فتذكَّرِيها تَذْكُرِى
رُحْنا تُغَنِّيْنَا ونَرْشُفُ ثَغْرَها والشَّمْس تنظرُ مِثْلَ عَيْنِ الأَخْزَرِ
والرَّوْضُ بَيْنَ مُفضَّضٍ ومُعَسْجَدٍ والجوُّ بيْنَ مُمَسَّكٍ ومُعَصْفَرِ

قصيدة لابن مرج الكحل تشبه قصيدة لابن خيس

وقد تذكرت بهذه القصيدة قول الأديب ابن مَرْج الكُحْل :

عَرِّجْ بِمُنعَرَجِ الكَثيبِ الأَعْفَرِ بيْنَ الفُراتِ وبيْنَ شَطِّ الكَوْثَرِ
ولْتَغْتَبِقْها قَهْوَةً ذَهَبِيَّةً من راحَتَىْ أَحْوى المراشف[1] أَحْوَرِ
وعَشِيَّةٍ قَدْ كنتُ أَرقُبُ وَقتَها سَمَحَتْ بها الأيامُ بعْدَ تعذُّرِ
نِلْنا بها آمالَنا فى رَوْضَةٍ تُهْدِى لِنَاشِقِها شَمِيمَ العَنْبَرِ
والدَّهْرُ مِنْ قِدَمٍ يُصَفِّقُ رَأْيَهُ فيما مَضَى مِنْهُ بغيْرِ تَكَدُّرِ[2]
والوُرْقُ تَشدُو والأَراكةُ تَنْثَنِى والشمسُ تَرْفُلُ فى قميص أَصفَرِ
والرَّوْضُ بينَ مُفَضَّضٍ ومُعَسْجَدٍ والزَّهْرُ بينَ مُدَرْهَمٍ ومُدَنَّرِ
والنهرُ مَرْقُوم الأباطِح والرُّبا[3] بمُصَنْدَلٍ من زَهْرِه ومُعَصْفَرِ
وكأَنَّه وكأَنَّ خُضْرةَ شَطِّهِ سَيْفٌ يُسلُّ على بِساط أخضرِ

---

(١) كذا فى ط والإحاطة (ج ٢ ص ٢٥٣) . وفى م : « المدامع » .
(٢) كذا فى الإحاطة . وفى الأصلين :
« والدهر من ندم ... * فيما صفا ... الخ »
(٣) فى ط : « بالربا » . وما أثبتناه عن م .

وكأنّما ذاك الحَبَابُ فِرندُه مَهْما طَفا[1] فى صَفْحِهِ كالجَوْهَرِ
وكأنّهُ وَجِهَاتُهُ[2] مُحفوفةٌ بالآسِ والنُّعمانِ خَدُّ مُعَذَّرِ
نَهْرٌ يَهِيمُ بحُسْنِه مَنْ لَمْ يَهِمْ ويُجِيدُ فيهِ الشِّعر مَنْ لَمْ يَشْعُرِ
ما اصْفَرَّ وجْهُ الشَّمْسِ عندَ غُروبها إلّا لُفُرْقَةِ حُسْنِ ذاكَ المَنْظَرِ

ولابن مرج الكحل

وما أحسن قول ابن مَرْج الكُحْل المذكور :

رَأَوْا بالجِزْعِ بَرْقًا فاسْتَهَامُوا ونامَ العاذلونَ ولَمْ يَنَامُوا
وعندِى من مَراشِفها[3] حديثٌ يُخَبِّرُ أنَّ رِيقَتَهَا مُدَامُ
وفِى أجْفانِها السُّكْرى دَليلٌ وما ذُقْنَا ولَا زَعَمَ الهُمَامُ [٤٠١]
تَعالَى اللهُ مَا أجْرَى دُموعِى إذا عَرَضَتْ[4] لمُقْلَتِىَ الخِيامُ
وأشْجَانى إذا لاحَتْ بُروقٌ وأطْرَبنى إذا غَنَّى الحَمَامُ

السلطان أبو عنان يروى شعر ابن خميس

وكان السلطانُ أبو عِنانٍ المَرينىّ رحمه اللهُ كثيرَ الاعتناء بنظم الشيخ أبى عبد الله بن خميس وحفظه وروايته . قال رحمه الله : أنشدنى بلفظه الشيخ الفقيه القاضى المحدّث ، الراوية العالم المدرّس ، خطيب حضرتنا العلية ، أبو عبد الله محمد بن الشيخ الأجل ، الصالح المبارك الراوية ، المرحوم أبى الحسن بن عبد الرزاق ، وذلك بقصر المَصَارَة يَمَّنه الله ، فى يوم الاثنين خامسَ عشرَ من شهر المحرم المبارك ، مفتتح عام خمسة وخمسين وسبع مِئة ؛ قال أنشدنا بلفظه شيخ الأدباء ، وفخل الشعراء ، أبو عبد الله محمدُ بن عمر بن محمد بن خميس الحِمْيَرِىّ ، ثُم الحَجْرِىّ : حَجْر ذِى رُعَيْن ، لنفسه ، رحمه الله تعالى :

(١) فى الأصلين : « صفا » . والتصويب عن الإحاطة .
(٢) فى الأصلين : « وكأنما وجناته » . والتصويب عن الإحاطة .
(٣) فى الأصلين : « معاطفها » ، والتصويب عن الإحاطة .
(٤) فى الإحاطة والنفح المطبوع فى مصر : « عنت » .

أَنِفْتُ ولكنْ بعد طُولِ عِتابِ ... وفَرْطِ[1] لَجاجٍ ضاع فيهِ شَبَابِي
وما زِلتُ والعَلْيا تُعَنِّى غَرِيمَها ... أُعلِّل نفسى دائماً بمَتَـــابِ
وهيهاتَ مِنْ بَعْدِ الشَّباب وشَرخِه ... يلَذُّ طَعامِي أَوْ يسوغُ شَرابِي
خُدِعت بهذَا العَيْش قبْل بَلائِه ... كَمَا يُخْدَع الصادِى بلَمْع سَراب
تقولُ هُوَ الشَّهد المَشُور جَهالَةً ... وما هو إلا السُّمُّ شيبَ بِصَاب
وما صَحِب الدنيا كَبِكْرٍ وتَغْلِبٍ ... ولا كَكُلَيْبٍ رِىءَ فَحْلُ ضِراب
إذا كَعَّت الأبطالُ عَنْها تقدَّموا ... أعارِيبَ غُرًّا فى مُتُونِ عِراب
وإن نابَ خَطْبٌ أو تفاقم مُعْضِلٌ ... تلقَّاهُ منْهُمْ كُلُّ أَصْيدَ نَاب
تَرَاءَتْ لجسَّاسٍ مَخيلَةُ فُرْصَةٍ ... تأَتَّتْ لَهُ فى جَيْئَةٍ وذَهَاب
فجاء بها شَوْهاء تُنْذِرِ قَوْمَها ... بتَشييدِ أَرْجامٍ وهَدْمِ قِباب
وكانَ رُغاءُ السَّقْبِ فى قوم صالح ... حَديثاً فأَنساهُ رُغَاءَ سَرَاب
فما تَسمعُ الآذانُ فى عَرَصاتِهِمْ ... سِوَى نَوْحِ ثَكلَى أو نَعيبِ غُرابِ
وسَلْ عُرْوَةَ الرَّحَّال[2] عَنْ صِدْقِ بأْسِهِ ... وعَنْ بَيْتِهِ فى جَعْفَرِ بْنِ كلابِ

(١) فى م : « وطول » .

(٢) هو عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، كان سيد هوازن ، ويلقب بالرحال ، وقد قتله البراض بن قيس الضمرى ، فجرت بين هوازن وقريش حرب الفجار الآخر ، وقد شهدها النبي وله من العمر أربع عشرة سنة ، وكان ينبل فيها على أعمامه . وسبب هذه الحرب أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، كان يبعث إلى سوق عكاظ فى كل عام ، لطيمة فى جوار رجل شريف من العرب يجيرها له ، حتى تباع هناك ، ويشترى له بثمنها من أدم الطائف ما يحتاج إليه ؛ فجهز النعمان عير اللطيمة ، ثم قال : من يجيرها ؟ فقال البراض بن قيس الضمرى : أنا أجيرها على بنى كنانة . فقال له النعمان : ما أريد إلا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرحال وهو يومئذ رجل هوازن كلها : أنا أجيرها لك على أهل الشيح والقيصوم ، فى أهل =

وكانتْ على الأملاكِ منهُ وِفادةٌ إذا آبَ منها آبَ خيرَ مآب [٤٥٢]
يُجيرُ على الحَيَّينِ قَيْسٍ وخِنْدِف بفضْلِ يَسَار أو بفَضْلِ خِطاب
زَعامَةُ مَرْجُوِّ النَّوالِ مُؤَمَّلٍ وعَزْمةُ مسموعِ الدُّعاء مُجاب
فَمَرَّ يُزَجِّيهـا حَواسِرَ ظُلَّعاً بما حَمَّلُوها مِنْ مُنًى ورِغاب
إلَى فَدَكٍ والمَوْتُ أقربُ[1] غايةً وهَذا المُنَى يَأْتِي بكل عُجاب
تَبَرَّضَ صَفْوَ العيْش حتّى اسْتَشَفَّهُ فَدَافَ له البَرَّاض قَشْبَ حُبَاب
فأصْبحَ فى تلكَ المَعاطِفِ نُهْزَةً لِنَهْبِ ضِباعٍ أو لنَهْشِ ذِئاب
وما سَهْمُهُ عندَ النِّضال بأَهْزَعٍ ولا سيفُه عنـد المِصَاع[2] بنابى
ولـكنَّها الدنيـا تكرُّ على الفتَى وإن كانَ منها فى أعزِّ نِصاب
وعادَتُهـا أَلَّا تَوسَّط عندها فإما سماءٌ أوْ تُخومُ تُراب
فلا تَرْجُ من دُنياكَ ودا وإن يكُنْ فما هو إلّا مِثْل ظِلِّ سحاب
وَما الحزمُ كلُّ الحزم إلا اجتنابُها فأَشْقَى الورَى مَنْ تَصْطَفِي وتُحابِي
أَبَيْتُ لَهَا ما دامَ شخصىَ أن تُرَى تَمُرُّ ببـابِي أَوْ تَطُورُ جَنابِي
فكَمْ عَطَّلتْ مِنْ أربُعٍ ومَلاعِبٍ وكَمْ فرَّقَتْ مِنْ أُسْرةٍ وصِحاب
وكم عَفَّرت من حَاسِرٍ وَمَدَجَّج وكم أَثكَلَتْ من مُعْصِرٍ وكَعاب
إليكُمُ بنى الدُّنيا نصيحةَ مُشْفِق عليكُمْ بصـيرٍ بالأُمور نِقاب[3]

= نجد وتهامة . فدفعها النعمان إلى عروة ، فخرج بها وتبعه البراض وعروة لا يخشى منه شيئا ، لأنه كان بين ظهرانى قومه من غطفان ، إلى جانب فدك ، إلى أرض يقال لها أوارة ، فنزل بها عروة ، فضربه وغنته قينته ؛ فجاء البراض فدخل عليه وقتله . وإلى هذه القصة تشير الأبيات التسعة التى ابتدأت بهذا البيت . (انظر تفصيل الخبر فى العقد الفريد لابن عبدربه فى أيام العرب ، عند الكلام على يوم «الفجار الآخر» .

(١) فى نفح الطيب : « أغرب » . (٢) المصاع : المجالدة بالسيوف . والذى فى نفح الطيب : « الصراع » . (٣) النقاب (بالكسر) : الرجل العلامة .

طويلِ مِراسِ الدَّهرِ جَزْلٍ مُماحِكٍ عريضِ مَجالِ الهَمِّ حِلْسِ رِكابِ
تَأَتَّتْ لَهُ الأَهوالُ أدهَمَ سابقا وغَصَّت به الأيامُ أشهبَ كابى
ولا تَحسَبوا أَنّى على الدّهرِ عاتِبٌ فأعظمُ ما بى منـهُ أيسرُ ما بِى
وما أسَفِى إلّا شَبابٌ خَلَعْتُـه وشَيْب أبى إلا نُصولَ خِضابِ
وعُمْرٌ مضى لم أَحْلَ مِنـهُ بطائِلٍ سِوَى ما حَلا[1] من لَوْعة وتصابى
ليالىَ شيطانِى على الغَىّ قادرٌ وأعذبُ ما عنـدى أليمُ عَذاب
عكسنا قضايانَا على حكم عادنا وما عكسُها عند النُّهى بصَواب
على المصطفى المختار أزكى تحيَّتِى فتلك التى أعتدّ[2] يومَ حِسابى
فتلكَ عَتادى أَوْ ثنـاءٌ أصوغُه كَدَرٌّ سَحاب أو كدُرٌّ سِخَابِ

ومن مشهور نظم ابن خميس رحمه الله تعالى :

[٤٠٣] عَجَبًا لها أيذوقُ طعْم وِصالِها من لَيس يأْمُل أَنْ يَمُرَّ ببالِها
وأنا الفقيرُ إلى تَعِلَّةِ سـاعةٍ مِنْها وتمنَعنِى زَكاةَ جَمالِها
كَمْ ذاد عَنْ عَينِى الكَرى مُتَأَلِّقٌ يبدو ويَخْفَى فى خَفِىٍّ[3] مِطالِها
يسـمو له بدرُ الدُّجَى مُتضائِلا كتَضاؤُل الحَسـناء فى أسْمالِها
وابنُ السَّبيل يجىء يَقبِس نارَها لَيْلا فتَمنحُـه عَقيلةَ مالِها
يَعتادنى فى النوم طَيْفُ خيالِها فتُصيبُنى ألحاظُهـا بنِبالِها
كَمْ ليلةٍ جاءتْ بِهِ[4] فكأنما زُفَّت عَلَىّ ذُكاءُ وقْتَ زَوالِها

(١) فى ط والنفح : « ما خلا » . وما أثبتناه عن م .
(٢) فى م : « أعتدت » .
(٣) فى م : « فى حبى » . والحبى : السحاب .
(٤) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « جادت » .

أسْرَى فعطَّلَها وعطَّلَ شُهْبَها ... بأَبِى شَذا المِعطارِ من مِعْطالها

وسَوادُ طُرَّته كجُنحِ ظَلامِها ... وبَياضُ غُرَّته كضَوْءِ هِلالِها

دَعْنى أَشِمْ بالوَهْمِ أدْنَى لَمْعَةٍ ... مِنْ ثَغرها وَأَشَمَّ مِسْكَةَ خَالها

ما زَادَ طَرْفى فى حقيقةِ خَدِّها ... إلا لِفِتْنَتِه[1] بحسن دَلالها

أَنسيبَ شِعرى رِقَّ مثلَ نَسيمها ... فشَمولُ رَاحِك مثلُ ريحِ شمالها

وانقُلْ أحاديثَ الهَوى واشرَحْ غَرِيـ ... ـبَ لُغاتها وأذكر ثِقاتِ رِجالها

وإذا مَرَرْتَ برامَةٍ فَتَوَقَّ مِنْ ... أَطْلائِها وتَمَشَّ فى أَطْلالها

وانصِبْ لِغُزْلِها[2] حِبالَةَ قانِصٍ ... ودَعِ الكَرَى شَرَكاً لصَيْدِ غَزالها

وأَسِلْ جَداولَها بفَيض دُموعِها ... وانْضَح جَوانحها بفضل سِجالها

أنا من بقيَّةِ مَعْشَرٍ عَرَكتهمُ ... هَذِى النَّوَى عَرْكَ الرَّحى بِثفالها

أَكْرِمْ بها فِتْيَةً أُريقَ نَجِيعُها ... بَغْيًا فَراقَ العَيْنَ حُسْنُ مَآلها

حَلَّت مُدامَةُ وَصْلِها وحَلَتْ لَهُمْ ... فإن انْتَشَوْا فَبِحُلْوِها وحَلالها

بَلَغَتْ بهُرْمُسَ غايةً ما نالَها ... أَحَدٌ وناءَ لها لبُعْـ ـد مَنالها

وَعَدَتْ على سُقْراطَ سُؤْرَةُ كأسِها ... فَهُريق ما فى الدَّنِّ من جرْيالها

وسَرَتْ إلى فَارابَ منها نَفْحةٌ[3] ... قُدْسِيَّةٌ جاءت بنُخْبةِ آلها

ليصوغَ من أَلحانِهِ فى حَانِها ... ما سُوِّغَ القِسِّيسُ مِنْ أَرْمَالها

وتَغَلْغَلَتْ فى سُهْرَوَرْدَ فأَسْهَرَتْ ... عَيْنًا يؤرِّقها طُروقُ خَيالها

---

(١) فى الأصلين : « لتفتنه » . وما أثبتناه عن نفح الطيب المطبوع .

(٢) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب المطبوع : « لمغزلها » . وفى المخطوط : « بمغزلها » .

(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « نغمة » .

[٤٥] نخبا شِهابُ الدّين لما أشرَقَتْ وخَوى[١] فلمْ يثْبُتْ لنُور جَلالِها
ما جُنَّ مِثلَ جُنونه أَحَدٌ ولا سمحتْ يد بيضَا[٢] بمثل نَوالِها
وبَدَت على الشُّوذِىّ[٣] منها نَشْوةٌ ما لاحَ منهـــا غيرُ لَمْعَةِ آلها
بطلتْ حقيقتُــه وحالَتْ حالُه فيما يُعبِّر عن حقيقةِ حالها
هَــذِى صُبابتهم تَرِقّ صَبَابةً فيَروقُ شاربَهـا صفاء زُلالها
اعلم أبا الفضْل بنَ يَحْيى أنّنى مِنْ بَعْـدِها أحرى على آمالها[٤]
فإذا رأيتَ مُدَلَّها مِثلى فخُذْ فى عَذْلِهِ إنْ كنتَ مِنْ عُذّالها
لا تعجبنَّ لِما تَرى مِنْ شأْنها فى حَلِّها إن كانَ أَوْ تَرْحالها
فصلاحُها بفســـادِها ونعيمُها بعذابها ورشـــادُها بضَلالها
ومن العَجائب أن أُقيمَ ببلدةٍ يومًا وأَسْـلَمَ من أذَى جُهّالها
شُغِلوا بدُنيـــاهمْ أَمَا شَغَلَتْهمُ عنّى فكَمْ ضَيَّعْتُ مِنْ أَشْغالها
حُجِبوا بجهلهمُ فإن لاحت لهَمْ شمسُ الْهُدَى عَبثُوا بضَوء ذُبالها
وإن انتسبْتُ فإننِى من دَوْحة يتفيأُ الإنسانُ[٥] بَرْدَ ظِلالها
من حِمْيرٍ مِنْ ذى رُعَيْنٍ مِنْ ذَوِى حَجْرٍ مِنَ العُظماء مِنْ أَقيالها
وإذا رَجَعتُ لِطينَتِى مَعْنًى فما سَلْسالُه بأرقّ مِنْ صَلْصَالها
لله دَرُّك أَيُّ نَجْلٍ كريمةٍ ولَدَتْهُ فاسٌ منك بعْـدَ حِيالها

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وضوى » .
(٢) فى ط : « سمحت به أيضاً » . وفى م : « سمحت يد أيضا » : وما أثبتناه عن النفح المطبوع .
(٣) كذا فى الأصلين ، وهو تحريف . وفى نسخة من نفح الطيب : « المشود » . ولعله محرف أيضا عن : « ممشاد » ، وهو ممشاد الدينورى ، صوفى مشهور ، توفى سنة ٢٩٩ هـ .
(٤) كذا فى ط . وفى م : « آسالها » . ولعله محرف عن « أمثالها » .
(٥) كذا فى ط . وفى م : « تتقيل الأنساب » .

ولأنتَ لا عدِمَتْك والدُ فخرِها وسِماكُ سُؤْدُدِها وبَدْرُ كمالها
اُغْلُظ على مَن عاثَ مِنْ أنذالها واخشَعْ لمنْ تلْقاه مِن أبْدالها
وَالبَسْ بما أوْليتَهـــا مِن نِعْمةٍ حُلَلَ الثَّنـاء وجُرَّ مِن أذْيالها
خُذْها أبا الفضلِ بنَ يَحْيى تُحْفةً جاءتْكَ لم يُنْسَج على منوالها
ما جاء فى مِضمارِها شِـــعرٌ ولا سَمحتْ قَريحةُ شاعرٍ بمثالها
وأَنِلْ أبا البَرَكاتِ مِن بَرَكاتها وادْفَعْ محالَ شُكُوكه مِنْ آلها[1]

منزلة ابن خميس عند علماء المشرق

قال السلطان أبو عِنانٍ رحمه الله : أخبرَنا شيخُنا الإمامُ العالمُ العلامة ، وحيد زمانه ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبُلِّيّ رحمه الله ، قال :

لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو إسحاقَ التِّنَسيّ من تِلِمْسانَ إلى بلاد المَشرِق ، اجتمع هناك بقاضى القضاة تقيّ الدين بن دَقيق العِيد ، فكان من [٤٥٥ قوله له : كيف حال الشيخِ العالم أبى عبد الله بن خميس ؟ وجعل يُحلِّيه بأحسن الأوصاف ، ويُطنِب فى ذكر فضله ؛ فَبَقِيَ الشيخ أبو إسحاق متعجِّبا ، وقال : من يكون هذا الذى حَلَّيتموه بهذا الحَلْى ولا أعرفه ببلدى ؟ فقال له هو القائل :

« عَجَبا لها أيذوقُ طعمَ وِصالها »

قال : فقلت له : إن هذا الرجل ليس هو عندنا بهذه الحالة التى وَصَفْتم ، إنما هو عندنا شاعر فقط . فقال له : إنكم لم تُنْصفوه ، وإنه لَحقيق بما وصفناه .

قال السلطان أبو عِنان : وأخبرنا شيخنا أبو عبد الله المذكور أن قاضى القضاة ابنَ دَقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخِزانة كانت له ، تعلو مَوضِعَ جلوسه للمطالعة ، وكان يُخرجها من تلك الخِزانة ، ويكثر تأمُّلها والنظر فيها .

ثم قال السلطان أبو عنان : قال لنا شيخنا أبو عبد الله الآبُلِّيّ المذكور :

(١) كذا فى م . وفى ط : « بمحالها » . مكان قوله : « من آلها » .

ولقد تعرّفت أنه لمّا وصلت هـذه القصيدة إلى قاضى القضاة تقىّ الدين المذكور، لم يقرأها حتى قام إجلالا لها . انتهى .

وقد وصَلَ ابنُ خميس رحمه الله هذه القصيدة إلى قاضى القضاة بنثْر لم أُثبته هنا لطوله ، ولِمَا قيل إن هذا الرجل مَعَرِّىُّ النَّزْعة ، أى نظمه أحسن من نثره ؛ وقد أوردها ابن الخطيب فى الإحاطة ، وأوردها السلطان أبو عنان فى مَرْوِيَّاته .

شوق ابن خميس إلى بلده تلمسان

وكان ابن خميس بعد مفارقته بلده تِلِمْسان ، سقى الله أرجاءها أنواء نَيْسان[1] ، كثيرًا ما يتشوق لمَشَاهِدها ، ويتأوه عند تذكره لمعاهدها ، وهى شِيمة الأحرار فى حنينهم إلى أوطانهم ، وللدهر إحلاء وإمرار .

فمن ذلك قولُه رحمه الله تعالى : [٤٥٦

تِلِمْسانُ لوْ أَنَّ الزمانَ بها يَسخو ... مُنَى النَّفسِ لا دارُ السلام ولا الكَرْخُ

ودارِى بها الأولى التى حِيل دُونَها ... مَثارُ الأَسى لَوْ أمكنَ الحَنِقَ اللَّبْخُ[2]

وعَهْدى بها والعُمْرُ فى عُنْفوانِه ... وماءُ شَبابِى لا أُجَيْنٌ ولا مَطْخُ[3]

قَرارةَ تَهْيامٍ ومَغْنَى صَبابةٍ ... ومَعْهَدَ أُنسٍ لا يَلَذُّ به لَطْخُ

إذِ الدّهرُ مَثْنِيُّ العِنانِ مُنَهْنَهٌ ... ولا رَدْعَ يَثْنِى مِنْ عِنانِى ولا رَدْخُ[4]

ليالىَ لا أُصْغِى إلى عَذْلِ عاذِلٍ ... كأَنَّ وُقوعَ العَذْلِ فى أُذُنِى صَمْخُ[5]

مَعاهِدُ أُنسٍ عُطِّلَتْ فكأنَّها ... ظواهرُ ألفاظٍ تَعَمَّدها النَّسْخ

وأَربُعُ أَلّافٍ عَفا بعضُ آيِها ... كما كانَ يَعْرو بعضَ أَلْواحِنا اللَّطْخ[6]

---

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى وفى الأصلين . « النيسان » .
(٢) اللبخ : الاحتيال .
(٣) المطخ : ما يبقى فى الحوض والغدير من الماء الذى فيه الدعاميص ، لا يقدر على شربه .
(٤) الردخ : الردع .
(٥) الصمخ : الضرب فى صماخ الأذن .
(٦) اللطخ : التلويث .

فمنْ يكُ سَكرانًا من الوَجْد مرَّةً ... فإنىَ منـه طولَ دهْرى لَمُلْتَخُّ(١)
ومَن يَقتدحْ زَنْدا لِمَوْقِد جَذوةٍ ... فزَندُ اشتياقِى لا عَفارٌ ولا مَرْخ(٢)
أَأَنسَى وُقوفى لاهِيا فى عِراصها ... ولا شاغلٌ إلا التودُّعُ والسَّبْخ(٣)
وإلّا اختيـالِى ماشِيًا فى سِماطها ... رَخِيًّا كما يمشِى بُطرَّته الرُّخُّ(٤)
وإلا فعَدْوِى مِثلُ ما ينفِرُ الطَّلَا ... وَليدًا وحَجْلى مثلُ ما ينهضُ الفَرْخ
كأنِّىَ فيها أزْدشـيرُ بن بابَكٍ ... ولا مُلْكَ لِى إلّا الشَّبيبةُ والشَّرْخ
وإخوانُ صِدْق من لِداتِى كأنهمْ ... جآذرُ رمْلٍ لا عِجافٌ ولا بُزْخ(٥)
وُعاةٌ لمـا يُلْقى إليهمْ مِنَ الهُدى ... وعن كلِّ فَحْشاء ومُنْـكَرَةٍ صُلْخ(٦)
هُمُ القومُ كُلُّ القومِ سِيّانِ فى العُلا ... شَبابُهُمُ الفُرْعانُ والشِّيخة السُّلْخ(٧)
مَضَوا ومضَى ذاكَ الزمانُ وأُنسُه ... ومَرَّ الصِّبا والمـالُ والأهلُ والبَذْخ
كأنْ لم يكُنْ يومًا لأقلامِهمْ بها ... صَريرٌ ولم يُسمع لأكعُبهم جَبْخ(٨)
ولم يَكُ فى أرواحها(٩) مِنْ ثنائهمْ ... شَميمٌ ولا فى القُضب مِنْ لينهم مَلْخ(١٠)
ولا فى مُحيَّا الشَّمس من هَدْيهم سَنًى ... ولا فى جَبين البدْر مِن طيبهمْ ضَمْخ(١١)

---

(١) يقال سكران ملتخ : إذا كان لا يفهم شيئا ، لاختلاط عقله .
(٢) العفار والمرخ : نوعان من الشجر يسرع اشتعالها .
(٣) السبخ : الفراغ .
(٤) الرخ : طائر كبير ، يرد ذكره فى القصص والخرافات .
(٥) البزخ (بالتحريك) : خروج الصدر ودخول الظهر ، ومنه رجل أبزخ ، وامرأة بزخاء ، والجمع بزخ .
(٦) صلخ : جمع أصلخ ، وهو الأصم جدا ، لا يسمع ألبتة .
(٧) السلخ : جمع أسلخ وهو الأصلع الشديد الحمرة .
(٨) الجبخ : إجالة الكعاب فى الميسر .
(٩) فى نفح الطيب المخطوط : « فى أدواحها » .
(١٠) الملخ : التثنى والتكسر .
(١١) الضمخ : لطخ الجسد بالطيب .

سَعيتُم بنى عَمُّورَ فى شَتِّ شَمْلنا فما تَجْرُ كُمْ رِبْح وَلَا عَيْشُنَا رَبْخ(١)
دُعيتم إلى مايُرْتَجى من صَلَاحِكُمْ فَرَدَّ كُمُ عنه التَّعَجْرُفُ والجَمْخ(٢)
تَعالَيْتُمُ عُجْبًا فَطَمَّ عليكمُ عُبابٌ لَه فى رأس عَلْيائِكم جَلخ(٣)

وهى طويلة جدا ، ألمّ فيها بمدح سَبْتة وملوكها بنى العَزَفىّ ، فقال :

[٤٥٧] تَرَكتُ لِمينَا سَبتةٍ كُلَّ نُجْعَةٍ كما تُرِكَتْ للعِزِّ أهضابُها الشُّمْخُ(٤)
وآليتُ أَلَّا أَرتوى غيرَ مائِها ولو حَلَّ لى فى غيره المنُّ والمذْخ(٥)
وأَلَّا أَحُطَّ الدهرَ إلا بِعُقْرِها ولو بَوَّأَتْنِى دارَ إِمْرَتِها بَلْخ
فكم نَقَعَت من غُلَّة تِلكمُ الأَضَا وكم أبرأَتْ من عِلّة تِلكمُ اللَّبْخ(٦)
وحَسْبِىَ منها عَدْلُها واعتِدالُها وأَبْحُرُها العُظْمَى وأريافُها النُّفْخ(٧)
وأملاكُها الصِّيد المَقاوِلة الأُلَى لِعِزِّهِمُ تعنو الطَّراخَةُ البُلْخ(٨)
كَواكِبُ هَدْى فى سَماء رِياسةٍ تُضِىء فما يَدْجو ضَلالٌ ولا يَطْخو(٩)
ثواقبُ أنوارٍ تُرِى كلَّ غامِضٍ إذا النّاسُ فى طَخْيَاء غَيِّهِمُ التَخُّوا(١٠)

(١) ربخ (كفرح ومنع) : وقع فى الشدائد .
(٢) الجمخ : التكبر .
(٣) جلخ السيل الوادى جلخا : قطع أجرافه وملأه .
(٤) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « ... للعز أهضامها شمخ » .
(٥) المذخ : نوع من العسل يظهر فى جلنار الرمان البرى ، يتمصصه الناس .
(٦) اللبخ (محركة) : اسم جنس لشجر معروف . واحدته : لبخة (بالتحريك) وسكن الباء لضرورة الشعر .
(٧) النفخ : جمع نفخاء ، وهى الأرض المرتفعة المكرمة ، ليس فيها رمل ولا حجارة ، أو هى الأرض اللينة فيها ارتفاع . وجمعه : نفاخى ، كصحارى ، لكن الشاعر راعى هنا ما فيه من الوصفية ، فجمعه على فعل ، كحمراء وحمر .
(٨) الطراخة : جمع مطرخم ، وهو المتكبر . والبلخ جمع أبلخ ، وهو المتكبر أيضا .
(٩) يطخو تشتد ظلمته .
(١٠) الطخياء : الظلمة الشديدة . والتخوا : حاروا والتبس عليهم الأمر .

ورَوْضاتُ آدابٍ إذا ما تأرَّجت تَضاءل فى أفيائها أفنانُها الرِّمْخ(١)
مَجامِرُ نَدٍّ فى حدائق نَرْجِس تَنِمُّ ولا لَفْحٌ يُصيبُ ولا دَخّ(٢)
وأبحرُ عِلْمٍ لا حِياضُ رِوايةٍ فيكبُرَ منها النَّضحُ أو يَعظُمَ النَّضْخ
بنو العَزَفِيِّينَ الأُلَى من صُدورِهِمْ وأيديهمُ تُملَا القراطيسُ والطَّرْخ(٣)
إذا ما فتًى منهم تصدّى لغاية تأخّرَ من يَنْحو وأقصرَ مَنْ يَنْخو(٤)
رِياسةُ أخيارٍ ومُلْكُ أفاضلٍ كِرامٍ لهم فى كلّ صالحةٍ رَضْخ(٥)
إذا ما بَدَا منّا جَفاءٌ تعطَّفُوا علينا وإنْ حَلَّت بنا شِدَّةٌ رَخُوا(٦)
نَزورُهمُ حُذّاً نِحافاً فنَنثنى وأجمالُنا دُلْحٌ وأبدانُنا دُلْخ(٧)
يُرَبُّوننا بالعِلْمِ والحِلْمِ والنُّهَى فما خَرجُنا بَزٌّ ولا حَدُّنا بَرْخ(٨)
وما الزُّهد فى أملاكِ لَخْمٍ ولا التُّقَى ببِدْعٍ ولِلدُّنيا لُزُوقٌ بمن يَرخُو(٩)
وإلا ففى ربِّ الخَوَرْنَق غُنْيةٌ فما يَوْمُه سِرٌّ ولا صِيتُه رَضْخ(١٠)

(١) الرمخ : الشجر المجتمع .
(٢) الدخ (بفتح الدال وضمها) : الدخان .
(٣) الطرخ : اسم جنس جمعى ، واحدته طرخة ، وهى حوض واسع يجعل عند مخرج القناة ليجتمع فيه الماء ، وينصب منه إلى المزرعة .
(٤) ينخو : يفتخر ويتعظم .
(٥) أصل الرضخ : العطاء اليسير . والمراد هنا : العطاء مطلقا ، كما يفهم من السياق .
(٦) رخوا : لانوا .
(٧) حذا : جمع أحذ ، وهو الضامر . والدلح : جمع الدلوح ، وهو الذى يمشى بحمله منقبض الخطو لثقله ، وأصله : دلح (بضم اللام) ، وسكن للوزن . ودلخ : جمع دلوخ ، أى سمين ، وأصله بضم اللام كذلك .
(٨) البز والابتزاز : أخذ الشىء بجفاء وقهر . والبرخ : القهر .
(٩) أملاك لخم : يريد ملوك اللخميين . والمراد (هنا) بنو العزفى أصحاب سبتة ، لأنهم لخميون فى أنسابهم . ويرخو : يلين .
(١٠) الخورنق : قصر بحيرة الكوفة ، بناه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى اللخمى ، وهو الذى لبس المسوح ، وساح فى الأرض . والرضخ : خبر تسمعه ولا تستيقنه .

تَطلّعَ يومًا والسَّدِيرُ أمامَه وقدنال منه العُجْب ما شاء والجَفْخُ(١)
وعَنَّ له من شِيعَة الحقّ قائم بحجَّة صِدْقٍ لا عَيامٌ ولا وَشْخ(٢)
فأصبحَ يجتاب المُسوح زَهادة وقد كانَ يؤذِى بطنَ أَخْمَصِه النِّخ(٣)
وفى واحد الدنيا أبى حاتم لنا دواءٌ(٤) ولكن ما لأدوائنا نَتْخ(٥)
تَخلّى عن الدُّنيا تَخَلِّىَ عارفٍ يَرى أنّها فى ثوب نَخْوتِه لَتْخ(٦)
وأعرَضَ عنْها مُستهينًا بِقَدْرها فلم يَثْنِه منْها اجتذابٌ ولا مَصْخ(٧)
فكان له من قلبها الحبُّ والهوى وكان لها من كَفِّه الطَّرحُ والطَّخ(٨)
وما مُعْرِضٌ عنها وَهِى فى طِلابه كمن فى يديه من معاناتها نَبْخ(٩)
ولا مُدرِكٌ ما شاء من شَهواتها كمَنْ حَظُّه منها التمجُّع(١٠) والنَّجخ(١١)
ولكنَّنا نَعْمَى مِرارًا عن الهُدَى ونَصْلَجُ حتى ما لآذاننا صُمْخ(١٢)

(١) السدير : نهر بناحية الحيرة . والجفخ : الفخر .
(٢) العيام : العي الثقيل . والوشخ : الردىء الضعيف .
(٣) المسوح : جمع مسح ، وهو ثوب من الشعر غليظ ، يلبسه الزهاد والمتقشفون . ويجتاب المسوح : يتخذها ملبسا ، والنخ : ضرب من البسط .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « بلاغ » .
(٥) نتخ الشىء : انتزعه .
(٦) لتخ الثوب (كمنع) : لطخه أو شقه .
(٧) كذا فى نفح الطيب ، والمصخ انتزاع الشىء وجذبه عن جوف شىء آخر . وفى م : « فضخ » وهو كسر شىء أجوف . وفى ط : مضخ ، وفيه تحريف .
(٨) كذا فى ط . وفى م « طرفه » بدل : « كفه » . والطخ : رمى الشىء وإبعاده .
(٩) النبخ : قروح فى اليد بسبب العمل تمتلئ ماء ، فاذا تفقأت أو يبست مجلت اليد ، فصلبت .
(١٠) كذا فى ط ، والتمجع : الاكتفاء بالقليل من التمر اليابس واللبن . وفى م : « التهجع » ، وهو النوم الخفيف .
(١١) النجخ : التخمة والسأم ؛ يريد أنه زاهد فيها .
(١٢) نصلج : نصم . والصمخ : جمع صماخ ، وأصله صمخ (بضم الميم) .

وما لامرئٍ عمّا قضى اللهُ مَزْحَل ... ولا لقضاء اللهِ نقضٌ ولا نَسْخ[1] [٤٥٨]

أبا طالبٍ لم تَبْقَ شِيمةُ سُؤْدُد ... يُساد بها إلا وأنت لها سِنْخ

لسوّغتَ أبناء الزمان أياديًا ... لدرّتها فى كل سامعة شَخْ[2]

وأجْرَيتَها فيهم عوائدَ سؤدُدٍ ... فما لهمُ كسب سواها ولا نَخّ[3]

غَذَتْهم غواديها فهى فى عُروقهم ... دماءٌ وفى أعماقِ أعظمهم مُخّ

وعَمّتْهمُ حَزْنًا وسَهْلا فأصبحوا ... ومَرعاهمُ وَزْخ ومَرْعِيّهم وَلْخ[4]

بنى العَزَفيين أبلغوا ما أردْتُمُ ... فما دون ما تبغون وَحْلٌ ولا زَلْخ[5]

ولا تَقْعُدُوا عمّن أرادَ سِجالَكُمْ ... فما غَرْبُكم جُفٌّ[6] ولا غَرْفُكم[7] وضخ[8]

وخَلّوا وراءً كلَّ طالبِ غايةٍ ... وتيهوا على مَن رَامَ شأوَكمُ وانْخوا[9]

ولا تَذَرُوا الجوزاءَ تَعْلُو عليكمُ ... ففى رَأْسِها مِنْ وَطْءِ أسْلافِكم شَدْخ

لأفواه أعدائى وأعْيُن حُسّدى ... إذا جُلِيَت خائبتى الغَصُّ والفَضْخ

دَعُوهَا تَهادَى فى مُلاءة حُسنِها ... ففى نفْسِها مِنْ مَدْح أمْلاكِها مَدْخ[10]

---

(١) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « فسخ » .

(٢) الشخ : صوت الشخب إذا خرج من الضرع .

(٣) النخ : السير العنيف ، وسوق الإبل وزجرها واحتثاثها ؛ يريد أن الذين عودهم عادات كرمه لا يحتاجون إلى الرحلة لانتجاع غيره .

(٤) الوزخ : شجر يشبه المرخ فى نباته غير أنه أغبر له ورق دقيق . والولخ من العشب : الطويل .

(٥) الزلخ : المزلقة تزل منها الأقدام لنداوتها ، لأنها صفاة ملساء .

(٦) الغرب : الدلو العظيمة . أما الجف فمن معانيه الدلو العظيمة ، ولعل المراد به (هنا) : الشن البالى يقطع من نصفه ، فيجعل كالدلو .

(٧) كذا فى نفح الطيب . والغرف : أخذ الماء من بئر أو نحوها . وفى الأصلين « عرفكم » .

(٨) الوضخ : الماء القليل .

(٩) انخوا : من النخوة ، وهى الافتخار والتعظم . (١٠) المدخ : العظمة .

يمانيةٌ زارَتْ يمانين فانثنَتْ وقد جدَّ فيها الزَّهو واستحكم الزَّمْخ[1]

من قصيدة أخرى له فى الشوق إلى تلمسان

ومن مطلع قصيدة لابن خميس رحمه الله فى مدح بلده تلمسان — حاطها الله تعالى — قوله :

تِلمسانُ جادَتْها[2] الغَوادِي الروائحُ وأَرْسَتْ بواديها[3] الرياحُ اللَّواقحُ
وسَحَّ على ساحات باب جِيادِها مُلِثٌّ يُصافِي تُرْبَها ويُصافح
يَطِير فُؤادِى كلَّما لاحَ بارِق ويَزْدادُ شوقى كلَّما مَرَّ سانِح

ولم يَعْلَق بحفظى من هذه القصيدة سِوى ما ذكرت . وكنت تركتها بِتِلِمْسَان ، ولم أرها الآنَ بفاسَ ، حماها الله .

قصيدة للثغرى فى وصف تلمسان

و « باب جياد » التى أشار إليها هى إحدى[4] أبواب تِلمسان المحروسة ، وفيها يقول الفقيه العلامة الناظم الناثر ، أبو عبد الله محمد بن يوسفَ الثَّغْرِىُّ ، من قصيدة رفعها للسلطان أبى حمّو ، رحم الله الجميع :

أيُّها الحافظونَ عَهْدَ الودادِ جَدِّدوا أُنْسَنا بِبابِ الجِياد
وصِلُوها أصـــائِلا بلَيالٍ كَلآلٍ نُظِمْنَ فى الأَجياد
فى رياضٍ مُنَضَّداتِ المجانِى بينَ تِلْكَ الرُّبَا وتِلْكَ الوِهاد
وبُروجٍ مُشَـــيَّداتِ المَبانِى بادِياتِ السَّنَى كشُهْبِ بَوادِى [٤٠٩]
رَقَّ فيها النسيمُ مثل نَسيبِى[5] وصفا النهرُ مثلَ صَـفْوِ ودادى
وزها الزَّهْرُ والغُصـون تَثَنَّتْ وتَغَنَّتْ عَلَيهِ وُرْقٌ شَوادِى

(١) الزمخ : الكِبْر . زمخ بأنفه زمخا (كمنع) : شمخ .
(٢) فى ط : « جادتك »
(٣) فى م : « بمغناها » .
(٤) كذا فى الأصلين . والمعروف أن الباب مذكر ، ولكن المغاربة يؤنثونه فى لسانهم العامى .
(٥) فى ط : « نسيمى » .

وانبرى كلُّ جدولٍ كحُسامٍ ... عارىَ الغمد سُندُسىَّ النِّجادِ
وظلالُ الغصون تكتُب فيهِ ... أحرُفًا سُطِّرَتْ بغيرِ مِدَاد
تُذكِرُ الوَشْمَ فى معاصِمِ خَوْدٍ ... قُضُبٌ فوقَه ذَواتُ امتداد
وكُئُوسُ المُنَى تُدارُ علينا ... بجَنَى عِفَّة ونُقْل اعتقاد
واصفرارُ الأصيل فيها مُدامٌ ... وصَفير الطُّيور نَغْمة شادِى
كمْ غَدَوْنا بها لأُنْسٍ ورُحْنا ... جادَها رائحٌ مِنَ المُزْن غادى
ولَكَمْ رَوْحَةٍ على الدَّوح كادتْ ... أنْ تُرِيحَ الصِّبا لنا وهْو غادى
رَقَّت الشمسُ فى عَشاياهُ حَتَّى ... أحدثتْ[1] منهُ رِقَّةً فى الجَماد
جدَّدتْ بالغروب شَجْوَ غَريب ... هاجَهُ الشوق بعدَ طول البِعاد
يا حَيَا المُزْن حَيِّها من بِلادٍ[2] ... غَرَس الحُبُّ غَرْسَها فى فؤادى
وتعاهَدْ معاهِدَ الأُنس مِنْها ... وعُهودَ الصِّبا بصَوب العِهاد
حيثُ مَغْنَى الهوى ومَلْهَى الغَوانى ... ومَرادُ[3] المُنَى ونيلُ المُراد
ومَقَرّ العُلا ومَرْقى الأمانِى ... ومَجَرّ القَنا ومَجْرى الجِياد
كُلُّ حُسْن على تِلمْسان وَقْفٌ ... وخصوصًا على رُبَا العُبّاد[4]
ضَحِك النَّور فى رُباها وأزْبَى ... كَهْفُ ضَحَّاكِها على كلّ نادى[5]
وسما تاجُها على كلّ تاجٍ ... وسَطا سَيْفُها[6] على كلّ وادى

(١) فى م : « حدثت » .
(٢) فى م : « عراص » .
(٣) فى ط : « ومنال » .
(٤) فى م « رباء العباد » .
(٥) فى ط : « باد » .
(٦) فى ط : « فيضها » .

يدّعِى غيرُها الجمـــالَ فيقضِى حسنُهَا أنَّ تِلْكَ دَعْوَى زِيادِ[1]
وبِشِعْرِى فَهِمتُ مَعْنَى عُلاها مِن حِلاها فَهِمْتُ فى كلّ وادى
حَضْرةٌ زانهـا الخليفةُ مُوسى[2] زِينةَ الحَلْىِ عاطِلَ الأجْيادِ
وحَباها بكلّ بَذْل وعَـــدْل وحَماها من كلّ باغٍ وعادِى
مَلِكٌ جاوز المَدَى فى المَعالِى فالنِّهايات عنـــده كالمَبادى
مَعْقِل للهُدَى مَنيعُ النَّـواحى مَظْهَرٌ للعُـــــلا رَفيع العِماد
قاتِلُ المَحْلِ والأعادى جميعا بغِرار الظُّبَا وغُرِّ[3] الأيادى
[٤٦٠] كلما ضَنَّتِ السحائب أغْنَتْ راحتاهُ عن السَّحاب الغَوادى
كَمْ هِباتٍ له وكَمْ صَـدَقاتٍ عائداتٍ على العُفاة بَوادى
فأيادِى خَليفـةِ اللهِ مُوسَى أبحُرٌ عـــــذْبةٌ على الوُرَّاد
رُكِّبَ الجُود فى بَسيط يَدَيْه فتَلافَى به تِلافَ العِبـــــاد
جَلَّ باريهِ مَلْجَـــــأً للبَرايا كالحَيا ضامِنًا حياةَ البِلاد
جَلَّ مَن خَصَّه بتلك المَزايا باهراتٍ من طارفٍ وتِلاد
شِيَمٌ حُلْوةُ الجَنَى وسَجـــــايا يَشْهَدُ[4] المجدَ أنَّها كالشِّهاد
يا إمامَ الهُدَى وشَمْس المعالِى وغَمَام النَّدى وبدْر النَّوَادِى
لك بينَ المُلوك سِرٌّ خَفِىٌّ ليسَ معناهُ لِلعقول ببادى

(١) يريد أنها دعوى كاذبة ، كدعوى زياد بن أبيه النسب إلى أبى سفيان .
(٢) موسى : هو أبو حمو موسى بن يوسف الزيانى ، من بنى عبد الواد ، كانت بينه وبين بنى مرين منافسات وحروب ، أدت إلى استيلائه على تلمسان وخروجه عنها عدة مرات (انظر الاستقصا للسلاوى ج ٢ ص ١٠٣ وما بعدها) .
(٣) فى م : « ويمن » .
(٤) فى م : « شهد » .

فكأنّ البلادَ كَفُّكَ مَهْما ... كان فيها من يَنْتَمِى للعِباد[1]
قبضتْ كفُّك البَنانَ عليهِ ... فَانْثَنَى بالإذعان حِلْف انقياد[2]
وبِكُمْ تَصْلُح البـــــلادُ جميعًا ... إنّ آراءَكم صَـــــلاحُ البِلاد
لم تزلْ دائمـــــا تحِن إليكمْ ... كحَنين السَّـقيم للعُوَّاد
لو أُعِينتْ بمنطقٍ شكرتْكُمْ ... مثلَ شُكر العُفاة للأجواد
قد أطاعتكُمُ البـلادُ جميعًا ... طاعةً أرغمت أنوفَ الأعادى
فأريحوا الجيـــادَ أتْعبْتُموها ... وأقِرُّوا السُّيوفَ فى الأغماد
وَاهْنَئُوا خالدين فى عِزِّ مَلْكٍ ... قائِم السَّـعْد دائِم الإسْـعاد
وإليْكُمْ مِن مُذْهَبات القَوافى ... حِكَمًا سُهِّلَتْ[3] لِيانَ القِياد
كلُّ بيت من النِّظام مَشِيدٍ ... عطَّر الأفْقَ بالثَّناء المُشاد[4]
ذو ابتسام كزَهْر رَوْض مَجُود ... وانْتظامٍ كسِلْكِ دُرٍّ نَجاد

قصيدة أخرى للثغرى فى تلمسان

ومن قول الثَّغْرىّ المذكور فى تِلِمْسانَ وسلطانها أيضا :

تاهتْ تِلِمسانُ بحسن شَبابِها ... وبدا طِرازُ الحُسْنِ فى جِلبابِها
فالبِشْر يبدو من حَباب ثغورها ... متبسِّمًا أو مِن ثغور حِبابِها
قد قابلَتْ زُهْرَ النُّجومِ بزَهْرِها ... وبروجَها ببروجهـــــا وقِبابِها
حَسُنتْ بحسن مَليكها المولَى أَبِى ... حَمُّو الّذِى يحْمِى حِمَى أربابِها
مَلِكٌ شمائلُه كزَهْر رِياضِها ... ونَداه فاضَ بها كفَيْض عُبابِها [٤٦١]

(١) كذا فى ط . وفى م : « لعباد » ، ولعلها : « للعناد » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : «فأتى بالإذعان» . ولعلها : «فأتى مذعنا حليف انقياد» .
(٣) فى م : «كلها سهلة» : مكان قوله : « حكما سهلت » .
(٤) كذا فى ط . وفى م : « الشادى » .

أعْلَى[١] الملوكِ الصِّيدِ من أعلامها وأجلُّها من صَفوةٍ[٢] ولُبابها
غارتْ بغُرَّة وجهِهِ شمسُ الضُّحى وتنقَّبتْ[٣] خَجَلا بثوب ضَبابها
والبدرُ حين بدتْ أَشِعَّتُها له حُسْنا تضاءل نُورُه وخَبا بها
لِلّهِ حضرتُه الَّتى قد شرَّفَتْ خُدَّامَهـا فسمَوْا بِخِدْمة بابها
فالأُمْ فِي يمنـاه يُبْلِغها المُنَى والمدح فِي عَلْيَاهُ من أسبابها

وتذكرتُ بقوله رحمه الله تعالى :

أيها الحافظونَ عَهْد الودادِ جَدِّدُوا أُنسَنا بباب الجيادِ

قصيدة منديل ابن آجروم فى ذكر فاس

قصيدةَ أبى المكارم مِنْديل بن آجُرُّومَ ، فى ذكر فاس المحروسة وباب الفتوح منها ، ومواضعَ من مَتنزهاتها ؛ ولا شك أن كل واحدة من هاتين القصيدتين تنظُر إلى الأخرى ، وناظماها متعاصران ، فالله أعلم أيُّهما أخذ من الآخر ؛ على أن الروىّ مختلف ، وقد يقالُ إن[٤] ذلك من باب توارد الخواطر .

ونص قصيدة ابن آجُرُّوم المذكور :

أيُّها العارفونَ قدرَ الصَّبوح جَدِّدوا أُنْسَنا بباب الفُتوح[٥]
جَدِّدوا ثَمَّ أُنْسَنا ثم جِدُّوا نَسْرَحِ الطَّرْفَ فى مكانٍ فَسيحِ
حيثُ شابتْ مفارقُ اللَّوزِ نَوْرا وتساقَطْنَ كاللُّجَين[٦] الصَّريح
وبدا منه كلُّ ما احمرَّ يحكِى شَفَقا مزَّقَتْهُ أيدِى الرِّيح

(١) فى ط : « أعطى » .
(٢) فى م : « صفوها » .
(٣) فى م : « وتغيبت » .
(٤) فى الأصلين : « لشأن » ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .
(٥) باب الفتوح : أحد أبواب فاس .
(٦) فى ط : « كالجبين » .

وكأنَّ الذى تساقطَ منه ... نُقطٌ لُحْنَ مِنْ دَمٍ مسفوحِ
وإذا ما وَصلتُمُ للمُصلَّى ... فَلْتَحُلّوا بموضع التسبيح
وبطَيفورها فطوفوا لكيما ... تُبصروا من ذُراه كل سُطوح
ولْتقيموا هُناك لَمْحة طَرْفٍ ... لتردُّوا بها ذَماء الرُّوح
ثم حُطُّوا رِحالكم فوق نَهْرٍ ... كَلَّ فى وصفه لسانُ المديح
فوق حافاته حدائقُ خُضْرٌ ... ليسَ عنها لعاشق من نُزوح
وكأنّ الطُّيورَ فيها قِيانٌ ... هتفتْ بين أعجَمٍ وفَصيح [١٢]
وهْى تدْعوكُمُ إلى قبّة الجَو ... زِ هلُموا إلى مكانٍ مَليح
فيه ما تشتهونَ من كلّ نَوْر ... مُغْلَق فى الكِمام أو مفتوح
وغُصونٍ تَهيج رقْصا متى ما ... سمعتْ صوت كُلِّ طيرٍ صَدوح
فأجيبوا دُعاءها أيُّها الشَّرْ ... بُ وخَلُّوا مَقال كلِّ نَصيح
واجْنَحوا للمُجون فهو جدير ... وخليق من مثلكم بالجُنوح
واخلَعوا ثَمَّ للتصابى عِذارا ... إنَّ خَلْع العِذار غيرُ قبيح
وإذا شِئتمُ مكانًا سِواهُ ... هُو أجلَى من ذلكمْ فى الوُضوح
فاْجمعوا أمرَكم لنحْو أتِىٍّ[1] ... جاء كالصِّلّ من قِفارٍ فِيح
عطَّرتْ جانبيهِ كفُّ الغَوادى ... بشَذا عَرف زَهرِها الممنوح
قل لِمِهْيارَ إن شَمِمْت شَذاها ... قولَ مستخبرٍ أخى تجريح
أين هذا الشَّذَا الذَّكِىُّ من القَيْـ ... ـصوم والرَّنْد والغضا والشِّيح
حَبّذَا ذلكَ المِهادُ مِهادًا ... بينَ دانٍ مِنَ الرُّبا ونَزوح
ثُمَّ من ذلك المِهاد أفيضوا ... نحو هَضْبٍ من الهُموم مُريح

(١) الأتى : النهر .

فيـــه للحُسْن دَوْحة وزوايا[1] وانشراحٌ لذِى فُؤادٍ قَرِيحِ
وحِجارٌ تُدْعَى حِجارَ طُبول غير أن التطبيلَ غيرُ صَحيح
تنشُرُ الشمسُ ثَمَّ كُلَّ غُدوّ زَعفرانًا مُبَلَّلا بنُضـــوح
وسُبُو[2] من هُناك يَسْبِى عقولا ويُجَلِّى لِحَاظ طَرْفٍ طَموح
وعُيونٌ بها تَقَرُّ عُيونٌ وكلامٌ يأسو كُلُومَ الجَريح
فُرِشَتْ فوقَها طَنافِس زَهْر ليسَ كالِفْهن نَسجُها والمُسوح
كُلَّما مَرَّ فوقَهن طَلِيحٌ عادَ من حُسنهنّ غيرَ طَليح
فانهَضوا أيُّها المحبُّون مثلى لنرى ذاتَ حُسنها المملوح[3]
هكذا يُرْبَح الزمان وإلا كُلّ عيش سِواه غيرُ رَبيح

رجع إلى نظم ابن خميس رحمه الله

ولابن خميس يصف تلمسان ويمدح ابن الحكيم

ومن بديع نظمه قصيدة مدح بها الوزير ابنَ الحكيم .

قال ابن الخطيب : وهى من مشاهير أمداحه فيه ، وكتب بها إليه من المَرِيّة ، وألَمَّ فيها بذكر بلده تِلِمْسَان ، وما حلّ بها من البلاء والحصار[4] فى ذلك التاريخ ، من قِبَل السلطان أبى يعقوب يوسفَ ابن السلطان المجاهد الكبير

(١) كذا فى الأصلين . وفى النبوغ المغربى لعبد الله كنون « روايا » جمع راوية . والراوية : مزادة الماء ، أو الدابة التى تحمله . ولعل المراد بها : الناعورة التى يرفع بها الماء .
(٢) « سبو » : نهر معروف فى المغرب (قرب فاس) فى شرقها .
(٣) فى ط : « المملوح » .
(٤) فى ط : « والمضار » .

أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق[١] ، نَفَعنا الله ببركاته ، فى أهل تِلمسان المحصورين ، فلم يَقبل شَفاعتهم ، فقال الشيخ سيدى أبو زيد كلامًا معناه : إن سَعادة يقضى هذا ، ورجع الشيخ إلى فاس ، فاتفق أن هذا العبد[٢] كان مع السلطان فى الحمام ، وكان له عليه حِقْد ، فانتهز فيه الفُرصة . ووجأه بخَنجر ، فكان فى ذلك حتفُه ، فنفّس الله عن أهل تِلمسان بعد حصارها نحو العشر سنين . ولما وصل الخبر إلى سيدى أبى زيد بموت السلطان قال : وعبد الرحمن يَمُوت ، يعنى نفسَه ؛ و « يَمُوت » : بتشديد الميم ، على لغة البربر ؛ فتُوُفِّى رحمه الله ، ودُفِن بمسجد الصّابرين[٣] ، وقبره مشهور مقصود الإجابة ، نفعنا الله به ؛ وقد زرته مِرارا لا أحصيها ، ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله .

وقد أشار أبو عبد الله بن خميس فى هذه القصيدة إلى ذلك الحِصار ؛ وكان مِنَ الاتّفاق الغريب ، سُرعة وقوع ما تمنّاه ابن خميس لتلمسان هذه من الخير ، بعد طول المِحْنة ، واشتداد البلاء ، ولم يتأخر ذلك عن تاريخ القصيدة غير أربعة أشهر .

ونصّ القصيدة :

سَلِ الرِّيحَ إن لم تُسعِدِ السفْنَ أنواءُ فعِنْد صَباها من تلمسانَ أنباء

---

(١) كذا فى الأصلين . والظاهر أن فى العبارة سقطا ، ولعل الأصل : « وقد رحل الشيخ الولى أبو زيد عبد الرحمن الهزميرى ، نفعنا الله ببركاته من بلده أغمات مع جماعة ، للشفاعة عند السلطان أبى يعقوب فى أهل تلمسان المحصورين . . . الخ » (انظر ترجمة الهزميرى فى نيل الابتهاج بتذييل الديباج لأحمد بابا التنبكتى بهامش صفحة ١٦٤) .

(٢) يريد به الخصى « سعادة » المتقدم الذكر ، وكان من مماليك السلطان يوسف (انظر خبره فى الاستقصا للسلاوى ج ٢ ص ٤١) .

(٣) كذا فى م . وفى ط : « الصابر » . وفى نيل الابتهاج لأحمد بابا : « الصفارين » .

وفى خَفَقانِ البَرْق مِنها إشارةٌ إليكَ بما تَنمِى[1] إلَيْكَ[2] وإيماء
تمرُّ الليالى ليلةً بعـــد ليلة وللأُذْن إصغاء وللعَين إكلاء[3]
وإنى لأصبُو للصَّبا كلَّما سَرتْ[4] وللنَّجم مهما كان للنجم إسراء[5]
وأُهْدِى إليها كلَّ يوم تحيَّةً وفى رَدِّ إهـــداء التحية إهداء[6] [٤٦٤]
وأستجلِبُ النومَ الغِرارَ ومَضْجَعى قَتادٌ كما شاءتْ نواها وسُلّاء
لعلَّ خيالا من لديْهـا يَمرُّ بى فنى مَرِّهِ بى من جَوى الشوق إبراء
وكيف خُلوصُ الطَّيْفِ منها ودونَها عيونٌ لها فى كل طالعـــة راء[7]
وإنى لمُشتاقٌ إليها ومُنْبِئٌ ببعْض اشتياقٍ لو تمكَّن إنبـاء
وكَمْ قائلٍ تَفْنَى[8] غراما بحبِّها وقد أخلفَتْ منها مِلاءً وأَملاء[9]
لعشرة أعوامٍ عليها تجرَّمَتْ إذا ما مضى قيظٌ بها جاء إهراء[10]
يُطَنِّب فيها عائثون وخُرَّبٌ ويرحَلُ عنهـا قاطِنون وَتُنَّاء[11]
كأنَّ رِماحَ الناهِبينَ لمُلْكِها قِداحٌ وأموالَ المنازل أَبْداء[12]

(١) فى م : « تنهى » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : ونفح الطيب : « إليها » .
(٣) أكلأ بصره فى الشىء : رددّه فيه مصوبا ومصعدا .
(٤) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « صبت » .
(٥) فى ط : « إصباء » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .
(٦) كذا فى ط . وفى م : « وفى ردها بعد التحية إهداء » .
(٧) كذا وردت هذه الكلمة : «راء» فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « داء » . ورواية هذا الشطر فى م : « حياة لها من كل طالعة داء » .
(٨) كذا فى ط . وفى م والنفح : « يفنى » .
(٩) أخلفت : تغيرت . والملاء : جمع ملىء ؛ والأملاء : جمع ملأ ، وهم أشراف الناس وعليتهم .
(١٠) هرأه البرد وأهرأه : اشتد عليه حتى كاد يقتله .
(١١) فى نفح الطيب : « وأحياء » .
(١٢) الأبداء : جمع بدء ، وهو النصيب من الجزور .

فلا تَبْغِينْ فيها مُناخًا لراكبٍ ... فقدْ قَلَصتْ منها ظِلال وأفياء
ومنْ عَجَبٍ أنْ طالَ سُقْمِى ونَزْعُها ... وقُسِّم أضناء علينا وأطْنـاء[1]
وكَمْ أرْجفوا غيظا بها ثم أرْجَئُوا ... فيكْذِبُ إرجافٌ ويَصدُقُ إرجاء
يُرَدِّدُها عُيَّابُها الدهرَ مِثْلَما[2] ... يُرَدِّدُ حرفَ الفاءِ فى النطق فَأْفاء
فيامَنزِلًا نال الرَّدَى مِنه ما اشتهى ... تُرَى هل لعُمر الأُنْس بعدكَ إنساء
وهل لِلظَى الحربِ التى فيكَ تَلْتظِى ... إذا ما انقَضَتْ أيامُ بؤسكَ إطفاء
وهلْ لى زمانٌ أرْتَجِى فيه عَودةً ... إليكَ ووجه البشر أزهرُ وُضّاء
فيَاهَىً مالِى[3] إن هلـكتُ ولم أقلْ ... لصحبى بها الغُرِّ الكرامِ أَلَا هاءوا
ولم أطْرُقِ الدرْبَ[4] الذى كنتُ طارقا ... لِعَادٍ[5] وبَدْر الأفق أسْلَعُ مِشْنَاء[6]
أُطِيفُ به حتّى تَهِرَّ كِلابُهُ ... وقَدْ نامَ عُسَّاسٌ وهوَّم سُبَّاء
ولا صاحبٌ إلا حُسَامٌ ولَهْذَمٌ ... وطِرْفٌ لخدِّ الليل مُذْ كانَ وَطَّاء
وأسْحَمُ قارىٌّ كشَعْرِىَ حُلْكَةً ... تلألأَ فيه من سَنَى الصبح أضْوَاء
فما لشرابى فى سواكَ[7] مَزازَةٌ ... ولا لِطَعامى دونَ مائكَ إمراء

(١) الأضناء : جمع ضنى ، وهو المرض . والأطناء : جمع طنء ، وهو الداء .
(٢) كذا فى م ونفح الطيب المطبوع . وفى ط : « يرددها غيابها الدهر بعد ما » .
(٣) يقال : يا هىء مالى ، ويا فىء مالى ، ويا شىء مالى ، تهمز ولا تهمز . وهىء : اسم فعل أمر للتعجب ، أو للأسف والحزن والتلهف على ما فات ، بمعنى تنبه واستيقظ ، ودخل عليه حرف النداء كما دخل على فعل الأمر ، وبنى على حركة للتخلص من التقاء الساكنين ، وخص بالفتحة طلبا للخفة . وقولهم : « مالى » بمعنى : أى شىء لى ؟
(٤) فى الأصلين : « الدين » ، ولعله محرف عما أثبتناه .
(٥) كذا فى ط : وفى م : « لعادى » . ولعله : « كعادى » ، جمع عادة .
(٦) الأسلع : الذى به البرص . والمشناء : الذى يبغضه الناس .
(٧) كذا فى م . وفى ط : « هواك » .

ويا دارىَ الأولى بدرْبِ مَغِيلَةٍ ... وقد جَدَّ عيْث فى بِلاها وإرداء
أما آنَ أنْ يُحْمَى حِماكِ كعهده ... ويَجْتالَ أحماسٌ عليه وأحماء(١)
أما آنَ أنْ يَعْشُو لنارِكِ طارقٌ ... جَنيبٌ لَهُ رَفْعٌ إليكِ وَدِنْداء(٢)
[٤٦٥] يُرجِّى نَوالا أو يُؤمِّل دَعْوَةً ... فما زال قارٍ فى ذَراكِ وقُرَّاء
أحِنُّ لها ما أطَّتِ النِّيبُ حولها ... وما عاقَها عَنْ مورد الماء أظماء
فما فاتَها منى نِزاع عَلَى النَّوى ... ولا فاتنى منها على القُرْب إجشاء(٣)
كذلكَ جَدِّى فى صِحابى وأُسْرتى ... ومَنْ لِى بهِ مِنْ أهْل وُدِّىَ إزْفاء(٤)
ولولا جِوارُ ابنِ الحكيمِ مُحمدٍ ... لَمَا فَاتَ نَفْسى مِنْ بنى الدهر إقماء(٥)
حَمَانى فَلَمْ تَنْبُتْ مَحَلِّى نوائبٌ ... بسوء ولم تَرْزَأْ فُؤادِىَ أَرْزَاء
وأكْفأَ بَيْتِى(٦) فى كَفالَةِ جاهِهِ ... فصارُوا(٧) عَبِيدا لِى وهُمْ لىَ أكْفاء
يَؤُمُّونَ(٨) قَصْدِى طاعةً ومَحبَّةً ... فما عِفْتُهُ عافُوا ومَا شِئْتُهُ شَاءوا
دَعانِى إلى المجدِ الذى كنت آمِلًا ... فلمْ يَكُ لِى عَنْ دَعوة المجدِ إبطاء
وبَوَّأنى من هَضْبة العِزِّ تَلْعَةً ... يُناجِى السُّها مِنْها صَعُودٌ وطَأْطاء(٩)

(١) الأحماس : جمع حمس (ككتف) ، وهو الشجاع . والأحماء : جمع حم (حمى) ، وهم الأقارب والأصهار .
(٢) الرفع : المبالغة فى السير ؛ والدنداء : أشد العدو .
(٣) الإجشاء : مصدر أجشأ . يقال : جشأت نفسه من حزن أوفزع : ثارت وجاشت .
(٤) كذا فى ط . والإرقاء : الجنوح والدنو . وفى م ونفح الطيب المطبوع : « إن فاءوا »
(٥) الإقماء : التصغير والإذلال .
(٦) أكفأ البيت : جعل له سترة من أعلاه إلى أسفله . يريد أن نم ابن الحكيم شملت أهل بيته .
(٧) الضمير فى : « صاروا » يعود على بنى الدهر .
(٨) فى م : « يرومون » . (٩) الطأطاء : المنهبط من الأرض . والصعود : ضده .

يُشَيِّعُنِي مِنْها إذا سِرْتُ حافِظٌ ... ويكلؤُنى مِنها إذا نمتُ كَلّاءُ
وَلا مِثْل نَوْمِي فى كفالَةِ غَيْرِه ... وللذِّئبِ إلمامٌ وللصِّل إلماء
بِغَيْضة لَيْثٍ أو بمَرْقَبِ خارِبٍ ... تُبَزُّ كُسًا فيه وتُقْطَعُ أكساء
إذا كانَ لِي مِنْ نائب المُلْكِ كافلٌ ... ففِي حَيْثُما هَوَّمْتُ كِنٌّ وَإِدْفاء
وإخوانُ صِدْقٍ مِنْ صَنائع جاهِهِ ... يُبَادِرُنى منهم قِيامٌ وإيلاء
سِراعٌ لما يُرْجَى مِنَ الخيْرِ عندهُمْ ... ومن كل ما يُخْشَى من الشَّر أَبْرَاء
إليكَ أبا عبدِ الإلٰهِ صَنَعْتُها ... لُزُومِيَّةً فيها لِوَجْدِىَ إفشاء
مُبَرَّأَةً ممـــا يَعيبُ لُزُومَها ... إذا عاب إكفاءٌ سِواها وإيطاء
أذعْتُ بها السرَّ الذى كانَ قبلها ... عَلَيْهِ لأحْناء الجوانح إضناء[1]
وإن لم يكن كلٌّ الذى كنتُ آمِلا ... وأعْوَزَ إكلاءٌ فما عازَ إكماء[2]
ومَنْ يتكلَّف مُفْحَما شُكْرَ مِنَّةٍ ... فما لِى إلى ذاكَ التكلُّفِ إلجاء
إذا مُنشِدٌ لمْ يَكْنِ عنْكَ ومنشِئٌ ... فَلا كانَ إنشادٌ ولا كانَ إنْشاء

* * *

التعريف بابن الحكيم

وابن الحكيم المذكور : هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن سعد[3] بن محمد بن فَتُوح بن محمد بن أيوب بن محمد اللَّخْمى ، من أهل رُنْدة ، الكاتب الأديب البليغ ، الشهير الذكر بالأندلس ، [٤٦٦] ويُعْرَف بابن الحكيم .

(١) يريد بالإضناء : كتم السر : ولعله محرف عن : « الإضباء » . يقال : أضبأ على الشىء إضباء : سكت عليه وكتمه .
(٢) يقال : أكلأت الأرض : إذا كثر كلؤها ، وأكمأت : إذا كثرت كمأتها . يريد : إذا لم أجد الكلأ أجزأتنى الكمأة .
(٣) فى م : « سعيد » .

سلفه

أصل سلفه من إشبيلية ، من أعيانها ، ثم انتقلوا إلى رُنْدَة ؛ وأول من انتقل منهم إليها جده محمد بن فَتُوح ، فى دولة بنى عبَّاد ، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطِبّه ، وكانوا قديما يُعرفون ببنى فَتُوح .

قدومه إلى غرناطة

قدم ذو الوزارتين أبو عبد الله على حضرة غَرناطة أيام السلطان أبى عبد الله محمد بن محمد بن نصر ، إثر قُفوله من الحج ، فألحقه بكُتّابه ، وأقام[1] يكتب له فى ديوان الإنشاء ، إلى أن تُوُفِّى هذا السلطان فى ثامن شعبان سنة إحدى وسبع مئة ، وتقلَّد المُلْكَ بعده ولىُّ عهده أميرُ المسلمين ، أبو عبد الله محمدٌ المخلوع ، فقلده الوِزارة والكِتابة ، وكان مشركا معه فى الوزارة الوزيرَ الجليل التَّقِىّ ، أبا سُلطان عبد العزيز بن سلطان الدَّانىّ ، فلما تُوُفِّى الوزير أبو سلطان الدانىّ ، أفرده سلطانه بالوزارة ، ولقَّبه بذى الوِزارتين ، وصار صاحب أمره ونهيه ، إلى أن توفى بحضرة غرناطة قتيلا ، غُدوة يوم الفِطر ، مُستَهلّ شوال سنة ثمان وسبْع مئة ، وذلك لتاريخ خَلْع سلطانه ، وخلافة أخيه أمير المسلمين[2] أبى الجيوش مكانه ؛ ومولده ببلدة رُنْدة فى شهر ربيع الأول سنة ستين وست مئة .

شمائله

وكان رحمه الله علَما فى الفضيلة والسَّراوة ومكارم الأخلاق ، كريم النفس ، واسع الإيثار ، متين الحُرْمة ، عالىَ الهمة ، كاتبا بليغا ، أديبا شاعرا ، حَسَن الخط ، يكتب خطوطا على أنواع ، كلها جليل الانطباع[3] ، خطيبا فصيح القلم ، زاكىَ الشيم ، مُؤْثرا لأهل العلم والأدب ، بَرًّا بأهل الفضل والحَسَب ، نَفَقَت فى مدته للفضائل أسواق ، وأشرقت بإمداده للأفاضل آفاق .

رحلته مع ابن رشيد وشيوخهما

ورَحَل إلى المشرق ، وكانت إجازته البحرَ من المَرِيَّة ، فقضى فريضة الحجّ ،

(١) فى م : « وكان » . (٢) فى ط : « المؤمنين » .
(٣) فى م : « على الأنواع كلها جيل الانطباع » .

وأخذ عمن لقِى هنالك من الشيوخ ، فمَشيخته متوافرة[٢] . وكان رفيقَه فى هذه الوِجهة الخطيبُ أبو عبد الله بن رُشَيد ، فتعاوَنا على هـذا الغرض ، وقَضَيا منه [٤٦٧] كل نَفْل ومفْتَرَض ، واشتركا فيمن أخذا عنه من الأعلام ، فى كل مقام . وكانت له عناية بالرواية ، ووَلُوع بالأدب ، وصَبابة باقتناء الكتب ، جمع من أمَّهاتها العَتيقة ، وأصولها الرائقة الأنيقة ، ما لم يجمعه فى تلك الأعصر أحد سواه ، ولا ظفِرت به يداه .

تلاميذه

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحاق بن أبى العاصى التَّنُوخىّ ، والخطيب أبو عبـد الله بن رُشيد تَدَبَّجَ[١] معه ، وابنه الوزير الكاتب الأديب الفاضل أبو بكر محمد بن محمد بن الحـكيم ، وغيرهم .

قصيدة ابن الجياب فى مدحه

ومدحه الكاتب العلّامة أبو الحسن بن الجَيَّاب ، ومِن بديع ما مدحه به قصيدة رائية رائقة ، يُهنئه فيها بعيد الفِطْر ، وهى قوله :

يا قادِمًا عَمَّتِ الدُّنيا بشـائرُهُ ... أهلاً بمَقـدَمِكَ الميمونِ طائرُهُ

ومرْحَبًا بك من عِيدٍ تَحُفُّ به ... من السـعادة أَجنادٌ تظافِره

قدِمت فالخلق فى نُعْمَى وفى جَذَلٍ ... أبْدَى بك البشرَ باديه وحاضره

والأرضُ قدلبِسَت أثوابَ سُنْدُسِها ... والروضُ قد بَسَمت منه أزاهره

حاكَتْ يَدُ الغيث فى ساحاته حُلَلا ... لمّا سقاها دِرا كا منه باكره

فلاحَ فيهـا مِنَ الأنْوَارِ باهرها ... وفاح فيهـا من النُّوَّار عاطِره

وقام فيها خَطيب الطَّيْرِ مرتَجِلا ... والزَّهْر قد رُصِّعَت منه منابره

مَوْشِيُّ ثَوْبٍ طواه الدَّهْرُ آونةً ... فها هو اليوم للأبصـار ناشره

(١) كذا فى ط ونفح الطيب طبعة الأزهرية . وفى م : « وافرة » .

(٢) معنى التدبيج : أن يروى كل واحد من القرينين عن صاحبه . وسيأتى شرح هذه الكلمة قريبا فى كلام المؤلف .

فالغُصْنُ من نَشْوة يَثْنِي مَعاطِفه ... والطيرُ مِنْ طَرَبٍ تشدو مَزَاهِرُه
وللكِمام انشقاق عن أزاهِرها ... كما بَدَتْ لَكَ مِن خِلٍّ ضمائره
للهِ يومُك ما أزكى فضائلَه ... قامتْ لِدِينِ الهُدَى فيه شَعائره !
فكم سريرةِ فضل فيك قد خُبِئتْ ... وكم جمالٍ بدا للناس ظاهره
فافخَرْ بحقٍّ على الأيام قاطبةً ... فما لفضلكَ مِنْ نِدٍّ يُنَاظِره[1]
فأنتَ فى عصرنا كابن الحكيم إذا ... قِيستْ بفخر أولِي العَليا مَفاخره
يَلتاح منه بأُفْقِ المُلْكِ نُورُ هُدًى ... تضاءلُ الشمسُ مهما لاح زاهره[2]
مَجْدٌ صميمٌ على عَرْشِ السِّماكِ سما ... طالت مَبانيه واستعلت مظاهره
وزارةُ الدين والعِلمِ الذى رُفِعت ... أعلامُه والنَّدى الفَيَّاضِ زاخره [٤٦٨]
وليسَ هذا ببدعٍ مِن مَكارِمِهِ ... ساوَتْ أوائلَه فيه أواخره
يَلْقَى الأمورَ بصدرٍ منه مُنشرحٍ ... بحرٌ وآراؤه العظمى جواهره
رَاعَى أمور الرَّعايا مُعْمِلاً نَظَرا ... كمثْل عَلياهُ مَعْدومًا نظائره
والمُلْكُ سَيَّر فى تدبيرِهِ حِكَما[3] ... تنالُ ما عجزتْ عنهُ عساكره
سِياسة الحلمِ لا بطْشٌ يكدّرها ... فَهْو المَهيبُ وما تُخْشى بوادره
لا يَصْدُرُ المَلِكُ إلا عن إشارته ... فالرُّشْد لا تتعدَّاه مَصايره
تجرى الأمور على أقصى إرادته ... كأنما دهره فيها يشاوره
وكم مَقامٍ له فى كلّ مَكْرُمةٍ ... أنْسَتْ مواردَهُ فيها مَصادِره
فَفَضْلُهَا طَبَّق الآفاقَ أجمعها ... كأنه مَثَل قد سارَ سائره
فليس يَجحده إلا أخو حسَدٍ ... يَرَى الصباحَ فَيَعشَى منه ناظرُه

(١) كذا فى م . وفى ط والنفح والإحاطة : « يظاهره » .
(٢) فى ط : « لما لاح ظاهره » :
(٣) كذا فى النفح والإحاطة . وفى الأصلين : « كلما » .

لا مُلكَ أكبر من مُلك يُدَبِّرُهُ ... لا مَلْكَ أسعدُ من مَلْكٍ يؤازرُه
يا عِزَّ أمرٍ به اشتدَّتْ مَضاربُه ... يا حُسْن مُلْكٍ به ازدانت محاضره
تُثْنِي البلادُ وأهلوها بما عرفوا ... ويشهد الدهرُ آتيهِ وغابره
بُشْرَى لآمِله الموصولِ مَأمَلُه ... نَعْسًا لحاسده المقطوع دابره
فالعلم قد أشرقت نورًا مطالعهُ ... والجودُ قد أسْبَلَتْ سَحًّا مواطره
والناس فى يُسُرٍ والمَلْك فى ظفَرٍ ... عالٍ على كلّ عالى القدر قاهرُه
والأرضُ قد مُلئتْ أمْنًا جوانبها ... بيُمن من خَلَصت فيها سرائره
والَى أياديهِ مِنْ مَثْنَى ومَوْحَدَةٍ ... تُساجِلُ البحر إن فاضت زواخره
فكلّ يوم تَلَقَّانا عوارفه ... كساهُ أموالَه الطُّولَى دفاتره
فمن يؤدِّى لما أولاهُ من نِعَمٍ ... شكرًا ولو أنَّ سَحْبانًا يُظاهِرُه[1]
يأيُّها العِيدُ بادرْ لثْمَ راحتِه ... فلثمُها خيرُ مأمول تُبادره
وافخرْ بأنْ قدْ لَقيتَ ابنَ الحكيم على ... عَصْر[2] يباريكَ أو دَهر تفاخره
ولَّى الصيامُ وقد عظَّمتَ حُرْمتَه ... فأجرُه لك وافيه ووافره
وأقبل العِيدُ فاستَقْبِل به جَذَلا ... وأهنأْ[3] به قادمًا عَمَّتْ بشائره

أبيات فى رثائه

ومن أحسن ما رُثِي به رحمه الله تعالى ، ثلاثة أبيات لبعض الأعلام من أهالى ذلك الزمان ، وهى : [٤٦٩]

قتلوكَ ظلماً واعْتَدَوْا ... فى فِعلهم حَدَّ الوُجوبْ

(١) كذا فى الإحاطة ، وفى الأصلين : « يناظره » .
(٢) كذا فى النفح والإحاطة . وفى الأصلين : « عهد » .
(٣) كذا فى م والإحاطة . وفى ط : وامتن ، وهو تحريف .

ورَمَوْكَ أَشْـــــلاءً وذا أمرٌ قضتْهُ لك الغيوب
إن لم يكن لك سـيّدى قبرٌ فقبرك فى القلوب

شىء من شعره

قال ابن خاتمة : ومن شعره ما أنشدنى ابنه الوزير أبو بكر ، مَقْدَمَه على المرِيّة ، غازيا مع الجيش المنصور ، قال أنشدنى أبى رحمه الله تعالى :

ولما رأيتُ الشيب حلّ بمفرِقى نذيرا بتَرْحال الشباب المفارقِ
رجَعتُ إلى نفسى فقلتُ لها انظرى إلى ما أَرَى ، هذا ابتداء الحقائق

وأنشدنى شيخنا الخطيب أبو إسحاق بن أبى العاصى إذْنا ، قال أنشدنى الوزير أبو عبد الله بن الحكيم إن لم يكن سَماعا فإجازة :

فقدت حياتى بالفِراق ومن غدا بحالِ نَوًى عمن يُحِبّ فَقَدْ فَقَدْ
ومن أجل بُعدى عن ديار أَلِفْتُها جحيم فؤادى قد تَلَظَّى وَقَدْ وَقَدْ

وقد سبقه إلى هذا المعنى القائلُ :

أُوارى أُوارى بالدموع تَجَلُّدًا وكم رُمْتُ إطفاء اللهيبِ وَقَدْ وَقَدْ
فلا تعذُلوا مَنْ غاب عنه حبيبُه فمن فقدَ المحبوبَ مِثلِى فَقَدْ فَقَدْ

هكذا رواه ابن خاتِمة ، ورواه غيره هكذا :

أُوارِى أُوارِى والدموع تُبِينُهُ ومَنْ لِى بإطفاء الغرام وَقَدْ وَقَدْ

وهو الصواب .

قال ابن خاتمة : وأنشدنى رئيس الكتّاب الصَّدْرُ البليغ الفاضل ، أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رِضوان النَّجّارى ، قال : أنشدنى رئيس الكتّاب الجليل ، أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمى ، قال : أنشدنى رئيس الكتّاب ذو الوزارتين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم ، رحمه الله تعالى :

سَحِّ الكتابَ وعَنِّهِ واختِم على مُكْتَنِّهِ[1]
واحذَر عليه من مُخا لسةِ الرقيب بجَفنه
واجعل لسانَكَ سجْنه كى لا تُرى فى سِجنه [٤٧٠]

قال ابن خاتمة : وفى سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل . انتهى .

ومن بديع نظم ذى الوزارتين ابن الحكيم قولُه رحمه الله :

يا ليتَ شعْرى هل تطول حياتى حتى أرى هذا الزمان الآتى ؟
يا رَبِّ إن قدَّرْتَ لى ببلوغه فاجعلهُ عصرا بالسرور مُواتِى
وإنِ انقضَتْ أيامُ عمرىَ قَبْلَه فاجعل على ما ترتضيه تَمَاتى
لا شىء للدنيا وللأخرى معا أرجو إذا ضاقت علىَّ جهاتى
إلا يَقينىَ أن جودَكَ فوقَ ما يُرجَى وأنكَ غافِرِ الزّلّات

ومن نثره

ومن نثره آخِرَ فصل خاطب به الشيخ أبا على عمر الجراوى ، رحمه الله ، قوله :

وهأنا أَجْرِى معه على حُسْنِ مُعتقَده ، وأَكِلُه فى هذا الغرض إلى ما رآه بمقتضَى تودده[2] ، وأجيزُ له ولولديه ، أقرّ اللهُ بهما عينه ، وجمع بينهما وبينه ، روايةَ جميع ما حملته ونقلْتُه ، وحُسْن اطلاعه يُفَصِّل من ذلك ما أَجملتُه ، فقدأطلقت لهم الإذن فى جميعه ، وأبحت لهم الحَمل عنى ولهم الاختيارُ فى تنويعه ، والله عز وجلّ يُخلِّص أعمالَنا لِذَاته ، ويجعلها فى ابتغاء مَرْضاته .

قال هذا وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد اللَّخْمى بن

(١) سحى الكتاب : شده بسحاية ، وهى قطعة من الورق تلف حول الرسالة ويختم عليها ، وعنى الكتاب : كتب عنوانه .
(٢) كذا فى ط والإحاطة ونفح الطيب ، وفى م : « تردده » .

الحكيم ، عفا الله عنه ، حامدا لله عز وجلّ ، ومصلّيا على رسوله المصطفى ، ومسلما عليه وعلى آله ، فى منتصف جُمادَى الآخرة ، عام ثلاث وسبع مئة .

بديهته

وحَكَى غيرُ واحد أن ذا الوزارتين ابن الحكيم المذكور لما اجتمع مع الفقيه الجليل الكاتب ابن أبى مَدْين أنشده ابن أبى مدين ، رحمه الله تعالى :

عَشِقتكمُ بالسمع قبل لقاكمُ وسمعُ الفتى يَهْوَى لَعَمْرِى كطَرْفِهِ
وحَبّبنى ذكر الجليس إليكمُ فلما التقينا كنتمُ فوق وصفِه

[٤٧١] فأنشده ذو الوزارتين :

ما زلت أسمع عن عَلْياكَ كل سَنًى أبهى من الشمس أو أجْلى من القمرِ
حتى رأى بصرى فوق الذى سَمِعَتْ أذْنى فوَفَّق بين السَّمْع والبَصر

وتذكّرت هنا قول الحاجّ الكاتب أبى إسحاق الحسْنَاوىّ رحمه الله تعالى :

سِحْرُ البَيَانِ بنانى صار يَعْقِده والنَّفْثُ فى عَقدِه من مَنْطِقى الحسنِ
لا أُنْشِد المرء يَلْقَانِى ويُبْصِرُنى : أنا المُعَيْدِىُّ فاسمع بى ولا تَرَنِى

وكان الوزير ابن الحكيم المذكور كما أسلفناه رفيق ابن رُشَيْد الفِهرىّ فى رحلته الحجازية ، وقد اشتملت رحلة ابن رُشَيد على ما رأى ورَوَى .

التعريف بابن رشيد

وهو محمد بن عُمَرَ بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريسَ بن عبدالله بن سعيد[1] ابن مسعود بن حسن[2] بن محمد الفِهرىّ ، من أهل سَبتة ، يُكْنى أبا عبد الله ، ويعرف بأبن رُشيد ، — وكأنه تصغير رُشْد — الخطيب المحدِّث الشهير .

رحلته وما أفاد منها

رَحَل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، ولقاء أهل العلم ، سنة ثلاث وثمانين

(١) كذا فى بغية الوعاة للسيوطى ، وجذوة الاقتباس لابن القاضى . وفى الأصلين : « سعد » .

(٢) كذا فى الأصلين والبدر الطالع للشوكانى . وفى جذوة الاقتباس : « حسين » .

وستّ مِئَـة ، وكانت إجازته البحر من المَريّـة ، فتلاقى بها هو وذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم المذكور ، وكان قصدهما واحدا ، ومَسعاهما متعاضِدا ؛ فترافقا فى السفر ، كما ترافقا فى الوَطَر . فدخل إفريقية ومِصر والشام والحجاز ، وأخذ عمن لقِى من الأئمة الأعلام ، وأكثر من[1] هذا الشان ، وأجاد فيه الضبط[2] والاتقان ، وتوسّع فى الرواية ، وذهب فى ذلك إلى أبعد غاية . وكان له تَحَقُّق بعلوم الحديث وبرجاله ، وبضبط أسانيده ، ومعرفة انقطاعه واتصاله ، إمامًا فى هذا الشأن ، مُشارا إليه فى هذا الفنّ ، معتَمَدا عليه ، مع كمال الثقة[3] ، وشُهرة العدالة .

شمائله [٤٧٢] قال القاضى أبو البركات ابن الحاجّ فى حقه : ابن رُشَيْد ثقة عدْل ، من أهل هـذا الشأن المتحققين به ، وكان أيضا من أهل المعرفة بعلم القراءات ، وصناعة العربية ، وعلم البيان ، والآداب ، والعروض والقوافى ، مشاركا فى غير ذلك من الفنون ، من خُدّام الكِتَاب والسنّة ، حسن العَهْد ، كريم العِشرة ، بَرّا بأصدقائه ، فاضلا فى جميع أنحائه ، أديبا خطيبا بليغا ، ذاكرا ، متأدبا[4] ، يَقْرِض الشعر على تكلف ، ويُجوّد النثر ويُبْصِرُ مواقعَ حسنه ، وأعظمُ عنايته بعلم الحديث : متنِه وسنده ومعرفةِ رجاله ، ولذلك كان جُلّ أشغاله ، وفيه عُظْمُ احتفاله ، حتى حَصَل منه على غاية قَصْده ومنتهى آماله .

شيوخه قرأ بسَبتة بلده على الأستاذ أبى الحسن بن أبى الربيع القرآنَ[5] العزيز بالقراءات السبع ، بمضمّن كتاب التيسير ، وتفقه عليه فى العربيّة ، وقيّد عنه[6]

(١) كذا فى ط وجذوة الاقتباس . وفى م : « فى » .
(٢) كذا فى ط . وفى م : « الحفظ » .
(٣) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى الأصلين : « الهيئة » .
(٤) هذه العبارة : « أديبا ..... متأدبا » زائدة فى م .
(٥) فى م : « القرآن العظيم العزيز » .
(٦) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى م : « منه » . وفى ط : عليه .

تقييدا حسنا على كتاب سيبويه ، وأخذ عنه غير ذلك . وقرأ أيضا الكتاب العزيز على الأستاذ أبى الحسن على بن محمد الكُتَامِىّ ابن الخَضَّار ، بالمقارئ السبعة، وأخذ بالمَرِيَّة ، فى اجتيازه عليها ، عن الخطيب أبى عبد الله محمد بن محمد بن الصائغ ، والوزير الأديب أبى جعفر أحمد بن محمد ابن سلبطور ، قيَّد عنه [من] (١) شعره . ورحل فأخذ ببِجَاية عن الحافظ (٢) أبى محمد عبد العزيز بن عمر القيسى ابن كحيلا نزيلها . و بتونس عن قاضى الجماعة بها ، أبى القاسم بن أبى بكر بن زيتون . وأخذ بإسكندرية عن العَدْل المبرِّز ، سراج الدين أبى بكر بن أحمد بن إسماعيل ابن فارس التميمى ، والعدل الصالح أبى عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طَرْخانَ القُرشى . وبالقاهرة عن الحافظ أبى محمد عبد العظيم بن عبد القوى المُنْذِرِىّ ، والأديب الصوفىّ شهاب الدين أبى عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف ابن أحمد الأنصارىّ ، ابن الحِيَمِىّ ، نزيل إيوان الحسين رضى الله عنه من [٤٧٣] القاهرة . وبدمشق عن شيخ الشيوخ عزّ الدين أبى العزّ عبد الله بن عبد المنعم ابن على الحرّانى (٣) ، و بقية المسنِدين فخر الدين أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد المقدسىّ ، والمسند أبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك المقدسىّ . وبالحرم الشريف عن المحدّث الأديب مقيم الحرم الشريف أبى إسحاق عبد الصّمد بن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقىّ ، و بقية المحدِّثين مُقيم الحرمين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن خليل بن إبراهيمَ المكىّ . وبالمدينة المشرفة المنورة عن الشيخ الإمام النحوىّ عَفيف الدين أبى محمد عبد السلام بن محمد

(١) زيادة عن جذوة الاقتباس .
(٢) كذا فى الأصلين ؛ وفى جذوة الاقتباس : « الخطيب » .
(٣) كذا فى الأصلين وجذوة الاقتباس . وفى نفح الطيب والإحاطة : « أبى العز عبد العزيز ابن عبد المنعم الحرانى » .

ابن مزروع البصرىّ وغيرهم . وفى أشياخه كثرة ، وقد أودعهم رحلتَه الحافلة التى سَمَّاها : « مَلْء العَيْبة ، فيما جُمِع بطول الغَيْبَة ، فى الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطَيْبة » . وهى أربعة أسفار ، وقَفْتُ عليها بتلمسان ، وقد جمع فيها من الفوائد الحديثيّة ، والفرائد الأدبية ، كلّ غريبة وعجيبة .

تآليفه

ومن تآليفه « ترجمان التراجم » ، فى إبداء وجه مناسبات تراجم صحيح البخارى لما تحتها ، مما تَرْجَمَتْ عليه . ومنها « السَّنَن الأبيَن ، فى السَّنَد المعَنْعَن » ، و « المقدمة المعرِّفة ، لعلو المسافة والصفة » ، و « المحاكمة بين البخارى ومسلم » ، و « إحكام التأسيس فى أحكام التجنيس » ، و « الإضاءات والإنارات » فى البديع ، المسماة : « بإيراد المرتع المَرِيع ، لفرائد التسجيع والترصيع » ، و « وصل القوادم بالخوافى » ، شرح فيه كتاب القوافى لشيخه أبى الحسن حازم القَرطاجَنّى ، وجزء مختصر فى العَروض ، وتقييد على كتاب سيبويه .

مذهبه

وذكر بعضهم أن الإمام ابن رُشيد كان ظاهرىّ المذهب ، والمعروف أنه كان مالكيا ، والله أعلم . [٤٧٤]

شرحه للنجارى

وكان يعتمد فى شرح كلام البخارى على « المُحبِّر الفصيح ، فى شرح البخارى الصحيح » لأبى عمرو[1] الصَّفاقُسِىّ ، المعروف بابن التِّين ، لأجل حضور البَرْبر فى مجلسه ، ومعتَمَدُهم المدوّنة ، وأبو عمرو فى هذا الكتاب ينقل المدوّنة وكلام شرّاحها عليها .

اجتهاده فى فهم الحديث

وتكلم يوما بعد فراغه من إسماع الشمائل ، وكانت بالمغرب فتنة ، على قوله عليه الصلاة والسلام : « بحَسْب أصحابى القتل » ، فقال : معنى الحديث أنه منجيهم[2] من عذاب الله تعالى ، كما قالوا : بحسبك زيد ؛ ثم قال : على أنه

(١) كذا فى م هنا وفيما سيأتى . وفى ط : « عمر » . (٢) فى م : « ملجؤهم » .

رُوِى أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة ، فعظّم أمرها ؛ فقالوا : يارسول الله ، لئن أدركنا هذا الزمان لنَهْلِكَنّ[1] ؛ فقال : كلا ، إن بحَسْبكم القَتْل .

ويدل على صحة هذا التأويل ما خرجه أبو داود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمتى [هذه] [2] أمة مرحومة ، ليس عليها عذاب فى الآخرة ، عذابها فى الدنيا الفتنُ والزلازلُ والقتل » . وترجم عليه أبو داود : « باب مايُرجى فى القتل » ، ثم أدخل الحديث تحت الترجمة .

يرى أن الحديث مروىّ بالمعنى

وقال تلميذه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى : إنه تكلم يوماً على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كذب علىّ متعمدًا فليتبوّأ مَقْعَدَهُ من النار » . فقال : رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو مئة نفس من الصحابة ، فيهم العشرة المشهود لهم بالجنة ، ولا يُعْرف حديث مثله ، وإن كانت ألفاظه تختلف ، لكن هو متواتر المعنى .

وفى رسمه من حرف الميم من إحاطة ابن الخطيب ما نَصُّه :

قدرته على البيان والارتجال

حدثنى بعض شيوخنا قال : قَعَدَ يوما على المِنبر ، فظن أن المؤذِّن الثالث [٤٧٥] قد فرغ ، فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه ، فاستَفْظَع[3] ذلك بعضُ الحاضرين ، وهمّ آخرُ بإشعاره وتنبيهه ، وكله آخر ، فلم يَثْنه ذلك عما شرع فيه ، وقال بديهة : أيُّها الناس ، رحمكم الله ، إن الواجب لايُبْطِله المندوب ، وإن الأذان الذى بعد الأوّل غير مشروع الوجوب ، فتأهّبوا [لطلب العلم] [4]

(١) كذا فى الأصلين . والذى فى سنن أبى داود ، فى كتاب الفتن : « لئن أدركتنا هذه لتهلكنا » .

(٢) زياد عن سنن أبى داود ، آخر كتاب الفتن .

(٣) فى م ومختصر الإحاطة المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية برقم (٥٥١٨) تاريخ : « فاستعظم » .

(٤) زيادة عن مختصر الإحاطة ، وجذوة الاقتباس .

وتنبهوا[١] ، وتذكروا قوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ، فقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال لأخيه والإمام يخطب أنصت فقد لغَا ، ومن لغَا فلا جُمعَة له »[٢] . جعلنا اللهُ وإياكم ممن علِم فعمِل ، وعمِل فقُبِل ، وأخلَص فتخلَّص .

تعليق للمؤلف على موقف ابن رشيد

فكان ذلك مما اسْتُدِلَّ به على قوّة جَنانه ، وانقياد لسانه لبيانه . انتهى .

وتذكرت بهذه القضية من قام مِنِ اثنتين ولم يتذكر حتى استقلّ ، ومن نسى المضمضة والاستنشاق حتى شرع فى غسل الوجه ، وراجعْ شرح ابن ناجى على المدوّنة ، فإنه ذكر أن بعض شيوخه لم يَرْجع من الخطبة كما[٣] فعل ابن رُشيد ، وبعض الأشياخ رَجَع لمّا سمع الْمؤَذِّن ، وفِعْلُ الأوّل أصوب . والله أعلم .

شهادة ابن رشيد لبعض العلماء

وكان رحمه الله تعالى (أعنى ابن رُشَيْد) يقول : ليس بالمغرب عالم إلا ابن البنّا بمراكش ، وابن الشّاطّ بسَبتة ، والقاضى أبا عبد الله محمد بن محمد اللَّخْمى القُرْطبى . ومن المشارقة خلق كثير، كابن دقيق العيد ، والشريف أبى الحسين العراقى ، وأخيه أبى إسحاق ، وجماعة .

تقريظ لبعض تآليفه

وفى تأليف ابن رُشيد فى التجنيس يقول صاحبُه الفقيه الأديب البارع الفاضل أبو بكر محمد بن محمد القالونسى[٤] من نظمه حين طالعه بغرناطة :

(١) فى م : « وانتبهوا » .

(٢) لفظ حديث أبى هريرة فى الموطأ وفى السنن إلا سنن ابن ماجه : « إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة ، فقد لغوت » . وفى حديث آخر عن على : « من دنا من الإمام فلغا ولم يستمع ولم ينصت كان عليه كفل من الوزر . ومن قال : صه فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له » . وظاهر من هذا أن ابن رشيد قد لفق روايته من حديثى أبى هريرة وعلى .

(٣) فى ط : « حتى » .

(٤) كذا فى ط . وفى م : « أبو بكر محمد القالونسى » .

[٤٧٦] أبْدَعَ فى التجنيس إنشاءا فليَحْوِ فضل السَّبقِ إنْ شاءا
إذْ كلٌّ من ألّف مِنْ قَبلِه ما جاء فيه بالذى جاءا

شىء من أشعاره

ومن شعر ابن رُشيد رحمه الله تعالى (ولنا فيه أسانيد) قوله :

صيامُ عاشورا أتى نَدْبُه فى سُنَّة محكمة قاضيهْ
قال الرسول المصطفى إنه تكفير ذنب السَّنَةِ الماضيهْ
ومَنْ يوسّع يَوْمَه لم يَزَلْ فى عامه فى عيشة راضيهْ

ومن ذلك قوله :

تغرّب ولا تَحْفِل بفُرقة معشر[1] تفز بالمنى فى كل ماشئت مِنْ حاجِ
فلولا اغتراب المسك ما حلّ مَفْرِقاً ولولا اغتراب الدُّر لم يَحْظَ بالتاج

وقوله رحمه الله تعالى فى البحر وقد انبسط عليه ضوء القمر فى ليلة البدر :

أُنظر إلى البدر قد مُدَّتْ أشعّته على خُضَارَة[2] حتى ابيضَّ أزرقُهُ
والريح قد صنعت دِرْعا مَسامِرُها حَبابُ ماء يروق العينَ رَوْنَقُه

وذكر رحمه الله عن أبى الخير الفضل بن على بن نصر بن عبد الله بن رَواحة الأنصارى الخزرجى أنه أملى عليه بمدينة بُلْبَيْس بمصر حرسها الله تعالى :

وأرجو إن عَجَزْتُ عن الأمانى أمانًا مِن ذِمامك يا إلهى
فلى ظنٌّ أُحقّقُه يقينًا برحمتك التى كلُّ المُنَى هِى
وأسأل منك عونًا لى على ما أمرتَ به ، وتركى للمناهى

(١) فى جذوة الاقتباس : « موطن » .
(٢) خضارة : من أسماء البحر .

إشارته إلى بعض الوضاعين فى الحديث

وقال رحمه الله : من عَمَد إلى أحاديث خِراش[١] ودِينار[٢] وأبى هُدْبة[٣] وشِبههم ، الذين يسميهم أهل الرواية والنقل طيور أنَس ، فمثل هؤلاء لا يُعرَّج عليهم ، ولا يُفرح بعلوهم[٤] ، وروايتُهم شِبْهُ الريح ، وإنما يُكتب حديثهم للتعريف به . وقد جمع الحافظ أبو الطاهر الأصبَهانى جماعة منهم فى بيتين ، فأحسَن ، أحسن الله إليه . أنشدنى المكتسِب الخير ، المقيِّد ، أبو عبد الله محمد ابن أبى العباس أحمد بن حَيّان الشاطبىّ ، صاحبُنا بتونس ، قال أنشدنا الشيخ [٤٧٧] الخطيب أبو محمد بن بركات رحمه الله ، قال : قرأت على الحافظ أبى عمَرَ بن عات ، قال : سمعت فيما قُرِئ على السِّلَفىّ رحمه الله تعالى من نظمه :

حديث ابن نَسْطُورٍ[٥] وقيسٍ ويَغْنَمٍ[٦] وبعدَ أشجّ الغرب[٧] ثم خِراشِ
ونسخةُ دينار ونسخة تِرْبِهِ أبى هُدْبة القيسى شبه فَراش

قال لى أبو عبد الله : قال لنا أبو محمد ، قال لنا أبو عُمر : كان الحافظ السِّلَفى رحمه الله إذا فرغ من إنشاده لهما ينفخ فى يديه . فمِثْل هؤلاء لا يُلتفت إليه ، ولو بلغ أقصى الممكن فى القُرب . انتهى .

(١) خراش بن عبد الله الذى يروى عن أنس رضى الله عنه : كذاب لا يجوز كتابة حديثه . وحفيده خراش بن محمد بن خراش : متروك أيضا (انظر تاج العروس) .
(٢) دينار بن عبد الله مولى أنس بن مالك : منكر الحديث ضعيف ذاهب شبه المجهول . وهو حبشى . (راجع تاريخ الخطيب ص ٣٨٢ ج ٨) .
(٣) أبو هدبة : هو إبراهيم بن هدبة أبو هدبة الفارسى ، كان بالبصرة ، ثم خرج إلى أصبهان والرى ، ووافى بغداد ، وحدث بها عن أنس بن مالك بالأباطيل .
(٤) كذا فى ط . وفى م : « بعلومهم » .
(٥) ابن نسطور : هو جعفر بن نسطور الرومى .
(٦) كذا فى المشتبه فى أسماء الرجال وتاج العروس . وهو يغنم بن سا ن قنبر ، قال ابن حبان : يضع الحديث على أنس . وجده قنبر مولى على رضى الله عنه . وفى الأصلين : « ينعم » . وفى نفح الطيب « يعنم » .
(٧) الأشج المغربى : كذاب طرقى ، كان بعد الثلاث مئة ، وادعى السماع عن على بن أبى طالب ؛ واسمه عثمان بن خطاب أبو عمرو ، وبعضهم سماه أبا الحسن على بن عثمان البلوىّ . (انظر لسان الميزان لابن حجر) .

إجازته لبنت عبد المهيمن ووفاته

ووُجِد بخط القاضى اليَزْنَاسَنِىّ[1] ما نصه :

الحمد لله . وقفت على إجازة أبى عبد الله بن رُشيد لستّ العرب بنت عبد المهيمن الحضرمى ، مؤرخة بغرة محرم عام إحدى وعشرين ، الذى توفى فيه ، وقال أحسن الله افتتاحه واختتامه : ومن لم يكن يعرفنى فإنى :

أنا المذنب الخطَّاء والعفو واسع ولو لم يكن ذنب لما عُرِف العفوُ

انتهى .

حاله بعد عوده من المشرق

ولما قَفَل الشيخ ابن رُشيد من المشرق عاد إلى بلده سَبتة ، فلم يساعده فيها المقدور ، ولم يُعرَف له بها مِقدار ، فكتب إليه رفيقه الوزير ابن الحكيم يستدعيه إلى حضرة غَرناطة ، ويَعِدُه بنيل كل أمنيَّه ، رعيا لما سلف له معه من الصداقة المَرْعيَّه ، فأعمل الرحلة إليه ، حتى قدم الحضرة الغرناطية عليه ، فألفاه من عناية السلطان تحت جاه واسع ، فأهله[2] من مواليه وقرَّب إليه من أمانيه كل شاسع ، وأكرم مَثْواه ، وحَمِد لديه مَغَبّة سُرَاه ، وتقدم حينئذ للصلاة والخطبة بالجامع الأعظم بغرناطة ، وخُوِّل كلّ كرامة ومَبَرَّة . ثم لما توفى الأستاذ أبو جعفر بن الزُّبير عن قضاء المناكح خَلَفه عليها ، فاتصلت له الأثَرة بالأثرة ، ولم يزل مقيما بحضرة غرناطة ، منتصبا للإقراء ، ومركزا لدائرة القُرَّاء ، إلى [٤٧٨] أن قتِل[3] الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ، فرحل من غَرناطة ، ولحق بحضرة فاس ، فحلّ بها تحت عنايه ، وفى كَنَف رعايه ، وجعل له الأمرُ السلطانىّ الاختيار حيث اختار ، أو الاستقرار[4] ، فاختار التحول إلى مَرَّاكُش ، إذ كان قبلُ قد سكنها ، واستحسنها ، فورد عليها ورود الإقامه ، ونزل بها نزول البِرّ والكرامه ، وقدِّم للصلاة والخطبة بجامعها العتيق ، وأقام بها سنين يبث بها

(١) فى الأصلين : «البرتاسنى» ، وهو تحريف . (٢) كذا فى ط . وفى م : «فأحله» .
(٣) فى م : «اغتيل» . (٤) كذا فى م . وفى ط : «حيث اختار الاستقرار» .

العلم ، ليس له شغل غير التدريس والتحقيق . ثم إن المَقام السلطانىّ استدعاه منها بعد مدة إلى حضرة فاس ، فانتقل إليها انتقال الإيثار والإيناس ، فلحق بحاضرة السلطان ، والتحف من الوجاهة والنباهة[١] برداء سابغ الأردان ، وصار فى عداد خواصّه وآل مجلسه من الخلَصاء[٢] ، إلى أن تُوُفِّى رحمه الله بفاس ، فى الثالث والعشرين من شهر المحرم ، سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وقيل ليلة الاثنين الرابع والعشرين من شهر المحرم . وأما قول من قال إنه توفى ثامن المحرم فغلط . ودُفِن خارج باب الفتوح ، بالروضة المباركة ، المعروفة بمَطْرح الجنة[٣] ، حيث تُدْفَن العلماء والصلحاء ، الواردون على فاسَ من الغُرباء .

ومولده بسَبتة فى شهر رمضان سنة سبع وقيل تسع وخمسين وست مئة .

وروى عنه الجمّ الغفير ، كأبى البركات بن الحاجّ ، والأستاذ الخطيب أبى عبد الله بن أبى العاصى التّنُوخى ، وآخرين رحم الله جميعهم ، ونفعنا بهم .

وقد قدمنا أن ابن الحكيم تدبَّج معه ، ومعنى التدبيج : أن يَرْوى كل واحد من القرينين[٤] عن صاحبه .

كتاب الإشادة للعزفى

وكان ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم المقدم الذكر مَحَطّ رحال الأفاضل ، وكم للناس فيه من أمداح وتآليف ، وله ألّف الشيخ الفقيه المحدث الحافظ ، أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى طالب عبد الله العَزَفِىّ ، كتاب « الإشادة ، بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإفادة »[٥] . وكان أبو القاسم هذا سمع من [٤٧٩]

(١) فى ط : « من الوجاهة والندامة والنباهة » . (٢) فى ط : « الحضار » .

(٣) قال الكتانى فى سلوة الأنفاس ، نقلا عن نشر المثانى : إنها تسمى : (مطرح الجلة) ، باللام ، جمع جليل . ثم قال : ويقال فيه اليوم : الجنة بالنون ، وهو تفاؤل حسن .

(٤) فى الأصلين : « الفريقين » ، ولعلها محرفة عما أثبتناه ؛ قال فى شرح القاموس : « التدبيج : رواية الأقران ، كل واحد عن صاحبه » .

(٥) اسم هذا الكتاب فى م : « الإشادة بذكر المشهورين من المتأخرين بالإجادة » .

أبى جعفر بن الزُّبير ، وتُوُفِّى رحمه الله يوم الأربعاء الثالث عشر من رجب الفرْد ، من عام سبعة عشر وسبع مئة ، قرب الزوال ، بالدرب الطويل من فاس المحروسة ، وتُوُفِّى أخوه الشاعر الجليل أبو العباس أحمد بغَرناطة فى ذى الحجة من عام ثمانية وسبع مئة[1] .

لأبى العباس العزفى فى مدح ابن الحكيم

ومن إنشاداته فى كتاب «الإشادة» ، من شعر أخيه أبى العباس المذكور ، رحمه الله تعالى :

مُلِّكْتَ[2] رِقّى بالجمال فأجمِلِ ... وحَكَمْت فى قلبى بجَوْرك فاعدلِ

أنت الأمير على المِلاح ومن يَجُرْ ... فى حكمه إلا جُفونكَ يُعْزَلِ

إن قيل أنت البدرُ فالفضل الذى ... لك بالكمال ونقصُه لم يُجْهَلِ

لولا الحظوظُ لكنت أنت مكانَه ... ولكان دونك فى الحضيض الأسْفلِ

عيناك نازَلَتَا القلوبَ فكلها ... إما جريح أو مُصاب المَقْتلِ

هَزَّت ظُبَاها بعد كسر جفونها ... فأصيب قلبى فى الرعيل[3] الأول

ما زلت أُعْذَل فى هواك ولم يزل ... سمعى عن العُذّال فيك بمعزلِ

أصبحتُ فى شُغُل بحبك شاغلٍ ... عن أن أُصيخ إلى كلام العذّلِ

لم أُهْملِ الكتمانَ لكن أدمعى ... هَمَلت ولو لم تَعْصِنى لم تَهْمُلِ

جمعَ الصحيحين الوفاءَ مع الهوى ... قلبى وأَمْلَى الدمعُ كشفَ المشكلِ

وهى طويلة ، مدح بها الوزيرَ ابن الحكيم المذكور ، وأجاد .

---

(١) كذا فى ط وجذوة الاقتباس . وفى الإحاطة : « سنة سبع وسبع مئة » . وفى م : « ثمانية عشر وسبع مئة » .

(٢) كذا فى م والإحاطة . وفى ط وجذوة الاقتباس : « حللت » .

(٣) كذا فى الإحاطة وجذوة الاقتباس . وفى م : « وأصيب قلبى للرعيل » . وفى ط : « وأصيب قلبى بالرعيل » .

وله فى مدحه أيضا

وله من مطلع قصيدة فيه أيضا :

هـذا الصباح فغادِنى بصَبوح ... وانهض براحك فهى راحة رُوحى
لا تـكترثْ لخطوب دهرك واسقنى ... كأسا تُحَسِّنُ منـــه كل قبيح
واسْرَحْ سَوامَ اللفظ بين حَدائق ... ماســـــائم فى مثلها[1] بمريح
فُتِنَتْ بزهرة زَهْرِها فتمايلت ... تختال فى الحِبَراتِ بعـــد مُسوح
شَقت شقائقُها جيـــوبَ كمائم ... أسفا على زق يَخـــرُّ جريح[2] [٤٨٠]
وعيون نرجسها تَلُوحُ[3] شواخصا ... لوميض برق فى الـكئوس مُليح
والورد تُخجله أنامـــلُ سَوسَنٍ ... تُومِى إليه بالســـلام وتُوحى
وأتى الربيع رُبوعهـــا[4] بسواجع ... عُجْمٍ تشُقّ فؤاد كل فصيح
سَجعت تُبَشِّرها بعَوْد[5] شـــبابها ... فأصِخْ إلى شقٍّ بهـــا وسَطِيح
مالى وللأطـــلال أسألُ صامتا ... منهـــا وأعْوِل فى مَهامَهَ فِيح
فى الراح[6] والرَّيحان شُغْل شاغل ... لى عن عِيافة بارح وسَنيح
وأهيم فى وَرْد الخـــدود وآسها ... لا فى عَرَارٍ بالفَـــلاة وشِيح
وأصون سمعى عن مقالة عاذل ... لتذلّلى والحِبّ[7] غـــير مُشِيح
كم عرّضوا لى بالملام وصرّحوا ... فعصَيتُ فى التعريض والتصريح

ومنها أيضا :

عجبًا لهم يَلْقَوْنَنى بملامهـــم ... فى حب من يَلْقَون بالتسْبيح

(١) فى م : «فأسام فى تمثيلها بمريع» . ولعله محرف عما أثبتناه . ولم يرد من هـذا الشطر فى ط غير : « فى مثلنا بمديع » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « أسف على رق بخد جريح » .
(٣) كذا فى ط . وفى م : « تميل » .
(٤) فى ط : « ربيعها » . (٥) كذا فى ط . وفى م : « بعهد » .
(٦) كذا فى م . وفى ط : « فى الروح » . (٧) فى م : « فى الحب » .

إن صَوَّح الروض النَّضِير نخدّه أزهاره أمِنتْ من التصويح
وتحار أعين مبصريه إذا بدا فى ثقل أرداف وخفة رُوح
قلبى بعذلهمُ يزيد توقُّدا لا غَرْوَ فى نار تُشَبّ بريح

وهى طويلة[1] .

كلام للقاضى أبى حفص فى كتاب الإشادة

ومما أورده فى « الإشادة » لبعض الأعلام ، وأظنه قاضى الموحدين أبا حفص ابن عُمَر رحمه الله تعالى ، فى وصف الدنيا ، كلام بديع نصّه :

هذه الدنيا — حفظك الله — كما قد علمته ، فأعرض بحلمك عن جهلها ، وارغب بنفسك عن أهلها ، واذكر قبائح أنبائها ، واصْرِم وَصْلَ أبنائها ؛ لا تَرتَع فى رَوْضِهمْ ، ولا تكرَع فى حوضهم ، وقُلِ اللهُ ثم ذرهم فى خوضهم ، وإذا مررت باللاغين[2] بذكر محاسنها ، اللاهين بحسن ظاهرها عن قبح باطنها ، فالْهَ عن لهوهم ، ومُرَّ كريمًا بلَغْوهم ، مَرَّ المهتدى فى سيره ، وأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، فالسيادة والسعادة فى نبذها ، لا فى أخذها ، وفى [٤٨١] تركها ، لا فى دَرْكها ، وإليك عن وصلها إليك ، وعليك بهجرها عليك ، واتل قوله تعالى : « وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ » ، وقوله تعالى : « وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ » ، واحرِص أن تكون منهم ؛ فزخْرُف الدنيا فى نظر العين زَين ، وفى نظر العقل شَيْن ؛ فغمِّض عينيك تبصر ، ولا تَمُدَّهما وأقْصِرْ ؛ جعلنا اللهُ ممن نظر بقلبه ، وأبصر بلُبّه ، فأولو الألباب والفِكْر ، المخصوصون بالذكْر ، والعلم أرفع المزايا ، وأوسع العطايا ، هو غاية المَنال والمَدْرك ، من ناله أىَّ شىء فاته ، ومن فاته أىَّ شىء أدرك ؟ ولا علم إلا علمُ الكتاب والسُّنه ، هما أفضل العطايا والمِنَّه ، فمن

(١) إلى هنا ينتهى المجلد الثانى من النسخة التيمورية (رقم ٨٩٤ تاريخ) .
(٢) فى ط : « بالمولعين » .

عَلِمها ، ونظر فيهما ، وعمل بهما ، نال غاية السعادة ، وأدرك منتهى السيادة ؛ قال الله تعالى لنبيه الكريم : « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ » . هذه المزايا العاليه ، والعطايا الواسعة الباقيه ، لا ما نهت عنه الآية الثانيه[1] ، جعلنا الله ممن أبصر رشده ، وذكر مراده ، ووجّه إليه قصده ، ورأى فى أول أمره آخره ، وابتغى فيما آتاه الله الدار الآخره ، بمنّه وفضله . آمين .

[2]يا راكضا فى طِلاب دُنيا ... ليس لمن تَصْرَع انتعاشُ
تَنَحَّ يا عُرضةً لرامٍ ... أسْهُمُهُ بالرَّدَى تُراش
تَحُشُّ[3] نارًا هَوَى لظاها ... بمن له حولَها انحياش
أعْذَرُ مِنك الفَراشُ أَلَّا ... عَلِمتَ ما يَجْهَل الفَراش
تطلُبها لا تَنامُ عَيْنٌ ... عنها ولا يستقرّ جاش
مَنْ لك بالرِّىِّ مِن شراب ... يَشتدُّ من شُربه العِطاش[4]
دَعْها فطُلَّابُها رَعاع ... طاشت بألبابهمْ فطاشوا
واظمأْ لتَرْوَى وكنْ كقومٍ ... ماتُوا بها عِفّةً فعاشوا
لم يَرِدُوها فهمْ رِواء ... وواردوها هُمُ العِطاش
كأنّ آمالَنا ظِباء ... ونحن من حَيْرةٍ خِرَاش[5]
لا نَأْمَنَنَّ بها انبساطا ... به لأعمارنا انكماش[6]

---

(١) يريد قوله تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ... الخ » .
(٢) من هنا إلى قوله : « جواد مالك والمنصور مخدوم » ص٣٦٢ ساقط من نسخة ط .
(٣) تحش : توقد . وفى م : « تخش » وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .
(٤) يريد بالعطاش : العطش ، مصدر عطش .
(٥) فى الأصل : « خفاش » ، وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . وهو يشير إلى البيت المشهور :
تكاثرت الظباء على خراش ... فما يدرى خراش ما يصيد
(٦) فى م : « لا يأمننا » ، وهو محرف عما أثبتناه .

كأنَّ آجالَنا صُـــقُورٌ ونحن من تحتها خَشاش

انتهى .

التعريف بالقاضى أبى حفص عمر السلمى

وأبو حفص بن عمرَ هذا ، هو القاضى الجليل أبو حفص عمرُ بن القاضى الجليل أبى محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر السُّلَمِىّ . وذكر الحافظ ابن الأبّار أن أصله من جزيرة شُقُر[1] . قال : وولد بأغمات ، وسكن مدينة فاس .

شيوخه

رَوَى عن جده لأمه ، أبى محمد عبد الله بن على اللّخْمى ، أجاز له فى صغره ؛ وعن أبى مروان بن مَسَرَّة ، وأبى عبد الله بن الرمامة ، وأخذ عن أبى بكر بن طاهر كتاب سيبويه تفهما ؛ وكان من أهل المعرفة واليقين ، أديبا شاعرا ، مجيدا ، غلب عليه الأدب ، حتى عُرِف به وشهر ، مع جودة الخط ، وبراعة الأدوات .

ولايته القضاء

وولِى قضاء تِلِمْسان ، ثم نقل إلى قضاء فاس بعد أبيه بزمن ، وولى قضاء إشبيلية وغيرها ، ونال دنيا عريضة .

مولده ووفاته

وحُكِىَ عن أبى الربيع بن سالم أنه تُوُفِّى بإشبيلية فَجْأة ، فى الخامس من ربيع الأول سنة ثلاث وستّ مِئة . ومولده فى حدود الثلاثين وخمس مئة . وقد غَلِطَ ابن فرقد ، فذكر أنه ولد سنة خمس وثلاثين ، وروايته عن جده أبى محمد عبد الله بن علىّ المتوفى سنة ثلاث وثلاثين ، مع صحتها ، تَقْضِى ببطلان ذلك . قال ابن فرقد : وتوفى عام اثنين وست مئة بإشبيلية وهو يتولّى قضاءها ، بعد صرف محمد بن حوْط الله ؛ وكان أبو حفص قد صُرف بأبى محمد ، بعد ذلك بعام أو أزيد .

من شعره فى مدح أبى يعقوب يوسف

ومن مشهور نظمه رحمه الله تعالى يمدح أمير المؤمنين أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن على [الموحدى][2] رحمهم الله تعالى :

(١) فى جذوة الاقتباس : « أشقورة » . (٢) زيادة عن جذوة الاقتباس .

اللهُ حسْبُك والسبعُ الحواميم تغزو بهـــا سبعةً وهى الأقاليمُ
سبْعُ المَثانى التى لِلّه قمتَ بها عليك من نصرها نصٌ وتقـديم[1]
وأنت بالسور السبع الطِّوال على كل الوَرَى حاكم بالله[2] محكوم
والدّهر سَبْعَته وســـبعة جعلت جواد[3] مالك والمنصور مخدوم[4]
وسبعةُ الشُّهْب لم تَحْفِل بها ثقةً بوعـــد ربّكَ هَيهاتَ التناجيمُ
تسمو بنفس على السَّبْع الشِّداد سمتْ فينا وثَمَّ لها زُلْفَى وتكريم
أنوار عدلك فى الآفاق داعيـــة هل فى البسيطة ظَلَّام ومظلوم
أعلى بك الله أعلاما هدَيتَ بها فأنت فيهنّ إكمال وتتميم
عليك أهلُ الهدى والحقُّ متفق وحبل من فارق الإجماع مصروم

ومنها أيضا .

فؤاده بضياء العـــلم منشرِح ووجهه بجمال النـــور موسوم
وكفُّهُ بَطْنُها بالخـــير منهمِر وظهرُها لعهود الله مَلثوم
العلم قيمته[5] والحـــلم شيمته طابت أرومته والنفس والخِيم [٤٨٢]
لطالبى العـــلم ما شاءوا بخدمته غِنًى وعز وإرشـــاد وتعليم
سُحب العلوم عليهم من سماحته[6] تَهْمِى فنى بحرها هُمْ شرعٌ هِيمُ
العَيْنُ من نَظَرٍ والأذن من خَبَر لا تشبَعان وباغى العـــلم منهوم
يُغْضِى أناةً وحلما عالما وله فى موضع الحق إقدامٌ وتصميم

(١) رواية هذا الشطر فى جذوة الاقتباس : « عليك من سرها معنى وتقديم » .
(٢) فى جذوة الاقتباس : « حاكم لله ... » .
(٣) كذا بالأصل . وفى جذوة الاقتباس « ... جمت * وجود » .
(٤) إلى هنا ينتهى الجزء الساقط من نسخة ط . (٥) كذا بالأصلين .
(٦) كذا فى ط . وفى م : « سماوته » .

تشتد فيمن عصَى أو خان وطأتُه ... وفى الثّقافِ لذات الزيغ تقويم
إرادةٌ فوقَ إدراكِ العقول لها[1] ... فحسبها منه إيماء وتسليم
حتى إذا ما بدا منها النجاح بدت ... كالشمس ما دونها فى الجو تَغْيِيم[2]
انظر خواتمها تفهم مبادئها ... بالشرح ما ليس بالمفهوم مفهوم
والحظْ سماء[3] عُلاها عِبرةً وكفى ... من يسترِقْ سمعَها بالشهب مرجوم
إنّ[4] الخليفَة سِرُّ الله ظاهرةٌ ... آياتُه وهو عند الله معلوم
فسلّموا واخلعوا الآراء واتبعوا ... حكم الإمام فما فى الدين تحكيم
الشرق والغرب من عُرب ومن عَجَم ... فى كفه عُودهم بالقبض[5] معجوم
والبحر والبر من سهل ومن جَبَل ... جميعُها بزِمام الرأيِ مخطوم

ومنها أيضا .

وكل جَدٍّ مُفادٍ من عَلائك مِنْ ... نَسيمِهِ نفَسُ العلياء مشموم[6]
للمسلمين أميرُ المؤمنين حِمًى ... يُحلُّه من صروف الدهر تحريم
الدهرُ فى أنفه مِن حكمه بُرَةٌ ... بها الزمانُ على الأبرار مَخْزوم
العلمُ والدِّين والدنيا وساكنها ... فى سلك رأيك يا وُسْطاه منظوم
جزاه سعيك عند الله مُدَّخَر ... هذا كتابك فى الأبرار مرقوم
عطفا على حُسْن أمداحى وإن عجزَتْ ... إنّ الجمالَ على العِلّات مرحوم

---

(١) فى ط : « آراؤه قوت آراء العقول بها » .
(٢) فى ط : « تنشيم » وفى م : « تقسيم » ولعلهما محرفتان عما أثبتناه .
(٣) فى ط : « سماعا » . (٤) كذا فى ط : وفى م : « إذ » .
(٥) فى ط : « بالفيض » .
(٦) كذا فى ط . ورواية هذا البيت فى م :
وكل مجد مفاد من علا ملك ... من حية نفس العلياء مسموم

ما عَلَّقوا لو رأوا هـذا قِفا وألا هُبِّى ولو جاءهم حُجْر وكُلثوم[1]
إذًا لقـــال لراويه عُليقمةُ : «هلْ ماعلمتَ وماستُودِعتَ مكتوم» ؟
يا سامعين أماديح الإمام ألا فاجثوا على الركب الإعظامَ أو قوموا
خذ كأسَ لفظى دِهاقا من مدائحه فيها الحقائق لا لَغْوٌ وتأثيم
ندعو له بَدَلًا من مدحـه لقصو ر المدح عنـه وفيه العُذْر معلوم
عَزَّ[2] الإمامُ فلا تضرب به مثلا من ذا يُقاسُ به والمِثْلُ معـدوم [٤٨٣]
أعطى الورى فضل ما أعطاه خالقُه عليهِ من ربِّه بُشْرَى وتسليم
صِل بالصَّلاة عليه صدق مِدْحته ذاك الرحيق بهـذا المسك مختوم

هو وأبو العباس الجراوى

وحُكِى أنه لما قال :

«يا سامعين أماديح الإمام ألا فاجثوا . . . » البيت

قام جميع من فى المجلس وكان فيهم الشاعر المفلق أبو العباس الجَرَاوِىّ ، فاحتاج إلى مشايعتهم لذلك ، وثقل عليه لضخامته ، فجعل وهو يحاول القيام يسب القاضى أبا حفص عُمر ، ويشير إلى أنه انتصف منه .

وحُكِى أيضا أنه لما أنشد القاضى أبو حفص هذه القصيدة ، قال فيه الجَرَاوِىّ المذكور ، وكان شديد الحسد له والإذاية لِعَسْفِه ، وكان له تقدم فى تلك الدولة :

نَبَغَتْ عَمرة بنتُ ابنِ عُمَرْ هـــذه فلتعجبوا أُمُّ العِـبَرْ
قل لها عـــــنِّى إذا لاقيتَها قولةً تترك فى الصـــخر أثَر

(١) رواية هذا البيت فى ط :
« ما علقوا لو رأى هذا قفا ... ... ولو جادهم حجر وكلثوم »
وفى م :
« ما علقوا لو رأوا ... هبى ... ... »
وقد أصلحناه على النحو الذى أثبتناه ، ولعله أقرب إلى ما يريد الشاعر .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « عن » وهو تحريف .

هبكِ كالخنساء فى أشعارها أو كليلَى هـل تُجارين الذكر

فقال أبو حفص حينئذ :

نهانىَ حلمى فـلا أُظْلِم وعَزَّ مكانى فـلا أُظْلَمُ
ولا بدّ من حاسد قلبه بنور مآثرنا مظـلِمُ
رحِمتُ حسودى على أنه يقاسى العـذاب وما يَرْحم
بغانا الحسود ولسنا كما يقول ولـكن كما يَعْـلَم

للجراوى يهجو بنى غفجوم

وكان أبو العباس الجَرَاوى المذكور هجّاءً حاضرَ البادرة ، سريع الجواب . ومن أغرب ما صدر عنه فى ذلك أنّه هجا قبيلة بنى غَفْجوم[1] ، استطرادا بهجو أهل فاسَ وقاضيهم ابن الملجوم ، الـكبير البيت ، الشهير الأصالة ، فقال :

يابْن السبيل إذا نزلت بتادَلا[2] لا تنزلنّ على بنى غَفجُومِ
أرض أغارَ بها العـدوّ فلن ترى إلا مجاوبةَ الصَّـدَى للبوم
[٤٨٤] قَومٌ طوَوْا ذكرَ السماحة بينهمْ لـكنَّهمْ نَشروا لِواء اللُّـوم
لايملـكون إذا استُبيح حريمهم[3] إلا الصـياحَ بدعوة المظلوم
لا حظّ فى أمـوالهم ونوالهم للسائل العـافى ولا المحروم
يا ليتنى من غيرهم ولَوَ أننى من أرض فاسٍ من بنى الملجوم

من شعر القاضى أبى حفص يمدح أمير الموحـدين

ومن نظم القاضى أبى حفص المذكور ، من مطلع قصيدة يمدح أبا يعقوب بن عبد المؤمن ، ويهنئه ببَيْعته الثانية :

ألا هكذا تُبْنَى العُـلا والمآثر وتسمو إلى الأمر الـكبير الأكابرُ

---

(١) فى ط : « بنى مقحوم » هنا وفيما سيأتى . ولعله محرف عما أثبتناه .
(٢) كذا فى ط . يريد : تادلة (بفتح الدال واللام) وهى من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس . (انظر معجم البلدان لياقوت) . وفى م : « ... إذا مررت منازلا » .
(٣) فى ط : « ... إذا استباح خديمهم » .

نؤمُّ لبيعات الرِّضا مطلعَ الهدَى وحيث الهدايا تعتلى والأوامرُ[1]

وله فى الغزل

ومن غزلياته قوله :

همُ نظروا لواحظَها فهاموا وتشربُ عقلَ شاربها المدامُ
يخاف الناس مُقْلَتَها سِواها أيَذْعَر قلبَ حامـلِهِ الحُسام
سما طرفى إليها وهْـوَ باكٍ وتحت الشمس يَنْسكِب الغمام
وأذكر قـدّها فأنوح شوقا على الأغصان تَنْتَدِبُ الحَمام
وأعقبَ بَيْنُها فى الصـدر غمًّا إذا اغتربتْ ذُكاه أتى الظلام

وقوله أيضا رحمه الله :

مها القفرِ لا دُميـةُ المَرْمَرِ وفى العُرْب لا فى بنى الأصفَرِ
بنفسى يعـافيرُ تلك الخِيامِ ومَسرَحُها فى النقا الأعفر
ملاعب يصبو إليها الحكيم ويُسْلَب فيها فؤادُ الجَرِى
وفيها الظباء بنات الأُسـود غَيارَى متى بَغمت تَزْأَر
نخيسُ الهِزَبْر كِناسُ الغَزال به الشِّبل ناشٍ مع الجُؤْذَر
تخالِسُها نَظرا تحتـهُ غرامٌ به الحىُّ لم يَشْعُر
وباللحظ يُقْـدَح زَنْدُ الهوى فطرفٌ غَرٍ وفـؤادٌ بَرِى

وكفّرها بقوله :

بقلبك يا غافـلا فانظر وعَيْنَيْك غمِّضْهما تُبْصر
إذا أُرسِل الطرفُ هام الفؤاد وبعض المرائى عَمَى المبصِرِ
وآفة قلب الفـتى عينُه فإن تَرْع قلبَك لا تنظر

ومن قوله : [٤٨٥]

أغارَ على الصَّبِّ من أنَّبَهْ هو الحبُّ مَنْ يُطْفِه ألْهَبَهْ

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الأصلين .

نأى القلبُ عنى وشوقٍ معى فللّه أمرىَ ما أعجبَه !
يَحِنّ فؤادى إلى قاتلى كذاك الهوى عند من جرّبه
تَرِقّ شمائلُ من ذاقــه وتَلْطُفُ شَمْأَلُ مَنْ هــذّبه
يَجود لمُسْخِطه بالرضــا ويطلبُ راحــةً من أتعبه
إذا شفّ قلبِى غرامُ الهوى دعا بالنعيم لمن عَــذّبه

لابن شكيل فى مدح القاضى أبى حفص

وكان القاضى أبو حفص هذا كريما مُمَدَّحا ، وممن أجاد فيه الشيخُ الأديب الفقيه أبو العباس أحمد بن أبى الحَكَم يعيش بن على بن شكيل الصَّدَفِىّ ، من أهل شَرِيش ، المتوفى سنة خمس وست مئة ، ومولده سنة ثمان وسبعين وخمس مئة ، وأمداحه فيه كثيرة ، قدّم قبلها كلاما نصُّه :

فيــه استفرغتُ مَجْهُودى ، وإليه جلبْت عُدَّتِى وعديدى ، لأنه كان آدبَ أهل زمانه غير مُدَافَع ، وأولاهم بالفضل غيرَ منازَع ، لتحلِّيه بالتواضع فى الجلاله ، والبشاشة فى الجزاله ؛ ووردتُ عليه غلاما ، أحسب زَنْدى سُخاما[1] وحَــدّى كَهاما ، فتلقّى نَزْرى بالاستكثار ، ونسب بحرى إلى الاسْتِبحار[2] ، وأوْلى — نَضَّر اللهُ وجهه — من البِرّ لجانبى ، والاستطْراف لمذاهبى ، والثناء علىّ فى أنديته الآهلة ، ومجالسه الحافلة ، ماشهدْتُ له بالتبريز ، وخلص معه فــكرى من تخوف النَّقَدَة الحسَدة خلوص الإبريز ، فقدحت فيه زَنْدفــكرى فورَى ، وفجّرت فيه يَنبوع شعرى فجرَى ، وأطلت فيه إطالة المُفَتَنّ المغرب ، وجعلتُ أمداحَهُ نُقْلَة المشرق والمغرب ، ومع[3] ذلك لم أنهض إلى عزه أعزه الله حيا وهابطاً إلى خُطّة القضاء ، فأتى مع[3] سن الشبيبة إلى رتبة مشيخة العلماء ، فراسة منه وتوسُّما ، واستر واحا [٤٨٦]

(١) كذا فى م . والسخام : الريش اللين تحت ريش الطير . وفى ط : « سجاما » .
(٢) كذا فى ط . وفى م . « ونسب غدى إلى الاسحار » . وهو تحريف .
(٣ — ٣) فى الأصلين تحريف ظاهر فى هذه العبارة ، ولم نوفق إلى تصويبه .

للنجابة وتوهّما ، إلا أن البلد التى استعمل[١] فيها كانت خشنة المَبارك ، فكنت أتقلّى فيها على جمر الغَضَى ، وأخاطبه بما لو أُلقِى على الحجر لانفجر ، وكانت الأناة غالبة على طِباعه ، وجائلةً على نظره وسماعه ، وكان مع ذلك مكدودا بالشفاعات ، ومضيَّقا عليه فى الجهاد والطاعات ، فخلعت عن عاتقى نجاد تلك الخُطَّة ، ودار فَلَك أمْرِى على غير تلك النُّقْطة ، وهو — عفا الله عنه — يقابل تعوُّقِى[٢] بالانبساط ، وفترتى بتجديد الإنشاط ، انبساطا للأمكنة والأزمنة ، فقطع عليه غرضَه تأخُّرُه عن الخُطَّة ، فما قطعت عنه امتداحا ، ولا نسيت أيامه حنينًا وارتياحا . ثم أُعيد إلى الولاية ، فعدت إليه ، وقد أتى الهرم والسُّقْم عليه ، فعاقت منيّته عن بلوغ الآمال ، وسَلَبَتْنِيهِ عِلْقا نفيسا لِمَا تُخَلِّفُهُ الأيّامُ واللّيال[٣] :

يامن لصبح الشيب كيف تنفَّسَا ... فى لِمَّتى فأجابه ليـــل الأَسَى
لا تَحْسَبَنّ سواد شَعْرِىَ نِعـمة ... لـكن كسته همومُ قلْبى حِنْـدسا
إلا يكن شاب العِذار ولا انحنى ... ظهرى فقد شاب الفؤاد وقوّسا
إنى لأُغْضِى مُقْلَتى عن لائمى[٤] ... وأرى ابتسامِىَ من ضميرى عَبّسا
ويلين قلبى للخليـــل مَوَدَّة ... فإذا أحس هضيمة يوما قَسَـا
وأجيل لحظى فى المُنَى شغفًا بها ... وأُجِلُّ شوقى عن لَعَلّ وعن عسى
مالى أرى الهالاتِ عُدْنَ هَوادِجا ... ولهذه الأضلاع صارت مَكْنِسا
طُوِيَتْ على بيض الدُّمَى فتكانستْ ... فيهـا ظباءٌ يَرتعِينَ الأنْفُسا
فهى الدَّرارِىّ فى الهواجِرِ خُنَّسًا ... وهى الجوارى فى الهوادج كُنَّسا
يَطْرُقْنَ أمواهَ الفـلاة تعرُّبًا ... ويَرِدْن نِيرانَ الضلوع تَمَجُّسا

(١) فى العبارة غموض وتحريف كثير . (٢) التعوق : التثبط عن الأمور .
(٣) زادت ط بعد هذا : « فقال » ولعله يريد : « فقلت » .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « العدى » .

فيهن جائلة الوشاح تنفّست ... فزهاالنسيم أريجها فتنفّسا
زارت كما زار الخيال تستّرا ... وعطت كما يعطو الغزال توجّسا
حذرت من الرقباء[1] حول طرافها ... فأتت تجر على التراب السندسا
[٤٨٧] ملّت بطاريق الرجال وشاقها ... صعلوك حيّ ليس يبقى منفسا
زعمت فتاة الحيّ أنّى مملق ... أرأيت إملاق لجدى مركسا
باتت تهيّجها وساوس حلمها ... حتى إذا الصبح المنير تنفّسا
بكرت تلومك فى الندى كندية ... صدفية تنمى السكون وأشرسا
يابنت عمّى هل سمعت بماجد ... يبكين أوتى الذمّ أطعم أو كسا
لا تحسبى أكل المرار عميدنا ... غرثا ولكن عزة وتغطرسا
أذهلت عن عقبى الندى إنّ الندى ... ليردّ وحشىّ المنى متأنّسا
عقر المطية للعذارى ربها ... فأبيح ثغرا من عنيزة أومسا[2]
لم ينس[3] ميتا بالكلاب وربما ... قد ضاق ذرعا أن يفوه فيلبسا
ونسيت حجرا يوم هيّج بالعصا ... أسدا ومن هاج الأسود تفرّسا
هبطت كواهل ملكه من كاهل ... أبدا أصابت منه يوما أنحسا
فلئن أبيرت مالك أو كاهل ... فلقد أبارت منه قرما أحمسا
قد كان ملك فى كنودك والندى ... فى ظبية فتفرّدا وتقيّسا
كملوك جيش[4] كلما وطئوا الثرى ... وأظن[5] أنّ لها الثرى والأشمسا
ولطودها السّلمىّ قاضيها الرّضا ... كرم وجود ينطقان الأخرسا

(١) فى الأصلين : « الوجناء » ، ولعله محرف عما أثبتناه .
(٢) يقال أومس لمن يريده : إذا لان وسهل . وفى ط : « ألمسا » . وفى م « أونسا » والروايتان محرفتان عما أثبتناه . (٣) فى ط : « لم يمس » .
(٤) كذا فى ط . وفى م : « قيس » .
(٥) كذا فى م وفى ط بياض موضع : « وأظن » . وفى هذا البيت والذى قبله غموض .

شَهِدَتْ له أصحابُه وعِداته حتى الغمامُ إذا هَمَى وتبجَّسا
قَسَمًا لأَنْدَى بالندى واعتاده[1] فينا فسار مع الركاب وعَرَّسَا
وكسا الورى العدلَ المبين[2] وقبلَه سُلِبُوا بجَوْر وُلاتهم تلك الكُسَا
وأعَدَّ أقْدَار الأمور بحَزْمِه[3] ورمى به غرض الخطوب فقَرْطسا
واتَتْه[4] للبيتِ الرَّفيع عمادُه عَمَدٌ له مجدا وعزًّا أقْعَسا
قالوا بنُو ثُعَل : نَفِسْتَ مَكارِمًا تُعْزَى لحاتمها، فقلتُ : وما عَسَى ؟
جيئوا بواحدةٍ لحاتِم طَيِّءٍ من هذهِ وعَلَيَّ أَلَّا أَنْفَسا
أو سائِلونِي فى الأنام سِوى أبى حَفْصٍ فهل تجدون عنه مَعْدِسا[5]
أو فاحملوا بعض الذى هو حامل ليُرِدَّكم منه يَلَمْلَمُ قد رسا
الناس أشباهٌ ولكنْ بينهم فى الفضل ما بين الذُّؤابة والنَّسا
أحسِبتمُ كل امرئٍ غَمْرَ النَّدى ما كلُّ بيتٍ بالشآمِ المقدسا
يا خجلةَ القمرِ المنير وقد رأى عُمَرا بأنواع الجلالة مُلْبَسا
لو يستطيعُ لجاء مقتبسا لها من أُفْقِه وإذا لصادف مَقْبِسا [488]
خاب امرؤ يرجو نداهُ غَضاضة إلا الكفورُ فإنه قد أَبلَسا
طيبتُ أفواهَ الرُّواةِ بمَدْحِهِ فكأنّ عَطّارًا يُضَمِّخ مُعْرِسَا
وعَلوتُ قدر الناطقين بشكره ولئن تمادَى فى نداهُ لأخْرَسَا
يا واحد العُرْب[6] الذى لو صُوِّرت طِرْفا عتيقًا كان منه القَوْنسا
إنِّى دَعوتُك للأمانى الغُرِّ فى ظلَمِ الزَّمان السَّوْءِ أحْكِى يُونُسا

(١) فى م : « قسم الأيدى » ولعله محرف عما أثبتناه . وليس فى ط من هذا الشطر غير كلمة « قسما » . (٢) كذا فى ط . وفى م : « المتين » .
(٣) هذا الشطر فى الأصلين : « وأعد أقران الأمور بخدمة » . ولعله محرف عما أثبتناه .
(٤) فى م « وأنه » ... البيت . ولعله محرف عما أثبتناه . وصدر البيت ساقط فى ط .
(٥) يريد : مذهبا . وفى ط : « هدسا » . وهو تحريف . (٦) فى م : « الغرب » .

إن يَلتقم نُونُ[١] الحوادث مَطلَبي فامدُد له يَقطِينَ جُودك مَلبَسَا
أنت الرِّواء[٢] إذا تعذّر مَوْرِدٌ والماء إن كَدُر الرجاء فأيْأسا[٣]
والعجز أنْ يُرجَى سِواك وإنما أخشَى نَبَاتَ الرَّوضة المتخلِّسا[٤]
فلأنتَ أنفسُ عُقْدةٍ مذخورةٍ لِمَ لا أصون عنِ ابتذالِي الأنْفُسا

انتهى .

ثناء العلماء على القاضى أبى حفص

قال صاحبُ الإشادة العَزَفِيُّ المذكور :

القاضى أبو حفص من مَفاخِر المغرب ، لم يذكره أحد ممن لَقِيَهُ[٥] وتعرَّض لذكره ، إلا أطنب فى الثناء عليه ، ووصفه بالعلم والفضل ، والعدل فى القضاء ، مع براعة النظم والنثر ؛ ويكفى من ذلك ثناء المحدِّث أبى عبد الله محمد ابن عبد الرحمن التَّجِيبيّ ، نزيل تِلِمْسَانَ عليه ، وقد ذكره فى شيوخه فقال : ونقلته من خط الشيخ الفقيه الأجلّ ، الكاتب المُجيد ، الحسيب الأديب ، الأرفع الأكمل ، القاضى المُسَدَّد ، الموفَّق الأعدَل ، أبى حفص . ثم قال : لقِيته بتِلِمسان حرسها الله ، قَدِمَها علينا قاضيا ، فشَمل أهل البلد كلهم أجمعين بفضله[٦] وأدبه وعدله ، وإجلاله وإكباره وحسن خُلُقه ، لا سيّما مع طائفة الطَّلَب ، وأهل الأدب والحسب ، فجزاهُ الله عن نفسه وعنهم أفضل الجزاء ، فلا يَعْرِف الفضلَ إلا فاضل ، ولا يُكرِم الناس إلا كريم ، وكلٌّ يميل إلى جنسه ، وما هو من طبعه ، كما قال بعض الأدباء ، وأجاد فى مقالته ، وأحسنَ

(١) فى م : « حوت » .
(٢) فى ط بياض فى موضع هذه الكلمة . والرواء : الماء الكثير .
(٣) فى ط بياض فى موضع هذا الشطر .
(٤) فى القاموس : أخلس النبات إذا اختلط رطبه بيابسه . نقول : لعله أراد تشبيه أولاده بنبات جف بعضه وبعضه لا يزال غضا .
(٥) فى م : « لقيته » . (٦) فى م : « فضله » .

القول : « ما عبَّرَ الإنسانُ عن فضله ، بمثل ميله إلى أهله » .

وذلك منظوم فى قول الشاعر :

وما عبّر الإنسانُ عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل فى كل فاضل [٤٨٩]

و إن أخسَّ النَّقص أن ينفىَ الفتى قَذَى النقصِ عنه بانتقاص الأفاضل

وامتثل رضى الله عنه قول الآخر: «اصْحَبوا الناس صحبة إن عشتم [معها][(١)] حَنَوْا عليكم ، و إن مُتُّم بكَوا عليكم » . واستعمل ما قاله الشاعر[(٢)] فى كلمته ، ونظَمه فى قافيتــه :

و إنما المرء حديثٌ بعــدَهُ فكن حديثا حسنا لمن وَعَى

فَفَعَل والله ذلك أيام كونه بتلمسان ، واستعمله بطبعه وطبيعته ، وخَلْقِه وخليقته ، إلى أن نقله الخليفة إلى قضاء فاس ، فلا تسأل عما أصاب الناس والإخوان من فقده ، وفقد أدبه وعلمه ، فَذِكْرُه الطيّب ، والثناء الجميل ، باقيان عليه إلى الآنَ بتلمسان ، وهو مستقرٌّ فى غيرها من الأوطان .

وكان أبو حفص رحمه الله حسن الخَلْقِ والخُلق ، مليح الخطّ ، فصيح الخطابة والكتابة ، وكنتُ إذا رأيتُه تمثَّلتُ عند رؤيته والنظر إليه ، بما أنشدَنا شيخنا الحافظ أبو طاهرٍ السِّلَفىُّ الأصْبَهانىّ ، رضى الله عنه ، فى مدح هادى بن إسماعيل:

لهادِى بن إسماعيلَ خَلّاتٌ أرْبَعٌ بهنَّ غــدا مستوجبا للإمامةِ

خِطاب ابن عَبّادٍ ، وخطّ ابن مقلة وخَلْق ابن يَعقوب ، وخُلْق ابن مامَة[(٣)]

---

(١) زيادة تحتاج إليها الجملة الوصفية ، ولعلها سقطت من قلم الناسخ .

(٢) البيت من مقصورة أبى بكر بن دريد . (٣) ابن عباد هو الصاحب إسماعيل ابن عباد وزير آل بويه ، كان من رءوس البلاغة فى عصره . وابن مقلة من أشهر وزراء الدولة العباسية ، وبخطه يضرب المثل فى الحسن . وابن يعقوب : سيدنا يوسف عليه السلام ، وهو مثل فى جمال الصورة ، وكعب بن مامة : أحد أجواد العرب .

وأنشدته رضى الله عنه البيتين ، فاستحْسَنهما وشكر لى ذلك ، وكان لى من بِرّه وتأنيسه و بشره حظّ جزيل ، وقَسْم كبير ، ورغب إلىّ أن أكتب له بخطى بعض ما عندى من أخبار الصالحين ، وأئمة المتقين ، وأولياء الله المطيعين ، فكتبت له من الأحاديث الوعظية العلمية ، والأشعار الحِكْمية ، ما أمكننى ، فسُرّ بذلك ، وشكر عليه ؛ ولما أتى مدينة فاس ، صار يُرِى ذلك أوِدّاءه وأحبابه ، و يشكر عليه ، ويُثْنِى خيرا ، بارك الله تعالى فيه . ثم قدّر الله تعالى بوصولى بعد انفصاله عن مدينة فاس ، وتوليته لقصاء أغمات ، إلى حضرة مَرّاكُش ، حرسها الله تعالى ، وكان بالحضرة المذكورة ، فسمع بذلك ، وكنت نزلت بفُندقٍ من [٤٩٠] فنادقها ، يقال له فُندق السّكر ، فوصل إليه ، واجتمع بى ، فدعوت له وشكرت ، ثم أولانى من بِرّه وتأنيسه ما عهدتُ قبلُ منه ، وزاد عليه ، ورغب فى الوصول إليه إلى أغمات ، فوصلت إليه بعد ذلك ، فرحّب وسَهّل وأَنْزَل ، وأثنى على عند الأصحاب والإخوان خيرا ، وقال ما يصدر عن مثله ، فالعنصر الطيّب لا يَخرج منه إلا طيب ، وكنت معه فى داره فى خِصب وسَعة ، وطَلاقة وجه ، وحسن خُلُق ، وطِيب حديث ، وكريم مُشاهدة ومناشدة ، لنفسه ولغيره .

انتهى ما قصدت جَلْبه من كلام صاحب الإشادة ، المنقول عن التُّجِيبىّ نزيل تلمسان ، رحم الله الجميع .

من نظم القاضى أبى حفص

ولنجعل آخر نظم القاضى أبى حفص رحمه الله قولَه :

العلم يكسو الحُلَل الفاخرهْ والعلم يُحيِى الأعظُمَ الناخرهْ
كم ذَنَبٍ أصبحَ رأسًا به ومِذنَبٍ أبْحُرُهُ زاخِرَهْ[1]

(١) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى ط ، م : « ومذنب أجره آخره » . وهو تحريف .

ما شَرَفُ النِّسبة إلا التُّقَى أين تهيم الأنفسُ الفاخرهْ
مَن يطلب العزّ بغير التُّقَى ترجعُ عنه نفسه دَاخِره[1]
أَعْرِضْ عن الدنيا تكن سيِّدا بل مَلِكا فيها وفى الآخِره

بيت العزفيين أصحاب سبتة

وبيت العَزَفِيّين[2]، الذين منهم صاحب الإشادة بسَبتة — أعادَها الله[3] — مشهور، وكانت لهم الرياسة بها مدة، ثم أعقب الدهرُ جِدَّتها بالبِلَى، ثم كل شىء فانْ، ولا يبقى إلا الواحد الذى ليس معه فى ملكه ثان.

أبو القاسم العزفى

وأبو القاسم منهم هو الذى تأمَّر ورأس سَبتة. وهو أبو القاسم محمد بن القاضى المحدث أبى العباس أحمد بن محمد بن الحسين، بن الفقيه الإمام علىّ (المعاصر لابن أبى زيد)، بن محمد بن سُليمان بن محمد، الشهير بابن أبى عَزَفَة اللَّخمى. ينتهى نسبهم إلى قابُوسَ بن النُّعمان بن المنذِر. وكان قيامه بسَبتة ليلة سبع وعشرين من رمضان، من عام سبعة وأربعين وست مئة، فى دولة المرتَضَى الخليفة بمَرّا كُش، وقَتَل والىَ سَبتة أبا عثمان بن خالد تلك الليلة، وملك طنجة، ودخل أَصِيلا[4]، وهدم [٤٩١] سورها، وتُوُفِّى بسَبته يوم الخميس الثالثَ عشر من ذى الحجة من عام سبعة سبعين ست مئة وله سبعون سنة. وكانت دولته ثلاثين سنة وشهرين وستة عشر يوما، من شَهْدَة[5] بين كتفيه، مرض بها واحدا وعشرين يوما، وكان مولده بسبتة فى منتصف شوال عام سبعة وست مئة.

(١) كذا فى م. وفى ط وجذوة الاقتباس: «داحرة».
(٢) ضبطنا لفظ «العزفى» فى الجزء الأول بسكون الزاى، والصواب بفتحها، فليصحح.
(٣) يدعو المؤلف لمدينة سبتة أن تعود إلى يد المسلمين، لأنها كانت قد سقطت فى يد الأسبان عند تأليفه هذا الكتاب.
(٤) مدينة بالمغرب قربَ طنجة، ويقال فيها أيضا: أزيلا. وليس بعد الهمزة ألف (انظر تاج العروس فى مادة أصل).
(٥) الشهدة بلسان المغاربة: دمل كبير، ولعله ما يسمى الآن فى مصر بجمرة السكر.

بعض تآليف أبى القاسم العزفى

وهو الذى أكمل « الدر المنظَّم ، فى مولد النبى المعظَّم » ، من تأليف أبيه أبى العباس رحمه الله .

ورأيت على نسخة كُتبت فى حياته أولَ الكتاب المذكور ما نصُّه :

قال سالك سَنَن السُّنة ، القائم من أعمال البرّ بما يضيق عنه وُسْع المِنَّة ، المعتصم بحبل الله القوىّ المتين ، المعتمد على لطفه الشامل وفضله العميم المبين ، الشيخ الفقيه الأجلّ ، العلم الأكمل ، أبو القاسم بن الشيخ الفقيه الإمام ، العارف العالم ، علم العلماء العاملين المُتْقِنين[1] ، ونُخبة الفُضلاء الصالحين المتَّقين ، أبى العباس أحمد بن الشيخ الفقيه القاضى العالم المحدِّث ، أبى عبد الله اللَّخْمى ، ثم العَزَفىّ ، من أهل سَبتة حرسها الله ، وأجزل قَسْمه من عفوه ورضاه ، وأنجح عملَه وقولَه وقصدَه ، وجعل فى ذاته وسبيل مرضاته صُدورَه وَوِرْدَه . انتهى .

وفى موضع آخر من هذه النسخة ما نصّه :

السِّفْر الأول من كتاب « الدرّ المنظّم ، فى مولد النبى المعظَّم ، صلَّى اللهُ عليه وسلّم ، وشَرَّفَ وكَرَّم » .

لمّا شرع فى تأليفه ، ومات ولم يكمله الشيخُ الفقيه الصالح ، علم العلماء ، ونُخبة الصالحين الفضلاء ، أبو العباس أحمد ، بن الشيخ الإمام الفقيه ، الصالح القاضى ، العالم المحدث ، المقدَّس المرحوم ، أبى عبد الله اللَّخمىّ ، ثم العَزَفىّ السَّبتى ، رحمه الله ، ورضى عنه ، ونضّر وجهه ، وأجزل ثوابه ، أكمله بعدَه ، وأوضح فيه قصده ، ابنه الشيخ الفقيه الأفضل ، العلم الأوحد ، السَّنِىُّ السَّبْتِىّ ، المبارك الأكمل ، أبو القاسم ، [٤٩٢] أدام الله عافيته ووَفَّقَه ، وشرح صدره ، وختم بالكتاب والسنة ديوان عمله الصالح وعمره ، يذكر فيه بعض ما خصّ الله تعالى به نبيّه صلى الله عليه وسلم ،

(١) فى ط : « المسندين » .

وفَضْلَه على كل من تأخر من خلقه أو تقدّم ، وما امتنّ به عليه وعلى أمته ، فى أن جعله أفضل الأنبياء ، وجعلهم أفضل الأمم ، من بين وَلَد آدم ، ليتخذوا مولده الكريم موسما ، يتركون[1] به ما كانوا يقيمونه من أعياد النصارى وعوائدهم ، التى يجب لمغانيها أن تُعَطَّل ، ولمبانيها أن تُهَدَّم . انتهى .

وكان الرئيس أبو القاسم المذكور كتب خطه بالإجازة فى هذا الكتاب للخطيب أبى على ، بن الخطيب أبى فارس بن غالبٍ الجُمَحىّ ، مع جماعة من أهل سَبتة وأعيانها ، حين قرءوه عليه بالجامع الأعظم من سَبتة ، فى شهر ربيع الثانى ، من عام سبعة وخمسين وست مئة ، قائلا :

أجزت له بحقّ روايتى لما فيه عن أبى ، ومشاركتى له فى تأليفه ، على حكم الإجازة وشرطها ، وصحة الرواية ، عاشرَ الربيع المذكور . انتهى ، وبعضه بالمعنى .

نسبة الغزفيين إلى لخم

ونسْبتهم إلى لَخْم لا مَدفع فيها عند الثِّقات ، وبذلك وصفهم الأكابر ، غير أن ابن الخطيب فى الإحاطة ، نقل عن « الكتاب المؤتمن ، فى أنباء أبناء الزمن » ما نصّه : وتزعم بعض أهل سَبتة أن أصلهم من مجكسة من البربر ، فيقولون : ما للخْم ومجكسة ؟ وهذا موكول إلى قائله ، إذ لا نعلم حقيقة الأمر فيه .

نعم ، الإنصاف فى المسألة أن كل من عُرِف بالأصالة فى المغرب الأقصى ، ولم يُعلم لآبائه قدوم من المَشرِق ، حيث جراثيم العَرب ، ولا قدوم من الأندلس ، حيث أبناء العَرب ، وانتسب مع ذلك إلى قبيلة[2] ، فلا بد له من الاستظهار على ذلك ، وإلا كان ما أتى به مَظِنَّة لأحد أمرين : إما لكون سَلفه من الموالى ، فانتسبوا إلى ساداتهم ، إذ يجوز لمن كان مَوْلَى عَرَبىّ أن ينتسب إلى قبيلة سيّده ؛ وإما للكذب . وهذا أعدل ما يقال . انتهى . [٤٩٣]

(١) فى ط : « يتبركون » . (٢) فى الأصلين : « قبيلة العرب » ، ونظن أن كلمة العرب هنا زيادة من الناسخ ، أو أن الأصل « قبيلة من العرب » .

ونقله فى الإحاطة فى ترجمة الفقيه المشارك فى الطلب والأدب ، أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبى عَزَفَة اللَّخمى[١] . وإلى الله ترجع الأمور .

بعض فضائله وشعره

وكان الرئيس الفقيه أبو القاسم العَزَفىّ المذكور فقيها أصوليا ، نحويا ، لغويا ، محدّثا ، عارفا بالرواية ، شاعرا ، مجيدا .

فمن نظمه فى آل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم :

ذُرِّيَّةَ المصطفَى إنّى أحبكمُ ... وحبكمْ واجب فى الدين مُفْتَرَضُ
فليس يُبغضكم ، لا كانَ باغضُكم ، ... إلا امرؤ مارق فى قلبه مرض
وحسبكم شرفًا فى الدهر أنكمُ ... خيرُ البريّة هذا ليس يُعتَرض
ولَسْتُ[٢] أطلب من حبى لكم ثمنا ... إلا الشفاعة فهى السؤل والغرض

أبناه : أبو حاتم، وأبو طالب فى سبتة

ولما تُوفِّى رحمه الله تعالى قام بعده بالأمر ابنه أبو حاتم أحمد ، ثم خُلع وتولى أخوه أبو طالب عبد الله ، فى سنة ثمان وسبعين وست مئة ، وخُلع ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شوال سنة خمس وسبع مئة ؛ فكانت دولته سبعًا وعشرين سنة ، وتوفِّى بفاس مخلوعا عام ثلاثة عشر وسبع مئة ، وله خمس وسبعون سنة . والذى خلعه الأمير فرَج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر[٣] ، دخل عليه سبتة عَنوة فى الليلة المذكورة ، وقبض عليه .

يحيى بن أبى طالب

ثم تولاها الأمير يحيى بن الأمير أبى طالب ابن أبى القاسم ، ويكنى أبا عمر ، وبويع بسبتة عام عشرة وسبع مئة ، وخُلع فى سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكانت دولته الأولى هذه سنة وستة أشهر . وبويع ثانيا بسبتة فى سنة أربع

---

(١) بحثنا عن هذه الترجمة فى جزأى الإحاطة المطبوعين بمصر سنه ١٣١٩ فلم نجد بهما ترجمة لأبى إسحاق إبراهيم العزفى .
(٢) فى الأصلين : « وليس » .
(٣) فى ط : « أحمد » وهو تحريف (انظر الاستقصا للسلاوى ص ٥٤ ج ٢) .

عشرة وسبع مئة ، وتُوُفِّى بها فى ظهر يوم السبت السادس لشعبان سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وكانت ولادته بها فى رمضان سنة سبع وسبعين وست مئة . وكان فقيها فاضلا ، جميل الوجه ، شجاعا ، بطَلا ، عارفا بالأصول ، والفقه ، والمنطق ، والعربية ، واللغة ، والحديث ؛ وقيل أنه أول من ركب بالرمح والسيف من بنى العَزَفىّ ، [٤٩٤] وجنّد الجنود .

محمد بن يحيى العزفى

ثم ولى بعده ابنه أبو القاسم محمد بن يحيى ، وبويع بعد أبيه فى شعبان ، من عام تسعةَ عشر وسبع مئة ، وخُلع فى صفر سنة عشرين وسبع مئة ، فكانت دولته ستة أشهر ، وتُوُفّى بفاس وهو كاتب الحضرة المَرينية ، ليلة السبت حادىَ عشرَ صفر ، عام ثمانية وستين وسبع مئة ، وله ثمان وستون سنة . وولد بسبتة فى شوال ، عام تسعة وتسعين وست مئة . وكان فقيها شاعرا مكثرا ، مليح الفكاهات ، وشّاحا ، وقد بَزّ أهل زمانه فى الموشّحات ؛ وقد حُكِى عنه أنه أراقَ الدواة فى مَحفِل جليل ، فقال بديهة :

ألا يا كرام الناس غُضُّوا جفونكم ... فإنّى من الفعل القبيح مُرِيبُ
هَرَقْتُ دَوَاةً وهى كالكأس بينكم ... وللأرض من كأس الكرام نصيبُ

وكان مُولَعا فى نظمه بالتورية .

وعزم السلطان أبو عنان لما أخذ قُسْطَنْطِينَةَ على استعماله بها ، فبكى لبعد الشُّقة عن ولده و بلده ، فتركه . وهو آخر المذكورين من هذا البيت . رحم الله الجميع .

صاحب الإشادة من بنى العزفى

وصاحب الإشادة المتقدم الذكر ، هو عم أبى القاسم محمد بن يحيى هذا ، لأن صاحب الإشادة كما أسلفنا ، هو عبدالرحمن بن أبى طالب عبدالله بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد ، وهذا محمد بن يحيى بن أبى طالب عبد الله بن محمد بن أحمد .

تعريف الإشادة بابن خبازة الشاعر

وقد عرّف فى إشادته بابن خَبّازة ، ورأيت أن أذكر بعض ذلك ، فنقول :

هو أبو عمرو ميمون بن على بن عبد الخالق الخطّابى ، نسبة إلى قبيل من صَنهاجة ، الذى بقطر فاس ، ويعرف بابن خَبّازة ، نسبة إلى خاله الشاعر المشهور بابن خبّازَة . عرّف به أبو عبد الملك المرّاكُشى فقال : كان بارع الخط ، وكان من أكبر أعاجيب الدهر فى سرعة البديهة ، ناظما أو ناثرا ، مع الإجادة التى لا تجارى ، والتفنن فى أساليب الكلام (١) مُعْرَبِه وهزله (١) ، على اختلاف اللغات . تَطَوّر (٢) كثيرا وتصوف ، ونَسَك ووعظ ، وكان فى آخر عمره جانحا إلى امتداح ملوك عصره ، فكان يأتى فى ذلك بما لم يُسمع بمثله ، ولا يُطمع فى لَحاقه ، بسرعة ارتجال ، وحسن افتنان ، وسُرْعة امتثال ، وله فى ذلك (٣) أخبار غريبة عريقة . [٤٩٥] وولِى بأَخَرة حِسْبة (٤) الطَّعام بمراكُش .

وذكره أبو عبد الله بن الأبّار (٥) فى التُّحْفة ، فيمن لم يجد له غير الهجاء ، وظلمه ، كما أثبت أبو بكر بن رفاعة الشَّريشى ، وقد شهد فيه فى كتاب التكملة له ، بما يخالف ذلك ، وكناه أبا سعيد ، وذكر أنه لقيه بإشبيلية ، وسمع منه بعض كلامه فى غير ذلك بمالَقه ، وتُوُفِّى برِباط الفتح ، فى أول سنة سبع وثلاثين وست مئة .

بعض أشعار ابن خبازة

وأنشد له من قصيدة :

وَجَـــد النُّبوّة حُلّةً مَطْوِيَّة ... لا يستطيع الخَلْقُ نَسْج مِثالها

فأمَرّ حَسْوًا فى ارتغاء يَبتغى ... بمحاله نسْجا على مِنوالها

وذكر أنه قالها بمراكُش . انتهى .

(١ — ١) كذا فى ط . وفى م : « معربة وهزلية » ، وفى جذوة الاقتباس والنبوغ المغربى : « هزله وجده » . (٢) فى الأصلين « تطورا » .

(٣) فى ط : « أمثاله فى ذلك » . وفى م : « أمثال فى ذلك » ولعله محرف عما أثبتناه ، يريد أنه سريع تصور المعانى .

(٤) كذا فى جذوة الاقتباس والنبوغ . وفى م : « مشيخة » ، وفى ط بياض فى هذا الموضع . (٥) كذا فى م ، وفى ط « أبى » ثم بياض بعدها بسم كلتين .

قال صاحب الإشادة : قال هذه القصيدة [1] فى المأمون بن المنصور ، حين تبرأ من إمامهم المهدىّ ، وأبدى مساويَه [1] ، وأسقط اسمه من الخُطبة ، وهو المعنىّ بقوله : « وَجَدَ النُّبوّة حُلة مطوية » .

وقد كتبَ عن أبى عَمْرو هذا كثيرا من شعره أبو عمرو بن سالم بن صالح النهروانى المالَقى ، الأديب المقيِّد الضابط ، وتاريخ إجازته إياه سنة أربع وست مئة . ومات ابن سالم قبله بست عشرة سنة .

قصيدته فى رثاء ابن الجد

ومن شعره ، أى أبى عَمْرو المذكور ، يرثى أبا محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن عبد الملك ، بن الحافظ أبى بكر بن الجَدّ ، ويُعزّى أباه عنه ، وهو يومئذ وزير إشْبيلِيَة وعظيمها ، وكانت حينئذ حاضرة الأندلس :

أَرجّةُ الصَّعْقِ يوم النفخ فى الصُّورِ ... أم دكّةُ الطَّوْدِ يوم الصَّعْقِ فى الطُّور
أم هُدَّتِ الأرض إظهارًا لما زَجرت ... به الخليقةَ من إيقاع محذور
أم الكواكبُ فى آفاقها انتثرتْ ... وباتت الشمس فى طىٍّ وتكوير
ما للنهار تعرّى من ثياب سَنىً ... وأشْبَهَ الليلَ فى أثواب دَيجور [٤٩٦]
قد كان للصُّبْح طَرف زانه بَلَق ... فقسم الخلق بين الدَّجْن والنور
فما المُلِمُّ الذى غَشّى بدُهمته ... أديمَه عَنبرًا من بعد كافور
أَصِخْ لتسمعَ من أنبائها نبأً ... يَطوِى من الأُنس فيها كل منشور
وانظر فإن بنى عَدْنان ما حُشِرُوا ... إلا لرُزْء عظيم القدر مشهور
وافَى مع العيد لا عادَتْ مَضاضته ... فَشاب سَلسالَه الأصفى بتكدير
واعتام دارًا لها فى السبق جمهرة ... من المفاخر أزرتْ بالجماهير

(١ — ١) تكرر ذكر هذه العبارة فى ط هنا وقبل البيتين مباشرة ، فأثبتنا العبارة مرة واحدة كما فى م .

رمى قُريشًا فأصمَى سهمُ حادثهِ ... أبنـــاء فِهْرٍ بتفريق المقاديرِ
فخانها الجَدّ فى ابن الجَدّ حين قضَى ... وأثَّر الخطب فيهـــا أىَّ تأثير
لله والمجـدِ ما أبقاه من أَثَرٍ ... أُخرى الليالى بطيب الذكر مأثور
نُوَّارَةٌ عندما راقتْ بدوحتها ... أهوت إلى الترب من بين النَّواوير
جار الذبولُ عليها بعدما مَلَأَتْ ... مَعاطِس الدّهر من طيب وتعطير
وسيبُ بأس لكسر الخطب أغمدَه ... صَرفُ الحوادث فيها بعد تكسير
قضى فوافقَ شهرَ الصوم مرتحلا ... ووافق الشهرَ فى فضـل وتطهير
واختاره خاطب الخطب الملمّ به ... للصِّهر كُفْئًا فأمضى العَقد للحور
فسار للحَين مسرورًا وخلَّفنا ... للحُزْن فاعجبْ لمحزون بمسرور
نادته أنجشةَ الأحزانُ يوم حدا ... أظعانَ قلبىَ رِفقًا بالقوارير
فالوجْد والدمع من حُزْن قد اقتسما ... قلبى وَجَفنى بمنظوم ومنثـور
فالقلب بالغيظ فى تصعيد مستعرٍ ... والجفن بالفيض فى تصويب ممطور
وسائق الخطب يشدو الحاملين به ... يسوقهم سـوق حادى العِير للعِير
وللملائك فى آفاقهـا زَجَل ... قد شيّعته بتهليل وتـكبير
أثنى المصاب على شيخ الجزيرة فى ... عَقْد وحَلّ وتقديم وتأخـير

وهى طويلة جدا ، ومنها :

مُقدِّمات الليالى طالمـا فضحتْ ... نتائجُ الغدر منهـا كلَّ مغرور
جمعُ السّلامة معدوم الوجود بها ... وكم بها للرَّدَى من جمع تـكسير
وعامل الموت قد أحصى مهندسُه ... منازل العمر عدًّا دون تـكسير[1]
والأرض طِرْس وهذا الخَلْق أحرفه ... والحرف ما بين ممحوّ ومبتور

(١) لم نجد هذا البيت فى جذوة الاقتباس ، مع أنه روى القصيدة كاملة .

والدهرُ يُعرِب بالأفعال يُظهرها طَورا ويُعْجِم منها كل مسطور [٤٩٧]
وإنما الخلق أسماءٌ تعاوَرَها إعرابُه بين مرفوع ومجرور
وكلهم فى مَدَى الأعمار تحسبهم كحالها بين ممدود ومقصور
والموت مثلُ عَروضِيٍّ يقطِّع من أبياتهم كلَّ موزون ومكسور
يا من يؤمل أن يبقى وقد[1] نُفِضتْ أيدى المقادير من إبرام تقدير
هذى الحقيقةُ لا ما حَدَّثَتْكَ بِهِ آمالُ نفسك عن دنياك من زور
لا تَخْدَعَنْكَ اللَّيالى إن فتنتَها كادتْ فكادتْ ترينا كل محذور
كم بادرتْ[2] بعُبوسِ الخطب من مَلِكٍ قد[3] بات بالبشر وَضَّاح الأسارير
سائلْ بكسرى مليكِ الفُرس هل تركتْ له المنايا جَناحا غير مكسور
وانزل بصنعاء فى قصر ابن ذى يَزَنٍ تُلْمِمْ بقصرٍ على الأغيار مقصور
واعبُر على حِيرة النُّعمان معتبرا تعبُرْ بأطلال نُعْمَى ذاتِ تغيير
وأين من كان سَجْن الجن فى يده والإنسُ والجن فى قهر وتسخير
وأينَ مخترقُ الدنيا بعَزمته يَطْوِى البلاد بها طىّ الطوامير
بادُوا فليس بها بادٍ يُحَسُّ به منهمْ وأفناهمُ ريب الدهاريرِ
هو القضاء أبا بكر أُصِبْتَ بهِ فاصبرْ وسلِّم له تسليم مأجور
والله يحرُس دنياكمْ ويدفع عن سامى معاليك أنواع المحاذير

وله فى قبة ليحيى بن الناصر الموحدى

وحُكِى أن المعتصم يحيى بن الناصر بن المنصور الموحِّدِىّ ، ضرب بظاهر مرّاكُش قُبَّة حمراء ، فبادر إليها العرب والنصارى من عسكر عمه المأمون ؛ فقطّعوا أطنابها ، فسقطت ، فقال فى ذلك أبو عَمْرٍو وهذا من قصيدة :

(١) كذا فى م وجذوة الاقتباس . وفى ط : « وكم » .
(٢) فى ط : « باكرت » . (٣) فى ط : « كم » .

أُنظر إلى القبّـة الحمراء ساقطةً ... لما رأت مُضَرَ الحمراء عن كَثَبِ
من كان أولَى بها إن كنت ذا بصر ... العُجْم أو مَعْدِن العَلْيا من العرَب
وإنما سجدتْ لما سَمَتْ وغدتْ ... فوق الضَّلال وكانت أعجب العَجبِ

ومن رائق نظم أبى عَمْرو قوله : وله فى الحنين إلى أحبابه

هبّ النسيم ضُحًى ففاح المَنْـدَلُ ... وتأرّجتْ منـــه الصَّبا والشمألُ
أسْرَى عليلا[1] فاستحث إلى الصِّبا ... صَبًّا بأنفاس الصَّـــبا يتعلَّل
يَهْوَى العَذِير[2] وساكنيه ومن له ... لو كان يدنو منـــه ذاك المنزل
ما شامَ برقا بالفَضا إلّا أنبرى ... شوقا على جمر الغَضى يتململ
والبرق فى نَقْع السحائب سيفُه ... سيف الكمىِّ إذا يَكُرّ ويحمِل [٤٩٨]
فكأن ذاك البرقَ واشٍ قد مشى ... بنميمة والرعـــدَ لاحٍ يَعْذُل
وأنا الفِداء لجيرةٍ نزلوا الحِمَى ... وحِمَى القلوبِ هو الحمَى والمنزل
وتحمّلوا يوم الفِـــراق وإنما ... بقلوبنا يوم الفراق تحمّلوا
قَبَسُوا ومن قلب المعذَّب مَوْقِدٌ ... وَرَدُوا ومن جفن المعَنَّى مَنْهَل
ما ضرّهم إذ أعرضوا لو عرّضوا ... للوصل أو ذكروا العهود فأقبلوا
حَمَلوا الجَمال على الجمال كأنما ... أفلاكها منهـا الأهلة تَكْمُل
أبدتْ لنا حَلْى الطُّلَى وتبسمتْ ... زَهْرا فراق مُقَـلَّد ومُقبَّل
ومن العجائب أن أهيمَ بجنَّةٍ ... حَلَّتْ بقلبى وهو نارٌ تُشعَل
ويُهان مُرْسَـلُ ناظرى فى حبها ... ومن التناصف أن يَعَزَّ المرسَل

ومن شعره رحمه الله تعالى هـذه القصيدة الفريدة ، التى مدح بها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأشار إلى جملة من مناقبه الربانية ، ومآثره العرفانية ، وآياته وله فى مدح النبى

(١) فى جذوة الاقتباس : « أبرا غليلا » . (٢) مكان نزه .

الباهرة ، ومعجزاته الظاهرة ، صلى الله عليه وسلّم ، وشرّف وكرّم ، ومجّد وعظّم ، وبارك وأنعم ، وتحنّن وترحّم ، وهى قوله :

حقيقٌ علينا أن نجيب المعاليا ... (١)لنُفْنِيَ فى مدح(١) الحبيب المعانيا
ونجمعَ أشتاتَ الأعاريض حِسْبةً ... ونحشُدَ فى ذات الإله القوافيا
ونقتادَ للأشعار كل كتيبة ... لنصر الهُدَى والدِّين تَرْدِى الأعاديا
فألسُن أرباب البيان صوارم ... مَضاربُها تُنسِى السيوفَ المواضيا
لِنُطْلِعَ من أمداح أحمد أنجمًا ... تلوحُ فتجلو مِن سناهُ الدياجيا
كواكب إيمان تُنير فيَهتدى ... بأَضوائها من باتَ للحقّ(٢) ساريا
سَهَوْتُ بمدح الخلق دهرى فهذه ... سُجودى لجبرى كلّ مَا قلت ساهيا
فلا مـدْحَ إلا لِلَّذى بمديحه ... تُطيع إذا ما كنتَ بالمدح عاصيا
رسولٍ براه الله من صفْو نوره ... وألبسه بُرْدا من النُّور ضافيا
وما زال ذاك النور من عهد آدمٍ ... يُنيرُ به اللهُ العصور الخواليا
تَوَى فى ظهور الطيِّبين يصونه ... وديعةَ سرّ صار بالبعث فاشيا
وخَصّ بطون الطيِّبات بحمله ... ليحملنَ فَرْعا بالسيادة زاكيا
به وَزَن الله الخلائقَ كلَّهم ... فألفاه فيهم راجحَ الوزن وافيا [٤٩٩]
وأنقـــــذَنا من ناره بظهوره ... ولولاه كان الكلُّ بالشرْك صاليا
وآدمُ لمّا خاف يُجْزَى بذنبه ... توسّـــــل بالمختار لله داعيا
فتاب عليـــه الله لما دعا به ... وأدناه منه بعد ما كان نائيا
وقد يُهْجَر المحبوب فى حالة الرِّضا ... ويَأبى الهوى ألا يُصدِّق واشـيا

(١ — ١) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى ط : « لنفنى فى حق » وفى م : « لنقضى من حق » .
(٢) كذا فى الأصلين . وفى جذوة الاقتباس : « بالجد » .

«وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكنّ عين السُّخط تبدى المساويا»[1]

وأدرك نوحا فى السفينة رَعيُهُ ... فخلّصه إذ كان فى الموج داعيا[2]

وما زال سامٌ وهو ثانٍ بظهره ... على أخويه بالفضائل ساميا

فخُصِّصَ حتى بالمكان كرامةً ... وأُسكِن فى أعلَى البلاد مَراقيا

وأُنزِل حامٌ بالجَنوب مجانبا[3] ... ويافثُ فى أقصى الشَّمال مُؤازيا

وأُنزِل سامٌ للفضيلة[4] وَحْدَه ... بأوسط معمور البلاد الأعاليا

وبادَرَ جبريلُ الخليلَ لأجله ... ليحميَه إذ أبصر الجمْرَ حاميا

وَيَخْبُرَ فى وقت البلاء يقينَه ... فصادف وِرْدَ الخُلّة العَذْبَ صافيا

فقال له : هَلْ تَسْأَلَنِّى كِفايةً ... فجاوبه حسْبى بربىَ كافيا

فكانت عليه النارُ بَرْدا كما أتى ... به وسلاما وهى نارٌ كما هيا

وجازاه فى الإسراء عنها نبيُّنا ... وأُلهِمَها فوق السموات ساريا

فلما انتهى جبريلُ عند مَقَامِه ... بحيث تلقى الأمرَ ألّا تَمادِيا[5]

أشار على المختار أن سِرْ فإنه ... مَقَامِىَ لا أعدُوه ما دمتُ باقيا

فناداه يا جبريلُ : هل لك حاجةٌ ... إلى الله فاسألها[6] لتُعطَى الأمانيا

فقال له : سله لأبْسط رغبة ... على النار منِّى للعُصاة جناحيا

فدُلِّىَ فى أفق المهامِهِ رَفرف ... وزُجّ بُرَاقُ العزّ فى النور راقيا

ومن أجله خَصّ الذبيحَ فداؤه ... وفى ظَهره المختارُ أصبح ثاويا

فَداه بذِبح عظّم الله شأنه ... لأن كان دهرا فى الفراديس راعيا

(١) هذا البيت من مقطوعة لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، رواها المبرد فى الجزء الأول من الكامل .
(٢) فى جذوة الاقتباس : « جاريا » .
(٣) فى ط : « مجافيا » .
(٤) كذا فى الجذوة ، وفى الأصلين : « ذو الفضيلة » .
(٥) فى جذوة الاقتباس : « بحيث يرى نورا وحجبا عواليا » .
(٦) كذا فى جذوة الاقتباس : وفى الأصلين : « تسألها » .

وثنّى بعبد الله حاملِ فضله ... فكان بذاك الفرع للأصل راقيا[1]
لذلك ما قال الرسول منبّها : ... أنا ابن ذَبيحيها يَعُدُّ المعاليا
وعفّ أبوه إذ دعتْـه لنفسها ... فتاةٌ رأتْ نور النبوة غاديا[2]
مضى ولذاك النور بين جبينه ... شُعاعُ سنًى يُعْشِي العيونَ الرّوانيا
فأعرض عنها ثم سار لشأنه ... وكان له الرحمنُ بالحفظ واقيا [...]
وعاد وقـــد أدّى أمانة ربه ... لأمّته وعْـــدا من الله ماضيا
ومرّ على حيّ الفتاة فنُوديت ... هلمّى تصادفْ لذعةُ الحبّ راقيا
فقالت لهم قد كان ذلك مرة ... لأمرٍ عَصَيْنا فى هواهُ النواهيا
أردت بأن أُعْطَى سَناه وقد قَضَى ... لغيرى[3] به من كان بالحق قاضيا
وكم طالبٍ ما لا يُنـال وقاعِدٍ ... سعادته تُبْدِى له السؤلَ دانيا
وكم شـاهدتْ من آيةٍ أمّهُ به ... يصير بها جِيدُ الديانة حاليا
رأت فى معاليه مرائىَ جمّـة ... فصدقتِ الآثارُ منـه المرائيا
وقيل لهـا بشراكِ فزتِ بخير مَن ... يُرَى فوق أكناف البسيطة ماشيا
وحَفّت به الأملاكُ فى حين وضعِه ... بليلة إفضال تَزين الليـاليا
وبَشّر رضـوانُ الجِنانَ بخلقه ... ففتّح[4] جنـاتِ النعيم الثمانيا
ونادى منادِى العز طوفوا بأحمدٍ ... جهاتِ الدُّنا طُرًّا وعُمّوا النواحيا
بدا واضعا كفّيه بالأرض رافعا ... بعينيه نحو الأُفْق بالطَّرف ساميا
وأعْول إبليسُ اللّعينُ وقال قد ... يئست وقِدْمًا كنت للكفر راجيا
وصـار إلى صَنعاء شيبةُ جدُّه ... فحلّ محلا للوفادة قاضِـيا

(١) كذا فى الجذوة . وفى ط : « وافيا » . وفى م : « باقيا » .
(٢) كذا فى الجذوة ، وفى الأصلين : « عاديا » .
(٣) فى جذوة الاقتباس : « لعمرى » . (٤) فى ط : « يفتح » .

وحَيَّا بغُمدانَ ابنَ ذى يَزَنٍ بها ... وهنَّأه بالملك إذ عاد واليا
فقرَّبهُ دون الوفود وخَصَّهُ ... ليسمع قولا فى الرسالة شافيا
وقال له إنا وجدْنا بكُتْبنا ... نبيا يُرَى من نحو أرضك آتيا
يموت أبوه ثم تَهْلِكُ أُمُّه ... ويكفُلُه بعضُ العُمومة حانيا
وقال له والبيتِ ذى الحُجْبِ زارهُ ... وُفود الورَى جابُوا إليه الفيافيا
لأنت على ما يَقْتضِى الْوَعدُ جدُّه ... فَشَيِّدْ به للمجد ما كنت بانيا
وقال له احفظ ما أقول فإنه ... سيملك أرضِى إذ رأى الملك واهيا
وقول هِرقْلٍ إذ أظلَّ زمانُه ... فقال أرى مُلْك الختان مُدانيا
وطالعَ فيه مُصْحفَ الأفق ناظرا ... كما زعموه يستشير الدَّراريا
فلم تَنقَضِ الأيام حتى أتى له[1] ... كتابُ رسولِ الله للحقّ داعيا
فباحث عنه أهل مكةَ سائلا ... وكان بأوصاف النبيّين داريا
ولبَّى الهُدَى لما دعاه جمالُه ... وهام قليلا ثم ألْفِىَ ساليا
[٥٠١] وورْد الرِّضا لا يُهْتدَى لسبيله ... فَيُرْوَى به مَن كان فى الله صاديا
وإيوان كسرى ارتَجَّ ليلةَ وضعه ... وبات عليه قصرُهُ متداعيا
وزاد برؤيا الموبَذَان ارتياعُه ... فأذهله أن يستبين المساعيا
وفسَّرها شِقٌّ وشَقَّ غُبارَهُ ... سَطيحٌ بسجع قَصَّ[2] ما كان رائيا
فنصًّا على إرسال أحمد مُثْبِتًا ... لدين الهدى بالرَّغم للكفر ماحيا
وأُخْمِدت النيرانُ نيرانُ فارسٍ ... وكانت تَلظَّى ألفَ عامٍ تواليا
وحُمِّل ذاك الحِلْم حِجْرَ حليمةٍ ... لتُرضعَه دَرَّ الفضائل صافيا

(١) كذا فى جذوة الاقتباس ، وفى الأصلين : « حتى أحبه » .
(٢) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى م « فيه » . والكلمة ساقطة فى ط .

أبَى حملَهُ النسوانُ لليُتْمِ وانبرتْ ... له فرأتْ من حِينها الرزق ناميا
فحازت به السبقَ الأتانُ كرامةً ... وأخصبَ مرعاها ففاق المراعيا
وشارفُها إذ لا تَبِضُّ بقطرةٍ ... فصارت به ثجّا تُرَوِّى الصواديا
وفى حيّها وافاه جبريل قاصدا ... وأقبل ميكائيل بالأمر تاليا
فشقّا به صدرَ النبى لشرحه ... فكان لما يُلْقِى له الله واعيا
وردّاه فى الحِين التئاما فما تَرَى ... سِوى أثرٍ ما زال للشرح باقيا
وجاءا بمنديل وطَسْت ليغسلا ... بماء الرضا قلبًا عن الله راضيا
وعاد أخوه جازعا مخبرًا بما ... جرَى من مَخُوفٍ كان للأمر جاريا[1]
فسارتْ به من حِينه نحو أمّه ... تخاف عليه إن أقام العواديا
وما زال محروسًا أمينًا مؤمَّنا ... سَبوقا صَدوقًا سامِىَ القدر عاليا
حبيبًا[2] وفيًّا خاشعًا متواضعًا ... كريمًا حليما يستفِزّ الرواسيا
وفى سَيره للشام شام بقربه ... بُرُوق الهُدَى من لم يكن قطُّ رائيا
أكبّ عليه فى طريق مَسيره ... إليها بَحِيرا للهُدى مترامِيا
ولما رأى تلك العلامَة لم يزل ... لما وافق الكُتْب القديمة باكيا
وكانت به من غُلّة الشوق عِلّة ... فساق له اللهُ الطبيبَ المُداويا
وقصّته فى ذى المَجاز وعمُّه ... به ظمأٌ قد صيَّر الصبر فانيا
فأهْوَى ولاماه إلى الأرض راكضا ... ففجّر يَنْبوعًا من الماء جاريا
وكم بان من يُسْرٍ لمَيْسَرةٍ به ... يَرُدُّ أخا سُكْرِ الغَواية صاحيا
فكان إذا اشتدّ الهجير أظلّه ... غَمام عليه لا يزال مماشيا

(١) كذا فى ط وجذوة الاقتباس . وفى م : « راجيا » .
(٢) كذا فى ط وجذوة الاقتباس . وفى م : « حييا » .

[٥٠٢] وأخبره نَسْطُور بُصْرَى ببعثِه فأظهر من غيب الرسالة خافيا
وبُغِّضت الأصنام للمصطفَى فلم يزلْ هاجرًا فعلَ الضلالة قاليا
وكان يرى ضَوءًا يلوح لعينه ويسمعُ تسليما عليه مُحاذيا[1]
ويأتى حراء للتعبد[2] قاصدًا محبًّا لأسباب الوصال مراعيا
ويخرج من بين البيوت لعلَّه يحدّث عنه النفسَ فى السر خاليا[3]
وكان رآه[4] اللهُ أكرمَ خَلْقِه فأرسله بالحقّ للخلْق هاديا
وأسرَى به ليلا إلى حضرة العُلا فما زال فيها للحبيب مناجيا
وسار على ظهر البُراق كرامة له راكبًا إذ سار جبريل ماشيا
ولما أتاه الوحىُ وارتاع قلبه لشدّة ما قد كان منه مُلاقِيا
فسارتْ به عمدًا خديجة زوجُه لتسأل حَبْرا بالزّمانة فانيا
وكان امرأً قد مارس الكُتْب قارئا وبات لضِيفان المعارف قاريا
فبشّره أن سوف يَطلعُ صُبْحُه فيكشفُ من ليل الغَواية داجيا
وقال له يا ليتنى كنتُ حاضرا بها جَذَعا أُوليك نفسى وماليا
ووقتُك إن يدرك زمانىَ يومُه ومَن لى به أنصرْك نصرًا مُواليا
وآيتُه فى الغار إذ نزلا به وكان له الصِّدِّيق بالصدق ثانيا
وقد أرسل الله الحَمام لبابه وقارنَه بالعنكبوت مضاهيا
فماض على الفَوْر الحمامُ وَشَيَّدتْ من النسج أيدى العنكبوت مبانيا
فدافع عن صدِّيقه ورسوله بأضعف أسباب الوجود مقاوِيا
وكم آيةٍ خَصَّتْ سُراقةَ إذ مشى على أثَرِ المختار للغار قافيا

(١) فى ط : « مجازيا » . (٢) فى م : « للتحنث » .
(٣) هذا البيت مأخوذ من قول مجنون ليلى :
وأخرج من بين البيوت لعلنى أحدث عنه النفس فى السر خاليا
(٤) كذا فى م وجذوة الاقتباس . وفى ط : « يراه » .

فشاهد آثارًا من الخَسْف كاد أن ... يكون لقارونِ السَّفاهِ مُؤاخيا
ولما دعا بالهـــاشميّ أجاره ... فأبصره فى الحِين من ذاك ناجيا
وأصحبه منه ظهيرًا مُكرّما ... بخط أبى بكر يُخيف الدواهيا
وأخبره أن سَوْفَ يفتح أمرُه ... مدائنَ كِسرَى والبلادَ الأقاصيا
وَيُجْعَلُ فى كفيه من بعد فتحها ... سِوازاه ممَّا يُحرِز الدِّينُ ساميا
فأنجزها الفاروق فى حين فتحها ... له عِدَةً بالصدق فيها مُباهيا
وآيته فى خَيمتى[1] أم معبدٍ ... وفى الشاة إذ لم تَبْقَ تصحَب راعيا
وَفى الذئبِ إذْ أقْعَى وأخبَر مفصِحا ... عن المُصطفَى والذئب ما زال عاويا
وفى الضَّبِّ لمّا أن دعاه أجابهُ ... وقال له لَبَّيك لَبَّيك داعيا[2]
وآيته إذ فارق الجِذْعَ فضلُه ... فحنَّ إليه الجذعُ فى الحال شاكيا [٥٠٣]
وإن انشقاق البدر أعظم آيةٍ ... تردُّ على من كان للدين زاريا
وفى الجَمَل الآتى بحضرة صحبه ... ليشكوَ تكليفَ المشقة راغيا
وقِصَّتُه فى المَحْل لمّا دعا لهم ... فأبصرتَ سُحْبًا كالجبال هواميا
وسال به وادى قناةَ[3] لأجله ... ثلاثين يوما لم يزل متواليا
وفى قصة الزَّوراء[4] للخلق آيةٌ ... وذِكرى لعبدٍ كان للذكر ناسيا
دعا بإناء ليس يَنْقَع ماؤُه ... لقلته بالرِّىِّ من كان صاديا
ففاض نَميرُ الماء بين بَنانه ... وكان وَضوءا للكتيبة كافيا
ورَكوته يوم الحُدَيْبِيَة التى ... أفاضَ بها الله البَنانَ سواقيا[5]

(١) فى م : «جبهتى» . (٢) هذا البيت والذى قبله ساقطان فى ط .
(٣) وادى قناة : من أودية المدينة . وفى حديث أنس بن مالك (أن النبى صلى الله عليه وسلم لما استسق سال وادى قناة شهرا ، ولم يأت أحد من ناحيته إلا حدث بالجود) .
(٤) الزوراء : موضع بالمدينة قرب المسجد ، استسق النبى عنده .
(٥) فى جذوة الاقتباس : « سوانيا » .

وإشباعُه الجمَّ الغفيرَ بقَبضة من التمر حتى شاهدوا التمر باقيا
وإخبارُه بالشيء من قَبل كونه فيأتى على النصّ الذى قال حاكيا
فأخبر ذا النُّورين أنْ ستُصيبُه على الأمر بلْوَى تُعْقِب الأجْر وافيا
وأخبر عَمَّارًا بأن حياته سيقطعها بالقتل من كان باغيا
وقال لذى السِّبطين أشقَى الورى الذى سَيَخْضِبها من هامة الرأس عاصيا
يُصادِف[1] نَورالشَّيْب أبيض ناصعا فيسقيه صَوْبَ الْحَتْف أحمرَ قانيا
ونصَّ على السِّبْط الشهيد بكَرْبَلا فقام له الدين الحنيفىّ ناعيا
وفى الحسَن الزاكى أبانَ بأنه سَيُصْلِح بين الناس للأجر ناويا
وقال لقوم إن آخرَكُمْ بها مماتا سيَصْلى جاحِمَ الجمر حاميا
وقال إذا ما مات كسرَى فما ترى سميّا له أخرى الليالى مُساميا
وأخبر عن موت النجاشىّ حِينَه وبينهما بحر من الموجِ طاميا
وقال على قُرب الحِمام لبنتِه تموتين بعدى فافرحى بلقائيا
وآياته جلّتْ عن العد كثرة فما تبلغُ الأقوال منها تناهيا
وأعظمها الوحى الذى خصّه به فبلّغ عنه آمِرًا فيه ناهيا
تحدَّى به أهلَ البيان بأسرهم فكلُّهمُ ألفاه بالعجز وانيا
وجاء به وحْيًا صريحًا يَزيده مرور الليالى جِدَّة وتعاليا
تضمَّن أحكام الوجود بأسرها وحكمَ القضاء[2] مثبتًا فيه نافيا
[٥٠٤] وأخبر عما كان أو هو كائن يُرَى ماضيا أو ما يُرَى بعدُ آتيا
ووافق أخبار النبيِّين كلَّهم وتمَّم بالغايات منها المَباديا

(١) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى الأصلين : « فصادف » .
(٢) فى جذوة الاقتباس : « وعم القضايا » .

وما كتبتْ يُمناه قطُّ صحيفةً ولا رِيء يومًا للصحائف تاليا
عليه سلامُ الله لا زال رائحا عليه مَدَى الأيام مِنَّا وغاديا

* * *

ختم الجزء الثانى

ولتكن هذه القصيدة الفريدة النبوية ، آخر ما أوردناه فى روضة الورد ، فقد طال الكلام واتسع وكثر السَّرْد ، على أنَّ ما تركناه أكثر مما جلبناه ، [وقد انثالت علينا أشغال شاغلة من خطوب الدهر ، والله يبلغنا من رضوانه ما طلبناه] .

ونسأل الله تعالى حسن الختام ، وأن يدفع عن قلوبنا القَتام ، بجاه سيدنا ومولانا محمد المصطفى خير الأنام ، صلى الله عليه وسلم ، الذى جعلنا مديحه مِسك الختام .

انتهى الجزء الثانى من كتاب أزهار الرياض ، فى أخبار عِياض
ويتلوه الجزء الثالث وأوله :

روضة الأقحوان

فى ذكر حاله فى المنشأ والعنفوان

أبواب الفهرس

١ —	فهرس الشعراء	٣٩٥ — ٣٩٦
٢ —	« الأعلام	٣٩٧ — ٤٠٦
٣ —	« القبائل	٤٠٧ — ٤٠٨
٤ —	« الأماكن	٤٠٩ — ٤١٣
٥ —	« الكتب	٤١٤ — ٤١٥
٦ —	« الأيام	٤١٦
٧ —	« الأمثال	٤١٦
٨ —	« القوافي	٤١٧ — ٤٢٠
٩ —	« الموشحات والأزجال	٤٢١ — ٤٢٤
١٠ —	« أنصاف الأبيات	٤٢٥
١١ —	« الموضوعات	٤٢٦ — ٤٢٩

فهرس الشعراء

(ا)

إبراهيم التازى : ٣٠٩
ابن آجروم = أبو المكارم منديل بن آجروم
ابن باجة = الحكيم أبو بكر بن باجة
ابن بقى = يحيى بن بقى
ابن بهرودس = ابن هردوس
ابن جحدر = أبو الحسن بن جحدر الإشبيلى
ابن حزمون : ٢١١
ابن الحكيم : ٣٤٥ ، ٣٤٦
ابن خرز البجائى : ٢١٢
ابن خلف الجزائرى : ٢١٢
ابن خميس التلمسانى أبو عبد الله : ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٣٦
ابن رشيد : ٣٥٣
ابن الرومى : ٣٠٣
ابن زمرك : ٣٥ ، ١٥٧
ابن زهر = أبو بكر بن زهر
ابن سناء الملك المصرى : ٢١٥
ابن سهل : ١٨٤ ، ٢١٣
ابن شجاع : ٢٢١
ابن الصابونى = أبو بكر بن الصابونى
ابن عمير : ٢١٩
ابن غنمة الضبى : ١٢
ابن قزمان = أبو بكر محمد بن قزمان
ابن مرج الكحل : ٣١٥ ، ٣١٦
ابن موهل : ٢١٠
ابن هردوس : ٢٠٩
ابن هزر = ابن خرز البجائى
ابن وكيع : ١٩٤
أبو إسحاق الحسناوى : ٣٤٧
أبو إسحاق الدوينى : ٢١٠
أبو بكر بن باجة : ٢٤٣
أبو بكر بن زهر : ٢١٠
أبو بكر بن الصابونى : ٢١٣
أبو بكر محمد بن قزمان : ٢١٦
أبو تمام : ٤٨
أبو الحسن بن جحدر الإشبيلى : ٢١٧
أبو الحسن بن الجياب : ٣٤٢
أبو الحسن سهل بن مالك : ٢١١
أبو الحسن بن الفضل = أبو الحسن سهل ابن مالك
أبو حفص : ٣٦٥
أبو العباس : ٣٥٧
أبو عبد الله بن خميس = ابن خميس التلمسانى أبو عبد الله
أبو عبد الله اللوشى : ٢١٩
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الصباغ : ٢٣٠
أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغرى : ٣٢٩
أبو عمرو ميمون بن على : ٣٨٠ ، ٣٨٣
أبو العلاء المعرى : ٨١
أبو القاسم محمد بن يحيى : ٣٧٨
أبو مدين شعيب : ٣٠٨
أبو المكارم منديل بن آجروم : ٣٣٣
الأعمى التطيلى : ٢٠٨

(ب)

البحترى : ٢٤٨
بلال (رضى الله عنه) : ٩٨

(ح)

الحكيم أبو بكر بن باجة : ١٠٩

(ش)

الششترى : ٢١٨

(ع)

عبادة القزاز : ٢٠٧
عبد الله بن الخطيب : ٢١٣
عبد الله بن معاوية : ٣٨٥
عبد الله بن المعتز : ١٣
عبد الملك بن سعيد المرادى : ٢٩٣
على بن المؤذن : ٢٢٢
عنترة العبسى : ٦٥
عياض : ٢٢٧

(م)

محمد بن عبد العظيم : ٢١٨
مدغليس : ٢١٨
مهيار : ٣٠٨

(ى)

يحيى بن بقى : ٩ ٢

فهرس الاعلام

(ا)

آدم (عليه السلام) : ٤٥، ٥٣، ١٥٥، ٣٨٤
إبراهيم (الخليل عليه السلام) : ٣٨٥
إبراهيم بن أحمد الغافقي : ٢٥٦
إبراهيم التازى : ٣٠٩
إبراهيم بن هدبة : ٣٥٤
ابن أبي الربيع = أبوالحسن بن أبي الربيع
ابن أبي عزفة اللخمى = أبوالقاسم محمد العزفى اللخمى
ابن أبي عزفة اللخمى = أبو إسحاق ابراهيم ابن أحمد بن أبي عزفة اللخمى .
ابن أبي مدين : ٣٤٧
ابن الأحمر : ٥، ٧، ٨، ١١، ٢٨ — ٣٠، ٤٢، ٦٥، ٨١، ١٥٨، ٢١٩
ابن أرفع رأسه = أبوبكر محمد بن أرفع رأسه
ابن أصبغ الهمدانى : ٢٧٧
ابن برى : ٨١
ابن بق = يحيى بن بق
ابن بقية : ٢٦٤
ابن البنا : ٣٥٢
ابن تيفلويت = أبو بكر بن تيفلويت
ابن التين أبو عمرو : ٣٥٠
ابن حبان : ٣٥٤
ابن حزمون : ٢١١
ابن الحسن = النباهى على بن محمد
ابن الحكيم أبوعبد الله محمد بن عبد الرحمن : ٦، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٣٥، ٣٣٩ — ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦ — ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧
ابن حيون : ٢١١
ابن خاتمة : ٢٥٢، ٢٥٤، ٣٠٢ — ٣٠٥، ٣٤٥، ٣٤٦
ابن خبازة = أبو عمرو ميمون بن على بن عبد الخالق ابن خبازة
ابن الخطيب = أبو عبد الله بن الخطيب
ابن خلدون : ٧، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٨
ابن خيس = محمد بن عمر بن محمد بن عمر ابن محمد بن عمر بن محمد الحجرى الرعينى
ابن دحون الفقيه : ٢٦٩
ابن رشد : ٨٤
ابن رشيد الفهرى محمد بن عمر : ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٥
ابن الزبير : ٢٢٤
ابن زمرك محمد بن يوسف : ٧، ١١، ١٢، ١٤، ٢٠
ابن زهر = أبو بكر بن زهر
ابن سبعين : ٣٠٣
ابن سعيد : ٢١٠، ٢١١، ٢١٦، ٢١٧
ابن السمعانى : ٢٠٧
ابن سهل : ٢٣٠
ابن الشاط : ٣٥٢
ابن شجاع : ٢٢٢
ابن شهيد = أحمد بن عبد الله بن شهيد
ابن شهيد = أحمد بن عبد الملك بن شهيد
ابن طملس : ٣٩٣

ابن عاصم (الفقيه) : ١٩ ، ٢٦٤
ابن عباد : ٣٧٢
ابن عبد ربه = أحمد بن عبد ربه
ابن عمر : ٢٥٦ ، ٢٥٧
ابن القاسم : ٢٥٦
ابن قزمان = أبو بكر محمد بن قزمان
ابن اللوشى : ٩
ابن ماء السماء = عبادة بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عباد
ابن ماجة : ٣٥٢
ابن مامة : ٣٧٢
ابن مران : ٢٢٥
ابن مرزوق = أبو عبد الله بن مرزوق
ابن مرين : ٢٢٥
ابن مقلد : ٣٧٢
ابن نسطور = جعفر بن نسطور الروى
ابن نصر : ٤٦ ، ٨٢
ابن هدبة = أبو هدبة إبراهيم بن هدبة
ابن دقيق العيد = تقى الدين بن دقيق العيد
ابن يعقوب = يوسف (عليه السلام)
أبو إبراهيم إسحاق : ٢٨٢ ، ٢٨٦
أبو أحمد جعفر بن إبراهيم بن الحاج المعافرى : ٢٥٤
أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبى عزفة اللخمى : ٣٧٧
أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة : ٩
أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى : ٣٥١
أبو إسحاق بن أبى العاصى التنوخى : ٣٤٢ ، ٣٤٥
أبو إسحاق التنسى : ٣٢٢
أبو إسحاق الشاطبى : ٧ ، ٢٩٧
أبو إسحاق عبد الصمد بن عبد الوهاب : ٣٤٩
أبو إسحاق العراقى : ٣٥٢
أبو الأصبغ عبد العزيز بن الناصر لدين الله : ٣٨٦
أبو البركات بن الحاج : ٩ ، ١٥ ، ٣٠٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦
أبو البركات محمد بن إبراهيم : ٢٥٦
أبو بكر = محمد بن عبادة القزاز
أبو بكر الأبيض = أبو بكر بن الأبيض
أبو بكر بن الأبيض : ٢٠٩
أبو بكر بن تيفلويت : ٢٠٩
أبو بكر بن الجد : ٣٨٢
أبو بكر بن الحكيم = أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم
أبو بكر بن خطاب : ٣٠٥
أبو بكر بن رفاعة القريشى : ٣٧٩
أبو بكر بن زهر : ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
أبو بكر الصديق : ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠
أبو بكر بن طاهر : ٣٦١
أبو بكر بن غازى بن الكاس : ٣٠
أبو بكر بن قزمان = أبو بكر محمد بن قزمان
أبو بكر محمد بن أرفع رأسه : ٢٠٧
أبو بكر محمد بن قزمان : ٢١٦
أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم : ٣٤٢ ، ٣٤٥
أبو بكر محمد بن محمد القلونسى : ٣٥٢
أبو جعفر : ٢٥٤
أبو جعفر أحمد بن عبد الحق : ٦
أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلبطور : ٣٤٩
أبو جعفر بن الزبير : ٣٥٥ ، ٣٥٧
أبو جعفر بن الزيات : ١٦
أبو جعفر الطنجالى : ٦
أبو جعفر بن عمر = أبو حفص عمر
أبو جعفر بن النحاس : ٢٩٥
أبو حاتم : ٣٢٧
أبو حاتم أحمد : ٣٧٧
أبو الحجاج = يوسف بن الغنى بالله
أبو الحجاج المنتشافرى : ٦

أبو الحسن = النباهى على بن محمد
أبو الحسن المرينى : ٨١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
أبو الحسن بن أبى الربيع : ٢٩٨ ، ٣٤٨
أبو الحسن بن بسام : ٢٥٣
أبو الحسن بن جحدر الأشبيلى : ٢١٦
أبو الحسن حازم القرطاجنى : ٣٥٠
أبو الحسن الدباج : ٢١٢
أبو الحسن سهل بن مالك : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٨
أبو الحسن على بن سعد الخير البلنسى : ٢٥٣
أبو الحسن على بن سعيد العنسى : ٢٥٣
أبو الحسن على بن عثمان البلوى = الأشج المغربى
أبو الحسن على بن محمد الكتامى : ٣٤٩
أبو الحسن بن كماشة : ٣٠٣
أبو الحسن المحروق : ١٦
أبو الحسن النباهى = على بن محمد النباهى
أبو الحسين بن التلمسانى : ٩
أبو الحسين العراقى : ٣٥٢
أبو حفص = عمر بن الخطاب
أبو حفص بن عمر : ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
أبو حمو موسى بن يوسف الزيانى : ٣٧ ، ٤٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢
أبو الخير الفضل بن على بن نصر بن عبد الله ابن رواحة الأنصارى الخزرجى : ٣٥٣
أبو داود : ٣٥١
أبو الربيع بن سالم : ٣٦١
أبو زكريا بن أبى دلامة : ١٧٥
أبو زكريا البرغواطى : ١٦
أبو زكريا يحيى السراج : ٦ ، ٢٥٦
أبو زيان بن عبد العزيز المرينى : ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٨
أبو زيد : ٣٧٤
أبو زيد عبد الرحمن الهزميرى : ٣٣٦
أبو سالم بن أبى الحسن المرينى : ٨ ، ١٥ ، ١٧٠
أبو سعيد = أبو عمرو ميمون بن على بن عبد الخالق
أبو سعيد بن عامر : ٣٠٥
أبو سعيد بن لب : ٩
أبو سفيان : ٣٣١
أبو سلطان عبد العزيز بن سلطان الدانى : ٣٤١
أبو سليمان داود بن على الأصبهانى : ٢٩٥
أبو طالب عبد الله : ٣٧٧
أبو الطاهر السلفى الأصبهانى : ٣٥٤ ، ٣٧٢
أبو العباس أحمد بن أبى الحكم يعيش بن على بن شكيل الصدفى : ٣٦٧
أبو العباس أحمد بن أبى عبد الله اللخمى : ٣٧٥
أبو العباس بن أبى سالم المرينى = أحمد بن أبى سالم المرينى
أبو العباس أحمد بابا : ١٧٦
أبو العباس الجراوى : ٣٦٤ : ٣٦٥
أبو العباس بن ولاد : ٢٩٥
أبو عبد الإله = ابن الحكيم محمد بن عبد الرحمن
أبو عبد الله = ابن الحكيم محمد بن عبد الرحمن
أبو عبد الله = ابن رشيد الفهرى
أبو عبد الله = ابن زمرك محمد بن يوسف
أبو عبد الله = محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر الحجرى الرعينى
أبو عبد الله بن الأبار : ٣٧٩
أبو عبد الله الأبلى = أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلى
أبو عبد الله بن أبى العاصى التنوخى : ٣٥٦
أبو عبد الله بن الأحمر = ابن الأحمر

أبو عبد الله بن بيبش العبدرى : ٩ ، ١٥
أبو عبد الله التلمسانى : ١٥
أبو عبد الله بن الحكيم = ابن الحكيم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
أبو عبد الله بن الخطيب = لسان الدين بن الخطيب أبو عبد الله
أبو عبد الله بن خميس التلمسانى : ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٢
أبو عبد الله بن رشيد : ٣٤٢ ، ٣٥٥
أبو عبد الله بن الرمامة : ٣٦١
أبو عبد الله الساحلى : ٦
أبو عبد الله الشريشى : ١٥
أبو عبد الله العلوى التلمسانى : ٩
أبو عبد الله بن عياش الخزرجى : ٢٩٦
أبو عبد الله بن الفخار : ٩ ، ١٤ ، ٢٩٧
أبو عبد الله اللوشى : ١٥
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلى : ٣٢٢
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمى : ٣٠٣
أبو عبد الله محمد بن أبى بكر : ٣٤٩
أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن بن عبد الرزاق : ٣١٦
أبو عبيد الله محمد بن أبى العباس أحمد بن حيان الشاطبى : ٣٥٤
أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف : ٢٥٧
أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق : ٣٤٩
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن = ابن الحكيم محمد بن عبد الرحمن
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى عيسى : ٢٦٧
أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم : ٣٤٩
أبو عبد الله محمد بن على بن الشيخ : ٢٥٦
أبو عبد الله محمد بن على السكونى : ٦
أبو عبد الله محمد بن على بن علاق : ١٥
أبو عبد الله محمد بن عيسى : ٢٥٦
أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصائغ : ٣٤٩
أبو عبد الله محمد بن محمد اللخمى : ٣٥٢ ، ٣٧٥
أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى السراج : ٢٥٦ ، ٢٥٧
أبو عبد الله محمد المخلوع : ٣٤١
أبو عبد الله محمد بن يوسف = ابن زمرك محمد بن يوسف
أبو عبدالله بن مرزوق : ٩ ، ١٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠١
أبو عبد الله المقرى : ٩
أبو عبد الملك المراكشى : ٣٧٩
أبو عبيد : ١٨
أبو عثمان بن خالد : ٣٧٤
أبو عثمان بن ليون : ٣٠٣
أبو على البغدادى إسماعيل بن القاسم القالى : ٢٧٣
أبو على بن خالد : ٢٥٦
أبو على بن الخطيب أبو فارس بن غالب الجهنى : ٣٧٦
أبو على عمر الجداوى : ٣٤٦
أبو على منصور الزواوى : ٩ ، ١٥
أبو عمر : ٣٥٤
أبو عمر أحمد بن عبد ربه = أحمد بن عبد ربه
أبو عمر بن عات : ٣٥٤
أبو عمرو مزيقيا = عامر بن حارثة الأزدى
أبو عمر ميمون بن على بن عبد الخالق بن خبازة : ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
أبو عمرو بن سالم بن صالح النهروانى المالقى : ٣٨٠
أبو عمرو الصفاقسى = ابن التين أبو عمرو
أبو عنان المرينى : ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨

أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد : ٣٤٩
أبو الفضل بن يحيى : ٣٢١
أبو القاسم بن أبي بكر بن زيتون : ٣٤٩
أبو القاسم بن أحمد الحضرمي : ٦
أبو القاسم بن سعيد الحميدي : ٦
أبو القاسم الشريف : ١٤
أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي طالب عبد الله العزفي : ٣٥٦، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٧٨
أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخار٢ : ٣٤٥
أبو القاسم بن محمد = أبو القاسم بن أحمد الحضرمي
أبو القاسم محمد بن أبي العباس : ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦
أبو القاسم محمد بن أحمد الحسني : ٩، ١٦٠
أبو القاسم محمد العزفي : ٣٧٤ — ٣٧٧
أبو القاسم محمد بن يحيى = محمد بن يحيى ابن أبي طالب أبو القاسم
أبو القاسم مفرج بن محمد بن مفرج : ٢٨٤
أبو القاسم بن المهنى : ٦
أبو محمد بن بركات : ٣٥٤
أبو محمد عبد الحق بن أحمد ابن نصر = ابن سبعين أبو محمد عبد العزيز بن عمر القيس : ٣٤٩
أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى : ٣٤٩
أبو محمد عبد الله بن أحمد التجيبي : ٦، ٣٧٣
أبو محمد عبد الله بن جزى : ١٥
أبو محمد عبد الله بن على اللخمى : ٣٦١
أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمى : ٣٤٥
أبو مدين شعيب : ٣٠٨
أبو مروان الأكبر عبيد الله : ٢٨٢
أبو مروان بن حيان : ٢٦٨
أبو مروان عبيد الله بن الناصر : ٢٨٦
أبو مروان بن مسرة : ٣٦١
أبو مهدى بن الزيات : ١٦
أبو هدبة إبراهيم بن هدبة : ٣٥٤
أبو هريرة : ٣٥٢
أبو يحيى : ٢٢٥
أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب : ٣٣٥
أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن : ٣٦١، ٣٦٥
أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق : ٣٣٦
الحسن بن على رضى الله عنه : ٣٩١
أحمد = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
أحمد بن أبي سالم المرينى أبو العباس : ٢٨، ٢٩، ٣٥، ٨١، ١٣٣، ١٧٣، ١٧٥، ٣٥٧
أحمد بن عبد ربه : ٢٠٧، ٢٥٣
أحمد بن عبد الله بن شهيد : ٢٦٥
أحمد بن عبد الملك بن شهيد : ٢٦١
أحمد بن قاسم أبو العباس الصنهاجى : ٢٥٦
أحمد بن مطرف : ٢٧٩
أحمد بن يحيى بن محمد بن على الونشريشى : ٢٩٧
أحمد اليونانى : ٢٧٠
أردشير بن بابك : ٣٢٤
أردون بن أدفونش : ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤
الإسكندر : ٢٢٣
إسماعيل (عليه السلام) : ٣٨٥
إسماعيل = ابن عباد
الأشج المغربى أبو الحسن على بن عثمان البلوى : ٣٥٤
الأصبغ بن الناصر لدين الله ٢٥٩
الأعلم البطليوسى : ٢٠٧، ٢٠٩
الأعمى التطيلى : ٢٠٨

أنس : ٢١٣ ، ٣٥٤ ، ٣٩٠
ياس : ٤٦

(ب)

بحيرا (الراهب) : ٣٨٨
البخارى : ٣٥٠
البراض بن قيس الضمرى : ٣١٧ ، ٣١٨
بسطام بن قيس : ١٢
بوران : ٥٦

(ت)

التجيبي = أبو محمد عبد الله بن أحمد التجيبي
تقى الدين بن دقيق العيد : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٥٢
تمام الخصى : ٢٥٩

(ج)

الجاحظ : ١١
جبريل عليه السلام : ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩
الجراوى = أبو العباس الحراوى
جعسوس = النباهى على بن محمد
جعفر بن عثمان : ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
جعفر بن نسطور الروحى : ٣٥٤
جميل : ٩٧ ، ١٨٠

(ح)

حاتم طيئ : ٤٦ ، ٦٢ ، ٣٧٠
حام (بن نوح) : ٣٨٥
الحجاج : ١٤
الحجارى : ٢٥٣
الحسن البصرى : ١٤
حسن بن جعفر الإسكندرانى : ٢٧٠
حسين بن فتح : ٢٥٨
الحكم المستنصر بالله بن الناصر لدين الله : ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٥
حليمة (السعدية) : ٣٨٧

(خ)

خالد (القائد) : ٤٠
خديجة (أم المؤمنين) : ٣٨٩
خراش بن عبد الله : ٣٥٤ ، ٣٦٠
الخطيب أبو عبد الله بن أبى العاصى التنوخى = أبو عبد الله بن أبى العاص التنوخى

(د)

دينار بن عبد الله : ٣٥٤

(ذ)

ذو الرمة : ٤٣

(ر)

ربيع الأسقف : ٢٧٠
ربيعة بن مكدم : ٦٢
الرحال = عروة الرحال
الرسول = محمد النبى صلى الله عليه وسلم
رومانس (ملك الروم) : ٢٦٠

(ز)

زياد ابن أبيه : ٣٣١
زياد بن أفلح الناصرى : ٢٨٨

(س)

سام (بن نوح) : ٣٨٥
سبت بن سام بن نوح عليه السلام : ٢٥٦ ، ٢٥٧
ست العرب بنت عبد المهيمن الحضرمى : ٣٥٥

سحبان : ٤٦
سحنون : ٢٥٦
سراج الدين أبو بكر بن أحمد : ٣٤٩
سراقة (بن مالك) : ٣٨٩
سطيح : ٢٢٥ ، ٣٨٧
سعادة (مملوك السلطان يوسف) : ٣٣٦
سعد بن عبادة الأنصارى : ٣٣ ، ١٠٤ ، ١٣٧ ، ١٨٠
سعد بن الغنى بالله : ٦٠ ، ٧٣ ، ١٤٠ ، ١٤١
سعيد بن أحمد المقرى : ٣٠٩
بسقراط : ٣٢٠
السلفى : ٣٥٤
السلمى : ٣٦٩
سليمان بن الناصر لدين الله : ٢٥٩

(ش)

شانجة بن ردمير : ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
شق : ٢٢٥ ، ٣٨٧
شهاب الدين : ٣٢١
الشهيد = عثمان بن عفان

(ص)

صاعد بن مخلد : ٢٦٢
الصاغانى ٢٠٧

(ط)

الطليطلى = الأعمى التطيلى
طه = محمد النبي صلى الله عليه وسلم

(ظ)

الظاهرى = أبو سليمان بن على الأصبهانى

(ع)

العاقب = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
عامر بن حارثة الأزدى : ٧٩
عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة : ٢٥٣
عبادة بن محمد بن عبادة الأقرع : ٢٥٤
عبادة القزاز : ٣٠٧ ، ٢٥٣
العباس : ٢٥٧
عبد الجبار بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
عبدالرحمن = أبوزيد عبد الرحمن الهزميرى
عبد الرحمن الناصر = الناصر لدين الله
عبد العزيز بن أبى الحسن المرينى : ٧ ، ٣٠
عبد العزيز بن الناصر لدين الله = أبو الأصبع عبد العزيز بن الناصر لدين الله
عبد الله بن أحمد بن محمد : ٣٨٠
عبد الله بن الحكيم : ٣٥٦
عبد الله بن على اللخمى : ٣٦١
عبد الله بن قاسم : ٢٨٩
عبد الله بن محمد المروانى : ٢٠٧ ، ٢٥٣
عبد الله بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
عبد الله بن يحيى بن يحيى : ٢٩٤
عبد الله بن يونس : ٢٧٠
عبد الملك بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
عبد المهيمن القواس : ٢٢٤
عبيد الله بن قاسم : ٢٩١
عتيق = أبو بكر الصديق
عثمان بن عفان : ٢٢٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥١
عثمان بن خطاب أبو عمر = الأشج المغربى
عروة الرحال : ٣١٧ ، ٣١٨
عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب = عروة الرحال
عز الدين أبو العز عبد الله بن عبد المنعم : ٣٤٩

العزفى = أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى طالب عبد الله العزفى
العزيز بن المعز الفاطمى : ١٢٦
عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد : ٣٤٩
على بن أبى طالب : ٢٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٧٤
على بن جعفر الإسكندرانى : ٢٧٠
على بن عبد الله بن محمد = النباهى على بن محمد
عمار (بن ياسر) : ٣٩١
عمر بن الخطاب : ٢٢٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٣٧٠ ، ٣٩٠
عمرو : ٤٦
عنيزة : ٣٦٩
عيسى بن الحسن : ٢٢٥
عيسى بن فطيس : ٢٨٧
عيسى بن مريم : ٤٥ ، ١٤٧

(غ)

غالب الناصرى : ٢٨٨
الغنى بالله محمد : ١١ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٦
غيلان = ذو الرمة
غاراب : ٣٢٠

(ف)

الفاروق = عمر بن الخطاب
فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد : ٣٤٩
فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر : ٣٧٧

(ق)

القزاز = محمد بن عبادة القزاز
قس : ٨١
قسطنطين بن ليون : ٢٥٨ ، ٢٦٠
قنبر : ٣٥٤
القياسى = أبو سليمان داود بن على الأصبهانى
قيس بن الملوح : ٤٣ ، ٩٧ ، ٣٥٤

(ك)

الكتانى : ٣٥٦
كسرى : ٣٨٢
كعب بن مامة = ابن مامة

(ل)

لسان الدين بن الخطيب أبو عبد الله : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٢٣ ، ٣٧٦

(م)

ماء السماء = عامر بن حارثة الأزدى
ماء السماء : ٢١٣
المأمون بن ذنون : ٥٦ ، ٢٠٧
المأمون بن المنصور : ٣٨٠ ، ٣٨٢
الماحى = محمد النبى صلى الله عليه وسلم
مالك : ٢١٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٥
محمد = الغنى بالله
محمد بن أبى الفضل بن شرف : ٢٠٩

محمد بن أفلح الناصرى : ٢٨٨
محمد بن حسن بن عطية : ٢٥٦
محمد بن حوط الله : ٣٦١
محمد بن طملس : ٢٩٠
محمد بن عبادة القزاز : ٢٥٢ ، ٢٥٤
محمد بن عبد البر الكسيبانى : ٢٧٣
محمد بن عبد الرحمن = ابن الحكيم محمد ابن عبد الرحمن
محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدى : ٢٥٦
محمد بن عمر = ابن رشيد الفهرى
محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد الحجرى الرعينى : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣٣٥
محمد بن فتوح : ٣٤١
محمد بن محمود القبرى الضرير : ٢٥٣
محمد بن المنذر النيسابورى : ٢٩٤
محمد النبي صلى الله عليه وسلم : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ٢٠٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ — ٣٩٠
محمد بن وضاح : ٢٥٦
محمد بن يحي بن أبي طالب أبو القاسم : ٣٧٨
محمد بن يوسف بن محمد الصريحى = ابن زمرك محمد بن يوسف
المرتضى (صاحب مراكش) : ٢٣٠
مرجانة (أم الحكم) : ٢٦٥
مروان بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
مريم : ١٤٧
المستعين أبو عبد الله : ١٥٩
المستنصر بالله = الحكم المستنصر بن الناصر
مسلمة بن عبد الله العريف : ٢٦٩
المسيح = عيسى بن مريم
المصطفى = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
معبد : ١١٩
المعتصم بن صمادح : ٢٠٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
المعتصم يحي بن الناصر : ٣٨٢
مفرج أبو القاسم مفرج بن محمد : ٢٨٥
مقدم بن معافى القبرى : ٢٠٧ ، ٢٥٣
ممشاد الدينورى : ٣٢١
منذر بن سعيد البلوطى : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
المنذر بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
مهيار (الديلمى) : ٣٣٤
المهدى : ٣٨٠
موسى = أبو حمو موسى بن يوسف الزيانى
موسى بن عمران : ٤٥ ، ٢٧٤
موسى بن أبى عنان المرينى : ٤٢ ، ٢٠١
موسى بن أحمد بن حدير : ٢٨٦
الميدانى : ١٨
ميكائيل (عليه السلام) : ٣٨٨

(ن)

الناصر لدين الله عبد الرحمن : ٢٠٧ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٧٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥
نافع : ٢٥٦ ، ٢٥٧

النباهى على بن محمد (القاضى) : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٦
النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
نسطور : ٣٥٤
نصر : ٦٠ ، ٧٣ ، ٨٥
النظار أبو إسحاق الشاطبي = أبو إسحاق الشاطبي
النعمان بن المنذر : ٢١٣ ، ٣١٧ ، ٣١٨
النعمان بن امرئ القيس : ٣٢٦
نوح (عليه السلام) : ٢٢٠ ، ٣٨٥

(هـ)

هادى بن إسماعيل : ٣٧٢
هرقل : ٣٨٧
هرمس : ٣٢٠
الهزميرى = أبو زيد عبد الرحمن الهزميرى
هشام بن محمد بن عثمان المصحفى : ٢٨٨

(و)

وليد بن حيزون : ٢٨٩ ، ٢٩١
وهب بن ميسرة : ٢٥٦ ، ٢٥٧

(ى)

ياسر الحصى : ٢٥٩
يافث (بن نوح) : ٣٨٥
يحيى بن بقى : ٢٠٨
يحيى الخزرجى : ٢١١
يحيى بن ذى النون : ٢٠٨
يحيى بن محمد بن الليث : ٢٥٨
اليزناسنى : ٣٥٥
يغنم بن سالم بن قنبر : ٣٥٤
يوسف (عليه السلام) : ٣٧٢
يوسف بن الغنى بالله أبو الحجاج : ١٥ ، ١٧ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٧
يوسف بن القاسم : ٢٣٥

فهرس القبائل

(ا)

آل بويه : ٣٧٢
آل خزرج = الخزرج
آل سعد بن عبادة = الخزرج
آل عدنان : ٤٥ ، ٥٣
آل النبي (صلى الله عليه وسلم) = آل هاشم
آل نصر : ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٠ ، ١٠٩ ، ١٦٥ ، ٢٠١
آل هاشم : ٤٥ ، ٩٢ ، ١٥٤
أبناء قيلة = آل نصر
أبناء نصر = آل نصر
أجواد العرب : ٣٧٢
الأحابش : ١٧٠
الأسبان : ٣٧٤
الأعاجم : ٢٥٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٨٣
أعراب إفريقية : ٢٢٥
الإفرنجة : ٢٥٨
أملاك لخم = بنو العزق
الأنصار : ٣٩ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٥٤
أهل الأندلس : ١٦ ، ١١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢
أهل تازا : ٢٢١
أهل تلمسان : ٣٠١ ، ٣٣٦
أهل تهامة : ٣١٧ ، ٣١٨
أهل تونس : ٢٢٥
أهل سبتة : ٢٥٨ ، ٢٩٧ ، ٣٤٧ ، ٣٧٦
أهل شريش : ٣٦٧
أهل طليطلة : ٢٨٨
أهل فارس : ٢٢١
أهل القاهرة ٢٢٥
أهل مالقة : ٢٥٢ ، ٢٥٤
أهل المشرق : ٥٦
أهل مصر : ٢٢٥
أهل المغرب : ٥٦
أهل مكة : ٣٨٧
أهل نجد : ٥٢ ، ٣١٧ ، ٣١٨
إياد : ٨١

(ب)

البربر : ٥٨ ، ٣٣٦ ، ٣٥٠
البغداديون : ٢٢٦
بنو الأحمر : ١١ ، ٣٣
بنو الأصفر = الروم
بنو أمية : ٢٥٨
بنو ثعل : ٣٧٠
بنو ذى النون : ٥٦
بنو سعد = الخزرج
بنو عباد : ٣٤١
بنو العباس : ٢٥٨ ، ٢٦٢
بنو عبد الواد : ٣٧ ، ٤٢ ، ٣٣١
بنو عدنان ٣٨٠
بنو العزق : ٣٢٥ ، ٣٣٦ ، ٣٢٨
بنو عمور : ٣٢٥
بنو غفجوم : ٣٦٥
بنو ماء السماء : ٧٩
بنو مرين : ٣٠ ، ٣٧ ، ٥٨ ، ٢٢٢ ، ٣٣١ ، ٣٢٥

بنو نصر = آل نصر
بنو هلال : ٥٩

(ج)

الجلالقة : ٢٨٨

(ح)

حمير : ٣٢١

(خ)

الخزرج : ٤٦، ٦٨، ٣٣، ١٠٤، ٢٠١
خندف : ٣١٨

(ر)

الروم : ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٥، ٣٦٦

(ز)

زناتة : ٥٨

(ع)

العباسيون = بنو العباس
العجم = الأعاجم
عرب تهامة : ٢٢٩
عرب دياب : ٢٢٥
العرب : ٦٢، ٣٠٢، ٣١٧، ٣١٨، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧٦، ٣٨٣

(غ)

غطفان : ٣١٨

(ف)

الفرس = الأعاجم

(ق)

قحطان : ٤٦، ١١٧
قريش : ٣١٧، ٣٨١
قيس : ٣١٨

(ك)

كاهل : ٣٦٩

(م)

مالك : ٣٦٩
المجوس : ٢٥٨
المرينيون = بنو مرين
مضر : ٥٣
الملثمون : ٢١٦
ملوك الروم : ٢٥٨
ملوك الطوائف : ٥٦
ملوك العدوتين : ٢٥٧
ملوك الغساسنة = بنو ماء السماء
ملوك اللخميين = بنو العزق
ملوك المغرب الأقصى : ٣٧، ٤٢
الموحدون : ٢٠٩

(ن)

النصارى : ١٧، ٢٩١

(هـ)

هاشم :
هوازن : ٣١٧

(ى)

اليمن : ٣٠١

فهرس الأماكن

(ا)

أجرع الفرد : ١٦٨
إسكندرية : ٣٤٩
إشبيلية : ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٣٤١ ، ٣٦١ ، ٣٨٠
أصيلا : ٣٧٤
أصبهان : ٣٥٤
أغمات : ٣٣٦ ، ٣٦١ ، ٣٧٣
أفريقية : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٧٠ ، ٣٤٨
ألال : ١١١
الأندلس : ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ١٥٥ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ، ٣٤٠ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠
أورية : ٢٦٢ ، ٢٨٩
أوارة : ٣١٨
أوال : ٣٠٧
إيلياء : ٢٧٠
إيوان الحسين : ٣٤٩
إيوان كسرى : ٣٨٧

(ب)

باب الأقباء : ٢٩٠
باب الجنان : ٢٨٩
باب جياد : ٣٢٩ ، ٣٣٣
باب السدة : ٢٩٠
باب الصناعة : ٢٨٥
باب الفتوح : ٣٣٣
باب قرطبة : ٢٨٨
باب قصر الزهراء = باب الأقباء
بارق : ٦٦
باريس : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ... الخ
بجانة : ٢٥٨
بحيرة الكوفة ٣٢٦
البحرين : ٥٢ ، ٣٠٧
بر العدوة : ٢١٢
بزر هون : ٢٢٢
البصرة : ٥٢ ، ١٠٨ ، ٣٥٤
البطحاء : ٤٧
بغداد : ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٦٢ ، ٣٢٣ ، ٣٥٤
بلاق : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ... الخ
بلبيس : ٣٥٣
بلاد الإفرنج : ٢٧٠
بلاد المشرق ٣٢٢
البيت العتيق : ٢٧ ، ٦٣ ، ١٤٦ ، ٩٥٠
بيت المقدس : ٣٧٠
بيروت : ٢٢٦

(ت)

تادل : ٣٦٥
تازا : ٢٢١
تربة الخلفاء : ٢٨٨
تطيلة : ٢٠٨
تلمسان : ١١ ، ٢٢٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،

٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ،
٣٧٢ ، ٣٧٣
تونس : ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٣٤٩ ،
٣٥٤

(ج)

جامع مالقة : ١٧
الجامعة المصرية : ٢٥٣
جبل الشوار : ١٣٩
جبل الفتح : ٤٠
جبل قرطبة : ٢٦٦
الجزع : ٢٤٢
جيان : ٢٦٤

(ح)

حاجر : ١٠٤
الحجاز : ٢٢ : ٧٣ ، ٩٧ ، ٢٢٣ ،
٢٢٤ ، ٣٤٨
الحديبية : ٣٩٠
حراء : ٣٨٩
الحرم الشريف = قبر الرسول صلى الله
عليه وسلم
حصن إستبه : ٢١٠
الحضرة : ١٥٨
الحيرة : ٣٢٧
حيرة النعمان : ٣٨٢

(خ)

الخورنق : ٣٢٦
الخيف : ٥٦

(د)

دار إبراهيم الفقى : ٢٦٠
دار السكة : ٢٦١
دار السلام = بغداد
دار الصناعة بقرطبة ٢٧٠
دار الغنى بالله : ٧٩
دار الكتب المصرية : ٥ ، ١٦ ، ١٨ ... الخ
دارين : ٢١٠ ، ٣٠٧
درب مغيلة : ٣٣٩
دمشق : ٣٤٩
ديار الصناعات بالزهراء : ٢٦١

(ذ)

ذو المجاز : ٣٨٨

(ر)

رامة : ١٠٨ ، ١١١ ، ٢٣٠
ربا العباد : ٣٣٠
الربض : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٩٥
الرشاد : ١٧٩ ، ١٨٠
الركن : ٦٣
رندة : ٣٤٠ ، ٣٤١
روض نعمان : ٤٢
رومة : ٢٦٨
الرى : ٣٥٤
رية = مالقة

(ز)

زمزم : ٦٣ ، ١٤٦ ، ١٥٠
الزهراء : ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧١
٢٧٧ ، ٢٧٩
الزوراء : ٣٩٠

(س)

سبتة : ٨١ ، ٢١٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٢٥ ،
٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ،

٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،
٣٣٥
السدة : ٢٨٩
السدير : ٣٢٧
السرب : ١٦٨
سرقسطة : ٢٠٩
سلا : ٢٣٥
سلع : ٢٤٢
سهرورد : ٣٢٠
سوق عكاظ : ٣١٧

(ش)

الشام : ٢٢٤ ، ٣٤٨ ، ٣٧٠ ، ٣٨٨
شامة : ٩٨
شرق الأندلس : ١٤
شقر : ٣٦١
شنيل : ١٢٢
شيرة : ٢٦٤

(ص)

الصفراء : ١٣٧
صنعاء : ٣٨٢ ، ٣٨٦
صنهاجة : ٣٧٩

(ط)

الطائف : ١٤
طفيل : ٩٨
طليطلة : ٥٦ ، ٢٠٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١
طنجة : ٣٧٤
طيبة : ٧٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ،
٢٥١
طيفور : ٣٣٤

(ع)

العدوتان : ١٧ ، ١٨٣
العذيب : ٦٦
العراق : ٩٢ ، ٢٧٣
عرفات : ١١١
العقيق : ٤٥ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ٢٤٧

(غ)

غرناطة : ٧ ، ١٤ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٥ ،
٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ،
١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ،
٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٤١ ،
٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧
غمدان : ٣٨٧

(ف)

فاس : ٦ ، ٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٣٢١ ،
٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥٥ ،
٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٢ ،
٣١٨ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩
فارس : ٣٨٧
فحص رية : ١٦
فدك : ٣١٨

(ق)

القاهرة : ٣٤٩
قبر أحمد = قبر الرسول صلى الله عليه وسلم
قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ٤٨ ،
٩٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٣٤٩
قبرة : ٢٠٧

قرطاجنة : ٢٧٠
قرطبة : ٢٠٧ ، ٣٠٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨ ، ٣٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥
القريتان : ١٠٨
القسطنطينية : ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٧٨
قصر ابن ذى يزن : ٣٨٢
قصر الرصافة : ٢٩٣
قصر الزهراء : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨
قصر شنيل : ١٢٣
القصر الصادحى : ١٠٧
قصر قرطبه : ٢٥٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨
قصر كسرى : ٣٨٧
قصر مدينة الزهراء : ٢٨٦
قصر المصارة : ٣١٦
قصر الناعورة : ٢٦٦ ، ٢٦٧
القيروان : ٢٢ ، ٢٢٤

(ك)

كاظمة : ٥٢
كنيسة سفاقس : ٢٧٠

(م)

مالقة : ٥ ، ١٧ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٧٠ ، ٢٩٩
مجنة : ٩٨
المدينة : ١٣٧ ، ٣٩٠
مدينة الزهراء : ٢٦٧
مدينة سالم : ٢٨٨
مراكش : ١٩١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢
مرسية : ٢١١
المرية : ١٠٧ ، ١١١ ، ٢٠٧ ، ٢٥٣ ، ٣٠٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩
مسجد أبى عثمان : ٢٨٤
المسجد الجامع : ٢٧٧
مسجد الحمراء : ١٧
مسجد الزهراء : ٢٦٧
مسجد السيدة الكبرى : ٢٩٥
مسجد الصابر = مسجد الصابرين
مسجد الصابرين : ٣٣٦
مسجد الصفارين = مسجد الصابرين
المشرق : ٣٤٧
مصر : ١٦٥ ، ٢٨٩ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣
مطرح الجلة = مطرح الجنة
مطرح الجنة : ٣٥٦
المغرب : ٧ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٥٧ ، ٣٣٥ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٥
المغرب الأوسط : ٣٧ ، ٤٢
المغرب الأقصى : ٣٥ ، ٤٢
مكناسة : ٢٢٢
مكة : ٢٧ ، ٦٣ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ٢٣٢
المنحنى : ٢٣٠
منى : ١٠٤ ، ١٦٨
منية الحكم = منية نصير
منية نصير : ٢٦٠
ميورقة : ٢١٧

(ن)

الناعورة : ٢٨٩

نجد : ٢١ ، ٢٢ ، ٤٣ ، ١٠٨ ، ١٦٨
٢٤٥
نعمان : ٤٣
نيسان : ٣٢٣

(هـ)

الهند : ١٣٦

(و)

وادى آسن : ٢١٨
وادى العقيق : ٢٢ ، ٢٥٠
وادى قناة : ٣٩٠
الولجة : ١٥٨

(ى)

يثرب : ٢٣٨ ، ٢٣٩
يلملم : ٣٧٠

فهرس الكتب

(ا)

الإحاطة : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ... ... الخ
أحكام التأسيس فى أحكام التجنيس : ٣٥٠
أحكام القرآن : ٢٩٥
الإحياء للغزالى : ٥٠
الاستقصا للسلاوى : ٧ ، ٣٠ ، ٣٧ ... الخ
الإشادة : ٣٥٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٧ ... الخ
الأشراف لمحمد بن المنذر النيسابورى : ٢٩٥
الإضاءة والإنارات : ٣٥٠
أعمال الأعلام لسان الدين بن الخطيب : ٢٧١ ، ٢٨٢
ألفية ابن مالك : ٢٩٧
الأمالى والنوادر : ٢٧٣

(ب)

بداية المجتهد : ٨٤
البدر الطالع للشوكانى : ٣٤٧
بغية الملتمس : ٢٠٧
بغية الوعاة للسيوطى : ٣٤٧
البغية والمدرك من كلام ابن زمرك : ١١ ، ١٢

(ت)

تاج العروس : ١٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٧٤
تاريخ الخطيب : ٣٥٤
تاريخ ابن خلدون : ٣٠ ، ٣٧ ، ٢٢٧ ... الخ
تاريخ ابن الفرضى : ٢٦٥
التحفة : ٣٧٩
ترجمان التراجم : ٣٥٠
التسهيل البديع فى اختصار التفريع : ٦
تطريز الديباج لأبى العباس أحمد بابا : ١٧٦
تكملة المعاجم العربية لدوزى : ٣٦ ، ٢٦٨ ، ٢٩٠
التكملة : ٣٧٩
التيسير : ٣٤٨

(ج)

جذوة الاقتباس لابن القاضى : ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ... ... الخ

(د)

الدر النفيس من شعر ابن خميس : ٣٠٣
الديباج المذهب فى علماء المذهب لابن فرون
ديوان أبى تمام : ٤٨
ديوان الصفى الحلى : ٢٢٦
ديوان العبر = تاريخ ابن خلدون : ٢٢٧

(ذ)

الذخيرة لابن بسام : ٢٥٢ ، ٢٥٣

(س)

سلوة الأنفاس : ٣٥٦
سنن أبى داود : ٣٥١
السنن الأبين فى السند المعنعن : ٣٥٠
السنن لابن ماجة : ٣٥٢

(ش)

شرح ابن ناجى على المدونة : ٣٥٢
شرح ألفية ابن مالك لابن مرزوق : ٢٩٩
شرح الحماسة للتبريزى : ١٢
شرح الشفا : ٢٥٧

شرح القاموس = تاج العروس
الشفاء : ٦

(ع)

عائد الصلة : ٣٠١
العبر وديوان المبتدأ والخبر = تاريخ ابن خلدون
العذارى المائسات فى الأزجال والموشحات : ٢١٣
العقد الفريد : ٢٠٧ ، ٢٥٣ ، ٣١٨

(غ)

الغريب المصنف لابن سلام : ١٥١
الغنية لعياض : ٢٥٧

(ف)

الفقيرية : ٣٠٣

(ق)

القاموس : ٣٧١
قوت القلوب لأبى طالب المكى : ٥٠

(ك)

الكامل للمبرد : ٣٨٥
الكتيبة : ١٨٦
كتاب سيبويه : ٣٦١ ، ٣٦١
كتاب العين للخليل : ٢٩٥
الكتاب المؤتمن فى أنباء أبناء الزمن : ٣٧٦
الكتيبة الكامنة : ٦ ، ١٨٦
لسان العرب : ٦ ، ١٩ ، ٨١
لسان الميزان لابن حجر : ٣٥٤

(م)

مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة : ٢٩٧
المحاكمة بين البخارى ومسلم : ٣٥٠
المحبر الفصيح فى شرح البخارى الصحيح : ٣٥٠
محك الشعر للعافرى : ٣٥٤
مختصر ابن الحاجب : ٦
مختصر الإحاطة : ٣٥١
المدارك لعياض : ٢٥٧
المدونة : ٣٥٠
المرقبة العليا فى مسائل القضا والفتيا : ٧
مزية المزية : ٢٥٢
المسهب فى غرائب المغرب : ٢٥٣
المشتبه فى أسماء الرجال : ٣٥٤
معجم البلدان لياقوت : ٢٠٨ ، ٣٦٥
معجم دوزى : ٦٠
معجم ما استعجم للبكرى : ١٠٨
المقتطف من أزاهر الطرف : ٢٥٣
مقدمة ابن خلدون : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ... الخ
المقدمة المعرفة لعلو المسافة والصفة : ٣٥٠
ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة : ٣٥٠
الموطأ : ٦ ، ٣٥٢

(ن)

الناسخ والمنسوخ
النبوغ المغربى لعبد الله كنون : ٣٣٥
نثار الأزهار فى الليل والنهار : ١٩٤
نزهة الأنفس وروضة التأنس فى توشيح أهل الأندلس : ٢٥٣
نشر المثانى : ٣٥٦
نفح الطيب ٥ ، ٩ ، ٢٠ ... الخ
نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتى : ١٠ ، ٣٣٦

(و)

وصل القوادم بالخوافى : ٣٥٠

فهرس الأيام

(ا)

أحد : ٢٧ ، ٦٣

(ب)

بدر : ٢٧ ، ٦٣ ، ١٢٤

(ح)

حرب الفجار الآخر = يوم الفجار الآخر
حنين : ٢٧

(ف)

فتح مكة : ٣٣ ، ٦٣

(ك)

الكلاب : ٣٦٩

(ى)

يوم الفجار الآخر : ٣١٧، ٣١٨

فهرس الأمثال

(س)

سقط به العشاء على سرحان : ١٨

(ى)

يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق : ٥١

فهرس القوافى

(ء)

سل — أبناء : ٣٣٦ طويل
لمن — وسماؤها : ١٤١ »
أنا — السماء : ٧٩ وافر
زار — الظلماء : ٤٧ كامل
يامن — بقاء : ١٣٧ »
يأيها — آلائه : ١٣٢ »

(ب)

لعل — البان : ٤٢ طويل
وجفنك — بالغروب : ١٦٩ »
ظلالكم — شرب : ١٧٤ »
أنبت — شبابى : ٣١٧ »
ألا — سريب : ٣٧٨ »
حيث — مغتصبه : ١٦٦ بسيط
انظر — كتب : ٣٨٣ »
تاهت — جلبابها : ٣٣٢ كامل
قتلوك — الوجوب : ٣٤٤ مجزوء الكامل
لقد — القشيب : ١٠ متقارب
أغار — الهبه : ٣٢٦ »

(ت)

كتب — موقوتا : ١٢٦ كامل
ياليت — الآتى : ٣٤٦ »

(ج)

تغرب — حاج : ٣٥٣ طويل

(ح)

لك — صلحا : ١٣٥ طويل
تلسان — اللواقح : ٣٢٩ »
هذا — ضحى : ٥١ بسيط
طالعتها — صباحا : ١٦٧ كامل
هذا — روحى : ٣٥٨ »
عجبا — بالتسبيح : ٣٥٨ »
هكذا — المزاح : ٢٨٦ خفيف
أيها — الفتوح : ٣٣٣ »

(خ)

تلسان — الكرخ : ٣٢٣ طويل

(د)

ولائمة — مولدى : ١٠ طويل
هنيئاً — وعده : ١٣٦ »
على — وعد : ١٣٩ »
أيا — يستعدى : ١٧٣ »
أإنسان — والسعد : ١٧٥ »
فقدت — فقده : ٣٤٥ »
أوارى — وقد : ٣٤٥ »
تكاثرت — يصيد : ٣٦٠ وافر
أكتيبة — أحد : ١٧٣ كامل
هب — النادى : ٢٤٨ »
إن — أحدا : ١٣٣ مجزوء الكامل
أى — السفاده : ١٤٠ مجزوء الرمل
منزل — الوعود : ٢٥٨ خفيف

أيها — الجياد : ٣٢٩ خفيف
انظر — تصعده : ١٤٠ مجتث

(ذ)

والبيت — كهذه : ١٢٨ كامل
يا — ملاذا : ١٣٥ مجزوء الكامل

(ر)

أرقت — جواهرها : ٨٢ طويل
طمامك — أدرى : ١٢٩ »
أمولاي — البحر : ١٣٤ »
نعم — البدر : ١٣٦ »
لك — والأمر : ١٦٤ »
ذرونى — تسير : ١٦٧ »
ألا — الأكابر : ٣٦٥ »
نبغت — العبر : ٣٦٤ مديد
هل — عور : ١٣ »
أعلامك — قدر : ١٣٨ »
ما زلت — المعتمد : ٣٤٧ »
أرجه — الطور : ٣٨٠ »
مقدمات — مغرور : ٣٨١ »
ياقادما — طائره : ٣٤٢ »
ريحانة — تزهره : ١٨٦ مخلع البسيط
هب — الزهر : ٣٥ كامل
هى — الأمصار : ٢٨ »
مولاى — المنشورا : ٣٩ »
وجه — بيحار : ١١٢ »
يابها — منشورا : ١٢٨ »
لولا — المدرار : ١٧٠ »
يأيها — المنصور : ٢٥٥ »
بكت — الأنهار : ٣٠٨ »
نظرت — جوهر : ٣١٤ كامل
عرج — الكوثر : ٣١٥ »
نفسى — خطره : ١٢٢ »
يابدر — قصره : ١٣٠ »
العلم — الناخره : ٣٧٣ سريع
رب — غررا : ٣٠٣ رمل
ولد — افتقار : ١٦ خفيف
عليك المطر : ١٩٥ مجزوء الرجز
مها — الأصغر : ٣٦٦ متقارب

(س)

أدرها — مجلس : ٤٠ طويل
أيا — القدس : ١٥٩ »
أنونى — تنفسه : ٣٩ »
يامن — الأسى : ٣٦٨ كامل
أهدى — والياسى : ١٣٣ مجزوء الكامل
غرد — خلس : ١٩٤ رمل

(ش)

حديث — حراش : ٣٥٤ طويل
يا — انتعاش : ٣٦٠ مخلع البسيط

(ض)

ذرية — متترض : ٣٧٧ بسيط

(ع)

لك — المطلع : ١٣٨ كامل
من — البديعا : ١٣٩ مجزوء الرمل
مولاى — مجتمعه : ١٢٩ مجزوء الرجز

(ف)

كأنى — شفى : ١٣٥ طويل
لقد — التفا : ١٦٩ »
عففتكم — كطرفه : ٣٤٧ »

(ق)

ألا — مشوق : ٢٥٠ طويل
تركت — الوثق : ٢٥٢ »
ولما — المفارق : ٣٤٥ »
انظر — أزرقة : ٣٥٣ بسيط
أغرى — الآفاق : ١٦٠ كامل

(ك)

أقول — وآلكا : ١٣١ طويل
تراجع — فارك : ٣٠٥ »
يا خير — الأملاكا : ١٢٥ كامل
يا خير — الملوك : ١٢٦ مجزوء الكامل

(ل)

نجوم — شامل : ٧٤ طويل
ألا — جليل : ٩٨ »
أبحر — الأفاضل : ١٣١ »
أمولاى — أولا : ١٣٢ »
أزور — رسائلا : ١٧٠ »
وما — فاضل : ٣٧٢ »
أسائل — جلاله : ١٣١ »
قد — بالرحيل : ١٨٩ مخلع البسيط
فخرّ — صقيل : ١٢ وافر
بما — الجلال ١٥٧ »
لو — رسولا : ٩٦ كامل
ما المحمول الخالى : ١٠٧ كامل
بشرى — يتأمل : ١١١ »
طلع — ومهلل : ١١٦ »
يا من — كالا : ١٢٧ »
ياوارث — المنزل : ١٢٩ »
ملك — بنوال : ٢٩٣ »
ملكت — قاعدل : ٣٥٧ »
هب — العمال : ٣٨٣ »
لك — كالها : ١٥٩ »
وجد — مثالها : ٣٧٩ »
عجبا — بيالها : ٣١٩ »
أنا — جمال : ١٣٩ مجزوء الرمل
أرق — ذبال : ٣٠٦ سريع
ما الليالى : ٣٠٨ »
ما — الوصال : ٣٠٩ »
بدت — اعتدال : ٣٠٩ »
رفعت — الهلال : ١٤٠ مجتث

(م)

هناء — يتنسم : ١٤٦ طويل
لك — دائما : ١٧٥ »
سأنظم — نظامها : ٢٤٩ »
دما — الكمائم : ٣٠٢ »
تجلى — أديمه : ١٣٤ »
لهادى — للإمامه : ٣٧٢ »
فؤاده — موسوم : ٣٦٢ بسيط
الله — الأقاليم : ٣٦٢ »
وكل — مشموم : ٣٦٣ »
قد — الإمام : ١٩٤ مخلع البسيط
فى — الأمام : ١٩٩ »
مشوق — الشاما : ٣٠٥ وافر
رأوا — يناموا : ٣١٦ »
هم — المدام : ٣٦٦ »

أللمحة — بالدم : ٦٠	كامل	
يابن — بنى غفجوم : ٣٦٥	«	
وجه — ناسم : ٢٠٠	مجزوء الرمل	
نهانى — أظلم : ٣٦٥	متقارب	
توجتنى — الكرامه : ١٥	المجتث	

(ن)

سحر — الحسين : ٣٤٧	بسيط
مالى — التدانى : ١٠	مجزوء البسيط
يا خير — الإيمانا : ١٢٧	كامل
يا من — تبتنى : ١٦٠	«
سح — مكتنه : ٣٤٥	مجزوء الكامل
الحمد — العنا : ١٣٥	سريع

(ه)

سلام — فيها : ١٥٤	طويل
هذى — الله : ٩٣	بسيط
يهنى — تفشاه : ٩٥	«
الفقر — عناه : ٣٠٣	«
وأرجو — يا إلهى : ٣٥٣	وافر
ما ترى — الباهى : ١٤١	خفيف
لمن — صداها : ٣٠٤	كامل
الغنى — يصطفيه : ١٤٠	مجزوء الرمل

(و)

أنا — العفو : ٣٥٥	طويل

(ى)

معاذ — باليا : ٥٦	طويل
سل — حاليا : ٦٥	«
كتبت — السواقيا : ١٣٤	«
أتعطش — والسقيا : ١٥٨	«
يكلفنى — ومالياً : ١٦٧	«
حقيق — المعانيا : ٢٨٤	«
يامن — بواديها : ٢١	بسيط
وإنما — وعى : ٣٧٢	رجز
صيام — قاضيه : ٣٥٣	سريع

فهرس الموشحات والأزجال

البيت		صفحة
(ا)		
آه من فرط الوجيب	أورثت قلبي خبـــلا	٢٤٦
أبكاني بشاطئ النهر نوح الحمام	على الغصن في البستان قريب الصباح	٢١٩
أبلغ لغرناطة سلامي	وصف لها عهدي السليم	١٨١
أطلع الصبح راية الفجر	فتبدى المكتوم من سرّي	٢٤٢
ألف المضنى الشجونا	وارتضى الأحزان دينا	٢٣٠
أما ترى أحمـــد	في مجده العالي لا يلحق	٢٠٩
امزج الأكواس وأملا لي نجدد	ما خلق المال إلا أن يبدد	٢١٨
انظر إلى البدر الذي لاح لك	في وسط اللجنـــة تحت الحلك	٢٥٥
إن سيل الصباح في الشرق	عاد بحرا في أجمع الأفق	٢١١
أيها القاصد رفقا	بأمير المؤمنينا	٢٦٥
(ب)		
بأرض طيبة معهد	شوقي إليه مجدد	٢٣٥
بدرتم شمس ضحى	غصن نقا مسك شم	٢٠٧
البعد عنـك يا بني	أعظم مصـابي	٢١٨
البلبل في الرياض لما نشدا	بالقول شـــدا	٢٢٨
بين طلوع وبين نزول	اختلطت الغـــزول	٢١٨
(ث)		
ثغر الزمان موافق	حياك منـه بابتسام	٢١٢
(ج)		
جادك الغيث إذا الغيث همى	يا زمان الوصل بالأندلس	٢١٣

البيت	صفحة
(ح)	
حبيبي ارفع حجاب النور عن العذار	٢١٥
حل المجون ياهل الشطارا مذ حلت الشمس بالحمل	٢١٨
(ز)	
زهر شيب المفارق تفتحت عنه الكمام	٢٣٢
(س)	
سبحان مالك خواطر الأمرا بنواحيها فى كل حين وزمان	٢٢٢
(ض)	
ضاحك عن جمان سافر عن بدر	٢٠٨
(ط)	
طل الصباح قم يا نديم نشربو ونضحكو من بعد ما نطربو	٢١٩
(ع)	
العشى تعيا والنوابغ عن شكر أنعمك السوابغ	٣٠٣
العود قد ترنم بأبدع تلحين	٢٠٨
عينى التى كنت أرعاكم بها باتت ترعى النجوم وبالتسهيد اقتاتت	٢٢٦
(ف)	
فى كئوس الثغر من خمر اللعس راحة الأرواح	١٩٢
(ق)	
قد نظم الشمل أتم انتظام واغتنم الأحباب قرب الحبيب	١٩٧

البيت		صفحة
قد نظم الشمل أتم انتظام	ولاحت الأقمار بعد المغيب	٢٠١
قسما بالهوى الذى حجر	ما قليل المشوق من فجر	٢١٢
قل للأحبة والحديث شجون	ما ضر إن شاب الوقار مجون	٢٢٧
قم وناج الله فى داجى الغلس	تنتشى الأرواح	٢٣٧

(ك)

كل الدجى يجرى	من مقلة الفجر على الصباح	٢١٠
كم فى القدود الليان	تحت اللمم	٢٥٤
كن مرعى قل ولا تكن راعى	فالراعى عن رعيته مسئول	٢٢٢
كيف السبيل إلى	صبرى وفى العالم أشجان	٢٠٨

(ل)

لأحمد بهجة	كالقمر الزاهر فى أبرج السعد	٢٤٣
لأحمد تعنو الأقمار	فعدد نجاره	١٤٥
لأحمد المصطفى مقام		٢٤٠
لله ما أجمل روض الشباب	من قبل أن يفتح زهر المشيب	٢٠٣
لو ترجع الأيام بعد الذهاب	لم تقدح الأشواق ذكرى حبيب	١٠٥

(م)

ما حال صب ذى حسن واكتئاب	أمرضه يا ويلتاه الطبيب	٢١٢
ما العيد فى حلة وطاق	وشم طيب	٢١٠
المال زينة الدنيا ومن النفوس	يبهى وجوهاً ليس هى باهيا	٢٢١
ما للمولة من سكره لا يفيق	بالله سكران	٢١٠

(ن)

نأت بى الأوطان	عن حضرة الإحسان ولا معين	٢٣٨
ناديتها ومشيبى قد طوانى طى	جودى علىّ بقبلة فى الهوى بامى	٢٢٦
نسيم غرناطة عليل	لكنه يبرئ العليل	١٧٩
نواسم البستان	تنثر سلك الزهر	١٧٤

البيت	صفحة
(هـ)	
هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صب حله عن مكنس	٢١٣
(و)	
واحسرتا لزمان مضى عشية بان الهوى وانقضى	٢١١
وأخضر حمادى فى الورد لائح على صفح ورد حسنه متناهى	٢٥٥
ورذاذ دق ينزل وشعاع الشمس يضرب	٢١٧
وعريش قد قام على دكان بحال رواق	١١٦
(ى)	
يا حادى العيس ازجر بالمطايا زجر وقف على منزل احبابى قبيل الفجر	٢٢٦
يا عريب الحمى من حى الحمى أنتم عيدى وأنتم عرسى	١٢٩
يا ليتنى إن ريت حبيبي أفتل اذنو بالرسيلا	٢١٨
يا ليلة الوصل والسعود بالله عودى	٢٠٩
يا هاجرى هل إلى الوصال منك سبيل	٢١١
يد الإصباح قدحت زناد الأنوار	٢١٢

فهرس أنصاف الأبيات

(ا)

أغرى سراة الحى بالإطراق : ١٥ رجز

(ع)

عجباً لها أيذوق طعم وصالها : ٣٢٢ كامل

فهرس الموضوعات

صفحة

القاضي البنهاوي

التعريف به ٥
من كلام لابن الخطيب عنه ٥
من كلام للسراج عنه ٦
من تآليفه ٧
نسبه ٧
بعض ما كتبه ابن الخطيب عنه في الإحاطة ٧
شعر له أورده ابن الخطيب ١٠
حظوته عند ابن الأحمر بعد تنكره لابن الخطيب ١١
من كتاب لبعض بني الأحمر ... ١١
شعر اختاره المؤلف أيضاً من كتاب ابن الأحمر ٣٤
في مدح الغني بالله وتجديد الدولة الأحمدية ٣٥
في شكر السلطان لنعمة وصلته في عاشوراء ٣٨
في وصف قرنفل بجبل الفتح ... ٣٩
في تهنئة مولاه بوصول القائد خالد من تلمسان ٤٠
في مولد عام خمسة وستين ٤٢
في مولد سنة سبع وستين وسبع مئة ٤٦
ما أنشده في مولد عام ثمانية وستين ٥١
ومن إعذارياته سنة أربع وستين وسبع مئة ٥٥
ومن شعره في الصنيع المختص بالأميرين سعد ونصر ٦٠
ومنه في صنيع الأمير أبي عبد الله ٦٥
في صنيع للغني بالله لإعذار بعض حفدته ٧٤

صفحة

في صنيع لبعض أمراء بني الأحمر ٨١
من عيدياته ٩٣
عيدية أخرى ٩٦
ومن أناشيده في المواسم العقيقية ١١٦
وله في بعض نزه مولاه في شغيل ١٢٢
وله في الشكر على ضروب من التحف ١٢٥
في هدية من حب الملوك ١٢٦
في هدية أخرى منه ١٢٦
في صيد أهدي إليه ١٢٧
في أصناف من الفواكه أهديت إليه ١٢٧
وله في يوم عاشوراء ١٢٨
ومن بعض قطعه ١٢٨
في باكور أهداه إليه ١٢٩
في جفنة ثريد ١٢٩
في الشكر عن كتاب ١٢٩
في الشكر على خلعة ١٣٠
وله في السؤال عن حاله وقد مرض بعض أبنائه ١٣١
في مثل ذلك ١٣١
في التورية باسم قائد ١٣٢
في ملبس اتخذه ١٣٢
فيما يرسم على ثوب مهدى للسلطان أبي العباس ١٣٣
في مثل ما تقدم ١٣٣
وله في الغني بالله وهو على جواد أدهم ١٣٤
وله مع هدية زهرية ١٣٤
وله متشوقاً إلى الغني بالله ١٣٤
ومما كتبه إليه وهو في حال تألم ١٣٥
في مثل ذلك أيضاً ١٣٥

	صفحة
فى ذلك أيضا	١٣٥
وله فى التهنئة بالشفاء	١٣٥
فى هذا أيضا	١٣٦
فى مثل ما سبق	١٣٦
وله يصف البازى ويشكر ما أهدى إليه من صيده	١٣٧
وله يصف غرباناً ويتفاءل	١٣٨
فى التهنئة بعودة الأمير من جبل الشوار	١٣٩
فيما يرسم بطيقان الأبواب	١٣٩
فى مثل هذا	١٣٩
فى مبتنى للأمير سعد	١٤٠
وله فى الشكر عن هدية	١٤١
وله فى التذييل على بيت ابن المعتز	١٤٢
وله فى التذييل على بيت ابن وكيع	١٤٢
ومما يرسم للغنى بالله	١٤٣
من مقطوعة	١٤٣
فى عيدية	١٤٣
فى وصف جيش	١٤٤
من قصيدة له ميمية	١٤٦
فى رثاء الغنى بالله	١٤٩
وله على لحد الغنى بالله	١٥٢
وفى رثاء الغنى بالله أيضا	١٥٤
وله فى استعطاف السلطان أبى الحجاج	١٥٧
وله فى خطاب السلطان أبى عبد الله	١٥٨
ومن شعره فى أبى عبد الله	١٥٨
وله فى خطاب مولاه الوالد	١٥٩
مرثيته لأبى القاسم الحسنى	١٦٠
وله فى مدح شيخه ابن الخطيب	١٦٤
وله مما يخاطب به ابن الخطيب أيضا	١٦٦
وله فى وصف مصباح	١٦٩
وله فى صدر رسالة إلى ابن الخطيب	١٧٠
وله يصف الزرافة ويمدح مدح السلطان أبا سالم	١٧٠

	صفحة
وله يستنجز كتاب المغرب ميلادياتهم	١٧٣
وله إليهم أيضا فى المعنى المتقدم ...	١٧٣
وله فى مراجعة الكاتب أبى زكريا ابن أبى دلامة	١٧٥
وله فى السلطان أبى العباس	١٧٥
للمؤلف فى سبب إطالة الحديث عن ابن زمرك	١٧٦
من موشحات ابن زمرك	١٧٦
موشحة له فى الشوق إلى غرناطة	١٧٧
ومن موشحاته فى وصف مبنى الرشاد	١٧٩
ومن موشحاته إلى الغنى بالله	١٨١
ومن موشحاته معارضا ابن سهل	١٨٤
ومن موشحاته فى الصبوحيات أيضا	١٨٩
ومن موشحاته فى التهنئة بالشفاء من مرض	١٩٢
موشحة له أخرى فى الهناء بالشفاء	١٩٤
موشحة له فى وصف مالقة ومدح الغنى بالله	١٩٥
موشحة له فى وصف بناء المحدث بمالقة	١٩٧
موشحة له أخرى فى الهناء بالشفاء	١٩٩
موشحة له أخرى فى الهناء بالشفاء	٢٠٠
ومن موشحاته فى تهنئة السلطان موسى بن أبى عنان المرينى ...	٢٠١
ومن موشحاته فى وصف غرناطة والطرد وغير ذلك	٢٠٣
آخر موشحاته وهى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم	٢٠٥
كلام ابن خلدون فى الموشحات والأزجال	٢٠٦
اعتذار المؤلف عن ذكره الأزجال	٢٢٧
موشحتان غير منسوبتين فى مدح الرسول	٢٢٨

صفحة

موشحات لابن الصباغ الجذامى فى مدح الرسول أيضا ٢٣٠
نظم للجذامى فى غير الموشحات ... ٢٤٨
ومن غميسه ٢٥٠
من نظمه فى مدح النبى ٢٥٢
لابن خاتمة من الموشحات ٢٥٣

رجع

بعض ما ورد من الأثر فى سبته ... ٢٥٦
الخليفة الناصر وسبته ٢٥٧
خلافة الناصر ٢٥٨
رسل ملك الروم إليه ٢٥٨
هدية ابن شهيد إلى الناصر ... ٢٦١
الناصر وقد أراد القصد يوما ... ٢٦٥
بناء الناصر جامع الزهرا ٢٦٥
بناؤه القناة ٢٦٦
تشييد الناصر مدينة الزهراء ... ٢٦٧
شىء عن عمران قرطبة ٢٧٢
احتفال الناصر لقدم ملك الروم وظهور البلوطى على سائر الخطباء ٢٧٢
من خطبة للبلوطى ٢٧٧
بينه وبين الناصر فى التزهيد فى تنميق الغباء ٢٧٧
خطبة لمنذر فى الاستسقاء ٢٧٩
من خطبة له أخرى فى ذلك ... ٢٨٠
بعض أنصاره مع الناصر وحديث القبيبة ٢٨٠
الناصر وأيام سروره ٢٨٢
اعتذار الناصر لأولاد ابنه وما كان بينه وبين الفقيه أبى إبراهيم لتخلفه ٢٨٢
بين الحكم والفقيه أبى إبراهيم ٢٨٤
بيعة الحكم المستنصر ٢٨٦
وفود أردون عليه وحديث ذلك ٢٨٨
شعر للمرادى فى هذا المقام ... ٢٩٣

صفحة

شىء عن منذر ابن سعيد البلوطى ٢٩٤
بعض مأثور كلامه ٢٩٦
نقد للونشريشى فى تشييع ابن الخطيب على الموتقين ٢٩٧
رجع إلى سبتة وما كان بين ابن خميس وبعض طلبتها ٢٩٧
التعريف بابن خميس ومقتله ... ٣٠١
شعر صوفى لأبى مدين ٣٠٨
تخميس على قصيدة لسيدى إبراهيم التازى ٣٠٩
قصيدة لابن مرج الكحل تشبه قصيدة لابن خميس ٣١٥
ولابن مرج الكحل ٣١٦
منزلة ابن جايس عند علماء المشرق ٣٢٢
شوق ابن خميس إلى بلدة تلمسان ٣٢٣
من قصيدة أخرى له فى الشوق إلى تلمسان ٣٢٩
قصيدة للثغرى فى وصف تلمسان ٣٢٩
قصيدة أخرى للثغر فى تلمسان ... ٣٣٢
قصيدة منديل ابن آجروم فى ذكر فاس رجع إلى نظم ابن خميس رحمه الله ٣٣٣
ولابن خميس يصف تلمسان ويمدح ابن الحكيم ٣٣٥
التعريف بابن الحكيم ٢٤٠
سائه ٣٤١
قدومه إلى غرناطه ٣٤١
شمائله ٣٤١
رحلته مع ابن رشيد وشيوخها ... ٣٤١
تلاميذه ٣٤٢
قصيدة ابن الجياب فى مدحه ... ٣٤٢
أبيات فى رثائه ٣٤٤
شىء من شعره ٣٤٥
ومن نثره ٣٤٦
بديهته ٣٤٧

	صفحة
التعريف بابن رشيد	٣٤٧
رحلته وما أفادمنها	٣٤٧
شمائله	٣٤٨
شيوخه	٣٤٨
تآليفه	٣٥٠
مذهبه	٣٥٠
شرحه للبخارى	٣٥٠
اجتهاده فى فهم الحديث	٣٥٠
يروى أن الحديث مروى بالمعنى...	٣٥١
قدرته على البيان والارتجال ...	٣٥١
تعليق للمؤلف على موقف ابن رشيد	٣٥٢
شهادة ابن رشيد لبعض العلماء ...	٣٥٢
تقريظ لبعض تآليفه	٣٥٢
شىء من أشعاره	٣٥٣
إشارة إلى بعض الوضاعين فى الحديث	٣٥٤
إجازته لبنت المهيمن ووفاته ...	٣٤٥
حاله بعد عوده من المشرق ...	٣٥٥
كتاب الإشادة للعزفى	٣٥٦
لأبى العباس العزفى فى مدح ابن الحكيم	٣٥٧
وله فى مدحه أيضا	٣٥٨
كلام القاضى أبى حفص فى كتاب الإشادة	٣٥٩
التعريف بالقاضى أبى حفص عمر السلمى	٣٦١
شيوخه	٣٦١
ولايته	٣٦١

	صفحة
مولده ووفاته	٣٦١
من شعره فى مدح أبى يعقوب يوسف	٣٦١
هو وأبو العباس الجراوى ...	٣٦٤
للجراوى يهجو بنى غفجوم ...	٣٦٥
من شعر القاضى أبى حفص يمدح أمير الموحدين	٣٦٥
وله فى الغزل	٣٦٦
لابن شكيل فى مدح القاضى أبى حفص	٣٦٧
ثناء العلماء على القاضى أبى حفص	٣٧١
من نظم القاضى أبى حفص ...	٣٧٣
بيت العراقيين أصحاب نسبته ...	٣٧٤
أبو القاسم العزفى	٣٧٤
بعض تآليف أبى القاسم العزفى ...	٣٧٥
نسبة العزفيين إلى لخم	٣٧٦
بعض فضائله وشعره	٣٧٧
ابناه : أبو حاتم وأبو طالب فى سبته	٣٧٧
يحيى بن أبى طالب	٣٧٧
يحيى بن يحيى العزفى	٣٨٨
صاحب الإرشاد من بنى العزفى ...	٣٧٨
تعريف الإشادة بابن خبازة الشاعر	٣٧٨
بعض أشعار ابن خبازة	٣٧٩
قصيدته فى رثاء ابن الجر ...	٣٨٨
وله فى قبه ليحيى بن الناصر الموحدى	٣٨٢
وله فى الحنين إلى أحبابه	٣٨٣
وله فى مدح النبى	٣٨٣

تصويب أخطاء مطبعية

س	ص	خطأ	صواب
٣	٧٠	فى الجوَّ	فى الجوِّ
٦	١٠٧	واسحبَ	واسحبْ
٢٢	١٠٨	ورمة	ورامة
٩	١٢٥	واللهَ	واللهِ
١٥	١٣٨	قصىٌّ	قصىَّ
١٧	١٦٠	تَرَجِّى	تُرَجِّى
٨	١٦٦	القَصْبَهْ	القَصَبَهْ
١٩	١٦٧	ذا مَا طَوَى	إذا مَا طَوَى
١٣	١٦٨	أكِنِي	أكْنِي
٧	١٨١	والشِّيب	والشَّيب
٨	١٩١	ما الزَّهُرْ	ما الزَّهْرُ
٣	١٩٢	الثفر	الثغر
٥	١٩٢	مُذَهَّبَا	مُذْهَبَا
٧	٢٠٥	نَومْ	نَومٌ
١٤	٢١٣	سِرٌّ	سِرَّ
١٤	٣٣١	المجدَ	المجدُ
٤	٣٤٩	محمد ابن	محمد بن
١٠	٣٦٥	غَفْجوم	غَفَجوم

المعهد الخليفي للأبحاث المغربية

بيت المغرب

أزهار الرياض في أخبار عياض

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني

الجزء الثالث

ضبطه وحققه وعلق عليه

مصطفى السقا
المدرس بجامعة فؤاد الأول

إبراهيم الأبياري
المدرس بالمدارس الأميرية

عبد الحفيظ شلبي
المدرس بالمدارس الأميرية

مطبعة فضالة

الأصول المعتمدة لأزهار الرياض

ذكرنا فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة بعض الأصول التى اعتمدنا عليها فى تحقيق الكتاب ، ونذكرها هنا فى مفتتح هذا الجزء تذكيرا للقراء ، وهذه رموزها :

(ط)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٢٠١٣ تاريخ) . وقد وصفناها فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

(ت)

للدلالة على القطعة المطبوعة من هذا الكتاب فى تونس سنة ١٣٢٢ هجرية ، وقد انتهت بانتهاء ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، حيث انتهى الجزء الأول من طبعتنا هذه .

(م)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية (برقم ٧٩٤ تاريخ) ، وقد وصفناها فى مقدمة الجزء الأول .

(ص)

للدلالة على نسخة عثرنا عليها بعد الفراغ من طبع الجزء الأول ، وهى بخط مغربى واضح ، فى ٥٩٣ صفحة من القطع الكبير ، وبها عدة سقطات ، ونرجح أنها كتبت قبل سنة ١١٤١ هـ لوجود هذا التاريخ على آخر صفحة منها بخط بعض مالكيها .

تنبيه :

كل ما جاء فى هذا الجزء بين هاتين الحاصرتين [ ] من غير تنبيه عليه ، فهو من زيادات النسخ الأخرى على نسخة (ط) التى هى الأصل المعتمد للطبع .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثالث

من كتاب

أزهار الرياض، فى أخبار عياض

روضة الأقحوان

فى ذكر حاله فى الفشأ والعنفوان

كلام لابن عاصم فى أبيه يتمثل به المؤلف فى وصف عياض

أقول، ومِنَ الله أسألُ التّأييدَ والعَون، والوقايةَ والصَّون:

عَقَدْنا هذه التَّرجمة الثانية، لبيان حاله، فى حَلِّه وتَرحاله.

فاعلم أَرشدَنا الله وإيّاك إلى طريق الرِّضوان، وجَنَّب جميعَنا مسالكَ الذُّلّ والهَوان، أنَّ حالَ هذا الإمامِ لا تفِي بها عبارتى القاصرة، ولا[1] تُحيط إشارتى بمن عَقَد الفضلُ عليه خَناصرَه. وما أجدُ لبعض ذلك مِثالا إلّا بعضَ قول الرئيس [القاضى] الكاتب أبى يحيى بنِ عاصم، عند ما عرَّف بأبيه [صاحب التُّحفة]، وقال[2] فيه ما نصه:

مولاى الوالدُ يُكْنَى أبا بكر، إن بَسَطتُ القول، وعددْت الطُّول، وأَحْكَمَت الأَوصاف، وتوخّيت الإنصاف؛ أنفدْتُ الطُّروس، وكنتُ كما

(١) فى م: «وكيف» (٢) فى ص: «فقال».

يقول الناس فى المثل: «مَنْ مَدَحَ العَروس[١]». وإن أضَرَبْتُ عن ذلك صَفْحا، وآثرت غَضًّا [من البُنُوَّة] وسَفْحا[٢]، فلبِئْسَما صَنَعْت، ولَشَدّ ما أمْسكْتُ المعروفَ ومَنَعْت، ولَكَم من حقوق الأُبُوَّة أضَعْت، ومن ثَدْى المَعَقَّة رَضَعْت، ومِنْ شيطانِ لغَمْصَةِ الحقِّ أطَعْت، ولم أُرِدْ إلّا الإصلاحَ ما استطعْت؛ وإن [٥٠٠] توسَّطْتُ واقتصرْت، وأوجزْتُ واختصرْت، فلا الحقّ نَصَرْت، ولا أفنانَ البلاغة هَصَرْت، ولا سبيلَ الرُّشْد أبصرْت، ولا عن هوى الحسَدَة أقْصَرْت.

هذا؛ ولو أنّى أجهدتُ ألْسِنة البلاغة فَجَهِدَت، وأيقظتُ عُيون الإجادة فَسَهِدَتْ، واستعرْتُ مواقف عُكاظَ على ما عُهِدَتْ، لما قَرَّرْتُ من الفضل إلّا ما به الأعداء قد شَهِدَتْ، ولا استقصيْتُ من المجد إلّا ما أوصتْ به الفِئة الشانئة لخلفها الأبتر وعَهِدَتْ؛ فقد كان رحمه الله عَلَمَ الكمال، ورجل الحقيقة، وَقارًا لا يَخِفُّ راسيهْ، ولا يَعْرَى كاسِيهْ، وسُكونا لا يُطْرَق جانبُهْ، ولا يُرْهَب غالبُهْ، وحِلْما لا تزِلّ حَصاته، ولا تُهْمَل وَصاته، وانقباضا لا يُتَعدَّى رَسْمُه، ولا يُتجاوَز حُكمُه، ونزاهةً لا تَرْخُص قيمتُها، ولا تَلين عزيمتُها؛ وديانةً لا تُحْسَرُ أذْيالُها، ولا يَشِفُّ سِرْبالُها، وإدرا كا لا يُفَلُّ نَصْلُه، ولا يُدْرَك خَصْلُه، وذِهْنا لا يخبُو نُورُه، ولا يَنبو مَطْروره[٣]، وفَهْما لا يخفَى فَلَقُه، ولا يُلحَق [طَلَقُه، وصدقا لا يُخْلَفُ مَوْعِدُهُ، ولا يَأْسَنُ مَوْرِدُهُ، وحِفْظا لا يُسْبَرُ غَوْرُه، ولا يَذْبُلُ نَوْرُه، بل لا يُطْرَقُ][٤] بحرُه، ولا يُعَطَّل فخره،

(١) هذا جزء من مثل، ذكره على سبيل الاكتفاء، لوضوح معناه وشهرته. وتمامه كما فى مجمع الأمثال للميدانى: «من يمدح العروس إلا أهلها». قال: يضرب فى اعتقاد الأقارب بعضهم ببعض، وعجبهم بأنفسهم.

(٢) سفحا: مصدر سفح الماء إذا أراقه. يريد: إهدار البنوة وتناسى واجبها.

(٣) المطرور: المحدد.

(٤) الزيادة عن الديباج المذهب لابن فرحون.

وتحصيلا لا يُفْلِت قنيصُه ، ولا يَسْأَمُ حريصُه ؛ بل لا يُحَلّ عِقالُه ، ولا يَصْدأ صِقاله ؛ وطلَبًا لا تَتَّحد[1] فُنونه ، ولا تَتعيَّن عُيونُه ، بل لا تُحصَر معارفُه ، ولا تُقْصَر مصارفُه .

انتهى المقصود منه ، و بعضَ كلامه أردت لا كلَّه ، إذ هو اللائق بوصف القاضى أبى الفضل عِياض إمام المِلّه .

للملاحى فى عياض

قال الملاحِىّ : كان القاضى عِياض — رحمه الله تعالى — بحْرَ علم ، وهضْبة دِين وحِلم ، أحكمَ قراءة كتاب الله [تعالى] بالسبْع ، و بلغ من معرفته الطُّول والعَرْض ، و برَّز فى علم الحديث ، وحمل راية الرأى ، ورَأس [فى] الأُصول ، وحَفِظ أسماء الرجال ، وثَقَبَ فى علم النحو ، وقيَّد اللغة ، وأشرف على مذاهب الفقهاء ، وأنْحاء العلماء ، وأغراض الأدباء . [٥٠٦]

انتهى كلام الملاحِىّ .

لابنه أبى عبدالله فيه

وقال ابنه القاضى أبو عبد الله بن عياض رحمه الله :

نشأ أبى على عفّة وصيانة ، مَرْضىَّ الحال ، محمودَ الأقوال والأفعال ، موصوفا بالنُّبل والفهم والحذق ، طالبا للعلم ، حريصا عليه ، مجتهدا فيه ، معظَّما عند الأشياخ من أهل العلم ، كثيرَ المجالسة لهم ، والاختلافِ إليهم ، إلى أن بَرَع أهلَ زمانه ، وساد جُمْلةَ أقرانِه ؛ فكان من حُفّاظ كتاب الله تعالى ، مع القراءة الحسنه ، والنَّغْمة العذبه ، والصوت الجَهير ، والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه ؛ وكان من أئمة الحديث فى وقته ، أصوليًّا متكلّما ، فقيها ، حافظا للمسائل ، عاقدا للشروط ، بصيرا بالأحكام ، نحويًّا ، رَيّانَ من الأدب ، شاعرا مُجيدا ، كاتبا بليغا ، خطيبا ، حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حسَنَ المجلس ،

(١) فى الديباج المذهب لابن فرحون : « لا تنحد » .

نَبيل النادره[1] حُلْو الدُّعابه ، صَبورا حليما ، جميـل العِشْره ، جَوادا سَمْحا ، كثيرَ الصدقه ، دَءوبا على العمل ، صَليبا فى الحق ، وبلغ فى التفنُّن فى العلوم ما هو مشهور ، وفى العالم معلوم .

لابنه وابن خاتمة فى ذكر شيوخه

قال ابنه وابن خاتمة فى مَزِيَّة المَرِيَّة :

وأخذ عن أشياخ بلده سَبتة ، كالقاضى أبى عبد الله بن عيسى ، والخطيب أبى القاسم ، والفقيه أبى إسحاق بن الفاسى ، وغيرهم . ثم رحل إلى الأندلس ، وكان خروجه من سَبتة يوم الثلاثاء منتصفَ جُمادَى الأولى سنةَ سبع وخمس مئة ، فوصل إلى قرطبةَ يومَ الثلاثاء مستهلَّ جُمادَى الآخرة بعدها[2] ، فأخذ بها عن ابن عتّاب ، وابن حَمْدين ، وابن الحاجّ ، وابن رُشْـد ، وأبى الحسين بن سراج ، وأبى الحسن بن مَغيث ، وأبى القاسم بن النَّحاس ، وأبى بحر الأسدىّ ، [٥٠٧] وأبى القاسم بن بَقِىّ ، وأبى الوليد هشام بن أحمد بن العَوّاد ، وغـيرهم من أعلام قرطبة . ثم خرج منها إلى مُرْسِية يومَ الاثنين لخمسٍ بَقِين من المحرم ، سنة ثمـان من التاريخ ، فوصل مُرْسِيَة يومَ الثلاثاء الثالثَ من صفر بعده .

كذا قال ولدُه ، وهو أعْرَف .

وقال ابن خاتمة فى مَزِيَّة المَرِيَّة : إنه وصل مُرْسِية فى غُرَّة صفر ، فوجد الحافظ أبا علىٍّ الصَّدَفِىَّ مختفيا — قال ابن خاتمة : وكان اختفَى قبل ذلك بأيام ، لنَبْذِه خُطَّةَ القضاء من غير أن يُعْفَى — ووجد الرَّحَّالينَ إليه قد نفِدَت نفقات بعضهم ، ومنهم من ابتدأ كتابا لم يُتِمّه ، فأخـذ أكثرُهم فى الرجوع إلى مواطنهم ، وتربَّص بعضهم ، فمـكث هو بقيَّةَ صفرٍ وشهرَ ربيع الأول لا يَقَعُ له على خبر ، سِوَى الظنّ بكونه هنالك ، وقابلَ أثناء ذلك بأصوله ، وكتب منها

(١) فى الأصول : « النادر » . (٢) فى ط : « بعده » .

ما أمكن ، على يد خاصّةٍ من أهله ؛ ولا يُشَكّ أنّ تصَرُّفَه فى ذلك لم يكُن إلا بأمره[١] ، إلى أن وصل كتابُ قاضى الجماعة أبى محمد بن منصور ، بحَلّ القاضى أبى علىٍّ عن القضاء .

قال ابنه : ووصل كتابه أيضا إلى أبى مُعْلِما له بذلك ، إذ كان يَكرُم عليه ، وعَلم برحلته إليه ، فخرج أبو علىٍّ من اختفائه ، وجلس للتسميع ، فسمع عليه كثيرا ، ولازمه ، وكان له به اختصاصٌ ، فحصَل له سماع[٢] كثير ، فى أمد يسير .

قال ابن خاتمة : سمع عليه الصحيحين ، والمؤتلف والمختلف ، ومُشْتَبه النِّسبة لعبد الغنى[٣] ، والشِّهاب[٤] للقُضاعىّ ، وغيرَ ذلك ؛ وكتب عنهُ فوائدَ كثيرة ، وعارض بأصوله ، وأجاز له [جميع رواياته] .

قال ابنه رحمه الله : حكى أبى أبو الفضل عِياض رحمه الله أنّ القاضىَ أبا على الصَّدَفِىَّ رحمه الله قال له : لولا أن الله يسَّرَ خروجى بلُطْفه ، لكنتُ عزَمت[٥] أن أُشعِرَك بموضع يقع عليه الاختيارُ من بلاد الأندلس ، لا يُؤْبَهُ
[٥٠٨] لكَوْنى فيه ، فتدخُلَ إليه ، وأخرُجَ مختفيا إليه بأصولى ، فتجدَ ما ترغب ، لما كان فى نفسى من تعطيل رحلتك ، و إخفاق رغبتك .

ولقىَ فى رحلته هذه جماعةً من أعلام الأندلس ، وأجازه أبو علىّ الجَيّانى[٦]

---

(١) يريد : بأمر أبى على الصدفى . (٢) فى م ، ص : « مسموع » .
(٣) هو الحافظ عبد الغنى بن سعيد الأزدى القدسى المتوفى سنة ٤٠٩ هـ .
(٤) هو كتاب الشهاب ، فى المواعظ والآداب ، فى علم الحديث . ذكره القلقشندى فى صبح الأعشى ، عند الكلام على أنساب قضاعة ، ونسبه للقضاعى المصرى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ . (٥) فى ط : « لزمت » .
(٦) هو الحسين بن محمد بن أحمد الغسانى المعروف بالجيانى توفى سنة ٤٩٨ هـ .

وشُرَيح وابنُ [١] شِبْرين ، وغيرُهم من أعلام غرب الأندلس ؛ وأجازه أيضا أبو جعفر بن بشتغير ، وابن الأدقر ، وأبو زيد بن منتال ، وغيره من أعلام شرق الأندلس .

قال ابن خاتمة :

وفى رحلته هذه دخل المَرِيّة ، وبها لقِيه القاضى أبو جعفر بن مَضاء .

قال ابنه : ووصل بلدَه بعد هذه الرحلة ليلة السبت سابعَ جمادى الآخرَة سنة ثمان وخمس مئة ، وأجلسه أهل بلده للمناظرة عليه فى المدوَّنة ، وهو ابن اثنين وثلاثين عاما ، وبعد ذلك بيسير أُجْلِسَ للشُّورَى ، ثم ولِيَ القضاء عام خمسة عشر وخمس مئة ، لثلاثٍ بقينَ من صَفر ، فسار فيها أحسن سِيرة ، محمودَ الطريقة ، مشكورَ الحالة ، أقام جميع الحدود على ضروبها ، واختلافِ أنواعها ، وبنى الزيادة الغربيّة فى جامع سَبتة ، التى كمُل بها جمالُه ، وبنى فى جبل المينا الرابطة [٢] المشهورة ، إلى غير ذلك من الآثار المحمودة ، والمساعى المرضيّة ، فعظُم جاهُه ، وبَعُد صيتُه .

ثم نُقِل إلى غَرناطة ، ووصل إليه الكتابُ بذلك فى أول يوم [من] صفر عامَ أحَد وثلاثين وخمسِ مئة ، فنهض إليها ، وتقلد خُطَّة قضائها ، على المُعْتاد من شيمته السنيّه ، وأخلاقِه المرضيَّه ، مشكورا عند جميع الناس ، [٣] لكنّ تاشَفين ضاق به ذَرعُه ، وغَصّ بمراقبته ، وصدِّ أصحابه عن الباطل ، وخَدَمَتِه عن الظلم ، وتشريدهم عن الأعمال ، فسعى فى صرفه عن قضاء غرناطة ، فصُرِف بعد انفصاله عنها زائرا أهله ، وترك ابن أخيه الزاهد أبا عبد الله رحمه الله ، على الأحكام

(١) الكلام من قوله : « شبرين » إلى قوله « الأندلس » : ساقط من نسخة ط .

(٢) يريد بالرابطة : الرباط ، وهو المكان يرابط فيه المتعبدون .

(٣) الكلام من قوله : « لكن » إلى قوله : « الأحكام » : ساقط من نسخة ط .

وذلك فى رمضان المعظم ، عام اثنين وثلاثين وخمس مئة .

ثم وَلِى قضاء سَبتة ثانية ، فى آخر عام تسعة وثلاثين وخمس مئة ، قدّمه إبراهيمُ بن تاشَفين بن على بن يوسف بن تاشفين ، فابتهج أهلُ بلده بذلك ، فسار فيهم السيرةَ التى عَهِدوا منه ، ثم بادر بالمسابقة إلى الدخول فى نظام الموحِّدين ، والاعتصام بحبلهم المتين ، فأقرّه أميرُ المؤمنين ، أدام الله أمره ، على ما كان [٥٠٩] عليه ، وصرَف أمورَ بلده إليه ، وخاطبه بالتنويه ، وحظِى عنده ، وشكَرَ بدَارَه وسَبْقه . ثم رحل إليه ، فاجتمع به بمدينة سَلَا ، عند توجهه إلى محاصرة مَرَّاكُش ، فأوْسَع له ، وأجزلَ صِلته ، ولقِىَ منه برًّا تاما ، وإكراما عامّا ، وانصرف على أحسن حال ، إلى أن ثارت الفتنة .

انتهى كلام ولده ، وسنذكر بقيته فى محلّه ، إن شاء الله .

لابن القصير فى دخول عياض غرناطة

وقال الشيخ العلّامة أبو زيد عبد الرحمن الغَرناطىّ ، المعروفُ بابن القصير ، رحمه الله : لمّا ورد علينا القاضى عِياض غَرناطة ، خرج الناسُ للقائه ، وبرّزوا تبريزا ما رأيت لأمير مؤمّر مثلَه ، وحَزَرْت أعيانَ البلد الذين خرجوا إليه رُكّابا[1] ، نيّفا على مِئتى راكب ، ومن سَواد العامّة ما لا يُحصَى كثْرَة ، وخرجتُ مع أبى رحمه الله [تعالى] فى جُمْلة من خرج ، فلَقِينا شخصا بادىَ السِّيادة ، مُنبِئا عن اكتساب المعالى والإفادة . قال : وكان ورودُه علينا يوم الخميس لخمس بقين من ربيع الآخِر سنة ثلاثين وخمس مئة . انتهى .

وانظر قوله سنةَ ثلاثين مع ما تقدم لولده ، من أن ولايَته قضاء غَرناطةَ سنة إحدى وثلاثين ، فلا أدرى أيُّهما أصوب ، إلا أن يقال إنّ أحدَهما تحريفٌ من الناسخ . والله أعلم .

(١) كذا فى م ، ص . وفى ط : « ركبانا » .

ثم إنى رأيت فى الإحاطة ، أنه تولى قضاء غَرناطة عام أحد وثلاثين ، فتبين أن ذلك هو الصواب . ورأيتُ مثله فى غير موضع ، فبان أنه لا تحريفَ فيه . ويبقى النّظرُ فى الآخَر المنقول عن عبد الرحمن بن القصير ، وقد نقله ابن جابر الوادى آشى عن عبد الرحمن المذكور كما حكيتُه ، سنة ثلاثين ، فالله أعلم .

ثم قال عبد الرحمن المذكور : ولما استقرّ عندنا كان مثلَ التّمْرة : كلما لِيكَت زادت حلاوه ، ولفظُه عذب فى كل ما صرّف من الكلام ، للنفس إليه تَتوُّق وله طُلاوه ، وكان بَرًّا بلسانه ، جوادا ببنانه ، كثير التخشع فى صَلَاته ، [٥١٠] مواصلا لصِلاته ، وقد جَمْعْنا[1] من سِيَره جُمَلا فى الكتاب الذى جمعنا فيه مناقب من أدْرَكنا ، من أعيان عصرنا ونُبهائه ، وذكرنا له ما يُفاخَر برونقه وبهائه ؛ وكان مع براعته فى علوم الشريعة خطيبا ، فى تحبيره للخطب وفى لفظه ، ظاهرَ الخشوع عند التلاوة وفى لحظه ، سريع العَبْره ، مُديما للتفكّر والعِبره ، كاتبا إذا نَثَر ، ناظما[2] إذا شعَر .

انتهى . نقَله ابن جابر وغيرُ واحد كابن رُشَيْد .

وقال فى أوّله مانصه : قال أبو القاسم عبدُ الرحمن بنُ أحمد بن أحمد الأزدى : ولِىَ عندنا ببلدنا غَرناطة ، حرسها الله تعالى ، الفقيهُ الأجلّ ، الحافظُ الأحفل ، القاضى الأكرمُ الأفضل ، الإمامُ الخطيب المِصقع ، الأديب الأبْرَع ، أبوالفضل عياض . انتهى .

ونقلت من خط بعض تلامذة ابن رُشَيد ، وهو الفقيه محمد بن البرْدَعِىّ ما نصه :

وعبد الرحمن هذا قد سألت عنه شيخَنا المذكور — يعنى ابنَ رُشيد — فقال

---

(١) فى م ، س : « بينا » . (٢) فى ط : « ناطقا » .

لى : لم يُعَرِّف به أحدٌ من أهل الصِّلات . قلت : ولا الملاحئُ أيضا .
انتهى ببعض اختصار .

إنصاف القاضى عياض

وكان الإمام القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله كثيرَ الإنصاف ؛ ومما يدل على إنصافه الحقَّ[1] وتواضعه ، ما حكاه عبدُ الرحمن المذكورُ آنفا ، إذ قال : دخلتُ مجلس القاضى أبى الفضل عياض ، رحمه الله تعالى ، إذ كان قاضيا عندنا بغَرناطة ، وبه جماعةٌ من الطلبة والأعيان ، يسمعون تأليفه المسمَّى بالشِّفا ؛ فلما وصل القارئ إلى هذه الكلمات : «ومَنْ قَسَمَ به أقسط» ، قرأه ثُلاثيا ، وكذلك كان فى الأم[2] التى كان يَقرأ فيها ، فقلت للقاضى ، وَصَلَ الله توفيقه : هذا لا يجوز فى هذا الموضع . فقال : ماتقول ؟ فقلتُ : إنما هو أقسط ،
[٥١١] لأن المراد فى هذا الموضع « عَدَلَ » ؛ فالفعل منه رباعىّ ، كما قال [الله] تعالى : « وَأَقسِطُوا إنّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِين » . وأما قَسَطَ فإنما هو « جارَ » ، كما قال تعالى : « وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبا » . فتعجّبَ ، وقال لمن حَضَر : إن هذا الكتابَ قد قرأه عَلَىَّ من العالَم ما لا يُحصَى كثرة ، ولا أقِف على مُنتهى أعدادهم ، وما تنبّه أحدٌ لهذه اللفظة . وفاهَ بلسان الإنصاف ، وشَكرَ بفضله ، وأبلغَ ببراعة علمه فى تحسين المناقب والأوْصاف ، وأورَثنى ذلك عندَه كرامة [كبيرة] ومبرّة ، ولم[3] تزل مستمِرّة ، وصنع من المكارم أجزلَ صنيع وأبرّه ؛ رحمه الله من طَوْد علْم ، وهَضْبة فضل وحِلم ، وتغمّده وإيّانا برحمته ، ونفعه كما نفع[4] فى الدنيا والآخرة بعلمه . انتهى .

(١) كذا فى ط ، ص ، وفى م : « انصافه بالحق » .
(٢) فى م : « الإمام » .
(٣) فى م : « لم » . مجردة من واو العطف .
(٤) كذا فى ص . وفى ط ، م : « فعل » .

قلت : وقد رأيت نسخةً من الشفا بخط هذا الشيخ عبد الرحمن المذكور ، وحكى هذه المسألةَ فى الطُّرة[١] بخطه ، كما نقلتـه[٢] حرفا حرفا ، إلا قوله : « المسمَّى بالشفا » فإنه لم يقله . وألفيت فى آخر هذه النسخة بخط الفقيه محمد بن البردعىّ المتقـدم الذكر ، تلميذ ابن رُشَيد الفِهرىّ ، عند ما ذكر هذه الحكاية ، ما نصه :

التعريف بابن القصير

وعبدُ الرحمن هذا هو كاتب هذه النسخة ، وقد عاناها أحسنَ مُعاناة ، إلا الكُرّاسةَ الأخيرة ، فإنها ليست بخطّه ؛ وقد ذكر هـذه الحكايةَ فى بعض طُرَره المتياسرة ، حيث وقعتِ اللفظةُ المذكورة منه ، وأثْبتَها هنالك بخطه ، كما أثبتَ غيرَها ، ممـا يدلُّ على علمه وتفنُّنه فى المعارف . وقد سألتُ عنـه شيخَنا أبا عبـد الله المذكور — يعنى ابنَ رُشيد — فقال لى : لم يُعَرِّف به أحدٌ من أهل الصِّلات . قلت : ولا الملاحىّ أيضا .

انتهى ما ألفيته بخط ابن البَرْدعىّ ، وقد نقلت بعضه قبل هذا بأسطر ، وأعَدْتُه هنا لارتباط بعضه ببعض ، والله الموفق .

[١٢ و] قلت : ما ذكره ابنُ رُشـيد وتلميذُه ابن البَرْدعىّ ، من أنّ عبدَ الرحمن المذكور لم يُعَرِّف به أحدٌ من أهل الصِّلات ، قصورٌ واضح . وكذا قولُ ابن البردَعِىّ إن الملاحىّ لم يذكره ، فقد ذكره الملاحىُّ وأبو جعفر بن الزُّبير فى صلة الصلة ، وكنّاه أبا جعفر ، لا أبا القاسم ، ولا أبا زيد ، كما كنّاه ابنُ جابر وغيره مما ذكرنا[٣] .

---

(١) الطرة : حاشية الـكتاب .

(٢) كذا فى ط ، م . وفى ص : « نقلتها » .

(٣) هذه العبارة : « وغيره ممـا ذكرنا » : زيادة عن ص .

ونصُّ ما فى صلة ابن الزُّبير : عبدُ الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزْدىّ[1] ، من أهل غَرناطة ، يكنى أبا جعفر ، ويُعرفُ بابن القصير ، من بيت شُورَى وجلالة ؛ رَوَى عن أبيه القاضى أبى الحسن أحمد بن أحمد ، وعن عمّه أبى مروانَ عبد الملك بن أحمد ، وعن أبَوَىِ الحسن بن دُرَى وابن الباذَش ، وأبى الوليد بن رُشْد ، وأبى إسحاق إبراهيم بن رشيق الطُّليطِلىّ ، نزيلِ وادى آش ، وأبى بكر بن العرَبىّ ، وأبى الحسن بن موهب ، وأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ، وأبى عبد الله بن أبى الخصال ، وأبى الحسن يونس بن مَغيث ، وأبى القاسم بن وَرْد ، وأبى بكر بن مسعود الخُشَنى ، وأبى القاسم بن بقىّ ، وأبى الفضل عياض بن موسى وغيرهم ، وكان فقيها مشاوِرا ، رفيعَ القدر ، جليلا بارع الأدب ، عارفا بالوثيقة ، نقّادا لها ، صاحبَ رواية ودِراية ، تقلب ببلاد الأندلس ، وأخذ الناس عنه بمُرْسية وغيرِها ، ورحل إلى مدينة فاس ، فأخذ الناسُ عنه [بها] ، ثم رحل إلى إفريقيّة ، وولى قضاء تَقْيُوس ، ببلاد الجَريد ، بمقربة من تَوْزَر ، ثم ركب البحر قاصدا الحج ، فتُوُفّى شهيدا فى البحر ، قتلته الروم بمُرْسَى تونس ، مع جماعة من المسلمين ، صُبْحَ يومِ الأحد ، فى العَشْر الوَسَط من شهر ربيع الآخِر ، سنة ست وسبعين وخمس مئة .

[٥١٣] وله تواليفُ وخطب ورسائل ومَقامات ، وجمَعَ مناقب من أدْرَكهُ من أهل عصره ، واختصر كتاب الحِيَل لابن خاقان الأصبَهانى ، وغير ذلك ، وألّف بَرنامَجا يضم رواياته . ذكره أبو القاسم بن الملجوم فى بَرْنامجه ، ورَوى عنه ، واستوفى خبره ؛ وذكره الملاحىّ ، وذكره الشيخُ فى الذيل ، فيمن اسمه أحمد ،

(١) فى الديباج لابن فرحون : « عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ، ويعرف بابن القصير » .

وغلّطه فى ذلك الكُنية ، ثم ذكره فيمن اسمُه عبدُ الرحمن ، وظنّ أنهما رجلان . انتهى كلام صاحب الصِّلة .

قلت : ولعلّ الحاملَ لابن رُشيد وتلميذِه على هـذا القصور ، اعتمادُهما على الكُنْية ، التى هى أبو زيد وأبو القاسم ، كما سبق ، وقد عرَفتَ أنَّ صاحبَ الصلة قد كنّاه بأبى جعفر فقط ، فلعلهما لم يقفا على ما ذكرناه من التعريف به أصلا ، أو وَقَفا على أوّلِه ، فحينَ رأيا صاحبَ الصلة كنّاه بأبى جعفر ، ظنا أنه غيرُه ، ولم يُمْعِنا النظر فى الترجمة إلى آخرها . وإلى الله مَرْجِع العلم .

ثم إن الغلط فى أمره وقع قبلهما لصاحب الذيل ، كما قاله ابن الزُّبير . والله سبحانه أعلم بالصواب .

[قلت] : وقد ذكرتُ فى هـذا الموضوع بعضَ فوائد عبدِ الرحمن المذكور ، المكتوبة بهامش الشفا ، الذى بخطّه ، فراجعه فى ترجمة [تآليف] عياض ، عند ذكر كتاب الشفا .

لابن بشكوال فى عياض

وقال الفقيه الأجلّ ، الراوية العدل ، الزاهد الصالح ، أبو القاسم خَلَف بن عبد الملك بن بَشْكُوال رحمه الله ، فى ذكر القاضى أبى الفضلِ عياضٍ فى صلته ، ما نصه :

عياضُ بنُ موسى بن عياض اليحصُبِيّ ، من أهل سَبتة ، يُكنى أبا الفضل ، قدِم الأندلسَ طالبا للعلم ، وأخذ بقُرطبة عن القاضى أبى عبد الله محمدِ بن على بن حَمْدين ، وأبى الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج ، وعن شيخنا أبى محمد بن عتّاب ، وغيرهم ، وأجاز له أبو على الغَسّانى ما رواه ، وأخذ بالمشرق[1] عن القاضى أبى علىٍّ حسين بن محمد الصَّدَفِىّ كثيرا ، وعن غيره ، وعُنِى بلقاء الشيوخ ، والأخذ [٥١٤]

(١) يريد بالمشرق هنا : « شرق الأندلس » .

عنهم ، وجَمَع من الحديث كثيرا ، وله عنايةٌ كبيرة به ، واهتمامٌ بجمعه وتقييده ، وهو من أهل التفنّن فى العلم ، والذكاء واليقظة والفهم ؛ واستُقْضِىَ ببلده مدة طويلة ، فحُمِدت سيرته فيها ، ثم نُقِلَ عنها إلى قضاء غَرناطة ، فلم يطُل أمدُه بها ، وقدِم علينا قرطبةَ فى ربيع الآخِر سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة ، وأخذنا عنه بعضَ ما عنده . وسمعتـه يقول : سمعت القاضى أبا على حسين بن محمد الصَّدَفِىّ يقول : سمعت الإمام أبا محمد التميمىّ ببغداد يقول : مالكم تأخذون العلم عنّا ، وتستفيدونه منا ، ثم لا تترحّمون علينا ! فرحم الله جميع من أخذنا عنه ، من شيوخنا وغيرهم .

ثم كتب [إلىّ] القاضى أبو الفضـل بخطه ، فذكر أنه وُلِد فى منتصف شعبان من سنة [ستّ] وسبعين وأربع مئة ؛ وتُوُفِّىَ رحمه الله بمَرّاكُش ، مُغَرَّبا عن وطنه ، وَسْط سنة أربع وأربعين وخمس مئة . انتهى كلام ابن بَشْكُوال فى الصِّلة ؛ وذكرته كلّه وإن كان بعضُه قد تقدم ما يُغنى عنه ، وبعضه يأتى ، لأنه كلامٌ ارتبط بعضُه ببعض .

للنباهى فى عياض

ورأيت فى كتاب « المَرْقَبة العُليا ، فى الأقضية[1] والفُتْيا » للقاضى الخطيب أبى الحسن علىّ بن عبد الله بن الحسن النّباهىّ الغَرناطِىّ ، رحمه الله ، بعد أن ذكر كلامَ صاحبِ الصِّلة السابق ، ما نصه :

قلت : وسكن القاضى أبو الفضل هذا بمـالَقة مدة ، وتموَّل بها أملاكا ، وأصلُه من مدينة بَسْطة ، ذكر ذلك حفيده ، فى الجزء الذى صنّفه فى التعريف به وبتواليفه ، وبعض أخباره وخطبه ، تغمّده الله وإيانا برحمته ، انتهى . [٥١٥]

(١) تقدم اسم هذا الكتاب فى الجزء الثانى (ص ٧ من هذه الطبعة) « المرقبة العليا ، فى مسائل القضاء والفتيا » .

لابن خاقان فى عياض

وقال صاحب المطمح والقلائد فى وصف القاضى عياض ما نصه :

« جاء على قَدَر ، وسَبَق إلى نيل المعالى وابْتَدَر ، فاستيقظ لها والناسُ نِيام ، وورد ماءها وهم حِيام ؛ وجَلَّى من المعارف ما أشكل ، وأقدم على ما أحْجَم عنه سواه ونكل ، فتحلّتْ به العلوم نُحور ، وتجلّت له منها حُوْر ، « كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَان » ، « لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ » قد ألْحَفَتْه الأَصالةُ رداءها ، وسَقَته أنداءها ، وألْقَتْ إليه الرياسة مَقاليدَها ، وملّكته طَرِيفَها وتَلِيدَها ، فبذّ على فَتائه الكُهول ، سُكونا وحِلما ، وسَبقَهم معرفة وعلما ، وأزْرَتْ محاسنه بالبدر اللَّيّاح ، وسَرَت فضائله مَسْرَى الرِّياح ، فتشوّقت لعُلاه الأقطار ، ووكَفَتْ تحكِى نَداهُ الأَمْطار ؛ وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة ، واختصاصه بهذه الرُّتبة الرفيعة ، يُعنَى بإقامة أَوَدِ الأَدَب ، ويَنْسِلُ إليه أربابُه من كل حَدَب » .

تعقيب لابن جابر على كلام ابن خاقان

قال ابن جابر : هكذا وصفه صاحب المطمح . انتهى .

وهذا يدل على أن [بعض] ألفاظ المطمح [كألفاظ القلائد ، لأن هذا الذى نقله ابن جابر عن المطمح] ، هو بعينه فى قلائد العقيان ، وزاد بعدَ قوله : « من كل حَدَب » ما نصه : [إلى] سكون ووقار كما رَسَا الطَّوْد ، وجمال مجلس كما حَلِيَتِ الخَوْد ؛ وعَفافٍ وصَوْن ، ما عَلِما فسادا بعد الكَوْن ؛ وبهاء ، لو رأته الشمس ما باهت بأضواء ؛ وخَفَر ، لو كان للصُّبح ما لاح وأسفَر . انتهى .

تعقيب للمؤلف على المطمح ومؤلفه

وقد رأيت بعضَ أوراق من المطمح ، بخزانة الكتب من الجامع الأعظم بتِلِمسان ، حرسَها الله ، أعنى الخِزانة الوُسْطى ، التى فوق محراب الصَّحْن ، وهى التى يجلس[1] بها الأشراف ، أحفادُ الشيخ الإمام ، عَلَم الأعلام ، [٥١٦]

(١) فى ط ، م : « ينزل » .

سيدى أبى عبد الله الشريف التِلمسانىّ ، رحمه الله ، شارحِ جُمَل الخُوْنَجِى ، وصاحب التآليف الشهيرة ، المبرِّز على علماء المعقول والمنقول ، وعادةُ هؤلاء الأشراف أن يجلسوا بها يوم الجمعة ، بعد الصلاة وقبْلَها ، فوجدت ألفاظه — أعنى المطمح — كألفاظ القلائد ، من غير فرق ، غيرَ أنّه فى المطمح ذَكرَ رجالا لم يذكُرْهم فى القلائد ، فظهر من مقتضَى ذلك أنّ المطمح إنما زادَ على القلائد فى الرجال ، [وأما] ما اتفقا عليه فلفظهما فيه واحد .

وذكر غير واحد من الأئمة أن المَطْمَح ثلاثُ نسخ : كُبرَى ، ووُسْطَى ، وصُغْرَى . وأصل تسميته : «مطمح الأنفس ، ومَسْرَح التأنُّس ،[1] فى ذكر أعيان الأندلس[1] » .

ولعلنا نذكر فيما يأتى من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، التعريفَ بصاحب المطمح والقلائد المذكور ، وهو الفتح بن عُبَيد الله ، الكاتب المعروف بابن خاقان ، فى موضع هو أنسب من هذا ، والله سبحانه المستعان ، نسألُه سبحانَه أن ييسّر علينا كل مرام ، ويتغمّد بالعفو ما ارتكبنا[2] من إصرار وإجرام[3] ، بجاه أشرف الخلق ، ووسيلتهم إلى الحقّ ، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم ، عليه من الله أفضلُ صلواته ، وأزكى سلامه ، وعلى جميع إخوانه المرسلين والنبيئين ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأشياعه[4] ، وأنصاره ، وأزواجه ، وذريته ، وذوى محبته ، وأهل بيته الطاهرين[5] .

حسن إلقاء عياض وبعض تلامذته

وكان القاضى أبو الفضل عياض — رحمه الله — حسنَ الإلقاء للمسائل ،

(١ — ١) فى ابن خلكان والنسخة المطبوعة فى مصر : « فى ملح أهل الأندلس » .
(٢) فى م : « ويتغمدنا بالعفو عما اقترفناه » .
(٣) فى م ، س : « واجترام » .
(٤) كذا فى ط ، س . وفى م : « وأتباعه » .
(٥) فى ط : « الطاهر » .

كثير التحرير للنُّقول[١] ، وقد انتفع به من العلماء مَن[٢] لا يُحصى ، كأبى زيدٍ عبد الرحمن بن القَصِير ، المتقدم الذكر .

وممن أخذ عنه ورَوَى عنه القاضى الشهير أبو جعفر ، أحمد بن عبد الرحمن بن مَضاء اللخمىّ رحمه الله ، وقد قدّمنا أنه لقيه بالمريّة . [٥١٧]

وقاره وسمته

وكان القاضى أبو الفضل رحمه الله وقورا ، ذا سَمتٍ حسن ، وهَدْيٍ مُسْتَحسَن ، وربما تقع منه دُعابة ، كما تصدر من الفضلاء أمثالِه .

ومن دعابته ما حكاه ولدُه ، قال :

قال بعض أصحابنا : صنعت أبياتا تغزلت فيها ، والتفتُّ إلى أبيك رضى الله عنه ، ثم اجتمع بى ، فاستنشدنى إيّاها ، فوجَمْت ، فعزمَ علىّ ، فأنشدته :

أيا مُكثِرًا صدِّى ولم آتِ جفوةً ... وما أنا عن فِعْل الجفاء براضى
سأشكو الذى تُوليه من سوء عشرة ... إلى حَكَم[٣] الدنيا وأعدلِ قاضى
ولا حكَمٌ بينى وبينَك أرتضى ... قضاياه فى الدنيا سِوى ابنِ عياض

قال : فلما فرغت حسَّن وقال : ومتى عرفتنى قوّادا يا فلان ، على طريق المداعبة ، رحمه الله ، ورضى عنه وأرضاه .

عنايته بالتقييد

وكان القاضى أبو الفضل رحمه الله كثيرَ الاعتناء بالتقييد والتحصيل .

قال ابن خاتمة : كان لا يُبْلَغ شأوُه ، ولا يُدْرَكُ مَداه ، فى العناية بصناعة الحديث ، وتقييد الآثار ، وخدمة العلم ، مع حسن التفنن[٤] فيه ، والتصرّفِ الكامل فى فهم معانيه ، إلى اضطلاعه بالآداب ، وتحقُّقِه بالنظم والنثر ، ومهارته فى الفقه ، ومشاركته فى اللغة والعربية .

---

(١) فى س ، م : « للنقول » . (٢) فى ط ، س : « ما » .
(٣) فى ط ، م : « أحكم » . (٤) كذا فى ط ، س . وفى م : « اليقين » .

وبالجملة فكان جمالَ العصر ، ومَفخَرَ الأفق ، ويَنبوعَ المعرفة ، ومَعدِنَ الإفادة ، وإذا عُدّت رجالات المغرب ، فضلا عن الأندلس ، حُسِب فيهم صدرا . انتهى . وإنما يَعْرِفُ الفضلَ لأهل الفضل [ذوُوه] أهلُ الفضل .

تعظيمه للسنة

وكان رحمه الله مُعظِّما للسُّنّة ، عالما عاملا ، خاشعا قانتا ، قوالا للحق ، لا يخاف فى الله تعالى لومة لائم . وكان رحمه الله معتنيا بضبط الألفاظ النبوية على اختلاف طرقها ، وكتابُه « المشارق » أزكى شاهد على ذلك ، ولقد كان بعض من لقيته من صلحاء عصرنا وعلمائه يقول : لا أحتاج فى كتب الحديث إلا المشارق ، فإذا كان عندى ، فلا أبالى بما فقدت منها ، أو كلاما هذا معناه . وسنذكر إن شاء الله تعالى بعضَ ما قيل فى كتاب المشارق ، فى محله من هذا الموضوع . [٥١٨]

ذكاؤه ومواهبه

وكان رحمه الله حاضرَ الجواب ، حادَّ الذهن ، متوقِّدَ الذكاء ، جامعا للفنون ، آخذا منها بالحظ الأوفر .

حسن خطه

وكان القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله بارعَ الخطِّ المغْرِبىّ ، وقد وقفت على خطه رحمه الله ، فرأيت خطا رائقا ، وكانَ سريعَ الوضع ؛ ويدلّ على ذلك كثرةُ أوضاعِه ، وكتبَ مع ذلك كتبا كثيرة بيده .

حسن عبارته

وكان رحمه الله حسَنَ العبارة ، لطيفَ الإشارة ، وتآليفُه شاهدة بذلك ، وله فى الفقه المالكىّ اليدُ الطُّولَى ، وعليه المعوَّل فى حلّ ألفاظ « المدوّنة » ، وضبطِ مشكلاتها ، وتحرير رواياتها ، وتسمية رُواتها . وتحقيقُ ذلك أنه جمعَ بين شرح المعانى وإيضاحها ، وضبط الألفاظ ، وذِكْر من رواها من الحُفّاظ .

[صناعة التأليف بالمغرب]

ولقد وقفتُ فى بعض التعاليق لأحد المتأخرين على كلام فى صناعة

التأليف ، رأيت أن[1] أجلُبَه جميعه ، لما فيه من ذكر بلاغة القاضى عِياض ، ونصه :

لتدريس المدونة اصطلاحان

وقد كان للقدماء ، رضى اللهُ عنهم ، فى تدريس المدَوَّنة اصطلاحان : اصطلاحُ عِراق ، واصطلاح قَرَوِىّ . فأهل العراق جعلوا فى مُصطلَحهم مسائلَ المدوَّنة كالأساس ، وبنَوْا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس ، ولم يعرِّجوا على الكتاب بتصحيح الروايات ، ومناقشة الألفاظ ، وَدَأْبهم [٥١٩] القصدُ إلى إفراد المسائل ، وتحريرِ الدلائل ، على رسْم الجَدَليين ، وأهلِ النظر من الأصوليين . وأما الاصطلاح القَروى فهو البحث عن ألفاظ الكتاب ، وتحقيق ما احتوت عليه بواطنُ الأبواب ، وتصحيح الرواياتِ ، وبيان وجوه الاحتمالات ، والتنبيه على مافى الكلام من اضطرابِ الجواب ، واختلاف المقالات ، مع ما أُنضاف إلى ذلك من تتبُّع الآثار ، وترتيب أساليب الأخبار ، وضبط الحروف ، على حسب ماوقع فى السماع ، وافقَ ذلك عواملَ الاعراب أو خالفها .

فهذه كانت سيرةُ القوْم رضوانُ اللهعليهم ، إلى أن عمّ التكاسلُ ، وصار رَسْمُ العلم كالماحل . ويُحقق ما قلناه تصرف التّونِسىّ[2] فى تعاليقه اللطيفة المَنزَع ، واللخمى[3] فى تبصرته البارعة الختام والمطلَع ، إلى غير ذلك من تآليف القَروِيين وتعاليق المحققين ، من شيوخ الإفريقيّين .

فضل عياض فى التأليف

وقد سلك القاضى عياض فى تنبيهاته مسلكا جمع فيه بين الطريقتين

(١) فى م : « وأنا » بدل : « رأيت أن » .

(٢) هو أبو القاسم بن محرز القيروانى ، كان فقيها نظارا وله تعليق على المدونة . توفى فى الخمسين والأربع مئة (انظر مقدمة ابن خلدون فى الكلام على علم الفقه وابن فرحون فى الديباج) .

(٣) هو أبو على الحسن بن محمد اللخمى ، له تعليق كبير على المدونة سماه التبصرة . توفى سنة ثمان وتسعين وأربع مئة (عن الديباج) .

والمذهبين ، وذلك لقوّةِ عارضته ، نفعه الله بذلك ، وأعاد علينا من بركاته . انتهى .

موازنة بين المشارقة والأندلسيين

وقال فى هذا التعليق فى موضع آخر ما نصُّه :

وأغلبُ تآليف المشارقة الإيجاز ، لتمكن ملكتهم من التصرف ، مثلُ كتاب ابن الحاجب ، فى فروعه وفى أصوله ، والخُونَجِيِّ فى المنطق ، وغيرهما ، وإن كان الغالب على جُلّ أئمة المشارقة الإطناب ، مثل الغزّالىّ والإمام الفخر وغيرهما .

وأما أهلُ الأندلس فالغالب عليهم فَيْهَقَةُ البلاغة ، فى حسن رَصْف الكلام

[٥٢٠] وانتقائه ، مثل عبارة القاضى عياض فى تآليفه ، التى لا تسمح القرائح بالإتيان بمثلها ، والنسْج على مِنوالها .

وانتهت صناعة التأليف فى علماء المغرب ، على صناعة أهل المشرق ، لشيخ شيوخ العلماء فى وقته ، ابن البناء الأزدى المرّاكُشىّ[1] ، فى جميع تصانيفه ، أوجب ذلك براءةُ نسبه من البداوة ، وملكتُه فى التصرف ، التى هى نتيجة تحصيله .

التأخرون من علماء المغرب

ولم يظهر من علماء فاس شىء من التآليف المرتجلة ولا الملخصة ، إلا ما كان سبيله النسج بها على ما هى عليه فقط ، كما[2] فى تأليف المدوّنة المنسوبة للشيخ [أبى الحسن[3]] ، وهى التى اعتنى بها طلَبته ، وبنَوْها على ما قيّدوا عنه من فوائد المجلس ، وذلك كلُّه فى العشرة الرابعة من المئة الثامنة . ثم تلاهم طَلَبة

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى ، أبو العباس المراكشى ، المشهور بابن البناء . ولد سنة ٦٥٤ هـ ، وتوفى ببلده سنة ٧٢١ هـ . (عن الديباج لابن فرحون) .

(٢) فى الأصول : « لا » ولا يستقيم بها المعنى .

(٣) هو على بن محمد بن عبد الحق الزرويلى المعروف بالصغير (بصيغة التصغير) . توفى عام ٧١٩ هـ . (عن الديباج) .

الشيخ الجَزُولىّ[١] على الرِّسالة ، وتعدّدت تلك التقاييد أيضا ، ونُسِبَتْ للشيخ ، وإنما له فيها ما قُيِّد عنه فى المجلس . واختلف نظر الشيخين بحَسَب تعدد السَّلَكات[٢] ، فقيّد كل طالب ما سمع . فلا يقال فى هذه تآليف ، لكونها منسوخة من أماكن مَعْزوّة .

موازنة بـ التونسيـ والفاسيـ

والعلة فى ذلك كونُ صناعة التعليم ، وملكة التلقّى ، لم تبلغ فاسا كما هى بمدينة تونس ، اتصلت إليهم من الإمام المازَرى[٣] ، كما تلقّاها عن الشيخ اللخمىّ ، وتلقّاها اللخمى عن حُذّاق القَرَوِيّين ، وانتقلت ملكة هذا التعليم إلى الشيخ ابن عبد السّلام[٤] ، مفتى البلاد الإفريقية وأصقاعِها ، المشهود له برُتَب التبريز والإمامة ؛ واستقرت تلك الملكة فى تلميذه ابن عرَفة[٥] رحمه الله ، وفى الشيخ ابن الامام التلمسانىّ[٦] . ونَجُب من طلبة ابن الإمام تلميذُه الإمام [٥٢١] أبو عبد الله الشريف[٧] ، شارح الجُمَل ، وانتهت طريقته لولده أبى يحيى

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولى صاحب تقاييد الرسالة المشهورة ، الفقيه الحافظ . توفى سنة ٧٤١ هـ (عن الابتهاج لأحمد بابا) .

(٢) يراد بالسلكات عند المغاربة : المرات التى يقرئ فيها الشيخ تلاميذه الكتاب ؛ المرة : سلكة .

(٣) هو محمد بن على بن عمر التميمى المازرى الصقلى . توفى (سنة ٥٣٦) عن ثلاث وثمانين سنة .

(٤) هو محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير قاضى الجماعة بتونس ؛ له تقاييد ، وشرح مختصر ابن الحاجب شرحا حسنا . ولد سنة ٦٧٦ هـ وتوفى سنة ٧٤٩ هـ . (عن الديباج لابن فرحون) .

(٥) هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمى . ولد سنة ٧١٦ . وتوفى سنة ٨٠٣ هـ . وله تقييده الكبير فى مذهب مالك فى نحو عشرة أسفار .

(٦) للامام أبى زيد محمد بن عبد الله التلمسانى ابنان ، هما أبو زيد عبد الرحمن توفى سنة ٧٤٣ ، وأبو موسى عيسى ، توفى سنة ٧٤٩ هـ ، وهو المراد هنا (انظر الحاشية رقم (٢ ص ٢٦) من هذا الجزء .

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمسانى . ولد سنة ٧١٠ وتوفى سنة ٧٧١ هـ .

المفسّر العالم . واستقرت أيضا طريقة ابن الإمام ، فى تلميذه سعيدِ بن محمد العُقْبانىّ[١] ، وانتهى ذلك إلى ولده شيخنا أبى الفضل قاسم العُقْبانى[٢] ، رحمهم الله جميعا .

قال ابن خَلْدُون ، ولمن ذكرنا من أهل المئة الثامنة انتهت طريقةُ التعليم ، ومَلَكةُ التلقّى . يعنى بذلك الشريف والعُقْبانىّ رحمهما الله ، قال : لكونهما ألّفا التصانيفَ البعيدة ، وزاحما رتبة الاجتهاد من غير منازع .

قلت : وكذلك بلغ رتبةَ التبريز فى تحصيل العلم ، كلُّ واحد من ولديهما ، الفقيهُ السَّيد أبو القاسم بن سعيد ، والفقيهُ الأوحد السّيد أبو يحيى الشريف[٣] ، إذ بلغا درجة الإمامة والفُتيا . وأما الإمام ابن عرَفة ، فانتفع به جماعةٌ ، فكان أصحابه كأصحاب سُحنون[٤] : أئمةً فى كل بلد ، فمنهم أيضا من بلغ درجة التأليف ، ووقع الاتفاق على إمامته ، وتقدُّمه وسموّ رتبته ، كشيخنا الإمام الحافظ المحصِّل ، أبى القاسم [بن][٥] أحمد البُرْزُلىّ ، مفتى البلادِ الإفريقيّة ، ومؤلفِ كتاب الأسئلة الحاوى للنوازل والفتاوى . ومنهم شيخُنا الإمامُ الحافظ المجتهد ، صاحب التصانيف المفيدة ، أبو عبد الله محمد بن مرزوق ، له « المنزَع النبيل ، فى شرح مختصر خليل » ، و « شرح التهذيب[٦] » ، وغير ذلك من المسائل العلمية .

(١) هو سعيد بن محمد بن محمد العقبانى التلمسانى ، ولد سنة ٧٢٠ وتوفى سنة ٨١١ هـ .
(٢) هو قاسم بن سعيد بن محمد توفى سنة ٨٥٤ هـ . يكنى أبا الفضل وأبا القاسم .
(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمسانى . ولد سنة ٧٥٧ هـ ، وتوفى سنة ٨٢٦ هـ .
(٤) هو عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون ، الفقيه المالكى المشهور . ولد سنة ١٦٠ وتوفى سنة ٢٤٠ هـ . (٥) التكملة عن البستان وتذييل الديباج .
(٦) كتاب « التهذيب » لأبى سعيد البراذعى ، من علماء القيروان ، لخص فيه مختصر المدونة والمختلطة لابن أبى زيد القيروانى ، واعتمده المشيخة من أهل إفريقية ، وأخذوا به ، وتركوا ما سواه . (عن مقدمة ابن خلدون) .

قلت : إنما أقتصرت على ذكر هذين الشيخين الإمامين ، لما لهما علىّ من المشيخة ، ولشهرتهما بالتآليف ، التى تقوم مقامَ الشاهد لما قلتُه ، حتى نَبعد عن شُبهة التعصب .

[٥٢٢] وأما من نَجُب من تلامذة شيخ شيوخنا ابن عرَفة ، وتمكّن من ملكة التعليم ، فخلق يطول عددهم[١] ، فمنهم من أدركناه ، وأخذنا عنه ، وأجازَنا مرْوِيّاتِه ؛ و[منهم] من لم ندركْه ، نفع الله بجميعهم ، وأعاد علينا من بركاتهم .

قلت : هنا انتهت ملكة الفقه من علماء القيْروان عن المازَرىّ ، إلى من ذكرنا ، ثم إلى من لَقِينا .

ضعف العلوم النظرية بالمغرب

وأما ملكة العلوم النظرية ، فهى قاصرة على البلاد المشْرِقية ، ولا عنايةَ لحذّاق القرَويين والإفريقيين إلا بتحقيق الفقه فقط . ولم يزل الحال كذلك إلى أن رحل الفقيه ابن زَيتون[٢] إلى المشرق ، فلقى تلاميذ الفخر بن الخطيب ، ولازمهم زمانا ، حتى تمكن من ملكة التعليم ، وقدِم إلى تونس ، فانتفع به أهلها ، وانتهت طريقته النظرية إلى تلميذه ابن عبد السلام المذكور ، واستقل تلميذُه ابن عرَفة بعده بتلك الطريقة ، وكذلك أبو عيسى[٣] مُوسى ابن الإمام التلمْسانىّ المذكور ، ولهذا تجدُ أثر العلوم النظرية بتلمسان .

قال الإمام ابن خلدون وغيره من أئمة التاريخ .

لم نشاهد فى المئة الثامنة منْ سلَك طريق النُّظّار بفاس ، بل [فى] جميع هذه الأقطار ، لأجل انقطاع مَلَكة التعليم عنهم ، ولم يكن منهم من له عنايةٌ بالرِّحلة ،

(١) فى م : « عزوم » .

(٢) هو أبو القاسم القاسم بن أبى بكر الشهير بابن زيتون ، الفقيه التونسى ولد سنة ٦٦٦ ، وتوفى سنة ٧٣٠ هـ .

(٣) فى الأصول هنا وفيما سيأتى : « أبو عمران موسى » ، وهو تحريف (انظر الديباج ، ونيل الابتهاج ، والبستان) .

بل قُصِرت هممهم على طريق تحصيل القرآن ، ودرس « التهذيب » فقط . نعم أخذوا شيئا من مبادئ العربية من أهل الأندلس ، القادمين عليهم من سَبتة وغيرها ، باستدعاء ملوك بنى مَرين . قال : ولهذا لم يتصدر من الفاسيين من يُقْرِئ « الكتاب[1] » كما هو مُتداوَل بين أهل الأندلس ، مثل ابن أبى الربيع والشَّلَوْبين وغيرهما ، لوجود ملكة النحو فى قطر الأندلس ، بسبب رِحلة علمائهم إلى تلقّيه من أربابه بالمشرق ، كما ارتحل أعلامهم إلى بغدادَ فى تحصيل الفقه عن الأبهرىّ[2] ، وكذا يحيى بن يحيى عن مالك ، وغيرُ واحد ؛ وكذلك علوم الحديث وغيره ، كرحلة الإمام الحافظ أبى بكر بن العربىّ . [٥٢٣]

بين السلطان أبى عنان والشيخ الصرصرى

ولما كَمَل غرضُ أبى عِنانٍ ، كبير [ملوك] بنى مَرين ، من بناء مدرسته المتوكلية بفاس ، وكان بعيد الصِّيت فى علوّ الهمة ، قال انظروا من يُقْرِئ بها الفقه ، فوقع الاختيار على الشيخ الصَّرْصَرِىّ الحافظ ؛ ولما جلس بها واتسع صيته ، وجّه إليه أبو عنانٍ المذكور من يسأله فى[3] مسائل « التهذيب » ، التى انفرد بإتقانها وحِفْظِها ، وطالبه بتحقيق ذلك وإتقانه ، وحُسْن تلقّيه ، ولا أدرى المنتخِبَ له : هل هو أبو عيسى موسى ابن الإمام المذكور آنفا ، أم السيد الشريف أبو عبد الله شارح « الجمل » ، المتقدّم الذكر ، أو هما معا ، فطالباه بتحقيق ما أوْرَدَه من المسائل عن ظَهْر قلب ، على المشهور من حِفْظه ، فانقطع انقطاعا فاحشا ؛ ولما أضجره ذلك نزل عن[4] كرسيّه ، وانصرف كئيبا ، فى

---

(١) يريد كتاب سيبويه فى النحو .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهرى ، صاحب التصانيف فى شرح مذهب مالك والاحتجاج له والرد على من خالفه ، سكن بغداد وحدث بها عن جماعة ، وتوفى بها سنة ٣٩٥ هـ .

(٣) كذا فى م ، ص . وفى ط : « عن » .

(٤) كذا فى م . وفى ط ، ص : « من » .

غاية القبض ، ولما اشتهر ذلك عنه ، وجّه إليه أبو عِنان الملكُ المتقدم الذكر ، فلما مثل بين يديه آنسه وسكّنه ، ثم قال له : أنا أمرت بذلك ، كى تعلم ماعندك من العلم ، وما عند الناس ، وتعلم أن دار الغَرْب هى كعبة كل قاصد ، فلا يجب أن تتكل على حفظك ، وتقتصر على ما حصل عندك ، ولا يمنعك ما أنت فيه من التصدّى ، عن ملاقاة من يَرِد من العلماء ، والتنزّل للأخذ عنهم ، ولا يقدح ذلك فى رُتبتك عندنا ، إن شاء الله .

لخصت هذه الحكاية من تاريخ القيسىّ ، فانظرها .

بين علماء فاس وتونس

[٥٢٤] قلت : وعكس هذا وقع لفقهاء فاس فى أواسط المئة الثامنة ، لما شرّق السلطان أبو الحسن رحمه الله ، وانتهت به درجة الاستبداد والاستقلال ببلاد إفريقية ، فظهر فقهاء المغرب ممن صحبه ، على فقهاء تونس ، لحفظهم كتاب « التهذيب » عن ظهر قلب ، وزعيم فقهاء المغرب حينئذ الرجل الصالح ، أبو عبد الله السَّطّى رحمه الله ، ونفع به ، إلى أن جاءت نوْبة الشيخ ابن عبد السلام ، وعقد مجلسه بمحضر السلطان المذكور ، ومن معه من الفقهاء والنحاة والكتّاب والرؤساء ، وتوجهت مطالبة فقهاء المغرب له ، فكان رحمه الله على ما وصفه به من أرَّخ الواقع ، كأنه بحر تلاطمت أمواجه ، فكان يَقْطعهم واحدا بعد آخر[1] ، وتلميذه ابن عرَفة كذلك ، إلى أن قال ولىُّ الله المُنْصف[2] ، أبو عبد الله السَّطّى للسلطان : يا علىّ ، كذا يكون التحصيل ، وكذا يُقْرَأ الفقه ، ولو لم يكن بتونس إلا هذا الإمام لكان بها[3] كلُّ خير ! فلابدَّ من ملازمة هذا لهذا المجلس ، حتى ينتفع به أصحابنا ، وننتفع بطريقه . وذلك هو السبب فى التنويه بالشيخ ابن عبد السلام رحمه الله ، على أنه كانت رغبته فيما عند الله إلى أن مات .

(١) فى ص : « واحدا بعد واحد » .
(٢) كذا فى ص ، وفى سائر الأصول : « المصنف » . (٣) فى ص : « لها » .

تنشيط الشيخ تلامذته بالحكايات

قلت : وإنما ذكرت هذه القضايا تَنْشيطا للناظر ، وتحميضا للذاكر ، ولم نزل نسمع من أئمتنا ومَنْ ذَكَرْنا ، فى مجالس دروسهم ، ما يشبه ما ذكرناه من آثار السلف ، لما فى ذلك من تقوية باعث الطالب على كيفية التحصيل والدرْك ، والجد فى إدراك أسبابه ، وأخذ العلم من أربابه ، والولوج إليه من بابه .

وكان الإمام المازَرى رحمه الله كثير الحكايات فى المجلس ، ويقول : هى جند من جنود الله ، حتى كان لا يُخْلِي[1] مجلسه منها .

* * *

دفع القصور عن بعض علماء المغرب وتلامذتهم

[٥٢٥] تنبيه : إياك أن تظن القصور بمن تصدّى للتقييد على « التهذيب » ، من طلبة الشيخ أبى الحسن ، وكذا من تلاهم من طلبة الشيخ أبى زيد عبد الرحمن الجَزُولى ، ويَقرعَ سمعك ما أفتى به الشيوخ ، ومن له فى العلم الرسوخ ، أنّ تقاييد « التهذيب » و « الرسالة » لا يعوّل عليها فى الإقراء ، ولا يُوثَق بشىء منها فى الفُتيا ؛ وأنّ من عوّل عليها فى الإقراء يرد المرتب[2] .

فاعلم شرح الله صدرك ، أن القوم كانوا أهل صلاح وورع ، وجِدّ فى طلب الفقه ، وإفراط حرص ومثابرة على درس « التهذيب » ، وحِفْظ ما تعلّق به من النصوص فقط ، فبنى كل واحد فى تقييده على ما سمعه من الشيخ ، ما ناسب اجتهاده ونظره ، من تقاييد الفقهاء ، مثل ابن يونس ، واللّخمى ، والتنبيهات ، وابن رُشَيد ، واختلف رأيهم فى ذلك ، فمنهم الموجز ، ومنهم المُطْنِب ؛ وباب الفُتيا باب احتياط ، فلابد للمفتى من مباشرة الكتب المَرْوِيّة[3] ، والأمهات الأصلية ، ولا يَنبغى له الاقتصار على الواسطة ، إذ لا يؤْمن من خلل أو تصحيف ، لفقد

(١) فى ط ، س : « لا يخلو » .
(٢) كذا فى ط ، س . وفى م : « يرد الرب » ، وفى كلتا الروايتين غموض .
(٣) فى س : « المدونة » .

ملكة التأليف ، وإنما الغالب على طباعهم تغفّل البداوة ، فقدَح[1] ذلك فى صناعة التصنيف ، وكيفية التأليف ، والقوم أهل دين متين كما وصفنا ، فلا يقدح ذلك فى مراتبهم ، ولا يثلم مناصبهم .

ووجه ثانٍ : ذكر أهل الأصول فى باب الاجتهاد [أنّ] مجهول الحال لا تُقبل فُتياه كالراوى ، وإن أصاب كلُّ واحد ؛ ولا يخفى عليك وقوعُ مثل هذا لأصحاب تلك التقاييد .

ووجه ثالث : مَبْنَى ما أفتى به العلماء من عدم التعويل على شىء منها فى [٥٢٦] الإقراء والفُتيا ، هو والله أعلم ، لما اشتملت عليه من ذكر الشىء وضدّه ، على أسلوب واحد ، وقد وقفت على ذلك فى جُلّ تلك التقاييد ، وهو أن المُقيِّد يجمع للخلاف المذهبيِّ ما ليس فيه ، بل هو خارج المذهب ، وقد وقع ذلك فى مواضع غير واحدة من تلك التقاييد ، كما نقل بعضهم الخلاف فى التنفّل فى الصحراء قبل صلاة العيد ، وليس كذلك ، بل الخلاف فيما إذا صُلّيت فى المسجد ، وأما فى الصحراء فلم يقل به إلا الشافعىّ . ومثل ذلك ما وقفت عليه فى حكم السِّواك ، قال المُقيِّد على كلام الشيخ فى باب جُمل من الفرائض : واختُلف فى حكم السِّواك على قولين : فقيل إنه واجب ، وقيل سنة ؛ فأنت ترى هذا الخلافَ ، ولم يقل بوجوبه إلا أهل الظاهر ، عملا بصيغة ظاهر الحديث الوارد فى ذلك . وكذلك وقفت على الخلاف فى غُسْل الجمعة ، فقال المقيِّد : اختُلف فيه : فقيل فَرْض ، وقيل سُنّة . وقد علمت أيضا قول أهل الظاهر بوجوبه ، عملا بظاهر الحديث . وكذا الغُسل : هل هو للجمعة أو لليوم ؟ فقال المقيِّد : اختُلف فى ذلك على قولين ؛ وقد علمت قول أهل الظاهر ، وأنه لليوم ، حتى لو اغتسل بعد الصلاة لأجزأه .

---

(١) كذا فى س ، م . وفى ط : « ولا يقدح » .

وكذا وقفت على القول ببطلان صلاة من أسقط الخُشوع من صلاته ، على القول بفرضيّته ، ولم يقل بذلك إلا أهلُ التصوّف . وكذا القول بوجوب المَضْمضة والاستنشاق فى الوضوء والغُسل ، وقد علمت نصوص أهل المذهب فى هذه المسائل . ومن هذا فى تلك التقاييد ما لا يُحصى كثرة لمن تأمّلها ؛ وفيما ذكرنا كفاية ، فلعل هذا هو سبب نقد[1] العلماء فى مجموع تلك التقاييد . والله أعلم .

العجز عن التأليف لا يقدح فى علم العلماء

[٥٢٧] تنبيه : احذر أيها الناظر ، شرَحَ اللهُ صدرى وصدرك ، أن يقع فى نفسك أنّ عجْز هؤلاء السادات عن صناعة التأليف ، والحِذْق فى التصنيف ، وعدم الاقتدار ، على الترجيح والاُختيار ، وعدم القيام بمواد مدارك المحققين والنظّار ، يوجب قَدحا فى مناصبهم ، أو وَصْما فى مراتبهم ، فتكون ممن أساء الظن بالسلف ، وعرَّض نَفْسه إلى الهُوِىّ فى مهاوى التّلَف ، بل أوجب ذلك ما أصّلناه وقدّمناه ، من أنّ القوم كانوا أهلَ عمل ودين متين ، وجَرْى على سَنَن السلف الأقدمين الصالحين العاملين ، فشغلهم ما أخذوا فيه من كدّ العمل ، وإثقال التّقلُّل والمُجاهدة ، وتَحرّى الحَلال ، والزُّهد والإقلال ، عن تتبّع مواد التحقيق ، إلى فَقد الملكة النظريّة من هذا القُطر ، وانقراضها منه منذُ زمان إلى عصرنا هذا ؛ وما حكَوْه من عدم الترتيب ، وقلّة العزْو للأقوال ، حالُ مَن صرف عنايتَه لتقييد العلم من حيث هو ، ولم يتكلّف ذِكْر مَشهور ، ولا ما عليه الجُمهور ، أو يكون اعتمد فى تقييد ما قيّد على ما سمع من الشيخ فى السَّلَكات ، فيُعْذر على هذا ولا يُفنّد .

والتّقييد المَعْزُوّ للشيخ أبى الحَسَن أقلُّ تكلّفا لا محالة ، إلا أنه لا يَخفى ما فيه من ضَعْف الاختيار ، عند التحقيق والاُستبصار .

أعاد الله علينا من بركاتهم ، ونفَعَنا بهم .

---

(١) كذا فى ط ، ص . وفى م : « تقييد » .

وما ذكرته فى هذا الاستطراد مَسَّت الحاجةُ إليه ، كما مَسَّت حاجةُ أئمة الحديث ، على جلالتهم ووَرَعهم ، إلى تَبْيين الضعيف والمُجرّح ، وتَدْوين أخبار الضُّعفاء ، ومن نُسِب إليهم وَهْم أو تدليس أو وَهَن ، وهذا لَوْلا مَسيس الحاجة ، لم يَنبغ أن يُلْتفت إليه ، والله الموفق بفضله .

ثم قال هذا العالم فى موضع آخر :

ملكة العلم فى أهل تونس

تنبيه : ولا يُعْتَرض على ما وقع للشيخ ، من الحكاية التى حدثنا بها شيخُنا الإمام البُرْزُلى رحمه الله ، قال : لما قدِم الفقيه القَبَّاب ، حافظ مدينة فاس ، وزعيم فقهائها فى عصره ، يريد أداء فريضة الحجّ ، فاجتاز بحضرة تونس ، فحضر مجلسَ شيخنا ابن عرَفة ، هو ومَن كان معه من الفقهاء ، فاستطرد الشيخ رحمه الله الكلام إلى أن قال : وكثيرا ما نجد فى تقييد الشيخ أبى الحسن : « يؤخذ من هذه المسألة » ، فلا أدرى صورة ذلك الأخذ ما هو ؟ هل هو من طريق الاستقراء ، أوالاستنباط ، أو القياس ، أو المَفْهوم ؛ وكلُّ قسم من هذه الأقسام يَفْتقر إلى شرط ، ولا شىء من ذلك ؟ فقال القبَّاب لأصحابه بعد انصرافهم : علمتم ما تحصَّل بأيدينا من الفقه ، وصحّ عندكم أن الملكة التامّة فى التحصيل والتصرُّف ، إنما هى فى قُوَى أهل تونس ومن يَليهم من أهل المشرق ، وأنّ قصارَى ما عندنا وعند مشايخنا إنما هو حِفْظ النُّصوص ، و إبقاؤها[1] على ما هى عليه ، وأنّ ملكة القَرويين انتقلت إلى الإفريقيين . [٥٢٨]

فهذا الواقع من الشيخ ، ليس هو بالمعارِض لما وقع فى جوابه ، من اعتبار المفهوم ، و إنما هو بحث فى شرط المفهوم ، وكيفيّة الاستنباط خاصة ، فاعلم ذلك .

منزلة الشيخ أبى الحسن فى العلم

تنبيه : لا يقع فى ذهنك قصورُ الشيخ فى قوله : « يؤخذ من هذه المسألة » ، وأنه خَفِيَ عليه كيفية الأخذ . فاعلم ، أرشدك الله ، أنّ الشيخ أبا الحسن ، كان إمامَ

(١) كذا فى ص . وفى سائر الأصول : « وإلقاؤها » .

وقته فى فقه المدوّنة ، وهو المستقلّ برياستها بعد شيخه الفقيه راشد ، ما أخذ عنه حتى ظهرت على يديه الكرامات الخارقة ، فى شفاء أصحاب العلل المزمنة وغير ذلك ، ولم ينظر فى الفقه حتى أتقن علمَ الفرائض ، وفنونَ البلاغة ، وتلقّى ذلك من أربابه ، وارتحل ، وانتقل إلى تازا ، فلازم أهلَ اللسان ، وفُرْسان المعارف وقتًا طويلا ، ثم اعتكف على قراءة « التهذيب » ، ولازم الفقيهَ راشدا ، [٥٢٩] واقتصر عليه ، وكان الفقيه راشدٌ لا يُنفِذ بمدينة فاسَ حُكْما ، ولا جوابا فى نازلة ، حتى يُحْضِرَه ، ويَعتنىَ به ، فلم تُخْطِ فِراسته فيه ؛ وكان لا يَحجُر عليه فى القراءة ، بل يقرأ من « التهذيب » من أى مكان شاء ، وقد صدقت فِراسته فيه ، فكان فى ميزان حسناته يوم القيامة .

واستيفاء التعريف بالشيخ ، وذكر مِحْنته بالقضاء ، وسببِ عزله ، وذكرُ وفاته ، يخرجنا عن الاختصار .

انتهى ما مَسَّت الحاجة إليه من كلام هذا المتأخّر ؛ ونقلت أكثرَه بلفظه ، تبرُّكا بعبارته ، التى تلوح عليها أمارات الصالحين ، وبالله التَّوْفيق .

كلام فى قيمة التواليف ومزاياها

ولنذكر كلاما من هذا المعنى ، فنقول :

قال الإمام أبو عبد الله الأُبِّىّ رحمه الله تعالى فى شرح مُسلم ، عند كلامه على قوله صلى الله عليه وسلم : « أو علمٍ يُنْتَفع به بعدَه » :

كان شيخنا أبو عبد الله ابن عَرَفة يقول : إنما تدخل التواليف فى ذلك إذا اشتملت على فائدة زائدة ، وإلا فذلك تَخْسير للكاغَد . ونعنى بالفائدة الزائدةَ على ما فى الكتب السابقة عليه ، وأما إذا لم يشتمل التأليفُ إلا على نَقْل ما فى الكتب المتقدّمة ، فهو الذى قال فيه : إنه تخسير للكاغَد ، وهكذا كان يقول فى مجالس التّدريس ، وإنه إذا لم يكن فى مجلس التدريس التقاط

زائدة من الشيخ ، فلا فائدة فى حُضور مجلسه ، بل الأولى لمن حَصَلت له معرفة بالاصطلاح ، والقُدرةُ على فهم ما فى الكتب ، أن ينقطع لنفسه ، ويلازم النظر ؛ انتهى .

ونظم فى ذلك أبياتا ، وهى :

إذا لم يكن فى مَجلس الدَّرس نُكتةٌ بتقرير إيضاحٍ لمشكِل صورةِ
وعَزْوِ غريب النقْل أو حَلّ مُقفَل أو أشكالٍ أبدتْه نتيجةُ فكرة [٥٣٠]
فدع سَعيَه وانظر لنفسك واجتهدْ ولا تتركَنْ فالتَرْكُ أقبحُ خَلّة

وكنت قلت فى جواب أبياته هذه :

يمينًا بمن أولاكَ أرفعَ رتبةٍ وزان بك الدنيا بأحسن زينةِ
لَمجلسُك الأحظى الكفيلُ بكل ما على حُسْن ما عنه المحاسنُ جَلَّت
فأبقاك مَنْ رَقَّاك للناس رحمةً وللدين سَيْفًا قاطعًا كلّ بدْعَة

وإنى فى قَسَمِى هذا لبارّ ، فلقد كنت أقيِّد من زوائد إلقائه ، وفوائد إقرائه ، على الدُّوَلِ الخمس ، التى كانت تُقْرأ بمجلسه ، وهى : التفسير ، والحديث ، والدُّوَل الثلاث التى بالتهذيب ، نحوَ الوَرَقتين كل يوم ، مما ليس فى كتاب ، فالله المسئول أن يُقدِّس رُوحه ، فلقد كان الغاية ، وشاهدُ ذلك ما اشتملت عليه تواليفه من ذلك ، وناهيك بمختصره فى الفقه ، الذى ما وُضِع فى الإسلام مثلُه ، لضبطه فيه المذهب : مسائلَ وأقوالا ، مع الزيادة المكمِّلة ، والتنبيه على المواضع المُشكِلة ، وتعريف الحقائق الشرعية . انتهى كلام الأُبِّى .

المقصود بالتأليف

ورأيت بخط بعض الأكابر ما نصّه : المقصود بالتأليف سبعة : شىء لم يُسْبَق إليه فيُؤلَّف ، أو شىء أُلِّفَ ناقصا فيُكمَّل ، أو خطأٌ فيُصحَّح ، أو

مُشكِلٌ فيُشْرَح ، أو مُطَوَّل فيُختَصَر ، أو مُفْتَرِق فيُجمَع ، أو مَنثور فيُرَتَّب .

وقد نظمها بعضهم فقال :

ألاَ فاعلَمَنْ أنَّ التآليف سَبْعَةٌ ... لكلّ لَبيب فى النَّصيحة خالصِ
فشَرْحٌ لإغلاق وتصحيحُ مُخطِىء ... وإبداعُ حَبْرٍ مُقدِمٍ غير ناكص
وترتيبُ مَنْثورٍ وجَمْع مُفرَّقٍ ... وتقصير تطويلٍ وتتميمُ ناقص

تعليق للونشريشى على كلام الأبى

وألفيت بخط شيخ شيخنا ، الإمام القاضى سيدى عبد الواحد الونْشَريشى ، رحمه الله ، ما نصّه : [(١)]ألفيت بخط والدى ، رحمه الله ، على طُرّة من هذا المحلّ ، أعنى كلام الأُبّى السابق ، ما نصّه[(١)] :

[٥٣١] قلت : من هنا يُعلم أن إطلاق اسم المدرِّس على المقتصر على نقل تقاييد الرسالة والمدوَّنة ، من غير فَتْش ولا تَنْزِيل ، ولا كشف واستظهار بغيرها : مجاز ، لا حقيقة ؛ وهذا الوَصْف كاد أن يَعُمّ أهل الوقت أو عَمَّهم ، فنسأل الله العظيم المغفرة من التَّطَفّل ، وتعاطى ما ليس فى المقدور .

ثناء الأبى على تواليف أستاذه ابن عرفة

وقال أيضًا : تأمّل هاهنا الثناء على شيخ الإسلام ، الإمام أبى عبد الله بن عَرفة ، أسكنه الله دار السلام ، وعلى تآليفه ، لا سيما مختصره الفِقْهى ، الذى أعجز معقولُه ومَنقولُه الفُحول ، خلافا لبعض القاصرين من طَلَبة فاس ، فإنهم يقولون : ما يقول شيئا ، يُطْفِئون نُور الله ، ويحتَقِرون ما عظّم الله ، ومُسْتَنَدهم فى ذلك — بزعمهم — حكاية تُؤثَر عن الشيخ المحقِّق ، أبى العبّاس القَبَّاب ، لا رأس لها ولا ذَنَب ، وحاشاه من ذلك ، وما أراهم فى هذا إلا كما قال الأوّل :

وكَمْ مِنْ عائبٍ قولاً صحيحا ... وآفتُه من الفهْمِ السَّقيمِ

(١ — ١) هذه العبارة ساقطة من ط .

ولقد حبَس ملوك المغرب ، رِضوان الله عليهم ، بخزانتي القَرويين والأندلُسيِّين ، من هذا الديوان المبارك نسخا عديدة ، ثم لا يُعَرِّج عليها للمطالعة فى هذا الوقت أحدٌ من طَلَبة الحضرة ، شتاء ولا صيفا ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، بخلاف ما قُيِّدَ عن الشيخ الجَزولىّ ، وأبى الحسن الصُّغَيِّر ، فإنك تَجِدُهم يزدحمون عليها فى كل زمان ، وخصوصا فصلَ الشتاء ، لا يَلحقُ الآخِرُ منها ورقة واحدة ، مع كثرة عددها بحيث ذُكِر ، بل تجدهم يتنافسون فى اقتنائها ، بالأثمان العظيمة المُجْحِفة ، ومَن مَلَك منهم المسبَّع من الجَزولىّ ، وتقييد اليَحْمدىّ عن أبى الحسن ، أو حصلت له عناية بنقلها ، فهو عالِم العالَم [٥٣٢] بأسره ، وحائز مذهب إمام دار الهجرة على التمام ، والقائم بأمره . ولقد كان الحسن المَغِيلىّ عندهم فى أعلى طبقة من الفقه والتفقه ، لقيامه على مُسَبَّع الجزولىّ نقلا ، ولقد شاهدتهم يتساقطون كالفَراش ، على نسخة من الجَزُولىّ بخزانة القَرويين ، زعموا أنها بخط أبى على الحسن المذكور ، وهى مشحونة بالتصحيف ، تُعْمِى البَصر والبصائر ، نَوَّر الله قلوبَنا بذكره ، وعَمَّر ألسنتنا بشكره ، ووفّقنا لما فيه رضاه عنّا .

انتهى ما أُلْفِى بخط الشيخ[1] سيدى أحمد الونشريشى ، رضى الله عنه .

لبعضهم يمدح مختصر بن عرفة فى الفقه

أقول : ولقد أحسن بعض الأكابر من طلبة ابن عرفة ، رحمه الله تعالى ، إذ يقول فى مدح مختصره المذكور[1] :

إذا ما شئت أن تُدْعَى إمامًا ... فخُذْ فى دَرْس مختصر الإمامِ
تنالُ به السعادةَ والمعالِى ... وتُضحى ظاهرا بين الأنام

(١) العبارة من قوله : « سيدى أحمد » إلى « المذكور » : ساقطة من ط .

كتابٌ قد حَوَى من كلّ علمٍ كبستانٍ سُقِى غيثَ الغَمام
فدَعْ عنك السآمةَ وادْرُسنْهُ وعن عَينيْك دَعْ طيبَ المنام
وحَلِّ بُدّرهِ جِيدَ المَعـــالِى تَفُزْ بالخُلْد فى أَعْلى مقـام

بين القباب وابن عرفة

وما أشار إليه الشيخ الونشريشىّ من قوله : « ومُستندهم فى ذلك — بزعمهم — حكايةٌ تُؤْثَر عن القَبّاب ، لا رأس لها ولا ذَنَب » ، أشار به إلى ما يزعمون عن الشيخ القَبّاب ، وقد نقلها شيخنا الإمام سيِّدى أحمد بابا ، أبقاه الله فى تكميله لديباج ابن فَرْحون ، ونصُّه :

ويقال إنه لما حج اجتمع فى تُونس بابن عرفة ، فأوقفه على ما كَتب من مختصره الفَرْعىّ ، وقد كان شرع فى تأليفه ، فقال له القبّاب : ما صنعتَ شيئا . فقال له ابن عرفة : ولِمَهْ ؟ قال : لأنه لا يَفهمه المُبتدى ، ولا يحتاج إليه المنتهى . فتغيَّر وجه ابن عرفة ، ثم ألقى عليه مسائلَ أجابه عنها القبّابُ .

ويقال إنّ كلامه هو الحامل لابن عرفة على أن بَسط العبارة فى أواخر المختصر ، وبيّن الاختصار ، والله أعلم . انتهى كلام شيخنا أبقاه الله .

إيراد للسلطان أبى عنان على بعض الفقهاء

[٥٣٣] قلت : رأيت بخط ابن داود الأندلسىّ ثم التلِمْسانىّ ، ما نصّه : وجدت بخط الرَّملى[٤] ما نصه : حدثنا الشيخ ابن عَرَفة رضى الله تعالى عنه ، عن الشيخ القَبّاب الفاسىّ ، عن الآبُلِّىّ ، قال : أورد السلطان أبو عِنانٍ على فقهائه الجِلّة ، فى قول عائشة رضى الله عنها ، فى حديث مسلم : « فتُوُفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مما يُقْرَأُ : « خَمْسُ رَضَعاتٍ يُحَرِّمْن » . انظره فى مسلم . قال : يلزم على هـذا الخُلفُ فى خبرها ، رضى الله تعالى عنها ، أو عدم حفظ القرآن ،

(١) كذا فى ط ، ص . وفى م : « أبى على » .

وكلاهما مُحال . قال : فسكَت الحاضرون بأجمعهم . قال : فقلتُ : القرآن على قسمين مُتَحَدَّى به ، وهو المُعْجِز ، وغير مُتَحَدَّى به ، والأوَّل هو المحفوظ ، بخلاف الثانى ، بدليل هذا الحديث . قال : فقَبِله الحاضرون كلُّهم .

ولْنُوردْ هنا تمامَ الحكاية : وهذا يحتاج إلى دليل . وشَنَّعه الأستاذ أبو سعيد ابن لُبٍّ غاية التشنيع ، وقال : كَوْن القرآن على قسمين : قسمٍ معجز مُتحدًّى به محفوظ ، يصلى به ؛ وقسمٍ بخلاف ذلك ، يحتاج إلى دليل ، ولا يُوجد . انتهى .

ولو قيل : إنه لم يبلغها النَّسْخ ، كما أجابوا به فى حديث ابن مسعود ، فى حديث سُورة : « واللَّيْل إذا يَغْشَى » ، لكان أبْيَن وأحسن . وذكر ابن الخطيب القُسَنْطِينىّ أنها فى أسئلة مجموعة ، منسوبة إلى السلطان أبى عِنان ، رحم الله تعالى الجميع . انتهت الوِجادة . ونقلتها بطولها ، لما فيها من الفائدة . والمسألة اعتاد الكلام عليها فى « مُرتقى الوُصول ، إلى بناء الفروع على الأصول » ، للسيد أبى عبد الله الشَّريف ، فراجعها منه . انتهى كلام ابن داود رحمه الله .

امامة الشيخ بن عرفة لا تجحد

[٥٣٤] قلت : وبالجملة فإمامة الشيخ ابن عَرفة لا تُنكَر ولا تُجحَد ، ومعرفته بالفُنون ، وتبريزه على أهل عصره ، مما يَعْترف به كل مُنصِف لَوْذَعِىٍّ أوْحد ، ولله دَرُّ صاحب « الشقائق النُّعمانية ، فى علماء الدولة العُثمانية » ، حيث صرّح بأن ابنُ عرفة فاق أقرانَه فى فقه المالكيّة بالمغرب ، آخرَ الثامن . ونصّ كلامه ، عند ما ترجم لصاحب القاموس :

ترجمة الفيروزابادى ، من الشقائق النعمانية

التعريف به

هو المولَى الفاضل ، مَجْدُ الدين أبو الطّاهر ، محمد بن يعقوب بن محمد الشِّيرازِىّ الفَيْروزابادىّ .

نسبه

كان رحمه الله تعالى ينتسب إلى الشيخ أبى إسحاقَ الشِّيرازىّ ، صاحب

التَّنبيه ، وربما يَرْفَعُ نسَبه إلى أبى بكر الصِّدِّيق ، رضى الله عنه ، وكان يكتب بخطه : « الصِّدِّيقىّ » .

رحلاته وبعض تواليفه وصفاته

دخل بلادَ الروم ، وأتصل بخدمة السلطان بايزيد بن السلطان مراد ، ونالَ عنده رُتبة وجاها ، وأعطاه السلطان مالا جزيلا ، وأعطاه الأمير تَيْمور خمسة آلاف دينار ، ثم جال البلادَ شرْقا وغربا ، وأخذ عن علمائها ، حتى بَرَع فى العلوم كلها ، [لا] سيَّما الحديثُ والتفسير والفقه . وله تصانيف كثيرة ، تُنَيِّف على أربعين مُصَنَّفا ، وأجلّ مُصَنَّفاته « اللامع المُعْلَم العُجاب ، الجامع بين المُحْكَم والعُباب » ، وكان تمامه فى ستين مجلدة ، ثم لخّصها فى مجلّدتين ، وسَمَّى ذلك الملَخَّص بـ « القاموس المحيط » ، وله تفسير القرآن العظيم ، وشرح البخارى والمشارق ، وكان لا يَدخل بلدة إلَّا وأكرمه واليها ، وكان سريع الحفظ ، وكان يقول : لا أنام حتى أحفظ مِئَتَى سطر ، وكان كثير العِلْم والأطلاع على المعارف العجيبة ؛ وبالجملة كان آية فى الحفظ والأطلاع والتصنيف .

ميلاده ووفاته

وُلد رحمه الله تعالى سنة تسع وعشرين وسبع مئة بكارزين ، من أعمال شِيراز ، وتُوُفِّى قاضيا بزَبيد ، فى بلاد اليمن ، ليلة العشرين من شَوَّال ، سنة ستّ أو سبْعَ عَشْرَةَ وثمان مِئة ، ودُفن بتُربة الشيخ إسماعيل الْجَبَرْتىّ .

هو آخر من مات من الرؤساء

[٥٣٥] وهو آخر من مات من الرؤساء ، الذين انفرد كلّ منهم بفنّ فاق فيه أقرانَه ، على رأس القَرن الثامن ، وهم الشيخ سِراج الدين البُلْقِينى ، فى الفقه على مَذهب الشافعى ؛ والشيخ زَين الدين العِراقىّ فى الحديث ؛ والشيخ سراج الدين ابن الملقّن ، فى كثرة التصانيف وفن الفقه والحديث ؛ والشيخ شمس الدين الفَنَارِىّ ، فى الأطلاع على كلّ العلوم العقلية والنقلية والعربيّة ؛ والشيخ أبو عبد الله بن

عَرَفة ، فى فقه المالكية بالمغرب ، والشيخ مجد الدين الشيرازىّ ، فى اللغة . رحمهم الله تعالى أجمعين رحمة واسعة .

انتهى ما قصَدته من كلام صاحب « الشَّقائق النُّعمانية ، فى عُلَماء الدّولة العثمانية » .

استدراك ابن خلدون

قيل : ولو زاد ولىّ الدين بنَ خَلْدونَ فى التاريخ وطبائع العالَم ، لَحُسن ، والله تعالى أعلم .

قلت : وإذ جرى ذِكْر صاحب القاموس ، فلا بأس أن نُورِد ترجمته ، على أتمّ ممَّا ذكره صاحب « الشقائق النُّعمانية » ، وربما وقع التخالف ، فنقول :

ترجمة ثانية للفيروزابادى ، عن الضوء اللامع للسخاوى

قال بعضُ حُفّاظ المشارقة ، وهو الإمام السَّخاوىّ فى كتابه « الضوء اللامع[1] » :

هو محمد بن يعقوب ، بن[2] إبراهيم ، بن عمر ، بن أبى بكر ، بن أحمد ، ابن محمود ، بن إدريس ، بن فَضْل الله ، بن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم الكارِزينى[3] ، المشهورُ بمولانا الشيخ مَجْد الدين ، الفيروزابادىّ ، اللغوىّ الشافعىّ . ولد فى ربيع [الآخر][4] سنة وعشرين وسبع مئة بكارِزين ، فنشأ بها ، وحَفِظ القرآن وهو ابن سبع ، وانتقل إلى شِيراز وهو ابن ثمان ، فأخذ الأدبَ واللغة عن والده ، ثم عن القَوّام عبد الله بن محمود [بن النَّجم][4] ،

(١) نقل المؤلف ترجمة صاحب القاموس عن الضوء اللامع باختصار فى بعض العبارات .

(٢) فى الضوء اللامع : « ... يعقوب بن محمد بن إبراهيم » . وفى مقدمة تاج العروس : « ... يعقوب بن محمد بن يعقوب بن إبراهيم » .

(٣) كذا فى شرح القاموس مادة : « كرز » . وفى الأصول : « الكازرونى » . وفى القاموس وشرحه : « وكارزين ، بكسر الراء كما هو المشهور ، ومثله ضبطه الصاغانى ، وضبطه السمعانى بفتحها : بلد بفارس ... وبه ولدت ... وأن من قال كازرين أو كازرون فقد أخطأ » .

(٤) ما بين الحاصرتين : عن الضوء اللامع .

وغيرهما من علماء شيراز ، وانتقل إلى العراق ، فدخل واسطَ وبَغداد ، وأخذ عن
[٥٣٦] الشَّرف عبد الله بن بَكتاش[١] ، وهو قاضى بغداد ، ومدرّس النظامية بها ، وولِيَ[٢] به تداريس وتصادير ، وظهرت فضائله ، وكثُر الأخذ عنه ، فكان ممن أخذ عنه الصَّفَدِيّ . [ثم دخل القاهرة][٣] و[لقى بها][٤] البهاء بنَ عَقيل ، والجَمال الأسْنوى ، وابن هشام . وأخذ عن علمائها ، وجال فى البلاد المشرقية والشماليـة[٥] ، ودخل الروم والهند ، ولَقِي جَمْعا من الفضلاء ، وحَمَل عنهم شيئا كثيرا ، تجمعهم مشيختُه ، تخريجُ الجَمَال بن موسى المراكُشِيّ ، وفيه أنّ [مِن][٦] مرويّاتِه الـكُتبَ الستة ، وسُنن البَيْهقى ، ومُسْنَدَ أحمد ، وصحيحَ ابن حِبّان ، ومصنَّفَ ابن أبى شَيْبة ، وغيرَ ذلك ، غيرَ[٧] مشايخ عديدة ، وجم غفير .

---

(١) ورد هذا الاسم مضطربا فى الأصول . وقد صوبناه عن مقدمة تاج العروس .

(٢) فى العبارة اضطراب بسبب سقطة قبل قوله « وولى » . ولعلها من قلم الناسخ . ونحن نثبت هنا العبارة الساقطة كما وردت فى الضوء اللامع ، ليتصل بعض الـكلام ببعض : « وعمل عنده معيدها سنين ، ثم ارتحل إلى دمشق ، فدخلها سنة خمس وخمسين ، فسمع بها من التقى السبكى ، وأكثر من مئة شيخ ، منهم ابن الخبّاز ، وابن القيم ، ومحمد بن إسماعيل بن الحموى ، وأحمد بن عبد الرحمن المرداوى ، وأحمد بن مظفر النابلسى ، ويحيى بن على بن محلى بن الحداد الحنفى ، وغيرهم ، ببعلبك ، وحماة ، وحلب . وبالقدس من العلائى ، والبيانى ، والتقى القلقشندى ، والشمس السعودى ، وطائفة . وقطن به نحو عشر سنين » .

(٣) جاء قوله : « ثم دخل القاهرة » بعد كلمة « ابن هشام » الواردة بعد . وقد أثبتناها فى هذا الموضع عن الضوء اللامع ، ليستقيم الـكلام .

(٤) زيادة عن الضوء اللامع يستقيم بها الـكلام .

(٥) فى الأصول : « والشامية » . والتصويب عن الضوء اللامع .

(٦) زيادة عن الضوء اللامع .

(٧) قول المؤلف : « غير مشايخ عديدة ، وجم غفير » : غير متصل بما قبله . وظاهر أنه تتمة لـكلام له عن مشايخ المترجم به ، سقط من الناسخ . ويوضح هذا ماورد فى ذلك فى الضوء اللامع ، نقلا عن الجمال المراكشى : « إن من مشايخه من أصحاب الفخر بن البخارى ، والنجيب الحرانى ، وابن عبد الدائم ، والشرف الدمياطى ، الجم الغفير ، والجمع الـكثير ، من مشايخ العراق والشام ومصر وغيرها » .

ثم دخل زَبيدَ فى رمضان سنة ستٍّ وتسعين ، بعد وفاة قاضى الأقضية باليمن كلّه ، الجمال الرَّيْمِى[1] ، شارح « التَّنْبيه » ، فتلقّاه الأشرفُ إسماعيل [بالقَبول][2] ، وبالغ فى إكرامه ، وصرف له ألف دينار ، سوى ألفٍ أخرى أمر ناظرَ[3] عَدَن أن يُجهِّزه بها ، واستمر مقيما فى كَنَفه على نشر العلم ، وكَثْر الانتفاعُ به ، وأضيف إليه قضاء اليمن كلِّه فى ذى الحجة سنة سبع وتسعين ، بعد ابن عُجَيْل ، فارتفق بالمُقام فى تهامة ، وقصدَهُ الطلبة ، وقرأ السلطانُ فمَنْ دونَه عليه ، فاستمرَّ بزَبيدَ مدة عشرين سنة ، وهى بقية أيام الأشرف ، ثم ولَدِه الناصر [أحمد][2] . وكان الأشرفُ قد تزوج ابنتَه لمزيد جمالها ، ونال منه برًّا ورفعة ، بحيث إنه صَنَّف كتابا وأهداه له على أطباق ، فملأها له دراهم ؛ وفى أثناء هذه المدة قدِم مكة مرارا ، وجاور بالمدينة والطائف ، وعمل بها مآثرَ حَسَنة ، وكان يُحِبّ الانتسابَ إلى مكة ، ويكتب بخطه : « الملتجىء إلى حرم الله تعالى » ، ولم يدخل بلدا إلا وأكرمَه متولّيها ، وبالغ فى تعظيمه ، مثل شاه منصور بن شجاع ، صاحب تبريز ، والأشرف صاحب مصر ، [والسلطان بايزيد خان بن عثمان ، متولى الروم ، وابن أويس صاحب بغداد] ، وتَمَرْلَنْك ، وغيرهم .

كتبه ومؤلفاته [٥٣٧] واقتنى كتبا كثيرة ، حتى نُقِل عنه أنه قال : اشتريت بخمسين ألف مثقال [ذهبا][2] كتبا . وكان لا يسافر إلا وفى صحبته منها أحمال ، ويخرجها فى كل منزل وينظر فيها . وصَنَّف كتبا كثيرة ، منها : « بصائر ذوى التمييز ، فى لطائف الكتاب العزيز » ، مجلدان ، و « تنوير المقباس ، فى تفسير ابن عَبَّاس »

(١) كذا ذكره فى شرح القاموس مادة «ريم» وفى الضوء اللامع . وورد هذا الاسم فى الأصول محرفا .

(٢) زيادة عن الضوء اللامع .

(٣) فى الأصول : «صاحب» . وما أثبتناه عن الضوء اللامع ، والبدر الطالع .

أربع مجلدات ، و « تيسير فاتحة الإهاب ، فى تفسير فاتحة الكتاب » ، مجلد كبير ، و « الدر النظيم ، المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم » ، و « حاصل كورة الخلاص ، فى فضائل سورة الإخلاص » ، و « شرح خطبة الكشّاف » ، و « شوارق الأسرار العلية ، فى شرح مشارق الأنوار النبوية » أربع مجلدات ، و « منح البارى ، بالسسيل الفسيح الجارى ، فى شرح صحيح البخارى » كمّلَ رُبع العبادات منه فى عشرين مجلدا ، و « الإسعاد ، بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد » ، ثلاث مجلدات ، و « النفحة العنبرية ، فى مولد خير البرية » ، و « الصّلاتُ والبُشَر فى الصّلاة على خير البَشَر » ، و « الوَصْل والمُنَى ، فى فضل مِنَى » ، و « المغانم المُطابة ، فى مَعالم طابة » ، و « مُهَيّج الغرام ، إلى البلد الحرام » ، و « إثارة الحَجون لزيارة الحَجُون » ، عَمِلَه فى ليلة ، و « أحاسن اللطائف ، فى محاسن الطائف » ؛ و « فصْل الدُّرة من الحرَزَة ، فى فضْل السّلامة على الخِبَزَة » ، قريتان بالطائف ، و « روضة الناظر ، فى ترجمة الشيخ عبد القادر » ، و « المِرقاة الوفيّة ، فى طبقات الحنفية » ، و « البُلغة ، فى تراجم أئمة النّحو واللغة » ، و « الفضل الوفىّ ، فى العدل الأشرفى » ، و « نزهة الأذهان ، فى تاريخ أصبَهان » ، و « تَعيين الغُرفات ، للمعين على عَيْن عَرَفات » ، و « مُنْية السُّول ، فى دعوات الرسول » ، و « التّجاريح فى فوائد متعلقة بأحاديث المَصابيح » ، و « تسهيل طريق الوصول ، إلى الأحاديث [٥٣٨] الزائدة على جامع الأصول » ، و « الأحاديث الضعيفة » ، و « الدر الغالى ، فى الأحاديث العَوالى » ، و « سِفْر السعادة » ، و « المتفق وضعا ، المختلف صنعا » ، و « اللامع المُعْلَم العُجاب ، الجامع بين المحكَم والعُباب ، وزياداتٍ امتلأ بها

(١) السلامة : قرية من قرى الطائف ، بها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفى جانبه قبة فيها قبر ابن عباس وجماعة من أولاده ، ومشهد للصحابة ، رضى الله عنهم . والخِبَزَة (كعنبة) : قرية بالطائف أيضا .

الوطاب » ، قدّر تمامه فى مئة مجلد ، يقرب كل مجلد منه من صحاح الجوهرى[1] ، أكمل منه خمس مجلّدات ، و « القاموس المحيط ، والقابوس الوسيط » ، و « مقصود ذوى الألباب ، فى علم الأعراب » ، مجلد ، و « تحبير المُوَشِّين ، فيما يُقال بالسِّين والشِّين » ، تتبّع فيه أوهام المُجمَل لابن فارس ، فى ألف موضع ، و « المثلث الكبير » فى خمس مجلّدات ، و « الروض المسلوف ، فيما له أسمان إلى الألوف » ، و « تُحفة القَماعيل ، فيمن يُسَمّى من الملائكة والناس إسماعيل » ، و « أسماء السَّراح ، فى أسماء النِّكاح » ، و « الجليس الأنيس ، فى أسماء الخندريس » مجلد ، و « أنواء الغَيْث ، فى أسماء اللَّيْث » ، و « ترقيق الأسَل ، فى تصفيق العسل » فى كرّاسين ، و « زاد المعاد ، فى وزن مائت سُعاد » ، وشَرَحه فى مجلد ، و « التحف الظَّرائف ، فى النُّكَت الشرائف » ، وغيرُ ذلك من مختصر ومطوّل .

ثناء الكرمانى عليه

وقال التقىّ الكَرمانىّ : كان عديم النظير فى زمانه نظما ونثرا ، بالفارسىّ والعربىّ ، جال البلاد ، واجتمع بمشايخ كثيرة ، وأقام بدَهْلَك[2] مدة عَظَمة سلطانها ، وجاور بمكة عشر سنين ، وصنّف بها القاموس ، فى مجلدات ، فأمره والدى باختصاره ، فاختصره فى مجلد ضخم ، وفيه فوائد عظيمة ، واعتراضات على الجوهرىّ ؛ وسافر إلى الهند والروم ، وعظّمه سلاطينها ، واجتمع بتَمَرْلَنك ، فعظمه ، وأنعم عليه بمئة ألف درهم .

ثناء الخزرجى عليه

وقال الخزرجى فى تاريخ اليمن : إنه لم يزل فى ازدياد من علوّ الجاه والمكانة ، ونفوذ الشفاعات والأوامر على القضاة فى الأمصار .

(١) فى م والبدر الطالع : « كل مجلد منه يقرب من صحاح الجوهرى » .
(٢) كذا فى الضوء اللامع ، وهى جزيرة فى بحر اليمن ، مرسى بين بلاد اليمن والحبشة . وفى الأصول : « دهلى » . ولعله تحريف .

رغبته فى سكنى الحجاز

ورام فى عام تسعة وتسعين الوصول إلى مكة ، شرّفها الله ، فكتب إلى السلطان ما مثاله :

كتابه إلى الأشرف إسماعيل

[٥٣٩] « ومما تُنهيه إلى العلوم الشريفة ، ضعف العبد ، ورِقّة جسمه ، ودِقّة بنيته ، وعلوّ سنّه ، وقد آل أمره إلى أن صار كالمسافر الذى تحزّم وانتعَل ، إذ وَهَنَ العظم والرأس اشتعل ، وتضعضع السِّنّ ، وتقَعْقَع الشَّنّ ، فما هو إلا عِظام فى جِراب ، وبُنيان [قد] أشرف على الخراب ، وقد ناهز العشر التى تسمّيها العرب دَقّاقَةَ الرِّقاب ؛ وقد مرّ على المسامع الشريفة غيرَ مرّة فى صحيح البخارىّ ، قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا بلغ المرء[1] ستين سنة فقد أعذر الله إليه ، فكيف مَنْ يُنَيِّف على السبعين ، وأشرف على الثمانين ؟ ولا يجمل بالمؤمن أن يمضى عليه أربع سنين ، ولا يتجدّد له شوق [وعزم] [2] إلى بيت رب العالمين ، وزيارة سيد المرسلين . وقد ثبَت فى الحديث النبوىّ ذلك ؛ والعبد له ستُّ سنين[3] عن تلك المسالك ، وقد غلب عليه الشوق ، حتى جلّ عَمْرُه عن الطّوْق ، ومِنْ أقصَى أُمنيته ، أن يجدِّد العهد بتلك المعاهد ، ويفوز مرة أخرى بتلك المشاهد ، وسؤاله من المراحم العلية[4] الصدقةُ عليه بتجهيزه فى هذا العام ، قبل اشتداد الحرّ وغَلَبة الأوام ، فإنّ الفَصْل أطيب ، والريح أزْيب ؛ وأيضا كان من عادة الخلفاء ، سلفا وخلفا ، أنهم كانوا يُبْرِدون البريد لتبليغ سلامهم لحضرة[5] سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فاجعلنى ،

(١) كذا فى أكثر الأصول والضوء اللامع . وفى ط : « العبد » .
(٢) هذه الكلمة من الضوء اللامع .
(٣) فى العبارة نقص ، ولعل تمامها : « بعيدا عن » بزيادة « بعيدا » أو كلمة بمعناها .
(٤) فى الضوء اللامع : « الحسنية » .
(٥) فى الضوء اللامع : « إلى حضرة » .

جعلنى الله فِداك ، ذاك البريد ، فلا أتمنى شيئا سواه ولا أريد .

شوقى إلى الكعبة الغرّاء قد زادا فاستحمِلِ القُلُص الوخّادة الزادا
واستأذِنِ الملِكَ المِنعام زِيد عُلاً واستودِعِ الله أصحابا وأولادا

فلما وصل كتابه إلى السلطان ، كتب على طُرّته ما مثالُه :

[٥٤٠] « إن هذا الشىء ما ينطق به لسانى ، ولا يجرى به قلمى ، فقد كانت اليمن عمياء فاستنارت ، فكيف يمكن أن نتقدّم وأنت تعلم أن الله قد أحيا بك ما كان ميتا من العلم ؟ فبالله عليك إلاّ ما وهبت لنا بقية هذا العمر . والله يا مجدَ الدين ، يمينا بارّة ، إنى أرى فراق الدنيا ونعيمها ، ولا فراقَك أنتَ اليَمَنَ وأهلَه .

ثناء الفاسى عليه

قال الفاسِىّ : له شعر كثير ، ونثره أعلى ، وكان كثير الاستحضار لمستحسنات الشعر والحكايات ، وله خطّ جيد مع السرعة ، وكان كثير الحفظ ، حتى يقال إنه قال : ما كنت أنام حتى أحفظ مئتى سطر ؛ وكانت له دار بمكة على الصَّفا ، عملها مدرسة للأشرف صاحب اليمن ، وقرّر بها مُدَرِّسين وطَلَبة ، وفعل بالمدينة كذلك ، وله بمنًى دور ، وبالطائف بُستان ، وقد سارت الركبان بتصانيفه ، لا سيما القاموس ، فإنه أُعْطِىَ قَبولا كثيرا .

ثنور الدين على يمدح كتابه القاموس

قال الأديب المفلِق نور الدين على بن محمد العفيف[1] المكىّ الشافعى لما قرأ عليه القاموس :

مُذْ مَدَّ مَجْدُ الدين فى أيامه[2] من فيض[3] أبحر علمه القاموسا
ذهبت[4] صِحاح الجوهرى كأنها سحر المدائن حين أَلْقَى موسَى

(١) كذا فى الأصول وتاج العروس . وفى الضوء اللامع : « بن العليف » .
(٢) فى بعض النسخ : « واحد عصره » . وفى بعضها : « فى أرجائنا » .
(٣) كذا فى م . وفى سائر الأصول والضوء اللامع وتاج العروس : « بعض » .
(٤) فى بعض النسخ : « أمحت » .

من شعر المترجم

ومن شعره مما كتبه عنه الصَّلاَح الصَّفَدِيُّ ، رحمهما الله :

أحبتنا الأماجـــدَ إن رَحَلتم ولم تَرعَوْا لنـــا عَهدًا[1] وإلاّ
نودِّعْكم ونودعْكم قـــلوبا لعلّ الله يجمعنـــــــا وإلاّ

تاريخ وفاته

وكان يرجو وفاته بمكّة [المشرفة] ، فما قدَّر [الله] له ذلك ، بل تُوُفّى بزَبيد ، وقد ناهز التسعين ، وهو مُتمتِّع بحواسه ، وذلك ليلة العشرين من شوّال ، سنة سبعة عشر وثمان مئة ، تغمده الله تعالى برحمته ، وأسكنه فسيح جنته . انتهى ملخصا من الضوء اللامع للسَّخاوى ، رحمه الله .

للفيومى يمدح القاموس

ولأبى عبد الله الفَيُّومى يمدح القاموس المذكور :

لله قامـــوسٌ يَطيب ورودُه أغنى الورَى عن كل مَعْنًى أزهرِ
لَفَظ الصِّحاح بلفظه والبحرُ من عاداته يُلقى صِحاح الجوهرى

وللو سطى فى رموز القاموس

[٥٤١] وقال عبد الرحمن[2] بن مَعمر [الواسطى] فى رموزه :

وما فيه من رَمْزٍ بحرف لخمسة[3] فميم لمعروف ، وعين لموضـــعِ
وجيم لجمـــــع ، ثم هاء لقرية وللبـــلد الدال التى أهملت فَعِ

وله يمدح القاموس

وأنشدنا فيه لغيره ، سيدُنا ومولانا شيخ الشيوخ ، وخاتمة أهل التَّثَبُّت والرسوخ ، مُلحِق الأحفاد بالأجداد ، المبرِّز على النظراء والأنداد ، مفتى تِلِمْسان وأصقاعها ، ومعتَمَد أهل أقطارها وبقاعها ، عَمُّنا سيدى سعيدُ بن أحمد المَقْرِىّ ، صبّ الله عليه شآبيب رضوانه ، آمين :

---

(١) كذا فى الضوء اللامع وإنباء الغمر وفيما سيأتى فى جميع الأصول . وفى الأصول هنا : « ودا » .

(٢) فى م : « عبـد الله » وهو تحريف . وقد نسب هذان البيتان أيضا إلى مؤلف القاموس (انظر تاج العروس فى المقدمة) .

(٣) رواية هذا الشطر فى تاج العروس : « وما فيه من رمز لخمسة أحرف » .

ألا ما لهذا فى اللغات مُشابِهُ فما هو إلا كاسمه زاخرٌ بحرُ
أحاط بما يحوِى سواه وفاقه بمبدَع لفظ مع لغات بها كُثْرُ
جزى الله خيرا مَن تصدَّى لجمعه وآتاه فضلا زاد ما اتّصل الدهرُ

قلت : هذه الأبيات لتقيّ الدين الواسطى ، نظمها تُجاه الكعبة المشرفة . وأنشدنى أيضا ، رحمه الله ، وكتبهما بخطّه :

وما جاء فى القاموس رَمزًا فستة : لموضعهمْ عينٌ ، ومعروفٍ الميمُ
وجَجٌّ لجمع الجمع ، دال لبلدة وقريتهمْ هاء ، وجمع له الجيم

انتهى .

شعر للمترجم وقد قرأ صحيح مسلم

قلت : ومن أغرب ما منح الله تعالى المجد مؤلّفَ القاموس المذكور ، أنه قرأ بدمشق بين بابى النصر والفَرَج ، تُجاه بَغْل النبى صلى الله عليه وسلم ، على ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن جَهْبَل ، صحيح مسلم فى ثلاثة أيام ، وتبجَّح فقال :

قرأتُ بحمد اللهِ جامع مُسْلِم بجوف دمشق الشام جوفا لإسلام
على ناصر الدين الإمام بن جَهْبَل بحضرة حُفاظٍ مشاهيرَ أعلام
وتَمّ بتوفيق الإله بفضله قراءةَ ضبط فى ثلاثة أيام

فسُبحان المانح الذى يؤتى فضلَه من يشاء .

ترجمة ثالثة للفيروزابادى ، عن انباء الغمر لابن حجر

وبعد أن كتبت هذه الترجمة ، وقفت على كلام تلميذه الإمام ابن حَجَر فى « إنباء الغُمْر ، بأنباء العُمْر » ، فأوردته هنا ، وإن كان مخالفا فى بعض المواقع لما قدمته ، إذ لا يخلو من فائدة ، ونصّه : [٥٤٢]

محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عُمر الشِّيرازى ، الشيخُ العلاّمة ،

مجدُ الدين أبو الطاهر الفَيروزابادى ، كان يَرفَع نَسَبه إلى الشيخ أبى إسحاق الشيرازىّ صاحب « التنبيه » ، ويذكر أن بعد « عمر » أبا بكر بن أحمد [بن أحمد] بن فضل الله بن الشيخ أبى إسحاق . ولم أزل أسمع [مشاهير] مشايخنا يطعُنون فى ذلك ، مُستندين إلى أن [الشيخ] أبا إسحاق لم يُعْقِب .

ثم ارتقى الشيخُ مجد الدين درجة ، فادَّعى بعدَ أن وَلِىَ قضاء اليمن بمدة طويلة ، أنه من ذُرِّية أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه . وزاد إلى أن رأيت بخطه لبعض نُوّابه فى بعض كتبه : « محمد الصِّدِّيقىّ » ؛ ولم يكن مدفوعا عن معرفة ، إلا أنَّ النفس تأبى قبولَ ذلك .

مولده ورحلاته

وُلِد الشيخ مجد الدين سنة تسع وعشرين وسبع مئة بكارِزين ، وتفقَّه ببلاده ، وسمع بهـا من محمد بن يوسف الزَّرَنْدِىِّ المدنىّ صحيحَ البخارىّ ، وعلى بعض أصحاب الرَّشيد بن أبى القاسم ، ونظر فى اللغة ، فكانت جُلّ قصده فى التحصيل ، فمهر فيها ، إلى أن تَميَّز وفاق أقرانه ، ودخل الديار الشاميّة بعد الخمسين ، فسمع بها ، وظهرت فضائلُه ، وكثر الآخذون عنه ، ثم دخل القاهرة ، ثم جال فى البلاد الشمالية والمشرقية ، ودخل الهند ، وعاد منها على طريق اليَمَن ، قاصدا مكّة [المشرَّفة] ، ودخل زَبيد ، فتلقاه الملك الأشرفُ إسماعيل بالقَبول ؛ وكان ذلك بعد وفاة جمال الدين الرَّيْمِىّ[1] ، قاضى الأقضية باليمن كلِّه ، فقرَّره الأشرفُ مكانه ، وبالغ فى إكرامه ، فاستقرت قدمه بزَبيد ، واستمرّ فى ذلك إلى أن مات . وقدم هذه المدة مكّة [مِرارا] ، وأقام بها وبالطائف ، ثم رجع وصنَّف القاموس المحيط فى اللغة ، لا مَزيد عليه فى حُسْن الاختصار ، وميَّز فيه

(١) فى الأصول هنا : « الذهبى » ، وهو تحريف . انظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٢) من هذا الجزء .

زياداته على الصِّحاح ، بحيث لو أُفردت لكانت قدرَ الصحاح وأكثر ، فى عدد الكلمات ، وقُرئ عليه . وكان أولًا أبتدأ بكتاب كبير فى اللغة ، سمّاه : «اللامعَ المعلَمَ العُجاب ، الجامعَ بين المُحكَم والعُباب » ، وكان يقول : لو كَمَل لكان مِئة مجلد . وذكر عنه الشيخ بُرهان الدين الحلبى ، أنه تتبَّع أوهام الجمل لابن فارسٍ فى ألف موضع ، وكان مع ذلك يعظِّم ابن فارس ، ويُثْنِى عليه . [٥٤٣]

كتبه وإسرافه

وقد أكثر المجاورة بالحرمين [الشريفين] ، وحصَّل دنيا طائلة ، وكتبا نفيسة ، لكنه كان كثير التبذير ، وكان لا يسافر إلا ويُحبته عِدّة أحمال من الكتب ، ويُخْرِج أكثرها فى كل منزل ، ينظر فيها ، ويعيدها إذا رحَل ، وكان إذا أملق باعها . وكان الأشرفُ كثيرَ الإكرام له ، حتى إنه صنَّف له كتابا ، وأهداه له على أطباق ، فملأها له دراهم ، وصنَّف للناصر كتابا سماه : «تسهيلَ الوُصول ، إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول » ، و « الإصعاد ، إلى رتبة الاجتهاد[1] » فى أربعة أسفار ، وشرع فى شرحٍ مُطَوَّل على البخارى ، [ملأه] بغرائب المنقولات ، وذكر لى أنه بلغ عشرين سِفرا . إلا أنه لما اشتهرت باليمن مقالة ابن عَرَبىّ ، ودعا إليها الشيخُ إسماعيلُ الجبرتىّ[2] ، وغلب على علماء تلك البلاد ، صار الشيخ مَجْدُ الدين يُدْخِل فى شرح البخارىِّ من كلام ابن عربىّ فى الفتوحات ، ما كان سببا لشَين[3] الكتاب [المذكور] .

ولم أكن أتهم الشيخ بالمقالة المذكورة ، إلا أنه كان يحب المداراة . وكان الناشرىّ فاضلُ الفقهاء بزَبيد ، يبالغ فى الإنكار على إسماعيل ؛ وشرح ذلك يطول .

ولما اجتمعْتُ بالشيخ مجد الدين ، أظهر لى إنكار مقالة ابن عربىّ ، وغَضَّ

(١) تقدم اسم هذا الكتاب كاملا ، وهو : « الإسعاد بالإصعاد ، إلى درجة الاجتهاد » ثلاث مجلدات . (٢) اقرأ ترجمته فى البدر الطالع للشوكانى (ج ١ ص ١٣٩) .
(٣) فى م : « لنبذ » .

منها ، ورأيته يصدِّق بوجود رَتَن[١] الهندىّ ، وينكر على الذَّهَبِىّ قولَه فى الميزان إنه لا وجود له . قال الشيخ مجدُ الدين : إنه دخل قريَتَه ، ورأى ذُرِّيته ، وهم مُطْبِقون على تصديقه ؛ وقد أوضحت ذلك فى ترجمة « رَتَن » من كتاب الإصابة. [٥٤٤]

بعض مؤلفاته

ومن تصانيفه : «شوارق الأسرار ، فى شرح مشارق الأنوار[٢]» ، و«الروض المَسْلُوف ، فيما له أسمان إلى الألوف » ، و « تحبير المُوَشِّين ، فيما يقال بالسِّين والشِّين » . وكان يقول : ما كنت أنام حتى أحفظ مِئَتَىْ سطر ، ولم يُقَدَّرْ له قَطُّ أنه دخل بلدة إلا وأكرمه متولّيها ، وبالغ فى إكرامه ، مثل شاه شُجاع ، صاحبِ تبريز ، والأشرفِ صاحب مصر ، والأشرف صاحب اليمن ، وابن عُثمان صاحب التركية ، وأحمد بن أُوَيس صاحب بغداد ، وغيرهم ، ومتَّعه الله بسمْعِه وبصره إلى أن مات .

شيوخه

سمع الشيخ مجدُ الدين من ابن الخبَّاز ، وابن القَيِّم ، وابن الحموىّ ، وأحمدَ ابن عبد الرحمن المَرْدَاوِىّ ، وأحمد بن مطر النابُلسى ، والشيخ تقى الدين السبكى ، ويحيى بن علىّ بن مُجَلِّى بن الحداد ، وغيرهم ، بدمشق فى سنة نيف وخمسين ؛ وبالقُدس من العلائىّ ، والبيانىّ[٣] ؛ وبمصر من القلانسىّ ، ومظفر الدين ،

(١) هو رتن بن عبد الله أو ابن كربال البترندى الهندى ، ويقال فيه رطن (بالطاء بدل التاء) : شيخ معمر ، خفى خبره دهرا طويلا ، إلى أن ظهر على رأس القرن السادس ، فادعى صحبة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه روى عنه أحاديث . وهو شيخ دجال بلا ريب ، قيل إنه توفى سنة اثنتين وثلاثين وستمئة (عن الإصابة لابن حجر) .

(٢) فى كشف الظنون : « شوارق الأسرار العلية ، فى شرح مشارق الأنوار النبوية » . وكتاب المشارق هذا الذى شرحه الفيروزابادى : للإمام رضى الدين الصغانى المتوفى سنة ٦٥٠ هـ . ويسمى « مشارق الأنوار النبوية ، من صحاح الأخبار المصطفوية » . وللقاضى عياض كتاب يسمى مشارق الأنوار أيضا فى غريب الحديث ، وسيأتى ذكره بعد فى كلام المقرى على تواليفه .

(٣) فى س : « من العلامة البيانى » .

وناصر الدين التونسى ، وابن نَباتة ، [والفارقىّ ، والعَرَضىّ ، والعز بن جماعة ، وبمكة من خليل المالكىّ ، والتقىّ الحرازىّ] ؛ ولقى بغيرها من البلاد جمعا جمًّا من الفضلاء وحمل عنهم شيئا كثيرا ، وخرّج له الجمال المَرّاكُشِىّ مَشيخة ، واعتنى بالحديث .

اجتمعتُ به بزَبيد ، وفى وادى الحصيب ، وناولنى جُلّ القاموس ، وأَذِن لى مع المناولة أن أُروِيَه عنه ، وقرأت عليه من حديثه عِدّة أجزاء ، وسمعت منه المُسَلْسَل بالأولية لسماعه من السُّبْكىّ ، وكتب لى تقريظا على بعض تخريجاتى ، أبلغَ فيه ، وأنشدنى لنفسه فى سنة ثمان مئة بيتين ، كتبهما عنه الصلاح الصَّفَدىّ ، فى سنة سبع وخمسين بدِمشْق ، وبين كتابتهما عنه ووفاته ستون سنة ، رحمه الله :

أخلانا الأماجدَ إن رحلتم ولم تَرْعَوا لنا عَهْدا وإلاّ
نودِّعْكم ونُودعْكم قلوبا لعلّ اللهَ يجمعُنا وإلاّ

وفاته [٥٤٥] مات [رحمه الله تعالى] فى ليلة العشرين من شوال وهو ممتّع بحواسّه ، وقد ناهز التسعين .

انتهى كلام ابن حَجَر فى ترجمته سنة سبع عشرة وثمان مئة ، من « إنباء الغُمْر ، بأنباء العُمر » .

* * *

مدح الفيروزابادى لابن عربى

ووجدت فى بعض المقيّدات بخط بعض الفضلاء ، ممن يُوثَق بدينه وعلمه من أهل عصرنا ، ما نصه :

سُئل شيخ الإسلام الشيخ مجدُ الدين الفَيروزابادىّ ، رضى الله عنه ، صاحب كتاب القاموس فى اللغة ، بما نصُّه :

ما يقول[١] سيدنا ومولانا شيخ الإسلام فى الكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربيّ ، كالفُتوحات والفُصوص ، هل تحل قراءتها وإقراؤها ومطالعتها ؟ وهل هى [من][٢] الكتب المسموعة المقروءة أم لا ؟

فقال رضى الله عنه : الذى أقول وأتحققه ، وأدِين اللهَ تعالى به : أن الشيخ محيَ الدين ، كان شيخ الطريقة : حالا وعِلما ، وإمام التحقيق : حقيقة ورسما ، [ومحيَ رسوم العارفين فعلا واسما] :

إذا تغلغَل فِكْر المرء فى طَرَفٍ ... من بحره غرِقت فيه خواطرهُ

فهو بحرٌ لا تُكَدِّرُه الدِّلاء ، وسَحاب لا تتقاصر عنه الأنواء ، كانت دَعَواته تخترق السَّبْع الطِّباق ، وتفترق بركاتُه فتملأ الآفاق ، وإنى أصفه ، وهو يقينا فوق ما وصفته ؛ وناطق بما كتبتُه ، وغالب ظنى أنى ما أنصفتُه :

وما عَلَىَّ إذا ما قلت مُعْتقَدى[٣] ... دع الجهول يَعُدُّ[٤] العَدْل عُدْوَانا

واللهِ والله والله العظيم ومَن ... أقامه حُجَّـــــةً للدين برهانا

إنَّ الذى قلت بعضٌ من مناقبه ... ما زدت إلا لَعَـلِّى زدت نقصانا

وأما كتبه ومصنفاته فهى البحار الزواخر ، ما وضع الواضعون مثلها . انتهى . وباقى الجواب سقط[٥] ، سهّل الله كمالَه .

---

(١) أورد المؤلف هذا الكلام فى ترجمة محي الدين بن عربي ، من كتابه نفح الطيب ، مع بعض اختلاف ، نقلا عن كتاب : (الاغتباط ، بمعالجة ابن الخياط) للفيروزابادىّ .

(٢) « من » ساقطة من عبارة نفح الطيب .

(٣) كذا فى ط ، م ونفح الطيب . وفى ص : « مقتديا » .

(٤) فى م ، ص : « يظن » .

(٥) عثر المؤلف على بقية الجواب ، وذكره فى ترجمة ابن عربى ، بالجزء الأول من كتاب نفح الطيب .

التعريف بمحيي الدين بن عربى

قلت : ولما جرى ذكر الشيخ بن عربيّ الحاتميّ ، فلا بأس[1] من أن نُلمّ ببعض حاله ، فنقول :

قال ابن خاتمة : [٥٤٦]

محمد بن على بن محمد الطائى بن عربيّ الصوفىّ ، من أهل إشبيليَة ، وأصله من سَبْتة ، يُكْنَى أبا بكر ، ويعرف بابن عربىّ ، وبالحاتميّ أيضا .

أخذ عن مشيخة بلده ، ومال إلى الأدب ، وكتب لبعض الوُلاة بالأندلس ، ثم رحل إلى المشرق حاجّا ، فأدّى الفريضة ، ولم يَعُد بعدها إلى الأندلس ، وسمع الحديث من أبى القاسم الخَرَسْتانى وغيره ، وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبى الحسن ابن أبى نصر ، فى شوال سنة ستٍّ وست مئة ، وكان يحدّث بالإجازة العامة عن أبى طاهرٍ السِّلَفِيّ ، ويقول بها ، وبَرَع فى علم التصوف ، وله فى ذلك تواليف كثيرة ، منها : « مِلاك التأويل ، فى حقائق التنزيل » ، و « الجُذوة المقتَبسة ، والحُظوة المختلسة » ، و « كتاب المعارف الإلٰهية » ، و « كتاب الإسرا ، إلى المقام الأسْرى » ، و « كتاب مواقع النجوم ، ومطالع أهلّة أسرار العلوم » ، و « كتاب عَنقاء مُغْرِب ، فى صفة ختم الأولياء وشمس المغرب » ، وكتاب فى فضائل شيخه عبد العزيز [بن] أبى بكر القرشى المَهْدَوىّ ، والرسالة الملقّبة « بمشاهد الأسرار القدسية ، ومطالع الأنوار الإلٰهية » ، [فى] كتب أُخَرَ عديدة .

وقدم على المَرِيّة من مُرْسِيَة مُسْتَهَلّ شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمس مئة ، وبها ألّف كتابه الموسوم ، بمواقع النجوم .

رأى ابن خاتمة فى ابن عربى

قال الأستاذ أبو جعفر : ولا نُسلّم له جميع مَقالاته وموضوعاته ، وإن كان لعلوه فى الإعراب ، قد تكلم من وراء حجاب ، ، وتحصّن من الرَّمْز ، بسند

(١) فى ط : « فلا بد » .

مَنيع الحِرْز ، فنى الإشارة الراجحة الدليل ، ما يقوم مقام العبارة الواضحة السبيل .

وقد حكى لى بعض ثِقات أصحابنا ، عمن لقى من كبار شيوخ أهل العلم ، أنه
[٥٤٧] كان يطعُنُ عليه ، و يرميه بوَهْنٍ فى دينه ، و ينسُبه إليه ، والله أعلم بحقيقة ذلك ، إذ كل كلام يغلب[1] المجازُ والاستعارة عليه من غير قرينة ، فهو متشعِّب المسالك . وعلى الجملة ، فهو الذى جَرَّأ على نفسه ، لمآخذه المظلِمة المدارك ، المشوِّشة على السالك .

قال ابن الأبّار : وقد لَقِيه جماعة من العلماء والمتعبدين ، وأخذوا عنه ، وتُوُفِّىَ بعد الأربعين وست مئة .

ذكره ابن الأبار ، وقال : أفادنى بعضُ أصحابنا أنه أجاز إجازة عامة لمن أحب الرواية عنه . انتهى كلام ابن خاتمة .

التسليم للمتصوفة خير من الطعن عليهم

والذى عند كثير من الأخيار من أهل هذه الطريقة ، التسليم لهم ، ففيه السلامة ، وهو أحوط من إرسال العِنان ، وقولٍ يعود على صاحبه بالملامة .

[وما وقع لأبى حَيَّانَ وابن حَجَرٍ فى تفسيره ، من إطلاق اللسان فى هذا الصِّدِّيق وأنظاره ، فذلك من فَلَس[2] الشيطان . والذى أعتقده ولا يصح غيره ، أن الإمام ابن عربىّ ، ولىّ صالح ، وعالم ناصح ، وإنما فَوَّقَ إليه سِهام الملامَهْ ، من لم يفهم كلامَهْ .

على أنه دُسَّت فى كتبه مقالات يجل قدره عنها ، وقد تعرَّض من المتأخرين ولىُّ الله الربّانىّ ، سيدى عبد الوهاب الشَّعرانىّ[3] ، نفعنا الله تعالى ببركته ،

(١) كذا فى س . وفى ط ، م : « يقبل » .

(٢) الفلس والإفلاس : أن تطلب الشىء فتخطىء موضعه .

(٣) هو الشيخ الصالح عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراوى ، نسبة إلى ساقية أبى شعرة ، قرية من ضواحى مصر ، توفى سنة ٩٧٣ هـ . (عن تاج العروس) . وفى الأصول : « الشعرانى » وهى نسبته المشهورة على ألسنة العامة . اقرأ له فى الدفاع عن ابن عربى كتاب : « الكبريت الأحمر ، فى بيان علوم الشيخ الأكبر » وانظر ما نقله المؤلف من كلامه فى نفح الطيب ، فى ترجمة ابن عربى .

لتفسير كلام الشيخ على وجه يليق ، وذكر من البراهين على ولايته ما شرح صدور أهل التحقيق ، فليطالع ذلك من أرادَه ، والله ولى التوفيق] .

[التجديد والمجددون]

نظم للسيوطى فى المجددين

قلت : وإذ قد تقدم أمر التجديد أواخر القرن الثامن ، فيما جلبناه فى التعريف المنقول آنفا[1] ، ناسب أن نذكر نظم [إمام] الدنيا جلال الدين السُّيوطى ، المسمَّى « بتحفة المهتدين[2] بأسماء المجدِّدين » ، ونصُّه :

الحمد لله العظيم المِنَّهْ ... المانِح الفضل لأهل السُّنَّهْ
ثم الصلاةَ والسلامَ نلتمسْ ... على نَبِيٍّ دينُه لا ينْدَرِسْ
لقد أتى فى خَبَرٍ مُشْتَهَرِ ... رواه كل حافظ معتبَرِ
بأنه فى رأس كل مِئَةِ ... يَبْعَثُ ربنا لهذى الأُمَّةِ
مِنَّا عليها عالمًا يُجَدِّدُ ... دينَ الهُدى لأنه مُجتهِدُ

آراء فى المراد بالمجدد

قلت : اختلف الناس فى المراد بالمجدِّد ، فقيل مِنَ العلماء ، وقيل من الأولياء ، وقيل من الملوك ، ولكلٍّ حجة مذكورة فى محلها . وسمعت شيخنا الإمام بقيةَ الناس ، سيدى أحمد بابا السودانى التُّنْبُكْتِيّ ، أبقى الله جلاله ، وأدام عزته ، وحفظ خِلاله ، يقول إن ذلك يكون فى كل قطر بحسبه ، وليس من شرطه أن يعمّ الدنيا أو غالبها ، والله أعلم . [٥٤٨]

ولأجل ذلك قال أبقاه الله فى رَجَزه فى هذا المعنى ، حيث ذكر المجدِّدين .

قال فى العاشر ما نصه :

---

(١) يشير المؤلف إلى ما نقله من التعريف بصاحب القاموس ، عن كتاب « الشقائق النعمانية ، فى علماء الدولة العثمانية » .

(٢) كذا ورد اسم هذا الكتاب ضمن مجموعة خطية (محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٥ مجاميع) . وفى الأصول : « بتحفة المجتهدين ... الخ » .

وعاشرُ القُرون فيه قد أتَى محمدٌ إمامُنا وهو الفَتى

يعنى به الشيخَ العلّامة سيدى محمدًا بَغْيُعَ[١] ، رحمه الله . ولا خفاء أن هذا منه أبقاه الله بناءً على اعتبار كل قطر على حِدَة ، إذ هذا الشيخ الذى جزم بتجديده ، إنما هو فى صُقْع تُنْبُكْت[٢] وجاغو . وأما فى بلاد المغرب وغيرها فلا ؛ وهو مخالف لما عند السُّيوطى فى هذا النظم ، كما تراه قريبا . والله تعالى أعلم بالصواب .

عود إلى نظم السيوطى فى المجددين

وانْرجعْ إلى كلام الإمام الجلال السُّيوطىّ ، رحمه الله تعالى ، قال :

كان عند المئة الأولى عُمَرْ خليفةُ العدْل بإجماع وَقَرْ
والشافعىُّ كان عند الثانيهْ لما له من العلوم الساريهْ
وابنُ شُرَيح ثالث الأئمهْ والأشعرىُّ عَدَّه مَن أمَّهْ
والباقِلاَنِى رابعٌ أو سَهْلٌ أوْ الإسْفَرايِنِى خلافا [قد] حَكَوْا
والخامس الحَبْر هو الغَزَّالِى وعَدُّه ما فيه من جِدالِ
والسادس الفخرُ الإمامُ الرازِى والرافعىُّ مثلَه يُوازِى
والسابع الراقِى إلى المراقِى ابنُ دقيق العيد باتِّفاقِ
والثامنُ الحَبْر هو البُلْقِينِى[٣] أو حافظ الأنام زَينُ الدِّينِ[٤]

(١) كذا ضبطه الشيخ أحمد بابا فى : « الابتهاج ، بتذييل الديباج » .
(٢) تنبكت (بضم ، فسكون ، ثم موحدة مضمومة ، وكاف ساكنة) : مدينة فى أقصى المغرب . (انظر تاج العروس) .
(٣) البلقينى : نسبة إلى بلقينة (بضم الياء وكسر القاف أو فتحها) بلدة بمصر بالغربية .
(٤) هو الحافظ الكبير عبد الرحيم بن الحسين الزين العراقى ، الكردى الأصل ، شيخ المحدثين فى المئة الثامنة . ولد بمصر سنة ٧٢٥ ، وتخرج به كثير من أعلام المحدثين بمصر والشرق ، كالإمام بن حجر العسقلانى ، وابن حجر الهيثمى . وقد جمع أطراف الثقافة العربية والإسلامية ، وصار أوحد وقته فى علوم الحديث ؛ وله فيها الألفية التى ذاعت شهرتها ، وتخريج أحاديث الاحياء ، وغير ذلك كثير . توفى سنة ٨٠٦ هـ كما فى البدر الطالع للشوكانى ، أو سنة ٨١٩ كما فى هامش طبقات الحنفية لمحمد عبد الحى الملكنوى الهندى .

وعَدَّ سِبْطَ المَيْلَقِ الصُّوفِيَّهْ لو وُجِدَتْ مِئتـه وَفِيَّهْ
والشرط فى ذلك أن تَمْضِى المِئهْ وهْو على حياته بين الفِئَهْ
يُشارُ بالعـــــلم إلى مَقامِهِ وينصرُ السـنة فى كلامِهِ
وأن يكون جامعا لكل فَنّْ وأن يَعُمّْ علمُهُ أهلَ الزّمنْ
وأن يكونَ فى حديث قد رُوِى من أهل بيت المصطفى وهو قَوِى
وكونه فردا هو المشهورُ قد نَطَق الحـديثُ والجُمْهورُ
وهـذه تاسعةُ المِئينَ قد أتَتْ ولا يُخْلَفُ ما الهادِى وَعَدْ
وقد رجوتُ أنّىَ المُجَـدِّدُ فيها ففضلُ الله ليس يجْحَدُ [٥٤٩]
وآخِرُ المئينَ فيها ياتِى عيسَى نبىُّ اللهِ ذو الآياتِ
يُجددُ الدين لهـذى الأمّهْ وفى الصّـلاة بعضُنا قد أمّهْ
مُقرِّرا لشرعنـا ويَحكُمُ بحكمنا إذ فى السماء يَعْـلَمُ
وبعده لم يبق من مُجَدِّدِ ويُرْفَعِ القرآن مثلَ ما بُدِى
وتَكثُرُ الأشرارُ والإضاعهْ من رَفْعِه إلى قيامِ الساعهْ
وأحمـدُ الله على ما علّما وما جلا من الخفاء والعَمَى
مُصَلِّيًا على نبىّ الرحمـهْ والآلِ مَعَ أصحابه المُكَرَّمهْ

* * *

انتهى .

وليكن هذا آخرَ هذه الترجمة . والله ولىُّ التوفيق ، لا رب غيره ، ولا معبود سواه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

٣

روضة البهار

فى ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم أظهر من شمس النهار

مقدمة

أقولُ معتمدًا على ذى الطَّوْل ، الذى بيده القوة والحَوْل :

أردنا أن نذكر فى هذه الترجمة مشاهيرَ شيوخ القاضى [الإمام] أبى الفضل عِياض ، رحمهُ الله ؛ وقد قدّمنا فى الترجمة قبلَ هـذه أسماء بعضهم على سبيل الإجمال ، حيث جَرَّ الكلام إليها ، وهذا هو محلُّها ، وقد تكفّل رحمه الله بذكرهم ، فى كتابه الذى سمّاه بالغُنْية ، وقد ذكر فيها نحو المئة .

وقال ابنه رحمه الله : انتهى عددُ أشياخه الذين ذكرهم فى فَهْرَسَته ، ممن سمعه أو أجازه ، واليسيرُ منهم لقيَه وجالسَه ، ولم يسمعْ منه ، إلى مئة شيخ . انتهى .

وقد ذكرَ كثيرا من أحوالهم فى « الغُنْية » ، ولم تحضُرْنى نسخةٌ منها الآنَ بفاس ، لأنى تركت التى عندى بتِلِمْسان ، ولم أجدْ منها بفاس نسخة ؛ وكلُّ ما أذكره هنا من التعريف ببعض أشياخه ، فهو منقول من غيرها ، وقد يتفق لفظه مع ما فيها .

[شيوخ عياض]

فمن جملة أشياخه رحمه الله تعالى :

[٥٥٠] القاضى أبو الوليد محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ أحمدَ بنِ أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رُشْد الفقيه . ذكره ابن بَشْكُوال ، فقال : قاضى الجماعةِ بقُرطبة ،

أبو الوليد بن رشد (الجد)

وصاحب الصَّلاة بالمسجد الجامع بها ، يُكْنَى أبا الوليد .

شيوخه وعلمه

رَوَى عن أبى جعفر بن زَرْق الفقيه ، وتفقَّه معه ، وعن أبى مَرْوَانَ بن سِراج ، وأبى عبد الله محمد بن خِيَرة ، وأبى عبد الله محمد بن فَرَج ، وأبى عَلِىٍّ الغَسَّانىّ ، وأجاز له أبو العباس العُذْرِىّ ما رواه ؛ وكان فقيهًا عالما ، حافظًا للفقه ، مقدَّما فيه على جميع أهل عصره ، عارفا بالفَتْوَى على مذهب مالك وأصحابه ، بصيرًا بأقوالهم ، واتِّفاقهم واختلافهم ، نافذًا فى علم الفرائض والأصول ، من أهل الرياسة فى العلم ، والبراعة والفَهْم ، مع الدِّين والفضل ، والوقار والحلم ، والسَّمْت الحسن ، والهَدْىِ الصالح .

ورعه ومؤلفاته ومولده ووفاته

سمعت الفقيه أبا مروانَ عبدَ الملك بن مَسَرَّة يقول : شاهدت شيخنا القاضى أبا الوليد يصوم يوم الجمعة دائما ، فى الحضَر والسفَر . ومن تواليفه كتابُ « المقدِّمات لأوائل كُتُب المدَوَّنة » ، و « كتابُ البيان والتحصيل ، لما فى المُسْتخْرَجة من التوجيه والتعليل » ، و « اختصار المبسوطة » ، و « اختصار مُشْكل الآثار » للطحاوىّ ، إلى غير ذلك من تواليفه . سمعنا عليه بعضها ، وأجاز لنا سائرَها ، وتقلد القضاءَ بقرطبة ، وسار فيه بأحسن سِيرة ، وأقوم طريقة ، ثم استعْفَى عنه فأُعْفِى ، ونشر كتُبه وتواليفه ، ومسائله وتصانيفه ، وكان الناس يَلجئون إليه ، ويُعوِّلون فى مُهِمَّاتهم عليه ؛ وكان حسن الخُلُق ، سَهْل اللقاء ، كثير النَّفع لخاصَّته وأصحابه ، جميلَ العِشرة لهم ، حافظا لعهودهم[1] ، كثير البِرِّ بهم ، وتُوُفِّىَ عَفا اللهُ عنه ليلة الأحد ، ودُفِنَ عَشِىَّ يوم الأحد ، الحادىَ عشرَ من ذى القَعْدة ، سنة عشرين وخمس مئة ، ودُفن بمَقْبَرَة العباس ، وصلَّى عليه ابنُه أبو القاسم ، وشهِدَه جمعٌ عظيم من الناس ، وكان الثناء عليه حسنًا جميلا . [٥٥١

(١) فى الصلة لابن بشكوال : « لعهدهم » .

ومَوْلده فى شوّال سنة خمسين وأربع مئة .

توجهه إلى المغرب وعودته

وقد كان أيامَ حياته توجه إلى المغرب ، إثْر الكائنة التى كانت بين المسلمين والنصارى ، بالموضع المعروف بالربنيول[1] ، وذلك فى منتصف شهر صفر عام عشرين وخمس مئة ، فاستخار القاضى أبو الوليد فى النهوض إلى المغرب ، مُبيِّنًا لأمير المسلمين علىّ بن يوسف بن تاشَفينَ ، ما الجزيرةُ عليه ، فوصل إليه ، فلقيه أكرم لقاء ، وبقى عنده أبرَّ بقاء ، حتى استَوْعب فى مجالس عديدة ، إيراد ما أزعجه إليه ، وتَبيَّنَ ما أوفده عليه ، فاعتقد ما قرّره لديْه ؛ وانفصَل عنه ، وعاد إلى قرطبة ، فوصلها آخر جُمادَى الأولَى من السنة المذكورة ، وعلى أثَر ذلك أصابته العلة التى أضجعته ، إلى أن أفضت به إلى قضاء نَحْبه ، ولقاء المرتقَب من محتوم لِقاء ربِّه ، وتَبارَى الأدباء والشعراء فى تأبينه ؛ وحُقَّ لهم ذلك ، رضى الله عنه وأرضاه .

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عِياض :

أبو عبد الله التجيبى القرطبى

الشيخ أبو عبد الله محمدُ بن أحمدَ بن خَلَفِ بن إبراهيم التُّجِيبِىّ القرطبىّ ، الشهير بابن الحاجّ ، قاضى الجماعة بقرطبة . رَوَى عن أبى جعفر أحمدَ بن زَرْق الفقيه ، وتفقّه عنده ، وقيَّد الغريب واللغة والأدب عن أبى مَرْوان عبد الملك ابن سراج ، وسمع عن أبى عبد الله محمد بن فَرَجٍ الفقيه ، وعن أبى علىٍّ الغسّانىّ وغيرهم . وكان مِن جِلّة الفقهاء ، وكبار العلماء ، معدودًا فى المحدِّثين والأُدَباء ، بصيرًا بالفُتْيا ، رَأْسا فى الشُّورَى ، وكانت الفُتْيَا فى وقته تدور عليه ، لمعرفته وثقته وديانته ، وكان مُعْتنيا بالحديث والآثار ، جامعًا لها ، مقيِّدًا لما أشكل من معانيها ، ضابطا لأسماء رجالها ورُواتها ، ذاكرًا للغريب والأنساب ، واللغة

(١) كذا فى الأصول ، ونظنه محرفا ، ولم نجد ما يصوبه .

والإعراب ، وعالما بمعانى الأشعار ، والسِّيَر والأخبار . قال ابن بَشْكُوال : قيد العلم عُمْرَه كلَّه ، وعُنِي به عناية كاملة ، ما أعلم أحدًا فى وقته عُنِي كعنايته ، قرأت [٥٥٢] عليه وسمعت ، وأجازنى بخطه ؛ وكان له مجلس بالجامع بقرطبة ، يُسْمِعُ الناسَ فيه ، وتقلّد القضاء بقرطبة مرتين ، وكان فى ذاته ليِّنًا صابرًا ، طاهرًا حليما متواضعا ، لم يُحْفَظ له جَوْر فى قضيّة ، ولا ميل بهوى ، ولا إصغاء إلى عناية[1] ، وكان كثير الخضوع والذكر لله تعالى ، ولم يزل آخرَ عمره يتولّى القضاء بقرطبة ، إلى أن قُتِل ظلما بالمسجد الجامع بقرطبة ، يومَ الجمعة وهو ساجد ، لأربع بَقِين من صفر ، من سنة تسع وعشرين وخمس مئة ، ومولدُه فى صفر سنة ثمان وخمسين وأربع مئة . وكتابه فى نوازل الأحكام ، المتداولُ لهذا العهد بأيدى الناس : من الدلائل على تقدمه فى المعارف وبراعته . تغمدنا الله وإياه برحمته

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله :

أبو بكر بن العربى المعافرى

القاضى الشهير الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أحمد بن العَرَبىّ المَعافرىّ الإشبيلىّ ، رحل إلى المشرق مع أبيه يوم الأحد ، مستهلّ شهر ربيع الأوّل ، سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، فدخل الشام ، ولقِىَ بها أبا بكر محمدَ بنَ الوليد الطُّرْطُوشِىّ ، وتفقه عنده ، ورحل إلى الحجاز فى موسم سنةِ تسْع وثمانين ، ودخل بغدادَ مرّتين ، وصحب أبا بكر الشاشىّ ، وأبا حامدٍ الطوسىَّ الغزّالىّ ، وغيرَهما من العلماء والأدباء ، فأخذ عنهم ، ثم صدَر عن بغداد ، ولقِى بمصر والإسكندرية جماعة ، ثم عاد إلى الأندلُس سنة ثلاث وتسعين ، وقدم إلى إشبيليَة بعلم كثير ، لم يَدْخُل به أحد قبله[2] ، ممّنْ كان له رحلة إلى المشرق ،

(١) فى ط : « غاية » . (٢) كذا فى ابن خلكان نقلا عن الصلة لابن بشكوال . والذى فى الأصول « لم يدخله أحد قبله » .

ولذا نُقِل عنه أنه قال : كُلُّ من رحل لم يأت بمثل ما أتيتُ به أنا والقاضى أبو الوليد الباجِيّ ، أو كلاما هذا معناه . أو قال : لم يرحَلْ غيرى وغير الباجى ، وأما غيرنا فقد تعب ، أو نحو هذا ، مما لم تحضرنى عبارته الآن .

[٥٠٣] وكان من أهل التفنُّن فى العلوم ، متقدما فى المعارف كلِّها ، متكلما فى أنواعها ، حريصا على نَشْرِها . واستُقْضِيَ بمدينة إشْبيليَة ، فقام بما قُلِّد أحمدَ قيام ، وكان من أهل الصرامة فى الحق ، والشدة والقوة على الظالمين ، والرِّفقِ بالمساكين ، ثم صُرِف عن القضاء ، وأقبل على نشر العلم وبثِّه .

قال المحدِّث أبو القاسم خَلَف بن عبد الملك بن بَشْكُوال : قرأت عليه بإشبيليَة ، وسألته عن مولده ، فقال لى : ولِدْت ليلة الخميس لثمان بَقِين من شعبان سنة ثمان وستين وأربع مئة ؛ وتُوفِّيَ رحمه الله بالعُدوة ، ودفن بمدينة فاس فى ربيع الآخِر ، سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة . انتهى .

من كلام ابن بشكوال عنه

وقال ابن بَشْكُوال أيضا فى حقه :

هو الحافظ المستبحر ، خِتام علماء الأندلس ، وآخر أئمتها وحُفّاظها . انتهى .

ومن تكملة المحدِّث أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبّار ، عن أبى عبد الله بن مجاهد الإشبيلىّ الزاهد العابد : أنه لازم القاضىَ أبا بكر بن العربىّ نحوا من ثلاثة أشهر ، ثم تخلف عنه ، فقيل له فى ذلك ، فقال كان يُدَرِّس وبغلتُه عند الباب ، ينتظر الركوب إلى السُّلْطان . انتهى .

شىء عنه من صلة ابن الزبير

وذكره الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير فى صِلته ، وقال فيه :

رحل مع أبيه أبى محمد عند انقراض الدولة العَبّادية إلى الحج ، سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، وسِنُّه إذ ذاك نحو سبْعَةَ عَشَرَ عاما ، فلَقِيَ شيوخ مِصْر ؛ وعدَّدَ أناسا ، ثم قال : وقيَّد الحديث ، وضبط ما رَوَى ، واتسع فى الرواية

وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام ، على أئمة هذا الشأن ، وعاد إلى بغدادَ بعد دخولها ، وانصرف إلى الأندلس ، فأقام بالإسكندرية ، فمات أبوه بها أوّل سنة ثلاث وتسعين . ثم أنصرف إلى الأندلُس ، فسَكن بلدَهُ إشبيليَة ، وشُوورَ [٥٠٤] فيه ، وسمّع ودَرّس الفقه والأصول ، وجلس للوعظ والتفسير ، وصنف فى غير فَنٍّ تصانيف مليحة ، حسنة مقيدة ، وولى القضاء مدة ، أولها فى رجب من سنة ثمان وعشرين ، فنفع الله به ، لصرامته ونفوذ أحكامه ، والتزم الأمرَ بالمعروف ، والنهىَ عن المُنكر ، حتى أُوذِى فى ذلك ، بذهاب كتبه وماله ، فأحسن الصبرَ على ذلك كله ، ثم صُرِف عن القضاء ، وأقبلَ على نشر العلم و بثه ، وكان فصيحا حافظا ، أديبا شاعرا ، كثير المُلَح ، مليح المجلس .

ثم قال : قال القاضى أبو الفضل عياض بن موسى — وقد وصفه بما ذكرتُه — ثم قال : ولكثرة حديثه وأخباره ، وغريب حكاياته وروايته ، أكثر الناس فيه الكلام ، وطعنوا فى حديثه ، وتُوُفِّى مُنْصَرفَه من مَرَّاكُش ، من الوِجهة التى توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة ، بعد دخول مدينة إشبيلية ، فحُبِسوا بمراكُش نحو عام ، ثم سُرِّحوا ، فأدركَتْه منيته بطريقه ، على مَقْرَبة من فاسَ بمرحلة ، وحُمل مَيِّتا إلى مدينة فاس ، فدُفن بها ، بباب الجيسة .

قال : ورَوَى عنه الجمُّ الغفير . فمن جُملة من رَوَى عنه من علماء المئة الخامسة ، القاضى أبو الفضل عياض بن موسى ، وأبو جعفر بن الباذِش ، وطائفة . انتهى .

وفاته وقبره قال القاضى أبو الحسن بن الحسن النَّباهى فى كتاب « المرقبة العُليا ، فى القضاء[1] والفُتْيا » بعد أن ذكر ما قدّمناه ، ما نصه : والصحيح فى القاضى أبى بكر

(١) تقدم فى بعض مواضع من هذا الكتاب مكان كلمة : « القضا » . « مسائل القضاء » ، « الأقضية » .

أنه إنما دُفن فى خارج باب المحروق من فاس ، وما وقع من دَفْنه بباب الجيسة ، وَهْمٌ مِن ابن الزُّبير وغَلَط، وقد زُرناه وشاهدنا قبره بحيث ذكرناه .

أرضاه الله ، وغفر لنا وله . انتهى .

قلت : وقد سبَق ابنَ الزُّبير إلى ذلك القاضى أبو الفضل عياضٌ فى الغُنية ، [٥٥٥] فإنه قال : دُفن خارج باب الجيسة . واعتذر عنه بعضُ الأكابر ،(١) بأن باب المحروق لم يكن إذ ذاك فُتح(١) ، لأنه من بناء أمير المؤمنين الناصر بن أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن أمير المؤمنين يوسف بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ، ولا شك أن ذلك متأخر عن زمان عياض قطعا ؛ ويبقى الإشكال فى كلام ابن الزُّبَيْر ، لتأخر زمانه عن ذلك .

[استطراد وتحقيق]

[بين الشيخين : ابن غازى والوانشريشى]

رسالة الإشارات الحسان لابن غازى

وبعد ما كتبت هذا هنا ، وقفتُ على تأليف لطيف، صغير الجِرْم ، كثير العلم ، للشيخ الإمام [العالم] أبى عبد الله محمد بن غازى رحمه الله [تعالى] ، ألمّ فى آخره بالمسألة المذكورة ، فرأيت أن أُورِدَه بطوله ، لما اشتمل عليه من الفوائد ، وإن كانت أجنبيَّةً عما نحن فيه ، ولكن لا يخلو من فوائد جمة ؛ وختمته بهذا الغرض الذى ذكرناه ، وخاطب به الشيخَ الحافظ الإمام سيدى أحمد بن يحيى الوانْشريشى المولد ، التلمْسانى المنشأ والقراءة ، الفاسىّ القَبْر والدار آخرَ عمره ، بل أوسط عمره ، وسماه : «بالإشارات الحسان ، المرفوعة إلى حَبْر فاس وتلمسان» . يعنى بحبر فاس وتلمسان : الشيخَ الوانشريشىّ المذكور ؛ وقد كتب بطُرَره الشيخُ الوانشريشىّ المذكور زوائد ، هأنا أذكرها فى محلها ، تتميما للغرض ، ونصّه :

(١ — ١) فى الأصول : « بأن باب المحروق لم تكن إذا ذاك فتحت » . والمغاربة يؤنثون الباب .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم .

الحمد لله حمدًا كثيرا طيّبا مُبارَكا فيه حَقَّ حَمْدِه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيِّهِ وعبدِه .

إلى السيد الفقيه ، العالم ، المحقق ، المدرّس ، المفتى ، الصَّدْر ، الحُجَّة ، الكبير ، الخطير ، الأحظى ، الملحوظ ، الأحفلِ الأكملِ ، أبى العباس سيدى أحمد بن سيدى يحيى الوانشريشى ، حفظ الله سبحانه وتعالى كماله ، وبلّغه فى الدارين آماله ، من مُحِبّه طَبْعا وشرعا ، أصْلا وفرعا ، وِترا وشَفْعا ، إفرادا وجَمْعا ، محمد بن أحمد بن غازى ، سَمح الله سبحانه [وتعالى] له ، مسلِّما عليكم أكمل [٥٥٦] السلام ، مخصصا لكم بمحض البرّ والإكرام .

سيدى ، متى صار النهرُ يَستمدُّ من السّاقيه ؟ وكيف عاد السَّيْح[1] يفتقر إلى السانيه ؟

* فى طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَل *

* ليس التكحّل فى العينين كالكَحَل *

سؤال الوانشريشى لابن غازى عن مسائل من العلم

كتبتَ ، كتب الله لك السعادة ، وبلّغك منها الحُسْنَى والزيادة ، تُشارك محبكم فى أمرِ سعيدِ بُرْدًا بإسكات عمرَ بن عبد العزيز ، أو إخراجه من المسجد ، هل كان ذلك فى خلافته ، أو فى إمرته بالمدينة[2] ؟ ومَن بُرْدٌ هذا ، ومن عَرَّفَ به ؟ ومَنْ قال بإسلام أبى طالب غير المسعودىّ ؟ ومن أبو العباس العشّاب ، الذى نَقَلَ عنه ابنُ عرفَة فى فصل الاستثناء من كتاب الطلاق ؟ ومَنْ الآبلىُّ المِصْرِىّ ؟ وهل ألَّفَ أحد فى التعريف برجال أهل السُّنَّة والمعتزلة ؟

(١) السيح : الماء الجارى الظاهر . (٢) فى م : « إمرته على المدينة » .

فتوزَّعَ فِكْرُ محبكم فى إيرادكم[١] شذَرَ مَذَر ، ولم يكن بُدٌّ من إسعاف رَدِّكم[٢] ، ولو بالتشدُّق والهَذَر .

قضية سعيد بن المسيب مع عمر بن عبد العزيز

١ — أما قضية سعيد بن المسيِّب بن حَزْن ، مع عمر بن عبد العزيز بن مروان ابن الحَكَم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، المذكورة فى سماع القَرينين من صلاة العُتبية ، فليس عندكم فى طرده ، إلا ما فسَّر به القاضى أبو الوليد بن رُشْد : أنه من جواره ، لا من المسجد جملة ؛ فإن وقفتُم على تفسير أحدٍ له بالإخراج من المسجد ، فلكم الفضل فى إفادتنا به . ثم لا مِرْيَة أن سعيدًا مَدَنِىٌّ ، وأن عمر كان عاملا على المدينة ، إلى أن عُزِل عنها سنة ثلاث وتسعين ، حسبما هو فى ترجمة مالك من المدارك ، عن مُصْعَب بن عبد الله .

وفى جامع المُوَطَّأ لمالك ، أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز حين خرج من المدينة ، التفت إليها فبكى ، ثم قال : يا مُزاحِم ، أتخشى أن نكونَ ممن نَفَتِ المدينة[٣] ؟

[٥٥] قال أبو عُمَر[٤] : ذكر أهل السِّيَر أن خروج عمرَ مع مُزَاحِمٍ مولاه من المدينة ، كان فى شهر رمضانَ سنة ثلاث وتسعين ، وذلك أن الحجَّاج كتب إلى الوليد : إن عمر بن عبد العزيز بالمدينة كَهفٌ لأهل النِّفاق ، وأهل البغضاء والعداوة لأمير المؤمنين . فجاوبه الوليد : إنى أعزِله . فعزله ، وولى عُثمان بن حَيَّانَ المُرِّىَّ ؛ وذلك فى شهر رمضانَ المذكور . فلما صار عمرُ بالسُّوَيْدَاء قال لمزاحم : يا مزاحم ، أتخافُ أن نكون ممن نفت المدينة ؟

وقال مَيْمون بن مِهْران : ما رأيت ثلاثة مجتمعين خيرا من عمرَ بن

---

(١) فى ص : « المراد » . (٢) فى ص : « ودكم » .

(٣) فى كلام عمر مع مولاه مزاحم إشارة إلى الحديث النبوى : « لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد » . رواه مسلم .

(٤) هو أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى الأندلسى الحافظ المشهور .

عبد العزيز ، وابنه عبد الملك ، ومولاه مزاحم . انتهى .

قلت : مات ابنه ومولاه المذكوران قبله مَطْعُونين ، ومات هو مسموما . ذكر ذلك أبو نُعيم الحافظ فى « حِلْية الأولياء » . وكان ميمون بن مِهْران كاتبه ، رضى الله سبحانه [وتعالى] عنهم .

وأفضت الخلافة إلى عُمر باستخلاف [سليمان] (١) النَّهِم إياه ، فاستقر بالشام ، دار خلافة قومه بنى أمية ، إلى أن قُبض ودُفِنَ بدير سِمْعان .

قال ابن الخطيب فى شرح رَقْم الحُلَل : مِنْ عمل حِمْص ، فى أخريات رجب ، سنة إحدى ومئة . وقبره مشهور ، يغشاه الناس . انتهى .

وقال الشاعر يَرْثيه رضى الله عنه :

أقولُ لما نَعَى الناعون لى عُمَرًا ... لا يَبْعَدَنَّ قِوَامُ الحقِّ والدِّينِ

قد غَيَّب الرامِسُون اليومَ إذ رَمَسوا ... بدِيْرِ سِمْعان قِسْطاسَ الموازينِ

وفى رواية : « جُرْبان الموازين » . أنشدهما أبو نُعيم فى الحلية . ورأيت فى نسخة منها « جُرْيان » بالياء آخر الحروف (٢) ، وأظنه تصحيفا ، لأنّ مصدرَ جرَى جَرَيان بفتح الراء ، والوزن يأباه ، مع ما فيه من القَلَق من جهة المعنى ؛ وصوابُه ، والله [٥٠٨] [تعالى] أعلم ، « جُرْبان » ، بضم الجيم ، و إسكان الرّاء ، و بالباء ثانية الحروف (٢) ، وأظن أن منه اللفظَ الذى فى صَرْف العُتْبيَّة ، فيمن له على رجل دينار ، فأعطاه به نصفين وازنين ؛ قال : لا خير فيه إلا أن يكون للدينار جُرْبان : معيارٌ عنده . قال القاضى أبو الوليد بن رُشْد : جُرْبان ، أى وزن معلوم . وفى صِحاح الجوهرىّ : الجَرِيب ، من الطعام والأرض : مِقدار معلوم ، والجمع أجْرِبة وجُرْبان . انتهى .

(١) هو سليمان بن عبد الملك ، كان مشهورا بالنهم وكثرة الأكل . وكان موته من أكلة أكلها . (انظر مروج الذهب والعقد الفريد) .

(٢) يريد حروف الهجاء ، لا حروف الكلمة .

و بين التفسيرين فَرْق ، ولـكنهما حول حقيقة واحدة يُدَنْدِنَان . و إن كان عند سيدنا فى تحقيق هذا اللفظ غيرُ هذا ، فعسى أن يفيدنا به .

فإذا تقرَّر سُـكناه بالمدينة أيام العِالة ، ثم بالشام أيام الخلافة ، فالأظهر أن طَرْد سعيد إياه كان أيام العِالة ، حيث كان ثاويا بالمدينة ، لقوله فى الرواية : كان عمر بن عبد العزيز يَخرج مِنَ الليل ؛ أُراه [فى] آخره ؛ وكان ظاهره فى المثابرة ، ومَظِنتها الإقامة ، لولا أن شيخ الحقيقة ، و إمام الطريقة ، القاضىَ أبا الوليد بن رُشْد قال : لم يَهَبْه لمكانه من الخلافة ، لجزالته وقوته فى الحق ، وقلّة مُبالاته بالأئمة . فاقتضى كلامُه أنّ ذلك كان وهو خليفة لا وهو عامل . فإن صح ذلك ، فيَحتمل أن يكون جاء يزور المدينة ، على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام ، فى أيام خلافته ، وأقام فيها للعبادة . ورُبما يَتعيَّنُ هذا ، بأنَّ النافلة فى البيوت أفضلُ لغير الغُرَباء ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

وقد ذكَرَ قولُ ابن رُشْد هذا مُحبِّكم ما فى صحيح البُخَارِىّ ، عن سعيد بن المسيِّب ، أنه قال : جاء جدّى حَزْنٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمُك ؟ قال : حَزْن . قال أنت سَهْل . فقال : ما كنت أُغَيِّر اسما سَمَّانى به أبواى . قال سعيد : فما زالت الحُزُونة فينا بعد . انتهى . [٥٥٩]

محنة سعيد بن المسيب لصلابته فى الدين

ولصلابته فى[1] الحق ، وشدّته على الدين ، امتحنه عبد الملك بن مَرْوان ، وضربه بالسياط ، وألبسه المُسوح ، وتُبَّانًا من شَعَر ، ونهى عن الجلوس إليه . وذلك أيّام استعماله هِشام بن إسماعيلَ على المدينة ، وهو صاحب المُدّ الشامىّ[2]

(١) فى ط : « على » .

(٢) كذا فى م ، وهو منسوب إلى هشام بن إسماعيل المخزومى على غير قاعدة النسب . والذى فى سائر الأصول : الهشامى . أجرى النسب على لفظه ، ولا يستقيم مع قوله بعد : « وتغييرات النسب ..... الخ .

لا الدينار الهاشمىّ ، خلافا لمن نسبه له ، و إلا قيل الشامى[١] أيضا ، وتغييرات النَّسَب مقصورة على السماع ، و بالله تعالى التوفيق .

قال عُبَيد الله أحمد بن محمّد المَقَّرِىّ لَطَف الله به : وجدت بخط الإمام سيدى أحمد الوانشريشى فى طُرَّة : قولُ الإمام ابن غازى : « ولصلابته فى الحق ... الخ » ما نصه :

قلت : ذكر أبو العَرَب[٢] فى كتاب المِحَن ، أنه لما أراد عبد الملك بن مَرْوان أن يكتب العهد لابنه الوليد ، قيل له لا يتمّ لك هذا الأمرُ إلا بابن المُسَيِّب ، فكتب له . فكتب إليه أن يبايع ، فرد إليه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نبايع لخليفتين ، فإن أردتها لابنك ، فاخلَع نفسك ، و إلا فلا . فكتب عبد الملك إلى عامل المدينة ، هشام بن إسماعيل المخزومىّ : إن لم يبايع فاضربه مئة سوط ، فضربه مئة ، وحَلَق رأسه ولحيته ، وكساه تُبَّانًا من شعَر ، ونادى عليه ، وطِيف به إلى الليل ، فأُغْلِقَت الدُّور ، وكثُر البكاء والتحسر ، وما سُمِع يومئذ بالمدينة إلا نائحةٌ أو هاتف ، لِما انتُهِكَ من حُرمته . وكان أيضا قبل ذلك ضربه جابر[٣] بن الأسود على البَيعة لابن الزُّبَير . انتهى .

ابن الحذّاء : وكان جابر بن الأسود والى المدينة لابن الزُّبير ، فدعاه إلى البيعة لابن الزبير ، فضربه ستين سَوْطا . ودعاه هشام بن إسماعيل أيضا إلى البَيعة للوليد وسليمان بالعهد ، فلم يفعل ، فضربه ستين سَوْطا ، وطاف به فى المدينة ، فى تُبَّان من شعَر . انتهى . [٥٦٠]

(١) فى ط ، ص : « الهشامى » والتصويب عن م فكل ما ينسب إلى هشام هذا ، يقال فيه : « الشامى » على غير القياس ، كما تقدم .

(٢) أبو العرب : هو محمد بن أحمد بن تميم التميمى القيروانى الفقيه المحدث المؤرخ . توفى سنة ثلاث وثلاث مئة . (٣) فى الأصول : « حسان » . ورواية ابن الحذاء المذكورة بعد هذا الخبر : « جابر » . وهى موافقة لما جاء فى المعارف لابن قتيبة .

قال بعض الشيوخ : إن كان استناد ابن المسيِّب فى إبايته من البيعة للوليد حديث : « إذا بُويع لِخَلِيفَتَيْن فاقتلوا الآخَر منهما »[1] ، فإنما الحديث فى البيعة للخليفتين ، يُفرِّق الثانى جماعَة الأول ، ويشُق العصا . وإن كان النهى فى غير هـذا الحديث ، فهو أعلم بمـا استند إليه . قال : وأما امتناعه من البَيعة لابن الزبير ، فإن البَيعة حينئذ كانت انعقدت لبنى أمية بالشام ، وكان مذهبُ ابن المسيِّب كمذهب الأكثر ، فى منع القيام على من انعقدت له البيعة ثم ظهر فِسقُه . وانظر هذا مع قول مالك : ابن الزُّبير أحقُّ بها من مرْوان وابنِه عبد الملك .

انتهى ما ألفيته على هذا المحل ، بخط [الشيخ العلامة] الوانشريشى .

ووجدت أيضا بخطه ما نصّه :

تنبيهـــــات

ميلاد سعيد بن المسيب ووفاته

الأول — وُلِد أبو محمد سعيد بن المُسَيِّب بن حَزْن بن أبى وَهْبٍ المخزومىُّ ، لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب . وتُوُفِّىَ بالمدينة ، قال يحيى بن سعيد : سنةَ إحدى أو اثنتين وتسعين ؛ وقال الواقدى : سنة أربع وتسعين ؛ وكان يقال لهذه السنة سنةُ الفقهاء ، لكثرة من مات منهم ؛ وقال المدائنى ويحيى بن مُعين : سنةَ خمس ومِئة .

بعض عمال عبد الملك

الثانى — قال غير واحد : عمّال عبد الملك بن مَروان : الحجّاجُ بالعراق ، وأخوه محمد باليمن ، والمهلّب بخُراسان ، وهشام بن إسماعيل بالمدينة ، وابنه عبد الله بمصر ، وموسى بن نُصَير بالمغرب ، ومحمد بن فُلان بالجزيرة .

[٥٦١] قال ابن خَلِّكان : وكل واحد من هؤلاء ظَلُوم غَشُوم .

بعض آل مخزوم من أصحاب مالك

الثالث — : هشام بن إسماعيل المذكور هنا ، هو ثالث آباء أبى هشام ،

(١) رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى .

محمد بن مَسْلَمَة الفقيه المدنىّ ، صاحب مالك . قال الشيرازىّ : وكان مالك إذا دخل على الرّشيد ، دخل بين رجلين من بنى مخزوم : المغيرةِ عن يمينه ، وابن مَسلمة عن يساره .

وهشام هذا هو الذى نُسِب إليه مُدّ هشام ، المذكور فى الوضوء والظِّهار ، (١) والذى يُذكر عنه ذِكْرُ عُهْدة الرقيق فى خُطبته (١) ، وانظر شدة إنكار ابن العَربىّ أعتبارَ مُدِّه فى آية الظِّهار ، من أحكامه تطالع . انتهى ما ألفيت بخط الوانشريشى .

للمقرى فى وفاة ابن المسيب

وقد سَنَحَ لى أنّ ما ذكره الشيخ ابن غازى عن ابن رُشْد ، من أنّ طَرْدَ سعيد بن المسيِّب عمر بن عبد العزيز ، إنما كان فى خلافته ، لا يتمّ [إلا] على القول بأن وفاته — أعنى سعيدا — كانت على رأس المئة أو بعدها ، وأما على قول الأكثر إنه بعد التسعين بسنة أو سنتين أو أربع ، فلا يصح قطعا ؛ فتدبره .

ومن العجائب [إغفال الشيخين : ابن غازى والوانشريشى له . وإلى الله منتهى العلم .

برد مولى بن المسيب

ولنرجع إلى] تكميل كلام الشيخ ابن غازى فى التأليف المذكور ، ونصُّه : وأما بُرْد فليس عند مُعَظِّم قَدْرِكم أكثرُ من أنه مولى سعيد ، كما أن زيد بن حارثة وسَفينة وأبا رافع وشُقْران : موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلال بن رَباح مولى أبى بكر ، ويَرْفَأ مولى عمر بن الخطاب ، وحُمران مولى عُثمانَ بن عَفّان ، ونافع مولى ابن عُمَر ، وكُرَيْب وعِكرمة البربرى مولييا ابن عبّاس ، ومُزَاحِم مولى عمر بن عبد العزيز ، رضى الله تعالى عنهم . وقد صرّح بذلك الحافظ أبو نُعيم ، قائلا فى ترجمة سعيد مِنَ الحِلْية ، عن بُرْدٍ مولى سعيد ابن المُسَيَّب : ما نودى للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد فى المسجد . انتهى . [٥٦٢]

(١ — ١) كذا وردت هذه العبارة فى الأصول ، وفى الديباج المذهب لابن فرحون ، فى ترجمة محمد بن مسلمة الفقيه .

ولم أجد عند أبى جعفر العُقَيلى ولا عند أبى يحيى الباجى ، ولا عند ابن أبى أحدَ عَشَر ، الذى جمع بينهما ، مَنِ اسمه «بُرْد» ، وذلك والله أعلم لأحد وجهين : إما أنه لم يَتكلم فيه أحد بجَرح[1] ، أو لكونه لا رواية له . ولا يُعترض هذا بوقوعه فى سَنَد الحِلية المتقدم ، إذ ليس بمرفوع . وقد ذكروا بعض من اسمه بُرَيد وبُرَيدة ، لوقوعهما فى أسانيد المرفوع ، وتكلم بعض الأئمة فيهما ببعض الجَرْح ؛ وبالله العصمة ، لا رب غيره .

وأبو عبد الله بن أبى أَحَدَ عَشرَ المذكور : هو من أهل المَرِيّة ، وقد عدّه صاحب بُغْية الراغب فى أشياخه ، وعرّف به تعريفا كافيا .

القول فى إيمان أبى طالب

٢ — وأما أبو طالب فليس عند معظِّم مَنْصِبكم فى شأنه غيرُ ما تضمنته الصِّحاح من قوله آخر كلامه عند الموت : « على ملة عبد المطلب » ؛ وحديث الضحضاح الذى يَغْلى منه دماغه ؛ وقوله : « لولا أن تعيِّرنى النساء على المغازل ، لأقررت بها عينك » ؛ وما نزل فيه من قوله تعالى : « ما كانَ للنبىِّ والذينَ آمنوا أنْ يَستغفِروا للمُشركينَ ولَو كانُوا أُولِى قُرْبَى مِن بعْـد ما تبيَّنَ لهُمْ أنهُمْ أصحابُ الجحيم » ؛ وقولِه سبحانه : « إنكَ لا تَهْدِى من أحْبَبْتَ ولـكنَّ اللهَ يَهدِى مَنْ يَشَاء » ، وقوله جلّ وعلا فى أحد التأويلين : « وهُمْ يَنْهَوْن عنهُ وينأَوْن عَنْهُ » . وأنشد فى تفسيرها الثعلبى والزَّمَخْشَرِىّ له يخاطب رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم :

واللهِ لن يَصِلُوا إليك بجمعهمْ حتى أُوَسَّد فى التُّراب دَفينا
فاصدعْ بأمرك ما عليك غَضاضةٌ وابْشر بذاكَ وقرَّ منـهُ عُيونا
ودعوتَنى وزعمتَ أنك ناصح ولقـد صدقتَ وكنتَ ثَمَّ أَمِينا

(١) فى المعارف لابن قتيبة فى ترجمة سعيد بن المسيب ما نصه : «وبرد مولاه . وقال له : يا برد ، إياك أن تكذب على كما يكذب عكرمة على ابن عباس . وقال : كل حديث حدثكموه برد ، ليس معه غيره مما تنكرون ، فهو كذب » .

وعرَضتَ دِينا لا محالة أنه من خير أديان البريّة دينا [٥٦٣]
لولا الملامةُ أو حِذارى سُبَّةً لوجدتنى سَمْحا بذاك مُبينا

وقد فسر الطّيبىّ فى فُتوح الغيب غريبَها .

وبحَسَب ما تقرر من حاله أورد علماؤنا ، القاضى أبو الفضل عِياض وغيره ، السؤالَ على قوله عليه السلام : « لعلّه تنفعه شفاعتى » ، مع قوله تعالى : « فما تنفعُهُمْ شفاعةُ الشّافِعين » ؛ وأنفصلوا عنه بما فى كريم علم سيدنا .

وأما عبد المطلب الذى قلّده ، فمن أهل الفَتْرة ؛ وللقاضى أبى بكر بن العَربىّ فى كتاب الناسخ والمنسوخ ، كلام مليح على أهل الفترة ، عند قوله تعالى : « إن الذين آمنُوا والذينَ هادُوا والنّصارَى والصّابئين من آمنَ بالله واليوم الآخرِ وعَمِل صالحا فلهمْ أجرُهمْ عند ربهمْ ، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزنون » .

القول فى إيمان أبوى النبى

وقد حدَّثَ محبّكم غيرُ واحد ، عن الشيخ سيدى أبى محمد عبد الله العبدوسىّ ، أنه كان يلهَجُ بحديث ، وقف عليه فى بعض الكتب [غيْرُ وَاحد ، عن الشيخ سيدى أبى محمد] ، أن الله عز وجل بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلّم أبويه ، حتى آمنا به صلى الله عليه وسلم ، إكراما لنبيه عليه السلام ، وكان العبدوسىّ يستحسنه ويُسرُّ به كثيرا .

وقد أنشدنى بعض أصحابنا للنميرى السلَوى :

وإن ابن طَلاّع روى أن أحمدًا رأى أبويه بعد ذَوْق المنيةِ
فأحياهما ربُّ العباد فآمنا به ثم عادا مُكْرَمَيْن لِتُرْبةِ

وقَدْرُه عليه السلام أوسعُ من هذا كله ، [صلى الله عليه وسلم ، وشرّف وكرم وعظم] :

لو ناسَبتْ قدرَهُ آياتُه عِظَما أحيا اسمُه حين يُدعَى دارسَ الرِّمَمِ

قول المسعودى فى إيمان أبى طالب

وأما قول المَسْعودىّ فى أبى طالب ، فما استفاده محبكم إلا من كتبكم ، أبقى الله لنا بركاتكم .

[٥٦٤] قال جامع هذا الموضوع ، عُبيدُ الله أحمدُ بن محمَّدٍ المقَّرىّ ، وفَّقه الله :

وجدت على هذا المحلّ من كلام الشيخ ابن غازى فى الطُّرَّة ، بخط الإمام سيدى أحمدَ الوانشريشى رحمه الله ، ما نصّه :

قال القاضى أبو عبد الله محمد بن خَلْفة الوَشْتَاتِى ، المعروف بالأُبِّىّ[1] ، فى إكمال الإكمال له ، ما نصُّهُ :

السُّهَيْلِىّ : ورأيت فى بعض كتب المسعودىّ : وقيل إنه مات مؤمنا[2] . ولا يصحُّ ، لما تقدم من الآى والأحاديث .

ولا يُحتَجُّ لذلك بما فى السِّيَر من قول العباس : « والله لقد قال أخى [الكلمة] التى أمرتُه بها يا رسول الله » ، لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : لم أسمعها . ولو أن العباسَ شهد بذلك بعد إسلامه قُبلت شهادته ، لأن العدْل إذا قال : سَمِعْت ، وقال الأعدل : لم أسمع ، أخذ بقول من أثبت ، لأن عدم السماع قد يكون لسبب . فإن قلت : قد ذكرتَ أن السِّير تدلّ على أنه كان مصدِّقا بقلبه ، وقدَّمتَ الخلاف فى صحة إيمان من صدَّق بقلبه ولم ينطق بلسانه ، فهل يدخل فى إيمانه ذلك الخلاف ؟ قلت : لا يدخل ، لأنه صَرَّح بالنَّقيض فى قوله هو : « على ملة عبد المطلب » .

انتهى ما ألفيت بخط الوانشريشى .

ولْنرجع إلى تتميم كلام ابن غازى .

أبو العباس العشاب

٣ — قال رحمه الله : وأما أبو العبّاس العَشّاب ، الذى عُرِف بابن طَلحة ،

(١) نسبة إلى أبة (بضم أوله ، وتشديد الباء) : مدينة بإفريقية .

(٢) فى مروج الذهب للمسعودى ، عند الكلام على ديانات العرب فى الجاهلية ، ذكر عبد المطلب ، وأن من الناس من يرى أنه كان مؤمنا .

فلا يعرفُه مُجِلٌّ سيادتكم إلا من كلام ابن عَرَفة ، وكأنه مؤرِّخ .

قال أحمد المقَّرِىّ وفقه الله : ألْفيتُ على طُرّة هذا المحل ، بخط سيدى أحمدَ الوانشريشى رحمه الله ، ما نصه :

قلت : أبو العباس العَشّاب ، المعروف بابن طَلحة فى كتاب الطلاق ، (وقدْ وُهِم فيه ، وعُرِّف فى ترجمة مواقع الشهادات بابن الخبّاز النحوىّ) : هو أحمد بن [٥٦٥] محمد بن إبراهيم المرادى المعروف بالعَشّاب . قال ابنُ مرزوق الخطيب فى فهرسة شيوخه : هو مِنْ أعظم مَنْ لقِيت بثغر الإسكندرية ، وأكثرهم تحصيلا ، قرأت عليه بعض موطَّأ الإمام ، وكتاب الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى ، وكتاب التيسير ، وكتاب التفسير من تأليفه ، جمع فيه بين تفسير ابن عَطية ، وتفسير الزمخشرى ؛ وقرأت عليه أوائل الكتب الستة بأسانيده فيها . ويَحْمِل عن أعلام ، منهم أبو القاسم بن البراء ، والشيخُ العارف أبو العباس أحمد بن عثمان بن أحمد بن عَجلان القيسىّ الإشبيلى ، وأبو عمرَ عثمان بن سُفْيان المعروف بابن الشقّ ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الواعظ ، المعروف بابن الحجّام ، وأبو العباس بن الغمّاز ، وعبد الحميد بن أبى البَرَكات بن أبى الدنيا الصَّدَفى ، وأبو القاسم بن زَيتون ، وأبو على بن عَبيل .

انتهى ما ألفيت على هذا المحلّ ، بخط الشيخ سيدى أحمدَ الوانشريشىّ .

ولنرجع إلى تكميل كلام ابن غازى .

ابن طلحة اليابرى

قال رحمه الله : نعم ، ابن طلحة الذى عُرِّف به[1] : هو شيخُ محمودٍ الأعرج الزمخشرىّ ، قرأ عليه كتاب سيبويه بمكة ، شرفها الله تعالى ، سمعت ذلك من شيخنا الأستاذ سيدى أبى عبد الله الكبير ، بردّ الله تعالى ضريحه . وقد عَرّف

(١) أى الذى عرف بابن الخباز النحوى ، كما مر فى أول هذه الصفحة .

صاحب الخريدة بالزّمخشرى ، وهو بخزانة جامع الأندلس . وفى اعتقاد محبكم أن ابن طَلْحة هذا النحوىّ ، خلافُ الفقيه صاحب المَدْخَل ، وأن حَظَّه من مسألة الاستثناء اللسانُ دُون الفقه . فإن صح عند سيدنا أنه هو ، فليفدْنا به متطوّلا مأجورا مشكورا .

قال أحمد المقَّرىّ وفقه الله :

[٥٦٦] وجدت على طُرة هذا المحل ، بخط سيدى أحمد الوانشريشىّ رحمه الله ، ما نصّه :

قلت : بل هو هو ، وهو عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابِرىّ ، نَزل إشبيلية ، أبو بكر وأبو محمد ، الأولى أشهرهما . روى عن جماعة من الأعلام ، نزل مكة شرفها الله ، وكان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله ، ماهرا فى النحو ، حافظا للتفسير ، قائما عليه ، ذاكرا للقصص المتعلقة به ، وذلك كان الغالبَ عليه ، وخُلّق به للعامة بإشبيلية وغيرها ، فكانت العامةُ تنثال على مجلسه . وله مصنفات ، منها فى التفسير كتاب كبير ، ومنها فى الفقه وأصوله ، وشرَحَ صدر رسالة الشيخ أبى محمد ، ومنها ردٌّ على ابن حزْم ، ومنها كتاب فى الفقه على مذهب مالك ، سماه سيف الإسلام ، ومنها كتاب سماه المدخل إلى هذا الكتاب ، واستوطن مِصر وقتا ، ثم رحل إلى مكة ، فجاور فيها ، إلى أن تُوُفِّى بها رحمه الله . وكان حَيًّا سنة ستَّ عشرة وخمس مِئة ، وكانت له معرفة تامة بكتاب سيبويه ، و بسببه ارتحل إليه الزمخشرىّ من خُوارزم ، لقراءته عليه . انتهى .

من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك :

وذكر الشيخ أبو حَيَّان فى باب القَسَم ، أن الزمخشرىّ رحل من خُوارَزمَ إلى مكة قبل العشرين والخمس مئة ، لقراءة كتاب سيبويه ، على رجل من أصحابنا من أهل الأندلس ، يعرف بأبى بكر بن طلحة اليابِرىّ ، وكان مجاوِرا بها ، عالما

بالكتاب وغيره ، وله تصانيف تُقرأ عليه .

قلت : وتُوُفّى فَخْر خُوارَزم ، أبو القاسم محمود ، سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة . وقُطِعت إحدى رجليه بسبب الثلج ، ولم يكن لريبة ، والله أعلم .

انتهى ما وجدت بخط الشيخ الوانشريشى على هذا المحلّ .

ابن طلحة آخر [٦٧ ظ] ولنرجعْ لكلام الإمام ابن غازى .

قال رحمه الله : وثَم ابن طلحة آخر ، وهو مُخاطِب أحد بنى رغبوش [بقصيدة] مديحية زائية الروىّ ، هائية الوصل ، حسبما ذكره ابن عبد الملك فى تكملته .

الآبلى المصرى ٤ — وأما الآبلىّ المصرىّ ، فلا إخاله طرَق اسمُه سمعى إلا من جهتكم ، فإنكم ذكرتموه لى فى غير هذا الوقت ، وقد سألتُ الفقيه المحقّق سيدى [أبا] عبد الله الغَوْرى ليلة عن ضبط باء الآبلى الذّكىّ الرّحال : أبالضّمّ أم بالكسر ، فكأنه ترجّح فيه ، ثم مال إلى الضم (١) .

أخبار أهل السنة والمعتزلة ٥ — وأما رجال أهل السُّنة والمعتزلة ، فلا علم لمحبّكم هل صُنِّف فيهم أم لا . نعم ، ربما سمعت أو رأيت بعض حكاياتهم فى المناظرة ، كمناظرة الشافعى حفصا الفَرد ، بعد ما أنشده الشافعى يتوعده متمثلا :

« ستعلم يا يزيد إذا التقينا بشطّ الزاب أىّ فتى أكونَ » (٢)

وذكرها أبو نُعيم فى الحلية ؛ ومناظرة القاضى أبى بكر بن الطيِّب الباقلانىّ ابنَ المؤدِّب ، إذ أخرج ابنُ المؤدّب فُولا فرمى به ، يُعَرِّض بالباقِلانىّ ، فأخرج

(١) آبل (كصاحب) : أربعة مواضع بالشام . وآبل (كآنك) بلد بالأندلس ، ولا ندرى إلى أيهما نسب .

(٢) رجعنا إلى ترجمة الشافعى فى حلية الأولياء لأبى نعيم ، فوجدنا الشافعى تمثل بالبيت المذكور فى مناظرة بشر المريسى ، فى حضرة الرشيد ، لا فى مناظرة حفص الفرد .

الباقلانىّ سَوْطا فرمى به ، يُعرِّض بابن المؤدِّب ؛ والحكاية ظريفة ، ذكرها صاحب بغْية الراغب ، فى ترجمة أبى عبد الله البَغدادى .

قال أحمد المقَّرىّ وفقه الله : وجدت بخط الوانشريشىّ بطُرة هذا المحل مانصه : أبو عبد الله هذا هو أبو بكر[1] بن مُجاهد ، والله أعلم . انتهى .

مناظرة الباقلانى للمعتزلة

ولنرجع إلى كلام ابن غازى..

قال رحمه الله : ونصّها :

قال فنَاخُسْرُو يوما لوزرائه : هؤلاء المُثْبِتة ، أما لهم ناصر ؟ فقال له القاضى ، قاضى الجماعة بشر بن الحسين : ليس لهم ناصر ، وإنما هم قوم رَعاع ، أتباع ، حَشْوية ، لا يعرفون النظر ، وإنما هم أصحاب روايات وأخبار ؛ والمعتزلة هم فُرسان المناظرة والجدل . فقال فناخُسْرُو : محال أن يكون مذهب [٥٦٨] قد طَبَّق الأرض وليس له ناصر . فقال له بشر بن الحسين : سمعت أن رجلين بالبَصرة ، أحدهما شيخ ، والآخر شاب . فأما الشيخ فهو أبو بكر[1] محمد بن مجاهد ، وأما الشاب فهو أبو بكر بن الطيِّب . فأرسلَ إليهما الأمير فناخسرُو خمسةَ آلاف درهم فضة طيبة . فقال أبو بكر[1] بن مجاهد هؤلاء قوم ظَلَمة فسَقة ، لا يحل لى أن أطأ بُسُطَهُمْ ، وليس غرضُه منا إلا أنْ يقال إن مجلسه مشتمل على أصحاب المحابر ، ولو كان ذلك لله تعالى ، لكانت أموره جارية على السَّداد ، وأنا لا أحضر عند قوم هذه صفتهم . قال أبو بكر بن الطيب : فقلت له : هكذا قال عبد الله ابن كِلاب والحارث بن أسَدٍ المُحاسبى : إن المأمون ظالم فاسق ، ولا نحضر مجلسه ، حتى سِيق أحمد بن حنبلٍ إلَى طَرَسوس ، ولما مات المأمون ضربه المعتصم

(١) هذا وهم من الشيخ الوانشريشى ، لأن أبا عبد الله بن مجاهد المتكلم غير أبى بكر ابن مجاهد شيخ القراء ، وسيأتى تفصيل لهذا الموضع بعد قليل .

بالسياط ؛ ولو نصروه لكان أولى ، لأن الرجل كان يَدّعى أن أهل السنة ليست لهم حُجة على قولهم ، وإنما غرضهم رياسة العامة ، ودفنُ الحق ؛ ولو مَضَوا إلى المعتصم ، وبيّنوا له أن الذى يُدّعى عليه زور وبهتان ، لأرتدع المعتصم ، ولكن أسلموا أحمد بن حنبل لابن أبى دُواد القاضى ، فجرى على أحمدَ ما جرى ، وهم ينظرون . وكذلك أنتَ سلكت مسلكهم ، حتى يجرىَ على الفقهاء ما جرى على أحمد بن حنبل ؛ وهأنا خارج .

فقال له ابن مجاهد : إذا شرح الله صدرك لذلك ، فافعل .

قال القاضى أبو بكر بن الطيِّب : فخرجت إلى شِيراز ، فلما دخلت المدينة استقبلنى ابن خفيف ، فى جماعة من الصُّوفية وأهل السنة ، فلما جلسنا فى موضع كان ابن خفيف يُدارِس فيه أصحابَه اللُّمَع ، للشيخ أبى الحسن الأشعرىّ ، قال له [٦٩ القاضى أبو بكر : تمادَ على التدريس كما كنت ، فقال له ابن خفيف : أصلحك الله ! إنما أنا بمنزلة المتيمِّم عند عدم الماء ، فإذا وُجد الماء فلا حاجة إلى التيمم . فقال له القاضى : جزاك الله خيرا ، وما أنت بمتيمم ، بل لك حظ وافر من هذا العلم ، وأنت على الحق ، والله ينصرك .

قال القاضى أبو بكر : فقلت : متى الدخول إلى فناخُسْرو ؟ فقالوا لى : يوم الجمعة لا يُحْجَب عنه صاحب طَيْلسان . فدخلت والناس قد اجتمعوا ، والمَلِك قاعد على سرير مُلكه ، والناس صفوف على يسار الملك ، وفوق الكُلِّ قاضى القضاة بشرُ بن الحسين ، وكان يدخل مع الوزراء فى وزارتهم ، ويصغى الملك إلى رأيه فى أمر الدولة .

قال القاضى أبو بكر : فلما رأيت ذلك كرهت أن أتقدم على الناس ، وأتخطَّى رقابهم ، من غير أن أُرْفَع ، ولم تدعنى نفسى أن أقعد فى أُخْرَيات الناس ،

وكان عن يمين الملك المجلسُ خاليا ، ولا يقعد هناك إلا ملك أو وزير عظيمُ المنزلة ، فمضيتُ وقعدْت عن يمينه ، بحذاء قاضى القضاة ، فوجَدوا من ذلك ، وفزعوا واضطربوا ، لأنه كان عندهم من الجنايات العِظام ، وما كان فى المجلس مَن يَعرفُنى إلا رجل واحد ، فقال للقاضى : أطال الله بقاء سيدنا ! هذا هو الرجل الذى طلَبَه المَلِك مولانا . فقال قاضى القضاة : أطال الله بقاء مولانا ! هذا هو الرجل الذى كتبتُ فيه ، وهو لسان المُثبِتة . فنظر إلى الغِلمان الذين بين يديه والحُجَّاب ، فطاروا من بين يديه ، ثم قال لهم : اذكروا له مسألة . وكان فى [٥٧٠] المجلس رئيس البَغداديين من المعتزلة ، وهو الأحدب ، وما كان فى زمانه أفصحُ منه ، ولا أعلمُ منه عندهم ؛ فأما البصريون فحضر منهم خلق كثير ، أقدمهم[1] أبو إسحاقَ النَّصيبىّ . فقال الأحدب لتلاميذه : سلُوه : هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يُطيقونه أو[2] ليس له ذلك ؟ فقال الرجل للقاضى : هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يطيقون أو ليس له ذلك ؟ فقال له القاضى أبو بكر : إن أردت بالتكليف القول المجرد ، فالقول المجرَّد قد توجَّه ، لأن الله تعالى قال : « قلْ كُونُوا حِجَارَةً أوْ حَدِيدًا » ، ونحن لا نقْدِر أن نكون حجارةً ولا[3] حديدا ؛ وقال تعالى : « أنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤلاءِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » ، فطَلَبهم بما لا يعلمون ؛ وقال تعالى : « ويُدْعونَ إلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُون » . وهذا كله أمر بما لا يَقدر عليه [الخلق] ؛ وإن أردت التكليف الذى نعرفه ، وهو ما يصحّ فعله وتركه ، فالكلام متناقِض ، وسؤالك فاسد .

فأخذ الأحدَبُ الكلامَ وقال : أيُّها الرجل ، أنت سُئِلْت عن كلام مفهوم ،

(١) فى س : « قدمهم » .
(٢) فى الأصول : « أم » .
(٣) فى س : « أو » .

فطرحته فى الأحتمالات ، وليس ذلك بجواب ؛ والجواب — إذا سُئِلت : هل لله تعالى أن يكلّف الخلق ما لا يُطيقون — أن تقول : نعم ، له أن يكلِّف ، أو ليس له أن يكلف . فعَدَلْت عن الجواب ، إلى ما ليس بجواب ؛ وهذا اضطرابٌ شديد .

قال القاضى : فلمّا لم يُوَقِّرْنى ، ولم يخاطبْنى بما يليق ، قلت له : أيُّها الرجل ، أنت عائم ورجْلاك فى الماء ؛ إنى طرحتَ الكلام فى الأحتمالات ، فلمْ تَعْدِل أنتَ إلا لعجز أو لعىّ ، فإن كان معك كلام فى المسألة ، و إلا تكلم فى غيرها . [٥٧١]

فقال الملك للأحدب : هذا قد بين الأحتمالات ، وتلا عليك الآيات . ثُمّ إنى ما جمعتكم إلا لنستفيد ، لا للمهاترة ، ولا لما لا يليق بالعلماء . ثم التفت إلىّ ، وقال لى : تكلم على المسألة . فقلت :

ما لا يُطاق على ضرْبين : أحدهما لا يطاق للعجز عنه ، والآخر لا يُطاق للاشتغال عنه بضده ، كما يقال : فلان لا يُطيق التصرف ، لاشتغاله بالكتابة ، وما أشبه ذلك ؛ وهذا سبيل الكافر : إنه لا يُطيق الإيمان ، لا لأنه عاجز عن الإيمان ، لكنه لا يُطيقه لاشتغاله بضدّه ، الذى هو الكفر ؛ فهذا يجوز تكليفه بما لا يُطاق .

وأما العاجز فما ورد فى الشريعة تكليفه ، ولو ورد لكان صوابا ؛ وقد أثنى الله تعالى على من سأله ألا يُكلِّفه ما لا طاقة له به ، لأن الله تعالى له أن يفعل فى مُلكه ما يريد .

ثم تجاوز الأحدبُ إلى غيره من الكلام ، ومال الملك إلى قول القاضى أبى بكر .

قال القاضى : ثم سألنى النَّصيبى عن مسألة الرُّؤية : هل يُرى البارئ سبحانه بالعين ؟ وهل تجوز الرؤية عليه أو تستحيل ؟ وقال : كل شىء يُرى

بالعين ، فيجب أن يكون فى مقابلة العين . فالتفت الملك إلى القاضى أبى بكر ، وقال له : تكلم أيها الشيخ فى المسألة .

فقال القاضى : لو كان الشىء يُرى بالعين لوجب أن يكون فى مقابلة العين ، على ما قال ، ولـكن لا يُرى الشىء بالعين . فتعجب الملك من ذلك ، والتفت إلى قاضى القضاة ، فقال : إذا لم يُر الشىء بالعين ، فبأى شىء يُرَى ؟ [فقال : يسأله الملك . فقال : أيها الشيخ ، فبأى شىء يُرى إذا لم ير بالعين] ؟ فقال أبو بكر : يُرَى بالإدراك الذى فى العَين . ولو كان الشىء يُرى بالعين ، لـكان يجب أن تَرَى كلُّ عَيْنٍ قائمة[1] ؛ وقد علمنا أن الأجهرَ عينُه قائمة ولا يرى شيئا .

فزاد الملكُ تعجبا ، وقال للنَّصيبى : تكلم . فقال النَّصيبى : إنى لم أعلم أنه يقول هذا ، ولا بَنيت إلا على ما نَعرِف ، وظننت أنه يُسَلِّم أن الشىءَ [٥٧٢] يُرَى بالعين . فغضب الملك وقال : ما أنت مثلُ الرجل ، لأنك بنيت المسألة على الظن . ثم التفت إلىّ وقال : تكلم . فقلت : العين لا تَرَى ، وإنما تُرَى الأشياء بالإدراك الذى يحدثه اللهُ تعالى فيها ، وهو البصر ، ألا ترى أن المحتضَر يَرى الملائكة ونحن لا نراهم ؟ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يَرَى جبريل عليه السلامُ ولا يراه من يحضُرُه ؟ والملائكة يَرى بعضهم بعضا ولا نراهم نحن ؟ والدليل على جواز رؤية البارئ تعالى ، أنه ليس فيها قلب للحقائق ، ولا إفساد للأدلة ، ولا إلحاق صفة نقص بالقـديم تعالى ، فوجب أن يكون كسائر الموجودات ، لأنه تعالى موجود ، والشىء إنما يُرى لأنه موجود ، لأن المرئىّ لم يكن مَرْئيا لأنه جنس ، لأنا نرى سائر الأجناس المختلفة ، ولا لقيام معنى بالمرئى ، لأنا نرى الأعراض التى لا تحتمل المعانى ، وقد ثبت بالنص

(١) العين القائمة : التى ذهب بصرها والحدقة صحيحة .

وجوب رؤية الحق سبحانه فى الدار الآخرة . ثم طوّل الكلام .

قال : ولم يزل فنا خسرُو يتقرّب إليه ، وينزل عن سرير ملكه ، حتى صار بين يديه ، لِما استعذَبَ من كلامه .

فلما فرغ من المسألة ، قيل للفارابى صاحب المنطق : تكلّم معه ، فتلجْلَج فى كلامه ، واقشعرّ ، وقال : إنما أنا صاحبِ أصطُرْلاب ، ما قدَر هؤلاء وهم فُرسان الكلام : الأحدب وبُرغوث وغيرهم ، على جداله .

فخرج القاضى أبو بكر ، وأمر الملك بإنزاله والجراية عليه ، وقال : والله ما كنت إلا مُفكّرا بأىّ لوْن من القتل أقتُله ، إذا لم يَستحقّ مكانه ؛ وأمّا الآن فقد ظهر لى أنّه أحقُّ بمكانى هذا ، ولكنّى مُبتلَى بالمُلْك . انتهى .

* * *

تسمية أهل السنة المثبتة والمجبرة

والمراد بالمُثْبِتَة هنا : أهلُ السُّنّة ، والزمخشرىّ يسمّيهم المُجْبِرَة ، وقعَ له ذلك فى أماكنَ من الكشّاف ، منها فى تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّب﴾ ، وفى قوله سبحانه : ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْر﴾ . ولصاحب « الانتصاف[1] » من الكشّاف ولصاحب « فُتوح الغيب[2] » فى الرد عليه ، [٥٧٣] عند تفسير الآيتين ، كلام حَسَن ، ينبغى الوقوفُ عليه . وسَمّى أهلَ السُّنّة المُجْبِرَة ، لاعتقاده قُرب مذهبهم من مَذْهبِ الجَبْرِيّة ، [لا][3] سيّما وقد قال بعض أئمة أهل السُّنّة : « وبالجَبْر أقول ، والله المستعان » .

(١) هو ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندرى المالكى ، بين فى كتابه « الانتصاف » هذا ما تضمنه الكشاف من الاعتزال وغيره . توفى سنة ٦٨٣ هـ . (عن كشف الظنون) .

(٢) هو شرف الدين الحسن بن محمد الطيبى ، صاحب الحاشية على الكشاف المسماة « فتوح الغيب ، فى الكشف عن قناع الريب » . توفى سنة ٧٤٣ هـ (عن كشف الظنون) .

(٣) زدنا « لا » قبل « سيما » إيثارا لأفصح الأساليب .

بعض من قال بالجبر وبالجهة

وقد حدّثنا شيخُنا الأستاذ سيِّدى أبو عبد الله الكبير ، عن شيخه أبى عبد الله المِكْرِمىّ ، وكان لَسِنا ، أنه كان كثيرا ما يقول : إمامان عظيمان قالا بالجَبْر من أئمتنا : القاضى أبو بكر بن العَرَبىّ ، والفَخْرُ بن الخطيب ؛ كما أنّ إمامين عظيمين من أئمتنا ، نُسِب إليهما القولُ بالجِهَة ، وهما أبو محمد بن أبى زَيْد ، وأبو عُمَر بن عبد البَرّ ؛ وجَنح لذلك ابن المرابط فى تفسير البخارىّ ، وهو ديوان كبير بخِزانة جامع الأَنْدلس .

أبو بكر بن مجاهد

ثم عند مُحِبّكم تردّد فى أبى بكر بن مجاهد هذا ، هل هو شيخ أئمة الإقْراء ، الذى يَعتمد عليه أبو عَمرو الدانى فى « إيجاز البيان » وفى التمهيد كثيرا . وقال فيه الجَعْبَرى إنه المسبِّع الأول . صنّف كتاب السَّبْعة على رأس الثلاث مئة . وقال أبو على الأَهوازى : هو الذى أخرج يعقوب من السَّبعة ، وجعل الكِسائىّ مكانه . وهو الذى قال له الشِّبْلى : أين تجد فى القرآن العزيز ، أنّ الحبيب لا يعذّب حبيبه ؟ فقال : لا أدرى . فأشار إلى قوله تعالى : (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ) حسْبما بسطه القاضى أبو الفضل عِياض فى ترجمة الشِّبْلىّ من « المَدارك » . وفى ظنى أنّ اسمَ المُقْرِئ موسى[1] ، وقد سُمِّى هـذا هاهُنا محمدا[2] ، فلسيدنا الفضلُ فى تحقيق ذلك لنا ، فى كتاب طبقات القراء لأبى

(١) أبو بكر بن مجاهد هو : أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، شيخ القراء فى عصره ، وهو المسبع الأول للقراء السبعة . توفى سنة ٣٢٤ هـ (انظر تاريخ الخطيب : الترجمة رقم ٢٥٨٠ ؛ و « نهاية الدراية فى طبقات القراء » لابن الأثير : الترجمة رقم ٦٦٣ ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى فى سنة ٣٢٤ هـ .

(٢) أجل ، هو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد ، أبو عبد الله الطائى ، البصرى ثم البغدادى أحد شيوخ المالكية ، وصاحب أبى الحسن الأشعرى ، وناصر مذهب أهل السنة . غلب عليه علما الأصول والكلام ، وكان حسن الدين ، جميل الطريقة . وعنه أخذ القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى المالكى ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ علم الكلام . وهو الذى راوده الباقلانى على =

عَمْرو الدانى ، ومن تعريف الجَعْبرى ، الذى ختم به شرح القصيد ، وهما بخزانة جامع القَرَوِيِّين ، عمَّره الله تعالى .

التصحيف فى أسماء الرجال

ولله دَرُّ علىٍّ بن المَدِينى[1] حيث قال : أشدُّ التصحيف التصحيفُ فى أسماء الرجال . ولا شك أن هذا موضعُ لَبْس ، كابنى نافع وابنى زياد ، ممن اتَّحد [٥٧٤] اسمه ، وتعدَّد مسماه ، وكالأبهرىّ والصالحىّ فى عكسه[2] .

تتمة القول فى أبى بكر ابن العربى

ورحم الله الشيخ الفقيه سيِّدى أبا محمد عبدَ الله العَبْدوسى[3] ، فقد حدثنى عنه الثقة أنه كان يُمثِّل هذا المَعْرِض الذى نحن بصَدَده ، بقضية القاضى أبى بكر ابن العربى ، فإنّ كثيرا من الناس ينكرون أن يكون هو المدفون خارجَ باب المحروق ، ويقولون إنما هو مدفون خارج باب الجيسة ، واغترُّوا فى ذلك بظواهر التواريخ . [وذلك أن القاضىَ أبا الفضل عياضا ذكر فى « الغُنية » أنه دُفن خارج باب الجيسة . قال : وجوابه أن باب المحروق لم يكن فُتح فى ذلك الوقت ، وإنما فتح على رأس ست مئة سنة ، فكان ذلك الخارجُ كله يُنسب لباب الجيسة . ثم يَدْفَع فى صدر هذا الجواب ما فى بعض هذه التواريخ] أنه دفن على مقربة من حارة الجَذْمَى . قال : وجوابُه أن الجَذْمَى كانوا هناك قديما ، حتى تضرر أهل فاس بسكناهم على رأس مائهم ، فنُقِلوا إلى موضعهم اليوم .

= الخروج إلى شيراز لمناظرة المعتزلة بحضرة فنا خسرو ، كما أفاده المقرى فى أزهار الرياض ، لا أبو بكر بن مجاهد شيخ القراء ، المذكور فى الحاشية (رقم ١ ص ٨٥) لأن ابن مجاهد المقرئ ليس معاصرا للباقلانى ، بل هو متقدم الوفاة ، كما سبقت الإشارة إليه .

(اطلب ابن مجاهد المتكلم على طريقة الأشعرى ، فى تاريخ بغداد للخطيب — الترجمة ٢٦١ — وفى : الديباج المذهب فى علماء المذهب لابن فرحون ، وهو فى طبقات المالكية) .

(١) هو أحد شيوخ محمد بن إسماعيل البخارى .

(٢) يريد أن الأبهرى والصالحى : نسبتان لأبى بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهرى ، الفقيه المالكى البغدادى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ .

(٣) فى ط : « أبا محمد عبد الله بن محمد العبدوسى » .

ثم يَرد على هذا أنا نجد عند باب الجيسة إلى جنب حارة الجَذْمَى قبرَ رجل يسمى بابن العربىّ ، يقصده الناس بالزيارة كثيرا ، فلعله هو . قال : وجوابه أن ذلك رجل آخر ، يدعى أيضا بابن العربىّ ، كان مُوَقِّتا فى القَرويين .

قلت : ويزاد فيه أن الفقيه هو أبو بكر ، وهذا الذى خارج باب المحروق اشتهر بأبى يحيى . وجوابه أنهما كنيتان مترادفتان على مسمى واحد ، وبالله سبحانه وتعالى التوفيق .

وقد هَدَى محبّكم [هنا] وهَجَر ، وأهدى التمر لأهل هَجَر ، وجلب العنبر ، إلى البحر الأخضر ، فلكم الفضل فى الإغضاء ، والتجاوز والإمضاء .

و[كُتب] [1] فى أوائل ذى الحجة الحرام خاتم عام سبعة وثمانين وتسع مئة ، عرّفنا الله خيرَه ، ووقانا ضيره . والسلام الكريم يَخُصّ مقامكم العلىّ ، ومنصِبكم السمىّ ، وأهليكم وذويكم ، ومن هو منكم وفيكم ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

انتهى التأليف العجيب ، للشيخ العلامة أبى عبد الله بن غازى رحمه الله .

فى حاشية كتاب ابن غازى

ووجدت فى آخره ما نصُّه : الحمد لله . وكذلك يسلّم على كريم مقامكم ، خديمُكم أحمد بن محمد بن غازى ، قاصدا بتوالى كتبه التبرّكَ بكم ، ملتمسا منكم الدعاء . أفاض الله علينا من بركاتكم ، ونفعنا بمحبتكم ، بجاه النبى عليه السلام . انتهى . [٥٧٥]

وأوردت جميعه لما قدمته ، والله تعالى المُنْجِد المعين .

* * *

نفى الاحتمال فى أمر أبى بكر ابن العربى

قلت : وقد وقفت على كلام لبعض الأقدمين [ينفى الاحتمال] فى أمر ابن العربىّ المذكور . ونصّه : تُوُفّى ابن العربى مُنصرَفه من مرّاكش ، بموضع

(١) زدنا هذا اللفظ لأن العلامة ابن غازى يؤرخ هنا كتب رسالته ، فلعله سقط من قلم الناسخ .

يعرف بأغلان ، على مسيرة يوم من فاس ، غربا منها ، فاحتُمِل ميِّتا إلى فاس فى اليوم الثانى من موته ، وذلك يوم الأحد السابع من ربيع الأول ، سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة ، ودفن بأعلى مدينة فاس ، خارج القَصَبة ، بتربة القائد مظفّر ، وصلّى عليه صاحبُه أبو الحكم بن الحجّاج ، رحمه الله . انتهى .

وقدّمنا عن ابن بَشكُوال أنه توفى فى ربيع الآخر من هذه السنة ، فالله أعلم .

وقد ذكر بعضُ من شرح الشفا أن ابن العربى توفى سنة اثنتين وأربعين .

قلت : هو غيرُ صحيح إن شاء الله ، وإنما الصحيحُ ما قدمته .

مثال من صلابة ابن العربى فى القضاء

ومن صلابة الإمام أبى بكر بن العربى ، رحمه الله ، أنه حَكَم فى زامر بثَقْب أشداقه ، حسبما نقله صاحب المعيار وغيرُه .

مثال من شعره

ومن بديع نظمه ، رحمه الله :

أَتَثْنِى تُؤَنِّبُنى بالبُكا ... فأهلًا بها وبتأْنيبها

تقول وفى نفسها حسرةٌ ... أتبكى بعينٍ ترانى بها

فقلت إذا استحسنتْ غيرَكمْ ... أمرتُ جفونى بتعذيبها

إجازته ببيتا لابن صارة

وقال رحمه الله : دخل علىّ ابن صارة[1] وبين يَدَىّ نارٌ قد علاها رَماد ، فقلت : لتقل فى هذا ، فقال :

شابتْ نواصِى النار بعد سَوَادها ... وتستَّرتْ عنا بِثَوْب رمادِ

ثم قال لى ابنُ صارة : أجز . فقلت :

شابت كما شبنا وزال شبابنا ... فكأنما كنّا على مِيعادِ

(١) ابن صارة الشنتيرينى : يكتب (بالصاد) و (بالسين) .

ارتجاله الشعر فى مجلس الدرس

وحكى غيرُ واحد أنَّ القاضىَ أبا بكر بن العربىّ رحمه الله ، بينما هو جالس فى محل درسه إذ دخل شاعٌ من المُلَثَّمين وبيده رُمْح ، فهزَّه ، فقال القاضى أبو بكر رحمه الله : [٥٧٦]

يَهُزُّ علىَّ الرمحَ[1] ظَبْيٌ مُهَفهَفٌ ... لَعوبٌ بألباب البريّة عابثُ

فلو كان رمحا واحـــدا لاتَّقيتُه ... ولـكنه رمح وثان وثالث

وقد اختلف حُذَّاق الأندلس من أهل الأدب فى معنى الرمح الثانى والثالث ، وأكثرهم يقول : هما القَدُّ واللَّحظ ، والله أعلم .

وصفه البحر نثرا

ولما ذَكَر [الإمام] ابنُ العربى المذكور رحمه الله فى كتاب « قانون التأويل » ركوبَه البحر فى رحلته من إفريقية ، قال :

وقد سبق فى علم الله أن يَعْظُم علينا البحر بزَوْله ، ويُغْرقَنا فى هوله ، فخرجنا من البحر ، خروج الميِّت من القبر ، وانتهينا بعد خَطْب طويل ، إلى بيوت بنى كعب بن سُليم ، ونحن من السَّغَب ، على عَطَب ، ومن العُرْى ، فى أقبح زِىّ ، قد قذف البحر زِقاق زيت ، مَزَّقت الحجارة مَنِيئتها[2] ، ودسّمت الأدهانُ وَبَرَها وجلدتها ، فاحتزمناها أُزُرا واشتملناها لُفُعا[3] ، تمجُّنا الأبصار ، وتخذُلنا الأنصار ، فعطفَ أميرُهم علينا ، فأَوَينا إليه فآوانا ، وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا ، وأكرم مثوانا ، وكسانا بأمرٍ حقيرٍ ضعيف ، وفنٍّ من العلم ظريف .

بعض ما صادفه فى رحلته من ثمرات الأدب

وشرحه : أنا لما وقفنا على بابه ألفيناه ، يدير أعوادَ الشاه ، فِعْل السامِد اللَّاه ، فدنوت منه فى تلك الأطمار ، وسمح لى بَيادِقتُه ، إذ كنت من الصغر فى

---

(١) فى م : « يهددنى بالرمح » بدل : « يهز على الرمح » .

(٢) منيئتها : جلدها .

(٣) لفع : جمع لفاع (بوزن كتاب) ، وهو ما يتلفع به .

حد يُسْمح فيه للأغمار ، ووقفت بإزائهم ، أنظر إلى تصرُّفهم من ورائهم ، إذ كان عَلِق بنفسى بعضُ ذلك من بعض القَرابة فى خُلَس بَطالة ، مَعَ غلبة الصَّبْوة والجهالة ، فقلت للبياذِقة : الأميرُ أعلم من صاحبه ، فلمحُونى شَزْرا ، وعَظُمت فى أعينهم بعد أن كنتُ نَزْرا ، وتقدَّم إلى الأمير مَنْ نقل إليه الكلام ، فاستدنانى ، فدنوت منه ، وسألنى : هل لى بما هم فيه بَصَر ؟ فقلت لى فيه بعضُ نظر ، سيبدو لك ويظهر . حَرِّك تلك القطعة ، ففَعَل ، وعارضه صاحبُهُ ، فأمرته أن يحرّك أخرى ، [٥٧٧] وما زالت الحركات بينهم كذلك تترَى ، حتى هزمهم الأمير ، وانقطع التدبير ، فقالوا : ما أنت بصغير . وكان فى أثناء تلك الحركات قد ترنّم ابن عم الأمير مُنشِدا :

وأحلَى الهوى ما شَكَّ فى الوصل رَبُّه وفى الهجر فهو الدَّهرَ يرجو ويتّقِى

فقال : لعن الله أبا الطيِّب ! أوَ يَشُك الربُّ ؟ !

فقلت له فى الحال : ليس كما ظنَّ صاحبُك أيُّها الإمير ، إنما أراد بالربّ ها هنا الصاحب . يقول : ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال ، وبلوغ الغرض من الآمال ، على ريب ، فهو فى وقته كلِّه على رجاء لما يَؤمِّله ، وتُقَاةٍ لما يُقطع به ، كما قال :

إذا لم يكن فى الحب سُخْط ولا رِضًا فأينَ حلاوات الرسائل والكُتْبِ

وأخذنا نُضيف إلى ذلك من الأغراض ، فى طرَفى الإبرام والانتقاض ، ما حرّك منهم إلى جهتى داعىَ الانتهاض ، وأقبلوا يتعجبون منى ، ويسألوننى كم سِنى ؟ ويستكشفوننى عَنّى ، فبَقَرتُ لهم حديثى ، وذكرت لهم نَجيثى ، وأعلمت الأمير بأن أبى معى ، فاستدعاه ، وقمنا الثلاثة إلى مَثواه ، نخلع علينا خِلَعه ، وأسْبل علينا أدْمعه ، وجاء كلُّ خِوان ، بأفنان الألوان .

ثم قال بعد المبالغة فى وصف ما نالهم من إكرامه :

فانظر إلى هذا العلْمِ الذى هو إلى الجهل أقرب ، مع تلك الصَّبابة اليسيرة من الأدَب ، كيف أنقذَانا من العَطَب ؟ وهذا الذى يرشدكم إن غَفَلتم إلى الطلب .

وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر . انتهى مختصرا .

تفسير بعض الغريب

والزَّوْل : العَجَب . ونَجِيثُ الخبَر : ما ظهر من قبيحه ، يقال : بدا نجيث القوم : إذا ظهر سرّهم الذى كانوا يخفونه . قالها الجوهرى .

من لقى ابن العربى فى رحلته من كبار العلماء

إفادة : قال الإمام بن غازى رحمه الله :

[٥٧٨] فى هذه الرحلة : لقى ابن العربى شيخيه دَانِشْمَنْدَ[1] الأكبر ، وهو إسماعيل الطُّوسىّ ، ودَانِشْمَنْدَ الأصغر ، وهو أبو حامد الغَزَّالى الطوسىّ . ومعنى « دَانِشْمَنْدَ » بلغة الفرس : عالم العلماء ؛ وكان شيخنا الأستاذ أبو عبد الله الصغير يحكى لنا عن شيخه أبى محمد عبد الله العبدوسى أنه بلغه أن الفرس يفخمون « ميم » دَانِشْمَنْد . والله تعالى أعلم .

قال ابن العربىّ فى قانون التأويل : ورَدَ علينا دَانِشْمَنْد ، يعنى الغزَّالىّ ، فنزل برِباط أبى سعد ، بإزاء المدرسة النِّظامية ، مُعْرِضا عن الدنيا ، مُقْبلا على الله تعالى ، فمشينا إليه ، وعرضنا أُمْنِيَّتَنا عليه ، وقلنا له : أنت ضالَّتُنا التى كنا نَنْشُد ، وإمامُنا الذى به نسترشِد . فلقِيَنا لقاء المعرِفه ، وشاهَدْنا منه ما كان فوق الصِّفه ، وتحقَّقنا أن الذى نُقِل إلينا ، من أن الخبر على الغائب فوق المشاهدة ، ليس على العموم ، ولو رآه على بن العبّاس[2] لما قال :

إذا ما مدحْتَ امرأ غائبا فلا تغلُ فى مدحه واقصِدِ

---

(١) (دانشمند : Danishmand) معناه فى الفارسية : المثقف أو الماهر ، أو الحكيم ، أو الذكى . انظر (Persian English Dictionary) تأليف (Stengass) .

(٢) هو على بن العباس المعروف بابن الرومى الشاعر العباسى .

فإنّك إن تَغْلُ تَغْلُ الظنو نُ فيه إلى الأمَد الأبعدِ
فيَصْغُر من حيثُ عظَّمته لفضل المَغيب على المَشْهد

انتهى .

* * *

تعريف ابن خاقان فى المطمح بابن العربى

وقال بعض من عرّف به ، أعنى بابن العربىّ رحمه الله ، ما نصه :

عَلَمُ الأعلام ، الطاهرُ الأثواب ، الباهرُ الألباب ، الذى أنْسَى ذكاءُ إياس[1] ، وترك التقليد للقياس ، وأنْتَج الفرعَ من الأَصْل ، وغدا فى يد الإسلام أمضى من النصل ، سقَى الله به الأندلس ، [بعد] ما أجدبتْ من المعارف ، ومدَّ عليها منه الظلَّ الوارف ، فكساها رونقَ نُبله ، وسقاها ريِّقَ بَلْه ، وكان أبوه أبو محمد بإشبيلية بدرا فى فلكها ، وصدرا فى مجلس مُلْكها ، واصطفاه مُعْتَمَدُ بنى عبَّاد ، اصطفاء المأمون لابن أبى دُواد ، ولاّه الولاياتِ الشريفة ، و بوّأه المراتبَ المُنيفه ، فلما أقفرتْ حِمْص[2] من مُلْكهم وخلت ، وألقتْهم منها وتخلّت ، رحل به إلى [٥٧٩] المشرِق ، وحلّ فيه محل الخائف الفَرِق ، فجال فى أكنافه ، وأجال قداح الرجاء فى استقبال العز واستئنافه ، فلم يستردّ ذاهبا ، ولم يجد كمعتَمَده باذِلا واهبا ، فعاد إلى الرواية والسماع ، وما استفاد من إجالة تلك الأطماع ، وأبو بكر إذ ذاك فى ثَرى الذكاء قضيبٌ ما دَوَّح ، وفى روض الشباب زهر ما صَوَّح ، فألزمه مجالس العلم رائحا وغاديا ، ولازمه سائقا إليها وحاديا ، حتى استقرتْ به مجالسُه ، واطّردت له مقاييسُه ، فجدَّ فى طلبه ، واستجدَّ به أبوه مُنخرِق أربه ،

---

(١) هو إياس بن معاوية قاضى البصرة لعمر بن عبد العزيز ، المعروف بالزكانة والفقه .

(٢) المراد بها : إشبيلية من مدن الأندلس . سكن بها أهل حمص الشام عند الفتح ، فسموها بها .

ثم أدركه حِمَامُه ، ووارتْه [هناك] [١] رِجامه ، وبقى أبو بكر متفرّدا ، وللطلب متجرّدا ، حتى أصبح فى العلم وحيدا ، ولم تَجِد عنه الرياسة مَحيدا ، فكرّ إلى الأندلس ، فخلّها والنفوسُ إليه مُتَطَلّعه ، ولأنبائه مُتسمّعه ، فناهيك من حُظْوة لقِى ، ومن عِزّة سُقِى ، ومن رِفعة سما إليها وَرَقِى ، وحسبُك مِن مفاخرَ قَلّدَها ، ومن محاسنِ [أُنْسٍ] [٢] أثبتها فيها وخلّدها .

مثال آخر من شعره

وقد أثبتُّ من بديع نظمه ما يهزُّ أعطافا ، وتردُه الأوهام [٣] نِطافا .

فمن ذلك قوله يتشوّق إلى بغداد ، ويخاطب أهل الوداد :

أَمِنكِ سَرَى واللّيلُ يَخدع بالفجرِ ... خَيالُ حبيبٍ قد حوى قَصَبَ الفَخْرِ

جَلَا ظُلَمَ الظَّلْماء مُشْرِقُ نوره ... ولم يخبط [٤] الظلماء بالأنجمُ الزُّهر

ولم يرضَ بالأرض البسيطة مَسْحَبا ... فسار على الجوزا إلى فَلَكٍ يَجْرِى [٥]

وحثّ مطايا قد مَطاها بعـــزّه ... فأوطأها قسْرا على قُنّة النَّسْر

فصارت ثِقالا بالجـــــلالة فوقها ... وسارت عجالا تَتّـــقى ألم الزَّجر

وجَرّت على ذيل المَجَرّة ذيلها ... فمن ثَمّ يبدو ما هناك لمن يَسْرِى [٦]

ومرّتْ على الجَرْباء [٧] تُوضِع فوقها ... فآثارُ [٨] ما مرت به كَلَف البدر

وسافَتْ أَرِيجَ الخُلد من جَنّة المُلى ... فدع عنك رملا بالأُثَيْم يَستذرى

---

(١) زيادة عن نفح الطيب ، ومطمح الأنفس . والإشارة بهناك إلى الإسكندرية حيث توفى والده .

(٢) زيادة عن نفح الطيب ، ومطمح الأنفس .

(٣) فى نفح الطيب « الأفهام » .

(٤) فى المطمح : « تخض » .

(٥) هذا الشطر فى المطمح : « فطار على الجوزاء فى فلك يسرى » .

(٦) فى المطمح : « يجرى » .

(٧) فى نفح الطيب والمطمح : « الجوزاء » .

(٨) فى ص ، م : « بآثار » .

فما حَذِرْت قيسا ولا خَيْلَ عامرٍ ولا أضْمرْت خوفًا لقاء بنى ضَمْر
سقَى الله مِصرًا والعراقَ وأهلَها وبغدادَ والشامَيْن مُنْهمِلَ القطر [٥٨٠]
[انتهى] .

وما أقرَبه من نَفَس [الفَتْح] ، صاحب القلائد والمطمح ، ولعلّ هذا من كلامه فى المطمح[1] . والله أعلم .

وقد طال الكلام ، ولكن لا يلحقنا فى مثله الملام .

* * *

بعض تآليف ابن العربى

ومن تآليف الإمام أبى بكرِ بن العربى المذكور ، كتاب « القَبَس ، فى شرح موطأ مالك بن أَنَس » ، وكتاب « ترتيب المسالك ، فى شرح موطأ مالك » ، وكتاب « أنوار الفجر » [فى تسعين سفرا] ، وكتاب « أحكام القرآن » ، وكتاب « عارضة الأَحْوَذِىّ (بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة ، وفتح الواو ، وكسر الذال المعجمة ، وآخره ياء مشددة) على التِّرْمِذى » ، وكتاب « مراقى الزُّلَف » ، وكتاب « الخلافيات » ، وكتاب « نواهى الدواهى » ، وكتاب « سراج المريدين » ، وكتاب « المُشكِلَيْن » : مشكلِ القرآن والسنة ، وكتاب « الناسخ والمنسوخ فى القرآن » ، وكتاب « قانون التأويل » ، وكتاب « النيرين ، فى الصحيحين » ، وكتاب « سراج المهتدين » ، وكتاب « الأَمَد الأقصَى ، بأسماء الله الحُسْنى وصفاته العليا » ، وكتاب فى الكلام على « مُشكل حديث السُّبُحات والحجاب[2] » ، وكتاب « العقد[3] الأكبر ، للقلب الأصغر » ، و « تبيين الصحيح ، فى تعيين الذَّبيح » ، و « تفصيل التفضيل ،

(١) وجدنا هذا التعريف كله فى مطمح الأنفس لابن خاقان .

(٢) اقرأ الحديث فى شرح القاموس مادة (سبح) . (٣) فى م : « الفقه » .

بين التحميد والتهليل » ، ورسالة « الكافى ، فى أن لا دليل على النافى » ، وكتاب « السُّباعيات » ، وكتاب « المسلسلات » ، وكتاب « التوسط فى المعرفة بصحة الاعتقاد ، والرد على من خالف أهل السنة من ذوى البدع والإلحاد » ، وكتاب « شرح غريب الرِّسالة » ، وكتاب « الإنصاف » ، وكتاب « مُلْجِئَة المتفقهين ، إلى معرفة غوامض النحويين » .

نضرة وجوه أهل الحديث

ورأيت فى بعض المجاميع ما نصه : قال القاضى أبو بكر بن العربىّ رحمه الله : قال علماء الحديث : ما مِن رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهه نَضْرة ، لقول النبى صَلَّى الله عليه وسلم : « نَضَّرَ الله امْرأ سمع مقالتى فوعاها ، فأدّاها كما سمعها » الحديث .

قال : وهذا دعاء منه عليه السلام لحَمَلة علمه ، ولا بد بفضل الله مِنْ [٥٨١] نَيل بَرَكته .

شعر للعزفى فى ذلك

وإلى هذه النَّضْرة أشار أبو العباس العَزَفىّ رحمه الله بقوله :

أهلُ الحديث عِصابةُ الحقِّ ... فازُوا بدعوة سيدِ الخلقِ
فوجوهُهمْ زُهْرٌ مُنَضَّرَةٌ ... لَألاؤها كتألُّق البَرقِ
يا لَيْتَنى مَعَهم فيُدرِكَنى ... ما أدركوه بها من السَّبْقِ [انتهى] .

* * *

ومن أشياخ القاضى عياض رحمه الله

أبو عبد الله بن حَمْدين من شيوخ عياض

القاضى أبو عبد الله بن حَمْدين التَّغْلَبىّ ، وهو محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن أحمد التَّغْلَبِىّ ، بمثناة من فوق ، وغين معجمة ، منسوب لتغلِب ؛ بكسر اللام وفتحها[1] .

(١) يريد بكسر اللام وفتحها عند النسب . أما اسم القبيلة فبكسر اللام .

ولاده ووفاته

وُلِد سنة تسع وثلاثين وأربع مئة ؛ ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرَّم سنة ثمان وخمس مئة ؛ ودُفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر .

وقال فى حقه صاحبُ القلائد :

قاله ابن خاقان فى حقه

حامى ذِمارِ الدين وعاضِدُه ، وقاطعُ ضرَر المعتدين وخاضدُه ، مَلَك للعلوم زِماما ، وجعل العُكوفَ عليها لزاما ، فحيَّا رسْمَها ، وأعلى اسْمَها ، وخاصمتِ المُلْحِدِين منه أَلْسُنٌ لُدّ ، وتهدَّلت به على العالَمين أغصُنٌ مُلْد ، وكَفَّ أيدىَ الظالمين ، فلم تكن لهم استطاله ؛ وأرهف خواطر المجتهدين ، فلم تسنَح لهم بَطاله ؛ فأصبح أهل مِصره بين دارس علم ، ولابس حِلم ، وآيسِ ظُلْم ؛ ناهيك من رجل كثير الرَّعْى لأهل المعارف ، مُؤوٍ مِنْ برّه إلى ظِلّ وارِف ؛ أعمّ الورى مِنَّه ، وأعظم خلق الله مُنّه ؛ أقام وأقعد ، وأدْنى وأبعد ، وأَنْحَسَ وأسْعَد ؛ فتقلّصتْ به الظِّلال وفاءت ، وحَسُنَت به الأيام وساءت ؛ وأعمل للضُّر والنفع لسانَه ويدَه ، وشغل بالرفع والوَضْع يومَه وغدَه ، وعَمر بهما فكره وخلَده ؛ حتى هَدَّ الجبالَ الشوامخ ، واجتثّ الأصول الرواسخ . [٥٨٢]

ولما أدار ابنُ الحاجّ من خلافه سنة تسع وتسعين ما أدار ، واتّفق هو ومن وَاطَأه على ما فسَخَتْه الأقدار ، استُشير فى الخَلْع فما أساغه ، وأُريغَ ضميرُه[1] فلم يكن فيمن راغه ، وعُرض على الحِمام فما هابه ، ووالى فى نقض ما أبرَموه جيْئَته وذَهابه ، وسمح[2] فى ذلك بنفسه ، وقنَع من غده بذكر أمسه .

فلما انجلت ظلماؤه ، وتحلّت بنجوم ظفَره سماؤه ، أَغْرَى بالمطالبين اهتضامَه

(١) فى الأصول : « خيره » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

(٢) كذا فى « قلائد العقيان ، للفتح بن خاقان » . وفى الأصول : « وسما » .

وحيفَه ، وسَرَى إليهم مكرُه سُرَى قيسٍ لحَمَلٍ وحُذَيْفَه[١] ، وأعلن لمن أسرّ إغراءه [ولم يُنْظِر بالمكروه نظراءه ، فأخمل منهم أعلاما ، وأورث نَفْس الدين منهم آلاما ، وألبسهم ما شاء] ذما من الناس وملاما ، فدَجَت مَطَالِع شموسهم ، وخلت مواضعُ تدريسهم[٢] ، فأصبحوا ملتحفين[٣] بالمهانه ، متشوّفين إلى الإهانه ، يَرُوعهم الرَّواح والغُدُوّ ، ويحسَبون كل صيحة عليهمْ هُمُ[٤] العدُوّ ، ويَذْعَرُهُمْ طُروق النوم للأجفان ، وينكرهمُ الثابت العرفان ، فقد فقدوا حُبورا ، وعادت منازلهم قبورا ، إلى أن نُفِّس مُخَنَّقهم بعد أحوال ، وخلا أفقهم من تلك الأهوال[٥] ، فتنشقوا رِيح الحياة ، وأشرقوا من تلك الظلمات ، بعد أن أحال البؤس نعيمهم ، وأخذ الحِمام زعيمَهم .

وكان رحمه الله مُتَّضِحَ [طريق][٦] الهُدَى ، منفسح الميدان فى العِلم والندى ، مع أدَب كالبحر الزاخر ، ونثرٍ كالدُّرّ الفاخر ، وقد أثبتُّ منه ما تعذُب مقاطعُه ، وتلين مَعاطِفه .

فصل من رسالة له راجع بها ابن شمّاخ

فمن ذلك فصل راجعَ به ابن شَمَّاخ :

عَمِر بابُك ، وأخصب جَنابك ، وطاوعك زَمانُك ، ونعِم بك أوانُك

وسَقَى ديارَكَ غيرَ مُفسِدِها صوبُ الربيع ودِيمةٌ تَهْمِي

فما دَرَج لسبيله من كنتَ سُلالةَ سليله ، ووارث مُعَرَّسِه ومَقِيلِه ، وما خام

(١) يريد أنه انتقم من أعدائه كما انتقم قيس بن زهير العبسى من حمل بن بدر وأخيه حذيفة يوم الهباءة ، وهو من أيام حرب داحس . (انظر أيام عبس وذبيان فى العقد الفريد لابن عبد ربه) .

(٢) كذا فى ط ، ص والقلائد . وفى م : « رئيسهم وصدورهم » موضع كلمة : « تدريسهم » . (٣) فى هامش ص : « ملتفحين » .

(٤) فى القلائد : « هو » .

(٥) كذلك فى القلائد . وفى الأصول : « الأحوال » .

(٦) زيادة عن قلائد العقيان .

وضَرَع ، فخرٌ رَمَى عن وَتَر قوسك ونَزَع ، ولم يَهلِك هالك ، ترك مثلَ مالِك ، فتركتَ المِهاد ، وأَلِفْتَ السُّهاد ، وَتَقَيَّلْت الآباء والأجداد ، فأسْرَجْتَ فى ميدان الحمد بُراقا ، اتخذ [الريح] (١) خافيةً وساقا ، فاحْتلّ من شِعاب المجد [٨٣ صُقعا ، أثار به نَقعا ، ودَوَّمَ فى أُفق السماء ، تدويم فَرْخ الماء ، حتى كأنه على قمة الرأس ابنُ ماء ، فحُقّ(٢) لباهر فضلك أن يَطول ، فيقول :

لا بقومى شَرُفْتُ بل شُرفُوا بى وبنفسى فَخَرتُ لا بجـــدودى

أو يتنزَّل فيتمثل :

لَسْنا وإن أَحْسَابُنا كَرُمَتْ(٣) يوما على الأحســـاب نتَّكل
نبنِي كما كانتْ أوائلُنا تبنِي ونفعلُ مثلَ مَا فعـــلوا

كمْ متعاطٍ شأوَ طَلَقِك ، سوَّلت له نفسُه شَقَّ غُبارك ، واقتفاءَ مناهج آثارك فما أدرك ، وطَلَح بعيرُه وبَرَك .

فصل آخر منها

وفى فصل منها :

بيننا وسائل ، أحكمتها الأوائل ، ما هى بالأنْكاث ، والوشائج الرِّثاث ، مِنْ دونها عهد ، جَناه شَهْد ، أَرِجُ عَرْف النسيم ، مُشْرِق جبين الأديم ، رائق رقعة الجِلْباب ، مُقْتَبِلُ رِداء الشَّباب ، كالصَّباح المُنْجاب ، تروق أسارِيرُه ، وتلقاك قبْلَ اللقاء تباشيرُه .

وَرِثْناهنَّ عن آباء صِـــدْقٍ ونُورِثُهـا إذا مُتْنا بَنينا

* * *

(١) زيادة عن قلائد العقيان .
(٢) فى القلائد : « فأخلق » .
(٣) كذا فى الأصول . وفى القلائد : « لسنا وإن كرمت أوائلنا » .

أبو بكر بن عطية من شيوخ عياض

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض

الفقيه الإمام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله .

قال صاحب القلائد فى حقه :

شيخُ العلم وحامل لوائه ، وحافظ حديث النبى صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه ، شَرَح الله لتحفُّظه صدره ، وطاول به عمرَه ، مع كونه فى كل علم وافرَ النصيب ، مُياسِرًا بالمعلّى والرَّقيب ، رحل إلى المشرق لأداء الفَرض ، لابس بُرْدِ من العمر الغَضّ ، فروَى وقيّد ، ولقِىَ العلماء وأسْنَد ، وأبقى تلك المآثرَ وخلّد . نشأ فى نِبْتَة[1] كريمه ، وأُرُومة من الشرف غيرمَرُومه ، لم يزل فيها على وجه الزمان أعلامُ عِلْم ، وأربابُ مجْد ضَخم ، قد قَيدتْ مآثرَهُمُ الكتب ، وأطلعتهم التواريخُ كالشهُب ، وما بَرِح الفقيه أبو بكر يتسنّم كواهلَ المعارف وغوارِبَها ، ويُقيِّد شوارد المعانى وغرائبها ، لاستضلاعه بالأدب الذى أحكم أصولَه وفروعه ، وَعَمَرَ بُرْهَة من شبيبته رُبوعَه ، وبرَّز فيه تبريزَ الجواد المستولى على الأَمَد ، وجَلَى عن نفسه به كما جَلَّى الصِّقالُ عن النَّصْل الفَرَد ، وشاهِدُ ذلك ما أُثْبِتُهُ من نظمه الذى يروق جملةً وتفصيلا ، ويقوم على قوّة العارِضَة دليلا . [٥٨٤]

أمثلة من شعره

فمن ذلك قوله يُحَذِّر من خُلَطاء الزمان ، ويُنَبِّه على التحفظ من الإنسان ، قال:

كُنْ بذئبٍ صائدٍ مستأنِسًا ... وإذا أبصرتَ إنسانا ففِرْ

إنمـــا الإنسان بحرٌ مالَهُ ... ساحلٌ فاحـــذَرْه إيّاكَ الغَرَرْ

واجعَلِ الناس كشخص واحدٍ ... ثم كُن من ذلك الشخص حَذِرْ

وله فى الزهد :

---

(١) فى الأصول : «بيتة» ولعلها محرفة عما أثبتناه . يقال : فلان حسن النبتة ، أى الحالة التى ينبت عليها ويربى . انظر تاج العروس .

أيُّها المطرودُ من باب الرِّضا كم يراكَ اللهُ تلهو مُعْرِضَا
كمْ إلى كمْ أنتَ فى جهل الصِّبا قد مضى عمرُ الصِّبا وانقَرَضا
قُمْ إذا اللَّيْلُ دَجَتْ ظُلْمَتُه واستَلَذَّ الجفنُ أن يَغتمِضا
فَضَعِ الخَدَّ على الأرض ونُحْ واقْرَعِ السِّنَّ على ما قد مضى

وقال فى هذا المعنى :

قلْبَىَ يا قلْبَىَ المُعَنَّى كمْ أنا أُدْعَى فلا أجيبُ
كمْ أتمادَى على ضلالٍ لا أرعوِى لا ولا أُنيب
ويلاهُ مِن سُوءِ ما دهانى يَتوُب غيرى ولا أتوب
وا أسَفا كيف برءِ دائى دائى كما شاءه الطبيب
لو كنتُ أدنو لكنت أشكو ما أنا من بابه قريب
أبْعَدَنى منه سُوءِ فعلى وهكذا يُبْعَد المُرِيب
ما لِىَ قَدْرٌ وأىُّ قَدْر لمن أخَلَّتْ به الذنوب

وله فى المعنى أيضا :

لا تجعلَنْ رمضانَ شهرَ فُكاهة تُلْهيك فيه من القبيح فُنونهُ [٥٧٥]
واعلم بأنك لا تنال قَبولَهُ حتى تكونَ تصومُه وتصونُه

وله فى مثل ذلك :

إذا لم يكن فى السمع منى تصاوُنٌ وفى بصرى غَضٌّ وفى مِقْولى صَمْتُ
فحظِّى إذنْ من صَوْمِىَ الجوعُ والظَّمَا وإنْ قلتُ إنى صُمْتُ يومى فما صمت

وله فى المعنى الأول :

جفَوْتُ أناسًا كنت آلَفُ وصلَهم وما فى الجفا عند الضرورة من باسِ

بَلَوْتُ فلم أَحْمَدْ وأصبحتُ آيِسًا ولا شيءَ أشفَى[1] للنفوس من اليأسِ
فلا تعـــذُلونى فى انقباضى فإننى رأيت جميعَ الشرِّ فى خُلْطةِ الناس

وله يعاتب بعضَ إخوانه :

وكنت أظن أنّ جبالَ رَضْوَى تزول وأن وُدَّك لا يزولُ
ولـكنَّ الأمورَ لها اضطرابٌ وأحوالُ ابنِ آدم تســتحيل
فإن يك بيننا وصلٌ جميــل وإلا فليكن هجرٌ طويــل

وأما شعره الذى اقتدحه من مَرْخ الشباب وعَفارِه ، وكلامُه الذى وشَّحَه بمآرب الغزل وأوطاره ، فإنه أُنسِىَ إلى ما تناساه ، [وتركه حين كساهُ العلم والورع من ملابسه ما كساه] . فمما وقع من ذلك قوله :

كيف السُّلُوُّ ولى حبيبٌ هاجرٌ قاسِى الفؤادِ يسومُنى تعـذيبَا
لمّا دَرَى أن الخيال مُواصِـلى جعل السُّهاد على الجفون رقيبا

وله أيضا ، رحمه الله :

يا مَنْ عهودى لديكِ تُرْعَى أنا على عهــدكِ الوثيقِ
إن شئتِ أن تَسمعى غرامى من مُخبر عالمٍ صَــدُوق
فاستخبرى قلبَــكِ المُعَنَّى يخبرْكِ عن قلْبىَ المَشُوق

[انتهى] .

* * *

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض ، رحمه الله :

ابن السيد البطليوسى من أشياخ عياض

الشيخ الإمام النحوى الأديب اللغوى أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد ،

(١) كذا فى القلائد . وفى الأصول : « أشقى » ، وهو تحريف .

(بكسر السين) البَطَلْيَوْسِىّ ، بفتح الموحدة والطاء المهملة والتحتانية وسكون اللام والواو ؛ نزيل بَلَنْسِيَة .

ذكره السيوطى فى البغيـــة [٥٨٦] قال السيوطى فى الطبقات : كان عالما باللغات والآداب ، متبحِّرا فيهما ، انتصب لإقراء علم النحو ، واجتمع إليه الناس ، وله يد فى العلوم القديمة . ذكره فى قلائد العِقيان ، وبالغ فى وصفه .

وكان لابن الحاجّ صاحبِ قرطبة ثلاثةُ أولاد ، من أجمل الناس صورة : رَحْمون ، وعَزُّون ، وحَسُّـون ؛ فأُولِع بهم ، وقال فيهم :

أَخْفَيْتُ سُقْمِى حَتَّى كاد يُخْفينى ... وهِمْت فى حب عَزُّونٍ فعَزُّونى

ثم ارْحمونى برَحْمون فإن ظَمِئَتْ ... نفسى إلى رِيق حَسُّون فحَسُّونى

ثم خاف على نفسه ، فخرج من قرطبة .

مصنفاته كما فى البغية صنَّف : شرحَ أدب الـكتَّاب[1] ، شرح الموطأ ، شرح سقط الزند ، شرح ديوان المتنبى ، إصلاح الخلل ، الواقع فى الجمل ، الحُلل فى شرح أبيات الجُمل ، المثلث ، المسائل المنثورة فى النحو . وله كتاب[2] « التنبيه على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسـلمين فى رأيهم واعتقاداتهم » ، وهو كتاب عظيم . لم يُصَنَّف مثلُه ، وغير ذلك . وُلِد سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، ومات فى رجب سنة إحدى وعشرين وخمس مئة [بِبَلَنْسِيَة][3] .

(١) انفردت مس بذكر واو العطف بين أسماء الـكتب هنا ، وهى غير موجودة فى ط ولا فى بغية الوعاة للسيوطى ، جريا على عادته فى ذكر كتب المؤلفين .

(٢) من هنا إلى قوله : « لم يصنف مثله » من عبارة المؤلف ؛ وليس من كلام السيوطى فى البغية . وعبارة السيوطى : « كتاب سبب اختلاف الفقهاء » . واسم هذا الـكتاب فى كشف الظنون : « تنبيه على الأسباب الموجبة للخلاف بين المسلمين » . وقد طبع هذا الـكتاب بمطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣١٩ هـ باسم « الإنصاف فى التنبيه على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم » .

(٣) زيادة عن « بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » للسيوطى .

مثال من شعره

ومن شعره :

أخو العلم حيٌّ خالدٌ بعد موته وأوصالُه تحت التراب رَميمُ
وذوالجهل مَيْتٌ وهوماش على الثَّرى يُظَنُّ من الأحياء وهو عديم

ذُكِر فى جمع الجوامع . انتهى كلام السيوطى فى الطبقات .

تأليف خاص لابن خاقان فى التعريف بابن السيد

[ترجمة ابن السِّيد البطليوسىّ]

[للفتح ابن خاقان]

ورأيت تأليفا [1] بديعا للفتح ، صاحب القلائد والمطمح ، ضمَّنه التعريف بهذا الإمام ابن السِّيد خاصة ، وهأنا أورده بجملته ، لغرابته وفصاحته وبلاغته ، وإن كان فيه بعض ما هو من قبيل الهزل ، الذى الإعراضُ عنه أولى ، وقد جرت عادة الأشياخ بذكر مثل ذلك ، وحسبك ما ذكره الإمام السيوطى آنفا فى حق ابن السِّيد . وقد اغتفر الناس المقامات ، مع ما فيها من سخيف المقالات ، والأعمالُ بالنيات .

مقدمه تأليف الفتح

[٥٨٧] قال ذو الوزارتين الكاتب أبو نصر ، الفتح بن عُبيد الله المعروف بابن خاقان ، رحمه الله :

أما بعدَ حمدِ الله الذى جعل الليل لباسا ، وأزال عن قلوبنا شكا والتباسا ؛

(١) ذكر بروكلمان (Brockelmann) ضمن مؤلفات الفتح بن خاقان كتاب ترجمة عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى ، وذكر أن منه نسخة خطية بمكتبة الأسكوريال رقم ٤٨٨ ومن حسن الحظ أن الكتاب قد نقله المقرى هنا كاملا . ويؤخذ من كلام الفتح فى مقدمته أنه جزء من كتاب كبير ألفه فى تراجم عظماء الأندلس ، ثم منعته أمور من إذاعته ، وخاف عليه الدثور ، فاستخرج منه هذه الترجمة الفريدة ، وجعلها عنوانا يدل على الكتاب وقيمته .

(٢) فى م : « المجلس » .

وأرانا من الهُدَى مَنارا ، وجعل لنا من الشجر الأخضر نارا ، وخلَقَنا أطوارا ، وأطلع لنا شموسا وأقمارا ؛ تدلّ على حكمته ، ويُسْتَدَلّ بها على مقدار نِعمته .

والصلاةِ على نبيه الذى بعثنا من مرقد الضلاله ، وجلّى عنا غياهبَ الجهاله ؛ فظهر الرشاد بعد احتجابه ، وتوارى الغَىُّ فى حجابه ، صلّى الله عليه وسلم تسليما .

فإنى لمّا فرغت من الكتاب الذى أبديت به للإحسان مَبْسِما ، وجعلته لمحاسن الثناء مَوْسما ؛ وجلوت فيه أبْكار المفاخر وعُونَها ، وخَصَصْت به نُكَت المآثر وعُيونَها ، وشَمْشَمْتُ فيه المحاسنَ وَرَوَّقتُها ، وفَتَقْتُ فيه كمائم البدائع وشققْتها ؛ حتى أتت أزهى من الحديقه ، وأبهى من مُلك النُّعْمان بين الشقيقه ؛ يتمنى السِّحْرُ أن يَحُلَّها ، والعيون النُّجْل أن تُكْحَلَها ؛ فصارت به لأهل الأندلس ألْسُن مفتخِره ، وانتشرت لمعاليهم عظام نَخِره ؛ ورأيت فيه فضل الأواخر على الأوائل ، وجَرْيتُ به أمَام سحبان وائل ؛ وملكت بسببه كل قِياد ، وتركت ورائى قُسَّ إياد ؛ وكان لى فيه أملٌ ثنانى أن يُجْلى ، وعَدانى أن يُنَصّ ويُتلَى ؛ فطويتُه طى السِّجلِّ ، ولويته لَىَّ مُحَيَّا الخَجِل ؛ وتركته كالبدر فى السرار ، وأخفيته كما خفِي فى الغمِد ماضى الغِرار ؛ والخواطر تهيم به أعظم هَيْم ، وتستمطره استمطار المَحْلِ للدَّيْم ؛ والنفوسُ تتشوف إليه ، تشوُّف الضالّ للمرشد ، والآذان تُصِيخ إليه ، إصاخة الناشد للمنشد ؛ وأنا أجعل لِقاحه حِيالا ، ولا أريه طَيْفا ولا خيالا ؛ ثم خشيتُ أن يكسوَ الزمان جوهرَهُ عَرَضا ، ويتخذ الحِدْثان بدرَهُ غَرَضا ؛ فَتُمْحى من وجه الزمان غُرَّتُه ، وتسقط عن جبين الدهر دُرَّتُه ؛ ومالُمِحَ منه عُنوان ، ولا شِيم منه ما فيه سُلْوان ؛ فتذوب النفوس عليه كَمَدا ، وتُحْشَى عيون الذكاء بعده رَمَدا ؛ فرأيت أن أستخرج من أخباره خبرا يدلُّ عليه ، دِلالة اللفظ على المعنى ، واللحظ على المَغْنَى ، وينبئ عنه ، إنباء [٨٨

النسيم على الزَّهَر ، ويشير إليه ، إشارة الشاطئ إلى النَّهَر .

ولما كان الفقيه الأجلّ ، أبو محمد عبد الله بن السِّيد — أدام الله عُلُوَّه — تاجَ مَفرِقه ، وهلال أُفقِه ، ومَهَبَّ نفح صُواره ، [ومَحْلَى أنواره] ، ومجلى أنجاده وأغواره ؛ وكنت قد أحكمت نَسْق أخباره وسرْدها ، وفوَّفْتُ مُطْرَفَها وبُردها ؛ وأطلعْتُها قمرا ، وجعلتها سَمَرا ، إذ هو أزخر علمائنا بحرا ، وأوسعهم نحرا ؛ وأحسنهم خواطر ، وأسكبهم مواطر ؛ وأسيرهم أمثالا ، وأعدمُهم مثالا ؛ وأصدقهم لسانا ، وأعمُّهم إحسانا ؛ وأرفعَهُم رايه ، وأبعدهم غايه ؛ ومحاسنُه أعذب جِماما ، وأصفى غَماما ؛ وأظهر إعجازا ، وأحسن صدورا وأَعْجازا — رأيت أن أفرد كتابا فى أخبَاره ، وأجرِّد ذُبابا فى إعظامه وإكباره ؛ ليَبينَ به فضل من ضمَّنتُه تصنيفى ، ويُعلم بأخباره ما أودعت فى تأليفى ؛ ويُرى أنه قطرة من غمام ، ودُرَّةٌ من نِظام ؛ وصبيح يدل على نهار ، ونفْح صَدَر عن حدائق وأزهار .

والله المولِى العون ، والكفيل بالكَلاءة والصون ، لا رب غيره .

ثناء ابن خاقان على ابن السيد

الفقيه الحافظ ، الإمام الأوحد ، أبو محمد : هو عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوْسِىّ ؛ وشِلْبُ بيضتُه ، ومنها كانت حركة أبيه ونهضته ؛ وفيها كان قَرارُهم ، ومنها نَمَّ آمُهُمْ وعَرارُهم ؛ ونُسِب إلى بَطَلْيَوْس ، لمولده بها ؛ ومن حيثُ كان فقد طبَّق الأرض علما ، وملأَها ذكاءً وفهما .

[٥٨٩] وأنا أقول : لو أن للأيام ألْسُنا ناطقه ، وأوصافا مُتناسِقه ؛ تردّد فُنون بيانها ، كالطير تُرَجِّع على أفنانها ، ما جَرَتْ إلى إنصافه ، ولا دَرَت بعض أوصافه ؛ ولو أنى أُمْدِدْت ببيان سَحْبان وأُيِّدْت تأييد لسانِ حسّان ، وأعارنى

ابن صُوحانَ[١] الفصاحه ، وعلمنى خالد بن صَفوان[٢] إيضاحه ، لما أعربت عن مقداره الرفيع ، ولا أغربت بما أنحوه له من التعظيم والترفيع ؛ فكيف بلسان [قد] فُلّ غِراره ، وبَنانٍ قد ذَوَى رَندُه وعَراره ؛ وخاطر قد ارتمى فى لُجج الأخطار ، ووُخِز بأطراف القَنَا الخَطَّار ؛ فما تُذِلّ له عَصِىٌّ إحسانه ، ولا تَحُل النوائب عُقْدة من لسانه ؛ فحسْبى أن أقتصر من وصفه على لَمْحه ، وأُعَطِّرَ من عَرْفه بنفْحه ، فأقول :

حظه من العلوم والمعارف

إنه ضارب قِداح العلوم ومُجيلها ، وغُرَّة أيامنا البَهيمة وتحجيلُها ، لو أدركه قَيْس لما قضى للحِلم وِترا ولا شَفْعا ، ولو عاصره ابن العاصِى لما ادّعى ضُرًّا ولا نفعا ؛ حَلَبَ الدَّهرَ أَشْطُرَه ، وتلا حروفه وأَسْطُرَه ؛ وخدم الرِّياسات ، وعَلِم طُرُق السِّياسات ؛ ونَفَق وكَسَد ، ووقف وتوسَّد . وهو اليوم شيخُ المعارف وإمامها ، ومن فى يديه مِقودها وزِمامُها ، لَدَيه تُنْشَد ضوالُّ الأعراب ، وتوجد شوارد اللُّغات والإعراب ، إلى مَقْطَعِ دَمِث ، ومَنْزع فى النفاسة غير مُنتكِث ؛ ونَدًى خَرَق به العوائد ، وأورق عودُه فى يد الرائد ؛ وعَفافٍ كَفّ ، حتى عن الطَّيْف ، وحكَى المُحْرِمين بالخَيْف ؛ ولقد نزلتُ منه بالتَّقىّ الطاهر ، ولقِيت منه ما لقى عوف بن محلِّم من ابن طاهر[٣] ؛ ورأيتُ نارَ مكارمه تَتَأَلق ، وبت كأنما على النار الندى والمُحَلَّق ؛ وله تحقق بالعلوم الحديثة والقديمه ، وتصرف فى طرقها المستقيمه ؛ [٥٩٠] ماخرج بمعرفتها عن مِضمار شرع ، ولا نَكَّب عن أصل للسنة ولا فرع . وتواليفه

(١) يريد صعصعة بن صوحان من أصحاب على بن أبى طالب ، وكان من أخطب الناس . (انظر المعارف لابن قتيبة) .

(٢) خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم المنقرى التميمى البصرى كان لسنا بينا خطيبا ، عاش إلى قيام دولة بنى العباس . (انظر العارف) .

(٣) يشير إلى منزلة عوف بن محلم الشيبانى عند عبد الله بن طاهر بن الحسين والى خراسان للمأمون ، وكان من المختصين به ، المقربين إليه .

فى الشروحات وغيرها صُنوف ، وهى اليوم فى آذان الأيام شُنُوف . فمنها « المقتبس ، فى شرح موطأ مالك بن أنس » . و « الاقتضاب ، فى شرح أدب الكتّاب » . وكتاب « التنبيه على السبب الموجب لاختلاف العلماء ، فى اعتقاداتهم وآرائهم ، وسائر أغراضهم وأنحائهم » ، وغير ذلك مما يشتمل عليه هذا الموضوع ويحفيه ، ويُوقف على تفسيره فيه .

وقد أثبتُّ من محاسنه التى تدور جِرْيالا ، ويصير الحبر بقصتها نيالا[1] ، ما يُنْشِى ويُسْكِر ، ويحمده الوَسْمىُّ المُبْكِر .

وصفه مجلس القادر بن ذى النون

فمن ذلك أنه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطُلَيْطِلة ، فى المُنْية المتناهية البهاء والإشراق ، المُباهية لزوراء العِراق ؛ التى يَنْفَح شذاها العَطِر ، ويكاد من الغضارة يُمْطِر ، والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوَقار وارتداه ، وحكَّمَ العُقَارَ فى جوده ونَدَاه ؛ والمجلس يشرق كالشمس فى الحَمَل ، ومَنْ حَواه يبتهج كالنفس عند مَنال الأَمل ؛ والزهرُ عَبِق ، وعلى ماء النهر مُصطبِحٌ ومُغتَبِق ؛ والدُّولاب يئنُّ كناقة إثْرَ حُوار ، أو كثكلَى من حرّ الأُوار ؛ والجوّ قد عنبرته أنواؤه ، والروض قد بلّته أنداؤه ؛ والأسْد قد فغرت أفواهَها ، ومَجّت أمواهَها ؛ فقال — رحمه الله — يصف الحال :

يا منظرًا إن رمقتُ بَهْجَتَه ... أذكَرَنى حسنَ جَنَّةِ الخُلْدِ
تُرْبة مِسْكٍ وجَوُّ عَنْبرةٍ ... وغيمُ نَدٍّ وطَشُّ ما وَرْد
والماء كاللازَوَرْدِ قد نَظَمَتْ ... فيه اللآلى فواغرُ الأُسْد [٥٩١]
كأنما جائل الحَباب به ... يلعَبُ فى حافَتَيه بالنَّرْد
تراه يُزْهَى إذا يَحِل به الـ ... قادر زَهْوَ الكَعَاب بالعِقْد

(١) كذا فى الأصول .

تخالُه إن بدا به قمـــــرا تمًّا بدا فى مَطالع السـعدِ
كأنما أُلبستْ حـــــدائقه ما حاز من شِيمة ومن مجد
كأنمـــــا جادها فروّضها بوابل من يمينـــــه رَغَد
لا زال فى عزة مُضاعفـــة ميَمَّم الرِّفـــدِ وارِىَ الزَّنْد

وله يصف فرسا

وله يصف فرسا ، وهو مما أبدع فى التمثيل له والتشبيه ، ونبَّه خاطرَه فيه أحسن تنبيه ، وخلع عليه شِياتِ لاحقٍ والوَجيه ؛ وعمّه بالمحاسن وتوّج ، ونسبه إلى الخَطّار وأَعْوَج[1] :

وأَقبَّ من آل الوَجيه ولاحقٍ قَيْدُ العيون وغاية المتمثِّـلِ
مَلَكَ النواظرَ والقلوبَ بحسـنه فمتى تَرَقَّ العينُ فيه تَسَهَّل
ذو مَنْخِرٍ رَحْبٍ وزَوْر ضـيِّقٍ وسَماوَةٍ خِصْبٍ وأرض مُمْحِل
قَصُرت له تِسْـع وطالت أربع وصَفَتْ ثلاث منـه للمتأمِّل
وتراه أحيانا لعزة نفســـــه يرنو — بلاقَبَـلٍ — بعين الأقبل
وكأنما سال الظلام بمتْنـــه وبدا الصـباح بوجهه المتهلِّل
وكأن راكبه على ظهر الصَّـبا من سرعة أو فوق ظهر الشَّمأَل

وله يصف فرسا للظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون رحمه الله :

وأدهمَ من آل الوَجيه ولاحقٍ له الليـلُ لَوْنٌ والصباح حُجولُ
تَحيَّر ماء الحسن فوق أديمه فلولا التهابُ الخَصْر ظلّ يسيل
كأن هلال الفِطْر لاح بوجهه فأَعيُننا شوقا إليه تميـــــل
كأن الرياح العاصفاتِ تُقِـلّه إذا ابتَلّ منـه مَخْزِم وتَلِيـل

(١) لاحق ، والوجيه ، والخطار ، وأعوج : أفراس مشهورة عنـد العرب بالعتق والكرم .

إذا الظافر الميمون فى متنه علا بدا الزهوُ فى العِطفين منه يجول
فمن رام تشبيها له قال مُوجِزًا وإن كان وصف الحسن منه يطول [٥٩٢]
هو الفَلَكُ الدوَّار فى صَهَواته لبــدر الدياجى مَطلع وأفول

وله فى وصف الراح

وما أبدع قوله فى وصف الراح ، والحض على النبذ للهموم والاطراح ، بمعاطاة كئوسها ، وموالاة تأنيسها ؛ ومعاقرة دِنانها ، واهتصار ثمار الفُتُوَّة وأفنانها ؛ والإعراض عن الأيام وأنكادها ، والجرى فى مَيْدان الصَّبْوة إلى أبعد آمادها :

سَلِّ الهمومَ إذا نبا زمنٌ بمُدامةٍ صــــفراءَ كالذَّهَبِ
مُزجتْ فمنْ دُرٍّ على ذهبٍ طافٍ ومن حَبَبَ على لَهَبِ
وكأنَّ سَاقِيَها يثير شَــذَا مِسْكٍ لدى الأقوام مُنْتَهَبِ

ولله هو ! فقد نَدَب إلى المندوب ، وذهب إلى مداواة القلوب ، من النُّدوب ، وإبرائها من الآلام ، وإهدائها كل تحية وسلام ؛ و إبهاجها بآصال و بُكَر ، وعلاجها من هموم وفِكَر ؛ فى زمن حَلِىَ عاطلُه ، وجُلِّى فى أحسن الصُّور باطله ، ونَفَقَت مُحالاته ، وطَبَّقتْ أرضَه وسماءه استحالاتُه ؛ فلبيبُه كاسد ، وذِيبه مستاسِد ؛ وأحْفاشُه[1] تَنَمَّر ، و بَغاثه قد استنسر ؛ فلا استراحة إلا فى مُعاطاة حميّا ، ومؤاخاة وسيم المحيَّا .

ولابن عمار فى مثله

وقد كان ابن عَمَّار ذهب مذهبَه ، وفضَّضه بالإبداع وذهَّبَه ، حين دخل سَرَقُسْطه ؛ ورأى غَباوة أهلها ، وتكائُف جهلها ؛ وشاهد منهم من لايعلم معنى ولا فصلا ، وواصل من لايعرف قطعًا ولا وصلا ؛ فأقبل على راحه يتعاطاها ،

(١) أحفاش الأرض : ضبابها وقنافذها . والذى فى الأصول : «أخفائه» ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .

وعكف عليها ما تعدّاها ولا تخطاها ؛ حتى بلغه أنهم نَقَموا معاقرتَه للعُقار ، وجالت ألسنتُهم فى توبيخه مجال ذى الفِقار ، فقال :

نَقَمْتم علىّ الراحَ أُدْمِنُ شُرْبَهـا ... وقلتم فَتَى راحٍ وليس فتَى مجـدِ
ومن ذا الذى قاد الجيادَ إلى الوغَى ... سِوايَ ومن أعطى الكثيرَ ولم يُكْد [٦٩٣]
فديتكمُ لم تفهموا السرَّ إنمـا ... قَلَيتكمُ جُهْدِى فأبعدتكمْ جُهْدى

وللمترجم فى وصف مجلس أنس

ودُعى ليلة إلى مجلس قد احتشد فيه الأنس والطرب ، وقرع السرورُ نبعَه بالغَرَب ؛ ولاحت نجوم أكواسه ، وفاح نسيم رَنْده وآسه ؛ وأبدت صدورُ أباريقه أسرارها ، وضمت عليه المجالس[1] أزرارها ؛ والراح يديرها أهيف وأوطف ، والأمانى تُجْنَى وتُقْطَف ، فقال :

يا رُبَّ ليلٍ قد هتكتُ حجابَه ... بمدامةٍ وقَادة كالكوكبِ
يَسْعَى بها أحوى الجفون كأنَّهَا ... من خَدِّهِ ورُضاب فيه الأشنب
بدران : بدر قد أمنت غروبه ... يَسْعى ببـدر جَانحٍ للمغْرب
فإذا نعمتَ برشْفِ بدر غارب ... فانْعَمْ برشفة طالع لم يَغْرُب
حتى ترى زُهْر النجوم كأنهـا ... حول المَجَرَّة رَبربٌ فى مَشْرَب
والليـل مُنْحَفِزٌ يطيرُ غرابُه ... والصبح يطردُه بباز أشهب

وله يمدح بعض الأعيان

وقال يمدح بعض الأعيان ، وهى قصيدة اشتملت على المحاسن اشتمال الليل ، وانفردت بالمحاسن انفراد سُهَيْل ؛ ودَرَّت فيها أخلافُ الإبداع ، وزُرَّت عليها جيوبُ الانقطاع ، وأفصح فيها لسانُ الإحسان ، وسَحَّ عليها عَنانُ الأفتنان ؛ فجاءت بالإغراب محفوفه ، ولاحت كالخريدة المزفوفه .

(١) لعلها : « المحاسن » .

وسمّت السّيّئ الاعتقاد، الغبيّ الفهم والانتقاد، الكافرَ المُلْحِد، المنافر لمن يعظّم الله ويُوَحّد؛ الذى ما نَطَق مُتَشَرّعا، ولا رُمِق مُتَوَرّعا؛ ولا أقر بباريه، ولا قرّ عن جريه فى مَيدان الغَيّ وتباريه؛ يَدَّعِى مدحها، ويقول: إنّه إليه بعثَ نَفْحَها؛ وإنه الذى افتضّ عُذرتها، وقَطَف زَهرتها. وحاشا لقائلها أن يَمدح بها المذموم، ويَنْضَح بكوثرها نَفْحَ سَمُوم؛ أو يُشَرِّف بها وضيعا، ويُرْضِع ثديها مَنْ غدا للؤم رَضيعا، وهى:

[٥٩٤] أما إنه لولا الدُّموع الهوامعُ ... لما بان منى ما تُجِنُّ الأضالعُ
وكَمْ هتكتْ سِتْرَ الهوى أعيُن الْمها ... وهاجت لىَ الشوقَ الديارُ البلاقع
خليلىَّ مالى كلما لاح بارق ... تلظَّى الحشا وارفضَّ مِنّى المدامع
هَلِ الأُفْق فى جنبىّ بالبرق لامِعٌ ... أم المُزْن فى جفنىّ بالودْق هامع
ففى القلبِ من نار الشُّجون مَصايفٌ ... وفى الخدِّ من ماء الشئون مَرابع
وما هاجَ هذا الشوقَ إلا مُهَفْهَفٌ ... هو البَدْرُ أو بدرُ الدُّجى منه طالع
إذا غاب يومًا فالقلوب مَغارِبٌ ... وإنْ لاح يومًا فالجيوب مَطالِع
يُضرِّجُ خَدَّيه الحياء كأنما ... بخدَّيه من فَتْك الجُفون وَقائع
رَمانىَ عن قوسِ المَحاجرِ لَحْظُه ... بسهمٍ غَدَا من مُهجتى وهو وادِع
وما زلتُ من ألحاظه مُتَوَقِّيًا(١) ... ولكنّه ما حُمّ لا بدّ واقع
يَرِقّ فتُور اللّحظ منه كأنّهُ ... إلى قلبه من قَسْوة الهَجْر شافع
كما رقّ بالآداب طَبْعُ محمد ... فما كَتَمَى الأحْبابِ منه الطّبائع
رَخِيمُ حواشى الطّرف حُلْوٌ كأنما ... سجاياه أيامُ السُّرور الرّواجع

* * *

(١) فى الأصول: متوقعا؛ ولعله محرف عما أثبتناه.

أبا بكرٍ أستوفيتَ زُهْرَ محاسنٍ تُنافِسها زُهْرُ النجومِ الطَّوالعُ
قدحتُ زِنادًا من ذَكائك لم يَزَلْ يُنير فتَغْشى البارقاتُ اللوامع
وما ذاكَ عن نَيْلٍ لديك رجوته فيَصْدُقَ ظنٌّ أو يُكذَّبَ طامع
ولا أنا ممن يَرتضى الشعرَ خُطَّةً فتجذبَه نحوَ المَلوك المطامع
ولكنّ قلبًا بين جنبيّ قد غدا يجاذبنى فيك الهوَى ويُنازِع
طَوَى لك من مَحْض الوِداد كمائنًا تَبَدَّت لها فوق اللسان طلائع
أأزعمُ[1] فى نظم البديع ولم يَزَلْ لك السَّبْقُ فيه والوَرَى لك تابع
وأىُّ مقال لى وقولُك سائرٌ وأىُّ بديع لى ومنك البدائع

وله يتغزل

وقال يتغزّل ، وتصرّف فيه تصرفَ غَيْلانَ مَىّ ، ووصفَ كلَّ حَوْراء وحىّ ، وذكر العِشق ، وارتاد الإبداع ، حتى عدا به مِصره ، فأجاد معانيَه ، وأشاد مبانيَه :

تَأَوَّبَه من هَمِّه ما تأوَّبا فبات على جَمْر الأسى متقلِّبا
مَرَتْ مُزْنَ عَينيه غداةَ تحمّلوا عواصفُ ريح الشَّوق حتى تصبَّبا
دُموعٌ هتكْنَ السِّترعن مُضمر الجَوَى وأبدين من سِرِّ الهوى ما تغيَّبا
خَليلىّ مالِى كلما لاحَ بارقٌ تذكّرتُ بَرقًا بالعَقيق وزَيْنَبا
أُؤَنِّسُ بالنائين نَوْمًا مُشرَّدًا وأُطْمِعُ بالثاوين[2] قلبًا مُعَذَّبا
وَمَنْ لى بردِّ الخِل إذ جَدَّت النَّوَى به وبوصل الحَبْل أن يَتقَضَّبا
أفِى كلِّ حين أمْتَرِى غَرْبَ مُقْلَةٍ أَبَى الوَحْدُ إلا أن تَجُودَ فتُغْرِبا[3]

(١) يقال زعم يزعم زعامة (من باب شرف) : بمعنى ساد ورأس .
(٢) فى الأصول : « بالثامين » ولعلها محرفة عما أثبتناه ، أو عن كلمة بمعناها .
(٣) يقال : أغرب الساقى : إذا أكثر الغرب ، أى الملء ، وأغرب الحوض والإناء : ملأهما .

إذا عنَّ لى ظَبْيٌ بوجْرَةَ شادنٌ تذكَّرْتُ مَنْ عَنَّى الفؤادَ وعَذَّبا
وأرْتاح للأَرْواح من نحو أرضها وتَثْنِي عِنانى للصَّبا نَفحةُ الصَّبا
ولولا الْتهابُ الشَّوق بين جوانحى لأمرعَ خدّى بالدُّموع وأعْشَبا
ألا قاتلَ الله الهَوى كيف قادَنى إلى مَصْرَعى طوعًا وقد كنتُ مُصْعَبا[1]
وما كنتُ أخْشى أن أبيتَ مُعذَّبا بعَذْب رُضابِ مَنْ حَمَى الثغرَ أشْنَبا
وخَدٍّ أُلاَقِى دُونَ شَمِّ رياضِهِ من اللحظ هِنديًّا وللصُّدغ عَقربا
أجِدَّك لم تُبْصر تألُّق بارقٍ يُجِدُّ نَشاطا[2] فى ذُرى الأفق أهدبا
إذا ما بدا فى الجوّ أحمرَ ساطعًا حَسِبْت الظلامَ آبنُوسا مُذَهَّبا
كأنّ الرِّياضَ الحُوَّ غِبَّ سمائه تَرَدَّيْنَ وَشْىَ العَبْقرىّ المخلَّبا[3]
كأن الشَّقيقَ الغضَّ والفجرُ ساطعٌ خدودٌ زهاها الحسنُ أن تَتنقبا
تَمَتَّعْ بريْعان الشَّباب وظلِّه فلا بُدَّ يومًا أن يَبينا ويَذْهبا
فما العيشُ إلاّ أن تَروح وتَغْتدى مُحبًّا بَرَاه سُقْمُه أو مُحَبَّبا

* * *

بينه وبين أبى الحسن راشد وقد دعاه إلى مجلس أنس

وكتب إلى الكاتب أبى الحسن راشد يستدعيه إلى مجلس قد لاحت شموسُ مُدامه، وارتاحت نفوس نِدامه، وتأوَّدت تأودَ الغُصون قدودُ خُدَّامه :

عندىَ مِشْكودٌ[4] من الخَمْر عَبِقْ
فيه مُنًى مُصْطَبِحٍ ومُغْتَبِقْ
يحكِى شذَا المسكِ إذا المسكُ فُتِقْ
كأنهُ من خُلُقِكَ الحُلْوِ خُلِقْ

(١) المصعب من الإبل : الفحل الذى لا ينقاد . (٢) هذه الكلمة غير ظاهرة فى الأصول . وهى فى ص أقرب إلى ما أثبتناه . (٣) المخلب (كمعظم) : الكثير الوشى . (٤) فى الأصول : « مسكود » ، ولا معنى له . ونظنه محرفاً عما أثبتناه . والمشكود : الممنوح .

كأنما كئوسه تحت الغسق
فى راحة الساقى نجومٌ تأتلق
تخالها وهى تلظّى كالحرق
أحشاء صبٍّ مُلئت من الحُرق
ترى لدى المزج إذا الماء اندفق
فيها حبابًا لاح كالدر النسق
وأنت أنسى والمفدّى بالحدق
فاطلعْ طلوع القمر التمّ اتسق
فى يومنا هذا إذا الظهر نطق
ياراشدًا إذا دُجى الغىّ غسق
وماجدًا قد حاز فى السّبْق السّبق
لله معْنًى طابقَ اسمًا لكَ حق
توافقا فيك إذا الاسمُ اتفق

فراجعه راشد : [٥٩٦]

لبّيْكَ من داعٍ إلى العيش الغدق
فى سجْسَج من ظلّهِ غضّ الورق
نُديرُ صفْو الراح صِرْفا قد عتق
وشِبْهَا لونًا وطعما وعبق
وكان يُجْلَى فى مُلاء مِنْ فلق
تحسُده فى حُسنه بيض السرق

ثم كساه الشَّهْد ثوبا من شَفَقْ
بل مِنْ إياةِ الشَّمس من غير رَنَقْ[1]
كأنه من خَـدِّ مَن أهوى استرقْ
كأنّه بريقه العَـــذْب فُتِقْ
فجاء يَشْفِي من جَوًى ومن حُرَقْ
أحلى من الأمْن أتى بعد الفَرَقْ
رضيتُه مُصْطَبَحا ومُغتَبَقْ
على رياض أدَبٍ ذات أنَقْ
أجْنيْنَ ما أهوَى وأذهبنَ القلَقْ
عند فتًى ندْبٍ عَبيريّ الخُلُقْ
مؤتزرٍ بالمـكْرُمات مُنْتَطِقْ
إن قال قدسُدْتُ الورَى قيل صدَقْ

* * *

وله يصف مجلس أنس

وقال يَصف مَجْلس أنس وتصرّف فى وصف سُقاته ، و إقبال الصُّبح لميقاته ، ومَدح الراح بأحسن أسمائها ، وطلوع الفجر هازما لدُجى ليلتهم وظَلْمائها ، و إيقاظ أصحابه من نومهم ، وترْغيبه لهم فى اصطباح يَومهم :

صاحِ نَبِّهْ كلّ صاحٍ يَصْطَبِـحْ فَضْلَةَ الرِّقّ الذى كان اغْتَبَقْ
قهوةً تَحْـكِى الذى فى أضلعى من جَوى الحُب ومن لَفْح الحُرَقْ
بيدَىْ ساقٍ تَرَى فى طَوْقه بَدرَ تِمٍّ قد تجـلّى فى غَسَقْ

(١) فى ط ، س : « زقق » وفى م : « زنق » . ولعلها محرفة عما أثبتناه . والرنق : الكدر .

خِلتُها إذ غربتْ فى ثغره شمسُها أبقت[1] بخديه شفقْ
أفرغ الماء عليها فحكتْ ذائب الإبريز أو ذوبَ وَرِقْ
إنّ مِسْكَ الليل قد أعقبه مِنْ سَنَى الإصباح كافورٌ عَبِقْ
فكأنّ الفجر عينٌ فُجِّرتْ وكأنّ الليلَ زنجىٌّ غرِقْ
وكأنّ الأنجم الزُّهْر مَهًا راعه السِّرْحان صُبْحا فافترقْ

* * *

وله فى الزهد

وقال فى الزهد ، وهو غرض قد أكثرَ القول فيه ، والضراعةَ لباريه ؛ وراشَ أنواعه وبَرَى ، وحَلَب فُنونه ومَرَى ؛ وذلك مما يدل على وَرعه ، وصفاء منهله فى التقى ومشْرَعه ؛ فكثيرا ما يُعْلِن به ويُسِرّ ، ويَطلُع على لسانه مُتمِّما ولا يَسْتسِرّ :

إلهِى إنى شاكر لك حامدُ وإنى لَساعٍ فى رضاك وجاهدُ [٥٩٧]
وإنّكَ مهما زَلّتِ النَّعلُ بالفتى على العائد التوّاب بالعفو عائد
تباعدت مَجْدًا وادّنيتَ تَعطُّفًا وحِلْما[2] فأنت المُدَّنى المتباعد
ومالى على شىء سواك مُعَوَّلٌ إذا دَهمَتْنى المُعْضِلات الشدائد
أبغيرَك أدعو لى إلهًا وخالقا وقد أوضح البرهانُ أنك واحد
وقِدْمًا دعا قومٌ سواك فلم يَقُم على ذاك برهانٌ ولا لاح شاهد
وبالفَلَكِ الدَّوارِ قد ضلّ مَعْشرٌ وللنَّيِّرات السبع داعٍ وساجد
وللعقل عُبَّاد وللنفس شِيعة وكلُّهم عن مَنهج الحق حائد
وكيف يَضِلُّ القصدَ ذُو العلم والنُّهَى ونهجَ الهُدَى من كان نحوَك قاصد[3]

(١) فى م : « أبدت » .
(٢) كذا فى قلائد العقيان . وفى الأصول : « علما » .
(٣) كذا فى الأصول وقلائد العقيان .

وهَلْ فى الَّتى طاعُوا لَهَا وتعبَّدوا ... لأمرك عاصٍ أو لحقِّك جاحدُ
وهل يوجد المَعْلُول من غير علة ... إذا صحَّ فِكرٌ أوْ رأى الرشدَ راشد
وهل غِبتَ عن شىء فيُنكِرَ مُنْكِرٌ ... وُجودَك أمْ لم تَبدُ منك الشواهد
وفى كل مَعْبودٍ سواك دلائلٌ ... من الصُّنع تُنْبِى أنه لك عابد
وكلُّ وُجودٍ عن وُجودك كائن ... فواجدُ أصناف الوَرَى لك واجد
سَرَتْ منك فيها وَحْدَة لو مَنَعتَها ... لأصبحتِ الأشياء وهى بَوائد
وكم لكَ فى خَلق الوَرى من دلائلٍ ... يَراها الفتَى فى نَفْسه ويُشَاهد
كفى مُكْذِبا للجاحديك نفوسُهم ... تُخاصمهم إن أنكروا وتُعانِد

* * *

وله يمدح الظافر ابن ذى النون

وقال يمدح الظافر عبدَ الرحمن بن عُبَيْد الله بن ذى النُّون ، وهو مدحٌ طابق الممدوح ، ووصفٌ شاكله كالروض والغمام السَّفوح ؛ فنظم الدُّرَّ بأبهَى جِيد ، وقلَّد الفخرَ أعلى مَجيد ؛ ووضع العِلق فى يدَىْ مُمَيِّزه ، وأَجْرى الجواد فى ميدان مُجَوِّزه ؛ لم يحمله إلى غير موضِع نِفَاق ، ولا شام به مَخِيلَةً ذات إخفاق ؛ فإنه كان أندى مِنَ الغيْث ، وأمضى من الليْث ؛ وأذكى من الحُسام ، وأبهى من البدر ليلة التَّمام ؛ حتى خاض هَوْلًا لم يَسْرِ فيه إلى صُبح ، وسَلك شِعْبا لم يَنْشَ[1] منه بريح ؛ فصافح المنايا ، وطَلَع له غيرَ مَعهود الثنايا ؛ والشعر قولُه :

[٥٩٨] لعلكمُ بعد التَّجنُّب والهَجْرِ ... تُدِيلونَ من بُعْدٍ وتَشْفُون من ضُرِّ
فإن الذى غادرتمُ بينَ أضْلعى ... يزيد على مرِّ الزمان وَيستشرى
ولم تُنْبِكم عَنِّى النَّوَى غيرَ أنكم ... رحَلتم من الجَفْن القريحِ إلى الفِكر
ومِنْ عَجبٍ أنِّى أسائلُ عنكمُ ... ومنزلكمْ بين الجوانح والصَّدْر

(١) يقال : نشى منه ريحا ، أى شمها . والباء هنا : زائدة .

وأستعطف الأيام فيكم لعلّها تُعيد الليالى السابقاتِ كما أدْرى
وأطْمَعُ منها فى الوصال ولم أزَل عليما بما يؤْثِرْنَ من شِيَمِ الغَدْرِ
ويُوحِشُنى حُسْنُ الزّمان لنَأْيكم وإن كنت مأنوسَ الجوانح بالذكر
ولم أنسَ إذْ صَدَّت كما صدّ شادن غَرِيرٌ من الرِّبْعِيِّ[1] أوجس من ذُعْر
تميس كما ماس القضيب على النّقا وترنو كما أغضى الشريفُ من السُّكْر[2]
وما زلتُ صَبًّا بالغوانى تَصيدنى ذواتُ الثنايا الغُرِّ والأوجه الزُّهْر
وعندىَ أحشاء مُلِئْن صَبابةً كألحاظ أجفان مُلِئْن من السِّحْر
ولوعةُ وجدٍ ما تُفِيقُ وظِمْأةٌ لأشنبَ معسول اللّمى طيِّب النَّشْر
وكم فى كِناس السمهرية من رَشًا أغنَّ يقيم العُذْرَ فى الخَلْع للعُذْر
وأهيفَ يَثنيه النسيم إذا جرَى فلو شاء من لِينٍ تَخَتَّمَ فى الخصْر
وساحرةِ الألفاظ لو أنها دَعَتْ بنغْمتها مَيْتا للبَّى من القبر
حسَرت قناع السِّتر فيها ولم يكن يطيب الهوى يوما لمن دان بالسِّتْر
ولله ليلٌ باللِّوَى أبعدَ الجوَى وقرَّب نحرًا مِنْ مَشُوق إلى نَحْر
فما شئتُ من شكوَى أرَقَّ من الهوَى وما شئتُ من نَجْوَى ألذَّ من الخمر
سَرَتْ لم تمسَّ الطِّيبَ عُجْبًا بحُسْنِها وقد أفْعَمَتْ عُرْضَ البَسيطة بالعِطْر
فقلت : عُبيد اللهِ أو نجلُه سَرَى فذكَّرَنى دَارِينَ أو بتُّ بالشِّحْر
كأنّ ضياء الصُّبح فى الليل إذ سَرَى بصيرةُ إيمان سرت فى عَمَى كفْر
كأنّ مَهًا فى الأفْقِ رِيعتْ وقد بدا لها ذنبُ السِّرْحانِ مِنْ وَضَحِ الفجر
كأنّ سَنَى الشمس المنيرة إذ بدا كسا ورق الإصباح ذَوْبا[1] من التبر
وإلاّ فوَجْه الظافر المَلِك انجلى فجَلَّى ظلام النَّقْع فى الجَحْفل المَجْر

(١) الربعى : الحديث الميلاد . (٢) فى م : « السكر » . (٣) فى م : « ثوبا » .

عجبت لأيامٍ تداعتْ خطوبُهـا ... لِتَثْلِمَ من غَرْبى وتقدحَ فى وَفْرِى
ولم تدرِ أنى فى حِمى الظافر الرِّضا ... أَرُدُّ العِـدى عنى بصَمْصَامَتَىْ عَمْرو
[٥٩٩] حلَلْتُ جَنابا منـــــه مَدَّ ظِلالَه ... علىَّ وأعطانى أمانًا من الدهر
جنابٌ بكتْ فيه غمائمُ جوده ... فأضحكْنَ روضَ المجدِ عن زَهَرِ الشكر
وكم نِلتُ مُذْ أصبحتُ أَلْثِمُ كفَّه ... بيمناه من يُمْنٍ ويُسراه من يُسْر
لَدَى ملِكٍ ما لاح ضوء جبينـه ... بجنحِ الدُّجَى إلا كَفَى مَطْلَعَ البَدْر
ومُتَّقِـدِ الآراء لو جال فى الوَغى ... بخاطره أغنَى عن البيض والسُّـمْر
ولولا اضطرام البأس فيه غَدَا القَنَا ... براحتِـــــه يهتزُّ بالوَرَق الخُضر
أَرَى عابد الرحمن رحمةَ من قَسَتْ ... عليه الليالى ، أَمْنَ مَنْ رِيعَ بالفَقْر
وكعبةَ آمال كثيرا حجيجُهـا ... لها حرمٌ فيـــه مشاعرُ للشِّعْر
له من حِجاه بالسماحـــة آمرٌ ... ومن حِلْمـه ناهٍ عن اللغْو والهُجْر
فتًى لم يشـــمِّرْ قطُّ إلا عَنَا له ... عِداه وساقُ الحربِ مُسبَلةُ الأُزْر
ولم يَعترِكْ بُخْلٌ بميـــدان عَدْلِه ... وجَـدواه إلا فاز جَدْواه بالنَّصر
أبا عامر لا زلتَ للمجـدِ عامرًا ... وَقَمتَ العِـدا عنّى برأفـة ماجدِ
وأوسعتَ نُعْمَى ضِقْتُ ذَرْعًا بحملها ... وغَمْرِ نوال سَرَّ إذ ساء ذا الغَمْر(١)
ولمَّا ارتقتْ بى فى سمائك هِمَّتى ... فإن خفَّفَتْ عُمرى لقد أثقلتْ ظهرى
فَحَيَّيْتُ شمس المُلْك فى فَلَكِ العُـلا ... غـدا أخمَصى فوق النَّعائم والنَّسر
أيرجو ضلالا أنْ يُناويك حاسدٌ ... وشِمْتُ سحابَ الجودِ فى بارِقِ البِشر
وأرْسى عبيدُ الله بَيْتَك فى العُـلا ... وقد حُزتَ خصلَ السَّبْق وهو على الإثر
وطَنَّبَه بين السِّماكين والغَفْر(٢)

(١) الغمر (بفتح العين وكسرها) : الحقد . (٢) الغفر : من منازل القمر .

وأصبحتَ كالمأمون تقفو سبيلَه ... كأنك موسى تقتفى أثرَ الخضرِ
وما علتَ صبرًا حين قلَّدك العُلا ... وجاء بأمرٍ من بدائعه أمرى
فللهِ ما شادوا وشِدْتَ من العُلا ... ولله ما حازوا وما حُزْتَ من ذِكر
نَظمتَ شتيتَ المُلك بالعَدْل والتّقى ... وقمتَ بحقِّ الله فى السرّ والجهر
وجاءكَ صومٌ إثْرَ فطْر قضيتَه ... بحظَّين من سعدٍ جزيل ومن أجر
وأدْبر سُقْمٌ عنك بشَّر جسمَه ... بإقبالِ نُعْمَى واتصالٍ من العُمْر
سيملأ شكرى كل قُطْرٍ تحُلُّه ... بنشر ثناء عنك أذكى من العِطْر
وتبقى لكم بين الضُّلوع محبةٌ ... ألاقِى بها الرحمن فى موقف الحشْر

* * *

وله يمدح ابن لبون

وكتب إلى ذى الوزارتين أبى عيسى بن لُبون :

قمْ نصْطبح من قهوة بِكْرِ ... حتى نُرى صَرْعَى من السُّكرِ
أُنُفٍ تناساها الوَرَى حتَّى ... لم تَجْرِ فى بالٍ ولا ذِكر
فترى الدِّنانَ وما حوتْ منها ... كجوانحٍ طُوِيَتْ على فِكر [٦٠٠]
نَفَحَتْ فقُلتُ المسكُ أو ما قدْ ... أحيا أبو عيسى من الذِّكر
لا شَىءَ يحكى طِيبها إلّا ... شِيَمُ عِذابٌ منه أو شكرى
ما زلت أخْبُرُ من محاسنه ... قِدْمًا بعُرفٍ ليس بالنُّكْر
وأحِنّ نحو لقائه طَرَبًا ... كالطَّير إذ حَنَّت إلى وَكر
فالآنَ شاهدتُ الذى يُحْكَى ... ولقِيتُ فيه الفَضْلَ للشُّكْر

تعريف للفتح بابن لبون ومدح ابن السيد له

وكان أبو عيسى ممن رأس وما شَفّ ، ووَكَف جودُه وما كَفّ ؛ وأعاد سوق البدائع نافقه ، ورفع للآمال رايةً من الندى خافقه ؛ وأوردهم منها جودَه مَعِينا ، وزفّ لهم من مَبَرّاته أبكارا وعُونا ؛ فلما بلغه قوله هذا وسمعه ، استنبله

واستبدعه ؛ وأحضره إلى مجلسٍ نَام عنه الدَّهر وغَفَل ، وقام لفَرْط أنسه واحتفل[١] ؛ قد بانت صُروفُه ، ودنت فى الزائرين قُطوفُه ؛ وقال هلُمَّ بنا إلى الاجتماع بمُذهبك ، والاستمتاع بما شئته ببراعة أدَبك ؛ فأقاموا يُعْمِلون كأسَهم ، ويَصِلُون إيناسهم ؛ وباتوا ليلهم ما طرقَهم نَوْم ، ولا عَدَاهم عن طيب اللذات سَوْم .

ودخل سَرَقُسْطة أيام المستعين [بالله] وهى جَنَّة الدنيا ، وفِتنة المَحْيا ؛ ومُنتهى الوصف ، وموقف السرور والقَصْف ؛ مَلِك نَمير البشاشة ، كثير الهشاشة ؛ ومُلْكٌ بَهِجُ الفِناء ، أرِجُ الأرجاء ؛ يَروق المجتلِى ، ويفوق النجمَ المعتلِى ؛ وحَضرةٌ مُنسابة الماء ، مُنجابة السماء ؛ يبسِم زهرُها ، ويَنْساب نهرُها ؛ وتتفتَّح خمائلها ، وتتضوع صَباها وشمائلها ؛ والحوادث لا تعترضها ، والكوارث لا تَقْتَرِضُها[٢] ؛ ونازِلُها من عُرْسٍ إلى مَوسِم ، وآملها متصل بالأمانى ومُتَّسم ؛ فنزل منها فى مثل الخَوَرْنق والسَّدِير ، وتصرف فيها بين روضة وغدير ؛ فلم يَخِفَّ على المستعين [٦٠١] اختلالُه[٣] ، ولم تَخْفَ لديه خِلاله ؛ فذكره مُعْلِما به ومُعَرِّفا ، وأحضره مُنوِّها له ومُشَرِّفا ؛ وقد كان فرّ مِن ابن رَزين ، فرار السرور من نفس الحزين ؛ وخَلَص من اعتقاله ، خلوص السيف مِنْ صِقاله ؛ فقال يمدحه :

هُمُ سلَبُونى حسنَ صَبرى إذْ بانُوا ... بأقمار أطواقٍ مَطالعها بانُ
لئِن غادرونى باللِّوى إنَّ مهجتى ... مسايرةٌ أظْعانَهم حيثُما كانوا
سَقَى عهدَهم بالخَيْف عَهْدَ غمائمٍ ... ينازعها مُزْنٌ من الدمع هَتَّان
أأحبابَنا هل ذلك العهدُ راجع ... وهلْ لِىَ عنكمْ آخِرَ الدهرِ سُلْوان

(١) فى م : « ورفل » .
(٢) تقترضها : تنال منها . (عن تاج العروس) .
(٣) اختلاله : أى سوء حاله .

ولى مقلة عَبْرَى وبين جوانحى ... فؤاد إلى لُقْيَاكُمُ الدهرَ حَنَّانُ
تنكَّرَتِ الدنيا لنا بعد بُعْدِكم ... وحَفَّتْ[1] بنامن مُعضِلِ الخطب ألوان
أناخت بنا فى أرض شَنْتِ مَرِيَّةٍ ... هواجسُ ظنٍّ خُنَّ والظنُّ خَوَّان
وشِمْنا بروقا للمواعيد أتعبَتْ ... نواظرنا دهرا ، ولم يَهْمِ هَتَّان
فسرنا وما نُلْوِى على متعذِّر ... إذا وطن أقصاك آوتكَ أوطان
ولا زاد إلا ما انتشته من الصَّبا ... أُنوفٌ وحازته من الماء أَجْفان
رَحلنا سَوام الحمد عنها لغيرها ... فلا ماؤها صُدًّا ولا النبت سَعْدَان
إلى مَلِكٍ حاباه بالمجد يوسُفٌ ... وشادَ له البيتَ الرفيع سليمان
إلى مستعينٍ بالإله مؤيَّدٍ ... له النصرُ حِزْبٌ والمقادير أعوان
جَفَتْنَا بلا جُرْمٍ كأن مودةً ... نَنَى نحوَنا منها الأعنةَ شَنْآن
ولو لم تُفِدْ منا سِوَى الشعرِ وحدَه ... لحُقَّ لنا برٌّ عليه وإحسان
فكيف ولم نجعلْ بها الشعرَ مكسبا ... فيوجِبَ للمُكدِى جفاءً وحرمان
ولا نحن ممن يرتضى الشعر خُطَّةً ... وإن قَصَّرت عن شأوِنا فيه أعيان
ومن أوهمتْه غيرَ ذاك ظنونُه ... فثَمَّ مجالٌ للمقال وميدان
خليليَّ من يُعْدِى على زمن له ... إذا ما قضى حَيْفٌ عَلَىَّ وعُدْوَان
وهل رِىءَ مِن قبلى غريقُ مدامعٍ ... يَفيض بعينيه الحيا وهو حَرَّان
وهل طَرَفتْ عينٌ لمجدٍ ولم تكن ... لها مقلةٌ من آل هُودٍ وإنسان [٦٠٢]
فوجه ابن هودٍ كلما أعرض الورى ... صحيفةُ إقبال لها البشرُ عنوان
فتَى المجْدِ فى بُرْدَيْه بدرٌ وضيغمٌ ... وبحر وقُدْسٌ ذو الهِضاب وثَهلان

(١) فى ابن خلكان : « وحلت » .

من النفر الشُّمِّ الذين أكفّهم غُيوثٌ ولكنّ الخواطر نيرانُ
لُيوثُ شرًى مازال منهم لدى الوَغى هِزَبْر بيمناه من السحر ثعبان
وهل فوق ما قد شاد مقتدِر لهم ومؤتمَن بالله لُقيـــــاه إيمان
ألا ليس فخر فى الورَى غيرُ فخرهم وإلا فإنّ الفخر زُور وبهتان
فيا مستعينا مُستعانًا لمن نَبا به وطنٌ يوما وعَضّتْهُ أزمان
كسوتُكَ من نظمى قلائدَ مَفْخَرٍ يباهِى بها جِيدُ المعالى ويزدان
وإن قَصَّرْت عما لبِسْتَ فربّما تجاورَ درٌّ فى النِّظام ومَرْجان
مَعانٍ حكت غُنْج الحِسان كأننى بهنّ حبيبٌ أو بَطَلْيَوْس بَغْدان
إذا غرَستْ كفاكَ غرسَ مَكارمٍ بأرضىَ أجنتك الثّنَا منه أغصان

* * *

ولابن السيد يمدح ابن رزين

وكان عند وصوله إلى ابن رَزين قد رفعه أرفع محلّ ، وأنزله منزلَة أهـل العَقْد والحلّ ؛ وأطلعه فى سمائه ، وأقطعه ما شاء من نَعْمائه ، وأورده أصفى مناهل مائه ، وأحضره مع خواصّ نُدَمائه ؛ وكانت دولته مَوْقِف البيان ، ومَقْذِف[1] الأعيان ؛ ومُحَصَّب جِمار الآمال ، وأعذب موارد الأجمال ؛ لولا سَطَواته الباطشه ، ونَكَباته البارية لسهام الرُّزْء الرائشه ؛ فقلما سَلِم منها مُفاد الأموال ، ولا أحمدَ عُقْباه معه صاحبٌ ولا وال ؛ فأحمدَ هو أوّلَ أمره معه ، واستحسن مَذهبه فى جانبه ومَنْزَعه ؛ ولم يَدْر أنّ بعد ذلك الشهد شربَ عَلْقَم ، وأن السّمّ تحت لسان ذلك الأرقم ؛ فقال رحمه الله يمدحه :

عسى عَطفة مِمَّنْ جفانى يُعيدُها فتُقْضَى لُباناتى ويدنو بعيدُها
فقد تُعْتِب الأيام بعـــد عِتابها ويُمْحَى بوصل الغانيات صـدودها

(١) فى ط : « ومقدف » . وفى م : « ومعدن » . وفى ص : « ومقدب » . ولعل الكلمة محرفة عما أثبتناه .

وكم للصَّبا عندى يدٌ لستُ جاحدا لها إنَّ كُفران الأيادى جحودُها [٦٠٣]
ليالىَ أَسْرِى فى ليالٍ غدائرٍ كواكبها حَلْىُ المها وخدودها
وأَهْصِر أغصان القدود فتَنْثَنِى علىَّ برُمّان النحور نهودها
فَلِلّهِ ليلٌ بتُّ فيه كأنَّنى بوَجْرَةَ أغتال المَها وأصيدها
أُبيحُ ثُغورًا كالثغورِ ودُونها أسِنَّةُ ألحاظٍ قَناها قُدُودها
تَشابه منها ماحوته مَباسمٌ عِذابٌ ولَبَّات يَرُوق فَريدها
فإنْ تكُ من تلك العقود ثغورُها وإلاَّ فمِنْ تلك الثغور عُقُودها
وحمراء حَلاَّها المِزاجُ نخِلتُها عقيلةَ خِدْرٍ زِينَ بالدُّر جِيدها
بدت فى دِلاصٍ من حَبابٍ وأشْرَعَتْ سِنانَ انسكابٍ والكئوس جُنودها
فما بَرِحَتْ حتَّى كأنَّ شُروبَها من السكر صرْعَى أنعستها حُدودها(١)
ترى شَرْبَها جُنْحَ الظلامِ كأنهمْ بها مُصْطَلُو نارٍ يُشَبُّ وَقُودها
إذا أنكحوا مِنْ فِضَّة الماء تِبْرَهَا أتى اللؤلؤ المكنونُ وهو وَليدها
كما أنكحوا البدرَ استقامت سُعودُه هُذيلا من الشمس استقامت سُعودها
فجاءا بعبد المَلْكِ للمُلْكِ كوكبا ليحمِى سماءَ المجد ممن يَكيدها
رمى جِنَّةَ الأعداء لما سَمَوْا لها بشُهْبِ القَنا حتى استشاط مَرِيدها
حَلَفْتُ بعَلْيا عَابِدِ المَلْكِ ذى الأُلَى وأيْدٍ له كالقَطْرِ جَمٍّ عَديدها
لئن كان قد أبلَتْ هُذَيلا يَدُ الرَّدَى فإنَّ عُلاهُ ليس يَبْلَى جديدها
وإنْ رَفعتْ كَفَّاهُ قُبةَ مَفْخَرٍ فإن قَنا عَبد المليك عمودها
فتًى أحْرَزَ العَلْيا ، وحاز مَدَى النَّدَى فما إن له من رُتبة يستزيدها

(١) حدودها : جمع حد ، وهو سورة الشراب .

سَرَى بارقٌ من بشره غيرُ خُلَّبٍ إلى أرض آمالي فأورق عودُها
وبوَّأني من مجـــده في مكانةٍ سُعودُ النجوم الزاهرات صَعِيدُها
فيأيها المولى الذي أنا عبدُه وقِدْمًا رَجَا طَوْلَ الموالي عبيدها
أصِخْ نحوَ حُرِّ الشِّعر مِن عبد أنعُمٍ بدائعـــه ما زال منك يُفِيدها
قوافٍ تروقُ السامعين كأنما تُحلِّي سجاياكَ الحسانَ قصيدها
حَبَتْكَ العُلا حقًّا بمَثْنَى رياسةٍ بها اعترفتْ ساداتها ومَسودها
ولولاكَ أضحت أرضُ شَنْتِ مَرِيَّةٍ مُناخَ خُطوبٍ لا يُنَادَى وليدها
وما زلتَ يَقْظانَ الجُفون لرَعْيها إذا أعين الأملاك طالَ هجودُها
[٦٠٤] تَكُفُّ الأذَى عن أهلها وتَحوطها وتُبْدِي الأيادي فيهم وتُعيدها

* * *

وله يرثي أبا عبدالملك بن عبد العزيز

وقال يَرْثِي الوزيرَ الأجلَّ، أبا عبد الملك بن عبد العزيز، وبنو عبد العزيز بهذا الشَّرْقِ، هم كانوا بدورَ غياهبه، وصدور مراتبه، وبحور مواهبه؛ نُظِمَتْ فِيهمُ المدائح، وعظمت منهم المنائح؛ ونفقت عندهمْ أقدار الأعلام، وتدفقت لديهم بحار الكلام؛ وخَدَمتهم الدنيا وبنوها، وأَمِنَتْهمُ الأيام ولم يأمنوها؛ فرَّقتْ جُموعَهم، وأَخْلَتْ رُبُوعهم، ونَثَرَتْ سلْكهم، ومزَّقتْ مُلكهم؛ وهدَّت مُشَيَّد بنائهم، واحْتَلَّتْ الحوادث في فِنائهم؛ وبَقِيَ أبو عبد المَلِك هذا آخِرَهم، فأحيا مفاخِرهم؛ وكان بدرَ هذا الأفق وشمسَه، ورُوح هذا القُطْر ونَفْسَه؛ أبدَى لذلك السَّنَى لَمْعَا، وأعاد من تلك العُلا جَمْعَا؛ إلى أن دَبَّ إليه الحِمام، واسْتَسَرَّ[1] بدرُه بعد التَّمام؛ والقصيدة:

فؤادِي قريحٌ قد جفاه اصْطِبارُهُ ودمعِي أبتْ إلاَّ انسكابا غِزارُهُ

(١) في م، ص: «واستتر».

يُسَرُّ الفتى بالعيش وهو مُبيدُه ... ويَغْترُّ بالدنيا وما هى داره
وفى عِبَرِ الأيام للمرء واعظ ... إذا صحَّ فيها فكرُه واعتباره
فلا تحسبَن يا غافلُ الدَّهْرَ صامتًا ... فأفْصحُ شىءٍ ليلُه ونهاره
أصخ لمناجاةِ الزمان فإنهُ ... سيغنيك عن جهر المقال سِرارُه
أدار على الماضين كأسًا فكلُّهمْ ... أُبيحت مغانيه وأقوَتْ دِياره
ولم يحمهم من أن يُسَقَّوْا بكأسهم ... تَناوُشُ أطراف القَنا واشتجاره
وغالت أبا عبدِ المليك صروفُه ... وقد كان دهْرًا لايُباح ذِماره
فأصبح مَجْفوًّا وقد كان واصلا ... وأمسى قَصِيا وهو دانٍ مَزاره
ولم أنسَ إذْ أوْدَى الحِمام بنفسه ... فلم يبق إلاّ فعلُه وأدّكاره
إذا رَقأتْ عينى استهلتْ شئونها ... لمأتَمِ حزن قد أرَنَّ صُوَاره
تُجاوِبُ هذى تلكَ عند بكائها ... كترجيع شَوْلٍ حينَ حَنَّتْ عِشاره
كأن لم يكن كالمُزْنِ يَرْهَبُ صَعْقَه ... عَدوٌّ ويُرْجَى فى المُحُول أنهماره
ودوحةَ عِزٍّ يُسْتَظَلُّ بظلها ... وروضًا من الآداب تُجْنَى ثِمَاره [٦٠٥]
أَمَا وعُلَى مَرْوان إنَّ مُصابَه ... أثارَ أسًى تُذْكَى على القلب ناره
فلا شُرْبَ إلاَّ قَدْ تكدَّرَ صفوهُ ... ولا نَوْمَ إلاَّ قد تجافى غِراره
فأىُّ حَيًا للفضل أجْلى غمامُه ... ونظمٍ من العَلْياء حان انتِثاره
خَوَى المجدُ من مَرْوان وانهدَّ طَوْدُه ... وجَدَّ بجَدّ المكْرُمات عِثاره
وماخِلت أنّ الصُّبح يُشرِق بعدَهُ ... لعينٍ وأنّ الروضَ يَبْقى اخضراره
فيا طَودَ عِزٍّ زَلْزَل الأرضَ هدُّهُ ... وبدْرَ عُلاً راعَ الأنامَ انكداره
هنيئا للحْدٍ ضَمَّ شِلْوك أنْ غَدا ... عميدُ الندى والمجدِ فيه قرَاره
ولم أرَ دُرًّا قطُّ أصدافه الثَّرَى ... ولا بَدْرَ تَمٍّ فى التراب مَغاره
عَزاءً بنى عبد العزيز وإن خلا ... من المجد مَغْناه وهُدَّ مَناره

ففيكم لهـذا الصَّدْعِ آسٍ وجابرٌ وإن كان صعبا أَسْوُهُ وانْجباره
لـكُم شرَفٌ أرْسَى قواعدَ بيتِه أبو بكرٍ الساري إليكُمْ نجاره
أجلُّ وزيرٍ عَطَّر الأرضَ ذكرُه وأخجلَ زُهْرَ النَّيِّراتِ فخاره
فلو كان للعلياءِ جِيدٌ ومِعْصَمٌ لأصبح منكمْ عِقْدُه وسِواره

* * *

وله فى وصف طول الليل

ومما يُستغرَبُ له ويستبْدَع ، ويشاد بذكره ويسمَع ، ويُعدُّ مما ابتَكر معناه واخترَعَ ؛ قوله فى وصف طول الليل عليه ، كابَدَ منه ما عظُمَ لديه .

تُرَى ليلُنا شابتْ نواصيه كِبْرَةً كما شِبْتُ أمْ فى الجو رَوْضُ بَهارِ
كأنَّ الليالِي السبعَ فى الأُفْقِ جُمِّعتْ ولا فضلَ فيما بينهـا لنهارِ

* * *

وله فى وصف مجلس الظافر

وحضر عند الظافر عبد الرحمن بن عُبيد الله بن ذى النون ، رحمه الله ، مجلسا رَفَعَتْ فيه المُنَى لواءها ، وخلعت عليـه الشمس أضواءها ، وزَفَّت إليه المَسرَّات أبكارها ، وفارقت إليه الطير أوكارها ؛ فقال يصفه :

ومَجْلسٍ جَمَّ الملاهِى أزهَرَا
أَلَذّ فى الأجفان من طَعْم الكَرَى
لم تَرَ عينِى مثـــــلَه ولا تَرَى
أنفسَ فى نفس وأبْهَى مَنظَرَا
إذا تَرَدَّى وشْـيَه المُصوَّرَا
من حَوكِ صنعاءَ وحوكِ عَبْقَرَا
ونسْجِ قُرْقُوبٍ(١) ونسْجِ تُسْتَرَا(٢)

(١) قرقوب (بالضم ثم السكون وقاف أخرى ، وبعد الواو الساكنة باء موحدة) : بلدة متوسطة بين واسط والبصرة والأهواز ، وكانت من أعمال كسكر (عن معجم البلدان) .
(٢) تستر (بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى وراء) : مدينة بخوزستان .

خِلْتُ الربيعَ الطَّلْق فيهِ نَوَّرا
كأنما الإبريق حين قَرقرا [٦٠٦]
قدْ أَمَّ لَثْمَ الكاسِ حين فَغَرا
وَحْشِيَّةٌ ظلَّتْ تناغِى جُؤذَرا
تُرْضِعه الدُّرَّ ويَرْنُو حَذَرا
كأنما مَجَّ عقيقا أحمرا
أوْفَتَّ مِنْ رَيَّاه مِسْكا أذفَرا
أو عابدُ الرحمن يوما ذُكِرا
فَمَّ مِسْكا ذكرُه وعَنْبَرا
الظافرُ المَلِكُ الذى مَنْ ظَفِرا
بقربه نال العَلاء الأكبرا
لو أنّ كسرى راءه[1] أوْ قيصرا
هَلَّل إكبارًا له وكَبَّرا
تُبْدِى سماء الملك منه قمرا
إذا حجابُ المجْد عنه سَفَرا
يأيها المُنْضِى المطايا بالسُّرى
تبْغِى غَمامَ المكْرُمات المُمْطِرا

وقال رحمه الله :

يَغْلُو لسانى فيكُمُ وما أَفَكْ

(١) كذا فى ط ، ص . وراءه : رآه . وفى م : « زاره » .

فاهْزُزْ به عَضْبا إذا هُزَّ فتكْ[1]
قَائمُهُ قلْبيَ والغِمدُ الحَنَكْ

* * *

وله فى الغز

وقال يتغزل أيامَ جَرى فى ميدان الصِّبا مُتهافِتا ، وأبدَى له الجَوَى نَفَسًا خافتا ؛ وهو من أبدع أنواع الاستعطاف ، وأحسن من النَّوْر عند القِطاف ؛ خَضَع فيه لمحبوبه وذَلّ ، وهان له وابْتَذَل ؛ ورَضِى بما سامه من العذاب ، وبذل نفسه فى رَشفة من ثناياه العِذاب ؛ وتشكَّى من جَوْره وحَيْفه ، وبكَى حتَّى مِن اجتناب طَيفه ؛ واستدعى رِضاه ، وخلع ثوب التناسك ونضاه ؛ ونحا فى استلطافه أرقَّ مَنْحَى ، وتصامَّ عن قول من عذَلَ ولحَى ؛ وهذا غرض مَنْ كَواه الغرام ، وسبيل من رام من الوصال ما رَام ؛ فما مع الهوى عِزٌّ ولا صبر ، وما هو إلا ذُلٌّ أو قبر .

[والقطعة] :

أبا عامرٍ أنتَ الحبيبُ إلى قلبى ... وإن كنتُ دَهرا مِنْ عتابك فى حَرْبِ
أتُعْرِض حتى بالخيال لدَى الكَرَى ... وتَبْخُلُ حتى بالسَّلام مع الرَّكْب
كأنى أخو ذنبٍ يجازَى بذنبِـه ... وما كان لى غيرَ المودة مِنْ ذنب
فيا ساخِطا هل مِن رجوع إلى الرِّضا ... ويانازِحًا هـل من سبيل إلى القرب
ويا جَنَّةَ الفِرْدوسِ هَلْ يقطع[2] العِدا ... بجِرْيالِكِ المختومِ أو مائكِ العَـذْب
[٦٠٧] ويابائنا بان العزاء ببَيْنه ... فأصبحتُ مسلوبَ العزيمة والقلب
أذِقْنِى بالعُتْبَى جَنَى النحلِ مُنْعِمًا ... فإنك قد جرعتنى الصابَ بالعَتْب
وكنتُ أرى الهِجْران أعظمَ حادثٍ ... فقد صار عند البيْن من أَصْغر الخطب

(١) كذا فى ط . وفى ص : « إذا هز بتك » . وفى م : « إذا أهوى فتك » .
(٢) كذا فى الأصول .

أتتركُنِي رَهْنا بأيدى حوادثٍ غدوتُ لها نَهْبا وما كنتُ بالنَّهْبِ
سأجعل عيـدا يوم عَوْدِك يَغْتَدِى مُحيَّاك فيـه قِبلةَ الهـائم الصَّبِّ
أقيم لواء الوَصْل فى حُـــلّة الصِّبا بِهِ وأُضَحِّى بالصَّبابة والـكَرْب
لك القلبُ ما فيـه لغيرك مَنزِل مَنَحتُكَه فانزله بالسَّهْل والرُّحْب

* * *

وقال شاكيا مثلَ هذه الشكْوَى ، مخبرا بما يلقاه من البلْوَى :

خليلىَّ هـل تُقضَى لُبانةُ هائِم أمِ الوَجْد والتبريحُ ضَرْبةُ لازِم
فإنِّى بمـا ألْقَى من الوَجْد مُغْرَمٌ كسالٍ وقَلْبى بائِحٌ مثلُ كاتِم
ولى عَبَرات يَسْتَهِلُّ غَمامُها بخَدِّى إذا لاحت بروقُ المباسِم
كَفَى حَزَنا أَنِّى أذوبُ صَبَابَةً وأَشكو الّذى ألْقَى إلى غيرِ راحم
وأَرتعُ من خدَّيه فى جَنَّـة المُنَى ويَصْلَى فؤادِى مِن هواهُ بجاحِم
تَقَضَّى الصِّبَا واللهوُ إلا حُشاشَةً تجـــدِّدُ لى عهد الصِّبَا المتقادِم
كأنىَ لم أقطع بصُبح وقَهْوَةٍ زَمانى ولم أنْعَمْ بأحورَ ناعم
ولابِتُّ فى ليل الغَواية لائما له تحت أستار الدُّجى وهو لائمى
إذا ما أدارَ الكأسَ وَهْنًا حسِبتهُ يُدير هِلالا طالعا فى غمـائم
أبا حسَنٍ إنى بوُدِّك مُعْصِمٌ[1] فهل أنت يوما من جفائك عاصِمى
جعلتُك فى نفسى وقلبى مُحكَّمًا لترضَى فقد أصبحتَ أجورَ حاكِم
أتظلمنى وُدِّى وما زال فيكُمُ قَرِيعُ عُلًى يُرْجَى لرد المظالم
وقد كان فَصَّ الفَخْر فى خِنْصَر العُلَا أبوك ، ووُسْطَى فوق جِيد المكارم

(١) معصم : ممسك .

وكم ضمَّ ظهرُ الأرض منكم و بطنُها بدورَ دُجًى من كل أشوسَ[1] حازمِ
وأبلجَ فضفاضِ القميص حُلاحلٍ طويل نجاد السيف ماضِي العزائم
وما أذْهلتنى عن ودادك غَيْبةٌ قدَحتَ بها نارَ الأسى فى حيازمى
وكم لىَ فيها نحوكُمْ مِنْ تحيَّة أُحَمِّلها مَرْضَى الرياح النَّواسم
إذا مرَّ ذكر منكَ يوما على فمى توهَّمْتُه مسكا سرى فى خياشمى
دعانى إليك الشوقُ فاهتاج طائرى ضُحًى بخوافٍ للهَوَى وقوادِم
ولو أننى فى مُلْحَدِى ودَعوتنى لَلَبَّـيْتك من تحت الصَّعيد رَمائمى [٦٠٨]
سأُصْفيك مَحْضَ الوُدّ ماهبَّتِ الصَّبا وما سَجَعتْ فى الأيكِ وُرْق الحمائم

* * *

[2]وقال أيضا جاريا على عادته من التشبيب ، وسالكا جادَّته من الخضوع للحبيب ، إلا أنه اعتذر من الهوى فى المشيب ، وأنكر أخلاق الشُّبَّان على الشيب :

خَليلىّ ما للريح أضحى نسيمُها يُذكِّرنى ما قد مضى ونَسِيتُ
أبْعد نَذير الشَّيب إذ حَلَّ عارضى صَبَوْت بأحداق المها وسُبِيت
ولى سَكَنٌ أغْرَى بىَ الحزنَ حُسنُه جَرِىءٌ على قتل المحبِّ مُقيت[3]
تُلاحظنى العينانِ منه برحمةٍ فأَحيَا ويقسُو قلبُه فأَموت
فياقَمَرًا أغرى بىَ النَّقْصَ واكتسى كمالا ووافى سعدَهُ وشَقيت
وليتِ فَرِقّى إذ وليتِ لهائمٍ سَباه لَمًى كالشَّهد منك وَليت[4]
وجُودِى ببرْد الوصل ياجنةَ المُنَى فإنِّى بحَرِّ الوجد منك صَليتُ

(١) أشوس : متكبر ، وهو من الشوس : النظر بمؤخر العين تكبرا .
(٢) من هنا إلى قوله : «للحبيب» ساقط فى م .
(٣) المقيت : الحافظ للشىء . يريد أنه قادر على قتل من يحبه وإحيائه .
(٤) الليت : صفح العنق .

لابن عريب يستدعيه إلى معاطاة قهوة

وكتب إليه الكاتب أبو الحسن راشدُ بن عُرَيْب يستدعيه إلى معاطاة قَهْوَة ، وساعات سَلوة :

طَرِبت إلى شمسيَّةٍ قد تروَّقتْ ... فأربتْ على الصَّهباء لَوْنا ورائحهْ
فلو أنَّ فيها نقطةً هندسيةً ... لباتتْ بها فى ظُلمة الليل بائحه
فكن مُسْعِدِى يامن سجاياه لم تَزَلْ ... وأخلاقُه تُغْنِى عن المسك فائحه

رده على ابن عريب

فأجابه رحمه الله :

طَرِبتَ فأطربتَ الخليلَ إلى الّذى ... طربتَ لهُ فالنفس نحوَك جانحهْ
وكمْ أسكرتْنا منك من غير قَهْوةٍ ... شمائلُ تغنينا عن المسْك فائحه
فللّه أيامٌ بقربك أسْعَدتْ ... غواديَ علينا بالسرور ورائحه
فساعاتىَ الطُّولَى لديك قصيرةٌ ... وصفقةُ كفى فى التجارة رابحه

* * *

وله فى وصف كتاب جاءه من محبوب

وقال يصف كتابا ورد عليه من محبوب كان هجره ، ووعده فيه باللقاء و بَشَّره :

نفسى فداءُ كتاب حاز كلَّ مُنًى ... جاء الرسولُ به من عند محبوبِ
مُبشِّرًا أنّ ذاك السُّخط عاد رِضًا ... وبُدِّلَتْ منه مِنْ بُعْدٍ بتقريب
حَسِبتُه ناظرًا نحوى بناظِره ... ومُهْدِيًا لىَ ما فى فِيه من طِيب
ظَلِلْتُ أطويهِ من وجْد وأنشُرُهُ ... وكاد يُبليه تقبيلى وتقليبى [٦٠٩]
كمْ قبلةٍ لىَ فى عُنوانه عَذُبتْ ... وبَرَّدَتْ بالتلظّى حَرَّ تعذيب
كأنه حين جَلَّى الحزنَ عن خَلَدِى ... « قميصُ يوسف فى أجفانِ يَعْقوب »
لو كان ما فيه من مَوْعُوده كَذِبًا ... شَفَى فكيف بوعدٍ غير مكذوب

* * *

كتب إليه بعض إخوانه متمثلا

وكتب إليه بعض إخوانه متمثلا بقول القائل :

وِدادكمُ كالوَردِ ليس بدائمٍ ... ولا خير فيمن لا يدُوم له عَهْدُ

وودّى لكم كالآسِ حُسْنا وبَهْجة ... له خُضْرةٌ تبقَى إذا ذهَبَ الوَرْدُ

رده عليه

فراجعه بهذا الشعر :

لَعَمْرِى لقد شَرَّفْتَ وُدِّى بثَلْبِه ... وصَيَّرْتَ لى فضلا عليك[1] ومَفْخَرَا
صَدَقْتَ : وِدادُ الوَرْدِ رَطْبًا ويابسًا ... وماءً إذا عَصْرُ الأزاهرِ أدْبَرَا
ووُدُّك مثلُ الآسِ ليس بنافعٍ ... ولا نافحٍ إلا إذا كان أخضرا
ألَمْ تَرَ أنَّ الوَرْدَ يكرُم إن ذَوَى ... ويُطرح فى المِيضاةِ آسٌ تغيَّرا
أفَضَّلتَ عبدَ السوء جهلا على الذى ... غدا فى الأزاهيرِ الأمير المؤمَّرا

* * *

وله فى الرد على ابن أبى الخصال

وكتب إلى الكاتب أبى عبد الله بن أبى الخِصال ، يراجعه عن شعر خاطبَه به :

بماذا أُكافِئُ نَدْبا كسانى ... حِلًى من علاه بها قد حَبانى
وقَلَّدَ جِيدِىَ من دُرِّه ... ما لم تُقَلِّدْ نحورُ الغوانى
محاسنُ أصبحَ لى لفظُها ... مُعَارًا وأضحتْ لديه المعانى
فقل للذى حاز خَصْلَ المَدَى ... فليس يُباريه فى السَّبْق ثانى
أهذى شمائلك الزاهرا ... تُ أهْديتَها أم ثغورُ الحِسان
أمِ الأنجمُ الزُّهْرُ أطلعتَها ... على أُفُقٍ بسماء ابيَضّان
أمِ الوَشْىُ ما نَمْنَمَتْ راحتا ... كَ أَ الأَعْيُن النا ورُ جاءت رَوَانى
أمِ الروضُ بات نديمَ الغَمامِ ... يُسقّيه من غير بِنْتِ الدِّنان
يُضاحِكُه عن ثُغور البُرُوق ... ويَشْدُوه مِن وعدِه بالأغانى
[٦١٠] لئِنْ زُفَّ وُدُّك نحوى لقد ... غدا من فؤادى بأعلى مكان

(١) كذا فى ط ، س . وفى م : « عليه » .

ومهما أساءت بطول البعادِ خطوبٌ فقد أحسنت بالتَّدانى
كأنَّ الزمانَ أتى تائبـــــا إلىَّ وأنت اعتذار الزمان

* * *

ومما يستجاد له

ومن شعره الذى يُزْرِى بزَهر الرِّياض ، وغُنْج الأَعْيُن المِراض ، قوله :

أيا مُمْرِضًا جسمى بأَجفانه المَرْضَى سَلَبْتَ الكَرَى(١) عنى فهَبْ منه لِى البَعْضا
لِيَهْنِكَ غُمْضُ العين عمَّنْ تركتَه سميرَ نجوم الليـل ما يَطْعَمُ الغُمْضا
أَتَسْخَطُ من ذُلِّى لعزِّكَ فى الهوى وأَرضى بخَدِّى أن يكون لكم أَرْضا
قضى اللهُ أن أشقى وغيرى بوصْلِكم سَعيدٌ ومن يَسْطيع رَدًّا لما يُقْضى

* * *

قطعة له تنفك منها ست قطع

ومما أغرب به وأبدع ، قطعة تَنفَكّ منها ستّ قِطع ، وهى :

نَفْسى الفِداء لجُؤْذَرٍ حُلْوِ اللَّمَى مُستحسَنٍ بصُدوده أضنانى
فى فِيه سِمْطَا جوهرٍ يُرْوِى الظَّمَا لو عَلَّنى ببَرودِه أحيانى

* * *

قطعة أخرى تنفك منها تسع قطع

ثم زاد فى غرابة هذا المنزَع ، بأن صنع قطعة تَنفَكّ منها تسع قطع ، وهى :

طيفٌ سَرَى من خاطِرِ القلبِ الذَّوِى فوفَى لنـــا بعِدَاته وقضى الوَطَرْ
بَذَّ الكَرَى عن ناظِرِ الصَّبِّ الجوِى وشَفَى الضنى بهِباته ومضى حَذِرْ

* * *

وله فى وصف تين

وقال يصف تينا أسود مكتَّبا :

أَهْلاً بتينٍ كالنُّهود حوالِكٍ ضُمِّخْنَ مِسكا شِيبَ بالكافورِ
وكأنَّ ما زُرَّتْ عليـه جيوبُها شهدٌ يُشَابُ بسمسمٍ مقشور

(١) فى ط : « منى » .

وكأنّما لَبِسَتْ لُجَيْنًا مُحْـرَقًا فيـه بقايا من بياض سُطور

***

وله فى وصف حمّام

وقال يصف حمّاما :

أَرَى الحمّام مَوْعظـة وذِكْرَى لكل فتًى أريبٍ ذى ذكاءِ
يُذكّرُنا عذاب ذوى المعاصى وأحيـــانا نعيمَ الأتقياء
شَقَا هَجْرٍ يَشوبُ نعيم وَصْـل وحَرُّ النـــار فى برد الهواء
إذا ما أرضُـه التهبت بنـار تبـادَر سَمْكُه هَطْلا بماء
[٦١١] كصَدْرِ الصَّبِّ جاش بما يلاقى فلجَّ الطَّرْفُ منـــه بالبكاء
كأنّ له حبيبا بانَ عنـه فبانَ وخانَه حُسْن العَـــزاء

***

وله فى الغزل

ومن شعره المُطرب ، وتَغَزُّله المعجب ، قوله :

أيا قمرًا فى وَجْنتيـــه نعيمُ وبين ضُلوعى من هواه جحيمُ
إلى كم أقاسى منكَ رَوْعا وقَسوةً وصَرْما وسُـقما إنّ ذا لعظيم
وإنى لأنهى النفس عنك تجلُّدًا وأزعُم أنى بالسـلُوِّ زعيم
فإنْ خطَرتْ بالقلب ذكراكَ خَطرةً ظلِلْتُ بلا لُبٍّ إليـكَ أهيم

***

وله فى مدح القادر

ومن مديحه الذى أبدع فيه وأغرب ، وذهب فيه أحسن مَذْهب ، قوله يمدح القادر ، رحمة الله عليه :

ضَمانٌ على عينيكَ أنّىَ هائمُ تَصَدُّعُ قلبى حول وصلك حائمُ
فؤادك قاسٍ ليس لى فيه رَحْمة ويوهم منك اللحظُ أنك راحِم
ظلمتَ ولم ترهَب مَغَبَّةَ ما جَنَتْ جفونٌ لها فى العاشقين مَلاحم

أظنُّ عقابَ الله نالك فى الهوَى ... فخصمك مظلومٌ وردْفك ظالمُ
ولحظكَ مُضْنًى ما يُفيق من الضَّنى ... كما ضنيَتْ فيك الجسومُ النواعم
وخدك بالألحاظ يَجْرَح دائبا ... فكلٌّ له باللَّحْظ مُدْمٍ وكالِم
يقولون غُصنُ البانِ ما حازَ خَصْرُه ... ودِعْصُ النَّقا ما حاز منه المَعاكِم
وفى طوقه بدر الدُّجُنَّةِ طالعٌ ... تَجَلَّله قِطْعٌ من الليل فاحم
وقالوا اللَّمَى المحمرُّ فَصُّ عقيقهِ ... بمَبْسمِه المعسولِ والثغرُ خاتم
لك المثلُ الأعلى وفى الجهل عاذِرٌ ... بتقصيرهم إن لامهم فيكَ لائم
وما أنت إلا آيةُ اللهِ فى الوَرَى ... وحكمتُه إنْ قال بالعلم عالم
لقد بَخَسُوك الحقَّ جهلا وأخطأتْ ... بما رَجَمت فيك الظنون الرواجم
كما بخسوا يَحيى بنَ ذى النُّونِ حَقَّه ... فقالوا ابنُ سُعْدى فى النوال وحاتم
وقالوا حكى الضِّرغامَ فى الرَّوْع بأسُه ... وذلك ما لا تَدَّعيه الضراغم
وقالوا هو الدهرُ الذى ليس دونه ... حِمًى وهو المخدوم والدهر خادم
وأنَّى لِلَيْث الغاب فى الرَّوْع بأسُه ... إذا صال فى الهيجاء والنقعُ قاتم [٦١٢]
ومن أين للسيف الحُسام مَضاؤه ... إذا انْتُضِيَتْ للحرب منه العَزائم
ومن أين للمزن الكَنَهْوَرِ جُودُه ... إذا انهملتْ من راحتيه المكارم
لنا بارقٌ من بِشره ليس خُلَّبا ... إذا شامه يوما من الناس شائم
عليه من المأمون يحيى مَشَابِهٌ ... تُرَى ولإسماعيل فيه مَياسم
هُمامان[1] شادَا بيتَ مجدٍ له التُّقى ... أساسٌ وأطرافُ الرماح دعائم
أبا الحسَنِ استنشقْ ثنائى[2] فإنما ... فؤادىَ دارِينٌ وشِعْرى لَطائم

(١) فى م : « إمامان » .
(٢) كذا فى م . وفى ط ، س : « ثناء » .

لبستَ حِلَى للفضل حائكها التُّقى ومُعْلِمها الإفضالُ والمجـد راقمُ
وأورثك المـأمونُ صارمه الذى به لم تزل تُفْرَى الطُّلَى والجماجم
فصمِّم ولا تُحْجِمْ فإنك صـارمٌ حسامٌ ومنـــه فى يد الله قائم
لك السرحة الغنّاء فى المجد لم تَزَلْ تُرَوِّضها من راحتيـك الغمائم
رياضٌ لنا سَجْع بمدحك وَسْطها كأنّا على أفنـــانهن حمائم
ودونَكَ بِكْرًا من ثنائى زَفَفتُها إليك كما زُفَّ الغوانى الـكرائم
كستك بَطَلْيَوْسٌ بها عَبْقَرِيَّةً كما انشقّ عن زَهْرِ الرِّياض كمائم
وما أنت ذو فَقْرٍ لمـا أنا واصف ولا أنا ذو إفْكٍ بمـا أنا زاعم
سجاياك تُمْلِى الفَخْرَ والدهر كاتبٌ وعَلْياك تُعْطى الدُّرَّ والشِّعرُ ناظم
فدُمْ عاسرا المجدِ تعنو لك العِدا وتحسُدنا فيك النجومُ النواجم

قال أبو نصر : هذا ما سَمَح به خاطر لم تَخْطُر عليه سَـلْوة ، وذهن نابٍ لم تُرْهَف له نَبْوَة ، ووقت أضيقُ من المأزق المتدانى ، ومَقْتٌ للزمن شغلنى عن كل شىء وعَدَانى ، أتجَرَّعُ به الصاب ، وأتدرَّع منه[1] الأوصاب ، فما أتفرغ لإنشاء قول ، ولا أصحو من الانتشاء من هول ، وإلا فمحاسنُ هذا الرجل كانت أهلا أن يَمْتَدّ عِنانها ، ويُسْكَب عَنانها ، لـكن عاق عن ذلك الدهر الذى شَغَل ، وأوغلنا فى شعاب الأنكاد حيث وَغَل .

انتهى التأليف البارع .

* * *

ترجمة ابن السيد فى القلائد

ولا بد أن نذكر ما لأبى نصر من القلائد فى حق الرجل المذكور ، وأختصر [٦١٣] ما جرى ذكره هنا من النظم .

(١) فى ص : « به » .

قال فى القلائد فى حق الشيخ ابن السِّيد المذكور ما نصه :

الفقيه الأستاذ أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن السِّـيد البَطَلْيَوْسى ، شيخ المعارف و إمامُها ، ومن فى يديه زِمامها ، لديه تُنْشَدُ ضَوَالُّ الأَعراب ، وتُوجَـد شوارد لغات الإعراب[١] ، إلى مقطَع دَمِث ، ومَنْزِع فى النفاسة غيرُ مُنْتكِث ؛ وكان له فى دَولة ابن رَزِين مجال ممتدّ ، ومكان معتدّ ؛ ولمّا رأى الأحوالَ واختلالَها ، والأقوال واعتلالها ؛ وتلك الشموسَ قد هَوَت ، ونجومَ الأمال قد خَوت ، أضرَبَ عن مثواه[٢] ، ونـكَّبَ عن نَجْواه ، وأغترب[٣] بلوعة ابن رَزِين وجواه ؛ ونصب نفسه لإقراء علوم النحو ، وقنِـع بتغييم جَوّه[٤] بعد الصحو ، وله تحقق بالعلوم الحديثة والقديمة ، وتصرف فى طرقها القويمة ، ما خرج بمعرفتها عن مِضمار مشرع ، ولا نكَّب عن أصلٍ للسُّنَّة ولا فرع ، وتواليفه فى الشروحات وغيرها صنوف ، وهى اليوم فى الآذان شُنُوف ؛ وقد أثبتُّ له ما يريك شُفوفَه[٥] ، وتجد على[٦] النفس خفوفَه[٧] .

فمن [ذلك] قولُه فى طول الليل :

تُرى ليلُنَا .... البيتين . وقد سبقا .

ثم قال الفتح : وأخبرنى أنه حضر مع المأمون بن ذى النون فى مجلس الناعورة ، بالمُنيةِ التى تطمح إليها المُنَى ، ومرآها هو المقترح والمُتَمَنَّى ، والمأمون قد احتبى ،

(١) فى قلائد العقيان المطبوع بمصر : « اللغات والإعراب » .
(٢) فى القلائد : « سواه » .
(٣) كذا فى القلائد . وفى الأصول : « وأعرب » .
(٤) كذا فى م والقلائد . وفى ط ، ص : « وجده » .
(٥) شفوفه : يريد فضله .
(٦) فى م : « فى » .
(٧) كذا فى الأصول . وفى القلائد : « حفوفه » . ولم نوفق إلى تصويبه .

وأفاض الحُبَا ؛ والمجلسُ يروق كأن الشمس فى أفقه ، والبدرُ [كالتاج] (١) فى مَفْرِقه ؛ والنَّوْر عَبِق ، وعلى ماء النهر مصطَبِح ومُغْتَبِق ؛ والدُّولاب يَئِن كناقة إثْرَ الحُوَار ، أو كَثَكْلى من حَرِّ الأوَار ؛ والجوُّ قد عنْبَرَتْه أنواؤه ، والروضُ قد رشَّتْه أنداؤه (٢) ؛ والأُسْد قد فغَرت أفواهَها ، ومجّت أمواهها ؛ فقال :

يا منظرًا إن نظرتُ بهجتَه . . . . الأبيات . وقد تقدمت .

[٦١٤] ثم قال الفتح : ولَهُ رقْعَة يصف بها هذا التصنيفَ ، يعنى قلائد العقيان :

تأملت فسَح الله لسيِّدى ووليى فى أمد بقائه ، كتابه الذى شرع فى إنشائه ؛ فرأيت كتابا سيُنْجِد ويَغُور ، ويبلغ حيث لا تبلُغُ البدور ، وتَبِينُ به الذُّرَى والمناسم ، وتغتدى له غُررٌ فى أوجه ومَوَاسِم ؛ فقد أسجد اللهُ الكلامَ لكلامك ، وجعل النيِّراتِ طوْع أقلامك ؛ فأنت تَهْدِى بنجومها ، وتُرْدِى برُجومها ؛ فالنَّثْرة من نَثْرك ، والشِّعْرَى من شِعْرك ؛ والبُلَغاء لك مَعْترفون ، و بين يديك مُتَصرِّفون ؛ وليس يباريك مُبَار ، ولا يجاريك إلى الغاية مُجَار ؛ إلاّ وقف حَسِيرا ، وسَبَقْتَ ودُعِىَ أخيرًا ؛ وتقدمت لا عدمت شفوفا ، ولا برح مكانُك بالآمال محفوفا ؛ بعزة الله .

* * *

وله يراجع ابن جوشن

وله يراجع الأستاذَ أبا محمد بن جوشن عن شعر كتب به إليه ، وتضمّن غزلا فى أول القصيدة ، فحذا حذوه :

حلفتُ بثَغْر قد حَمَى ريقَه العـذبا وسلّ عليـه منْ لواحظه عَضْبَا
وَفَرْحَة لُقْيا أذهبتْ تَرْحة النوى وعُتْبَى حبيب هاجر أعقبتْ عَتبا

(١) زيادة عن القلائد .
(٢) فى القلائد : « قد وشته أمطاره وأنواؤه » .

لقد هزَّ عِطْفى بالقريض ابنُ جوشنٍ سرورًا كما هزت صَبا غُصُنا رطبا
كسانى ارتياحَ الراحِ حتى حَسِبْتُنى حَليفَ بِعاد نال من حِبِّه قُرْبا
وأطْرَبنى حتى دعانى الوَرَى فتًى وقالوا كبيرٌ بعد كَبْرَتِه شَبَّا
كأنَّ المثانى والمثالثَ هَيَّجَتْ سرورى ولم أسمعْ غِناءً ولا ضَرْبا
فيا مُزمع التَّرْحال قلْ لابن جَوْشَن مَقالَ مُحِبٍّ لم يَشِبْ جِدُّه لِعْبا
أَمُهْدِى ســـــجاياه إلىَّ وناظما لىَ الشُّهب عِقْدا راقنى نظمُه عُجْبا
وما خِلتُ إهداء الشمائل مُمكنا لمُهْدٍ وأنَّ الدهرَ ينتظمُ الشُّهْبا
فهل نال عبدُ الله من سحرِ بابل نَصيبا فأَربى أو حوى الدَّهْىَ والإِرْبا[1]
لِيَهنِك فضلٌ حُزْتَ من خَصْلِهِ المَدَى ونظمٌ بديعٌ قد غدوتُ له رَبًّا
وهاكَ ســـلاما صادرًا عن مودةٍ عَمَرْتُ به[2] منى الجوانح والقلْبا

* * *

وله فى الزهد

وله رحمه الله فى الزهد من لزوم ما لا يلزم :

أمرتَ إلهِى بالمكارم كلِّهـا ولم تَرْضَها إلا وأنت لها أهلُ [٦١٥]
فقلتَ اصفحوا عمَّنْ أساء إليكمُ وعودوا بحلمٍ منكمُ إن بدا جهل
فهل لجهُول خاف صَعْبَ ذنوبه لديك أمانٌ منك أو جانبٌ سهل

وله يجيب شاعرا مدحه

وله رحمه الله يجيب شاعرا قُرْطُبيًّا مدحه :

قل للَّذى غاص فى بحر من الفِكَر بذهنه فَحَوَى ما شاء من دُرَرِ
لله عَذْراء زُفَّتْ منك رائحـــةً تختالُ من حِبْرها المرقوم فى حِبَر

(١) الدهى : النكر وجودة الرأى والأدب . والإرب : بمعناه .
(٢) فى س : « بها » .

صَداقُها الصِّدْقُ من وُدِّى ومَنزِلُها ... بصيرتى وسَوادُ القلبِ لا بصرى[1]
كأنَّما خامرتْنى من بَشَاشتها ... راحٌ وسُكْرٌ بلا راحٍ ولا سَكَر
هَزَّت بدائعُها عِطْفىَّ من طربٍ ... لحُسْنها هِزَّةَ المَشْغوف[2] للذِّكَر
ما كنت أحْسِب أن النَّيراتِ غَدَتْ ... يَصِيدها شركُ الأوهام والفِكَر
ولا توهَّمْت أيامَ الربيع تُرَى ... فى ناجر غَضَّةَ الأنوار والزَّهَر
أمَّا الجزاء فشىءٌ لستُ مدركه ... ولو بَدَرْتُ إلى التوجيه بالبِدَر
لكن جزائى صفاء الوُدِّ أُضْمِرُه ... إذا القلوب انطوت منه على كَدَر
جاراكَ ذِهنىَ فى مِضمارها فكَبا ... ذِهنى وفزتَ بخَصْل السَّبْق والظَّفَر
وهلْ بَطَلْيَوْسُ فى نظمٍ مناظِرةٌ[3] ... يوما لقُرْطبةٍ فى حُكم ذى نَظَر

وله فى وصف زربطانة

وله أيضا رحمه الله يصف زَرْبَطانة[4] [مُلْغزا][5] :

وذاتِ عَمًى لها طَرْف بَصير ... إذا رَمدت فأبصرُ ما تكونُ
لها من غيرها نَفَسٌ مُعار ... وناظرها لدى الإبصار طِين
وتبطش باليمين إذا أردنا ... وليس لها إذا بَطَشَت يَمين

* * *

رسالته إلى ابن الأخضر

وكتب إلى الأستاذ أبى الحسن بن الأخضر رحمه الله :

يا سيدى الأعلَى ، وعمادىَ الأسنَى ، وحسنَةَ الزمان الحُسنى ، الذى جَلَّ قدرُه ، وسار مسير الشمس ذِكرُه ؛ ومن أطال الله بقاءه ، لفضل يعلى مَناره ،

(١) فى القلائد : «وسواد القلب والبصر» .
(٢) يريد بالمشغوف : الذى هزله الحب وأضناه التذكر .
(٣) فى م : «فى نظم مشاكلة» .
(٤) هى الزبطانة والسبطانة (محركة) ، وهى قناة جوفاء يرمى فيها الطير بالبندق وبالحسبان نفخا ؛ قال فى تاج العروس : وهى المشهورة الآن بزربطانة .
(٥) زيادة عن القلائد .

وعِلْم يحيى آثاره ؛ نحن — أعَزَّك الله — نتدانى إخلاصا ، وإن كنا نتناءى أشخاصا ؛ ويجمعنا الأدب ، وإن فرّقنا النَّسَب ؛ فالأشكال أقارب ، والآداب مَناسب ؛ وليس يضرّ تنائى الأشباح ، إذا تقاربت الأرواح ؛ وما مثَلُنا فى هذا [٦١٦] الانتظام ، إلا كما قال أبو تمام ، رحمه الله :

نَسيبىَ فى رأيى وعلمى ومذهبى وإن باعدَتْنا فى الأصول المَناسبُ

ولو لم يكن لمآثرك ذاكر[1] ، ولا لمفاخرك ناشر ، إلا ذو الوزارتين أبو فلان ، أبقاه الله ، لقام لك مقام سَحبان وائل ، وأغناك عن قول كل قائل ؛ فإنّه يَمُدّ فى مِضمار ذكرك باعا رحيبا ، ويقوم بفخرك فى كل ناد خطيبا ؛ حتى تُثْنَى إليه[2] الأحداق ، وتُلْوَى نحوهُ الأعناق ؛ فكيف وما يقول إلا بالذى علمت سَعْد ، وما تقرر فى النفوس من قبل ومن بعد ؛ فذكرُك قد أنْجَد وغار ، ولم يَسِر فلَكٌ حيثُ سار ؛ وإنْ ليلُ جهلٍ أطلعتَ فيه فجرَ تبصيرك ، لَجديرٌ بأن يصير نهارا ، وإنَّ نَبْع فكر قدَحته بتذكيرك لجدير أن يعود مَرْخًا وعَفارا ؛ فهنيئا لك الفضلُ الذى أنت فيه راسخُ القَدم ، شامخ العلَم ؛ منشور اللواء ، مشهور الذكاء ، مُلِّيَتِ الآدابُ عمرَك ، ولا عَدِمت الألباب ذكرك ؛ ورَقِيتَ من المراتب أعلاها ، ولَقِيت من المآرب أقصاها ، بفضل الله .

* * *

وله فى الرد على رسالة للوزير ابن سفيان

وكتب مراجعا إلى الوزير أبى محمد بن سُفيان رحمه الله :

يا سيدى الأعلى ، وعمادى الأسْنى ، ومَشْربى الأصفى ، ومَنْ أدام الله عِزّته ، وحَمَى من النوائب حَوْزته ؛ وافانى لك كتاب سرِىُّ الموضع ، سَنِىُّ

(١) كذا فى قلائد العقيان . وفى الأصول : « شاكر » .

(٢) كذا فى الأصول . وفى القلائد : « إليك » .

الموقع ، أطال على إيجازه ، وأطمع بعد إعجازه ؛ وقابلتُ الرغبةَ التى ضَمَّنتها فيه ، بما تقتضيه جَلالة مُهْدِيه ؛ ولئن تراخى الكتاب ، عن حسن فى ذلك العتاب ؛ فإن المودة لم يقدح فيها من المَلَل قادح ، ولم يَسْنَح لها من الخلل سانح ؛ بل كانت كالبُرْد طُوِى على غَرّه ، إلى أوان جِلائه ونشره ؛ وقد عِلم علاّم الضمائر ، والذى يُظَن غائبا وهو حاضر ، أنى أعتقدك القدحَ المُعَلَّى ، وأضرب بك المثلَ الأعلى ، وأرَى أنك تحجيلٌ واضح فى دُهْمة الزمان ، وعِلْق راجح فى كِفَّة الامتحان ، وبَقية سِنْخ كريم ، ما عهدهم عنا بذميم . [٦١٧]

عليهم سلام الله ما ذَرَّ شارقٌ ورحمته ما شـــاء أَنْ يترحَّما

[وما أَدَّعى لك جانبا من السياده ، إلا ولك عليه أعدلُ الشهاده ؛ ولـكنْ قديما سَفَل ذو الرُّجْحان ، وعاد الـكمال على أهله بالنقصان ؛ وكُبِتَ الأعالى بارتفاع الأسافل ، حتى اقتضى ذلك قولَ القائل :

فوا عجبَا كم يدَّعى الفضلَ ناقِصٌ ووا أسفَا كم يُظهرُ النقصَ فاضل] (١)

وقال المذمِّر للنـــــاتجين متى ذُمِّرت قبـــلِىَ الأرْجُل (٢)

وقد جاريتك — أعزك الله — فى ميدان من البلاغة أنا فيه كمن كاثَرَ البحر والمَطَر ، وجلب التمر إلى هَجَر ؛ والذى حدانى إليه ، أنه مرّ بى (٣) زمن ، أَلْهَى خاطرى عنك فيه وَسَن ، فقلتُ قد كان من العُقوق ، ترك رعاية الحقوق ؛ فلَأَسْتَمْطِرَنَّ مُزْنَ القول ، فقد كنتُ عَهِدْتُها تَسْجُم فتُغْدِق ، ولَأَسْتَسْقِينَّ

(١) التكملة عن قلائد العقيان .

(٢) هذا البيت للـكميت . والمذمر : الذى يدخل يده فى حياء الناقة لينظر أذكر جنينها أم أنثى . يقول : إن التذمير إنما هو فى الأعناق لا فى الأرجل .

(٣) فى القلائد : « لى » .

جابيةَ الشَّيْخ العِراقى ، فقد كانت تَطُمّ فتَفْهَق[١] ، أيام كنتُ أسحب ذيلَ الشباب ، وأسلُكُ مَسْلَكَ الكُتّاب ، ويُعجبنى سلوكُ سهل الكلام وحُزونه ، والتصرف بين أبكاره وعُونه ، أَسْتَنُّ استنانَ الطِّرْف [الجامح ، ولا أَثْنى عِنان الطَّرْف][٢] الطامح ، وأُرَوِّى هامتى ، وأقول بما صَبَّت علىَّ غمامتى ، إلى أن تعمَّم مَفْرِق بالقَتِير[٣] ، وعَلَتْنى أُبَّهة الكَبير ؛ وودَّعْتُ زمنى الزائل ، وعادت سهامى بين رَثٍّ وناصل[٤] ؛ وعُرِّيتْ أفراسُ الصِّبا ورواحله[٥] ، وسُدِّدَتْ عَلَىَّ سوى قصد السبيل مَعادِلُه[٦] ؛ فلئن هُريق [ماء][٢] الشباب ، واستشنَّ الأديم[٧] ؛ وأقشع السَّحاب ، وتجلَّت الغيوم ، فلعلَّ فى الأفق رَبابَه ، وفى الحوض صُبابه ؛ وعسى أن يكون فى أخلاف المقالة دَرٌّ يُرْضَع ، وفى حِقاق البلاغة دُرٌّ يُرَصَّع ؛ ولَأُزَفَّنَّها عذراء ، لا ترتضى إلا الأكفاء ؛ فليس يَبين النَّجْد إلا فى مآزق الهيجاء ، ولا يحسن العِقد إلا فى عُنُق الحسناء ؛ ولَأجعلَنَّ الشِّعْر لها شِعارا ، وفِقَر النثر لها دثارا ؛ فاهتصرْها إليك وَلْهَى[٨] عَرُوبا[٩] ، قد رَضِيَت

(١) الجابية : الحوض ؛ والعراق إذا تمكن من الماء ملأ جابيته لأنه حضرى ، فلا يعرف مواقع الماء ولا محاله . وفى العبارة إشارة إلى قول الأعشى :

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق

(انظر كتاب الكامل لأبى العباس المبرد) .

(٢) التكملة عن القلائد .

(٣) القتير : رءوس مسامير حلق الدروع ، شبه بها الشيب إذا نقب فى سواد الشعر . (عن اللسان) .

(٤) الناصل من السهام : ما لا نصل له .

(٥) يشير إلى بيت زهير بن أبى سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله

(٦) معادل الطريق : مذاهبه ومسالكه . وهو من قول زهير :

وأقصرت عما تعلمين وسددت على سوى قصد السبيل معادله

(٧) استشن الأديم : يبس وتشنج . وجلد الإنسان : تغضن عند الهرم . وهو من قول أبى حية النميرى : * هريق شبابى واستشن أديمى *

(٨) ولهى : ذاهبة العقل من الفرح .

(٩) العروب (فى الأصل) : الحسناء المتحببة إلى زوجها .

بك مُحِبًّا ومحبوبا ، فتُضَمِّخَك بمسكها ، وتؤمِّنك من فِرْكِها[١] ، وتذَرَّ ذُرُور[٢] الشمس عليك ، وتهزّ فى نَدْوَة الحىّ عطفيك ؛ فإنْ قضت من حقّك فَرْضا ، ورَتَقت من فتْق الإخلال ولو بَعْضا ؛ فذاك ما تضمنه الخاطر الذى نَمْنَمَ[٣] [٦١٨] بُرْدَها ، ونظَم عقدها ؛ وإن أخلف الظنُّ ما أوهم ووَعد ، وقصَّر الذِّهن فيما أحكم وسدَّد ؛ فللخاطر عُذْر فى أنه مُنْصُل أُغْفِل شحذه وجِلاؤُه ، حتى ذهب فِرِنْدُه وماؤه ، ومَنهل ضِيعَ[٤] وِرْدُه ، فنَضَب عِدُّه :

والشَّوْل ما حُلِبَت تدفَّقَ رَسْلُها وتَجفُّ دِرَّتهـا إذا لم تُحْلَبِ

* * *

وله يمدح ابن الفرج

وله من قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين أبا محمد بنَ الفرَج :

نَبِّهِ الليـلَ بالوَجيف ولا تُو لَعْ بدار الهوان بالإغماضِ
واقْرِ ضيفَ الهموم كل أَمونٍ عَنْـتريس وبازل شِرْواض[٥]
أنقَذَتْنى من الردَى وطْأتى البيـد ونقضُ الهَموم بالإنقاضِ[٦]
شَـكْلُها كالقِسِىِّ وهْىَ سِهامٌ لِلْفَلا[٧] والرُّغاء كالإنبـاض[٨]

(١) الفرك (بكسر الفاء وتفتح) : بغضة المرأة لزوجها .
(٢) ذرور الشمس : طلوعها .
(٣) كذا فى القلائد . وفى الأصول : « سهم » بمعنى جعل فيه نقوشا كالسهام .
(٤) ضيع (بالبناء للمجهول) : صار مهملا .
(٥) الأمون : الناقة القوية على السفر التى يؤمن عثارها . والعنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة . والبازل من الإبل : الذى طلع نابه ، وذلك فى التاسعة من عمره . والشرواض : الضخم .
(٦) الإنقاض : حث الدابة على السير ، يقال أنقض بالدابة : إذا ألصق لسانه بالحنك ثم صوت فى حافتيه .
(٧) فى القلائد : « للبلا » .
(٨) الإنباض : رنين القوس عند جذب وترها .

خِلتُها حين خاضتِ الليلَ سَبْحًا غُمِسَت من دُجاه فى خَضْخاضِ[١]
صَدَعَتْ عَرْمَضَ الدياجر حتى كَرَعَت فى ماءِ الصَّباح المُفَاضِ[٢]
حين راعَ الظَّلامَ وَخْطُ مَشيبٍ قد سَرَى فى سـوادِه ببياض

وله فى الزهد

وقال فى الزهد :

تَجَوْهُرُكَ الأدنى عُنِيتَ بحِفظِـه وضيَّعتَ من جهلٍ تجوهرَكَ الأقصى
لقد بِعْتَ ما يَبقى بمـا هو هالك وآثرتَ لو تدرى على فضلك النقصا

وقال فى ذلك أيضا :

« وما دارنا إلا مَوات . . . » البيتين[٣] .

وقد تمثَّلت بهما فى خُطبة هذا الـكتاب ، فراجعهما .

وله يعزى ابن لبون فى أخيه

وله أيضا يُعَزِّى ذا الوزارتين أبا عيسى بنَ لبُّون فى أخيه :

للمرءِ فى أيامـــــه عِبَرُ والصَّفْوُ يَحْدُث بعـدَه كَدَرُ
خَرَسُ الزمانِ لمن تأمَّلَهُ نُطْقٌ وخُـبْر صروفه خَبَر
نادَى فأَسمعَ لوْ وَعَتْ أُذُنٌ وأَرَى العواقبَ لوْ رَأَى بصر
كم قال هُبُّوا طالمـا هَجعتْ منـكم عيونٌ حقُّهـا السَّهَر
أَبأُذْنِ مَن هو مُبْصِرى صَمَمٌ أم قلبُ من هو سامعى حَجَر
لولا عماكم عن هُدَى نُذُرى ومواعظى ما جاءتِ النُّذُر

(١) الخضخاض : ضرب من النفط أسود رقيق ، تهنأ به الإبل الجرب .
(٢) العرمض : الطحلب يكون على المـاء . والدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلام .
(٣) البيتان هما :

وما دارنا إلا موات لو اننا نفكر والأخرى هى الحيوان
شرينا بها عزا بهون جهالة وشـــتان عز للفتى وهوان

هذى مَصارعُ مَعْشرٍ هَلكوا وَعَظتْكم بالصمت فاعتبروا

[ومنها] :

قالت أرى ليلَ الشباب بدتْ للشَّيب فيه أنجمٌ زُهْرُ

فأجَبْتُها لا تُكثرى عَجَبًا من شَيْبَةٍ لم يَجْنِها كِبَر [٦١٩]

لكنْ طَوَيْتُ من الهموم لَظًى أضحى لها فى عارضى شَرَر

ومنها :

حسُنَتْ شمائلُكم وأوجهكم فتطابَقَا مَرْأًى ومُخْتَبرُ

والحسْن فى صُوَر النفوس وإنْ راقتك من أجسامها الصُّوَر

لاضَعْضَعَتْ أيدى الخطوب لكم رُكْنا ولا راعتْكمُ الغِيَر

وقال يخاطب مكة أعزها الله : وله يخاطب مكة

أمكةُ تَفْديكِ النفوسُ الكرائمُ ولا بَرِحَت تَنهلُّ فيكِ الغمائمُ

وكُفَّتْ أكُفُّ السُّوءِ عنكِ وبُلِّغت مُناها قلوبٌ كى تراكِ حوائم

فإنكِ بيتُ اللهِ والحرمُ الذى لِعِزَّته ذَلَّ الملوكُ الأعاظم

وقد رُفِعت منكِ القواعدُ بالتُّقى وشادتْكِ أيْدٍ بَرَّةٌ ومعاصم

وساويتِ فى الفضل المَقامَ كِلاكُما تُنالُ به الزُّلْفَى وتُحْمَى المآثم

ومن أين تَعدوكِ الفضائلُ كلُّها وفيكِ مَقامان : الهُدى والمعالم

ومَبْعَثُ مَن ساد الوَرَى وحَوَى العُلا بمولده عبدُ الإله وهاشم

نبىٌّ حوَى فضلَ النَّبيِّين واغتدَى لهم أوَّلًا فى فضلِه وهو خاتم

وفيكِ يَمينُ اللهِ يَلثِمها الوَرَى كما يَلثِم اليُمْنَى من المَلْك لائم

وفيكِ لإبراهيمَ إذْ وَطِئَ الثَّرَى(١) ضُحَى قَدَمٍ بُرهانُها متقادِم

(١) كذا فى م . وفى س ، ط : «الصفا» .

دعا دعوةً فوق الصَّفا فأجابهُ قَطوفٌ من الفجِّ العميقِ وراسمُ
فأعْجِبْ بدعوى لم تَلِجْ مِسْمَعَىْ فتًى ولَمْ يَعِها إلاَّ ذكىٌّ وعالم
أَلَهْفِى لأقدارٍ عدتْ عنكِ همتى فلم تنتهض مِنِّى إليكِ العزائم
فيا ليتَ شِعْرِى هَلْ أُرَى فيكِ داعيًا إذا ما دَعَتْ لله فيكِ الغمائم
وهلْ تَمْحُوَنْ عنِّى خطايا اقترفتُها خُطَى فيك لى أو يَعْمَلاتٌ رَواسم
وهل لىَ من سُقْيا حَجيجك شَربةٌ ومن زمزم يُرْوِى بها النفسَ حائم
وهل لى فى أجرِ المُلبِّين مَقسِمٌ إذا بُذِلتْ للنّاس فيكِ المَقاسم
وكَمْ زارَ مَغْناكِ المعظَّمَ مُجْرِمٌ فحُطَّت به عَنْه[1] الخطايا العظائم
ومن أين لا يُضْحِى مُرجِّيك آمنا وقد أَمِنَتْ فيكِ الْمَهَا والحمائم
لئِن فاتنِى منكِ الَّذى أنا رائم فإنَّ هوى نفسى عليكِ لَدائم
وإنْ يَحْمِنِى حامِى المقادير مُقدِمًا عليكِ فإنى بالفُؤادِ لقادم [٦٢٠]
عليكِ سلامُ اللهِ ما طاف طائفٌ بكعبتكِ العُلْيَا وما قَامَ قائم
إذا نَسَمٌ لم تُهْدِ عَنِّى تحيةً إليكِ فمُهديها الرياحُ النَّواسِم
أعوذُ بمن أَسْناكِ من شَرِّ خلقِه ونفسِى فما مِنها سِوى اللهِ عاصم
وأُهْدِى صلاتى والسلامَ لأحمدٍ لعلِّى به من كَبَّة النار سالم

انتهى ما أوردهُ له فى القلائد دون ما قدمناه .

* * *

[ولْنختِمْ ترجمةَ ابن السيد بقوله :

إليكَ أَفِرُّ من ذُلّى وذنبى فأنتَ إذا لقيتُ الله حسْبِى
وزَوْرة أحمدَ المختارِ قِدْما مُنايَ وبُغْيتى لو شاء ربّى
فإنْ أُحْرَم زيارتَه بجسمى فلم أُحْرم زيارتَه بقلبى

(٢) فى ص ، ط : «عنى» . وفى م : «عند» . ولعلهما محرفان عما أثبتناه .

فدونَكَ يا رســـولَ الله منِّى تحيةَ مؤمنٍ وَهُـــدَى مُحِبٍّ
سأجعلُ عُرْوَتى الوُثْقى يقينى لِصحَّة ما أتيت بِهِ وحبى
عسى وُدٌّ ثوَى لكَ فى فؤادى على بُعْدٍ سيوجِبُ منك قربى
شهدتُ بأنَّ دينك خيرُ دين بلا شكٍّ وصحبُك خيرُ صَحْب]
ولْنُمْسِكِ العِنان .

* * *

أبو على الغسانى من شيوخ عياض

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عِياض رحمه الله :

الشيخ أبو علىٍّ الجَيَّانىّ ، وهو حُسين بن محمد بن أحمد الغَسّانىّ (بغين معجمة وسين مهملة مشددة) الجَيّانىّ (بجيم ومُثناة من أسفلَ مشدَّدة) رئيسُ المحدِّثين بقُرطبة ، وليس هو منها ، وإنما نزلها أبوه فى الفِتنة ، وأصلهم من الزَّهراء .

روى عن أبى العاصِى حَكَمِ بن محمّد الجُذامىّ ، وأبى عُمَر بن عبد البرّ ، وأبى شاكِرٍ القَبرىّ ، وأبى عبد الله محمد بن عَتَّاب ، وأبى القاسم حاتم بن محمد ، وأبى عُمَر بن الحذّاء القاضى ، وأبى مَرْوانَ الطُّبْنىّ ، والقاضى سراج بن عبد الله ، وابنه أبى مروان ، وأبى الوليد الباجىّ ، وأبى العباس العُذْرىّ ، وجماعة غيرِهم يطول[1] تعدادُهم ، سمع منهم ، وكتب الحديث عنهم .

وكان من جَهابذة المحدِّثين ، وكبار العلماء المُسْنِدين ، وعُنِىَ بالحديث وكتبِه وروايته وضَبْطه ، وكان حسن الخط ، جيد الضَّبط ؛ وكان له بصر باللغة والإعراب ، ومعرفةٌ بالغريب والشعر والأنساب ، وجمع من ذلك كله مالم يجمعه أحد فى وقته ؛ ورحل الناس إليه ، وعَوَّلوا فى الرواية عليه ، وجلس لذلك بالمسجد

(١) فى الصلة لابن بشكوال : « يكثر » .

الجامع بقرطبة ، وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها ، وفقهاؤها وجِلَّتُها .

أخبر عنه غير واحد من الشيوخ[١] ، ووصفوه بالجَلالة ، والحفظ والنباهة ، [٦٢١] والتواضع والصيانة . وذكره الشيخ أبو الحسن بن مُغيث فقال : كان [من] أكمل من رأيت عِلْما بالحديث ، ومعرفة بطرقه ، وحِفظا لرجاله ، عانَى كُتب اللغة ، وأكثر من روايته الأشعار ، وجمع من سَعة الرواية ما لم يجمعه أحد أدركناه ؛ وصحح من الكتب ما لم يصححه غيره من الحُفاظ ، كتبه حُجّة بالغة ، وجمع كتابا فى رجال الصحيحين ، سماهُ « تقييد المهمَل ، وتمييز المشكِل » ، وهو كتاب حسن مفيد ، أخذه الناس عنه .

قال أبو القاسم بن بَشْكُوال : قرأت بخط أبى علىٍّ رحمه الله تعالى فى كتابه : أنا حَكَم بن محمد ، قال أخْبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن رُزَيْق ، قال : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البغدادىَّ الورَّاق ، قال : سمعت ابن الأصم يقول : سمعت أبى يقول — إذا رأى أصحابَ الحديث — :

أهلاً وسَهلا بالذين أُحبُّهمْ وأَوَدُّهمْ فى الله ذى الآلاء
أهْـلا بقوم صالحين ذَوِى تُقَى غُرِّ الوُجوهِ وزَينِ كلّ مَلَاء
يا طالبى علمِ النبىِّ محمـــدٍ ما أنتُم وسِواكُمُ بسَواء

وأصابت الشيخَ أبا على زَمانةٌ عطَّلته ، فأعمل الرحلة إلى المَرِيَّة للاستشفاء ، بماءِ حَمَّتِها ، حَمَّةِ بَجَّانة ؛ فقَدِم عليها فى صدر المحرَّم سنة ستّ وتسعين وأربع مِئَة ؛ وكان نزوله بها على الشيخ الفقيه أبى الرَّبيع سليمانَ بن حَزْم السَّبائىّ ، وفى منزله وبقراءته وقراءة القاضى أبى القاسم بن وَرْد ، كان أكثرُ ماسمع عليه [مَنْ] بالمريَّة ، ويوجد السماع عليه بحمَّة بَجَّانة ؛ ثم قَفَل إلى قريته ، وبها توفى رحمه الله ليلة

(١) فى الصلة لابن بشكوال : « وأخبرنا عنه غير واحد من شيوخنا » .

الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شعبان ، وقال أبو جعفر بن الباذِش لعشر خلون منه سنة ثمان وتسعين وأربع مِئَة ؛ ودُفِن يوم الجمعة بمقبرة الرَّبَض عند الشريعة القديمة ؛ ومولده فى المحرم سنة سبعٍ وعشرين وأربع مِئة ؛ وكان لَزِم داره قبل موته لزَمانته . [٦٢٢]

ذكر ذلك كلَّه ابنُ بَشْكُوال ؛ وفيه عن غيره ، وهذا هو الصحيح الذى لا يُلْتفت إلى غيره ، ممن قال إن وفاته سنة ست وتسعين وأربع مِئة . والله أعلم .

* * *

أبو على الصدفى من شيوخ عياض

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عِياض رحمه الله تعالى :

القاضى الشهير [الشهيد] أبو علىٍّ الصَّدَفِىّ . وهو حُسَين بن محمد بن فِيرُّهْ ابنِ حَيُّونَ بن سُكَّرَة . وفِيرُّهْ (بكسر أوله ، وياء مُثَناة فى أسفل ، وراء مضمومة مشدّدة ، وهاء ساكنة) : قيل معناه الحديد بلغة العجم ، وقد صَرَّح بذلك صاحب الدِّيباج المُذْهَب . وحَيُّون بحاء مهملة ، وياء مُثناة من أسفل مشددة . وسُكَّرة : (بضم السِّين المهملة ، وفتح الكاف المُشَدَّدة ، وآخره تاء تأنيث) : مؤنث سُكَّر . والصَّدَفِىُّ : بفتح أوله وثانيه . وهو من أهل سَرَقُسْطة ، سكن مُرْسِيَة ، وروَى بسرَقُسْطة عن أبى الوليد سليمان بن خَلَف الباجىّ ، وأبى محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيلَ وغيرهما ، وسمع ببَلَنْسِيَة من أبى العباس العُذْرىّ ، وسمع بالمَرِيَّة من أبى عبد الله محمد بن سَعْدونَ القَرَوِىّ ، وأبى عبد الله بن المرابط ، وغيرهما .

رحلته إلى الشرق

ورحل إلى المشرق أولَ المحرم من سنة إحدى وثمانين وأربع مِئة ، وحجّ مِن عامه ، ولَقِىَ بمكَّةَ أَبَا عبد الله الحسينَ بن علىٍّ الطَّبَرِىّ : إمامَ الحَرَمين ، وأبا بكرٍ الطُّرْطُوشِىّ ، وغيرَهما ، ثم صار إلى البَصْرَة ، فلقى بها أبا يَعْلَى المالكىّ ، وأبا العَبَّاس الجُرْجانىّ ، وأبا القاسم بن شُعْبَة ، وغيرهم ؛ وخرج إلى بغداد ،

فسمع بواسِطَ من أبى المعالى محمد بن عبد السّلام الأصْبَهانى وغيره ؛ ودخل بغداد يومَ الأحد السادسَ عشر لجمادى الآخِرة ، سنة اثنتين وثمانين وأربع مِئَة ، فأطال الإقامة بها خمسَ سنين كاملة ، وسمع بها من أبى الفضل أحمد بن الحسن [٦٢٣] ابن خَيْرون مُسْنِد بغداد ، ومن أبى الحسين [بن] المبارك بن عبد الجبار الصَّيْرفِىّ ، وأبى محمد رِزْق الله بن عبد الوهاب التميمىّ ، وأبى الفَوارس طراد بن محمدٍ الزَّيْنَبِىّ ، وأبى عبد الله الحُميدىّ ؛ وتفقه على [الفقيه] أبى بكرٍ الشاشىّ وغيره ، وسمع من جماعة سِواهم من رجال بغداد ، ومن القادمين عليها أيام كَوْنه بها . ثم رحل عنها فى جمادى الآخِرَة سنة سبع وثمانين وأربع مِئة ، فسمع بدِمَشْقَ من أبى الفتح [نصر] بن إبراهيم المَقْدِسِىّ ، وأبى الفَرَجِ سَهْلِ بن بِشْر الإسْفَرائِنِىّ وغيرهما ، وسمع بمصر من القاضى أبى الحسن على بن الحسين الخِلَعِىّ ، وأبى العباس أحمد بن إبراهيم الرّازِى وأجاز له بها أبو إسحاق الحَبّال ، مُسْنِدُ مِصْر فى وقته ومكثرُها ؛ وسمع بالإسكندرية من أبى القاسم مَهْدِىّ بن يوسف الورّاق ، ومن أبى القاسم شُعَيْب بن سَعْد وغيرهما .

عودته إلى الأندلس

ووصل إلى الأندلس فى صفر من سنة تسعين وأربع مِئة ؛ وقصَد مُرْسِية ، فاستوطنها ، وقَعَد يحدث الناس بجامعها ؛ ورحل الناسُ من البُلْدان إليه ، وكثر سماعهم عليه . وكان عالما بالحديث وطُرُقه ، عارفا بعِلَله وأسماء رجاله ونَقَلَته ، بصيرا بالمُعَدّلين منهم والمُجَرّحين ؛ وكان حسن الخط ، جَيِّد الضبط ، وكتب بيده علما كثيرا وقَيّده ؛ وكان حافظا لمصنفات الحديث ، قائما عليها ، ذاكرا لمُتُونها وأسانيدها ورُواتها ، وكتب منها صحيح البخارىّ فى سِفر ، وصحيح مسلم فى سِفر ، وكان قائما على الكتابين ، مع مصنف أبى عيسَى التِّرْمِذِىّ . وكان فاضلا دَيِّنا ، متواضعا حليما ، وَقورا عالما عاملا ؛ واستُقْضِىَ بمُرْسِيَة ثم [٦٢٤]

استعفى فأُعْفِي ؛ وأقبل على نشر العلم وبَثِّه .

حديث ابن الأبار عنه

قال ابن الأبّار : وقد ذكره أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه ، لدخوله الشام . قال : و بعد أن استقرتْ به النَّوَى ، واستمرّتْ إفادته بما قيّد ورَوَى ؛ رفعته ملوك أوانه ، وشَفَعته فى مطالب إخوانه ؛ فأوسعته رَعْيا ، وحَسُنت فيه رَأيا ؛ ومن أبنائهم من جعل يقصده ، لسَماع مُسنده . وعلى وقاره الّذى كان به يُعرَف ، ندَر له مع بعضهم ما يُستظْرَف ، وهو أنّ فَتًى منهم يسمى يُوسُف ، لازم مجلسه ، معطِّرًا رائحته ، ومُنظِّفا ملبَسه ، ثم غاب لمرض قطعه ، أو شغل منعه ؛ ولمّا فَرَغ أو أبلّ ، عاود ذلك النادىَ المباركَ والمحلّ ؛ وقبل إفْضائه إليه دلّ طيبه عليه ؛ فقال الشيخ ، على نزاهته من المجُون ، وسلامته من الفُتُون : «إنى لأجد ريح يوسف لولَا أنْ تُفَنِّدون» . وهى من طُرَف نوادره ، رحمة الله عليه .

توليه قضاء مرسية واستشهاده فى وقعة قتنده

ولما قُلِّد الشيخ أبو على قضاء مُرْسِيَة ، وعُزِم عليه فى تولّيه ، ولم يُوسِعْه عُذْراً فى استعفائه مُقدِّمُه لذلك ومُوَلِّيه ؛ خرج منها فارًّا إلى المَرِيَّة ، فأقام بها ، [سنة خمس و بعض سنة ست وخمس مئة . وفى سنة ست قبل قضاءها على كره ، إلى أن استخفى آخر سنة سبع ، فى قصة يطول إيرادها . ولطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه فيها] ، فلما كانت وقعةُ كُتُنْده ، و يقال قُتُنْدة بالقاف ، من حَيِّز دَوْرَقة ، من عَمَل سرقُسْطة ، من الثغر الأعلى ، وذلك سنة أربعَ عَشْرة وخمس مئة كان الشيخ أبو على ممن حضرها ، هو وقرينه فى الفضل أبو عبد الله بن الفرَج ، خرجا مع الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشَفِين غازيين ، فكانا فيمن فُقِد فيها . واختلف فيها أصحابه ، فجعلها أبو جعفر بن الباذِش بعد العصر ، من يوم الأربعاء السابعَ عَشَر من ربيع الآخر ، من السّنة المذكورة ، وتابعه أبو عبد الله بن عبد الرحيم ؛ وجعلها القاضى أبو الفضل عِياض بن موسى يوم الخميس ، لستٍّ

بقين منه . وقال أبو القاسم بن بَشكُوال : استشهد القاضى أبو على فى وقعة قُتُنْدَة ، بثغر الأندلس ، يوم الخميس ، ووافق عِياضا إلا فى الشهر ، فإنه قال من [٢٠٥
ربيع الأول . قال ابن الأبّار : وهو الأصح . وقال أبو عمرو الخضر بن عبد الرحمن : تُوُفّى فى الكائنة على المسلمين بكُتُنْدة ، عَشِيّ يوم الخميس ، الثامنَ عشرَ من شهر ربيع الأول ، فتابعَ ابنَ بَشْكُوال على الشهر . قال أبو عبد الله بن الأبّار : وقرأت بخط أبى عبد الله بن مُدْرِكٍ الغَسّانى المالَقى : استشهد الفقيه أبو على رحمه الله تعالى فى وقْعة كُتُنْدة ، يومَ الخميس ، التاسعَ عَشَر من ربيع الأوّل ، وذكر السنة . قال : وكانت على المسلمين ، جَبَرَهُمُ الله تعالى ، قُتِل فيها من المطَوِّعَة نحوٌ من عشرين ألفا ، ولم يُقْتل فيها من العسكر يعنى الجندَ أحد ، وحكَى غيرُهم أنّ العسكر انصرف مَفلولا إلى بَلَنْسِيَة ، فى الموفِّى عشرين من ربيع الأول أيضا ، وأن القاضى أبا بكرِ بن العربىّ حضرها قال : وسُئِل مَخْلَصَهُ منها عن حاله ، فقال : حال من ترك الخِبا والعَبا . قال ابن بَشْكُوال : وكان القاضى أبو على يومئذ من أبناء السِّتين ، وقد ذكره ابن بَشكُوال ، وقال : وهو ممن كَتب إلينا بإجازة ما رواه ، ولم ألقه . وذكره ابن الأبار فى معجم أصحابه ، وقد ألّف ابن الأبّار هـذا المعجم فى أصحاب القاضى أبى على ، كما ألّف القاضى أبو الفضل عِياض بن موسى معجمَ شيوخه ، رحمة الله عليهم أجمعين .

* * *

ابن بقوى من أشياخ عياض

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله تعالى :

أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهلالىّ ، يُعْرف بابن بَقْوَى ، ويُقال ابن بَقْوَة ، من أهل غَرْناطة ، وسكن المَرِيّة وسمع من شيوخ المرية ، مثل ظاهر ابن هشام الأزْدىّ ، وأبى محمد حَجّاج بن قاسم بن محمد الرُّعَيْنىّ ، المعروف بابن [٢٠٦

المأمونى ، وأبى القاسم خَلَفِ بن أحمد الجَرَاوىّ ، وأبى العَبَّاس أحمد بن عمر العُذْرىّ ، وغيرهم ؛ ومن الطارئين عليها ، مثل القاضى أبى الوليد الباجىّ ، وأبى عبد الله محمد بن سَعدونَ القَرَوىّ . وكان خروجه من المَرِيَّة بعد سنة اثنتين وتسعين وأربع مِئَة [1] ، وسكن غَرناطة مدة ، ووَلِى الأحكام بعدّة جهات من كورة ألْبيرة . وكان من حُفّاظ الحديث المُعْتنين بالتنقير عن معانيه ، واستخراج الفقه منه ، مع التقدم فى حفظ مسائل الرأى ، والبصر بعقد الوثائق ، والتقدم فى معرفة أصول الدين . روَى عنه جماعة . ووُلِد فى صفر سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، وتُوُفِّى بغرناطة فى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وخمس مئة ؛ ذكره ابن بَشْكُوال .

* * *

ابن شبرين من أشياخ عياض

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله :

القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على [بن سعيد] بن عبد الله بن شِبْرين ، بشين معجمة مكسورة ، وباء موحّدة ساكنة ، وراء مكسورة ، بعدها ياء ، آخِر الحروف ، وآخره نون ، الجُذامىّ ، من أهل مُرْجِيق : حِصن من حصون شِلْب ، بينهما أربعون ميلا من الغرب .

أخذ عن القاضى أبى الوليد الباجىّ كثيرا من مَرْوِيّاته وتآليفه ، وصحبه واختَصّ به ، وكان من أهل العلم ، والمعرفة والفهم ، عالما بالأصول والفروع ، واستُقْضِىَ بإشْبيلية ، وحُمِدت سِيرته ، ولم يزل يتولّى القضاء بها ، إلى أن تُوُفِّى ليلة الأربعاء ، لثلاثٍ خَلَوْن من رجبٍ الفَرْد ، سنة ثلاث وخمس مئة .

قال ابن بَشْكُوال : كتب إلىّ القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن

(١) الذى فى الصلة لابن بشكوال بالأرقام لا بالحروف : « بعد سنة ٤٨٠ » .

عياض بوفاته ، وقال قيّدتُها حين وفاته . قلت : وهذا هو الصواب ، لا ما قاله
[١٢٧] بعض من شَرَح الشِّفا : إنه تُوُفِّى يومَ الخميس رابع رجب المذكور ، ولعلّه ظنّ أن يوم دفنه هو يوم وفاته ، على أنّ مِثل هذا قريب ، لاسيما إن كانت وفاته آخرَ الليل ، فلا يكون بين اليوم والليلة إلا مُدَيْدة قليلة جدّا ، فافهم .

وحكى القاضى أبو الحسن عيسى بن حبيب : أنه رَحَل إلى أبى الوليد الباجىّ سنة تسع وستين وأربع مئة ، وصحبه بسرقُسْطة ، ثم سافر معه إلى المَرِيّة ، حتى مات أبو الوليد ، فكانت صحبته له نحو أربعة أعوام ، ووصل من منفعته به فى العلم فى هذه المدة ، ما لم يصل إليه غيره منه فى المدة الطويلة ، رحمهما الله تعالى ؛ وأجاز له جميع رواياته أبو العباس العُذْرىّ ، وأبو القاسم عبد الجليل الرَّبَعى القَيْروانىّ ، مع تواليفه ، وأجاز له أبو عبد الله بن المُرابِط روايته عن الطَّلَمَنْكِىّ وخَلَف البَغَوِىّ ، وصحب بعد وفاة القاضى أبى الوليد الباجىّ ابنه أبا القاسم ، وأجاز له جميع ما رواه ، وانصرف إلى حصْن مُرْجيق ، فولى الأحكام به ، ثم نُقِل إلى قضاء شِلْب ، فأقام بها قاضيا أعواما ، ثم نقله الأمير سير بن أبى بكر إلى قضاء إشبيلية ، بعد صرف أبى القاسم بن منظور عن قضائها ، فضبط الأمور ، وجمع المُفْترق من شئون القضاء ، وكان صَليبا فى الحق ، نافذا فى أحكامه ، لا تأخذه فى الله لومةُ لائم ، وشَنِئَه أقوام ، فبَغَوْا عليه ، بغيا وحسدا ، عند أمير المسلمين علىّ بن يوسف بن تاشَفِين ، فصرفه عن القضاء ، ثم لم يَلْبَثْ إلّا نحو خمسةَ عَشَر يوما ، حتى ردّه إليه أحسنَ ردّ . وكان الفقيه أبو مَروانَ الباجىّ يُثْنِى عليه ، ويبالغ فى تقريظه ، ويقول : ما علّمنا القضاء إلا أبو عبد الله بن شِبْرين . ولم يزل قاضيا بإشْبيلية ، مضْطَلِعا بأعباء القضاء ، حسن السياسة فيه ، ناشرا للعلم ، إلى أن تُوُفِّى بها ، رحمه الله تعالى . ذكره ابن بشكوال .
[٦٢٨]

* * *

وإذا تَتَبَّعْنا أشياخ القاضى عِياض بالتعريف ، لم يَسَعْ ذلك هذا الموضوع ، وقد تقدم أنهم نحوُ المِئة ، ورتَّبهم ولده على الحروف ، حَسْبما نُقِل من فَهْرَسَته .

فمنهم فى حرف الهمزة :

ابن بقى من شيوخ عياض

الشيخ بن بَقِىّ ، وهو أحمد بن محمد بن محمد بن مَخْلَد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن بَقِىّ بن مَخْلَد . ولد فى شعبان سنة ست وأربعين وأربع مِئة . ومات مُنْسَلَخ ذى الحِجّة سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة . وكُف بصره بآخِر عمره . رحمه الله .

* * *

ومنهم فى هذا الحرف :

ابن المرخى من شيوخ عياض

أبو جعفر بن المرخى ، وهو أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللَّخْمِىّ تُوُفِّىَ ليلة الجمعة ، لثمانٍ بقين من ربيع الأول ، سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة .

ومنهم :

ابن غلبون من شيوخ عياض

الشيخ ابن غَلْبون ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان ابن غَلْبون ، بفتح الغَين المعجمة ، وضم الباء الموحدة ، وآخره نون . وُلِد سنة ثمانَ عشرة وأربع مئة ، ومات فى شعبان سنة ثمانٍ وخمس مئة .

ومنهم :

أبو العباس الشارقى من شيوخ عياض

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارىّ الشارقى ، تُوُفِّىَ قرب خمس مئة .

ومنهم :

أبو إسحاق اللواتى من شيوخ عياض

أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد الفقيه اللَّواتى ، بفتح اللام ، منسوب

لِلَواتَة ، مخففة الواو ، مفتوحتها ، ومفتوحة اللام أيضا ، وتاء مثناة من فوق ، قبيلة . الفاسىّ ، نسبة لفاس الحضْرة المشهورة ، حاط الله أرجاءها ، و بلغها من الأمن والعافية رجاءها . مات فى الثامن من جُمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة وخمس مئة .

ومنهم :

ابن بشتغير وابن مكحول من شيوخ عياض

أحمد بن سعيد بن بَشْتَغِير ، وأحمد بن محمد بن مكحول ، إلى غيرهم من جملة سبعة عشر رجلا فى هذا الحرف ، أعنى حرف الهمزة . [٦٢٩]

ومنهم فى حرف الحاء :

من شيوخ عياض المذكورين فى حرف الحاء

الحسين بن محمد الصَّدَفىّ ، والحُسين بن محمد الغَسَّانىّ ، وقد تقدم الكلام عليهما ، والحُسين بن عبد الأَعلَى السَّمَاقُسىّ ، والحسَين بن على بن طريف .

ومنهم فى حرف الخاء :

من شيوخ عياض المذكورين فى حرف الخاء

خلف بن إبراهيم أبو القاسم الخطيب المُقْرئ . وهو خلف بن إبراهيم بن خَلَف بن سعيد ، المعروف بابن النخّاس ، بخاء معجمة ، وبابن الحصّار . ولد سنة سبْع وعشرين وأربع مئة ، وتُوُفِّىَ بقُرطبة يوم الثلاثاء ، سادس عشر صفر سنةَ إحدى عشرة وخمْسِ مِئة . وخَلَفِ بن خَلَفٍ الأَنْصارىّ بن الأنقر . وخَلَفِ ابن يوسف بن فُرْتُون .

ومنهم فى حرف الميم :

من شيوخ عياض المذكورين فى حرف الميم

القاضى أبو الوليد بن رُشْد ، والقاضى أبو عبد الله بن حَمْدين ، والقاضى أبو عبد الله بن الحاجّ ، والقاضى ابن العربىّ ، والقاضى ابن شِبْرين ، و [قد] تقدّم ذكرهم .

وأبو عبد الله التميمىّ ، وهو محمد بن عيسى بن حسين ، ولد سنة تسع وعشرين وأربع مئة ، ومات بسَبتة صَبيحة يوم السبت لتسع بقين من جمادى الأولى ، سنة خمس وخمس مئة .

وأبو عامر محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل الطُّلَيْطِلِىّ ، بضم الطاءين[1] . ولد سنة ستٍّ وخمسين وأربع مئة ومات بقُرْطبة ، فى ربيع الأول ، سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة .

وأبو عِمْرانَ موسى بن عبد الرحمن بن أبى تَليد ، بمُثَنَّاةٍ من فوق مفتوحة ، الشاطبىّ الرُّعَيْنى ، منسوب لذِى رُعَيْن مِنْ حِمْير . وُلِد سنة أربع [وأربعين] وأربع مئة ومات فى ربيع الآخر سنةَ سبع عشرة وخمس مئة .

ومن شعره رحمه الله ، ورضى عنه :

[٦٣٠] اللَّيالى تَسُـــــوء ثم تَسُرُّ وصُروف الزمانِ ما تَستقرُّ
بينما المرء فى حَـــلاوة عيشٍ إذ أتاه على الحَلاوة مُرُّ
فالكريم المصابُ يَفزَعُ فيه لكريم ويَنْفَعُ الحرَّ حُر

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الأشْقرىّ المقرئ النحوىّ ، مات سنة خمس وخمس مئة . ومحمد بن على الشاطبىّ ابن الصَّيقل ، ومحمد بن سليمان النَّفْزِىّ بن أخت غانم ، ومحمد بن عيسى التُّجِيبىّ القاضى ، إلى غيرهم ، من جملة أحد وثلاثين شيخا فى هذا الحرف ، منهم المازَرِىّ والطُّرْطوشىّ ، لكن بالإجازة [له] ، إذ لم يَلْقَهما كما سيأتى قريبا .

---

(١) هكذا ضبطها الصاغانى . قال شارح القاموس : « والصواب بكسر الطاء الثانية ، كما ضبطه مؤرخو المغرب وابن السمعانى » . وقال ياقوت فى المعجم : « أكثر ما سمعناه من المغاربة : بضم الطاء الأولى وفتح الثانية » .

ومنهم فى حرف العين :

ن شيوخ عياض المذكورين فى حرف العين

أبو محمد عبد الله بن السيِّد البَطَلْيَوْسِىّ ، وقد تقدم ذكره . وأبو محمد بن عَتّاب الجُذامىّ ، الإمام الشهير ، فقيه قُرطبة و إمامها ، وشيخ زمانه فى العلم الموروث كابرا عن كابر ، تُوُفِّى سنة ثمان وخمس مئة . وأبو محمد عبد الله بن أبى جعفر ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله الخُشَنِىّ . وعبد الرحمن بن محمد السَّبْتى ابن العَجوز ، وعبد الله بن محمد بن أيُّوبَ الفِهْرِىّ . وعبد الرحمن بن محمد بن بَقِىّ . وعلى بن أحمد الأنصارى بن الباذِش . وأبو الحسن عَلِى بن مُشَرَّف [اسم مفعول شُرِّفَ بالتشديد] وهو ابن مُسَلَّم [مفعول ، سُلِّمَ مُشدَّد] ابن أحمد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن الأنماطى [بفتح الهمزة] ، [الإسكندرانى . وأبو محمد عبد الله بن أحمد العَدْل « بالفَتح وسكون الدال » ، التميمىّ] ، مات بسَبْتة عام أحد وخمس مِئة . وعلى بن عبد الرحمن التُّجِيبىّ بن الأخضر ؛ إلى غيرهم من جملة سبعة وعشرين فى هذا الحرف .

ومنهم فى حرف الغين .

ن شيوخ عياض المذكورين فى حرف الغين

غالب بن عطية المحاربىّ ، وقد تقدم .

ومنهم فى حرف السين .

ن شيوخ عياض المذكورين فى حرف السين

سِراجُ بن عبد الملك بنَ سراج أبو الحسن . وأبو بحر سفيان بن العاصِى الأسَدىّ ، مات بقرطبة لثلاث بقين من جُمادى الآخرة سنة عشرين وخمس مِئة ، [٦٣١] وولد سنة تسع وثلاثين ، وقيل أربعين وأربع مِئة ، وفى سنة وفاته المذكورة توفى القاضى أبو بكر الطُّرْطُوشِىّ رحمه الله ، وفيها أيضا توفى الإمام المؤرخ ، الشيخ الراوية ، أبو مروان حَيَّان بن حَيَّان رحمه الله .

وشيوخ القاضى أبى الفضل فى هذا الحرف خمسة .

بعض شيوخ عياض المذكورين فى حرف الشين

ومنهم فى حرف الشين .

شُرَيح بن محمد الرُّعَيْنِيّ الإشبيلى .

ومنهم فى حرف الهاء .

بعض شيوخ عياض المذكورين فى حرف الهاء

أبو الوليد هشام بن أحمد بن العَوّاد ، الفقيه المشهور ، ولد سنة اثنتين وخمسين وأربع مِئة ، وتُوُفِّى سنة تسع وخمس مِئة .

وهشام بن أحمد الهِلالىّ الغَرْناطىّ ، وقد تقدم ذكره .

ومنهم فى حرف الياء .

بعض شيوخ عياض المذكورين فى حرف الياء

يُونس بن محمد بن مُغِيث بن الصَّفّار .

ويوسف بن موسى الكَلْبىّ ، سمع القاضى أبو الفضل منه أُرْجُوزته .

[وهو الضريرُ الأديب النحوىّ المتكلم الزاهد . وأصله من سَرَقُسْطَة ، وسكن مَرّاكُش ، وبها توفِّى سنة عشرين وخمس مئة . وهو من تلامِذة أبى بكر محمَّد ابن الحسن المُرادىّ الحضرمى . والمُرادىُّ هذا أوَّلُ من أدخلَ علومَ الاعتقادِ إلى المغرب الأقصى ، وسكن بأغمات ؛ فلما توجَّه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء ، حمله ، وولّاه القضاء ، فمات بأركز[1] من صحراء المغرب سنةَ تسعٍ وثمانين وأربع مئة ؛ فخلَفَه أبو الحجاج يوسُف فى علوم الاعتقادات ، وغلب عليه الزهد ؛ وله أرجوزةٌ صُغْرى فى علم الاعتقاد ، قرأها عليه القاضى أبو الفضل عياض ، كما ذكرناه .

قال عياض : وأجازنى أرجوزتَه الكبرى وجميعَ تآليفه ورواياته ، وكتابَ التحرير لشيخه المرادىّ ؛ وعن المرادى كان أكثرُ أخذِ أبى الحجاج .

من شعر المرادى

قال عياض رحمه الله تعالى : أنشدنى لشيخه أبى بكر المرادى رحمه الله تعالى :

(١) كذا فى الصلة لابن بشكوال ، وفى نسخة منها « أزكد » وفى م : « أركى » .

عِلْمِي بِقُبْحِ المعاصى حين أركبُها يقضى بأنِّىَ محمولٌ على القَـــدَرِ
لو كنتُ أملكُ نفسى أو أصرِّفُها ما كنتُ أطرَحُها فى لُجّة العِذَرِ
كُلِّفتُ فعْـــلاً ولم أقدِر عليه ولم أكُنْ لأفعلَ أفعالا بِلا قَدَرِ
وكان فى عدل ربِّى أن يعذِّبَنِي فلم أُشاركْهُ فى نَفْع ولا ضَرر
إن شاءَ نعَّمَنى أو شـــاء عذَّبنى أو شاء صوَّرَنى فى أقبح الصُّور
يا ربِّ عفوكَ عن ذنب قضيْتَ به عدلا علىَّ فهَبْ لى صفح مُقْتَدِرِ

* * *

ومن شيوخ القاضى عياض رحمه الله تعالى فى حرف الياء] .

يُوسف بن عبد العزيز بن عُدَيس الطُّلَيْطِلِىّ ، رحم الله جميعهم .

* * *

ممن أجاز عياضا أبو بكر الطرطوشى

ومحمد أجاز القاضى أبا الفضل عياضا ولم يلقه :

الشيخ الأستاذ أبو بكر محمد بن الوَليد الطرْطُوشِىّ ، الطائر الصيت ، الشهير الذكر ، وقد تقدم ذكر وفاته .

وهو محمد بن الوَليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيُّوب القُرشِىّ الفِهرىّ الطُّرْطوشىّ [بضم الطاءين المهملتين؛ وقد تفتح الطاء الأولى] ؛ أصله من طُرْطُوشة ، بلاد بالأندلس ، ويُعرَف بابن أبى رَنْدَقة ، [براء مهملة مفتوحة ، ثم نون ساكنة ، ثم دال مهملة مفتوحة ، ثم قاف . كنيته أبو بكر ، وهو المَعْنِىّ] بقول ابن الحاجب فى مختصره الفقهىّ ، فى باب العتق : « وقال الأستاذ : ومُقْتضاه إذا باعَه قبل التَّقْويم أن يُقوَّم »

صَحِب القاضىَ أبا الوليد الباجىّ بسَرَقُسْطَة ، وأَخَذَ عنه مسائل الخلاف ، [٦٣٢] وسمع منه ، وأجازه ، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه ، وقرأ الأدَب على أبى محمد ابن حَزْم بمدينة إشْبِيلِيَة .

ثم رحل إلى المشرق سنة ستٍّ وسبعين وأربع مِئة ، وحجّ ودخل بغداد والبَصرة ، فتفقه عند أبي بكر الشّاشيّ ، وأبي أحمد[١] الجُرْجَانيّ ، وسمع في البَصْرة من أبي علي التُّسْتَريّ ، وسكن الشام مدة ، ودرّس بها ، وكان إماما عالما عاملا ، زاهدا متواضعا ، دَيِّنا وَرِعا ، متقشّفا متقللا مِنَ الدنيا ، راضيا منها باليسير .

ومن كلامه رضي الله عنه : إذا عرض لك أمران : أمر دنيا وأمر أخرى ، فبادر بأمر الأخرى ، يحصلْ لك أمر الدنيا والأخرى .

وله عدة تآليف ، منها مختصر تفسير الثعالبي ، والكتاب الكبير في مسائل الخلاف ، وكتاب في تحريم جُبْن الرّوم ، وكتاب سِراج الملوك ، وهو من أنفع الكتب في بابه وأشهرها ، وكتاب بِدَع الأمور ومُحْدَثاتها ، وكتاب شرح رسالة ابن أبي زيد .

وُلِد سنة إحدى وخمسين وأربع مِئة تقريبا ، وتُوُفِّي في ثُلث الليل الأخير من ليلة السبت ، لأربع بقين من جُمادى الأولى ؛ وقال ابن بَشْكُوال في الصِّلة : في شعبان سنة عشرين وخمس مِئة ، كما تقدم ، بثغر الإسكندرية ، وصلّى عليه ولدُه محمّد ، ودُفن قبليّ الباب الأخضر . رحمه الله ورضي عنه .

تعريف ابن خلكان بالطرطوشي

وقال ابن خَلِّكانَ في حقه ما نصُّه[٢] : محمد بن الوَليد بن محمد بن خَلَف ابن سُليمان ، [بن أيوبَ][٣] القرشيّ الفِهريّ ، [الأَنْدلسي][٣] الطُّرطوشيّ المالكيّ ، المعروف بابن أبي رَنْدَقَة (بالراء المهملة المفتوحة[٤] ، وتسكين النون) ،

(١) كذا في الصلة لابن بشكوال وابن خلكان . وفي الأصول : « وأبي محمد » .
(٢) بين الكلام المنقول هنا عن ابن خلكان والنسخة المطبوعة منه بمصر خلاف كثير بالتقديم والتأخير والزيادة والنقص ، والتصرف في العبارة .
(٣) زيادة عن نسخة ابن خلكان ، طبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٠ هجرية .
(٤) ضبطها ابن فرحون في الديباج المذهب بالعبارة : « بضم الراء » .

إمام وَرِع ، أديب مُتَقلِّل . كان يقول : إذا عَرَض لك أمران : أمر أُخْرَى وأمر دنيا ، فبادر بأمر الأُخْرى يحصُلْ لك أمر الدنيا والأخرى .

وله طريقة فى الخلاف ، وله أشعار ، منها : [٦٣٣]

إذا كنتَ فى حاجةٍ مُرْسِلاً ... وأنتَ بإنجازِها مُغْـــرَمُ
فأَرسِلْ بأَبْلَهَ[1] خَلَّابةٍ ... به صَمَمٌ أغطَشٌ أبْكَمُ
ودعْ عنكَ كلَّ رسولٍ سِوَى ... رَسُولٍ يُقـــالُ له الدِّرْهَمُ

قال الطُّرطوشى : كنت ليلة نائما فى البيت المُقدَّس[2] ، إذْ سمعت فى الليل صوتا حزينا يُنْشِد :

أخوْف ونومٌ إنْ ذا لعجيبُ ... ثَـكِلَتْكَ من قلبٍ فأنتَ كَذُوبُ
أَمَا وجلالِ اللهِ لو كنتَ صادقا ... لَمَا كان للإغماضِ فيك[3] نصيب

قال : فأيقظ النُّوَّام ، وأبكى العُيون .

وكان الطَّرْطُوشى يُنْشِد[4] :

إنَّ لله عبـــادا فُطَنَا ... طَلَّقوا الدُّنيا وخافُوا الفِتَنَا
فَـكَّروا فيها فلمـــا عَلِموا ... أنَّهـــا ليستْ لَحِيٍّ وَطَنا
جَعَلوها لُجَّةً واتخـــذوا ... صـــالحَ الأعمالِ فيها سُفنا

ودخل الطَّرْطُوشىّ على الأفضل بن أمير الجيوش ، فوعظه ، وقال : إن الأمر الذى أصبحتَ فيه من المُلك ، إنما صار إليك بموت من كان قَبْلك ، وهو خارج عن يدك ، بمثل ما صار إليك ، فاتَّق الله فيما خَوَّلك من هذه الأمة ، فإنَّ

(١) فى م ونفح الطيب وابن خلكان : « بأكه » .
(٢) فى ابن خلكان : « فى بيت المقدس » :
(٣) فى ابن خلكان : « منك » .
(٤) فى ط : « ينشد ويقول » .

الله عز وجلّ سائلك عن النَّقير والقِطْمير والفَتيل ؛ واعلم أنَّ الله عز وجلّ آتى سليمانَ بن داود مُلْكَ الدنيا بحذافيرها ، فسخَّر له الإنس ، والجن ، والشياطين ، والطير ، [والوحش] ، والبهائم ؛ وسخَّر له الريح تجرى بأمره رُخاءً حيث أصاب ، ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عزّ من قائل : «هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيرِ حساب » ؛ فما عدَّ ذلك نعمة كما عددتموها ، ولا حَسِبها كرامة كما حَسِبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجا مِنَ الله عز وجل ، فقال : « هذا من فضل ربى ، ليبلونى أأشكرُ أم أكفر » ؛ فافتح الباب ، وسهِّل الحجاب ، وانصُرِ المظلوم ؛ وكان إلى جانب الأفضل رجل نصرانىّ ، فأنشده :

[٦٣٤] يا ذَا الّذِى طاعتُــه قُرْبةٌ وحقّهُ مُفْتَرَضٌ واجِبُ
إنّ الّذى شُرِّفْتَ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هــذَا أنّهُ كَاذِبُ

وأشار إلى [ذلك] النَّصرانىّ ، فأقامه الأفضل من موضعه .

وتُوُفى الطُّرْطُوشىّ سَنة عشرين وخمس مئة بالإسكندرية .

انتهى كلام ابن خَلِّكان . وذكرته برُمَّتِه وإن كان بعضه قد تقدم ، تكميلا للغرض ؛ وقد يقع لى مثل هذا فى هذا الموضوع[1] كثيرا ، والقصد به التقوية لما تكرَّر معه ، أو غير ذلك ، كارتباط الكلام بعضه ببعض ؛ وعلى الله قَصْد السبيل .

* * *

ممن أجاز عياضا أبو عبد الله المازرى

ومِمن أجاز القاضى عياضا ولم يلقه :

الشيخ الإمام المجتهدُ أبو عبد الله المازَرِىُّ ، محمد بن علىّ بن عُمر بن محمد التميمى المازَرِىّ ، بفتح الزّاى عند الأكثر ، وجوَّز كسرَها جماعة ؛ نسبة إلى مازَر ، بُلَيْدة بجزيرة صِقِلِّية ، أعادها الله . أخَـذ عن الشيخين أبى الحسَن

(١) يريد بالموضوع : التأليف

اللَّخْمىّ ، وأبى محمد بن عبد الحميد القَرَوى المعروف بالصائغ ، وكان إماما مُحَدِّثا ، وهو أحد الأئمة الأعلام ، المشار إليهم فى حفظ الحديث والكلام عليه ، عُمْدة النُّظّار ، وتُحفة الأمصار ، المشهور فى الآفاق والأقطار ، حتى عُدَّ فى المذهب إماما ، وملك من مسائله زِماما . وله تآليف مُفيدة ، عظيمة النفع ، منها كتاب المُعْلِم ، بفوائد مُسْلِم ؛ وكتاب التعليقة على المدوَّنة ، وكتاب شرح التلقين ، وكتاب الردّ على الإحياء للغَزّالى ، المسمى بكتاب الكشف والإنباء ، عن المتَرْجَم بالإحياء ؛ وكشْف الغِطا ، عن لمس الخَطا ؛ وكتاب إيضاح المحصول ، من بُرهان الأصول ؛ وتعليقة على أحاديث الجَوْزَقىّ ؛ وله أيضا إملاء على شىء من رسائل إخوان الصفاء ، سأله السلطان تميمٌ عنه ، وكتاب النُّكَت القَطْعية ، فى الرد على الحَشْوِيَّة والذين يقولون بقدم الأصوات والحروف ؛ وفتَاوَى .

تُوُفِّى ثامنَ عَشَرَ ربيعٍ الأوّل سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مئة ؛ وقيل [٦٣٥] يوم الأثنين ثامن الشهر المذكور بالمهديّة ، وعمره ثلاث وثمانون سنة ، رحمه الله ورضى عنه .

وحُكِىَ أن بعض طلبة الأندلس ورد على المَهْديّة ، وكان يحضر مجلس المازَرِىّ ، ودخل شعاع الشمس من كَوَّة ، فوقع على رجل الشيخ المازَرِىّ ، فقال الشيخ : « هذا شعاع مُنْعَكِس » فذيله الطالب المذكور حين رآه متَّزِنا ، فقال :

هَـذَا شُعَاعٌ مُنْعَكِسْ لِعِـــلّةٍ لا تَلْتَبِسْ
لَمَّا رَآكَ عُنْصُرًا مِن كل علْم يَنْبَجِسْ
أَتَى يَمُـــدُّ ساعِدًا مِنْ نُورِ علمٍ يَقْتَبِسْ

وأظنّ أنّى رأيت هذه الحكاية فى نظم الدُّرّ والعِقْيان ، للشيخ الحافظ

أبى عبد الله التَّنَسِىُّ التِّلِمْسانى ؛ فَلْتراجَع ثَمَّ لأنى نقلتها بالمعنى .

* * *

ممن أجاز عياضا الحافظ السلفى

ومِمن أجاز القاضى عياضا ولم يلقه :

الشيخ الحافظ إمام المحدِّثين أبو الطَّاهر السِّلَفِىّ ، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَة الأصبهانىّ ، الملقب صَدْرَ الدين .

قال ابن خَلِّكان : هو أحد الحُفّاظ المُكْثِرين . رَحَل فى طلب الحديث ، ولَقِى أعيان المشايخ ، وكان شافعىّ المذهب . ورد بَغْداد ، واشتغل بها على ألْكِيَا[1] [أبى الحسَن علىّ الهرّاسىّ][2] فى الفقه ، وعلى الخطيب أبى زكريا يحيى بن على التَّبْريزىّ اللُّغَوِىّ باللغة ، ورَوى عن أبى محمد جعفرِ بن السَّراج وغيره من الأئمة الأماثل ، وجاب البلاد ، وطاف الآفاق ، ودخل الإسكندرية سنة إحدى عشرة وخمس مئة ، فى ذى القَعدة ؛ وكان قدومه إليها فى البحر من مدينة صُور ، وأقام بها ، وقصَده الناسُ من الأماكن البعيدة ، وسمعوا عليه ، وانتفعوا به ، ولم يكن فى آخر عمره فى عصره مثلُه . وبنى له العادل أبو الحسن على بن السلّار وزير الظافر العُبَيْدىّ صاحب مصر ، فى سنة ست وأربعين وخمس مئة ، مدرسة بالثغر المذكور ، وفوّضها إليه ، وهى معروفة به الآن . وأدركت جماعة من أصحابه بالشأم والديار المصرية ، وسمعت عليهم ، وأجازونى ، وكان قد كتب الكثير ؛ ونقلت من خطه فوائد جمة ؛ ومن جملة ما نقلت من خطه لأبى عبد الله محمد بن عبد الجبّار الأندلسى من قصيدة : [٦٣٦]

---

(١) قال ابن خلكان : « الكيا » فى اللغة العجمية : هو الكبير القدر ، المقدم بين الناس .

(٢) زيادة عن ابن خلكان طبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٠ هجرية .

لولَا اشتغالى بالأمير ومدْحِه لأطلتُ فى ذاك[1] الغزال تَغَزُّلِى
لـكنَّ أوصاف الجلال عَذُبْنَ لِى فتركتُ أوصـاف الجمال بمعْزل

ونقلت من خطه أيضا لبُثينة [صَاحبة جميل ترثيه] :

وإنّ سُلُوِّى عن جميلٍ لَساعةٌ من الدَّهْرِ ماحانتْ ولا حان حِينُها
سَواءٌ علينا يا جميلَ بنَ مَعْمَرٍ إذا مِتَّ بأْســاء الحياةِ ولِينُها

وكان كثيرا ما يُنْشِد :

قالوا نُفُوسُ الدارِ سُكَّانُها وأنْتُمُ عِنْدِى نُفُوس النَّفُوسْ

وأماليه وتعاليقه كثيرة ، والاختصار بالمختصَر أوْلَى .

وكانت ولادته سنة اثنتين وسبعين وأربع مئـة تقريبا بأصْبهان ، وتُوُفِّىَ ضَحْوة نهارِ الجُمُعة ، وقيل ليلة الجُمُعة خامس شهر ربيع الآخِر ، سنة ست وسبعين وخمس مئة ، بثغر الإسكندرية . ودُفِن فى وَعْلَة ، وهى مَقْبَرة داخلَ السُّور ، عند الباب الأخضر ، فيها جماعة من الصالحين ، كالطَّرْطُوشِىّ وغيره ، وهى بفتح الواو وسكون العين المهملة ، وبعدها لام ثم هاء . ويقال إن هذه المقبرة [٦٣٧] منسوبة إلى عبد الرحمن بن وَعْلَة السَّبَئِىِّ المِصرىّ ، صاحب ابن عباس رضى الله عنهما . وقيل غير ذلك ، رحمه الله تعالى ، آمين .

تحقيق ميـلاد الحافظ السلفى ونسبته

قلت : وجدت العلماء المحدِّثين بالدِّيار المصرية ، من جُمْلتهم الحافظ زكىّ الدِّين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المُنْذِرِىّ المحدِّث ، محدِّث مصر فى زمانه ، يقولون فى مولد الحافظ السِّلَفِىّ هذه المقالة . ثم وجدت فى كتاب : زَهْر الرِّياض المفصِح عن المقاصد والأغراض ، تأليف الشيخ جمال الدين أبى القاسم عبد الرحمن ابن أبى الفضل عبد المجيد بن إسماعيل بن حَفص الصَّفْرَاوِىّ الإسكندرىّ ، أن

(١) كذا فى ابن خلـكان . وفى الأصول : « فى وصف » .

الحافظ السِّلَفِيّ المذكور ، وهو شيخه ، كان يقول : مولدى بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين ، فيكون مبلغُ عُمْره على مقتضى ذلك ، ثمانيًا وتسعين سنة . هذا آخر كلام الصَّفراوى المذكور .

ورأيت فى تاريخ الحافظِ مُحِبِّ الدين محمد بن محمود المعروف بابن النَّجَّار البغدادىّ ، ما يدل على صحة ما قاله الصَّفْرَاوِىّ ، فإنه قال : قال عبد الغنىّ المقدسىّ : سألت الحافظ السِّلَفِيّ عن مولده ، فقال : أنا أذكر قتل نظام المُلْك فى سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، وكان لى من العمر حدود عشر سنين .

قلت : ولو كان مولده على ما يقوله أهل مصر إنه فى سنة اثنتين وسبعين ، ما كان يقول أذكر قتل نظام الملك فى سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، فإنه على ما يقولونه قد كان عمره ثلاث عشرة سنة ، أو أربع عشرة سنة ، ولم تجر العادة أن من يكون فى هذا السّنّ يقول : أنا أذكر القضية الفلانية ، وإنما يقول ذلك [٦٣٨] من يكون عمره تقديرًا أربعَ أو خمسَ أو ستَّ سِنين .

فقد ظهر بهذا أنّ قول الصَّفراوِىّ تلميذِه أقربُ إلى الصحة ، وقد سَمِع منه أنه قال : مولدى فى سنة ثمان وسبعين ، وليس الصفراوىّ ممن يُشَكُّ فى قوله ، ولا يُرْتاب فى صحته ، مع أننا ما علمنا أن أحدًا منذ ثلاث مئة سنة إلى الآن بلغ المئة ، فضلا عن أنه زاد عليها ، سوى القاضى أبى الطَّيِّب طاهر بن عبد الله الطَّبَرِىّ ، فإنه عاش مئة سنة وسنتين ، كما سيأتى فى ترجمته .

ونِسْبَة السِّلَفِىّ إلى جَدِّه إبراهيم سِلَفَه ، بكَسر السِّين المهملة ، وفتح اللّام والفاء ، وفى آخره الهاء ، وهو لفظ عجمى ؛ ومعناه بالعربىّ ثلاثُ شفاه ، لأن شفته الواحدة كانت مشقوقة ، فصارت مثل شفَتين ، غير الأخرى الأصلية ،

والأصل فيه سِلَبَة ، بالباء ، فأُبْدلت بالفاء .

انتهى كلام ابن خلكان .

تعليق للمؤلف

قلت : ولا يخلو ما ذكره من بحث ، لأن السِّلَفِيّ قال : أنا أذكر قتل نِظام المُلك وأنا فى حدود العشر السنين ، وبَحْث ابن خلكان يقتضى أنه ابن ست سنين ونحوها ؛ بل قد يقال : إن قول السِّلَفِيّ وكان فى حدود عشر سنين ، لا ينافى قول الآخرين ، لما جرت العادة به من العلماء ، من إلغاء الكسر الزائد . سلمنا عدم ذلك ، فلا دليل فيه لواحد منهما ، فتأمله مُنصفا ، والله سبحانه أعلم .

وكأنّ ابن قُنْفُد اعتمد فى وفاته على قول المِصْرِيِّين فى مَولد أبى الطّاهر السِّلَفى ، فلذا قال ما نصُّه : « وتُوُفِّى القاضى بغَرناطة ، أبو عبد الله محمد بن القاضى عياض سنة خَمْس وسبعين وخمس مئة ، وعَرّف فى تاريخه بأبيه ، وفى التى [٦٣٩] تليها تُوُفِّى الشيخ أبو الطاهر السِّلَفِيّ ، وعمره مِئَة وأربع سنين ، وكان أجاز لكل من أدركته حياتُه . وسِلَفَه (بكسر السين المهملة) : قرية فى المَشْرق » . انتهى .

وما قاله فى سِلَفَه مخالف لما سبق قريبا لابن خَلِّكان ؛ ولعل قول ابن خَلِّكان هو الصّواب ، والله تعالى أعلم .

شىء من نظم الحافظ السلفى

ومن مشهور نظم السِّلَفِيّ رحمه الله [قوله] :

ليسَ عَلَى الأرضِ فى زمانى مَنْ شانُه فى الحديث شانِى
عِلْماً ونَقْدًا ولا عُلُوًّا فيه على رَغمِ كلّ شانى

ومن ذلك قوله رحمه الله :

بالله يا مَعْشَر أصحـــابى اِغتَنِموا عِلْمى وآدابِى

إن نذيرَ الموت جاء وقد حَلَفَ لا يَرْحَلُ إلا بِي

ومن نظمه ، رحمه الله ، ما أجاب به القاضي عِياضا حين استجازه بقصيدة على رَوِيّ القاف ، أولُها :

أبا طاهر خُذها على البُعْدِ والنَّوَى تحيـــةَ مُشتاق لذكراكَ شَيِّقِ

فأجابه أبو الطاهر بقوله :

أتانيَ نظم الألمعيّ المـوَفَّقِ يَميس اختيالا بين غَرْبٍ وَمَشْرِقِ

وسيأتيان معًا عند تعرضنا لذكر نظم عياض ، رحم الله الجميع .

* * *

الإجازة العلمية عند تعذر اللقاء

أقول : ولم يزل الفُضَلاء من الأئمة ، والنُّبهاء من أعلام هذه الأمة ، يستجيزون الأشياخَ الأخيار ، عند تعذُّر اللقاء و بُعْد الديار ، ولو تَتَبَّعْنا ذِكر من فعل ذلك لضاق عنه هذا الموضوع ، ولما احتمله هذا المجموع . وقد استجاز [٦٤٠] الإمامُ الشهير ، الأديب الكبير ، الشيخ العلامة أبو الحسن حازم ، صاحب المقصورة ، وَجيهَ الدين منصورا ، فكتب إليه الوجيه رحمه الله بقوله :

إنّي أجزتُ لحازمِ بنِ محمدٍ صَدْرِ الأفاضلِ والإمام السَّيِّدِ

مجموعَ ما رُوِّيتُـــــه فرَوَيتُه عن ألف شيخ مِن رُواة المُسْنَد

في مِصرها مع شامها وعِراقها وحِجازها من مُتْهِمٍ أو مُنْجِد

وجميعَ ما صنَّفْتـه وجمعته في علم فقهِ الشافعيّ محمّد

فلْيَرْوِ عنّي ما رَوَيْتُ رِواية مَشْروطة بتوثُّقٍ وتشدُّد

ولْيبقَ في رَوض العلوم مُنَعَّما بسعادةٍ وســـــيادةٍ وتأيُّد

* * *

ترجمة السيوطي لحازم القرطاجني

وإذْ جرى ذكر حازم ، فلا بد أن نُورد بعض التعريف به ، فنقول :

قال السُّيوطىّ فى الطبقات :

حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الانصارى القَرْطَاجَنىّ النحوىّ ، أبو الحسن ، شيخ البلاغة والأدب .

قال أبو حَيّان : كان أوحدَ زمانه فى النظم ، والنثر ، والنحو ، واللغة ، والعَروض ، وعلم البيان . روى عن جماعة يقاربون الألف ؛ وروى عنه أبو حيان وابنُ رُشَيد ، وذكره فى رحلته ، فقال : حَبْر البُلَغاء ، و بحر الأدباء ، ذو اختيارات فائقة ، واختراعات رائقة ، لا نعلم أحدا ممن لقِيناه جمعَ [من علم اللسان ما جَمع] ، ولا أحكمَ من مَعاقد علم البيان ما أحكم ، من منقول ومُبتَدع ؛ وأما البلاغة فهو بحرها العَذْب ، والمتفرّد بحَمْل رايتها أميرا فى الشرق والغرب ؛ وأمّا حفظ لغات العَرب وأشعارها وأخبارها ، فهو حَمّاد رواياتها ، وحَمّال أوقارها ؛ يجمع إلى ذلك جَوْدةَ التصنيف ، و براعة الخط ؛ ويَضْرب بسهم فى العقليات ، والدِّرايةُ أغلبُ عليه من الرِّواية .

صَنّف : سِراج البلغاء فى البلاغة ، وكتابا فى القوافى ، وقصيدةً فى النحو على روى الميم ، ذكر منها ابن هشام فى المغنى أبياتًا فى المسألة الزُّنْبُوريّة ، وقد ذكرناها [٦٤١] فى الطَّبقات الكُبرى مع أبيات أخر .

مولده سنة ثمان وست مئة ، ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة أربع وثمانين وست مئة .

ومن شعره :

من قال حَسْبِى من الوَرَى بَشَرٌ ... فحَسْبِىَ اللهُ حَسْبِىَ اللهُ

كَمْ آيةٍ للإلهِ شَاهدةٌ ... بأنّه لا إله إلا هُو

انتهى كلام السيوطى .

تكملة المؤلف لترجمة حازم

ولْنزِد نحن ما أمكننا ، حيث لم يوفِّ السيوطى بحقه فى الطبقات الصُّغْرى ، لأنها مبنية على الاختصار ، ولم نقِفْ على الطبقات الكُبرى التى أحال عليها ؛ فنقول :

قال بعض المؤرخين : هو حازم بن محمد بن الحسن بن حازم الأنصارىّ ، فجعل والد الحَسَن حازما ، وجعله السُّيوطى محمدا ، فلا ندرى هل هذا من النِّسْبة إلى الجَدّ ، فيرجعَ مع ما عند السُّيوطى إلى وِفاق ، أو هما مختلفان ؟

القَرْطَاجَنِّى : منسوب إلى قَرْطاجَنّة من سواحل كُورة تُدْمِير ، من شَرْقِىّ الأندلس . وهو خاتمة شعراء الأندلس الفُحول ، مع تقدمه فى معرفة لسان العرب وأخبارها ، ونزل إفريقيَّة بعد خروجه من بَلَده ، فطار له بها صِيْت ، وعُمِّر إلى أن مات بتونس ، حضرة ملوكها ، ليلةَ السبت الرابع والعشرين من رمضان ، من سنة أربع وثمانين وست مِئة . وفى بعض المجاميع الأدبية من تأليف ابن المُرابِط نزيل تُونِس ، أنه كان فى حضرة مَرّاكش أيام الرشيد ، انتهى .

[٦٤٢] **قلت** : وله فى الرشيد أمداح كثيرة ، أنشدها فى الإشادة ، ومدحَ الأمير أبا زكرياء ، صاحب إفريقية ، وولدَه أبا عبد الله المستنصر ، وله أَلَّف المقصورة المشهورة ، وقصر محاسنها على مدحه ، ومَدَحَ أخاه أبا يحيى .

[ومطلعها[1] :

لِلّهِ ما قدْ هِجْتَ يا يومَ النَّوَى على فؤادى من تباريح الجَوَى

قلت : قد كنت ضَمَّنت مطلعَها باكتِفاء وتورية فقلت :

لم أنسَ يومًا للنوى عيُوبَه فى نهر فاس شَجَنٌ هاج الجوَى

(١) زدنا هذه الكلمة ليتصل الكلام .

فقلت إذ ذكَّرَنى مَعَاهِـــدًا «لله ما قد هجتَ يا يومَ النوَى »

ومقصورته تدل على اطلاعه ، وصَـدَّرها بخطبة بليغة جدًا ، وتولى شرح هذه المقصورة الشـيخ أبو القاسم الشريف الحسَنىّ القاضى كان بغرناطة ، وسَمَّى شرحه هذا رفع الحُجُبِ المستورة عن محاسن المقصورة ، وملأه بكل غريبة ، وقد طالعته غير مرة . وقد ألف الإمام المـكُودىّ شرح الألفيه ، مقصورة بديعة نبَويه ؛ وعاب على ابن دُرَيْد وحازم جعلهما مقصورتيهما مدحا فى بنى الدنيا ، فـكان من جملة أبياتها :

فحـازم قد عُدَّ غيرَ حازمٍ وابن دُرَيد لم يفده ما دَرَى

وقد تولى شرح مقصورة المـكُودِىّ بعض أصحابنا ، وهو الـكاتب الأديب أبو عبد الله المَـكْلانِىّ أعانه الله تعالى] .

جيميته التى يعارض بها رائية ابن عمار

ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدة جيمية ، غريبة المنزَع ، لها صيت عظيم عند الحُذَّاق من أهل الأدب ، والنحارير من الفضلاء ، عارض بهـا فى المعنى رائية ابن عمّار[1] الوزير ؛ للمعتمد بن عَبَّاد . وفضَّل غيرُ واحد هذه الجيمية الحازمية ، على تلك الرائية العَمَّارِيَّة :

أَدِرِ المُدامَةَ فالنَّسيمُ مُؤَرَّجُ والرَّوضُ مَرقومُ البُرودِ مُدَبَّجُ
والأرض قد لَبِسَتْ بُرودَ جَمالِها فكأَنَّما هى كاعبٌ تَتَبَرَّجُ
والنَّهر مما ارتاح مَعْطِفُـــه إلى لُقْيا النسيم عُبـابُه مُتموِّجُ
يُمْسِى الأصيل بمسْجدىّ شعاعِه أبدا يُوشِّى صفحَه ويدَبِّجُ
وتروم أيدى الريح تسلُبُ ما اكتسَى فتَزيدُه حُسْنا بما هِىَ تنسُجُ

(١) مطلع رائية ابن عمار :

أدر الزجاجـة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى

فارتحْ لشرب كُئوسِ راحٍ نَوْرها ... بل نارُها فى مائهـــا تتوهَّجُ
واسكَرْ بنَشوةِ لحظِ مَن أحببْتَه ... أو كأسِ خمرٍ من لَماه تُمزَج
واسمعْ إلى نَغَمات عُود تَطَّبِى ... قلبَ الخَلِىّ إلى الهوى وتُهيِّج
بَمٌّ وزِيرٌ يُسْعدانِ مَثانِيًا ... ومَثالِثًا طبقاتهـــا تتدرَّج
مَنْ لم يُهيِّجْ قلبَه هـــــذا فما ... للقلبِ منـــه مُحرِّكٌ ومُهيِّج
فأجبْ فقـد نادَى بألسُن حالِه ... للأُنْس دَهْرٌ للهموم مُفرِّج
طَربت جمـاداتٌ وأفصَح أعجَمٌ ... فرَحًا وأصبح من سرور يَهْزِج
أفيفضُلُ الحىَّ الجمادُ مَسرّةً ... والحىُّ للسَّراء منـــه أحوج
ما العيش إلّا ما نَعِمْتَ به وما ... عاطاك فيـــه الكأسَ ظبىٌ أدعَج
مِمَّنْ يَروقك منـــه رِدْف مُرْدَفٌ ... عَبْلٌ وخصْر ذو اختصار مُدْمَج
فإذا نظرتَ لطُرّةٍ ولغُرّةٍ ... ولصفحةٍ منـــه بدتْ تتأجَّج
أيقنتَ أن ثلاثَهن وما غدا ... مِنْ تحتها يَنْآدُ أو يتموّج
ليـــلٌ على صبحٍ على بدرٍ على ... غُصنٍ تَحَمَّلَهُ كثيب رَجْرَج
كأسٌ ومحبوبٌ يظل بلحظِه ... قلبُ الخَلِىّ إلى الهوى يُسْتَدْرَج
[٦٤٣] يا صاحِ ما قلبى بصاحٍ عن هوى ... شيئين بينهما المُنَى تُستَنتَج
وبمهجتى الظَّبْىُ الذى فى أضلُعِى ... قد حَلّ وهو يُشبُّها ويُؤجِّج
ناديْتُ حادىَ عِيسه يومَ النَّوَى ... والعِيسُ تُحدَى والمطايا تُحْدَج
قفْ أيهـا الحادى أُودِّعْ مهجةً ... قد حازها دون الجوانح هَوْدَجُ
لما تواقَفْنا وفى أحـداجها ... قمرٌ منيرٌ بالهلال مُتوَّج
ناديتُهمْ قولُوا لبدركُمُ الذى ... بضيائه تسْرِى الركاب وتُدْلِج
يَحْيَا العليلُ بلفظةٍ أو لحظةٍ ... تُطْفِى غليلا فى الحشا يتأجّج

قالوا نَخافُ يَزيد قلبَك لاعجًا فأجبتهمْ خَلُّوا اللواعج تَلْعَجُ
وبكيتُ واستبكيتُ حتى ظَلَّ مِنْ عَبَراتنا بحرٌ ببحر يُمْزَج
وبقيت أفتحُ بَعْدَهم بابَ المُنى ما بيننا طَوْرا وطورا يُرْتج
وأقولُ يا نفسُ اصبرى فعسى النَّوَى بِصَباح قربٍ ليلُها يتبلَّج
فَترقَّبِ السَّرَّاءَ من دهر شَجَا والدهرُ من ضِدٍّ لضدٍّ يخرُج
وترَجَّ فُرْجَة كلِّ همٍّ طارقٍ فلكلِّ همٍّ فى الزمان تفرُّج

* * *

جيمية ابن قلاقس

[وتذكَّرت بهذه الجيمية قصيدة ابن قلاقسَ الإسكندرىّ ، رحمه الله تعالى :

عرَضَتْ لِمُعْتَرِض الصباح الأبلَجِ حَوْراء فى طَرَف الظلام الأدْعَجِ
فتمزقَتْ شِيَةَ الدُّجا عن غُرَّتَىْ شمسين فى أُفقٍ وكِلةِ هودج
ووراءَ أستار الحمول لواحظٌ غازلْنَ معتدل الوشيج الأعوج
من كلِّ مبتسم السِّنان إذا جرَى دمعُ النَّجيع من الكَمِىّ الأهوج
ولقد صَحِبْتُ الليلَ قلَّصَ بُرْدُه لعُباب بحر صَباحِه المتموِّج
وكأنَّ منتثر النجوم لآلئٌ نُظِمت على صرحٍ من الفَيْرُوزج
وسَهرتُ أرقبُ من سُهيل خافقاً مُتَفَرِّدا وكأنه قلب الشَّجى
واستعبَرَتْ مُقَل السحاب فأضحكت منها ثغورَ مُفَوَّف ومدَبَّج

* * *

ولابن قلاقس أيضا

وابن قلاقسَ هذا له فى النظم الباع المديد ؛ ومن محاسنه قوله رحمه الله تعالى :

سَدوها من القلوب رِماحَا وانتضوْها من الجفون صِفاحَا

يا لهَا حالةً من السَّلم حالت فاستحالتْ — ولا كِفاحَ — كِفاحا
صحَّ إذ أذرت العيونُ دماءً أنَّهم أثخنوا القلوب جِراحا
يا فؤادِى وقد أُخِذْتَ أسيرًا أتفطَّرتَ أم وَضَعْتَ سلاحا
قلْ لأعتادِكَ التى اقتسموها ضربوا فيكِ بالعيون قِداحا
عجبًا للجفون وهْى مِراضٌ كيفَ تستأسِرُ القلوبَ الصِّحاحا
آهِ من مَوْقفٍ يَوَدُّ به المُغْـ ـرمُ لو مات قبله فاستراحا
حيثُ يَخشى أن يَنْظِمَ اللثمُ عِقْدًا فيه أو يَعْقِدَ العِناقُ وِشاحا

* * *

رجع إلى قول حازم رحمه الله تعالى :

ولحازم فى الوصف

فمن قوله من قصيدة :

فتَق النسيمُ لَطائمَ الظَّلْماءِ عن مِسْكةٍ قَطَرَتْ مع الأنداءِ
وغدا الصباحُ يفُضُّ خاتمَ عَنْبرٍ بالشرق عن كافورةٍ بيضاء
والكوكب الدُّرِّىُّ يَزْهو سابحا فى مائه كالدُّرة الزهراء
وكأنما ابنُ ذكاءَ يُذْكِى مِجْمَرًا منه يُفيد الريحَ طيبَ ذَكاء

* * *

وله يتغزل فى صدر قصيدة مديحية

وقال سامحه الله من قصيدة فى المستنصر :

أمِنْ بارقٍ أورَى بجُنح الدُّجَى سِقْطَا تذكرتَ مَنْ حَلَّ الأَبارِقَ فالسِّقْطَا
وبان ولكنْ لم يبن عنك ذكرُهُ وشَطَّ ولكن طيفُه عنك ما شَطَّا
حبيبٌ لوَ أنَّ البدرَ جاراه فى مَدًى من الحسن لاستدنَى من البدر واستبطا
سقَى اللهُ عيشا قد سقانا من الهَوَى كئوسا بمعسول اللَّمَى[1] خُلِطَتْ خَلْطا

* * *

(١) فى ط : « المنى » .

وله مطلعَ قصيدة :

سُلْطانُ حُسْنٍ عَلَيْهِ للصَّبا عَلَمُ إذَا رأَتْه جيوشُ الصَّبْر تَنهزمُ

* * *

وله يصف وردة

وقال رحمه الله يصف وردة بيضاء :

ومُبيضَّةِ الأثوابِ تُدعَى بوردةٍ تَقِلُّ لها الأَشباهُ عند التماسِها
أَنافَتْ على ساقٍ لتشربَ عندما أشارتْ لها كفُّ البُروقِ بكاسِها [٦٤٤]
كجاريةٍ قامت ببيض غلائلٍ مُرَفِّعةٍ أذيالَها حول راسِها

* * *

تضمينه معلقة امرئ القيس

ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى تضمينه قصيدة امرئ القيس ، وصَرف معناها إلى مدح المصطفَى صلَّى الله عليه وسلم ، وهى من غُرِّ القصائد :

لعينيْكَ قُلْ إن زرتَ أفضلَ مُرْسَلٍ «قِفا نبكِ مِنْ ذِكرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ»
وفى طَيْبةٍ فَانْزِلْ ولا تغشَ منزلا «بسِقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخُول فحَوْمَلِ»
وزُرْ رَوضةً قد طالما طابَ نشرُها «لِمَا نَسَجَتْها مِنْ جَنوبٍ وشَمْأَلِ»
وأثوابَكَ اخلَعْ مُحْرِمًا ومصَدِّقًا «لدى السِّتْرِ إلّا لِبْسَةَ الْمُتَفَضِّلِ»
لَدَى كعبةٍ قد فاضَ دمعى لبُعْدِها[1] «على النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِى مِحْمَلِى»
فيا حادِىَ الآبالِ سِرْبِى ولا تقُلْ «عقرتَ بَعيرِى يامْرأَ القيْسِ فانزلِ»
فقَدْ حَلَفَتْ نفسِى بذاكَ وأقسمتْ «علىَّ وآلتْ حَلْفَةً لم تَحَلَّلِ»
فقلتُ لها لا شَكَّ أنِّىَ طائعٌ «وأنَّكِ مَهْما تأمرِى القلبَ يفعلِ»
وكم حَمَلَتْ فى أظْهُرِ العزمِ رَحلَها «فيا عجبًا مِنْ كُورِها المُتَحَمَّلِ»
وعاتَبَتِ العجزَ الذى عاقَ عزمَها «فقالتْ لكَ الويلاتُ إنكَ مُرْجِلِى»

(١) فى م : «لذكرها» .

نبيٌّ هُـدًى قد قالَ للـكفر نورُهُ « ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ »
تلا سُـوَرًا ما قَوْلُها بمعارَضٍ « إذا هيَ نصَّتْه ولَا بمعطَّل »
لقد نزلَتْ فى الأرضِ مِلَّةُ هَـدْيِهِ « نزولَ اليمانِي ذِى العِياب المُحمَّل »
أتَتْ مَغْرِبًا من مَشْرِقٍ وتعرَّضتْ « تعرُّضَ أثناءِ الوِشاحِ المُفصَّل »
ففازتْ بلادُ الشرق مِنْ زينةٍ بها « بِشِقٍّ وشِقٌّ عنـدنا لم يُحوَّل »
فصلَّى عليـــه اللهُ ما لاحَ بارقٌ « كلمِ اليَـدَيْن فى حَبِيٍّ مُـكلَّل »
نَبِيٌّ غَزَا الأعـــداءَ بينَ تلائعٍ « وبَيْنَ إكامٍ بُعْدَ مَا مُتَأمَّل »
فـكمْ مَلَكٍ وافاه فى زِىِّ مُنْجِدٍ « بمُنْجَرِدٍ قيـدِ الأوابدِ هَيْكل »
وكمْ من يَمانٍ واضِحٍ جاءهُ اكْتَسَى « بضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليسَ بأعزل »
ومِنْ أبْطحِيٍّ نِيطَ مِنْـــهُ نِجادُهُ « بجيدٍ مُعِمٍّ فى العشيرةِ مُخْوِل »
أزالُوا ببـــدْرٍ عن سُرُوجِهِمُ العِدا « كما زَلَّتِ الصَّفْواء بالمتنزَّل »
ونادَوْا ظُبَاهُمْ لا يَفُتْكِ فَتًى ولَا « كبيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّل »
[٦٤٥] وفَضَّ جُموعًا قد غـدا جامعًا بها « لنا بطنُ حِقْفٍ ذِى قِفافٍ عَقَنْقَل »
وأَحْمَوْا وَطيسا فى حُنَـــيْنٍ كأنهُ « إذا جاش فيه حَمْيُه غَلْيُ مِرْجَل »
ونادَوْا بناتِ النَّبْعِ بالنصْرِ أثْمِرِى « ولا تُبْعِدينا مِنْ جَنَاكِ المُعلَّل »
وممَّنْ لَه سَدَّدْتِ سَهمينِ فاضربِي « بسهميكِ فى أعشارِ قلبٍ مُقتَّل »
فما أغْنتِ الأبدانَ دِرعٌ بها اكتستْ « ترائبُها مصقولةٌ كالسَّجَنْجَل »
وأضحتْ لواليها ومالـكها العِـــدا « يقولون لا تهلِكْ أسًى وتجَمَّل »
وقـــد فرَّ مُنْصَاعٌ كما فرَّ خاضِبٌ « لَدَى سَمُراتِ الحَىِّ ناقِفُ حَنظل »
وكم قالَ يا ليلَ الوَغَى طُلْتَ فانبلِجْ « بصُبحٍ وما الإصباحُ مِنكَ بأمثلِ »
فليتَ جوادِى لم يسِر بى إلى الوغَى « وباتَ بعَيْنِى قائمًا غيرَ مُرْسَل »

وكمْ مُرْتَقٍ أوطاسَ منهمْ بمُسْرَجٍ « مَتى ما تَرَقَّ العينُ فيه تَسَهَّل »
وقرَّطَهُ خُرْصًا[1] كمصباح مُسرِجٍ « أهان السَّليطَ فى الذُّبال المُفتَّل »
فيرْنُو لهادٍ فوق هاديه طَرْفُه « بناظرةٍ من وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِل »
ويَسْمَعُ من كافورَتين بجانِبَىْ « أثيثٍ كقِنْو النخلةِ المتعَثْكِل »
تَرَفَّعَ أن يُعزَى له شَـدُّ شادنٍ « و إرْخاءُ سِرْحَان وتقريبُ تَتْفُل »
ولـكنَّه يَمْضِى كما مَرَّ مُزْبِدٌ « يَكُبُّ على الأذْقان دَوْحَ الكَنَهْبَل »
وَيَغْشَى العِدا كالسَّهْمِ أو كالشِّهابِ أوْ « كجُلْمُودِ صخرٍ حطَّهُ السيلُ من عَل »
جيادٌ أعادتْ رَسْمَ رُسْتَمَ دارِسًـا « وهلْ عند رسْمٍ دارسٍ مِنْ مُعَوَّل »
ورِيعتْ بها خيلُ القياصِرِ فاختفتْ[2] « جَواحِرُها فى صَرَّة لم تَزَيَّـل »
سَبَتْ عُرُبًا مِن نِسْوة العُرْبِ تَسْتَبِي « إذا ما اسبكَرَّتْ بين دِرْعٍ ومِجْوَل »
وكمْ من سَبايا الفُرْسِ والصُّفْرِ أسْهرتْ « نَؤُومَ الضُّحَى لَمْ تنتطِقْ عن تفضُّل »
وَحُزْنَ بُدورًا مِنْ ليالِى شُـهورِها « تَضِلُّ المَدارِى فِى مُثَنًّى وَمُرْسَل »
وأبقتْ بأرض الشامِ هامًا كأنَّها « بأرجائها القصْوَى أَنابيشُ عُنْصُل »
وما جَفَّ من حَبِّ القلوب بِغَورِها « وقِيعانِها كأنَّهُ حَبُّ فُلْفُل »
لخضراء ما دَبَّتْ ولا نبتتْ بهـا « أساريعُ ظَبْيٍ أو مساويكُ إسْحِل »
شَـدَا طيرُها فى مُثْمِرٍ ذِى أَرومةٍ « وساقٍ كأُنْبوبِ السَّقِىِّ المُذَلَّل »
فَشُدَّتْ بروضٍ ليس يَذْبُل بعدَها « بكل مُغَارِ الفَتْل شُدَّ بيذْبُـل » [٦٤٦]
وكمْ هَجَّرتْ فِى القيظ تحكِى دَوارِعًا « عَذارَى دَوارٍ فى المُلاءِ المُذَيَّلِ »

---

(١) الخرص « بالضم ويكسر » : حلقة الذهب والفضة أو حلقة القرط ، أو الحلقة الصغيرة من الحلى . يريد بها الحلقة التى فى عذار اللجام .

(٢) فى م : « فاغتدت » .

وكم أدلجتْ والقطرُ يهفو هزيزُهُ « ويُلوى بأثواب العَنيف المثقَّل »
وخُضْنَ سيولا فضْنَ بالبيد بعدَ ما « أثرنَ غُبارا بالكديد المركَّل »
وكم ركزُوا رمحا بدِعْصٍ كأنّه « من السَّيل والغُثاء فلكةُ مِغزَل »
فلم تبنِ حِصنا خوف حِصْنِهمُ العِدا « ولا أُطُمًا إلا مَشيدًا بجَنْدَل »
فهُدَّتْ بعَضْبٍ شُدَّ(١) بعد صِقاله « بأمراسِ كتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدل »
وجَيشٍ بأقْصَى الأرض ألقَى جِرانَهُ « وأرْدَفَ أعجازا وناءَ بكلكل »
يَدُكُّ الصَّفا دَكًّا ولو مَرَّ بعضُه « وأيْسَرُهُ على السِّتارِ فيَذْبُل »
دعا النصرُ والتأييدُ راياتِه اسْجِي « عَلَى أثَرَيْنا ذَيْل مِرْطٍ مُرَحَّل »
لواءٌ منيرُ النَّصْلِ طَاوٍ كأنّهُ « مَنارة مُمْسَى رَاهِبٍ مُتبتِّل »
كأنَّ دِمَا الأعداء فى عَذَباته « عُصَارَةُ حِنَّاء بشَيْبٍ مُرَجَّل »
صِحابٌ بَرَوْا هامَ العُداة وكم قَرَوْا « صَفِيفَ شِواء أوْ قَدِيرٍ مُعَجَّل »
وكم أكْثَروا ما طابَ من لَحْم جَفرةٍ « وشَحْمٍ كهُدَّاب الدِّمَقْسِ المُفتَّل »
وكم جُبْنَ منْ غبراءَ لم يُسْقَ نَبتُها « دِرا كا ولمْ يُنْضَحْ بماءٍ فيُغْسَل »
حَكى طِيبَ ذكراهُمْ ومُرَّ كِفاحِهِمْ « مَداكُ عَروسٍ أو صَلَابةُ حَنْظَل »
لأمداحِ خير الخلق قلْبيَ قد صَبَا « وليس صِبَاىَ عن هواهَا بمُنْسَل »
فَدَعْ مَنْ لأيامٍ صَلُحْنَ لَهُ صَبَا « ولا سِيَّما يومٍ بدارةِ جُلْجُل »
وأصبحَ عن أمِّ الحُوَيْرث مَا سَلَا « وجارَتِها أمِّ الرَّباب بمَأْسَل »
وكُنْ فى مديح المصطفَى كمُدَبِّجٍ « يقلِّب كَفَّيْهِ بخيطٍ مُوَصَّل »
وأمِّلْ به الأُخرى ودُنياكَ دَعْ فقدْ « تمتعتَ مِنْ لهْوٍ بها غيرَ مُعْجَل »

(١) فى الأصول ونفح الطيب : «شيب» : ولعلها محرفة عما أثبتناه .

وكَمْ لِنَبِيثٍ للفؤاد مُنابِثٍ(١) « نَصِيحٍ على تَعْذالِه غَيرِ مُؤْتَلِ »
ينادِى إلهِى إنّ ذَنبِىَ قد عَدَا « علىَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلِى »
فكُنْ لى مُجيرا من شياطين شَهْوةٍ « علىَّ حراصٍ لو يُشِرُّونَ مَقْتلِى »
ويُنْشِدُ دنياه إذا ما تَدَلَّلتْ « أفاطمَ مهْلا بعضَ هذا التدلُّلِ »
فإن تصلِى حبلِى بخيرٍ وصَلْتُه « وإن كنتِ قدأزمعتِ صَرْمِى فأَجْمِلِى » [٦٤٧]
وأَحْسِنْ بقطع الحبلِ منكِ وبَتِّهِ « فَسُلِّى ثيابى من ثيابِك تَنْسُلِ »
أيا سامعى مدحِ الرسول تَنَشَّقُوا « نَسيمَ الصَّبَا جاءتْ بَرِيَّا القَرَنْفُلِ »
وروضةَ حَمْدٍ للنبىِّ محمدٍ « غَذاهَا نَمِيرُ الماء غيرُ المحلَّلِ »
ويا مَنْ أبَى الإصْغاءَ ما أنتَ مُهْتَدٍ « وما إنْ أرى عنكَ العَمايةَ تَنْجَلِى »
فلو مُطْفِلا أنشدْتُها لفظَها ارعَوَتْ « فأَلهيتُها عن ذى تمائمَ مُحْوِلِ »
ولو سَمِعَتْه عُصْمُ طَوْدٍ أمالَها « فأنزلَ منها العُصْمَ مِنْ كل منزلِ »

* * *

وله فى مدح الرسول

وقال رحمه الله فى مثل هذا الغرض ، مؤديا من مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المفترض ، مضمنًا قصيدة أخرى لامرئ القيس :

أَقُولُ لعزمِى أوْ لصالِحِ أعمالِى « أَلَا عِمْ صَبَاحًا أيُّها الطَّلَلُ البالِى »
أَمَا واعظِى شيبٌ سما فوقَ لِمَّتِى « سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حالا على حالِ »
أَنارَ به ليلُ الشبابِ كأنهُ « مصَابيحُ رُهْبانٍ تُشَبُّ لقُفَّالِ »
نهانِىَ عن غىٍّ وقالَ مُنبِّهًا « أَلستَ ترى الشُّمارَ والناسَ أَحْوالى »
يقولون غَيِّرْهُ لتنعمَ بُرْهَةً « وهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كان فى العُصُرِ الخالى »

(١) النبيث : ما يستخرج من البئر من التراب ، شبه به ما فى القلب من خواطر السوء . والمنابث فى الأصل : الذى يستخرج التراب ، والمراد هنا من يستخرج أسرار غيره .

أغالطُ دهرى وهْو يعلَمْ أننى « كَبِرْتُ وألَّا يُحْسِنُ اللَّهْوَ أمثالِى »
ومُؤْنِسُ نارِ الشيبِ يَقْبُح لهوُهُ « بآنِسَةٍ كأنَّها خطُّ تِمثـال »
أشَيْخا وتأتى فعلَ من كان عمرُه « ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال »
وتَشْغَفُكَ الدنيا وما إنْ شَغفْتَها « كما شَغَفَ المهْنوءةَ الرجُل الطَّالى »
ألا إنها الدنيَا إذا ما اعتبرتَها « ديارٌ لسَلمَى عافياتٌ بذى خال »
فأين الذينَ استأثروا قبلَنا بها « لَناموا فما إنْ مِنْ حديثٍ ولا صَال »
ذهِلْتُ بها غَيًّا فكيف الخلاص مِنْ « لَعوبٍ تُنسِّينى إذا قمتُ سِرْبالى »
وقد عَلِمَتْ منى مواعيدُ تَوْبَتِى « بأنَّ الفتَى يهذِى وليسَ بفعَّال »
وَمُذْ وَثِقَتْ نفسى بحبِّ محمدٍ « هَصَرتُ بغُصْنٍ ذِى ثمار يخَ مَيَّال »
وأصبح شيطان الغَواية خاسِئا « عليه القتامُ سَيِّئُ الظنّ والبال »
ألا ليتَ شعرى هل تقول عزائمى « لخيلىَ كُرِّى كَرَّةً بعد إجْفال »
[٦٤٨] فأَنزلَ دارًا للرَّسُولِ نزيلُها « قليل الْهُموم ما يَبِيتُ بأَوْجال »
فَطُوبَى لنفسٍ جاورتْ خير مرسَلٍ « ببثربَ أدْنى دارِها نظرٌ عالى »
ومِنْ ذكرِهِ عند القَبول تعطَّرتْ « صَبًا وشَمالٌ فى منازل قُفَّال »
جِوارُ رسول الله مَجْدٌ مُؤَثَّلٌ « وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤثلَ أمثالى »
ومَنْ ذا الذى يَثْنِى عِنان السُّرَى وقدْ « كفانى ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ »
ألم تَرَ أنَّ الظبيةَ استشفعتْ به « تميلُ عليه هُونةً غير مِجْفال »
وقال لها عُودى فقالت له نعمْ « ولو قَطَّعوا رأسِى لديكَ وأوصالى »
فعادتْ إليه والهوى قائلٌ لها « وكانَ عداءُ الوَحْشِ منّى على بالى »
وَيَا لَبعيرٍ قال أزْمَعَ مالكى « ليقتُلَنِى والمرءُ ليس بقتَّال »
وثَوْرٍ ذبيحٍ بالرسالة شاهدٍ « طويلِ القَرَا والرَّوْقِ أخْنَسَ ذَيَّال »

وحَنَّ إليه الجِذعُ حَنَّـــــة عاطِشٍ « لغيثٍ مِنَ الوَسْمِيِّ رائدُه خَالِ »
وأصْلَين مِن نخل قـــد الْتَأما له « بما احتَسبَا من لِين مسٍّ وتَسْهال »
وقبضةِ تُرْبٍ منـــه ذَلَّتْ لها الظُّبَا « ومَسْنُونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغوال »
وأضحى ابن جَحْش بالعَسِيب مُقاتلا « وليس بذى رُمْح وليس بنَبّال »
وحسبُك من سَوْط الطُّفَيْل إضاءةً « كمِصباح زَيْتٍ فى قناديلِ ذُبَّال »
وَبذَّتْ به العَجْفاء كلَّ مُطَهَّمٍ « له حَجَباتٌ مشرفاتٌ على الفَال »
ويا خَسْف أرضٍ تحتَ باغيه إذ علا « على هيكلٍ نهْـدِ الجُزارَةِ جوَّال »
وقد أُخْمِدَتْ نارٌ لِفارسَ طالمَـا « أصابتْ غَضَى جَزْلاً وكُفَّ بأجزال »
أَبَانَ سَبيلَ الرُّشْـد إذْ سُبُل الهُدَى « يَقُلْنَ لأهْلِ الحِلْمِ ضُلاًّ بتَضْلال »
لأحمدَ خـــــير المرسلينَ انتقيتُها « ورُضْتُ فَذَلَّتْ صعْبةً أىَّ إذْلال »
وإنّ رجائى أن ألاقيَه غـــــدًا « ولستُ بمِقْلِيِّ الخِلال ولا قالى »
فأدْرِكَ آمالِى وما كلُّ آمِـــلٍ « بمُدْرِكِ أطرافِ الخطوبِ ولا آلى »

* * *

تحقيق نسبة القصيدة السابقة

قلت : هكذا وجدت بخط بعض أعلام مَرَّاكُش نِسبةَ هذه القصيدة لأبى الحسن حازمٍ المذكور، واعتمدت على هذه النِّسبة، ثم بان لى خطؤها، وإنما هذه القصيدة من نظم الفقيه العلامة أبى بكر بن جُزَىٍّ الكلْبىّ الغَرْناطى، حَسْبما نصَّ على ذلك غير واحد .

ولْنُورِدْ كلام بعض الأئمة فى حقه، لأنّ فيه المطلوبَ وزيادة، ونصّه[1] : [٦٤٩]

ترجمة أبى القاسم ابن جزى

محمّدبن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبدالرحمن بن يُوسُف بن جُزَىٍّ الكلبىّ،

(١) هذه الترجمة لأبى القاسم بن جزى، والد أبى بكر صاحب القصيدة، وسيأتى ترجمته بعد والده .

يُكنى أبا القاسم ، من أهل غَرناطة ، وذوى الأصالة والنباهة فيها ، وأصل سلفه من وَلْبَه ، من حِصن البراجلة ، نزل بها أولهم عند الفتح ، صُحْبةَ قريبهم أبى الخطّار حُسام بن ضِرار الكلبىّ ، وعند خلْع دعوة المرابطين كان لجدهم [يَحْيَى] بِجَيان ، رياسة وانفراد بالتدبير .

وكان رحمه الله على طريقة مُثْلَى ، من العُكوف على العلم ، والاقتيات من حُرِّ النَّشَب ، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين ، فقيها حافظا ، قائما على التدريس ، مشاركا فى فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب ، حافظا للتفسير ، مستوعبا للأقوال ، جَمَّاعةً للكتب ، مُلوكىّ الخِزانة ، حسَن المجلس ، مُمْتِع المحاضرة ، قريب الغَوْر ، صحيح الباطن ؛ تقدم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده ، على حَداثة سِنّه ، فاتُّفِقَ على فضله ، وجَرَى على سَنَنِ أصالته .

بعض شيوخه

ومن شيوخه الأستاذ أبو جعفر بن الزّبير وابن الكَمّاد وابن رُشَيْد والحضْرمىّ وابن أبى الأحوص وابن برْطال ، وأبو عامر بن ربيع الأشعرىّ والولى أبو عبد الله الطَّنْجالِىّ ، وابن الشاطّ .

تواليفه

تواليفه : كتاب « وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم » ؛ و « الأنوار السَّنِيَّة فى الكلمات السُّنِّيَّة » ؛ وكتاب « الدعوات والأذكار » ؛ وكتاب « القوانين الفقهية » ؛ وكتاب « تقريب الوُصُول إلى علم الأصول » ، وكتاب « النور المبين فى قواعد عقائد الدين » ؛ إلى غير ذلك مما قيّده فى التفسير والقراءات .

من شعره يبين غرضه فى الحياة

[٦٥٠] **شعره** : قال فى الأبيات الغينيَّة ، ذاهبا مذهب الجماعة ، كأبى العلاء المعرى ، والرئيس ابن المظفّر ، وأبى الطاهر السِّلَفِىّ ، وأبى الحجاج بن الشيخ ، وأبى الربيع

ابن سالم ، وأبى على بن [أبى] الأحوص ، وغيرهم :

لـكلٍّ بنى الدُّنيا مُرادٌ ومَقْصِدٌ وإنّ مُرادِى صحّـةٌ وفَراغُ
لأبلُغ فى علم الشريعة مَبْلَغًا يكون به لِى لِلْجَنانِ بَلَاغُ
ففى مثل هذا فلينافسْ ذوو النُّهَى وحَسبِىَ من دار الغُرور بَلاغُ
فمـا الفوز إلا فى نعيم مُؤَبَّدٍ به العيشُ رَغْدٌ والشرابُ يساغُ

* * *

وله يفخر بعفته

وقال فى مذهب الفخر :

وكم من صفحةٍ كالشمس تبدو فيُسلِى حُسنُها قلبَ الحزينِ
غَضَضْتُ الطرف عن نَظَرى إليها محافظةً على عِرضى ودينى

[انتهى] .

* * *

وله فى جلال مقام النبوة

ومن مشهور نظمه رحمه الله :

أرومُ امتـداحَ المصطفَى فيردُّنِى قُصُورِىَ عن إدراك تلك المناقِبِ
ومَنْ لى بحصْرِ البحرِ والبحرُ زاخرٌ ومَنْ لى بإحصاء الحَصَى والـكواكب
ولو أن أعضائى غدتْ وهْى ألسنٌ لمـا بَلَغَتْ فى القول بعضَ مآربى
ولو أن كلَّ العـالمين تألّفُوا على مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأَقْصرت عنـه هيبةً وتأدُّبًا وعجزا وإعظامًا لأعظم جانب
ورُبَّ سكوت كان فيـه بلاغةٌ ورب كلامٍ فيـه عَيْب لعائب[1]

* * *

ورأيت بخط الإمام ابن داود أن قوله وكم من صفحة ... البيتين ، ليس

(١) كذا فى ط ، م . وفى س والديباج لابن فرحون ونفح الطيب : «عتب لعاتب» .

من كلامه ، بل من كلام ابنه أبى بكر ، وهو خطأ ، لأن ابن الخطيب ذكر فى الكتيبة أن البيتين للشيخ أبى القاسم لا لابنه أبى بكر ، والله الموفق .

ثم قال هذا المعرِّف بابن جُزَىّ :

مولده [٦٥١] مولده : يوم الخميس التاسع لربيع الثانى من عام ثلاثة وتسعين وست مئة .

وفاته وفاته : فُقِدَ وهو يُحَرِّض الناس ويَشْحَذُ بصائرهم ويُثَبِّتهُمْ ، يوم الكائنة بطَريف ، ضَحْوة يوم الاثنين ، السابع لجمادى الأولى عام واحدٍ وأربعين وسبع مئة . تقبَّل الله شهادته . [انتهى] .

وله فى الرجوع إلى الله ولنختم ترجمته بقوله [رحمه الله تعالى ، وعفا عنا وعنه بمنه] :

يارَبِّ إنَّ ذنوبى اليومَ قد عَظُمَتْ ... فما أُطِيقُ لها حَصْرًا ولا عَدَدَا

وليس لى بعذاب النَّارِ[1] من قِبَلٍ ... ولا أُطِيقُ لها صَبْرًا ولا جَلَدَا

فانظرْ إلهِى إلى ضعفِى ومَسْكَنَتِى ... ولا تذيقَنَّنِى حَرَّ الجحيمِ غَدا

* * *

ترجمة أبى بكر ابن جزى ثم قال فى التعريف بولده أبى بكر المقصودِ ذكره هنا ، وهو الذى ألَّف له[2] أبوه الأنوار السنية ، ما نصُّه :

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن جُزَىّ الكلبىّ ، يُكْنى أبا بكر ، من أهل الفضل والنزاهة والهمة ، وحسن السَّمت ، واستقامة الطريقة ، غَرَّبَ فى الوقار ، ومال إلى الانقباض ، وله مشاركة حسنة فى فنون ، من فقه وعربية وخط ورواية وأدب ، وشعر تسمو ببعضه الإجادة إلى غاية بعيدة ، وقرأ على والده ولازمه ، واستظهر ببعض تآليفه ، وتفقَّه وتأدب به ، وقرأ على بعض معاصرى أبيه ، ثم ارتسم فى

(١) كذا فى س ، م والديباج لابن فرحون . وفى ط : « الله » .
(٢) كذا فى الأصول . وفى نفح الطيب « أو » بدل « له » .

الكتابة السلطانية لأول دولة السلطان أبى الحجّاج بن نَصْر ، وولى القضاء ببَرْجة و بأندَرَش ، ثم بوادى آش ، مشكور السيرة ، معروف النزاهة .

شعر له فى حب الناس للمال

ومن شعره :

أرى النـاس يُولون الغنىَّ كرامةً ... و إن لم يكن أهلاً لِرفعَة مِقْـدارِ

ويَلْوُونَ عن وجه الفقير وجوهَهم ... و إن كان أهلا أن يُلاقَى بإكبار

بنو الدهر جاءتهم أحاديثُ جمةٌ ... فما صحّحوا إلا حديث ابنِ دينـار

* * *

تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس

ومن بديع ما صدر عنه تصدير أعجاز قصيدة امرئ القيس بقوله :

أقول لعزمى أو لصـالح أعمالِى ... « أَلا عِمْ صباحًا أيها الطَّلَلُ البالِى »

ثم سرد منها أحد عشر بيتا إلى قوله :

فأين الذين استأثروا قبلَنا بهـا ... « لَناموا فما إن من حديثٍ ولا صالِ »

[٦٠٢]

ثم قال ما نصه : وهى ثمانية وأربعون بيتا ؛ ولا خفاء ببراعة هـذا النظم ، و إحكام هذا النسج ، وشدة هذه العارضة .

* * *

بعض تواليفه وأعماله

وله تقييد فى الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية ، ورجز فى الفرائض ، و إحسانه كثير .

وتقدم قاضيا للجماعة بحضرة غَرْناطة ثامن شوال عام ستين وسَبْع مئة ، ثم صُرف عنها . ثم لما تُوُفّى الأُستاذ الخطيب العالم الشهير ، أبو سعيد فَرَجُ بن لُبّ رحمه الله تعالى ، وكان خطيب الجامع الأعظم بغَرناطة ، وُلِّىَ عِوَضًا منـه أستاذا وخطيبا ، عام اثنين وثمانين وسبع مِئة ، فبقى فى الخطابة ثلاثة أعوام ، ثم تُوُفِّى . وأظن أن وفاته إنما كانت فى أواخر عام خمسة وثمانين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى . انتهى .

ولاشك أن ما ذكره هذا الإمام فى حق والده ، إنما هو من كلام ابن الخطيب فى الإحاطة ، والله أعلم .

* * *

ترجمة أبى عبدالله بن جزى

ولأبى بكر بن جُزَيّ هذا أخ كاتب مجيد ، من عجائب الزمان ، وهو الفقيه الكاتب محمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن الأمير أبى بكر عبد الرحمن ، الثائر بجيَّان ، ابن يوسف بن سعيد الغَرناطىّ ، المتوفَّى بفاس فى عام ثمانية وخمسين وسبع مئة رحمه الله ، وقيل بل تُوُفِّىَ آخر شوال من السنة قبلها مَبْطونًا ، رحمه الله .

قلت : وهذا هو الصواب فى وفاته ، فإنى رأيت بخط من يُوثَق به من الأعلام الذين عرفوا حاله[1] ، أنه تُوُفِّىَ بداره من البيضَاء ، قُرب المغرب من يوم الثلاثاء التاسع والعشرين لشوال ، من عام سبعة وخمسين وسبع مئة ، وكان دفنه يوم الأربعاء بعد صلاة العصر ، وراء الحائط الشرقى الذى بالجامع الأعظم ، من المدينة البيضاء ؛ وكان مولده فى شوال من عام واحد وعشرين وسبع مئة . انتهى . [٦٥]

يكنى أبا عبد الله . قال ابن الأحمر فى نَثير الجمان : أدركته ورأيته ، وهو من أهل بلدنا غَرْناطة ، وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المُفْتِين بها ، عالم الأندلُس ، الطائرةَ فتياهُ منها إلى طرابُلُس ، وقُتِل شهيدا فى المُعْتَرَك ، فى الوقيعة التى كانت للنَّصَارَى ، دَمَّرهم الله ، بطَريفٍ على المسلمين ، فى سنة إحدَى وأربعين وسبع مئة ، بعد أن أَبْلى بَلاء حسنا .

وأبو عبد الله محمد هذا كتب بالأندلس فى حضرة ابن عم أبينا أمير المسلمين أبى الحجَّاج يوسف ، وله فيه أمداح عجيبة ، ولم يزل كاتبا فى الحضرة الأحمرية

(١) فى م : « وفاته » .

النَّصْرية ، إلى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج ابن عَمِّ أبينا .

قلت : كان هذا الامتحان الذى ذكره ابن الأحمر ، هو أنه ضربه بالسياط من غير ذنب اقترفه ، بل ظلمه ظلما بَيِّنًا . هكذا ألفيته فى بعض المقيَّدات ، والله أعلم .

ثم قال ابن الأحمر : فقوَّض الرحال عن الأندلس ، واستقرَّ بالعُدوة ، فكتب بالحضرة المَرينية ، لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبى عِنان ، إلى أن تُوُفِّىَ بها رحمه الله .

حاله رحمه الله :

طلع فى سماء العلوم بَدْرا مُشرقا ، وسارت براعته غربا ومَشرِقا ، وسما بشعره فوق الفَرقدين ، كما أَربَى بنثره على الشِّعرَى والْبُطَيْن ، له باع مديد فى التاريخ ، واللغة ، والحساب ، والفقه ، والنحو ، والبيان ، والآداب ، بصيرا بالأصول والفروع والحديث ، عارفا بالماضى من الشعر والحديث ؛ إنْ نَظم أنساك أبا ذُؤَيْبٍ بِرِقَّته ، ونُصَيْبًا بمَنْصِبه ونَخْوته ؛ وإن كتب أرْبى على ابن مُقْلَةَ بخطّه ، وإن أنشأ رسالة أنساك العمادَ بحسن مَساقِها وضبطه ؛ وهو رب هذا الشان ، [٦٠٤
وفارس هذا الميدان ؛ ومع تَفَنُّنه فى العلوم فهو فى الشعر قد نَبَغ ، وما بلغ أحدٌ من شعراء عصره منه ما بلغ ؛ بل سَلّموا التقدُّم فيه إليه ، وأَلْقَوْا زِمام الاعتراف بذلك فى يديه ؛ ودخلوا تحت راية الأدب التى حمل ، إذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس بالحَمَل .

قصيدة له فى مدح أبى الحجاج يوسف

أنشدنى لنفسه يمدح أميرَ المسلمين أبا الحجّاج يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل ، عَمِّ أبينا ، ابن جدنا الرئيس الأمير أبى سعيد فرج ، ابن جدنا

الأمير أبى الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبى الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبى بكر ، محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجيّ ، هذه القصيدةَ البارعة ، وحذف منها الراء المهملة :

قَسَمًا بوضَّاح السَّنَى وهَّاجِ ... مِنْ تحت مَسْبولِ الذوائبِ داجِ
وبأبْلجٍ بالمسكِ خُطَّتْ نُونُهُ ... مِن فوقِ وَسنانِ اللواحظ سَاجِ
وبحُسْنِ خَدٍّ دُبِّجَتْ صَفَحاتُه ... فغدتْ تحاكِى مُذْهَبَ الدِّيباجِ
وبمَبْسِمٍ كالعِقد نُظِّم سِلْكُهُ ... ولَمًى حَكى الصَّهْباءَ دُون مِزَاجِ
وبمنطقٍ تصبُو القلوبُ لحسنِهِ ... أَنْسَى المَسامع نَغْمَةَ الأَهْزاجِ
وبمائسِ الأعطافِ تَثْنيه الصَّبَا ... فيَميسُ كالخَطِّىِّ يومَ هِياجِ
ومُنَعَّمٍ مثلِ الكثيبِ يُقِلُّهُ ... مُتَضعِّفٌ يشكُو من الإدْماجِ
وبمَوْعِدٍ للوصلِ أُنْجِزَ فَجأةً ... من بَعْدِ طُولِ تَمَنُّعٍ ولَجَاجِ
وبأَكْؤُسٍ أَطْلَعْنَ فى جُنْحِ الدُّجَى ... شَمْسَ السُّلافَةِ فى سَماءِ زُجَاجِ
وحَدَائقٍ سَحَبَ السَّحَاب ذُيُولَهُ ... فيها وباتَ لها النسيمُ يناجِى
وجَداوِلٍ سَلَّتْ سُيوفا عندَ مَا ... فُئَتْ بجيشٍ للصَّبَا عَجَّاجِ
وبأُقحوانٍ قد تضاحكَ إذْ بكتْ ... عَينُ الغَمام بمَدْمَعٍ ثَجَّاجِ
وقُدودِ أَغصانٍ يَمِلْنَ كأنَّها ... تُخْفِى حَدِيثا بيْنَها وتُنَاجِى
وحمائمٍ يَهْتِفْنَ شَجْوًا بالضُّحَى ... فهَدِيلُهُنَّ لِذى الصَّبابةِ شَاجِى
إن المعالىَ والعوالىَ والنَّدى ... والبأْسَ طوعُ يَدَىْ أبى الحجَّاجِ
مَلِكٌ تَتَوَّجَ بالمهابة عندما ... لم يَسْتَجِزْ فى الدين لُبْسَ التاجِ [٦٥
وأَفاضَ حكمَ العدْل فى أيامِهِ ... فالحقُّ أبْلَجُ واضحُ المِنْهَاجِ
هو مُنْقِذُ العانى ومُغْنِى المُعْتَفِى ... ومُذَلِّلُ العاتى وغوث اللاجِى

ماضِي العزيمةِ والسيوفُ كليلةٌ ... طَلْقُ المُحَيَّا والخطوبُ دَوَاجِي
عَلَمَ الهُدَى والناس فى عَمْياء قد ... ضـــلُّوا لوقْع الحادث المُهْتَاج
غيثُ النَّدَى والسحب تبخلُ بالحيَا ... والمَحْلُ يُبْدِى فاقةَ المحتاج
ليثُ الوغَى والخيلُ تُزْجَى بالقَنَا ... والبيضُ تَنْهَل فى دَم الأَوْداج
يَتْقَشَّعُ الإظلام إذ يبـدو لَهُ ... وجهٌ كمِثْل الكوكَبِ الوَهَّاج
من آل قَيْلَةَ من ذُؤَابة سَعْدِها ... أعْلَى بنى قحطانَ دُون خِلاج
حيثُ العُلا ممدودةُ الأطناب لم ... تُخْلِق مَعالِمَها يدُ الإنْهاج
والأَعْوجيَّاتُ السوابقُ تُمتَطَى ... فتظلِّل الآفاقَ سُحْبُ عَجَاج
والبيضُ والأَسَل العوامل تَقْتَضِى ... مُهَجَ الكُماةِ بأبْلغ الإزْعاج
مَجْدٌ ليوسفَ جُمِّعتْ أشتاتُه ... أعيا سِواهُ بعدَ طول عِلاج
مولاىَ هاكَ عقيلةً تزهُو على ... أَخَواتها كالغـــــادة المِغْناج
إنشاء عبـدٍ خالصٍ لك حُبُّه ... ومِن العَبيـد مُداهِنٌ ومُداجى
أوَّى إلى أكنافِ نُعْماكَ التى ... ليست إليه صِلاتها بخداج
سَبَّاقُ مَيـدان البلاغة والوغَى ... لِشعابِ كلٍّ منهما وَلَّاج
جانبتُ أُخْتَ الزَّاى فيها عامِدًا ... فأتتْ منَ الإحسان فى أفواج
فافتحْ لها بابَ القَبول وأَوْلِ مَن ... أهْداكَها ما يَبْتَغِى من حَاج

* * *

قصيدة له فى مدح أبى عنان فارس

قال ابن الأحمر: وأنشدنى أيضا لنفسه، يمدح أمير المؤمنين المتوكلَ على الله، أبا عِنان فارسًا مَلِك المغرب، رحمه الله:

إنّ قلبى لعُهْدة الصَّبر ناكثْ ... عن غَزالٍ فى عُقْدةِ السِّحْر نافثْ
أضرمَ النـار فى فؤادى وَوَلَّى ... قائلا لا تخفْ فإنِّىَ عابث

[وَرَمانى مِن مُقْلتيه بسهمٍ ثم قال اصطبرْ لثانٍ وثالثْ]
كمْ عَذولٍ أتى يُناظرُ فيه كانَ تَعذاله على الحبِّ باعث
ويمينٍ آليتُها بالتَّسَلِّى فقضَى حسْنُه بأنِّىَ حانث
[٦٥٦] جبرَ اللهُ صَدْع قلبٍ عميدٍ صَدَعَتْ شملَهُ صُروف الحوادث
فهْو يهفُو إلى البروق ويَرْوِى عن نسيم الصَّبا ضِعاف الأحادِثْ
سَلَبتْه الأشجانَ إلَّا بَقايا من أمانٍ حبالُهن رَثائث
وبكاءٍ على عهودٍ مواضٍ مَلأتْ صدْره هموما حَدائث
لستُ وحْدى أشكو بَليَّة وَجْدِى إنَّ داءَ الغرام ليسَ بحادث
يا مُضيعَ العُهودِ واللهُ يعفو عنك إنى ارتضيت خُطَّةَ ناكث
غرَّنى منك والجمال غرُورٌ وظُبَا اللحظِ فى القلوب عَوابث
مُقَلٌ يَقْتَسِمْن أعشارَ قَلْبى بالرضا منِّىَ اقتسامَ المَوارث
كيْفَ غيَّرتَ بانتزاحك حالِى وتغيرتَ لى ولَسْت بحارث
فَرْطَ حبِّى وفَرْطَ حُبِّكَ إلا أنّ عَيْنيكَ بالفُتور نَوافث
ونَدَى فارسٍ وحُسْنُكَ رَدَّا قولَ من قال سُدَّ بابُ البَواعث
مَلِكُ البأسِ والنَّدَى فهْوَ بالسَّيْـ ـفِ و بالسَّيْب عابثٌ أو غائث
مُحْرِز المجدِ والثناء فهذا سائرٌ فى الورَى وذلكَ لابث
أَوْطَأَ الشُّهْبَ رِجْلَهُ وترَقَّى صاعدا فى سُمُوِّه غيرَ ماكث
فدَرَارٍ تَسْرِى وما لحِقَتْه ونجومٌ خلفَ القصورِ لوابث
وله المُقْرَبات لا بل هى العِقْـ ـبانُ من فوقها اللُّيوث الدَّلاهث
مُطْلعات مِنْ كُلِّ نَعْلٍ هِلالا فلهذا تجلو دُجَى كل حادث
إن تَوَاقفْنَ فالجبالُ الرواسِى أو تَسَابقْنَ فالغيوثُ الحثائث

والمواضى كأنها قد أُعيرتْ حِدَّة الذهنِ منه عندَ المَباحِثْ
هِيَ نارٌ مُحرِّقاتُ الأَعادِى وهْيَ ماءٌ مُطهِّراتُ الخَبائث
فَيَرِدْنَ الوَغَى ذكورا عِطَاشا ثم يَصْدُرْنَ ناهلاتٍ طَامث
مِنْ معاليه قد رأينا عِيانًا كُلَّ فَضْلٍ يَنُصُّه مَنْ يُحادِث
خُلُقٌ كالنسيم مَرَّ سُحَيْرا بالأَزاهيرِ فى البِطاح الدَّمائثْ
فى سبيل الإلٰهِ يُقْصِى ويُدْنِى ويُوالى فى ذاته ويُناكِث
شَرَّفَ المُلْكَ منهُ سامٍ وحامٍ فقدتهُ سامٌ وحامٌ ويافث
ها كَها مِنْ بناتِ فكرىَ بِكْرًا ليس يسمو لها من الناسِ طامِث
ذاتَ لفظٍ لا يعتريه اختلالٌ ومَعانٍ لا تَنْتَحِيها المَباحث [٦٥٧]
زُعماء القريضِ أبقَوْا بقايا كنتُ دونَ الوَرَى لهنَّ الوَارث
من أراد انتقادَها فهْى هذى عُرضَةَ البحث فليكن جِدَّ باحث

***

حسن تخلصه فى القصيدة

قلت: رأيت بخط ابن الصَّباغ العقيلى على حاشية قوله:

« وندى فارس وحسنك رَدَّا ... » البيت، مانصه: ما أبدع تخلصَه للمدح وأطبعه، فإنه أشار إلى قول الشاعر رادًّا عليه بالتبكيت، ومُعَنِّفا له بالتَّعْنيت:

قالوا تركتَ الشِّعر قلت ضرورةً بابُ السماحة والملاحة مُغْلَقُ
ماتَ الكرامُ فلا كريم يُرْتَجى منه النوالُ ولا مَليحٌ يُعْشَق

انتهى.

***

وله فى وصف حال

وعَلِقَ بحفظى أن السلطان أبا عِنانٍ أَطَلَّ من بُرْج، يشاهد الحرب بين الثور والأسد، على ما جرت به عادة الملوك، فقال ابن جُزَىٍّ هذا فى وصف

الحال ، ما يكاد تُعَدُّ معارضته من قبيل المحال ، وهو :

لِلّهِ يومٌ بدار المُلْك مَرَّ بِهِ ... من العجائب ما لم يَجْرِ فى خَلَدِ
لاح الخليفةُ فى بُرْجِ العُلا قمرًا ... يُشاهِد الحرب بين الثور والأسَد

* * *

وله فى حفظ العهد

[ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى :

أبا حسنٍ إنْ شتَّت الدهر شملنا ... فليس لوُدٍّ بالفؤاد شَتَاتُ
و إن حُلْتَ عن عهد الإخاء فلم أزَلْ ... لِقَلبى على حفظ العهود ثبات
وهبنى سرَتْ منى إليكَ إساءةٌ ... ألم تتقدمْ قبلَها حسنات !]

* * *

ألف رحلة ابن بطوطة

وهو الذى ألَّفَ رِحلة ابن بَطُّوطَة ، حَسْبما هو معلوم .

* * *

ومن شعر له فى مرضه

قال ابن الأحمر : ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله وهو بحال مرض :

إنْ يأخذِ السُّقْم من جِسْمِى مآخذَهُ ... وأصبحَ القومُ من أمْرى على خَطَرِ
فإنّ قلبى بحمد اللهِ مُرْتَبِطٌ ... بالصَّبر والشكْر والتسليم للقَدَر
فالمرء فى قَبْضَةِ الأقدار مَصْرِفُه ... للبُرء والسُّقْم أوْ للنَّفْع والضَّرَر

* * *

ومن شعره يخاطب أبا إسحاق بن الحاج

وحكى لى غير واحد ، أن الفقيه الكاتبَ القاضىَ الحاجَّ الرحّالَ أبا إسحاق ابن الحاج النُّمَيْرِىّ ، بقى فى خَلْوته جميع شهر رمضان المعظَّم ، من عام سبعة وخمسين وسبع مئة ، فلما خرج يومَ عيد الفطر أنشده سيدى أبو عبد الله بن جُزَىّ المذكور لنفسه يخاطبه : [٦٥٨]

ما سِرَارُ البُدُورِ إلا ثلاثٌ ... فلماذا أرَى سِرارَكَ شَهْرَا
أتعجَّلْتَهُ سُرُورًا لعامٍ ... ثُمَّ تَبْقَى فى سائرِ العام بَدْرا

وله مصحّفا

وحُكِيَ أنه كتب رحمه الله للرئيس الكاتب ، أبى القاسم بن رِضوان ، يطلب منه شَرَاب سَكَنْجَبِين ، وقَصَد التَّصحِيف بقوله :

أحَسَنٌ زَانَ بَيْتَكَ نَجِيبٌ تُسَرُّ به بُرْءٌ مَرَضِى .

تصحيفه :

أُحِبُّ شَرَابَ سَكَنْجَبِينٍ شُرْبُهُ بُرْءٌ مَرَضِى .

[قال] فجاوبه ابن رِضوان بقوله :

« إنَّ بِرَّك نفيسٌ » . تصحيفه مَقْلُوبا : « يَشْفيكَ رَبُّنا » .

* * *

ولابن الجياب مصحفا

وتذكرت بهذا ما وقع للرئيس ابن الجَيَّاب ، فإنه أهدى له الفقيه ابن قُطْبَة رُمَّانا ، ثم دخل عليه عائدا ، فلما رآه قال له : يا فقيه ، نَعِمَ بالهُدْنَةِ زَمانُك ، أراد : نِعْمَتِ الهديةُ رُمَّانُك . وكان هذا قبل موته من مرضه بيسير ؛ وهو مما يدل على ثُقُوب ذهنه ، حتى قرب الموت ، سامحه الله ، وغَفَر له .

* * *

ولابن جزى فى المرية وأهلها

ومن نظم أبى عبد الله بن جُزَىّ المذكور قولُه :

رَعَى الله عَهْدا بالمَرِيَّة لا أُرَى له أبدًا ما عشتُ فى الناسِ بالناسِى

وكيفَ تَرَى باللهِ صُحْبة معشرٍ مُجاهدُ بعضٌ منهمُ وابنُ عَبَّاس

* * *

وله فى زاوية أبى عنان

ومن ذلك قوله رحمه الله فى الزاوية التى أنشأها أبو عِنان ، وهو مكتوب عليها إلى قرب هذا التاريخ :

هـــذا مَحَلُّ الفضل والإيثارِ والرِّفقِ بالسُّكانِ والزُّوَّارِ

دارٌ على الإحسان شِيدَتْ والتُّقى فجزاؤها الحُسْنَى وعُقْبَى الدَّار

هى مَلْجأٌ للواردين ومَوْرِدٌ لابن السبيلِ وكلِّ ركْب سارِى
آثارُ مولانا الخليفـــة فارسٍ أكْرِم بهـا فى المجد من آثار
لا زال منصورَ اللواء مُظَفَّرًا ماضى العزائم سامىَ المقدار
[٦٥٩] بُنِيَتْ على يدِ عبدهم وخديم با بِهِمِ العـلىِّ محمّدِ بن جِدار
فى عام أربعةٍ وخمسين انقضَت مِنْ بَعْدِ سبْع مِئينَ فى الأعْصار

* * *

ومن بديع نظمه

ومن بديع نظمه رحمه الله [قوله] :

وما أنْسَى الأحبَّةَ حين[1] بانوا تخوضُ مَطِيُّهم بحْـرَ الدُّموعِ
وقالوا اليومَ مَنزلُنـــا الحنَايا فقلتُ نعم ولـكنْ من ضُلوعى

* * *

وقولُه رحمه الله :

ورُبَّ يهودِىٍّ أتى مُتَطَبِّبًا لِيَأخذَ ثاراتِ اليهودِ منَ الناسِ
إذا جَسَّ نَبْضَ المرءِ أوْدَى بنَفْسِه سريعًا ألم تسمع بفَتْكةِ[2] جَسَّاس

* * *

وقوله رحمه الله :

مِنْ أىِّ أشْجَانى التى جَنَتِ الهَوَى أشكُو العذاب وهُنَّ فى تَنْوِيعِ ؟
مِن وصلىَ الموقوف أو مِن هجرى الْـــمَوْصول أو مِن نومىَ المقطوع ؟

* * *

(١) فى ص ، م : « يوم » .
(٢) فى م : « بقتلة » .

وقوله رحمه الله :

فَخَدِّى وجسمى والفؤاد وأدْمُعِى شهودٌ بهم دعْوَى الغَرَامِ تُصَحَّحُ
ومِنْ عَجَبٍ أنْ رَجَّحَ الناسُ نَقْلهُم وكلُّهُمُ ذو جَرْحَةٍ فيهِ تقْدَح
فجسمى ضعيف والفؤاد مُخَلَّطٌ وَدَمْعِىَ مطروحٌ وَخَدِّى مُجَرَّح

* * *

وقوله رحمه الله :

يا مُحَيَّا كتبَ الحسنُ بهِ أحرفًا أبْدَعَ فيها وَبَرَعْ
ميمِ ثغرٍ ثم نون حاجبٍ ثمَّ عَيْنٌ هى تَتْميمُ البِدَع
أنَا لا أطْمَعُ فى وَصْلِك لِى وعلى وَجْهِكَ مكتوبٌ مَنَع

* * *

تهنئته أبا عنان بابلال ولده وتوريته بأسماء الكتب

قال ابن الأحمر :

ومن إنشائه البارع مُوَرِّيًا بالكتُب[1]، ورفعها لأمير المؤمنين المتوكِّل على الله أبى عِنان فارس ، رحمه الله ، يُهَنِّئُهُ بابلال وَلَدِه وولىِّ عهدِه ، الأمير أبى زيَّان محمد من مَرَض :

ماذا عَسى أدَبُ الكتَّاب يوضِحُ مِنْ خِصَالِ مَجْدِك وهْوَ الزَّاهرُ الزاهى
وما الفصيحُ بكلِّيَّاتِ مُوعِبها كافٍ فيأتى بإنباء وإنباه

أبقى الله مولانا الخليفة ولسعادته القِدْحُ المُعَلَّى ، ولزاهر كماله التَّاجُ المحلَّى ؛ تُجْلَى منْ حِلاهُ نزهةُ الناظر ، ويسيرُ بعلاهُ المثل السائر ؛ ويَتَّسِق من ثَنَاهُ العِقدُ المنظَّم ، ويتَّضح بهُدَاه القصد الأمَم ؛ ولازالت مقدِّماتُ النَّصر له مبسوطة ، [٦٦٠]

(١) يلاحظ أن هذه الرسالة مشتملة على التورية بأسماء كثير من الكتب المشهورة . وقد اكتفينا بهذه الإشارة عن التنبيه على كل منها .

ومعونةُ السَّعْد بإشارته مَنُوطه ؛ وهدايتُه متكفِّلةٌ بإحياء علوم الدين ، و إيضاح منهاج العابدين ؛ و إرشادُه يتولَّى تَنْبيهَ الغافلين ، و يأتى من شفاء الصدور بالنور المُبين ؛ ومِيقاتُ الخِدْمة ببابه مَطْمَحُ الأنفس ، وملخَّص الجود من كَفِّه بَغْيَةُ الملتمِس ؛ قد حكم أدبُ الدِّين والدُّنيا بأنك سراجُ الملوك ، لما أتَتْهُ عوارفُك بالمَشْرَع السَّلسَل ومعارفُك بنظم السُّلوك ؛ ووضَحتْ معالمُ مجدِك وضوحَ أنوارِ الفجر ، وزهَتْ بعدلِكَ المسالكُ والممالكُ زَهْوَ خريدة القصْر ، ؛ فلك فى جهرةِ الشَّرَفِ النَّسب الوَسيط ، ومن جُمَل المآثر الخُلَاصةُ والبسيط ؛ وسبلُ الخَيْرَاتِ لها برعايتك تيْسير ، ومحاسنُ الشَّريعةِ لها بتحصيلك تحْبير ؛ وأنتَ حُجَّة العلماء ،الذى تقصُر عن تقصِّى مآثره فِطَنُ الأذكياء ، إن انْبَهَم التفسير ففى يديكَ مِلَاك التأويل ، أو اعْتَاصَ تفريعُ الفقهِ فعنـدك فضْلُ البيان له والتحصيل ؛ و إن تشعَّب التاريخُ فلديك استيعابُه ، أو تطاول الأدبُ ففى إيجاز بيانك اقتضابه ؛ و إن ذُكِرَ الكلامُ ففى انتقائك من برهانه المحصول ، أو المنطقُ ففى مُوجَز أمَاليك لُبَابُه المنخول ؛ وليس أساس البلاغةِ إلا ما تأتى به من فصل المقال ؛ ولا جامع الخير إلا ما حُزْتَه فى تهذيب الكمال ؛ ولذلك صارت خدمتُك غاية المطلوب ، وحبُّك قوتَ القلوب ؛ ولا غَرْوَ أنْ كنت من العلياء دُرَّتها المكنونة ، فأسلافُك الكِرام هم جواهرها الثمينة ؛ بحماستهم أُصيبَت مقاتِلُ الفُرسان ، وبجَود جُودهم تسنَّى رِىُّ الظمآن ؛ وبتسهيل عدلهم [٦٦١] وضحَت شُعَبُ الإيمان ؛ وأنت المُنْتَقَى من سِمْط جُمَانهم ، والواسطة فى قلائد عِقيانهم ؛ عنك تُؤثر سيرة الاكتفاء ، وعنْ فُروعك السعداء ، تروى أخبار نُجَبَاء الأبناء ؛ فهم لمملكتك العليَّة بهجةُ مَجالسها ، وأنس مُجالسها ؛ وقُطب سرورها ، ومطالع نورها ؛ وولىّ عهدكَ دُرَّتهم الخطيرة ، وذخيرتهم الأثيرة ؛

لا زال كاملُ سعادته بطول مُقامِك محكَما ، وحِرْزُ أمانيِّه بالجمع بين الصَّحيحين : حبِّك ورضاك مُعْلَما ، وقد وجَبَت التهنئةُ بما كان فى حيلة برئه من التيسير ، وما تهيأ فى استقامة قانون صحّته من نُجْح التدبير ؛ ولم يكن إلا أن عُدتْ به عنك المسالك ، وأعوز نورَ طَرْفه تقريبُ المَدارك ، وتذكَّر ما عهـده [من] الإيناس الموطَّأ جنابه عند أفضل مالك ؛ فوَرَى من شوقه سَقْطُ الزَّند ، والتهب فى جوانحه قَبَسُ الوجد ؛ فأمددته من دعائك الصالح بحِلْيةِ الأولياء ، فظفر لمَّا شارف مَشَارِق الأنوار من حضرتك بالشفاء ؛ وقد حاز إكمال الأجر بذلك العارض الوجيز ، وكان له كتشبيب الإبريز ؛ وها هو قادم بالطالع السـعيد ، آنب بالمقصِد الأسنَى من الفتح والتمهيد ؛ يطلُع بين يديك طلوع الشهاب ، ويبسِمُ عن مفصَّـل الثناء فى الهناء بذلك زهر الآداب ؛ فأعِدَّ لهُ تحفةَ القادم من إحسانك الكامل ، واخصصه بالتكملة من إيناسك الشامل ، فهو الكوكب الدُّرِّىّ ، المستمدّ من أنوارك السنيَّه ، وفى تهذيب شمائلِه أيضاح للخُلُق[1] الكريمة الفارسيَّه[2] ؛ لا زالت تزدان بصحاح مآثرك عيون الأخبار ، وتتعطَّر بنفحة الزهر من ثنائك روضة الأزهار ؛ وتُتْلَى من محامدك الآيات البينات ، وتتوالى عليك [٦٦٢] الألطاف الإلهيات ، بمن الله وفضله .

والسلام الكريم يعتمد المقامَ العلىّ ورحمة الله وبركاته . انتهى .

***

من نظم ابن جزى موريا بأسماء الكتب

وقد قال أبو عبـد الله بن جُزَىّ المذكور رحمه الله عدة قِطع يُوَرِّى فيها بأسماء الكتب ، منها قوله :

(١) الخلق مذكر ، لكنه حمله على معنى السجايا ، فأنثه .
(٢) نسبة إلى أبى عنان فارس .

ظبيٌ هو الكامل فى حُسْنه وثغره أبْهى منَ العِقْدِ
جمالُه المُشرِق لكنَّهَا أخلاقُه تَحْكى صَبَا نَجْدِ

وقوله رحمه الله :

لكَ الله من خِلٍّ حبانى برِقْعَةٍ حبتنىَ من آياتها بالنوادرِ
رسالةُ رمزٍ فى الجمال نهايةٌ ذخيرةُ نظمٍ أتْحَفَتْ بالجواهرِ

وقوله رحمه الله :

قِصَّتى فى الهوَى المُدَوَّنةُ الكبْـــرى وأخبارُ عِشْقىَ المبسوطهْ
حجَّتى فى الغرام واضحة إذ لم تزل مهجتى بوجْدٍ مَنُوطه

أقول : ما أبدع هذا الفصل[1] ، الذى حبره هذا الحَبْر فى فن التوريه ، وشاهِدُهُ على استحاقه مُبَرِّزٌ عدل ، لا يحتاج إلى تزكيه .

* * *

من نظم عبد المهيمن الحضرمى موريه بأسماء الكتب

وتذكّرْت بهذه التورية بأسماء الكتب قولَ بعض الأكابر ، وأظنُّه الشيخَ الكاتب ، أبا محمد عبد المهيمن الحضْرَميّ ، لأن الكاتب أبا إسحاق بن الحاج النُّمَيْرىّ رحمه الله ، قال حسْبما وجدتُ بخطِّه ما نصُّه :

أنشدنى شيخُنا الإمام أبو محمد لنفسه :

من اغتدى مُوَطِّأً أكنافُه صحَّ له التمهيدُ فى أحوالِه
وقابل استذكارَه بالمنتَقَى من رأْيه المختارِ من أعماله
وأضْحَتِ المسالك الحُسْنى له تُدْنِى تَقَصِّيًا قصِى آماله
وسارَ منْ مشارق الأنوار فى أدنى المدارك [أو][2] إلى إكماله

* * *

(١) فى الأصول : «الفرد» . ولعله محرف عما أثبتناه .
(٢) زيادة عن نفح الطيب .

لأبى على حسين ابن صالح موريا بأسماء الكتب

ثم قال أبو إسحاق بن الحاج المذكور : ولما وقفَ على ذلك صاحبُنا [٦٦٣] الفاضل العالم ، أبو على حسين بن صالح بن أبى دُلامة ، أنشدنى له هذه الأبيات ، وزاد ذكرَ القبَس والمُعْلَم :

قل للموطَّإ للورَى أكنافُه ... بُشراه بالتمهيد فى الأحوالِ
وإذا اكتفى بالمنتقَى استذكارُه ... وَفَى له المختارُ فى الأعمال
ومسالكُ الحسنى تؤدِّيه إلى ... أقصى التقصِّى من قَصِى الآمال
ويلوح من قَبَس الهداية رُشْدُهُ ... من مُعْلَم التفصيل والإجمال

انتهى كلام ابن الحاج .

* * *

للوزير لسان الدين بن الخطيب موريا بأسماء الكتب

ومن هذا المعنى قول الوزير أبى عبد الله بن الخطيب :

وظبيٍ لأوضاعِ[1] الجمال مدرسٍ ... عليم بأسرار المحاسن ماهرِ
أرى جِيدُه نصَّ المحلَّى وقرَّرَتْ ... ثناياه ما ضَمَّتْ صِحَاحُ الجواهرِ

* * *

لابن خاتمة موريا بأسماء الكتب

وقول ابن خاتمة :

ومُعَطَّر الأنفاس يبسِم دائمًا ... عن دُرِّ ثغرٍ زانه ترتيبُ
من لم يشاهِد منه عِقْدَ جواهرٍ ... لم يَدْرِ ما التَّنقيحُ والتهذيب

ومن قول ابنِ خاتمة أيضا :

سفَّهنى عاذلى عليه ... وقال لى وُدُّه عليلُ
فقلت معتَلٌّ أو صحيح ... يودِعُه عينَه الخليل

* * *

(١) فى م : « بأوصاف » .

لبعض الشعراء موريا بأسماء الكتب

وقال بعضهم :

حاز الجمال بصورة قمريّة تجلو عليك مشارقَ الأنوارِ
وحوَى الكمال بسيرة عُمَرِيّة تتلو عليك مناقب الأبرار

* * *

ومن شعر ابن جزى

ولنرجع إلى نظم ابن جُزَيّ فنقول :

وأنشد فى الإحاطة لأبى عبد الله بن جُزَيّ المذكور :

تلك الذؤابة[1] ذُبْتُ من شوقى لها واللحظُ يَحميها بأىّ سلاحِ
يا قلبُ فانجُ وما إخالك ناجيًا من فِتْنَةِ الجَعْدِىّ والسَّفّاح[2]

وقوله رحمه الله تعالى .

وعاشقٍ صلّى ومِحْرَابه وَجْهُ غزال ظلّ يهواهُ
قالوا تعبدتَ فقلتُ نعَم تعبُّدًا يَفْهَمُ معناه

[٦٦٤] وقوله رحمه الله :

نصب الحبائل للورَى بالحسن إذ رفع اللِّثامَ وذيلُه مجرورُ
وأمالَه عنّى العواذلُ ضَلّةً فهْوَ المُحَال وقلبىَ المكسور

وقوله رحمه الله :

لا تعْدُ صِنْفَك إنْ ذهبتَ لصاحبٍ تَعْتَدُّهُ لكنَ تَخَيَّر وانْتَقِ
أوَمَا ترى الأشجارَ مهما رُكِّبَت إن خُولفَت أصنافُها لم تَعْلَق

انتهى .

(١) فى نفح الطيب : « الذوائب » .
(٢) الجعدى : هو مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية . لقب بالجعدى لمصاحبته الجعد ابن درهم المتكلم . والسفاح : هو أبو العباس عبد الله بن محمد مؤسس الدولة العباسية.

ولنختم ما أوردنا من نظمه بقوله :

أيَّتها النفسُ قِفى عنـدما ألْزِمْتِ فِعلا كان أو قوْلَا
فمن يكن يَرْضى بما ساءه أو سَرَّهُ فهْو له الأَوْلى
لا يُتْرَكُ العبـد وما شاءه إلا إذا أهمَلَهُ المولى

وقولِه رحمه الله :

لولا ثلاث قد شُغِفْتُ بحبِّهـا ما عِفْتُ فى حَوْض المنيَّةِ مَوردِى
وهْىَ الرواية للحـديث وكَتْبُه والفِقْهُ فيه وذاك حسب المهتدى

* * *

كان حازم وابن الأبار فرسى رهان

ولنعد إلى ذكر حازم ، فنقول :

كان أبو الحسن حازم والـكاتب الفقيه المحدث أبو عبد الله بن الأبّار فَرَسَىْ رِهَانٍ فى ميـدان الآداب ، وقد جمعهما الزمان وتعلّقهما من الدولة الحفصية بأهداب .

* * *

ترجمة ابن الأبار وطرف من أخباره

وإذ قدمنا نُبْذة من أخبار أبى الحسن حازم ، فلا بأس أن نُتْبِعَها بمثلها من أخبار الإمام ابن الأبّار .

وهو الفقيه الأجلّ ، الـكاتب الحافل ، الراوية المحدّث ، الفاضل الناقد البارع ، الحافظ الـكامل ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله القُضاعى البلنَسىّ ، المعروف بابن الأبّار .

قال قاضى القضاة وَلِىّ الدِّين بن خلدون فى تاريخه الـكبير ، الموسوم بديوان العِبَر ، وكتاب المبتدا والخبر ، فى تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ما نصه :

الخبر عن مقتل ابن الأبار وسياقة أوليته

[٦٦٥]

كان هذا الحافظ أبو عبد الله بن الأبار من مَشْيخة أهل بلنسية ، وكان علّامة فى الحديث ولسان العرب ، وبليغا فى الترسيل والشِّعر ، وكتب عن السيد أبى عبد الله بن حفص بن عبد المؤمن ببلنسية ، ثم عن ابنه السيد أبى زيد ، ثم دخل معه دار الحرب حين نزع إلى دين النَّصرانيَّة ، ورجع عنه قبل أن يأخُذَ به ، ثم كتب عن ابن مَرْدَنيش . ولما زحف الطاغية إلى بلنسية ونازلها ، بعثَ زيانُ بوفد بلنسيةَ و بيعتهم ، إلى الأمير أبى زكرياء ، وكان فيهم ابن الأبار هذا الحافظ ، فحضر مجلس السلطان ، وأنشد قصيدته على رويّ السين يستصرخُه ، فبادر السلطانُ بإغاثتهم ، وشحَن الأساطيل بالمَدَد إليهم ، من المال والأقوات والكُسَا ، فوجدوهم فى عُسْرة[1] الحصار ، إلى أن تغلب الطاغية على بلنسية ، ورجع ابن الأبار بأهله إلى تونس ، غِبْطة بإقبال السلطان عليه ، فنزل منه بخير مكان ، ورشَّحَه لكَتْب عَلَامته فى صدور رسائله ومكتوباته ، فكتبها مدَّة ، ثم إن السلطان أراد صرفها لأبى العباس الغسّانى ، لما كان يُحسن كتابتها بالخط المشرقى ، وكان آثرَ عنده من الخط المغربى ؛ فسخط بن الأبار ، أنَفَةً من إيثار غيره عليه ، وافتات على السلطان فى وضعها فى كتاب أمَر بإنشائه ، لقصور الترسيل يومئذ فى الحضرة عليه ، وأن يَبْقىَ مكان العلامة منه لواضعها . فجاهر بالرد ، ووضعها استبدادا وأنفة ؛ وعوتب على ذلك ، فاستشاط غضبا ، ورمى بالقلم ، وأنشد متمثلا :

أُطلُبِ العزّ فى لظَى وذر الذ لّ ولو كان فى جِنـان الخلودِ

(١) كذا فى م . وفى ط ، س : «هوة» .

فَنُمِيَ ذلك إلى السلطان ، فأمر بلزومه بيْتَه ؛ ثم استعتب السلطانَ بتأليفٍ رفَعه إليه ، عَدَّ فيه من عُوتب من الكتاب وأُعتِب ، وسَمّاه إعْتابَ الكُتّاب ، واستشفع فيه بابنه المستنصر بالله ، فغفر السلطانُ له ، وأقالَ عثرتَه ، وأعاده إلى الكتابة . ولما هلك الأميرُ أبو زكرياء رفعه المستنصر إلى حضور مجلسه ، مع الطبقة الذين كانوا يحضُرونه من أهل الأندلس [وأهل تونس] . وكان فى ابن الأبار أنفة وبَأْوٌ[1] وضيق خلق ، وكان يُزْرِى على المستنصر فى مباحثه ، و يَسْتقصِرُ مداركه ؛ فخشُن له صدرُه ، مع ما كان يُسْخِطُ به السلطانَ ، من تفضيل الأندلس وَوُلاتها عليه .

وكانت لابن أبى الحسين فيه سعاية ، لحقد قديم ، سببه أن ابن الأبّار لما قَدِم فى الأسطول من بلنسية ، نزل ببَنْزَرْت وخاطب ابنَ أبى الحسين بغرض رسالته ، ووصف أباه فى عُنْوان مكتوبه بالمرحوم ؛ ونُبِّه على ذلك فاستضحك ، وقال : إن أبًا لا تُعرف حياتُه من موته لأبٌ خامل ؛ ونُمِيت إلى ابن أبى الحسين ، فَأَسرّها فى نفسه ، ونصَبَ له ، إلى أن حمل السلطانَ على إشخاصه إلى بِجاية ؛ ثم رضى عنه واستقدمه ، ورَجَعه إلى مكانه من المجلس ، وعاد هو إلى مَسَاءة السلطان بنَزَعاته ، إلى أن جرى فى بعض الأيام ذكرُ مولد الواثق ، وساءلَ عنه السلطانُ بعضَ من حضرَهُ فاستبهم ، فغَدا[2] عليه ابنُ الأبار بتاريخ الولادة وطالعها ، فاتُّهِم بتوقُّع المكروه للدولة والتربص بها ، كما كان أعداؤه يُشيعون عنه ، بما كان ينظر فى النجوم ؛ فتقَبَّض عليه ، و بعث السلطانُ إلى داره ، فرُفعت إليه كتبه أجمع ، وأُلْفِى فى أثنائها — فيما زعموا — رقعة بأبيات أوّلها :

طغا بتونس خلْفٌ سمَّوْه ظُلما خليفهْ

فاستشاط لها السلطان ، وأمر بامتحانه ثم بقتله ؛ فقُتِل قَعْصا بالرماح وسْط محرم [٦٦٧]

(١) البأو : الكبر . (٢) فى الأصول : « فعدا »

من سنة ثمان وخمسين ، يعنى وست مئة . ثم أُحْرِق شلْوه ، وسيقت مجلدات كتبه ، وأوراق سماعه ودووايته ، فأحرقت معه .

انتهى كلام ابن خلدون .

* * *

سينيته التى يستصرخ بها أبا زكرياء الحفصى

والقصيدةُ السِّينيَّة التى أشار إليها ابن خلدون ، كنت عزمت على ذكرها أول تراجم هذا الكتاب ، حين ذكرت أمر الجزيرة ، وأتيتُ بقصيدة صالح ابن شَرِيف ، فنَسِيتُ ذلك ، حتى قضى [الله] به الآن ؛ [وهى] من غُرر القصائد الطنانة ، وهذا نصّها :

أدْرِكْ بِخَيْلِك خيلَ الله أندلُسَا ... إن السبيلَ إلى مَنْجاتها دَرَسَا

وهَبْ لها من عَزيز النصر ما التمستْ ... فلم يزلْ منكَ عزُّ النصر مُلْتَمَسا

وحاشِ مما تعانيه حُشاشتَها ... فطالَمَا ذاقتِ البلوى صباح مَسا

يا لَلجزيرة أضحى أهلُها جَزَرًا ... للحادثات وأمسَى جَدُّها تعسا

فى كلِّ شارقة إلمامُ بائقة ... يعود مأتمُها عند العِدا عُرُسا

وكلّ غاربةٍ إجحافُ نائبة ... تَثْنى الأمانَ حِذارا والسُرورَ أَسا

تقاسَمَ الرومُ لا نالت مَقاسمُهم ... ولا عقائلَها المحجوبةَ الأَنَسا

وفى بَلنسية منها وقرطبة ... ما يَنْسِف النفسَ أو ما ينزِفُ النَّفَسا

مدائنٌ حلّها الإشراكُ مُبْتسِما ... جَذْلانَ وارتحلَ الإيمانُ مُبْتَئِسا

وصيَّرتها العوادى العابثاتُ بها ... يستوحشُ الطَّرفُ منها ضِعْفَ ما أَنِسا

فمن دساكرَ كانت دونَها حَرَما ... ومن كنائسَ كانت قبلَها كُنُسا

يا لَلمساجد عادتْ للعِدا بِيَعًا ... وللنِّداء غدا أثناءها جَرَسا

لَهْفى عليها إلى استِرْجاع فائتِها ... مَدارسًا للمثانى أصبحتْ دُرُسا

وأربعا نَمنَمتْ أيدى الربيع لها ... ما شئتَ من خِلَعٍ موْشيَّةٍ وكُسا
كانت حدائقَ للأحداق مونِقةً ... فصوّح النضر من أدواحها وعَسا
وحال ماحوْلها من منظرٍ عَجَب ... يستجلِسُ الركبَ أو يستركِبُ الجلَسا
سَرْعان ماعاثَ جيشُ الكفرِ واحَربا ... عيثَ الدَّبا فى مغانيها التى كَبَسا
وابتزَّ بزَّتَها ممـــــا تحيَّفَها ... تحيُّفَ الأسَدِ الضَّارى لما افترسا
فأين عيشٌ جنيْناه بها خَضِرًا ... وأين[1] غصن جنيناهُ بها سَلِسا [٦٦٨]
حمى محاسنَها طاغٍ أُتيح لها ... ما نام عن هَضْمِها حينا ولا نَعَسا
وَرَجَّ أرجاءها لما أحاط بها ... فغادر الشُّمَّ من أعلامها خُنُسا
خلا لهُ الجوُّ فامتدتْ يداه إلى ... إدراكِ ما لَمْ تطأ رِجْلاه مُخْتَلِسا
وأكثر الزعمَ بالتَّثليثِ منفردا ... ولو رأى راية التوحيد ما نَبَسا
صِلْ حبلَها أيُّها المولى الرحيمُ فما ... أبْقى المِراسُ لها حَبْلا ولا مَرَسا
وأحْيِ ما طمَستْ منها العُداة كما ... أحييْتَ من دعوة المهدىِّ ما طُمِسا
أيام سرتَ لنصر الحق مُستبِقا ... وبتَّ من نور ذاك الهدْى مُقْتَبِسا
وقمتَ فيها بأمر الله منتصرا ... كالصَّارم اهتزَّ أو كالعارض انْبَجَسا
تمحو الذى كتب التجسيمُ من ظلَمٍ ... والصبْح ماحِيــةٌ أنوارُه الغَلَسا
وتقتضى المَلِكَ الجبــارَ مُهْجتَه ... يومَ الوغى جهْرَةً لا ترقُب الخُلَسا
هذى رسائلُها تدعوك من كثَبٍ ... وأنت أفضلُ مرجُوٍّ لِمَن يَئِسا
وافَتْكَ جاريةً بالنُّجْح راجيــةً ... منكَ الأميرَ الرِّضا والسَّيد النَّدُسا
خاضتْ خُضارةَ يُعلِيها وَيَخفضُها ... عُبابُه فتعانى اللِّينَ والشرَسا
وربما سبحتْ والريحُ عاتيةٌ ... كما طلبتَ بأقصى شَدِّه الفَرسا
تؤمُّ يحيى بن عبد الواحد بن أبى ... حفصٍ مقبِّلةً من تُرْبه القُدُسا

(١) فى ط : « فأى عيش ... وأى » .

مَلْكٌ تقلدتِ الأملاكُ طاعتَه ... دِينًا ودُنْيا فغشَّاها الرِّضا لِبَسا
من كل غادٍ على يُمْناه مُستلِما ... وكلِّ صادٍ إلى نُعْماه مُلْتَمِسا
مؤيَّدٌ لو رَمَى نجما لأَثْبَتَه ... ولوْ دعَا أُفقا لبَّى وما احْتَبسا
تالله إنَّ الذى تُرْجَى السعودُ له ... ما جال فى خَلَدٍ يوما ولا هَجَسا
إمارَةٌ يحمِلُ المقدارُ رايتَها ... ودولةٌ عزُّها يَسْتصحِب القَعَسا
يُبْدِى النهارُ بهـا من ضوئه شَنَبًا ... ويُطلِعُ الليل من ظلمائه لَعَسا
ماضى العزيمة والأيامُ قد نكَلت ... طَلْقُ المُحيَّا ووجهُ الدهر قد عَبَسا
كأنه البدرُ والعَلياء هالتُه ... تَحُفُّ من حوله شُهْبُ القنا حَرَسا
تدبيرُه وَسِع الدنيا وما وَسِعَتْ ... وعُرْفُ معروفه واسَى الورَى وأَسا
قامتْ على العدلِ والإحسانِ دولتُه ... وانْشَرتْ من وُجود الجودِ ما رُمِسا
مبارَكٌ هدْيُه بادٍ سكينتُه ... ما قام إلَّا إلى حُسْنى ولَا جَلسا
[٦٦٩] قد نوَّر اللهُ بالتقوى بصيرتَه ... فما يبالى طُروقَ الخطب مُلْتبِسا
برَى العُصَاةَ ورَاشَ الطائعين فقُلْ ... فى اللَّيث مفترسًا والغيثِ مُرْتَجِسا
ولم يُغادِرْ على سَهْلٍ ولا جَبَل ... حَيًّا لَقاحًا[1] إذا وفَّيته بَخَسا
فرُبَّ أصْيَدَ لا تُلْفِى به صَيَدًا ... ورُبَّ أشْوسَ لا تَلْقَى له شَوَسا
إلى الملائك يُنْمَى والملوكِ معًا ... فى نَبْعة أثْمرتْ للمجد ما غَرَسا
من ساطعِ النور صاغَ اللهُ جوهرَه ... وصان صيغته أن تقربُ الدنَسا
لهُ الثَّرى والثُّرَيَّا خُطَّتان فلا ... أعزَّ من خُطَّتَيه ما سَمَا ورَسا
حسبُ الذى باعَ فى الأخطارِ يركبُها ... إليهِ مَحْياه أن البَيْع مَاوُكِسا
إن السعيدَ امرؤٌ أَلْقى بحضرته ... عصاهُ مُحْتزِمًا بالعَدل مُحْتَرِسا

(١) حيا لقاحا : لم يدينوا للملوك ، ولم يملكوا ، ولم يصبهم سباء .

فظلّ يُوطِنُ من أرجائِها حَرَمًا وبات يوقِدُ من أضوائها قبَسا
بُشْرى لعبدٍ إلى البابِ الكريمِ حَدَا آمالَه ومن العَذْبِ المَعِين حَسا
كأنما يَمْتطى واليمنُ يصحبُه من البِحار طريقا نحوَه يَبَسا
فاستقبلَ السَّعدَ وضّاحا أسرَّتُه من صفحةٍ فاض منها النورُ وانعكسا
[وَقَبَّلَ الجودَ طفّاحا غواربُه مِنْ راحةٍ غاص فيها البحرُ وانغمسا]
يأيها الملكُ المنصور أنتَ لها عَلْياء توسِعُ أعداء الهدى تَعسا
وقد تواترتِ الأنباء أنَّك مَن يُحْيِي بقتْل مُلوك الكُفرِ أندلُسا
طهِّر بلادَك منهم إنَّهم نجَسٌ ولا طهارةَ مالم نَغْسِل النَّجَسا

تنبيه : « نغسِلِ النَّجَسا » ، هكذا ثبت بالنون ، كما رأيته فى بعض النسخ العتيقة ، وهو أصوب مما وقع بخط بعضهم بالتاء ، لأنَّ مثلَه لا يصلح للمخاطبات السلطانية ، ولم يشتهر عند أكثر الناس إلا بالتاء ؛ والصواب ما قدّمتُه من أنه بالنون ، والله أعلم .

وأوْطِئْ الفيلقَ الجرار أرضَهمُ حتى يطأطِئَ رأسًا كلُّ من رَأَسا
وانصُرْ عَبيدا بأقصى شَرْقها شَرِقت عيونُهم أدمُعا تَهْمِي زَكاً وخَسَا[1]
هم شيعةُ الأمروهى الدارُ قد نُهِكتْ داء وما لم تباشر حَسْمَه انتكسا
فاملأْ هنيئا لك التأييدُ ساحتَها جُرْدًا سلاهبَ أو خَطِّيَّة دُعُسا
واضرِبْ لها مَوعِدا بالفتح ترقبُه لعلَّ يومَ الأعادى قد أَنَى وعَسَى [٦٧٠]

انتهت القصيدة .

* * *

(١) الزكا : الزوج ؛ والخسا : الفرد .

ارتجاله بيتين فى حضرة المستنصر

وذكر غيرُ واحد أنه دخل مرة على المستنصر بالله الحَفْصِيّ ، فلما مَثَل بين يديه آنسه بإقباله وسؤاله ، فأنشده الحافظ رحمه الله :

بُشْرايَ باشرْتُ الهُدَى والنورا بلِقائِيَ المستنصر المنصـــورا

فإذا أمـيرَ المؤمنين لقِيتُه لم أَلْقَ إلا نَضْرةً وسرورا

***

رسالته للمستنصر

ومن بديع نثره رحمه الله رسالتُـه الحافلة ، التى كتب بها للمستنصر ، وهى الرسالة الغريبة مَساقا ، المتلألئة نظما واتساقا ؛ التى لم يُنسَج على منوالها ، ولم يأتِ أَحَدٌ بمثالها ؛ يصف وصول الماء إلى تُونس ، ويشير فى ذلك إلى إشارات عجيبه ، تدل على أن قَرِيحته الوقّادة لداعى الإجابة مجيبه ؛ وهى :

الحمد لله حمدًا لا نُقَلِّله . هذا الزمان الذى كنا نؤمِّله ، « بلدةٌ طَيِّبةٌ ورَبٌّ غَفُور » ، ودولةٌ مباركة لمحاسنها سفُور .

إلى أبى حَفْص آلُوا ، فهل جالت النجوم حيث جالُوا ، أو نالت الملوكُ بعضَ ما نالوا ؛ مُلْك يشتمل الإقبال ، وعز يُقلقل الأجبال ؛ وكرم صريح الانتماء ، فى النماء ، وشرف سَمَت ذوائبه على السماء ؛ إلى عَدْلٍ وإحسان ، هما قِوام نوع الإنسان ؛ مع رِفْقٍ وإسْجاح ، ضِمنا كل فوز ونجاح ؛ فقد آضت الظلماء أنوارا ، وفاضتْ البركات أنجادًا وأغوارا ؛ أليس العامُ ربيعا ، والعالمُ جميعا ؛ والسعود طالعَهْ ، والعصور طائعهْ ؛ مصالح الأعمال تُحَلّيها ، وعلى مَنَصّات الكمال تُجَلّيها ؟ فمن ذا أيها المولى يجاريك إلى مدَى ، أو يباريك فى إقدام صادق ونَدَى ، وآياتك للأبصار هُدَى ، وحياتك للكفّار رَدَى ؛ بسيرتك عَدَل الدهر وما جار ، ولولا نور غُرتك ما أنار ؛ لقد حَسُنَت بك الأوقات ، حتى كأنك فى فم الزمن ابتسام ، أعرقْتَ فى المَجْدِ والعَلْيا ، وعُنِيتَ بالدين فَعَنَتْ لك الدنيا ؛

أىُّ عنيدٍ أو عميدٍ ما ألقى باليَدَ، واتقى فى اليوم عاقبة الغدِ ؛ إصفاقا على التعوُّض بصفحك و إسعادك ، و إشفاقا من التعرُّض لصفاحك وصعادك ؛ تَعمُرُ بالحسنات آناءك ، وتتَبَع فى القُربات آباءك ؛ بانيا كما بَنَوْا ، بل زائدا على ما أتَوْا ، و باديا [٦٧١] من حيث انتهوا :

أُناس من التوحيد صِيغَتْ نفوسُهمْ فزُرهم تر التوحيد شخصًا مركَّبا
ومن ساكباتِ المُزْنِ فيضُ أكُفِّهم فَرِدْهُمْ ترى ماء الغمام وأعْذبا

أمْجَادٌ أجواد ، فى الحِبَاء بحار وفى الحُبا أطواد ، تقيَّلَ أبو زكرياء نهج أبى مُحَمَّد ، وأيَّدا جميعا بأبى حَفْصٍ المؤيَّد :

نَسَبٌ كأنَّ عليه من شمس الضُّحَى نورا وَمن فَلَقِ الصَّباح عمودا

أولئك صَفْوة الأئمّهْ ، وحفَظَة الأذِمَّهْ ، والقائمون دون الأمهْ ، فى الحوادث الدلهمَّهْ ، وهذه الدولة المحمديهْ ، الخالدة بمكانها الدعوةُ المهديهْ ؛ إليها انتهت المراشد ، وعليها التفَّت المحامد ، وبها اعتزَّت حين اعتزَتِ العناصرُ والمحامد ؛ ومن خصائصها انفعالُ الوجود ، ومن مراسمها الإيثار بالموجود ، والبِدار إلى إغاثة الملهوف و إعانة المنجود ؛ ما برحت للخيرات إيضاعها وخَبُّها ، وبالصالحات غرامُهَا وحُبُّها ؛ حتى لقد فهِمَتْ أسرارَها ، وأُودِعَتْ أنوارَها ، وكُلِّفَتْ أو كَفَلَتْ إفشاءها و إظهارها ؛ يمينا أن يمين الحق به طولَى ، وللآخرة خير لها من الأولى ؛ بمولانا أيَّدَهُ الله عَزَّ مكانُها ، وخُلِّدت سديدةً آثارها ، شديدة أركانها ؛ لا جَرَم أنه الطاهر كالماء الذى جلبه للطهارة ، والظَّاهر ولاء ولِواء فى مَصْعَد الخلافة ومقعد الإمارة ؛ بالسعادة الأبدية وَجْدُهُ وكلَفُه ، وما همُّه إلا تجاوزُ ما أسلفه سلَفُهُ ؛ فجَّر من الأرض يَنْبُوعا ، وجدد للجدوَى رسوما عافيةً ورُبُوعا ؛ ساحته الحرَم ، وهو زمزم قُصَّاده وحُجَّاجه ؛ وراحته البحر الخِضَمُّ ، غيرَ

[٦٧٢] طَعمِه وارتجاجه ؛ ما أظهره خِلالا ، وأبهره جلالا ، « هكذا هكذا و إلا فلا لا » ؛ غابت كماة المعارك وشهد ، ونامت وُلاة الممالك وسَهِد ؛ فمتى قَسَطوا أقسط ، و إذا غَوَّرُوا أَنْبط ، ولذلك ما أبطل عملُه أعمالَهم وأحبط ؛ غلبهم على صِفتَيِ النَّدَى والباس ، وسَلبَهم مَنْقَبَتَيْ حمزة والعبّاس .

قال جامع هذا المصنَّف : أشار الإمام ابن الأبّار بقوله : « مَنقبتى حمزة والعباس » إلى شجاعة حمزة الشهيرة الذكر ، وثباته الذى يجِل عن الفكر ؛ و إلى استسقاء عمر بالعباس رضى الله عنهما ، فأتى من الحيَا ما عمّ بالإحيا ، وهمر من الماء ما شَفى بعميم الإرواء ، نفوس الظِّماء ؛ والله أعلم .

رجع الى كلام ابن الأبار

فلا غروَ أنَّ من أمَّنَ ووقَى ، ثم لما كسا وأطعم سقى ؛ آيةُ نُعْمَى وَفَّتْ بالميعاد ، وحُسْنَى مثلُها يعود للمعَاد ؛ وأتَتْ بماء مَعين قد أصبح غَوْرا ، وملأت ما بين لابَتَيْها جِنانا تَرِفُّ ظِلًّا وتَرِقُّ نَوْرَا ؛ فيابُشرَى لتونسَ أخصبَ جديبها ، وأحسَنَ وصفَ الروض والغدير أديبُها ؛ وطالما[1] أطلعتْ صحراء بل بغضاء[1] ، فكم للإمارة قبلها من يد بيضاء ؛ غُشِّيَتْ حِبَرَ الحبور والسرور ، وعُوِّضَتْ بَرْدَ الظِّلّ من وهَج الحُرور ؛ خمائل وجداول ، تزاول منها العينُ ما تُزاول ؛ تلك يضِلُّ من أحصاها ، وهذه يَصِلُّ بها حصاها ؛ ويا لَقصرها السعيد ! نَعِمَتْ أدْواحه ، وهبَّت على خُضْر الأغصان وزُرْق الغُدران أرواحه ؛ هذا و إن بات السماح المفاض يسقيه ، والجَوْدُ[2] الفَضْفاض ينقَع فؤادَه ويشفيه ؛ وهنيئًا للمسجد الجامع أنْ رَوِيت جوانحه الصَّاديه ، وجُمِعَتْ فى شِرعته السارية والغاديه ؛

(١ — ١) كذا فى الأصول . (٢) فى س : « الجو » .

فها هو فجرُه بادى الغُرَر والأوضاح ، وصخره منبجسٌ بالزُّلال القَرَاح ؛ وللجمهور بصفوه المُنْساب ، لهَجُ الغُيّاب بالإياب ، وطربُ الشّيِّب لذكر الشباب ؛ [٦٧٣] أمْسَوا قد سُوِّغوا مآربهم ، وأضْحَوا قد علم كل أناس مَشْرَبهم ؛ فهم يرِدُون على العذب النَّمير ، ويَجِدون برَكَةَ رأْيِ الأمير ؛ مَكْرُمَةٌ ذَخَرها لسلطانه الزمان ، وكرامةٌ هَنّأها به الإيمان ، وقضية إن حُجِبَتْ عن داود فما حُجِبَ عنها سُليمان :

جمْعتَ للناس بين الرِّىِّ والشِّبَعِ ... فهم بأخصب مُصْطافٍ ومُرْتَبَعِ
ولم تدَعْ كرمًا إلا أتيتَ به ... تُضيفُ مُبتدَعًا منها لمبتدَعِ
لما وَلِيتَ خَلَعْتَ الخير أجمَعَهُ ... عليهمُ فبدَوْا فى أجمل الخِلَعِ
لله أيامُك استوفَتْ محاسنَها ... فلا فضيلة للأعياد والجُمَعِ
دامتْ مساعيكَ والأقدارتُسعِدها ... تُولِى[1] المساجد إنصافًا من البِيَعِ

اللَّهُمَّ إن الإيالة الحَفْصية قد أعْلَيْتَ مظاهرَها ، ونَصَرْتَ معاشرَها ، وقَصَرْتَ على المصالح الدينية والدنيوية مواردَها ومصادرَها ؛ ثم اصْطَفَيتَ من شرف بيتها الصُّرَاح ، ومَعْدِن سُودَدِها الوَضّاح ؛ مولانا الأميرَ الأجلَّ ، المؤيد المبارك ، أبا عبد الله ، فانتضيتَه حُسامًا فى يدك قائمه ، وارتضيته إماما لا تلين فى ذاتك صرائمه ، ولا يَلْحَق شأوَه فى النَّيْلِ مِن عُداتِك رائمه ؛ يَمْضِى بأسًا حين لامَضاء للحُسام العَضْب ، ويَهْمِى جُودًا والسماء فى أُزُرٍ من نَجيع الجدْب ، ويَنْتَدِبُ سعْيا لكل حُسْنى أعيت على القريع النَّدْب .

فاقض اللَّهُمَّ لسلطانه بتأْبيد التأْييد ، وأدِمْ بأيامه المباركة نعمة التمهيد ، وضاعف عزَّةَ جانبه بأعزازه كلمة التوحيد . وَاجْزِه اللَّهُمَّ أفضل الجزاء ، عن

(١) فى م : « توفى » .

إفاضة النعماء ، و إنارة الظلماء ، وكافئه عن نَقْع الغُلَل والأَظماء ، بما فَجَّر من
[٦٧٤] ينابيع الماء ، وكما شرَّفْتَ فعله فى الأفعال واسمه فى الأسماء ؛ فاجعله فى الدنيا داعيا إلى سبيلك ، وفى الأخرى هاديا إلى حوض رسولك ، صلى الله عليه وسلّم ، الذى آتيته بعدد نجوم السماء .

آمين آمين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

مخاطبته رئيس منورقة سعيد ابن حكم

ومن بديع ما كتب به مخاطبا رئيس مَنُورَقَة سعيد بن حكم القُرشىّ ، رحمه الله تعالى :

إن سعيدَ بن حَكَمْ صِنْوُ العُلَا نجلُ الكَرَمْ
رَآسَـــــةٌ بمثلها يفاخرُ السيفَ القَلَمْ
وسُـــودَدٌ مجموعة فيه محاسنُ الشيم
مُعْتَمَدٌ من شأنِهِ رَعْىُ العهُود والذِّمَمْ
فاتحَنِى مُمَهِّـدًا إلى جوابه القَـلَمْ
عادَةُ نَدْبه أَرْوَعٍ خَصَّ ببِرِّه وعَمّ
فشكره فى كل حا لٍ ومآل مُلْتَزَم
حَيَّا الحَيَـا حضرتَهُ وجادَها ثَرُّ الدِّيَم

اقتضبتُها أيها السيد الأعظم ، والسَّند الأعصم ؛ أبقاه الله وجنابه مَحْفُود ، ومَنَابُه[1] محمود ، وحِزبه مودود ، وشِرْبه مَورود ، ورواق السعادة ، والنَّضرة المفادة ، فوقه مَمْدود ؛ من دانيَةَ كلأَها اللهُ تعالى ، والوقت مضايِق ، والرُّعْب مُلازم لايفارق ؛ وأنا بسيادته الأصيلة دائم الاعتداد ، وعلى عنايته الجميلة قاصر الاعتماد ؛ والله

(١) كذا فى ط ، س . وفى م : « ومقامه » .

يُبقيه كاسمه سعيدا ، ويُسْمِيه مُبدِئا فى المَعْلُوات ومُعِيدا ، بمنّه .

ووصلنى وصل الله حِراسته ، وكَلأَ من الغِيَر والغِيَل رِياسته ، مخاطبتُه الكريمة الخطيره ، مشْرِفة بالسؤال عن خاصّ الأحوال ومُنيفه ؛ بما تضمَّنتْ من الاعتناء ، والبر المتوافر الأجزاء ، على الأمانىّ البعيدة والآمال ؛ فلثَمْتُ سطورها قياما بحقه الأكبَر ، ولَزِمت من شكره ما لا أقصِّر عنه بمشيئة الله تعالى ولا [٦٧٥] أقْصَر ؛ وكان الظنُّ بناديه الأشرفِ جميلا فقد عاد يقينا ، والأمل فيه مَتينا فعاد مُبينا ؛ ويعلم الله سبحانه أنّى أعَطِّر بذكره الأمكنه ، وأزكّى بشكره الأزمنه ؛ وبُوُدِّى لو ركبتُ ثَبَجَ هذا البحر ، حتى أوفِّيَه بعض واجبه ، وأشافهه بما أجنح إليه ، وأنطَوِى عليه ، مِن اعتماد جانبه ، وإحماد مقاصده الرياسية ومذاهبه ؛ وقد حَمَّلْتُ فلانا عَصَمه الله ويَسَّر مَرامه ، وأدام حفظه وإكرامه ؛ من جُمل الإعظام ما يُؤَدِّيه مُفسِّرا ، وأفهمته أنى كاتَبْتُ معتقِدا خالِصا ومُضْمِرا ؛ وإن تفضَّل سيدى الأعلى حرسه الله بتكليف بعض أغراضه الكريمة ، شَفَع يَدَه البيضَاء بمثلها ، واستزاد مَعْلُوَةً لم يَزَلْ من أهلِها ؛ وما يصدُر عن الجناب الرياسى أسماه الله من الألتفات إليه ، والاعتماد عليه ، فإنه معدود فى بِرِّه الجسيم ، ويَدٌ من أياديه التى أعيت على التعديد والتقسيم ، والله يُعلِى مَحَلَّه ، ويُسْعِد عَقْدَه وحلَّه ؛ ويُسَوِّغُه من مَوْرِد الإسعاد ، فى حالتى الإصدار والإيراد ، أعلاه وأجلّه ؛ ويَصِل حراسته ، ويؤيد رياسته ، بمنّه وكرمه .

والسلام الكريم ، المبارك العميم ، يَخصُّ به مقامَهُ الأظهر ، مُلتزِمُ إكباره وإجلاله ، المعتدُّ بتمامه فى السيادة وكماله ؛ محمدُ بن عبد الله بن أبى بكر بن الأبّار ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

* * *

وكتب إليه شافعا ومعتنيا

وكتب إليه أيضا شافعا ومعتنيا .

تعتَمِدُ رياستَكمُ المؤمَّله ، وسيادتَكم المُؤَثَّلة ، تحيَّةُ الشاكرِ لاعتنائها ، المباهى بسناها الوَضّاح وسَنائها ، المستديمِ للأحرار ، المُمْتطين إليها أثباجَ البحار ، شرفَ عَنائها[1] ، وكرمَ غَنائها ، محمدِ بن الأبّار ، ولا مَزيدَ على ما عنده من إعظامٍ يُؤَدِّى وظائفَه ، واعتداد يشفع بتالِده طارفَه ، وثناء يُعاطيه أولياء جلالكم ومَعارفَه ، والله يُصْعِد مكانكم ، ويُسعِد زمانكم ، بمنه وكرمه . [٦٧٦]

وتَتأَدَّى إلى رياستكم ، حفظها الله ، فى جانب أبى فُلان ، أعزّه الله ، وبلّغه أبعد أَملِه وأقصاه ؛ وهو مَن علمتم مكانَ بيته النَّبيه مِنْ حَيِّه ، وسببَ نزوحِه عن وطنه المحبَّب ونَأيه ، واستحقاقه بالمزايا المعلومه ، والسجايا الكريمه ، لإجزال حفظه ورَعْيه ؛ وما زال لِكَمالكم واصفا ، وعلى تعظيم جانبكم والإفصاح بواجبكم عاكفا ، إمضاءً لما أكّد بينكم وبينه سالفُ الأيّام ، وتمييزا بحفظ الود الذى لا يحفظه غيرُ الكرام .

ومن مَطالبى له ، حملُه من التكرمة والتقدمة على النهج الأقوم ، وإنزالُه من جلالكم ، هُنَا وهُنَالِكُم ، مَنزلةَ المُحَبِّ المكْرَم ؛ وتوصية المخصوص بالسفارة فى أشغالكم المباركة ، بأن يستصحبه عند الإياب ، ويُورِدَه محفوظ الجانب على ذلكم الجَناب ؛ واختصاصه مع ذلكم بمخاطبةٍ كريمة ، ترفعه مكانا عَليًّا ، ويكون لما يَرِد عليه ، ويَخْلُص بمشيئة الله إليه ، عُنوانا جَليًّا ؛ ومَجْدُكم حَرسَه الله يغتفِر جناية الإذْلال ، ويُبْلِغ نِهاية الآمال ؛ والله يُبْقِى رياستكم تَجْبر الكَسير ، وتُيَسِّر المَرام العَسير ؛ وهو سبحانه يُؤيِّد مَقامكم ، ويُكافئ إنعامَكم ، بمنه .

(١) كذا فى م . وفى ط ، ص : «منابها» .

والسلام الكريم ، المبارك العميم ، يَعتمد مَحَلَّكم الرياسىّ ، بدءًا وعَوْدًا ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

* * *

تهنئته أبا المطرف ابن عميرة بقضاء شاطبة

وكتب يهنئ الفقيه الأجلّ القاضى أبا المُطَرِّف بن عَميرة بولايته قضاء شاطبة :

بأىِّ بنانٍ أم بأى بَيَانِ تَخُطُّ وتُملِى شُكْرَها المَلَوانِ

لِولاية عَقَد لِواءها الوُجوب ، وأسْفَرَ وجْهُ محاسنها المحجوب ؛ فأشرق لألاء مُحيَّاها ، وتعاطَى الأولياء حُمَيَّاها ؛ فما شئتَ من جَذْلان يُحَبِّر شُكرا ، ونَشْوانَ [٦٧٧] يَجْهَرُ سُكْرا ؛ يَتَرَنَّم كالشادِى الباغِم ، ويَترَنَّحُ كالغصن الناعم ، وكَلَّا أصلح الله قاضينَا الأعلى ، لا نُكر ، على من يصف حالة السُّكْر ؛ وإن تناهَى طَرَبا ، وقضى من رفض الأناة أرَبَا ؛ فالمُرتاح لا يَتماسَك ولا يتمالَك ، والارتياح لا يُهْلِكُ أحدًا على راحهِ يتهالك ؛ لا جَرَم أنه تسمو به الجدود ، وتُدْرَأُ عنه بالشُّبُهات الحدُود ؛ ويأيُّها المولى المُوَلى أشرف الخُطَط ، الضيقُ عن عادِىٍّ جَلالِه ، وخَالِدِىٍّ خِلالِه ، أرحبُ الخِطط .

قال جامعُ هذا الموضوع أحمد بن محمد المَقَّرِىّ وفَّقَه الله :

أشار ابن الأبّار بقوله : « وخالدِىّ خلاله » إلى أن أبا المطرِّف من ولد خالد بن الوَليد رضى الله عنه ، فاعلم ذلك .

رجع الى كلام ابن الأبار :

ما نَبَأٌ تهاداه النَّجْد والغَوْر ، واقتسم الحياةَ والموتَ به العدلُ والجَوْر ؛ سُوِّغ المجدُ المُنيفُ نِطافَه ، وهزّ له الدين الحنيف أعْطَافَه ؛ حين قرّ الحكم الشرعىُّ فى نصابه ، وشُفِى من آلامه وأوصابه ، وأُرْغِم المناصِبُ لذلك بِنَصْبِه

وانتصابه ؛ وسُرَّ مَعلم العِلْم فأسار يرُه مُتَهلِّله ، وسُلَّ حُسام الحق ، فأبطال الباطل متسلِّله ؛ وأُشرِع سِنَانُ الشَّرع ، فكل مُعْتَدٍ بالجَهالة مُعْتَدِل ، وهبّ نسيم المهابة ، فكل مُعْتَزٍ للسَّفاهة مُعْتَزِل ، أمَا وخُطَّةٍ خَطَبَتْ مِنك أكْفَى أكفائها ، وأقرت عينَ الهُدى بتعيينها لك وهدائها ، لقد عُصِبَتْ بقاضٍ يسعى للقوم ويَسعَد ، ونِيطت بماضٍ يَنهَضُ فى ذات الله ويَنهَد ؛ ولا عَجَب أن آثَرَتْ جَلالَه ، واعْتَمَدتْ خِلالَه ، فلم تَكُ تصلُح إلاَّ له ، فهنيئا لها ما أُلبستْ من شرف خالد ، وأَنْ حُرِسَتْ بأقلامِ ابن سَيْف الله خالد ؛ ويا لَبَلْدَةٍ وَطِئَ تُرْبتها ، وبُوِّئَ رُتْبتها ؛ ما أخصبَ عيشتَها وأرغَدَها ، وأسْعدَ يومَها وغَدَها ! وماذا بها مِنْ دين ودنيا ، ومَجْد وعَليا ؛ إذ جَمَعَتِ المهاجرين إلى الأنصار ، وأطْلَعَتْ محامدَها ومحاسنها مِلْء الأسماع والأبصار ؛ لا زالت حَوْزتُها تحوز الأكابر ، [وإمْرَتُها تَعُزُّ عِزَّتُها الكبار] ؛ ودام عمادُنا المفضِل ، وعِهادُنا المُخْضِل ؛ بين وليّ شاكر حامد ، وعدو كاشر حاقد ؛ يَنزِلُ الرتب المنيفه ، ويَطُولُ به مالكٌ أبا حنيفه ؛ والله يُنهِضه بما تقلّد ، ويُخلِّد مَجدَه الأوْلَى بأن يُخلَّد .

[٦٧٨]

والسلام الأتم الأكمل يَخصُّه كثيرا ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

* * *

وكتب شافعا فى فك أسير

وَكتب رحمه الله إلى رئيس شاطبة أبى الحُسين بن عيسى ، شافعا فى فكّ أسير ، وتيسير عسير :

كتبته إلى سيدى ، حرس الله شَرَفه العِبَادى ، وكلأ كنفه السِّيادىّ ، ولا مَزِيد على ما عندى من الإعظام لرفيع جانبه ، والقيام بكبير واجبه ؛ والله يحفظ شرف بيته العَتيق ، وحديثَ قديمه الفائتَ بطِيبه المسكَ الفَتيتَ الفَتيق ؛ ومؤدِّيه فلانٌ أدام الله حفظه وعصمته ، وأتمّ عليه إحسانه ونعمته ؛ والمذكور

يَمُتُّ إليكم بقديم الإخلاص ، ويَرغب أن يُنْظَمَ لديكم فى أهل الاختصاص ؛ وقد بلغكم ما نابه من غِيَر الدّهر ونُوَبه ، وكيف نَشِب فى حِبالة الأسْر الذى أتى على نَشَبه ؛ وعِلْمُكُمْ بنباهة بيته أغنى عن التنبيه عليه ، وفضلكم كفيل بتسيب الإحسان إليه ؛ وقد وَثِق بسعيكم الكريم فى جَبْر كسْره ، وأمَّل سيادَتكم للتهمُّم بأمره ، والتَّصريف فيما يَصْرف عليه بعض ما بُذِل فى خلاصه من أسْره ؛ ومثلكم اصطنع أمثاله ، وآثر فيما يليق بنباهته استعماله ؛ والله يُعْلِى شأنكم ، [٦٧٩] ويَحْرُس مكانكم ، والسلام .

* * *

وكتب أيضا شافعا بما نصّه : وكتب أيضا شافعا

تلك السجايا العِذاب ، والكرم اللُّباب ، والساحة التى ألْبَسها جِدَّته الشَّباب ؛ مخصوصةٌ بتحية التوقير والتكبير ، المعبِّرة أنفاسُها العبِقة عن العَبير . ومُنْهيها من زانَ قومَه الأمرُ والنهى ، وحَسمَ قضاؤهم وعطاؤهم الوهْن والوهْى ؛ فُلَان ، جمع الله له بين الأوطار والأوطان ، وأعاده إلى عادته من عزة الجوانب وشدة الأركان ؛ وهو كَريمة كِرام ، آمَتْ بعدهم الأيام ، وشكا فقدَهم الأنام ، ولبِسَتِ الحِدادَ عليهم الأسيافُ الحِداد والأقلام ؛ وما بانُوا ولا بادوا إلا وأياديهم أطواق فى الرقاب ، وتشريفهم باقٍ فى الأعقاب ، على مر الأحقاب .

وهذا فلان عَرَّفه الله إسعادَ الأقدار ، وأعفى مشاربَه ومشارِعَه من الأكدار ؛ يَروق وَقارُه ، ويَكرُم سِبارُه[1] ، وعَيْنه فِراره ؛ وأدنى حِلاه الطَّلَب ، وبعض خصائصه الأدب ؛ ثم شأنُه الأخطرُ شانه ، ومكانُه من حيه الذى يتقدَّم الأحياء مَكانُه ؛ ورأى عند أخذه فى النُّقْلَه ، وعزمه على الرِّحْله ؛ أن يستصحب إلى

(١) سباره : يريد اختباره . والسبار فى الأصل : ما يسبر به غور الجرح .

مجدكم هذه الحروف ، ويستدفع بمعلوم جَدِّكم الصروف ؛ وإن تأمَّلتم ماله من سَمْتٍ وَسِيما ، أقبلتُموهُ وجْه الإقبال وَسيما ؛ وأوليتموه من رعْى الحق الواجب ، ما يراه ضُرَباؤكم ضربةَ لازب ؛ واللهُ يُبقيكم للمكارم تُشَيِّدون رسومها الدائرة ، [٦٨٠] وتُنَظِّمون عقودها المتناثرة ؛ وهو تعالى يكلأُ محلكم الرحيب ، ولا يُعْدِمكم من الزمان وأهله التَّرْجيب[1] والترحيب ، والسلام .

* * *

وله فى المجبنات

ومن نظمه رحمه الله قوله فى المُجَبَّنات :

بنفسىَ مُثْلِجاتٌ للصدورِ ... لها سَمْتان من نارٍ ونورِ
حواملُ وهْى أبكارٌ عَذارَى ... تُزَفُّ على الأكُفِّ مع البُكور
كبَرد الطَّلِّ حين تُذاق طَعْمًا ... وفى أحشائها وهَجُ الحُرور
لها حالان بين فم وكفٍّ ... إذا وافتكَ رائعة السُّفُور
فتغرُب كالأهلة فى لَهاة ... وتطلعُ فى يمينٍ كالبدور

* * *

وله يشكو الزمان

وقوله يشكو الزمان :

تحيَّف حالتى حيفُ الزمانِ ... وصِدْقُ اليأس مِنْ كَذِبِ الأمانِى
وبرَّتْ فى أُلِيَّتها الليالى ... بترْويعى فإنى بالأمان
أما قَنَعت وقد كلِفَتْ بهضْمى ... وضيمى دون أبناء البيان
أحاول أن أقومَ لما يُوَاتِى ... فَتُقْعِدُنى الخطوب بلا توانى
وأطْباقُ الثَّرى بالحُرِّ أحْرى ... إذا ألْفَى الثَّراء من الهوان
فهل من آخذ بيَدَىْ أخِيذٍ ... بعين الله شِدَّةُ ما يعانى

(١) الترجيب : التعظيم .

أيَا مَا أَشْتكيـه مِنْ أَيَامَى عوارٍ فى يَدِ البَـلْوَى عوانى
وما أبْغى على تَلَفِى دليلا كفانى أننى حىٌّ كفانى

* * *

وقوله أيضا :

يعيِّرنى قومى بجفوة سلطانى ويَشْفيهم شَـكْوِى بنبْوَة أوطانِى
يرونَ خَمولا عُطلتى لتوقُّفى وتلك على مَحْض النباهة برهانى
وقالوا خُفوفٌ قلتُ لا بل رجاحة كفتنىَ إلقاءً بكَفِّى لإذعان
إذا عهِدونى للنزاهة راكبا فصعْبُ الأسى سهلٌ وإنْ هدَّأركانى

* * *

وقوله أيضا رحمه الله :

علَتْ سِنِّى وقدرى فى انخفاضِ وحُـكْم الرَّب فى المربوب ماضِ
إلى كم أَسْخَطُ الأقدارَ حتى كأنِّى لم أكُنْ يوما براضى

* * *

وله فى التسليم للمقدور [٦٨١]

وقال أيضا فى معنى التسليم للمقدور :

أما إنه قد خُطَّ فى اللوح ما خُطَّا فلا تعتقد للدهر جَوْرًا ولا قِسْطَا
ولا تَسْخَطِ المقدور وارضَ بما جرى عليك به إن الرضا يفضُل السُّخطا

وقال أيضا رحمه الله فى معناه :

إلامَ فى حَلٍّ وفى ربطِ تَخْبِطُ جهلا أيّما خَبْطِ !
دع الورى وارجُ إله الورى فإنه ذو القَبْض والبسط
ليس لما يُعطيه مِنْ مانع ولا لِمَا يمْنعُ من مُعْطِى

* * *

وله يعارض الرصافى فى وصف نهر

وقال رحمه الله معارضا للرُّصافى فى أبياته التى أولها :

« ومهذَّبِ الشطين تحسب أنّه »

بقوله :

ونهر كما ذابتْ سبائكُ فِضَّة ... حكى بمحانيه انعطافَ الأراقِمِ
إذا الشفقُ استولى عليه احمرارُه ... تبدَّى خضيبا مثلَ دامى الصوارم
وتحسبه سُنَّتْ عليه مُفاضةٌ ... لإرْهاب هبّات الرياح النواسم
وتُطْلعُهُ فى دُكنة بعد زُرْقة ... ظِلالٌ لأدواحٍ عليه نواعم
كما انفجر الفجرُ المُطِل على الدُّجى ... ومِنْ دونه فى الأفق سُحْم الغمائم

وله فى معناه أيضا

وقال أيضا فى معناه :

سَقْيًا لروض رُدْتُه رَأْد الضحا ... وحمامُه طربا يناغى البُلْبُلا
شتَّى محاسنُه فمِنْ زَهْر على ... نهر يسيل كالحُباب تَسَلْسَلا[1]
وكأنما حَمِىَ الربيع لِقطفه ... واستلَّ منه يذود عنه مُنْصُلا
غَرَبت به شمسُ الظهيرة لا تَنى ... إحْرَاق صفحته لهيبا مُشعلا
حتى كساه الدوحُ من أفيائه ... بُرْدا تمزَّق بالأصائل هَلْهلا
وكأنما لَمْع الظِّلال بمتنه ... قِطَع الدماء جَمَدْن حين تخللا

وله فى معناه أيضا

وقال فى معناه أيضا :

لله نهرٌ كالحُبابْ ... ترقيشه سامى الحَبابْ
يصف السماء صفاؤه ... فحصاه ليس بذى احتجاب
وكأنّما هو رِقَّةً ... مِن خالص الوَرِق المذاب

(١) فى م : « تسللا » .

غازلتُ فى شَطَّيه أبـــكار المُنَى عَصْرَ الشباب [٨٢
والظل يبـدو فوقه كالخال فى خد الـكَعاب
لا بل أدارَ عليه خَوْ فَ الشمس منه كالنِّقاب
مثل المجَرَّة جرّ فيها ذيله جَرّ السـحاب

* * *

وله فى تمثال نعل النبي

وقال فى تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة :

سَجَامٌ لَعَمْرى أدْمُع وسِـجَال لِأنْ عَزَّ من نعل الرسول مثالُ
وهل يملكُ العينين فى مثلها سِوى خليٍّ عداه عن هُداه ضـلال

ومنها :

مثالٌ إلى نعل المُطَهَّر يَعْتَزِى فإعْزازُه للحُسنَيَيْن مَنـال
أُقَبِّـله شَوْقا تملَّكَنى لِمَـا حكى وشَهيدى لوْ يفوهُ قِبال
وَإنِّى اشتراكٌ فى التزام شراكه وحسْبىَ منـه عصمةٌ ومَنال
ومعْقِدُه مما عقدتُ به الهوى فلا صحّ عزمى إن صحا لىَ بال
مرادىَ من تمريغ شيبى عليه أن تَسِـحَّ من الرُّحَمى علىَّ سِجال
ومن وضعه فى حُرِّ وجهى ورفعه لِقمَّـــــة رأسى أن يَعِزّ مآل
فأحْظَى بحظّى من جِوار محمد وهـل بَعْدَ تنويل الجوار نوال

وله فى ذلك المعنى أيضا رحمه الله :

لمثال نعل المصطفى أُصْفِى الهوى وأرى السلوّ خطيئة لن تُغْفَرا
وإذا أصافحه وأمسح لاثمـا أركانه فمعـــــزّزا وموقّرا
سَرَّى اعتزازى فى جِهار تذلُّلى لجـــــلاله أثَرًا بقلبىَ أثَّرا

إن شاقنى ذاك المثالُ فطالما ... شاق المحبَّ الطيفُ يَطْرُق فى الكَرى
لى أُسْوة فى العاشقين وقصْدُهم ... لثمُ الطُّلول لأهْلِهن تذكُّرا
وبكائهم تلك المعاهدَ ضِلّةً ... تحت الظَّلام على الغرام توفُّرا
أفَلا أُمَرِّغُ فيه شيبىَ راشدا ... وأريق دمعىَ وسْطَه مستبصرا
ثقةً بإثرائى مِنَ الخَيْراتِ فى ... شَغَفِى بنَعْلىْ خيرِ مَنْ وَطئَ الثَّرى

* * *

[٦٨٣] وقال فى التشوق إلى الضريح الشريف على الدفين به صلوات الله وسلامه : وله فى التشوق إلى الضريح النبوى

لَوْ عَنَّ لى عَوْنٌ من المقدار ... لهجرتُ للدار الكريمة دارِى
وحللتُ أطيبَ طِينة من طَيْبة ... جارا لِمَنْ أَوْصَى بحفظ الجار
حيثُ استبانَ الحقُّ للأبصار ... لَمَّا استثارَ حفائظَ الأنصار
يا زائرين القبرَ قبرَ محمـــــد ... بُشْرى لكم بالسبق فى الزُّوَّار
أوْضَعْتُمُ لنجاتكم فوضعتمُ ... ما آدكم من فادِح الأوزار
فوزوا بسبقكمُ وفوهوا بالذى ... حَمَّلتكم شوقا إلى المختار
أدُّوا السلامَ سِلمتمُ وبِرَدِّه ... أرجو الإجارة من ورُودِ النار

[استطراد لما قيل فى نعل النبى صلى الله عليه وسلم]

قلت : وإذْ جرى ذكرُ النعل النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، فلا بُدَّ أن نورِد جملةً مما قيل فى مثالها على جهة التبرُّك ، والتوصُّلِ بصاحبها إلى الله سبحانه ، أن يُفرِّجَ عنا بجاهه كُرَبَ الدنيا والآخرة ، وأن يجعلنا من الذين حازوا الرتب الفاخرة ؛ وظفروا بالمقام الأسنى ، وفازوا بالزيادة والحسنى .

لمحمد بن فرج فى نعل النبى مخمسا لأبيات أبى الربيع ابن سالم

فمن ذلك قولُ الشيخ أبى عبد الله محمد بن فَرَج، مخمسا لأبيات الإمام الشهير أبى الربيع بن سالم الكَلاعى، رحمه الله، التى على رَوِيِّها وقافيتها سلك ابنُ الأبّار، رحمه الله، فى الأبيات المذكورة آنفًا:

خبالٌ عرا ما إنْ جناه سوى النوَى
نوى مَنْ نوى من كَشْف بلواى ما نوى
فيا مُنكِرًا ما قد عرانىَ فى الهوى

« خواطرُ ذى البلوى عوامرُ بالجوى ففى كلِّ يوم يعتريه خبالُ »

سمِعتُ اسمَه الأعلى الشريفَ المُشرَّفا
فخيلتُنى يعقوب ذُكِّر يوسفا
ومن شيم الصب المُتَيَّم ذِى الوَفا

« متى يدْعُ داعٍ باسم محبوبه هفا فيهتاجُ بَلْبَالٌ وَيُكْسَفُ بال »

[٦٨٤] رعى الله صبًّا بالهوى نفسُه سمتْ
له آية فى الحب بالكَتْم أُحكِمَت
فما لَمْ يَلُحْ من حبه أثرٌ صَمَت

« وإن يَرَ من آثاره أثراً هَمَت له من غروب المُقْلَتين سِجال »

فيا نفسِىَ الجالى دُجاها هلالُها
أما إنه نور البدور كمالُها
ألا فاعذِرى نفْسا تحِن فخالُها

« كخالى وقد أبصرت نعلا مثالُها لنعل الرسول الهاشمىِّ مثال »

ويأيها الرَّانى إلىَّ مُفَنِّدًا
وقد كدتُ لولا نهىُ حبى لِأَسْجُدَا

هوًى وجوًى إن يَبْلَ دهرٌ تجدَّدا

«عرانىَ ما يعرُو المحبَّ إذا بدا لِعَينيه من مَغْنى الأحِبَّة آلُ»

ذكرت به عصرًا مضى ومَعاهدا

فنُودِيتُ من نفسى نداء مُساعدا

وحَدْتَ فعاودْ لثمـــه تُدْعَ وَاجدا

«فقبَّلْتُ فى ذاك المِثَال مُعاودا أرى أن ذُلِّى فى هواه جَلال»

وشـــبَّهْتُه صَفْحا ونفحا حديقةً

مُفتّحة الأزهار غنَّا أنيقـــة

سَقَتْها غَوَادٍ قد غَدَوْنَ غديقة

«ومَثَّلْتُه نعلَ الرســـول حقيقة وإنى لأَدْرى أنَّ ذاك مُحال»

فيا جاهلا داء المحبينَ والدَّوَا

غوَيْتَ ولا تدرى فلا كان مَنْ غوى

أتُنكِر لَثْم المِثْل فى حالة النَّوَى[1]

«ومن سنة العُشَّاق أنْ يبعثَ الهَوى مثالٌ ويَقْتـــادَ الغرامَ خيال»

تساوَتْ معانى الحُبِّ فى كل مَقْصَدِ

فمِنْ مُقْـــلة عَبْرَى وجَفن مُسَهَّدِ

وَبَرْحٍ وَتَهْيام وشـــوق مُجَدَّد

«فلا فرْق إلا أنّ حُبَّ محمـــد هُدًى والهوى فيمَن عداه ضلال»

انتهى.

* * *

(١) فى هامش ص عن نسخة أخرى: «أتنكر عرو الحب ... الخ».

وله فى مدح النعال على حروف المعجم

ولمحمد بن فرج المذكور عفا الله عنه ، وتقبّل بكرمه ورحمته منْه ؛ [قطع][1] على حروف المعجم ، فى لزوم ما لا يلزم ؛ وسماها بالقطع المُخَمَّسه ، فى مدح النعال المقدسه .

قال رحمه الله حسبما نقلتُ من خطه :

وآثرت التخميس على التعشير ، ليكون أسرعَ لحفظها ، وأبرع للفظها ؛ وأيضا فوجودُ خمس من القوافى فى نظمٍ لزومىٍّ أو نثر ، أهونُ على الفكر من [٦٨٥] وجود عشر . هذا و إن كان اللسانُ العربى فصيحا فسيحا لا يضيق ، ولا يكاد يخرج عنه لسان كل فريق ؛ لكن ليس من شرط المطالعه ، أنْ يحفظ الغريبَ من الكلام كلُّ مَنْ طالعه ؛ واللهَ سبحانه أسأل أن يجعلها من القرباتِ التى تنفع ، والوسائل التى تشفع ، والتمائم التى تذود كلَّ سوء فى الدارين وتدفع ، وصلى الله على الشفيع المشفع ؛ وسلم تسليما ، من آفة الانفصال سليما .

قافية الهمزة

أَتمثالَ نَعْلٍ كان يلبَسُها الذى ... إذا عُدَّتِ الأرسالُ ليس له كُفْءُ

أبوالقاسم الأسمى الذى وطِئَ السَّما ... بأخمَصِه ليْـــلا فشرَّفَها الوَطءُ

أُقبِّل فى طِرسٍ حَواكَ كأننى ... عليلٌ وفى تقبيل شكْلِكَ لِى البُرْءُ

أنا المرء بالآثار ممَّن هَويتُـــه ... قَنَعْتُ وقد يُخْطِى إذا قنَع المرء

أأحمـدُ لاَ يهوَى الفؤادُ سواكَ ما ... تقدَّم عودَ الشىء فى الرُّتبة البدء

قافية الباء

بنفسِى مِثالُ النَّعلِ نَعـــلِ محمّدٍ ... نَبِىِّ الهُدَى المخصوصِ بالقرب والحُبِّ

(١) زيادة يقتضيها السياق .

بدا لى فكان البـــدرَ جَلَّى بنوره غياهبَ أشجانٍ تراكَمْن فى قَلْبى
بكتْ مُقلتى شوقاً للابسها وهلْ بمُطفئةٍ نارَ الأسَى دمعةُ الصَّب
بعثتُ به شخصا من الأنْس مَيِّتًا فَبشَّرنى بالقُرْب منـــه على قُرب
بمَوْطِئِها قد شَرَّف الله تُرْبةً عليهـا مَشَتْ فالتِّبْر يَحْسُد للتُّرْب

قافية التاء

تلوتُ وقد أبصرتُ مِثْلاً لِنعْل مَنْ تَميَّز بالوصف الشريف وبالنَّعْتِ
تَرَفَّعْتِ مِن نعلٍ بأخمصِ مرسَـلٍ قدَ أنقذَ مِن شر الطَّواغيت والجِبْت
تقدستِ الأرض التى قد مَشَى بها عليهـا فصار الفوقُ يَغْبِطُ للتَّحْت
تمنَّيتُ لو أنّى ظفرتُ بتُرْبهـــا فمرَّغْتُ فيه الخدّ للحين والوقت
تمنِّىَ صَبٍّ عاشق دنِفٍ جَوٍ مُعَنًّى كئيبٍ دأبُه حفظ ذى السِّت[1]

قافية الثاء

ثمارَ الأمانى قد جنى الطَّرفُ إذا رأى مِثالَ نِعال المصطفَى من أولى البَعْثِ
[٦٨] ثَراها ومَنْ أَعْـــلاهُ طابَ نسيمُه وما أنا فى هذى اليمين بذى حِنْث
ثُرَيَّا السَّما وَدَّتْ لِتُنقَل بالثَّرَى إليكَ فلم تُنْقَل فهاهن فى بثّ[2]
ثَوَيتَ به يا طيبُ فهو كمِسْكَةٍ يَفُوق شذاها المسكَ فى الطِّيب والمُكْث
ثَوَابِىَ يامَنْ شُرِّفَتْ بلباسِـهِ على مَدْحها تأمينُ خوفِىَ فى البَعْث

قافية الجيم

جَلَلْتِ أيا نَعلاً بأخمصِ سـيدٍ إلى حضرة القُدس العَلِيّة عارجِ

(١) يريد الصفات الست ، المذكورة فى البيت .
(٢) فى الأصول : « ذوبث » . والتصويب عن هامش ص .

جُبِلْتُ على حُبٍّ له فمتى بدَا ... مِنَ آثارِهِ شيءٌ تَثُور لواعجى
جنَى الأنفُ منها زَهْرَوْض إذا انبرَى ... نسيمُ شَذَاهُ بذَّ عَرْفَ النوافج
جَبرتُ به صَدْعًا جناه الهَوَى وما ... شُفِيْتُ بغُنْج الخَوْدِ ذات الدَّمالج
جزَى الله عنِّى القلْبَ خيرًا فإنهُ ... تَعلَّق بالهادِى لأهـــدَى المناهج

قافية الحاء

حَظيتِ أيا نعلاً بأخمصِ مرسَلٍ ... قَدَ أُنزل ربُّ العرش فيه ألم نشْرَحْ
حَلَلتِ بساطَ القُدس حين عُروجه ... ليُوضح فى المسْرَى له الله ما أوضح
حَلَفْتُ : لَأرضٌ قد وطِئْتِ تُرابَها ... لَـكالمسكِ مفضوضًا أما إنَّهُ أفْـوح
حللتُ نِطاقَ الـكتْمِ لمَّا رأيْتُها ... فصرَّحَ منْ حُبِّى اللسانُ بمـا صرَّح
حَبيبِى الرسولُ المصطفَى ومِنَ أجْلِهِ ... مَدَحتُ لنعليْهِ وحُقَّ بأنْ أمْدح

قافية الخاء

خُذيها أيا نفسِى المشوقةَ كُلَّما ... سَرَى نَفَسٌ مِمَّن هَوايَ به بَذَخْ
خميلةَ شِعْرٍ أُودِعَتْ مَدْح نَعْلِ مَنْ ... بشِرْعته كلَّ الشرائع قد نَسَخ
خَضَبتُ نِصالَ الشَّيْب لما رأيتُهـا ... بدمع مُحِبٍّ عَقْدَ كِتمانه فسَخ
خُطَاها أفادَ الأرضَ زَهْوا فأنفُها ... على قِمم الشُّهْب المنيفةِ قد شَمَخ
خُصِصْتِ أيا نعلا بأجْـــلَى مزية ... تَبينُ لمن فى العـلم أخمصُه رسَخ

قافية الدال

دعِ الطَّرْفَ يَسْرَحْ فى رياضٍ تزيَّنَتْ ... بمدح نعالَىْ مصطفى الرُّسْلِ أحمـدَا
دُعِى فمشَى فوق السماء فلم يَطَأْ ... بهـا مَوضعا إلا وأصبح مَسْجِدا

دَنا فتدلّى قابَ قوسَينِ إذ دنا فأوحى الذى أوحى إليه من الهُدَى
دُنُوَّ حبيب من حبيبٍ لأجـله لآدم أملاكَ السموات أسْجَدا
[٦٨٧] دَرَى فضلَه مَنْ فى السماء فكلهمْ يرَوْن وجيـــــهَ المُرسَلِينَ محمَّدا

قافية الزال

ذَرِ الأنْفَ يستنشقْ خمائلَ رَوْضةٍ تبَذُّ نسيمَ المِسكِ أنفاسُها بذَّا
ذكرتُ به نعلاً لأكرم مرسـلٍ بَراهُ الذى أعـلاهُ فى رُسْله فَذَّا
ذَرُورُ ثَراها المسكَ فاقَ فإن تسَلْ عَنَ أذكى من المسك الفَتيقِ شَذًا فَذَا
ذُكاء تَمَنَّتْ أنْ تكونَ سَحَاءَةً تَعِى مَدْحَها أوْ جِلْدةً مِثْلَها تُحْذَى (١)
ذُوُو حُبِّه التذُّوا برؤيتها كما بثوب ابن يعقوبٍ أبوه قَدِ التَذَّا

قافية الراء

رَأيتُ مثالَ النَّعْلِ نعـلِ الَّذى به إلى حضرة القُدْس العَلِيَّةِ قد أُسْرِى
رَعَى الله منها نعـلَ أىّ كريمة برجلٍ علتْ فخرا على قمة النسْر
رُوِى أنه نُودِى وقد رام خلعها وماء الحيا فى وجنتيـه معًا يجرِى
رسولِىَ لا تَخْلع تُشَرِّفْ بوطئها بِساطىَ يَا معنَى وجودىَ يا سرِّى
رَفعتَ لواءَ المكرُماتِ جميعها بيُمْنَى العُلا والناس فى قبضة الذّرّ

قافية الزاى ، وهى منجانسة

زَفير اشتياق إذ بدا نعـلُ مُعتِقٍ مخاطِبَتِى كَتْمِى وعَزْمِىَ قد عزَّا

(١) السحاءة : قطعة صغيرة من الورق تؤخذ من القرطاس . وتعى : تحفظ . يريد أن الشمس تتمنى أن تكون هذه السحاءة التى تحوى مدح نعل النبى ، أو أن تكون قطعة من الجلد مثلها .

زَكتْ شفةَ قد قبَّلَتْ نعلَ سيدٍ به عالَمَ الإنسانِ أجمعُه عَزَّا
زَعيمٌ به هَنَّا السُّرورُ لنا وفى مصائبنا العُظمَى المصابُ به عَزَّى
زُهُوٌّ سناهُ ظُلْمَةَ الشِّركِ قد جلا ولولاهُ كُنَّا نعبدُ اللَّاتَ والعُزَّى
زَمانِىَ لا أنفَكُّ لاثمها أرَى هَوانَ هَوانا يا أخلَّاءنا عِزَّا

قافية الطاء

طَوَتْ بعضَ مامن وحْشةٍ نشر النَّوَى نِعالٌ خُطاها فى المكارم لاتُخْطا
طفِقْتُ أنادى حين لاحت لناظِرى وزَنْد الهَوى بالسَّقط قد وصلَ السَّقْطا
طِبِ أنعِمْ تنزَّه يا فؤادِى فهذِهِ نِعالُ الَّذى جاوزتَ فى حُبِّه الفَرْطا
طُبِعْنا على حبٍّ لهُ فمتى يَلُحْ لنا أثَر نَنثرْ مِنَ أدْمُعِنا سِمْطا
طَلَعْنا نجومًا فى هَواهُ فأفقُنا قَدَ أخلدَ عنه النجمُ للأرضِ وانحطّا

قافية الظاء

ظَلِلْتُ أُنادى إذْ رأيتُ نِعالَ مَن قَدَ أنقذنى والحمدُ لله من لَظَى
ظهرتِ لنا فى شكل بدرٍ فلم نَكُنْ لبدرِ الدجَى مِن بعد ذَاك لِنلْحَظا [٦٨٨]
ظمِئْنا فكنتِ الماء مقلوب هَمْزَةٍ نقَعْتِ وميمٍ جِىْءَ فى إثْرها بِظَا
ظهيرى رسولَ اللهِ أنتَ لَحظْتَنِى بِهَذِى وفى الأخرى تَرَى لِمَنِ الحظَّا
ظِلالُكُمُ منْ كلِّ سُوءٍ حَفِظْتَنِى وما كنتُ لولا الفضل منكم لأُحْفَظا

قافية الطاف

كرُمتِ أيا نعلا لأكرم مرسَلٍ به وهْوَ وُسْطَى السِّلك قدخُتِمَ السلكُ
كأنكِ فى عَيْنَىَّ نافجةٌ خلَت وأبقَى بها للأنف منْ نفحهِ المسْك

كتمتُ فلمَّا أُحْتِ لِي باحَ مَحجرِى بسرٍّ معَنًّى قلبُه بالنَّوى يشْكو
كفانِي كفانِي أن بَدَا أثرٌ لِمَنْ به من إسارِ الشِّرْكِ قلبيَ مفتَكُ
كريمُ كرامِ الرُّسْلِ أحمدُها الَّذى بتوحيده الإشْراكَ أوْدَى فلا شِرْكُ

قافية اللام

لِمثلكِ يا نعـــلًا بلابسها نعلو ويا طيبَ قلبى كلما قلت يا نعلُ
لَثمت وما أبغيهِ باللثم لاَ ولاَ سِواه فما قصـــدى النعال بلا الرِّجْل
لها الله منْ رِجْلٍ مشتْ بأجَلِّ مَنْ شأَى رسُلَ اللهِ الكرامَ وإن جلُّوا
لنا قد أتى منا عزيزٌ عليه مَا عَنِتْنَا رءوفٌ راحمٌ ما له مِثل
لَعَمْرِىَ لولاه لما سَحَّتِ السَّما ولا دُحِيَتْ أرض ولا بَرِئَ الكل

قافية الميم

وفيها وفيما بعدها لزوم زائد لم يَهد الله إليه ولا ألْهَم ، إلا بعد الفراغ من نظم ما تقدَّم ، وإلا فجناب نَجْده فسيح ، ولسان الألكن فى مدحه عليه السلامُ فصيح ، [وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ المليح] :

مِثالُكِ نَعْلَ المصطفى هاج لِي جَوًى جَناهُ هَوًى قلبى السعيدُ به سَمَا
مَدَدْتُ له عَيْنَىْ مَشُوقٍ به عَلَى صَبابتـه ألاَّ تَحَولَ قَدَ أقْسَمَا
مَشَيتُ بهِ فوق السَّماءِ فكلَّما وطِئْتُ سَماءً فاخَرَتْ فوقها سَمَا
مَواطِئهُ قُسِّمْنَ فيها مَناسكاً فَأَسمَى الَّذى أدناهُ ذاكَ المُقَسَّما
محمدُ أبْكَيتَ الثَّرَى إذْ عَرجْتَمُ وعُدْتمْ إليهِ بعـــدَ ذا فتبَسما

قافية النون

نظرتُ بِعَيْنَىْ هائم القلب مُدْنَفٍ شَجِيٍّ أَبَى إلاَّ البُكا طَرْفُهُ خِدْنَا

نعالَ حبيبٍ مُصْطفًى مِن حَبيبه دَنَا فتَدلَّى قابَ قَوْسَيْن أَوْ أَدْنَى [٨٩
نَبِيٍّ جميعَ الرُّسْل سادَ حِلًى كما بمبْعَثِه فينا جميعَ الوَرَى سُدْنا
نجيٍّ لِرَبِّ العَرْش ناجٍ مُحِبُّه غَدَا مِنْ لَظَى ذاتِ اللظَى وارثًا عَدْنا
نَزَعْنا إلى التَّوْحيد من مُلْكِ شركنا ولولاهُ مَا واللهِ للهِ وَحَّـــــدْنا

قافية الصاد

صَبَرْتُ فلما لاح لى مِثْلُ نعلِ مَنْ حِلاهُ تعالَتْ أَنْ تُعَدَّ وَتُسْتَقْصَى
صَبَبْتُ دموعًا من جفونٍ كأنَّها عَزَالِى سَحابٍ نُؤْيُهَا النَّأْىَ قَدْ أَقْصَى
صَبَوتُ هوًى فى السَّيِّد العَلَم الَّذِى قدُ اُسْرِى به ليلاً إلى المسجد الأقصى
صَميمٌ صَميمُ الجِلَّةِ القَمَرُ الَّذِى وقاهُ الإلهُ المحْقَ والكَسْفُ والنقصا
صِراطى هواه للجِنانِ وإنَّهُ يَقِى وَوَقَى جِيدَ اُعْتصامى بهِ الوَقْصَا

قافية الضاد

ضُلُوعِىَ لا تَهْدَا ودَمْعِىَ لا يَرْقَا وليسَ سِوَى حَالَيْهِمَا منهما أَرْضَى
ضلالِى هُدًى فى ذَا الهَوَى عند أهله ذوى النظر الأقْوَى ذَوِى السَّنَنِ الأَرْضَى
ضَعُوا قَلْبِىَ الشَّاكِى بحَيْثُ نِعَالُهُمْ فَآثارُهمْ تَشْفِى أَحِبَّتَها المَرْضَى
ضَمِمْتِ نعالَ المُصْطَفَى رِجلَه الَّتى بها شرَّف اللهُ السَّمواتِ والأَرْض
ضَعُوها كمِثْلِى فوقَ أَرْؤسِكُمْ فقدْ زكا من رَأَى تعظيمَ مِقدارِها فَرْض

قافية العين

عَلَى وَجْنَتى فاضَتْ دُمُوعِى فصَرَّحَتْ بِسِرِّ فُؤادٍ بالتَكَتُّمِ أُولِعَ
عَشِىَّ بدتْ نعلُ الحبيبِ كأنَّهَا هِلَالٌ بآفاقِ القُلوب قد أُطلِع

عَجِبْتُ لقلبى أن رَآها ولم يَطِرْ ... ويَخْرِقْ شَغافًا قد حواهُ وأضْلعَا
عَراه خيالٌ فاستقرَّ ولمْ يَطِرْ ... إليْها وشيكًا حينَ بالأمرِ طُولِعا
عَسَى من أرَانى نَعلَه أو مِثالَها ... يُرِينى ضَرِيحًا لِلمَكارِمِ مُطْلِعا

قافية الفين

غَليلىَ لا يُطْفا وشَجْوِىَ لا يَفْنَى ... ودَمْعِى لغير المُزْنِ ليسَ بمنبغِى
غَسَلْتُ بِهِ رَيْنَ الجوَى وهْوَ نَكْتَةٌ ... بخَدِّى وقلت اسْفِكْ نَجيعَكَ واصْبُغ
غَدَاةَ بدتْ نعلٌ لأكرم مرسلٍ ... رفيعٍ شفيعٍ ذى مكارمَ سُبَّغ
غَيورٍ شكورٍ راحمٍ مُتلطِّفٍ ... كريمٍ مُنيلٍ واسعِ السَّيبِ مُسْبِغ
غُلَامُكَ يا مولاىَ يَبْغِى شفاعةً ... وذلك أمرٌ ما لغيرك يَنْبغِى [٦٩٠]

قافية الفاء

فؤادىَ لا تَشْكُ البِعادَ فهذه ... نِعالُهمُ فاسْتَشْفِيَنَّ بها تُشْفَى
فَمِى قَبَّلَتْها مِثلَ نَعلٍ كريمةٍ ... بتقبيلها يُشْفَى سَقَامُ مَنِ اسْتَشْفَى
فليتَ يمينى والشِّمالَ ومِسْمَعِى ... قُلِبْنَ شِفاهًا تُحْسِنِ اللَّثْمَ والرَّشْفا
فأُطفِئَ بالتقبيل والرَّشْفِ جمرةً ... قَدَ اشعلها شوقٌ عَلَى الهُلْكِ بِى أشْفَى
فأُقسِمُ بانعلَ الحبيب لأَنْتِ مِنْ ... شَرَابِ بطونِ النَّحْلِ للمُشْتَكِى أشْفَى

قافية القاف

قُلَيْبِىَ لا تَقْنَطْ فهذى نعالُ مَنْ ... عَلِقْتَ به من قَبْلِ مَرْتَبَةِ العَلَقْ
قد أبصرتَها فى أُفقِ كفِّى كأنَّها ... هِلالٌ منيرٌ للعُيون قد ائْتَلَق
قَفَا فى السَّنَى آثارَه القمرُ الذِى ... لِلابسه كالبُرْدَة انشقَّ وانفلق

قرأتُ حِذَارَ العين لما رأيتُه بأُفْقِ يمينى طالعًا سُورة الفَلَق
قَسَتْ مُهجةٌ قد أبصرتْهُ وما جَرَتْ مسابِقةً شُهْبَ المدامِع فى طَلَق

قافية السين

سموتِ أيا نعلَ الرسولِ برِجله على قِمم الشُّهبانِ والبَدْر والشَّمْسِ
سرَى ليلةَ المِعراج فوق بُرَاقِهِ ليُسْمِيَ أقطارَ السموات باللَّمْس
سماءٌ به فَلْتَفْخَرِى بدرَ سؤدُدٍ سايرَ السنَى يضحِى مُنيرًا كما يُمسى
سِراجٌ به طُلْنا الذين تقدَّموا ولا عجبٌ أنْ يفضُل اليومُ للأمس
سَلِمْنا بفضل اللهِ لَكِنَّنَا وهُمْ حروفٌ ومالإطباق فى الحرف كالهَمْس

قافية الشين

شمختِ أيا نعلا لأكرم سيدٍ رسولٍ على السَّبْع السَّموات قد مَشَى
شريفٍ له قد أُسْجِدَ البدرُ والْتفتْ إليه تجـــــدْه بالتراب مُنَمَّشا
شفَى مُبصِرَىَّ القلبَ والطرفَ نورُهُ وقد كنت أعشى القلبِ والطَّرفِ أعمشا
شفاعَتَه نرجو امتداد ظِلالِها إذا ما الرجا فيما سِواها تكَمَّشا
شققت جيوب الكتْم وَجْدًا وقلْتُ يا يَدَىَّ وهَى حبلُ[1] التصَبُّرِ فاخمِشا

قافية الهاء

هى النعلُ قد كانتْ سماءً ورجْلُه هلالاً فما أسْنَى وأضوأَ أُفْقَها
هيا منكرًا تقبيلَها بعدَ بدْرها على دَنَفٍ ما أنتَ مِنه بأَفْقَها [٦٩١]
هل القصدُ إلاَّ رجلُ لابِسها الَّذِى سيُسْعِفُنِى يومَ القيامة خَفْقَها

(١) فى الأصول : « حد » . ونظنه محرفا عما أثبتناه .

هلالِي وشمسِي فى دُجَى الحَشر سَيِّدِى مُبلِّغُ نفسِى ما يوافقُ وَفْقها
هَمَتْ عَبرتى شوقًا له إذ رأيتها فما تَرْتجى الأجفانُ من بَعْدُ رِفْقها

* * *

انتهى ما ألفيتُه مِن هذهِ القطَع ، ولم أجد تكملة الحروف ؛ وقد كمَّل ما بقى منها على نَمَطِها ، صاحبُنا الفقيهُ الأصيلُ أبو الحسن الشامىّ ، حفظه الله ، وسيأتى ذلك قريبا .

وله مقاطيع فى مدح النعال أيضا

وألفيتُ أيضًا بخط هذا الشيخ محمد بن الفَرَج السَّبتىّ ، رحمه الله ، عِدَّةَ قصائد ومقاطيع فى هذا الغرض ، منها قوله رحمه الله :

ولقد رأيت مِثالَ نعلِ محمّدٍ فاشتدَّ شوقى عند ذاكَ وَهَاجَا
فظَلَلْتُ أمسحُ وَجْنَتَىَّ بشِسْعِهِ مَسْحًا وأجعلُه برأسِىَ تاجا
يا نعلَ أكرمِ مرسَلٍ لما أتَى دخل الورَى فى دينه أفْواجا
كُرِّمْتِ مِنْ نَعْلٍ حَوَتْ رِجْلاً مَشَتْ بأجلِّ بادٍ فى الظَّلام سِرَاجا
شَرُفَتْ بِمَوْطِئ نعلِهِ السَّبْع العُلَا لَمَّا ارتقاها عارِجًا لِيُناجَى

* * *

ومنها قوله رحمه الله :

نثَرَتْ محاجرُ مُقْلتِى من سِلْكِها دُرًّا وشَذْرًا مُفْرَغا من سِلْكِها
شوقا لمبعوثٍ أتى فاستبشرَتْ مُهَجُ الورَى بنجاتِها مِنْ هُلْكِها
عاينتُ مثلَ نعالِه ومحمدٌ هوَ خاتمُ الأرسالِ وُسْطَى سِلْكِها
فوجدتُ فيها ريحَه ولَرُبَّمَا فاحَ النوافج بعد فُرْقة مِسْكِها
أشرِفْ بها نعلاً عمائم كلّ ذى شَرَفٍ تُقِرُّ بأنّها من مِلْكِها
فلقد وَعَتْ قدَمًا سَعَتْ فى فكِّها من راحَتَىْ كُفْرَانها أو شِرْكِها

جعلت مَواطِئَها المَلائكُ عندَما أُسْرِى به لَيلا مَواضعَ نُسْكِها
يا ليتَ أعضائى شِفاهٌ كلَّها فمتى تُقَبِّلُها شِفاهى تحكِها
قد كنتُ ذا خوفٍ وَوَحْشةٍ أبْدَلاَ رَغْدَ المَسرَّةِ للفؤاد بضَنكِها
فكأنَّها صَكٌّ أتى عبدًا وقَدْ تُعْطَى الموالى أمْنَها فى صَكِّها
وهلالٌ أُطلِعَ فانْجَلَى مِن وَحْشَتِى ما قد تراكم من سحائب حُلْكِها
فأنَا العتيق وإن تَشُكَّ النَّفْسُ فى عِتقى يُمَطْ لِلحين عارضُ شَكِّها [٦٩٢]
يا مُنجِىَ الحَوْباء مِن بَحْرِ الرَّدَى ولقدْ غدا لولاك مَعْطَبَ فُلْكِها
شَكْوَى غَريقٍ ذُنوبِهِ مَهْما شَكَتْ حَوباؤه لسواكُمُ لَمْ يشْكِها
ولقد أُمِرتُ بتَرْكِ أسبابٍ بها تقوى الذُّنوب فما أَخَذْتُ بتركها
ولَئِن هَدَمْتُ مَبانيًا مَسْتورةً بسُتور لُطْفٍ لا سبيلَ لهتْكِها
فلقد بَنَيْتُ من الرجاءِ مَبانِيًا رَدَّت فَوَاتِكَ خِيفَتِى عَنْ فَتْكِها
وجعلتُ حُبَّك يا محمـــدُ أُمَّها عِلْما بأنَّ الأسَّ مُمْسِكُ سَمْكِها
صلَّى عليك إلهنا ما ظَلَّ أنـ ـفُ ذِكرِكَ العَطِرَ الشَّذَا مُسْتَنْكِها

* * *

ومن ذلك قوله رحمه الله :

أقولُ وهِجْرانى سَيَعْقُبُه الوصلُ فعَقْدُ الهوَى الشَّرْعِىُّ ما إنْ له حَلُّ
غداةَ رأَتْ عيْنِي مِثالَ نِعالِ مَنْ بدا فهَدَى أَهْلَ السعادة إذ ضلُّوا
تمنيتُ لَوْ أنى ظَفِرتُ بتُرْبةٍ علَيْها مشَتْ نعلٌ بلابسها نعْلُو
فأَكْحَلَ عينًا أُرْمِدَتْ ببعاده وليسَ سوى ذاكَ التُّرابِ لها كُحْل
هوالكُحل يجلُو ما بعيْنىَّ من قذًى وكَمْ كُحْلٍ أنْ تُكْحَل به العينُ لا يجلُو
فطُوبالكِ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى وحُقَّ أنْ أُرَدِّدَ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى أيَا نعْل

فإنك قد أُودِعْتِ رِجْلاً عَلتْ على ... بِساط عُلاً لَمْ تعْلُهُ قبلها رِجْلُ
فأُقْسِمُ لو تُؤتَى العَمائمُ سُؤلها ... لما كانَ غيرَ النعل كانَ لها سُؤل
وناهيكَ من رجْل مَشَتْ بمحمدٍ ... بمُفَضَّلِ رُسْلِ اللهِ إن عُدَّت الرُّسْل
أبو القاسم الأسْمَى الذى وطِئَ السَّمَا ... فنُودىَ مَنْ فيها ألاَ خَلْفَهُ صَلّوا
ولو لَمْ تطأها رجله كان للثَّرَى ... عَلَى الفَلَكِ الأَعْلى بمَوْطِئها الفَضْل
فيا مُرْسَلاً ما فى النبيّين مثلُه ... رَسولا وهلْ للشمس من جنسها مثْل
أنرتَ ظلام الجهل فالقلبُ نَيِّر ... مَحَا العلْمُ منه أحرفًا خَطَّها الجهْل
فكان كمِثل السيف لمصبح صادئا ... وأمسى وقد جلّى مَضا ربَهَ الصَّقْل
يلوحُ به الإيمانُ شَكلا لناظرٍ ... ولولاك لم يطلع به ذلك الشَّكْل
فَحُقَّ لذى عقل بأنْ يَقْطَعَ المَدَى ... مَدَى عُمْره مادام يصحَبه العقل
وما شُغْلُه إلا امتداحُ جلالِكمْ ... فنعْم الفَتى مَنْ شُغْلُه ذلك الشغل
[٦٩٣] أمَولاىَ يا مَولاىَ ألفًا وبعدَه ... كذلك ألفٌ ثم ألفٌ له قَبْل
عَديدُ الحصى والرَّمْل بل عدُّ ما إذا ... بدا فالحصَى جزء بدا منه والرمل
فحُبُّكمُ كَهفى الّذى مُذ حَللْتُه ... إذا اشتدبى كَرْبٌ على الفور ينْحلُّ
وسَيْفِى الشَّريْجِيُّ الذى مذسَلَلْتُه ... رأيت خطوب الجهل عَنِّىَ تنسلُّ
ورُمْحى الرُّدينىُّ الذى مذْ شَرَعْتُه ... صَرَعتُ به ثُكْلِى فلا نُعِشَ الثُّكل (١)
وقَوسِى الَّتى مُذ سَدَّدَ الصِّدْقُ نَبلها ... أصابت أسًى ماخابَ قطُّ له نَبْل
فها أنا فى ظل من الأمن قاطعٍ ... على الأمن أنْ يمتدّ لى ذلك الظِّل
ومَنْ يدرِى ما أدرِى من افضالكَ الذى ... هو الباب والإفضال أجمعُه فَضْل
أو الأصلُ والإفضالُ بعضُ فروعِه ... ومايَسْتَوى فى الرُّتبَةِ الفرع والأصل

(١) كذا فى ط ، ص . وفى م : «ثقلى» . . . . «الثقل» .

ينَمْ آمِنًا من جَوْرِ دهْرٍ صُرُوفُه ... سواهر واسْتُقْضِى وليسَ له عَدْلُ
محمدُ ياغَوْثِى وغَيْثِىَ كلما ... تجهَّمتِ الأيام أو أحجف المَحْل
محمد يا حِرزِى وعزِّىَ كلما ... تفاقَمت الأهوالُ أو طرَقَ الذُّل
أكرِّر فى أحوالىَ اسْمَك إنه ... لكالشهد ما كررته فى فمى يحلو
[أما إنهُ أحْلَى وأيمنُ مُجْتَنىً ... فكم مُجْتَنٍ للشهد تلسعُه النحل
وإن كان فى الشهدِ الشِّفاء لمشتكٍ ... بعلَّة جسم أصلُها الشربُ والأكل
فباسمك يُشْفى كلُّ قلب إذا اشتكى ... إليكَ بداء جرَّه القول والفِعل
وما جسَدُ الإنسان مثل فؤاده ... فمَنزل ذا عُلْوٌ ومنزِل ذا سُفْل
فبالفضل ياذا الفضل والبذل إن عدَتْ ... خطوبٌ ولمَّا يُلْف فضلٌ ولا بذل
أجِرْنِىَ من نارٍ ضريعٌ طَعامُها ... ومُهْلٌ وما يغْنِى ضريعٌ ولا مُهل
ومن أهلها العاصى أوَامرَ ربِّه ... وإنِّى لَهَا أو يغفر اللهُ لِى أهل
أما إننى أرجو النجاةَ وإن تكن ... ذُنوبِىَ حِمْلا لا يطاق لها حَمْل
فإنِّىَ قد أعْدَدْتُ أىَّ ذَخيرةٍ ... تخفِّفُ من ثِقْل الذُّنوب فلا ثِقْل
هواكَ الذى للمعضلات خَبَأْتُه ... فمن مُهْجَتِى حُقَّ وَمِن غَيْرَتِى قُفْل
ألا هكذَا فلْيَخْبَإِ الحُبَّ مُدْنَفٌ ... إذا ما سَلا أهلُ المحبة لا يسلو
وإن يخلُ معمورُ القلوب من الهوَى ... فما قلبُه المعمورُ من حبه يخلو
وإن يعتلِلْ وقتا غرامٌ فيختَلِلْ ... فما حبُّه يعتلُّ وقتا فيختلّ
فكمْ بيْنَ مَنْ قدْ تَيَّمَ الفضلُ والعُلا ... وبيْنَ الذى قَدْ تيم الغُنْجُ والدَّلّ
لَبَيْنَهما ما بين وَصْلٍ وقَطْعةٍ ... وهيهات ما بالقطع يَشْتَبِهُ الوَصل
وإنْ غَرَسَتْ كفَّاهما شجَرَ الهوى ... فمغروس ذا شَرْىٌ ومغروس ذا نخْل
فيا قلبىَ أحْلِلْ من هواك بِجَنَّةٍ ... بها احتلَّ قلبٌ حبُّه ليس يَعْتَلّ [٦٩٤]

ونادِ الورَى إنِّى احتللت بجنَّةٍ ... بها كلُّ مَن يَهوَى هواىَ سيَحْتَلُّ
أُدِيرُ بها كأسًا دِهَاقًا وما سِوَى ... سرورِى بمحبوبى مُدَامٌ ولا نُقْل
هى الخمرُ لم يَتْلَفْ بها عقلُ شاربٍ ... وتلك حرامٌ فى الكتاب وذِى حِلّ
ويا فكْرِىَ الرَّامى المصيبَ بِنَبْلِهِ ... مَقَاتِلَ أغراضٍ أراها له النُّبْل
وفى قتلها عند اللَّبيب حياتُها ... ومن أعجب الأشياء أن يُحْيِيَ القتل
بتأليف شمل المدح فى المصطفى اشْتَغِل ... يُعِنْكَ على تأليفه ذلك الشَّمْل
فذاكَ محلٌّ للمدائح قابلٌ ... إذا انحصرتْ فيه مَدَائحُ مَنْ قَبل
مَحَلٌّ يُسَمَّى فى عُلاه مُقَصِّرًا ... أديبٌ وفى الأمداح مَنْ طَبْعُه يَغْلُو
محلٌّ علَا فوق السَّماء ولم يكُنْ ... لأعْلَى محلٍّ ذلك العُلْوَ أن يعلو
فقل للأديب المُكثِرِ القولِ فى حِلَى ... عُلاه : كثيرُ القولِ فى مَجْدِهِ قُلّ
فضائله بحْر وسَجْلٌ كلامُنا ... وليس يُغيض البحرَ دلْوٌ ولا سَجْل
وتالله ما البحرُ الغُطامِط مُشْبِهًا ... فضائلَهُ أو يُشبهَ الوابلَ الطَّل
ولكنها الأمثال تُضْرَبُ للورَى ... وليسَ منَ المشروط أن يُفْعَل الكُل
وقد ضرَب الله الأقلَّ لنورِه ... فقال كمِشْكاةٍ وليس له مِثْل
أخيرَ رسولٍ جاء للخَلْق هاديًا ... وقد دَرَسَتْ سُبْلَ النّجَاة فلا سُبْل
وكُلُّهُمُ نَشوان من خَمْرَة الهوَى ... فمعبودُهُمْ نَسْر ومَدْعُوُّهمْ بَعْل
فما منهمُ إلّا أسيرُ ضَلَالَةٍ ... فى جيده غُلٌّ وفى رِجْلِهِ كَبْل
فُدُلُّوا عَلَى سُبْلِ النَّجاة بنورِهِ ... جميعًا ولولا ذلك النُّورُ ما دُلُّوا
فأعقَب ذاكَ النورُ مدلولَه حِلًى ... فى جِيدِه عِقْد وفى رِجْلِه حِجْل
وقفْتُ بباب الجودِ والكرَمِ الَّذِى ... غَمامتُه وَطْفَا وعارضُه وَبْل
فما كَرَمٌ يُرْوَى عنِ الْجَوْدِ وَاهِبًا ... مَواهبُه تَثْرَى ونائلُه جَزْل

وَقِيسَ بِذَا إِلّا وقال أُولو النُّهَى ... أَلَا إِنَّ ذَاكَ الجودَ فى جَنْبِ ذَا بخْلُ
ولى حاجةٌ عَنَّتْ إليك ، قضاؤُها ... عليك بفضل الله يا سيدى سَهْل
زيارةُ أَرضٍ طيَّبَ الله تُرْبَهـا ... فالمسكُ مفضوضَ الختام لها شَكْل
هِىَ البَـلْدَةُ الغرَّاء طَيْبَةُ الَّتِى ... بها دِيمُ الرَّحْمى مَدَى الدَّهر تَنْهلّ
فَمَنْ حَلَّ مَثْوًى أنت فيه مُخَيِّمٌ ... ويا طيبَ أقوامٍ بِطَيْبَةَ قد حَلُّوا
يكُنْ آمِنًا مِنْ كل حُزْنٍ وَخِيفَةٍ ... ويعظمْ له جاهٌ ويَكرمْ له نُزْل [٦٩٥]
فما داخلٌ عَدْنًا يخاف من الردى ... وتشهد آيات الكتاب الذى نتلو
ولا فَرْقَ ما بيْنَ الجِنانِ وبيْنَهَا ... لَدَى من لَهُ عَقْلٌ من الناس أو نَقْل
وصلّى عليكَ الله ما هبَّتِ الصَّبا ... وما كان للمُزْنِ التى أَعْصَرَتْ هَطْل

* * *

وله فى تشبيه نعل الرسول

ومِمَّا له أيضا رحمه ، ملتزما تشبيه النَّعل المختصة بالشرف والرفعـة ، وقد أبصرها مرسومة بالحِبْر فى رُقْعة :

اِشْفَىْ برؤيتهـا يا نَفْسِىَ الدَّنِفَهْ ... نَعْلًا لرجل رسول الله مُكْتَنِفَهْ
كأنَّ طِرْسًا به بالحبر قد رُسِمَتْ ... بُرْدٌ مِنَ الحِبَرَاتِ البِيضِ ذُو صَنِفَهْ

* * *

وله فى وصف النعل أيضا

ومما له أيضا نفعه الله بها ، ورَسَمَ مِثَال النَّعل الكريمة إثْرَها :

يا سائلًا أفْتيـــه إثْرَ سُؤالِهِ ... عمَّا يَرَى إنْ يَشْكُ مِنْ إشْكالِهِ
تُرِهِ سَوَادَ القَلب والعينـين فى ... شكْلِ هلالُ الأفْقِ مِنْ أَشْكاله
أخطأتُ لستُ بعائدٍ ولَكَمْ مُصِيـــبٍ مُخْطِئٌ فى البعْض مِنْ أَقْوَاله
فالبدْرُ يُكْسَفُ فى منازل سَعْدِه ... ويصيبُه النقصان إثْرَ كماله
وكلاهما شَيْنٌ وهـــذا قد وُقِى ... مِنْ كل شَيْن بَدْرُ سِرٍّ جَمَاله

أَوَلَيْسَ تمثالَ النِّعالِ نعالِ مَنْ ... وَطِئَ السَّمَوَاتِ العُلَى بنعالِهِ
نَعْلٌ بلابِسِهَا بأَتْ ويَحِقُّ أَنْ ... تَبْأَى به لجـــلاله وخِلاله
فلقد حَوَتْ رِجْلًا مَشَتْ بالصفوَة الْـ ... ـمختار عند الله من أرساله
فالثِمْهُ تمثالًا لهـــا لَثْمَ امرئٍ ... باللَّثْمِ يُرْوَى مِنْ صَدَى بَلْبَاله
فَلَرُبَّ مُشْتَاقٍ رَأَى آثارَ مَنْ ... يَشْتَاقُهُ فَشَفَتْـهُ مِنْ أَوْجَاله
أَوَ ماتَرَى يَعْقوبَ عادَ بثوب مَنْ ... يَهْوَى سَنَى عَيْنَيه بعـد زواله
وهواىَ فى مولاىَ يفضُلُ حُبَّ يَعْـ ... ـقُوبٍ عَلَى المَرْوِىِّ مِنْ أَحْوَاله
فمحمَّدٌ هُوَ مُعْتِقٌ من مِلْكِ شِرْ ... كٍ كنْتُ طَوْعَ يمينِهِ وشِمَاله
قَطَعَتْ هِدَايَتُه حِبَالَ ضَـلَالَتى ... بحُسامها الجالى الرَّدَى بصِقَاله
فَغَدَوْتُ مُعْتَقَلًا ورُحْتُ مُسَرَّحًا ... مُتَمَسِّكًا مِنْ هَدْيِهِ بحباله
يرتاح فى عَدْنِ الهُدَى قلْبى ولا ... يَخْشَى الإِعَادَةَ فى جَحِيم ضَلَاله
أَصِل النِّـداءَ مُعَرِّفًا بعوارفٍ ... بلغ الفؤادُ بهـا مَدَى آماله
يا قومُ إقرارُ امرئٍ بفضـائلٍ ... عَظُمَتْ عَلَىَّ لأَحْمَـــدٍ ولآله [٦٩٦]
كنتُ الذَّليلَ فمُذْ تملَّك مجدُه ... نفسِى بما قد كان مِنْ إِفْضاله
ما زال يسمى فى عَزازة عَبْده ... حتى محا بالعزِّ نُقْطَة ذاله
فأنا الذَّليلُ لأَعْبُدٍ ذَلُّوا عَلَى ... أَنْ يُصْبحوا مِثْلى عَبيدَ جَلاله
مولاىَ يامولاىَ ألْفًا مُرْدَفًا ... بمثـالِه ومِثالِه ومِثـــــاله
أَضْعَافَ أَضْعافِ الَّذى فى البَحْرِ مِنْ ... نُقَطٍ : أُجَاجِ المَـاء أَوْ سَلسَاله
أنا عَبْدُكَ القِنُّ الذى أَطْلَقْتَـهُ ... مِنْ جَهْلِ أَوْثَقَ مُهْجَتِى بعقاله
فَبِما عَلَىَّ لـكُمْ من الفضلِ الَّذِى ... ضَعُفَتْ قُوَى شُكْرِى عنِ اسْتِقْلاله
إِلَّا حَمَلتَ إلى الأُسَاةِ بِطَيْبَـةٍ ... جِسْمًا شَـكا بفراق قَلْبٍ واله

وأظنُّه والظنُّ يَصْدُق هاهُنا عِنْـــدِى وإنِّى لَلْخَبِيرُ بحالِهِ
قد حَلَّ منْ فَلَكِ العُلَى حيثُ الحِلَى شُهُبٌ تَحُفُّ بشمسه وهلاله
بَلَدًا يذُودُ المارقين جَـــلَالُه بسيوفه ولِدَانِهِ ونِبَـــــاله
فكأنَّه كِيرٌ نَفَى خَبَثًا وأبْـــقَى مَن رَضِى الرَّحْمٰنُ باستعماله
أربى عَلَى أمثـــاله ووَحَقِّه لأفكتُ فى قولى عَلَى أمثاله
فالأرضُ مثلُ ذُبالةٍ وهوَ السَّنَى منها وكم بين السَّنَى وذُباله
هو طَيْبَةُ الغَرَّاء أشرفُ موْطِنٍ حثَّ النُّهى شرعا على إجْلاله
حَرَمٌ متى ما حَلَّه ذو خِيفَةٍ يأْمَنْ به فى حاله ومآله
أمِرَ المَلَائِكُ بالدُّعاء لأهـلِه أهلِ الفَخار نسائه ورجاله
وارَى ثَرَاه مَنْ لأجل سناه خَرَّ المَلْكُ للمخـــلوق من صَلْصَاله
ونجا ابن لامَكَ فى السَّفِين إذِ اسْتَوَى ماء الرَّدى بسهوله وجباله
ونجا ابن آزَرَ مِنْ لَظَى الإشراكِ إذ نال الذى قد نال مِنْ تمثـاله
وفُدِى ابْنُ هَاجَرَ حين تُلَّ وإنَّهُ لَمُسَلِّمٌ لأبيـــــه فى أفعاله
واحتلَّ إدريسُ مكانًا فى السَّما أسْمَى ، مَنالُ النَّجْمِ دون مَنَاله
والمرءُ يُخْلَقُ من ثَرَى القَبْرِ الذى سيَكون مُنطبقًا على أوْصاله
هـذا حديثٌ صَحَّ عنه لدَى الأُلَى نظموا عُقود مَقـــاله وفعاله
ولذاك قال بفضل طَيْبَةَ مالكٌ وهُوَ الإمامُ المُقْتَدَى بمقاله
إذ لا تُراب أجلُّ من تُرْبٍ نَشا منه حبيب اللهِ مِن أرْساله
فهناكَ يُضْحِى الجسمُ مُتَّصِلًا بمن أشجاه وهو القلبُ يومَ فِصَـاله
أسْعِدْ بمُجْتَمَعَيْنِ فى دارٍ بها شَخْصُ الَّذِى قَنَعَا بطَيْفِ خَياله [٦٩٧]
مولاىَ إنْ لم تُوتِ عَبـدَكَ سُؤْلَه ورددتَ خائبةً يمينَ سُـؤاله

لا عَتْبَ بل عُتْبَى فما هو صالحٌ ... بك للذى قد ساء من أعماله
لكنَّ سُنَّةَ سيدى فى عَبدِه ... إسعافُه ما دام من سُؤّاله
والصفحُ عن زلّاته ولَوَ أنها ... كالرَّمْل عَدًّا فى جميع رِماله
ومتى يَجُدْ فالغيثُ إلّا أنَّهُ ... عمَّ الخليقـــة كُلَّهَا بنواله
ومتى يُجِرْ فالليثُ إلا أنه ... يُضْحِى المُجارُ لَدَيْه من أَشْبَاله
فالخائفون المُعْسِرون مؤمَّنو ... نَ وَمُوسرونَ بجاهــه وبماله
هَذِى خِصالٌ من خِصال جَمَّةٍ ... ومَنِ الذى يُحْصِى شريفَ خِصاله
صــلّى عليه إلهُنا من مُرْسَلٍ ... وَجَدَ الوجودُ الخيرَ فى إرْساله

* * *

وله أيضاً فى النعل الكريمة

ومِمَّاله أيضًا تقبل الله منه ، ولا صرف وجه وقايته بمنِّه وكرمه عنه :

خُذْهُ أيا صَاحِ خُـــذِ ... تِمْثَالَ نَعْـــلٍ قد حُذِى
على نعالِ أَحْمَـــدٍ ... مُنْجِى الأنام المنقـذ
السَّـــيِّدِ المختار مِنْ ... قبيـــلَةٍ وَفَخِـــذ
ذى الطَّوْلِ ذى الفضل الذى ... حِلَاهُ لا تُحْصَى بِذى
وانظُر إليـــه نظـرةً ... يُجْلَى بها طَـرْفٌ قَذِى
وقبِّلْنـــهُ دائمـــا ... تقبيـــلَ ذى تلذُّذ
وَقُـــلْ إِذَا قبَّلْتَـــه ... ذِى قُبَـــلٌ تَلَذَّذِ
ونادِهِ يا ســـيِّدًا ... بغـــيره لَمْ أَلُذ
شَكْوَى مُحِبٍّ ما دَرَى ... غير الهوى مِنْ مَأْخَـذِ
رُمِى بِنَبْـــلِ للنَّوَى ... صـوائبٍ لم تُشْـحَذ
لكنَّهَا مَهْمَـــا رُمِى ... بهـــا فليس تَنْفُـــذ

فقلبُهُ من رَشْقِها كمثلِ جِلْدِ القُنْفُذِ
وقد رَجوتُ والرَّجا نَهْجِى الذى قد أحتذى
إدَالتى بالقُرْب مِنْ هذا النَّوَى المُسْتَحْوِذ
وبالجلال النَّبَوِىِّ الهاشمى تعوُّذى [٦٩٨]
من أن يضيع لى هَوًى به فؤادى يغتذى
فيا فؤادى بالعَرَا أفْعَى الخافقِ أنْبِذ
وإن تَسِرْ للسَّعِ مِنْ زُمُرُّذِ الدُّجى خُذ
وأَرِهِ لُمْقَلَتَيْها كىْ تَسِيل ذى وذى
فذاكَ فى الأفاعى مِنْ عوائد الزُّمُرُّذ

* * *

وله أيضاً فيها ومما له أيضا رحمه الله تعالى .

يا مُغْرَمًا برسولِ لم يَخلُقِ الله مِثْلَهْ
هذا مثالُ نعالٍ شِرَاكُها[1] ضمَّ رِجْلَه
أَشْرِفْ بها ثم أَشْرِفْ نَعلاً تُماثل نَعْلَه
فَقَبِّلَنْ فيه مثلِى تقبيلَ صَبٍّ مُوَلَّه
فرُبَّ شاكى اشتياقٍ نَالَ الشفاءَ بقُبْلَه
يارَبِّ أشكوك شوقى والشوقُ أعضلُ عِلَّه
فقرِّبِ الدَّار مِمَّنْ أَبَنْتَ فى الرُّسْلِ فَضْلَه
فهْو الذى بِنواهُ فؤادَ عبدِكَ وَلَّه
صلّى الإلٰه عليه مِنْ شارعٍ خيرَ قِبْلَه

(١) فى س : « قبالها » .

وفاسخ كلّ حُكْمٍ وناسخٍ كلّ مِلّهْ
ما حرّكَ الوَجْدُ قلبا وأَرّقَ البُعْدُ مُقْلَه

* * *

وله أيضاً فى ذلك الغرض

ومما له أيضا ، تقبّل الله عمله ، وبلّغه أمله :

انظُرْ إلىّ هِلَالَا فاق البُدورَ جَمالَا
أَسْتغفرُ اللهَ رَبّى فقد أَفَكْتُ مَقَالا
فالْمَحْقُ ليس مُصيبى وقد يُصيبُ الهِلالا
لكنْ حَكَيْتُ نِعالًا لسَيِّدٍ قد تعالَى
شَأَى النبيِّين جاهًا وحُظْوَةً وخِلَالا
فإن شكوتَ بشوْقٍ فؤادَك الصَّبَّ نالا
فَلْتَلْتِمَنِّى فَلْتَمِى يَشْفِى أُشتياقًا تَوَالى
نَعَمْ لَتَمْتُكِ شوْقًا لما حكيْتِ النِّعالا [٦٩٩]
ومَنْ يَظُنَّ بنَعْلٍ شُغِفْتُ ظنَّ المُحَالا
بِلابِسِ النَّعْلِ هِمْنا ومِنْه نَبْغِى الوِصَالا
يا رَبِّ يَشكوكَ قلْبى يشكوكَ صادًا ودَالا
فقرِّب الدَّارَ ممَّنْ بَرَأْتَ فاءً وذَالا
فما لِأَحْمَدَ نَدْرِى فى المرسلين مِثَالا
هذا وإن كان مِنْهُمْ والكلُّ حاز الكمالا
ففى السَّما نَيِّرَاتٌ وكلُّها يتلالا
وليس منها مُضَاهٍ للشمس فى النور لَا لا

صَلَّى عليه إلهُ به أزالَ الضَّلالَا
ما لَحِقَ الجزمُ فِعلًا أو لَزِمَ النَّصْبُ حالا
ثم سَلام عُبَيْدٍ ما إنْ عَنِ الرِّقِّ حالا
يخصُّ مولًى كَرِيمًا عَمَّ العَبيدَ نَوالا
وآلَه خيرَ آلٍ إنْ عَدَّدَ الخلْقُ آلا
ما أطْلَعَ الأُفْقُ شمْسًا وأنشأَ الجَوُّ آلَا

* * *

وله أيضا فى ذلك

ومن قوله أيضا ، رحمه الله ، وهى من أول ما قاله :

بكيتُ وقدْ رأيتُ مِثالَ نعلِهْ بكَاءَ هَوٍ عَنِ الأحباب وُلِّهْ
وما حُبُّ النِّعال أسالَ دمعِى ولكن حُبُّ مَنْ كَرُمتْ برِجْلِه
محمدا الرفيعَ القدرِ أعْنى حبيبَ اللهِ أحمدَ خيرَ رُسْلِه
عليه سلام ذى مِقَةٍ مَشُوقٍ إليه ظلَّ مُعْتصما بحبلِه
مَدَى افتخرَتْ سَمَوَاتُ وأرضٌ على حُرِّ الحدود بوطءِ نَعْلِه

* * *

وله فى ذلك وقد نحا منحى رائية أبى الربيع بن سالم

وله رحمه الله قصيدة مطولة ، نحا بها منحى رائيّة أبى الرَّبيع بن سالم ، وهى :

تَبدَّتْ لنَا والشَّوْقُ يَقْدَحُ زَنْدَهُ بقلبٍ شَجٍ لا وَجْدَ يُشْبِهُ وَجْدَهُ
نِعَالُ رسول الله أشْرفُ بنعلِ مَنْ قد اختصَّ بين الرُّسْلِ بالسِّرِّ وحْدَه
وإلَّا تكن نعْلَ الرسول فإنَّهَا مِثالٌ وكمْ نِدٍّ يُذَكِّرُ نِدَّه
فيا ناظرًا منها حديقًا تعاهدتْ عهادُ الحيا تُرْوِى رُباه ووُهْدَه [٧٠٠]
فَلِلَّهِ ما أذكى وأطيبَ نَفْحَه إذا حَرَّكَتْ ريحُ الصَّبابة رَنْدَه

وأطلعَ شَوْقُ الحبّ بدْرا بَهَارَه ... وشَمْسًا تَرومُ الغرب فى الصيف وِرْدَهُ
على الفَوْرِ قَبِّل فيه تقبيل فاخرٍ ... بمَوْلَى أعزَّ الله فى الخَلْق عبدَه
ونزِّه به طَرْفًا جفا النومُ جَفْنَـــه ... ومرِّغ به خَدًّا دَمُ الجَفْن خَدَّه
فُرُبَّتَ ذِى وجْدٍ رأى أثرًا لمَنْ ... له وَجْـــدُه يومًا فأطفأ وَجْدَه
أمولاىَ يا أعلَى النبيّين مَنْزِلًا ... لدَى الله والمُختصُّ بالفضل عنده
نِداء عُبَيْدٍ أضْرَمَ الشوقُ وَجْدَه ... فباح بحبٍّ أبرمَ الصِّدْق عَقْده
[وإنّ الهوَى مالم يَبِنْ لَـكَخَمْرَةٍ ... بعُنقودها والسِّقْطِ لازَمَ زَنْده
بحقّ هواىَ المحضِ فيكَ الذى متى ... يُقَسْ بهوًى فى الدهر أُلْفِىَ وَحدَه
أنِلْنِىَ ما أبغيـــه منكَ وإنّه ... زيارةُ قـــبْر شرَّف اللهُ لَحْدَه
بأشرفِ جُثمانٍ لأشرفِ رُوح مَنْ ... وَقَى الله ممـا يوهنُ المَجْدَ مَجْدَه
هو المجدُ لا مجـــدٌ يماثُله وهلْ ... يماثلُ صفحُ السيفِ فى القطع حَدَّه
سكِرتُ وماخَمْرِى سِوَى حُبِّه وَمَنْ ... حَسَا خمرَ هذا الحبّ لم يخْشَ حَدَّه
فيا طَيْبةُ الغراء أسعدَ منزلٍ ... تودُّ[1] النجومُ الزُّهر تَنزِل وُهْدَه
ألا فاحملى بَنْـــدَ الفَخار وحقِّقِى ... بأنك قد شرَّفْتِ بالحمـل بَنْدَه
ونُوطِى على جِيد العُلَاعِقْدَه تُرَىٰ ... مُشَرِّفَةً أيضا بذلك عِقْـدَه
بأعضاء مُختار مِنَ الخلق مُرْسَلٍ ... إليهم بدينٍ أوْثقَ الله عَهْدَه
به نُسِخَتْ أدْيانُ من كان قبلَه ... ولا دينَ يأتى الخلقَ للحَشْرِ بعده
به شاد أبراجَ العُلَا اللهُ رَبُّهُ ... وثَلَّ به عرشَ الضـلال وهدَّه
وردّ به عنا الرَّدَى وهْوَ مُقْبِلٌ ... وما كان لولا جاهُه ليَرُدَّه
رسولٌ على الأرسال فضَّـله الذى ... حَبَاه بمـا لا يبلغ النطقُ عدَّه

(١) فى هامش ص : «تمى» .

وإن كان رُسْلُ الله صلّى عليهمُ ... وسلّمَ ما ضِدٌّ ينافرُ ضِدَّهُ
حَكَوْا سُوَرَ القرآن نورًا وحكمة ... فأحمدُ قد أَضْحَى من الرُّسْل حَمْدَه
وفى الحمد مافيها من الشَّرَف الذى ... يُبين لمهدىٍّ من الناس رُشْدَه
وحَسْبُكَ أَنْ يَبْدا ويَخْتِمَ قارئٌ ... بها ومُصَلٍّ فرضَه ثم وِرْدَه
كذاك رسولُ الله أَوَّلٌ آخِرٌ ... له المنزلُ الأعلى الذى لن نَحُدَّه
أمولاىَ ذا قَصْدِى إليك وأنتَ مَنْ ... يبلِّغ ذا الشوقِ المُبَرِّح قَصدَه
فيا طِيبَ عبدٍ وَاصل أرضَ طَيْبة ... يُمَرِّغُ فى تلك المعاهدِ خَدَّه
مَعاهدُ أمسى الأنْسُ منها بظهرها ... لذى وَحْشَةٍ قد قرَّب الله بُعْدَه
وأصبح منقولا إلى بطنها فيا ... وَجاهة بطنٍ قد وَعاه وسَعْدَه
سَعِيدٌ صَعِيدٌ منه أُنشِئَ أَحمدٌ ... وفيه الذى أنشأَ به الفضلَ رَدَّه
فكان كمِثْلِ الوَرْدِ فارَق وَرْدَه ... لمنفعةٍ ثمّا ثم عاود وردَه
أَخيرَ كريم ليس تطرُق آفةٌ ... فتًى حبُّه للطارقات أَعَدَّه
عليك وأنت السيِّد العَلَم الذى ... أفاد الثَّنَا بَهْرَ السَّنَى ومُعَدَّه (١)
بل العالَم الإنسى عموما ومنهمُ ... خصوصا فريق أَكمل الله جَدَّه
هى الأمة العُلْيا التى هُدِيَتْ وَمَنْ ... أُريد به خيرٌ من الخلق يُهْدَه
صلاةٌ وَتسليمٌ ورُحْمى مَدَى انْتَمَى ... لك الفضل يا فَذَّ الوجود وفَرْدَه]
عديدَ صنوف الخلق عُلْوًا وأَسْفَلاً ... صُمُوتًا وذا نطق جمادًا وضِدَّه
ولَسْتُ مجيزًا أن أضيف إلى كذا ... بعَدِّى فيأتى ما لِسانِىَ حدَّه
كشمس الضُّحَى كالمسْك كالقطر لم يَنُطْ (٢) ... به بَرَقَه الأفقُ الصَّقيلُ ورَعْدَه
أجاعِلَ تشبيهى حقيقةً التَفِتْ ... غَلِطْتَ فللباب المجازىّ رُدَّه
فشمس الضحى والمسك والقطر عابَها ... أخو النَّقد والبرهانُ يعضِد نَقْدَه

(١) كذا فى ص . وفى م : « أجاد الثنا قهر الثناء ومعده » . (٢) فى م : « ينل » .

بكسْف وإمساك وهـذا دليلُه على ذاك والإيضاحُ لم يتعدَّهُ
وتلك التى شبَّهتُها سَلِمَتْ سَنًى فجاءت كما شاء الكمالُ ووَدَّه
صلاةً وتسليما ورُحْمَى على الذى سَنَى وَحْيِ ذى العرْش المجيد أمَدَّه
على العُروة الوُثْقى عَلَى القَمَرِ الذى على الخلْق ظِلَّ الأمْن والمنّ مَدَّه
على منقذ الإنسان من حُفَرِ الرَّدَى ولولا سَناهُ كان فيها يُدَهْدَه
على من له الخُلْق العظيم على الذى أبانَ جميعُ الرسْل والكُتْبِ جدَّه
عَلَى مَنْ له المجدُ الصميم على الذى به شرَّفَ الرحمن آدمَ جَدَّه
عَلَى أحمدَ المعروف فى ظهْرِ آدمٍ بترديده شُكْرَ الإله وَحَمْدَه
عَلَى مُجْتَبًى قد نوَّرَ اللهُ قلْبه عَلَى مُصْطَفًى قد طهَّر الله بُرْدَه

* * *

له المعجزات اللَّاءِ لُحْنَ لطَرْفِ مَنْ نفى نومَه سعْدٌ وأثبت سُهْدَه
فمنها انشقاق البدْر ثم نزولُه رآه الذى التوفيق وافق رَصْده
ومنها حنينُ الجذْعِ بالمسجدِ الذى بطَيْبَةَ لمّا آنس الجِذْع فقـده
ومنها طُلوع القُرْص بعد غُروبه وما بسوَى دَعْوَى دعاها استَرَدَّه
ومنها سقوط السَّيف من كف غَوْرَثٍ وقد كان مِقدامَ الضَّلال ونَجدَه
ومنها انفجار المـاء من بين أنْمُلٍ تُقَسِّمَ فى أبناءِ آدم رِفدَه [٧٠١]
إلى أن رَوِى منْه الخميسُ فيا لَهُ خميسًا أطابَ اللهُ ذو الفضل وِرْدَه
ومنها نماء التَّمْر حتى قَضَى به ديونَ أبيه جابرٌ حينَ جَدَّه
ومنها كلام الشاة تَنْهَى عَنَ أكلها فلم يبلغ السَّمَامُ بالسَّمِّ قصدَه
ومنها كلام الضَّبِّ والجَمَلِ الذى شكا كَدَّه المُوهِى قُوَاه وجِلْدَه
وكيفَ مَواليه يريدون نَحْرَهُ ولمّا يُراعُوا فيه بالأمْس كَدَّه

ومنها البعيرُ المبطئُ السَّيْرِ ساطَه فما وَخَدَتْ من بعدذا النُّجْبُ وَخْدَهُ
إلى غيرها مِن معْجِزاتٍ بَواهِرٍ فضَحْن عَدُوًّا باغِيًا رَامَ جَحْدَه
تُكاثِرُ رَملَ الأرض عَدًّا و نَبْتَهَا وتفْضُلُ سِلْكَ الدُّرِّ حُسْنًا وَعِقْده
وتُزْرِى سَنَى بالنَّيِّرَيْن توصَّلا من الفَلَكِ المَجْلُوِّ بالصَّحْو كِبْدَه

* * *

ومما به قد خصَّه الله رحمةً وفضلاً ونخرًا قد قضى الله خُلْدَه
صحابتُه الغُرُّ الأُلَى سَعِدُوا فى قلوبِهِم قد أَسْكَنَ الله وُدَّه
هُمُ نَصَرُوا دين الهُدَى بسُيوفِهِمْ كما خَذَلوا نَسْرَ الضَّلال ووَدَّه
وأولُهُمْ سَبْقًا وحيدُهُمُ حِلًى وَأَوْجَهُهُمْ عِند الإِلٰه وعنْدَه
مُقَرَّبُهُ مَحْبُوبُه مُصْطَفَاه مِنْ جميعِهِمِ لا خَلْقَ يَعْلَمُ نِدَّه
خَلِيفَتُه فى المسلمين الذى لهُ مناقبُ عُودَ الطِّيبِ تُنْسِى وَنَدَّه
مُيَمِّمُ ضُلَّالِ اليمامة غازيًا ليُرْوِى دَمًا قُضْبَ الحديد ومُلْدَه
فما سَلِمَ الكذَّاب منها رئيسُهُمْ مُسَيْلِمُ خنزيرَ الضَّلالِ وَقردَه
أقاويلُه الزُّورِيَّةُ اللَّاء قد دَجَتْ ورَأْسُ الدُّجى لا شكَّ بالنور يُشْدَه
مقاتِلِ أهلِ الرِّدَّةِ الرُّجَّسِ الأُلى نَحَوْا سدَّ بابٍ حَرَّمَ الله سدَّه
أبو بكرِ الصِّدِّيق أَصْدَق صاحبٍ وأَبذلُهُم فى نُصْرَة الدِّين جهدَه

* * *

وثانيهم الموصوفُ بالشِّدَّة التى بها دينَه قوَّى الإِلٰهُ وشدَّه
مُلاقِى خطوبِ الدَّهْر منه بعزْمَةٍ تَحُلُّ مِنَ الخَطْبِ الكريهِ أَشَدَّه
مكسِّر كِسرَى الفُرس واضع تاجِه مُقَلِّبه بالعُود يُظهِر زُهْدَه
مُقَصِّر أعمار القياصِر بالقَنَا مُدِدْنَ وبالصَّمْصَام مزَّقَ غِمْده

مُواصل أسباب الهُدَى النَّدُسُ الذى عن الحقّ ماشىء من الدَّهر صَدَّهُ
[أميرُهُمُ فاروقهمْ عُمَرُ الذى مَدَى العمرِ لم يَفْرَق من الأمر آدَه

* * *

وثالثهم ذو الهجرتين الفتى الذى شكاهَجَرَه شخصُ النَّعيم وصدَّه]
[٧٠٢] مجمِّع ما فى الذِّكْر من سُوَر ومَنْ مَتَى رُدَّ دَاعٍ قد دَعا لم يَرُدَّه (١)
[مُجَهِّز جيش العُسْرَة الفاضلُ الذى تَرَدَّى رِدَاءً غَيْرُه لم يُرَدَّه]
فذلك عثمانُ الشهيدُ بداره بسيف شقىٍّ فى لظًى يَتَدَهْدَه
أبو عمرٍو المعمورُ قلبًا بذكر مَنْ لهُ من ضروب الصَّخْرِ أنطقَ صَلْدَه
فسبّحتِ الحَصْبَاء فى كفّه كما أتى فى حديثٍ أكْثرَ الناسُ سرْدَه

* * *

ورابعهم من ألبسته يد العلا أجلّ قميص للعُلا وأجَدَّه
[ووَشّحه إيمانه وجَنانه أجَذّ حسامٍ للطُّلَى وأحَدّه]
تسمَّى لتفريق الفِقار به بذى الـ ـفِقار فما أفْرَى وأقْطَعَ حدَّه
هوالسيف لم تَجْلُ الصَّياقل صفحه ولا رَقَمَتْ أيْدِى القُيُونِ فِرِنْدَه
تزوَّجَ بنتَ الموْتِ بِكْرًا صداقُها أجَلُّ صَدَاق أحكم الحبُّ عَقْدَه
وليس سوى الأرواح أشركن بالذى براهُنَّ ما أكْلَا وعَجَّلَ نقده (٢)
ومن جنة الفردوس كان خروجُه لهذى وتلك الدار كانت مَرَدَّه
فيا عُظْمَ ما أبلى به فى مواطنٍ تُشَيِّب رأسَ الطفل لم يَعْدُ مَهْدَه
إمام هُمام قاسرٌ (٣) كل قسْوَر ومدركه لو كانت الريح نَهْدَه
به فتح الرحمٰن خَيْبَر عَنْوة وسدَّ به ما قبله لم يَسُدَّه

(١) يشير إلى مسارعة عثمان إلى الإسلام فى الوقت الذى كان الناس فيه يردون دعوة الداعى إليه. (٢) كذا فى ط ، س . وفى م : « براهن تال كل مجل وفقده » .
(٣) فى ط : « قاهر » ، وهما بمعنى .

وكان رسول الله قال لأعطينْ غدًا راية الفتح المبين وبَنْده
فتًى وَدَّه خَـــــلَّاقه وأودُّه كما ودَّنا والله يَنْصر وُدَّه
فلم يك يُعْطاها سِواه كرامةً بها اختصَّه مَنْ شَدَّ بالعَضْدِ عَضْدَه
[وقد كان مشدود المحاجر أرْمدًا ففتَّح رِيقُ الحِبِّ ما الدَّاء سدَّه
فهب هبوب الريح قسْوَرُ جحفل تولَّى به ربُّ البريَّة عضـده]
وبالباب باب الحصن يسراه ترَّست فلله منه قسور ما أشـدّه
هو الآية العظمى التى طُفِئتْ به من الـكفر ماقد أضرم الجهْلُ وَقْده
ومن كان مولاه الرسول فإنه كذلك مولاه فطوباك عبدَه
أبوه الذى رَبّى النبيَّ ولم يزل له حاميا فى السِّرِّ والجهر جَهْده
متى خاصمت فيه قريش تلقَّهم خصيمَ اللسان الهـاشميِّ مِلَدَّه
ومن قوله فيـــه يعظم شأنَه وينشر ما الرحمٰن أودعَ مجده
« وأبيضَ يُستسقَى الغمامُ بوجهه » ثمالُ يتيم كدّر اليُتْمُ وِرْده
فياحسرتَا إن مات لم يَجْن زهرة قد أبْرَزها الإيمان بالله وحده
ولـكنها الأقدارُ تنفُذ بالذى نودّ وقد تجرى بما لن نوَدّه
فينأى الذى أدْنى ويُدْنى الذى نأى وكلٌّ بعلمٍ يجهلُ العبدُ قصده
ونجلاه سبطا المصطفى السيِّدان مِن بنى المجدِ لا ضيمٌ يَنالُ مُعدَّه
حبيباه فى الدارين ريحانتاه لم يزل منهما يستنشق الوردُ ورْده [٧٠٣]
وأمُّهما من أحمدٍ بَضْـعَةٌ ومن يكن من رسول الله جُزْءا يُمَدَّه
أفاطم لم يبلغ نُصَيْفَك فاضلٌ من الخلق لم يبلغ أولو الفضل مدَّه
فيا صاح قل لا مجد يشبه مجده وصوتك مهما قلت « لا » فلتُمَدَّه
أبو الحسَنِ الأسْمَى علىُّ العُلَا الذى هو البحرُ لم تُدرِك يَدُ الجَزْر مَدَّه

* * *

وخامسُهم بحرُ النَّدَى الأسَدُ الذى ... يَبُذُّ ليوث الباس أَيْدًا وأُسْدَه
مُفَدِّى رسولِ الله بالوالدين إذ ... مَلَا قلبَه المغْسُولَ بَرْدًا وكِبده
وبشَّرَ من قد حَزَّ بالسيف رأسَه ... لئيمَ زمانٍ كان فيه وَوَغده
بنارٍ لها غيظٌ على كل قاتل ... بعَمْد فما أردَى وأشْأَمَ عَمْده
حوارِيُّه مَنْ قد حَوَى زِيُّه سنًى ... سنى العلمِ بالرحمن كان مُمدَّه
أبو عابد الله الزبيرُ الذى امتطى ... مُطَهَّمَة المجد الأثيل وجُرْده

* * *

وسادسُهم ذو الجود والسُّودَد الذى ... يعد الصدِى اللهفانَ للغوث عَدَّه
موفِّى رسول الله بالكفِّ جودُها ... يُحِلُّ من العيش المهنَّإِ رغده
فَشُلَّت وقد سَلَّت من الهند مُرْهفا ... محلًّى صقيلا أكسب الفخرَ هِنْدَه
فطُوبَى لها يُمْنَى جنتْ ثمر المُنَى ... وقد حَلَيَت قُلْبَ النَّعيم وقَلْده
[فقُلْ طَلْحةٌ ذو المجد طلحُ ثِقايةٍ[1] ... لسانُ بيان الشرع أحْكَم نضدَه]

* * *

وسابعهم ذو الفضل أقصدُ سالك ... أدلَّ طريقٍ للهدى وأسدَّه
ومُفْرِغُ قَطْرِ الزُّهْدِ يجْعَلُ بينه ... وما بين يأجوجِ الزَّخارفِ سدَّه
أميرُ أولى الإيمان عامرُهم أبو ... عبيدةَ ذو الخير الذى لَنْ نَعُدَّه

* * *

وثامنهم ذو المجد فى المال والتقى ... فلله ما أجدَى وأبْرَكَ وُجْدَه
ملا ذِكرُه بطنَ السماء ومالُه ... ملَا بَطْنَ هذى الأرض غَوْرًا ونجده
وكم بات لم يَطْعَم وأطعم غيرَه ... وقامَ ولم يَتْرُك من الجوع وِرْدَه
مُعمِّم خير الرُّسْل فاتحُ دُومَة ... كما وَدَّ خيرُ المرسلين وَوَدَّه

(١) كذا ورد هذا البيت فى ص . وفى م : « طلح تنال من » .

فذاك ابن عوفٍ مُقْلَة المجد طَرْفه أجلُّ فتًى يُثْنَى عليه وَيُمْدَه

* * *

وتاسعهم ذو الرَّمْى بالنبل والدُّعا فَمَنْ يُرْمَ مِنْ قَوْسٍ وفيه يُوَدّه
له السيرة الحُسْنَى له النَّجْدَة التى رمت فارسَ الكُفْر الصُّراح وكُرْده
فعوَّضهم من عيشهم واعْتزازهم بموتٍ وذُل يعذُب الموت عِنْده
فكَمْ فرسٍ قد راحَ أشهبَ واغتدى من الدَّم يحكى أشقر اللون وَرْدَه
وكم فارس مِن فارس بشماله عِنانٌ فقدَّت منه يُمناه قَدَّه [٠٤]
فيابْن أبى وقَّاصٍ أنك واقِصٌ من الكُفر جيلا أوجب الله طَرْدَه
ويا سعدُ يا خالَ النبى لقد سمَتْ فروعُ نِجارٍ ثابتٍ كنتَ سَعده

* * *

وعاشرُهم ذو النُّسْك كالمِسْك ذكرُه سعيدٌ ولا سعدٌ يماثل سَعْدَه
فتى المكْرُمَاتِ الأكرم الماجدُ الذى يُزَيِّنُ جَمْعَ المجْد طُرًّا وَوَفْده
سُلالة زَيْد الفخرِ أرشدِ[1] مُهْتَدٍ عن الشِّرْك جَدٌّ سابق قد أصَدَّه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يُبْعَث زيد بن عمرو بن نُفَيْل أمة وحْدَه .

* * *

ومما به أيضا حَبَا الله أحمدًا وعزَّز ذا الدينَ العزيزَ وَجُنْدهُ
ذَوُو المجد عمَّاهُ وجعفرٌ الذى ملائكةُ الرِّضوان وارَتْهُ لَحْده
فحمزة ليثُ الله لا لَيْثُ غابة يُصَادِرُه إن هاجَتِ الحربُ جُرْدَه
له الفَتَكاتُ البِيضُ سَوَّدَتِ العِدَا وزادت سَنَى بدرِ الجهاد وأُحْدَه

(١) فى م : « أول » .

وكان إذا ما قرَّبَ الطِّرْفَ وامتطى ... قَرَاهُ بريشِ الرِّأْلِ يُعْلِمُ بُرْدَهُ
ولا بُرْدَ إلّا نَثْرَةٌ عربيَّـــــة ... لأمثالها داودُ قَدَّر سَرْدَه
فَيُرْعَد منه القِرْن حتَّى كأنما ... به نافضٌ[1] قد قرَّب الروْعُ وِرْدَه
إلى أنْ أراد الله منه شَهادة ... تُبَوِّئُهُ عَدْنَ[2] الجزاء وخُلْدَه
على يد أشقى الزَّنْج راميه غَدْرَةً ... بحربتـه شَلَّ المهيمنُ زَنْدَه
فنادَى الذى قد ألحفَ الذنبُ قلبه ... بأسودَ مما ألحفَ الربّ جِلْدَه
بقتلكَ يا وَحشيُّ سامِيَ سامِها ... أصاب سوادُ الجلد حاما وَوُلْدَه

* * *

وعباسٌ العمّ الأعمُّ مَكارمًا ... تُقَصِّرُ من فخر الكرامِ أمَدَّه
أبو الخُلَفا ساقى الحجيج أجَلُّ مَنْ ... به يُصْرَفُ الصَّرْف الجليل ويُنْدَه[3]

* * *

وجعفرٌ الطَّيَّار ذو المشهد الّذى ... ملائكة الرَّحْمَى غدت فيه شُهْدَه[4]
مُحَمِّرُ رايات الهُدى بدم العِدا ... بنى الأصفر الأُسْدِ الأُلَى لم يُدَهْدَهُوا[5]
مُقَـدِّمُ يُمناه ويُسراه قُرْبةً ... إلى منزلٍ فى دار عَدْنٍ أعدَّه
وأمْسك بالعَضْدين بعدهما اللِّوا ... لواء الهُدى يَبغى من الله عَضْده

* * *

وبعدَهُمُ الأنصارُ والكلُّ أنجمٌ ... قدَ أطلعها مولاهُ تَكْلَأ مجده
بهم خُضِد[6] الإشراكُ شرْقا ومغْربا ... ولولاهمُ ما كان أعْوَصَ خَضْده !

(١) النافض : ضرب من الحمى ينتفض منه الجسم . (٢) فى م : «عدل» .
(٣) يندە : يبعد ويطرد . (٤) شهد : جمع شاهد .
(٥) لم يدهدهوا : يريد لم يهزموا .
(٦) فى م : «خمد» .

ذَوَابِلهُمْ قُضْبَان بانٍ نواعمٌ قَدَ ٱنْبَتْنَ سُوسانَ الحديد ووَرْدهُ [٥٠
تصيبُ قلوبَ الشِّرْكِ طعْنًا(١) كأنها تُحبُّ القضا الجارى فتَقْصِدُ قَصْده
وإلّا فبيْن الشِّرك حقدٌ وبينها فتطلبُ منه مَوْضِعا ضمَّ حِقْده
وأسيافهم زُرْقٌ رِقاق كأنها نِطافٌ(٢) بها قد عيَّنَ الموتُ وِرْده
ذكورٌ ويَعرُوها المَحيض كأنها إناث ولا غُسْلٌ عليهنَّ بعدَه
فيامَعْشر السادات والكلُّ منكُمُ يَرَى الصَّبْرَ فى نصر الهدى هوشَهْده
كأنَّ عُدَاة الدين زرْعٌ مُحَطَّمٌ توليتمُ بالبيض والسُّمْر حَصْده
فأقْرَرْتمُ عينَ الرسول وحَسْبُكُم بذا قُرَّةً تُهدِى إلى الطَّرْفِ بَرْده

* * *

ولله من أزواجه أُمهاتِنـــــا فرائدُ عَلْياء قَدُ ٱشْرِبْن وُدَّه
وأكْرَمُهُنَّ الدُّرَّة الفَذَّة التى بها زَيَّنَ المجـــدُ المؤثَّل عِقْده
خديجةُ ذات الجاه إن يَنْشُدِ ٱمرؤ به اللهَ فى أمر تقبَّل نَشْده
لها الأثر المحمود والأُثَر(٣) التى مَتى مرَّ عَرْف الطِّيب عنه تردَّه
بنو المصطفى ما دون إبراهِمَ الذى رَدَاهُ رِدَاء الصَّبْرِ بالثُّكْل قدَّه
بنوها وكلٌّ أَشْمُسٌ وَأَهِلَّة كواملُ رسمَ الفخر حازوا وحَدَّه
وفيها رسولُ الله قال مكرِّما خليلتها والدمع يُخْضِل خدَّه
ألا إنها كانت تزورُ خديجةً ومِنْ خُلُق ذى الإيمان يحفظ عهدَه
فبشَّرَها جبريلُ عن ربِّها بما لها الله فى دار النَّعيم أعدَّه

* * *

(١) فى م : «فيها» .
(٢) كذا فى ص ، والنطاف : جمع نطفة ، وهى الماء الصافى . وفى ط : « قطاف » ، وفى م : « مطاف » .
(٣) الأثر (جمع أثرة كغرفة) : المكرمة المتوارثة .

وعائشةُ بنتُ الحَبيب عَتِيقِ الْـــمُصَدِّق إيعادَ الرسول ووَعْده
فريدة نِسْوان الوجود مَناقبًا متى يَبلَ ذكرٌ صالح تَستجدّه
عَليمة أهل العلم شمسُهم التى جلَتْ سُدَف الجهل المُضِلِّ وسَدّه

* * *

وحَفصةُ ذات الصِّيت والمَنصب الذى هو الطَّوْد لا تَرقَى السوابقُ مَهْدَه
مُواصِلةُ الأوْراد والصَّـوْمِ دائمًا مواصَلَة القلب الموحِّد عَقْده

* * *

وفَذّةُ مخـــزومٍ جلالا مبلِّغا قَصِيّ المُنَى فى المنزلين مُعَدَّه

* * *

وزينبُ ذاتُ الطَّوْل والطُّول أنمُلاً مواهبُها تُنسِى(١) الغَمام وعهده

* * *

وزينبُ ذاتُ الفضل بِنتُ خُزَيْمَةٍ لقد وصلَتْ بالجود ما البُخْلُ جَدّه

* * *

وسَوْدة ذات السُّؤْدَدِ العِدِّ(٢) والتُّقى متى صَدَّ عن قلب تُقًى لم يَصُدَّهُو

* * *

ومَيْمونةُ الميمونة البرَّةُ التى لها الفضلُ لم تَرْقَ الفواضل نجده(٣)

* * *

[٧٠٦] وبنتُ حُيَيٍّ رَبَّة الصَّوْنِ والحيا صَفِيَّةُ مَنْ أَصْفَى لها السَّعْدُ وُدَّه

* * *

ورَمْلَة رَمْلُ الأرض يمكن عَدُّه لنا والذى خُصَّتْ به لَنْ نَعُدَّه

* * *

(١) فى ط : «تنمى». (٢) كذا فى ط ، ص . والعد : الكثير . وفى م : «الفذ».
(٣) فى ط : «مجده» .

وجارية العَلْيا جُوَيْرية التى تَقُدُّ سناما أُخْتُها لم تَقُدَّه[١]
هنا منتهى الأزواج والكل أَشْمُسٌ سناهُنَّ أسدافَ الجهالة يَشْدَه

* * *

وما رِىءَ مِنْ تِرْب لمارية التَّى هواها له لا صَرْد[٢] يُشْبِه صَرْدَه
سَرِيَّة سُرِّيَّاته أىُّ مَنْزِل يُرَقِّى[٣] من الطَّوْد الفخارىّ فِنْده
فسُرِّيَّة الإنسان تسمو بمن لها تَسَرَّى وهذا المجد[٤] تَعْلَمُ جَدَّه
وإن لم تكن أُمًّا لنا فهْىَ أُمُّ مَنْ لفِقدانه أبدى حبيبُك وَجده

* * *

حبيبى حبيبى فِطْرَةً وَشريعةً قَدَ احْكَمَتا مِنْ حَبل حُبِّىَ مَسْده[٥]
مدحتك والأزواجَ والصَّحْب والأُلَى بقُرْباك شُهْبَ الفخر أَجْرَوْا وَوُرْدَه
فعاد مُجَلِّى كلِّ فَخْرٍ قُدَامس سُكَيْتًا تولَّى القِرْدُ بالسَّوط جَلْدَه[٦]
هو المدحُ ما كرَّرتُه زَادَ طِيبُه فَيُنْسِى مَشُورَ الأَرْىِ طَعْمًا وقَنْدَه[٧]
فَصِلْه أيا فكرى لعلك بالغ من البحر ذى الماء الرَّوِىِّ العذْبِ ثَمْدَه[٨]
ولازمْ جناب المجد ذا المجد مادحا ودع جانبا هِنْد الجمال وَدَعْده
ولا تطلُبى يا نفس غيرَ شفاعةٍ ووصْلَ كريم[٩] لا أُحاذر صدّه
وعافيةٍ شُهْبانُها كلَّمَا عَرَا بلاءٌ تولَّت عن جَنَابِىَ لَهْدَه[١٠]

(١) كذا فى الأصول ، ولم نتبين معنى الشطر الثانى .
(٢) الصرد : الصافى الخالص من كل شىء . (٣) فى ط : « يلقى » .
(٤) فى ط : « الجد » . (٥) المسد : الفتل .
(٦) القدامس : الشديد . والسكيت : آخر خيل الحلبة .
(٧) مشور الأرى : العسل المجموع من الخلية . والقند : عسل قصب السكر إذا عقد .
(٨) الروى : الماء الكثير . والثمد (بسكون الميم هنا وقد تحرك) : الماء القليل .
(٩) فى ط ، ص : « نعيم » . (١٠) لهده : دفعه ورده .

وقمْعَ عُداة لم يخـــافوا إلهَهمْ فبَارَوْا ذِئابَ القَفْر ضُرًّا وعُقْده
مذاهبُهم ظلْمَ العباد فإن يَقُل لهم ناصح كُفُّوا عن الظلم يزْدَهوا
وعبدُك بالإيثـار دانَ فلم يكُن ليَخْتَصَّ دون الغَيْر بالخير وَحْدَه
فَعَمَّ بهذا الخـــير كلَّ موحِّد هواك لديه خيرُ عِلق[1] أعدَّه
وسلِّم رب العرش بدءًا وعَوْدةً عليك أيا فَذَّ الوجود وفَرْده
سلامًا يُضَاهي هَدْيَ مَنْ قد ذكرتُه[2] وتصليةً جاءتْ كذلكَ بعده

انتهى ما أردت جلبَه من كلام هـذا الإمام ، فى تمثال نعل المصطفى عليه الصلاة والسلام .

* * *

عناية الصالحين بالنعل الكريمة

قلت : وقد اعتنى الناس والأئمة بتمثال النَّعل الكريمة ، وكيف لا ، وحُقَّ على كل مؤمن أن يَفْلِيَ لمشاهدتها الفَلا ، فإذا شاهدها قبَّلها ألفا وألفا ، وتوسَّل بصاحبها إلى الله [الكريم] زُلْفَى ، ولَثَمَ تَرَاها لَثْما ، وأزاح [به] عن نفسه حُوبًا وإثما ؛ وجعلها فوق رأسه تاجا ، واستغنى بالتوسل بِمَنْ لَبِسَها فلم يَكُ إلى غابِرِ الدهر مُحْتاجا . وقد أفردها أبو اليُمْن بنُ عساكر بالتأليف ، وصنَّف فيها جزءا مُفْردا ؛ وكذلك أفردها بالتأليف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خَلَف السُّلَمِيّ ، الشهير بابن الحاجّ ، من أهل المَرِيَّة ، وكذا غيرهما[3] . [٧٠٧]

---

(١) كذا فى ط . وفى س : « عقد » . وفى م : « خلق » .

(٢) كذا فى م . ورواية هذا الشطر فى ط ، س : « سلاما يضاهى للذى مر ذكره » .

(٣) فى هامش س أمام هذا الموضع ما نصه : « وقد ألف فيها المصنف تأليفا سماه : فتح المتعال . وذكر العياشى فى رحلته أنه رأى بالمدينة تأليفا لبعض القرطبيين ، فيه نحو ٥٠ قصيدة لم يطلع عليه هذا الشيخ ، رحم الله جميعهم » .

بعض ما جرب من بركتها

ومن بعض ما ذُكِر فى فضلها ، وجُرِّب من نفعها وبركتها ، ما ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد ، وكان شيخا صالحا وَرِعا ، قال : حَذَوتُ هذا المِثال لبعض الطلبة ، فجاءنى يوما ، فقال لى : رأيتُ البارحة من بَرَكة هذه النعلِ عَجَبا ، أصاب زوجى وجع شديد كاد يُهْلِكُها ، فجعلتُ النعل على موضع الوجع ، وقلتُ اللَّهُمَّ أَرِنى بركة صاحبِ هذه النعل ، فشفاها الله لِلْحِين .

وقال أبو إسحاق : قال [محمد] أبو القاسم بن محمد : ومما جُرِّب من بركته أنَّ مَنْ أمسكه عنده متبركا به ، كان له أمانا من بَغْيِ البُغاه ، وغَلَبة العُداه ؛ وحِرْزا من كل شيطان مارد ، وعينِ كلّ حاسد ؛ وإن أمسكته المرأة الحامل بيمينها وقد أُشتد عليها الطَّلْق ، تيسَّر عليها أمرُها بحول الله وقوَّته .

لأبى اليمن بن عساكر فى مدحها

ولله درّ الإمام [الشيخ] أبى اليُمْن بن عساكر رحمه الله حيث قال :

يا منشدًا فى رسم ربعٍ خالى ... ومُناشـــدًا لدوارس الأطْلالِ
دع نَدْبَ آثارٍ وذكرَ مآثرٍ ... لأحبَّـــةٍ بانُوا وعَصْرٍ خالى
والْثِمْ ثَرَى الأثَرِ الكريم فحبَّذَا ... أَنْ فُزْتَ منه بِلثْمِ ذا التِّمثال [٧٠٨]
أثرٌ له بقلوبنا أَثَرٌ لهـــا ... شُغْل الخَلِىِّ بحبِّ ذات الخال
قَبِّلْ لك الإقبالُ نَعْلَىْ أَخْمَصٍ ... حَلَّ الهلال بهـا محلَّ قِبال
أَلْصِقْ بها قلبًا يقلِّبُه الهوى ... وجِلًا عَلَى الأوصاب والأوجال
صافحْ بها خَدًّا وعَفِّر وَجْنَةً ... فى تُرْبِهَا وَجْدًا وفَرْط تَغال
تَشْفِيكَ حَرَّ جوًى ثَوَى بجوانحٍ ... فى الحبِّ ما جَنَحَتْ إلى الإبلال
يا شِبْهَ نعل المصطفى رُوحى الفِدَا ... لمحلِّك الأسمى الشريف العالى
هَمَلتْ لمرآك العيونُ وقد نأى ... مرْآى العِيَان بغير ما إهمال
وتذكَّرتْ عهدَ العَقيق فنائرَتْ ... شوقا عقيقَ المَدْمَع الهطّال

وصَبَتْ فواصلَتِ الحنينَ إلى الذى ... ما زالَ بالِى منـه فى بَلْبالِ
أذكرتِنِى قدَمًا لها قدَمُ العُـلا ... والجودِ والمعروفِ والإفضـال
أذكرتنى مَنْ لم يزل ذِكْرِى له ... يعتاد فى الأبكار والآصال
لو أنّ خدِّى يُحْتَذَى لمِثالها ... لبلغتُ من نيل المُنَى آمالى
ولها المفاخر والمآثر فى الدُّنا ... والدين فى الأقوال والأفعال
أو أنَّ أجفانى لوطء نعالهـا ... أرضٌ سمتْ عزًّا بذا الإذلال

* * *

ولمالك بن المرحل فى مدحها

وما أحسن قصيدة نسبها الشيخ أبو إسحاق بن الحاجّ ، للأديب العلامة أبى الحَكَم مالك بن المرحَّل ، رحمه الله تعالى ، وهى [قوله] :

بوصف حبيبى طرّزَ الشعر ناظمُهْ ... ونَمْنَمَ خَدَّ الطِّرس بالنقش راقِمُهْ
رءوف عَطوف أوسعُ الناس رحمةً ... وجادت عليهم بالنوال غمائمُهْ
له الحسن والإحسان فى كل مَذْهب ... فآثاره محبوبة ومعـالمه
به ختم الله النبيين كلَّهم ... وكلٌّ فعّال صالح فهو خاتمه
أُحِبُّ رسولَ الله حُبًّا لو أنه ... تقاسمه قومى كَفَتهم مَقاسمه(١)
كأن فؤادى كلما مرَّ ذكرُه ... من الوُرْق خفّاق أصيبت قوادمه
أهيمُ إذا هبَّتْ نواسمُ أرضـه ... ومَن لفؤادى أنْ تَهُبَّ نواسمه
فأنشقَ مِسْكًا طيِّبًا فكأنّما ... نوافجُه جاءتْ به ولَطائمـه
ومما دعانى والدَّواعى كثيرةٌ ... إلى الشَّوْق أنَّ الشَّوقَ مما أُكاتمه
مِثالٌ لنعلَىْ من أُحِبّ حديثَه ... فها أنا فى يومى وليلىَ لائمه
أجرُّ على رأسى ووجهى أديمَه ... وألثِمه طوْرا وطورا أُلازمه

(١) كذا فى م . وفى ظ ، ص : « قسائمه » .

أُمثِّله فى رِجْل أكْرَم من مَشَى فتُبصِره عينى وما أنا حالمُهْ
أُحرِّكُ مِنْ خَدَّىَّ أحْسِب رَفْعَه على وَجْنَتِى خَطْوًا هُناك يداومه
ومن لى بوَقْعِ النَّعل فى حُرِّ وَجنتى لماشٍ علَتْ فوق النجوم بَراجِمه
سأجعلُه فوق الترائب عُوذَة لقلْبى لعلَّ القلبَ يَبْرُد جاحمه
وأَرْبِطُه فوق الشئون تميمةً لجَفنِى لعلَّ الجَفْنَ يرقأُ ساجمه
ألا بأبى تِمثالُ نعـــــلِ محمد لَطَاب مُحاذِيه وقُدِّسَ خادمه
يودّ هِلال الأفق لو أنه هَوَى يُزاحمنا فى لثمه ونزاحمـــــه
وما ذَاك إلا أن حُبَّ نبيِّنا يقوم بأجسام الخليقـة لازمه
سلام عليه كلما هبَّت الصَّبَا وغَنَّتْ بأغصان الأراك حمائمه

* * *

وللقرطبى فى ذلك أيضا

وللشيخ أبى بكر أحمد بن الإمام أحمد بن الإمام أبى محمد عبد الله القُرْطُبىّ فى ذلك :

ونعلٍ خَضَعْنا هَيْبَةً لبَهائها وإنّا متى نخضعْ لها أبدًا نَعْلُ
فضعْها على أعلى المفارق إنها حقيقتُها تاجٌ وصورتُها نعل
بأخْمَص خير الخلق حازت مَزِيَّة على التاج حتى باهت المَفْرِقَ الرِّجْل
مَعانى الهُدَى عنها استنارتْ لمبصر وإنّ بحار الجود من فيضها تَحْلُو
سلَوْنا ولـكن عن سواها وإنما يهيمُ بمعناها الغريبُ وما يسلو
فما شاقنا مذ راقنا رسم عِزّها حميم ولا مال كريم ولا أهـل
شِفاءٌ لِذِى سُقم رجاه لبائس أمانٌ لذى خوف كذا يُحسَب الفضل [٧١٠]

* * *

ما كتب فى بعض تماثيل النعل

ورأيت فى بعض تماثيل النعل الكريمة مكتوبا بطَرَفها [الشريف] ما نصه :

مثالُ نعل الرسولِ خُذْهُ بحُسْنِ القَبولِ
ففضلُه ليس يُحْصَى لدفع كلِّ مَهُولِ

وفى وسطها ما نصه :

أُمَرِّغُ فى المثال بياضَ وجهى فقد عَقَدَ[1] النبيُّ لها قِبالَا
وما حبّ المثال شَغَفْن قلبى ولكن حُبُّ من لَبِسَ المثالا

ورأيت مكتوبا بدائرتها ما نصُّه :

ما كان هذا المثال الكريم فى دار فسُرِقت ، ولا فى سفينة فغَرِقت ، وفيه خواصُّ عجيبة . انتهى :

* * *

ماوقع للفاكهانى حين رأى تمثال النعل

وقد حكى غير واحد أنَّ سِرَاج الدين ، سيدى عمرَ الفاكهانى شارحَ العمدة والرسالة ، لما أبصر تمثال النعال المطهّرة أغمى عليه ساعة ، ثم أنشد [حين أفاق متمثلا :

ولو قيل للمجنون ليلَى ووصلَها تريدُ أم الدنيا وما فى زواياها
لقال غبارٌ من تراب نعالها أحب إلى نفسى وأشفى لبلواها

وقد ذكر أن السِّراج الفاكهانى] لما أُحتضر أغمى عليه ساعة ، فلقّنه بعض من حضره ، ففتح عينيه وأنشد :

وَغَدَا يُذَكِّرُنى عهودًا بالحِمَى ومتى نَسِيتُ العهد حتى أُذكرَهْ

(١) فى م : « جعل » .

ثم أُدخل عليه تمثالُ النعل الطيبة ، فحين شاهدها أغمى عليه ساعة ، ثم أنشد البيتين المذكورين حين أفاق

* * *

ما قاله ابن رشيد حين رأى تمثال النعل فى دمشق

وقال الشيخ الرحّال أبو عبد الله بن رُشيد الفِهْرىّ :

لما دخلت دار الحديث الأشرفية برسم رؤية النعل الكريمة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولثمتها ، حضرتنى هذه الأبيات ، فقلت :

هنيئًا لعَيْنِي أنْ رأت نعلَ أحمدِ فياسَعْدَ جَدِّى قد ظَفِرت بمقصِدِى
وقبَّلتُها أَشْفِى الغليلَ فزادنى فياعجبًا زاد الظَّما عِند موْرِدى [٧١١]
فلله ذاك اللثمُ لَهْوَ ألذُ مِنْ لَمَى شَفَةٍ لَمْيَا وخدٍّ مُوَرَّد
ولله ذاك اليوم عيدًا ومَعْلَمًا بتاريخه أرَّختُ مولِدَ أسْعد
عليه صلاة نشرُها طيِّب كما يُحبُّ ويَرضى رَبُّنا لمحمد

* * *

ولا بدَّ أن نَرْسُم تمثالَ النعل الكريمة ، تبركا بصاحبها عليه الصلاة والسلام .

وهذه صفتها :

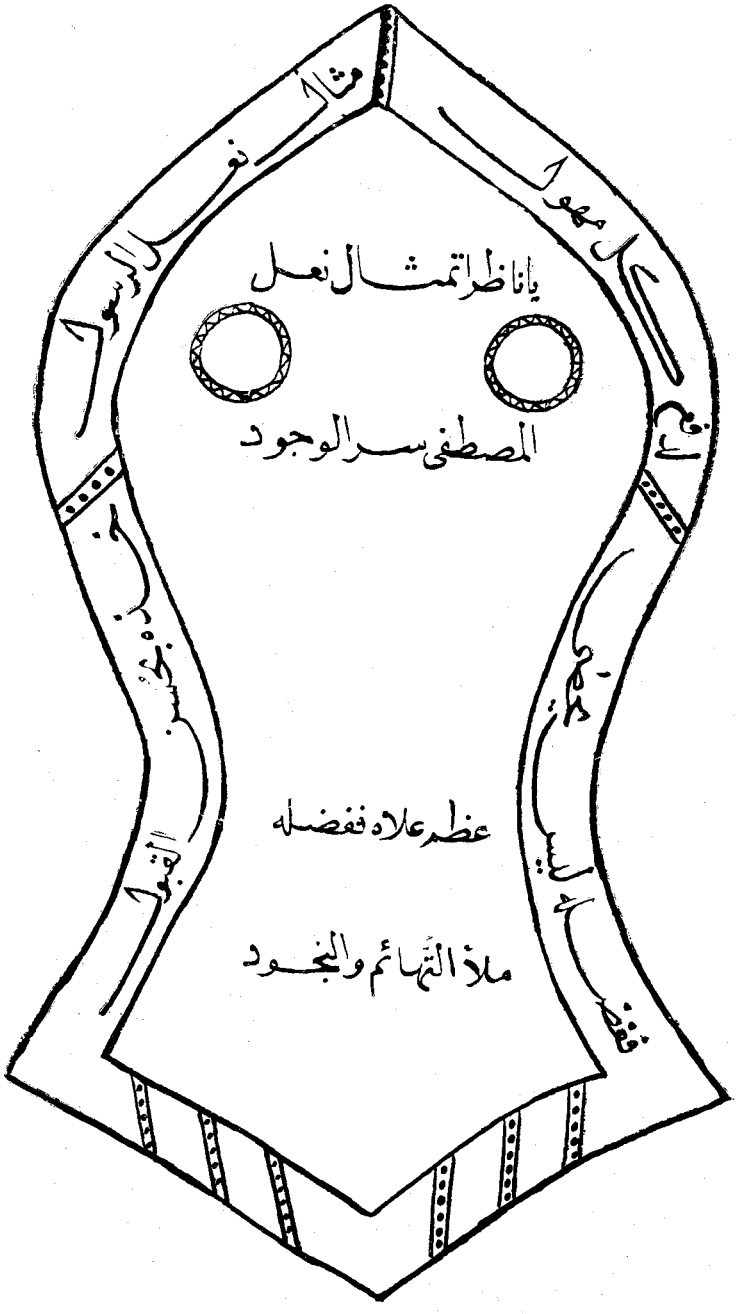

تِمثال النَّعْل النبويَّة ، فى دار الحديث الأشرفيّة بدِمشق ،
كما رسمته النسخة التَّيْموريَّة

[ما كتب فى المثال الأيمن]

وكتبتُ[١] فى داخله ما نصُّه من نظم المؤلف رحمه الله تعالى :

يا ناظرًا تِمثال نعْل المصطفى سِرّ الوجودْ
عَظِّم عُلاهُ ففضْلُه مَلأ التهائم والنُّجُود
واجعْله خير وسيلة فالله ذو كرم وجُود
صلَّى عليه اللهُ ما أحيا الحيا الروضَ المَجُود

ولغيره :

يا مُبْصِرًا تِمثالَ نعْلِ نبيِّهِ قَبِّلْ مِثال نعالِهِ مُتَذَلِّلَا
واذكر به قَدَما علت فى ليلة الْـ إسرا به فوق السموات العُلا
واخضعْ له وامسحْ جبينَكَ ولتكُنْ متبرِّكًا أبدًا به متوسِّلَا[٢]

وللمؤلف رحمه الله تعالى :

يا مُبْصِرًا تمثالَ نعلٍ قد علا طالعْ محاسنه وكن متوسِّلَا[٣]
واخْضَعْ له وامسح جبينك ولتكُنْ مُتَبَرِّكًا أبدا به مُتوسِّلا[٢]
واسأَلْ به مُتَضَرِّعًا مُسْتَمْطِرًا أَلْطَافَ رَبٍّ لم يزل مُتَفَضِّلا
فَهْوَ الوسيلة والمَلاذُ إذا عرَا خَطبٌ وأَضحى الكربُ أمرًا مُذْهِلا
فلَكَمْ أَغاثَ مَنِ استغاثَ بجاهِهِ وأَناله أقصى المَرَامِ مُسَهِّلا

(١) رسم الكاتب فى ص مثالَى النعل ، وكتب بداخلهما هذه الأشعار كلها . واكتفت م برسم أحد المثالين وفيه بعض هذه الأشعار ، وقد نقلنا صورة المثال الذى فى م . أما ط فإن الكاتب ترك موضعا خاليا للمثالين ، ولكنه لم يرسمهما ، ولم يذكر شيئا من الأشعار التى كتبت فيهما — نقول : وأكبر الظن أن ما كتب بداخل مثالى النعل ليس من عمل المؤلف ، لاختلاف النسخ فى ذلك .

(٢) هذا البيت مكرر مع البيت الثانى من مقطوعة المؤلف التى تلى هذه الأبيات . ولعله من زيادة الناسخ هنا كما تدل عليه نسخة ص . (٣) هذا البيت ساقط من ص .

يا خيرَ خلق الله دعوةَ حائرٍ لم يتخذْ إلا جنابَك مَوْئلا
صلّى عليك الله يا نور الهُدَى والآلِ والصحب الكرام ومن تلا[1]
ما حَنَّ مُشْتاقٌ لِذِكْرِكَ أو غَدَا لمثال نعلِكَ لازمًا ومُقَبِّلا[2]

وللشامىّ الفقيه من أهل العصر :

أيا ناظرًا مَتِّعْ جفونَك ساعةً بأزهار هذا الرَّوض من حيث ما تخطو
وقفْ مَوْقِفَ الإذلال لله واطْلُبَنْ بها نِعْمَةَ الرِّضوان إن راعَكَ السُّخْطُ
فلو لم تكن مقبولة عند ربنا لما كان من هذا النعال بها وَخْطُ

وللمؤلف :

يا ناظرًا تمثالَ نعْلِ المصطفى قبِّلْه ألْفَا
واجعله خير وسيلة تدنى إلى الرحمن زُلْفَى
واحفَظه فهْو ذخيرةٌ ما مثلُها فى الدهر يُلْفَى

وللشامىّ أيضا :

أيا نعلَ الرَّسولِ سَمَوْتِ قَدْرًا وفَخْرِى غيرُ خَفْىٍ لِلَّبيب
أقولُ لمنْ بحبِّى ذاب شوقا وأعْيا داؤه طِبَّ الطبيب
تنَشَّقْ مسك أنفاسى لِتُشفى بهذا الطِّيب من عَرْف الحبيب

وللمؤلف أيضا :

بِشَرَف المختار قد شُرِّفَتْ نِعَاله حتى سما ذا المثالْ
فاسأل به الرَّحمنَ جَلَّ اسْمُه فما به يُسْأَل إلا أَنال
وكيف لا يُدرِكُ مستمسكٌ بالعروة الوثقى المُنَى بالسُّؤال

(١) رواية هذا الشطر فى ص : « ما دام نعلك فى الشفاعة مقبلا » .
(٢) هذا البيت ساقط من ص .

وجاهُ خير الخلق أَعْظِم به مَلاذُنا فى حالنا والمآل
صلى عليه الله مَعْ صحْبه وآله أجلِّ صحب وآل

انتهى ما كتب فى المثال الأيمن .

[ما كتب فى المثال الأيسر]

وفى الآخر ما نصّه :

والمؤلف :

يا ناظرًا تمثال نعل المصطفى فى ذا الكتابْ
قبِّله ألفًا ثمَّ زد ما شئت[1] لا تَخْشَ العِتاب
واسأل به ربَّ الورَى سبحانَهُ حُسْنَ المآب[2]

وله أيضا مما قاله بديهة :

حاز هذا المثالُ كل المزايا إذْ حكى نعلَ رجْلِ خَيْرِ البرايا
أحمَدَ المصطفَى المَلاذ إذا ما طرَق الدهرُ أهله بالبلايا
مَلجَإِ العالَمين طُرًّا إذَا ما جُمِعَ الناس يوم تُخْشَى الرَّزَايا
خِيرةِ اللهِ ، مُجْتَبَاه ، وَمَنْ حا زَ خِلالًا حميدة وعطايا
فعليه الصلاةُ ما قبَّلَ النَّعْلَ مَشُوقٌ يرومُ مَحْوَ الخطايا

وللكاتب المكلاتى من أهل العصر ، يشير إلى هذا المثال الكريم :

انظُرْ إلى البدر وتَكْليفِه بين شِرَاكٍ يا لها من قِبَالْ
ما صار كالعُرجون من تِمّه إلّا محاكاة لهذا المثال

(١) فى ص : « إن شئت » . (٢) فى ص : « المتاب » .

وللمؤلف أيضا فى ذلك :

يا ناظرًا فى مثالِ أضحى هنـــا ذا ارْتسامِ
يحكى نعـالا تناهَتْ فى الحُسن دون مُسامى
قَبِّلْه تقبيـــلَ صَبٍّ مُوَلَّهٍ مُسْـــــتهام
وضعْه من فوق رَاسٍ تاجًا لمَفْـــرِق هام
وابسُـط له حُرَّ وجْهٍ ولا تخفْ مِنْ مَلَام
ففضْله ليس يُحصَى بنـــثرٍ أو بنظام
واحفظ علاه وصُنْه وكُنْ له ذا احـترام
أمانُ حُرْفٍ وخوف تيسيرُ كلَّ مَرام
لا يَطْرُقُ الدهر دارا غدَتْ به فى اتِّسَام
والفلكُ إن كان فيها لم يخش من هول طامى
فيـا لهـــا بركاتٍ شهيرَةً فى الأنام
وكيف لا وهو يُنْمَى للهـــاشمىِّ التِّهامى
خير البريَّة طُـــرًّا إمام كل إمام
أسخَى الخليقة كَفًّا أَرْعاهُمُ لِذِمـــام
إنسان عين المعالى وذو السجايا الجسام
عليـه أزكى صـــلاةٍ بطَيْبـة وســـلام
والصحب والآل طُرًّا والتابعـين الكرام
ما استُنْشقتْ نَسَماتٌ مِنْ عَرْف مِسْك الختام

***

انتهى ما فى النعل الكريمة ، واتصل به ما نصه :]

ولابن جابر الوادى آشى فى ذلك أيضا

ومما قيل فى النَّعل الكريمة ، قولُ الإمام المحدِّث الرَّحَّال ، أبى عبد الله [٧١٤] محمد بن جابر الوادِى آشى ، ونظَمها بدار الحديث الأشرفية من دمشق ، وقد رأى فيها تمثال نَعْل النبىّ صلّى اللهُ عليه وسلم ، فقبَّلَه وقال :

دارُ الحديث الأشرفية للشِّفَا ... فيها رأت عيناىَ نعلَ المُصطفَى
ولثَمته حتى قَنَعت وقلتُ يا ... نفسى أُنْعمى أَكفاكِ؟ قالت لى: كفى
لله أوقاتٌ وصلتُ بها المُنى ... من بعد طَيْبَة ما أجلَّ وأشرفا
لك يا دِمَشْق على البلاد فضيلة ... أيامُكِ الأعيادُ لازَمها الصَّفا
ولكمْ بجَيْرُونٍ جرَرْتُ ولم أَخَفْ ... ذيلًا وبَرْحُ هواىَ فيها ما اختفى

* * *

وللشامى الخزرجى فى ذلك

قلت : ومما أنشدنى الفقيه الأريب ، العلّامة الأديب ، الحاجّ الرّحال ، أبو الحسن صاحبنا ، سيدى على بن أحمد الشامى الخَزْرجى لنفسه ، فى تمثال النعل الكريمة ، قولُه نفعه الله بقصده ، وكتبه لى بخطه ، وكنت طلبت منه ذلك ، لأثبته فى هذا الموضوع :

دَعُواشَفَةَ[1] المشتاق من سقمها تُشْفَى ... وتَرْشُف من آثار تِرْبِ الهدى رَشْفَا
وتَلثِم تمثالًا لنعلٍ كريمة ... بها الدَّهْرَ يُستَسْقَى الغمامُ وَيُسْتَشْفَى
ولا تصرفوها عن هواها وسُؤْلها ... بعَذْلكم فالعدلُ يمنعها الصَّرْفا
ولا تَعْتِبوها فالعتاب يَزيدها ... هُياما ويسقيها مُدام الهوى صِرْفا
جَفتْها بكتْم الدمع بُخْلًا جُفونُها ... فمَنْ لامها فى اللَّثم فهْوَ لها أَجفى

(١) اكتفت م هنا بالإشارة إلى مطالع القصائد والمقطوعات التى ذكرها المؤلف لأبى الحسن على بن أحمد الشامى ومن بعده ، إلى أن وصلت الكلام بالموضوع الأصلى ، وهو ذكر من استجازه القاضى عياض ، ومنهم الزمخشرى .

لئنْ حُجِبَتْ بالبُعْد عنهم فهذه ... مكارمُهُمْ لم تُبْقِ سِتْرا ولا سَجْفا
وإن كان ذاك الخَيفُ مَوعِدَ وصلهم ... فها نَفْحَةُ الإفضال قَرَّبت الخَيْفا
وأغنت بفضل عن مشقَّة شُقَّةٍ ... نُكابد مَسْراها شِتاء يلى صيفا
فحركتِ الأشواقَ منا لروضةٍ ... أباح لنا الإسعادُ من زهرها قَطْفا
زمانا به موصـــولنا نال عائدا ... وأكَّد نَعْتُ الوصل من نحوهم عَطْفا
تولّى كمثل الطّيف إذ زار فى الكَرَى ... وإلاَّ كمثل البَرْق إذ سارع الخَطْفا
تقضَّى وما قضَّى بلُبْنَى لُبانةً ... لِقيسِ الهوَى والحبِّ منا وما استوفى
فزُلْنا وما زِلْنا نُعلَّل باللِّقا ... نفوسا وما تُجْدِى لعلَّ ولا سَوْفا
كأنَّا وما كنَّا نجوبُ مَنازِلًا [٧١٥] ... يود بها المشتاق لو رَاهَق الحَتْفا
ولم تُبصرِ الأبصار منها محاسنا ... ولم تسمع الآذان من ذِكرها هَتْفا
كذاكَ اللَّيالى لم تَحُل عن طِباعها ... متى واصلتْ يوما تصلْ قطعَها أَلْفا
فلا عيش لى أرجوه من بَعْد بُعْدِهم ... وهيهاتَ يرجو العيشَ مَن فارق الإلْفا
ويا حبَّذَا قتلٌ إذِ العيش لم تَزَل ... سيوف الهوى تَفْرِى به القلب والجوفا
ومَنْ لى بقتلٍ فى سبيل الهُدَى التى ... وُعِدْنا عليها بالجنان ومَنْ أوفى
أيا من نأت عنه ديار أحبـةٍ ... فمن بعْدِهم مِثْلى على الهُلْك قد أَشْفى
لئِن فاتنا وصلٌ بخَيف مُناهم ... فها نفحةٌ من عَرْفهم للحشا أشفى
وهاتيك أزهارُ الرياض تنفّست ... بأنفاسهم فاستَشْفِيَنَّ بهـا تُشفى
وقل للأُلى هاموا اشتياقا لِبَانهم ... هلُمّوا لِعَرْف البان نستنشقِ العَرْفا
فصفحة هذا الطِّرس أبدَتْ نِعالَهم ... وصارت لها ظَرْفا فيا حُسْنَه ظرفا
تعالَوْا تَغالَوْا فى مديح علائها ... فرُبَّ غلُوٍّ لم يَعِب ربَّه عُرفا
ولله قومٌ فى هواها تنافســـوا ... وقد غَرِفوا من بحر أمداحها غَرفا

و إنَّا و إنْ كُنا على الكُلِّ لم نُطِق ... نحاول بعضَ البعضِ من بعض ما يُلفَى
لئن قبَّلوا ألفا نَزِدْ نحن بعدَهم ... على الألف ما يستغرق العَدَّ والأَلفا
و إنْ وَصَفوا واستغرقوا الوصفَ حَسْبُنا ... نُجيل بروْض الحُسْن من وصفهم طَرْفا
ونقبِس من أنوارهم قدرَ وُسْعنا ... ونُركِض فى مِضمار آثارهم طِرفا
فمن قال بدرُ التِّمِّ أو طلعةُ الضحى ... أو الروضُ يحكيها فما أنصفَ الوصفا
فما الشمسُ إلا من محاسن ضوئها ... استنارتْ ولولاها للازَمتِ الكَسفا
وما البدرُ إلا من مشارق نُورها ... استَمَدَّ ولولاها لما فارق الخَسفا
وما طاب نشرُ الروضِ إلا لأنَّه ... يُمِدُّ مَدى الأيام من نَشْرها عَرْفا
وما اخضرَّ تُربُ الأرض إلا لأنها ... تخطَّته فاختط النباتُ به حَرْفا
فحَلُّوا بها أعلى المفارق واكْحَلُوا ... بها مُقْلَة العينين أو عطَّروا الأَنْفا
فآثارها تُبرِى الجَوَى وترابُها ... لسُقْم الحشا والقلبِ أنفعُ أو أنْفَى
لها الفخرُ أن سارت بها رجلُ من سرى ... إلى حضرة التَّقْديس والقرب والزُّلفى
ونُودِىَ لا تخلَعْ نعالك واقرُبَنْ ... وأَلْفَى بها من نفحة الحُبِّ ما ألفى [٧١٦]
وأدناه قُرْبًا قابَ قوسين ربُّه ... وناداه قُلْ تُسمع وسَل تُعْطَ عِد تُكْفى
نبيٌّ به نلنا المُنَى وتواكفت ... علينا من الرحمٰن سحبُ الرِّضا وَكْفا
تعلَّى على العلياء حتى أنَار مِنْ ... عُلاه العُلَا والغَوْرَ والنَجْدَ والخيفا
وقاتل فى إظهار أنوار دينه ... جميعَ العِدَى حتى زَوَى الضَّيمَ والحيفا
وكان إلى الهيجاء أوَّلَ سابق ... وما فارقَ العَضْب المُهَنَّد والسيفا
هَواهُ هَدَى الهادين منه إلى الهدى ... وحُبُّه أَهْدَى الوارِدَ المَوْردَ الأصفى
وآياته كالزَّهْرِ والزُّهْرِ نفحة ... وعَدًّا فمن ذا يستطيع لها وصفا
كفَتْ كَفُّه الجيشَ اللُّهَام عَن الحيَا ... وكفَّتْ جُيوشَ الكفر عن غَيِّها كفا

وردّت له الشمسُ المنيرُ شعاعُها كذا البدر بعد التمِّ صار له نِصْفا
وجودُه أجْدى من رياحٍ عواصفٍ ومن ذا يُبَارى الريحَ إن رامت العصفا
أمولاىَ يا مولاىَ يا خيرَ سيّد تسامَى على الأشباه طُرًّا مع الأكفا
نأتْ بىَ عنكم مُوبقاتٌ جنيتها وعفوكمُ من كُلِّ كُلْفٍ بها أكفى
وهأنا عند الباب راجٍ وخائفٌ دموعىَ لا ترقَا وشَجْوىَ لا يُطفَا
أناديك يا خيرَ البرية كلِّها نداء عُبَيد يَرتجى العفو والعطفا
وإنّى محق فى هوى حبكَ الذى يَفُلُّ جيوش الهمِّ إنْ أقبلتْ زحفا
وما أنا فيه كالذى قال هازلًا «أليْلَتَنا إذ أرْسَلت واردا وَحْفا»(١)
فآها لنفسى ثم آها إذا أنا طُرِدتُ ويا لهفَا أردِّدها لهفا
وواحسرتَا يا حسرتا ثم حسرتا إذا لم تكن فى موقف الحشر لى كهفا
ولكنَّ لى ظَنًّا جميلا بنسبتى لأنصاركم يا خيرَ من راقب الحِلْفا
كما أنَّ لى أيضا مُتَاتًا بمِدْحتى تعالا بها نيل العُلى والمُنى يُنَفى
أبى النظمُ يَسْتَوفى حِلاها وهل يَفِى رَوِىٌّ بآثار الهدى ألِفٌ أوْفا
عليك صلاة ما بدا بدر تِمِّكم وما اشتاق مشتاقٌ إلى وعدك الأوفى

* * *

وله فى الفرض نفسه

ومما أنشدنيه أيضا لنفسه فى ذلك قوله :

مثالُ النعل فى القرطاس خَطًّا بسُمْرِ الشَّوْق فى الأحشاء خَطَّا
ولما أن لَثَمْتُ ندَى ثَراه وغَشّى نورُه جفنى وغطَّى
شمِمْتُ الوَرْدَ من ريّاه يَنْدَى وشِمْتُ البدر من عَلياه حَطَّا
ففجَّر لى من العينين بحرا ونثَّرَ من لآلى الدمع سِمْطا [٧١٧]

(١) يريد : قول محمد بن هانئ الأندلسى فى مطلع قصيدة له :
أليلتنا إذ أرسلت واردا وحفا وبتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا

وروّى من جماد الجَفْن جسمى وأورَى من زِناد الشوق سَقْطا
وهزّ من الهوى عِطْفَ ارتياحى لأرضٍ لم تزل تزدادُ شَحْطا
وذكّرَنى معاهدَ لستُ أنسَى المَزارَ بها ولو بالبُعد شطّا
معاهدَ خيرِ من ركب المطايا وأكرمِ من خَطَا نَعْلا وأوْطا
بأخْمَص رِجْله الحسناء حازتْ مفاخرَ لم يُطِقها الوَصفُ ضبطا
سمتْ فسعتْ لها زُهْرُ الدَّرارى لتَلْثِم رُكْنَها وتَطُوفَ شَوْطا
فكلّتْ دونَها وسَطَتْ عليها ولا بِدْعا بذاك الفخر يُسْطى
فمن قال الهلالُ لها مثالٌ لعمرُ الله فى التمثيل أخطا
ولكنَّ البدورَ لها نعالٌ توَدُّ بها تُداسُ عُلَا وتُخطَى
وما طلعتْ عيونُ الشَّمس إلا لطلعتها ترومُ بها مَحَطّا
وما رقصتْ غصونُ النبت إلاّ لعَلياها تحطُّ الراسَ حَطّا
وما غنّتْ طيور الأيْك إلاّ عليها تَعتلِى الأغصانَ حَوْطا
وما حنّت حُداةُ العِيس إلاّ إليها تبتغى أثْلاً وخَمْطا
وما هبّتْ نسيمُ المِسك إلا لريّاها تنال بذاك خَلطا
ولوْ يوما تخطّتْ أرضَ جدْب لما أُلفَتْ بها فى الدهر قَحْطا
يحقُّ لنا نعظّمها جلالا ونربطُ طِرْسَها بالقلب ربطا
وننتعل الوجوه بها جمالا ونجعلها على الآذان قُرْطا
وتَعتصب المَفارقُ من ثَراها وتكتحل العيونُ بذاك شَرْطا
نعفّر وَجْنةً فيها وخَدًّا ونَخْضِب من سواد الرأس شَمْطا
ونُنشد من يعاتب فى هواها «إليك خبطتُ من عشواء خبطا»
ودعنا والهوى إنّا أُناسٌ يَزِيد غرامُنا بالعَتْب فَرْطا

وإنا معشرَ العُشَّـــاق ممَّن يَرَى جَوْرَ النَّوَى والبعْدِ قِسْطا
ونقْنَع بالخيـــال مدى الليـــالى وإن طال التَّباعُد أو تشـطَّا
ولا سِيَّا المثالُ وقد تَبـدَّى يَجُرُّ عَلَى عُلَا الجوزاء مِرْطا
وما نَعْلاً نريد ولا مِثـالًا ولـكن من بهـا العَلْيا تخطَّى [٧١٨]
نبيٌّ إن أتيتُ إلى حِماه وجدتُ سماحة فى الخُلْق بسْطا
أتى والدينُ أصبح فى انقِباضٍ فعاناه إلَى أن نالَ بَسْطا
وقاتلَ فى سبيل الله حتى أزالَ عن الورى قَنْطا وضَغْطا
وعمَّتْ دعوةٌ منـــه وغمَّت بآيات الهدى فُرْسا وقِبْطا
فطـــوبَى للَّذى لبَّى سريعا ويا ويلَ الذى عن ذاك أبْطا
سما لسما العَـــلاءِ فنال قرْبا وهمَّ بنعـله نَزْعا وكَشْطا
ونُودىَ طَأْ ولا تخلع نعـالا وأبدِلْ من مَقام الرَّوْع بسْطا
وأيَّدَهُ الإله برُوح قُدْسٍ ومَدَّ له من التقديس بسطا
وعَظَّمَه على الأرســـال طُرًّا ونَظَّمه بذاك العِقْد وُسـطى
هُناك حَبَاه فرضا من صـلاة بها عَنَّا الذنوب تُصيب حَبْطا
وسـدَّده إلى أن جاء موسى وردَّدَه إليـــه يَروم حَطَّا
إلى أن صـير الخمسين خمسا وأبقى أجرها والإصْرَ حَطَّا
وأعطاه الشـفاعة يومَ حشر يقول أنا لها والناس قَنْطَى
وتَعْجِزُ دونها الأرسال طُرًّا وتأتى الناسُ سِبْطا ثم سِبْطا
إذِ الجبَّار يبرُز بانتقـــام ويُبْدِى للوَرَى غَضَبًا وسُخطا
فيُدْنيه ويلهمُه بفضـــل محامدَ مثلَها ما قطُّ أعْطَى
ومهما رام يشرَع فى سـجود ويضرَع بالدُّعا ويخِـرّ هَبْطا

يُنادَ ارفع تُطَعْ واشْفَع تشفَّعْ وقل يُسْمعْ وسل ما شئتَ تعطَى
فيَحْظَى بالمراد قريرَ عينٍ بما أولاه تَكْرِمةً وغَبْطا
ويَصدُر شافعًا فى كلِّ عاصٍ مُصِرّ دَنَّسَ الأعمال وَخْطا
ويُخْرِجُ مَن له أدنى نَوَاةٍ من الإيمان والنيران فَرْطا
جزاه الله عنا كلَّ خير وحاط به ديار الدين حَوْطا
ولا زالت صلاة الله تترَى عليه ما بدا بدر وغَطَّى
تَفوح وخَتْمُها مِسْك عبيق يَعُمّ عبيرُه آلًا ورَهْطا

* * *

وللشامى أيضا فى النعال مكملا ما سقط من كلام ابن فرج السبتى

وأنشدنى أيضا لنفسه فى ذلك ، مكمِّلا ما سقط من الحروف من كلام ابن فرج السَّبتى المتقدم الذكر قولَه جاريا على طريقتِه : [٧١٩

قافية الواو

وقفتُ على تمثال نعلٍ كريمةٍ فأحيتْ برسم الشوق منِّىَ ما أقوَى
وأيقنتُ أنِّى إذ ظَفِرْتُ بلَثْمِهَا تمسَّكتُ فى أُخْرايَ بالسبب الأقوى
وناديتُها يا نعلُ عُذْرًا فإننى على مَدْح بعضٍ من معاليكِ لا أقوى
وطِئْتُ رُبوعا للهدى ومغانيا عُلَاها على الرضوان أُسِّس والتَّقوى
ولامستُ رجْلا لو يطاوِعُ تُرْبُها ثُرَيَّا السما شَدَّت لتقبيله حِقْوا

قافية لام الألف

لآلِى نعالِ المجد أهْلا بها أهلَا وشُكْرًا لأنْ كُنَّا لتقبيلها أهْلَا
لآلِى رسُولٍ مَسَّها جلْدُ رِجله بها وِرْدُ فَخْرٍ يَعْذُبُ العَلَّ والنَّهْلا
لآدمَ هـذا الفخرُ أيضا لأننا بذى النعل أُنْقِذْنا الغَوايةَ والجهلا

لأُقسمُ يا من لَامَ فيها عليكَ لا تعذِّبْ بتَعْذَالى[1] ومهلا به مهلَا
لأنِّى غريقٌ فى هوَى حُبِّهَا وكم مُحِبٍّ يرى التعذيب فى حُبِّها سهلا

قافية الباء

يودُّ لسانى أن يؤدِّىَ مَدْحها نعالا فيُعْيينى عُلاها وحَرْف الْيَا
يؤدِّى ولكن لا يُطيقُ كمالَهَا ولو أنَّهُ يَفْلِى بيان الورَى فَلْيا
يَمِينًا وإنِّى فى يمينىَ صادقٌ لَحِلْيَتُها صِيغتْ من الجنَّة العُليا
يواقيتُ سرِّ الكون والجودِ رُصِّعَت بها وطأةُ التقديس فانتظمتْ حَلْيا
يُوَارِى عُلا رجلٍ عَلَى من مشى بها سلامٌ مَدَى ما أزداد من ربه وَلْيا

* * *

وأنشدنى أيضا لنفسه فى ذلك قوله : وله فى ذلك أيضا

هـذى نعالُ أحمدِ مولَى المقام الأحمدِ
فاشكُرْ أخى إذ شِمْتَ من بَرْق سناها واحمَد
واكْتَحِلَنْ بتُربهـا فهو شفاء الأرْمَد
وارشُفْ ثَرَاها إنَّه يَجلِى صدا القلب الصَّدى
والْمِسْ بَهَاءَ طِرْسها تَنَلْ كمال المقصِد
واقبِسْ سَنًى مِن[2] نورها فهْىَ سراج المهتدى
كم من إمام أمَّها وبِهداهُمُ أقتـد
[٧٢٠] وضمَّها لصدره ضمَّةَ ذى تَوَدُّد
لها خصالٌ جمة تُرْبِى على التعدّد
من لم تزل فى بيته يحظَى بعيش رَغَد

(١) كذا فى ط ، ص . وفى هامش ص : « بتفنيدى » . وفى م : « بتقنيطى » .
(٢) فى الأصول : « سناء نورها » . ولعله تحريف عما أثبتناه .

يُضْحِى ويُمْسِى آمنا فى كل يوم أو غدِ
لا يَمْتَرِى فى فضلها سوى غَبِىٍّ أَوْغَد
أو جاهلٍ بقـــدرها أو جاحد أو مُلْحِد
كم أبرأتْ من عِلة من كل داء مُجْهِد
وكم أبانت منْ هُدًى بنـــورها المؤيَّد
وكم أبادَتْ من عِدًى بسيفها المُهَنَّـــد
وكم أجارت من حِمًى بركنها المُشَـــيَّد
فهْىَ أمان خائف وهْى رجاء القُصَّـــد
وهْى عماد المُلتجِى وهْىَ مَراد الرُّوَّد
بالغ أخى فى مدحها واشْدُدْ بأَزْرى واعْضِد
وانسُب لها ما شئت من فخر ولا تُفَنِّـــد
وقف هنا هُنَيهـة وقْفَةَ صَبٍّ مُسْعِد
وانهَض إلى تقبيلها نَهْضَةَ خِلٍّ مُنْجِد
وقل إذا قبَّلتَهـا مقـالة المستنجـد
يا أكرم الخلْق الذى قد حاز كل سودُد
يا مصـطفَى آثارُه بها الأنام تهتـدى
ويا مُجِـير خائفٍ من كل سوء يَعْتدى
ويا مجيبَ سـائل إذا أتاه يجتـدى
عُبَيْـدُكُمْ ببابكم حيرانَ ذا تَرَدُّد
وَافى عُـلَاكَ تائبًا منْ ذَنْبـه المعدَّد

يَرفعُ من مديحه إلى عُلاك الأمْجَد
عقائلا تُنْسَق من دُرٍّ ومن زَبَرْجَد
تَحْكِى عُقود جوهر أقسامُها من عسجد
فامنُن له بعَطْفة من فضلك المجَّد
ونَهْلَة من حَوْضك العذْب اللذيذ المَوْرد [٧٢١]
ووَقفةٍ بروْضك الغَضِّ النَّدِى المُوَرَّد
وزَوْرَةٍ لقَبْرِك المَرضِى الزَّكِىِّ المَاْحَد
وأَوْبةٍ له عسى يكون ثَمَّ مَرْقدى
صلى عليك الله ما بدَا ضياء الفرقد
والآلِ والصحب الأُلى فازوا بكل الأسْعُدِ
ومن أتى مِنْ بعدهمْ من كُلِّ حَبْرٍ أوْحَد
ومَنْ تلاَ جميعَهم ما زُمَّ ركبٌ أو حُدى
ورُدِّدَتْ من مُنشدٍ هذى نعالُ أحمد

* * *

وله فى ذلك أيضا

وأنشدنى أيضا لنفسه فى ذلك الغرض :

نعالٌ بها يُشْفَى العليلُ من الجَوَى وتُجْلَى بها عنه المصائبُ والبلوَى
هى البرء إلا أنَّ شُربَ دوائها لذائقه أحْلى من المَنّ وَالسَّلوى
هلموا نُقبِّلْ تُرْبَها فعسى به نُخَمِّدَ جَمْرا من لظاها الحَشَى تُكوى
فرُبَّ عليل جاءه من طبيبه بشير فخفَّتْ عنه من حِينه الشكْوَى

* * *

وله يضا

وأنشدنى أيضا لنفسه فى ذلك :

أتتْ شمس السماء تحُطُّ رَاسًا ... لهذى النعلِ من دون النعال[1]

وتلثِم تربَهـا ذُلًّا لتَحْظَى ... بما رامته من رُتب المعالى

فقال لها الهلالُ وقد رآها ... أتخضـع لا محالة للنعـال؟

فنادته أبْتَـدِرْها لا تؤخر ... فيَفْتَضِحَ المُعـالِى بالمَعالى

* * *

وله مخاطبا المؤلف راغبا فى إثبات هذه المنظومات فى أزهار الرياض

[وخاطبَنى فى هذا الغَرض ، مشيرًا إلى إثبات هذه المنظومات التى سمحت بها قريحته ، فى هذا الموضوع :

أَمُفْتِىَ فاسٍ زَنْدُ شَوْقِىَ قد وَرَى ... بخير الوَرَى فانقاد طَوْعَ عِنان

وهبَّتْ صَبَا نَجْدٍ فهَاجَت صَبَابتى ... وَساعَدَ بَلْبَالى بيانُ بَنانى

وصالتْ على أوصال فكرى فأقلعت ... عرائِسُ غَرْسٍ من جِنانِ جَنَانى

وقدْ ذَوَتِ الأغْصان وانْتَثَرتْ بهـا ... أزاهِرُها تَحْكِى نَثِير جُمان

وهذا أَوَانُ الغَرْس جودوا بنقلها ... لروْضِكُمُ تَحْظَى بنيْـل أَمان]

* * *

ولْنرْجع بعد هذا المقدار إلى ما كنا بصدده ، فإن مثل هذا الغَرض لا سبيل لحصر عَدَدِه ، فنقول :

[بين القاضى عياض والزمخشرى]

عياض والزمخشرى

ومِمن استجازه القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله ولم يجزه :

الزمخشرىُّ صاحب الكشاف ، سامحه الله .

---

(١) فى ط ، ص : « انتقال » ، وفى هامش ص : « انتعال » ، ولعلهما محرفتان عما أثبتناه .

وسمعت غير واحد ممن لقيته يُخْبِر أنَّ القاضِيَ عِيَاضا لمّا بلغه امتناع الزَّمَخْشَرِيّ من إجازته قال : الحمد لله الذى لم يجعل عليَّ يَدًا لمبتدِع أو فاسق ، أو نحو هذا من العبارات ، والله أعلم .

[٧٢٢] وإمامة الزَّمَخْشَرِيّ فى العلوم معروفة ، ولكن أَعِنَّة القلوب إلى من بيده التوفيق وضدُّه مصروفة . ولا بُدَّ منَ الإلمام ببعض أحوال هـذا الرجل ، الذى اختلفت فى أمره الآراء وآنس من جانب البيان والنحو نارا ، وأنكر الحقّ وقد وضح نهارا ، وذكر بعضهم أنه تاب ويأبى ذلك تصريحُه فى كشَّافه بما خالف السنة جهارا ، فإنه لو صحّ ذلك لمحاه ، أو أشهد على نفسه بالرجوع عما قصده فيه وانتحاه ؛ وكثير من الأئمة أَغْضَى عَنِ اعتزاله ، وانتفع بكشَّافه مع مع قطع النظر عن موضع التهمة واختزاله .

[بين الحافظ السلفى والزمخشرى]

استجازة الحافظ السلفى الزمخشرى

وممن استجازه[1] فأجازه الإمام الحافظ أبو الطّاهر السِّلَفِيّ الأصبَهانى ، المتقدم الذكر ، رحمه الله ، فإنه خاطبه فى ذلك بما نصُّه بعد البسملة :

إنّ رَأَى الشيخ الأجلّ العالِم العلاّمة أدام الله توفيقه ، أن يُجيز جميع سَماعاته وإجازاته ورِواياته ، وما ألَّفه فى فُنون العلم ، وأنشأه من المقامات والرسائل والشعر ، لأحمدَ بن محمد بن أحمد السِّلَفِيّ الأصبهانىّ ، ويذكرَ مولدَه ونَسَبه إلى أعلى أبٍ يعرفه ، ويُثْبِتَ كلَّ ذلك بخطه تحت هذا الاستدعاء ، مضافا إليه ذكر ما صنَّفه ، وذكرُ شيوخه الذين أخذ عنهم ، وما سَمِع عليهم من أمهات المهمات ، حديثا كان أو لغةً أو نحوا أو بيانا ، فَعَلَ مُثابا ؛ وإن تمَّمَ إنعامه بإثبات أبيات قصار ، ومقطوعات فى الحِكَم والأمثال والزهد وغير ذلك ،

(١) الضمير هنا يعود على الزمخشرى .

من نظمه ومما أنشده شيوخُه من قِبَلِهم أو من قِبَلِ شيوخهم ، بعد تسمية كلّ منهم ، و إضافة شعره إليه ؛ والشرطُ فى كلّ هذا أن يكون بالإسناد المتّصِل إلى قائله ، كان له الفضل ؛ وكذلك إن صحبه أَصْحَبَهُ بشيْءٍ من رواياته ، أَنْعَمَ بكَتْبِ أحاديثَ عاليه ، والله تعالى يوفقه ، و يُحسن جزاءه ، و يطيل لنشر العلم والإفادة بقاءه . [٧٢٣]

ويَعْلم وفقه الله أنه قد وقَع إلينا كتاب من يعقوبَ بن شرين الجَنَدى رحمه الله ، وفيه قصيدة يَرْثى بها البُرهانَ البُخَارىّ ، والحاجة داعية إلى معرفة اسمه ونسبه وضبطه ، هل هو ابن شرين «بالسّين المهملة» ، أو المعجمة ، وكذلك الجَنَدِىّ « بفتح الجيم والنون » أو « ضم الجيم و إسكان النون بعدها » .

والحمد لله حَقَّ حَمْدِه ، وصلواته على سيدنا محمد نبيّه وعبده ، وعلى آله وصحبه أجمعين من بعده .

رسالة الزمخشرى للحافظ السلفى

فكتب إليه الزَّمخشرىُّ بما نصُّه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أسأل الله أن يُطيل بقاءَ الشيخ العالم ويُديمَه لعلم يَغُوص على جواهره ، و يفْتُق الأصْدافَ عن ذخائره ، و يُوَفِّقَهُ للعمل الصالح الذى هو مَرْمى أغراض أولى العقل ، ومطمَحُ أبصار المرتكضين إلى غاية الفضْل ؛ ولقد عَثَرْتُ من مَقَاطِر قلمه ، على جملة تنادِى على غزارَة بحره ؛ وتَطَّبى القلوب إلى التزيُّن بسُموط دُرِّه . وأما ما طَلَب عندى ، وخطب إلىّ من العلوم والدرايات ، والسَّماعات والروايات ، فبنات خَلَعْتُ على تربيتهن الشَّباب ، ثم دفنتهن وحَثَوْت عليهن التُّراب ، وذلك حين آثَرْت الطريقة الأُوَيْسِيَة[1] على بُنَيَّات الطرائق[2] ، وأخذت نفسى برفض الحُجُب والعوائق ؛ ونقلت كتبى كلَّها

(١) كذا فى ط ، س . وفى م : «الأوسيه» .

(٢) كذا فى م . وفى ط : « بنيات الطريق » وفى س : « بنات الطريق » .

إلى مَشْهد أبى حنيفة رحمه الله ، فوقفتها ، وأصفرتُ منها يدى ، إلا دفترا واحدا قد تركته تميمة فى عَضُدِى ؛ وهو كتاب الله المبينُ ، والحبلُ المتين ، والصراط المستقيم ؛ لأهَبَ لما قَعَدْت بصَدده كُلِّى ، وأُلْقِى عليه وَحْدَه كَلِّى ، لا يَشْغَلُنى عنه بعضُ ما يجعل الرأى مشترَكا ، ويردُّ القلبَ[1] مُقْتَسما ، ولُذْت بحرم الله المعظم ، وبيته المحرَّم ، وطلَّقْتُ ما وَزَرَنى بَتّا ، وكَفَفْتُ ذيلى عنه كَفْتا ، ما بى هم إلا خُوَيْصَّتِى ، وما يلهينى إلا النظر فى قِصَّتى ، أنتظر داعىَ الله صَبَاحَ مَسَاء ، وكأنى به وقد امتطيتُ الآلة الحَدْباء ؛ قد وَهنَتِ العِظام ، ووَهَت القُوَى ، وقلَّت الصِّحة ، وكثُرَ الجوَى ، وما أنا إلا ذَماء يتردد فى جَسَد ، هو هامة اليوم أو غد ، فما لِمثلى وليس[2] له من الآخرة شىء . ولقد أجزتُ له أن يَرْوِى[3] . [٧٢٦]

محمود الخُوارزمى [ثم] الزمخشرىّ ، منسوب إلى قرية منها ، هى مسقط رأسى ، ولبعض أفاضل المشرق :

فلو وَازَنَ الدنيا ترابُ زَمَخْشَرٍ ... لأنَّكَ منها زاده الله رُجحانا

وللشريف الأجل الأمام عُلَىُّ بن عيسى بن حمزة بن وَهّاس الحَسَنِى :

جميع قُرى الدنيا سِوى القرية التى ... تبوأَها دارا فِدَاء زَمَخْشَرَا
وأَحْرِ بأَنْ تُزْهَى زَمَخْشَرُ بامرىء ... إذا عُدَّ فى أُسْدِ الشَّرَى زَمَخَ الشَّرَى
فلولاه ما طنَّ البـــلادُ بذكرها ... ولا طارَ فيها مُنْجِدا ومُغَوِّرا
فليس ثَناها بالعـــــراق وأهلِه ... بأعرفَ منه فى الحجاز وأَشْهَرَا

ومن المقطوعات التى اخترعتُها من قِبَلِى :

ومَرُوعةٍ بمشيب رأسىَ أقبلَتْ ... تبكى فقلتُ لها ودمعىَ جارِى

(١) هنا فى ط ورقة بيضاء فيها صفحتا ٦٢٤، ٦٢٥ والكلام بعدهما متصل بما قبلهما .
(٢) فى الأصول : « وما ليس » . ولعل لفظة « ما » زائدة من الناسخ .
(٣) انقطع الكلام هنا فى الأصول . ثم استؤنف بعد على هذا النحو .

هذا المشيب لهيبُ نارٍ أَوْقَدَتْ ... فى القَلْب مَوْقِدَهَا حِذَارَ النَّار

أخرى :

إليكَ إلهى المُشْتَكَى نفسَ مشته ... إلى الشرّ تدعونى عن الخير تنهانى
وما يشتكى الشيطانَ إلا مُغَفَّلٌ ... أَلَا إنّ نفس المشتهى ألفُ شيطان

أخرى :

شكوتُ إلى الأيام سوءَ صنيعها ... ومن عجبٍ باكٍ تشكّى إلى المُبكى
فما زادتِ الأيامُ إلا شكايةً ... ومازالت الأيام تُشْكى ولا تُشْكِى [٢٢٧]

أخرى :

مَسرةُ أحقاب تلقيتُ بعدها ... مَساءة يومٍ أريُها شَبَهُ الصَّابِ
وكيف بأن تَلْقَى مَسرةَ ساعة ... وراءَ تَقْضِيها مَسَاءةُ أَحْقَاب.

أخرى :

الخَوض فى دُوَل الدنيا يَلِجُّ[1] بكمْ ... كأنها لُجَجٌ خَوَّاضها لَجِجُ
كم خلَّصَت لُجَجُ البحر الرجالَ وما ... أقلَّ من خلَّصته هذه اللُّجَجُ

أخرى :

مبالاة مِثلى بالرزايا غَضاضةٌ ... أباها وثيقُ العُقْدَتين حَصِيفُ
إذا أقبلَتْ يوما علىَّ صُرُوفُها ... لأنيابها فى مِسْمَعَىَّ صَرِيف
عِتابٌ لها حتى أشُقَّ نحورَها ... أسِنَّةُ عَزْم حدُّهنَّ رَهِيف
يُمَسِّحْن أركانى وهُنّ قوافلٌ ... صفًا صاراتُ النَّبْل عنه مُصِيف[2]

(١) فى ط ، ص : «تلج» ، ولعله محرف عما أثبتناه .
(٢) الصفا : الحجارة الملس . وصاردات النبل : السهام التى لم تنفذ . والمصيف : الذى صرف شره .

والقاضى أديب الملوك أبو إسماعيل يعقوب بن شرين الجَنَدىّ ، أفضل الفِتيان فى عصره ، وأعقلهم وأذكاهم وأدهاهم ، وكان كاتب سُلطان خُوارَزم ، فاسْتعفى ، وهو يكتب باللسانين العربيـة والفارسية ويُحْسن ، وهو ممن رَبَّيْت وخَرَّجْت وبَلَّغْتُ تلك الذِّروة ، وهو أوثقُ سهم مِن كنانتى .

والحمد لله أولا وآخرا ، والصلاة على نبيه محمد وآله الطيبين .

* * *

استجازة الحافظ السلفى الزمخشرى مرة ثانية

ثم إن الشيخ السِّلَفِىّ عاوده الاستجازة فى السنة الثانية من إسكندرية ، كأنه ما وصلته إجازته[1] ، فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . المسئول من كرم الشيخ الأجل العلّامة ، أدام الله بهجتَه ، وحَرَس مُهجتَه ، أن يجيز لأحمَد بن مُحَمَّدٍ السِّلَفِىّ الأصبهانى ، جميع مسموعاته ومجموعاته ، فى جميع الفنون ، ويُثْبِتَ بخطه أساميَها تحت هذا الخط ، ويضيف إلى ذلك ذكر شيوخه الأعلام ، الذين أخذ عنهم الحديث واللغـة ، ويذكر جُمَلا مما سمعـه عليهم ، ويُتَمم تفَضله بإثبات[2] أحاديثَ قِصار ، من [٧٢٨] رواياته عنهم ، وكَتْب شىء من شعر من رآه وأنْشده من قِبَله ، بعد المبالغة فى التعريف به ، ولا يذكر من الأبيات إلا القصار ، التى تصلح لأصحاب الحديث ، ويُتَصوَّر إخراجها فى الأمالى وأواخر الفوائد ؛ ويذكرَ مُتفَضِّلا مَوْلِدَه ، والسنة التى ولد فيها ، فالحاجة داعية إلى كل ذلك ، ويُبَين ذكر المؤتَلف والمختلف ، الذى ألَّفه ، فى أىِّ فن هو ، وعلى أى شىء يحوز ؟ أعَلى ذكر الفقهاء أو الأدباء

(١) صرح ابن خلـكان فى ترجمة الزمخشرى بأنه أجاب الحافظ السلفى بما لا يشـفى الغليلَ ، فـكتب إليه فى العام الثانى مع الحجاج استجازة أخرى من الإسكندرية ، وكان الزمخشرىّ مجاورا فى مكة .

(٢) فى الأصول : « بأبيات » ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .

أم أهل الحديث ؟ ولا يُخْوِج أدام الله توفيقه ، إلى المراجعة ، فالمسافة بعيدة ، وقد كاتبه فى السنة الماضية ، ولم يجبه بما يَشْفِى الغليل ، وله فى ذلك الثَّواب الجزيل ، إن شاء الله تعالى ، و به الثقة .

رد الزمخشرى على الحافظ السلفى بالإجازة الثانية

فأجاب فخر خُوارَزم بما نصُّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

ما مِثلى مع أعلام العلماء ، إلا كمثل الشُّهَا مع مصابيح السماء ، والجَهَام الصُّفْر والرِّهام[1] ، مع الغَوادى الغامرة للقيعان والإكام ، والسُّكَيْت الخَلَّف مَعَ خيل السِّباق ، والبُغاث مع الطير العِتاق ، وما التلقيب بالعَلَّامة ، إلا شِبه الرقْم بالعَلَامَة ، كما قال بعض العرب وقيل له لِمَ سُمِّيَت نعامةْ : الأسماء عَلَامهْ ، وليست بكرامهْ ، ولو كانت كرامة لاشترك الناس فى اسم واحد . والعِلم مَدينه ، أحد بابيها الرِّوايه ، والثانى الدِّرايه ، وأنا فى كلا البابين ذو بضاعة مُزْجاه ، ظِلّى فيه أقلصُ من ظِلّ حَصَاه ؛ أما الرِّواية فحديثة المِيلاد ، قريبة الإسناد ، لم تستَند إلى عُلماء نحارير ، ولا إلى أعلامٍ مشاهير ؛ وأما الدِّرَاية فَثَمَد لا يبلغُ أفواها ، وبَرْضٌ لا يَبُل شِفاها ، ولا يغرَّنكم قول الوزير مُجير الدولة :

وجَوَّلتُ فِكْرى فى البلاد فلم يَقَعْ على رَجُلٍ فى علمه غير راجل [٧٢٩]
إلى أن جَرَى الطيرُ السَّنيحُ فدلّنى على فخر خَوارَزْمٍ[2] ورأس الأفاضل

ولا قول المنتخب محمد بن أرسلان :

وما ناصرُ الإسلام إلا ابنُ بَجْدَةٍ يحيط بعلمٍ لا يُحيط به الوَرى

(١) كذا فى معجم الأدباء لياقوت . والذى فى الأصول : « والجهام الصفر من الرهام » .
(٢) قال ياقوت فى معجم البلدان : « خوارزم : أوله بين الضمة والفتحة ، والألف مسترقة مختلسة ، ليست بألف صحيحة ، هكذا يتلفظون به » .

أبو القاسم المحمودُ محمودٌ الذى به تفخر الدنيا وناهيكَ مَفْخَرا

ولا قول الشريف الأجل ذى المناقب ، أبى الحسن عُلَىّ بن حمزة بن وَهّاس الحسنىّ المَدنىّ

— قال أحمد المقرّىّ وفّقه الله :

هو عُلَىٌّ « بضم أوله وفتح ثانيه » ابن عيسى ابن حمزة بن وَهّاس الحسَنى العَلَوِىّ ؛ وقيل إنّ الكشّاف برسمه صنعه الزمخشرىّ ، رحم الله الجميع — :

رجع الى قول[1] الزمخشرى :

وكَمْ للإمام الفَرْد عندىَ مِنْ يَدٍ وهانيكَ مما قد أطابَ وأكثَرَا

أخِى العَزْمة البَيْضاء والهِمّة التى أنافت به عَلّامةِ العصْر والوَرَى

جميعُ قُرى الدُّنيا سِوَى القريةِ التى تَبَوّأها دارا فِداه زَمَخْشَرَا

وأحْرِ بأن تُزْهَى زَمَخْشَرُ بامرئٍ إذَا عُدّ فى أُسْدِ الشَّرَى زَمَخَ الشَّرَى

فلولاه ما طَنَّ البلادُ بذكْرِها ولا طارَ فيها مُنْجِدًا ومُغَوِّرا

فليسَ ثَناها بالعِـــراق وأهله بأعرفَ منه فى الحجاز وأشْهَرا

إمامٌ فَلينا مَنْ فَلينا وكلَّمَا[2] طبعناهُ سَبْكًا كان أنْضَرَ جَوهرا

ومكةُ راووق الرجالِ فهاكهُ مُصَفًّى وخُذْ مَنْ شئت منهم مكدَّرا

رسا طودَ تقوَى فاض بحر فضائل فكمْ أذلّ أطوادا[3] وغيّض أبحُرا

وتحت عَلاق الصدق سرٌّ مطهر يُمِدّان دينا كالمَجَرّةِ نَيِّرا

(١) فى س « كلام » . ويظهر أن الكلمة مقحمة من الناسخ ، فليست القصيدة الآتية من كلام الزمخشرى ، وإنما هى لابن وهاس كما قال الزمخشرى نفسه .

(٢) فى ط : « إمام قبلنا من قبلنا وكلا » . وفى س : « إمام قلبنا من قلبنا وكلا » . ولعله محرف عما أثبتناه .

(٣) فى ط : « ذل أطوادا » . وفى س : « ذل أطواد » ، ولعلهما محرفان عما أثبتناه .

فلولا سماءٌ أشمستْ ثم أقمرتْ كَفَى بمعاليــه شموسا وأقمُرَا

ولا قوله رحمه الله :

لقد شجنى فى أم رأسىَ عزْمُهُ فأصبحتُ من عزم الإماء أميما
تمنَّيْتُ لو لم أَلْقَــهُ وجَهِلْتُهُ ولم يخش [قلبى] بالفراق كُلوما
فديت امرأً يحشو الفؤادَ فِرَاقُه كُلُومًا ولُقْياه حَشَــتْه علوما
وكائِنْ رأينا من أولى العِلم والتُّقَى رجالا أناخوا بالحجاز قُرُوما
فأَحْمَد أُسْتاذُ الزمان ضياءهم وكان وكانوا شارقًا ونجوما [٧٣٠]

ولا قوله رحمه الله :

أتى حَرَمَ اللهِ العظــيم مُجاورا فللّٰهِ ما أَدْنَتْ جَمالٌ وأَينُقُ
فَمِنْ حوضه عَبَّتْ ظِماءُ ذَوِى النُّهى فآبَتْ رِوَاءً وَهْوَ مَلآنُ يَفْهَقُ

ولا قول العميدىّ رحمه الله :

ولو وازن الدنيا ترابُ زَمَخْشَر لأنَّكَ منها زادهُ الله رُجْحانا

ولا قول بعض فتيانها المجيدين :

دعَوْكَ بِجــارِ اللهِ واللهُ عالم بأنك جار الله حَقًّا كما وَجَبْ
لَعَمْرى لقد فاضتْ وَأَنْت مُفيضها على حَرَم الله الصنائع والقُرَب
رَقَبْتَ ذِمام الله فى كل مُؤْمنٍ وواسيْتهمْ بالعلم طُرًّا[1] وبالنَّشَب
وأنت الإمامُ الزاهدُ الوَرِعُ الذى أبيتَ اغترارا باللُّجَيْن والذَّهَب
وإنك لَلْعَــلَّامة الجامع الذى جمعْتَ أَفانين العُلوم إلى الأدب
وما نَصر الإسلامَ غيرَكَ أَهْله وإن طار فى أعلى المنازل والرُّتب
ومَنْ طَالَعَ التفسـير أيقن أنَّه مِنَ الفَلَكِ الأعْلَى أتى ذلك اللَّقَب

(١) كذا فى ص . وفى ط : « طورا » .

وإنك أستاذُ الزّمان وكلُّهم تلامذةٌ جاثون صُغْرًا على الرُّكَب
وسَمَّتْك إذ فرَّقْتَ فى كل بلدة جَواهرَ علم شيخَها العُجْمُ والعَربْ
فما لِخُوارَزمَ التى أنت فخرها عَلَتْهَا الثُّرَيّا إنَّ ذَاكَ منَ العَجَب

ولا قول ابن القُرْطبى :

قَسَما[1] بَلِّغْ تحيـــــاتى إلى شيخنا العـلّامَةِ الحَبْر العَـلَمْ
ليس قُسٌّ عنـــده قُسًّا ولا سِيبَوَيْهِ الشهمُ[2] يَدْرِى ما الكَلِم
أىُّ آدابٍ وعـــــلْم وتُقًى منـه فارقْتُ وحلم وحِكَم
قُلْ إذا ما الدهر أمسى عابسا إنَّ محمودا لكَ ابنٌ يَبْتَسِم
لو جَعلتَ اليمَّ حِبْرًا والفَـلا مُهْرَقا كانت معـاليه أَطَم
إن مِنْ جَرَّاهُ لولا المصـطفى كنتُ فضَّلْتُ على العُرب العَجَم
كل موجود سواهُ حيثُ لمْ أَرَ ذاكَ الفضلَ فى عَيْنِى عَدَم

ولا قول الخطيب الموفَّق :

[٧٣١] لسانُك غَوَّاص ولفظك لُؤْلُؤٌ وفكرك بحر للفضائل طامِى
لسانٌ يَوَدُّ الحاسدون لوَ أنَّهُ سِنانُ قناةٍ أو غِرارُ حُسَام

ولا قوله أيضا :

أَفَخْرَ خَوارَزْمَ مالى عنك مُنْحَرَفُ ما دامَ يختلفُ الأنوارُ والسُّدَفُ
أَلَسْتَ أنتَ الذى خَوَّلْتنى نِعَمًا تُطْوَى وتُنْشَرُ فى تَعدادها الصُّحُف
ألست أنت الذى أوليْتَنى رُتبًا بفضْل رِفعتها الإيوانُ يَعْترف
ألست أنت الذى مِن وَرْد نعمتـه وورْدِ حكمته أَجْنِى وَأغتَرِف
أعداؤك اسْتَسْرَفونى من جَهالتهم فى وصْفها وهْى عندى فوقَ ما أصف

(١) كذا فى ط . وفى ص، م : «منعما» . (٢) كذا فى ص ، ط و فى م : «الشيخ» .

ولا قول أديب الملوك يعقوب بن شرين الجَنَدىّ :

فتى سار فى الآفاق رُكبانُ ذِكرِه ... مغرِّبة طَوْرًا وَطَوْرًا مُشَرِّقَهْ
إذا حلّ فى أرض أتاه فُحُولها ... تُفيدُ عُلوما حولَهُ متحلِّقَه
وإن خاض فى شرح العلوم رأيتَها ... لفَرْطِ احتشامٍ من مَعاليه مُطرِقَه
فليس له فى كل شرقٍ ومغربٍ ... نظيرٌ بنو الدنيا على ذاك مُطْبِقَهْ

ولا قول البديع الخوارزمىّ :

أمكةُ هل تدرينَ ماذا تضمنت ... بمقدَمِ جارِ اللهِ منكِ الأباطحُ
به وإليه العِلْمُ يَنْمِى ويَنْتمِى ... وفيه لأرباب العُلوم المناجح
محَطُّ رِحال الفاضلين فلم يزلْ ... يَحُطُّ إليه الرَّحلَ غادٍ ورائح
إذا انتابه صِفْرُ الوِطَاب رأيتَه ... تحوَّلَ عنه وهْو ملآنُ طافح
نمَتْه الكرام الغُرّ من خير أُسرةٍ ... هُمُ قدوة الدنيا الكُهول الجَحاجح
أدِلّاء ضُلّالِ البَرايا جِبَاههم ... مصابيح رُهْبَانٍ فَدَتها المصابح

فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموّه ، وجَهْل بالباطن المشوّه .

ولعلّ الذى غرّهم منى ما رأوْا من النُّصْح للمسلمين ، وبليغ الشفقة على المستفيدين ، وقَطْع المطامع عنهم ، وإفاءة المبارّ والصنائع عليهم[1] ، وعزة النفس ، والربء بها عن الإسفاف للدَّنِيّات[2] ، والإقبال على خُوَيْصَّتى ، والإعراض عما لا يعنينى ، فجَلَلْتُ فى عيونهم ، وغَلِطوا فىَّ ، ونسبونى إلى ما لستُ منه فى [٧٣٢] قَبيلٍ ولا دَبير .

(١) عبارة معجم الأدباء لياقوت : « وقطع المطامع ، وإفادة المبار والصنائع » .
(٢) عبارة ياقوت : « والربء بها عن السفاسف » . ولفظ « السفاسف » مما أنكره اللغويون .

وما أنا فيما أقول بهاضمٍ لنفسى ، كما قال الحسن رحمه الله فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقولهِ « وَلِيتُكُمْ ولَسْتُ بخيْرِكُمْ » : إن المؤمن لَيَهْضِمُ نفسَه ؛ وإنما صَدَقْتُ الفاحصَ عَنِّى ، وعن كُنْه رِوَايتى ودِرَايتى ، ومَنْ لَقِيتُ وأخذت عنه ، وما مَبلغ علمى وقُصَارَى فضلى ، وأطلعتهُ طِلْع أمرى ، وأفضيت إليه بخبيئة سرّى ، وألقيت إليه عُجَرِى وبُجَرِى ، وأعلمته نَجْمِى وَشَجَرِى .

وأما المولد فقريةٌ مجهولة من قرى خُوَارَزْم ، تسمَّى زَمَخْشَر ؛ وسمعت أبى رحمه الله يقول : اجتاز بها أعرابى ، فسأل عن اسمها واسم كبيرها ؛ فقيل له زمخشَر والرَّدَّاد . فقال : لا خير فى شرّ وردّ ، ولم يُلْمِمْ بها .

ووقت الميلاد شهر اللهِ الأصم فى عام سبع وستين وأربع مِئة .

والحمد لله المحمود ، والمصَلَّى عليه محمدٌ صلى الله عليه وسلم . انتهى .

* * *

تعليق للمؤلف على كلام الزمخشرى

قلت : وإنما أوردت ذلك مع ما فى بعضه من الغُلُوّ ، وعدم التأدب مع الشرع فى بعض الألفاظ ، كى تعلم فضلَ أهل السُّنَّة رضى الله عنهم ، حيث انتصروا على مَنْ هذه صفتُه على زَعْمِه ، بالحجج البالغة ، وكَسَرُوا أُمَّ رأسهِ ورأس شيعته بالحجارة الدامغة ؛ ولم يُغن عنه شىء من اعتقاد هؤلاء الغُلاة فيه ، ولم تنفعه ألسنتهم التى تأتى بالباطل فى صورة الحق ، وتستقصى مطلوبها وتستوفيه ، اللهم إلا أن يكونوا غيرَ عالمين باعتقاده ، فلهم عُذْر عند اعتراض المعارض وانتقاده ، وأيًّا ما كان فقد هَدم أهلُ السنة رضى الله عنهم له ولأحزابه أساسا ، وكلما حمَى حَوْزَته البِدْعِيَّةَ كُلَيْب من شيعته قيَّض الله له جَسَّاسا ، فظهر الحقُّ وأهله ، وارتفع غَىُّ المبتَدِع وجهله .

* * *

من بديع نظم الزمخشرى

ومن بديع نظم الزمخشرىّ المذكور قولُه :

هو النَّفسُ الصَّعّادُ عن كَبِدٍ حَرَّى ... إلى أن أَرَى أُمَّ القُرَى مرّةً أُخرَى [٢٣

سَرَيْتُ بشخصى لا بنفسى وهِمَّتِى ... وهيهات ما للأخشَبَينِ والمسْرَى

مُقيمان عند البيت ما ذَرَّ شارقٌ ... مُنيخانِ بالبطحاء ما ذكَتِ الشِّعْرَى

[وله من قصيدة :

مَليحٌ ولكنْ عندَهُ كُلُّ جفوةٍ ... ولم أرَ فى الدنيا صفاءً بِلَا[1] كَدَرْ

ولم أُنْسَ إذ غازلتُه قربَ روضةٍ ... إلى جنب حوضٍ فيه للماء مُنحدَرْ

فقلتُ له جئنى بوَرد وإنما ... أَرَدْتُ به ورد الخُدود وما شَعَرْ

فقال انتظِرْنى رجْعَ طرفٍ أجِئْ به ... فقلت له : هيهات ، ما لىَ مُنْتَظَرْ !

فقال ولا وَرْدٌ سِوَى الخَدِّ[2] حاضرٌ ... فقلت له إنى قَنَعْتُ بما حَضَرْ]

وقوله :

إذا التصقتْ بالبحث فى العلم رُكْبَتِى ... برُكْبَةِ نِحريرٍ على الجِدِّ دَأّبِ

فإن دام لى عونُ الإلٰه على الذى ... أُعانيه من فضلٍ وَبِرٍّ وأداب

وإن نظرتْ عينى على الودّ والصفا ... مع البِرِّ والتقْوَى نواظر أحباب

فقل لملوك الأرض يَلْهوا ويلعبوا ... فذلك لَهْوى ما حييتُ وتَلْعابى

وقوله أيضا :

أربعةٌ للدين أركانُ ... حُبُّهُمُ يُمْنٌ وَإيمانُ

أربعةٌ أوَّلُ أسمائهم ... عَيْنٌ وَهُمْ فى الناس أعيان

عتيقُ والفاروق والمُجْتَبَى ... منهم وذو النُّورَيْن عثمان

* * *

(١) كذا فى ابن خلكان ؛ وفى م : « ولا » وهو تحريف . ولم ترد المقطوعة فى ط ولا س . (٢) كذا فى ابن خلكان ؛ وفى م : «مر» وهو تحريف .

ما ذكره عنه السيوطى فى بغية الوعاة

قال السيوطى فى الطبقات الصغرى ما نصُّه :

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشريّ ، أبو القاسم ، جارُ الله ؛ كان واسع العلم ، كثير الفضل ، غاية فى الذكاء وجودة القريحة ، متفننا فى كل علم ، معتزليًّا ، قويا فى مذهبه ، مجاهرا به ، حَنَفِيًّا .

ولد فى رجب سنة سبع وستين وأربع مئة ، وورد بغداد غير مرّة ، وأخذ الأدب عن أبى الحسن على بن المظفّر النَّيْسابوريّ ، وأبى مُضَر[1] الأصبَهانى ، وسمع من أبى سعد الشَّقّانى[2] ، وشيخ الإسلام أبى منصور الحارثى ، وجماعة ؛ وجاور بمكة ، وتلقَّب بجار الله ، ونخر خوارزم أيضا . وكتب إليه الحافظ السِّلَفىّ يستجيزه . وأصابه خُرّاج فى رجله ، فقطعها ، وصنع عِوَضها رجْلا من خشب ، وكان إذا مَشى ألقى عليها ثيابه الطِّوال ، فَيظن من يراه أنه أعرج .

[٧٣٤] وله من التصانيف : الكشّاف فى التفسير ؛ الفَائق فى غريب الحديث ؛ المفصّل فى النحو ؛ المقامات ؛ المستقْصَى فى الأمثال ؛ ربيع الأبرار ؛ أطواق الذهب ؛ صميم العربية ؛ شرح أبيات الكتاب ؛ الأنموُذَج فى النحو ؛ الرائض فى الفرائض ؛ شرح بعض مُشكِلات المفصّل ؛ الكلِم النوابغ ؛ القِسطاس فى العروض ؛ الأحاجىّ النحوية ؛ وغير ذلك .

مات يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة .

أسندنا حديثه فى الطبقات الكُبْرَى ، وتكرر فى جمع الجوامع .

---

(١) كذا فى معجم الأدباء وهوالصحيح . أبو مضر ، محمود بن جرير الضبى الأصبهانى . وفى ابن خلكان : « أبومضرمنصور » . وفى الأصول : « أبى نصر » وكلاهما غلط .

(٢) كذا فى معجم الأدباء . والشقانى (بفتح أوله وتشديد القاف) : نسبة إلى قرية من قرى نيسابور . وفى الأصول : « الشقاق » . وفى بغية الوعاة : « الشفانى » وكلاهما تحريف .

وله :

إن التفاسيرَ فى الدنيا بلا عَدَدٍ ... وليس فيها لعَمْرى مثلُ كَشَّافى
إن كنتَ تبغى الهُدَى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشَّاف كالشافى

انتهى كلام السيوطى .

تعريف ابن خلكان به

وقال ابن خَلِّكان فيه ما نصُّه[1] :

محمود بن عمر بن محمد الخُوارَزْمىّ الزمخشرىّ ، أبوالقاسم الإمام ، له الكتب فى التفسير ، والحديث ، والنحو ، واللغة ، وعلم البيان . إمام عصره غيرَ مُدافَع ، تُشَدُّ إليه الرِّحال فى فُنونه ، وصنف التصانيف الشريفة ، منها الكشَّاف ، لم يصنَّف قبلَه مثلُه ؛ والمفصَّل فى النحو ، وغير ذلك . وسافر إلى مكة ، وأقام بها مُجاورا زمانا ، فصار يُقال له جارُ الله لذلك ، وكان هذا الاسم عَلَما عليه ؛ وكانت إحدى رجليه ساقطة ، وكان[2] يمشى فى جارِن خشب ؛ وسبب سقوطها أنه أصابه فى بعض أسفاره ببلاد خوارَزم ثلج و برْد شديد ، فسقطت رجله ، وكان بيده مِحْضَر ، فيه شهادة خلق كثير ممّن اطّلعوا على حقيقة ذلك ؛ خوفا من أن يُظَنَّ [به] أنها قُطِعَت لريبة ؛ وقيل إنه سئل عن قطع [سبب] رجله ، فقال : دُعاء الوالدة ؛ وذلك أنى فى صباىَ أمسكت عُصفورا ، ور بطت خيطا فى رجله ، فأفلَتَ من يدى ، فأدركته وقد دخل فى خرْق ، فجَذَبته ، فانقطعتْ رجله [فى الخيط ، فتألمتْ والدتى لذلك ، وقالت قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله] . فلما دخلت إلى بخارَى لِطَلب العلم ، سقطتُ عن الدابة ، وانكسرت الرِّجل ، وعَمِلَتْ عَلَىّ عملا أوجب قطعها .

[٧٣٥]

وكان الزمخشرىّ مُعْتَزِلِىّ الاعتقاد ، متظاهرا به ، وكان إذا قصد صاحبا

(١) بين ماتقله المؤلف هنا وما فى نسخة ابن خلكان طبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠ هـ خلاف فى بعض العبارات .

(٢) فى الأصول : «وإنه كان» ولفظة «إنه» زائدة هنا .

له ، واستأذَن عليه فى الدخول ، يقول له : أبو القاسم المعتزلىّ بالباب .

وأولَ ما صنفَ الكَشاف كتب استفتاح الخطبة : « الحمد لله الذى خَلَقَ القرآن » ، فقيل له : متى تركتَه على هذه الهيئة ، هجره الناس ، ولا يرغب أحد فيه ؛ فغيره وقال : « الحمد لله الذى جعل القرآن » ، وجعل عندهم : بمعنى خلق . ورُئى فى كثير من النسخ : «الحمد لله الذى أنزل القرآن » ، وهذا إصلاح الناس ، لا إصلاح المصنف .

ومن شعره يَرْثى شيخه أبا مُضَرَ محمودًا[1] :

وقائلةٍ ما هـــــذه الدُّرَرُ التى تَسَاقَطُ من عَيْنيك سِمْطَيْن سِمْطَيْنِ
فقلت لها الدُّرُّ الذى كان قد حشا أبو مُضَرٍ أُذْنى تساقَطَ من عَيْنِي

وأنشد فى كتابه الكشاف لبعضهم[2] :

يا مَنْ يَرَى مَدَّ البَعوضِ جَنَاحَهَا فى ظُلْمَةِ الليـل البهيم الأَلْيَلِ
ويَرَى عُروق نِياطها فى نَحْرِها والمخَّ فى تلك العِظام النُّحَّل
اِغْفِرْ لعبد تاب من فَرَطاته ما كان منه فى الزمان الأوَّل

ويُرْوَى أن الزَّمَخْشرىَّ أوصى أن تُكْتَب هذه الأبيات على لوْحِ قبره .

وقال غيرُ ابن خَلِّكان فى البيت الأخير :

أُمْنُنْ علىَّ بتوبةٍ أمحو بها ما كان منى فى الزمان الأوّل

وهذا لا يناسب الكَتْب على لوْح القبر ، وإنما يناسبه ما رَوَى ابن خَلِّكان ، فتأمله .

---

(١) كذا فى معجم الأدباء لياقوت ، وهو الصواب . وفى الأصول تبعا لابن خلكان : «منصورا» وهو غلط من ابن خلكان ، أو من النساخ . (انظر الحاشية رقم ١ صفحة ٢٩٥ من هذا الجزء) .

(٢) نسب ابن كثير فى البداية والنهاية هذه الأبيات لأبى العلاء المعرى .

ثم قال ابن خَلِّكان : وحدَّث بعض الأصحاب أنه رأى بجزيرة سواكنَ تربةَ ملكها عزيز الدولة رَيْحان ، وعلى قبره مكتوب :

[٧٣٦] يأيُّها الناس كان لى أملٌ قصَّرَ بى عنْ بلوغه الأجَلُ
فلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ رَجُلٌ أمكنه قبلَ موته العمل
ما أنا وَحْدى نُقِلْتُ حيث تَرَى كلٌّ إلى ما نُقِلْتُ ينتقل

تُوُفِّى الزَّمخشرىّ ليلة عَرَفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة .

انتهى كلام ابن خَلِّكان .

* * *

إلمامة به لابن غازى

وقد تقدَّم[1] فى التأليف الذى نقلناه عن [الشيخ] ابن غازى رحمه الله ، بعض إلمام بحال الزمخشرىّ سامحه الله .

* * *

للزمخشرى يمدح كتاب سيبويه

ومن نظم الزمخشرىّ قوله يمدح كتاب سيبويه رحمه الله :

أَلَا صلّى الإله صلاةَ حقٍّ[2] على عمرو بن عُثمان بن قُنْبَرْ
فإنَّ كِتابه لم يَغْنَ عنه بنو قلَم ولا أبناء مِنْبَرْ

[بين الزمخشرىّ وأهل السنة]

ما أنشده فى الكشاف لبعض المعتزلة فى ذم أهل السنة

وأنشد الزمخشرىّ فى كشَّافه لبعض العَدْلية ، يعرِّض بأهل السنة والجماعة المُفْلِحين ، ويَنْصُر مذهبَه الفاسد :

لَجَماعةٌ سَمَّوا هَوَاهمْ سُنَّةً وجَماعةٌ حُمُرٌ لَعَمْرِى مُوكَفَهْ[3]

---

(١) فى صفحتى (٧٧ ، ٧٨) من هذا الجزء .

(٢) فى بغية الوعاة للسيوطى : « صدق » .

(٣) الإكاف والوكاف : برذعة الحمار ، يقال آكف الحمار ، فهو مؤكف بالهمز ، وأوكفه فهو موكف ، بالواو بدل الهمز .

قد شبّهوه بخلقهِ وتخـوّفوا شُنَعَ الورَى فتستّروا بالبلْـكَفَهْ(١)

* * *

ما رد به عليه أهل السنة

وقد تصدّى للردّ عليه من أهل السنة رضى الله عنهم جمٌّ وافر ، وأبْدَوْا ما يؤيد مَذهَبَهم الظافر ، وتركوا المبتدع يَحُكّ رأسه بغير أظافر .

لابن المنير فى الرد على المعتزلة

ولنذكر الآن ما حضرنا من ذلك ، كقول صاحب « الانتصاف من الكشّاف » ، وهو ناصر الدين بن المنيِّر الإسكندرانى ، رحمه الله تعالى :

وجماعة كفروا برؤية ربِّهمْ هـذا ووعدُ الله ما أنْ يُخْلِفَهْ
وتلقّبُوا عَدْليَّـة قلنا أجَلْ عَدَلوا بربهمُ فحسْبُهُم سَـفَهْ
وتلقّبوا النـاجين كلّا إنّهُم إنْ لم يكونوا فى لَظَى فعلَى شَفَهْ

وله أيضا فى ذلك

وكقوله أيضا ، أعنى صاحب الانتصاف :

عجبا لقـوم ظالمين تلقّبوا بالعدل ما فيهمْ لعَمرىَ مَعْرفَهْ
قد جاءهم من حيث لا يَدْرُونه تعطيلُ ذات اللهِ مع نفىِ الصِّفَهْ

وللشيخ عمر الكونى فى ذلك الغرض

وكقول الشيخ الإمام أبى علىّ عمرَ بن محمد بن خليل السّكونى الأصولىّ رحمه الله :

[٧] سمّيتَ جهلا صَدرَ أُمّةِ أحمد وذَوِى البصائر بالحَمِيرِ المؤكَفَهْ
ورميتَهُم عَنْ نَبْعَةٍ سَوّيتها رَمْىَ الوليد غدا يمزّق مُصْحَفَهْ
وزَعَمْتَ أنْ قدْ شبّهوهُ بخلقهِ وتخوّفوا فتستروا بالبلْـكَفَه
نَطَقَ الكتاب وأنت تنطق بالهوَى فهُو الهُوِى بك فى المَهاوِى المُتْلِفَهْ
وجَب الخَسارُ عليك فانظر مُنْصِفا فى آية الأعراف فهْىَ المُنْصِفَهْ

(١) البلـكفة بوزن الفلسفة : مصدر مولد منحوت من قول المتكلمين : « بلا كيف » ، لقول أهل السنة فى رؤية البارى تعالى : تجوز رؤيته بلا كيف ، أى لا تعلم حال تلك الرؤية ولا وسيلتها ، فرارا من القول بالتشبيه والتجسيم .

أترى الكليمَ أتى بجهلٍ ما أتى وأتى شيوخُك ما أتَوْا عن مَعْرِفَه

وللقاضى عمر ابن عبد الرفيع فى ذلك

وقول القاضى أبى على عمر بن عبد الرفيع :

جَوْرِيَّةٌ وتلقّبَتْ عَدْليَّةً وعن الصواب عدولُها للسَّفْسَفَهْ
نَفَوُا الصفاتِ وعَطّلوا وتمجّسوا ويُكابِرون وشأنُهم جلْبُ السَّفَه

هكذا وُجِد بخط الإمام أبى عبد الله بن مَرزوق ؛ ورأيته بخط بعض الأصحاب : « وشأنهم حال السفه » ، والأمر فى ذلك قريب .

وللأجمى فى ذلك الغرض

وقول الإمام القاضى أبى عبد الله محمد بن على الأَجمِى التُّونسىّ ، قاضى الأنكحة ، رحمه الله تعالى :

لَهَوَاتِفٌ هَتَفوا وظنُّوا هَتْفَهُمْ عَدْلا لقدْ بلَغُوا النهايةَ فى السَّفَهْ
زعموا بأنّ الذاتَ قامَ بغيرها صِفَةٌ وفيها أوجبوا حكم الصِّفَه
خَرقوا سياجا شاده سَلف الهُدى وتمذهبوا بمذاهبٍ مُسْتَنْكَفَه
وأنى الأخيرُ العُمْر من أتباعهم يَبْغِى الحِجَاجَ مُعَرِّضا بالبَلْكَفَه
أعنى الخُوارَزمىّ ذَا الصَّلَف الذى لم يَتّئِدْ من جَهْله بالمعرفه
بل تاه فى بَيْدَا الجَهَالة مُعْرِضًا كحمار وحْشٍ فى مَهَامِهَ مُتْلِفَه

وليحيى بن منصور التونسى فى ذلك

وقول الفقيه أبى زكرياء يحيى بن منصور التونسىّ ، قال الشيخ ابن مرزوق رحمه الله : وفى جوابه تعريض بجواب الأَجمى فوقه :

عجَبا لحَبْر فى البلاغة ذائقٍ عِلْمَ الفصاحة فَرْدَهُ وَمُؤَلَّفَه
جمَعَ المعانِىَ والبيانَ مكَشِّفًا أسرارَ قرآنٍ بأكمل مَعْرِفه
وأضلّه الله العظيمُ فراغَ عنْ سَنَن الصَّوَاب وحادَ عنْه وحرَّفه
فأَحَقَّ قدرةَ حادثٍ وأحال رؤ يةَ وَاجبٍ أو أن تكون له صِفَه
ما ذاكَ إلا فعلُ قهّار به قومٌ ذوو رَشَد وقومٌ فى سَفَه

واللهَ أسألُ رحمـــةً لجميعنا ودخولَنا فيمن حياه وشرّفه
متوسّلين بأحمدٍ خيرِ الورَى صلى عليه الله ما نطقت شَفَه

واليفرنى فى ذلك

وقول الفقيه أبى محمد عبد الواحد اليَفْرَنِىّ :

قل للذى جمع النِّظام وخلَّفَهْ مِنْ بعدِه لك موعدٌ لَنْ تُخْلَفَهْ
أثبتَّ عَدْل جماعةٍ فى جَوْرِهِمْ والجَوْرَ أثبتَه لهم نفىُ الصِّفَه
ستكونُ من تلك الجماعة يومَ هم حُمُرٌ لغَىٍّ أو لكَىٍّ مُوقَفَه

ولابن عرفة فى ذلك

وقول شيخ الإسلام أبى عبد الله بن عَرَفة رحمه الله :

لَحُثالةٌ سَمَّوْا هواهُمْ مَعْدَلًا وحُثالة[1] حُمُرٌ لِكَىٍّ مُوقَفَهْ
قد شَبَّهوهُ بالمُحَالِ وعَطَّلوا وتَستَّرُوا بالذَّاتِ عنْ نفْىِ الصِّفَهْ

قوله : «قد شبهوه بالمحال» أى لقولهم : «عالِم لا بِعِلْم» ، ونفى العلم يستلزم أن يكون مُحالا . هكذا أُلْفِى فى بعض المقيَّدات ، والله أعلم .

ولابن مرزوق التلمسانى فى ذلك

وقول خطيب الخُطباء الرئيس الحاجب ، الفقيه المحدِّث الرَّحّال ، سيدى أبى عبد الله بن مَرْزوق التلِمْسَانىّ ، رحمه الله تعالى :

وجماعةٍ عُرِفَتْ لَعمرىَ بالسَّفَهْ وتمسَّكَتْ بضلالِ أهل الفلسَفَهْ
عَدَلَتْ عن النهجِ القويم فلُقِّبَتْ عَدْليَّة وعُدُولها عن مَعْرِفَه
ضَلَّتْ وقالت لن يُرَى ربُّ الورَى يومَ الجزاءِ فَألزمتْ نفى الصِّفَه
هذا وكمْ من زلّةٍ زلّتْ وكم من مَذْهبٍ ذهبت به فى مَتْلَفَه
[وكذاكَ أسْلَمَتِ الأمور لنفسها هيهاتَ تنقذ نفسها من مُتْلِفَهْ]
كيف السبيلُ لصَرْفها عن غَيِّها والعدلُ يَمنَع صَرْفها والمعرفَهْ

وقال سعد الدين التَّفْتازانى رحمه الله ، عند ذكر البيتين اللَّذَيْنِ أنشدهما

(١) كذا فى ط ، ص ، ولعله تحريف .

الزمخشرىّ [ما نصه] : ولقد عُورض ما أنشدَه وأنشأه من الهَذَيان . قال الإمام المحقّق محيي السنّة ، قامع البدعة ، كامل الدين المظفر ، ردًّا عليهم : ولكامل الدين المظفر فى ذلك

لَجماعة كفروا برؤية ربهم ... ولقائه حُمُرٌ لعَمْرِىَ مُوكَفَه
هُمْ عطَّلُوه عن الصِّفات وعطَّلوا ... عنه الفِعال فيا لها من مَنْكَفَه
هم نازعوه الخَلْقَ حتى أشْرَكُوا ... بالله زُمْرَةَ حَاكَةٍ وَأَساكِفَه [٧٣٩]
هم غَلَقُوا أبواب رحمتــه التى ... هى لا تزال على العُصاة مُوَكَّفَه
ولهم قواعدُ فى العقائد رَذْلَةٌ ... ومذاهبٌ مجهولةٌ مُسْتَنْكَفَه
يبكى كتابُ الله من تأويلِهِمْ ... بدُموعه المنهــلّة المُسْتَوْكَفَه
وكذا أحاديث النــبىّ دُموعها ... منهم على الخَدَّيْن غير مَكَفْكَفَه
فالله أمطَرَ فى سحاب عذابه ... وعِقابه أبدا عليهم أوكَفَه

انتهى كلام السعد ، رحمه الله .

وقال الطّيبىّ رحمه الله : وأجابه بعض أهل السنة بقوله : ابن المنير الاسكندرى من أهل السنة

عجبا لقوم ظالمين تســـــتروا ... بالعدل ما فيهم لعمرى معرفه

... البيتين ؛ وقد تقدم أنهما لصاحب الانتصاف ، حَسْبما صرح بذلك الإمام ابن مرْزوق ، فبان أنه المعنىُّ بقول الطّيبىّ : أجابه بعض أهل السنة ، والله أعلم .

قلت : وقد رأيت بتِلِمْسَان بخط الفقيه أبى عبد الله محمد بن الحدّاد الوادِى آشِى ثم الغَرْناطىّ ، نزيل تِلِمْسان رحمه الله ، جوابا بديعا جدًّا ، للشيخ الإمام ابن الجبير اليَحْصُبىّ ، أحد أعلام المتأخرين بالأندلس ، ونقلتُه من خطه الحسن ، وهو: لابن الجبير اليحصبى فى ذلك

وجمـــاعةٍ مَشنوءةٍ بِدْعِيّة ... مصروفةٍ عن رشدها متعسِّفَهْ
جارُوا وسَمَّوْا قومَهم عَدْليــة ... عَدَلوا ولـكنْ عن طريق المعْرِفه

قومٌ نفَوا عن ربهم أحكامَه ... فى خلقه لمّا نفَوْا عنهُ الصِّفَه
غطّوْا على التّعطيل بالتنزيه إذْ ... ضلّوا ضَلال الأسرة المتفلْسِفَه
فطريقهم أُسّ الضّلال وقولُهمْ ... عينُ المُحالِ ورأيُهم مَحْضُ السَّفَه
الحقّ جَبَّ سَنامَ جُبَّائِيِّهِمْ ... وقَناةُ نَجْلِ عُبَيْدِهِم[1] مُتَقَصِّفَه
وتناثرتْ خَرَزَاتُ نَظَّامٍ لَهُمْ ... والكَوْدَنُ العَلّافُ[2] بَلَّ المَعْلَفَه
والشيخُ محمودٌ هو الفيلُ الّذِى ... [كادوا به المعنى الذى فى البلكفه
ما منهم إلا حمـــار صوتت] ... فى فيه جَحْفَلَةٌ وَيحسِبُها شَفَه

قال وكتب بخطه الرائق تحت قوله « إلاّ حمار » ما نصّه :

«البادى أظلم» . انتهى . [٧٤٠]

تعليق للمؤلف

ولا خَفاء ببراعة هذا النظم وحسن مَساقِه ، وتوطئته للتورية البديعة التى هى قولُه : « والشيخ محمود » ... الخ ، فإن هذا تلميح لقصّة الفيل ، المذكورة فى القرآن ، فى قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ » ، وقد صَرَّحَ غيرُ واحد من أهل التفسير والسِّيَر ، أن اسم ذلك الفيل الذى جاء به أبرهةُ لهدْم الكعبة « محمود » ، فجبرَ بذلك ابنُ الجبير ما ضاع من الاتِّفاق الغريب ، واللهُ تعالى يجازيه أفضلَ جزائه ، وجميعَ أهل السنة ، بما أتوْا به من الحُجَج ، التى جَدَعت أنف كلِّ مستريب .

كلام بن الجبير من رواية الوادى آشى

وبعد أن كتبتُ ما ذكرتُه من حِفظى راجعتُ مقيَّداتى ، فألْفيت بها مما نقلتُه من خطّ الوادى آشى المذكور ما نصُّه :

أنشدَنا شيخنا وبَرَكَتنا العالِم الجليل ، الخطيب المِصْقَع ، البليغ المفيد ، إمام

(١) نجل عبيدهم : هو عمرو بن عبيد ، من رءوس المعتزلة .
(٢) الكودن : الفرس أو البغل أو البرذون . والعلاف : هو أبو الهذيل العلاف المعتزلى .

وقته فى العلوم ، والتحصيل والفهوم ، قاضى الجماعة ، سيدنا أبو عبد الله ، محمد بن على بن الأزرق ، رضى الله عنه ، وأمتع [ببقائه] وإفادته ، ووصل أسباب سعادته . قال :

أنشدنى شيخ الأدباء ، وحُجة البلغاء ، الكاتب المُجيد الأبرع ، أبو عبد الله محمد بن الجبير اليَحْصُبى ، معارضا للبيتين الشهيرين ، اللَّذين أنشدهما الزمخشرى ، فعارضهما ابن الجبير بقوله :

وجماعةٍ مَشنوءةٍ بِدْعِيَّـــــةٍ مصروفةٍ عن رُشْـدِها متعسِّفَهْ

... الأبيات . قال شيخنا : ولما أنشدَهُ الأبياتَ ناظمُها ، كتبها له بخطه الحسن ، وكتب تحت قوله « إلا حمار » : البادى أظلم انتهى .

* * *

ومن نظم ابن الجبير

ثم قال الوادى آشى المذكور : ولسيدى ابن الجبَـير المذكور ، ومن خَطّه قَيَّدْت :

كلَّما رمتُ أن أُقَدِّمَ خيرا لمَعادِى ورُمْتُ أنِّى أَتُوبُ

صَرَفَتْنى بواعث النفس قسْرًا فتقاعَسْتُ والذُّنوب ذُنوب [٧٤١]

رَبِّ قَلِّبْ قَلْبى لِعَزْمَة خيرٍ بمتابٍ فى يديك القُلوب

ومن نظم ابن الجبير أيضا مجيبا للشران

وله أيضا وقد أشار عليه الرئيس الكاتب أبو عبد الله الشَّرَّان بإنشاء صدرٍ لمكاتبات سُلْطَانية :

ذَرْعِى وصَدْرى بالصُّدورْ هذا يضيق وذا يدُورْ

أنت المَلِىء بكَتْبهـــــا ما للصُّدور سِوى الصُّدور

ما أجابه به الشران

فأجابه الشَّرَّان بقوله :

تَجْرُ اجتهادِكَ لن يَبُورْ فدَعِ الكلام وكُنْ صَبُورْ

إن الصدورَ بك ازدهتْ بالدرِّ تزدانُ الصُّـــدورْ

نقلت هذا كلَّه من خط الفقيه أبى عبد الله محمد الوادى آشِى المذكور آنفا رحمه الله تعالى .

* * *

ثم قال الوادى آشى المذكور :

المسلمون أعداء لأهل السنة

سمعت شيخنا الإمام سيدى محمد بن الأزرق الأصْبحىّ رحمه الله ، بمجلس تدريسه من الجامع الأعظم بغَرناطةَ يقول : كان أبو محمد عوف بن يوسف الخُزاعى من أهل القَيْرَوَان يقول : الخلائق كلهم أعداء بنى آدم ، وبنو آدم كلُّهم أعداء المسلمين ، وجميعهم أعداء أهل السنة . انتهى .

* * *

جند الله الغالبون هم أهل السنة

وذكر الرُّشاطى بسند مُتَّصل إلى أَنَس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فى قول الله تعالى : «وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» ، قال : هم أهل السنة والجماعة .

انتهى ما قيَّدتهُ من خط الوادى آشِى المذكور ، رحمه الله .

* * *

بعض أخبار الوادى آشى وشعره

وكان رحمه الله ممن حلّ بتِلِمْسان بعد أخذ غَرْناطة ، أعادها الله ، وحصلَتْ له بها مصاهرةٌ مع أعيانها بنى مرزوق ، ثم آلتْ إلى مقاطعة ، حَسْبما ذَكَرَ ذلك فى بعض ما لَه من النظم ، وكان له نظم لا بأس به ؛ فمن ذلك قولُه رحمه الله ، بعد بيت سقط من حفظى ، مُضَمَّنُه أنّ الناسَ لامُوه عندما طَلَّق بنتَ ابنِ مرزوق ، وأظنه هكذا : [٧٤٢]

يَلُومُنِيَ الأقوامُ من بعد ما سَطَا عَلَيَّ ابنُ مرزوق ومَنَّ بإنفاقِ

فقلت لهم كُفُّوا المَلامَ فإنَّنى تركت ابن مرزوق وأَمَّمْتُ رزَّاقى[1]

* * *

رثاؤه أحمد بن يحيى الونشريسى

ومن ذلك قوله يرثى الشيخَ الإمام ، [الحافظ ، بل] حافظ الإسلام ، سيدى أحمد بن يحيى الونشريشىّ الأصل ، التلمسانىّ ، نزيل فاس ، صاحب المِعيار وغيره :

لقد أظلمتْ فاسٌ بل الغَرْبُ كلُّه بموت الفقيه الونشريشىّ أَحْمَدِ
رئيسِ ذوى الفَتْوى بغير منازِعٍ وعارفِ أحكام النوازل الأوْحَد
له دُرْبَةٌ فيها ورأْىٌ مُسَدَّد بإرشاده الأعلامُ فى ذاك تَهْتدى[2]
وتاللهِ ما فى غربنا اليومَ مثلُه ولا مَن يدانيه بطول تردُّد
عليه من الرحمن أفضل رحمةٍ تروحُ على مَثواه فَيضا وتغْتدى

وله فى رثائه أيضا

وقوله فى رثائه أيضا :

أبعدَ ابنِ يحيى اليومَ فى الغَرب عالِمٌ يطبِّقُ بالفُتيا المفاصلَ مثلُهُ
ويَعرِف من فقه النوازِل غايةً يُوقِّع منها ما به بانَ نُبْلُه
وإنْ جئتَ للإنصاف لم يبقَ مثلُه وهذا الجليلُ ليسَ يُنكرُ فَضْلُه
فإذ[3] كان جاء الموتُ فالصبر والرضا عَلَى ما قضى الخلَّاقُ فالحَوْل حَوْلُه

وله فيه أيضا

وقوله فى ذلك :

رأيت نجومَ الدين تبكى حزينةً علَى فَقْد حَبْر كان قُطْب أولى العَلْيا
فقلت ومَنْ هذا ؟ فقالت مجيبةً عَلَى الوَنْشَريشىِّ رئيسِ ذَوى الفُتْيا
فَصِحْنا وقلنا : ويْلَنا ثم ويْلَنا على فَقْدِهِ مُذْ غاب أَظلمت الدنيا

(١) كذا فى ط . وفى س : « وجئت لرزاق » .
(٢) كذا فى ط وهامش ص . وفى ص : « أهتدى » . (٣) فى ط : « فإن » .

عليه من الرحمن أفضلُ رحمـــة تعاهَدُ مثواه مع الجَوْدِ والسُّقْيا

وقوله وقد بدَّل القافية : وله فيه أيضا

رأيتُ نجوم الدين تبكى حزينةً على فقد من قد كان قُطْبَ زَمانِهِ
فقلتُ ومن هـــذا فقالت مجيبةً عَلَى الونشريشىِّ وَحيدِ أَوَانه
[٧٤٣] إليه انتهت فى الفقه كلُّ رياسةٍ ومعـــرفة زِينتْ بحسْن بيانه
ومُذْ غابَ عنا أظلم الـكونُ كلُّه وصار الضُّحَى ليـــلًا لِفَقْد عِيَانه
وإنَّ عَزائى فيـــه للخلق كلِّهم خصوصا ذَوِى فِقْهٍ لِعِزِّ مكانه

* * *

وفاة الشيخ الونشريشى

وكانت وفاةُ [الإمام] الونشريشِىِّ المذكور ، يوم الثلاثاء مُوَفِّى عشرين من [صفر ، من] عام أربعة عشر وتسع مئة ، بمدينة فاس ، رحمه الله ، ونَجُب ولده شيخ شيخنا ، القاضى سيدى عبد الواحد رحمه الله .

* * *

والوادى آشى فى مدح الفقيه أحمد العبادى

ومن نظمه ، أعنى الوادىَ آشىَّ المذكور ، رحمه الله ، يمدح الفقيه أَحْمَد العبادى يقول :

ومَن مِثلُه فى العلم يُبدِى فنونه مع الدين والتقوى على صِغَر السِّنِّ
فأَثْبَتَـــه المَوْلى وأثبَتَ أمره وزكَّى علومًا حاز فى غير ما فَنّ

* * *

وله متبرما بسكنى تلمسان

ومن نظم الوادى آشىَّ المذكور قوله :

تِلِمْسانُ أرضٌ لا تليق بحالنـا ولـكنَّ لطفَ اللهِ نسألُ فى القضَا
وكيف يحب المرء أرضا يسوسُها يهودٌ وفُجّار ومن ليس يُرْتَضى

* * *

وله أيضا فى ذلك وقوله رحمه الله :

غريبٌ فى تلمسان وحيدٌ من الأحباب ليس له مُشاكِلْ
وكم فيها من الأصحاب لكنْ عَدِمتُ بِهَا المُناسب والمُماثل

* * *

كان الوادى آشى مغرما بالنسخ والتقييد

وكان رحمه الله كثير النسخ والتقييد ، آيةَ الله فى ذلك ، حتى إنى رأيت فى خزائن أهل تِلِمْسان بخطه نحو المئة سفر ، ورأيت بفاس نحو الثمان مئة[1] وأخبرنى مولانا شيخ الإسلام عَمُّنا مفتى تلمسان ، سيدى سعيد بن أحمد المَقَّرِىّ رحمه الله ، أنه نسَخَ [بخطه] نحو العشرين نسخة من توضيح خليل ، وكان يحترف بالنسخ ، رحمه الله ، ونَظْمه نظم فقيه ، وربما يقع له النادر ، ولولا الإطالة لجلبت أشياء من ذلك ، زيادة على ما سبق .

* * *

وبخطه شعر لسيدى محمد العربى

ورأيت بخطه رحمه الله ما نصُّه :

ولسيدى محمد العربىّ أبقاه الله عند محاصرة النَّصارى للحضرة :

بالطَّبْل فى كل يوم وبالنَّفِير نُراعُ
وليسَ منْ بَعْد هذا وذاك إلَّا القِراع
يا رَبِّ جَبْرَك يرجو مَنْ هِيض منه الذِّراع
لا تسلُبَنِّىَ صَبْرًا به لقلْبى أُدِّراع

* * *

ولسيدى العربى فى رجل تنصر واختلط عقله

وله أيضا وقد ظَفِرَ ببعض المرتدِّين ، ممن صار ، والعياذ بالله ، غَبِيًّا ، يجرُّه الناس بالحضْرة حيًّا :

(١) كذا فى ط . وفى س : « الثمانية » .

أَلَا رُبَّ مغرورٍ تنصَّر ضِـلَّةً فحاق به شُؤْمُ الضلَال وشَرُّهُ
فإن يرتفع عند النصارى بالِاعتنا فكمْ عندنا من حَرْف حبلٍ يجُرُّه

* * *

وله أيضا:

صَوِّرْ أنْ كنتَ نبيلا صُورَةً دامَ فى تصويرها البحثُ وطالا
زَوجةً إنْ دخلتْ بيتًا فقدْ حُرِّمَتْ من بعد ما كانت حَلالا

[جوابه:

هى إنْ [لم][1] تلتبس زوج امرئ بِئسَا بيت قدَ اعجزن الرجالا
حَيْثُ قد أنْكَرْنَ طُرًّا عِصْمَةً منه قد ضُمِّن دعواها المقالا]

* * *

وله أيضا ملغزا:

ما رجلٌ يُعْجَبُ من أمرِه مَنْ لم يُحقِّق نفسُه أَمْرَهْ
حَلَّتْ لهُ وحُرِّمَتْ زَوْجَةٌ فى اليومِ ثِنْتَىْ عَشْرَةٍ مَرَّه

انتهى.

* * *

قلت: وهذا أبو عبد الله العربىّ المذكور، هو صاحب الكتاب الذى بعث به سلطان الأندلس، أبو عبد الله المخلوع آخر ملوك الأندلس، إلى السلطان الشيخ الوطّاسىّ، صاحب فاس، وقد تقدم ذكره فى أول هذا الموضوع[2]، فراجعه إن شئت.

وقد حَلّاه الوادى آشى بقوله:

---

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها المعنى والوزن. (٢) يريد الكتاب.

« بليغ العصر ، بل الدنيا ؛ ومالك زمامَي النظم والنثر ، بلا ثُنْيا ؛ سيدى محمّدٌ العربىّ ، أنسأ الله أجلَه ، وبلّغه أملَه » . انتهى .

* * *

[٧٤٥] ورأيت بخط الوادى آشى المذكور ما نصه : خط الوادى ش من الوثائق المجموعة

من الوثائق المجموعة : إنْ ذَكر المُوصِى فى كتابه أن تُنَفَّذ وصيّتــه من سِكّةٍ كانت تَجْرِى [فى حين الوصية ، ثم تُوُفِّى المُوصِى وقد انقطعت تلك السكة] ، فإن وصيّته إنمـا تُنَفَّذُ من تلك السِّكّة ، التى كانت تَجْرِى يوم الوصية ، إلّا أن يكون نَصٌّ فى وصيّته أن تكون وصيتُه من النَّقْد الجارى يومَ تُنفّذ الوصية ، فيكون ما عَهِد ، فإن وقعت وصيَّتُهُ مُطْلَقة ، ولم يشترط صفة ، فإنما يكون ذلك ممـا يجرى يوم التنفيذ ، وذلك بخلافِ الـكَوالئ[1] والدُّيون ، انتهى .

قال محمد الوادِى آشى : قوله « إنما تخرج [مما يجرى] يوم التنفيذ إن لم يَشْتَرِط صِفَة » ، والذى فى الـكافى لأبى عُمَر خلافُه ، وعلى مافى الـكافى فى ذلك العمل ، وبه شاهدت شيخنا المَوّاق يُفتى ، وشيخَنا قاضىَ الجماعة ابنَ منظور رحمه الله يحكم . انتهى .

* * *

ومن خطه لا عن القاضى بى يحيى بن م فى توثيق العقود

ورأيت بخطه رحمه الله ما نصــه : وُجِدَ بخط الرئيس القاضى أبى يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى :

الحمد لله .

إنما تَسْـتَقِلّ العقود الصحيحة ، وتتم الموجبات الصريحة ، بثبوتها لَدى الحاكم ، المُنْعَقِدة ولايتُه عند تحصـيل شروطها صحة وكمالا ، وذلك بأداء نِصاب

(١) الـكوالئ : جمع الـكالئ ، وهو المتأخر من الصداق .

شهادتها العادلة استتماما واستكمالا ، فإذا كان أحدُ شهدائها السلطان الأعظم ، أو من أقامه السلطان الأعظم مَقامه ، وهو قَيُّوم الشريعة الذى ارتضاه الإمام لإنفاذِ أحكامها عِوَضا منه وأقامَه ؛ فإنَّ العمل الجارى بهذه الحضرة عند أهل كُتُب الأحكام ، وهو اللازم اقتفاؤه ، إذا أريد ثبوتُ العقد الواقعة فيه هذه
[٧٤٦] الشهادة واكتفاؤه ؛ أن يُشْهِد القاضى الذى تم به نصاب هذه الشهادة عليها اثنين من شهداء العدالة أنها شهادته ، ثم يؤدّى عنده هذان العدلان ، ويخاطب هذا الرسم على ما مرت به شهادته ، ويُعْلِم للشهادة من شهد معه أداءً وقبولا ، خطابا عند غيره من القضاة مقبولا ، فإذا كان الفقهُ هكذا مُقَرَّرا ، والعملُ على هذه السنة مُحَرَّرا ؛ فمن أشهدَه الآن قاضى الجماعة بحضرة غرناطة ، فلان بن فلان ، الأوّل من شهيدى الرسم فوْقه ، على أن الشهادة الموضوعة فيه أولا هى شهادته التى بها أَشْهد ، وأنها مكتوبةٌ بخط يده الذى منه تعوّد ، وأنه تحملها مسئولة منه تحقيقا ، ويؤدى عليها مطلقا إيجابا لها وتصديقا ، فى كذا .

* * *

وما نقله الوادى آشى عن ابن عاصم فى الغرض نفسه

قال الوادى آشى ، ومن خطه أيضا :

الحمد لله .

القول الظاهر الأدله ، الدارج على ارتكاب القضاة الأجلّه ؛ الجارى لدينا به العمل فيما تُقْبل به العقود المستقله ، قَبولُ خطاب الحَكَم العَدْل مطلقا ، وإنْ عُزِل أو تُوُفّى ، وخطُّ القاضى المعلوم العدالة إذا ثبَت أنه خطُّه يكفى . والقول الآخر هو الذى رجَّحَه غيرُ واحد ، وأكْثَرُوا عَلَى صِحّته من الحجج والشواهد . وللخروج من الخلاف ، وصون موعده من الاختلاف ؛ أشْهَد الآن قاضى الجماعه ، وقيُّومُ أحكامها المُطاعَه ، فلان بن فلان ، وصل الله توفيقه ، وكافأ

تثبُّتَه فى النظر وتحقيقَه ؛ بثبوت الرسم فوقه لديه ، واستقلاله عنده الاستقلالَ الكافى المعتمد عليه ، لثُبوت الرسم فوقه ، لصحة الشهادة الأولى ، ولإعلامه المعرب عن صحة ثانية الشهادتين هنالك أداء وقبولا ، فما كان كذلك لمن يَرِد عليه من القُضاة أن يقبله على ثانى القولين اتفاقا ، هو الذى أشهد به الآن برهانا لما ثبت لديه من ذلك ومصداقا ؛ تسجيلا بإشهاده لصحة عقده ، وذخيرة لليوم وما يأتى من بعده ، وعمدة تقى الحكم على أوّل الاحتمالين وأوْلاهما من إجازته أو رده ؛ شَهِد على قاضى الجماعة المُسَمَّى بما فيه عنه من ثبوت وتسجيل ، وقبول وتعديل ؛ وهو فى مجلس أحكامه ، ومَظْهَر نقضه وإبرامه ؛ فى كذا . انتهى . [٧٤٧]

قال محمد الوادى آشى رحمه الله :

هذه المسألة فوق هذا تليه ، قدصنف فيها الشيخ الفقيه القاضى الجليل سيدى الحاج أحمد بن عبدالجليل اللخمى — ممن أدركناه بغرناطة مدرّسا ونائبا عن قاضى الجماعة بها ، وأدَّينا له مرارا شهادات ، وحضرنا جنازته رحمه الله — تصنيفا مفيدا ، لخَّص فيه المسألة ، واستظهر بالنقول ، ولم يُبْق لأحد ما يقول .

***

حكم الشاهد الذى يصير قاضيا

وأما من كان شاهدا فى رسم ثم صادف أن صار قاضيا ، وطُولِب بخطابه ، فقد نزلت بى هذه بالمنكب ، وأنا أنوب بها لضرورة بعض أيام ، لمغيب قاضيها إذ ذاك بالحضرة ، أواخر شعبانَ وأوائل رمضانَ عام سبعة وتسعين وثمان مئة ، فصنعت طريقة مختصرة ، كنتُ تلقَّيْتُها من شيخنا ابن منظور ، وأخبرنى أنها طريقةُ شيخه البدوى :

أشهدْتُ عدلين على شهادتى ، وأدّيا لدىّ بذلك ، فقبلتهما ، وشهدا[1] على خط

(١) فى الأصول : « وشهد » .

الآخر لمغيبه بالحضرة ، وكتبت على الغائب : عرّف بها عَدْلان لمغيبه ، وعلى شهادتى : أشهدت بها عدلين ، وأدّيا لدىّ بذلك فقَبِلْتُهُما ، وكتبتُ أسفله : ثبَت بواجبه ، وأعلم بذلك فلان ، وفقه الله تعالى ، مسلما على من يَقف عليه . [٧٤٨]

* * *

ونقلت من خط الوادى آشى المذكور ما نصه : وبخطه دعاء لابن الجبير

وجدت بخط سيدى وشيخى الكاتب الإمام الأعرف ، سيدى محمد بن الجبير ، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه ، ما نصه :

دعاء مبارك لتفريج الأزمات

اللّهم إنى تبرأتُ من حَوْلى وقُوّتى ، واستوْثقْتُ بحولك وقوّتك ، أرِنى عجائبَ لُطْفك ، وغرائب حكمتك وقدرتك ، وأْتِنى بفَرَجٍ من عِنْدك ، كما فرّجت على يوسف الصدِّيق نبيك ، يا أرحم الراحمين .

[هذا الدعاء] إن ذكره أسيرٌ أو مسجون أو مكروب ، تسعين ألف مرّة ، يقول [آخر] كل ألف : يالطيف يا لطيف يا لطيف ، بعد البسملة ، عاجله الفرج فى الحين ، ونفّس الله سبحانه عنه ، انتهى .

* * *

ومن خطه أيضا رحمه الله ما نصّه : من كلام بعض العلماء ، ويُنْسَب إلى الأستاذ أبى سعيد بن لُبّ ، رحمه الله : وبخطه من كلام بعض العلماء

قد يأمر بما لا يُريد فلا يكون ، وقد يَنْهى عمّا أراد فيكون ، كلّف العباد وأراد منهم ما علم أنهم به عامِلون ، كلّف بما شَرَع ، وجعل له عاقبة ،

وأراد ما وقع ، وقَطَع الارتباطَ بين المشروع والواقع ، فلا يقتضى أحدهما الآخر . انتهى .

* * *

وبخطه نقلا عن شرح خليل لابن سراج

ومن خطه أيضا [مانصه] : ومن شرح خليل لسيدى أبى القاسم بن سراج : يُحتاج إذا بيع الفدانُ وفيه زرعٌ لم يَنْبُت ، أن يقول عاقدُ الوثيقة : « وفى الأرض زرع لم ينبت ، فهو للمشترى بالعَقْد على مقتضى الشرع » ، لأنه إن لم يذكر هذا [فقد] يتنازع المتبايعان بعد ذلك : هل كان الزرع قد نبت أو لم ينبت ، فيؤدى إلى اختلاف المتبايعين ، انتهى .

* * *

وبخطه للتفتازانى فى شرح عقيدة النسفى

ومن خطه أيضا : وفى شرح عقيدة النَّسفى للتفتازانى ما نصه :

وفى فتاوى [قاضى خان] : أجمعوا على أنه إذا ارتَشى — يعنى القاضى — لا ينفُذ قضاؤه فيما ارتشى ، وأنه إذا أخذ القاضى القضاء بالرِّشوة لا يصير [٧٤٩] قاضيا ، ولو قَضَى لا ينفُذ قضاؤه ، انتهى .

* * *

ومن خطه ما كتب فى طلسم بغرناطة

ومن خطه أيضا رحمه الله : ولبعضهم ، وكان شيخُنا ابن منظور يستحسِنُهما غاية ، هذان البيتان :

لما أسرَّ الماء فى أذُن الحصى وقفَ النسيم ليسمع الأخْبَارَا
فوشى به غَرِد فخاف فضيحة فبكى الغمامُ فأضحك الأنهارا

* * *

ومن خطه أيضا رحمه الله : حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن بن القائد الزعيم الأفضل ، سيدى إبراهيم العرّاف ، أنه حضر مرة لإنزال الطِّلَّسم

[المعروف] بفروج الرواح ، من العِلِّيَّة بالقصبة القديمة من غرناطة ، بسبب البناء والإصلاح ؛ وأنه عاينه من سبعة مَعادن ، مكتوبا فيه :

إيوانُ غَرْناطةَ الغرَّاءِ مُعْتَبَرٌ طِلَّسْمُه بولاة الحال دَوَّارُ
وفارِسٌ رُوحُه ريحٌ تُدَبِّرُهُ مِنَ الجمادِ وَلكنْ فيه أسرار
فسوفَ يبقَى قليلاً ثم تَطْرُقُه دهماء يَخْرُبُ منها المُلْكُ والدار

* * *

ومن خطه أيضا

ومن خطّه أيضا رحمه الله : أنشَدَنا شيخنا القاضى ابنُ منظور بمجلس إقرائه قائلا : إن فقيها من رُنْدَة كان كثيرا ما يَتَمَثَّل بهذين البيتين :

أرَى الكسادَ بدا فى صَنْعَةِ الكَتَبَهْ ما إنْ يُباع بها شِقْص ولا عَتَبَهْ
تَبًّا لصَنعةِ قومٍ رأسُ مالِهِمِ حِبْرٌ تبدِّده فى صفحةٍ قَصَبَهْ

* * *

ومن خطه بعض ما يشترط فى البيوع

ومن خطه أيضا رحمه الله مانصُّه : ألفيتُ بخط شيخ شيوخنا قاضى الجماعة ، الحافظ أبى القاسم بن سِراج ، رحمه الله ، ما نصُّه :

تنبيه

جاءت الرواية فى العُتْبِيَّة ، فيمن اشترَى ثمرةً على ألّا يَقُوم بالجائحة : أن البيع صحيح ، والشَّرْطَ باطل . فلما نزل ما أراد الله به من مجىء النَّصارى إلى فَحْص غَرْناطة ، وأفسدوا الزَّرْع ، غَرِمَ المُكْتَرُون الكراءَ ، لأن الجيش ليس من الجوائح التى تحط من الكِراء ، فامتنع الناس بعد ذلك من اكتراء الأرض ، خوفا من مجىء النصارى ، وأدى ذلك إلى خَسارة على الأحْبَاس ، فرأيت أن تُكْرَى الأرض ، بشرط أنه إن جاء النَّصارى وأفسدوا ، أن يُحَطَّ الكِراء . فاعتمدتُ فى صحة العَقد على قياس العَكْس ، وهو أنه لا تُفْسَخ [٧٥٠]

المعاملة بشرط القيام بالجائحة ، فيما لا يُشرَع فيه القيام بالجائحة ، ويبقى النظر فى الوفاء بالشرط فى مسألة الكِراء ، لما فى ذلك من عموم المصلحة . انتهى .

* * *

من خطه بعض مسائل فى الرهن

ومن خط الوادى آشى المذكور أيضا ما نصُّه : قال محمد بن الحدَّاد الوادى آشِى ، رحمه الله : وقعتْ مسألة ، وهى : رجلٌ رَهَن بيد آخر دارا له ، وحوّزه إياها ، وشرَط المرتَهِن المنفعة لنفسه ، ثم إن الراهن دخل الدارَ وسكنها ، وعادت بيده ، واتصل الأمر كذلك إلى تمام الأمد ، وحلول الدين ، فطلب المرتهِن الراهنَ بكراء المِثل ، فظهر لى بقصورى وتقصيرى ، وجهلى المركّب وعدم مقدورى ، أنه لا كراء له ، بدليلِ ظاهر الأقوال والروايات ، ومنها ما حكاه فى المقرِّب عن ابن القاسم ، ونصه : ومن ارتهَن دارًا ثم أذِن للراهِن أن يسكنها ، أو يُكْرِيها ، فقد خرجت من الرهن ، وإن لم يَسْكن ولم يُكْرِ . ومنها ما هو مقرر معلوم أن المرتهِن إذا ترك كِراء الدار ولها خَطْبٌ وقدر ، فمذهب ابن الماجِشون أنه يضمن كِراء مثلها ، لأنه تعمَّد إبطالها ، ما لم يكن الراهن عالما ، فإنه لا يضمن حينئذ ، لأن سكوت الراهِن عن ذلك رضا به .

وكان شيخنا وإمامنا قاضى الجماعة سيدى محمدُ بن الأزرق ، أبقى الله بركته ، وهو الذى وقعت النازلة بين يديه ؛ لا يوافق على ما ظهر لى ؛ وينازع [٧٥١] فى ذلك ، ويرى إلزام الكِراء ؛ ونسيتُ الآن ما كان يستدلُّ به ، ولست على تحقيق بما حكم به فيها آخرَ الأمر ، وذلك فى عام تسعين وثمان مئة ، بيد أنه تكلم فيها مع طلبته بمجلس درسه ، وحضرت لذلك وأنا أعْطَلهُم وأقلُّهم عِلما ، وأسوأهُم فهما ، وأقلهم تحصيلا ونبلا ، وهلُمَّ جَرًا ؛ فأجبت بما قَيَّدْتُ

هُنا ، مستدلا بما نقلته ، فلم يوافقنى هو ولا غيره ، وفضلُ اللهِ يؤتيه من يشاء ، فقد قدَّرَ الله أنَّ بضاعتى فى العلم مُزْجَاة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

انتهى ما حضرنى الآن من كلام الوادى آشى ؛ ومُقَيِّـدَاتُه وإفاداته وإنشاداته كثيرة جدا .

* * *

ترجمة ابن الأزرق

وشيخه ابن الأزرق ، المشار إليـه فى كلامه : هو الإمام العلامة الخطيب الحجَّة ، الأعرف المؤرخ ، الناظم الناثر الراوية ، قاضى الجماعة بحضرة غَرْناطة ، أعادها الله دار إسلام ، سيدى أبو عبد الله محمد بن على بن محمد ، الشهير بابْن الأزرق الغَرناطىّ .

قال السَّخاوى : لازم الأستاذَ إبراهيم بن أحمد بن فَتُوح ، مفتىَ غرناطة ، فى النحو والأصلين والمنطق ، بحيث إنّه كان جُلّ انتفاعه به ، وحضر مجالس أبى عبد الله محمد بن محمد السَّرْقُسْطى ، العالِم الزاهدِ مفتيها أيضا فى الفقه ، ومجالس الخطيب أبى الفَرَج عبد الله بن أحمد البَقَّنِى ، والشهاب قاضى الجماعة أحمد بن أبى يحيى الشَّرِيف التِّلِمْسَانىّ . انتهى .

تآليفه

وله تآليف عظيمـة النفع ، وقفت عليها بتِلِمْسَان ، منها شرحه الحافل على مختصر خليل ، وسماه شفاء الغليل ، وقد توارد مع ابن غازى على هذه التسمية ، فالله أعلم بالسابق منهما إليها .

[٧٥] على أنى أعتقد أن كل واحد منهما لم يَسْمَعْ بتسمية الآخر . وقد كان مولانا العمُّ ، سَقَى الله ثراه ، يقول : لعلّ تسمية ابن الأزرق شفاء العَليل « بالعين » .

قلت : ويُبعده أنى رأيت الخطبة بخط تلميذه الوادى آشى ، السابق أنفا :

الغَليل « بالغين » ، ومثله بخطِّ عم أبينا الفقيه العلامة ، آية الله فى معرفة الأحكام ، سيدى محمدٍ المقَّرىّ رحمه الله .

وهذا الشرح لم يُؤَلَّف على مختصر خليل مثلُه : إقناعا ونقلا وفهما ، وقد رأيت منه نحو الثلاثة أسفار[1] ، ولا أدرى هل[1] أتمه أم لا ؟ وتمامه يكون فى نحو العشرين سِفْرا ، وقد كتبت بتلمسان خطبته فى كراسة ، وقد أتى فيها بالعَجَب العُجاب ، وهى أدل دليل على غزارة علمه ، واتساعه فى الفروع والأصول ، رحمه الله تعالى .

ومن جملة تآليفه : روضة الإعلام ، بمنزلة العربية من علوم الإسلام ؛ غايةٌ فى بابه ، سِفر ضخم ، فيه فوائد وحكايات . وكتاب بدائع السلك ، فى طبائع المُلْك ؛ كتاب بديع فى موضوعه ، لخَّص فيه مقدمة تاريخ ابن خلدون ، المسمَّى بكتاب العِبَر ، وزاد عليه زيادات كثيرة نافعة ، وهو فى سفر ضخم ، وقد نقل عنه صاحب المعيار ، أعنى عن ابن الأزرق ، وأظن أنه نقل عنه فى الجامع الذى ختم به المعيار .

وقد ارتحل رحمه الله إلى تِلِمْسان ، عند غَلَبة العدو الكافر على [هضم ما بقى بيد المسلمين من] بلاد الأندلس ، ثم ارتحل منها إلى المشرق ، ولم أقف على وقت وفاته ، إلّا أنه كان ارتحاله لتِلِمْسَان بعد التسعين وثمان مئة بلا شك ، وغالب ظنى أن ذلك فى أواخر العشرة التى كملت بها تسع مئة سنة للهجرة النبوية ، والله أعلم . ولم أتحقق الآن هل[1] دخلها ، أعنى تِلِمْسَان ، بعد أخذ [٥٣ غرناطة أو قبله ، وقد قَدَّمْنا أول هذا الموضوع وقْتَ أخذها .

* * *

(١) كذا فى الأصول .

شعر له فى الاعتداد بالصبر عند الشدائد

ومن شعره رحمه الله عند نزول طاغية النصارى دَمَّرهم الله بمرج غَرْناطة ، أعادها الله للإسلام ، بجاه النبى عليه الصلاة والسلام :

مَشُوقٌ بخَيْمات الأحبَّـة مُولَعُ ... تُذَكِّرُهُ نَجْدٌ وتُغْرِيه لَعْلَعُ
مَواضعَكم يا لائِمِينَ على الهَوَى ... فلم يَبْقَ للسُّلوان فى القلب مَوضِع
ومَنْ لى بقلب تَلْتظِى فيه زَفْرَةٌ ... ومَنْ لى بجفْن تَنْهمِى منه أدمُع
رُوَيْدَكَ فارقُب للطائف مَوْقِعًا[1] ... وخلِّ الذى من شَرِّهِ يُتَوَقَّع
وصبرًا فإن الصبر خيرُ تَميمةٍ[2] ... ويا فوزَ مَنْ قد كان للصَّبر يَرْجِع
وبتْ واثقا باللُّطْف من خير راحمٍ ... فألطافُه من لَمْحة العين أَسْرَع
وإنْ جَلَّ خطبٌ فانتظرْ فَرَجًا له ... فسوف تراه فى غَدٍ عنك يُرفع
وكن راجِعًا لله فى كل حالةٍ ... فليس لنا إلا إلى اللهِ مَرْجِع

* * *

وله عند وفاة والدته

ومنه قوله عند وفاة والدته رحمها اللهُ تعالى :

تقول لى ودموع العين واكِفة ... ما أفظع البَيْنَ والتَّرحالَ يا وَلَدِى
فقلت أينَ السُّرَى قالتْ لرحمة مَنْ ... قد عزَّ فى المُلْكِ لم يُولَدْ ولم يَلِدِ

* * *

وله فى المجبنات

ومن بارع نظمه ، رحمه الله ، قوله فى المجبَّنات :

ورُبَّ محبُوبة تبـــــدَّتْ ... كأنها الشَّمسُ فى حِـلاها
فاعجبْ لحال الأنام : مَنْ قدْ ... أحبَّها منهـــمُ قَلاها

* * *

وله فى مدح شيخه أبى يحيى بن عاصم

ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدةٌ مدح بها شيخه الإمام العلّامة الجليل

(١) كذا فى ص . وفى ط ونفح الطيب : « موضعا » .
(٢) فى ص : « غنيمة » .

أبا يحيى [بن عاصم] ، وهى من غُرر النظام ، وحُرِّ الكلام ، وأثبتّها لغرابتها :

خَضَعَتْ لِمَعْطِفِه الغُصونُ المُيَّسُ ورنا فهام بمقلتيه النَّرْجِسُ
ذو مبْسِمٍ زَهْرِ الرُّبا فى كسبه متنافِسٌ عن طِيبه مُتَنَفِّس
ومُوَرَّدٍ من وَرده أو نارِهِ يتنعمُ القلب العميدُ ويبأَس
فالورد فيه من دموعىَ يَرْتَوِى والنارُ فيه من ضلوعىَ تَقبِس
كَمَلَتْ محاسنه فَقَدَّ ناضرٌ ولواحظٌ نُجُل وثَغْر ألْعَس [٧٠٤]
صعبُ التعطّف بالغَرام حبَيْتُه فالحُبّ يَحْبِى والتعطّف يَحبِس
غرسَ التشوقَ ثم أغْرَى الوجدَ بى فالوجد يُغْرِى والتشوق يَغْرِس
ما كنت أشتَهِى لو حللتُ بجَنةٍ من وَصْلِهِ تحيا لديها الأنفس
ألحاظُه ورُضابُهُ وعِذارُهُ حُورٌ بها أو كوثرٌ أو سُنْدُس
ولياليِ أنسٍ قد أمنتُ بهنّ مِنْ واشٍ يَنِمُّ ومِنْ رقيب يَحْرُس
أطلعتُ شمسَ الراح فيها فاهتدى عَاشٍ إلينا فى الدُّجَى ومُغَلَّس
صفراء كالعقيان فى الألوان للنُّدْمانِ كالشّهبان منها أكؤس
صُبَّتْ شقيقًا فاستحالت نرجسًا فى مَزْجِها فمُوَرَّدٌ ومُوَرَّس
وحَبَابُها يُقْنَى بأسْنَى جوهرٍ أنْفَى لغَمّ المُعْدِمينَ وأنفس
يَجْلِى بها للغَمِّ منها حِنْدِسا قمرٌ عليه من الذؤابة حِنْدس
حتى إذا عَمِشت مِراةُ البَدْرِ مِن صبحٍ بدا تِلقاءَهُ يَتَنَفَّس
ناديته وسَنَى الصّباح مُحَصْحِصٌ ينجاب عنه من الظلام مُعَسْعِس (١)
يا مُطْلِع الأنوار زَهرا يُجْتَنَى ومُشَعْشِعَ الصَّهْباء نارًا تُلْمَس
بكَ مجلسُ الأُنْسِ اطمأن وبابن عا صمٍ اطمأنّ من الرِّياسة مجلس

(١) محصحص : ظاهر . ومعسعس : مظلم .

بدرٌ بأنوار الهـــدى مُتَطَلِّعٌ غيثٌ بأشتات النَّدَى مُتَبَجِّسُ
حامَى فلم نَرتَعْ لخطب يَعْتَرِى ووفَى فلم نَحْفِل بدهر يَنْحَس
شِـيَمٌ مهذَّبةٌ وعلم راسخٌ ومكارمٌ هُتْن ومجْـد أقعَس
لو كان شَخْصا ذكرُه لبدا على أعطافه من كلّ حَمْـد مَلْبَس
ذاكُمْ أبو يحيى به تُحْمَى العُلا وبه خِلال الفخْر طُرًّا تُحْرَس
بيتٌ على عَمَدِ الفَخار مُطَنَّبٌ مجْد على متْنِ السِّماكِ مُؤَسَّس
خِيَمٌ وعُرْسٌ فى حِماهُ فكمْ حَوى فيـــه المرادَ مُخَيِّمٌ ومُعَرِّس
إنا لنَغْدو هُيَّما فَيُنيلُنا رِيًّا ويوحشنا النَّوَى فيُؤَنِّس
حتى أقمْنا والأمانى مُنْهِضَا تٌ وابتسمنا والزمانُ مُعَبِّس
لم ندر قَبْـــل يراعه وبنانه أنَّ الذوابل بالغَمائم تُحْبَس
هُنَّ اليَراعُ بهـا يؤمَّن خائفٌ ويُحاطُ مَذْعُور ويَغْنَى مُفْلِس
مهما انبرتْ فهى السِّهام يُرَى لها وقْعٌ لأغراض البيان مُقَرْطِس [٧٥٥]
تَشفِى بمأمَلِهِ التَّشَكِّى المعتَرِى تُحْيِى بمأمَنِـــه الحِمامَ المُؤْيِس
فتَقَصُّ حين تُشَقُّ منها أَلْسن وتسير حين تُقَطّ منها أَرؤُس
من كل وَشَّاء بأسرار النّهَى دَرِبٍ بإظهار السَّرائر يَهْجِس
قد جَمَّعَ الأضـــدادَ فى حَركاته فلذا اطِّراد فَخَاره لا يُعْـكَس
عطشانُ ذو رِىٍّ يبيسٌ مُثْمِرٌ غَضبانُ ذو صفحٍ فصيحٌ أَخرس
لله من تلك اليَراع جواذبٌ للسِّحْر منكَ كأنها المِغْنِيطَس
رُضْنا شِماس القولِ فى أوصافها فهى التى راضتْ لنـا ما يَشْمُس
وإليكَها حُلَلاً تَنَاسَبَ نسْجُها مِثْلى يفصِّلُها ومثلُك يَلْبَس
واهنأ بعيـــد باسمٍ متهلِّلٍ وافاك يجهَرُ بالسُّرور ويَهْمِس

واحبس لواء الفخر موقوفا فإنّ الحمْدَ موقوفٌ عليك مُحَبَّس

* * *

تعليق للمؤلف

و بعد أن كتبتُ هذه القصيدة ، حدث لى شك : هل هى من نظم القاضى أبى عبد الله بن الأزْرق [المذكور ، أو من نظم ابن الأزرق] الآخر ، الذى جرى ذكره فى روضة الأعلام ، وأنشد له مما يكتب فى سيف قوله :

إن عَمَّتِ الأُفْقَ من نَقْع الوَغَى سَحُبٌ فشِمْ بهـا بارِقا من لَمْع إيماضِ

و إن نوت حركاتُ النصرِ أرضَ عِدًى فليس للفتح إلا فِعْـلِىَ الماضى

قلت : ولقد صدق رحمه الله فى كل ما وصف به قلم الرئيس أبى يحيى بن عاصم ، [الذى تحلتْ] بجواهره لدولة بنى نصر نحور ومعاصم ، فإنه كان آيةَ الله فى النظم والنثر ، وقد تقدم فى هذا الموضوع بعضُ كلامه ، وهو قُلٌّ من كُثْر ؛ ولولا أنى أطَلْت النُّجْعَة فى هذا الباب ، لأتيت بما حصل عندى من كلامه الذى يسحر الألباب ؛ وقد أخذ من الفقه ومعرفة الأحكام بحظٍّ بذّ فيه نظراءه ، وانفرد فى عصره بطريق الأدب ، فكان كلُّ أنداده لا يدركه بل يسير وراءه ، حتى قال [٧٠٦] الوادى آشى : إنّ ابنَ عاصمٍ أبا يحيى ، هو ابن الخطيب الثانى ، [على] أنّ الدولة النَّصْرية فى زمانه وَهَتْ منها المبانى ؛ ومع ذلك فكان رحمه الله يجبُرُ [صَدع] الواقع ، ثم اتسع بعده الخَرْق على الراقع ؛ وقد ألممنا فيما سلف من هذا الكتاب بالتعريف به ، وذكرنا جملة من كلامه ، فراجع ذلك فيما تقدم .

* * *

وله يخاطب شيخه ابن سراج

ومن بديع نظمه رحمه الله قوله قاصدا مخاطبة شيخه الحافظ ، قاضى الجماعة أبى القاسم بن سِراج ، وقد طلب منه الاجتماع به زمان فتنة ، فظن أنه يستخبره عن سر من أسرار السلطان ، فباعَدَه معتذرا ، ولم يصدق الظن :

فديتك لا تسأل عن السرّ كاتبا فتلقاه فى حال من الرشد عاطلِ
وتَضْطَرُّهُ إمَّا لحالة خائن أمانتَه أو خائض فى الأباطل
فلا فَرق عندى بين قاض وكاتبٍ وَشَى ذا بحقّ أو قضى ذا بباطل

* * *

[عود إلى الرد على بيتى الزمخشرى]

ولنرجع إلى ما كنا فيه ، من ذكر الردّ على البيتين اللذين أنشد الزمخشرى ، فنقول :

لابن عاصم

ومن ذلك قول الإمام ابن عاصم ، حَسْبما نقله عنه العبدرى رحمهما الله :

قل للَّذِى سمى الهداة أولى النُّهَى حُمُرًا لِأَنْ سُلِبَ الهُدَى والمَعْرِفَهْ
فغدا يُرَجِّح الاعتزَالَ جهالةً ويروقه زورٌ وَشَاهُ وَزَخْرَفَه
الحق أبلجُ وَاضحٌ لكنَّه يُعْشِى عُيون أُولى الضَّلالة والسفه
اِخسأ فقولك طائحٌ كَهَبَاءَةٍ طاحت بها هُوجُ الرِّياح المُعْصِفَه
سَوَّغْتَ ذَمَّ جماعة سُنِّيَّةٍ قد أحرزوا من كُلِّ فضلٍ أشْرَفَه
[٧٠٧] قَطَفُوا أزاهرَ كلِّ علمٍ نافعٍ وَأَتَوا بكلّ بديعةٍ مُسْتَطْرَفه
قومٌ هُمُ قمعوا الضَّلال وحِزْبه بمعاولٍ حَكَكَت المواضِى المُرْهَفه
هُمْ شِيعة الحقّ الذى ما بعدَهُ إلَّا مهاوٍ فى الضَّلالة مُتْلِفَه
آراؤهم يجلو البصائر نورُها ويُميط أدْوَاء القُلوب المُدْنَفَه
أقْصِرْ فإن شقاقهم كُفْر فلا تَدَعِ الرشادَ لعُصْبَةٍ مُتَعَسِّفَه
مَنْ شَذَّ عَنْ سَنَنِ الجماعة قد غوَى جاءتْ بذا الكُتُبُ الصِّحاح مُعَرِّفه

* * *

ولأبى حفص ابن عمر

قال العبدرىُّ وقد نَظَمَ فى مثل هذا القاضى أبو حفص بن عُمَر ، فقال :

أَجَعَلْتُمُ العُلَماءَ حُمُرًا مُوْكَفَه هذا لأنكمُ أُولُو تلك الصِّفَهْ
أجهلتمُ صِفَةَ الإلٰه وَفعلَه ونسبتموه لغيره بالزَّخْرَفه
وَأَرَدْتمُ تنزيهَهُ فوقعتمُ فى الشِّرْكِ والإلحاد والأمر السَّفَه
خالفتم سُنَنَ النبى وصحبِه وتبعْتُمُ فى الزَّيْغ أهلَ الفلسفه

انتهى .

* * *

ولابراهيم بن هلال

وممن سَلَكَ هذا السبيل فى الرد على هذين البيتين المُتَقَلِّصَى الظلال ، الشيخ الإمام العالم النَّظَّار المتبحر ، سيدى إبراهيم بن هِلال ، فقال :

عجبًا لقوم عادلينَ عن الهُدَى وَدَعَوْا أُولى الحقِّ الحميرَ المُوكَفَهْ
وتلقَّبُوا عَدْليَّةً لما رأوا بمقالَةٍ شَنْعَاء رَأْىَ الفلسَفَه
ما ذاك إلّا من عَمًى لبصيرةٍ وهَوًى هَوَوْا من أَجْلِه فى مَتْلَفَه
وأتَوْا بما دان المجوسُ وَإنَّهُمْ حَقًّا مجوسُ الأمة المُتَشَرِّفه
هذا وَكَم من بدعةٍ وَضَلالةٍ من رَدِّ حَقٍّ بالمحال وبالسَّفَه
رَدُّوا القُرَان وَما تواتر نقله من رُؤْيةِ البارى وَهُم نَفَوُا الصِّفه
فالعدلُ معْ هذى المخازى مُنْتَفٍ والجَوْرُ معها مُثْبَتٌ والسَّفْسَفه(١)

* * *

ولقاضى الجماعة الفقيه العلامة المفسِّر ، الدَّرَّاكة البَيَانىّ ، سيدى الرئيس

(١) إلى هنا ينتهى الموجود من هذه الروضة الثالثة فى نسخة س . وقد سقطت بقيتها وبعض من الروضة الرابعة ، وأول الموجود منها قوله :
« ومنه اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات ... » الخ .

[٧٥٨] أبى القاسم بن أبى النعيم قاضى حضرة فاس المحوطة بالله ، فى هـذا التاريخ ، أبقى الله جلاله :

فيه مجوسـية بشرك كفرت وصَـلاح إيجابٍ ونفْىٍ للصِّفَهْ
وبرؤية البارى تجلَّى غَيُّهمْ فى نفيها وتستروا بالفلسفه

* * *

ولعلى بن أحمد الشامى

وأنشدنى الفقيه الأديب الحاج الرحال الحسيب الأصيل ، سيدى على بن أحمد الشامىّ الخزْرجىّ ، حفظه الله لنفسه ، سالكا سَنَن هؤلاء الأعلام ، ومتشبثا بأذيال حِزبهم ، ومتمسكا بوُثْقَى عُروتهم السُّنِّية وقُرْبهم ، وكتب لى ذلك بخطه أيضا ، حفظه الله تعالى آمين :

يا من أقام على الضلالة مَعْـكَفَهْ ولَوَى عن الحقّ الجَلِى واسْتَنكَفَهْ
لابُدَّ من يومٍ به تنهَلُّ مِن رَبِّ العِباد مَواهبٌ مُسْتَوْكَفَه
ويُرَى به ربُّ العُلا رغْما على أنفِ العُداة العائبينَ البلْـكَفَه
وتقول إذْ تُمْسِى طريدًا لَيْتنى أمسيتُ فيه مع الحمير الموكَفَه

وقد آن لنا أن نمسك عِنان القلم الذى جمح ، فقد طال بنا الكلام فى هذه الترجمة ، ومَنْ نظر ما أوردناه بعين الرضا ولمح ، التمس لنا أحسن الأعذار وأغضى وسَمَح ؛ والحديث ذو شجون ، كما قيل فى الأمثال ، وربما تكثر المناسبات وتتثال ؛ ومقصودنا الفائده ، وهذه الأشياء المجلوبة بها غايه ؛ واللهُ يوفقنا إلى عمل يَرْضَى به عنّا ، ويدفع كلَّ خَطْب أتعب وعسى يَقبلُ منا ، ويعاملُنا بمحضِ كرمه تطوّلا ومَنّا ؛ فليس لنا ربّ سواه ، لا إله إلا هو .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليما كثيرا ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وهو حسبنا .

انتهى الجزء الثالث من كتاب أزهار الرياض فى أخبار عياض

ويتلوه الجزء الرابع ، وأوله :

روضة المنثور

فيما لـه من منظوم ومنثور

فهرس الأعلام

(ا)

الآبلى : ٣٧
الآبلى المصرى : ٦٦ ، ٧٨
آدم عليه السلام : ٢٥١
ابراهيم (الخليل عليه السلام) : ١٤٧ ، ٢٤٤
إبراهيم بن أحمد بن فتوح : ٣١٧
ابراهيم سلفه : ١٦٩
إبراهيم المراف : ٣١٤
إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم : ٢٥٨
ابراهيم بن يوسف بن تاشفين : ١١ ، ١٥٣
ابن آزر = إبراهيم (الخليل عليه السلام)
ابن الأبار = أبو عبد الله بن الأبار محمد بن عبد الله القضاعى
ابن أبى أحد عشر = عبد الله بن أبى أحد عشر
ابن أبى الحسين : ٢٠٦
ابن أبى دواد : ٨٠ ، ٩٢
ابن أبى الربيع : ٢٧
ابن أبى رندقة = أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى
ابن أبى وقاص = سعد بن أبى وقاص
ابن الأحمر : ١٩٥ ، ١٩٨
ابن الأدفر : ١٠
ابن الأزرق = أبو عبد الله محمد بن على ابن محمد
ابن الإمام التلمسانى = أبو موسى عيسى
ابن أويس (صاحب بغداد) : ٤٢
ابن البردعى = محمد بن البردعى
ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك : ١٦ ، ١٧ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٨
ابن بقوة = أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام
ابن بقوى = أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهلالى
ابن البناء = أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى
ابن جابر الوادى آشى : ١٢ ، ١٤ ، ١٨
ابن جوشن = ابو محمد بن جوشن
ابن الجياب : ١٩٦
ابن الحاج = أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف التجيبى
ابن الحاجب : ٢٣
ابن الحجام = أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الواعظ
ابن حجر العسقلانى : ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧
ابن حجر الهيثمى : ٥٧
ابن حزم : ٧٧
ابن الحصار = خلف بن إبراهيم بن خلف ابن سعيد
ابن حمدين : ٨
ابن الحموى : ٥١
ابن حيون بن سكره = أبو على الصدفى حسين بن محمد
ابن خاتمه : ٨ ، ٢٠ ، ٥٤
ابن خاقان ، الفتح بن عبيد الله : ١٩ ، ٦٤ ، ١٠٣
ابن الخباز : ٤١ ، ٥١
ابن الخباز النحوى : ٧٦
ابن الخطيب : ٦٨
ابن الخطيب القسنطينى : ٣٨
ابن خفيف : ٨٠

ابن خلدون : ٢٥ ، ٢٠٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ — ٢٩٨
ابن خلكان : ٧١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠
ابن داود الأندلسى : ٣٧ ، ٣٨
ابن دريد : ١٧٤
ابن دقيق العيد : ٥٧
ابن رزين : ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٨
ابن رشد = أبو الوليد محمد بن رشد
ابن رشيد الفهرى : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٩ ، ١٧٢
ابن رضوان = أبو القاسم بن رضوان
ابن الرومى على بن العباس : ٩١
ابن الزبير = أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير
ابن زيتون القاسم بن أبى بكر : ٢٦
ابن السمعانى : ١٥٩
ابن شبرين : ١٠ ، ١٥٨
ابن شريح : ٥٧
ابن شرين = يعقوب بن شرين الجندى
ابن سُعدى : ١٣٦
ابن الشقى = أبو عمر عثمان بن سفيان
ابن شماخ : ٩٧
ابن صارة الشنترينى : ٨٨
ابن الصباغ العقيلى : ١٩٤
ابن صوحان = صعصعة بن صوحان
ابن طاهر = عبد الله بن طاهر بن الحسين
ابن طلحة = أبو العباس العشاب أحمد بن محمد المرادى
ابن عاصم = أبو يحيى بن عاصم
ابن عباس : ٧٢ ، ٧٣ ، ١٦٨ ، ١٩٦
ابن عبد الدائم : ٤١
ابن عبد السلام : ٢٦ ، ٢٨
ابن عتاب : ٨
ابن عثمان (صاحب التركية) : ٥١
ابن عجيل : ٤٢
ابن عربى = محيى الدين بن عربى
ابن العربى = أبو بكر بن العربى
ابن عرفة محمد بن محمد بن عرفة ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٦ ، ٧٦
ابن عوف = عبد الرحمن بن عوف
ابن عمار (الوزير) : ١٠٩ ، ١٧٤
ابن غازى = أبو عبد الله بن غازى
ابن فارس : ٤
ابن فرحون : ٢٢
ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠
ابن قطبة (الفقيه) : ١٩٦
ابن قنفد : ١٧٠
ابن القيم : ٤١ ، ٥١
ابن لامك = نوح عليه السلام
ابن المأمونى محمد بن حجاج : ١٥٤ ، ١٥٥
ابن المؤدب : ٧٨ ، ٧٩
ابن مجاهد = أبو بكر بن مجاهد
ابن المرابط : ٨٥ ، ١٧٣
ابن مردنيش : ٢٠٥
ابن مرزوق الخطيب : ٧٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥
ابن مسعود (رضى الله عنه) : ٣٨
ابن مسلمة = أبو هشام محمد بن مسلمة
ابن المسيب = أبو محمد سعيد بن المسيب
ابن نباتة : ٥٢
ابن منظور : ٢١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥
ابن النجار = محب الدين محمد بن محمود ابن النجار
ابن النخاس = خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد
ابن هاجر = اسماعيل عليه السلام
ابن هشام : ٤١

ابن يعقوب = يوسف بن يعقوب عليه السلام
ابن يونس : ٢٩
الأبهرى = أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهرى
الأبى = أبو عبد الله الأبى .
أبو أحمد الجرجانى : ١٦٣
أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه : ١٥٧
أبو إسحاق بن الحاج النميرى : ١٩٥ ، ٢٠٢
أبو إسحاق الحبال : ١٥٢
أبو إسحاق الشيرازى : ٣٨ ، ٤٩
أبو إسحاق بن الفاسى : ٨
أبو إسحاق النصيبى : ٨١
أبو إسماعيل يعقوب = يعقوب بن شرين الجندى
أبو بحر سفيان بن العاصى الأسدى : ٨ ، ١٦٠
أبو بكر = أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى
أبو بكر = عبد الله بن طلحة اليابرى
أبو بكر = محيى الدين بن عربى
أبو بكر الشاشى : ٦٢ ، ١٥٢ ، ١٦٣
أبو بكر الصديق : ٣٩ ، ٤٩ ، ٧٢ ، ٢٥٢ ، ٢٩٣
أبو بكر بن طلحة اليابرى = عبد الله بن طلحة اليابرى
أبو بكر بن الطيب الباقلانى = أبو بكر محمد ابن الطيب الباقلانى
أبو بكر بن العربى : ١٥ ، ٢١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٥٤ ، ١٥٨
أبو بكر بن عطية : ٩٩
أبو بكر بن عمر : ١٦١
أبو بكر بن مجاهد : ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦
أبو بكر محمد بن الحسن المرادى : ١٦١
أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى : ٥٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦
أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهرى : ٢٧
أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى : ٦٢ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨
أبو بكر المرادى = أبو بكر محمد بن الحسن المرادى
أبو بكر بن مسعود الحشنى : ١٥
أبو جعفر = ابن خاتمة
أبو جعفر = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير : ١٤ ، ١٦ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧١
أبو جعفر بن زرق : ٦٠ ، ٦١
أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمى : ١٠ ، ٢٠
أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد : ٢٦٢
أبو جعفر بن الباذش : ٦٤ ، ١٥١ ، ١٥٣
أبو جعفر بن بشتغير : ١٠
أبو جعفر بن الزبير = أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير
أبو جعفر العقيلى : ٧٣
أبو جعفر بن المرخى = أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمى
أبو حامد الغزالى الطوسى : ٦٢ ، ٩١
أبو الحجاج يوسف : ١٦١
أبو الحسن = على بن أبى طالب
أبو الحسن = على بن محمد بن عبد الحق الزرويلى
أبو الحسن بن أبى نصر : ٥٤
أبو الحسن أحمد بن أحمد : ١٥
أبو الحسن بن الأخضر : ١٤١
أبو الحسن الأشعرى : ٨٠ ، ٨٥
أبو الحسن بن الباذش : ١٥
أبو الحسن حازم بن محمد : ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٠٤

أبو الحسن بن الحسن النباهى = أبو الحسن على بن عبد الله بن الحسن النباهى
أبو الحسن بن درى : ١٥
أبو الحسن راشد بن عريب : ١١٣ ، ١٣٢
أبو الحسن الشامى : ٢٣٧
أبو الحسن الصغير : ٣٦
أبو الحسن على (السلطان) : ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢
أبو الحسن على بن الحسين الخلعى : ٢٥١
أبو الحسن على بن حمزة بن وهاس : ٢٨٩
أبو الحسن على بن السلار : ١٦٧
أبو الحسن على بن عبد الله بن الحسن النباهى : ١٧ ، ٦٤
أبو الحسن على بن مشرف : ١٦٠
أبو الحسن على بن المظفر النيسابورى : ٢٩٥
أبو الحسن على الهراسى : ١٦٧
أبو الحسن عيسى بن حبيب : ١٥٦
أبو الحسن اللخمى : ١٦٦
أبو الحسن يونس بن مغيث : ٨ ، ١٥ ، ١٥٠
أبو الحسن بن موهب : ١٥
أبو الحسين سراج بن عبد الملك : ٨ ، ١٦
أبو الحسين بن عيسى : ٢١٩
أبو الحسين بن مبارك : ١٥٢
أبو حفص المستنصر = المستنصر بالله بن أبى زكرياء الحفصى
أبو الحكم بن الحجاج : ٨٨
أبو الحكم مالك بن المرحل : ٢٦٣
أبو حنيفة رضى الله عنه : ٢١٩
أبو حيان . ٥٥ ، ٧٧ ، ١٧٢
أبو رافع (مولى الرسول) : ٧٢
أبو الربيع بن سالم الكلاعى : ٢٢٦
أبو الربيع سليمان بن حزم السبائى : ١٥٠
أبو زكرياء = يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص
أبو زكريا يحيى بن على التبريزى : ١٦٧
أبو زيان محمد : ١٩٨
أبو زيد = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
أبو زيد بن أبى عبد الله بن حفص : ٢٠٥
أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولى : ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٦
أبو زيد عبد الرحمن الغرناطى = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
أبو زيد عبدالرحمن بن القصير = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
أبو زيد بن منتال : ١٠
أبو سعد الشقانى : ٢٩٥
أبو سعيد الخدرى : ٧١ ، ٣١٣
أبو سعيد بن لب : ٣٨
أبو شاكر القبرى : ١٤٩
أبو طالب بن عبد المطلب : ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٥
أبو الطاهر السلفى أحمد بن محمد : ٥٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٥
أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى : ١٦٩
أبو العاص حكم بن محمد الجذامى : ١٤٩ ، ١٥٠
أبو عامر = عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون .
أبو عامر محمد بن أحمد بن اسماعيل الطليطلى : ١٥٩
أبو العباس أحمد بن ابراهيم الرازى : ١٥٢
أبو العباس أحمد بن عثمان بن أحمد بن عجلان القيسى : ٧٦
أبو العباس أحمد بن عمر العذرى : ٦٠ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦
أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى : ١٥٧
أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشريشى : ٣٦ ، ٣٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ ،

٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧
أبو العباس الجرجانى : ١٥١
أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح : ٢٠٣
أبو العباس العذرى :
أبو العباس العشاب أحمد بن محمد المرادى : ٦٦ ، ٧٥ ، ٧٦
أبو العباس الغسانى : ٢٠٥
أبو العباس بن الغماز : ٧٦
أبو العباس القباب : ٣٥ ، ٣٧
أبو العباس المراكشى = أحمد بن محمد بن عثمان الازدى
أبو عبد الله (ابن أخى عياض) : ١٠
أبو عبد الله = ابن رشيد الفهرى
أبو عبد الله = المستنصر بالله الحفصى
أبو عبد الله بن الأبار محمد بن عبد الله القضاعى : ٥٥ ، ١٥٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦
أبو عبد الله الأبى : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٧٠
أبو عبد الله بن أبى أحد عشر : ٧٣
أبو عبد الله بن أبى الخصال : ١٥ ، ١٣٣
أبو عبد الله البغدادى : ٧٩
أبو عبد الله التميمى محمد بن عيسى : ١٥٩
أبو عبد الله الحسين بن على الطبرى : ١٥١
أبو عبد الله بن حفص بن عبد المؤمن : ٢٠٥
أبو عبد الله بن حمدين التغلبى : ٩٥ ، ١٥٨
أبو عبد الله الحميدى : ١٥٢
أبو عبد الله السطى : ٢٨
أبو عبد الله بن شبرين : ١٥٦
أبو عبد الله الشران : ٣٠٤
أبو عبد الله بن الشريف = أبو عبد محمد ابن أحمد الشريف التلمسانى
أبو عبد الله الصغير : ٩١
أبو عبد الله الطائى = محمد بن أحمد بن محمد ابن يوسف بن مجاهد
أبو عبد الله بن عبد الرحيم : ١٥٣
أبو عبد الله العربى : ٣٠٩
أبو عبد الله بن عرفة = ابن عرفة محمد بن محمد بن عرفة
أبو عبد الله العكرمى : ٨٥
أبو عبد الله بن عياض : ٧
أبو عبد الله بن غازى : ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٢٩٨ ، ٣١٧
أبو عبد الله الغورى : ٧٨
أبو عبد الله بن الفرج : ١٥٣
أبو عبد الله الكبير : ٧٦ ، ٨٥
أبو عبد الله المازرى محمد بن على : ١٦٥ ، ١٦٦
أبو عبد الله بن مجاهد الأشبيلى : ٦٣ ، ٧٩
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف التجيبى : ٨ ، ٦١ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٥٨ ، ٢٦١
أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمسانى : ٢٤ ، ٢٧
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازى : ٦٥ ، ٦٦
أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣١٧
أبو عبد الله محمد بن خلفة الوشتاتى = أبو عبد الله الأبى
أبو عبد الله محمد بن سعدون القروى : ١٥١ ، ١٥٥
أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار : ١٦٧
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الأشقرى : ١٥٩
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شبرين : ١٥٥
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار : ٦٣
أبو عبد الله محمد بن عتاب : ١٤٩

أبو عبد الله محمد بن على بن الأزرق : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٦
أبو عبد الله محمد بن على بن حمدين : ١٦
أبو عبد الله محمد بن على بن محمد ٣١٧
بو عبد الله المخلوع : ٣٠٩
أبو عبد الله محمد بن عياض : ١٧٠
أبو عبد الله محمد بن فرج : ٦٠ ، ٦١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨
أبو عبدالله محمد بن مرزوق : ٢٥ ، ٣٠٠
أبو عبد محمد بن محمد السرقسطى : ٣١٧
أبو عبد الله بن مدرك الغسانى : ١٥٤
أبو عبد الله بن المرابط : ١٥١ ، ١٥٦
أبو عبد الله المستنصر : ١٧٣
أبو عبد الله المكلاتى : ١٧٤
أبو عبد الملك بن عبد العزيز : ١٢٥
أبو عبيدة : ٢٥٥
أبو العرب = محمد بن أحمد بن تميم التميمى
أبو على الأهوازى : ٨٥
أبو على الجيانى حسين بن محمد : ٩ ، ١٤٩ ، ١٥٨
أبو على الحسن بن محمد اللخمى : ٢٢
أبو على حسين بن محمد الصدفى : ٨ ، ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٥١ ، ١٥٨
أبو على بن عبيل : ٧٦
بو على الغسانى : ١٦ ، ٦٠ ، ٦١
أبو عمر بن الحذاء القاضى : ١٤٩
أبو عمر بن عبد البر : ٨٥ ، ١٤٩
أبو عمر عثمان بن سفيان : ٧٦
أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى : ٦٧
أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبى تليد : ١٥٩
أبو عمرو = عثمان بن عفان
أبو عمرو الحضر بن عبد الرحمن : ١٥٤
أبو عمرو الدانى : ٨٥ ، ٨٦
أبو عنان فارس : ٢٧ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨
أبو عيسى الترمذى : ١٥٢
أبو عيسى بن لبون : ١٢٠ ، ١٤٦
أبو عيسى موسى : ٢٦ ، ٢٧
أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى : ١٥٣
أبو الفرج سهل بن بشر الاسفرائنى : ١٥٢
أبو الفرج عبد الله بن أحمد البقنى : ٣١٧
أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون : ١٥٢
أبو الفضل قاسم العقبانى = قاسم بن سعيد ابن محمد
أبو الفوارس طراد بن محمد الزينبى : ١٥٢
أبو القاسم = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
أبو القاسم = محمد النبى صلى الله عليه وسلم
أبو القاسم (الخطيب) : ٨
أبو القاسم بن أبى الوليد الباجى : ١٥٦
أبو القاسم بن أبى الوليد بن رشد : ٦٠
أبو القاسم بن أحمد البرزلى : ٢٥
أبو القاسم بن البراء : ٧٦
أبو القاسم بن بشكوال : ١٥٠ ، ١٥٤
أبو القاسم بن بقى : ٨ ، ١٥
أبو القاسم حاتم بن محمد : ١٤٩
أبو القاسم الخرستانى : ٥٤
أبو القاسم خلف بن أحمد الجراوى : ١٥٥
أبو القاسم الخوارزمى : ٧٨
أبو القاسم خلف بن عبد الملك = ابن بشكوال
أبو القاسم خلف بن عبد الملك
أبو القاسم بن رضوان : ١٩٦
أبو القاسم بن زيتون : ٧٦
أبو القاسم بن سراج : ٣١٥ ، ٣٢٢
أبو القاسم الشريف الحسنى : ١٧٤
أبو القاسم بن شعبة : ١٥١
أبو القاسم شعيب بن سعد : ١٥٢

أبو القاسم بن عساكر : ١٥٣
أبو القاسم عبد الجليل الربعي : ١٥٦
أبو القاسم عبد الرحمن الأزدي = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
أبو القاسم القاسم بن أبي بكر = ابن زيتون القاسم بن أبي بكر
أبو القاسم بن محرز القيروانى : ٢٢
أبو القاسم بن الملجوم : ١٥
أبو القاسم بن منظور : ١٥٦
أبو القاسم مهدى بن يوسف الوراق : ١٥٢
أبو القاسم بن النحاس : ٨
أبو القاسم بن ورد : ١٥ ، ١٥٠
أبو محمد = عبد الله بن طلحة اليابرى
أبو محمد = عبد الواحد بن أبي حفص
أبو محمد بن أبي زيد : ٨٥
أبو محمد التميمى : ١٧
أبو محمد جعفر بن السراج : ١٦٧
أبو محمد بن جوشن : ١٣٩ ، ١٤٠
أبو محمد حجاج بن قاسم بن محمد الرعينى = ابن المأمونى محمد بن حجاج
أبو محمد بن حزم : ١٦٢
أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى : ١٥٢
أبو محمد بن سفيان : ١٤٢
أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية : ١٥
أبو محمد بن عبد الحميد الفروى الصائغ : ١٦٦
أبو محمد عبد الله بن الأبار : ٦٣
أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر = عبد الله ابن محمد بن عبد الله الخشنى
أبو محمد عبد الله بن أحمد المدل : ١٦٠
أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى : ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٦٠
أبو محمد عبد الله العبدوسى : ٧٤، ٨٦، ٩١
أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الواعظ : ٧٦
أبو محمد عبد الله بن محمد بن اسماعيل : ١٥١
أبو محمد بن عتاب الجذامى : ١٦ ، ١٦٠
أبو محمد بن الفرج : ١٤٥
أبو محمد بن عوف بن يوسف الحزامى : ٣٠٥
أبو محمد بن منصور : ٩
أبو مروان الباجى : ١٥٦
أبو مروان حيان بن حيان : ١٦٠
أبو مروان الطبنى : ١٤٩
أبو مروان عبد الملك بن أحمد : ١٥
أبو مروان عبد الملك بن سراج : ٦٠، ٦١، ١٤٩
أبو مروان عبد الملك بن مسرة : ٦٠
أبو مضر محمود الأصبهانى : ٢٩٥ ، ٢٩٧
أبو المطرف بن عميرة : ٢١٨
أبو المعالى محمد بن عبد السلام الأصبهانى : ١٥٢
أبو منصور الحارثى : ٢٩٥
أبو موسى عيسى : ٢٤
أبو نصر : ١٣٧
أبو نصر الفتح بن عبيد = الفتح بن خاقان
أبو نعيم الحافظ : ٧٢ ، ٦٨
أبو هشام محمد بن مسلمة : ٧١ ، ٧٢
أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى : ٦٣ ، ١٤٩ ، ١٥١، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٢
أبو الوليد محمد بن رشد : ٨ ، ١٥ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ١٥٨
أبو الوليد هشام بن أحمد بن العواد : ٨، ١٦١
أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهلالى : ١٥٤
أبو يحيى الباجى : ٧٣
أبو يحيى الشريف = عبد الرحمن بن أحمد الشريف

أبو يحيى بن عاصم : ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢
أبو يعلى المالكى : ١٥١
أبو اليمن بن عساكر : ٢٦١
الأحدب : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤
أحمد = محمد النبى صلى الله عليه وسلم
أحمد بن أبى يحيى الشريف التلمسانى : ٣١٧
أحمد بن أويس (صاحب بغداد) : ٥١
أحمد بابا السودانى التنبكتى : ٣٧ ، ٥٦ ، ٥٧
أحمد بن حنبل : ٧٩ ، ٨٠
أحمد بن سعيد بن بشتغير : ١٥٨
أحمد العبادى : ٣٠٧
أحمد بن عبد الجليل اللخمى : ٣١٢
أحمد بن عبد الرحمن المرداوى : ٤١ ، ٥١
أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهانى = أبو الطاهر السلفى أحمد بن محمد
أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمى : ١٥٧
أحمد بن محمد بن عبد الله بن غلبون : ١٥٧
أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى : ٢٣
أحمد بن محمد بن محمد بن مخلد : ١٥٧
أحمد بن محمد بن مكحول : ١٥٨
أحمد بن مطر النابلسى : ٥١
أحمد بن مظفر النابلسى : ٤١
أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد = أبو بكر بن مجاهد
أحمد الوانشريشى = أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشريشى
أحمد بن يحيى الوانشريشى = أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشريشى
ادريس عليه السلام : ٢٤٤
الاسفرائنى : ٥٧
إسماعيل (عليه السلام) : ٢٤٤
إسماعيل الطوسى : ٩١
الأشرف (صاحب مصر) : ٤٢ ، ٥١
الأشرف إسماعيل (صاحب اليمن) : ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١
الأشعرى : ٥٧
الأفضل بن أمير الجيوش : ١٦٤
أنس بن مالك : ٣٠٥
إياس بن معاوية : ٩٢

(ب)

الباقلانى = أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى
بايزيد خان بن عثمان : ٤٢
بايزيد بن السلطان مراد : ٣٩
برد (مولى سعيد بن المسيب) : ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣
البرزلى : ٣٢
برغوث : ٨٤
برهان الدين الحلبى : ٥٠
بروكلمان : ١٠٣
بشر بن الحسين : ٧٩ ، ٨٠
بشر المريسى : ٧٨
بلال بن رباح (مولى أبى بكر) : ٧٢
البلقينى : ٥٧
بنت ابن مرزوق : ٣٠٥
البهاء بن عقيل : ٤١
البيانى : ٤١ ، ٥١

(ت)

التقى الحرازى : ٥٢
التقى السبكى : ٤١ ، ٥١
التقى القلقشندى : ٤١
التقى الكرمانى : ٤٤
تمرلنك : ٤٢ ، ٤٤
التونسى = أبو القاسم بن محرز القيروانى
تيمور : ٣٩

(ث)

الثعلبى : ٧٣

(ج)

جابر بن الأسود : ٧٠
جبريل عليه السلام : ٨٣
الجزولى = أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولى
الجعبرى : ٨٦
الجعد بن درهم : ٢٠٣
الجعدى = مروان بن محمد
جعفر بن عبد المطلب : ٢٥٦، ٢٥٧
جلال الدين السيوطى : ٥٦
الجمال الأسنوى : ٤١
جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن الصفراوى : ١٦٨ ، ١٦٩
جمال الدين الريمى : ٤٢ ، ٤٩
جميل بن معمر : ١٦٨
الجمال موسى المراكشى : ٤١، ٥٢
الجوهرى : ٤٤ ، ٩١
جويرية أم المؤمنين : ٢٦٠

(ح)

حاتم الطائى : ١٣٦
الحامى = محيى الدين بن عربى
الحارث بن أسد المحاسبى : ٧٩
حازم بن محمد بن حسن = أبو الحسن حازم ابن محمد
الحافظ السلفى = أبو الطاهر السلفى أحمد بن محمد
حام بن نوح . ٢٥٧
حذيفة بن بدر : ٩٧
حزن بن أبى وهب المخزومى : ٦٩
حسان بن الأسود = جابر بن الأسود
حسان بن ثابت : ١٠٥
حسن بن القائد : ٣١٤
الحسن المغيلى : ٣٦
حسون بن الحاج : ١٠٢
الحسين بن عبد الأعلى السفاقسى : ١٥٨
الحسين بن على بن طريف : ١٥٨
حسين بن محمد بن أحمد الغسانى = أبو على الجيانى حسين بن محمد
الحسين بن محمد الصدفى = أبو على حسين بن محمد الصدفى
حسين بن محمد بن فيره بن خيون بن سكرة = أبو على حسين بن محمد الصدفى
حفص الفرد : ٧٨
حفصة أم المؤمنين : ٢٥٩
حكم بن محمد = أبو العاص حكم بن محمد الجذامى
حمران مولى عثمان بن عفان : ٧٢
حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه : ٢١٣ ، ٢٥٦
حمل بن بدر : ٩٧

(خ)

خالد بن صفوان : ١٠٦
خالد بن الوليد رضى الله عنه : ٢١٨ ، ٢١٩
خديجة أم المؤمنين : ٢٥٨
الخزرجى : ٤٤
الخضر رضى الله عنه : ١٢٠
خلف بن إبراهيم أبو القاسم = خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد
خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد : ١٥٨
خلف بن خلف الأنصارى بن الأنقر : ١٥٨
خلف بن يوسف بن فرتون : ١٥٨
خليل المالكى : ٥٢
الخونجى : ٢٣

(د)

دانشمند الأصغر = أبو حامد الغزالى الطوسى

دانشمند الأكبر = إسماعيل الطوسى
داود : ٢١٤
داود عليه السلام : ٢٥٧

(ر)

راشد : ٣٣
الرافعى : ٥٧
رتن الهندى : ٥١
رحمون بن الحاج : ١٠٢
الرشاطى : ٣٠٥
الرشيد : ٧٢ ، ٧٨ ، ١٧٣
رضى الدين الصغانى : ٥١
رملة أم المؤمنين : ٢٥٩
الرملى : ٣٧

(ز)

الزبير بن العوام : ٢٥٥
زكى الدين أبو محمد عبد العظيم : ١٦٨
الزمخشرى : ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٢٨٢ — ٣٠٥ ، ٣٢٣
زيان : ٢٠٥
زيد بن حارثة (مولى الرسول) : ٧٢
زيد بن عمرو بن نفيل : ٢٥٦
زين الدين العراقى : ٣٩
زينب أم المؤمنين : ٢٥٩

(س)

سام بن نوح : ٢٥٧
السبكى : ٥٢
سحبان بن وائل : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٤٢
سحنون = عبد الله بن سعيد
السخاوى : ٣١٧
سراج الدين البلقينى : ٣٩
سراج الدين بن الملقن : ٣٩
سراج بن عبد الله : ١٤٩
سراج بن عبد الملك بن سراج : ١٦٠
سعد بن أبى وقاص : ٢٥٦
سعد الدين التفتازانى : ٣٠١
سعيد : ٢٥٦
سعيد بن أحمد : ٤٧
سعيد بن أحمد المقرى : ٣٠٨
سعيد بن محمد العقبانى : ٢٥
سعيد بن حكم القرشى : ٢١٥
سعيد بن المسيب بن حزن : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣
السفاح = أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح
سفينة (مولى الرسول) : ٧٢
السلفى = أبو الطاهر السلفى أحمد بن محمد
سليمان : ١٢٢ ، ٢١٤
سليمان بن داود عليه السلام : ١٦٥
سليمان بن عبد الملك : ٦٨ ، ٧٠
سليمان النهم = سليمان بن عبد الملك
السمعانى : ٤٠
سهل : ٥٧
السهيلى : ٧٥
سودة أم المؤمنين : ٢٥٩
سيبويه : ٢٩١ ، ٢٩٨
سير بن أبى بكر : ١٥٦
السيوطى : ١٠٢ — ٢٩٥ ، ٢٩٦

(ش)

الشافعى محمد (الإمام) : ٥٧ ، ٧٨ ، ١٧١
الشبلى : ٨٥
شجاع (صاحب تبريز) : ٥١
الشرف الدمياطى : ٤١
شرف الدين الحسن بن محمد الطيبى : ٨٤
شريح : ١٠
شريح بن محمد الرعينى : ١٦١

شقران (مولى الرسول) : ٧٢
الشلوبين : ٢٧
شمس الدين الفناري : ٣٩
الشمس السعودي : ٤١
الشيخ ابن بقي = أحمد بن محمد بن محمد بن مخلد
الشيخ ابن غلبون = أحمد بن محمد بن عبدالله ابن غلبون
الشيرازي : ٧٢

(ص)

الصاغاني : ٤٠ ، ١٥٩
صالح بن شريف : ٢٠٧
الصالحي = أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري
الصائغ = أبو محمد بن عبد الحميد القروي الصائغ
الصرصري الحافظ : ٢٧
صعصعة بن صوحان : ١٠٦
الصفدي : ٤١
الصفراوي = جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن الصفراوي
صفية أم المؤمنين : ٢٥٩
الصلاح الصفدي : ٤٧ ، ٥٢

(ض)

الضحضاح : ٧٣

(ط)

طاهر بن هشام الأزدي : ١٥٤
الطبري = أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري
الطرطوشي = أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي
طلحة : ٢٥٥
الطلمنكي : ١٥٦

(ظ)

الظافر عبدالرحمن بن عبيد الله بن ذي النون = عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذي النون الظافر العبيدي : ١٦٧

(ع)

عائشة رضي الله عنها : ٣٧ ، ٢٥٩
العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : ٧٥ ، ٢١٣ ، ٢٥٧
عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي : ٧٦
عبد الرحمن بن أحمد = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذي النون : ١٠٨ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٧
عبد الرحمن بن عوف : ٢٥٦
عبد الرحمن بن القصير = ابن القصير عبد الرحمن بن أحمد
عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف : ٢٥
عبد الرحمن بن محمد بن بقي : ١٦٠
عبد الرحمن بن محمد السبتي : ١٦٠
عبد الرحمن بن وعلة السبئي : ١٦٨
عبد الرحيم بن الحسين الزين العراقي : ٥٧
العبدري : ٣٢٣
عبد السلام = محمد بن عبد السلام بن يوسف ابن كثير
عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي : ٥٤
عبد الغني بن سعيد الأزدي : ٩
عبد الغني المقدسي : ١٦٩
عبد الله بن أبي أحد عشر : ٧٣

عبد الله بن بكتاش : ٤١
عبد الله بن سعيد : ٢٥
عبد الله الشريف التلمسانى : ١٩
عبد الله بن طاهر بن الحسين : ١٠٦
عبد الله بن طلحة اليابرى : ٧٧
عبد الله بن عيسى : ٨
عبد الله بن كلاب : ٧٩
عبد الله بن محمد بن أيوب الفهرى : ١٦٠
عبد الله محمد بن خيرة : ٦٠
عبد الله بن محمد بن عبد الله الخشنى : ١٦٠
عبد الله بن محمود بن النجم : ٤٠
عبد الله هشام بن اسماعيل : ٧١
عبد المطلب بن هشام : ٧٤ ، ٧٥
عبد الملك بن رزين : ١٢٤
عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز : ٦٨
عبد الملك بن مروان : ٧٠
عبد الواحد بن أبى حفص : ٢١٢
عبد الواحد الونشريشى : ٣٥ ، ٣٠٧
عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراوى : ٥٥
عبد الوهاب الشعرانى = عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراوى
عبيد الله بن ذى النون : ١١٨ ، ١١٩
عثمان بن حيان المرى : ٦٧
عثمان بن عفان : ٢٥٣
العرضى : ٥٢
العز بن جماعة : ٥٢
عزون بن الحاج : ١٠٢
عزيز الدولة ريحان : ٢٩٨
عكرمة : ٧٣
عكرمة البربرى : ٧٢
العلائى : ٤١ ، ٥١
على بن أبى طالب : ١٠٦ ، ٢٥٤
على بن أحمد الأنصارى بن الباذش : ١٦٠
على بن عبد الرحمن التجيبى بن الأخضر : ١٦٠
على بن عيسى بن حمزة = أبو الحسن على ابن حمزة بن وهاس
على بن محمد بن عبد الحق الزرويلى : ٢٣
على بن المدينى : ٨٦
على بن يوسف بن تاشفين : ٦١ ، ١٥٦
عمر بن الخطاب : ٧١ ، ٢١٣ ، ٢٥٣
عمر بن عبد العزيز : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٩٢
عوف بن محلم الشيبانى : ١٠٦
عيسى عليه السلام : ٥٨

(غ)

غالب بن عطية المحاربى : ١٦٠
الغزالى : ٢٣ ، ٥٧

(ف)

الفارابى : ٨٤
الفخر بن البخارى : ٤١
فارس = أبو عنان فارس
الفارقى : ٥٢
الفاسى : ٤٦
فاطمة بنت الرسول : ٢٥٤
الفتح بن عبيد الله = ابن خاقان الفتح بن عبيد الله
الفخر : ٢٣
الفخر الرازى : ٢٦ ، ٨٥ ، ٥٧
فنا خسرو : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٦
الفيروز ابادى = مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى

(ق)

القادر بالله بن ذى النون : ١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦
قاسم بن سعيد بن محمد : ٢٥
القباب = أبو العباس القباب
قس إياد : ١٠٤ ، ٢٩١

القلانسى : ٥١
القلقشندى : ٩
قيس بن زهير العبسى : ٩٧

(ك)

كريب (مولى ابن عباس) : ٧٢
الكسائى : ٨٥
كليب : ٢٩٣

(ل)

اللخمى = أبو على الحسن بن محمد اللخمى

(م)

المأمون : ٧٩ ، ٩٢ ، ١٠٦ ، ١٢٠
المأمون بن ذى النون : ١٣٦ ، ١٣٨
الماجشون : ٣١٦
مارية زوج النبى صلى الله عليه وسلم : ٢٦٠
المازرى = أبو عبد الله محمد بن على بن عمر التميمى
مالك رضى الله عنه : ٢٧ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٢١٩ ، ٢٤٤
المتوكل على الله = أبو عنان فارس
مجاهد : ١٩٦
مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازى الفيروزابادى : ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩
محب الدين محمد بن محمود بن النجار : ١٦٩
محمد (النبى صلى الله عليه وسلم) : ١٩ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣
محمد بن الأبار = محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن الأبار
محمد بن ابراهيم المرادى = أبو العباس العشاب أحمد بن محمد المرادى
محمد أبو القاسم بن محمد : ٢٦٢
محمد بن أحمد بن تميم التميمى : ٧٠
محمد بن أحمد بن غازى = أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن غازى
محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد : ٨٥
محمد بن اسماعيل البخارى : ٨٦
محمد بن اسماعيل بن الحموى : ٤١
محمد بن البردعى : ١٢ ، ١٤
محمد بغيم : ٥٧
محمد بن الجبير : ٣١٣
محمد بن جدار : ١٩٧
محمد بن سليمان النفزى : ١٥٩
محمد الصديق = مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى
محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير : ٢٤
محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن الابار : ٢١٦ ، ٢١٧
محمد بن عبد الله التلمسانى : ٢٤
محمد بن عبد الله القضاعى البلنسى = أبو عبد الله بن الأبار محمد بن عبد الله القضاعى
محمد العربى : ٣١٠
محمد بن على الشاطبى ابن الصيقل : ١٥٩
محمد بن على بن عمر المازرى = أبو عبد الله المازرى محمد بن على
محمد بن على بن محمد الطائى بن عربى الصوفى = محيى الدين بن عربى
محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن أحمد التغلبى = أبو عبد الله بن حمدين التغلبى
محمد بن عيسى التجيبى القاضى : ١٥٩

محمد بن فرج = أبو عبد الله محمد بن فرج
محمد بن محمد بن عرفه : ٢٤
محمد بن مسلمة = أبو هشام محمد بن مسلمة
محمد المقرى : ٣١٨
محمد بن الوليد بن محمد بن خلف = أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى
محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم = مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى
محمد بن يوسف الزرندى : ٤٩ ، ٧١
محيي الدين بن عربى : ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥
المدائنى : ٧١
المرادى = أبو بكر محمد بن الحسن المرادى
مروان بن محمد : ٢٠٣
مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) : ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢
المستنصر بالله بن أبى زكرياء الحفصى : ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤
المستعين بالله : ١٢١
المسعودى : ٦٦ ، ٧٥
مسلم (صاحب الصحيح) : ٣٧ ، ٧١
مسيلمة الكذاب : ٢٥٢
المصطفى = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
مصعب بن عبد الله : ٦٧
مظفر الدين : ٥١
المعتصم : ٧٩ ، ٨٠
المعتمد بن عباد : ٩٢ ، ١٧٤
المغيرة : ٧٢
المكودى : ١٧٤
الملاحى : ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥
منصور بن شجاع (صاحب تبريز) : ٤٢
المهدى : ٢٠٨
المهلب : ٧١
موسى (عليه السلام) : ١٢٠
موسى بن نصير : ٧١
ميمون بن مهران : ٦٧ ، ٦٨
ميمونة أم المؤمنين : ٢٥٩

(ن)

الناشرى : ٥٠
الناصر : ٥٠
الناصر بن الأشرف : ٤٢
ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن جهبل : ٤٨
ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندرى : ٨٤
ناصر الدين التونسى : ٥٢
الناصر بن يعقوب : ٦٥
نافع (مولى ابن عمر) : ٧٢
النجيب الحرانى : ٤١
النصيبي . ٨٢ ، ٨٣
نظام الملك : ١٦٩ ، ١٧٠
النعمان : ١٠٤
نوح عليه السلام : ٢٤٤
نور الدين على بن محمد العفيف : ٤٦

(هـ)

هشام بن أحمد الهلالى الغرناطى : ١٦١
هشام بن اسماعيل المخزومى : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١

(و)

الوادى آشى = أبو عبد الله محمد الحداد الوادى آشى
الواقدى : ٧١
الوانشريشى = أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشريشى
وجيه الدين منصور : ١٧١
الوطاسى : ٣٠٩
ولى الدين بن خلدون : ٢٠٤
الوليد بن عبد الملك : ٧٠ ، ٧١

(ى)

يحيي بن ذى النون : ١٣٦
يحيي بن سعيد : ٧١
يحيي بن عاصم : ٣١٩
يحيي بن عبد الواحد بن أبى حفص : ١٧٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٢
يحيي بن على بن مجلى بن الحداد الحنفى : ٤١ ، ٥١
يحيي بن معين : ٧١
يحيي بن يحيي : ٢٧
يرفأ (مولى عمر بن الخطاب) : ٧٢
يعقوب : ٨٥
يعقوب عليه السلام : ١٣٢ ، ٢٢٦ ، ٢٤٣
يعقوب بن شرين الجندى : ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢
يوسف : ١٢٢
يوسف بن عبد العزيز بن عديس الطليطلى : ١٦٢
يوسف بن موسى الكلبى : ١٦١
يوسف بن يعقوب : ١٣٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٣١٣
يونس بن محمد بن مغيث : ١٦١

فهرس الشعراء

(ا)

إبراهيم بن هلال : ٣٢٤
الأعشى : ١٤٤
ابن الجبير = أبو عبد الله محمد بن الجبير اليحصبي
ابن جزى = أبو عبد الله بن جزى
ابن خاتمة : ٢٠٢
ابن عاصم : ٣٢٣
ابن عمار : ١٧٤
ابن القرطبي : ٢٩١
ابن قلاقس الإسكندرى : ١٧٦
أبو إسحاق بن الحاج : ٢٦٣
أبو بكر أحمد بن أحمد بن أبى محمد عبد الله القرطبي : ٢٦٤
أبو بكر بن العربى : ٨٩
أبو تمام : ١٤٢
أبو الحسن راشد بن عريب : ١١٤ ، ١٣٢
أبو الحسن على بن أحمد الشامى الخزرجى : ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٣٢٥
أبو حفص بن عمر : ٣٢٣
أبو حية النميرى : ١٤٤
أبو الربيع بن سالم الكلاعى : ٢٢٦
أبو زكرياء يحيى بن منصور التونسى : ٣٠٠
أبو الطاهر السلفى : ١٧٠ ، ١٧١
أبو الطيب المتنبى : ٩٠
أبو العباس العزفى : ٩٥
أبو عبد الله بن الأزرق : ٣٢٢
أبو عبد الله بن جزى : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣
أبو عبد الله بن الخطيب : ٢٠٢
أبو عبد الله بن رشيد الفهرى : ٢٦٦
أبو عبد الله بن عرفة : ٣٠١
أبو عبد الله الفيومى : ٤٧
أبو عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى : ٢٧٢ ، ٣٠٧
أبو عبد الله محمد بن الجبير اليحصبي : ٣٠٢ ، ٣٠٤
أبو عبد الله محمد بن على الأجمى التونسى : ٣٠٠
أبو عبد الله محمد بن فرج : ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧
أبو عبد الله بن مرزوق التلمسانى : ٣٠١
أبو العلاء المعرى : ٢٩٧
أبو على حسين بن صالح بن أبى دلامة : ٢٠٢
أبو على عمر بن عبد الرفيع : ٣٠٠
أبو على عمر بن محمد بن خليل السكونى الأصولى : ٢٩٦
أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى : ٢٠١
أبو محمد عبد الواحد اليفرنى : ٣٠١
أبو القاسم بن أبى النعيم : ٣٢٥
أبو اليمن بن عساكر : ٢٦٢

(ب)

بثينة صاحبة جميل : ١٦٨

البديع الخوارزمى : ٢٩٢

(ت)

تقى الدين الواسطى : ٤٨

(ج)

جلال الدين السيوطى : ٥٦ ، ٥٧

(خ)

الخطيب الموفق : ٢٩١

(ر)

الرصافى : ٢٢٣

(ز)

الزمخشرى : ٢٩٤ ، ٢٩٨
زهير بن أبى سلمى : ١٤٤

(س)

سراج الدين عمر الفاكهانى : ٢٦٥

(ش)

الشامى الفقيه = أبو الحسن على بن أحمد الشامى الخزرجى
الشران : ٣٠٤

(ط)

الطيبى : ٣٠٢

(ع)

عبد الرحمن بن معمر (الواسطى) : ٤٧
على بن أحمد الشامى = أبو الحسن على بن أحمد الشامى الخزرجى
على بن عيسى بن حمزة بن وهاس : ٢٧٥
العميدى : ٢٩٠

(ك)

كامل الدين المظفر : ٣٠٢

(م)

محمد بن أرسلان : ٢٨٨
محمد العربى : ٣٠٨
محمد بن فرج = أبو عبد الله محمد بن فرج
محمد بن هانىء الأندلسى : ٢٧٥

(ن)

ناصر الدين بن المنير الإسكندرانى : ٢٩٩
النميرى السلوى : ٧٤
نور الدين على بن محمد العفيف : ٤٦

(و)

الوادى آشى = أبو عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى
وجيه الدين منصور : ١٧١

فهرس القبائل

(ا)

أصحاب الرشيد بن أبي القاسم : ٤٩
الإفريقيون = أهل إفريقية
الأنصار : ٢٢٥ ، ٢٥٧
أهل تلمسان : ٣٠٨
أهل تونس : ٢٠٦
أهل حمص : ٩٢
أهل السنة : ٦٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥
أهل العراق : ٢٢
أهل أفريقية ة ٢٥ ، ٢٦
أهل الأندلس : ٢٣ ، ٢٧ ، ٧٧ ، ٢٠٦
أهل فارس : ٨٦
أهل مصر : ١٦٩

(ب)

البصريون : ٨١
البغداديون
بنو أمية : ٦٨
بنو رغبوش : ٧٨
بنو العباس : ١٠٦
بنو عبد العزيز : ١٢٥
بنو مخزوم : ٧٢
بنى مرزوق : ٣٠٥
بنو نصر : ٣٢٢

(ج)

الجبرية : ٨٤

(ح)

حمير : ١٥٩

(د)

الدولة الحفصية : ٢٠٤
الدولة العباسية : ٢٠٣

(ر)

رعين : ١٥٩
الروم : ٢٠٧

(س)

سعد : ١٤٢

(ش)

شيوخ مصر : ٦٣

(ص)

الصوفية : ٨٠

(ط)

طلبة فاس : ٣٥

(ع)

العدلية : ٢٩٨
العرب : ٤٥ ، ٧٥ ، ١٠٨ ، ٢٨٨

علماء شيراز : ٤١

(ف)

الفاسيين : ٢٧
الفرس : ٩١
فقهاء فاس : ٢٨

(ق)

القرويين : ٢٦ ، ٨٧
قريش : ٢٥٤
قضاعة : ٩

(ل)

لواته : ١٥٨

المثبتة = أهل السنة
المرتدون : ٣٠٨
المسلمون : ٦١ ، ٢٥٢ ، ٣٠٥
المعتزلة : ٦٦ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٦
المغاربة : ٢٤
ملوك بنى مرين : ٢٧
ملوك المغرب : ٣٦
الموحدون : ١١

(ن)

النصارى : ٦١ ، ٣٠٩ ، ٣١٥

(ى)

يهود : ٣٠٧

فهرس الاماكن

(ا)

آبل : ٧٨
أبّة : ٧٥
أحد : ٢٥٦
الإسكندرية : ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨
إشبيلية : ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٩٢ ، ١٥٦ ، ١٦٢
أصبهان : ١٦٨
أغلان : ٨٨
إفريقية : ١٥ ، ٢٨ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ١٧٣
الأندلس : ٨ ، ٩ ، ٢١ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٣٠٢ ، ٣١٨
الأهواز : ١٢٧

(ب)

الباب الأخضر : ١٦٨
باب الجيسة : ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٦ ، ٨٧
باب الفرج : ٤٨
باب المحروق : ٦٥ ، ٨٦
باب النصر : ٤٨
بجاية : ٢٠٦
بحر اليمن : ٤٤
بخارى : ٢٩٦
بدر : ٢٥٦
بسطة : ١٧
البصرة : ٧٩ ، ٩٢ ، ١٢٧ ، ١٥١ ، ١٦٣
بطليوس : ١٠٥ ، ١٤١
بعلبك : ٤١
بغداد : ١٧ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٢٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ٢٩٥
بغدان = بغداد
بلاد الجريد : ١٥
بلاد الروم = الروم
بلاد اليمن = اليمن
بلقينة : ٥٧
بلنسية : ١٠٢ ، ١٥١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧
بنزرت : ٢٠٦
بيت المقدس : ٥١ ، ١٦٤
ألبيرة : ١٥٥
بيوت بنى كعب بن سايم : ٨٩

(ت)

تازا : ٣٣
تدمير : ١٧٣
تستر : ١٢٧
تقيوس : ١٥
تلمسان : ١٨ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٥٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٨
تنبكت : ٥٧
تهامة : ٤٢
توزر : ١٥
تونس : ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ١٧٣ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٣

(ث)

ثهلان : ١٢٢

(ج)

جاغو : ٥٧
الجامع الأعظم : ٣٠٥
جامع سبتة : ١٠
الجزيرة = الأندلس
جيرون : ٢٧٢

(ح)

حارة الجذمى : ٨٦ ، ٨٧
الحبشة : ٤٤
الحجاز : ٦٢ ، ٢٨٩
الحرمين (الشريفين) : ٥٠ ، ١٥١
حلب : ٤١
حماة : ٤١
حمص = إشبيلية
حمص : ٦٨
حمة بجانة : ١٥٠

(خ)

الخبزة : ٤٣
خراسان : ٧١ ، ١٠٦
خزانة الأندلسيين = خزانة جامع الأندلس
خزانة جامع الأندلس : ٣٦ ، ٧٧ ، ٨٥
خزانة جامع القرويين : ٣٦ ، ٨٦
خزانة القرويين = خزانة جامع القرويين
خزانة الجامع الأعظم بتلمسان : ١٨
خوارزم : ٧٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥
الخورنق : ١٢١
خوزستان : ١٢٧
خيبر : ٢٥٣
الخيف : ١٢١

(د)

دار الحديث الأشرفية : ٢٦٦ ، ٢٧٢
دار الكتب المصرية : ٥٦
دارين : ١١٨ ، ١٣٦
دمشق : ٤١ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ١٥٢ ، ٢٧٢
دهلك : ٤٤
دورقة : ١٥٣
الديار الشامية = الشام
دير سمعان : ٦٨

(ر)

رباط أبي سعد : ٩١
رضوى : ١٠١
رندة : ٣١٥
الروم : ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤

(ز)

الزاب : ٧٨
زبيد : ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢
زمخشر : ٢٨٩ ، ٢٩٣
زمزم : ١٤٨
الزهراء : ١٤٩
زوراء العراق : ١٠٧

(س)

ساقية أبي شعرة : ٥٥
سبتة : ٨ ، ١٦ ، ٢٧ ، ٥٤
السدير : ١٢١
سرقسطة : ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٢

سلا : ١١
السلامة : ٤٣
سلفة : ١٧٠
سواكن : ٢٩٨

(ش)

شاطبة : ٢١٨ ، ٢٣٩
الشام : ٤١ ، ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ١٥٣ ، ١٦٧
الشحر : ١١٨
الشريعة القديمة : ١٥١
شلب : ١٥٥ ، ١٥٦
شنت مرية : ١٢٢ ، ١٢٥
شيراز : ٣٩ ، ٤٠ ، ٨٠ ، ٨٦

(ص)

الصفا : ٤٦
صقلية : ١٦٥
صنعاء : ١٢٧
صور : ١٦٧

(ض)

ضريح النبي صلى الله عليه وسلم : ٢٢٥

(ط)

الطائف : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٣١٩
طرسوس : ٧٩
طرطوشة : ١٦٢
طليطلة : ١٠٧
طيبة : ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

(ع)

عبقر : ١٢٧
عدن : ٤٢
العراق : ٤١ ، ٩٤ ، ٢٨٩
عرفة : ٢٩٥
العقيق : ١١٢
عكاظ : ٦

(غ)

غرناطة : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨

(ف)

فاس : ١٥ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٨ ، ١٥٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٤

(ق)

القاهرة : ٤١ ، ٤٩
القدس = بيت المقدس
قرطاجنة : ١٧٣
قرطبة : ٨ ، ١٦ ، ١٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٢ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ٢٠٧
قرقوب : ١٢٧
القيروان : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠٥

(ك)

كارزين : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٩
كسكر : ١٢٧
الكعبة : ٤٦ ، ٤٨

(م)

مازر : ١٦٥
مالقة : ١٧
مجلس الناعورة : ١٠٧
محراب الصحن : ١٨
مدرسة الأشرف (بمكة) : ٤٦
المدينة : ٤٢ ، ٤٦ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٢٦١
مراكش : ١١ ، ١٧ ، ٦٤ ، ٨٧ ، ١٦١ ، ١٧٣
مرج غرناطة : ٣١٩
مرجيق : ١٥٥ ، ١٥٦
مرسى تونس : ١٥
مرسية : ٨ ، ١٥ ، ٥٤ ، ١٥١ ، ١٥٢
المرية : ١٠ ، ٢٠ ، ٥٤ ، ٧٣ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٥ ، ١٩٦ ، ٢٦١
المسجد الأقصى : ٢٣٤
المسجد الجامع بقرطبة : ٦٠ ، ٦٢ ، ١٤٩ ، ٢١٣
المسجد الحرام : ٢٥١
مسجد النبي (بالطائف) : ٤٣
مصر : ٤١ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٩٤ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨
المغرب : ٢١ ، ٤٠ ، ٦١ ، ٧١
مقبرة الربض : ١٥١
مكة : ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٧٦ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
مكتبة الاسكوريال : ١٠٣
منى : ٤٦
منورقة : ٢١٥
المنية : ١٠٧
المهدية : ١٦٦

(ن)

نجد : ٣١٩
نيسابور : ٢٩٥
الهند ٤١ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٢٥٥

(و)

وادى الخصيب : ٥٢
واسط : ٤١ ، ١٢٧ ، ١٥٢
وجرة : ١١٣
وعلة : ١٦٨

(ى)

اليمامة : ٢٥٢
اليمن : ٤٢ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٧١

فهرس الكتب

(ا)

ابن خلكان = وفيات الأعيان
إثارة الحجون لزيارة الحجون : ٤٣
الأحاجى النحوية للزمخشرى : ٢٩٥
الأحاديث الضعيفة للفيروزابادى : ٤٣
أحاسن اللطائف فى محاسن الطائف : ٤٣
الإحاطة فى أخبار غرناطة : ١٠٢
أحكام القرآن لابن العربى : ٩٤
الإحياء للغزالى : ١٦٦
اختصار المبسوط لابن رشد : ٦٠
اختصار مشكل الآثار لابن رشد : ٦٠
الإسرا إلى المقام الأسرى : ٥٤
الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد : ٤٣ ، ٥٠
إسماء السراح فى أسماء النكاح : ٤٤
الإشادة : ١٧٣
الإشارات الحسان المرفوعة إلى حبر فاس وتلمسان ، لابن غازى : ٦٥
الإصابة لابن حجر : ٥١
الإصعاد إلى رتبة الاجتهاد = الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد
إصلاح الخلل ، الواقع فى الجمل : ١٠٢
أطواق الذهب : ٢٩٥
إعتاب الكتاب لابن الأبار : ٢٠٦
الاغتباط بمعالجة ابن الخياط للفيروزابادى : ٥٣
إكمال الإكمال للأبى : ٧٥
الألفية للزين العراقى : ٥٧
الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا لابن العربى : ٩٤
إنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر : ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢
الانتصاف من الكشاف لناصر الدين أحمد ابن المنير الإسكندرى : ٨٤ ، ٢٩٩
الإنصاف لابن العربى : ٩٥
الأنموذج فى النحو : ٢٩٥
أنواء الغيث فى أسماء الليث : ٤٤
أنوار الفجر لابن العربى : ٩٤
إيجاز البيان لابى عمرو الدانى ٨٥
إيضاح المحصول من برهان الأصول : ١٦٦

(ب)

بدائع السلك فى طبائع الملك : ٣١٨
البداية والنهاية لابن كثير : ٢٩٧
البدر الطالع للشوكانى : ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٧
البستان : ٢٥ ، ٢٦
بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز : ٤٢
بغية الراغب : ٧٣ ، ٧٩
بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى : ١٠٢ ، ١٧٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨
البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة : ٤٣
البيان والتحصيل لما فى المستخرجة من التوجيه والتعليل لابن رشد : ٦٠

(ت)

تاج العروس : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٩٤ ، ١٢١ ، ١٤١ ، ١٥٩

تاريخ بغداد للخطيب ٨٥ ، ٨٦
تاريخ القيسى : ٢٨
تاريخ اليمن : ٤٤
تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين : ٤٤
التبصرة للخمى : ٢٢
تبيين الصحيح فى تعيين الذبيح لابن العربى : ٩٤
التجاريع فى فوائد متعلقة بأحاديث المصابيح ٤٣
التحف الظرائف فى النكت الشرائف : ٤٣
تحفة اسماعيل فيمن يسمى من الملائكة والناس إسماعيل : ٤٤
تحفة المجتهدين بأسماء المجددين : ٥٦
تذييل الديباج = الابتهاج بتذييل الديباج
ترتيب المسالك فى شرح موطأ مالك لابن العربى : ٩٤
ترقيق الأسل فى تصفيق العسلى : ٤٤
تسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول : ٤٣ ، ٥٠
تعليقة على أحاديث الجوزقى : ١٦٦
التعليقة على المدونة : ١٦٦
تعيين الغرفات للمعين على عين عرفات : ٤٣
تفسير البخارى لابن المرابط : ٨٥
تفصيل التفصيل بين التحميد والتهليل لابن العربى : ٩٥
تقييد المهمل وتمييز المشكل : ١٥٠
تقييد اليحمدى عن أبى الحسن : ٣٦
تكملة ابن عبد الملك : ٧٨
التنبيه لأبى إسحاق الشيرازى ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٩
التنبيه على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى رأيهم واعتقاداتهم : ١٠٢ ، ١٠٧
تنوير المقباس فى تفسير ابن عباس : ٤٢
التهذيب لأبى سعيد البراذعى : ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٤
التوسط فى المعرفة بصحة الاعتقاد ، والرد على من خالف أهل السنة من ذوى البدع والإلحاد ، لابن العربى . ٩٥
التيسير : ٧٦
تيسير فاتحة الإهاب فى تفسير فاتحة الكتاب : ٤٣

(ج)

الجذوة المقتبسة والخطوة المختلسة : ٥٤
الجليس الأنيس فى أسماء الخندريس : ٤٤
جمع الجوامع : ٢٩٥
جمل الخونجى : ١٩ ، ٢٧

(ح)

حاصل كورة الخلاص فى فضائل سورة الإخلاص : ٤٣
الحلل فى شرح أبيات الجمل : ١٠٢
حلية الأولياء لأبى نعيم : ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨
الحيل لابن خاقان الأصبهانى : ١٥

(خ)

الخلافيات لابن العربى : ٩٤

(د)

الدر الغالى فى الأحاديث العوالى : ٤٣
الدر النظيم ، المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم : ٤٣
ديوان العبر وكتاب المبتدأ والخبر : ٢٠٤

الديباج المذهب لابن فرحون : ٦ ، ٧ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ١٦٧

(ذ)

الذيل : ١٥ ، ١٦
الذيل والتكملة لابن عبد الملك : ٧٧

(ر)

الرائض فى الفرائض : ٢٩٥
ربيع الأبرار : ٢٩٥
رحلة ابن بطوطة : ١٩٥
الرسالة لابن أبى زيد : ٢٩ ، ٣٥ ، ٢٦٥
رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة : ١٧٤
الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألوف : ٤٤ ، ١
روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام : ٣١٨
روضة الناظر فى ترجمة الشيخ عبد القادر : ٤٣

(ز)

زاد المعاد فى وزن بانت سعاد : ٤٤
زهر الرياض المفصح عن المقاصد والأغراض ١٦٨

(س)

السباعيات لابن العربى : ٩٥
سراج البلغاء : ١٧٢
سراج المهتدين لابن العربى : ٩٤
سراج المريدين لابن العربى : ٩٤
سفر السعادة : ٤٣
سنن البيهقى : ٤١
سيف الاسلام لابن طلحة : ٧٧

(ش)

شرح أبيات الكتاب : ٢٩٥
شرح أدب الكتاب : ١٠٢ ، ١٠٧
شرح البخارى للفيروزابادى : ٣٩ ، ٥٠
شرح التلقين : ١٦٦
شرح التهذيب لابن مرزوق : ٢٥
شرح خطبة الكشاف : ٤٣
شرح خليل لسيدى أبى القاسم بن سراج : ٣١٤
شرح ديوان المتنبى : ١٠٢
شرح رقم الحلل : ٦٨
شرح سقط الزند : ١٠٢
شرح الشفا : ٨٨
شرح عقيدة النسفى للتفتازانى : ٣١٤
شرح غريب الرسالة لابن العربى : ٩٥
شرح القاموس = تاج العروس
شرح مختصر ابن الحاجب لابن عبد السلام : ٢٤
شرح مسلم للأبى : ٣٣
شرح الموطأ لابن السيد البطليوسى : ١٠٢
الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى لعياض : ١٣ ، ١٤ ، ٧٦ ، ١٥٦
شفاء الغليل : ٣١٧
الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية : ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٦
الشهاب فى المواعظ والأداب للقضاعى : ٩
شوارق الأسرار العلية فى شرح مشارق الأنوار النبوية = شوارق الأسرار فى شرح مشارق الأنوار
شوارق الأسرار فى شرح مشارق الأنوار : ٤٣ ، ٥١

(ص)

صبح الأعشى : ٩
صحاح الجوهرى : ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٦٨ ، ٧٣
صحيح ابن حبان : ٤١
صحيح البخارى : ٤٥ ، ٤٩ ، ٦٩ ، ١٥٢
صحيح مسلم : ٥٤ ، ١٥٢
الصحيحين : ٩
الصلات والبشر فى الصلاة على خير البشر : ٤٣
الصلة لابن بشكوال : ١٦ ، ١٧ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٣
صلة الصلة لابن الزبير : ١٤ ، ١٥ ، ٦٣
صميم العربية : ٢٩٥

(ض)

الضوء اللامع للسخاوى : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

(ط)

طبقات الحنفية لمحمد عبد الحى الكنوى الهندى : ٥٧
الطبقات الصغرى = بغية الوعاه .
الطبقات الكبرى للسيوطى : ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٩٥
الطرة لابن غازى : ٧٥

(ع)

عارضة الأحوذى على الترمذى لابن العربى : ٩٤
العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٣١٨
العتبية : ٣١٥
العقد الأكبر للقلب الأصغر لابن العربى : ٩٤
العقد الفريد : ٦٨ ، ٩٧
العمدة : ٢٦٥
عنقاء مغرب فى صفة ختم الأولياء وشمس المغرب : ٥٤

(غ)

الغنية لعياض : ٥٩ ، ٨٦

(ف)

الفائق فى غريب الحديث : ٢٩٥
فتح المتعال للمقرى : ٢٦١
الفتوحات لابن عربى : ٥٠ ، ٥٣
فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب لشرف الدين الحسن بن محمد : ٧٤ ، ٨٤
فصل الدرة من الخرزة فى فضل السلامة على الخبزة : ٤٣
الفصوص لابن عربى : ٥٣
الفضل الوفى فى العدل الأشرفى : ٤٣
فهرسة عياض : ٥٩

(ق)

القاموس المحيط للفيروزابادى : ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢
قانون التأويل لابن العربى : ٨٩ ، ٩٤
القبس فى شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربى : ٩٤ ، ١٠٧
قلائد العقيان لابن خاقان : ١٨ ، ١٩ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢

(ك)

الكافى فى أن لا دليل على النافى لابن العربى : ٩٥

الكافى لأبى عمر : ٣١٠
الكامل لأبى العباس المبرد : ١٤٤
الكبريت الأحمر فى بيان علوم الشيخ الأكبر للشعرانى : ٥٥
كتاب الأسئلة الحاوى للنوازل والفتاوى : ٢٥
كتاب سيبويه فى النحو : ٢٧ ، ٧٦
الكشاف للزمخشرى : ٨٤ ، ٢٨٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧
كشف الظنون : ٨٤ ، ١٠٢
كشف الغطا عن لمس الخطا : ١٦٦
الكشف والإنباء عن المترجم بالإحياء : ١٦٦

(ل)

اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب للفيروزابادى : ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٠
اللسان : ١٤٤

(م)

المتفق وضعا المختلف صنعا : ٤٣
المثلث الكبير : ٤٤ ، ١٠٢
مجمع الأمثال للميدانى : ٦
المجمل لابن فارس : ٤٤ ، ٥٠
مختصر الفقه لابن عرفه : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧
مختصر المدونة والمختلطة لابن أبى زيد القيروانى : ٢٥
المدارك لعياض : ٦٧ ، ٨٥
المدخل لابن طلحة : ٧٧
المدونة للزرويلى : ١٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٥
مراقى الزلف لابن العربى : ٩٤
مرتقى الوصول الى بناء الفروع على الأصول لأبى عبد الله الشريف : ٣٨
المرقاة الوفية فى طبقات الحنفية : ٤٣
المرقبة العليا فى مسائل القضا والفتيا = المرقبة العليا فى الأقضية والفتيا
المرقبة العليا فى الأقضية والفتيا للنباهى : ١٧
مروج الذهب للمسعودى : ٦٨ ، ٧٥
مزية المرية : ٨
المسائل المنثورة فى النحو : ١٠٢
المسبع للجزولىّ : ٣٦
المستقصى فى الأمثال : ٢٩٥
المسلسل : ٥٢
المسلسلات لابن العربى : ٩٥
مسند أحمد : ٤١
المشارق لعياض : ٢١
مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية = شوارق الأسرار فى شرح مشارق الأنوار
مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الالهية : ٥٤
مشتبه النسبة لعبد الغنى بن سعيد الأزدى : ٩
مشكل حديث السبحات والحجاب لابن العربى : ٩٤
المشكلين لابن العربى : ٩٤
مصنف ابن أبى شيبة : ٤١
مطمح الأنفس لابن خاقان : ١٨ ، ١٩ ، ٩٣ ، ٩٤
المعارف الالهية : ٥٤
المعارف لابن قتيبة : ٧٠ ، ٧٣ ، ١٠٦
معجم الأدباء لياقوت : ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧
معجم البلدان لياقوت : ١٢٧ ، ١٥٩ ، ٢٨٨
المعلم بفوائد مسلم : ١٦٦
المعيار : ٣١٨
المغانم المطابة فى معالم طابه : ٤٣

المغنى لابن هشام : ١٧٢
المفصل فى النحو : ٢٩٥
المقامات : ٢٩٥
المقدمات لأوائل كتب المدونة لابن رشد : ٦٠
مقدمة ابن خلدون : ٢٢ ، ٢٥ ، ٣١٨
مقصود ذوى الألباب فى علم الأعراب : ٤٤
المقصورة لحازم القرطاجنى : ١٧٣ ، ١٧٤
مقصورة المكودى : ١٧٤
ملاك التأويل فى حقائق التنزيل : ٥٤
ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين لابن العربى : ٩٥
منح البارى بالسيل الفسيح الجارى فى شرح صحيح البخارى : ٤٣
المنزع النبيل فى شرح مختصر خليل لابن مرزوق : ٢٥
منية السول فى دعوات الرسول : ٤٣
مهيج الغرام إلى البلد الحرام : ٤٣
مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم : ٥٤
المؤتلف والمختلف : ٩
موطأ مالك : ٦٧ ، ٧٦
الميزان للذهبى : ٥١

(ن)

الناسخ والمنسوخ لابن العربى : ٧٤ ، ٩٤
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى : ٨٥
نزهة الأذهان فى تاريخ أصبهان : ٤٣
نظم الدر والعقيان لأبى عبد الله التنسى : ١٦٦
نفح الطيب : ٥٣ ، ٩٣
النفحة العنبريه فى مولد خير البريه : ٤٣
النكت القطعية فى الرد على الحشوية : ١٦٦
نواهى الدواهى لابن العربى : ٩٤
نهاية الدراية فى طبقات القراء لابن الأثير : ٨٥
النيرين فى الصحيحين لابن العربى : ٩٤
نيل الابتهاج : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٥٧

(و)

الوصل والمنى فى فضل منى : ٤٣
وفيات الأعيان لابن خلكان : ٦٢

فهرس القوافى

(ء)

أتمثال — كفء : ٢٢٨ طويل
أرى — ذكاد : ١٣٥ وافر
أهلا — الآلاء : ١٥٠ كامل

(ب)

إذا — والكتب : ٩٠ طويل
تأوبه — متقلباً : ١١٢ »
أبا — حرب : ١٢٩ »
حلفت — عضبا : ١٣٩ »
نسيبي — المناسب : ١٤٢ »
أخوف — كذوب : ١٦٤ »
أناس — مركبا : ٢١٢ »
بنفسى — والحب : ٢٢٨ »
مسرة — الصاب : ٢٨٦ »
دعوك — وجب : ٢٩٠ »
إذا — دأب : ٢٩٤ »
نفسى — محبوب : ١٣٢ بسيط
أرى — عتبه : ٣١٥ »
قلبي — أجيب : ١٠٩ مخلع البسيط
إليك — حسبي : ١٤٨ وافر
أيا نعل — للبيب : ٢٦٩ »
كيف — تعذيباً : ١٠١ كامل
سل — كالذهب : ١٠٩ »
يا رب — كالكوكب : ١١٠ »
والشول — تحلب : ١٤٥ »
ومعطر — ترتيب : ٢٠٢ »
لله — الحباب : ٢٢٣ مجزوء الكامل
ياذا — واجب : ١٦٥ سريع
كلما — أوب : ٣٠٤ خفيف
أتتنى — وبتأنيبها : ٨٨ متدارك

(ت)

إذا — صمت : ١٠٠ طويل
خليلى — ونسيت : ١٣١ »
أبا — شتات : ١٩٥ »
تلوت — وبالنعت : ٢٢٩ »
نفسى — أضنانى ١٣٤ كامل
عاشر — الفتى : ٥٧ : رجز
بماذا — حبانى : ١٣٣ متقارب

(ث)

يهز — عابث : ٨٩ طويل
ثمار — البعث : ٢٢٩ »

(ج)

جللت — عارج : ٢٢٩ طويل
الخوض — لجج : ٢٨٦ بسيط
أدر — مديج : ١٨٤ كامل
عرضت — الأدعج : ١٧٦ »
ولقد — وهاجا : ٢٣٧ »

(ح)

طربت — جانحه : ١٣٢ طويل
طربت — ورائحه : ١٣٢

نخذى — تصحح : ١٩٨		طويل
حظيت — نشرح : ٢٣٠		»
أمكة — الأباطح : ٢٩٢		»
تلك — سلاح : ٢٠٣		كامل
سددوها — صفاحا : ١٧٦		خفيف

(خ)

خذيها — بذخ : ٢٣٠		طويل

(د)

نقمتم — مجد : ١١٠		طويل
إلهى — وجاهد : ١١٦		»
ودادكم — عهد : ١٣٢		»
عسى — بعيدها : ١٢٣		»
دع — أحدا : ٢٣٠		»
تبدت — وجده : ٢٤٨		»
هنيئا — بمقصدى : ٣٦٦		»
لقد — أحد : ٣٠٦		»
سوق — الزادا : ٤٦		بسيط
لله — خلد : ١٩٥		»
تقول — يا ولدى : ٣١٩		»
شابت — رماد : ٨٨		كامل
شابت — ميعاد : ٨٨		»
إنى — السيد : ١٧١		»
لولا — موردى : ٢٠٤		»
نسب — عمودا : ٢١٢		»
ياناظرا — الوجود : ٢٦٨		مجزوء الكامل
هذى — الأحمد : ٢٧٩		مجزوء الرجز
كن — ففر : ٩٩		رمل
ظبى — العقد : ٢٠١		سريع
يا منظرا — الخلد : ١٠٧		منسرح
لا يقوى — لا بجدودى : ٩٨		خفيف
أطالب — الخلود : ٢٠٥		خفيف
إذا — واقصد : ٩١		متقارب

(ذ)

ذر — بذا : ٢٣١		طويل

(ر)

ألا — بحر : ٤٨		طويل
أمنك — الفخر : ٩٣		»
لعلكم — ضر : ١١٧		»
فؤادى — غزاره : ١٢٥		»
ترى — بهار : ١٢٧		»
لعمرى — ومفخرا : ١٣٣		»
إذا — صوره : ٣٤		»
لك — بالنوادر : ٢٠١		»
وظبى — ماهر : ٢٠٢		»
رأيت — أسرى . ٢٣١		»
زفير — عزا : ٢٣١		»
جميع — زمخشرا : ٢٨٥		»
وكم — وأكثرا : ٢٨٩		»
وما — الورى : ٢٨٨		»
هو — أخرى : ٢٩٤		»
مليح — كدر : ٢٩٤		»
إذا — خواطره : ٥٣		بسيط
قل — درر : ١٤٠		»
علمى — الغدر : ١٦٢		»
إن — خطر : ١٩٥		»
إيوان — دوار : ٣١٥		»
بنفسى — ونور : ٢٢١		وافر
ألا — قنبر : ٢٩٨		»
لله — أزهر : ٤٧		كامل
طيف — الوطر : ١٣٤		»
أهلا — بالكافور : ١٣٤		»
للمرء — كدر : ١٤٦		»
أدر — السرى : ١٧٤		»
هذا — والزوار : ١٩٦		»

نصب — مجرور : ٢٠٣	كامل	
حاز — الأنوار : ٢٠٣	«	
بشراى — المنصورا : ٢١١	«	
لمثال — تغفرا : ٢٢٤	«	
لو — دارى : ٢٢٥	«	
وغدا — أذكره : ٢٦٥	«	
ومروعة — جارى : ٢٨٥	«	
لما — الأخبارا : ٣١٤	«	
فكان — وقر : ٥٧	رجز	
ومجلس — أزهرا : ١٢٧	«	
فحازم — مادَرَى : ١٧٤	«	
خذه — حذى : ٢٤٥	مجزوء الرجز	
تجر — صبور : ٣٠٤	«	
ذرعى — يدور : ٣٠٤	«	
قم — السكر : ١٢٠	سريع	
ما رجل — أمرَه : ٣٠٩	«	
الليالى — تستقر : ١٥٩	خفيف	
ما — شهرا : ١٩٥	«	

(س)

جفوت — باس : ١٠٠	طويل	
رعى — بالناسى : ١٩٦	«	
ورب — الناسِ : ١٩٧	«	
سموت — والشمس : ٢٣٦	«	
شمخت — مشى : ٢٣٦	«	
أدرك — درسا : ٢٠٧	بسيط	
مذ — القاموسا : ٤٦	كامل	
وسق — تهمى : ٩٧	«	
خضعت — النرجس : ٣٢٠	«	
هذا — تلتبس : ١٦٦	مجزوء الرجز	
قالوا — النفوس : ١٦٨	سريع	

(ص)

الا — خالص : ٣٥	طويل	
تجوهرك — الأقصى : ١٤٦	طويل	
صبرت — وتستقصى : ٣٣٤	«	

(ض)

أيا — براضى : ٢٠	طويل	
أيا — البعضا : ١٣٤	«	
ضلوعى — أرضى : ٢٣٤	«	
تلمسان — القضا : ٣٠٧	«	
إن — إيماض : ٣٢٢	بسيط	
علت — ماض : ٢٢٢	وافر	
نبه — بالاغماض : ١٤٥	خفيف	

(ط)

أما — قسطا : ٢٢٢	طويل	
طوت — لا تخطا : ٢٣٢	«	
أيا — ما تخطو : ٢٦٩	«	
إلام — خبط : ٢٢٢	بسيط	
مثال — خطا : ٢٧٥	وافر	
قصتى - المبسوطة : ٢٠١	خفيف	

(ظ)

ظللت — لظى : ٢٣٢	طويل	

(ع)

وما — لموضع : ٤٧	طويل	
أما — الأضالعُ : ١١١	«	
على — أولعا : ٢٣٤	«	
مشوق — لعلع : ٣١٩	«	
جمعت — ومرتبع : ٢١٤	بسيط	
وما — الدموع : ١٩٧	وافر	
من — تنويع : ١٩٧	كامل	

يا — وبرع : ١٩٨	رمل
بالطبل — نراع : ٣٠٨	مجتث

(غ)

غليلى — بمنبغى : ٢٣٥	طويل

(ف)

فؤادى — تشفى : ٢٣٥	طويل
أليلتنا — شفنا : ٢٣٥	»
طويل — رشفا : ٢٧٢	»
مبالاة — حصيفُ : ٢٨٦	»
مبالاة — خصيف : ٢٨٦	»
فتى — مشرّفه : ٢٩٢	»
أشفى — مكتنفه : ٢٤٢	بسيط
أفخر — والسدف : ٢٩١	»
أن — كشافى : ٢٩٦	»
كامل — المصطفى : ٢٧٢	كامل
لجماعة — موكفه : ٢٩٨	»
عجبا — مَعرفهْ : ٢٩٩	»
سميت — المؤكفَه : ٢٩٩	»
وجماعة — يُخلِفَه : ٢٩٩	»
لهواتفُ — السفَه : ٣٠٠	»
جورية — للسفَفَه : ٣٠٠	»
عجبا — ومؤلفَه : ٣٠٠	»
قل — تخلَفَه : ٣٠١	»
لحثالة — موفَفَه : ٣٠١	»
وجماعة — الفلسَفَه : ٣٠١	»
وجماعة — متعسفه : ٣٠٢	»
عجبا — معرفه : ٣٠٢	»
لجماعة — مُوكفَه : ٣٠٢	»
جماعة — متعسفه : ٣٠٤	»
قل — والمعرفَهْ : ٣٢٣	»
فيه — للصفه : ٣٢٤	»
أجعلتمُ — الصفه : ٣٢٣	»
عجبا — الموكفه : ٣٢٤	كامل
يا — واستنكفه : ٣٢٥	»
يا — ألفا : ٢٦٩	مجزوء الكامل
طفا — خليفه : ٢٠٦	مجتث

(ق)

وأحلى — ويتق : ٩٠	طويل
نفى — تفهق : ١٤٤	»
أتانى — مشرق : ١٧١	»
أبا — شيق : ١٧١	»
قلبي — العلق : ٢٣٥	»
هى — أفقها : ٢٣٦	»
أنى — وأينقُ : ٢٩٠	»
يلومنى — بانفاقِ : ٣٠٥	»
يامن — الوثيق : ١٠١	مجزوء البسيط
أهل — الخلق : ٩٥	كامل
قالوا — مغلقُ : ١٩٤	»
لا — وانتق — : ٢٠٣	»
عندى — عبقْ : ١١٣	رجز
لبيك — الغدق : ١١٤	»
صاح — اغتبق : ١١٥	رمل

(ك)

كرمت — السلك : ٢٣٢	طويل
شكوت — المبكى : ٢٨٦	»
نثرت — سِلكها : ٢٣٧	كامل

(ل)

وأدهم — حجولُ : ١٠٨	طويل
أمرت — أهلُ : ١٤٠	»
فواعجبا — فاضل : ١٤٣	»
صحا — ورواحله : ١٤٤	»
سجام — مثالُ : ٢٢٤	»

فهرس الموضوعات

صفحة

روضة الأحوان ، فى ذكر حاله فى المنشأ والعنفوان

كلام لابن عاصم فى أبيه يتمثل به المؤلف فى وصف عياض ٥
الملاحى فى عياض ٧
لابنه أبى عبد الله فيه ٧
لابنه وابن خاتمة فى ذكر شيوخه ... ٨
لابن القصير فى دخول عياض غرناطة ١١
إنصاف القاضى عياض ١٣
التعريف بابن القصير ١٤
لابن بشكوال فى عياض ١٦
للنباهى فى عياض ١٧
لابن خاقان فى عياض ١٨
تعقيب لابن جابر على كلام ابن خاقان ١٨
تعقيب للمؤلف على المطمح ومؤلفه ... ١٨
حسن إلقاء عياض وبعض تلامذته ... ١٩
وقاره وسمته ٢٠
عنايته بالتقييد ٢٠
تعظيمه للسنة ٢١
ذكاؤه ومواهبه ٢١
حسن خطه ٢١
حسن عبارته ٢١

صناعة التأليف بالمغرب

لتدريس المدونة اصطلاحان ٢٢
فضل عياض فى التأليف ٢٢
موازنة بين المشارقة والأندلسيين ... ٢٣

صفحة

المتأخرون من علماء المغرب ٢٣
موازنة بين التونسيين والفاسيين ... ٢٤
ضعف العلوم النظرية بالمغرب... ... ٢٦
بين السلطان أبى عنان والشيخ الصرصرى ٢٧
بين علماء فاس وتونس ٢٨
تنشيط الشيخ تلامذته بالحكايات ... ٢٩
دفع القصور عن بعض علماء المغرب وتلامذتهم ٢٩
العجز عن التأليف لا يقدح فى علم العلماء ٣١
ملكة العلم فى أهل تونس ٣٢
منزلة الشيخ أبى الحسن فى العلم ... ٣٢
كلام فى قيمة التواليف ومزاياها ... ٣٣
المقصود بالتأليف ٣٤
تعليق للونشريشى على كلام الأبى ... ٣٥
ثناء الأبى على تواليف أستاذه ابن عرفه ٣٥
لبعضهم يمدح مختصر ابن عرفة فى الفقه ٣٦
بين الباب وابن عرفة ٣٧
إيراد للسلطان أبى عنان على بعض الفقهاء ٣٧
إمامة الشيخ بن عرفة لا تجحد ... ٣٨

ترجمة الفيروزابادى عن الشقائق النعمانية

التعريف به ٣٨
نسبه ٣٨
رحلاته وبعض تواليفه وصفاته ... ٣٩
ميلاده ووفاته ٣٩
هو آخر من مات من الرؤساء ... ٣٩
استدراك لابن خلدون ٤٠

صفحة

ترجمة ثانية للفيروزابادى

عن الضوء اللامع للسخاوى

كتبه ومؤلفاته ٤٢
ثناء الكرمانى عليه ٤٤
ثناء الخزرجى عليه ٤٤
رغبته فى سكنى الحجاز ٤٥
كتابه إلى الأشرف إسماعيل ٤٥
ثناء الفاسى عليه ٤٦
لنور الدين على يمدح كتابه القاموس ٤٦
من شعر المترجم ٤٧
تاريخ وفاته ٤٧
للفيومى يمدح القاموس ٤٧
وللواسطى فى رموز القاموس ... ٤٧
وله يمدح القاموس ٤٧
شعر المترجم وقد قرأ صحيح مسلم ٤٨

ترجمة ثالثة للفيروزابادى

عن إنباء الغمر

مولده ورحلاته ٤٩
كتبه وإسرافه ٥٠
بعض مؤلفاته ٥١
شيوخه ٥١
وفاته ٥٢
مدح الفيروزابادى لابن عربى ... ٥٢
التعريف بمحى الدين بن عربى ... ٥٤
رأى ابن خاتمة فى ابن عربى ٥٤
التسليم للمتصوفة خير من الطعن عليهم ٥٥

التجديد والمجددون

نظم للسيوطى فى المجددين ٥٦
صفحة
آراء فى المراد بالمجدد ٥٦
عود إلى نظم السيوطى فى المجددين ٥٧

روضة البهار

فى ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم أظهر من شمس النهار

مقدمة ٥٩

شيوخ عياض

أبو الوليد بن رشد (الجد) ٥٩
شيوخه وعلمه ٦٠
ورعه ومؤلفاته ومولده ووفاته ... ٦٠
توجهه إلى المغرب وعودته ٦١
أبو عبد الله التجيبى القرطبى ٦١
أبو بكر بن العربى المعافرى ٦٢
من كلام ابن بشكوال عنه ٦٣
شىء عنه من صلة ابن الزبير ٦٣
وفاته وقبره ٦٤

استطراد وتحقيق

رسالة الإشارات الحسان لابن غازى ٦٥
مقدمة ٦٦
سؤال الونشريشى لابن غازى عن مسائل من العلم ٦٦
قضية سعيد بن المسيب مع عمر بن عبد العزيز ٦٧
محنة سعيد بن المسيب لصلابته فى الدين ٦٩

تنبيهات

ميلاد سعيد بن المسيب ووفاته ... ٧١
بعض عمال عبد الملك ٧١

صفحة

بعض آل مخزوم من أصحاب مالك ... ٧١
المقرى فى وفاة ابن المسيب ٧٢
يرد مولى بن المسيب ٧٢
القول فى إيمان أبى طالب ٧٣
القول فى إيمان أبوى النبى ٧٤
قول المسعودى فى إيمان أبى طالب ... ٧٥
أبو العباس العشاب ٧٥
ابن طلحة اليابرى ٨٧
ابن طلحة آخر ٧٨
الآبلى المصرى ٧٨
أخبار أهل السنة والمعتزلة ٧٨
مناظرة الباقلانى للمعتزلة ٧٩
تسمية أهل السنة المثبتة والمجبرة ... ٨٤
بعض من قال بالجبر وبالجهة ٨٥
أبو بكر بن مجاهد ٨٥
التصحيف فى أسماء الرجال ٨٦
تتمة القول فى أبى بكر بن العربى ... ٨٦
فى حاشية كتاب ابن غازى ٨٧
نفى الاحتمال فى أمر أبى بكر بن العربى ٨٧
مثال من صلابة ابن العربى فى القضاء ٨٨
مثال من شعره ٨٨
أجازته بيتا لابن صاره ٨٨
ارتجاله الشعر فى مجلس الدرس ... ٨٩
وصفه البحر نثرا ٨٩
بعض ما صادفه فى رحلته من ثمرات الأدب ٨٩
تفسير بعض الغريب ٩١
من لقى ابن العربى فى رحلته من كبار العلماء ٩١
تعريف ابن خاقان فى المطمح بابن العربى ٩٢
مثال آخر من شعره ٩٣
بعض تآليف ابن العربى ٩٤
نضرة وجوه أهل الحديث ٩٥

صفحة

شعر للعزفى فى ذلك ٩٥
أبو عبدالله بن حمدين من شيوخ عياض ٩٥
ميلاده ووفاته ٩٥
ما قاله ابن خاقان فى حقه ٩٦
فصل من رسالة له راجع بها ابن شماخ ٩٧
فصل آخر منها ٩٨
أبو بكر بن عطية من شيوخ عياض ٩٩
أمثلة من شعره ٩٩
ابن السيد البطليوسى من أشياخ عياض ١٠١
ذكره السيوطى فى البغية ١٠٢
مصنفاته كما فى البغية ١٠٢
مثال من شعره ١٠٣

ترجمة ابن السيد البطليوسى

تأليف خاص لابن خاقان فى التعريف بابن السيد ١٠٣
مقدمة تأليف الفتح ١٠٣
ثناء ابن خاقان على ابن السيد ... ١٠٥
حظه من العلوم والمعارف ١٠٦
وصفه مجلس القادر بن ذى النون ١٠٧
وله يصف فرسا ١٠٨
وله فى وصف الراح ١٠٩
ولابن عمار فى مثله ١٠٩
وللمترجم فى وصف مجلس أنس ١١٠
وله يمدح بعض الأعيان ١١٠
وله يتغزل ١١٢
بينه وبين أبى الحسن راشد وقد دعاه إلى مجلس أنس ١١٣
وله يصف مجلس أنس ١١٥
وله فى الزهد ١١٦
وله يمدح الظافر بن ذى النون ... ١١٧
وله يمدح ابن لبون ١٢٠

	صفحة
تعريف للفتح بابن لبون ومدح ابن السيد له	١٢٠
ولابن السيد يمدح ابن رزين ...	١٢٣
وله يرثى أبا عبد الملك بن عبد العزيز	١٢٥
وله فى وصف طول الليل	١٢٧
وله فى وصف مجلس الظافر ...	١٢٧
وله فى الغزل	١٢٩
لابن عريب يستدعيه إلى معاطاة قهوة	١٣٢
رده على ابن عريب	١٣٢
وله فى وصف كتاب من محبوب	١٣٢
كتب إليه بعض إخوانه متمثلا ...	١٣٢
رده عليه	١٣٣
وله فى الرد على ابن أبى الخصال ...	١٣٣
ومما يستجاد له	١٣٤
قطعة له تنفك منها ست قطع ...	١٣٤
قطعة أخرى تنفك منها تسع قطع...	١٣٤
وله فى وصف تين	١٣٤
وله فى وصف حمام	١٣٥
وله فى الغزل	١٣٥
وله فى مدح القادر	١٣٥
ترجمة ابن السيد فى القلائد	١٣٧
وله يراجع ابن جوشن	١٣٩
وله فى الزهد	١٤٠
وله يجيب شاعرا مدحه	١٤٠
وله فى وصف زربطانه	١٤١
رسالته إلى ابن الأخضر	١٤١
وله فى الرد على رسالة للوزير ابن سفيان	١٤٢
وله يمدح ابن الفرج	١٤٥
وله فى الزهد	١٤٦
وله يعزى ابن لبون فى أخيه ...	١٤٦
وله يخاطب مكة	١٤٧
أبو على الغسانى من شيوخ عياض	١٤٩

	صفحة
أبو على الصدفى من شيوخ عياض	١٥١
رحلته إلى الشرق	١٥١
عودته إلى الأندلس	١٥٢
حديث ابن الأبار عنه	١٥٣
توليه قضاء مرسية واستشهاده فى وقعة قتندة	١٥٣
ابن بقوى من أشياخ عياض ...	١٥٤
ابن شبرين من أشياخ عياض ...	١٥٥
ابن بقى من شيوخ عياض ...	١٥٧
ابن المرخى من شيوخ عياض ...	١٥٧
ابن غلبون من شيوخ عياض ...	١٥٧
أبو العباس الشارقى من شيوخ عياض	١٥٧
أبو إسحاق اللواتى من شيوخ عياض	١٥٧
ابن بشتغير وابن مكحول من شيوخ عياض	١٥٨
من شيوخ عياض المذكورين فى حرف الحاء	١٥٨
من شيوخ عياض المذكورين فى حرف الحاء	١٥٨
من شيوخ عياض المذكورين فى حرف الميم	١٥٨
من شيوخ عياض المذكورين فى حرف العين	١٦٠
من شيوخ عياض المذكورين فى حرف الغين	١٦٠
من شيوخ عياض المذكورين فى حرف السين	١٦٠
بعض شيوخ عياض المذكورين فى حرف الشين	١٦١
بعض شيوخ عياض المذكورين فى حرف الهاء	١٦١
بعض شيوخ عياض المذكورين فى حرف الياء	١٦١
من شعر المرادى	١٦١
ممن أجاز عياضا أبو بكر الطرطوشى	١٦٢

صفحة

تعريف ابن خلكان بالطرطوشى ١٦٣
ممن أجاز عياضا أبو عبد الله المازرى ١٦٥
ممن أجاز عياضا الحافظ السلفى ... ١٦٧
تحقيق ميلاد الحافظ السلفى ونسبته ١٦٨
تعليق للمؤلف... ... ... ١٧٠
شىء من نظم الحافظ السلفى ... ١٧٠
الأجازة العلمية عند تعذر اللقاء ... ١٧١
ترجمة السيوطى لحازم القرطاجنى ١٧١
تكملة المؤلف لترجمة حازم ١٧٣
جيميته التى يعارض بها رائية ابن عمار ١٧٤
جيمية ابن قلاقس ١٧٦
ولابن قلاقس أيضا ١٧٦
ولحازم فى الوصف ١٧٧
وله يتغزل فى صدر قصيدة مديحية ١٧٧
وله يصف وردة ١٧٨
تضمينه معلقة امرئ القيس ... ١٧٨
وله فى مدح الرسول ١٨٢
تحقيق نسبة القصيدة السابقة ... ١٨٤
ترجمة أبى القاسم بن جزى ١٨٤
بعض شيوخه ١٨٥
تواليفه ١٨٥
من شعره يبين غرضه فى الحياة ... ١٨٥
وله يفخر بعفته ١٨٦
وله فى جلال مقام النبوة ١٨٦
مولده ١٨٧
وفاته ١٨٧
وله فى الرجوع إلى الله ١٨٧
ترجمة أبى بكر ابن جزى ١٨٧
شعر له فى حب الناس للمال ... ١٨٨
تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس ١٨٨
بعض تواليفه وأعماله ١٨٨
ترجمة أبى عبد الله بن جزى ... ١٨٩
قصيدة له فى مدح أبى الحجاج يوسف ١٩٠

صفحة

قصيدة له فى مدح أبى عنان فارس ١٩٠
حسن تخلصه فى القصيدة ١٩٤
وله فى وصف حال ١٩٤
وله فى حفظ العهد ١٩٥
ألف رحلة ابن بطوطة ١٩٥
ومن شعر له فى مرضه ١٩٥
ومن شعره يخاطب أبا إسحاق بن الحاج ١٩٥
وله مصحفا ١٩٦
ولابن الجياب مصحفا ١٩٦
ولابن جزى فى المرية وأهلها ... ١٩٦
وله فى زاوية أبى عنان ١٩٦
ومن بديع نظمه ١٩٧
تهنئته أبا عنان بابن بلال ولده وتوريته بأسماء الكتب ١٩٨
من نظم ابن جزى موريا بأسماء الكتب ٢٠٠
من نظم عبد المهيمن الحضرمى موريا باسماء الكتب ٢٠١
لأبى على حسين بن صالح موريا بأسماء الكتب ٢٠٢
للوزير لسان الدين بن الخطيب موريا بأسماء الكتب ٢٠٢
لابن خاتمة موريا بأسماء الكتب ٢٠٢
لبعض الشعراء موريا بأسماء الكتب ٢٠٣
ومن شعر ابن جزى ٢٠٣
كان حازم وابن الأبار فرسى رهان ٢٠٤
ترجمة ابن الأبار وطرف من أخباره ٢٠٤

الخبر عن مقتل ابن الأبار

وسياقة أوليته

سينيته التى يستصرخ بها أبا زكرياء الحفصى ٢٠٧

صفحة

ارتجاله بيتين فى حضرة المستنصر ٢١١
رسالته للمستنصر ٢١١
مخاطبته رئيس منورقة سعيد بن حكم ٢١٥
وكتب إليه شافعا ومعتفيا ٢١٧
تهنئته أبا المطرف بن عميرة بقضاء شاطبة ٢١٨
وكتب شافعا فى فك أسير ... ٢١٩
وكتب أيضا شافعا ٢٢٠
وله فى المحبنات ٢٢١
وله يشكو الزمان ٢٢١
وله فى التسليم للمقدور ٢٢٢
وله يعارض الرصافى فى وصف نهر ٢٢٣
وله فى معناه أيضا ٢٢٣
وله فى تمثال نعل النبى ٢٢٤
وله فى التشوق إلى الضريح النبوى ٢٢٥
لمحمد بن فرج فى نعل النبى مخمسا لأبيات أبى الربيع بن سالم ... ٢٢٨
وله فى مدح النعال على حروف المعجم ٢٢٨
وله مقاطيع فى مدح النعال أيضا ٢٣٧
وله فى تشبيه نعل الرسول ... ٢٤٢
وله فى وصف النعل أيضا ٢٤٢
وله أيضا فى النعل الكريمة ... ٢٤٥
وله أيضا فيها ٢٤٦
وله أيضا فى ذلك الغرض ٢٤٧
وله أيضا فى ذلك ٢٤٨
وله فى ذلك وقد نحى منحى رائية أبى الربيع بن سالم ٢٤٨
عناية الصالحين بالنعل الكريمة ... ٢٦١
بعض ما جرب من بركتها ... ٢٦٢
لأبى اليمن بن عساكر فى مدحها ٢٦٢
ولمالك بن المرحل فى مدحها ... ٢٦٣
وللقرطبى فى ذلك أيضا ٢٦٤
ما كتب فى بعض تماثيل النعل ... ٢٦٥

صفحة

ما وقع للفاكهانى حين رأى تمثال النعل ٢٦٥
ما قاله ابن رشيد حين رأى تمثال النعل فى دمشق ٢٦٦
تمثال النعل النبوية ٢٦٧
ما كتب فى المثال الأيمن ٢٦٨
ما كتب فى المثال الأيسر ٢٧٠
ولابن جابر الوادى آشى فى مدح النعل ٢٧٢
وللشامى الخزرجى فى ذلك ٢٧٢
وله فى الغرض نفسه ٢٧٥
وللشامى أيضا فى النعال مكملا ما سقط من كلام ابن فرج السبتى ٢٧٨
وله فى ذلك أيضا ٢٧٩
وله فى ذلك أيضا ٢٨١
وله أيضا ٢٨٢
وله مخاطبا المؤلف راغبا فى إثبات هذه المنظومات فى أزهار الرياض ٢٨٢

بين القاضى عياض والزمخشرى

عياض والزمخشرى ٢٨٢

بين الحافظ السلفى والزمخشرى

استجازة الحافظ السلفى الزمخشرى ٢٨٣
رسالة الزمخشرى للحافظ السلفى ... ٢٨٤
استجازة الحافظ السلفى الزمخشرى مرة ثانية ٢٨٧
رد الزمخشرى على الحافظ السلفى بالإجازة الثانية ٢٨٨
تعليق للمؤلف على كلام الزمخشرى ٢٩٣
من بديع نظم الزمخشرى ٢٩٤
ما ذكره عنه السيوطى فى بغية الوعاة ٢٩٥

صفحة

تعريف ابن خلكان به ٢٩٦
إلمامة به لابن غازى ٢٩٨
للزمخشرى يمدح كتاب سيبويه ... ٢٩٨

بين الزمخشرى وأهل السنة

ما أنشده فى الكشاف لبعض المعتزلة فى ذم أهل السنة ٢٩٨
ما رد به عليه أهل السنة ٢٩٩
لابن المنير فى الرد على المعتزلة ... ٢٩٩
وله أيضا فى ذلك ٢٩٩
وللشيخ عمر السكونى فى ذلك الغرض ٢٩٩
وللقاضى عمر بن عبد الرفيع فى ذلك ٣٠٠
وللأعجمى فى ذلك الغرض ٣٠٠
وليحيى بن منصور التونسى فى ذلك ٣٠٠
ولليفرنى فى ذلك ٣٠١
ولابن عرفة فى ذلك ٣٠١
ولابن مرزوق التلمسانى فى ذلك ٣٠١
ولكامل الدين المظفر فى ذلك ... ٣٠٢
لابن المنير الإسكندرى من أهل السنة ٣٠٢
لابن الجبير اليحصبى فى ذلك ... ٣٠٢
تعليق للمؤلف ٣٠٣
كلام ابن الجبير من رواية الوادى آشى ٣٠٢
ومن نظم ابن الجبير ٣٠٤
ومن نظم ابن الجبير أيضا مجيبا للشران ٣٠٤
ما أجابه به الشران ٣٠٤
المسلمون أعداء لأهل السنة ... ٣٠٥
جند الله الغالبون هم أهل السنة ... ٣٠٥
بعض أخبار الوادى آشى وشعره ٣٠٥
رثاؤه أحمد بن يحيى الونشريشى ٣٠٦
وله فى رثائه أيضا ٣٠٦
وله فيه أيضا ٣٠٦
وله فيه أيضا ٣٠٧
وفاة الشيخ الونشريشى ٣٠٧
وللوادى آشى فى مدح الفقيه أحمد العبادى ٣٠٧

صفحة

وله متبرما بسكنى تلمسان ٣٠٧
وله أيضا فى ذلك ٣٠٨
كان الوادى آشى مغرما بالنسخ والتقييد ٣٠٨
وبخطه شعر لسيدى محمد العربى ... ٣٠٨
ولسيدى العربى فى رجل تنصر واختلط عقله ٣٠٨
وله ملغزا لغزا فقهيا ٣٠٩
وله فى الغرض نفسه ٣٠٩
بعض أخبار أبى عبد الله العربى ... ٣٠٩
بخط الوادى آشى من الوثائق المجموعة ٣١٠
ومن خطه نقلا عن القاضى أبى يحيى ابن عاصم فى توثيق العقود ... ٣١٠
ومما نقله الوادى آشى عن ابن عاصم فى الغرض نفسه ٣١١
حكم الشاهد الذى يصير قاضيا ... ٣١٢
وبخطه دعاء لابن جبير ٣١٣
وبخطه من كلام بعض العلماء ... ٣١٣
وبخطه نقلا عن شرح خليل لابن سراج ٣١٤
وبخطه للتفتازانى فى شرح عقيدة النسفى ٣١٤
ومن خطه ما كتب فى طلسم بغرناطة ٣١٤
ومن خطه لبعضهم فى صنعة الكتبة ٣١٥
ومن خطه بعض ما يشترط فى البيوع ٣١٥
ومن خطه بعض مسائل فى الرهن ٣١٠
ترجمة ابن الأزرق ٣١٧
تآليفه ٣١٧
شعر له فى الاعتداد بالصبر عند الشدائد ٣١٩
وله عند وفاة والدته ٣١٩
وله فى المحبنات ٣١٩
وله فى مدح شيخه يحيى بن عاصم ٣١٩
تعليق للمؤلف ٣٢٢
وله يخاطب شيخه ابن سراج ... ٣٢٢

عود إلى الرد على بيتى الزمخشرى

لابن عاصم ٣٢٣
ولأبى حفص بن عمر ٣٢٤
لابراهيم بن هلال ٣٢٤
ولعلى بن أحمد الشامى ٣٢٥